
لاجئة في وطن غريب ..
وحدها تقاسي الغربة والوحدة ..
لم تطمع سوى في الأمان واللقمة الحلال ..
حتى يأذن الله بالعودة للديار ..
لم تجد حلا سوى أن تذبح أنوثتها بيدها ..
فكرامتها فوق كل إعتبار..
فالحرة لا تأكل بثدييها ..
حتى لو إفترشت الأرض والتحفت السماء
لكنها أخيرا..
ترسو على ميناء قلبه
فيقدمه لها وطنا دائما .. فلا تحزن لغدر الأوطان
*****
هذا اللاجئ يستفزه ..
صوته .. مظهره .. نظرة عينيه تحيره ..
أما رائحته فلا تمت لرائحة الذكورة بصلة !..
إنه أشبه بموزة من الخارج وطعم ورائحة الكمثري من الداخل !...
يشعره بالتناقض ..
يلمس بداخله وترا غامضا ..
تطارده التساؤلات ..
تتقاذف في وجهه اللامنطقيات ..
ومع هذا لا يبعده عن محيط أنظاره ولا يتهاون في حمايته !..
يعترف أنه قد جُن ..
لكنه لم يتخيل أبدا.. أن يقدم قلبه له ..
وطنا دائما .
قلبكَ وطني
شمسة فلاح
Shammosah

أرسم
بالمشاعر قلوباً وبيوتاً وأوطاناً
وألوان
الخيال بألوان قوس قزح



شموسة

رواية

قلبك وطني

الجزء الأول

من سلسلة قلوب مغتربة

بقلم

شيماء يسري

شموسة

قلبك وطني

تصميم الغلاف : كاردينيا ٧٣

تصميم القالب : مريم تميم

تعبئة : شموسة

تدقيق إملائي: صحبة شموسة



شكر وتقدير

للكاتبة كاردينيا ٧٣

(استاذتي)

للكاتبة تميمة نبيل

(ملهمتي)

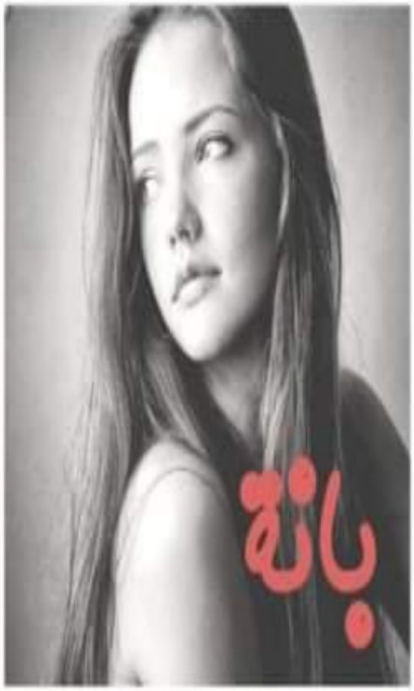
و

شقيقتي الصغرى

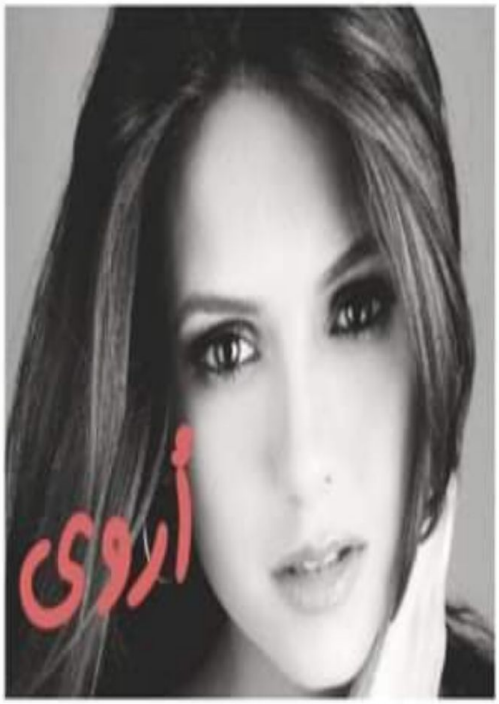
نورة يسرى




أحمد


بانة

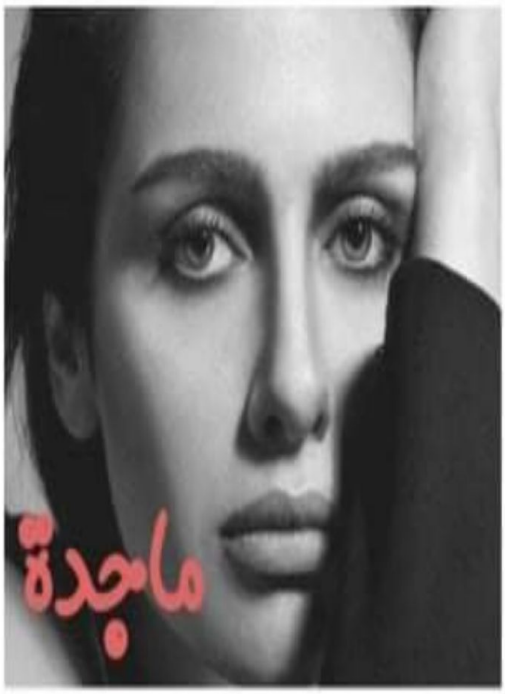

سيد


أروى


قلبك وطني
شموسة
Shammosah


آية


عمرو


ماجدة


وائل

تنويه

الاحداث والاسماء والشخصيات

الوارده في هذه الروايه من خيال المؤلفه

وأي تشابه بينها وبين الواقع هو

محض صدفه .. وجنسيه اللاجئين أو

الوافدين في هذه الروايه لا يقصد بها

دوله معينه مع كامل التقدير والاعتزاز

لكافه الجنسيات العربيه

شموسه





افترشتُ الغربه

والتحفتُ بحبّك،

فوَجدتنى فى وَطَنى!

وأكتشف معك،

طائراً نَسيته قبيلتَنا منذُ دُهورٍ

اسمهُ الفرح!

"غاده السمان"



الفصل الاول

" لا يوجد لدينا وظائف شاغرة " قالها الرجل السمين بامتعاض وهو يرمقه بنظرة متفحصة فقال بإلحاح " أي وظيفة يا سيدي .. أستطيع أن أفعل أي شيء.. حمل الأشياء .. التنظيف .. محاسبة الزبائن .. أي شيء فقط جربني "

رمقه الرجل بنظرة ساخرة ثم سحب نفسا عميقا من الشيشة واستدار ونفثها نحوه بامتعاض " قلت لا يوجد لدينا وظائف ولا نوظف اللاجئين .. لن تخفى على لهجتك التي تحاول تعديلها لتبدو مواطنا .. أعلم أنك منهم .. ألن تكفوا عن محاربتنا في أرزقنا .. هيا انصرف "

Des. Maryam Tamim



ثم هدر صوته بقوة مناديا شخصا ما من داخل المحل " أنت يا ولد .. تعال رش الماء الجو نار .. اللهم ألطف بنا "

انسحب الشاب بإحباط مبتعدا في خطوات يائسة .. مرهقة .. العرق يتصبب من جبينه .. والحر شديد .. فالصيف هنا أكثر حرارة من بلده والشتاء أدفأ قليلا .. ولا تسقط الثلوج ..

الثلوج ..

تنهد في اشتياق للوطن يتذكر فرحته كل سنة عند سقوط الثلج أول الشتاء .. ينتظره كل عام بقلب طفل متلهف . ..

شد أكمام القميص جيداً ليداري منتصف كفيه متجنبا حرارة الشمس .. يكفيه الحروق التي تسببها الشمس لتملأ وجهه وتلهب بشرته للحد الذي تُخفي به معالم وجهه .. لكنه لم يحاول معالجتها..

ولن يفعل .. فهو يحتاج لتلك الحروق للتمويه ! .. ليتخفى وراءها!..

أين يذهب ؟ .. عليه الحصول على أي وظيفة فمدخراته من العمل السابق قاربت على النفاذ .. وإيجار السكن الذي يقطنه لم يدفع بعد .. و(الست نرجس) لن تصبر أكثر من هذا.

بدون تفكير استقل سيارة أجرة جماعية غير عابئ إلى أين .. فهو نفسه لا يعلم الى أين !.. فقط كل ما يعرف أن عليه البحث عن عمل .

أسند رأسه على زجاج النافذة يتأمل الشوارع المزدحمة بأناس تختلف ملامحهم وتتباين هيئاتهم ومستوياتهم الاجتماعية .. فبعد ما يقرب من عامين قاسيين في هذا البلد اقتنع بالفعل بما كان يخبره به والده دوما " الناس هم الناس في كل مكان في كل بقاع الأرض .. فيهم الصالح وفيهم الطالح



فلا تعمم ولا تحكم عليهم بعاطفة غير موضوعية
"

قاوم الاجهاد كما يقاوم اليأس بذكرى كلمات أبيه في
وجدانه .. كلما اشتدت عليه المحنة تشبث
بذكريات الوطن ..
بكلمات أبيه ..
تشبث بحلم العودة يوما...
ربما ..
ربما يجدهم أحياء !

سينفذ وصيتهم ويحيا بكرامة ..
في أرض غير الأرض..
مع أناس يشبهون أو لا يشبهون أناس ..

بالرغم الوضع القاسي الذي يعيشه هو و الكثير من
اللاجئين من بلده إلا أن عددا لابأس به ممن أتوا
بأموالهم هنا .. استطاعوا التأقلم السريع وفتح

مشاريـع تجارية مربحة وأصبحت أوضاعهم لا تختلف كثيرا عن أوضاعهم السابقة في بلدهم .
أما الفقراء ممن لا يملكون شيئا - مثله - فالرحلة قاسية جدا ..
ومازالت . ..

" آخر المشوار يا أستاذ ... هل نمت ؟.. وصلنا الى آخر الرحلة هل ستعود معي؟ "
استفاق ليجد نفسه في منطقة هادئة نسبيا وصوت سائق الأجرة يصيح بنزق .. فترجل من السيارة بارتباك سائرا بلا هدى .. يبحث عن أي مكان يسأل فيه عن وظيفة ..
لا يطمع بالكثير فشهادته الجامعية ليست بحوزته ولم يقنن وضعه حتى الآن ولن يستطيع .. فلديه سببا قويا لذلك .. ولا يعلم الى متى سيظل هكذا .. عليه فقط أن يجد وظيفة بعيدة عن من يطالبون بأوراق رسمية أو هويات شخصية ..كشرط للعمل.

Des. Maryam Tamim

وأيضا .. بعيدا عن الشرطة المحلية !..

تجول بعينيه في المنطقة التي تبدو بعيدة نسبيا عن الزحام المعتاد .. الصحراء تمتد على جانبي الطريق ولا يوجد سوى مبان متفرقة على مستوى النظر بينهما مساحات شاسعة فارغة ..

تملكه الخوف .. يفضل الزحام برغم أنه خانق .. رطب لكنه يُشعره بالأمان .. فالصخب أصبح يلهيه عن مشاعر الخوف والوحدة التي تقتات على روحه .

اقترب من سيارة حديثة ترابط على جانب الطريق الهادئ .. وشاب متذمر يتحدث في الهاتف بعصبية يشكو من عطل السيارة ويتهم الطرف الآخر بالتأخير.. تتخللها شتائم استطاع تمييز معنى بعضا

منها وهي بالطبع خارجة عن النص وجهل البعض الاخر ..
اقترب أكثر من الشاب الذي أنهى مكالمته للتو ليكمل باقي السباب لأناس غير مرئيين وهو يضرب بقبضته على سقف السيارة ويركلها بقدمه وكأنه يعاقبها ! ..

ولم يفهم هل يتحدث مع السيارة ويوجه لها هذا السباب أم يقارع الهواء !! .

بدى صاحب السيارة في بداية الثلاثينيات من العمر .. أنيق وجذاب بشكل يميل لبعض المبالغة .. ببنطال أسود وبلوزة رمادية بنصف كم يظهر منها ذراعان عضليان بفخر مستفز .. تلمع بشرته السمراء تحت نظارة شمية داكنة تغطي وجهه .. طوله الفارع وتناسق جسده بجاذبية عضلية ملفتة ذكره بأبطال السباحة ..

وتعجب من هذا الأحمق الغاضب من سيارة معطلة يضربها بقدمه بكل غيظ .. ثم تألم فجأة ينزل بركبته أرضا ممسكا بالركبة الأخرى .

اندفع نحوه بسرعة ووقف أمامه يراقب رأسه المنكسة في توجع وخصلة الشعر الطويلة السخيفة التي تدلت من قمة رأسه لتسقط الى الأمام بشكل استفزه .. فهمس في سره " كيف لهذه الخصلة أن تطول وهو قصير الشعر! ..وقاوم الابتسام حين لاحت في مخيلته صورة أنور وجدي في الأفلام القديمة وخصلته التي تسقط في مشاهد الضرب .

قال للسيد المتذمر بتردد " هل أنت بخير؟ .. هل ترغب في المساعدة ؟ "
حين لم يتلق ردا قال" يا أستاذ هل انت بخير ؟ "

لم يرفع الشاب الأسمر وجهه لكنه قال من بين أسنانه " اذهب من هنا " .
تفاجأ برد الفعل الفظ .. فلوى فمه يتراجع خطوتين للخلف وغمغم باستهجان " كنت أود المساعدة لا أكثر .. لمَ الانفعال؟.. بعضا من كلمات الشكر سيكون ألطف !! "

وأكمل في سره " نحن بشر مثلك حتى لو كنا لا نملك سيارة فارهة نضربها عند الغضب يا سيد أمير البحار ذا خصلة الشعر !"

حين استقام الشاب الأسمر فجأة أمامه يرفع بخصلته للوراء ويحدجه بنظرة نارية غاضبة .. وقد بدي فرق الطول بينهما واضحا .. شعر الآخر بالرعب.. فتراجع للخلف قليلا واضعا يده على فمه يوبخ نفسه بسبب لسانه المتهور ..

Des. Maryam Tamim

قال الشاب الأسمر وهو يجز على أسنانه "
سأعطيك خمس ثوان لتغرب عن وجهي وإلا لا
تلومن إلا نفسك"
فتسارعت ضربات قلبه وأسرع بالابتعاد عن هذا
المجنون الذي يتعارك مع ذباب وجهه.
بعد عدة دقائق .. لاح له بناء ضخم وسمع صوت
العمال .. فاقترب ليتبين أنها ورشة ضخمة
للأخشاب وأعمال الموبيليا والديكور ...

حين دخل من البوابة الضخمة رأى عمالا كثيرين
ينقلون أخشابا الى الداخل .. فكان المكان يعج
بالصياح والهمة .. فحاول البحث عن كبيرهم أو
سؤال أي شخص عن فرصة عمل .. لكن لم يمنحه
أحد أي التفاتة فالكل مشغول في نقل الأخشاب ..
أو تبادل الاتهامات فيما بينهم بالتكاسل ..

Des. Maryam Tamim

لوهلة قرر تركهم والرحيل .. لكنه بإصرار عاد وشارك بعضهم حمل بعض الألواح .. والتي كانت ثقيلة وخشنة وجسده ضعيف لا يقوى على ذلك .. لكن عليه أن يستمر ..

انتبه البعض لوجوده وعلت وجوههم علامات استفهام لكنهم سرعان ما تجاهلوه وانشغلوا بحمل باقي الألواح ..

استطاع تمييز صوتا يأتي من بعيد .. تتبعه ليجد رجلا في الخمسينات من العمر يقف يحثهم بصوته العالي للإسراع .. يبدو كأنه رئيسهم في العمل .

بعد حوالي ساعة هدأت الحركة نسبيا وقد نقلت معظم الألواح للمخازن .. فاقترب ببعض التردد من رئيس العمال الذي سمعهم ينادونه عم عبد الحليم وسأله إن كان يستطيع الحصول على أي وظيفة معهم في هذا المكان ..فأخبره رئيس العمال والذي بدا شهما وطيبا بأن ينتظر الحاج إبراهيم سماحة او ابنه المهندس أحمد ووعده بأن يتوسط له

Des. Maryam Tamim

للحصول على فرصة عمل ..ليتجدد الأمل في قلب الشاب وقد غمرته الفرحة داعيا الله في سره " يا رب .. ساعدني يا رب .. أفرجها أنت أعلم بحالي "

متخذا ركنا في ساحة الورشة يتنظر ..

من بعيد وقف عاملان يتفحصان الشاب الغريب ببنيته الضعيفة بالرغم من عرض كتفيه قليلا إلا أنه بدا لهما طرياً ناعماً لا يناسبه الأعمال البدنية .. وتعجبا من ملابسه التي لا تتناسب مع حرارة الطقس ..

فقال أحدهما للآخر " ما حكايته يا صابر ؟"

اندفع صابر وهو يلتهم شطيرة فول من ورقة جريدة ملفوفة فوق حجره قائلا وفتات الخبر يتطاير من فمه " هذا الشاب يريد العمل .. والحاج عبد الحليم وعده بالمساعدة .. أعتقد أنه ليس من هنا فبرغم أنه يتقن اللهجة لكني أكاد أجزم بأنه من اللاجئين "

Des. Maryam Tamim

التهم قطعة أخرى من الشطيرة ثم استطرد بفخر "
أخي تزوج منهم .. وبت قادرا على التقاط لكنتهم
التي يحاولون إخفائها لكنها تظهر في التشديد على
بعض الحروف "
قال الآخر وقد بدت ملامح الغيظ على وجه " وهل
نحن قادرين على توفير وظائف لأبناء البلد حتى
نسمح للاجئين بالعمل ! .. مرتباتنا لا تكفينا
والوضع في البلد لا يسر عدو ولا حبيب "

نظر اليه صابر بعينين عاتبتين " لا تقل هذا يا فرج
فالحاج سماحة لا يبخل علينا بشيء وبرغم
الظروف التي تمر بها البلد منذ سنوات الا أنه لم
يُسرّح أحداً من عماله وبيوتنا مفتوحة من خيره "

قال فرج بغيظ " لكنه يرفض أن يعيد أخي للعمل
على الرغم من توسلي له ولابنه الغاضب المتذمر
دائما "

Des. Maryam Tamim

فرد صابر " أنت تعلم جيدا ماذا فعل أخاك وبالرغم من اني لا أطيق المهندس أحمد .. إلا انه لم يظلم أخاك يا فرج "

استقام فرج بغضب قائلاً " ومع هذا فإن كان أخي لن يستطيع العمل هنا فلن يعمل أحد "

واتجه نحو الشاب الذي استقبلهم بنظرات متوجسة يتبعه صابر حاملاً شطائره في حضنه ..وجلسا بجانب الشاب الذي بدى متحفزا .. فتولى فرج الحديث قائلا " أنت من اللاجئين أليس كذلك ؟ "

تطلع اليهم بتساؤل فاسترسل فرج محاولا طمأنته بعدما لاح القلق على ملامحه " أنظر يا أخي .. يبدو عليك ملامح الأصل الطيب "

فردد صابر بفتات الفول والبصل " صدقت "

Des. Maryam Tamim

فأكمل فرج " ملعونة هي الحروب التي تقتل البشر وتشردهم وتجعل شابا مثلك يضطر للعمل في مكان كهذا "

ردد صابر " صدقت "

أكمل فرج " لقد أحببتك دون سبب.. فأنا أتعاطف جدا مع إخواننا اللاجئين ولهذا أردت أن أحذرك عما أنت مقدم عليه ابتغاء لمرضات الله "

فردد صابر " صدقت "

قال فرج " أنصحك أن تذهب من هنا ولا تأتي مرة اخرى أهرب بجلدك يا أخي "

سأله الشاب بتوجس " لماذا ؟ "

اعتدل فرج في جلسته وهو يخفض صوته كأنه يفشي سراً " ابن الحاج سماحة شخص لا يطاق لن تستطيع تحمله .. مُتعِب.. كثير الغضب والصراخ لا يعجبه شيء ولا تسمع منه سوى التقريع .. لن يمر يوم دون ينالك غضبه وحذلقته وغروره

Des. Maryam Tamim

وعصبيته .. فهو لا يفعل شيئا سوى ذلك طيلة النهار "

انتظر فرج صابر ليؤكد كلامه لكنه لم يحصل على شيء فالتفت له ليجده فاغر الفم يتدلى الطعام منه يحدجه بنظرات جاحظة فلكزه بحركة غير ملحوظة قائلا من بين أسنانه " أليس كذلك ؟!"

حرك صابر نظره بينهما ثم أومأ برأسه دون كلام.. فتنحنح الشاب ثم قال " شكراً لك على تحذيرك لكن لا تخشى علي لقد مررت بالكثير منذ قيام الحرب ولا أملك خياراً سوى التحمل "

رد عليه فرج بعصبية " يا أخي لا تجبرني على قول المزيد كان الله حليما ستارا "

لكن الشاب أبدى عدم استعداده لتغيير رأيه .. فاندفع فرج قائلا " إذن لم تترك لي خيارا سوى إخبارك بالحقيقة "

وتلفت يمينا ويسارا ثم اقترب برأسه من الشاب الذي تراجع للخلف متحفظا بينما أكمل فرج " أحمد سماحة ابن الحاج (وتمهل قليلا وهو يستغفر) إنه ... إنه غير طبيعي "

رد الشاب متفهما " بالطبع ليس طبيعيا مادام يتصرف بهذا الغرور والنزق والعصبية مع العمال" فقاطعه فرج بغيظ " يا أخ افهم .. إنه ليس طبيعيا .. إنه .. إنه شاذ .. لا ينظر للنساء ولكن للرجال هل فهمت أم أوضح أكثر "

استقام الشاب واقفاً يلف ذراعيه حول نفسه برد فعل غريب ..بينما سعل صابر سعالاً شديداً فضرب فرج بقبضته على ظهره حتى لا يختنق .. ثم استدار ليرفع رأسه للشاب الذاهل الذي يحضن نفسه مستفيضا " للاسف أخي المسكين كان أحد ضحايا هذا الوغد .. إنه .. إنه ضعيف الهيئة مثلك .. حليبي البشرة مثلك .. عيناه جميلتان مثلك .. فلم

Des. Maryam Tamim

يحتمل هذا القرف تحرشات ابن الحاج فقرر ترك العمل"

تراجع الشاب إلى الخلف وأطبق على مقدمة القبعة الرياضية على جبينه لتداري عينيه وقد اقشعر بدنه لا إراديا بينما استمر صابر بالسعال أكثر فقال فرج وهو يضرب على ظهر صاحبه "انظر إن صابر لا يستطيع استيعاب الأمر ويتلوى حزنا على أخي .. هيا يا صابر قم لأعطيك قليلا من الماء فسوف تختنق "

ابتعد العاملان وظل فرج يراقب الشاب الذي بدا مرتبكاً ذاهلاً ومتردداً ...ثم ابتسم وظهرت اسنانه الصفراء حين رآه يخرج من ساحة الورشة نحو الطريق الرئيسي .

خرج الشاب عائداً من حيث أتى يجر أذيال الخيبة والإحباط.. يغمغم بأن ما يحدث هذا كثيرا عليه تحمله .. عازماً ألا يعيد ما حدث معه منذ عامين في

Des. Maryam Tamim

أول وظيفة له في هذا البلد مرة أخرى.. حين عمل في أحد صالونات الحلاقة الشهيرة الذي وافق صاحبه أن يوظفه دون حتى أن يسأله عن هويته .. مبدياً له وطنيته وتعاطفه مع اللاجئين .. وكم كان سعيدا من سرعة إلتحاقه بعمل يستطيع به أن يبدأ حياته في الغربة .. لكن الفرحة لم تدُم .. فقد بدأ يشعر بأمورٍ ونظراتٍ من جانب صاحب العمل ليست طبيعية أبدا فقرر الرحيل وخاصة عندما عرض عليه صاحب الصالون الانتقال للسكن معه في شقته الفخمة .. إنسانيةً منه .. لن ينسى أبدا مدى صدمته وقتها حين أدرك حقيقة الرجل .. لكنه تغلب عليها سريعا حينما استرجع عبارة والده (البشر هم البشر في كل زمان ومكان .. فيهم الصالح وفيهم الطالح فلا تعمم وأحكم بموضوعية دون عواطف) .

لكن أن يتعرض لهذا الأمر مجدد خلال عامين فهذا كثير .. كثيرا جدا ...

استغفر الله في سره .. وقرر السير قليلا يبحث عن سيارة أجرة جماعية تعيده للزحام مرة أخرى .
لاحت من بعيد سيارة شرطة تقترب ببطئ ..
فتسارعت ضربات قلبه وارتعب .. لم يبقى إلا الشرطة ليكتمل هذا اليوم المحبط ..

غريزة البقاء دفعته لأن يطلق ساقيه للرياح على جمر الأسفلت .

***

قبل دقائق:
إستقام أحمد في وقفته دون صبر يشتم للمرة الألف خلال الساعة الماضية .. أخرج منديلا ونفض الغبار من على ملابسه الثمينة ثم انحنى ينظف حذاؤه اللامع ذو الماركة الشهيرة لكنه تأوه من ألم ركبته اليمنى فإستقام مجددا ليرفع قدمه على السيارة ويكمل تنظيف حذاوه النظيف.. ثم

وجه كلامه بعصبية للشخص المنحني بتركيز على مقدمة السيارة المفتوحة أمامه" إسرع يا سيد .. الجو حار وملابسي إتسخت .. أنا هنا تحت هذه الشمس الحارقة منذ أكثر من ساعتين "

حين لم يتلق رداً اشتعلت أعصابه أكثر فهدر قائلا " سيد .. أنت لا تدرك كيف أشعر الأن فلا تطلق الوحوش بداخلي "
رفع سيد رأسه فبدى شعره البني أكثر توهجاً تحت الشمس مشيرا بشئ معدني بيده كان يتعامل به لإصلاح السيارة .. وتوجه بنظرات موبخة لصاحبه ثم عنفه " قلت لك إذهب أنت وسأنتهي منها وأحضرها للورشة .. ليس هناك داع لوقوفك هنا فلن أسيئ التعامل مع سيارتك المدللة .. تستطيع أخذ سيارتي (واشار لسيارته الحديثة الرابطة بالقرب من سيارة أحمد وأكمل) وإن كان الأمر لا يستدعي السيارة فالمسافة قريبة جدا"

وضع أحمد يديه في جيبيه ومط جذعه للخلف قليلا قائلا بتعال" لن أستطيع السير كل هذه المسافة في الحر وركبتي لن تعطيني الفرصة لأفعل ذلك "

شتم سيد من بين أسنانه ثم همس بصوت مسموع " تبأًلك ولركبتك ! "

فصاح أحمد قائلا بغضب " عمرو يصلحها أسرع منك وهذا (....) هاتفته مرارا ولم يرد ثم أرسلت إليه رسالة على الواتساب فشاهدها ولم يرد "

تحرك سيد نحوه بغضب يملوح بالشيء المعدني بينما حبات العرق تتدلى على جبينه فهتف بلهجة مستخفة وهو يكظم غيظه" عفواً سيدي الكونت .. عمرو لديه إجتماعا مهما بالشركة التي يعمل بها ولهذا لم يستطع الرد على عظمتك .. وأرسل لي رسالة نصية يخبرني بأن أذهب إليك ثم تلقيت إتصالا من عظمتك يوقظني من نومي.. بعدها قرأت رسالة عمرو فأتيت على عجل ألبي نداء فخامتك ..

Des. Maryam Tamim

بالرغم من أني لم أنم إلا بعد شروق الشمس .. فإحذرني وأنا في هذه الحالة قبل أن أقتلك أنت ووحوشك وسيارتك اللعينة التي حذرتك من هذه الماركة قبل شرائها "

عاد ليقف أمام السيارة مرة أخرى فتحرك أحمد نحوه غامزا بخبث " هل كانت سهرة الأمس تستحق النوم بعد شروق الشمس"
لاحت ابتسامه عابثة على وجه سيد وغمز له " كانت سهرة ساخنة وماجنة يا صديقي .. مليئة بالحلوى والقشدة والفاكهة الذيذة من كل ما لذ وطاب "
ثم استطرد ضاحكا " فاتتك السهرة بحق .. لما فوتها ؟.. الشيخ عمرو وقد فقدت الأمل فيه أما أنت صديق السهرات القديمة .. تفلت فرص عظيمة لترويض وحوشك.. تستطيع إطلاقها

Des. Maryam Tamim

للتمتع بما لذ وطاب .. وحده عزيزي وائل هو من يشاركني في مغامراتي النسائية "

تنهد أحمد بحسرة واضعا يديه بجيبي بنطاله وتمتم " أنت تعلم أني وعدت الحاج سماحة منذ بعض سنوات بتركي لشيئين السياسة والعلاقات النسائية المحرمة .. ولن أستطيع أن أخلف وعدي معه "

ثم استدار له غامزا " لكن بعض اللهو لن يضير .. ربما آتي معك المرة القادمة بدلا من الساعات التي أقضيها في الملاكمة فوق سطح البيت أصارع وحوشي الغاضبة"

ضحك الاثنين بمرح ثم أكمل أحمد " لا أصدق أن زفافك بعد أيام "

فهتف سيد مدعيا البراءة "أنا فقط أودع حياة العزوبية .. صدقني "

Des. Maryam Tamim

ابتسم أحمد بخبث "أجل أجل مثل وائل المتزوج ويشاركك مغامراتك حتى الآن "

رد سيد بتعاطف "أنت تعلم ظروف وائل جيداً "

قبل أن يستطرد إنتبه الشابان لحركة خلفهما فإستدار لمصدر الصوت ليفاجآ بشاب يهرول بإتجاههم .. وقبل أن يدركا ما يحدث.. كان الشاب يفتح باب سيارة أحمد ليجلس بجوار مقعد السائق ينهت دون أن ينظر اليهم ..
تحفز كلا منهما وتبادلا النظرات في صمت ثم اعتدلا بحركة واحدة متحفزة وقد لمعت عيونهم بتسلية واضحة .. حرك أحمد رقبته يمطها بانحناءة نحو كتفيه يمينا ويسارا مستمتعا بصوت طرقعة عضلات رقبته وضم قبضتيه متحفزا كأسد متلذذ وجد فاراً بالمصيدة .. أما سيد فقد أخرج مِطواته من جيب بنطاله بسعاده وتشفي محدثاً

Des. Maryam Tamim

صاحبه في همس وهو يراقب الشاب الجالس أمامهم في السيارة " حصلت على الاصطباحة يا أحمد.. وجبرت "

رد أحمد هامسا دون أن يحيد عينيه هو الأخر عن الشاب الجالس في السيارة " أسف يا صاحبي .. إنه لي حتى أغذي شياطيني الجائعة "

ثم تحرك نحو باب السيارة وفتحه بعنف فإنتفض الشاب وأغمض عينيه بخوف وهو يتمتم بصوت غير مسموع .. أمسك أحمد بقميصه غير عابئ بجسد الشاب الذي يختض تحت كفه صائحا فيه ليخرج من السيارة .

فتح الشاب عينيه وتحدث برعب " أعتذر يا أستاذ .. أنا أعلم أنك تعارك ذباب وجهك .. أقصد.. أقصد أنك تكره المجتمع والناس .. لكنك بالتأكيد شهم .. أتركني معكم لبضع دقائق فقط "

Des. Maryam Tamim

جحظت عينا أحمد في ذهول مردداً "أصارع ذباب وجهي !!"

سمع صوت سيد وهو يكتم ضحكته فاستشاط غضباً وأمسك الشاب من ذراعه بقوة فتألم لكنه تمسك بجانبي مقعد السيارة تحته هاتفا برعب " أرجوك بضع دقائق فقط وسأنصرف بعد أن تبتعد سيارة الشرطة "..

إلتفت أحمد وسيد ليجدا سيارة شرطة قد وقفت على بعد أمتار منهم وترجل منها أمين شرطة يتجه إليهم فاستدار أحمد يصيح في الشاب الجالس في سيارته باستنكار " ماذا فعلت لتتعقبك الشرطة؟؟؟ .. أجب "

رد الشاب بسرعة وهو يشاهد أمين الشرطة الذي يقترب "أقسم بالله لم أفعل شيئ يا أستاذ .. . أنا فقط لاجئ وأوراق إقامتي منتهية ليس إلا .. أرجوك "

Des. Maryam Tamim

رفع أحمد وجهه لسيد يستقرئ رأيه.. ليجد سيد يشير له بأن يتركه علامات التعاطف تملأ وجهه فعاد أحمد يتأمل الشاب مرة أخرى محاولا تقصي صدقه ..فلفت نظره عينا الشاب التي يحبس بها الدموع خلف رموش كستنائية تعارض لون شعره الأسود بشكل متناقض ! ... ليس هذا فقط ما يبدى متناقضاً.. ولكن تعجب من عيناه المرسومة بشكل طبيعي مستفز لا يمت للذكوره بصلة ..

إستفاق أحمد من شروده على صوت أمين الشرطة يقول بعنجهية " ماذا يحدث هنا؟ " .. فترك ذراع الشاب وأغلق باب السيارة ملتفتا هو وسيد لأمين الشرطة .. الذي بادره سيد ببشاشة مصطنعة مرحبا .. وهو يمد يده إليه ليصافحه .. وما أن تعرف عليهما أمين الشرطة حتى سقطت عنجهيته أرضا ليعتلي وجهه التهليل والبشاشة قائلا بلزوجة

Des. Maryam Tamim

" سيد باشا .. والباشمهندس أحمد سماحة ..
ماهذا النور .. هل نساعد بشئ"

فطمأنه سيد بأن سيارة أحمد سماحة قد تعطلت ويصلحانها .. فاستعد أمين الشرطة للمغادرة ليخرج سيد ورقة نقدية .ناوله إياها فتصنع الأمين الرفض متمتماً بأن الحاج سماحة خيره على الجميع ... لكنه أخدها بعد ذلك بإبتسامة ممتنة يخبئها في جيبه قبل أن يستدير نحو سيارة الشرطة ليتأكد أن الضابط لم يراه .. ثم استدار الأمين مرة أخرى ينظر بداخل السيارة للشاب الجالس فيها يقلب في بعض الأوراق بإهتمام ثم رفع أنظاره الى أحمد سماحة ليجد ملامحه الجادة المتحفزة .. ثم استدار ليغادر ببساطة مؤكداً للضابط أن كل شئ على مايرام .

Des. Maryam Tamim

بعد ابتعاد سيارة الشرطة .. تنفس الشاب الصعداء تاركاً الأوراق التي إلتقطها من المقعد الخلفي متظاهراً بقراءتها أمام أمين الشرطة .. ليفاجأ بالباب بجانبه يفتح بعنف .. ويد السيد الاسمر الوسيم الذي يصارع ذباب وجهه.. تقبض على ذراعه لتخرجه من السيارة .. فتألم وأحمد يصيح بعصبية "إخرج من سيارتي فورا" ..

ترجل الشاب من السيارة معدلا لملابسه بغيظ ثم تحرك يتخطى أحمد بعد أن ارتطم بكتفه بتعمد وداس على حذاؤه... وتوجه ليقف بجانب سيد يدلك ذراعه من الألم قائلاً بهدوء مصطنع " شكراً لشهامتكما "

شتم أحمد بعصبية رافعاً قدمه على السيارة وقال بغيظ "حذائي يا غبي ! "

Des. Maryam Tamim

فهتف الشاب ببراءة واضعا يده على فمه متظاهراً بالجذع " يا إلهي .. أعتذر بشدة .. هل آذيت الحذاء ؟ "

استشاط أحمد غضباً بينما ضحك سيد مستمتعاً وهو يراقبهما ..

استمرأحمد يشتم ويلعن وهو يواصل تنظيف الحذاء بينما وقف الشاب يتأمله بنظرات متفحصة ثم قال بجدية موجها الكلام لسيد " هل جربتم التكبيرفي أذنه ؟ .. صدقني عندنا يؤتي بنتائج مُرضية مع بعض الحالات "

انفجر سيد من الضحك بينما لاحت ابتسامة رقيقة على وجه الشاب كشفت عن أسنان بيضاء متراصة بشكل جمالي ملفت ..

رد سيد مازحاً وهو يكتم المزيد من الضحك " جربنا كل شئ صدقني .. التكبير .. الزار .. الأعمال

Des. Maryam Tamim

السحرية .. ذهبنا لشيوخ وأطباء وجلسات إخراج الجان.. ولم يفلح شيء في مصالحته على ذباب وجهه "

ابتسم الشاب هذه المرة واضعاً يده على فمه واستطرد يتأمل أحمد من بعيد بعينين نصف مفتوحة وكأنه يفكر في حل معضلة "ربما لو جربتم الضرب "

ثم استدار لسيد الذي انفجر ضاحكاً من جديد يشرح له ويلوح بذراعيه بكل الجدية كيفية التنفيذ " صدقني قد يؤتي بنتيجة .. ضعوه أرضا ثم يتجمع الناس حوله يضربوه بالعصى يخرجون كل شياطينه "

رد سيد وقد دمعت عيناه من الضحك " هو يقول إنها (وحوش) لكني أعتقد أن (شياطين) تعبير أكثر دقة "

ثم استقام مادا يده مصافحاً " سيد صبرة .. وهذا المهندس أحمد ... "

Des. Maryam Tamim

قاطعه الشاب ليكمل " المهندس أحمد الذي يصارع ذباب وجهه "

ضحك سيد مجدداً " وأنت ؟ "

تردد الشاب قليلا " رامز ... رامز الخازن "

قاطعهم أحمد يقول " ماذا يقول هذا المستفز وتضحكا عليه "

فأشار سيد بيده قائلا " لا شيء .. إنه يعرّفني بنفسه .. رامز الخازن "

رد أحمد بسخرية واضعاً يديه في جيبي بنطاله مائلاً بجذعه إلى الخلف "وماذا يفعل هذا ال رامز هنا في هذا الطقس وفي هذا المكان شبه الخالي .. بخلاف استفزازي وتلويث سيارتي وحذائي ؟"

اعتدل رامز في وقفته مقلداً هيئة أحمد المتعالية فوضع يديه في جيبي بنطاله مال بجذعه للخلف قليلا " بالطبع لست آخذ حمام شمس .. ولا ألعب لعبة (عسكر وحرامية) مع الشرطة يا ذكي "

Des. Maryam Tamim

ثم استدار نحو سيد الذي يراقبهما بتسلي وقال بنبرة حزينة " أبحث عن عمل .. أنا بحاجة للعمل .. وظروفي لا تسمح بإي وظيفة .. هل لديكم عمل ؟"

سأله سيد باهتمام " هل لديك شهادة جامعية ؟ "

فأطرق رامز رأسه وقال بحزن " كنت في أخر سنة دراسية بالكلية حينما اندلعت الحرب فتركت كل شئ وأتيت الى هنا .. وليس معي أي أوراق ولا شهادات .. لكني أستطيع أن أعمل في أي شئ صدقني .. فقط لأدبر أموري بالحلال "

رد سيد بتفهم " إنتظر حتى أصلح السيارة لأحمد وسنري إن كان لدى أحمد عملاً بالورشة أو آخذك للعمل لدي لا تقلق "

تهللت أسارير رامز وأخذ في النصف ساعة التي تلت يساعد سيد في إصلاح السيارة .. بينما ظل أحمد

Des. Maryam Tamim

يراقبهما باهتمام فهذا (الرامز) يثير غيظه ويستفز الفضول بداخله بهيئته الغريبة.. يقف بقامة قصيرة نسبياً يرتدي بنطالاً واسعاً من الجينز يثير الضحك وبلوزة بيضاء طويلة الأكمام وبرقبه طويلة تغطي رقبته .. فوقها بلوزة أخرى طويلة نسبياً وفوقها قميص مفتوح مطوي عند الساعدين وطويل حتى نصف فخذه .. حذاء رياضي يبدو قديماً ومتهالك .. وشعر أسود قصير وناعم .. تغطي بعض الخصلات أذنه التي تبدو بيضاء صغيرة .. وفوق رأسه قبعة رياضية ينزلها لتغطي جبينه بحركة متكررة وكأنه يريد الاختباء ورائها .. أما وجهه فمن المفترض أنه أبيض غير أن البثور وحروق الشمس تغطي معظمه .. ويتعمد تغطية فمه عند الضحك .. شيئاً ما يستفزه في هذا الشاب غير لسانه الطويل ! .

Des. Maryam Tamim

بعد ساعة دخلت سيارة المهندس أحمد من بوابة الورشة الضخمة تلتها سيارة سيد صبرة وبجانبه رامز .. وبمجرد أن ترجل الجميع من السيارات بدا على رامز التردد والصدمة .. فهتف متراجعاً " هل تقصد هذا المكان ؟!! .. شكراً لا أريد العمل هنا لا أريد "

رفع أحمد حاجبه باستنكار .. بينما حاول سيد أن يطمئن رامز بأنه يستطيع أيجاد عمل له هنا.. لكن رامز أصر على الرفض .. وشكرهما متجهاً نحو البوابة في احباط آثار فضول واستغراب الشابان .. فأصر سيد أن يعرف سبب رفضه للعمل في الورشة .. فبدا على رامز الإرتباك واشتد إحمرار وجهه قائلا " لا أريد العمل هنا .. وأنصحكما بما أنكما ساعدتماني .. بأن تبتعدا عن إبن صاحب هذا المكان "

Des. Maryam Tamim

رفع أحمد حاجبه مستنكرا .. بينما رمقه سيد بنظرة متسلية ليعود لرامز يسأله عن السبب .. فحوقل رامز واستغفر ثم قال " حذروني من أحمد سماحة هذا .. إنه ... أنه شاذ .. ينجذب للرجال وليس النساء .. ويضايق العاملين .. وقد يتحرش بي أنا أيضا".

انفجر سيد في الضحك حتى سقط على ركبتيه بينما اندفع أحمد وقد جن جنونه يمسك بمقدمة قميص رامز الذي ارتسمت على وجهه علامات الهلع وصاح فيه " ماذا قلت ؟؟؟؟؟؟؟ .. من منهم قال لك هذا؟؟؟ .. من منهم ؟؟؟!!! "

انتفض رامز مخلصا نفسه من يد أحمد غير أن الغضب كان قد سيطر على الأخير فهدر فيه بقوة " هيا معي دلني من منهم قال هذا الهراء "

جذبه من قمصيه مجددا ثم دفعه أمامه بوحشية ليقع رامز أرضا .. لكنه استقام سريعاً يمسك بحجر

Des. Maryam Tamim

كبير بيديه وهو يرجع للخلف ينتفض رعبا من هيئة أحمد الشيطانية البادية أمامه .. وعروق رقبته التي برزت ونظراته النارية الموجهة نحوه.. هدر أحمد بعنف وقد بدا أن شياطينه تتراقص أمامه بالفعل " سترشدني إلى من قال لك هذا الكلام .. وإلا لا تلومن إلا نفسك "

أخذ خطوة للأمام لينقض على رامز الذي يدعي الشجاعة وقلبه يطرق كطبول الحرب مستمر في التراجع إلى الخلف .. حتى إلتصق في الحائط فلم يعد هناك فرصة أكثر للتراجع ..

استشعر سيد رعب رامز وخطورة مزاج أحمد فسيطر على حالة الضحك الهستيري وطوق أحمد من الخلف يمنعه من التقدم أكثر نحو رامز .. بينما أحمد يقاوم تكبيله بكل شراسة راغباً في سحق هذا الرامز .

Des. Maryam Tamim

هدر سيد بجدية " إهدأ يا أحمد الفتى سيموت رعباً .. إهدأ وسأحدثه انا "

إنتبه أحمد وقد بدأ عقله يستوعب هيئة رامز الملتصق بالجدار يدعي الشجاعة رافعاً الحجر بين يديه يدافع عن نفسه بينما عينيه المرسومة باستفزاز تسجن دموعاً واضحة .. فتتسرب نظرة المرتعبة إلى قلب أحمد و صورة إهتزاز الحجر بيده اشعرته بشفقة .. وشيئاً آخر لم يدركه فهدأت تشنجاته ومقاومته لسيد ليترك الأخير تكبيله ويتقدم نحو رامز رافعاً كفيه أمامه مطمئناً .. طالباً منه ترك الحجر جانبا ..

حرك رامز عينيه بين الشابين يقدر الوضع.. فتلقى من وجه سيد رسائل مطمئنة وشعر ببعض الثقة وهو ينظر لأحمد المتحفز .. فانهار جالساً على الرصيف ينظر إليهم متوجساً وقد وضع الحجر في

Des. Maryam Tamim

حجره يسألهم بصوت بذل مجهوداً حتى لا يخنقه البكاء " ماذا تريدان مني ؟.. دعوني أذهب "
قال سيد بهدوء وهو يناوله زجاجة مياة أحضرها من السيارة " إهدأ .. نحن لا نريد أن نؤذيك .. فقط أخبرنا من قال لك هذه المزحة القبيحة .. أحمد من حقه أن يعرف "
إنتبه رامز للاسم وجحظت عيناه في هلع وهو يمرر نظره على هيئة أحمد طولا وعرضا مردداً إسمه بصدمة وكأنه استوعب الموضوع للتو .. ثم استدار نحو سيد الذي جلس على كعبيه أمامه وقال ليتأكد مما استوعبه للتو " هذا أحمد سماحة؟" وأشار بإصبعه للورشة في استفهام .
فضحك سيد وأومأ برأسه " أجل .. إنه أحمد سماحة ابن صاحب هذا البناء الضخم .. وأنا زوجته ... أقصد صديقه "
لم يلتف رامز لدعابة سيد وأعاد النظر الفاحص بريبة وعينين متسعتين في عدم تصديق لأحمد

Des. Maryam Tamim

الواقف ويديه في جيبي بنطاله رافعاً حاجباً مستفزاً .

قاطع سيد تأملاته هو يقاوم الضحك من جديد " يا أخ رامز .. من حق أحمد أن يعرف من أخبرك بهذه المزحة القبيحة .. أنا صديقه منذ قرون وأعرف كل بلاياه .. وأؤكد لك أنه طبيعي تماماً.. يسيل لعابه مثل الذئب وتدور عينيه في محجريها حين يرى أو يستشعر كل ما له صلة بتاء التأنيث فقط .. فقط أخبرنا حتى نلملم شرف الرجل الذي بعثر في التراب " قالها وهو ينظر لأحمد بتسلية فبادله الآخر بنظرة غاضبة محذرة .

بعد نصف ساعة كان سيد يقف مع رامز يهنئه بالحصول على عمل بالورشة فقد أمر أحمد منذ قليل أن يعمل رامز بالورشة نكاية في فرج الذي يأتي صوته الأن من داخل أحد الغرف وهو يستنجد ويصيح متأوها مثل كلب أجرب يتم تعذيبه وأصواتا

Des. Maryam Tamim

أخرى تتداخل لأشياء تتحطم وزمجرة أحمد الغاضبة وسبابا لا يتوقف ..

إلتفت رامز لسيد وجسده يرتجف مما يحدث بالداخل وقال " هل ستتركه ؟... إن هذا المجنون سيقتله "

طمأنه سيد بهدوء " لا تقلق .. فما فعله هذا العامل استوجب إستحضار فريق شياطين إبن سماحة كله .. سأتدخل بعد قليل قبل أن يتطور الوضع .. هيا إذهب الى عم عبد الحليم واستلم عملك .. ولا تتردد في الإتصال بي إذا إحتجت شيئا أو تنمر عليك ابن سماحة .. رقم هاتفي سهل (.....) "

شكره رامز بإمتنان وهو يخبره بأنه لا يمتلك هاتفاً شخصياً لكنه سيحتفظ بالرقم في ذاكرته ولوح له مودعا.

*****

Des. Maryam Tamim

حين جنح الليل يسبل أهدابه على الدنيا كان رامز يجر قدميه بإرهاق وهو يدخل إلى الحارة الصغيرة التي يقطن بها منذ شهور.. يتأمل البيوت القديمة المتراصة بغير تنسيق .. مستغلة كل مساحة ولو حتى صغيرة لإقامة بيتا للسكن .. في الشارع الضيق الذي لا يصلح لدخول سيارة .. والشرفات المتقابلة تكاد تلمس بعضها .. بينما رائحة الصرف تزكم الأنوف من أول الشارع .. لكن أنف رامز اعتاد عليها فأصبحت أقل حدة عما قبل .. يدعو الله أن يفلت من الست نرجس صاحبة الشقة التي يؤجرها والتي تلح على إيجار الشهرين الماضيين ..

بتحفز دخل البيت القديم ذو البوابة الصغيرة الصدئة المدفون نصفها في الأرض .. واعتلى درجات السلم بهدوء وخفة حتى لا يصدر صوتاً..

Des. Maryam Tamim

حين وصل للطابق الأول أخرج مفتاحه في الظلام يشتم في سره الست نرجس التي تهمل وضع مصباح أمام الشقة .
حاول التركيز في الظلام ليرى مكان المفتاح فسمع إسمه يتردد من خلفه ليلتفت فيجد رأساً يشتعل بهالة زرقاء على وجه تغمره المساحيق..

أرتد برعب للخلف يلتصق بالباب يبسمل ويحوقل.. فعلت ضحكة رقيعة مرعبة ميزها عقله ليهدأ قليلا مدركاً أنها الست نرجس ! ..

حركت نرجس الهاتف بيدها نحو الباب مسلطة الضوء الأزرق الصادر منه على موضع المفتاح لتسمح له بالرؤية..ففتح رامز الباب وأضاء نور الصالة ليتسرب الضوء الى السلم حيث تقف نرجس إمراة تخطت الأربعين ترتدي ملابس ضيقة وتصبغ شعرها بلون أشقر يتناقض مع لون بشرتها

Des. Maryam Tamim

الخمرية ليجعل بشرتها بلون صدأ الحديد .. فتأملها رامز ممتعضا وهو يتساءل هل تنام بأطنان المساحيق هذه على وجهها كل ليلة؟...

أخرجته نرجس من شروده لتقول بدلال " تأخرت علينا يا أستاذ رامز ..بِتنا لا نراك هذه الأيام .. تخرج مبكراً وتعود متأخراً متخفياً مثل اللصوص"

رد رامز بإرهاق " أنا أبحث عن عمل يا ست نرجس حتى أدفع لك أجرة الشقة وقد وفقني الله اليوم .. فقط أصبري قليلاً وسأدفع لك كل المتأخر من الإيجار "

ردت نرجس بدلال وهي تقترب منه واضعة كفها تلمس رقبته بميوعة " أريد الحديث معك يا أستاذ رامز في هذا الشأن .. ما رأيك هل تستضيفني في شقتك أم أستضيفك أنا؟ .. فأنا جهزت عشاء فخماً لنا وحدنا .. نأكل ونتحدث ولن تحمِل بعدها هما بشأن الإيجار"

Des. Maryam Tamim

إبتعد رامز بتحفز ملقيا يدها بعيدا بعنف واضح ثم قال بحزم " شكرا ست نرجس أنا متعب وأريد النوم وقد تناولت عشائي بالخارج تصبحين على خير "

هم بإغلاق الباب لولا يد نرجس التي قاومت إغلاقه والتي قالت بشراسة وقد تغيرت ملامحها لتبدو أكثر إرعابا " إذن ما دمت لا تريد التفاهم فاعلم أني قررت أن آتيك بزميل في السكن "

قال رامز بهلع " كيف ؟ .. والشقة تحتوي على غرفة واحدة وصالة !"

مطت نرجس شفتيها وقالت " الغرفة تحتمل سريراً آخر.. وسأؤجرها لشاب مثلك تستطيعا تقاسم الغرفة .. وقد يسليك وجود شخص معك بدلا من أن تُجن وأنت تكلم الجدران "

هتف رامز برعب " يا ست نرجس أنا قلت لك مرارا لا أسكن في شقق مشتركة مع أحد وأني تركت مسكني السابق لنفس السبب ووافقت على إيجار

Des. Maryam Tamim

هذه الشقة بالرغم من أنه مرتفع قليلا عن أسعار السكن في الحي فقط لأني لا أشارك أحدا السكن "
هزت نرجس ساقها بتململ ثم قالت " إذن سأزيد الايجار قليلا.. سأمهلك إسبوعا واحدا لتدفع ما عليك وإلا سآتيك بشريك بالغرفة .. لا تؤاخذني أستاذ رامز أنا لا أفتح بيتي ملجأ للايواء .. إنه ما تبقي لي من زوجي المرحوم ..فأعيش على الدخل الذي يأتيني منه "
ثم بدأت في البكاء مستطردة " وأنا كما تعلم وحيدة ليس لي ظهر ولا سند في هذه الدنيا - مثلك بالضبط - وأنا ... "
قاطع رامز حديثها بحزم " يفعل الله ما به خير تصبحين على خير ست نرجس "
وأغلق الباب في وجه نرجس الممتقع في غيظ .

أسند رامز جبينه في يأس وإرهاق على الباب بضع ثوان .. ثم اعتدل ليغلق ثلاث أقفال مثبتة بالباب

Des. Maryam Tamim

ليتحرك من الصالة الضيقة ذات الأثاث البسيط المتهالك ليدخل غرفة نوم تفوح منها رائحة السنين .. لا تحتوي سوى على سرير صغير وسجادة قديمة متأكلة الأطراف ومرآة صغيرة مثبتة على الحائط .. وحقيبة كبيرة مفتوحة .. تحتوي على ملابس منظمة بشكل ملفت .. فجلس رامز على السرير يخلع حذاؤه بتوجع لتظهر قدميه الصغيرين الناعمتين مكدومة من كثرة المشي ثم استقام يفرغ ما في جيبه .. بضعة نقود قليلة .. وجواز سفر سقط مفتوحا على السرير مكتوباً بداخله (رامز عبد الله الخازن) .. ثم ترك الغرفة ودخل الحمام الصغير بجدرانه ذات المواسير الصدئة المتآكلة ككل ما تحتويه الشقة .. وأكمل خلع ملابسه .. البنطال .. البلوزة الطويلة .. البلوزة ذات الأكمام والرقبة الطويلة.. ليظهر جسده الأبيض يلتف حول جذعه رباطاً من القماش.. فك القماش من حوله طبقة .. طبقة .. فملأت

Des. Maryam Tamim

الطبقات الكثيرة أرض الحمام ليظهر شيئاً فشيئاً خصر نحيل.. ويحرر شيء آخر مسحوقاً تحت طبقات القماش..

يحرر نهدين أنثويين انسحقا تحت الطيات الحازمة التي تسجنه لتخفي صاحبته عن العيون !..

نهدان يئنان من السجن والقرح كباقي الجسد .. وعند آخر طرف للقماش ظهر جواز سفر آخر كان مخبأ هناك ..وضع بحرص على الحوض .. لتنزل الماء على الجسد المتقرح مصاحبة لآنات صامتة عاجزة ..

بعد دقائق كانت بالغرفة مرة أخرى تضع جواز السفر الآخر بجانب الأول على السرير وشعرها الذكوري القصير يقطر بالماء .. ترتدي إسدال الصلاة .. وتصلي صلوات اليوم جملة واحدة ..

Des. Maryam Tamim

وحين إنتهت رفعت يديها للسماء تقول " ربي أنت تعلم كيف حالي .. فهل يارب من فرج قريب! "
بعد قليل كانت تخرج من جانب السرير كيساً به بعض الخبز اليابس وبعض الجبن الابيض ملفوفا بورقة ... فجلست ترفع قدميها على السرير تضم ركبتيها وبدأت تأكل في صمت بجوع مهلك.. بينما عيناها المرسومتان تحت أهداب كستنائية تذرف دمعاً صامتاً .. وبجانبها جواز السفر الآخر مفتوحا .. وصورتها تنعكس فيها بالحجاب .. مكتوبا بجانبها (بانة عبد الله الخازن) .

Des. Maryam Tamim

الفصل الثاني

في المساء ترجل أحمد من سيارته أمام منزله في الحي الشعبي وصوته يهدر في الهاتف " حسنا يا أمي .. إذا لم تصل آية خلال نصف ساعة لن أمر الأمر على خير .. كلا .. سأجلس مع الشباب قليلا .. طمئنيني بالله عليك .. في رعاية الله"
أغلق الهاتف وإتجه إلى حيث مبنى المقهى المصمم على طراز حديث و الذي يقع أمام عمارة والده والذي يحتل الدور الأول من المبنى ومصمم على طراز شبابي حديث يملكه سيد صبرة أو بمعنى أدق والده البخيل خليل صبرة..

رفع أحمد رأسه ينظر الى الدور الثاني بالتحديد من مبنى المقهى حيث الإنارة مضاءة .. فزفر في حنق وهو يخترق المقهى ذو الأبواب الزجاجية دون إلقاء

Des. Maryam Tamim

السلام على مرتاديه الذي يعرف معظمهم من أهل الحي .. فاستقبله الفتى طأطأ صبي المقهى بالترحيب .. ليشير أحمد لأنفه وهو يتجاوز الزبائن الى آخر الممر ليعتلي سلماً خشبياً داخلياً إلى الدور العلوي موجها الحديث لطأطأ "رائحتكم بن محروق .. أريد شاياً فلن يعجبني هذا البن"

صعد إلى حيث (خُن الأوغاد).. ففي الدور العلوي يجتمع الأوغاد الثلاثة وهو رابعهم كما يطلقون على أنفسهم منذ ... لم يعد السنين .. فمرت الذكريات في رأسه كشهاب خاطف وتذكر كيف كان هذا المكان منذ بضع سنوات هو مجرد سطح للقهوة القديمة يجتمعون فيه ويتسامرون .. على السطح ضحكوا وبكوا وتعاركوا وتخاصموا وتصالحوا.. رسموا أحلاماً وأطلقوا وعوداً .. منها ما تحقق .. ومنها ما طار وتحرر من الذاكرة مع السنين .. ومنها

Des. Maryam Tamim

مازل قيد الانتظار .. لكن أكثرها حُبس في الوجدان
تحت عنوان أمنية مستحيلة..
وما أكثرها الأمنيات المستحيلة !.

ما أن لمحه الأوغاد الثلاثة الجالسون أمامه يدلف الى الغرفة حتى كتموا ضحكاتهم وتظاهر كل منهم بعمل شئ .. فبادر أحمد موجهاً الحديث لسيد "كنت أعلم أنك لن تمررها دون إخبارهم ..كإمرأة ثرثارة"
أفلتت الضحكات من فم سيد ولم يقدر على كتمانها أكثر .. فانفجر الجميع في الضحك .. عمرو ووائل وأخيرا أحمد نفسه.

بعد دقائق وضع طأطأ الشاي على المنضدة فنظر إليه أحمد بعينين نصف مغلقتين ليقول " هذا الشاي رائحته اختلطت برائحة البن .. أحضر لي كوباً آخر"

Des. Maryam Tamim

فزفر طأطأ ذو الثمانية عشرة عاماً وهو يرفع عينيه للسماء قائلاً بصوت مسموع " ها قد بدأنا (ثم عاد للنظر لأحمد بغيظ مكبوت) يا باشمهندس أحمد.. أنف الإنسان لا يستطيع أن يلتقط من هذه المسافة أن الشاي يحمل رائحة بن محروق .. من الممكن أن تكون متأثراً برائحة البن المحروقة في الهواء"

مد أحمد يده يسحبه من مقدمة قميصه ليقرب وجهه إليه وقال في هدوء غاضب " حين أقول أن الشاي رائحته بن محروق .. تطيع بدون نقاش" هم طأطأ بمواصلة الجدال .. لكن صوت سيد جاء حازما يأمره بإحضار كوب آخر .. فأعاد الشاب الكوب للصينية وهو يبرطم.. فلاحقه أحمد بصوته قبل أن ينزل " أيضا هناك رائحة سمك أو (فسيخ) تأتي من مكان ما بالأسفل .. وهذه واجهة سيئة لمقهى محترم"

Des. Maryam Tamim

شحب وجه طأطأ وأخذ يتجول بنظره بينهم ..ثم نزل بسرعة متحاشيا نظرة سيد المتوعدة ..
فضحك الأربعة وصوت عمرو يقول بسخرية " أنت وأنفك اللعينة !"
مال وائل على سيد يسأله بإهتمام عن سر قلقه فلم يبادره الأخير بالرد منشغلاً بهاتفه في الإتصال بشخص ما دون أن يتلقى أي رد..

تأملهم أحمد مستندا إلى ظهر الكرسي في إسترخاء يحدث نفسه" كبرنا يا أوغاد .. كبرنا وتغيرنا .. ويبدو أننا سنودع حقبة أخرى من حياتنا لنبدأ في مرحلة جديدة .. ها هو سيد .. الولد الشقي العابث سيتزوج قريبا .. ترى من القادم أنا أم عمرو ؟ .. إذا كان الأمر بحسب الأكبر سنا فها هو وائل ذو الخمسة وثلاثين عاماً متزوج منذ إثني عشر سنة .. وسيتبعه قريباً سيد الذي يصغره بعامين .. إذن ربما أكون أنا القادم أو عمرو فكلانا نبلغ من العمر

Des. Maryam Tamim

واحدا وثلاثين عاماً .. (ثم تنهد وأكمل حديثه مع نفسه) عليّ أن أتملص من ترشيحات الحاجة أمي بقدر المستطاع لأتمتع بالمزيد من الحرية"

مال وائل على عمرو المستغرق في التحديق في الشاشة البلازمية العريضة أمامه ينافسه في أحد الالعاب الإلكترونية القتالية وقال يغيظه " في سهرة الأُنس أمس كانت هناك فتاة مبهرة بشعر طويل أسود حين رأيتها تذكرتك على الفور وقلت عمرو يحب ذوات الشعر الأسود الطويل .. جرب وشاركنا يوما يا شيخ عمرو.."

حدجه عمرو بنظره جليدية ثم عاد للتركيز في الشاشة محركا المتحكم الالكتروني للألعاب وقال" لست شيخا .. وتعلم أني لا أحضر هذه السهرات" على ذكر الشعر الأسود لاح وجه بملامح مرتعبة وشعر أسود وعينين مرسومتين باستفزاز لا تليق برجل في مخيلة أحمد..

Des. Maryam Tamim

هناك شئ غريب يستشعره تجاه هذا الشاب.. يتخطى الفضول الطبيعي تجاه إنسان تقابله من بلد آخر .. كما أنه صاحب على مدى حياته جنسيات متعددة.. لم يشعر أبدا بهذا الفضول ..بالإضافة إلى أن هيئته عجيبة.. ربما يكون صغير السن تحت العشرين على الأغلب.

تلاشت ملامح الفتى المرتعب من أمامه على صوت طأطأ الذي دخل عليهم يلهث بفم جاف وهو يشير بيديه في هستيريا " الأستاذة آية ... الأستاذة آية تتشاجر مع أحدهم في الشارع "

هب الجميع في سباق على السلم للوصول إلى الشارع .. كان أولهم وأسرعهم سيد الذي خرج متحفزا يشهر قبضته بجسده العريض وطوله المماثل لطول أحمد لكنه أكثر ضخامة كأجساد المصارعين..

Des. Maryam Tamim

بحث يميناً ويساراً وحين لمحها على أول الشارع أسرع الخطى .. ثم تباطأت خطواته بمجرد أن اقترب .. حتى وقف يراقب المشهد في هدوء رافعا حاجبا متسليا وانضم إليه وائل وعمرو..

يشاهدون آية تتشابك بالأيدي مع شاب صغير سائق (توكتوك) عربة الأجرة الصغيرة ذات الثلاث إطارات التي تستعمل في الشوارع الداخلية في الأحياء الشعبية .. وفي هذه اللحظة بالذات كانت تشده من شعره وتضربه بركبتها في بطنه والشاب يتلوى من الألم وتخرج من فمه كلمات غير مفهومة.

وجهت آية بعد سيل من السباب والاستحقارمن بين أسنانها الكلام للسائق " هذا لأنك لا تعرف من هي آية سماحة "

حين وصل أحمد آخرهم بسبب ألم ركبته وجد الجميع مسمرين يشاهدون في صمت ويكتمون الضحكات..

أكملت آية حديثها بعصبية " فلست أنا من تتحرش بها بألفاظ لا تليق يا ابن (....)"

كتم كل من وائل وعمرو ضحكاتهم بينما نظر أحمد في ذهول الي سيد الذي رفع يديه في استسلام إشارة إلى أنه يتبرأ منها.

تحرك أحمد مخلصاً الشاب من يديها ليتولى التعامل معه .. فما كان منها إلا أن نفضت ملابسها وعدلت حجابها ثم غمزت بعينها لعمرو وهي تمر من أمامه قائلة " هل نفذت دروسك في الدفاع عن النفس بدقة يا معلمي " .

بادرها عمرو بابتسامة واسعة .. بينما تحركت متخطية وائل وعمرو لتقف أمام سيد الذي يراقبها بذهول واضعا يديه في جيبي بنطاله .. فقامت

بإلقاء حقيبة يدها على صدره بخشونة فتلقاها ببساطة لتعاود تعديل وضع ملابسها ببنطالها الجينز وبلوزتها البيضاء وحجابها الأزرق ..ليشير لها سيد بسبابته لتدخل خصلة شعر سوداء فرت من الحجاب لتشاهد المعركة الي دارت من قليل .. مال عليها سيد مصطنعا الهدوء يهمس من بين أسنانه " من أين لك بتلك السُبة ؟.. أين سمعتها؟"

رفعت كتفيها بلا مبالاة وردت وهي تواصل ترتيب ملابسها " من هنا أو هناك لا أذكر "

فسألها من بين أسنانه " وهل تعلمين المعنى ؟"

ردت بشقاوة تمنحه ابتسامة عريضة " كلا.. لكني أعلم أنها كلمة قليلة الأدب "

رفع سيد حاجبه باستنكار ثم قال بتوبيخ " بل منعدمة الأدب يا بنت سماحة .. أجننتِ !.. ماذا

Des. Maryam Tamim

سيقول الناس ؟..ثم ما هذا التناقض ؟.. سحلتِ الرجل لأنه تطاول عليك متفاخرة بأنك آية سماحة ثم ..ثم ماذا ؟.. تشتمينه بهذا اللفظ "
ضيقت آية عينيها في شك وهمست له في قلق "
أهي بذيئة إلى هذه الدرجة ؟!"
رد مؤكداً " في منتهى البذاءة (ثم أشار لنفسه ببراءة مصطنعة) خدشت حيائي أنا شخصيا "

كتمت ضحكتها بشقاوة ورفعت عينين لامعتين نحوه فمال برأسه يقترب من قامتها القصيرة وهمس مشاكساً " لن يمررها لك أحمد هذه المرة وأنا لن أتدخل "
حدجته بنظرة غاضبة وقد انقلبت ملامحها الشقية المليحة لملامح متصلبة وقالت بعصبية " مالي أنا وتصنيفاتكم الذكورية .. لمَ لا أقول ما أود أن أقوله .. إن هذا (السمج) يستحق هذه السُبة التي لا أعلم معناها لكني أعلم أنه يستحقها ..(

Des. Maryam Tamim

وتكتفت تقول) ثم لمَ لم تتدخل وتسحق هذا (السمج) وأكتفيت بالمشاهدة ؟ "
رد عليها ببرود" أردت فعلا أن أتدخل .. ولكن لتخليص الشاب المسكين من بين أسنانك الشرسة"
هتفت معترضة بحنق " سيد "
تجاهلها لينادي على أحمد الذي هم باللحاق بالشاب الفار بالتوكتوك " دعه يا أحمد أنا أعلم من أي منطقة هو وسأهاتف زعيمهم وأمنعه من المرور من الشارع مستقبلاً"

إستدار أحمد ليواجه آية .. وأمسك بذراعها وقال من بين أسنانه بعصبية " أين كنتِ حتى هذا الوقت؟ .. ومن أين لك بألفاظ الشواع هذه؟ .. هل هذا لسان إبنة عائلة محترمة وطالبة في كلية الاعلام ؟!!"

Des. Maryam Tamim

خلصت ذراعها من يده ثم تكتفت وردت ببرود "
بالنسبة للسؤال الأول اليوم محاضراتي تستمر حتى
وقت متأخر وأعتقد أن لديك نسخة من جدولي
بإعتباري من الكائنات التي تبقى الوصاية الأبدية ..
وبالنسبة للسؤال الثاني .. فلا أرى عيباً في أن أعبر
عن حنقي بلفظ يدل عن مدى غيظي .. وليس لي
ذنب في قدري الذي جعلني أُولد في مجتمع ذكوري
متعفن"
قالتها واستدارت نحو المنزل فهم أحمد باللحاق بها
في غضب لولا تدخل الشباب .. درءاً للفضائح
فتوعدها في سره وهو يتوجه بضغط منهم للخُن
مرة أخرى.
أما سيد فتأملها وهي تخطو بخطوات حانقة تضرب
الأرض بقدمها الصغيرة في عصبية لتعبر بوابة
البناية المقابلة للمقهى .. يلاحقها عنفوانها
ونواريتها كالعادة..

Des. Maryam Tamim

آية .. لا تشبه أروى أختها الأكبر في شئ .. بل هي لا تشبه أحداً .. إنها آية .. مخلوق ناري ينبض بالحياة والعاطفة .. مزيـج من الشقاوة والتمرد والإشتعال .. جامحة إلى أبعد حد بسنواتها التسعة عشر ... والتي تحيرك هل مازالت مراهقة صغيرة أم شابة متمردة على كل القيود..

وكثيراً ما يشفق على أحمد .. فهي تقوده عادة للجنون بجموحها وتمردها .. وأحمد لا يملك من الصبر أي قدر ليحتويها .. أما هي فلا يهمها فارق العمر الكبير بينها وبين إخوتها فهي صغيرة العائلة ومدللة أبيها وشوكة في ظهر أخيها أحمد كما يدعوها دائما..

وكثيرا ما تساءل هل فارق العمر الكبير بينها وبين إخوتها أحمد وأروى ساهم في جموحها وتمردها في محاولة منها لإثبات أنها مساوية لهما ؟.. فأروى تكبرها بحوالي إحدى عشرة سنة.. وأحمد يكبرها بإثنتي عشرة سنة..

Des. Maryam Tamim



لكنه يستبعد أن يكون ذلك السبب هو ما شكل شخصية هذه الثائرة المحتجة دائماً.. فجموحها نابع من تكوينها كما يرى .. فهي تملك روحاً حرة .. مغامرة .. تغضبها القيود .. تتغذى روحها على الانطلاق والاستكشاف ... تقاوم روحاً ظمأى للعاطفة والإهتمام .. . وهي صفات لا تناسب مجتمعاً لا يتوانى في فرض كل قيد وقيد على النساء .. هو شخصيا يعترف أنها أرهقته في مختلف مراحلها العمرية .. فهي وكما يردد دائما باعتزاز ربيبته..

وكيف لا تكون ربيبته .. وهو من رافقها طوال سنوات عمرها .. فكان لها المعلم والصديق والأب في وقت كانت تمر فيه عائلة سماحة بمحنة كبيرة .. ذلك الحادث المأسوي الذي تعرض له أحمد وأروى منذ عشر سنوات .. وما تبعه من سنوات



طويلة بين أروقة المستشفيات وعيادات الأطباء
ليبقى الوضع الحالي أفضل ما يمكن الوصول إليه..
أحمد بشريحة معدنية في ركبته وآلام مستمرة
أغلبها نفسية..
وأروى...
المسكينة أروى.. كسر في الظهر يُلزمها الجلوس
على كرسي متحرك..

وعلى الرغم من أن عمر آية وقتها كان تسعة أعوام
فقط حين بدأ في الإهتمام بها بعد هذا الحادث ..
لكنه لا ينكر أنه كانت تربطه بها علاقة خاصة جداً
قبل ذلك.. فلا ينسى أبداً كيف بدت حين ولدت ..
ببشرتها البيضاء وشعرها الأسود ذو الخصلات
الملفوفة .. كانت كجنية صغيرة بحق .. بعينين
كجرتي عسل مليئتين بالطاقة والإشتعال ..
تطالعك بنظرات فضولية..

Des. Maryam Tamim

وكانت تخصه وحده بكثير من الإهتمام ..تحوم حوله طوال عمرها كفراشة ترفرف حول الضوء .. وهو ذو الأربعة عشر عاما وقت ولادتها لا ينسى أبداً كيف كان مفتوناً بها وبشقاوتها .. فكانت له كقطعة سكر تحلي سنين عمره المُرة في صراعه مع الحياة. .. وأصبحت مصدراً للدفء في حياته المرهقة كثيرة المعارك..

وليست وحدها من كانت تحتل هذه المكانة عنده .. بل عائلة سماحة كلها نظراً لأفضالها الكثيرة عليه .. بالإضافة لعائلة عمرو القاضي وعائلة وائل .. أبدا لن ينسى خيرهم وأفضالهم عليه..

أما عن علاقته بآية بعد الحادث فقد أخذت منحنى أكثر أهمية..

فرافقها خلال مراهقتها المبكرة.. وتلقى عنفوانها وجموحها وشذبه..

Des. Maryam Tamim

حاوطها بذكاء .. وألجم تمردها دون أن ترى القيود فتتمرد أكثر...
حماها من جموحها.. وكان معلمها الأول ومرشدها ..
واستثمر ذكاءها ووجهه نحو حمايتها من نفسها أولاً قبل حمايتها من الآخرين .. وهي في المقابل أشرقت بشمسها الصغيرة على روحه المظلمة فأضاءتها .. علمها تذوق الموسيقى والطرب فكانت عالمهما السحري الذي يهربان إليه .. في خيال الموسيقى أطلقت آية روحها الثائرة وعنفوانها الهادر .. فالموسيقى حررت قيودها وامتصت مشاعرها المتدفقة وهذبتها...

تنهد سيد بحزن وهو يعود الى الحاضر معترفاً بأنها الآن في التاسعة عشرة من عمرها .. وأن الإنفصال آت لا محالة .. فهو ليس بساذج .. عليه أن يعترف بأنها كبرت وكل عام يزيد في عمرها سيفصلهما عن

بعضهما شيئا فشيئا .. فلم تعد آية الطفلة المتعلقة برقبة الشاب سيد.. لذا فهو يعد نفسه لتقبل الأمر بشجاعة وتفهم .. حتماً ستترك الصبية يده يوماً ما بإرادتها .. وتحلق بعيداً تتلمس طريقها وحدها..

وإن لم تفعل..

سيفصلونها عنه بدون رحمة !!

***

بعد اسبوع:

أخيرا وقت مستقطع..

ألقت بانة بجسدها على بعض الأخشاب الملقاة في بقعة منعزلة خلف مبنى الورشة الكبير في الساحة المشمسة .. تدلك ساقيها وكتفيها بألم .. فالعمل هنا مرهق بدنيا ..فنقل وترتيب الأخشاب

Des. Maryam Tamim

وتصنيفها وما يلزم ذلك يحتاج لكتلة عضلية وقامة طويلة .. حين فكرت بذلك .. لاحت في ذهنها صورة لكيان عضلي بقامة طويلة وبشرة سمراء لامعة.. ففكرت بغيظ .. أنه ربما يجدر بهذا السيد المتذمر دائماً أن يقوم هو بهذه المهام بدلاً من الصراخ هنا وهناك طيلة اليوم بعصبية توتر الأجواء..

نفضت من مخيلتها صورته التي أصبحت تلازمها كظلها .. على الرغم من تجنبها للاحتكاك به منذ بداية عملها بالورشة .. أو ربما هو من يتجنب عن عمد الاحتكاك بها .. يتجاهل وجودها بشكل متعال ومفتعل .. وهذا يريحها كثيراً .. فالرغبة في لكمه تسيطر عليها أينما ظهر في مجال رؤيتها .. لسبب مجهول يثير فيها هذه النزعة للعنف بعكس طبيعتها المسالمة القادرة على التكيف .. والتي ساعدتها كثيراً في النجاة في هذا البلد..

Des. Maryam Tamim

فتحت اللفافة الورقية لتلتهم شطيرة من الجبن أعدتها مسبقا .. عليها العودة للعمل سريعا لن تسمح بأي خطأ يكلفها ترك هذا المكان ..
إن العمال هنا طيبون في المجمل .. متعاطفون معها كشاب لاجئ يبحث عن لقمة حلال .. والعم عبد الحليم رئيس العمال رجل حكيم وودود..
أما الحاج إبراهيم سماحة فأسرها من أول وهلة بطلته الهادئة الوقورة .. حين رأته أول مرة ذكرها بوالدها ربما ليس شكلا وإنما موضوعا نفس النظرة الهادئة الوقورة وقوة الشكيمة والحكمة في التصرف .. بسبحته الخضراء ذات الحبات الصغيرة التي لا تفارق يده..

تخيلته بالشكل الكلاسيكي كما يظهر الحاج في الدراما بجلباب طويل وعِمة .. لكنها إندهشت

عندما وجدته عكس ذلك .. بملابس عصرية كأهل العاصمة .. ببنطال كلاسيكي وقميص.

شعور بالدفء تسلل إليها عندما قابلته أول مرة وسألها بهدوء عمن تكون أو عمن يكون بمعنى أدق .. وبالرغم من عدم تبادلها الحديث معه بعدها إلا أن التجول بالقرب من مكتبه بات يشعرها ببعض الأمان .. ربما لإفتقادها لتلك النعمة.
خنقتها عبرة تحاول التحرر من عينيها وهمست لنفسها " أبي .. هل أنت حي ؟ .. أدعو الله أن تكون حياً ".

إن الأنباء تؤكد وفاته في القصف على بلدتهم التي أصر والدها أن يترك العاصمة ويعود للدفاع عنها مع إخوته .. ولم يمض وقتا قبل أن تسمع بمجزرة بشعة أبادت البلدة بمن فيها..

Des. Maryam Tamim

ضربت بقبضتها على قلبها تهتف في همس "آه من وجعك يا بانة "

لكنها تتشبث بأمل أنه إستطاع النجاة حتى لو كان أملاً زائفاً لتستمر بالمضي قدما كما وعدته.. كما تتشبث بالأمل الزائف أيضاً بأن أخويها فراس ورامز مازالا على قيد الحياة بالرغم من صورتهما التي لا تغادر رأسها وهما غارقان في دماءهما على الطريق.. ثقلت العبرة الساخنة في مقلتيها وسقطت لتكوي بشرتها الملتهبة من حرارة الشمس .. بينما صوت خطوات تقترب تجبرها على العودة للواقع.

يتقدم في خيلاء على مرمى بصرها ليقف على بعد مسافة منها دون أن يوليها إهتماماً.. فتأملت جانب وجهه .. متسائلة بفضول هل يتألم أم يخيل إليها؟!..

كان جبينه معقوداً وصدغه بارز وكأنه يجز على أسنانه .. يحمل في يده علبة مياة غازية يشرب منها بصمت .. متأملاً المنظر الواسع أمامه بشرود حيث لا توجد مبانٍ حول موقع الورشة على مرمى البصر ..

همت بإنهاء الشطيرة على عجل لتعود للعمل وهي تراه يخرج علبة صغيرة من جيبه ويضع في كفه حبتين أو ثلاثاً من دواء يلقيها في فمه ويعاود شرب جرعة كبيرة من المياة الغازية.

دون إرادة منها إندفعت تقول" من غير الصحي شرب المياة الغازية مع الدواء .. أنت لا تعلم ماذا تفعل المياة الغازية بالجسم .. فما بالك حينما تخلطها مع الدواء فتسبب تفاعلات خطيرة. "

حين لم يرد .. شكت في أن يكون قد سمعها من الأساس .. أو يتجاهلها متعمداً .. فشعرت بالغيظ وندمت على تهورها بالكلام لتستقيم عائدة لعملها

Des. Maryam Tamim

حين أتاها صوته الرجولي الساخر يقول "هل حان الآن موعد الفقرة الصحية ؟ "

كيف يتحمل نفسه !..

حقيقة كيف يتحمل نفسه بهذا الصلف والغرور!!

.. لولا أنها شاهدت أسلوبه المتعالي مع كل من حوله لشكت في أنه يتعمد إذلالها وإهانتها بهذا الأسلوب المستفز.

ردت بثقة " لا بل نصيحة أوجهها لك بناء على معلومة مؤكدة وخطيرة ".

سألها باستهزاء " ماهي دراستك ؟ "

شمخت بأنفها وردت " صيدلة .. كنت في آخر سنة وقامت الحرب ولم أكمل .. وضاع كل شيء (ثم اندفعت قائلة بفضول) وأنت ؟ "

وبخت نفسها على هذا السؤال المتسرع .. ما شأنها بدراسته !!!.

Des. Maryam Tamim

رد بهدوء وهو ينظر أمامه مولياً لها ظهره يتطلع في الأفق البعيد " تخرجت من وكالة ناسا العالمية للعلوم وتكنولوجيا الفضاء ".

إرتفع حاجباها بإندهاش وقالت "ماذا !! (صمتت قليلا تفكر ثم أكملت بغضب) هل تسخر مني ؟!!"

أجابها بتهكم " إن كنتَ أنتَ صيدلانياً .. فماذا سأكون أنا ؟ .. رائد فضاء طبعا!"

كتمت غيظها فأدار وجهه إليها يراقبها بتسل وهي تقول من بين أسنانها ملتزمة بصوتها المستعار الغليظ قليلا " أرى أنك تنظر إليّ باستهانة وتسل .. عموما صدق أو لا تصدق أنا صيدلاني .. ولكن لم تسعفني الظروف لأُنهي السنة الأخيرة .. وانتهت الإحلام حين بدأت الحرب .. (وأكملت بلهجة حزينة) وها أنذا أعمل كعامل في بلدكم وفي

Des. Maryam Tamim

ورشتكم .. أرجو أن يكون ذلك مسليا بالقدر الكافي يا سيد أحمد"

ثم تحركت مسرعة وهي تتحكم في دموعها حتى لا تبكي..

إن هذا الإنسان مغرور ووقح..

أما أحمد فرفع حاجباً وغمغم بإستنكار " سيد أحمد!!"

***

عند الساعة الخامسة عصراً إنتهى اليوم لتتنفس بانة الصعداء .. فوقفت عند بوابة الورشة الكبيرة تنتظر أي سيارة أجرة جماعية تقلها لأول طريق المساكن بعدها ستبدأ رحلة أخرى باستقلال الحافلة .. وإبر الخشيبات الرفيعة مغروزة في كفيها تحاول استخراجها بتركيز..

Des. Maryam Tamim

لماذا لا يرتدون قفازات تحمي الأيدي؟! .. إذا بادرت هي بإرتداء قفاز أثناء العمل ستثير السخرية وربما الشك...

إخترق صوته الذي أصبح مألوفا أذنها يأتيها من الخلف قائلاً " هل أنتَ فتاة ؟!!"

استدارت مصعوقة ترمقه بعينين واسعتين .. ثم تدبرت صوتها بصعوبة لتقول بوجه شاحب "لماذا؟؟؟؟!!"

رد ببساطة " لأنك تغضب مثل الفتيات وتنسحب متباكياً بعد أن تلقي كلمات غاضبة في الهواء. "

أطلقت نفساً محبوساً في راحة ثم إستعادت رباطة جأشها لتقول بشموخ " لم أبك"

رد بتسل يغيظها " بل بكيت .. أكاد أجزم أنكَ بكيت "

قالت بإصرار " قلت لم أبك "

Des. Maryam Tamim

لاحت شبه ابتسامة على جانب فمه ليتركها ويعود للداخل بهدوء .. أما هي فوقفت تهدئ من روعها.. بعد دقائق توقفت سيارته بجوارها بعد أن خرجت من البوابة وهتف عبر الشباك" هيا .. إركب .. سأوصلَك".

ردت بحرج " كلاً شكراً أستطيع إنتظار سيارة الأجرة"

قال بإصرار " قلت إركب "

فأصرت على الرفض .. لكنه كان عنيداً " ألا تريد أن تعرف مجال دراستي"

ردت بإمتعاض " كلاً شكراً "

كان صوته حانقا حين قال باصرار " ولكني أريد أن أعرف تأثير المياة الغازية على الأدوية إركب .. وإلا ".

فأكملت في سرها جملته الشهيرة (وإلا لا ألومن إلا نفسي) .. زفرت في غضب ثم ركبت السيارة.

Des. Maryam Tamim

ربما الألم في عضلات جسدها هو ما أشعرها بنوع من الراحة حين جلست بجانبه في سيارته الحديثة ..

تأملت ساعده العضلي الأسمر الظاهر من كم قميصه الأسود ..وأصابعه السمراء الطويلة التي يحركها على المقود برشاقة وثقة..

تبا !..

مالذي تفكر فيه الآن!..

أدارت وجهها تراقب المساحات الشاسعة من الأراضي الخالية على جانب الطريق .. متعجبة من أن البيوت في العاصمة في بعض المناطق تكاد تستغيث من الإلتصاق والتكدس والاماكن واسعة هنا خارج العاصمة.

Des. Maryam Tamim

أتاها صوته الرجولي مقاطعاً تأملاتها "أنا درست هندسة إلكترونيات"

إلتفتت إليه ولم ترد .. فأكمل وكأنه يحدث نفسه " ووظيفتي الحالية كما ترى في مؤسسة الحاج سماحة للموبيليا.. نجار "

أرخت ظهرها المتألم لتغوص في المقعد المريح أكثر وقد انتبهت لصيغته المتهكمة المتألمة فسألته " وهل رغبت في العمل في وظيفة أخرى ؟.. "

صمت .. ولاحظت تشنج جسده قليلاً قبل أن يقول "لا يهم"..

ثم أدار وجهه إليها يسأل بفضول " مع من تعيش ؟"

أسرعت في الاجابة " أعيش مع أبي وإخوتي رامز وفراس ... أقصد بانة وفراس"

إحمر وجهها قليلا .. تباً لزلة لسانها .. فدعت ألا يكون قد لاحظ كلامها المتناقض ... إنها تخبر

Des. Maryam Tamim

الجميع بأنها ليست وحدها هنا كنوع من الحماية الوهمية.

سألها ساخراً" وهل فارس رقيق الملامح مثلك ويغضب مثل الفتيات ؟"

زفرت في غيظ وأدارت وجهها نحو نافذة السيارة .. صوت ضحكة رجولية خافتة صدرت منه فدغدغت مشاعرها .. لكنها حاولت تجاهل تأثيرها الغريب عليها عندما أتاها صوته يقول "كم عمرَك ؟"

ردت دون النظر إليه " سبع وعشرون"

فقال بهدوء " ظننتكَ أصغر من ذلك بكثير .. إذن أنا أكبر منك بأربع سنوات وإن كنت غير مقتنع بذلك "

إعتدلت وهي ترى السيارة قد بدأت تخترق الزحام وهمست في سرها" بل أكبر مني بسبع سنوات فعمري الحقيقي أربعة وعشرون عاما"

Des. Maryam Tamim

ثم قالت بصوت حازم " من فضلك أنزلني هنا لألحق بالحافلة"

مع إصرارها الشديد لم يجد مفراً من التوقف لتترجل من السيارة ملوحة له في عجلة ثم إبتعدت هاربة..

هاربة لوحدة فُرضت عليها فتمسكت بها خوفاً من اكتشاف حقيقتها .. فالإقتراب من الصورة يجعلك تعي تفاصيلها لتدرك حقيقتها .. وهي تجاهد منذ عامين لتخفي تلك الحقيقة.

***

أغلق أحمد باب الشقة بهدوء ليستقبله وجه باسم يحمل ملامح رقيقة .. تأمل هيئة أروى الهشة وجسدها الرقيق النحيف على كرسي متحرك وهي تطالع حاسوبها الشخصي في صالة المنزل الكبيرة .. وتلقى إبتسامتها الحانية بإبتسامة مثلها وهو يبلع طعماً مراً في حلقه .. لم يخف جلوسها على ذلك

Des. Maryam Tamim

الكرسي اللعين قامتها الطويلة ورشاقة قدها الى حد النحول..

مازالت تفقد الوزن..
كلما وقعت عيناه عليها يدرك أنها تفقد المزيد من الوزن .. فتبدو أمامه بشعرها الأسود الحالك المرفوع بإهمال في كعكة كبيرة ملفوفة فوق رأسها بهيئة تجعلها تبدو كراقصة باليه رقيقة بهذا العنق الخمري الطويل والذي تتساقط عليه بعض من خصلات شعرها الهاربة من العقدة المبعثرة فوق رأسها .. فهمس لنفسه بمرارة " راقصة باليه بظهر مكسور !!"

عقدت أروى حاجبيها المروسمين فوق عينين بندقيتين واسعتين وسألته وهي ترفع الحاسوب المحمول من على حجرها لتضعه على المنضدة

Des. Maryam Tamim

الصغيرة أمامها وترد سلاما لم يلقه " وعليكم السلام ورحمة الله .. ما بك ؟ "

تنبه إلى شروده فاقترب منها بمرح يقبل جبينها ثم أرتمى بجسده على الأريكة ليقول مداعباً " تذكرت الآن أنك كنت مثالاً للأنثى التي أتمناها في مراهقتي "

قهقهت برقة ثم قالت مازحة " كاذب .. لقد كنت تتعمد إثارة غيظي أنت وسيد و عمرو بأنكم تكرهون السمراوات وتشبهون شعري بزغب بطة سوداء"

ابتسم في حنان ورد مدافعاً " كنا نثيرغيظك كما قلتِ .. لكن ثلاثتنا كنا مدركين في قرارة أنفسنا كم أنت جميلة بشعرك الأسود الطويل المستقيم كشعر الخيل .. يا فتاة لقد تركنا دراستنا وقضينا أيامنا كلها في المدرسة نحوم حولك كحراس شخصيين"

تخصرت وضيقت عينيها مدعية الغضب " حقا ! .. ولهذا عدت من المدرسة في يوم من الأيام تطلب

Des. Maryam Tamim

من أبي أن ينقلني لمدرسة أخرى وألا تجمعنا مدرسة واحدة أبدا".

انفجر أحمد ضاحكا والذكريات تتفجر في رأسه تباعاً كانفجارات الألعاب النارية في السماء ليبرر قائلاً " يومها دخلنا ثلاثتنا في عراك كبير بسببك.. وتأذى عمرو كثيراً وجُرح في جبينه وأمه كادت أن تقتلني أنا وسيد حين أوصلناه للمنزل.. أنت تعلمين كيف تبالغ في حمايته .. ومازال هذا الجرح يترك ندبة في جبينه حتى الآن . . (وتنهد في حنين ثم قال) كانت أياماً جميلة .. الحقيقة كنا نشعر برجولتنا ونحن ندور ورائك نحرسك .. نشهر قبضتنا في وجه الأولاد بدون تردد فننتشي بالشعور بالقوة بداخلنا ... ثلاثة فرسان يحرسون أميرتهم".

ردت مداعبة " وماذا عن قبضتكم التي كنتم تلوحون بها في الشارع .. كنت أشفق على أبي وهو

Des. Maryam Tamim

يلهث وراءكم هنا وهناك .. هل كانت بسببي أيضا ؟"

حرك حاجبيه يغيظها " يبدو أن الشقاوة أعجبتنا واكتشفنا بفضلك موهبة أصيلة بداخلنا - للبلطجة - فمارسناها مراهقين وشباباً "

تأملته بحنان ثم قالت بفخر " أنتم أصبحتم زينة شباب المنطقة .. ولم تذهب جهود أبي هباءً لتودعوا مراهقتكم الغاضبة القلقة بسلام .. وأصبح أبي يشعر بالفخر حين يراكم تشهرون قبضتكم نصرة للحق والعدل وحماية الضعيف"

مال برأسه للأمام مقتربا منها وهمس" لنعد لموضوعنا الأساسي .. هل تكتمين سراً ؟"

مالت هي الأخرى نحوه وهمست بمشاغبة " سرك في بئر عميق".

قال بنفس النبرة الهامسة " لقد تمنيت أن تكون فتاتي بشعر أسود ناعم بدون تموجات كشعر

Des. Maryam Tamim

الخيل مثلك .. هل تذكرين فيلم مولان الفتاة ذات الشعر الأسود التي تتخفى في هيئة رجل لتذهب الى الجيش بدلا من أبيها العجوز ؟"

فأومت برأسها إيجاباً فاستمر بالهمس " لقد عشقت شخصية مولان لأنها تشبهك "

إلتمعت عيناها بتأثر وكلامه مس قلبها فسألته بحنان " بك شيئ مختلف اليوم .. تبدو مسترخياً .. لم أرك هكذا منذ زمن "

لوح بلا مبالاة وقال " لا يوجد سبب محدد (ثم إعتدل ليسأل بإهتمام) أين أمي ؟"

ردت وهي تعيد الحاسوب لحجرها " مع أبي في غرفتهم .. تجهز له ملابسه سينزل بعد قليل يتفقد محلات الموبيليا "

عاد ليسألها متفحصاً " هل مازالت محبطة لإقتراب زواج سيد ؟"

زفرت أروى بيأس " للأسف"

Des. Maryam Tamim

تحرك يسند ظهره على الأريكة " ألم تخبريها أنك لا تكنين له أية مشاعر "

قالت وقد كسى الحزن ملامحها " قلت لها مراراً وتكراراً أني لا أراه سوى كأخ كبير .. لكن يبدو أنها كانت تعلق آمالا كبيرة عليه ".

زفر في ضيق ثم استقام واقفاً يقول " سأذهب لغرفتي .. أين المجنونة ؟"

إبتسمت ثم قالت بلوم " توقف عن نعتها بالمجنونة .. إذا سمعت سنقضي الليلة كلها نفض شجاركما ونهدئ صياحها الهستيري ..آية في غرفتها والمزاج سوداوي حالياً "

مط شفتيه بامتعاض وقبل أن يسأل عن السبب أكملت " رفض أبي ذهابها لرحلة فأغلقت عليها الغرفة منذ ساعات"

***

في غرفة أخرى:

Des. Maryam Tamim

وضع الحاج إبراهيم سماحة يده على كتف زوجته بتعاطف قائلا " كفى حزناً يا إلهام الزواج قسمة ونصيب"

رفعت إليه عينيها العسليتين اللتين تشبهان عيني آية وقالت بحسرة " كنت أتمناه لأروى .. فمن غيره سيرضى أن يتزوجها بوضعها الحالي "

نظر إليها نظر عتاب ليقول " ليس لأننا رييناه مع أبنائنا منذ أن كان في السادسة من عمره أن نطلب منه أن يتزوج ابنتنا ويتحمل ظروفها هذه يا إلهام .. نحن رييناه لوجه الله ولا نريد منه جزاءً ولا شكوراً"

أسرعت أم أحمد للدفاع عن نفسها قائلة " حاشا لله لم أقصد هذا أبدا .. إنه مثل أحمد .. وكما قلت أنا من رييته .. ربي يعلم مقدر حبي له .. ربما لهذا شعرت أنها ستكون بأمان أكثر معه"

Des. Maryam Tamim

فرد إبراهيم بحزم " وهو من حقه أن يختار بحرية زوجته التي سيعيش معها باقي عمره وعلينا أن ندعو له بالسعادة "

رددت وهي تقاوم شعورا بالخيبة بداخلها " أدعو الله من كل قلبي أن يعيش سعيدا وأن يعوضه عن كل سنين اليتم التي عاشها وأبوه على قيد الحياة .. لكن قلبي يعتصر ألما يا إبراهيم .. أروى ستتم الثلاثين قريبا .. هل تعلم معنى هذا "

إبتلع طعماً مراً في حلقه ليقول مدعياً الصلابة " ماذا إن اقتربت من الثلاثين ! .. البنات هذه الأيام يتزوجن بعد الثلاثين بخلاف زماننا .. والأجدر أن تقنعيها بالعودة للعلاج لتستطيع ترك الكرسي والوقوف .. وقتها ستقف وتختار بنفسها زوجها "

تحسرت إلهام في قلبها وقالت " إن رأسها يابس عنيد مثلك .. لا تريد العودة للعلاج .. ولا تأكل مثل البشر .. وتتقوقع كالعادة في غرفتها تقضي عمرها

Des. Maryam Tamim

أمام الحاسوب .. ومهما حاولت معها لا أفلح .. بل إنها تدعي أنها مستمتعة بإنطوائها هذا "
تنهد إبراهيم وتمتم بحزن " لله الأمر من قبل ومن بعد "

***

بعد أيام:

فتحت بانة الأكياس التي أحضرتها على منضدة في المطبخ الصغير بالورشة وهي تقف بجانب عم شكري الساعي الذي يرمقها بإهتمام .. فأنعشت رائحة البن رئتيها وقالت له في سعادة " لقد أحضرت البن.. أتمنى أن يعجب الحاج ".
أومأ برأسه يبعث لها بابتسامة مشجعة وقال " رائحة هذا البن رائعة .. تبدو من متجر متميز "

وضعت يدها على فمها تداري ضحكتها ثم قالت " من محمصة بن شهيرة في وسط العاصمة .. لكني أجيد انتقاء البن الجيد .. وسأغامر اليوم وأضيف

Des. Maryam Tamim

له بعض الإضافات التي نضعها في القهوة عادة في بلدنا ربما يعجب الحاج المذاق الجديد ".

أسند عم شكري جسده العجوز على الكرسي الوحيد في المطبخ وقال " إستعد أيضا لطلب المهندس أحمد فنجاناً .. أنا واثق أن رائحة البن ستصله في مكتبه ليطلب فنجاناً .. إن رائحتها لا تقاوم".

إرتجف جسدها حين ذكر إسم أحمد فأدارت رأسها لعم شكري ليبادرها بالقول " ان لديه أنف ذئب .. يلتقط الرائحة من على بعد .. ومثل هذه الرائحة المميزة للبن لن تفوته (وصمت قليلا ثم تنهد قائلا) انه صعب الإرضاء .. يومياً قد أعيد تحضير طلباته أكثر من مرة .. هذا الكوب به رائحة صابون .. هذا الكوب رائحته عطنة .. هذا الشاي رائحته قهوة .. السكر به رائحة بصل ! (ثم أكمله بلهجة متعجبة) هل تصدق أني يوماً كنت أدهن شقة إبنتي بالطلاء وحين حضرت بعدها بيومين

Des. Maryam Tamim

وأعددت له الشاي .. أصر أن الشاي به رائحة طلاء برغم أنه لم يكن يعرف شيئاً .. وبرغم أني غسلت يدي آلاف المرات قبل أن أحضر للعمل .. واستمر أسبوعاً كاملاً يرهقني بإعادة طلباته حتى أعلن أخيرا بعد أسبوع أن رائحة الطلاء قد زالت".

ابتسمت بانة وهي تستدير لتحضر القهوة.. وتساءلت في سرها هل تحضر للسيد المتذمر فنجاناً ؟ .. لكنها حركت رأسها تنفض الفكرة في توتر وهي تضع الركوة على اللهب..

كانت قد سمعت بالمصادفة من يومين حديثاً بين الحاج سماحة وعم شكري يخبره الحاج بأن نوع البن الذي يعد منه القهوة ليس جيداً .. فوجدت نفسها دون إرادة منها ترد على الحاج باندفاع أن نوع البن هذا ليس جيداً .. بل إنه درجة ثالثة وشرحت للحاج مستويات جودة البن وبعض

Des. Maryam Tamim

المعلومات الأخرى مثل الفرق بين أنواع البن المستورد حسب كل بلد .. فلاحظ الحاج معرفتها التفصيلية بالموضوع فاعترفت له بأن أعمامها كانوا يتاجرون بالبن ويستوردونه ويمتلكون أكبر محمصات للبن في البلاد .. حينها أعطاها الحاج مبلغا وطلب منها أن تشتري بعض البن .. وها هي تحضر له أول فنجان قهوة وهي تنتشي بالسعادة.. وتذكرت يوماً ما كانت تحضر لأبيها فنجان القهوة عصراً وتدخل عليه في مكتبه وهوغارق بين الكتب يستقبلها بوجهه الهادئ الحنون.

بعد قليل طرقت باب المكتب بهدوء وصينية القهوة ترتعش بين يديها .. فأتاها صوته الوقور يأمر بالدخول .. دخلت فرفع رأسه إليها وخلع نظارة القراءة قائلاً " أهلا يا بني .. يبدو أنك قد اشتريت القهوة بالفعل .. رائحتها شهية "

Des. Maryam Tamim

قالت وقد تخضب وجهها بحمرة الخجل " لقد تجرأت وسمحت لنفسي أن أضيف بعض الإضافات للبن .. أعددتها كما نعدها في بلدنا .. إن لم تناسب ذوقك فسأذهب لإعدادها بالطريقة العادية"

تناول الحاج سماحة فنجان القهوة ثم ارتشف منه قليلا وقال " ممتازة .. حقا ممتازة .. عليك بتعليم العم شكري الطريقة "

شعرت بالحماس والفخر وهي تومئ برأسها وهمت بالخروج ثم تذكرت شيئاً فأخرجت نقوداً من جيبها ومدت يدها للحاج فنظر إليها بتساؤل لتقول بحرج " باقي النقود ".

رمقها بنظرة معاتبة ثم قال بجدية " احتفِظ بالباقي يا رامز .. شكراً لتعبك "

شعرت بالضيق والحرج الشديد فقالت " كلا .. شكراً" ووضعت النقود على المكتب وخرجت بسرعة.

Des. Maryam Tamim

عند منتصف النهار إرتمت بانة بجسدها على جذع شجرة قديم على الأرض في الركن الهادئ الذي أصبح مفضلاً لها في ساحة الورشة .. لتنتبه لوقع خطوات تقترب منها أصبحت أذناها تلتقطانها بسهولة .. فحاولت الإسترخاء وإظهار اللا مبالاة .. ليقف أمامها هذه المرة واضعاً يديه في جيبي بنطاله كالعادة ثم قال " رائحة القهوة عالقة بك (وأضاف حين لم ترد) إلتقطت أنفي الرائحة فسألت عن مصدرها .. وأخبرني العم شكري .. أعجبتني جداً ..رائحتها مذهلة كما أن مذاقها مذهل حقيقة .. لكن عندي فضول لاجربها من يديك "

شعرت بانة بالغيظ من قلبها التافه الذي بدأ يرقص فرحاً لسبب لا تعلمه حين سمعت أن مذاق القهوة أعجب السيد المغرور. .

حين لم ترد قال أحمد بسخرية " هل أكلت القطة لسانك يا فتى !"

Des. Maryam Tamim

ردت بصوتها الخشن المستعار " أنا سعيد أن القهوة أعجبتك "

غمز أحمد بعينه قائلا " العمال يتحدثون عنكَ طوال اليوم.. كيف تمارس الألاعيب والحركات المكشوفة لكسب ود وثقة الحاج.. آخرها قهوة اليوم"

قالت بصدمة " أنا !!"

إستمر في السخرية " لكنك يا فتى لا تلعب اللعبة بطريقة صحيحة .. هل أختك من تفكر وأنت تنفذ؟!...فأنت لست فتاة لتحاول التقرب من الرجل العجوز لتثبِّت وضعك .. سأخبرك كيف تكون اللعبة الصحيحة ..تحاول التقرب مني أنا ..فنصبح أصدقاء وربما عرفتني على أختك بعدها لتأسرني بسحرها فأتزوجها وبذلك تكون قد ضمنت مكانك هنا للأبد يا صهري. "

المهانة..

Des. Maryam Tamim

الغضب...

ومشاعرأخرى لم تجد بانة وقتا لتحليلها .. كانت سبب اتنفاضها لتهب واقفة تقول بشموخ وهي تذكر نفسها بالتحكم في صوتها المستعار " نحن لا نعرض بناتنا يا باشمهندس للزواج من أحد .. وليست عائلة الخازن من تُزوج بناتها في صفقات .. يبدو أن كلام الصحف الصفراء التي تبالغ بأن أسر اللاجئات يقبلن بمهورٍ صغيرة لتزويـج بناتهم قد صدقته.. لكني أحذرك من ذكر بناتنا مرة أخرى بهذا الإستخفاف .. بناتنا لا تباع ".

كان جسدها يرتجف من الغضب فاندفعت إلى الداخل غير مدركة لحجم الصدمة التي تعلو وجهه لكنه تحرك سريعاً خلفها يناديها " برامز".. وحين لم تقف جذبها من ذراعها بشدة ليديرها فكادت أن تقع أرضا .. لكنها تماسكت تواجهه.

Des. Maryam Tamim

هدر صوت أحمد مؤنباً " إنتظر يا مجنون .. كنت أمازحك .. لم أكن أعرف أن المزاح معك ينقلب إلى أزمة دولية بين البلدين !.. أنا لم أقصد أي إهانة تجاه أختك صدقني "

شعرت أنها بالغت قليلا فحاولت تهدئة نفسها وهي تسمعه يقول " عموما أعتذر إن كان مزاحي غير لائق في حق أختك"

حين لم يأته أي رد منها أشهر قبضته في وجهها يقول بتهديد " تقبل إعتذاري قبل أن أحطم وجهك المائع الرقيق هذا .. فأنا لا أعتذر لأحد"

لم ترد بانة وهي تحاول استعادة هدوئها فقال أحمد ساخراً وهو يحرك ذراعيه بشكل مسرحي " عليك ألا تكون حانقاً عصبياً هكذا يا فتى .. كن صبوراً و استقبل الحياة بوجه مرح بشوش مثلي تماما ... تعلم مني "

Des. Maryam Tamim

وجدت بانة نفسها تبتسم من كلامه لكنها نسيت أن تغطي فمها المُلفت عند الإبتسام كما تفعل منذ أن قررت التظاهر بأنها ذكر .. تفعل كل ما تستطيع حتى لا تخطئ بتفصيلة قد يلتقطها أحد ويشك ..

إبتسمت بانة في وجهه ولم تدرك ما فعلت به!

إستقبل أحمد ابتسامة الفتى رامز وبدلا من أن يسعد لأنه لم يعد غاضبا توقف قلبه ثانيتين وقال في سره باندهاش "هذا الفتى لا يملك عينين جميلتين فقط بل إن ابتسامته فاتنة أيضاً!"

ماهذا الهراء يا أحمد !!

نفض رأسه وتنحنح ليقول " هيا سأمنحك شرف صنع فنجان قهوة للمهندس البشوش الصبور المتفائل دائما أحمد سماحة "

***

في غرفة آية أتاها صوت سيد عبر الهاتف المحمول يقول " يويا .. كيف حالك؟ "

Des. Maryam Tamim

حركت شعرها الطويل على جانب واحد وهي تقف أمام المرآة والهاتف على أذنها وقالت " هل انتهيت من زيارة ست الحسن والجمال ؟ "

إخترق صوت ضحكته الرجولية وجدانها يجيبها " أجل يا صبية أنا عائد الآن في الطريق"

زفرت وقالت بحنق " مازلت لا أجد سببا يجعلك تخطب فتاة من مدينة أخرى فتقود سيارتك ثلاث ساعات كلما رغبت في زيارتها .. هل اختفت بنات العاصمة كلهن "

أتاها صوته سعيداً " ما ذنبي أن بنات العاصمة ليس فيهن من تشبه جمال ست الحُسن .. كما أن رجلاً عاطفياً مثلي يقدر الجمال جيداً لن يستطيع أن يقاوم أي أنثى بهذا الحسن "

مطت شفتاها بامتعاض ثم سألته " ألن تصحبني من الجامعة .. مر وقت لم تأت لتعيدني للبيت "

قال بجدية " أنتِ تعلمين أن الزفاف وشيك وعندي ترتيبات كثيرة .. كما أني أرسلت عدداً من

Des. Maryam Tamim

ألحاني لأكثر من مطرب وقد تجمعني بعض اللقاءات بأحدهم قريباً .. يا مسهل .. سأرتب أموري وأتصل بك قبلها (ثم أضاف يقول بقلق) لمَ السماء ملبدة بالغيوم اليوم ؟ "

تنهدت ثم قالت "أبي رفض أن أذهب لرحلة مع زملائي لمنتجع (...) .. وأنا مكتئبة ويائسة وغاضبة وكل مشاعري سلبية منذ عدة أيام "

قال سيد بحنان " هذا لمصلحتك يا يويا .. صدقيني ستمر السنين وستتذكرين هذه الايام باعتزاز أن أهلك يحافظون عليك "

إنفجرت غاضبة " بل قل يسجنوني .. يقيدوني .. يتفننون في حصاري .. أنا أختنق يا سيد أختنق .. أنا الوحيدة في الدفعة التي لا تخرج معهم خارج إطار الجامعة... يشعرونني بأني من طبقة أدنى منهم .. بدلاً من أن أشعر بنفسي كأنثى جميلة مدللة .. أجدني ثائرة مشاغبة كصبي بين زملائي .. بت أكره نفسي وأكره أني أكبر في العمر .. "

Des. Maryam Tamim

قال سيد مداعباً لإمتصاص غضبها " أنتِ صبي!! .. أخبريني من تجرأ وقال هذا وأنا سأحطم أنفه .. هل شباب هذه الأيام يعانون من قصر نظر .. أم لديهم مشاكل في مستقبلات الأنوثة "

عقدت حاجبيها في تساؤل وقد هدأت قليلا لتسمع صوته يقول " أنت يويا .. كسكاكر العيد الملونة "

تورد وجهها وقالت بصوت هامس " مر وقت لم تادني بهذا اللقب "

سكت قليلا حتى شكت أن الخط إنقطع ليقطع الصمت فجأة " دوماً ستظلين سكاكر العيد الملونة يا صبية .. حتى لو أتى اليوم الذي لن أستطيع قولها لك صراحة .. دوماً .. وإلى آخر العمر.. ستظلين سكاكر العيد الملونة "

شعرت برغبة في البكاء لكن أتاها صوته يقول بنبرة حماسية " هيا يويا انفضي عنك هذا المزاج البائس

Des. Maryam Tamim

.. سأرسل لك رابط أغنية جديدة إسمعيها وأطلقي
معها عنان مشاعرك "
سألته باهتمام " ما اسمها "
رد عليها " ثلاث دقات "
قالت وقد بدأ النشاط يغزو جسدها " سمعتها ..
الأغنية بها شجن رقيق .. ليتك تراني وأنا أرقص
عليها (ثم هتفت بحماس) مارأيك لو أصور رقصي
على هذه الأغنية وأرسله لك على هاتفك؟"
هدر موبخاً " تحشمي يا فتاة لم تعودي طفلة ..
سأغلق الآن إقتربت من نقطة تفتيش .. سأتصل
بك مرة أخرى .. سلام "
زفرت وهي تلقي الهاتف على السرير ..وتأملت
وجهها في المرآة.. شعرها الطويل الأسود يصل حتى
آخر ظهرها .. شعر ناعم لكنه يحمل تموجات
طبيعية بخصلات تلتف حول نفسها تلقائيا ..
فيتكوم حول وجهها بهالة سوداء كبيرة ..

Des. Maryam Tamim

آخرمرة خرجت الى الشارع بشعرها منذ خمس سنوات كان قصيراً حتى أذنيها لكنه بنفس الهالة المتمردة حول رأسها .. بمجرد أن التحقت بالصف الأول الثانوي فُرض عليها الحجاب .. وكان فرضاً بالفعل .. فقد كان أمراً مباشراً من والدها أنها كبرت وعليها أن تغطي شعرها .. وقتها قضت ليال كثيرة تبكي وحدها شاعرة بالظلم .. ولم تقو على مواجهة والدها في أمره .. وحين أبدت بعض الاعتراض لأمها وسمعها أحمد لم يتوان في تقريعها فثارت عليه وهم بضربها لولا تدخل أمه وأروى ..

وفي أول يوم تجرأت فيه للخروج الى الشارع وهي ترتدي حجابها مكرهة كان سيد في استقبالها وقد بالغ يومها في إبراز جمال حجابها واشترى لها المثلجات وأعطاها هدية .. ووعدها أنه سينتظرها لأسبوع كامل امام المدرسة ليوصلها .. أخبرها أنه سعيد من أجلها وفخور بها أيضاً .. فهدأت ثورتها وتعودت مع الوقت على ارتدائه لكن بداخلها مازل

هناك جانباً يريد أن ينطلق .. يريد أن يتحرر .. يريد أن يثبت للجميع أنها أنثى جميلة ..
وكأن هذا الحجاب كان بداية القيود التي باتت تُفرض عليها تمنعها من الإنطلاق والحرية والسعادة التي تتمناها ! ..

تحركت نحو الهاتف وبحثت في الانترنت عن الأغنية .. شغلتها وأغلقت باب الغرفة جيداً .. ثم أحضرت وشاحاً وربطت به وركيها .. ووقفت أمام المرآة وأنغام الأغنية تتسرب إلى وجدانها .. راقبت جسدها في المرآة وهو يتمايل مع الألحان في منامتها الملتصقة به فتبرزه برشاقة .. بنطالاً وردي وبلوزة بيضاء مرقطة بالوردي وشعرها الطويل الناعم بخصلاته الملتفة حول نفسها في تمرد واضح ..

Des. Maryam Tamim

حركت ذراعيها مع الألحان وعقلها لا يكف عن التفكير ... لو خيروها ماذا تريد أن تفعل في حياتها .. لاختارت أن تكون راقصة ! ..

أجل راقصة تتمايل على الألحان .. تحرر جسدها من الجمود والقولبة والقيود .. لا تقصد أن تكون راقصة عارية .. فهي ترى أن الرقص حالة جميلة رقيقة .. والإنطلاق والأنوثة لا يحتاجان للعري .. بل إن العري هو ما يعطي هذا الانطباع عن الرقص بأنه عمل يستهدف الغرائز.. لكنها ترى أنه يستهدف الوجدان ..

تمايلت أكثر وكأنها تتلوى بعذاب روحها الحبيسة .. فهي تجيد الرقص .. تجيده جداً .. رقصها شرقي تمزجه بحركات من الرقص التعبيري الغربي .. فترقص كأنها تعزف على أوتار جسدها وروحها معاً .. ياليتها تستطيع أن تقف أمام الملايين .. تبهرهم بما تجيده ..

Des. Maryam Tamim

إستدارت في حركة رشيقة ثم مالت برأسها للخلف وشعرها يتراقص في الهواء ... استقامت ثم تحركت بجذعها وخصرها بنعومة وهي تضع يدها على قلبها والألم يظهر على وجهها .. تأسرها موسيقى الاغنية التي لا تبدو حزينة كما تبرزها هي برقصها ..
تذكرت وهي صغيرة .. كانوا يضعونها فوق المنضدة لصغر حجمها وترقص بشقاوة وترى العيون حولها منبهرة بحركاتها المتقنة كراقصة محترفة .. لديها أفلام منزلية مصورة لها وهي صغيرة ترقص .. تتذكر جيدا عيون سيد وهو يحملها بعد وصلة رقص ليدور بها في الشقة وهو يهتف " جنيّتي الصغيرة "

حاولت التذكر كم كان عمرها وقتها؟
ربما سبع سنوات .. وكان سيد يبلغ وقتها واحداً وعشرين عاماً.
ثم فرضت عليها الأحكام العرفية منذ أن بلغت .. (تصرفي كفتاة مهذبة)..

Des. Maryam Tamim

(إرتدي الحجاب)..
(ممنوع الرقص أمام الأغراب) ..
لكنها كانت ومازالت تجد الثغرات في الحصار المفروض عليها لتفعل ما تريد .. لكن هذا يغضبهم..
دائما يغضبون منها .

دوى صوت طرقات عصبية مجنونة على الباب فتشنج جسدها ليأتيها صوت أحمد الهادر بوعيد مرعب " إخفضي الصوت .. ماذا سيقول الجيران.. ملهي ليلي في بيت سماحة!!.. ألا تستطيعين الاستماع دون إزعاج الآخرين "

للحظة تحفزت لتخرج إليه وتصب كل إحباطها وعصبيتها فيه .. لكنها أغلقت الموسيقى في استسلام يائس .. فهي منهكة الآن ولا تقوى حتى على الشجار ..

Des. Maryam Tamim

إرتمت على السرير في وضع الجنين وشعرها يرسم فوضى أنثوية مغرية حولها ..
تقوست ونامت تبكي .

***

فتحت بانة باب شقتها بإرهاق تحرك كتفيها قليلاً لعلها تجد بعض الراحة .. فكل عضلة في جسدها تؤلمها ..
حمدت ربها أن الست نرجس لم تنتظرها على السلم لتسألها عن الإيجار المتأخر ... الحقيقة أن هذه المرأة هادئة تماماً منذ أسبوع ولا تعترض طريقها على الرغم من انتهاء المهلة التي أعطتها لتدفع الإيجار أو تأتي بمستأجر يشاركها الشقة .. بل مر أسبوعان على إنتهاء المهلة ..

تساءلت بانة في سرها هل الست نرجس بخير ؟ .. هل يجب أن تسأل عليها ؟ .. ستنتظر الأسبوع

Des. Maryam Tamim

الباقي على راتب أول شهر في عملها بالورشة ووقتها ستذهب اليها ..

بعد إغلاق أقفال الباب الثلاثة فتحت نور الصالة وانتفض قلبها في هلع فصرخت .. وهي ترى شخصاً يهب واقفاً أمامهاً من أرضية الصالة ..

Des. Maryam Tamim



الفصل الثالث

بعد إغلاق أقفال الباب الثلاثة فتحت إضاءة الصالة ثم صرخت وانتفض قلبها في هلع وهي تشاهد شخصاً يهب واقفا أمامها من أرضية الصالة.. فالتصقت بباب الشقة وهتفت بجزع " بسم الله الرحمن الرحيم ... من أنت ؟.. أو ما أنت؟؟"

كان الماثل أمامها شاباً يبدو في العشرين من عمره ينتفض رعباً هو الآخر ! .. رد عليها بكلمات متقطعة " أعتـ .. أعتذر أني أجفلتَك .. ظننتُكَ تعرف بموعد قدومي "

عادت بانة تهتف وقد بدأت تسيطر على شعور المفاجأة " سألتك من أنت ؟؟؟ "

Des. Maryam Tamim

كان الشاب يختض من الإرتباك فقال" أنا أنا .. عبد الكريم... عبد الكريم عبد البر الحسيني شحاتة .. شريكك في السكن .. وأنت الأستاذ رامز بالطبع " تنبهت بانة أن الشاب يقف بملابسه الداخلية .. بشورت قطني أبيض قصير وفانلة بحمالات .. فشهقت وأدارت وجهها .. ليرتبك الشاب وينظر لنفسه فاحمرت أذناه .. ليهز رأسه يميناً ويساراً يبحث عن ملابسه.. ثم أسرع يسحب الغطاء الذي كان يفترشه أرضا ليغطي جسده وتمتم معتذراً " آسف .. الست نرجس لم تضع لي سريراً بالغرفة حتى اللآن .. وقد وعدتني أنها ستفعل ذلك غداً صباحا .. لهذا نمت على الأرض هنا .. فالأريكة صغيرة وخشبها متهالك وخفت أن أكسرها وأنا نائم.... أستاذ رامز! .. إلى أين أنت ذاهب ؟!!.. أستاااااااذ رامز .."

Des. Maryam Tamim

كانت بانة قد فتحت باب الشقة وانطلقت صوب الشقة المواجهة وجسدها يرتجف من الغضب .. وأخذت تقرع الباب بعنف تنادي على الست نرجس ..

فُتِح الباب لتظهر نرجس وهي تستند ببرود عليه تفرد ذراعها الأيسر لأعلى مستندة على الباب والذراع الثاني على خصرها .. و تلوك علكة في فمها بطقطقة استفزت بانة وودت أن تخربشها بأظافرها .

ركزت بانة في استحضار صوتها المستعار لتقول بعصبية " ما هذا يا ست نرجس؟! " .

ردت نرجس بسخرية " ماذا يا زينة الشباب؟ "

تقبضت بانة وهي تكتم غيظها " كيف تحضرين شخصاً غريباً ليشاركني السكن ؟.. قلت لك مراراً لا أستطيع مشاركة أحد .. ووعدتك بدفع زيادة في الإيجار "

Des. Maryam Tamim

ردت نرجس بعصبية" فاتت المهلة يا عيون نرجس .. وقلت لك من قبل هذه الشقة ليست ملجأ للإيواء "

ردت بانة بيأس " لكن يا ست نرجس بقي أسبوع واحد وأحصل على راتبي .. ماذا أفعل الآن ؟!"

ضحكت نرجس ضحكة رقيعة ثم قالت " لا تفعل شيئا .. إذهب الى شقتك ونَمْ .. وستتعود على شريكك الجديد "

ثم مصمصت شفتيها وهي تضيف " إنه خجول مثلك ... لا أدري لمَ حظي سيئ هكذا مع الرجال .. عمت مساءً يا أستاذ "

أغلقت الباب بعنف في وجه بانة التي وقفت متسعة العينين ذاهلة لا تعرف كيف تتصرف .. فتحركت نحو شقتها لتجد أن الشاب لا يزال يلف

Des. Maryam Tamim

جسده بالغطاء .. واقفا يراقب من بعيد وهو فاغر الفم في بلاهة ..
فدخلت مندفعة تقول " إسمع يا هذا "

قال الشاب بعفوية " عبد الكريم عبد البر الحسيني شحاتة "
أومأت برأسها بإيجاب " يا عبد الكريم عبد البر الحسيني شحاتة .. أنا لا أستطيع ان أسكن مع أحد .. عليك أن تقدر هذا .. إذهب وابحث عن شقة أخرى .. اسحب نقودك من الست نرجس وإبحث عن شقة أفضل .. هذه السيدة تتقاضى إيجاراً مرتفعاً .. تستطيع أن تحصل على شقة بإيجار أقل في هذا الحي "
نظر إليها الشاب متعاطفا ثم قال بحزن " لا أستطيع .. فلست أنا من دفع الإيجار .. الحاج مرسي هو من دفع ثلاثة شهور مقدماً "

Des. Maryam Tamim

عقدت بانة حاجبيها وقالت بعدم فهم "من الحاج مرسي هذا ؟! "
هتف باستسلام " رجل صالح صديق الحاج كرم "
قالت بانة بإرهاق وهي تفرك جبينها "من كرم ؟!"

رد الشاب بحرج" إنه من أقنع أمي أن تتركني للذهاب للعاصمة لألتحق بالجامعة .. يقولون أن لي مستقبلاً كبيراً هنا .. وتطوع الحاج مرسي بالتكفل بمصاريف إقامتي هنا فأنا من أوائل الثانوية العامة وقد حصلت على منحة و ... "
زفرت بانة وهي تخطو نحو الباب لتغلقه بتوتر وهمت بالذهاب لغرفتها حين اعترض الشاب طريقها ليقول " أرجوك يا أخ رامز لا تطردني .. ما علمته أن الحاج مرسي له بعض المال عند الست نرجس فطلب في المقابل أن توفر لي سكنا بهذا الدين .. فاذا ذهبت من هنا فلن أجد مكاناً أسكن فيه .. أنا من الجنوب وهذه أول مرة أحضر

Des. Maryam Tamim

للعاصمة ولا أعرف أحداً .. ووالدتي ستموت من الحزن إذا عدت دون أن أنهي الجامعة .. أنت لا تعلم كيف هي فخورة بولدها الذي جاء ترتيبه الأول في الثانوية العامة .. وطبعت صورتي مع المحافظ لتضعها في وسط البيت ... و .. .. لماذا تبدو ملامحك مثل الفتيات أستاذ رامز ! "

كانت بانة لا تسمع شيئا من ثرثرة الشاب وهي تقف أمامه تفكر ماذا ستفعل في هذه الكارثة حين انتبهت لسؤاله المفاجئ فجحظت عيناها ورمشت بعدم استيعاب تحاول استرجاع السؤال في ذهنها .. فبادرها الشاب بالقول بتركيز " إن عينيك وأسنانك تبدو كالأنثى "

دفعت بانة الشاب الذاهل أمامها لتدخل غرفتها وتغلق الباب .. ثم جلست على السرير وتحاول التفكير في حل لهذه الورطة .. غدا ستُحضِر نرجس

Des. Maryam Tamim

سريراً إضافياً لهذه الغرفة .. وهي لا تحمل نقودا لتبحث عن سكن جديد .. باقي خمسة أيام على أول راتب ..
ماذا سأفعل أين سأذهب؟؟!!..

رفعت ركبتيها أمامها واستندت عليهما بذراعيها ودفنت وجهها .
وبكت ..

كم مر من الوقت وهي بهذه الحالة ؟ لا تدري .. حين رفعت رأسها كانت الساعة بيدها تشير للحادية عشرة مساء .. وصوت في الخارج عند الحمام للشاب عبد الكريم وهو يغلق بابه ..

إن الأمر محرج ومربك.. وفوق طاقة احتمالها .. فانتفضت بسرعة إلى حقيبتها المفتوحة في ركن

Des. Maryam Tamim

الغرفة .. ووضعتها على السرير وبدأت تلملم باقي حاجياتها ..

استقبلها ظلام الشارع بنسمة باردة وبعض الهدوء..
إلى أين تذهب ؟؟؟؟
بعد قليل ترجلت من الحافلة ثم دخلت شارعاً ضيقاً وهي تجرجر حقيبتها على الأرض الغير ممهدة .. فأصدرت أصواتا مزعجة كأفكارها ..

لا تعرف أحداً سوى (شهيرة) .. فهي الوحيدة من بلدها التي تعرف أنها تتنكر في هيئة ذكر ..
بل الوحيدة في العالم التي تعرف ..
شهيرة تعرفت عليها حين وصلت إلى هنا .. كان اللاجئون يتجمعون بعد الوصول في بعض المساجد الكبيرة في العاصمة فلم يكن لهم

Des. Maryam Tamim

مخيمات مثل ما كان يحدث في البلاد المجاورة التي استقبلت اللاجئين ..

وفي المسجد تعرفت على شهيرة وعائلتها عائلة فقيرة مكونة من أب وأم وأربع فتيات .. وكانت بانة وحيدة فاندمجت مع البنات وتقربت من شهيرة و(وردة) أخت شهيرة .. مكثوا في المسجد أكثر من ثلاثة أسابيع .. وقد سمعت خلالها قصصاً لأهال فارين من الحرب يحكون الأهوال.. وعائلات فقدت الأهل أو الزوج أو الولد ..

لن تنسى أبداً ذكريات المسجد ..فقد كانت مؤلمة أكثر من الحرب نفسها ..ففي الحرب أنت تهرب من القصف.. تهرب من القتل .. تركز على نفسك وأحبائك .. لكن مع اللاجئين تسمع قصصاً كثيرة فتعيش تجاربهم وآلامهم من جديد .. فتتشبع بالقصص المؤلمة .. وآلام الفقد وويلات الحرمان .. تتألم وتموت مراراً وتكراراً مع كل حكاية .

تذكر أنها انتقلت بعد ثلاث أسابيع لـ (دار الفتيات).. وهي دار تديرها سيدة من بلدها بالاشتراك مع سيدة من هذا البلد هدفهما تزويج الفتيات لأهل البلد للحصول على الاقامة.. وللستر!

..

وكم كانت تستفزها تلك العبارة ! ..

فلم تكن ترغب إلا في أن تعمل وأن تعول نفسها .. فوقفت في وجه صاحبة الدار تطلب منها أن تجد لها عملا بدلاً من تزويجها من رجل لا تعرفه .. ورفضت الزواج .. رفضت أن تباع من أجل لقمة العيش .. أرادت أن تعيش بكرامة ..

لقد أتت هنا لأن والدها أقسم عليها أن تفر من ويلات الحرب .. أن تبحث عن الأمان .. أن تعيش بصحة وكرامة ..لم تأتي لتباع كسلعة باسم الزواج لأي مشتر ..

Des. Maryam Tamim

ستحافظ على وعدها لأبيها وستعيش .. حتى تضع الحرب أوزارها فتعود ..

حاولت في البداية أن تعمل بحقيقتها كأنثى..لكنها فشلت ..فقد كان الكل يطمع بها .. حين يعلم أنها فتاة وبمفردها .. يتصور أنها لقمة سائغة يستطيع أن يلوكها قليلا ثم يبصقها ..
لكن صاحبة الدار لم تتوان في أن الضغط عليها أكثر وأكثر .. بل لمحت لسمعتها وأنها ستسيئ لبنات الدار ..
ومع هذا تحملت ..
تحملت حتى جاءت الطامة التي دفعتها لأن تخفي حقيقتها ..
حين ماتت وردة ..
إنتحرت..
لم تتحمل فانتحرت ببساطة .

Des. Maryam Tamim

زوجوها برجل من أهل البلد .. أجبروها عليه إجباراً
وكانت لا تزال في حداد على زوجها الشاب الذي
استشهد في الحرب .. كان أهلها يريدون لها الستر
بمنطقهم .. خاصة أنها لم تزل صغيرة ..
ودون أن تعرف التفاصيل أتاها الخبر المشئوم ..
وردة إنتحرت ليلة زفافها .. تناولت السم وماتت في
بيت عريسها الجديد ..
يومها دخلت بانة في حالة من ذهول .. من اليأس
والإحباط ..
رقدت أياماً في شبه هلوسة .. رأت فيها أباها
وأخويها بل وأمها التي ماتت وهي في سن العاشرة ..
رأتهم جميعاً يرعونها .. ويشدون من أزرها ..
يحثونها على المواصلة ..
حتى بدأت تسيطر على نفسها تدريجياً ..
وفي لحظة ما ..
عزمت على المواصلة وتنفيذ مطلب أبيها ..
بالعيش بكرامة .

Des. Maryam Tamim

يومها .. توجهت نحو المرآة وقصت ضفيرتها الطويلة بضربة واحدة من المقص ..
تخلصت من كل ملابسها ..
وارتدت ملابس أخيها رامز التي شاء القدر أن تُحضرها معها في نفس حقيبتها على متن الطائرة دون أن يحضر هو معها !..

استخدمت ملابسه وجواز سفره مستغلة بعض الشبه بينهما.. وخصوصا أن صورة رامز في جواز السفر قديمة نسبيا .. لكن بالتأكيد من يدقق في الصورة سيكتشف أنها ليست رامز..لذا هي تتهرب من الشرطة حتى لا تُكتشف هويتها الحقيقة .. لا تريد أن تكون مطمعاً لأي أحد من ذوي النفوس الضعيفة وما أكثرهم في هذه الدنيا..

إنه الخوف ...

Des. Maryam Tamim

الخوف هو ما يسطير ويتحكم فنتخفّى لنُخفي ما نخشى عليه.

في هيئة رامز هي تستطيع التحرك .. تستطيع العمل .. وتستطيع أن تعيش دون أن تلاحقها النظرات والمطامع أو الاشاعات التي قد تلوك سمعتها في الأفواه ..

لكن إلى متى يا بانة ؟..
هي نفسها لا تعرف ..
لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

وصلت إلى بيت شهيرة وطرقت على الباب .. شهيرة تزوجت من رجل من أهل البلد هنا متزوج من امراتين وهي الثالثة .

Des. Maryam Tamim

فتحت شهيرة الباب لتشهق منادية باسمها الحقيقي (بانة).
إرتمت عليها بانة تحيطها بذراعيها .. فهتفت شهيرة بجزع " إحترسي يا فتاة أنت في هيئة رجل والناس في الشارع .. ستفضحينني "

تنبهت بانة فأسرعت بالابتعاد عن شهيرة.. فقالت الأخيرة بقلق " ما بك يا بانة ؟"

ردت بانة بتوسل " أحتاج لمكان أبيت فيه لخمسة أيام فقط "
إرتسمت علامات الحزن والعجز على وجه شهيرة وهي تقول" أنت تعرفين أني لا أعرف أحدا هنا سوى زوجي وعائلتي .. وبكل أسف زوجي هذا الاسبوع يبيت عندي.. ليتني أستطيع إستقبالك .. لوكنتِ بهيئة الأنثى كنت استضفتك لكن بهذه الهيئة.. "

Des. Maryam Tamim

سكتت في حرج وهي تفرك أصابعها بارتباك وتوتر .. فتظاهرت بانة برباطة الجأش لتخفف عنها " لا عليكِ يا شهيرة .. أتفهم موقفك جيداً .. أنا خمنت ربما تعرفين مكاناً أبيت فيه .. أعتذر عن إزعاجك " .

قالت شهيرة بألم واضح وقد بدأت دموعها تغرق وجهها " آسفة يا بانة.. آسفة جداً .. ليتني أستطيع المساعدة " ..

طمأنتها بانة بشجاعة " لاعليك يا فتاة .. أخبريني هل أمورك جيدة؟"

قالت شهيرة وهي تتلفت يميناً ويساراً بالشارع لتتأكد أنه ليس هناك أحد يراها تتحدث مع شاب أمام المنزل " أنا بخير الحمد لله .. لقد أنجبت فتاة .. أسميتها وردة " .

ابتلعت بانة طعما مرا في حلقها وردت بلوعة قلب " بارك الله فيها"

اقترحت شهيرة " لما لا تعودين لدار الفتيات ؟ "

Des. Maryam Tamim

ردت بانة بحدة " لن أذهب لهذا المكان لأباع مثل البضاعة لأفضل مشتر "

نكست شهيرة رأسها في حزن فتداركت بانة ما تفوهت به لتقول بنبرة أقل حدة " أعتذر يا شهيرة .. لم أقصد "

ردت شهيرة بتفهم " لا عليك .. لكن ليس كل الزيجات فاشلة وليست كل الفتيات تعيسات صدقيني ..

ردت بانة معترفة " أعلم ولا أعمم لكني لا أستطيع أن أفعلها هذا كل ما في الأمر "

سألت شهيرة باهتمام " ماذا ستفعلين الآن "

قالت بانة وهي تهم بحمل حقيبتها " لا تشغلي بالك سأتصرف "

هتفت شهيرة " إنتظري يا بانة قليلاً "

Des. Maryam Tamim



ذهبت الى الداخل وغابت بضع دقائق ثم عادت بكيس من البلاستيك فسألتها بانة في دهشة " ما هذا ؟! "

أجابت بارتباك " هذا طعام ..ألم تشتاقي لطعامنا .. لقد طبخت اليوم بعضاً من أكلاتنا الشهيرة أراهن أنك لم تذوقي طعام الوطن منذ مدة"

التمعت عينا بانة بالدموع ومدت يدها تحمل الكيس في حرج .. ثم لوحت لشهيرة وتحركت تجر الحقيبة بيدها الأخرى وهي تفكر " أين سأذهب؟ .. "

تذكرت سيد صديق أحمد . .. هي تحتفظ برقمه في ذاكرتها وقد طلب منها أن تطلبه إذا احتاجت لشيء وهو شخص يوحي بالثقة.. لكنها تراجعت عن الفكرة .. لأنها خشيت أن يخبر أحمد وهي لا تريد أن تبدو مثيرة للشفقة أمامه هو بالذات .



بعد منتصف الليل ترجلت من سيارة الأجرة الجماعية لتقف أمام الورشة .. تتنفس الصعداء وتحمد ربها أنها في هيئة رامز .. فالسيارة كانت فارغة إلا منها في هذا الوقت من الليل وفي هذا الطريق الهادئ جدا.. وسائق السيارة بدا لها فاقداً للتركيز ودخان سيجارة برائحة غريبة تفوح من المقعد الأمامي .

المكان حولها مخيف .. مساحات من الأراضي الواسعة حول الورشة التي تقف وحدها في الظلام.. مثلها تماماً ..
والظلام يحيط بها من كل جانب إلا من بعض البنايات المتفرقة البعيدة عن محيط الورشة تصدر منها أنوارً على استحياء تساهم مع عواميد النور الضعيفة على الطريق في رسم بصيص من الضوء في هذه اللوحة حالكة السواد أمامها ..

Des. Maryam Tamim

بالطبع الورشة بوابتها مغلقة .. ماذا كانت تظن ؟ أن تأتي فتجد الورشة تفتح لها ذراعيها لتحتمي بها !

..

تحركت بمحاذاة سور الورشة حتى دخلت طريقا فرعيا .. الطريق مظلم لكنها لن تستطيع الجلوس أمام بوابة الورشة فتلفت إنتباه المارين على الطريق الرئيسي وخاصة دوريات الشرطة.

في بقعة ما جلست فوق حقيبتها تقاوم مشاعر مختلطة .. الخوف أعظمها وأكثرها بُغضا ..ولامت نفسها على تهورها في تعجلها لتركها للشقة !..فكان من الممكن أن تبقى بنفس الوضع تجلس على حقيبتها في غرفتها تنتظر الصباح لتذهب بدلاً من وضعها الآن ..

" تبا ! لتهورك يا بانة .. المبيت مع رجل أهون؟.. أم المكان الذي تجلسين به الأن؟! " ..

Des. Maryam Tamim

نفضت الأفكار عن رأسها مدعية الشجاعة ..
وفتحت الكيس الذي أخذته من شهيرة ..تحدث نفسها قائلة " هذه ليست أول مرة تنامين فيها في الشارع يا بانة .. قمت بها خلال الليالي الثلاث الأولى بعد أن تركتِ فيها دار الفتيات منذ عامين .. هل نسيتي ؟...
نمتِ يومين تحت كوبري قديم بالشارع واليوم الثالث في نفق مشاة إتقاءً للبرد .. كان مكاناً يتجمع فيه المتسولون .. أنت شجاعة بانة الخازن"

فركت كفها على ذراعها تحاول أن تبث في نفسها روح الحماسة أكثر فقالت" بل إن هنا أفضل من وضعك تحت الكوبري أو في نفق المشاة .. هنا لا يوجد أحد يضايقك او يتنمر عليك .. فحتى في عالم المتسولين هناك من يستغِل الأضعف دائما لإبراز القوة .. بالرغم من تصورك للعكس .. بأنهم يتعاطفون مع بعضهم البعض لأن الشعور بالحاجة

Des. Maryam Tamim



واحد .. لكن يبدو أنك كنت تنظرين للعالم نظرة رومانسية.. واصطدمتِ بالحقيقة العارية (أن الجوع كافر والحاجة مُرة) .. ومثلما صاحب المال يفتن به ويكون اختباراً له من الله .. فالفقر أيضا يظهر أفضل وأسوأ ما في النفس البشرية .

رائحة الطعام الشهية تتسرب الى وجدانها فتثير فيها حنينا لأيام إفتقدتها ..

الوطن ..
حيث الأهل والإخوان ..

تذكرت شقتهم الصغيرة في المدينة .. والدها الأستاذ الجامعي عبد الله الخازن وأخواها فراس ورامز .. تذكرت مشاكستها معهما وهي أصغرهما .. أمها التي توفيت وهي صغيرة فكانت هي سيدة المنزل يعتمد عليها ثلاث رجال .. كانت تتذمر

أحياناً .. تقارن نفسها بزميلاتها المدللات أحياناً....
ليتها تعود تلك الأيام وتعود تلك المشاكسات ..
ودت لو تفتح عينيها لتجد أنها عاشت كابوساً بشعاً
وأنها في حضن أبيها .. وأخويها يحومان حولها
بنزعتهما الدائمة لحمايتها ..

وبخت نفسها " كرهتِ حمايتهما الزائدة يا بانة !
.. كنت تولولين حين يبالغ أحدهم في حمايتِك ! ..
كنتِ تتهميهما بالتسلط ! .. هنا أنت تشاركين
كلاب الشوارع النوم على قارعة الطريق.. تشتاقين
للحماية والثقة في أحد .. تتمنين أن تنامي بضع
ساعات دون خوف دون قلق ! .."

وضعت لقمة في فمها وهي تقاوم البكاء تحدث
نفسها " هل كنتُ أترفع دون قصد عن الإعتراف
بنعم الله عليّ حتى عاقبني؟ ... استغفر الله العظيم

Des. Maryam Tamim

(صمتت قليلا تمضغ بعض الطعام ثم تمتمت)
يارب إن كان هذا بفعل ذنوبي فاغفر لي خطيئتي"

حاولت الهرب إلى ذكرياتها حتى تقاوم الشعور المرعب للمشهد حولها .. بالإستمرار في التحدث لنفسها بصوت عال لتقاوم صرير الحشرات الذي يرعبها .. لتدندن بعد قليل بصوت جميل أغنية لفيروز ..فلطالما شكلت فيروز وجدانها .. لكنها لم تكن تعلم أنها ستغني هذه الاغنية يوماً بينما كلماتها تجلدها كالسياط ..فغنت بانة بصوت مجهد وفم مليء بالطعام بطعم الوطن والدموع :

سنرجع يوماً الى حينا..
ونغرق في دافئات المنى.
سنرجع مهما يمر الزمان ..
و تنأى المسافات ما بيننا.
فيا قلب مهلآ و لا ترتم ..



على درب عودتنا موهنا.
يعز علينا غداً أن تعود..
رفوف الطيور و نحن هنا.
هنالك عند التلال تلال..
تنام و تصحو على عهدنا
وناس هم الحب أيامهم
هدوء انتظار شجي الغنا
ربوع مدى العين صفصافها
على كل ماء وهى فإنحنى
تعب الظهيرات في ظلها
عبير الهدوء و صفو الهنا
سنرجع خبرني العندليب
غداة التقينا على منحنى
بأن البلابل لما تزل هناك تعيش بأشعارنا
و مازال بين تلال الحنين
و ناس الحنين مكان لنا
فيا قلب كم شردتنا رياح

***

اليوم التالي :

فتحت آية سيارة سيد وألقت ببعض الكتب في المقعد الخلفي.. لتستقر بجانبه.. فتأملها قليلا ثم استدار يحرك مقود السيارة وهو يسأل "من هذا الشاب ؟ "

ردت أية بعدم إهتمام " أيُهم ؟"

قال وهو يحدق في الطريق أمامه " ذو القميص الأزرق"

قالت ببرود " هذا وليد.. لماذا تسأل؟"

لوح بكفه بلا مبالاة " ينظر لك نظرات خاصة "

ابتسمت بشقاوة وهي تحرك حاجبيها " هل لاحظت ذلك خلال الدقائق القصيرة التي انتظرتني فيها ؟.. أم أن نظراته مفضوحة إلى هذا الحد ؟"

حرك كتفيه ورد " لا أدري لكني لاحظته "
شمخت بأنفها وهي تعدل من ملابسها بحركة
إستعراضية ثم قالت بفخر "وهل هناك من يقاوم
سحر آية سماحة "
ابتسم لعينيها الشقيتين .. ثم قال محذرا " آية أنتِ
تحفظين التعليمات أليس كذلك ؟"
تأففت وتغير مزاجها لتقول بإيقاع رتيب كأنها تعيد
تسميع نشيداً مدرسياً تحفظه عن ظهر قلب "
أجل سيدي .. إحترسي يا آية .. الشباب حتى نهاية
مرحلة الجامعة معظمهم غير جادين في الإرتباط ..
يميلون لعلاقات غير ناضجة .. حتى لو شعرتُ
بشعور تجاه أحدهم على ألا أتهور .. وأن أضع
حدوداً للزمالة .. ولا أسمح بعلاقة خارج إطار
الجامعة (بلعت ريقها وأكملت بلهجة ساخرة)
المشاعر قد تضعفنا ومن أجلها قد نفقد أنفسنا " .
رد سيد يغيظها " فتاة مطيعة "

Des. Maryam Tamim

سألته" لمَ أنت قلق هكذا بالرغم من أني أكثر هدوءاً من أعوام مضت ؟"

زفر سيد معترفا" ربما لأني كنت متواجداً من قبل .. أما الآن فلا أستطيع التدخل في كل وقت .. أنت أصبحت شابة وتحركي حولك غير مرضي لمعظم الناس " .

عبست آية وأدارت وجهها نحو النافذة في شرود .. لتهتف بعد قليل بمشاغبة وهي تغمز بعينها " هل تذكر باسم من المدرسة الثانوية ؟"

ضيق سيد عينيه قليلا ثم رد " الفتى ذو الشعر الأشقر ؟"

ضحكت تقول " هذا زياد "

فكر قليلا وقال " الفتى القصير ذو الشامة السوداء؟"

كتمت ضحكتها وقالت وهي تلعّب بحاجبيها" هذا لؤي .. أنا أقصد باسم .. الفتى صاحب الفيلا الذي جعلتني أحضر عيد ميلاده ونحن ندعي أني في درس

Des. Maryam Tamim

خصوصي ووقفت تنتظرني خارج الفيلا .. كم كان عمري وقتها .. أعتقد ١٦ عاما " .

مط شفتيه بامتعاض وقال " لا أدري كيف سمحت لك بفعل هذا .. أقسم بالله لو علم الحاج سماحة أو ابنه بما سمحت لك به لكانا علقاني مثل الذبيحة على أول الشارع".
لمعت عيناها بنجوم مضيئة وقالت بامتنان " أنت الوحيد الذي تفهمني يا سيد .. هل تعلم أني كنت سأموت لأحضر هذا الحفل ؟ .. كان وقتها لدي فضول شديد لأتعرف على باسم .. كنت مبهورة بإحساس أن يكون هذا الفتى الثري الذي يعيش في فيلا يهتم بي .. كان يتملكني الفضول لأحضر حفلا في فيلا مثل سندريلا .. ولولا تفهمك ربما كنت تهورت لفعل شيء خاطئ .. ربما ذهبت من دونكم .. و ربما اكتشف أحمد ما فعلت .. ربما هربت من المنزل.. ربما قطعت شراييني .. لا أدري .. كنت

Des. Maryam Tamim

وقتها أعيش أصعب فترات مراهقتي.. أكره ذاتي والجميع.. وقد بدأت القيود تلتف من حولي " .

تنهد سيد وتأمل عينيها العسليتين ثم استدار للطريق أمامه وهو يعترف " أنت فضولية جداً يا آية فيما يتعلق بالجنس الآخر ..وأنا كنت ومازلت أخشى عليك من هذا الفضول الزائد عن الحد .. إذا لفت نظرك أحد تتبعين فضولك بجرأة .. كنت أعلم أنه مجرد فضول سرعان ما سيخبو بداخلك لكني كنت أخشى من هذا الفضول اذا ما حوصر وتقيد أن تستسلمي لجموحك فتؤذين نفسك .. فكنت أحاول أن ألبي نداء وحش الفضول لديك بشكل لا يؤذيك .. حتى يستكين "

ابتسمت عيناها وتكتفت وهي تعقب " فكنت تربطني بطرف الخيط وتتركني أتحرك نحو فضولي وأنت تمسك بالطرف الآخر وتقف بالقرب مني تراقب فاذا استلزم الأمر تدخلك تتدخل لتحطم كل

Des. Maryam Tamim

شيء أمامك وتخرجني سالمة أنتشي بإرتواء فضولي
"

ضحك الاثنان وهما يستعيدا الذكريات لتكمل آية بحماس " لا أنسى يوم ذهبت للفيلا .. كنتَ متوتراً جداً وأنت تقف خارج الفيلا تحوم كأسد قلق .. ولا أنسى تعليماتك وقتها (غلظت صوتها وكأنها تقلد صوته وأكملت) هاتفك في يدك يا فتاة سأتصل بك كل ربع ساعة .. أمامك ساعة واحدة وتخرجين .. إذا اتصلت ولم تردي بعد الرنة الثانية سأقتحم المكان .. لا تشربي ولا تأكلي شيئا بالحفل .. لا تجعليه يختلي بك .. أنتم أصدقاء فقط .. لا سلام باليد على أحد سأقتلك لو فعلتها .. وغيرها من التعليمات التي وترتني وقتها جداً حتى أوشكت ألا ادخل " .

زفر سيد وقال بصدق " كانت أصعب ساعة مررت بها .. لُمت نفسي كثيرا .. وسألتها.. هل أتصرف

Des. Maryam Tamim

معك بشكل صحيح ؟.. هل كان علي أن أمنعك مثل أحمد؟.. أردت ان تستكشفي الحياة وتتعلمي بنفسك وأنا بجانبك أحميك من تهورك ومن الناس"

هتفت بسرعة وقد بدأت الذكريات تتدفق لذهنها أكثر "هل تذكر معلم التاريخ الذي ضربته ؟" لاح الغضب على وجه سيد " كيف أنسى ذلك القذر .. يحشر ورقة صغيرة في ورق المراجعات يغازل فتاة مراهقة " .

اكملت آية وهي تسترسل في الذكريات " يومها لم أعرف ماذا أفعل .. فكرت أن أخبر أحمد لكني خشيت أن يلومني ويتهمني بأني شجعته فأخبرتك (ثم انفجرت في الضحك) المسكين حتى الآن إذا قابلني صدفة يستدير برعب كأنه قابل شبحاً .. لقد بالغت بتأديبه وأخبرت الشباب الثلاثة ليكملوا

Des. Maryam Tamim

المهمة .. لم أصدق حجم العنف وقتها منكم جميعا"

قال سيد بقرف " يستحق مادام يغرر بالفتيات الصغيرات ".
نظرت إليه بامتنان " ودافعت عني أمام أحمد بأنه من المستحيل أن أكون قد شجعته .. هذه الثقة أشعرتني بالسعادة ووضعتها أمامي لتعينني ألا أستسلم لجموحي وألا أخون الثقة ".
رد سيد مدافعا عن أحمد" أحمد قليل الصبر.. وإزداد نزقاً وعصبية بعد الحادث.. وإحساسه بالذنب أحيانا تجاه أروى يجعله يضيّق عليك بمشاعره بقسوة كنوع من الحماية.. صدقيني هذه طريقة أحمد في إبراز مشاعره (تنهد ثم قال مغيرا الموضوع) هل وليد هذا يعجبك ؟"

Des. Maryam Tamim

إحمر وجهها قليلاً وقالت مراوغة " ربما .. وربما شاب آخر .. مازالت مشاعري مذبذبة ولم تستقر .. اعتقد اني مازلت أتخبط في فضولي نحو الشباب ."

قال بهمس وكأنه يحدث نفسه " أتمنى ألا تذوقي الحب أبدا "

هتفت بجزع " لماذا تتمنى لي أمنية سيئة كهذه يا سيد .. بل أتمنى أن أعيش حباً عظيماً في حياتي"

قال بصدق " صدقيني يا آية الحب ليس جيداً كما تظنين .. الحب للرجل ضعف فما بالك أن تحب الفتاة .. ستمنح وقتها دون مقابل .. ماذا لو كان من تحبينه لا يبادلك الشعور نفسه و قام باستغلالك أو خيانتك؟ .. ستتألمين يا صبية .. وقد تخطئين وأنا لا أتمنى لك هذا .. أتمنى أن تجدي من يحبك ويدللك ويجعلك أميرة متوجة.. لتنعمي بحبه هو ."

Des. Maryam Tamim

مطت شفتيها وقالت بامتعاض " وهل هكذا تعامل ست الحسن و الجمال ؟" .
إتسعت ابتسامته وقال " إنها تزداد حسناً وجمالاً كل مرة .. فماذا تنتظرين مني "
مصمصت آية شفتيها فقهقه ضاحكا .

سألته مغيرة الموضوع " ماذا ستُسمعني الآن "
رد بسعادة " عندي أغنية شعبية رائعة "
قالت بإمتعاض " أنا لا أسمع تلك الأغاني الشعبية ولا أتخيلك أنت بدراستك للموسيقى تسمع مثل هذه الأغاني"
أجابها مدافعاً " هناك أغان في تراثنا الشعبي غاية في الإبداع يا يويا "
قالت بإصرار " لكني أريد أن أسمع ما كنت تسمعه قبل أن أركب السيارة "
ومدت يدها لمشغل الموسيقى بالسيارة لتسترجع آخر أغنية ..فغرد صوت أم كلثوم:

Des. Maryam Tamim



"كان حبك هنا وحنية "

صفقت آية بفرح وهو يراقبها بعينين لامعتين كيف تبهجها الموسيقى مثله .. بينما هتفت تغني بانطلاق مع الاغنية :

كان قربك هنا وحنية
وليالي جميلة هنية
طار بيا الأمل بجناحه
طار بيا الامل بجناحه
ولمست النجوم بأيديا

فهتف بصوت عال " صوتك نشاز يا آية .. توقفي عن الغناء "

لكنها اندمجت وأخذت تلوح بذراعيها بإنطلاق تغني .. فشاركها الغناء بصوته ذو البحة وقلبه يقفز في صدره يوازن المقامات التي تدوس عليها بشقاوتها بينما السيارة تنهب الطريق .



***

التكيف ..

هو أحد أهم أسلحتها لمواجهة القدر ..

هذا هو ما أقنعت به نفسها لمواجهة الألم ..

قد يعتقد البعض أنها مستسلمة ..

ربما تكون كذلك لكن ليس بالمعنى السلبي للكلمة..

لماذا لا نطلق على الأمر لفظ .. التكيف مع المصاعب.. الكوارث ..

وكارثتها لم تكن هينة أبدا .

من شابة مقبلة على الحياة تخرجت من كلية التربية الموسيقية .. عازفة كمان بدأ يسطع نجمها في قصور الثقافة وفي الوسط الموسيقي .. لفتت إليها الأنظار لموهبتها في العزف على آلة الكمان ..

فنجحت أن تكون نجمة حفلات موسيقية يأتيها الجمهور الشاب للاستماع لعزفها..

إلى كائن يتقوقع على ذاته باستسلام ..

علاقتها بالكمان كانت أول تكيفها مع القدر .. حين غارت وهي صغيرة من سيد صبرة لصوته الجميل .. فهو أول من نبهها لعالم الألحان .. وهي ترى أهل الحي ينصتون لصوته بإعجاب .. فتمنت أن يكون لها صوت جميل مثله تغرد به فتبوح بأحاسيسها وأوجاعها وأفراحها ..لكنها لم تكن تملك الموهبة. فلم تيأس ..

كمتكيفة ممتازة بحثت عن بديل ودرست الموسيقى وأحبتها بصدق ثم كانت على موعد مع آلة الكمان.. فأصبحتا صديقتين.. وأصبحت تغرد بآلتها كيفما تشاء .. فكانت الكمان هي صوتها الذي انطلق يصدح في الأجواء .

تركت أروى صحن طعام الإفطار وحاولت رفع بعض الأطباق على صينية وضعتها على حجرها .. وتحركت نحو المطبخ وهي تسمع إعتراضات

Des. Maryam Tamim

والدتها أنها لم تأكل جيداً .. فنظرت للطعام في الصحون الذي لم تستطع أن تضغط على نفسها لتكمل حتى نصفه .. شاعرة أن الطعام سيخنقها ..

تحركت بالكرسي المتحرك نحو المطبخ ووضعت الصينية على المنضدة ..ثم ضغطت على زر التحكم بالكرسي الآلي واتجهت نحو غرفتها .. عالمها الصغير ..

في هذه الغرفة قضت آخر أربع سنوات حبس اختياري بين جدرانها.. ما بين كرسيها المتحرك وسريرها وحاسوبها المحمول .. مثلث حياتها الهادئة ..
تنهدت .. متسائلة مالذي حرك شريط ذكرياتها اليوم؟ ..
ربما تلك المناقشة التي خاضتها في أحد المنتديات على شبكة الانترنت أمس حين ناقشت رواية

Des. Maryam Tamim

جديدة كانت بطلتها متمردة على الأقدار .. فكانت مناقشة حامية مابين مؤيد ومعارض ..

توجهت نحو الخزانة وأخرجت منها صندوق الكمان .. تحسست سطح الصندوق في حنين .. وآثار خربشات وخدوش تغطي الصندوق وجزء صغير منه مكسور.. ففتحت الصندوق ببعض الصعوبة بعد عشر سنوات مضت كان مغلقاً على ما يحتويه..

"كماني العزيز .. إشتقت لك .. لكني فقدت جزءاً من روحي منذ ذلك اليوم البعيد "..

يوم أصيب الكمان بالخرس .

Des. Maryam Tamim



قبل عشر سنوات :

كانت تستعد في توتر للحفل .. تقف في الكواليس متوترة وحدها ... أحمد أوصلها وتركها ليذهب لموعد هام .. واعداً أن يأتي بعد ساعتين ليأخذها .. كان وزنها أكثر بكثير من وزنها الحالي وبالرغم من هذا كانت طويلة رشيقة القد ببشرتها الخمرية الساحرة وفستانها الأنيق بلون الزرقة حين تميل للخضرة مع حجابٍ أنيق أضفى عليها هالة من الوقار والملائكية والجاذبية .. كعازفة كمان متفردة الهيئة .. تبدأ مشوارها الفني..

وقد بدأ صيتها يصل إلى أكثر من وسط موسيقي بهيئتها الرقيقة بالحجاب أحدى مميزات شخصيتها الموسيقية ..

لم يوقفها الحجاب عن تحقيق ما تحلم به بل عافرت لتقدم نفسها كمحجبة وسط مجتمع ارتبط في ذهنه عالم الموسيقى في الأذهان بالخلاعة ! ..

يومها كانت بدارالأوبرا في حفل كبير وسمحوا لبعض المواهب الشابة – وهي منهم - بالإشتراك في الحفل كنوع من التشجيع ..
يومها أوصلها أحمد ككل مرة تخرج فيها إلى حفل يوصلها ويعيدها .. هذا شرط والدها وهي لم تجد في ذلك مشكلة .. ولم يستطع أحد من عائلتها الحضور معها لاقتصار المدعوين على الشخصيات الهامة ..

ذكرى تلك الليلة التي بدأت كحلم فوق السحاب وانتهت بكابوس لم تفارقها أبدا وإن ادعت غير ذلك ..

حين وقفت على المسرح الكبير المهيب أمام جمهور مختلف عن جمهورها الشبابي الذي تقابله في قصور الثقافة والحفلات الصغيرة .. وضوء

Des. Maryam Tamim

الكشافات المسلطة علي المسرح يحجب عنها الوجوه بالقاعة الضخمة المخيفة أمامها .. والكثير من الرؤوس المتراصة في الظلام وبعض الهمهمات المنبعثة من هنا وهناك ..

دقات المسرح ..

وصوت دقات قلبها كقرع الطبول يشوش على ضبط الايقاع ..وخداها وأذناها تحت الحجاب يشتعلون من التوتر وأطرافها باردة كالثلج ..

وبدأ العزف ..

دقائق فقط واندمجت .. أغمضت عينيها وتخيّلت شخصاً واحداً فقط تعزف له..وجهاً أرادت أن تعزف أمامه يوما ما ولم يسعفها القدر ..

يومها قدمت عرضاً مميزاً لفت إنتباه شخصيات مهمة .. فإنهالت التهاني والتبريكات من الفرقة ومن الإداريين بعد إنتهاء فقرتها .. فكان ذلك اليوم

بمثابة بداية مرحلة جديدة ..لكن الأقدار كانت لها كلمة اخرى .

حين إنتهت فقرتها حاولت الوصول لأحمد عبر هاتفه لكنه لم يستجيب .. فإستمتعت قليلا في كواليس المسرح بأداء بعض الفنانين الكبار .. فكانت فرصة جيدة للمتعة ..لكن أحمد تأخر كثيراً.. وبدلا أن يأتيها الساعة الثامنة لم تستطع التوصل إليه قبل الحادية عشرة مساءً .. أخبرها أنه في الطريق وطلب منها إنتظاره في حديقة دار الأوبرا الخارجية ..

كان أحمد يومها على موعد مع مدرب في نادي كبير قد يختار بعض المواهب الجديدة لضمها للنادي .. فقد كان حلمه أن يكون لاعب كرة قدم .. فكان متيماً باللعبة إلى حد الجنون .. يرسم أحلاما كبيرة صورتها له موهبته أن الفرصة قادمة بالتأكيد ..حتى انضمامه لكلية الهندسة كان ضغطاً من أبيه

Des. Maryam Tamim

.. أما هو فالإحتراف كلاعب كرة قدم كان حلمه العزيز ..

يومها كان يبلغ من العمر واحد وعشرين عاماً يكبرها بعام واحد فعاشا بمثابة التوأم ..
يومها أخبره وكيله الرياضي بذلك الموعد لاختيار مواهب للانضمام لناد شهير وإنتظر كثيراً دوره .. فالمتقدمون كانوا بأعداد كبيرة لكنه كان متفائلاً وواثقاً من فرصته .. لكن الوقت مضى ودوره لم يحن وأدرك أن الوقت قد تأخر وأن أروى تنتظره منذ ثلاث ساعات فلم يجد مفراً سوى حزم أمره والعودة إليها تاركاً وكيله الرياضي يصرخ متهماً إياه بإضاعة الفرصة..
حين اقترب من محيط دار الأوبرا كان الوضع جنونياً .. زحام وسيارات إسعاف وشرطة وطرق مغلقة ..
حين سأل صُدم ..

Des. Maryam Tamim



قنبلة إنفجرت في دار الأوبرا ..أسفرت عن إنفجار داخل المسرح وانهيار أجزاء من المبنى نتيجة للإنفجار ..فلم يشعر بنفسه إلا وهو يترك سيارته وسط الطريق يهرول في الزحام ... يشق طريقه إلى أروى ..

حين وصل كان الوضع كارثياً بحق .. نصف المبنى كله مهدم .. ومعظم من كانوا بالقاعة الرئيسية في عداد الأموات .. الشرطة تطوق المكان وأفراد الإسعاف وغيرهم يبحثون عن جثث الضحايا ..

للحظات إعتقد أنه في كابوس ..
أو أنه يشاهد فيلماً كارثياً ويستطيع أن يغلق القناة فوراً ..
ساعتها توقف الزمان والمكان .. وبدا أن خاصية الإدراك لديه قد تعطلت .. وحاول عقله طمأنته ..

أنه طلب منها أن تكون بالحديقة .. سيجدها في ساحة المكان.. إن شاء الله سيجدها خارج القاعة .. وبإذن الله ستكون حية .

إخترق الساحة بعد بعض الإعتراضات من الشرطة لكنه لم يكن في حالة تسمح له بالتفكير في أي شيء سوى أروى .. الأشلاء تملأ الساحة بالجثث والمصابين .. فأخذ يبحث عنها في الوجوه .. ودار حول المبنى بينما أصوات انهيارات ناتجة عن الإنفجار مازالت مستمرة جعلت المنقذين والناجين يبتعدون ..

حين لمحها كانت مستلقية على بطنها تحتضن كمانها أو تنام فوقه وعلى ظهرها أحد عواميد الإنارة الضخمة .. فهرع إليها .. لتصرخ فيه بأن يبتعد فالمبنى الملاصق للعمود مازال ينهار على فترات .. نظر للمبنى فوقها وبعض أجزاء الخرسانة الضخمة

Des. Maryam Tamim

توشك على للسقوط .. ثم ركض نحوها وهي مستمرة في التوسل والصراخ أن يبتعد ..
في لحظات الخوف لا يهزم غريزة البقاء بداخلنا سوى شخص نحبه أكثر من الحياة فتكون مهمة بقائه آمنا أهم من الحياة نفسها ..
حاول رفع العمود بصعوبة لكنه كان ثقيلاً .. نظر حوله يصرخ " هنا .. هنا فليأت أحد .. فليساعدني أحد"
لكن الجميع كانوا بالجانب الأيمن من المبنى وحوله .. بينما أروى تتوسل إليه أن يتركها ويبتعد ..
رفع العمود بكل ما أوتي من قوة ... ليزيحه قليلا ويضعه بجانبها .. توسلت ألا يحركها قد ينهار عليه شئ لكنه أصر .. فسحبها من تحت الانقاض الخفيفة يجرها على بطنها .. ليسمعا صوت حركة آتية من أعلى ..
صرخت أروى ..
لكنه كان أسرع وارتمى فوقها يحميها ..

Des. Maryam Tamim

نار إخترقت ساقه كرصاصة ..
قطعة كبيرة من الخرسانة سقطت بجانب قدمه اليمنى لكنها نزلت بسيخ من الحديد إخترق ركبته من الخلف ليخرج من الناحية الأخرى من ساقه ..
ولم يستطع إخراج الحديد من ساقه لكنه دفعها بقدمه السليمة لتبتعد عن مرمى توابع السقوط ..

الحديث عن تلك اللحظات بينهما ما هو إلا اجترار صرف للحظات من العذاب .
في لحظات تتغير حياتك ..
تنتقل من حال إلى حال ..
من الصحة للمرض..
من الاستطاعة للعجز ..
من الحزن للفرحة ..

أو كما يقول الشاعر

Des. Maryam Tamim

"ما بين طرفة عين وانتباهتها .. يغير الله من حال إلى حال "

في لحظة فاصلة تأتيك على حين غرة فيتغير عالمك كله..

يتغير للأبد..

الحادث لفظهما من جوفه شخصين مختلفين .. فاعتزل أحمد كرة القدم بعد تركيب شريحة معدنية بمفصل الركبة .. وقضت أروى أعواماً بين أروقة المستشفيات والأسِرّة البيضاء وغرف العمليات ورائحة البنج .. مع آلام لا تنتهي و آمال لا تتحقق..

وحين سافرت للعلاج بالخارج كان أفضل وضع لحالتها كسر بفقرتين ألزم تركيب شرائح معدنية ومسامير في الظهر.. لكنها حمداً لله لم تصب بشلل .. فالأعصاب سليمة لكن فقرات الظهر تحتاج لوقت طويل للتكيف ..

Des. Maryam Tamim

أوصاهم الطبيب الأوروبي بضرورة ممارسة العلاج الطبيعي وأن هناك أملا في أن تقف وتسير من جديد اذا اتبعت برنامجاً مكثافاً للعلاج الطبيعي يهدف لتقوية فقرات الظهر.. قد يكون الأمل ليس كبيرا لكنه كان وقتها يستحق المحاولات ..

وحاولت أروى بقليل من الأمل ..
حاولت كثيراً أو قليلا.. لا يهم ..

لكنها في لحظة ما ..
يئست واستسلمت ..
أو ربما تكيفت بعد سنوات من المعاناة .

لتقرر قبل ثلاث سنوات.. لا أطباء لا بحث عن الجديد في الطب بشأن حالتها لا جلسات علاج طبيعي لا شيء ..

Des. Maryam Tamim

إلتزمت بعالمها الجديد .. وأحبته .. وتقوقعت فيه .. تراقب العالم من خلف شباك زجاجي لا رغبة لها في المشاركة ولا طاقة لديها للاحتكاك ..
مختبئة في عالم الإنترنت والروايات والدراما ..
تعودت على الهدوء وتكيفت مع الألم النفسي .. لم تخفه.. لم تسكنه .. لكنها اعترفت بوجوده..
وحين اعترفت .. حجّمت وضعه حتى لا يتضخم ويأخذ حيزاً أكبر من حجمه الطبيعي فيصور لها الوحش وكأنه وحوش..
تعودت على وجوده وإخترعت من محيطها مخدراً متمثلاً في عالم مواز !!

اغلقت أروى باب الذكريات مع اغلاق صندوق الكمان لتعيده إلى موضعه بالخزانة .. ثم حركت الكرسي نحو السرير .. ووضعت يدها عليه واستندت بذراعيها بثبات .. ثم حركت قدميها لتنزل من على الكرسي للارض بهدوء ..وتمسكت

Des. Maryam Tamim

جيداً بالسرير ثم رفعت جذعها مستندة على ذراعيها يتبعه باقي جسدها.. ومالت بحركة سريعة لتنقل جسدها فوق السرير ..

بعد أن انتهى بها الحال فوق السرير تحركت تعدل وضعها وجلست مستلقية للخلف قليلا تفتح حاسوبها المحمول وهي تنهت من المجهود ..

هي مائية الطبيعة ..
ناعمة هادئة صافية كنبع صغير حلو المذاق ..
لكنها هادرة في قوتها .. قوة تحطم العقبات أو تتكيف معها وتلتف من حولها لتتابع الطريق ..
هذا ما يخبرها عقلها الواعي .. كمخدر للألم ..
لكن عقلها اللا واعي يثور فيخبرها أنها كاذبة !

أجل كاذبة ..أن تدعي بأنها تكيفت مع كل شيء يؤلمها ..

Des. Maryam Tamim

كل شيء يا أروى ؟!
فلسفت أموراً قد تكون قاسية للبعض لكنها تحملتها خفيفة على روحها ..فقط أمر واحد لم تجد له حلاً .. لم تجد له بديلاً .. لم تتكيف معه لتتجاوزه وتكمل طريقها كما تفعل دائماً .

هو !
هو في حياتها .. أو هو خارج حياتها ..وذلك الألم بسبب افتقاده والشوق إليه .. يفوق الإحتمال والوصف ويضعف كل أنواع المخدرات التي تسكن بها آلامها ..
ذلك الحب الذي كان ومازال يستعر في جنبات روحها بصمت .. نيرانه تأكلها في صمت ..
فمنذ أن تغيرت حياتها تكيفت مع كل شئ إلا تقبل أمر عدم وجوده في حياتها ..
لم تجد له بديلا .. ولم تجد من الشوق الملح إليه مخرجا ..

Des. Maryam Tamim

يا الله ! .. أكثر من إثنتي عشرة عاماً والحب باق بين جنبات القلب يستعر ..
يزيد مع الحاجة للرفقة ..
مع التوق لتوأمة روحها ..
مع الشوق .. وآه من الشوق والحرمان ! .

قديما .. حين كانت قادرة على الحركة كانت تتحايل لرؤيته ولو من بعيد .. ربما لو لم يحدث ما حدث لواتتها الجرأة لمصارحته ..
لا تدري ربما فعلتها ..
لكن في هذا الوضع تعلم أن فكرة أن يكونا سوياً أمر مستحيل ..
وبالرغم من اعترافها بهذا المستحيل منذ عشر سنوات مضت لكنه القلب العنيد .. الذي لا يدخر جهداً في تعذيبها بالشوق .. يتوسلها لأن تتقصى أخباره ...
***

Des. Maryam Tamim

" تعال معي "
قالها أحمد وهو يشد عمرو من ذراعه نحو السيارة وقد حل الليل ...
رفع عمرو حاجبيه في تعجب وهو مستسلم ليد أحمد تقوده " إلى أين يا كونت ! .. الشباب يتنظراننا في الخُن"
أدخله أحمد إلى سيارته بالقوة واستدار نحو مقعد القيادة وهو يقول بهدوء " نسيت بعض الأوراق المهمة بالورشة .. وأبي سيوبخني بشدة إذا علم أني لم أراجعها وأعطه قراري .. وغداً الجمعة كما تعلم الورشة مغلقة ولن أذهب خصيصا في يوم عطلتي لاحضارها .. ساعة واحدة وسنعود للشباب "
زم عمرو شفتيه بامتعاض وهتف باستنكار "وما دوري أنا معك ؟ "
إبتسم له أحمد إبتسامة باردة لاستفزازه " أنت أخي وحبيبي .. لتسليني "

Des. Maryam Tamim

بعد دقائق مضت في الطريق إلى الورشة .. قطع أحمد الصمت ليسأله" كيف هي أمورك ؟ .. هل من جديد ؟ "

رد عمرو بهدوئه المعتاد " الحمد لله .. لا جديد تحت الشمس "

قال أحمد وهو يركز على الطريق المزدحم أمامه في هذا اليوم من نهاية الاسبوع " وماذا فعلت في موضوع ابنة خالك .. هل والدتك مازالت تضغط عليك لخطبتها؟ "

زفر عمرو وقال من بين أسنانه " ما زالت تضغط ومازلت أحاول المماطلة بقدر الإمكان "

إستدار إليه أحمد يراقب وجهه الهادئ ليقول " لا أفهم مماطلتك .. الفتاة ملتزمة كما فهمت منك وأنت ترغب في الإرتباط بفتاة ملتزمة دينياً وخلقياً .. وهي قريبتك أي أنك تعلم عنها كل شيئ .. وحين

Des. Maryam Tamim

سألتك عن مستوى الجمال قلت لا بأس بها.. ماذا ينقص ويجعلك متردداً ؟"

رد عمرو بحيرة " لا أدري .. لا أعرف لما أنا متردد سواء بشأنها أو بشأن الفتيات اللاتي تعرضهن عليّ أمي "

أدار أحمد وجه للطريق مرة أخرى وقال " من معرفتي الطويلة بك أعلم أنك لا تؤمن بالحب من أول نظرة وأمور دقات القلب والتضحيات والدموع والدُمى الحمراء وغيرها .. وأنك تؤمن أن الحب يأتي بعد تحكيم العقل للإختيار المناسب ثم يأتي حب العشرة والتآلف بعد الإرتباط .. إذن أين المشكلة في قرار الزواج من ابنة خالك ؟"

أشاح عمرو بوجهه نحو النافذة يراقب الطريق دون رد وحين طال الصمت شاكسه أحمد قائلاً " وماذا عن آخر اسم تدليل تناديك به السيدة الوالدة أم عمرو .. هل مازل (عموري) أم تغير ؟"

Des. Maryam Tamim

حدجه عمرو بنظرة جليدية ثم أدار وجه بعيداً دون رد فاستمر أحمد في المناكفة " هل أصبح عوعو ؟.. عمرمر ؟ .. هيا أخبرني لن أخبر أحدا .. أعدك "

إحمرت أذنا عمرو وحاول إصطناع الجدية وهمس بعذاب " مرمر "

إنفجر أحمد ضاحكا حتى سعل ودمعت عنياه بينما أغلق عمرو عينيه محرجاً وهو يقاوم الضحك ..

حين سيطر أحمد على نوبة الضحك قال متهكماً " لا أستطيع أن أتخيل رجلاً بلحية وبهذا الطول ويدعى مرمر .. الشيخ مرمر .. وفي الشركة الباشمهندس مرمر مدير القسم .. وفي النادي الأطفال الذين تدربهم على التايكوندو ينادونك الكابتن مرمر "

Des. Maryam Tamim

بعد نصف ساعة وصلت سيارة أحمد إلى باب الورشة المغلق فأخرج مفتاح وألقاه لعمرو الذي التقطه ليقول له بلهجة آمرة " إفتح بوابة الورشة "

زفر عمرو في ملل وترجل من السيارة يفتح البوابة الكبيرة على مصراعيها .. فضغط أحمد على دواسة البنزين لتطير داخل الورشة وهو يلوح له بيده قائلا " فلتلحقني الي الداخل هرولة يا شيخ مرمر "
توعده عمرو وهو يعدو إلى داخل ساحة الورشة وحين ترجل أحمد من السيارة كان عمرو قد وصل إليه ليباغته بتطويق رقبته من الخلف بذراعه القوي قائلا من بين أسنانه " كنت أعرف أنك قذر ومتحايل "
حاول أحمد التملص منه لكن ذراع عمرو العضلية كانت قوية.. بعد بعض المحاولات تصنع أحمدالألم صارخا " آه ركبتي .. ركبتي "

Des. Maryam Tamim

رد عليه عمرو ببرود وهو يضغط أكثر " هل تعتقد أننا نصدق أسطورة ركبتك هذه يا فتى .. نحن ندللك ليس إلا .. ومن الواضح أن الدلال أفسدك"

.

نجح أحمد في التخلص من ذراع عمرو ثم استدار إليه يشتبك معه ..

ظلا يمزحان بخشونة مثل صبيين في الشارع .. لا يحملان من الدنيا همّا ... حتى استبد بهما التعب فاستلقيا على الأرض الترابية متجاورين يتوسدان ذراعيهما يتأملان السماء المزينة بالنجوم .

تنهد عمرو ثم قال " لم أرك تضحك هكذا منذ مدة طويلة "

قال أحمد بهدوء " ماذا نفعل إن كانت الأمور حولنا لا تجلب السعادة"

إلتفت إليه عمرو يقول وهو مازال يتوسد ذراعه " عليك أن ترضى بالأقدار يا أحمد .. قلتها لك مراراً ..

Des. Maryam Tamim

إرض بالأقدار ولا تعاند ولا تسخط .. كلما رضيت
كلما أعانك الله على التحمل بل وفُتحت لك
الأبواب المغلقة "
صوت حركة من بعيد جعلت جسد أحمد يتشنج
ليرفع رأسه وينظر باتجاه الصوت قائلاً باستنفار "
هناك شخص ما !"

قبل ساعة بالورشة :

إنها الليلة الثالثة لبانة في الورشة .. حين أشرق
صبح تلك الليلة التي قضتها خارج الورشة أسرعت
بحقيبتها الى الداخل وخبأتها في ساحة الورشة
تحت بعض قطع الخشب القديمة المهملة ..
وتعمدت أن تتباطأ عند خروج العمال وتراوغ
وتختبئ حتى يخرج الجميع ويغلَق الباب من الخارج
بسلسلة من الحديد دون ملاحظة وجودها ..

Des. Maryam Tamim

وعلى الرغم من إغلاق المكان عليها إلا أنها لم تتغلب على وحشة الليل .. تخشى الظلام مهما طمأنت نفسها.. ولم تتجرأ على أن تفتح أي مصدر للضوء ليلاً حتى لا تلفت إنتباه أي أحد بالخارج .
متكومة وسط كومة من الأخشاب والكراتين يجافيها النوم لليلة الثالثة .. وصرير الحشرات والعِرس والفئران بالقرب منها تسمع حركتهم ولا تراهم وتدعو الله ألا ترى أيا منهم.. فهي جبانة .. برغم شجاعتها وقلبها الجسور إلا أنها جبانة تجاه الحشرات والقوارض.. تستخدم كل ما قرأت عنه يوما ما للتغلب على الخوف .. تعيد كل ما تحفظ من القرآن فلا يوجد ضوء كاف للقراءة في المصحف ..
تغني قليلا أو تكلم نفسها بعض الأحيان .. وتبكي كثيراً ...
ودت لو تستطيع النوم لتقلل لحظات الرعب .. فالوحدة قاتلة .

Des. Maryam Tamim



والظلام مخيف .

وبرغم الصيف الذي أوشك أن يودع هذا النصف من الكرة الأرضية إلا أن الجو بارد ليلا ..أو ربما الوحدة هي التي تنشر البرودة في الأوصال .

تغمض أجفانها في انهيار لتستلم لغفوة أخيراً.. لكن الأحلام أبت أن تتركها ..
أو ربما الذكريات !
ورأت والدها يودعها في سكون ظلام وجِل ..
ويشدد عليها بحزم " إذهبي مع رامز .. إلحقوا بالبقية الي أي بلد مجاور يقبل اللاجئين "
هي تبكي وتتشبث بأبيها الذي يأمرها بصرامة " إجعليني فخورا كعهدي بك دائماً بنيتي .. أنا أعلم أنك قوية لا تكسرك الظروف "

ردت بانهيار ودموعها لا تتوقف " أنا خائفة يا أبي لا أريد ان أتركك أنت وفراس.. لمَ لا نبقى سوياً ونستشهد سوياً "

قال والدها بإصرار وعزم " ليتها الشهادة يا بنتي .. ليتها الشهادة .. لكني أخشى أن يؤذوكِ .. سيؤذوننا بك .. إنهم أسوأ من كلاب مسعورة قذرة ليس لها دين .. ستسافرين مع رامز .. وعديني أن تعتني بنفسك وأن تعيشي بكرامة "

قالت بتوسل " إذن فلنسافر جميعاً أنا وأنت ورامز وفراس .. نسافر ونبدأ حياة جديدة حتى تنتهي الحرب "

يرد والد بانة بصمود " لابد أن أعود الى بلدتنا .. لابد أن أقف بجوار أعمامك أدافع عنها حتى آخر نفس .. حينها ستكتمل رسالتي بالدفاع عن الأرض .. أما أنتم فمازلتم شباباً .. ليس ذنبكم أن تضيع أعماركم هباءً في حرب أهلية قذرة .. إذهبي يا بنيتي فراس سيوصلكم للمطار ولعل الطريق يكون آمناً..

Des. Maryam Tamim

وحين يوصلني للبلدة سأجعله يلحقكم في البلد الجديد "

يقبل رامز كتف أبيه ثم يسحبها بالقوة ..وفي عربة قديمة نصف نقل مغطاة السقف تجلس محشورة في آخرها وبجوارها رامز الذي يلف ذراعه حولها بقوة ..

دقات القلوب كطبول الحرب تصم الآذان... والعيون مترقبة في رعب ..

بعد مدة تقف السيارة فينظر رامز عبر الشباك الصغير الموصل لعربة القيادة .. وفراس يخبره بوجود كمين سيحاول المرور منه بسلام فليس واضحاً من أي جبهة هم .. يوصي أخاه إذا ما استشعر خطراً سيحاول إفتعال مشكلة معهم

Des. Maryam Tamim

وعليه أن يترجل هو وبانة من السيارة دون لفت الإنتباه للهرب بين الإحراش ..

يمد فارس يده لأخيه رامز فيشد على كفه بعزم ثم ينظر لبانة المذهولة فيلتقط يدها يلثمها ويترجل من السيارة .. يراقب رامز بهدوء وتوتر من الشباك الصغير الوضع ..ليجد بعد دقائق فراس يتعارك مع أفراد الكمين الذين يصرون على ما يبدو على تفتيش السيارة .. ومادام فراس قد بدأ العراك فمعناها أن هذا الفريق يضمر شراً ..

وأول ما يهد الرجال .. إصطياد نساءهم .. والأخبار تحكي عن حكايات مرعبة ترتكب في حق النساء والأطفال . .فيشد رامز على يد بانة مشيراً لها ألا تصدر صوتا ..

Des. Maryam Tamim



ضربات قلبها تهدر بهدير عالي ولم تملك سوى الطاعة ..

خرجا من السيارة من الخلف بخفة ليختفوا بين الأحراش المنتشرة على الطريق ورامز يحثها ألا تصدر صوتاً مهما حصل ..

يراقبان الوضع من بعيد آملين أن يتعامل معهم فراس .. ليدوي فجأة صوت طلقة ويسقط بعدها فراس كجثة هامدة على الاسفلت ..

إنتفض رامز يكمم فم بانة التي همت بالصراخ بقوة .. لينظر في عينيها بعينين جاحظتين وعروقه نافرة منتفخة من الوجع والإلتياع لمنظر أخيه ملقى على الأرض دون حراك ..

فانهارت بانة مغشياً عليها .. ولم يجد رامز بداً من حملها على ظهره ليختبئ بها وسط الاحراش.

بعد قليل استفاقت فجذبها رامز خلفه وهي تبكي في بكاء صامت ليعودا لمكان السيارة ليجدا أنهم رحلوا .. حتى فراس أخذوه معهم .. بينما دماؤه تغطي الأسفلت .

تلمست بانة دماء أخيها على الاسفلت فطمأنها رامز "ماداموا أخذوه معهم إذن هو حي " ليشدها إلى السيارة مرة أخرى ويخفيها في الخلف متولياً هو القيادة ..

بقيت لساعتين تبكي ودماء فراس مطبوعة على كفها .

أي بشاعة تعيشها .. أي قهر .. أي ظلم !

طرقة على الشباك الداخلي نبهتها .. يخبرها رامز أن هناك كميناً آخر وأن المطار على مرمى البصر ..

Des. Maryam Tamim

يطلب منها أن تترجل من السيارة بهدوء حين يخفف السرعة وتختفي في الأحراش مرة أخرى لأنهم باتوا يرون السيارة من بعيد ولن يستطيع الفرار منهم .. سيلهيهم قليلاً .. وألا تخرج من الأحراش إلا إذا أتى إليها .. فإن تأخر فلتسر المسافة الباقية نحو المطار ..

إنفجرت في البكاء فتوسلها رامز " بانة .. لا تكسري ظهري ولا تسحقي قلبي أختي .. سأموت في الحالتين إذا رأوكِ أو لم يروكِ .. فلا تجعليني أموت وأنا أراك تُهانين أو تُغتصبين يا حبة القلب .. إن كان أجلي قد حان فدعيني أموت بسلام "

حاول تطمأنتها " تشجعي يا فتاة أنا أثق بك .. وسأعود إليك إن شاء الله .. خذي جوازات السفر معك .. هيا .. أستودعك الله "

Des. Maryam Tamim

خفف من سرعة السيارة والكمين يقترب ويقترب لكن المسافة ليست كافية لأن يلاحظوا ما يحدث خلفها ..

حمداً لله أن الأحراش كثيفة نسبياً في هذه المنطقة..

قفزت بانة من السيارة وشعوراً بالألم يمزق ساقها فتحاملت مختفية وسط الاحراش .. وجلست مختبئة ولم تسمع صوتا ..

مر الوقت .. وأسدل الليل ستاره .. ولا حركة ولا صوت .. حتى أصوات الكمين البعيدة لم تعد موجودة ..

لا صوت طلقات ولا أي شيء .

ورامز لم يعد .

وعدها أن يعود ولم يعد .

هل تعود لتتفقد المكان أم تذهب وسط الأحراش باتجاه المطار ؟

لن تستطيع الذهاب بدونه ..

Des. Maryam Tamim



لن تستطيع فليحدث ما يحدث .
عادت من نفس الطريق تحوم حول المكان .
الظلام حالك ولا أثر لأي مخلوق !
فقط السيارة قابعة على الطريق بإهمال .
أين الكمين ؟.. وأين رامز ؟
وقفت في الظلام تحدق حولها ..
إلى أين الطريق ؟
وجوه أبيها وفراس ورامز تتجسد أمامها في الظلام
يتوسلونها أن تذهب .. ألا تكسر ظهورهم.
ببطء تسير نحو السيارة .. تركبها وتقودها باتجاه المطار وهي تردد " إلى لقاء قريب يا وطني .. لله الأمر من قبل ومن بعد " .

فتحت بانة عينيها في ذعر على صوت البوابة تفتح لتجد نفسها غارقة في دموعها .. فتملكها الخوف ..
من سيأتي في هذا الوقت من الليل ؟!.
هل هم لصوص يسرقون الورشة !!

تحركت بهدوء من الخلف باتجاه البوابة ..
لتفاجئها سيارة أحمد من بعيد .

ياللمصيبة إبن سماحة هنا !!!!
فعادت للخلف لتختبئ بارتجاف ..
لن تصدر صوتاً ولن تتحرك حتى يغادر ولن يلحظ وجودها بإذن الله .
هكذا حدثت نفسها .. فهي مختبئة وراء المبنى
ولن تتحرك حتى لو بقي حتى الصباح .
لكنها تذكرت فجأة أمراً جعلها تتوتر..
هل ما قاله عم شكري عن حاسة الشم عند ابن سماحة صحيح؟ !
أخذت تتشمم نفسها بتوتر .. هل أملك رائحة مميزة .
اللعنة يا بانة أنت تهلوسين ! .
عدم النوم أثر على قواك العقلية .
من يملك حاسة شم بهذه القوة إلا الذئاب !

Des. Maryam Tamim



صوت صراع وآهات أحمد وشخص معه أرعبها فقفزت من مكانها لترى ما يحدث .. وتملك الخوف منها حين رأته يتشابك مع شخص ما .. هل أحمد يُهاجم من قبل لص ؟

ماذا إن أذاه اللص ؟؟..

صحيح أن أحمد قوي البنية ولديه عضلات دوماً يتفاخر بها باستفزاز لكن ربما يملك اللص مسدسا أو ألة حادة .

يا إلهي !.. هل ممكن أن يؤذي أحمد !

عند هذه الخاطرة سقط قلبها بخوف من نوع مختلف .. خوف عليه .. لم تعطي لنفسها الفرصة لتحلل إحساسها ... شعور ما تحكم فيها ودفعها للتقدم وهي تحمل من الأرض عصاً غليظة وجدتها ملقاة على الأرض ..

اقتربت في تحفز .. لتصدمها أصوات ضحكات عالية .. فتجمدت في مكانها تشاهد من بعيد أحمد

وشاب آخر معه .. يلهوان بخشونة واستعراض للقوة .. ويتبادلان الضربات بتحد وضحكات عالية ..

صوت ضحكاته أدخلت إلى قلبها السرور ..

حين انتهت المشاكسة العنيفة بينهما استلقى الشابان أمامها في استرخاء يشاهدان النجوم .. فقررت العودة لمكانها بهدوء لكن قدمها اصطدمت ببعض الأخشاب فصدر صوت بسيط .. فهرولت في رعب تدعو الله ألا يلفت الصوت إنتباههم .

ليصل إلى مسامعها صوت أحمد يقول " هنالك شخص ما بالورشة !!! ".

Des. Maryam Tamim

الفصل الرابع

صوت حركة من بعيد جعلت جسد أحمد يتشنج ليرفع رأسه وينظر باتجاه الصوت قائلا باستنفار " هناك شخص ما ؟"

قفز من مكانه وتبعه عمرو الذي لم يكن مصدقاً لفرضية وجود أحد بالورشة.

وبتحفز تناوب الشابان البحث عن مصدر الصوت الذي سمعه أحمد خلف الورشة وتحت ضوء الهواتف المحمولة يبحثان عن شيء ما.

قال عمرو بهدوء " ربما كان فأراً أو قطة "
لكن أحمد كان لديه إحساس غريب ..

Des. Maryam Tamim

إحساس بوجود شخص ولا يدري كيف وصل إليه هذا الإحساس .. فالأمر كان غريبا لكن الوقت لا يتسع لمناقشة وتحليل مايشعر به..

والأمر الأغرب أنه يشعر أنه شخص يعرفه!

بالقرب كومة من الأخشاب وتحت بعض الكراتين كانت بانة ترتجف .. الوضع محرج بل وعصيب ولم يسعفها ذهنها لأي تصرف.

اقترب أحمد نحو الكومة بهدوء غريب وبمجرد أن تنبه عمرو لوجهته وركز في نفس البقعة انتقل إليه شك أحمد بوجود شخص بالفعل فاندفع نحو الكومة يطيح جزء منها بقدمه واضعا ساقيه وذراعيه في وضع تحفز كمقاتلي التايكوندو.

أما أحمد فاقترب بهدوء وقد لاح جزء من ساق بشرية في الظلام لشخص على مايبدو مستلق على جانبه في وضع الجنين .. ليحذره عمرو ان يكون مسلحاً أو خطراً لكن أحمد كانت تنتابه حالة هدوء غريبة رغم تسارع أنفاسه .. وفكرة ما - مستحيلة

Des. Maryam Tamim



التصديق - تتكون في ذهنه وتتشكل لتضع تخمينا شبه مؤكد حول هوية الشخص المختبئ !.
مع الاقتراب – وقد أضحى قريباً جداً منها – أكدت حاسة الشم القوية لديه ما لم يستطع عقله استيعابه !.

فأشار أحمد بيده لعمرو ليثبت مكانه ولا يهاجم وبادر بالحديث بصوت غاضب هادر " أخرج .. أخرج من تحت الكراتين .. فوراً "

تمنت بانة أن تختفي من الوجود تلك اللحظة .. وأخذت نفساً عميقاً وبدأت تزيح الكراتين وتقوم بهدوء وثبات .. ضربات قلبها تدق بجنون تكاد تخرج من صدرها وجسدها ينتفض.

بمجرد أن استقامت واقفة أمامهم تتحاشى نظرات ابن سماحة انقض عمرو سريعاً بحركة هجومية

Des. Maryam Tamim

يقبض على مقدمة قميصها فجحظت عيناها في رعب وهي تنظر لأحمد الذي كان يقف صامتاً ولم تتبين ملامحه في الظلام.

هدر أحمد في عمرو بحزم " اتركه يا عمرو"
تردد عمرو قليلا وهو يمرر نظره بينهما ليقول بشك " هل تعرفه ؟!"
لم يرد أحمد مستمرا في التحديق بصدمة في بانة التي تمنت وقتها أن تطلق ساقيها للرياح ولا تريه وجهها مجدداً.

كيف ستبرر له ؟
ماذا يمكن أن تقول ؟
هل سيتهمونها بمحاولة السرقة مثلا ؟

Des. Maryam Tamim

للحظة تخيلت أنها في قسم الشرطة ويطالبونها بهويتها ويقارنون الهوية بصورتها وربما اعتدوا عليها بالضرب أو شيئ أسوأ.

قطع عمرو الصمت الغريب الذي خيم فجأة عليهم ليهتف " ماذا يحدث ؟!(ثم وجه الكلام لبانة) من أنت ؟"

تلجلجت بانة قليلاً ثم ردت " أنا اا .. رامز .. أعمل هنا في الورشة"

نظر عمرو لأحمد وكأنه يتبين صدق هذا الرامز ليقف في حيرة من رد فعله الهادئ على غير العادة أو المصدوم بتعبير أدق.

مشاعر معقدة وغريبة انتابت أحمد في تلك اللحظة .. لم يجد لها تحليلاً أو تصنيفاً محدداً لكن الغضب والصدمة وربما شعور بخيبة الأمل - دون سبب وجيه- هو ما استطاع تحديده..

Des. Maryam Tamim

وكثير من علامات الاستفهام .. وكثير من اللامنطق فيما يخص مشاعره.

خرج صوت أحمد هادئا ليقول بلهجة آمرة" تحرك أمامي إلى الداخل"

تحركت بانة تقاوم ارتعاش جسدها لتسحب من تحت الأنقاض حقيبة ملابسها الكبيرة .. فاستقبل أحمد هذا المنظر في استفهام .. أما عمرو فوقف ذاهلا يشاهد الاثنين بعدم فهم.

في مكتب أحمد وقفت بانة بكتفين متدليين وكفين تفركهما في عصبية وهي تجاهد في أخذ أنفاس طويلة .. شهيق .. زفير .. لتتغلب على الرغبة الملحة التي تنتاب الإناث في المواقف الصعبة .. وهي البكاء..

Des. Maryam Tamim

أما أحمد فجلس أمامها على كرسي موضوع بوضع معكوس كضابط أمن دولة يحقق مع جاسوس.. ولم يبق سوى إحضار مصباح متدلي ذو ضوء أحمر يتأرجح فوق رؤوسهم ليكتمل هذا المشهد المليء بعلامات الاستفهام والترقب.

بصوت جليدي سأل أحمد " أريد تبريراً منطقياً .. بدون كذب .. فوالله لو علمت أنكَ كذبت في أي حرف ستقوله الآن .. سأعذبك بيدي هاتين.

أخذت نفساً عميقاً للمرة الألف ثم شرحت بثبات " فقدت مسكني ولم يكن معي نقود لأستأجر سكناً جديداً .. ولم أجد مكاناً أنام فيه خلال الخمس أيام المتبقية من الشهر سوى الورشة"

سأل أحمد بنفس الهدوء الجليدي " وأين عائلتَك؟ .. قلت أنك تعيش مع أبيك واخوتك؟"

Des. Maryam Tamim

أطرقت برأسها وفركت كفيها في عصبية .. لا مفر من تصحيح بعض الأكاذيب .. فقالت بصوت هامس "كذبت في هذا الشأن"

هدر فيها أحمد " ماذا تقول !!....لا اسمع"

أخذت نفسها ورفعت عينيها الجميلتين لتنظر له بشجاعة وتقول " أنا هنا وحدي ليس معي أحد"

لاح الاستغراب على وجه أحمد ثم سألها مستفسراً "أين هم إذن ؟"

تغلبت على الإحساس بالألم الذي يعتصر قلبها عند ذكر عائلتها لتقول بصرامة وتحد وهي تضغط على كل حرف " أنا هنا وحدي تماماً في هذا البلد .. لا عائلة .. لا أحد ؟"

شعور بالألم لا يعجبه اخترق صدره لكنه تجاهله ليسألها باستفهام " ولماذا لم تطلب سُلفة من الراتب ؟"

Des. Maryam Tamim

قالت بانة بإحراج " طلبت من العم عبد الحليم فأخبرني أن المرتبات لم تسلم له بعد ولم أجد من اقترض منه"

هتف أحمد بانفعال " وأنا !!!!!! .. لمَ لم تطلب مني أنا ؟!"

تفاجأت بانة بالسؤال واشتعل وجهها وأذناها أكثر وهي ترد بارتباك " شعرت بالحرج"

قال بعدم تصديق " فضّلتَ أن تبيت في الورشة هنا .. وحيداً في الظلام والبرد .. وقد يتسرب الأمر بين العمال وربما حدثت سرقة واتُهِمت بها .. غامرت بكل هذا .. حتى لا تطلب مني نقوداً .. لأنك شعرت بالحرج!!!"

سكتت بانة ولم ترد ليتدخل عمرو المتابع للحوار في هدوء وتمعن لردود أفعال أحمد وتعبيراته الغامضة لمحاولة فهم أبعاد العلاقة بين أحمد وهذا الرامز وقد خمن أنه نفس الشاب اللاجئ الذي

Des. Maryam Tamim

حكى عنه سيد من قبل فسأل بانة " كم ليلة قضيتها هنا ؟"
التفتت إليه لتقول وهي تغمض عينيها في مزيد من الحرج " هذه الليلة الثالثة"

مازال الذهول يسيطر على أحمد الذي عقب باستنكار " الليلة الثالثة !! .. وغدا عطلة ! .. ماذا كنت تنوي أن تفعل؟.. أكنت ستقضيها هنا وحدك .. وبوابة الورشة مغلقة عليك؟!!"

لم ترد بانة إذ سيطرت عليها في تلك اللحظة رغبة شديدة في البكاء حاولت مقاومتها بشجاعة .

المشاعر التي تجول في صدر أحمد كانت غريبة جدا وغصة في قلبه يشعر بها .. وهذه المشاعر كانت تستفزه..!

Des. Maryam Tamim

فانتفض فجأة في ثورة متأخرة ليسحب الكرسي من تحته في حركة عنيفة ويلقي به بعصبية في اتجاه بانة التي انكمشت رعباً والكرسي يمر من بمحاذاتها ويرتطم بالحائط بينما أحمد يصيح " تباً لك يا رامز .. أنت لا تكف عن التصرف بصبيانية وإطلاق شياطيني "

تدخل عمرو بينهما يهدئ من روع أحمد الذي بدت عيناه تموجان بنيران الغضب.
بانفعال اتجه أحمد نحو الباب وهو يقول آمراً " احضر حقيبتك وهيا بنا " .

جلست في المقعد الخلفي للسيارة وأحمد يقود وبجانبه هذا الذي يدعى عمرو.
الوقت تعدى منتصف الليل والسكون والظلام مخيفان على جانبي هذا الطريق الخالي وإحساس برفقة تفتقدها يتسرب بداخلها رغماً عنها وهي

Des. Maryam Tamim

تتواجد معهما داخل السيارة بعيداً عن الظلام الحالك المترامي على مدى النظر على الرغم من ارتعاش مفاصلها ترقباً للآتي.

لم تجد الشجاعة للسؤال ماذا سيفعل معها ابن سماحة وإلى أين يتجهون .. المنطق يقول أنه سيرميها في وسط الزحام لتدبر أمرها وربما يطلب منها ألا تأتي للعمل مرة أخرى .. استبعدت أن يسلمها للشرطة وخاصة أنها لم تفعل شيء.

لم تفعل شيء ! .. وبخت نفسها ..

اقتحمتِ ملكية خاصة لتبيتي فيها ليلتين بدون علم أصحابها !!!.
لكن ابن سماحة ليس نذلا إلى هذه الدرجة ..
صحيح مجنون لكنها تثق به.
تثق به هو؟ أم تثق في حسن تصرفه في الأمور ؟.

وهل هناك فرق يا بانة ؟
ربما هناك فرق ؟
ليس هذا وقت الفلسفة يا بانة.
كلها مناقشات دارت بداخلها حاولت صدها بحزم فلم يكن هذا وقته.
لكن إحساس ما - لا تعرف مصدره – أخذ يكبر تدريجياً داخلها إلى أن استحوذ على تفكيرها داحضاً كل الفرضيات التي كانت تجول ببالها وهو أنها تثق في ابن سماحة .

الشعور بالثقة في أحمد يتسلل إليها كسائل دافئ يجري في أوصالها المتجمدة يطمئنها قليلاً ويربت على قلبها المرتجف خوفاً..

قطع صوت أحمد الغاضب أفكارها ليقول " بالله عليك .. كيف كنت ستدبر أمر الطعام غداً في يوم العطلة والبوابة مغلقة .. بل كيف دبرت طعامك

Des. Maryam Tamim

خلال الأيام الثلاثة الماضية وأقرب سوق أو محل يبعد كثيراً عن الورشة"

لن تستطيع أن تخبره أن الطعام الذي أعطته لها شهيرة نفذ في الليلة الأولى وأنها كانت تقتات على بقايا الطعام الذي يتركه العمال في مطبخ الورشة الصغير – هذا إن وجد.. فحاولت المراوغة لتقول بصمود حتى لا تثير الشفقة "تدبرت أمري لا تقلق"

انفجر أحمد غاضبا فجأة وأخذ يضرب على المقود بعنف وهو يصيح وقد فقد أعصابه " تباً لك ! أنت تكذب مجدداً.. تكذب مجدداً"

انفجرت بانة فيه تصرخ بثورة مضادة وقد نسيت أن تتحكم بصوتها المستعار لتقول " لن أموت لو جعت قليلا .. مررت بأيام أسوأ من هذا صدقني"

Des. Maryam Tamim

خنقها البكاء وحاولت بإرادة من حديد ألا تبكي .. تُذكر نفسها .. أنتِ رجل .. اخشوشني .. أنتِ رجل .. والرجال لا يبكون.

اتخذ أحمد جانب الطريق فجأة ليوقف السيارة بعنف ويستدير إليها والشياطين تتراقص أمامه. أعصابها أوشكت على الإنهيار لم تعد تستطيع التحمل أو التمادي في التمثيل ففتحت باب السيارة تترجل منها نحو الطريق المظلم الخالي .. وابتعدت تريد أن تصرخ..تريد أن تبكي..

خرج وراءها ورغبة ملحة بداخله في ضرب هذا الرامز وتمزيقه إرباً .. فاعترض عمرو طريقه متخليا عن هدوئه المعهود ليصيح فيه " اهدأ يا أحمد .. اعلم أنك تشفق عليه .. لكن الشاب في وضع صعب .. دعه يهدأ قليلا إنه يوشك على البكاء"

وكأن الظلام يشفق عليها هو الآخر فيخبئها في عباءته وهي تقف بعيدا عنهما توليهما ظهرها وتبكي في صمت وتكتم شهقاتها بقوة..

بكت..
ورفعت وجهها للسماء الواسعة الخالية من النجوم تتمتم " ربي لا أشكو ولكن أرجو .. أرجو رحمتك التي وسعت كل شيء أن تسعني .. أنت الذي وسع كرسيه السماوات والأرض" ..
بعد دقائق كففت دموعها وأطلقت نفساً حاراً ثم عادت بهدوء نحو السيارة متجاهلة أحمد وعمرو الواقفين بانتظارها.. فجلست في مقعدها بالسيارة في صمت ليعود كل منهما الى مقعده.

في مرآة السيارة الأمامية لاحظ أحمد رامز وهو يداري عينيه المحمرتين بطرف القبعة الرياضية التي يرتديها دائما والتي يبدو أنه يرتديها أثناء الليل أيضا .. ! .. فجز على أسنانه محدثاً نفسه بعصبية مسموعة "تبا ! .. كان يبكي"

Des. Maryam Tamim

أدارت وجهها لنافذة السيارة تداري عينيها بضيق وحرج فصاح عمرو يوبخ أحمد وقد أشفق على رامز فقال مدافعا " وماذا فيها إن بكى .. هل الرجال من صخر لا يبكون .. أنا ابكي أحيانا .. وأنت تبكي"

أدار أحمد محرك السيارة التي بدأت في نهب الطريق من جديد وقد التقط توبيخ عمرو وادرك هدفه فرد ببرود وعند " أنا لم أبك من قبل"

رد عمرو بإغاظة " بل بكيت .. وأكثر من مرة .. هل تجمّل نفسك الأن أمام الشاب الغريب !!"

قال أحمد مدافعا " لا تشوه أنت صورتي أمامه بأكاذيبك"

ضحك عمرو وقد بدأ التوتر يتلاشى فقال يغيظه "هل أحكي له عن دموعك على الحذاء الأحمر؟"

ثم صمت قليلا يبحث في ذاكرته ويستطرد في برود مستفز " أو يوم سفر أبلة سوسن .. أم يوم المباراة عندما خسرنا أمام فريق (...) .. أم.. "

Des. Maryam Tamim

صاح أحمد به في غيظ " اخرس ! " .. ثم شتمه فتعالت ضحكات عمرو مستمتعاً باستفزازه.

بعد قليل دخلت السيارة في أول الزحام وقد هدأ التوتر كثيراً وابتسمت بانة أكثر من مرة على عرض (شجار الصِبية) الذي شاهدته منذ قليل .. إن هذا وجه جديد تراه لأحمد .. يظهر على ما يبدو في محيط أصدقائه فقط .. ويبدو أن علاقته بعمرو هذا قوية وقديمة .. شجار الصبية وحالة الود بين هذين الشابين أمامها جعلها تشعر ببعض الدفء . دفء المشاعر الانسانية حولنا في أي صورة يصيبنا بالعدوى فيتسرب إلينا بعض منه ..
وهي تفتقد ذلك ..
تفتقده بشدة.!
بادرت في تردد وحرج بصوت خرج من حنجرتها بمشقة " من الممكن أن تتركاني هنا في أول المدينة

Des. Maryam Tamim

وسأستقل أي حافلة وسأدبر أمري .. وأعتذر جداً .. جداً .. عن .. "

رفع أحمد سبابته مهدداً وهو ينظر إليها في المرآة الأمامية ليقول من بين أسنانه " لو سمعت لك نفساً سأقتلك"

كتمت نفسها قليلا كرد فعل تلقائي لتهديده واطبقت كفيها في حجرها في صمت وبعض الترقب.

تأملهما عمرو مفكراً وهو ينقل بصره بين أحمد الجالس على يساره وصورة رامز في المرآة الجانبية للسيارة على يمينه .. يبدو أن أحمد يحمل الكثير من الود لرامز هذا .. ويهمه أمره بشكل ما .. وهذا أمر نادر بالنسبة لشخصية أحمد الانتقائية أن يتأثر بهذا الشكل بحالة شخص خارج محيط دائرة قلبه الضيقة جداً .. فهو عادة يحيط نفسه بقشرة صلبة لا يخترقها سوى المقربين منه – وعددهم قليل جدا – عائلته وأصدقاؤه الثلاثة فقط لا غير .. فإن

Des. Maryam Tamim

كان رامز قد جذب اهتمام ورعاية أحمد - وهو أمر واضح وضوح الشمس - فهذا يعني أنه سيصبح صديقاً رابعاً ربما .. فأحمد لا يستسلم ابدا لمشاعر الشفقة بهذا الشكل العاطفي المنفلت .. بل إنه يتعمد دائما الاختباء خلف نزقه وعصبيته ليهرب من التفاعل في تلك المواقف وإظهار اهتمامه .. وهذا الرامز قد اخترق المساحة الدفاعية الغليظة لابن سماحة على ما يبدو ... فلو أن شخصا آخر أيا كان قد أقدم على ما فعله رامز لقضى الليلة يخلصه من قبضة ابن سماحة وغضبه.

سأله عمرو بهدوء " علام تنوي؟

"

رمقه أحمد بنظرة شاردة دون أن يرد وكأنه يحسم أمراً ما في ذهنه.

بادر عمرو بالقول وهو يستدير للخلف مخاطباً رامز "أنا وحيد ليس لدي أخوة .. وسيسعدني أن أستضيفك حتى تستقر أحوالك"

Des. Maryam Tamim

هتفت بانة بحرج " أشكرك على شهامتك .. لكني لا استطيع مشاركة أحد في السكن"

لوهلة لم يفهم عمرو قصده فقال يحاول اقناعه " أنا أعيش مع أبي وأمي فقط ولدينا غرفة إضافية وصدقني الأمر بسيط .. اعلم أنك لا تعرفني لكن أعتقد أنك تثق في أحمد وأنا صديقه"
ثم نظر لأحمد ليجده ينظر لرامز عبر المرآة الأمامية بتهديد وتلوح على وجه ملامح (أبا الغضب) ولسان حاله يقول " هل تثق بي يا رامز؟

فاستدرك عمرو يقول بمزاح " حسناً .. ربما هيئة أحمد لا توحي بالثقة .. لكني أؤكد لك أنه شخص يمكن أن تثق به وعليه تستطيع أن تثق بي أنا بالتبعية"

Des. Maryam Tamim

أشاحت بانة بوجهها تداري ابتسامتها ثم قالت "
أشكرك يا أستاذ عمرو على شهامتك لكني فعلا لا
أحب مشاركة أحد في السكن"
قال أحمد بلهجة مستخفة " لماذا يا دكتور؟"
تطلع إليه عمرو بتساؤل فبادره أحمد " إنه
صيدلاني (ثم تطلع إلى رامز في مرآة السيارة ليقول
متهكماً) أرأيت ؟.. حتى عمرو لا يبدو عليه
التصديق"
هتف عمرو مدافعاً " أنا لم أقل هذا!!"
حدجت بانة أحمد بنظرة جليدية وهي تفكر في
تفسير منطقي تخبرهما به..
ما هذه الورطة ؟!!.
اسرعت بقول أول شيء تبادر لذهنها " لدي رهاب"
علت الدهشة وجهيهما ليسأل عمرو متشككاً "
رهاب .. مِن.. ماذا ؟؟!"
ارتبكت وسألت نفسها في سرها " رهاب من ماذا يا
بانة ما هذا القول السخيف !!!!!! "

Des. Maryam Tamim

حاولت اختراع أي تفسير يصلح الأمر فقالت "
رهاب من السكن مع أي شخص في نفس المكان
ورهاب من الزحام"

تباً ! أرادت أن تُكَحِّلها فعمتها!
قال عمرو باندهاش " لم اسمع يوماً عن رهاب من
هذا النوع!!"
فكرت بسرعة ثم هتفت " اعتقد أنه حدث لي
بسبب ما تعرضت له أثناء الحرب ثم مجيئي إلى
هنا وبعض المواقف الصعبة التي تعرضت لها ..
ربما تكون هي السبب في هذه الحالة .. صدقوني لا
استطيع مشاركة أحد السكن"
اشاحت بنظرها تجاه النافذة تتجنب نظرة أحمد
المتفحصة لها عبر المرآة .. تدعو الله أن يقتنعا
بهذا التبرير الساذج وهي تلعن نفسها فلم تحب
يوما أن تتاجر بوضعها الصعب ابدا.

Des. Maryam Tamim

بعد قليل كانت السيارة تدخل حي سماحة لتستقر تحت بيت آل سماحة .. فترجلت بانة في تساؤل وهي تلتفت حولها تستكشف المكان.. ليطلب منها أحمد أن تحضر حقيبتها من السيارة وتضعها في حوش منزل مكون من ثلاث طوابق فنفذت وهي تسأله في استفسار " أين نحن ؟"

رد أحمد بشموخ " في بيت الكونت سماحة شخصيا"

هتفت بانة في تحفز " أشكرك على كرمك .. لكن انا لا استطيع كما قلت لك"

قالتها وسحبت حقيبتها مبتعدة.. فهتف أحمد بلهجة غاضبة " أيها الفتى الباكي .. لا تختبر صبري معك .. فأنا لن استطيع التحكم في غضبي أكثر من ذلك"

ردت عليه بانة بتوتر وهي تشعر أنها في وضع صعب " صدقني أنا فعلا لا استطيع مشاركة أحد السكن .. صدقني"

Des. Maryam Tamim

قال ساخراً بصوت خفيض يغيظها " ماذا ؟ هل تنتابك نوبات بكاء عندما تشارك أحدا السكن"
رمقته بنظرة غاضبة ثم حولت نظرها لعمرو الواقف يبتسم بهدوء وكأنها تستنجد به ليتدخل وينقذها ..فاستطرد أحمد " لا تخف .. ستبيت في شقتي في الدور الثاني .. هي خالية تماماً لكن نستطيع تدبير أمر النوم الليلة .. وغداً نرى ما يمكن فعله .. تستطيع أن تسكن في هذه الشقة فأنا لا احتاجها حاليا واسكن مع عائلتي في الدور الثالث"

وجه إليه عمرو نظرات مندهشة فلم يعتقد أن يتهور أحمد لهذه الدرجة بأن يحضره الى بيت عائلته في شقته الخالية ! ؟
حاولت بانة الاعتراض وقد كان الأمر مفاجئاً وغير متوقع .. أن تعيش في نفس البيت مع أحمد.
و الحاج ابراهيم سماحة .. فهتف أحمد مهدداً إياها إن لم توافق سيقدم بلاغا للشرطة بأنها

Des. Maryam Tamim

اقتحمت الورشة دون علم أحد وسيلفق لها تهمة سرقة...

وبالرغم أنها لم تصدق جدية تهديده خاصة مع ابتسامة عمرو المتسلية الذي كان يراقب بها المشهد استسلمت في صمت وارهاق.. فلم يكن لديها القوة لأي جدال خاصة وأن الانهاك والتعب و الجوع قد استبدوا بها ...
بعد قليل كانت تجلس في غرفة تعتلي المقهى المقابل لبيت سماحة حيث قادها عمرو الى هناك وترك أحمد ليحضر مفتاح الشقة من والدته..
فلاحظت وجود شخص ثالث معهما غير عمرو وسيد الذي تعرفت عليهما من قبل .. وأخذ هذا الشخص يتفحصها باهتمام .. فانتبهت لساقيها حيث تلصقهما ببعضهما بخجل انثوي عفوي فاعتدلت في جلستها تفتح ساقيها قليلا تقلد جلستهم.

Des. Maryam Tamim

أشاحت بنظرها عنهم في توتر تتأمل المكان حولها .. الغرفة تبدو مكانا شخصياً لهؤلاء الأصحاب أحمد وعمرو وسيد وهذا الرابع وائل.

وائل ذو وجه بشوش .. كثير المزاح .. بشعر اشقر وعينين زرقاوين .. عندما حضرت استقبلها سيد ببشاشة و ترحيب متفاجئا أن يرى رامز هنا.. وعندما شرح عمرو الوضع باختصار لاح الحزن على وجه سيد وعاتبها على عدم اللجوء إليه فحاولت الاعتذار بحرج وامتنان .. لكن بدت علامات الضيق على وجه سيد حين علم بأن أحمد سيتركها تبيت في شقته المغلقة .. ولم تفهم سبب هذا الضيق ! .

متى ستنتهي هذه الليلة الطويلة ؟
الجفاف والحرقة يملآن عينيها بسبب عدم النوم.

Des. Maryam Tamim

وتشعر أنها توشك على الاغماء .. وودت لو تتكوم في أي زاوية وتنام وغدا تفكر في أحداث هذه الليلة الطويلة.

أتى اتصال لعمرو من أحمد يطلب منها النزول أخيراً..

عندما نزلت للشارع كان أحمد في انتظارها أمام بوابة البيت .. ليتقدم أمامها يدخل البوابة تبعته في صمت ..

دقات قلبها تهدر في صدرها بشعور كانت من الارهاق بحيث لم تقو على تحديد كنهه ..

فالتقطت حقيبتها من حوش البيت وصعدت خلف السيد (الغاضب منها حاليا) الذي يصعد أمامها بقامة ممشوقة ويديه بجيبي بنطاله.

البيت يبدو حديث البناء وليس قديما ومتهالكا كبيت الست نرجس أو البيوت التي سكنت فيها من قبل .. حتى الحي يبدو من شكل البيوت وانواع

Des. Maryam Tamim

السيارات الراكنة في الشارع يوحي بأن سكانه من الطبقة فوق المتوسطة..
في الدور الثاني استقبلتها شقة بابها مفتوح انارته مضاءة ..ليسبقها هو الي الداخل فترددت قليلا وتملكتها الرهبة .. ثم نظرت لأحمد الذي كان يتأملها بتعبير غامض على وجهه ..

سمت بسم الله ودخلت بوجل..
فأخبرها أحمد بهدوء أن هناك بعض المفارش والاغطية بالغرفة أحضرها من الدور العلوي (يقصد شقة عائلته) وأنه سيتدبر غداً بعض الاثاث البسيط. . لتندفع موضحة أنها لن تمكث سوى ليلة واحدة وبعدها ستتدبر أمرها .. فرمقها بنظرة مرعبة قائلاً من بين أسنانه "صدقني يا رامز أنا أمارس معك الآن أقصى درجات ضبط النفس (ثم توجه نحو الباب يخلع المفتاح من الباب ويناوله لها همس بتهكم) المفتاح .. حتى تغلق الباب على

Des. Maryam Tamim

نفسك جيداً وتبكي بكل أريحية (رفع حاجباً وأكمل بلهجة تحذيرية) لكن إياك والصراخ فأنا لا اطيق الصوت العالي"

تحكمت في ابتسامة كادت أن تشق شفتيها وتصنعت الجدية لترمقه بنظرة جليدية .. فتأملها بملامح غامضة ثم استطرد " كلما أتذكر ماذا فعلت بنفسك تنتابني رغبة ملحة في تمزيقك إربا ومصمصة عظامك.. "

بدا لها السيد (المرعب) في تلك اللحظة وسيماً ودافئاً على الرغم من عصبيته وغضبه.

نفضت عن رأسها تلك الخواطر السخيفة وشمخت بذقنها تستفزه وقد باتت تستمتع باستفزازه مؤخراً لتقول " شكرا على شهامتك سيد أحمد"

رفع حاجبه وقد التقط تعمدها استفزازه فرد ببرود "على الرحب والسعة سيد رامز"

Des. Maryam Tamim

ثم خرج واغلق الباب خلفه بهدوء.

الفضول الأنثوي بداخلها تفوق على الإرهاق والتعب وتوابع هذه الليلة العاصفة .. فأخذت تتجول في الشقة تتفقدها وتقيمها وتبدي وملاحظاتها كأي أنثى أصيلة!.
صالة واسعة في وجه الباب وعلى اليمين صالة داخلية بها نافذة كبيرة من خشب الأرابيسك به نقوش بارزة يدوية رائعة ولكن دون دهان فقط خشب أبيض في مرحلة ما قبل الدهان .. في آخر الصالة الكبيرة ممر طويل عندما دخلته وجدت على اليسار مطبخا متوسط المساحة وبعدها حمام في نفس الناحية وعلى اليمين غرفتان وفي آخر الممر غرفة كبيرة ملحق بها حمام صغير .. وحوائط الشقة بيضاء في انتظار اختيار لون الجدران والارض مغطاة ببورسلين بلمعة محببة من اللون العاجي ..

Des. Maryam Tamim

الشقة فارغة تماما لكنها نظيفة ومبهجة.
هذا ما فكرت به بانة .. ثم وبخت نفسها لتقول بغيظ "مالي أنا إن كانت جميلة أم لا .. أنا هنا لفترة مؤقتة"

***

في البناية المواجهة لبيت آل سماحة وبالتحديد في الدور الثاني من مقهى " كوكب الشرق " كان الجو مشحوناً بين أحمد وسيد .. فقد أبدى سيد بعض الاعتراض الضمني على موافقة أحمد استخدام رامز شقته مؤقتا مما أثار ذلك حفيظة أحمد.. فوقف الرجلان في مواجهة بعضهما بتحد وكل منهما قد جحظت عيناه يحدق في الآخر بغضب .. ليقول أحمد بلهجة خطرة " ماذا تعني بكلامك ؟!"
رد سيد محاولا التحكم في أعصابه " اقصد أنه جانبك التوفيق حين قررت ذلك .. أنت لديك اخوات بنات"

Des. Maryam Tamim

استشاط أحمد غضباً وهجم على سيد ليقبض على مقدمة قميصه ورد "إذن أنت ترى أني لا أراعي حرمة بيتي وأحضر شباباً لمنزلنا.."

تخلص سيد من يد أحمد الممسكة بقميصه بهدوء معترفاً في قرارة نفسه أنه ليس من حقه الحديث في هذا الأمر لكنه منزعج إلى حد لم يستطع معه أن يسكت عن الأمر فقال بلباقة " أنا أعرفك جيدا ولا اقصد بالطبع ما تشير إليه .. لكن من واجبي تنبيهك كأخ وصديق مخلص إذا ما فاتك شيء .. أنا اقصد أن البيت به نساء ولن يشعرن بالراحة في وجود شاب غريب و.."

قاطعه أحمد محتداً " من تقصد ؟؟.. أمي؟ .. أم أروى التي لا تخرج من الشقة وهي بالمناسبة أكبر منه بالعمر؟ .. أم تقصد آية بالتحديد؟!!"

Des. Maryam Tamim

قال سيد معترفاً "بالطبع أقصد آية .. الفتاة صغيرة ومن الممكن أن تتأثر به وخاصة أنه وسيم بمقياس المراهقات"

تدخل وائل في الحوار يقف بينهما متنحنحاً يحول دون تصاعد هذا التشنج بينهما وقال " يبدو أن الخير على قدوم الواردين !.. سيد لم يقصد شيئاً يا كونت .. ولكن أنت تعرف أنه يخاف على أروى وآية مثلك تماما"

أشار أحمد بسبابته موجها الكلام لهما بينما عمرو يجلس بهدوء وبيده المتحكم الالكتروني للالعاب ..عيناه على الشاشة البلازمية وأذناه متابعة للحوار تحسباً لأي تهور قد يتطلب التدخل.

قال أحمد بانفعال " أنتم تعرفون بنات سماحة جيداً .. كما أن بيتنا مثل أي بناية سكنية بها شقق منفصلة.. بمعنى أني لو قررت أن أؤجر أي شقة منها كاستثمار مثلا ما علاقة ذلك بالبنات !! ..

Des. Maryam Tamim

وأعتقد أنكم تعرفونني جيداً وبالتالي تثقون فيمن أسمح له بدخول بيتي"

ثم نظر لسيد بالذات ليقول محذراً " ولن اسمح لأي أحد أيا كان بالتدخل في شئوني وشئون عائلتي "

اسرع وائل يقرص سيد في ذراعه يمنعه من الرد ليمنع احتدام الموقف أكثر مما هو عليه ثم قال ببشاشة " صلوا على النبي يا شباب .. ما هذا المزاج الليلة (واستطرد يقول غامزاً) معي سيجارة حشيش مفتخرة.. من يريد ؟"

بعد قليل قال وائل يسأل سيد بعد مغادرة أحمد و عمرو " هل تخاف من تأثر آية بالفتى؟"
رد سيد بحيرة " صدقني لا اعرف .. تارة تكون مراهقة وتارة أخرى تكون شابة ناضجة وأخشى أن

Des. Maryam Tamim

تراه بعين المراهقات اللاتي ينجذبن للشباب من الجنسيات الأخرى "
لكن وائل طمأنه بأنه يثق في آية وطلب منه ألا يبالغ في الخوف عليها.

***

كانت بانة قد افترشت الارض في الغرفة ..تتهيأ للنوم بعد هذا اليوم العصيب حين سمعت طرقات على الباب .. فتحركت بقلق ووقفت خلف باب الشقة تسأل عن الطارق ليأتيها صوت نسائي يهتف " افتح يا بني أنا الحاجة أم أحمد"
شهقت بانة وبدا عليها الارتباك وحمدت ربها أنها لم تخلع المشد الملفوف حول جذعها منذ أكثر من ثلاث أيام يخنقها وتشعر بتقرحات جلدية تحته..
فتحت الباب بوجل لتطل من خلفه امرأة قصيرة بعينين عسليتين تحمل صينية مغطاة بمنديل قماشي كبير.

Des. Maryam Tamim

شعرت بانة بالارتباك وانعقد لسانها .. فدخلت أم أحمد وهي تقول ببشاشة " مرحبا بك يا بني .. اسمك رامز أليس كذلك؟"

أومأت بانة وهي تتأملها بهدوء فأشارت لها أم أحمد لتحمل عنها الصينية لتسرع بانة لحملها بارتباك وهي تسمع السيدة تقول " لابد أنك على لحم بطنك يا بني .. هذه وجبة خفيفة جهزتها سريعاً "

تأثرت بانة بالمرأة التي يشع منها حنان أمومي فطري .. بينما وقفت إلهام تتطلع باهتمام للفتى الغريب .. يعتصر الألم قلبها على حاله الذي أخبرها به أحمد .. دائما قلبها لا يحتمل فكرة اليُتم فمابالك بهذا المغترب عن بلاده وأهله .. وحيدا وعاجزا ..

مدت إلهام يدها تربت على كتفه .. تفكر في سرها أنه يبدو مذعوراً كأرنب يرتجف تحت المطر!

Des. Maryam Tamim

فقالت بحرج " سأدبر لك غداً بعض الأثاث البسيط"

هتفت بانة مرعوبة من الفكرة " كلا كلا .. لا تتعبي نفسك .. سأتدبر أموري"

ابتسمت إلهام في حنان " كيف تقول هذا .. الناس لبعضها .. لا تحمل هماً واعتبرني مثل أمك"

ارتجف قلب بانة وهي تهمس " أمي ! "

نظرات السيدة تحاصرها ولكنها نظرات مشفقة .. حنونة .. أمومية .. لقد أثارت هذه السيدة في نفس بانة رغبة قوية للبكاء .. وكأنها مصدر طبيعي يشع دفئاً تفتقده بانة .. تفتقده بشدة ..

أشاحت بنظرها بعيداً عن نظرات السيدة أم أحمد فلم يحتمل قلبها المتألم هذا الكم من رسائل الود والدفء الذي تشع من هذه المرأة .. خاصة وهي في هذه الحالة من الانهاك والضعف والرغبة القاتلة في الاستسلام..

Des. Maryam Tamim

أرادت أن تتوسلها الا تظهر أمام هذا الدفء حتى لا تنهار وتبكي.. !

صوته الرجولي المألوف قطع هذه الوقفة المليئة بالحنان ليقول ساخراً " كنت أعلم أنك لن تنامي حتى تتفقدي الوضع يا ام أحمد"

انتفضت بانة وهي ترى أحمد يقف على الباب عائدا من الخارج .. إذ أنها لم تعتد بعد على وجوده القريب جدا هذا حولها.

ردت إلهام بحنان " أعددت له لقمة صغيرة يا بني"

نظرا أحمد للصينية في يد بانة ورد ساخراً " كل هذا لقمة!!"

وبخته أمه وهي تضرب بكفها على ذراعه " كفاك مشاكسة هيا دع الفتى ينام. "

***

بعد أسبوعين:

Des. Maryam Tamim

تثاءبت وهي تقوم من سريرها وقد ملأها رؤية الغرفة البسيطة بالبهجة .. ها مضى اسبوعان على وصولها إلى بيت سماحة وحياتها تأخذ منحنى أكثر قبولا وراحة .

قبولا وراحة!!!! .

بل هو أكثر من ذلك بكثير عليها أن تعترف بذلك .

يسيطر عليها شعور مليء بالتناقضات يربكها ويثقل عليها ولا تعرف كيف تتصرف والى أي اتجاه تذهب.

إذا حاولت تصنيف ما تشعر به فمن الممكن ان تقول

سعادة..

إحساس بالامتنان..

شعور بالرفقة له وقع غريب يبعث دفئا في أوصالها ..

وأيضا..

Des. Maryam Tamim

شعور بالحرج وكرامة تئن وكبرياء مجروح يمزقها من جهة أخرى ! .

تجولت في الشقة البسيطة المبهجة التي أحبتها جدا بهذا الأثاث الأنيق البسيط.
فقد فوجئت في اليوم التالي لحضورها بعمال يدخلون عليها ببعض الأثاث لتقف ذاهلة وهي ترى أحمد الذي كان يقف على باب الشقة يتأملها ومعه وائل وعمرو .
علمت أيضا أن أم وائل أصرت على إرسال بعض أدوات المطبخ البسيطة من مطبخها الخاص وبعض المفروشات الضرورية .

الأمر بالرغم من إثارته لحفيظتها - وهي المعتزة بكرامتها ببعض المبالغة - إلا أن مشاعر الصدق التي حامت حولها ألجمتها.. جعلها تشعر بدفء تفتقده .. فتقبلت صاغرة هذا الكرم الفائض ..

Des. Maryam Tamim

وخجلت أن تكون فظة تجاه هؤلاء الناس الطيبين ..

رضيت أن تستمر بالشقة مؤقتا حتى تدبر أمرها .. ولكن اشترطت أن تدفع إيجارا فطلب منها أحمد نفس قيمة إيجار الشقة السابقة .. وبالرغم من أنها تعرف أن هناك فرقا شاسعا بين الشقتين والمنطقتين السكنيتين .. الا أن ظروفها المادية لم تكن تسمح لتعطي مساحة لكرامتها التي تئن وتعترض وأن تقود الموقف .. بل أنها قبضت على كرامتها بعنف لتسجنها قليلا حتى لا تقابل كرم هؤلاء الناس بأي صلف وغرور منها داعية الله أن يمنحها الفرصة أن ترد جميلهم يوما ما.

من ناحية أخرى عليها أن تعترف أن الموضوع برمته أسعدها..

المكان والصحبة والكرم والرغبة في التواجد وسط مجموعة من البشر تثق بهم ويعطونها بعضاً من الاهتمام الإنساني.

Des. Maryam Tamim

فلا يشعر بالنعم البسيطة في أن يكون لك أربعة جدران مغلقة عليك.. فتأمن على نفسك من الاخطار .. وتنام بملئ جفنيك .. إلا من مر بظروفها .

إن شعورك بأنك وسط جماعة من البشر يشعرونك بإنسانيتك لن تشعر بقيمته الحقيقية إلا إذا فقدته أو أنتُزع منك غصباً .

لهذا قررت بانة أخذ استراحة محارب لتنعم ببعض من شعور إنساني يتجاهله البعض ويتغافل عن كونه نعمة.

اليوم يوم الجمعة وعلى الرغم من أنها تتعامل بتحفظ وتفضل الانطواء متحكمة بشدة في رغبتها الملحة للصحبة خاصة مع أحمد واصدقائه وأن تبقى في محيط ورعاية الحاج سماحة وزوجته أم أحمد..

وآه من السيدة أم أحمد.. !

Des. Maryam Tamim

تقابلت مع هذه السيدة أكثر من مرة وكل مرة ينتابها نفس الشعور حين تراها .. الرغبة في البكاء !!! ..

هذه المرأة تشع حناناً أمومياً فطرياً بشكل لا يوصف .. حتى أنها قررت مؤخراً محاولة تجنب الالتقاء بها حتى تستطيع السيطرة على هذا الشعور الملح بالبكاء كلما قابلتها.. ربما لأنها فقدت أمها منذ أن كانت في العاشرة من عمرها ؟..

لا تدري.. لكن هذه السيدة خطر على المحرومين الذين يعيشون في كرب مثلها ! .

وبالرغم من محاولتها الانطواء كي لا ينكشف أمرها أو تثير الشك إلا أنها لم تستطع رفض طلب سيد الذي قابلها أمس وهي عائدة من الورشة .. فقد كان متعجلا على ما يبدو ذاهبا إلى مكان ما .. وأخبرها بأنه يريد أن يقابلها غدا بعد الصلاة .. هذا بالإضافة لأحمد الذي طرق على بابها بوحشية منذ قليل

Des. Maryam Tamim

ليخبرها أن التجمع بعد الصلاة أمام المقهى! ..
ولم تفهم أي تجمع مقصود لكنها قررت الذهاب

بعد قليل اغلقت باب الشقة تنوي التوجه للمقهى
.
.. وعلى السلم إلتفتت لحركة آتية من أعلى لتجد شابة قصيرة القامة ترتدي إسدال الصلاة يجرجر تحت قدميها ليكنس السلم كلما تحركت .. تنزل بتعجل وهي تصيح فيها بعصبية " أنت"

ردت بانة باندهاش وهي تستنكر اللهجة الحادة "نعم !"
اندفعت آية تمر بجانبها بعنف تقول بتقريع " حين تعرف أن أحدا من أهل البيت ينوي النزول تفسح الطريق وتلتصق بالحائط حتى نمر .. وتغض طرفك عن النساء "

Des. Maryam Tamim

ثم اكملت سيرها المتعجل وكأنها تطير من على السلم.

جحظت عينا بانة في ذهول وهي تردد في سرها " النساء ؟ .. أين النساء !! .. إنها تبدو كمن خلعت ضفائرها المدرسية أمس !(ثم وبخت نفسها) أنت أيضا يا بانة انتبهي حين تتعاملين مع الإناث أنت ذكر .. عليك عدم التدقيق بالنظر حتى لا يسوء تفسير تصرفاتك على أنك شاب وقح ! "

خمنت بانة أنها أخت أحمد الصغيرة حيث اخبرها عمرو من قبل وهو يوضح لها ببعض اللباقة أن البيت به فتاتان هما أختيّ أحمد ففهمت الرسالة الضمنية المراد إيضاحها.

حين وصلت بانة لبوابة البيت كانت هذه الشابة العصبية تتلصص من بين القضبان الحديدية للبوابة على الوضع بالخارج .. وقد بدا عليها التردد

Des. Maryam Tamim

في الخروج .. وحين شعرت باقترابها استدارت بنفس العصبية لتنطلق صاعدة من جديد وهي تشير إليها بسبابتها " إياكَ أن تنطق أنك رأيتني .. سأقتلك"

جحظت عينا بانة في تعجب وهمست " هل كل أولاد سماحة يتسمون بالعصبية ؟!.. أمر غريب!! .. رغم أن الحاج و الحاجة ما شاء الله .. غاية في والوقار والهدوء ! "

حين خرجت بانة للشارع كان الشباب الأربعة مجتمعون أمام المقهى بملابس رياضية مريحة فاعترفت لنفسها أن أربعتهم وسيمون .. لكن أحمد كان رجولياً ووسيماً بشكل يستفزها !!

بعد السلام والتحيات ادركت أبعاد الموقف..
الليلة زفاف سيد..
وهو مصرعلى دعوتها للحفل.

Des. Maryam Tamim



والغرض من التجمع على حسب ما فهمت هو توزيـع المهام فيما بينهم .. فالشباب الاربعة يخططون كيف سينجزون ترتيبات الساعات الأخيرة قبل العرس .. تزيين السيارة .. قيادة سيارة العريس .. توصيل العريس من وإلى صالون الحلاقة . .. مباشرة ترتيبات القاعة بالفندق .. استقبال المدعوين هذا ما استطاعت التقاطه من المهام .. وفهمت أن سيد ليس لديه أي عائلة ..ويعتمد اعتمادا كليا على أصدقائه بالرغم من أنها التقطت ذكر اسم والده ولكن ما فهمته أن علاقته به ليست جيدة .. وفهمت أيضا أن العروس من مدينة خارج العاصمة من أعيان الفلاحين وأنهم سيأتون على القاعة مباشرة بأتوبيسات ..

تأملتهم بانة وقد بدوا مبهجين بقاماتهم الطويلة واختلاف شخصياتهم ..

Des. Maryam Tamim

عمرو هادئ وجاد .. قليل الكلام واثق من ذاته يستقبل أكثر مما يرسل .. وهيئته و وسلوكه يوحيان بإلتزامه الديني .

وائل بشوش يكثر من إلقاء النكت والضحك ويبدو خالي البال.. ولديه بعض النظرات الماكرة العابثة ..

أحمد عصبي يلقي الأوامر ويتأفف طيلة الوقت ولا يطيق التفاصيل الكثيرة لكنه كان يدير خطة الحرب أو توزيـع المهام بشكل جيد ..

أما سيد فهو بعكس هيئته الضخمة التي يحسب لها ألف حساب بين أهل الحي وخاصة الشباب منهم لكن من يقترب منه يدرك أنه دافئ القلب حساس مراع جدا لمشاعر للآخرين .

فتمنت بانة أن تكون ذكراً بحق حتى تنطلق وسطهم دون حواجز خاصة وأنها تشعر أنهم يحاولون إدماجها في عالمهم.. ولم تعلم هل ذلك

Des. Maryam Tamim



شفقة على حالها كشاب غريب في وطن غريب
بدون أهل او أصحاب ؟
أم لأنها من طرف أحمد؟..
أم لأن أحمد هو من يفرضها عليهم ؟
لكن السؤال الأهم :
ماذا تمثل هي لأحمد ؟

لا تستطيع أن تنكر أنه يعاملها معاملة خاصة جداً .. تخرق قواعد المنطق أحيانا.. فالوقت القصير الذي مضى على تعارفهما بالإضافة للمواقف التي حدثت بينهما.. وأيضاً وضعهما على المستوى العملي كعامل في ورشة وصاحب العمل.. كلها تتناقض مع الطريقة الخاصة التي يعاملها بها أحمد حتى أن العمال يتهامسون أحيانا ببعض الغيرة .. على الرغم من تعمده الفظاظة والتسلط واستفزازها... معظم الوقت ..

وهي من ناحيتها أصبحت تجد بعض المتعة في الرد علي استفزازه باستفزاز مماثل فأصبحا مثل الديوك

.

ربما هي الرفقة الأنسانية.
ربما لو كانت ذكراً لكانت أكثر سعادة وهي تنطلق في علاقة وطيدة مع هذا السيد المستفز.

ابتسمت حين أدركت أن سيرة هذا المستفز تطلق سيلاً من الألقاب يتدفق على لسانها كلها فكرت فيه.. لكنها ستتمسك بقرارها في ألا تتورط معه ومعهم أكثر حتى لا تنكشف حقيقتها.. وعليها أن تحضر نفسها للانسحاب من حياتهم في أقرب وقت ممكن .. فهذا القرب حتما سيؤدي إلى كارثة .. حتى أنها لم تستجب لدعوات أحمد المتكررة لتوصيلها من وإلى الورشة

Des. Maryam Tamim

جاء صوت عمرو الهادئ ليقطع افكارها دعونا نذهب للصلاة أولاً ثم نكمل حديثنا .. خطبة الجمعة قد بدأت"

تأهب عمرو للمغادرة وهو يشير لأحمد الذي يتحرك متثاقلاً فشده عمرو من ذراعه بحزم " هيا لا تتكاسل " فطاوعه .. بينما نظر عمرو إلى بانة التي احمروجهها وقالت " لقد سبقتكم وصليت بالمنزل"

رفع عمرو حاجبه مستفهما فردت بارتباك "لم اعتد على الناس .. كما قلت لكم من قبل عندي رهاب من الزحام"

مط عمرو شفتيه بامتعاض وهو يسحب أحمد من ذراعه ثم نظر لسيد الذي بادره بالرد " إذهباً وسألحق بكما"

فقال عمرو مستسلماً " أسمعها كل مرة منك يا سيد .. ولا تلحق بنا أبدا "

Des. Maryam Tamim

ثم تحرك ساحباً أحمد..فتعجبت بانة من عدم سؤاله وائل لكنها آثرت عدم التدخل..

فجأة ..
فُتحت البوابة المقابلة لتخرج تلك القصيرة باندفاع وعصبية متوجهة نحوهم مثل طلقة أُطلِقت.. فراقبت بانة المشهد ببعض من الدهشة ..
حيث اندفعت الفتاة نحو سيد لتقول بتقريع " لا فائدة منك أبداً .. لماذا لا ترد عليّ؟؟؟ "
أشرق وجهه لرؤيتها ثم اتخذ موقفاً دفاعياً ليقول مدعيا الظلم" الهاتف بيدي لم تتصلي"
تكتفت وردت " ألم اثبت لك تطبيق الواتساب للدردشة .. بعثت لك مراراً عليه ولم ترد "

نظر سيد لهاتفه يتفحصه كتلميذ غبي يحل مسألة رياضية صعبة .. فسحبت الهاتف منه بحزم وهو

Des. Maryam Tamim

يراقبها ويكتم ضحكته ثم يدعي الجدية والتركيز فيما تفعل حين تنظر إليه.. فأخذت تشرح له كيفية استخدام التطبيق..

قاطعهما وائل مدعيا الحزن " راحت عليك يا وائل .. كانت الصغيرة صاحبة العينين العسليتين تجري إليك تتعلق برقبتك حين تراك.. أما الآن فحتى (صباح الخير) تبخل عليك بها"

انتبهت آيه أنها لم تلق التحية على وائل فقالت وهي تعض على شفتها بحرج " اعتذر يا أبيه .. حقا كانت تعميني العصبية بسبب سيد"

قال وائل متهكماً " أنا اعترف أنه غبي"

ضحكت آية والنجوم تشع من عينيها بشقاوة " وبطيييييئ الفهم"

اعترف وائل بنبرة ذات مغزى" هذه حقيقة مؤكدة"

Des. Maryam Tamim

أما سيد فكان يتأملها بابتسامة حانية.. فقالت آية مستدركة بشقاوة " إذن نعيد من الأول .. صباح الخير يا أبيه يا وسيم يا أشقر"

قهقه وائل ثم قال بعبث " حسنا هذا ما كنت تدعينني به وأنت صغيرة .. أين الحضن إذن ؟"

إحمرت آية كحبة طماطم وكتمت بيدها ضحكة وهي تعطيه ظهرها في خجل ولم ترد.. بينما حدجه سيد بنظرة محذرة ليردها وائل له بحاجبين مرفوعين باغاظة.

اعتذرت بانة للعودة للشقة وهي تفكر في أن هذه الـ آية تبدو مدللة الجميع ربما لفارق السن الكبير بينها وبينهم .

فبادر وائل موجهاً الكلام لآية " لم تسلمي على رامز يا آية "

Des. Maryam Tamim

رفعت آية عينيها تنظر لها ببرود ثم قالت باقتضاب
" أهلا " واكملت التقليب في هاتف سيد.

ثم رفعت رأسها لسيد تقول بجدية " لا تنسى أن تلف لي بعض السجائر .. سأحتاجها وأنت منشغل مع عروسك"
شحب وجه بانة بصدمة .. وتجولت بنظرها بين سيد وآية المنشغلين في النظر في الهاتف ... لتنقل لنظراتها لوائل بيعينين جاحظتين بهما تساؤل مصدوم صامت " هل تدخن الفتاة !!!!!! ؟

انفجر وائل في الضحك وقد قرأ ما تفكر به فقال من بين ضحكاته " لا ليس كما تظن .. هذا لفظ بينهما يعني (إرسال أغنية إليها لتسمعها وتتسلطن بها) .. سيد ملحن و موزع موسيقى ويقوم بتقطيع بعض المقاطع من الأغاني ويرسلها إليها .. وهو تشبيه

Des. Maryam Tamim

باعتبار أن الأغاني تعدل المزاج مثل التدخين .. هل وصل المعنى ؟ "

احمر وجه بانة بحرج بينما حدجتها آية بنظرة جليدية آثرت بعدها الأولى الانسحاب لتعود لشقتها ولوحت بيدها مودعة .

بعد دقائق سأل سيد آية " أريد ان اسألك هل أستطيع أن أكتب على الفيسبوك منشوراً وأخص به بعض الاصدقاء فقط دون أن يراه بقية الاصدقاء المسجلين عندي ؟"
اندفعت آية لتقول بحماس " طبعا سأعلمك الطريقة."
وبينما هي تشرح سألها وائل بخبث " لماذا عاملتِ الشاب ببرود"
ردت آية بإستغراب " أي شاب ؟ تقصد هذا الغريب !.. لا اعرفه .. ولا أستسيغه"

Des. Maryam Tamim

فقال وائل وهو يضيق عينيه " هل تعلمين أن (سهر) الفتاة التي تقف في السوبر ماركت تتخشب وتتنهد كلما مر ويبدو أنها هائمة به جدا"

ردت آية باستنكار " بهذا المائع ! .. أذواق !"
فقال وهو يكتم ضحكته " يبدو أنه لا يعجبك "

ردت ببرود وهي مشغولة في تقليب هاتف سيد " لا أطيقه .. خاصة وأن أمي تبالغ في التعاطف معه .. إنه ناعم ومخنث بشكل مثير للتقزز .. لا اعتقد ان لديه هرمونا ذكوريا واحدا."
هتف سيد بإستنكار "آية !"

بينما قهقه وائل عاليا وهو يغمز لسيد ثم سأل " وكيف تعرفين أنه لا يوجد لديه هرمون ذكوري واحد ؟"
هتف سيد بلهجة غاضبة " وائل !"

Des. Maryam Tamim

ثم أشار إليها آمراً أن تعود للبيت وقد انقلب مزاجه .. فحاولت التشبث بالبقاء معهما تتوسل كطفلة لكنه حدجها بنظرة محذرة أن تدخل قبل عودة أحمد من الصلاة حتى لا يتوتر الوضع

..

رافقها سيد في الخطوات البسيطة بين المقهى والبوابة ليُدخلها ويغلق الباب الحديد بالسلسلة والقفل.. فأطلت برأسها من بين قضبان الحديدية تسأله " هل أنت جاهز للزفاف؟"

فابتسم لها ابتسامة واسعة .. لتقول بصدق " أتمنى لك السعادة من كل قلبي يا سُدسُد "

تأملها وهي تتعلق بالقضبان الحديدية تحشر رأسها بينهما وتتطلع اليه ببؤس طفل على باب ملجأ يتشبث بأهله فشعر بنغزة في قلبه.

قالت آية بتأثر" كم يوما ستكون مشغولا معها ؟"

Des. Maryam Tamim

رد بهدوء مطمئناً " لن يشغلني عنك شيء يا قطعة السكر"

سألت باستعطاف " أبدا ؟"

رد مؤكداً " أبدا .. أنا موجود في أي وقت "

كافأته بابتسامة تقطر عسلا ثم قالت " أرسلت لك أغنية على الواتساب اسمعها حين تجد الوقت .. ولا تنسى سجائري .. أراك الليلة في حفلة العرس"

راقبها وهي تصعد السلم تجر أطراف الاسدال .. ثم أطرق برأسه يفتح هاتفه .. وعلى الفيسبوك أخذ يستعيد الخطوات التي شرحتها له حول كيفية تخصيص منشور لمجموعة محددة من الاصدقاء دون الأخرين .. وكتب:

"وألملم من عينيك ملايين النجمات..

يا وجعي..

يا وجع النايات!"

Des. Maryam Tamim

***

عند المغرب وقفت سيارة العريس أمام بيت سماحة مزينة بشريط أبيض من الساتان وباقتي ورد مثبتتين على مقدمة ومؤخرة السيارة. . وترجل سيد منها ليصعد مسرعاً لبيت سماحة وهو يحدث نفسه " عليّ أن أتكلم معها..

عليّ أن أواجهها..

لن أتحمل غضبها مني..

يجب أن أراضيها..!

Des. Maryam Tamim

الفصل الخامس

هتف عمرو من مقعد السائق " لا اعرف ما هو الموضوع العاجل الذي استدعى أن نعود كل هذا الطريق لبيت سماحة.. الحاج سماحة وأحمد ووائل ورامز وآية سبقونا على القاعة والعروس على وشك الوصول وأحمد لا يكف عن الاتصال للاستفسار عن سبب تأخرنا "

خرج سيد بتعجل وهو يقول " دقيقة واحدة أرجوك "

ترجل من السيارة بعجلة ليصعد سلم بيت سماحة وهو يحدث نفسه "عليّ أن أراها ..لابد أن اواجهها .. لن اتركها غاضبة مني "

بعد لحظات جاءه صوتها من خلف الباب تقول " من؟"

قال في وجل " أنا يا أمي .. سيد "

Des. Maryam Tamim

انفتح الباب ووقفت تتأمله بحنان ..
كان يعلم أنه كسر بخاطرها وأنه كان لزاماً عليه
تحقيق أمنيتها بالزواج من أروى ..
لكنه نذل وعديم الاصل .. وخيب ظنها ..
قالت بسعادة وهي ترفع إليه ناظريها " بسم الله
ماشاء الله.. حفظك الله من شر العين يا حبيبي "

مال بجذعه يقبل رأسها و يدها ثم قال مشاكساً "
أردت أن أريك حلة الزواج مادمتِ لن تحضري
حفل الزفاف "
ابتسمت واغرورقت عيناها بدموع الفرح وقالت
بصدق وهي تمسح بيدها على حلته "اسعدك الله
يا بني .. جاء اليوم الذي أراك فيه عريسا يا سيد "

نغزه قلبه فقال بصوت خشن مبحوح " كنت أريد
أن أرضيك يا أمي وأسعد قلبك .. صدقيني.. أردت

Des. Maryam Tamim

ذلك بالفعل.. لكني لدي ما يمنعني .. أقسم لك أنه خارج عن إرادتي.. أقسم لك " .

تصنعت إلهام عدم الفهم خاصة وأنها لم تصرح برغبتها السابقة في أن يتزوج من أروى علنا ابداً حمدا لله .. لكن الموضوع كان واضحا وضوح الشمس دون ذكره مباشرة ..
وقالت بصدق" ستسعدني حين أراك سعيداً يا حبيبي "
لثم يدها مجددا ليقول متأثرا " كنت أتمنى أن تحضري زفافي "
قالت بمراوغة " كلهم ينتظرونك يا حبيبي الحاج ابراهيم وأحمد وآية .. وكما تعرف لن استطيع أن أترك أروى بمفردها"
جاء صوت أروى ساخراً من الداخل " وهل أروى تحتاج لمن يبقى معها .. تحججي بعيداً عني"

Des. Maryam Tamim

رمقتها أمها معاتبة بينما تأملها سيد .. ترتدي إسدال الصلاة وتحرك الكرسي لتستقر بجانب أمها..وقالت ببشاشة " الأميرة عروسة البحار.. ما هذا النور!"

قالت مداعبة بشقاوة وهي تتأمله " أووووه .. تبدو وسيما أيها العريس " .

سأل سيد بابتسامة وهو ينحني بجذعه أمامها " لماذا لن تحضري الزفاف يا اميرة ؟"

ردت أروى بلهجة ساخرة " أنت تعرف أني اصبحت عجوزاً وليس لدي طاقة للمجاملات .. ومرارتي لن تتحمل نظرات السيدات المشفقات عليّ بالكرسي ".

انتفض الجميع لصوت عمرو الآتي من الأسفل يصيح "يا بني آدم ! .. ارحمني من توتر أحمد وصراخه.. سيفقدني عقلي أقسم بالله .. أخشى أن يفقد أعصابه ويطرد المأذون والعروس وأهلها " ..

Des. Maryam Tamim

تحركت إلهام نحو سور السلم لتقول لعمرو بعتاب حازم" لم أرك منذ مدة أنت الآخر يا ولد .. أم أن أمك تمنعك من زيارتي ! "

احمرت أذنا عمرو وصعد إليهم ويلقى السلام بأدب وقد استعاد شخصيته المتحفظة .. فأطل عليهم في حلة سوداء و رابطة عنق بنفسجية أظهرت وسامته ولحيته الأنيقة المشذبة بعناية .

واقترب يقبل رأس أم أحمد قائلاً ببؤس " مرحباً خالتي .. اعذريني .. ابنك لا يطاق .. صدقيني لا يطاق (ثم اشار لسيد وأكمل) وهذا البارد أيضا لا يطاق "

ضحكت إلهام ثم قالت بمزاح" أسرع إذن يا سيد ما دام هذا الصبور الهادئ الحليم قد فقد أعصابه فعليك أن تلحق بالحفل قبل أن يفجره ابن سماحة".

Des. Maryam Tamim

لثم سيد يدها مرة أخرى وقد بدت هيئته الضخمة متناقضة مع قصر قامتها وقال هامساً " هل أنت راضية عني ؟ "

اغرورقت عيناها بالدموع ومسحت على وجهه بكفها قائلة " راضية عنك يا ولدي.. ربي يسعدك ويرزقك بالذرية الصالحة "

عاد ليسألها وهو يمسح دمعه رجولية تريد الفرار من زاوية عينه " هل ستزورينني في بيتي؟"

قالت واعدة إياه " حتما سأزورك لأتعرف على عروسك "

قال مدعياً البؤس " لابد أن تزوريها حتى تعرف أن لها حماة ولا تستفرد بي "

ضحكت إلهام من قلبها ولوحت لهما وهما يغادران ثم تمتمت في سرها "كنت أتمنى أن أكون أنا حماتك لأدللك كما تستحق يا ولدي المسكين ..

Des. Maryam Tamim

كله مقدر ومكتوب وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم"

أما أروى فتوجهت ساهمة نحو غرفتها وهي تتنهد وتتمتم كلمات أغنية :

" من أنت ؟ زرعت بنقر خطاك الدرب ورداً جورية ..
كالضوء مررت .. كخفق العطر .. كهزج أغانٍ شعبية ..
لكأنك من قمرٍ تأتي .. من نجمة صبحٍ ذهبية ! "

***

بعد منتصف الليل تركت إلهام سريرها حين سمعت حركة بالخارج وصوت بكاء مكتوم .. فتوجهت إلى غرفة آية لتجدها مستلقية على السرير بملابس الحفل تدفن وجهها بين طيات المفارش تبكي .. فسألتها بجزع وهي تحيطها بذراعيها " يويا .. ما بك يا حبيبة أمك "

Des. Maryam Tamim

قالت آية من بين نشيجها " أنا أكره أحمد .. أكرهكم جميعا "
ردت أم أحمد موبخة " عيب يا بنت ! .. كيف تقولين هذا الكلام .. ماذا حدث اخبريني ؟ هل تشاجرتم؟ ..وكيف كان الحفل ؟"
ازداد نشيج آية فقالت إلهام وهي تمسح على ظهرها بحنان " قلت لك زينة وجهك كانت مبالغا فيها جدا.. لذا كان متوقعا أن يغضب أحمد "
قالت آية وقد علا نشيجها " ضميني يا أمي .. ضميني أريد أن أنام بحضنك الليلة ".
تنهدت أم أحمد وقد أصابتها عدوى البكاء من نشيج صغيرتها فضمتها أكثر وأكثر .

***

في نفس الوقت على السلم كانت بانة تقف عند باب شقتها تنتظر صعود أحمد بعد أن ركن السيارة .

Des. Maryam Tamim

سمعت أقدامه تضرب على السلم بإحباط .. ثم مر من أمامها دون توقف يواصل الصعود لأعلى .. أما هي فلم تجد ما تقوله ليبادر هو بالقول "سوف أصعد الى السطح أمارس قليلا من الملاكمة إذا لم تستطع النوم يمكنك أن تجدني فوق السطح "
ترددت قليلا .. وسألت نفسها ماذا تفعل؟
تلحقه ؟ أم تلتزم بحدودها وتدخل شقتها ؟

الحفل كان مشحوناً ومتوتراً بشكل لم تتوقعه .. وهي كانت تنوي عدم الذهاب من الأساس .. متعللة بأي شيء ملتزمة بالوحدة التي فرضتها على نفسها خوفاً من الاحتكاك ..بالرغم من توقها للرفقة الانسانية لكن الخوف بداخلها من اكتشاف حقيقتها وخصوصا أمام هؤلاء الناس بالذات سيكون مؤلماً ومحرجاً لو اكتشفوا أنها تخدعهم ..

Des. Maryam Tamim

لكن أحمد أصر على ذهابها بشكل لم تستطع الفكاك منه أو ربما هي ضعفت أمام رغبتها في التواصل أكثر مع الشباب الأربعة وعائلاتهم .

بالطبع لم ترتدي حُلة رجالية ورفضت اقتراحات أحمد بإعارتها حُلة وتحملت استظرافه ومزاحه بضرورة قص ربع ساق البنطال في هذه حالة ان أعارها واحدة حين قال متهكماً "لكن ماذا سنفعل في عرض الكتفين !!".

كان في مزاج رائق نوعاً ما قبل الحفل وهو يلتزم بحدود باب الشقة يقف على السلم يسخر منها .. فتساءلت في سرها هل صدق بالفعل أن لديها رهابا من الزحام والناس ؟! .

أصرت على ارتداء ملابسها التقليدية الذي تتعمد ارتداؤه لتخفي ما يمكن إخفاؤه من جسدها .. وهي تحمد ربها أنها فقدت العديد من الكيلو جرامات

Des. Maryam Tamim

منذ أن جاءت إلى هذا البلد .. فالمحنة القاسية أفقدتها الوزن بشكل ملحوظ .. فهي عادة ممتلئة الجسم دون إفراط صدرها وذراعاها ممتلئان وخصرها نحيف قامتها الطويلة نسبياً قياساً لمتوسط طول البنات .

لكنها فقدت الكثير من الوزن دون تعمُد .. حتى أنها تشك أن يتعرف عليها أحد من عائلتها من الوهلة الأولى إذا ما قابلها صدفة .. لكنها ممتنة الآن لنحافتها لأنها ساعدها على اخفاء معالمها لتقمص دور الذكر قدر المستطاع .. حتى وجهها المليء بحروق الشمس والبثور الكثيرة الناتجة عن تحسس بشرتها من الشمس تركتها دون علاج متعمدة.. سعياً منها لإخفاء معالم أنوثتها قدر الإمكان وشعرها الذي تواظب على صبغه باللون الاسود لتطابق صورة رامز ذي الشعر الأسود في جواز السفر .. وربما تتخذ الصبغة كتغطية للون شعرها الحقيقي بعد أن اضطرت لقص شعرها

Des. Maryam Tamim

الطويل وخلع الحجاب لتتقمص دور الذكر وهي التي لبست الحجاب قبل أن تبلغ لترى نفسها بدون حجاب وكأنها عرّت عفتها .

لكن الأمر كان بجملةً تفاصيل المحنة التي قلبت حياتها رأسا على عقب .. وبالرغم من ذلك مازالت صامدة محافظة على وعدها لأبيها ستعيش بكرامة .

تذكرت حين نزلت للشارع لتذهب للحفل مع أحمد وجدته أمام سيارته وقد بدا فاتناً متأنقاً في حُلة السهرة .. لكن مزاجه قد بدأ يتغير بعد تأخر آية في النزول ليفاجآ بالصغيرة تخرج إليهما بفستان أحمر لامع وحذاء بكعب عالٍ .. أما زينة وجهها فكانت حقيقة مبالغة جداً ذكرتها بالست نرجس !.

Des. Maryam Tamim

وبالطبع تشنج أحمد وبدأ في تقريعها وبخ عصبيته في وجهها .. فبادلته هذه الفتاة النارية العناد بشكل بات غير مبشر بالخير كبداية لليلة ..
وتعجبت بانة أن يوبخ أحمد أخته في الشارع وأمامها كشاب غريب .. وألا يحمل من الفطنة واللباقة ما يجعله يحتوي هذه المراهقة المتمردة .!

على الرغم من أن آية مستفزة لكنها تعاطفت معها كأنثى تُعامل بهذا التسلط والعنجهية من قبل أخيها وفي الشارع وأمام أحد معارفه ..فاحتارت بانة في كيفية التصرف.. هل تتدخل مخففة بعضا من عصبية هذا الجلف مدافعة عن بنت جنسها ؟ أم تلتزم الصمت باعتبارها شاباً ومن المحرج تدخله في الدفاع عن انثى لا تخصه ! .

Des. Maryam Tamim

فحدثت نفسها " الأمور اصبحت مُربكة يا بانة .. كانت أبسط بدون احتكاك مع الآخرين .. فقط من بعيد تتقمصين دورالرجل في الهيئة وضمائر المتكلم و الصوت المستعار -الذي تعلمين جيداً أنك فاشلة جدا في اتقانه لكن يسترك – بالإضافة للسيطرة على الرغبة الملحة في البكاء في المواقف الضاغطة ..أما الآن فالأمر بات أصعب .. المفروض أن تشعري مثل الذكور وتقلدي ردود أفعالهم وتفكرين مثلهم !."

تحركت بانة بلباقة لتقول" أحمد .. الوقت تأخر ولابد أن تكون في استقبال الجميع وتراجع ترتيبات الحفل مع الفندق كما وعدت سيد فعلينا التحرك فوراً .. تستطيع الآنسة أن تعدل من زينتها ونحن في الطريق "

استدارت إليها آية وعيناها تطلقان سهاما من شرر لتقول بحدة " ما دخلك أنت يا حشري .. يا بارد بين أخ وأخته !!!"

نظرت إليها بانة شاعرة بالغيظ فعضت على شفتها السفلى مقاومة رغبة حارقة داخلها لعض هذه الفتاة شبيهة أخيها .. وتساءلت في سرها " هل الأخت الثالثة في هذه العائلة بنفس العصبية والنارية والاستفزاز؟!! .. فهذه الـ آية قد لا تحمل نفس ملامح أحمد لكنها نسخة من شخصيته ومن يعرفه لن يخطئ أبداً أنها أخته ".

قال أحمد لآية في عجلة " لا يوجد لدينا وقت فلتخففي هذا المهرج الذي على وجهك في الطريق .. وبمجرد وصولنا للفندق اذهبي وعدليه في الحمام " ..

تمتمت بانة بغيظ " ألا يستطيع هذا الجلف عدم إحراج الصغيرة أمامي "

Des. Maryam Tamim

فتحت عتلة الباب بجانب مقعد السائق بعفوية وهي غارقة في أفكارها لتفاجأ بكتف آية تضربها بتعمد لتسبقها هي للجلوس بجوار أحمد قائلة بحزم "هذا مكاني "

شتمت بانة من بين أسنانها في حرج وهي تتراجع للجلوس في المقعد الخلفي" تباً لأولاد سماحة كلهم .. ماذا أفعل هنا مع هؤلاء المجانين ؟!!"

في الحفل وبالرغم من الصخب والموسيقى والاجواء الاحتفالية .. كان الجو يشوبه بعض الحذر أو هكذا استشعرت بانة ..

الحاج سماحة استأذن مبكراً بعد أن هنأ العروسين .. وآية جلست بوجوم بعد أن عدلت من زينة وجهها فحاول عمرو اعطاءها بعضاً من الاهتمام والرعاية من وقت لآخر بعد مغادرة الحاج سماحة

Des. Maryam Tamim

الذي التصقت به طول الوقت.. فعلى ما يبدو استشعر عمرو توتر الوضع بينها وبين أحمد .

أحمد كان هادئاً ظاهرياً لكنها باتت تلتقط إشارات جسده بسهولة لتحدد انفعالاته .. فخيل إليها أنه كان متوتراً تحت قناع الهدوء الذي يرتديه .. واقفا في زاوية القاعة يداه في جيب بنطال حلته الأنيقة التي تبرز سمار بشرته .. يمضغ علكة بشكل عصبي وكأنه يصارع أفكاراً داخلية .. مبدياً ملاحظاته لمدير الحفل .. وقد بدا الأخير متوتراً من عصبية أحمد وكثرة تعليماته .. بوقفته هذه يشرف على الأمور في القاعة كقرصان يقف على متن سفينة في عرض البحر يراقب العمال ! .

أما سيد فكان مبتسماً هادئاً وعروسه كانت جميلة بل فاتنة .. فغلب على بانة فضول الأنثى فتفحصتها جيداً .. فستانها وزينتها وجمالها الرباني

Des. Maryam Tamim

الملفت حتى أنها لم تنتبه لنفسها وهي تتمتم بصوت مسموع " إنها فاتنة جداً.. ما شاء الله "
أتى صوت وائل يوبخها مازحاً " ليس من اللياقة أو الرجولة إطالة النظر لامرأة تخص صاحبك يا دكتور"
تحرجت بانة وتعرق وجهها وردت " آسف لم أقصد هذا المعنى "
غمز لها وائل " غض بصرك عما يخص صاحبك ..
كما أن الحفل مليء بما يسر العين ويبهج القلب الحزين (ثم هتف بغموض أمام الشبان الثلاثة)
صدقاً .. لم يكن هذا تخيلي لحفل زفاف سيد..
فلم أتخيل أبدا أن يكون سيد بهذا الهدوء "
لم يعلق كل من أحمد وعمرو الساهمين فسألت بانة بفضول " وكيف كنت تتوقع أن يكون ؟"
تنهد وائل وقال " لا أدري ربما توقعته أن يكون صاخباً مجنوناً شقياً في عرسه (ثم أكمل بخبث)

Des. Maryam Tamim

ما هذه الكآبة التي تعلو وجوهكم يا شباب !..
سأذهب لاصطاد بعضاً من الحلويات ! "

بعد قليل تصاعد الوضع تدريجياً لمنحنى لم تتخيله بانة .. فتصاعدت الانفعالات تباعا .. في البداية انطوت في أقصى القاعة تراقب الناس بعين غريب عن البلد .. تقارن .. تتفحص .. تقيم .. تتأمل ..
وكالعادة تصل لنفس اليقين الملامح قد تختلف لكن النفوس والطباع الانسانية واحدة .. حتى وإن اختلفت في طريقة التعبير ..لكن البشر تجمعهم صفات أساسية واجتماعية كالحب والرغبة في لفت الانتباه والفخر والحقد والغيرة وغيرها من الصفات البشرية .. وحين يربط هؤلاء البشر ثقافة واحدة وعادات وتقاليد خطوطها الرئيسية واحدة - كالمجتمع العربي مثلا - فالتشابه يكون كبيرا في كل شيء حتى في الامراض الاجتماعية ! ..

Des. Maryam Tamim

قطع تأملاتها الشمولية لفلسفة سيكولوجية الفرد والمجتمع تأمل شخصي سخيف ألح عليها لم تستطع الفكاك منه فأغاظها من نفسها .. حين تملكتها رغبة ملحة في جر أنثى بشرية معينة من شعرها تحوم حول أحمد وتقوم بحركات مقززة وهي تعرض مفاتنها أمامه بجرأة وميوعة .. وهذا السخيف إلتهى عن دور السيد القرصان (مدير إدارة عموم الحفلات في العاصمة) ليراقب ببرود وغرور هذه الفتاة وهو لا يزال يسحق العلكة المستفزة تحت أسنانه .. وإن كان لم يبد تجاوبا معها بأكثر من إستراق النظر بطارف عينيه باستمتاع ذكوري منتشي ..

نهرت بانة نفسها لاهتمامها بهذا المغرور - المدعي عدم الاهتمام - وبهذه الأنثى المفضوحة !

ما معنى شعورك يا بانة ؟

ما هذا السخف الذي بت ترددينه ؟

بعدها جاء دور الاندهاش حين بدأ صوت وائل يصدح بالغناء في مكبر الصوت مع نغمات فرقة موسيقية خلفه بأغنية شعبية مبهجة ! .. كان صوته مقبولاً ويبدو أن لديه خبرة لا بأس بها بالموسيقى ادهشتها .. فما علمته منهم أن سيد لديه صوت جميل وأنه يمارس الغناء في حفلات المقربين فقط بل ولديه فرقة موسيقية صغيرة يستعين بها في الحفلات الخاصة .. وبالرغم من أنه يدير عدداً من المقاهي المنتشرة في العاصمة يملكها والده إلا أنه يتمنى أن يكون ملحناً .. وأنه عرض على بعض المطربين المعروفين ألحانه عله يلفت نظر أحد منهم..

أما وائل فهو صائغ .. يمتلك محلات للذهب ورثها عن أجداده منها محل يقع في نفس شارع سماحة حيث بيت عائلته.

Des. Maryam Tamim

حاول وائل استدراج سيد للغناء لكنه رفض بابتسامة فتكفل وائل بالغناء وصدحت الموسيقى.. فاشتعل الحفل بالرقص في الساحة من الجنسين لتخرج بانة من مرحلة الاندهاش لمرحلة الصدمة حين تفاجأت بآية تخترق الجموع وتبدأ في وصلة رقص شرقي فتوسعت دائرة الزحام حولها للتشجيع .

والحقيقة .. أنها كانت موهوبة جداً بشكل غارت منه الأنثى بداخل بانة .. وبدت هذه الجنية الصغيرة أنثوية جداً بجسدها الملفوف المغري في هذا الثوب اللامع حتى أن مصور الحفل انتبه سريعاً ليحاوطها بالكاميرا فظهرت على الشاشات الداخلية بالقاعة كل هذا خلال دقائق قليلة جدا ..

فاستنكرت بانة أن ترقص هذه الفتاة بهذه الجرأة أمام الناس .. فتربية وشخصية بانة - الملتزمة - لا تقبل رقص النساء أمام الرجال الأغراب .. ولم تكد

Des. Maryam Tamim

تلتفت لترى رد فعل أحمد الذي كان منشغلا بتعذيب مدير الحفل بتوجيهاته حتى توترت حين وجدته يندفع نحو الجموع الراقصة بغضب .. وودت لو تدخلت لانقاذ تلك الشابة المستفزة من نيران ابن سماحة الغاضب... فتتمة هذا المشهد المنطقية الوحيدة أن يجرها من رأسها أمام الجميع (باعتبار أن الشابة محجبة ولن يستطيع جرها من شعرها !) في مشهد درامي سيُسعد هواة الفضائح ..

فوجدت نفسها دون إرادة منها وبخوف حقيقي من مشهد فضيحة سيحدث خلال ثوان تتحرك باتجاه ساحة الرقص خلف أحمد بتوتر وعيناها تبحثان عن باقي الشبان وكأنها تستنجد بهم.. فوجدت سيد الذي كان يقف أمام عروسه وسط حشد من أهلها المتحلِّقين حولهما يرقصون قد تحفز وتشنج ليترك العروس الغارقة في الرقص مع أقاربها ويخترق الزحام هو الآخر نحو آية.. لكنه مازال

بعيداً وأحمد يقترب من آية أكثر متجاوزاً أجسادا أخرى ترقص أو تشاهد رقصها ..
استمرت بانة تشق طريقها بين الأجساد المتلاحمة غير عابئة بكونهم إناثا أم ذكورا .. وجسدها يرتعش من التوتر ..وهي ترى أحمد يقترب من آية .. ليمر عمرو قاطعاً المسافة بين أحمد وآية يلكز المصور أولا الذي تنبه لحركة عمرو ليترك عدسة الكاميرا ويستدير فيفاجأ بنظرة نارية مهددة من عمرو جعلته يستدير سريعاً بالكاميرا لجهة اخرى ويصل بعدها عمرو لآية يحيط ذراعه بكتفها ويسحبها بهدوء يخرج بها من وسط الزحام بحزم وهي مستسلمة وكأنها كانت متوقعة نتيجة ما فعلته..
بعد قليل وفي ممر خارج القاعة كان الشباب الأربعة يقفون بتوتر حول الصغيرة المدعية التماسك بنظرة متحدية لأخيها الكبير استفزت بانة شخصياً وودت أن تصفعها على وجهها لتنهي هذه الليلة على خير بدون حوادث قتل .

Des. Maryam Tamim

غرز أحمد أصابعه في ذراع آية يسحبها مصراً على العودة للمنزل وهي تنظر في عينيه بتحد والبقية يحاولون تهدئة الطرفين.

قالت آية بتحد" ما المشكلة في أني رقصت .. الفتيات يملأن الساحة رقصاً.. أنا لم أعتلي مسرحاً في وصلة منفردة تجرح رجولتك العظيمة"
رد وهو يطحن أسنانه محاولاً السيطرة على انفعالاته "سيكون لنا حديث مطول في المنزل هيا بنا "
نفضت ذراعها بعصبية لتصرخ " لن أذهب قبل أن ينتهي الحفل.. أنا لست جاريتك لتقرر بالنيابة عني "

كتمت بانة صرخة كادت أن تشق حلقها حين تحرك أحمد يمسك ذقن الصغيرة بوحشية يلصق رأسها بالحائط بعنف وهو يقول بفحيح مرعب "

Des. Maryam Tamim

أنا أمارس معك حتى هذه اللحظة أقصى درجات التحضر فلا تختبري صبري يا آية "
تمنت بانة لو أعلنت عن هويتها أمامهم بأنها أنثى ليُسمح لها بأن تقترب من تلك الفتاة التي تخبئ ارتجافها خلف قناع من التمرد والتحدي فتصفعها على وجهها غيظاً ثم تأخذها بين احضانها شفقة عليها وحماية لها .

بينما تدخل سيد هادرا بعصبية " اتركها يا أحمد .. قلت اتركها أنت تؤلمها "
تحولت نظرات التحدي بين أحمد وآية لتصبح بين أحمد وسيد فهتف الأول بلهجة تحذيرية " لا تتدخل وعد لعروسك"

كشر سيد عن أنيابه واستعرض صدره في تحد غاضب وهو يقترب بقامته الضخمة ليواجه أحمد حتى كاد يلتصق به .. فاستغلت آية الفرصة لتفلت

ذقنها من يد أحمد الذي وقف يتبادل نظرات التحدي مع سيد وقد ملأت شحنات الغضب الفراغ بينهما .. بينما وائل وعمرو يحاولان التقليل من حدة تشنجها ومنعهما من الاشتباك .. لتتحرك آية وتصب الزيت على النار فتقف خلف سيد في حركة استفزت بانة شخصياً وهي تصرخ " لن تجبرني على العودة الآن وسأتصل بأبي وسأ ...."

فجأة ابتلعت لسانها وريقها لتخرس... بعد أن أدار سيد وجهه إليها يرميها بنظرة مرعبة محذرة مفادها (لا أريد ان اسمع حرفا !) ..فانكمشت على نفسها وكأنه صفعها فاستفاقت من حالة الهيستريا لتقف مكتومة تهز ساقها بعصبية .

نظرة ألم خاطفة لمحتها بانة تمر سريعاً في عين أحمد وهو يراقبهما لتستعيد عيناه سريعاً النظرة الغاضبة المتحدية لسيد الذي سيطر على أعصابه

Des. Maryam Tamim

ليقول بهدوء " هل هذا ما تقدمه لي ليلة زفافي يا صاحبي ! .. تتركني وسط الحفل مثل الاغراب وتغادر ! "

تدخل وائل سريعا ليرد " كيف تقول هذا يا عريس لن نتركك الا وقد أوصلناك لمنزلك مع عروسك "

أحاط عمرو بذراعه رقبة أحمد من الخلف وهو يتمتم بهدوء بجانب أذنه وكأنه يهدئ أسدا ثائرا" تعال نستنشق بعض الهواء بالخارج"

فترك أحمد عمرو يسحبه وهو ينظر لآية نظرة تهديد ألا تتمادى.

بعد دقائق وقفت آية تشمخ بذقنها أمام سيد بنظرة متحدية لتواجه نظراته الغاضبة لها فبدت كتلميذة تدعي الصلابة يوبخها أستاذها الذي قال بهدوء غاضب " عودي للقاعة واضبطي انفعالاتك ولا تتحركي من الكرسي حتى للذهاب للحمام إلى أن ينتهي الحفل "..

Des. Maryam Tamim

ساد صمت مشحون بالترقب .. بعده تحركت آية وهي تدب بكعب الحذاء الرفيع في عصبية متجهة نحو أحدى الطاولات وتجلس في خرس .

عادت بانة من ذكريات الحفل لتحدق في وقفتها على السلم .. ودون إرادة منها تحركت تصعد لسطح البيت لتطمئن على أحمد .
وصلت للسطح والوقت قد تعدى منتصف الليل .. وضوء المصباح يضيء المكان على استحياء ..

السطح خال إلا من بيت خشبي عملاق على اليسار مزين بنقوش بارزة لم تدقق في تفاصيلها بسبب الاضاءة الضعيفة .. والسكون يلف الكون حولهما .. بينما أحمد يقف أمام كيس الملاكمة المعلق أمامه .. وقد خلع سترته وقميصه ووقف بصدر عضلي عار يلمع بحبات العرق يضرب ضربات متتالية بغضب .

Des. Maryam Tamim

شعرت بانة بالحرج من منظره العاري وندمت على صعودها خلفه فالتزمت مكانها ناحية السلم لتسأله بقلق " هل أنت بخير ؟"

رد أحمد بغموض وهو يواصل الضربات بغل" أنا بخير .. لمَ تسأل هذا السؤال؟ "

ارتبكت وحاولت أن تكون لبقة فغالبا لن يتحدث معها عما يفكر أو يشعر به .. فأجابت بتردد " كنت متوترا و سيء المزاج حتى آخر الحفل "

زاد من سرعة الضربات وهو يجز على أسنانه وتمتم في سره " هذا الشاب يهتم بأمور غريبة .. وإن كان ذلك الاهتمام يشعرني باحساس جيد الى حد ما " رد ساخراً " لا تهتم بأمري .. فمعظم الأيام أكون في مزاج سيء "

أدركت بانة أنها تنزلق أكثر نحو تقصير المسافات ورفع الكلفة بينهما.. وهذا أمر قد تدفع ثمنه بالتأكيد .. لهذا تحكمت في رغبة قوية بداخلها

Des. Maryam Tamim

لقضاء وقت أطول معه وهمت بالانسحاب والعودة لشقتها.. ففاجئها أحمد بالسؤال " كيف كانت علاقتك بأختك ؟"

لم تسأل نفسها يوما ما هي علاقتها بفارس ورامز .. ربما هي من الأمور البديهية التي نتعامل معها في حياتنا دون أن تستوقفنا أو نلق لها بالاً أو لا نبذل مجهودا من الأساس لتقييم العلاقة مع من هم في حياتنا أو نسعى لتحسينها ..فقالت بصدق " علاقتنا كانت عادية بعيدة عن التطرف "

افلتت ضحكة ساخرة قصيرة منه وتوقف عن إلقاء الضربات للكيس الرملي ليسأل باستهزاء " وهل ترى أن علاقتي بآية متطرفة ؟" .

احمر وجهها وشعرت بالارتباك فأسرعت للتصحيح " لم اقصد شيئا مما تخيلته .. لكن ربما لأن العمر

Des. Maryam Tamim

بيني وبين اخوتي كان متقاربا ... فلم تكن هناك هوة واسعة بهذا الشكل "

سألها مندفعاً " أين عائلتك الآن ؟"

الجرح يئن بصدرها .. كلما حاولت تناسي الوجع يأتي ما يذكرها به ..
ردت بدون تفكير وقد شعرت بالحاجة لمشاركة شخص ما الحقيقة " ربما ماتوا جميعاً .. أخي وأختي ماتا في طريقنا للمطار .. وأبي عاد لبلدته ثم علمت بعدها أن البلدة أبيدت عن آخرها في مجزرة وحشية .. ولست على يقين من الأمر كله .. فلم أدفن أحداً منهم بيدي أو أتأكد من موته "
اطلقت زفيرا متألما محاولة السيطرة على الوجع الذي يشق صدرها وندمت على الحديث عن الأمر معه بسبب الرغبة التي ألحت عليها فجأة للبكاء ..

Des. Maryam Tamim

فتمتمت من بين أسنانها " اللعنة علينا نحن الإناث تفاجئنا الدموع في لحظات غير مرغوب بها !! "

ندم أحمد على سؤاله الفضولي ..وشعور بالشفقة ومشاعر أخرى مجهولة اعتلت صدره تجاه رامز .. خاصة منظره الذي يوحي بمقاومته للبكاء ..

إن هذا الشاب رقيق الى حد عجيب حتى وإن تصنع الخشونة .. لذا حاول تغيير الموضوع وإلهاءه عن ذكرياته المؤلمة .. فهو خير من يعلم كيف تكون هذه الذكريات كنصل حاد في جرح متقيح .. فهتف بتحد " إذن أنت ترى أن السبب الرئيسي فرق العمر بيني وبين أختي .. وفي رأيك هي الضحية وأنا الجلاد"

ردت بانة وقد نجح أحمد في مسعاه و بدأت الذكريات تتلاشى من أمامها " صدقني كلنا تلتبس علينا الأمور أحيانا ونرى أنفسنا ضحايا ونحن في

Des. Maryam Tamim



الحقيقة جلادون.. وقد تنقلب الأدوار أحيانا فيضحى الجلاد مظلوما والمظلوم ظالماً "

أطلق ضحكة ساخرة عالية هذه المرة ثم قال مستمتعاً " كان عليك أن تلتحق بكلية الطب النفسي بدلا من الصيدلة (ثم لمع بعض الاستهزاء بعينيه ليستطرد) حانت الآن فقرة لك ولأسرتك ! "

إحمرت بانة وشعرت بالهواء الساخن يخرج من أذنيها فتمتمت من بين أسنانها " بل موعد فقرة سخافة ابن سماحة !"

رفع أحمد حاجبا وقال بلهجة خطرة " ماذا قلت ؟"

رفعت ذقنها في تحد وقالت بابتسامة صفراء " قلت تصبح على خير يا باشمهندس أحمد عندي عمل باكر ".

Des. Maryam Tamim

فاطلق أحمد ضحكة متسلية باستفزازه.

بعد عدة شهور :

وقف الموظف في أدب أمام سيد في أحد المقاهي التابعة للحاج صبرة والد سيد في منطقة سكنية راقية .. فعدل سيد من وضع الهاتف على أذنه وهو يستمع للطرف الآخر .. ويوقع على بعض الاوراق التي قدمها له موظف الحسابات ثم يشير له بيده لينصرف ثم يقول بجدية " يويا .. كل ما تقولينه لا يعني أبداً الدعوة للاحتجاج العلني بين الطلبة في الكلية .. هذا الأستاذ حقير ومستغل لا أنكر .. لكن فكرة الاعتراض العلني بالدعوة للمظاهرات أمر ليس صائبا "

جاءه صوتها تقول بحنق " ماذا تريد منا .. أن نرضخ لاستغلاله للطلبة بهذه الدناءة ؟!! "

Des. Maryam Tamim

رد بهدوء " يا صغيرتي من الممكن أن تلجأوا للشكوى .. قدموا شكوى جماعية يوقع عليها جميع طلبة القسم المتضررين "
قالت بعناد " قُدِمت شكاوى من قبل ولم يُلتفت إليها .. كما أن بعض الطلبة يخشون إذا وقعوا على الشكوى أن يترصد لهم الأستاذ في مادته " .

رد بعصبية " اذا كانوا يخشون التوقيع على الشكوى فكيف سينضمون لاحتجاج علني بالكلية!"
أتاه صوتها تصيح في عصبية مماثلة " هذا الأستاذ يستفزني شخصيا وأشعر برغبة ملحة في ضربه "

قال بلهجة محذرة " إياك والتهور .. سينتهي الأمر بنا في قسم الشرطة أنا أو أحمد إذا تعرض لك هذا الأستاذ .. فلا تتهوري إلى هذه الدرجة "

Des. Maryam Tamim

قالت بعناد " إذن الحل في احتجاج جماعي "

رد وقد تملكه الغضب " إفهمي يا فتاة الوضع في البلد غير مستقر واخشى أن تتطور الأمور لأكثر من مجرد احتجاج على أستاذ مادة "
قالت بقهر " أنتم الشباب شاركتم في الاحتجاجات السياسية التي حدثت في البلاد منذ عدة سنوات .. لماذا تمنعني أن أشارك برأيي في محيط الجامعة "

رد وهو يتظاهر بالهدوء " يا قطعة السكر .. كان ذلك منذ سنوات وكانت الأمور السياسية في البلد واضحة المعالم أما الآن فالوضع بات غير مستقر وغير مفهوم ونحن اعتزلنا السياسة نهائياً منذ مدة (ثم هدر بعد أن نفذ صبره) اسمعي الكلام يا آية "

ساد الصمت لثوان ولم ترد ..

Des. Maryam Tamim

فشعر بالضيق من شدته معها لكنه مضطر ... فهو يخاف من تهورها .. نغزه قلبه فأبعد الهاتف عن أذنه يشتم .. من المؤكد أن هذه الفتاة ستقتله يوما بما تفعله .

ليأتيه صوتها متماسكاً مغيرة للموضوع " ماذا عن الألحان التي أرسلتها للمطربين لا جديد؟ "

زفر وقد أراحه استسلامها ليقول " أعطاني المطرب (...) بعض الكلمات لأضع لها ألحانا .. وأتمنى أن يعجبه ما سأقدمه "

اكتسى صوتها بالفرح " حقاً ..إنه مطرب شهير .. سأنتظر بفارغ الصبر أن أسمع اللحن .. سأكون أول من يسمعه أليس كذلك ؟"

قبل أن يرد عليها قاطعه النادل بأدب وهو يشير لفتاة تقف على باب المقهى تسأل عنه ..

لم يعرف لما شعر ببعض القلق ..فأومأ سيد برأسه ثم قال لآية " سأعاود الاتصال بكِ .. سلام"

Des. Maryam Tamim

أنهت آية اتصالها مع سيد وهي تستند لجذع شجرة في ساحة الكلية .. وعادت لتجلس وسط أصحابها على بعض المقاعد الرخامية يتحدثون ويتضاحكون .. ثم فتحت هاتفها تتصفح جديد بالفيسبوك .. فظهر لها منشور جديد كتبه سيد على صفحته أمس بعبارة مقتبسة من أحدى الروايات " أشعر أحيانا .. وكأن الله يعاقبني ببراءتِك ، وكأنه يعذبني بكِ ، أنتِ التي أخاف عليها مني وأخاف على نفسي منها ، أنتِ مأزقي الكبير ، الذي لا أدري كيف وقعت فيه ولماذا !"

فأبدت إعجابها بالمنشور بقلب أحمر نقرت عليه ثم تنهدت وهي تتمتم " أتحب زوجتك إلى هذه الدرجة يا سيد .. محظوظة هي بهذا الحب الكبير"

***

Des. Maryam Tamim

جلست بانة تدلك عضلاتها قليلا بسبب النار التي تشعر بها في أسفل ظهرها .. فهذه المرة عادتها الشهرية تصاحبها آلام وتقلصات شديدة .. تجعلها تريد أن تبكي وهي تحمل الأخشاب ..
ما تحتاجه فقط حاليا سرير دافي ومشروب ساخن وكثير من النوم ..ولن تتجرأ وتحلم بحضن دافئ يمسد جسدها وروحها .. فهذه أمنية مستحيلة .

حبة الدواء المسكنة توشك على السيطرة على آلامها .. فاسندت ظهرها للحائط وهي تفترش الأرض في أحدى زواياها المفضلة خلف مبنى الورشة تستريح قليلاً .. تتأمل السماء الملبدة بالغيوم كمزاجها اليوم .
بالرغم من تحسن وضعها كثيرا إذ أصبح لديها عمل توفر لها اللقمة الحلال و مسكن دافئ مع صحبة دافئة من الناس.. وقدرا لا بأس به من الأمان .. لكن يبدو أن الانسان إذا أَمِن وشبعت بطنه لا

Des. Maryam Tamim

تشبع روحه من طلب المزيد بجشع !..فالتطلب آفة البشر ..

وبخت بانة نفسها أنها ما إن أحست بالامان حتى بدأت تشغلها تساؤلات كثيرة ..
إلى متى ستظل بهذه الهيئة ؟..
ماذا ستفعل في المستقبل ؟..
هل ستعيش في هذه الكذبة كثيرا ؟..
هل عليها أن تعترف بحقيقتها ؟..
كيف سيكون رد فعلهم جميعا.. كل من تعامل معها واحتك بها وبنى معها علاقة انسانية .

والأهم من ذلك .. أحمد كيف سيكون رد فعله؟؟؟؟؟
هذا الأمر بالذات بات يشغلها ويرعبها جداً .. ربما لو علم لقتلها .. إذا كان يتعامل بهذه العصبية

Des. Maryam Tamim

والغلظة مع أخته الصغرى كيف سيتعامل معها حين يعلم أنها تكذب عليه ..
يا الله ! .. ستكون كارثة إذا علم أنها تخدعه كل هذا الوقت وأنها ليست ذكرا .

الأمور متشابكة بداخلها خاصة مع ظروفها هذه الأيام فتعتريها مشاعر مختلطة تشعرها بالإرهاق عاطفياً ونفسياً .. وتتملكها رغبة قوية في الاعتراف بأنها فتاة .. ربما لأن مظاهر الود والحماية والدفئ التي لمستها من هؤلاء الناس تشعرها بالذنب أن تكذب عليهم ..

أو ربما بسبب أحمد .
أجل أحمد !.
عليها أن تعترف أنه بات يمثل لها كياناً خاصاً جدا في حياتها .

Des. Maryam Tamim



لا تعرف كيف تصنف هذا الشعور الذي يتزاحم بداخلها تجاهه .. لكن ما لم تستطع إنكاره أنه دائما يذكرها بأنها أنثى .. كلما تعاملت معه ينبهها عقلها الواعي لهذه الحقيقة ولسبب ما تدغدغ هذه الحقيقة مشاعرها .
أنها انثى !.

دوما كانت تتعامل – حتى قبل أن تتظاهر بأنها ذكر – على أنها إنسانة .. فقط انسانة بدون أي تصنيف.. وقد تفرض عليها بعض الصفات الفطرية الجنوح ناحية التصرف بأنوثة .. وقد تميل بتعمد ناحية اظهار بعض صفات الذكورة حين قررت التظاهر بأنها شاب وليس فتاة .. لكنها في حقيقتها.. في جوهرها تتعامل مع الحياة على أنها إنسانة بدون تصنيف .



لكن مع أحمد فكرة الأنوثة تدغدغها دون معنى واضح تستطيع أن تعطيه مسمى مفهوما .. وهذا الشعور لا يحدث إلا معه هو ..
هو فقط ....
وبرغم عصبيته ونزقه وحدته احيانا كثيرة لكن يتملكها احساس بالانجذاب الغريب إليه .
سألت نفسها : هل الانجذاب هو التوصيف الصحيح للشعور الذي تشعر به معه ؟!
ربما احتياج ..
أو رغبة في التكامل .
كالبحث عن قطعة محددة مفقودة تغلق بها ثقبا ما بداخل روحك.

تنبهت لهذا الهذيان الفاقد للمعنى الذي تسرح فيه .. وتساءلت هل أصيبت بالحمى !!! .

قطع أفكارها أحد العمال يخبرها وهو يمر من أمامها حاملاً كرسيا ضخما من الخشب الأبيض "
الباشمهندس أحمد يطلب أن تعد له فنجاناً من القهوة يا دكتور "
رددت باستنكار " فنجاناً من القهوة .. ويا دكتور!!!! "

تباً منذ أن أصر أحمد أن يناديها بلقب (دكتور) حتى انتشر اللقب بين الجميع وقد حاولت التوضيح مراراً أن الصيدلاني ليس طبيبا ليلقب بالدكتور إلا اذا كان يحمل درجة الدكتوراة رسمياً وهذا كله بعيد عنها .. لكن أحمد مصر وكأنه يسخر منها والعمال متمسكون باللقب بل أن منهم من يستشيرها في الأدوية وفي الطب أحياناً ! .

Des. Maryam Tamim

تمتمت بخفوت من بين أسنانها " هذا البلد يعاني من فوضى في الألقاب ! (ثم سألت العامل) وأين العم شكري؟ "

رد بلامبالاة " موجود لكنه طلب مني أن أخبرك أنت"

ثم تحرك يكمل طريقه وتركها .. فعضت على شفتها بغيظ .. تقول بخفوت " كنتِ تقولين ..الانجذاب ! .. الاحتياج ! .. التكامل ! .. بل انه الهذيان يا بانة !!!.. فالتوصيف الصحيح لما يفعله ابن سماحة هو : .. الاستفزاز .. واستغلال العمال وتسخيرهم لخدمته ! .. والسخرية منهم .. هذا هو السيد المغرور الذي لا يطاق "

قالتها وهي تنتفض في العصبية تبحث عن هذا الذي لا يطاق ! .

زفرت بانة حين لم تجده في مكتبه .. واستدارت لتخرج حين انتبهت لغرفة داخلية ملحقة بمكتبه بابها مفتوح ..

Des. Maryam Tamim

لم تر هذا الباب مفتوحاً من قبل وكثيرا ما تملكها الفضول لتعرف ماذا وراء هذا الباب .. وماهو الغرض من وجود باب لغرفة أخرى ملحقة بالمكتب ..

الفضول سيطر عليها لتتحرك نحو الغرفة .. إنها تبدو كورشة صغيرة .. ورشة داخل الورشة ! .. بها قطع من الخشب وأدوات لحفره لكنها يدوية وليست آلية .. وأيضاً كرسي ضخم من الخشب الابيض به نقوش لم تكتمل .. عبارة عن حفر يدوي بارز على الكرسي.. فحاولت التذكر أين شاهدت نقوشا مماثلة ؟؟..تذكرت بعد قليل أنها شاهدتها على نافذة شقتها الكبيرة .. فلمست النقوش البارزة باعجاب .. معترفة بأن هذه المهارة في النقش على الخشب مبهرة ..

اقتربت من منضدة جانبية بإحدى زوايا الغرفة .. وأدهشها ما رأت .. تماثيل صغيرة من الخشب

Des. Maryam Tamim

ولوحات خشبية مفرغة ومتقنة عليها كتابات بخطوط اسلامية ونقوش بارزة تخطف العين والقلب .. بعضها مازال خشبا ابيض بدون طلاء .. جذب أنظارها تمثال صغير لفتاة رشيقة بشعر طويل تعزف على آلة الكمان .. فبدت هذه القطعة الفنية شديدة العذوبة والرقة .. وتساءلت إن كانت من وحي الخيال أم أن هناك فتاة بهذه الرقة في الوجود ؟!.

" ألم يعلموك في بلدك ألا تدخل مكانا دون استئذان صاحبه "

صوت أحمد أجفلها ..فالتفتت متحفزة تقول بعصبية " لا أحب أن تسخر من بلدي "

زفر أحمد ورفع عينيه للسماء يردد بيأس " أنت مريض يا دكتور وتحتاج لعلاج نفسي (ثم استطرد وهو ينظر إليها بتحد) أجل أنت مريض .. ومجنون أيضا .. وحالتك سيئة منذ يومين ..

Des. Maryam Tamim

أصبحت حساسا بطريقة عجيبة .. هل تتناول أدوية ما ؟!! "
هل انفلتت منها ردود أفعالها لهذه الدرجة ؟؟؟؟!!
أم أنها باتت تشعر ببعض الأمان فتخلت عن حذرها بدون أن تشعر ؟؟.

سألته لتغير الموضوع " ومن صاحب هذا المكان حتى استأذن منه. "
حدجها بنظرة باردة وأجاب " وغبي أيضا .. أضف هذا إلى القائمة "

تكتفت وقالت تستفزه " لا تخبرني أن لديك عملا حقيقيا تفعله في هذه الحياة غير الصياح وتعذيب من حولك"
حدجها بنظرة جليدية " لا تدخل هنا مرة أخرى .. هيا أخرج"

Des. Maryam Tamim

خرجت بعصبية ليغلق الباب فاستدارت إليه تسأله باهتمام " هل أنت صاحب هذه الأعمال الخشبية حقاً ؟؟"

وضع يديه في جيبه ورد وهو يرفع كتفيه بلا مبالاة " أجل "

تطلعت إليه باندهاش ولمعة انبهار ظهرت في عينيها سرعان ما اخفتها لتقول "لكني لم أرك من قبل تعمل في هذه الورشة "

قال وقد تشنجت ملامحه " لأني أغلقها منذ سنين "

سألت بتوجس " منذ الحادث ؟؟ "

رد باقتضاب " أجل "

كانت قد سمعت عن حادث من وائل.. وتألمت من تفاصيل الحادث الذي حدث له هو وأخته .. إنها تحب حكايات وائل لها عن الماضي .. لديه

أسلوب قصصي ممتع . . فضيقت عينيها قليلاً تحاول ربط الخيوط ببعضها وقالت " لهذا سمعت من بعض العمال أن هناك طلبات تأتي لك بالأسم من بعض العملاء القدامى لكنك ترفض ؟"
أطرق برأسه ويداه مازالتا في جيبي بنطاله ورد معترفاً " لازال هناك بعض الناس تُقدّر قيمة الشغل اليدوي وتطلبه وتدفع فيه مبالغ كبيرة "
سألته محاولة للتعمق في فهمه أكثر " إذن لماذا ترفض ؟!.. لماذا تحصر نفسك في إدارة الورشة فقط كمدير (وأكملت في سرها) وتمارس هواية تعذيب البشر من حولك ! "

تنبه أحمد فجأة ليسأل " ما هذه الرائحة ؟!"
بدأ يتشمم الهواء مثل ذئب عجوز ..فتراجعت للخلف قليلا بقلق بالرغم من أنها لا تعرف لمَ عليها أن تتراجع أصلا .. وحاولت استخدام حاسة

Des. Maryam Tamim

الشم لديها فلم تجد أي رائحة غير طبيعية في الغرفة لتقول بقلق " أي رائحة ؟"

استمر في التشمم ثم اقترب منها وهي تتراجع إلى الخلف .. ثم قال وهو ينظر في عينيها " إنها .. إنها رائحة صالونات التجميل "

ثم اغمض عينيه قليلاً ليركز في الرائحة ثم فتحهما يصيح باستنكار " رائحة صبغة شعر ! .. هل تصبغ شعرك يا رامز !!! "

رفرفت برموش عينيها عدة مرات تحاول الاستيعاب غير مصدقة كيف عرف هذا الذئب أنها صبغت شعرها بالأمس لتدراي بعض الجذور الكستنائية التي ظهرت برأسها .. فشحب وجهها تفكر كيف ستبرر الأمر الآن ؟.

Des. Maryam Tamim

اقترب منها أحمد فالتصقت بالحائط في توتر من اقترابه الشديد منها .. تكاد تشعر بحرارة ورائحة جسده الممتزجة بعطره تتغلغل بداخلها فتدغدغ أنوثتها .

ضيق أحمد عينيه يتأمله .. هذا الشاب يثير فيه شعورا لا يفهمه .. يشعر معه دائما وكأنه.. وكأنه يأكل صنفا من الطعام شكله مخالف تماما لطعمه .. يراه بعينيه وفي عقله صورة مغايرة تماما لما يراه.. وهذا يصيبه بالارتباك ويشغل رأسه بعلامات استفهام كثيرة غير مفهومة .. هناك حلقة مفقودة و غامضة فيما يتعلق بهذا الـ رامز ..

إنه كأحمد عادة ما يعجز عن التعبير بالكلمات لكن يمكن أن يختصر احساسه بأنه يشعر أن رامز إنسان .. لكنه غير قادر على تصنيفه في داخل عقله ان كان ذكراً أم أنثى .

Des. Maryam Tamim

أنثى !
أنثى !!!!
كيف انحرفت أفكارك الى هذا الحد الفج .. هل جننت يا أحمد !!.

جحظت عيناه لهذه الخاطرة فاصبح شكله مرعباً بينما بانة يزداد شحوبها .. وتحاول بحركات فاشلة الفكاك من هذا الوضع الغريب في هذه الهيئة وهو يحتجزها بجسده القريب جدا منها دون أن يلمسها .

فهتف أحمد فجأة بلهجة متفاجئة " أنثى !!!!"
شحب وجه بانة أكثر وهي تحدق فيه ببلاهة
..فاستطرد بتركيز شديد " أشم عطر أنثى "

Des. Maryam Tamim

بحركة عفوية أخذت تشتم نفسها وقالت بارتباك "
لا أضع عطراً نسائياً .. اقصد ..اقصد (وحاولت
السيطرة على ارتجاف جسدها وأكملت) اقصد
كيف لي أن أضع عطراً نسائياً!!"

تركها فجأة يتحرك نحو الباب بتركيز يتتبع الرائحة
التي شمها في الهواء.. وقبل أن يصل الى باب
المكتب ..أطلت منه شابة تقول بصوت رقيق
مرح" اشتقت أليك أحمد "

***

كان سيد يغلي ويحترق وهو يقود سيارته بعصبية
يشتم ونيران الغضب تسيطر عليه متمتما من بين
أسنانه " ماذا أفعل معه؟ .. هل سأقضي عمري كله
امسح قذارته ؟!.. هل أقتله وأخلص العالم منه؟"
تأمل الفتاة الجالسة في ارتباك بجانبه في السيارة
تطرق برأسها في وجل وتفرك يديها بتوتر واضح.

Des. Maryam Tamim

لم يصدق حين اقترب منها منذ ساعتين بالمقهى مستفسرا عمن تكون ولماذا تطلب مقابلته ..
وبهت حين قدمت نفسها له (رحمة خليل صبرة) ... وبتوتر أخرجت أوراقاً رسمية تثبت أنها أخته !
.. ووسط ذهوله أخبرته أنها تبحث عنه منذ يومين .. وحكت له أن والده تزوج منذ أمها من تسعة عشر عاماً زواجا قصيرا انتهى حين علم أن أمها تحمل بأنثى وليس ذكرا فطلقها وتركها في بيت أهلها في مدينة ساحلية .. وأخبرته أن أمها تزوجت بعد ذلك من رجل فاضل له أبناء من زواج سابق ولم ينجبا .. فعاشت معهما حتى توفيت أمها منذ عامين وتوفي زوج أمها منذ شهر ولم تستطع العيش بمفردها في هذه المدينة وليس لها أقارب تعرفهم سوى أبناء زوج أمها الذين أصروا على طردها من شقة أبيهم .. ولم تجرؤ على الذهاب لأبيها مباشرة خوفاً مما سمعته عنه فيرفضها.. لكن أولاد الحلال

Des. Maryam Tamim

أخبروها أن لها أخاً يدعى سيد فجاءت لتبحث عنه ..

كان يعلم أن أباه المزواج قد تزوج من السيدة والدتها زواجاً قصيراً وهو يتتبع مصائب أبيه على مر سنين عمره .. وقد بات لا يندهش أبداً من مصائب هذا الرجل بل وتورط مجبرا أكثر من مرة في لملمة قذاراته والتدخل في حل مشاكله مع مطلقاته.

لديه ثلاث أخوات بنات من ثلاث نساء مختلفات ولا يعلم عنهن شيئا سوى الاسم فقط .. فكل واحدة منهن تعيش مع والدتها بعد طلاقها من أبيه.. هذا بخلاف أربع أخوات من (شربات) زوجة أبيه المستمرة معه منذ أكثر من ثلاثين عاماً وهي الزوجة الثانية له بعد والدته (أم سيد) .. يذهب ويتزوج ويعود إليها وهي متكيفة مع الوضع متكيفة إلى حد مغيظ فلا يهمها سوى أن تعيش في

Des. Maryam Tamim

ترف في بيت خليل الذي يختار زوجاته عادة من الفقيرات المعدمات اللاتي يقبلن به كفرصة جيدة لحياة أفضل .. وشربات امرأة ذكية ولا تقل مكراً عن خليل نفسه .

لا يعتقد أنه يستطيع حصر عدد الزيجات في حياة أبيه خليل صبرة فلا يعلم سوى عن الزيجات التي نتج عنها إنجاب بنات ظهرن فيما بعد يطالبن بحقوق أو نفقة .. أما باقي الزيجات فلا يعلم عنها شيئاً .. هذا الرجل الذي قارب الثمانين مازال يتزوج حتى أنه قد تزوج بعد زواجه هو سيد بيومين بشابة صغيرة في السن مصرا على أنجاب ولد ذكر !

.

والحقيقة أن سيد لم يجد أبداً تفسيراً منطقياً لسعي أباه لانجاب ولد ذكر غيره بهذا الهوس سوى كره أبيه له لسبب لا يعلمه إلا الله وخليل نفسه ..

Des. Maryam Tamim

ومع هذا لم تعد تؤلمه تلك الحقيقة .. فاللا مبالاة هي أقصى درجات الوجع .. إنه ابنه البكر الذي رماه لجدته لأمه ليتزوج من شريات وبعدها عدد لا يعله إلا الله بحثا عن المتعة أولا وانجاب ولد ذكر ثانية .

إن مشاعر القهر واليتم والوحدة هو ما واجهه سيد منذ أن جاء إلى هذه الحياة .. عاش في بيت جدته لأمه التي كانت سيدة طاعنة في السن متكومة طوال الوقت في غرفتها ..لم يعلم عن أمه شيئاً سوى أنها ضاقت بحياتها مع أبيه فطلقت منه.. ثم فرت من البيت تاركة سيد مع أمها العجوز .. وقيل أنها فرت من ضغط العجوز عليها لتتزوج رجلا ثرياً أخر يكبرها في السن مثل زيجتها الأولى من خليل .. ففرت في أحد الأيام تاركة أمها وأبنها الرضيع لا يتجاوز عمره بضعة أشهر ولم يعرف لها عنواناً بعدها .

Des. Maryam Tamim

أما جدته العجوز فلم يعرف معها سوى الخوف كلما نظر إليها بعينيه الصغيرتين... ولا ينسى أبدا صورتها بظهرها المنحني وملامحها الحادة المتجعدة وعينيها الجاحظتين المتقدتين بنار غل مستمر لم يفهم بسنوات عمره الصغيرة حينها سببا لها .

أهملته العجوز تماماً فلم تهتم بخروجه أو بقائه في البيت منذ أن كان صغيرا يتعلم المشي وكأنه لا يعنيها .. ولا يعتقد أنه قد رضع من ثدي امرأة يوما لا أمه ولا امرأة اخرى ..

يذكر مشاهد ضبابية عن وجوده في بيوت نساء الحي يطعمنه.. ويذكر عيون اطفالهن تحدق فيه بغيرة وغيظ وهو يأكل معهم..

ويذكر أياما عاشها في منزل العجوز يبكي أو يتأوه من مرض أو حمى دون أن يساعده أحد .. مشاهد وأحاسيس هذه الأيام يدفنها في أقصى جنبات قلبه المظلمة .

Des. Maryam Tamim

في سن السادسة إلتقطه من الشارع الحاج سماحة ليحتضنه في بيته مع أولاده على الرغم من عداءه الشديد لخليل صبرة ومشاكلهما الكثيرة المتعلقة بالمنافسات التجارية وغيرها.. لكن الحاج أشفق على سيد واحتضنه .. فأصبح مقيماً لديه.. ومن يومها اصبح صديقا لأحمد وتدريجيا تعرف على عمرو ابن الشيخ الأزهري وإمام المسجد والذي تربطه علاقة قوية بالحاج سماحة.. كما تعرف على وائل الذي يكبره بعامين في نفس الحي والذي كان والده مجدي رحمه الله صديقا ثالثا للحاج سماحة والشيخ عبد الله القاضي والد عمرو ..

قضى أوقاتا كثيرة في بيت وائل لكن معظم الوقت كان يقضيه في بيت سماحة ويعتبر أن الحاج سماحة وزوجته هما أبواه الحقيقيان ..

Des. Maryam Tamim

ولن ينسى يوم موت الجدة العجوز كما كان يطلق عليها .. كان وقتها في السابعة عشر .. شابا يودع المراهقة .. حين لاحظ رائحة كريهة تخرج من غرفة العجوز فتفقدها في وجل ليكتشف أن العجوز ماتت في صمت منذ عدة أيام .. أما علاقته بأبيه فلم تبدأ إلا بعد موت العجوز حين ذهب إليه يوما واقتحم عليه أحد محلاته .. يحطم كل شيء أمامه ثائرا على وضعه وعلى حياته ..وانتهى الأمر بجلسة صلح تضم الحاج سماحة وخليل صبرة والشيخ عبد الله القاضي والسيد مجدي وبعض التجار المهمين الذين جمعهم الحاج سماحة ليقبل خليل صاغرا أن يعيش سيد في بيت أبيه .

أما عن حياته في بيت أبيه فكانت اشبه بحياته مع الجدة العجوز .. فأبوه دائما وأبدا يذكره بها.. عاش في البيت ضيفاً صامتاً لا يدخله سوى للنوم .. وكان

Des. Maryam Tamim

يتذلل ليحصل على القليل جدا من أموال خليل ..
أما عمره كله فقضاه بين أزقة حي سماحة ..
حين تخرج من الجامعة بذل مجهوداً خرافياً مع خليل بضغط من بعض التجار ليسمح له في النهاية بإدارة سلسلة المقاهي التي يملكها والمنتشرة في أماكن متفرقة من العاصمة من بينها مقهى كوكب الشرق في حي سماحة .. ثم انفصل بعدها في شقة خاصة بعيدا عن بيت خليل الذي لم يشعر فيه يوما أنه بيته .

أوقف سيد السيارة في ساحة البيت الكبير الضخم وأوقف معها سيل الذكريات المؤلمة التي تدفقت من مكان مجهول بداخله .. فترجل يستدير حول السيارة ليفتح الباب للفتاة التي لم تبلغ الثامنة عشر المرتبكة بجانبه .. وسبقها ناحية باب البيت فلحقت به تشد كم قميصه وتمتمت بارتجاف " هل سيقبل بي ؟ "

Des. Maryam Tamim

نغزه قلبه وشعر بالشفقة عليها إذ ذكرته بنفسه ..
فرد عليها بغضب " رغما عن أنفه "

في بهو البيت الكبير بألوانه القوية وزخرفاته الفجة التي تداري شعورا بالنقص في نفسية مالكه وزوجته استقبلته شريات بسني عمرها الزاحفة نحو الستين بابتسامة يكرهها وقالت بصوت مائع لا يتناسب مع عمرها "أهلا بالعريس .. تزداد وسامة كلما كبرت في العمر يالحظها بنت المحظوظة "
رد وشعور بالقرف يتملكه كلما رآها " بل العريس عندكم .. ترى هل هو موجود في البيت أم يبيت عند عروسه الجديدة ؟"

ردت بتسلية وابتسامة لزجة " بل هو هنا .. العروس عند أهلها تعاني من وحام الحمل وقد طردها لعلمه أن الجنين أنثى "
ثم أطلقت ضحكة عالية متشفية .

Des. Maryam Tamim

اندهش للحظة من خبر حمل زوجته الجديدة ..وأن الجنين أنثى .. أحيانا يتمنى من الله أن يمنحه أخا حتى يتوقف هذا العجوز المتصابي عن هذه الحماقات.

تركها تحدق في الفتاة الواقفة عند باب البيت في ارتباك ليتوجه للداخل فاستقبله خليل بقامة قصيرة منحنية ووجه عبوس تملؤه التجاعيد .. فأخذ سيد يفكر .. هل رجل مثله يقارب الثمانين من العمر مازال قادرا على الانجاب !! .. حكمتك يا الله .

تطلع إليه خليل بعينين صغيرتين يملؤهما غل مجهول المصدر وكشف عن أسنان فضية لامعة وهو يقول بتحفز " خيراً "

قال سيد بلهجة مغيظة " كل الخير يا أبا سيد .. إلتقطت إحدى بناتك من الشارع "

Des. Maryam Tamim

رفع خليل حاجبه باستفهام .. فأسرع سيد ينادي على رحمة التي دخلت تتعثر في ارتباكها ليقدمها له سيد .. ويريه صورة من الأوراق الرسمية ويشرح له باختصار الموقف . . فقال خليل بعد قليل ببرود " وما المطلوب ؟ "

سيطر سيد على رغبة في قتل هذا العجوز ليقول بلهجة بذل مجهوداً كبيراً لتكون هادئة " المطلوب هو أن تعيش ابنتك معك هنا في هذا البيت الضخم فليس لديها مكان آخر "

قال خليل بعناد " وما شأني أنا!! "

شهقت رحمة في صدمة وانفجر سيد يمسك بتلابيب العجوز وهو يقول بلهجة غاضبة " شأنك أنك المسئول عن انجابها .. شأنك أن حظها العثر جعل منك والدها .. شأنك أنها ابنتك شئت أم أبيت أتريد أن ترميها في الشارع تمزقها الكلاب "

Des. Maryam Tamim

قال العجوز ببرود " مادمت حانقا لأجلها هكذا خذها الى بيتك .. فأنا اكتفيت من الإناث ".

ترك سيد قميصه ورد بحزن " ليتني أقدر على جمعهن كلهن في بيت يخصني وأرعاهن .. لكني للأسف بالكاد يكفيني راتبي أنا وزوجتي "

رد عليه خليل مصححاً " راتبك الذي تأخذه مني "

رمقه سيد بنظرة قهر وقال " ألا تستحي .. أنا ابنك الوحيد.. أعمل لديك في أملاكي براتب مثل الموظفين .. كل هذه الأموال التي لاعد لها لا يصلني منها إلا الفتات ولا شيء يربطني بك سوى كوني ابن المليونير خليل صبرة"
ثم اضاف في لهجة ساخرة " الناس يظنونني انهل من اموالك وألقيها هنا وهناك .. لا يعلمون الحقيقة المُرة أني أعمل في أملاكي بالأجرة "

Des. Maryam Tamim

رد خليل مصححاً " بل هي املاكي أنا .. اموالي أنا .. مادمت حياً فهي أموالي استمتع بها كما أشاء وسأترككم تنعمون بها بعد مماتي .. إن بقي منها شيء"

زفر سيد في يأس وهو يمرر أصابعه في شعره ثم قال منهياً هذا الحوار القميء المؤلم " رحمة ستعيش هنا انتهى الكلام "

قال خليل ببرود " وإن رفضت ؟"

رفع سيد سبابته مهددا " إن رفضت فلن تسلم من جنوني وانت جربته من قبل .. سأحطم لك محلاتك سأشعل فيها النار حتى أحرق قلبك ".

رد العجوز ببرود صقيعي " وأنا سأبلغ عنك الشرطة هذه المرة ولن انصاع لتوسلات التجار هذه المرة وسأحبسك خلف القضبان "

هدر سيد غاضبا " ليتك تسجنني أو تنهي حياتي فأنا تعبت .. تعبت جدا (ثم استطرد منهياً الحوار)

Des. Maryam Tamim

لو علمت أنك طردت الفتاة سأتصل بكل التجار وأبلغهم أنك تلقي ببناتك في الشارع وسأنشر الخبر بين كل عملائك .. تخيل سمعتك في السوق ووسط التجار .."

ثم استدار مغادرا والعجوز يحدق فيه بنفس نظرة الغل المتأججة .. فتشبثت رحمة بقميص سيد في خوف .. فنظر إليها بشفقة ثم طمأنها بهمس " لا تخافي لن يطردك فهو جبان فيما يخص سمعته في السوق .. آسف لا أستطيع أن اقدم لك أكثر من ذلك .. ربما يوما ما يكون لي مالي الخاص واقدر على رعاية أخوتي .. خذي رقم هاتفي وكلميني إذا ما احتجت لشيء (ثم حرك رأسه يتأمل جدران البيت بنظرة سريعة وقال بمرارة) ابحثي لنفسك عن زاوية في هذا البيت واحتمي بها وانتظري قدرك في صبر .. لن تكون أيامك ممتعة لكن صدقي نصيحة مُجرِّب إنها أفضل من الشارع !"

Des. Maryam Tamim

***

إنها الهرمونات !..
فكرت بذلك وهي تغلق على نفسها مرحاض الورشة الصغير تبكي بحرقة .
أجل ما يحدث لها حالياً سببه اضطراب الهرمونات بسبب ظروفها الشهرية ..وهو الذي يجعلها تبكي بهذه الحرقة ..

فيضان من الدموع والكآبة تشعر بهما .
كله بسبب تلك الهرمونات البغيضة وليس بسبب تلك السمراء الجميلة ذات الشعر الأسود .
ليس لأنها رقيقة .. تضج أنوثة ..
أجل ليس هذا هو السبب !.

أخذت بانة تبكي بحرقة وتحدث نفسها وهي تمسح أنفها وخديها بكم بلوزتها .. وتتذكر وجه أحمد

Des. Maryam Tamim

العبوس الذي ارتخت ملامحه واشرقت عندما دخلت هذه (التي تضج أنوثة ورقة) .
بكت مجددا ..

بعد قليل أخذت شهيقاً قوياً في محاولة السيطرة على انهيارها .. وأنكرت أمام نفسها أنها تبكي بسبب ذاك العطر الأنثوي الفواح الذي التقطه أنفه المستفز على بعد أمتار .. أو على الطريقة المشرقة التي نطق بها أحمد اسم الفتاة (رشا)..

انفجرت في البكاء .. تغمغم "ماهذا الاسم الرقيق المائع البغيض ! .. (رشا !) .. يبدو أنه يعرف هذه الـ رشا جيداً ويكن لها شعوراً خاصاً .."

قلدت بانة متهكمة صوتا نسائياً رفيعاً ومائعاً "اشتقت إليك أحمد "

Des. Maryam Tamim

طوفان من البكاء ..
اللعنة على الهرمونات !
***

Des. Maryam Tamim

الفصل السادس

وجد أحمد رامز يقف أمام بائع خضراوات في أحد الشوارع القريبة من شارع سماحة يبتاع منه و يجادل البائع في السعر بينما البائع ينظر له بامتعاض .. فضحك وهو يقول في سره " هذا الفتى حتى في الشراء والبيع يجادل مثل النساء "

ضغط على بوق السيارة فالتفت إليه .. ليشير له بأن يركب .. وبالطبع كمجادل أصيل حاول رامز التملص من ركوب السيارة مدعياً أن المسافة للمنزل قصيرة لكنه أصر هذه المرة .. يكفي أنه يرفض لسبب لا يفهمه ألا يذهب ويعود معه بالسيارة من وإلى الورشة ..

Des. Maryam Tamim

أخيراً ركب معه السيارة باستسلام وهو يحمل أكياس البقالة والخضار ..سأله باهتمام" ماذا ستطبخ اليوم "

رد عليه رامز " سأطبخ طبقاً من بلدي اشتهيته "

تأمله أحمد بطارف عينه ثم نظر للطريق أمامه وقال في هدوء " حسنا .. سأتعشى عندك اليوم .. حضّر كل شيء وانتظرني " .

شعر بارتباكه وكأنه يرفض الفكرة .. لكنه بكل برود فرض نفسه مستمتعا باستفزازه فأضاف " جهز كل شيء وسآتيك بعد ساعتين .. سأمر على الخُن أولا فالرفاق يتجمعون هناك ويبدو أن سيد لديه أخبار جديدة .. وبعدها سأمر عليك .. (وأشار بسبابته محذرا) لا تأكل بدوني "

شعر بحرجه لكنه لم يمنحه فرصة للتملص فقال باستنكار " ألا استحق منك أن تدعوني على الطعام أيها البخيل!! "

Des. Maryam Tamim

انه محير جدا وكل ما يحيط به محير .. هل يعاني فعلا من هذا الرهاب الذي يدعيه من الزحام والناس؟!!....

شرد أحمد بأفكاره لمنطقة أعمق بداخله .. عليه أن يعترف لنفسه بحقيقة تبدو غريبة .. أن رامز لديه رائحة جسد يلتقطها بسهولة ! .. هو بأنفه المنزعجة دائما من الروائح يرصد من حوله .. وبطريقة ما تبدو رائحة رامز رائحة غريبة بالنسبة له .. فهي بعيدة كل البعد عن رائحة الرجال القوية ..

لا يستطيع التعبير عن الموضوع .. لكن رائحة الرجال لها احساسا معينا بداخله لكن رائحة رامز تربكه .. ولا يعرف كيف يفسر الأمر ..

قال أحمد بدون تفكير مستمتعاً بإرباكه " هل تعلم أن رائحتك مميزة؟ استطيع التعرف عليها بسهولة"

Des. Maryam Tamim

إرتبك رامز أمامه وبدأ يتشمم نفسه وثم قال " أنا لا أضع عطراً "
ضحك من ارتباكه وقال " أعلم أنك لا تضع عطراً .. اشم رائحة صابون مختلطة برائحة جسدك "

قال رامز بتوتر " وهل تفعل ذلك مع كل الناس ؟"
رد عليه أحمد بهدوء " تقصد التعرف على الراوئح ؟ .. نعم للأسف أنفي أكثر حواسي نشاطا .. والأمر مزعج جدا صدقني "
عند بوابة بناية آل سماحة ترجلت بانة من سيارة أحمد ووقفت تنظر إليه بغيظ وهي تتأفف.. ثم رأته يلوح لها باستخفاف وهو يحرك السيارة ليركنها وشبح ابتسامة يشق وجه العابس ففكرت... هل هذا بسبب زيارة تلك المدعوة رشا اليوم ؟.

Des. Maryam Tamim

فهمست وهي تصعد سلم البيت "ماهذه الورطة كيف سأستضيف أحمد في الشقة يبدو جادا في موضوع تلك العزومة "

ماذا ستفعل .. هل ستجلس هي وأحمد بمفردهما في الشقة ! .. الامر يحلو لها .. لكنه خطر .. خطر جدا هذا القرب وستكون الأضواء مسلطة عليها وقد يعطي ذلك فرصة لأحمد ليتأملها أكثر وربما شك فيها ..

لابد من مخرج من هذه الورطة .

***

بعد ساعتين :

في الخُن تصفح عمرو الفيسبوك على هاتفه ليرى الجديد اليوم .. فطالع منشورا لصديقته MI

MINالتي كتبت على صفحتها:

(مع الزمن يتحول الألم إلى حزن.. ويتحول الحزن إلى صمت .. ويتحول الصمت إلى وحدة ضخمة وشاسعة كالمحيطات المظلمة !) جلال الدين الرومي

فكتب لها تعليقا بمقولة تنسب لعلي بن أبي طالب :

(ولاَ تيْأس فإنَّ الْيأْس كُفر, لَعلَّ الله يُغنِي مِن قَليل, وأنَّ الْعسْر يَتبَعه يُسر, وَقَول الله أَصْدقُ كلُّ قِيل)

ثم بعث لها على رسائل خاصة:

"ما هذا المزاج ؟"

لكن لم يأته أي رد .. فلم تكن متصلة بالانترنت .

Des. Maryam Tamim

نظر أحمد بتطفل في هاتف عمرو فأغلق الأخير الهاتف حين انتبه لذلك.. فغمز له وقال باغاظة " هل هذه هي الصديقة الجديدة ؟"

رد عمرو باستنكار " وهل كانت هناك صديقة قديمة ؟! "

حرك أحمد كتفيه ثم قال " أراك تتحدث عبر الرسائل الخاصة من وقت لآخر "

رد عمرو موضحا " أنا أتحدث مع أناس كثيرين .. ولي أصدقاء كما تعرف من الجنسين "

فقال أحمد مصراً" لكن هذه الفتاة تكلمها بشكل خاص.. إعترف "

إحمرت أذنا عمرو وتنحنح يرد بحرج " ليس شيئاً خاصاً .. هي فقط صديقة .. خاصة وإني لا اعرف عمرها ولا أية معلومات عنها"

Des. Maryam Tamim

قال أحمد محذرا " عليك معرفة تفاصيل عنها أكثر
قبل أن تتورط معها وتكتشف أموراً قد تصدمك ..
أنت تعرف حياة الانترنت الزائفة "

رد عمرو مدافعا " قلت لك هي مجرد صديقة
عادية ليس هناك شيء خاص يربطني بها "
ربت أحمد على كتفه يقول" لابأس أنا فقط قلق
عليك لا أكثر"
طمأنه عمرو بابتسامة محرجة وقال " لا تقلق عليّ
أنا فقط اتبع سياسة النفس الطويل .. وعاجلا أم
اجلا سأعرف"

تدخل سيد وقد التقط طرف الحديث ليسأل
بفضول "من هذه التي قد تصدمه؟ "
رد أحمد غامزاً " صديقة تعرف عليها عبر
الانترنت منذ فترة "

Des. Maryam Tamim

تدخل وائل مازحاً " ابني حبيبي.. أخيراً سأطمئن عليك .. وستثبت لنا أنك رجل يلعب بذيله "

رمقه عمرو بنظرة جليدية " أنا لا أحتاج لذيل لألعب به كي أثبت أني رجل .. وهذه صديقة قلت .. صدييييقة فقط "

قهقه وائل ثم قال " صادق يا شيخ عمرو .. صادق .. واحمرار أذناك يثبت ذلك"

لم يعلق سيد وقد بدى متعكر المزاج بعد ما حدث في بيت أبيه ظهر اليوم .

فجأة دخلت بانة عليهم الخُن بتوتر تحمل صينية ويتبعها طأطأ بصينية أخرى ..

استقبلها وائل مرحباً " هل أرى الدكتور معنا أخيراً متخليا عن قوقعته .. ما هذه المفاجأة "

Des. Maryam Tamim

قالت بحرج " طبخت طبقاً من بلدنا وودت أن أدعوكم لتذوقه "

هلل الجميع ووضعت الصواني على الموائد تتحاشى النظر في وجه ابن سماحة الذي رفع حاجبه مستنكرا.. فرددت في سرها بفخر " أحسنت يا بانة استفززته وفي نفس الوقت تخلصتِ من ارتباكك بوجوده معك في الشقة بمفردكما "

بعد قليل كان الكل يبدي إعجابا كبيراً بطعام بانة أسعدها الإطراء وذكرها بالماضي مع عائلتها . شاكسها أحمد ساخرا " تبهرنا عادة بكل ما يصدر منك يا دكتور "

قالت مغيرة الموضوع وهي تقاوم شعوراً سخيفاً بالسعادة يتسرب إليها بعد أن لاحظت أن أحمد يأكل باستمتاع طعاما هي أعدته بنفسها " هل هناك جديداً يا سيد؟.. أراك متعكر المزاج "

Des. Maryam Tamim

ساد الصمت فجأة .. فشعرت بالحرج وتساءلت في سرها . هل تجاوزت حدودها معهم؟.. هل تسرعت بسؤال كهذا ؟.

رد عليها وائل بملامح جادة يحكى لها بدلا عن سيد ما حدث اليوم بشأن أخته ..فتألمت بانة كثيراً وتعاطفت مع سيد وأخته.. وأدركت أنها لسيت وحدها من تواجه المِحن .
فجأة انتبهت بانة لأنف سيد الذي سالت منه الدماء فهتفت بجزع "سيد .. ماذا يحدث .. أتعاني من الرعاف ؟! "

خطف سيد منديلا يمسح به أنفه وهو يستقيم واقفاً بينما طالعه الشباب بهدوء أدهش بانة.

Des. Maryam Tamim

فرد أحمد يطمئنها " إنه مريض بالضغط العالي وهذه إحدى أعراض ارتفاع الضغط لديه .. سيحتاج لحقنة تخفض من ضغطه "

بينما استقام عمرو ينفض يديه من الطعام قائلا " معي دواؤه في السيارة "

بعد قليل كان عمرو يخرج من الحمام يتبعه سيد وقد أعطاه الحقنة ..فمالت بانة على وائل تسأله مبهورة " هل يحمل عمرو دواء سيد في سيارته دائما ؟!! "

رد وائل وهو يتأملهما " في يوم من الأيام كدنا أن نفقده بسبب ضغطه العالي .. إنه يعاني منه منذ أن كان صغيرا جدا .. يومها ارتعبنا حين فاجئته نوبة ضغط وانتهى بنا الأمر في طوارئ أحد المستشفيات ومنذ ذلك الوقت كل واحد منا اصبح يحمل دواؤه وإبرة الحقن في سيارته .. لا

Des. Maryam Tamim

أذكر من منا ابتدع الامر أولا.. لكن عمرو هو المتخصص في اعطاء الحقن.. "

تمتمت بصدق " علاقتكم تمنحني شعوراً إيجابياً أحتاجه بشدة "

غمز وائل ثم قال بنبرة ذات معنى " زورونا تجدوا ما يسركم "
اطرقت بانة برأسها فقال وائل بجدية" صدقني قد يواجه شخص ما الفواجع فيكون بالقوة والشجاعة التي تجعله يستمر.. وقد يكون ضعيفاً فيبتلى بأمر قد يكون تافهاً بالمقارنة بالفواجع التي تحدث لأناس آخرين لكنه يسحق قلبه .. للدرجة التي تصبح فيها الحياة ليس لها معنى والموت أرحم .. فكن دائما من الفريق الاول كما أنت.. ولا تكن من الفريق الثاني ".

Des. Maryam Tamim

سألته وقد تملكها الفضول من جدية وائل النادرة " ومن تقصد من الفريق الثاني ؟ "
زفر في مرارة ثم قال " يوماً ما سأحكي لك عن مريم"
قبل أن تفهم من مريم ..علا صوت أحمد يسأل سيد بتسل" إذن كم أختا لك الآن يا أخ البنات؟ "
رد وائل بالنيابة عنه " ثمانية "
صحح له سيد المعلومة " بل تسعة "
طالعته العيون بذهول وهو يوضح " العروس الجديدة للسيد الوالد تحمل بأنثى "

انفجر الجميع في الضحك وقد لانت ملامح سيد وشاركهم في الضحك.
فعلق وائل بمكر " مزاجك اليوم تحسد عليه يا ابن سماحة "

Des. Maryam Tamim

رفع أحمد كتفيه بلامبالاة بعدم وجود شيء محدد .

فاندفعت بانة تقول بسخرية " ربما الطقس اليوم في الورشة كان لطيفًا "
منحها أحمد ابتسامة عذبة زينت وجهه
فسقط قلبها لوسامته قبل أن يرفع حاجبا ليقول بإستفزاز " هل تغار مني لأني اعرف الجميلات بينما أنت تقضي حياتك منزوياً في شقتك تعاني رهاب الزحام "

سأل سيد بإهتمام " مَن مِن الجميلات قابلت ؟"
رد بابتسامة جانبية " رشا "
ضيق عمرو عينيه وقال " رشا الدسوقي ؟"

اوما أحمد برأسه بنعم فأصدر سيد صفيراً يدل على الاعجاب .

Des. Maryam Tamim

راقبتهم بانة وقد تعكر مزاجها.. يبدو أن الأخت رشا عَلم بينهم!

سأل وائل بخبث " وكيف هي الآن بعد كل هذه السنوات ؟"

رد أحمد وعلى وجهه نفس الابتسامة التي اشرقت منذ قليل " صاروخ عابر للقارات"

سأل عمرو بجدية " وما الذي ذكرها بك؟ "

زفر أحمد ثم أجاب " ستفتتح معرضاً للوحات الفنية والديكور وتريد أن تستعين بي في عمل بعض القطع الخشبية اليدوية المميزة كأرفف وصناديق للعرض "

سأله عمرو " وهل ستوافق؟ "

قال بهدوء " افكر في الموافقة "

هلل وائل " ستعود إذن لابداعاتك "

رد أحمد بعند" كلا لا أنوي .. هذا فقط تقديراً للايام الخوالي "

Des. Maryam Tamim

فرد وائل بمكر" أو تجديداً للايام الخوالي "

ابتسم أحمد ثم وجه إشارة لبانة قائلاً " جهز نفسك ستأتي معي في اجتماع مع رشا للتحدث في التفاصيل"

هتفت بانة باستغراب " لماذا أنا ؟؟ وماذا سأفعل معك ؟؟ "

رد أحمد بعناد " ولماذا ليس أنت؟ .. كما انني مديرك وأنا الذي أقرر "

زفرت بغيظ مفكرة هل ستتحمل أن تقابل هذه الـ رشا مرة أخرى بهالتها الرقيقة الأنثوية .. وتشاهد ابن سماحة وهو يرسم تلك الضحكة البلهاء التي أنارت وجهه منذ أن قابلها .

تأمل أحمد رامز الذي بدا منزعجاً من مرافقته في الاجتماع مع رشا الدسوقي .. وحاول إيجاد

Des. Maryam Tamim

تفسير منطقي .. فتساءل في سره هل أعجب رامز برشا لهذا هو مكفهر الوجه منذ أن رآها معه ؟ ..
هل يميل للإناث مثل أي ذكر طبيعي ؟..
تبدو فكرة غريبة !
والأغرب أنه يشعر أنها غريبة !.

زفر في حيرة وهو يحدث نفسه " الى أين سيأخذك الفضول يا أحمد .. لماذا تشعر برغبة حارقة في الاقتراب من رامز وفي نفس الوقت تسيطر عليك قوة تدفعك للابتعاد عن طريقه "
مال أحمد على عمرو الذي عاد يطالع هاتفه بترقب وسأله " كيف ترى رامز؟ "
كان عمرو قلقا.. لماذا لم تتصل اليوم بالانترنت؟ .. وما معنى أن تكتب منشوراً يائساً كهذا؟؟ .

تنبه عمرو لسؤال أحمد فقال بذهن مشغول " ماذا به رامز؟ "

Des. Maryam Tamim

وضح أحمد " أقصد شعورك تجاهه "

لم يفهم عمرو السؤال لكنه قال " انه شاب شجاع مكافح مر بظروف صعبة وأظهر رغم ضعفه الظاهري قوة نفسية عظيمة لتخطي الصعاب .. في بداية الامر كنت مشفقا عليه ثم تحولت الشفقة لاعجاب حقيقي بشخصه "

تحير أحمد كيف يسأله عن شعور بداخله هو ليس له أي منطق .. فحاول السؤال باصرار " وكيف تراه كرجل ؟"

رد عمرو بتأكيد " قلت لك لديه قوة نفسية داخلية احترمها واقدرها .. ماذا هناك هل صدر منه شيئا "

أسرع أحمد للرد مدافعا " لا لا .. أنا فقط أشعر بشيء عجيب في هيئته .. إنه.. إن به نعومة غريبة

Des. Maryam Tamim

استشعرها.. لديه سر يخفيه .. كما أن مواصفاته الجسدية ليست خشنة .. لا أعرف كيف أصف الأمر"

ضيق عمرو عينيه وقد استشعر ارتباكاً يصدر عن أحمد فسأله بتوجس " ماذا بك يا أحمد؟ .. ما هذه الاسئلة الغريبة ؟ "
أسرع أحمد بانهاء الحوار فهو نفسه لا يعرف ماذا يريد أن يثبت بالضبط فقال " لا شيء يبدو أني مضغوط فكريا وأخرف "

عند منتصف الليل دخل أحمد بوابة البيت وخلفه بانة تحمل صوانيها .. وعند باب شقتها وقفت في حرج.
فقال أحمد " شكرا على الطعام أنت طباخ ماهر .. وكانت حركة ذكية منك لتتجنب وجودي في

Des. Maryam Tamim

شقتك .. عموما لن ايأس يا رامز .. وسأُخرجك من جحرك وانطوائك يوما ما "
ثم اشار بإصبعيه السبابة والوسطى عند رأسه مودعاً وصعد لشقته.

***

أغلق سيد المقهى بعد ذهاب الشباب وهاتفه على أذنه يحدث زوجته " أعتذر يا بسمة .. السهرة امتدت مع الشباب .. لماذا انتظرتني .. المرة القادمة نامي ..أعتذر .. أعرف أنك وحيدة طوال النهار.. حسنا أنا قادم الآن "

بعد قليل بينما يقود السيارة رن الهاتف مرة أخرى ليظهر اسم آية فأجاب " لماذا لم تنامي حتى الآن؟"

Des. Maryam Tamim

أتاه صوتها ناعساً " انتظرت أن تغلق المقهى لأتأكد أن كلهم قد ذهبوا "

قال بتوبيخ " الوقت متأخر .. ألم نتفق على التوقف عن الاتصالات المتأخرة ليلا "

ردت بعصبية " انهيت الاتصال معي في الصباح فجأة .. ولم تعاود الاتصال بي .. وحاولت الاتصال بك أكثر من مرة لم ترد فازداد قلقي "

رد باقتضاب وقد عاودته ذكرى ما حدث في الصباح " حسنا أنا بخير . لا تقلقي "

قالت بنبرة مشفقة حنونة " صوتك لا يخبرني بذلك "

رد بهدوء " لا أريد تصدير الكآبة لك يا صغيرة "

زمجرت بغيظ " لست صغيرة يا سيد لقد أوشكت على أن أتم العشرين .. هذه الكلمة باتت تستفزني "

ناغشها في حنان وقد افلت الاجهاد زمام أمره " يا قطعة السكر "

Des. Maryam Tamim

صمتت قليلا ثم ردت بهدوء " هذا افضل (ثم استطردت بلهجة مهتمة) تبدو مرهقا "

سحب نفساً طويلاً ببطئ حتى ملأ صدره بالهواء يصارع مارداً بداخله يستغل لحظات ضعفه ليعربد.. ثم رد باختصار حتى لا يتمادى المارد " قليلا "

أتاه صوتها حنوناً صادقاً " ليتني أستطيع أن أخفف عنك بعضاً من آلامِك "
همس في سره" ليتكِ تفعلين "

استطردت آية تقول " سأرسل لك أغنية رائعة ستبهجك .. تصبح على يوم مشرق بدون ألم يا سدسد " .

Des. Maryam Tamim

تنهد وهو يضع الهاتف بجوار المقود فسمع بعدها صوت تنبيه الواتساب .. ضغط على رابط الاغنية ليصدح صوت أنغام :

يا أعز واغلى واطيب قلب
فسّر للعالم معنى الحب
وان شاوروا وقالوا عليك طيب
خليك هنا من قلبي قريب
وكفاية تكون إنسان في زمان
فيه طيبة القلب بتتعيب
يا طيب .

بعد ساعة استقبلته بسمة عند باب الشقة ببشاشة ..
فهتف في سره " ها هو ذنب آخر تحمله فوق ذنوبك يا سيد "

كان من الارهاق النفسي والذهني فلم يكن قادرا على الحديث .. اندفع نحوها بحركة فاجئتها

Des. Maryam Tamim

ليطبق على شفتيها بعنف يغرق فيهما هاربا من طوفان مشاعره.. وأفكاره السلبية .. وقيوده التي يفرضها على نفسه ..
بعد قليل تأملته وهو منبطح على بطنه بجانبها غارقا في النوم يدفن رأسه بين الوسائد.. فاستعادت لحظاتهما الحميمية منذ قليل كان عنيفا وكأنه يصارع شيئا أو يهرب من شيء.. تلمست ذراعه العضلية باعجاب وقبّلتها ..

ها هي تجلس بين الجدران طيلة اليوم في وحدة تقضي معظم الوقت تتحدث مع أهلها على الهاتف .. وتنتظره .. تنتظر منه وصالا .. ليأتي آخرالليل يروي شوقها اليه في دقائق وينام. .. لكن حنانه ورعايته لها حتى وهو مشغول عنها طوال الوقت يساعدها على تحمل وحدتها وشوقها لأهلها القاطنين في مدينة أخرى .

Des. Maryam Tamim

الوقت كفيل بأن يغير الأمور .. فقط لو تعرف سبب آلامه.. سبب ابتعاده .. يكون معها بجسده لكنها باتت أكيدة أنه بمنأى عنها تماما .. لكنها لن تيأس ربما لأنه تعود الوحدة تعود الا يشارك آلامه واخباره مع أحد ..فاسندت رأسها على كتفه واحتضنت ذراعه ونامت .

***

"يا أمي تعشيت اقسم لك " قالها عمرو وهو يتحرك باتجاه غرفته .

ردت الأم موبخة في غيظ " لماذا لم تخبرني أنك ستتعشى بالخارج "

تمسك بهدوئه المعتاد ليقول بصبر " يا أمي ارجوكِ .. يا ست الحبايب ما المشكلة أني تعشيت مع اصحابي ؟"

ردت والبؤس يسيطر على ملامحها " المشكلة أني كنت مريضة.. وكنت مشغولة في رعاية

Des. Maryam Tamim

أبيك.. ومع هذا تحاملت على نفسي وأعددت لك الطعام "

قاوم الضيق بداخله ليقترب منها ويقبل رأسها ويلثم يدها في مواساة " اعتذر يا أمي حقك فوق رأسي "

جاء صوت الشيخ عبد الرحمن على باب الغرفة ينادي "عمرو "

أسرع إليه عمرو يقبل يده باحترام ثم أسنده ليعود لسريره وهو يقول " لماذا قمت من السرير يا أبي "

رد الشيخ في وهن وهو يتلمس لحية ابنه بمحبة " أنا بخير "

ساعده عمرو ليعود للسرير وهو يسأله بهمس " هل هي مريضة حقا.. ؟ "

ابتسم الشيخ وقال " لا تقلق عليها .. إنها تتدلل كالعادة "

Des. Maryam Tamim

قال عمرو بنفس الهمس " ولكنها لم تحدثني في موضوع كل يوم"
ضحك الشيخ فتكومت تجاعيد وجهه الظاهرة من تحت لحيته البيضاء وقال " تقصد موضوع الزواج من ابنة خالك ؟.. لا تقلق اتفقت معها ان تغلق الموضوع حتى تفتحه انت وقتما تشاء " ..

تنفس عمرو الصعداء في راحة فتبسم الشيخ ليقول بلهجة حانية " كله قسمة ونصيب يا بني.. " سأله عمرو وهو يغطيه بالغطاء " لمَ أنت مستيقظ حتى الآن يا شيخي "

رد الشيخ" يجافيني النوم مؤخراً .. وانتظرتك لتقرأ لي قليلا من القرآن أشتاق لسماع صوتك وأنت تتلوه "

Des. Maryam Tamim

غامت عينا عمرو تأثرا يتأمل نحول والده وضعفه ..إنه في الثمانين من عمره أنجبه في سن الخمسين بعد طول اشتياق.
قال عمرو " حسنا لنقرأ معاً "

بعدما استسلم الشيخ أخيرا للنوم توجه عمرو لغرفته واستلقى على سريره بارهاق ثم تذكر أنه ينتظر ردا منها على الماسنجر ففتح الهاتف ليجد الرد وصله منذ ساعتين على سؤاله :

عمرو القاضي : ما هذا المزاج اليوم.
Mi Min : لا شيئ بالتحديد مجرد عبارة قرأتها ولمست بداخلي وتراً .

تساءل هل مازالت مستيقظة ؟ فكتب :
عمرو القاضي : هل تقرئين عن جلال الدين الرومي ؟

ترك الهاتف واغمض عينيه بتعب .. فوصله تنبيه بوصول رسالة جديدة لينتفض ليعتدل على جانبه ويتوسد ذراعه ليقرأ :

Mi Min : أحب كثيراً من أفكار التصوف .. وأنت ؟

عمرو القاضي :أنا ايضا تعجبني كثيرا من التأملات والمبادئ .. وهي عموما تلمس الفطرة .. لكني لا اعتبر نفسي متصوفا .

Mi Min : إذن ماذا تعتبر نفسك ؟

عمرو القاضي : اممم.. لا أحب التصنيف .. ولا أحب أن ألزم نفسي بقالب معين.. خاصة وأن هذه القوالب من صنع البشر .. فليست بالضرورة أن تكون كل أفكارها صحيحة أو مقبولة أو عليّ أن أقبلها بدون تفنيد.

Mi Min : أتفق معك في وجهة النظر هذه .

عمرو القاضي : أنا ملتزم فقط بكتاب الله وسنة رسوله الكريم .

Des. Maryam Tamim

Mi Min : عليه أفضل الصلاة والسلام ..
عمرو القاضي : لماذا تسهرين حتى الآن؟
Mi Min : لا يوجد سبب .. ربما بعض الارق وأنت ؟
عمرو القاضي : أنا كنت مع أصدقائي حتى ساعة متأخرة ثم جلست مع أبي نقرأ القرآن .

Mi Min : هل تحفظ القرآن ؟
عمرو القاضي : الحمد لله .. فأبي شيخ أزهري وإمام جامع وانت ؟
Mi Min : أبي ليس شيخاً لكنه والحمد لله يحفظ القرآن أيضا .
عمرو القاضي : ما شاء الله ولكني لم اسأل عن أبيك اسأل عنك هل تحفظين شيئا من القرآن ؟ .
Mi Min : احفظ جزء عم .. ولكني أواظب على القراءة من المصحف .

Des. Maryam Tamim

عمرو القاضي : ما شاء الله ... قولي دائما (بفضل الله)

Mi Min : لم افهم !

عمرو القاضي : أقصد حين تتحدثين عن اجتهاد في العبادة مثل الصوم الصلاة قراءة القرآن قولي بفضل الله .. بعون الله.. حتى لا يدخل الشيطان في عملك ويغرك بما تفعلين.. إنه سبحانه من يعطينا القدرة على مواصلة التعبد دون انقطاع فلا يغرنا ما نفعل فهو قليل القليل في حق الله سبحانه مهما فعلنا .

Mi Min : فهمت .. ان شاء الله

عمرو القاضي : إذن هذه المعلومة الثانية التي أعلمها عنك .

Mi Min : وماهي ؟

عمروالقاضي : أنك مسلمة .

Mi Min : (وجه يضحك)

عمرو القاضي : أوقعت بك .. (وجه يضحك)

Mi Min : ماهي المعلومة الاولى ؟

عمرو القاضي : انك انثى .. (وجه يغمز بعينه)

Mi Min : (وجه يضحك) وما أدراك أني اقول الحقيقة ربما أكذب . .؟ (وجه يغمز)

عمرو القاضي : هذا وارد لكن قلبي يحدثني أنك صادقة.

ساد الصمت لبرهة .

Mi Min : احك لي عن والدك .

عمرو القاضي :هذا سؤال لا أستطيع الاجابة عليه في سطرين ربما اكتب لك الرد في كتاب وأرسله لك .. وربما وقتها علمت عنوانك (وجه يغمز)

Mi Min : (وجه يضحك) .. ومن قال أني سأعطيك العنوان .. سأطلب منك وقتها تحويله لكتاب الكتروني وارساله عبر الانترنت .

عمرو القاضي : (وجه يضحك) .. حسنا يا مراوغة هذه هي المعلومة الثالثة عنك أنك مراوغة وماكرة .

Mi Min : (وجه يقهقه)

اعتدل عمروفي جلسته يبتسم ويقول لنفسه " خفيفة الظل وواثقة من نفسها "

عمرو القاضي : أبي هو شيخي ومعلمي ومثلي الأعلى وقدوتي وصديقي وظهري .. مهما وصفت لن أجد العبارات التي تستوفي حقه .. ولا أزكّي على الله أحدا .

Mi Min : (وجه يفجر قلوبا حمراء) ولماذا طلب أن تقرأ له القرآن اليوم ؟

عمرو القاضي : انه متوعك قليلا بسبب تقدم العمر .. فهو اطال الله في عمره في الثمانين .

Mi Min : اطال الله في عمره .

عمرو القاضي : وأنا ولده الوحيد .. انجبني في الخميسن لأنه لم ينجب من زوجته الاولى واستمر صابرا معها محتسبا راضيا بقضاء الله حتى توفاها الله فتزوج من أمي التي كانت تصغره كثيرا فأحبها كثيرا وعوضه الله بي بعد طول انتظار.

Mi Min : ولماذا أنت وحيد مادام والدك يشتاق للابناء ؟

عمرو القاضي : حسنا كما تعلمين لا يوجد شيئ كامل في هذه الحياة والله يختبرنا حتى في النعمة التي يمنحها لنا .. للأسف أمي أضطرت لاستئصال

Des. Maryam Tamim

الرحم في عمر مبكر فحمدا الله وشكراه على نعمة إنجابي ورضيا بقضاء الله .

Mi Min : وهل أنت فعلا نعمة لهما ؟

عمرو القاضي : أحب اسئلتك الذكية العميقة .

Mi Min : (وجه يختبيء وراء كفين حرجاً)

عمرو القاضي : احاول جاهدا أن اكون نعمة لهما .. احاول أن أعوض أمي عن رغبتها في إنجاب عشرة من الاولاد.. احاول أن أقر عين أبي بي كلما رآني .. وهذه مسئولية كبيرة وشاقة لأني أضطر أحيانا للضغط على نفسي .. على رغباتي .. رفقا بهم.

Mi Min : كيف تعتبرها مسئولية اشرح لي ؟

عمرو القاضي : سأشرح لك يوما ما عندما تمنحينني معلومات أكثر عنك (وجه يغيظ)

Mi Min : على أية حال لقد حصلت على معلومتين .

Des. Maryam Tamim

عمرو القاضي : أي معلومتين؟
Mi Min : عن أبيك .. وعن عمرك (وجه يغيظ)
عمرو القاضي : أنا لم اذكر لك عمري !.
Mi Min : عمرك ثلاثون قلت أبي في الثمانين ورزق بي وهو في الخمسين .

عمرو القاضي : لقد اعترفت مثل الابله (وجه يختبيء وراء كفين حرجاً) عموما أنا عندي واحد وثلاثون عاما وأنت ؟
Mi Min : قلنا لا أسئلة شخصية .
عمرو القاضي : لكن هذا ليس عدلا أن تعرفي عمري وأنا لا أعرف عمرك !!!!!!!!!!!! .(وجه يبكي)

Mi Min : لم أسألك عن عمرك .. ...أنت من اعترفت (وجه يغيظ)
عمرو القاضي : أعطني عمرا تقريبيا .

Des. Maryam Tamim

Mi Min : امممم .. .. أنا أكبرك بالعمر كثيراً يا ولدي.(وجه عجوز)

عمرو القاضي : قلبي يخبرني بعكس ذلك (وجه يقهقه)

Mi Min : هل تعتمد عليه كثيرا ؟

عمرو القاضي : من ؟

Mi Min : قلبك .

عمرو القاضي : امممم .. لا أعرف ربما حين يعجز عقلي أعتمد على احساسي .

Mi Min : إحترس قد تكون واهما وتنسج خيالاً وتفترض فرضيات ليست حقيقية وخاصة في عالم الانترنت .

عمرو القاضي : تتحدثين مثل صديقي أحمد .

Mi Min : وهل يتحقق احساسك ؟

عمرو القاضي : غالبا نعم .

شرد عمرو وهو يتذكر كيف تعرف عليها .. كان قد كتب مقالا على الفيسبوك في احدى المجموعات الثقافية منذ مدة عن رأيه في موضوع خاص بالمرأة ودارت مناقشات كثيرة بين مؤيد ومعارض ومتفلسف ومدع الفهم وغيرهم من الانماط الشخصية التي تظهر على مواقع التواصل تتخذ منها حجابا لتظهر اسوأ أو افضل ما فيها .

يومها فوجئ بها ترسل إليه رسالة خاصة تحمل هجوماً نارياً .. وقد اعتاد على بعض المناقشات على الرسائل الخاصة مع الجنسين قد يجد ما يشجعه للرد وأحيانا يتجاهل الاراء التافهة أو السطحية .. لكن كلامها حفزه للرد عليها كانت منفعلة لكن مهذبة .. وبدت مثقفة ومطلعة ..فتناقش معها بهدوئه حتى أقنعها أن كلامه لم يكن ضد المرأة كما فهمت من مقاله واثبت لها بالأدلة وجهة نظره . ..بعدها

Des. Maryam Tamim

بدأ يميز اسمها بين المعلقين على منشوراته سواء بالتأييد او الاعتراض.. وبدأ النقاش بينهما على الرسائل الخاصة وشيئا فشيئا لفتت شخصيتها انتباهه .. لكنها أصرت على عدم تبادل أي معلومات شخصية وافقها على ذلك في بداية الأمر .. لكن مع الوقت شعر برغبة قوية للتعرف عليها أكثر .. وكلما حاول الضغط كلما ازداد عنادها وتمسكت بعدم اعطاء أية معلومات خاصة بها لكنه لن يستسلم .

بعد قليل كتبت :

Mi Min : هل نمت ؟

لم يصلها أي رد فقد استسلم عمرو لسلطان النوم والهاتف في يده .

***

بعد عدة ايام :

تلوت بجسدها .. وتعمدت التمهل لإظهار مفاتنها .. واعتلت سلم خشبي صغير حتى تصل الى الأرفف العليا..فأخذت تصعد السلم بميوعة تبرز مؤخرتها البارزة بالفعل من التنورة الضيقة .

رفرفت بانة برموشها عدة مرات بفم مفتوح في بلاهة وهي تشاهد هذا العرض المقرف من سهر فتاة السوبر ماركت المعجبة بها كرامز ولا تتوانى في التلميح لهذا الاعجاب كلما قابلتها .. فندمت بانة أنها طلبت غرضا من هذا السوبر ماركت لأنه على بعد خطوات من البيت .. فهي لا تطيق تلميحات هذه الفتاة..

تأملت الفتاة التي مازالت تتلوى على السلم الخشبي بحركات مبتذلة .. ترتدي تنورة ضيقة تصف جسدها بتفاصيله وانحناءاته .. فوقها بلوزة

Des. Maryam Tamim

أضيق وتتعمد اظهار الجزء العلوي بشكل فج وبارز ..

فمطت شفتيها في تساءل سري " هل المفروض أن انبهر بهذا البروز مثلا! .. وأن يسيل لعابي مثلا عليهما ! .. المسكينة لا تعرف اني أعرف (حركات البنات) وما يفعلن لابرازه بهذا الشكل الملفت وهما في الحقيقة أصغر من ذلك بكثير "

لكن كل هذا لم يستفزها بقدر استفزازها من الحجاب أو بمعنى اصح غطاء الرأس الذي ترتديه الفتاة على رأسها وتبرز منه غُرة مصبوغة بالاصفر .. فقالت في سرها " سامحك الله يا أختاه .. هل المفروض أن يكون هذا حجاباً ! "
قاطعت سهر افكارها وهي تقول بدلال " عفواً أستاذ رامز فطلبك في الأرفف العليا " .

Des. Maryam Tamim

ردت بانة بتأفف" إن كان صعباً سأذهب فلا تشغلي بالك وشكراً "
همت بالمغادرة فأتاها صوت سهر تقول في جزع" كيف تذهب يا أستاذ رامز .. طلبك جاهز .. أنت لا تعرف معزتك عندنا فلا نستطيع أن نردك خائباً ابداً " ..
ثم رققت صوتها وقالت بدلال " نفديك بأعيننا والله يا أستاذ"
تنحنحت بانة وقالت بأقصى خشونة ممكن أن يصل لها صوتها " سلمتِ .. هل سأحصل على طلبي الآن أم أمر في وقت آخر ؟"
قالت سهر بسرعة " حالا يا أستاذ را...."

فجأة صرخت ووقعت من فوق السلم.. فاسرعت بانة الى داخل السوبر ماركت الصغير تساعدها .. مدت إليها يدها فشدتها سهر إليها لتسقط فوقها

Des. Maryam Tamim

... شهقت بانة والفتاة تحاوطها بذراعيها بوله وتصرفات مراهقة.

تملك الغضب من بانة فرفعت جذعها بعصبية و استقامت واقفة وهي تهتف" تحشمي يا فتاة ! .. ماذا تفعلين !!!! "

امسكت سهر ببنطال بانة تنظر إليها في هيام وتذلل" أنا أحبك يا رامز... أحبك جداً.. اعطني فرصة أثبت لك كيف أحبك .. أنت وحيد وتحتاج لزوجة.. لن اكلفك شيئا صدقني "

نفضت بانة ساقها من يد الفتاة بغضب وتراجعت للخلف قليلا ثم قالت " حقيقة .. لا استطيع ان اقول شيئا غير شفاكِ الله
"

فجأة علا صوت خوار ثور عند باب السوبر ماركت ليدخل جسد ضخم يمنع دخول الأكسجين للمكان .. كانت هيئته تغطي باب السوبر ماركت

Des. Maryam Tamim

بالكامل وهو يصيح بصوت مخيف " ماذا يحدث هنا ؟ .. ماذا تفعل بداخل السوبر ماركت أيها الغريب ؟"

جحظت عينا بانة وهي تشاهد هذا العملاق يقترب منها وصوت سهر التي هبت واقفة تصيح في ارتباك " أخي ! "

شحبت بانة وهي تحاول شحن عزيمتها فقالت بهدوء " أختك وقعت من على السلم الخشبي وكنت أساعدها "

ثم احنت رأسها تمر من تحت ذراعه هاربة فتفاجأت بيد بشرية ضخمة تسحبها من كتفها لتواجهه...

بعدها.....

غامت الرؤية أمامها ....

Des. Maryam Tamim

أحيانا توهم نفسك أن كل الأمور على ما يرام
وأنك رأبت صدوعاً عميقة بداخلك.. لكن مع
فرقعة إصبعين ينكشف لك أنك كنت واهماً .. وأن
الشروخ و الصدوع مازالت هي نفسها لم تختفي..
وأن جروحك لم تندمل لكنها إرادتك القوية
التي كانت تخفيها لتمنحك القدرة على الاستيقاظ
كل صباح.
الخوف ...
وقلة الحيلة ...
والاحساس بالغربة....
والوحدة ....
اطلوا من مكان ما من داخل بانة مع تلك القبضة
التي نالتها في وجهها فهشمت الجدار العازل الذي
كانت تشيده بداخلها- منذ أن أتت إلى هذا الحي -
لتخفي مشاعر حسبتها توارت قليلا .

Des. Maryam Tamim

مع قبضة هذا الضخم تفجر وحش الخوف معلنا سيطرته على بانة متزامنا مع إحساسها وهي تُدفَع للخلف لينتهي بها الأمر مرتطمة بالجدار ..

لدقائق تشوشت الرؤية أمامها والألم في وجهها فوق طاقة الاحتمال .. لكن هذا الألم لم يكن هو سيد الاحساس وقتها فالرعب الذي سيطر عليها جعلها تستقيم واقفة فورا ولا تسمح لنفسها بالانهيار وهي تجاهد للرؤية حولها برعب..
فلم تكن ترى سوى ضوء شديد البياض .

استقامت بانة تترنح هنا وهناك فور سقوطها تريد أن تهرب قبل أن يسحقها هذا الضخم.
بعد ثوان انقشعت الغمامة البيضاء وبدأت الصورة تتضح أمامها .. وجسدها يختض من الخوف فمسحت الدم من فمها وهي تتحامل للوصول لبوابة البيت لتحتمي به في صمت..

Des. Maryam Tamim

انسحبت في هدوء وانكسار .. تختبئ في جحرها.

***

في اليوم التالي :

ارتدى أحمد سترة أنيقة و تطلع لنفسه في المرآة يحدق في ملامحه ببعض التدقيق.. متسائلا في سره هل سيكون جذاباً إذا أطلق لحيته؟ .. ربما لو فعلها ستكون لحية عصرية مشذبة مثل لحية عمرو..

طوال سنوات عديدة وعمرو كان يجذب الفتيات بلحيته هذه.. فهي تجعله وسيما بشكل مغيظ .. يوحي بالالتزام لكنه يعرفه (ماء من تحت تِبن) .. وتذكر فتاة الانترنت .. فشعر بالقلق .. عمرو بالذات قليل الخبرة في أمور النساء فهو يحتك بهن في حدود الزمالة العادية وبعيد كل البعد عن ألاعيبهن .

Des. Maryam Tamim

قطع شروده صوت أروى الجالسة خلفه على كرسيها المتحرك تكمل كلاماً قد بدأته منذ استيقاظه " إذن عادت رشا الى حياتك ؟ "

امسك الفرشاة يمشط شعره في المرآة وقال " وهل كانت من قبل في حياتي لتعود الآن"

ضيقت عينيها وقالت " لا تنكر أنك انجذبت لها يوما "
تحرك واستند بيديه على ذراعي كرسيها ليقول مناغشا " كان ذلك منذ أكثر من عشر سنوات يا أرورتي"
قالت باصرار " أجل والفتاة بذلت الكثير الجهد لتكون جزءا من حياتك لكنك لفظتها بكل عِند بعد الحادث "
أخذ نفسا طويلا يفكر ثم قال " لم اشعر أن كانت ذات أهمية في تلك الفترة .. ولم أشعر أني

Des. Maryam Tamim

احتاجها.. وكنا أنا وأنت نواجه مستقبلا مجهولا
.وودت أن ارفع عنها أي حرج "
حاولت أن تنفض عنها بعض الذكريات
المؤلمة التي تفجرت في رأسها فجأة وقالت "
حسنا ولكنها عادت .. ولم تتزوج بعد .. وأنت
أيضا فما المانع الآن "
زفر ثم قال " حسنا.. دعينا لا نسبق الاحداث "

تأملته ثم قالت في حيرة " هذه الايام اشعر أنك
متقلب .. تارة تكون مشحونا بطاقة إيجابية..
وتارة أخرى تلتزم صمتاً كئيباً كأنك قلق أو متحير
هل كل هذا بسبب رشا ؟ "

رد بصدق " لا أدري حقا .. لكني أعترف أني محتار
و قلق وأقاوم صراعا داخليا مجهولا و اخشى أن
يقودني هذا الصراع الغريب لأن أتزوج للفرار منه "

Des. Maryam Tamim

ظهرت علامات القلق على وجهها " لما لا نتحدث سويا .. أنت تلجأ لي حين تعجز عن تصنيف مشاعرك"

قبل رأسها وقال بلهجة حانية " ومن غيرك سيفهمني يا أميرتي .. دعيني أخوض المعركة مع نفسي أولا .. وسألجأ إليك حتما إذا احتجتك "

رش قليلا من عطره وارتدى ساعته ثم أشار لها بيده يودعها .. فنادت عليه وهو عند باب الغرفة فاستدار ليواجهها لتقول " عدني أنك ستعطي لنفسك فرصة جدية مع رشا "

غمز بعينه ثم قال " غالية والطلب رخيص "

****

تهرب بين الاحراش حافية القدمين وترى الدماء تلوث قدميها ولا تبالي .. الخوف

Des. Maryam Tamim

يسيطرعليها وكأنها تهرب من شيء ما .. فجأة..
الوشاح الذي يغطي رأسها يطير في الهواء..فتصرخ
في جزع وشعرها الكستنائي الطويل يتطاير خلفها ..
حاولت العودة تبحث عن وشاحها لكنها فوجئت
بيد تقبض على كفها تحثها على مواصلة الهرب ..
فنظرت إليه ..
انه فراس ..
أخوها فراس .. يشدها ويجريان عبر الاحراش..
تهتف بشوق " اخي اشتقت إليك "

فيستدير فراس ويمنحها ابتسامة مشرقة .
فجأة تجد نفسها على الاسفلت وفراس يسقط
غارقاً في دمائه وأجساد ضخمة تقف خلفه تقترب
منها .

Des. Maryam Tamim

الرعب يسيطر عليها وتريد أن تصرخ .. أن تهرب .. لكن صراخها لا يغادر حنجرتها وقداماها متسمرتان مكانهما .

الضخام يقتربون منها ...ورعبها يتزايد .. بينما ذراع تلتف حول خصرها فتجد نفسها محمولة في الهواء .. لكنها لم تجزع وكأنها تعرف صاحب هذا الذراع التي تحملها من خصرها .. فتدير وجهها لترى أحمد يقول بحزم " ستأتي معي"

تنظر لأخيها فتجده يشير لها أن تهرب بعيداً .

أحمد مازال يحملها من خصرها بذراعه ويجري مبتعداً والضخام يسحبون فارس على الاسفلت يأخذونه إلى الطريق المعاكس .. صرخت تنادي على أخيها بقلب ملتاع " فرااااااس .....فرااااااااس " .. وتقاوم ذراع أحمد على خصرها " ابتعد اتركني .. فراس ... فرااااااس "

Des. Maryam Tamim

شهقت بانة تنتفض من نومها وجسدها مبلل بالعرق .. وقاومت ضربات قلبها العالية لتستوعب الوقت والمكان ..
بعد عدة ثوان اكتشفت أن الضربات التي تسمعها ليست ضربات قلبها وإنما ضربات على الباب وصوت أحمد يصيح بعصبية..فانتفضت من سريرها..

لقد تأخرت في النوم اليوم لأنها لم تنم إلا مع ساعات الفجر الأولى بعد أن أنهكها البكاء .. كم ساعة بكت أمس.. لا تتذكر.
ضربات ابن سماحة مستمرة على الباب بعصبية .. فنظرت نظرة سريعة لنفسها في المرآة لتشهق .. كدمة زرقاء كبيرة تمتد من تحت عينها اليسرى حتى منتصف خدها ووجهها وعيناها منتفخان من أثر بكاء ليلة أمس .

Des. Maryam Tamim



كيف ستخرج لأحمد بهذا الشكل ؟!!

اقتربت من الباب وهي تسمع صياحه المتذمر " أنت يا بني آدم .. افتح الباب والا سأكسره .. لمَ لا ترد؟ .. .قسما بالله اذا كنت قد سبقتني إلى الورشة سأسحق عظامك.. أنت تعلم أننا سنذهب إلى معرض رشا "

تصنعت الشجاعة لتقول من خلف الباب " لم أذهب للورشة.. ولا استطيع أن أذهب معك اليوم فأنا مريض"

قال أحمد مستفهماً " ما بك! "

ردت وهي تقاوم التركيز في هذا السؤال لأن ما بها كثير .. كثيرجدا ..وقالت " أعاني من بعض الانفلونزا "

صمت أحمد قليلا ثم قال " لماذا لا تفتح الباب أريد أن اطمئن عليك "



ردت " أخشي عليك من العدوى " وتصنعت العطس .

صمت أحمد ثم قال متشككا " أنت لا تكذب مجددا .. أليس كذلك ؟"

الألم بخدها شنيع وخصوصا مع الكلام والصداع الذي يفجر رأسها لكنها تحاملت وقالت" لا أكذب "

كالعادة تنتابه الحيرة كلما تعامل مع رامز فقال بتهديد " أنت تعرف ماذا سأفعل بك إذا كذبت عليّ؟"
اقتربت بانة ووضعت كفها وجبينها على الباب وكأنها دون إرادة منها تشعر برغبة في الشكوى له. تطلب اللجوء إليه .. هو وحده ..

Des. Maryam Tamim

فتمتمت بصوت ساخر " تمزقني إربا وتمصمص عظامي "

بعدها سمعت صوت خطواته الحانقة تبتعد .. فتأملت وجهها في المرآة وهي تضع كيسا من الثلج على الكدمة .. إن شكلها مرعب وزاد الامر سوءا حروق جلد وجهها الحساس .. عليها أن تختفي في جُحرها حتى تهدأ ..ولكن هل سيتركها ابن سماحة في حالها ؟.. عليها أن تجد تبريرا لحالة وجهها ..

عليها أن تعترف أنها شعرت بالإهانة ... وباليُتم الحقيقي... وقلة الحيلة.. وهذا يشعرها بالغيظ من هذا الضخم المتوحش.. فهتفت بانفعال وهي تجز على أسنانها " فليسيطر على اخته المراهقة أولا قبل أن يؤذي أولاد الناس !"

لو كانت في بلدها لما تركته إلا وقد افتعلت فضيحة في الشارع وسحبته إلى قسم الشرطة .. صحيح هي

Des. Maryam Tamim

ليست بالقوة البدنية التي يمكن أن تصارع رجلا عاديا فما بالك هذا الثور الضخم.. لكنها أيضا ليست الفتاة الخجول الهادئة في مثل هذه المواقف .

لكنها لن تستطيع هنا أن تفعل ذلك..

تخشى أن يتطور الوضع لقسم الشرطة .. وهناك سيُكتشف أمرها من أول لحظة وستخسر الكل وأولهم أحمد والشباب .. لهذا عليها أن تخرس .. تبلع لسانها وتخرس .

بعد ساعات :

أوقف السيارة تحت البيت وأطفأ المحرك .. وبقي ساهما يحدق في اللا شيء. ..

لقاؤه اليوم مع رشا لا ينكر أنه حرك الكثير بداخله الحنين للماضي .. للاحلام السابقة.. للبهجة كانت تحتله حين يتعامل مع الخشب بيده يحفر وينحت

Des. Maryam Tamim

.. اللقاء كان مليئا بالافكار الفنية التي أبهجت روحه .. رشا فنانة موهوبة استطاعت أن تحفز الموهبة التي يصر أن يدفنها بداخله .. كما أن الاشارات التي إلتقطها ذكوريته منها تخبره بأنها مازالت تميل إليه .. وتخطب وده .

لا ينكر أنها تعجبه .. فهي فتاة رقيقة من عائلة لها اسم في عالم المال .. تذكر انتفاضته الذكورية حين استشعر عطرها يداعب أنفه بدلال.. هي كلها رشا بكل ما فيها من أنوثة.. صوتها .. رائحتها .. حركات جسدها .. كلامها .. كلها تناغش رجولته .

إذن لماذا يشعر بالتردد؟؟
لماذا يشعر وكأنه ينتظر شيئا ؟؟!!

لم يحتمل شعوره بالحنق من نفسه فكل المؤشرات أمامه تقول أن ظهور رشا في

Des. Maryam Tamim

حياته فرصة جيدة لكنه لا يشعر برغبة ملحة في الزواج من أساسه .
ومع هذا هناك أمر مجهول يدفعه للهروب إلى الزواج! .

تذكر أنه لم ينتظر حتى أن يصل للمنزل فبمجرد أن أنهى اجتماعه مع رشا اتصل بأروى . . فجاءه صوتها الرخيم تقول ساخرة "هل اشتقت لي إلى هذه الدرجة ؟! "
رد بسخرية مماثلة " ألم تعرضي عليّ خدماتك الإستشارية لتصنيف مشاعري "
قالت مازحة " حسنا وأُجرتي ؟ "
ابتسم وقال " سأراضيكِ لا تقلقي "
قالت بمرح " حسنا تفضل يا فتى إسأل ما تريد "

وصف لها بعضا من مشاعره التي أربكته خلال جلسته مع رشا ما بين الاعجاب بأنوثتها والتردد في الارتباط بها .

سألت أروى بجدية "وهل اعجابك بأنوثة رشا يقتصر عليها فقط دون باقي النساء؟... أقصد هل شعورك هذا خاص بها أم عام مع أي أنثى قد تقابلها بنفس المواصفات التي تجذب رجولتك ؟"

تنحنح قليلا ثم رد ممازحاً " تحشمي يا فتاة .. تفاصيل إعجابي الذكوري بها لا استطيع وصفه لك لتحللي الفرق بين إعجاب خاص وإعجاب عام"

قهقهت أروى و قالت " لم أطلب منك تفاصيلاً .. طلبت أن تحلل مشاعرك لنفسك.. أما التفاصيل قد أسمعها منك يوما ما .. حين يكون شعوراً خاصاً

Des. Maryam Tamim

بفتاة معينة وليس شعوراً ذكوريا تجاه نساء الأرض"

انفجر ضاحكاً ثم قال"حسنا فهمت .. أيتها الوقحة"

سألته بلهجة جادة " لمَ أنت متعجل في أخذ قرار بشأن علاقتك برشا رغم أنك لست مستعدا للزواج حالياً ؟! "

قال بشرود " إذن أنت تقترحين ألا أتعجل في وضع تصنيف لمشاعري ؟"
ردت " طبعا .. وإن كنت أشعر أنك تتعجل بسبب رغبة في حسم شعور آخر بداخلك .. ترفضه فتحاول الضغط على نفسك لتذهب باتجاه رشا "

تنهد وقد أصابت هدفاً بداخله فقال " لا اعرف يا أروى أنا بداخلي حالة من الارتباك هذا هو المؤكد في الأمر "

حاولت أروى التقليل من حيرته وقد أشفقت عليه فقالت " أعتقد أن فكرة الزواج نفسها ليست مدرجة في مخططاتك.. وأشعر أحيانا أنك تُقدِّر حريتك الحالية ومستمتع بها .. لهذا لا أريدك أن تتسرع في اتخاذ أي قرارات مادام لا يوجد ما يجبرك لاتخاذ هذه الخطوة التي لا تبحث عنها "

قال مداعباً " كلامك منطقي يا أرورا "
سألت " متى ستأتي ؟"
رد وهو يشغل محرك السيارة " مسافة الطريق إن شاء الله "

Des. Maryam Tamim

قبل أن يغلق الخط معها سألها بغموض " أروى .. هل شعرت يوما أنك تواجهين إنسانا يحاول أن يقنعك بحقيقة معينة عنه لكن شعورك يخبرك بعكس ذلك ؟"

ترددت قليلا ثم قالت " تعني أن يكون شخصاً حساساً مثلا لكنه يحتمي بقشرة صلبة أو قاسية لإخفاءحقيقته المرهفة ؟ "

رد وهو يحاول التركيز لإيصال المعنى " شيء من هذا القبيل لكن بشكل مختلف .. مثل .. أن يكون على شكل إصبع موز من الخارج ورائحة وطعم كمثرى من الداخل "

قالت باستغراب " تشبيه غريب !!!!! "

تمتم متنهداً " لا عليك نستكمل الحديث حين أصل .. سلام "

Des. Maryam Tamim

نقرة على زجاج السيارة افاقته من شروده ليجد نفسه مازال بالسيارة الواقفة تحت بيت سماحة.. وعمرو يقف أمامه خارج السيارة .. ف ترجل منها ليسأله عن سبب وجوده فأخبره أنه ينتظر وائل وسيد .

أشار له أحمد فجأة وقال " أريدك في موضوع " وسبقه الى داخل حوش البيت فلحقه عمرو بترقب .. ليقف أحمد في تردد .. ويغلق باب البوابة الحديدية خلفه ثم قال لعمرو " لا تتعجب مما سأفعله "

نظر اليه عمرو بتوجس لكنه حافظ على هدوئه المعهود واضعاً يديه في جيبه .. اقترب أحمد منه فازداد ترقب عمرو بتركيز في انتظار القادم .

Des. Maryam Tamim

مال أحمد بأنفه يتشمم عمرو الذي أبعد جذعه إلى الخلف متوجساً .. ليتمتم أحمد محدثاً نفسه " رائحة منطقية .. رائحة موز !"

ظن عمرو أن السبب هو عطره الجديد فقال مازحاً يحرك حاجبيه بإغاظة "هل اعجبك عطري الجديد ؟ .. إنه مستورد .. ماركة عالمية غالية الثمن .. يصعب على أمثالك شراؤها "

لكن أحمد كان مستغرقا في أفكاره فلم ينتبه لدعابة صاحبه لكنه تحرك نحوه من جديد وأحاطه بذراعيه فجأة يحضنه بقوة ..فظهرت علامات الحيرة على وجه عمرو رافعاً حاجبيه الكثيفين في اندهاش ثم ضيقهما يسأل ببطء" هل .. اشتقت إليّ فجأة ؟ .. هل.. ستسافر؟.. (واتسعت عيناه) هل.. سأموت قريباً؟!!!!!!"

Des. Maryam Tamim

حرره أحمد وابتعد ليقول لنفسه " موز .. مائة بالمائة موز .. الشكل مثل الاحساس " .

سأله عمرو بمزاح وقح " هل تم التحرش بي منذ قليل؟!!!! ..(وتصنع البؤس ليكمل) ألا تتقي الله في أولاد الناس ؟ "

حين لم يستجب أحمد لمزاحه هتف وهو يفرقع إصبعيه الابهام والوسطى في الهواء يقاطع شروده " هاااايبي .. ما بك يا رجل؟ .. ماذا يحدث ؟ "

سأله أحمد وعقله ما زال يحل معضلة ما " هل جربت يوما احساس أن ترى موزة لكن مذاقها كالكمثرى ؟ "
حاول عمرو الاستيعاب وتوقع أن تكون لمحة استظراف من ابن سماحة فرد بلهجة مستخفة

Des. Maryam Tamim

" في طبق سلطة الفواكة بالطبع .. الموز مختلط بالكمثرى والتفاح وكل الفواكه "

هتف أحمد بجدية " أنا أتكلم عن الموز حين تشعر أنه ليس موزاً بل هو أقرب للكمثرى في حقيقته"

ضيق عمرو عينيه في استفهام ثم رفع كفه إلى جبين أحمد يتأكد من حرارته .

فنزع أحمد كف عمرو بخشونة قائلاً بعصبية " لست محموما يا (.....) .. انس الامر .. أنت لن تفهم شيئا "

رد عمرو ببرود " طبعا لن أفهم .. أنا مهندس إلكترونيات .. ولست مهندساً زراعياً متخصصاً في تهجين الفاكهة "

Des. Maryam Tamim

رن هاتف أحمد فرفعه ليجد اسم أروى لكنه لم يرد وقال بعصبية لعمرو " اذهب من وجهي الآن فأنا لا أطيقك "

ضحك عمرو وقال متهكماً " إهدأ يا بني فمن أخذ منك الموز قادر على أن يرده إليك.. كمثرى "

توقف هاتفه عن الرنين ليعاود مرة أخرى باصرار فرد أحمد على الهاتف بعصبية " أنا على السلم يا أروى سأصعد حالاً "

لتتغير ملامحه فجأة .. ويطل القلق من عينيه فتحفز عمرو وقد انتقل إليه القلق ليسأله باهتمام " ما بها أروى ؟؟؟ "

أنهى أحمد الاتصال وقال وهو يسرع نحو سيارته " آية في الجامعة .. وهناك مظاهرات حاشدة للطلبة ضد الحكومة والأمن يغلق مداخل ومخارج المكان

Des. Maryam Tamim

والشوارع المؤدية إليه .. أروى قرأت على مواقع التواصل الاجتماعي أن الوضع شديد التأزم وهناك مواجهات عنيفة بين الطلبة والأمن "

Des. Maryam Tamim

الفصل السابع

هتف أحمد بعصبية وهو يشتم " إنها لا ترد "
قال عمرو الجالس بجانبه في السيارة التي تخترق الزحام وهاتفه على أذنيه هو الأخر يتحدث مع سيد "سيد أيضا في الطريق ومعه وائل" .
قال أحمد " اسأله هل ردت عليه؟" .
جاوبه عمرو دون أن يسأله " أنه يحاول هو الآخر الاتصال بها دون رد " .
ضرب أحمد على المقود عدة مرات بغيظ ثم التفت إليه يقول " حين يصل احدا منا لها يبلغ الآخر "
تمسك عمرو بقوة بالمقبض الموجود في سقف السيارة يحاول منع جسده من التمايل مع عنف وسرعة قيادة أحمد .. إنه متوتر جدا .. ويكاد يجزم أنه يستعيد الآن في ذاكرته مشهد الحادث مع أروى.. لو عرض عليه أن يقود بدلا منه ربما انفجر

Des. Maryam Tamim

فيه وفلتت أعصابه وتشبث بالقيادة برعونة أكثر..
فهو كما يعرفه جيداً يتعامل مع مشاعره باظهار
العنف بدلا من التعبير عنها !..
انحرف أحمد إلى طريق آخر فجأة .. يراوغ الزحام
فتشبث عمرو أكثر بالمقعد .

في الجامعة تنفست آية الصعداء .. فأخيراً
استطاعت الابتعاد قليلا عن الهرج والمرج ..

لم تتخيل أن ينقلب الوضع بهذا الشكل كانت
تخطط لعمل احتجاج بالقسم على معاملة ذلك
الأستاذ حين وجدت أن هناك بالفعل من بدأوا
مظاهرة تجوب الجامعة تندد بفساد هيئة
التدريس فانضمت إليها آية .. لم تستطع أن تقاوم
.. دمائها الحامية كانت تغلي غيظاً مما يحدث..
لكن مظاهرتهم مرت على مظاهرة أخرى تهتف ضد

Des. Maryam Tamim



الحكومة.. فارتبك الوضع والتحم المتظاهرين ليهتف الجميع ضد الحكومة ..
حاولت آية تنبيههم لغرض المظاهرة الاصلي لكن لم يستمع احد .. الكل اندمج وخرج عن غرض المظاهرة الأولى ..
وازداد الوضع تهوراً وارباكاً حين بدأ حرس الجامعة بالتقدم نحوهم فحدث اشتباك بين الطرفين مما اضطرالحرس لطلب المساعدة من الشرطة .. لم تتخيل أن ينقلب الوضع هكذا .

للحظة شعرت آية بالخوف.. حين خرجت الأمور عن السيطرة .. فقررت ترك المظاهرة لكن فوجئت بأن أبواب الجامعة كلها أغلقت عليهم وفي وقت قصير كان الأمن يقف أمام الأبواب الرئيسية ..
والوضع أصبح عنيفاً جنونياً بين الطرفين .. مما اضطر الامن لاستخدام العنف في تفريق

المتظاهرين.. فخرجت خراطيم المياة من مكان مجهول ترش المتظاهرين الغاضبين ..

انتحت آية جانبا تراقب الوضع بذهول .. فلم يكن هذا ما تخيلته .. أغرق رذاذ الماء قميصها الشتوي.. لكنها وقفت بصلابة تهدئ نفسها .. بعدها بدأت رائحة خانقة تتسلل إلي رئتيها ورأت دخاناً كثيفاً .. ثم بدأ البعض في الركض فتراجعت معهم بدون تفكير .. لتسمع احدهم يهتف قنبلة " غاز تراجعوا "

أخذت تسعل بشدة واختناق .. وحين بدأت بالاستيعاب وجدت نفسها قد ابتعدت عن الجموع إلى داخل الجامعة بعيداً عن الزحام ... ولم تعلم كيف ستخرج .. فالابواب مغلقة .. وقيل أن الأمن قد اغلق الطرق المؤدية للجامعة .

Des. Maryam Tamim

انتبهت أخيراً أن هاتفها يرن ففتحت حقيبها بيد مرتعشة .. إنه أحمد .. لابد أن الامر قد وصلهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي ..فارتبكت وخافت أن تجيب .. تريد أن تستجمع شجاعتها أولا لتخرج من المكان .. بعدها ستتحمل تقريعه وعصبيته.

صمت الهاتف لثانيتين ليعود للرن من جديد .. وهذه المرة ظهر اسم سيد .. فبدون تفكير ردت .. لينفجر فيها سيد غاضباً ..

كانت تعلم أنه سيغضب منها لكنها تخشى من غضب أحمد اكثر .. ربما لأنها تشعر أن سيد مهما غضب لن يؤذيها .. وربما لأنها متأكدة أنه يخاف عليها بصدق ..

حاولت شرح الوضع لسيد الغاضب وهي تحاول التحكم في السعال ..

فما ان سمع سيد سعالها حتى تغيرت لهجته الغاضبة للهجة قلقة.. طمئنته أنها بخير وأنها ابتعدت عن مكان الاشتباكات .. فنصحها أن تضع

Des. Maryam Tamim

منديلا مبللا على أنفها تتنفس من خلاله .. ثم سمعت همهمة وائل بجواره بعدها قال سيد " وائل ذكرني الآن بطريق خلف الجامعة انتظرينا خلف كلية (....) وسنخرجك من هناك .. وردي على أخيك قبل أن ينهار "

قالت بتوسل " سيد ابق معي على الهاتف " صمت قليلا وصوت انفاسه العالية يلفح أذنها ثم قال"لا تخافي المكان الذي اخبرتك عنه بعيدا جدا عن البوابات وستكونين بأمان .. وأجيبي على اتصالات أخيك.. إنه يموت رعباً عليك حتى وإن اظهر وجهاً غاضباً يخفي به مشاعره .. طمئني أخاك بنفسك يا آية .. اعتقد أنه يصارع الآن ذكريات الحادث القديم "

اغلقت الخط مع سيد وهي مندهشة ..هل أحمد يخاف عليها فعلا؟ .. وقبل أن تعاود الاتصال بأحمد وجدته يتصل بها .. فردت على الهاتف ..

Des. Maryam Tamim

صاح أحمد بعصبية وجنون " أنت غبية .. غبية غبية .. ويوما ما سأموت بنوبة قلبية بسببك "

استمع عمرو للتقريع المتواصل من أحمد لأخته والذي يرفض أن يغلق معها الاتصال وهو لا يزال يتمسك بالمقبض في سقف السيارة شاعرا أنه يركب لعبة خطرة بالملاهي ..

تباً ! .. إنه يكره الملاهي ويكره جميع الألعاب الخطرة ..

فتح عمرو هاتفه وأرسل لوائل على الواتساب :

" تذكروا دائما أني كنت صديقاً طيباً "

فتح وائل الهاتف في السيارة الأخرى بعد وصوله تنبيه برسالة جديدة ليفاجأ بكلام عمرو فبعث ردا

" لا افهم !"

كتب عمرو " اوصيهم بختم القرآن على روحي "

كتب وائل " .... !!!! "

Des. Maryam Tamim

أكمل عمرو كتابة " وأدين لطأطأ بعشرة جنيهات كنت قد اقترضتها أمس لاشتري ليمون من امراة عجوز مرت بالشارع ولم يكن في جيبي فكة "

تملكت الدهشة من وائل فأسرع يتصل به وما أن رد عليه حتى سأله بقلق " ماذا بك ؟!!"
رد عمرو باقتضاب " كلنا لنا ساعة مكتوبة لن نفر منها"
سأله وائل وقد بدء يكون فكرة عن السبب خاصة مع صوت أحمد الذي يأتيه في الخلفية وهو مازال يوبخ آية " يقود بتهور ؟"
رد عمرو ببؤس " بل بجنون .. سنموت حتماً يا صديقي"
قهقه وائل ثم قال من بين ضحكاته وهو يلمح سيد بطرف عينه ويسمعه يشتم بتوتر " صدقني الوضع هنا مماثل .. سنتقابل قريبا يا صديقي.. إما خلف

Des. Maryam Tamim

الجامعة أو في السماء عند رب كريم .. يأخذ لنا حقنا من هذين المجنونين وتلك الصغيرة "
وقفت السيارتان خلف سور الجامعة في المكان المتفق عليه وترجل الجميع بسرعة .. فتمسك سيد بالجدار بقوة وساعده وائل ليرفع جسده الضخم يتسلق السور .
ناداه أحمد " ماذا تفعل ؟ .. سأصعد أنا لأحضرها "

رد سيد من فوق السور وهو يمد يده لوائل يرفعه بجانبه " كيف ستتسلق السور بركبتك يا ذكي ؟؟ .. كما أنني استطيع تدبر أمر رفعها ووائل يستقبلها من فوق السور.. لكن لو صعدت أنت ورفعتها .. من في رأيك منا سيستقبلها بين ذراعيه وهي تهبط من علي السور يا أذكى إخوتك ؟!!!!! "

بمجرد أن لمحها سيد وهو فوق السور تنفس الصعداء لأنها سالمة وبخير.. نظرت له نظرة

Des. Maryam Tamim

شامخة تدعي التماسك بينما هو يستطيع أن يرى
بوضوح الخوف و الارتعاش الذي تخفيهم..
قد تخدع الجميع إلا هو ..
تمنى لو استطاع منحها ما هي بحاجة إليه حاليا
ويقرؤه بوضوح في عينيها ..
أن يأخذها بين ذراعيه ..
يخفيها في حضنه..
يخبرها بأن كل شيء بخير.

لا ينكرأن الغضب منها مازال يسيطر عليه .. هذه
المرة لعبت الصغيرة لعبة الفضول ولم يكن هو
موجوداً ليربطها بطرف خيط آخره بيده ككل مرة..
يدنيها من فضولها ويشدها بعيداً لحظة الخطر.

اقتربت منه وهي تراقب رد فعله بترقب.. فوبخها
بغيظ هامس " فعلتيها أليس كذلك؟!! .. شاركتِ
في المظاهرة ضد ذلك الأستاذ !! "

Des. Maryam Tamim

أجابت بوجل وهي تدعي البراءة " لقد كانت مظاهرة ناجحة لولا اندماجها مع مظاهرة أخرى ضد الحكومة " .

قال يهمس بغضب " اخرسي يا آية .. اخرسي تماما ولا تذكري أمام أحمد أنك شاركت في المظاهرة.. إياك .. الرجل مرعوب بما يكفي .. فلا تضغطي على أعصابه أكثر بأنك كنت من المشاركين .. ستخبريه أنك كنت في يوم دراسة عادي هل سمعت ؟"

أومأت برأسها في طاعة ثم رفعت نظرها لوائل الذي يراقبهما من فوق السور وسألت " كيف سأصعد .. السور عال "

تأملها سيد من رأسها لأخمص قدميها ليقول مؤنباً " ما هذه الملابس؟.. كيف سأرفعك هكذا ؟! "

تفحصت ملابسها ثم قالت بتعجب " هذه ملابسي العادية لا تغيير فيها"

تأمل بلوزتها الندية بالماء وحمد الله أنه موسم الشتاء وأنها ترتدي ملابس أخرى تحتها .. وإن

Des. Maryam Tamim

كانت البلوزة الطويلة التي تغطي وركيها فوق البنطال الجينز ملتصقة قليلا بجسدها ..فخلع سترته الشتوية وناولها لها يقول " اربطيها حول خصرك"

رفعت حاجباً جميلاً باستغراب وجاء صوت أحمد عصبي نزق من من خلف السور" ماذا يحدث يا وائل أين هي ؟؟ "

قال سيد بلهجة عملية " أسرعي لفيه حول خصرك .. هل تريدين من المارة أن يحدقوا في تفاصيلك وأنت تعتلين السور ؟! "

ربطت ذراعي السترة حول خصرها الرشيق فانسدلت السترة تغطي وركيها من الخلف .

حين انتهت لمعت عيناها بالشقاوة وسألته بحماس " إذن كيف سترفعني ؟!"

Des. Maryam Tamim

اقترب من السور وانحني ليشبك كفيه معا مشيرا لها أن تضع قدمها..

جحظت عينيها باندهاش وسألت بغباء "ماذا ؟!" ضيق حاجبيه ثم قال" هيا يا فتاة .. اصعدي فوق يدي بقدمك وسأرفعك "
هتف وائل مشاكسا من فوق وهو يضحك " إنها قصيرة القامة .. مهما بلغت قوتك في رفعها .. لن استطيع التقاط يدها لأسحبها (ثم وجه الكلام لآية غامزا) اصعدي فوق كفيه ثم قفي بقدمك فوق كتفه "
شحب وجه سيد وهو يرفع نظره لوائل فحدجه الأخير بنظرة ماكرة ثم نظر للصغيرة التي يبدو أن الفكرة أعجبتها .. فاقتربت تكتم ضحكاتها وقد تخضب وجهها بالحمرة .. ونجوم ماكرة تلمع في عينيها بتسل .. فخلعت حذاءها وتمهلت مستمتعة بالفكرة .. زفر سيد مدعيا الضيق

Des. Maryam Tamim

وضعت قدمها في كفيه فرفعها بذراعين قويين ثم تشبثت ببعض البروز بالسور لتقف بقدمها على كفته ليحرك سيد جزعه لأعلى وهي تمد يدها لوائل فيلتقط ذراعها ويساعدها لإعتلاء السور دون أن يلمس أكثر من كفها ومرفقها ..

بعد أن أستقلت السور استدارت تنزل بساقيها هذه المرة وأحمد يستقبلها بين ذراعيه من أسفل..

ما أن استقرت على الارض تفحصها أحمد بلهفة صادقة أدهشتها يتأكد من أنها بخير ... بعدها أمسك بمرفقها بعنف بحركة آلمتها وانفجر فيها غاضبا يوبخها.

برغم الألم الذي لاح على وجهها وهي تسعى لأن تخلص مرفقها منه إلا أنها كانت تتطلع إليه باندهاش لأول مرة تفهمه .. وتشعر أنه يخاف عليها فعلا .. أنها مهمة عنده !..

Des. Maryam Tamim

تدخل عمرو محاولاً فك يد أحمد من ذراع آية المتألمة وحين لم يستجب ضغط على عضله برسغ أحمد بطريقة يعلم أنها مؤلمة ليضطر أحمد لتركها أخيرا لكنه استمر في توبيخها في الشارع كعادته .

أما سيد فكان على الناحية الأخرى من السور يقف متخصراً و يطرق برأسه وكأنه يحاول لملمت مشاعره وتحجيم المارد الذي يبدو أنه قد أطل برأسه في لحظة ضعف.. ثم رفع رأسه بنظرة غامضة لوائل الذي يراقبه من على السور في صمت ..

فجأة أشار له وائل غامزاً أن يستدير خلفه .. استدار سيد ليجد شابة تقف وقفة مائعة مترددة ثم اقتربت منه بدلال مقصود ترتدي بنطالاً زهرياً ضيقا يظهر وركيها المنحوتين بانوثة مذيبة للأعصاب وبلوزة قصيرة حتى خصرها ملتصقة

Des. Maryam Tamim

تماما بجسدها بفتحة واسعة من عند الرقبة .. واسعة جدا تظهر كل بشرتها البيضاء فوقها سترة شتوية قصيرة .. ومقوماتها الانثوية الأمامية والخلفية تعلن عن نفسها صراحة .. أما عطرها فمن المؤكد أن ابن سماحة اشتمه من مكانه وراء السور .

حركت شفتيها المطليتين بلون قوي لم يعرف اسمه لكن هو بنفس درجة لون البنطال وقالت بدلال متظاهرة ببعض البؤس " هل من الممكن أن تساعدني بالخروج مثلها ؟"

حدق فيها سيد بعينين مشتعلتين وتنحنح مستفهما " مثلها؟!!..من فوق السور ؟"

أومأت برأسها بدلال بنعم ..

تأملها بنظرة جريئة من رأسها حتى أخمص قدميها ثم نظر لوائل الذي انفرجت شفتيه عن ابتسامة عابثة وعاد ليقول لها بلهجة ذات مغزى " لكني

Des. Maryam Tamim

لن استطيع أن أحملك لتقفي على كتفي مثل تلك القزمة وأنت بهذا الطول الفارع و ...".

بتر جملته ولم يكمل فضحكت ضحكة مائعة ثم اقتربت منه حتى كادت تلتصق به وقالت وهي تعض على شفتها السفلى " لا يهم.. أريد الخروج من فضلك .. وشكرا لشهامتكما مقدما"
مط شفتيه بتسلية وقال " على الرحب والسعة .. أنا دائما في خدمة الجميلات "
ثم رفع نظره لوائل بنظرة تعني (المستوى في الجامعات تطور عن أيامنا !)
ثم تحرك ليحملها من نصفها الاسفل ببطء ماكر فاستقبلها وائل من فوق السور يمسكها بجرأة وقحة وقد قرأ بخبرته أنها لن تمانع ابدا !..

كان أحمد مازال يوبخ آية بعصبية وهي تستفزه تارة وتنكر تارة أخرى أنها شاركت بالمظاهرة وعمرو

Des. Maryam Tamim

يخلصها من يديه ويبعدها عنه .. ليخرج صفير من شفتي وائل .. جعل الجميع على الناحية الأخرى ينتبهوا إليه بينما الشابة تجلس على السور بجانبه.. تنحنح عمرو واحمرت أذنيه وحاول غض بصره .. بينما تساءل أحمد بغباء وانبهار ذكوري "ماذا يحدث ؟!!!!"

رد وائل بلهجة متسلية " من منكم سيبادر (بفعل الخير) وتلقي هذه الحلوة بين ذراعيه يساعدها على النزول "..

حدقت آيه بذهول في الفتاة التي تنظر للرجلين نظرة استعطاف مصطنع ممزوج بميوعة مستفزة وهي تعض على شفتها السفلى.

تنحنح عمرو ثم سحب آية من مرفقها بحزم " هيا يا آية إلى السيارة "

Des. Maryam Tamim

تقدم أحمد وقد اشتعلت عينيه ليقول بلهجة ساخرة " أنا بالطبع .. كيف افوت دعوة لعمل الخير "

قالت آية لوائل بصوت خفيض " كيف حملها سيد على كتفه ؟"
غمز وائل ومنحها ابتسامة ماكرة وهو يحرك ذراعيه ليحضن نفسه مجيبا..فشهقت .. ونظرت لأحمد الذي تلقى الفتاة بين ذراعيه وأنزلها ثم تلكأ أن يحررها حتى بعد أن استقرت على الارض ..

قال أحمد ساخرا وشفتيه قريبه من شفتيها "مستوى الطلبة في الجامعة اختلف كثيرا عن أيامنا يا شباب "
ضحكت الفتاة بدلال وقالت " لست طالبة .. كنت أصور كليبا غنائيا حين حدثت المظاهرات وتطور

Des. Maryam Tamim

الوضع .. هرب الجميع ينجو بنفسه ولم أجد أحدا معي "

ثم اقتربت منه بشفتيها وقالت بلهجة مائعة " أنا موديل "

همس وقال وهو يحدق في شفتيها " موديل فعلا"

تنحنح عمرو الواقف بجانب سيد ووائل اللذان نزلا من فوق السور فانتبه أحمد وتركها على مضض ..

بينما اندفعت آية نحو سيد تخطف منه حذائها الذي مازل ممسكا به ولبسته بعصبية ثم صرخت في غيظ " هل سنبقى هنا طول اليوم ؟؟"

فانتبه أحمد لصوتها العالي واستعاد عصبيته ليقول " أتتأمّرين !! .. اذهبي الى السيارة فورا"

اقترب وائل من الفتاة يأكلها بعينيه وهو يقول " هل معك سيارة يا حلوة؟"

منحته نظرة مائعة وهي تحرك رأسها بلا وأكملت " جئت بسيارة الانتاج "

Des. Maryam Tamim

أشار أحمد لعمرو فى هدوء وهو مازال يحدق بها في بلاهة وقال " اوصل الصغيرة للبيت .. فأنا عندي حالة إنسانية طارئة "

قبض عمرو على كتفه بقوة ليدفعه نحو السيارة بعنف فاستسلم له أحمد وهو يراقب وائل وسيد بوجه متحسر وترك عمرو يسحبه نحو السيارة ..

بينما أسرع وائل وأخذ مفتاح السيارة من جيب سيد وهو يغمز له فاندفع الأخير يقول باستنكار " إنها سيارتي !! "

رد وائل وهو يشير لأحمد وآية" وهل ستترك الصغيرة مع الذئب ؟!"

نظر سيد نحو السيارة الأخرى في تردد ثم قال " عمرو موجود "

قال وائل بمكر " ماذا لو تركهم عمرو في الطريق ليصلي مثلا(ثم غمز بعينه واستطرد) أختر الآن الحلوة أم الصغيرة "

تململت الفتاة وقالت " هل أطلب سيارة أجرة؟"

Des. Maryam Tamim

شتم سيد من بين أسنانه وتحرك نحو سيارة أحمد وهو ينظر بغيظ لوائل الذي التفت للفتاة بابتسامة عابثة يلف ذراعه حول خصرها ويقول " بل سأوصلك أنا بنفسي .. وفي الطريق سنتعرف على بعض أكثر وأكثر "

فردت عليه بضحكة رقيقة مائعة .

قالت آية بقرف من داخل السيارة " رائحة مجتمع ذكوري متعفن تزكم أنفي "

رد عليها أحمد وهو يجلس في مقعد القيادة " سأريك جيداً المجتمع الذكوري الحقيقي حين نصل البيت وأخبر أبي "

طحنت ضروسها بغيظ ثم تحركت تخرج من السيارة وتفتح باب المقعد الخلفي الذي استقر فيه بالفعل عمرو وسيد وهي تقول "من فضلك عمرو .. أركب بجانب أحمد "

صاح أحمد بغيظ " إركبي بجانبي يا فتاة "

Des. Maryam Tamim

ردت بعصبية " كلا.. لا اطيق الجلوس بجانبك"

تدخل سيد يفض الاشتباك " إركبي يا آية بجانب أحمد "
صرخت وهي تستدير لتنظر لسيد في المقعد الخلفي"لا تتحدث معي أنت أيضا "
هدر فيها الاثنان في نفس الوقت " إذن اجلسي في المقعد الأمااااااااااامي "
ردت بعصبية" أنا حرة أجلس بالمكان الذي أرييييييييييده "

فجاة هدر صوت عمرو بقوة اخرستهم جميعا " كفى يا غجر .. كفى !"
انخرس الجميع فورا ليعم صمت مترقب .. فترجل عمرو بغضب خارج السيارة واستدار حولها نحو آية يسحبها من مرفقها بحزم وهو يجز على أسنانه ليفتح المقعد الامامي فنفذت بطاعة وهي تحدق

Des. Maryam Tamim

فيه باندهاش .. فهذه أول مرة تراه متخليا عن قناع الهدوء ..
أغلق عمرو بابها ثم استدار نحو مقعد القيادة وفتح الباب وسحب أحمد الذي ينظر إليه بترقب ويكتم ضحكته مدعيا الخرس كما أمرهم .

هدر عمرو بعنف آمراً " إنزل "
حدق أحمد في وجهه ورد بجدية " إنها سيارتي .. ولا اسمح لل أحد أن .. .. "
بتر جملته حين ضرب عمرو بعنف على سطح السيارة " قلت.. إنزل ... حالاً "

رفع أحمد كفيه أمامه في الهواء متظاهراً بالاستسلام وهو مازال يتحكم في ضحكة تريد أن تشق وجهه فسحبه عمرو ناحية المقعد الخلفي..ليجلس بجوار سيد ثم تولى هو القيادة .. وهو يشتم ويبرطم في سره بغيظ.

Des. Maryam Tamim

تأملت آيه المقعد الخلفي وهم يكتمون ضحكاتهم بينما عمرو قد استعاد هدوءه مرة أخرى وهو يردد الاستغفار ويقود على مهل ..فشعرت ببعض البهجة .. لقد مر زمن لم تراهم مجتمعين .. كانت تتسلل لاجتماعاتهم وهي صغيرة تتسلى معهم حتى بدأوا ينأون بانفسهم عنها حين نضجت ويحرمون عليها الدخول لخُنهم ..

بعد قليل تمتم أحمد بتحسر " ابن المحظوظة الماكر"

سألت آية ببراءة " من ؟!!"

رد أحمد ببرود " لا أحد "

سأل سيد بلهجة ذات معنى بينهم " هل تعتقد أننا لو وصلنا آية سنلحق بالمباراة "

رد أحمد بهدوء " لو ضغط هذا البارد قليلا على البنزين ربما لحقنا الشوط الاضافي أو ضربات الترجيح "

Des. Maryam Tamim

ضحك سيد ضحكة رجولية عابثة .. فأدركت أية ان هناك شيئا ما يدور بينهم ليس بريئاً فقالت متوعدة " سوف أخبر أبي "

ثم استدارت لسيد " وأنت سأخبر زوجتك أنك تلعب بذيلك "

ضحك الاثنان ضحكات عابثة باغاظة بينما آية استدارت تتأمل عمرو الهادئ الذي يركز على الطريق أمامه وقالت" عمرو فقط الملتزم بينكم أما انتما فسأفضحكما "

سأل سيد بخبث " ولد يا عمرو أخبرني هل كان حارس المرمى.. يرتديه ... باللون الزهري أم البرتقالي؟؟"

ضيقت آية عينيها قليلا بتفكر وهي تشعر أن السؤال ليس مؤدبا .

رد عمرو بجدية وهدوء دون أن يحيد عيناه عن الطريق " بل أحمر بنقاط لامعة على كل ناحية "

Des. Maryam Tamim

شقهت آية تضع يديها على فمها في ذهول وهي تنظر إلى عمرو الذي إحمرت أذنيه وهو يتطلع في الطريق أمامه بينما أنفجر سيد ضاحكا حتى مال بجزعه على ساق أحمد .. الذي كان يقاوم هو الأخر الضحك بصعوبة شديدة وهو يمد يده يضرب سيد على مؤخرة رأسه ثم يمدها لعمرو يضربه أيضا على مؤخرة رأسه بتوبيخ .. فنظر إليه عمرو في المرآة الأمامية متصنعا البراءة وقال " هو من سألني "

قال أحمد ومازال يقاوم الضحك " ليس أمام النساء "

لف عمرو رأسه يميناً ويساراً وهو يتصنع الغباء وقال " أين النساء ؟!" .

انفجرت آية تشاركهم الضحك مستمتعة بشقاوتهم بينما يستمر الشباب في المناكفة بينهم ..

Des. Maryam Tamim

صوت ضحكاتها يداعب أذن سيد كعزف مبهج لروحه.. فتنهد متوجعاً حين لاحظ أنها قد إرتدت سترته .. تحكمها حول جسدها من وقت لاخر لتدفئ نفسها ..
وضم كفيه في حجره يتلمس أثرها في يديه لربما تركت بعضا - منها - عالقا بكفيه !
***
ضيقت أروى عينيها وهي تتأمل آية المبتهجة تنام على صدر أمها التي كانت تبكي وهي تحضنها بسبب القلق عليها.. فسألتها بفضول " تبدين مبتهجة برغم أني توقعت العكس .. أننا سنحضر أحمد من قسم الشرطة ونزورك في قسم الطوارئ في المستشفى "
رفعت رأسها تاركة حضن أمها التي لم تتمالك اعصابها حتى الآن وردت بدلال واستمتاع " أحمد وبخني كالعادة لكني لأول مرة أشعر أنه كان خائفاً علي"

Des. Maryam Tamim

هتفت إلهام وهي تمسح دموعها " ما هذا الكلام أحمد يحبك أنت وأروى جدا "

ردت آية ببعض الغيرة " بل يحب أروى جداً يكادا أن يكونا توأمين.. أما أنا فليس لي سوى العصبية والتقريـع"

قالت أروى بهدوء " أنت فقط متمردة ومجنونة وهو غير قادر على التعامل مع ذلك بهدوء.. مشاعر الخوف عليك يترجمها بالعصبية .. تصرفي دون رعونة أو تحدي ستجدي قلب أحمد يغدقك في الدلال "

زفرت آية واسرعت بالقول " ربما يريدني على كرسي متحرك حتى أحصل على دلاله "

حدجتها أروى بنظرة معاتبة بينما ضربتها أمها على ذراعها وقالت بتوبيخ " آية .. ماذا تقولين!!!"

ردت أروى بصلابة " اتركيها يا أمي أعلم أنها لم تقصد "

Des. Maryam Tamim

انتبهت آية لما قالت فدلكت ذراعها المتألمة وقالت "آسفة لم أقصد فعلا "

شعور آية بالذنب تجاه أروى جعلها تطيل الحديث معها حتى تنسيها ما قالته منذ لحظات فقالت بحماس " سأحكي لك عن شقاوة الأربعة مجتمعين .. يا الهي .. كلما يجتمعون لا تكفي عن الاستمتاع .. لقد تجاوزوا الثلاثين ولكنهم مثل صبية صغار.. يتشاكسون بعنف ووقاحة.. ومع هذا هناك خيط خفي غير مرئي لكنه متين جدا بينهم .. وكأنهم تعاهدوا ألا يفترقوا "

قالت أروى بلهجة ممتنة " لولا وجود الشباب في حياة أحمد لما تخطى محنة ضياع حلمه بأن يكون لاعباً محترفا لكرة القدم .. الأمر بالنسبة له لم يكن مجرد هواية كان هوساً حقيقياً كرس عالمه كله من

Des. Maryam Tamim

أجله حتى أبي لم يقدر عليه .. ليأتي الحادث يحطم كل ما تمناه "

قفزت آية تقول بمرح " أما عمرو فقد صدمني اليوم .. تخيلته دوماً خجولاً متحفظا لا يهتم بالنساء .. لكني اكتشفت أنه لا يقل رجولة عنهم هو فقط يحاول أن يكون ملتزما "
شرحت أروى بإعجاب " ليس بالضرورة أن يكون الرجل عابثا حتى يثبت أنه رجل .. إن عمرو لا يقل عنهم شقاوة لكنه يجاهد نفسه ليكون ملتزماً .. يحاول بكل قوة أن يكون صارماً مع نفسه .. وهدوءه وتحفظه قد ساعداه على تنفيذ ذلك "
فتنهدت آية وقالت" تسليت اليوم فعلا" ..
بينما شردت أروى بأفكارها .

***

Des. Maryam Tamim

في نفس الوقت شارع سماحة كان الشبان الثلاثة يحاولون الاتصال بوائل الذي لم يرد عليهم فتبادلوا النكات والشتائم الوقحة بسخرية فيما بينهم حتى اقترب منهم طأطأ يسأل أحمد باهتمام " كيف حال الاستاذ رامز ؟"

رد أحمد " يعاني من بعض الانفلوانزا .. سأمر بعد قليل لأطمئن عليه "

تعجب طأطأ وقال " أنا اقصد كيف حال وجهه ؟"

تنبه أحمد ليسأله " ماذا تقصد ؟!"

رد طأطأ " اقصد اللكمة التي ضربت في وجهه المسكين "

جحظت عينا أحمد في تساؤل بينما هدر سيد في طأطأ يسأل بسرعة " ماذا حدث يا طأطأ؟ تكلم"

لهث طأطأ وقال بانفعال " ظننتكم تعرفون .. لقد ضربه (حموءة) أمس لكمة قوية في وجهه .. المسكين اشفقت عليه وأنا أراه يتراجع ليرتطم في

Des. Maryam Tamim

الجدار بقوة وعلامات الرعب على وجهه انفطر لها قلبي .. لا يليق بهذا الشاب شغل الشوارع هذا" قبل أن يكمل طأطأ كان سيد قد شتم واستشاط غضبا وتركهم يبحث عن حموءة .. بينما أحمد تردد لبرهة متسائلا هل يذهب ليوسع حموءة ضرباً أم يطمئن أولاً على رامز؟ .. وفوراً حسم أمره ليركض على السلم بينما عمرو ينادي سيد وهو يلحق به " انتظر يا سيد نفهم الموضوع بالضبط .. ألم نغلق قصص حموءة هذا منذ سنين! (ثم استطرد يحدث نفسه بضيق) ألن ينتهي هذا اليوم "!

صوت طرقات وصياح أحمد على الباب أفزعها " افتح يا رامز .. افتح وأريني وجهك وإلا سأكسر الباب "

هتفت بجزع " قلت لك عندي انفلوانزا "

هدر آمرا " قلت افتح وأريني وجهك فورا "

Des. Maryam Tamim

حمدت ربها أنها لم تتخل عن المشد حول جذعها .. حتى في بيتها .. خوفاً من تطفل ابن سماحة المستمر ..
فتحت الباب بتوجس تطرق برأسها .. فرفع أحمد ذقنها لتواجهه ليهتف مستاءً " يا الله ! "

قالت مفسرة " زُلّت قدمي فارتطمت بالحائط "

ضرب أحمد بقبضته بالحائط وقال بغضب " تكذب مجدداً .. تكذب يا رامز (ثم قبض على ذراعها بعنف وقال) لماذا لم تخبرني بما فعل حموءة؟؟؟!! "

قالت بغباء " من حموة هذا ؟! "
رد من بين أسنانه " اسمه حموءة لماذا لم تخبرني؟ "

Des. Maryam Tamim

اطرقت محرجة وقالت " من أخبرك؟ .. عموماً لا اريد افتعال المشاكل فربما نضطر للذهاب لقسم الشرطة و..."

نفض أحمد ذراعها بعنف قائلا وهو يتركها " سيرى هذا القذر حجم المشاكل التي قد وقع فيها بفعلته هذه "

***

وقف عمرو بتململ يشاهد سيد و حموءة يتشابكان بصراع ثورين هائجين على بعد شارعين من بيت سماحة .

إنه لا يفضل التدخل عادة مادام القوتيين متكافئتين .. ومادام أحداً من أصدقائه ليس في خطر .. لكن فكرة القتال في حد ذاتها أو افتعال شجار هو أمر لا يفضله .. بالرغم من أنه بطل تايكوندو سابق ومدرب حالي للرياضة للاطفال والمراهقين في النادي الرياضي .. لكنه دائما يزرع في المتدربين لديه أن تعلم الالعاب القتالية للدفاع عن

Des. Maryam Tamim

النفس وحتى لا نكون ضعاف وليس للتجبر على خلق الله.

فكرة التجبر(الجبارين في الأرض) من أكثر الفتن التي يخاف أن يقع فيها .. يحاسب نفسه كثيرا فيما يخصها.. وبالطبع والده الشيخ عبد الرحمن القاضي من له الفضل في زرع فيه هذا الحرص على عدم الافراط في استخدام القوة .. إلا للدفاع عن النفس أو الغير ومادام سيد في نفس قوة حموءة فلن يتدخل إلا للضرورة ..

تنهد وهو يشاهد حموءة بوجهه الملىء بالكدمات وجسده الضخم .. يرتدي سلسالا معدنياً غليظاً حول رقبته وخاتما كبيراً غالبا خدش به وجه سيد فادماه ..

حموءة الضخم هذا يعرفه منذ الطفولة وكم دعا له من قلبه أن يهديه الله.. فهو حليف الشيطان في كل حياته ... مشبوه وموبوء بكل الممارسات الغير

Des. Maryam Tamim

شريفة .. يعيش مع أخته وأمه العجوز في بدروم بناية منذ سنوات ..
تذكر وهو يشاهد الرجلين يتصارعان أمامه أن سيد كان منجذباً جداً لحموءة في مراهقته وكاد أن يسحبه حموءة نحو عالمه.. وسيد بمشاكل ماضيه.. كان يجد في عالم حموءة المنفلت .. العنيف جدا .. المتمرد .. والغير خاضع لقوانين متنفسا للنيران التي تشتعل في صدره .. ولولا أبيه الشيخ و مجدي أبا وائل وإبراهيم سماحة كانوا حازمين مع سيد لكان الآن نسخة من حموءة .. الذي رفض كل محاولات التقويم وخصوصا أن والده كان على قيد الحياة فلم يكن في وسع الرجال الثلاثة سوى النصح فقط ... أما سيد فوجوده تحت جناح الحاج سماحة منذ صغره أعطاه من الصلاحيات ما تعامل به مع نفسية سيد المشوهة .

Des. Maryam Tamim

وبرغم أنه مازال ينتظر من سيد نضوجاً والتزاماً دينيا أكثر في شخصيته .. لكنه حينما يرى حموءة يعترف أن سيد نجح في التغلب على مصير كان محتوماً لا محالة لطفل في سنه يواجه ظروفاً مثل ظروفه من نبذ ويُتم وحرمان ..
بل إنه فخوراً بصديقه .

قطع شروده وصول أحمد الذي شارك سيد في عراكه مع حموءة ..فاضطر للتدخل فاثنين على واحد أمر غير عادل حتى ولو كان الضحية هذا الموبوء حموءة ..
وبالطبع كانت مهمة فصل المصارعين و تهدئة اصدقائه مهمة صعبة.. فسيد غالباً ما حدث لرامز استثار فيه الماضي كسيد الطفل الصغير الضائع في طرقات الحي ..
وأحمد .. الذي بات يمارس سلوكاً دفاعياً يخص رامز مؤخراً بشكل يدهشه أحيانا.. ربما لأن رامز

Des. Maryam Tamim

رقيق وهش جسدياً فيشعر من حوله بوجوب حمايته ..
بينما هو كعمرو يرى أن رامز لديه قوة نفسية قوية في التعامل مع صعاب تجعله ينحني لها احتراماً حتى لو لم يكن لديه قوة بدنية ..

كان على وشك فصل الطرفين بعد أن ادعى حموءة أن رامز يتحرش بأخته سهر وهذا ما نفاه الثلاثة بشكل قاطع.. فلم يتخيلوا أبدا أن رامز هذا قادرا على معاكسة أنثى بل أن التخيل يبدو مضحكاً..
حينما ظهر وائل فجأة وانضم للشباب في دفاعهم عن صديقهم وان كان وائل يشبهه في عدم الميل للعراك واستخدام القوة لكنه كان حاسماً مع حموءة وقام بتحذيره بعدم التعرض لرامز مع وعد بعدم تعرض رامز للفتاة .

حين فُض الاشتباك وانصرف حموءة لحال سبيله وانتبه سيد وأحمد لوجود وائل حاولا مشاكسته بينما اتخذ عمرو جانباً على بعد خطوات منهم يقلب في هاتفه متجنباً الخوض في الموضوع الذي كان يعلم انه سيثار.

ضرب سيد وائل يلصقه بالحائط بغيظ قائلاً " ماذا فعلت مع الفتاة ؟ اعترف .. ولمَ اتيت مبكراً ؟"

رد أحمد ساخرا وهو يتحسس موضع اللكمة المتورمة على خده التي اصيب بها قبل قليل " لابد ان الفتاة خدعته "
رد وائل متحسراً " لم يحدث .. بل الاشارات كلها كانت خضراء يا صاحبي لكني تركتها عند منزلها وعدت كالابله "

Des. Maryam Tamim

نظر إليه الاثنان بترقب يحثونه على البوح بالسبب
فتنهد وائل في تحسر وقال وهو يجز على اسنانه "
كنت اناغشها في السيارة وكانت مستجيبة جدا ..
لكن ظلت عينان تظهران أمامي وتحدجاني بنظرات
متوعدة فارتعبت وتركت الفتاة وعدت "
بدت علامات الدهشة على أحمد وسيد فقال
الأخير بغباء " لم أفهم هل كان معكماً شخصاً ثالثاً
في السيارة ؟؟؟!!" .
عوج وائل شفتيه بامتعاض وصحح " بل عينان
فقط تراقباني وتحدجاني بنظرات متوعدة (
ثم ادار رأسه ناحية عمرو الواقف على بعد خطوات
يستند بقدمه على الجدار ويحدق في شاشة هاتفه
مدعياً عدم الاهتمام وهو يتابع الحوار جيدا ..
فاشار وائل برأسه ناحيته وأكمل بغيظ) عيناه كانتا
تتوعدني صدقوني "

Des. Maryam Tamim



انفجر أحمد وسيد في الضحك وهم يجولا بنظراتهما بين وائل الذي يكتم ضحكته وعمرو الذي احمرت أذناه .. وقد رفع رأسه يحدق بهم بنظرة جادة .

كان سيد أول من سيطر على هيستريا الضحك ليسأل وائل باستهجان "أتخاف منه ؟!!!!"

رد وائل بجدية وصدق " ليس خوفاً .. لكني اعلم إن فعلتها سيتجنبني طويلاً .. فلم استطع "

تحدث سيد معاتبا بمزاح " ظننتك لم تفعلها لأننا تعاهدنا منذ مدة أن نتوب عن فعل الكبائر ! "

اقترب عمرو مدعيا الجدية برغم من فرحته بأن صاحبه لم ينزلق في كبيرة الزنا " خلق الله الملائكة عقولا بلا شهوة ، وخلق البهائم شهوة بلا عقول ، وخلق إبن آدم ووضع فيه العقل والشهوة ، فمن غلب عقله شهوته إلتحق بالملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم "



رد وائل عليه ساخراً " تتكلم مثل أخي أمير " استطرد عمرو " ثم انك متزوج فمابال أنا وأحمد لم نتزوج حتى الآن "

ارتسمت علامات البؤس على وجه أحمد مؤيداً .. بينما هتف وائل باستنكار " وهل تعتبرني بزواجي من العسكري ماجدة متزوج !!!!! . سامحك الله يا أخي "

انفجر الشباب في الضحك بينما ألقي وائل مزيداً من النكات حول حياته مع زوجته ماجدة وهو يلف ذراعه حول كتفي عمرو عائدون كلهم لشارع سماحة .

***

بعد قليل قالت بانة بغيظ وهي تسمع الطرق بإصرار على باب شقتها " لماذا لا يستخدم الجرس !!! " .

Des. Maryam Tamim

حينما فتحت مطأطأة الرأس سألها أحمد " أتعاكس الفتيات يا رامز ؟؟!!! "
رفعت إليه وجهها بغيظ وهي تشير على نفسها نزولا وطلوعا وردت ساخرة " أهذه هيئة شخص يعاكس الفتيات !!!!!! "

قال ساخراً من بين أسنانه " قلت ذلك من قبل كُمثريِّ الشخصية ! (ثم استطرد بصوت مسموع ملوحا بسبابته) إسمع .. لا تتعامل مع هذا السوبرماركت مجدداً .. هل فهمت ؟"

أومات بانة بصمت ..فتابع أحمد بعصبية " واشتري هاتفا محمولاً حتى نصل إليك عند الحاجة .. كنت سأشتري لك واحداً .. لكني تذكرت أن كرامتك متورمة وربما وصل بك المرض النفسي لاتهامي صراحة باستحقار بلدكم الشقيق بفعلة شنيعة كهذه "

Des. Maryam Tamim

كتمت ضحكة تصارع لتتحرر .. وأومأت برأسها في طاعة وهي تشعر ببعض الارتخاء في جسدها في حضرة وجوده الطاغي ..

أما أحمد .. فاستفذته ضحكتها المكتومة برغم سعادته بتجاوز رامز للأمر.. كما أن هذه البقعة الزرقاء تحت عينه تؤلمه بطريقة عجيبة .. ربما ليقينه بأن هذا البسكوتي ضعيف البنية ولا يتحمل لكمة كهذه .

نفض رأسه يمنعها من الاستغراق أكثر في مسار أفكاره ليقول لرامز بلجهة آمرة لا تقبل النقاش " سوف تتدرب مع عمرو على التايكوندو لتدافع عن نفسك ..عمرو من درب آية على طرق الدفاع عن النفس " ..

رفعت بانة عينين جميلتيين لأحمد تحدق فيه وتعترض بلكن .. فقاطعها " لا يوجد لكن .. حتى لو اضطررت لجرك في الشارع إلى التمرين "

Des. Maryam Tamim

تنبهت لكدمة على فكه لم تكتشفها إلا الآن فنغزها قلبها وكأنها قد تلقت كدمة أخرى.. لترفع يدها لا شعورياً تتحسس الكدمة هاتفة بجزع " هل تعاركت مع هذا الحموة " ..

نفض أحمد يدها بعنف وتراجع الي الخلف كالملسوع يصعد السلم وهو يقول بعصبية " لا تلمسني بيدك المستفزة هذه .. سأمرنك على الملاكمة أيضاً حتى تتخلي يديك عن هذه الطراوة المقززة .. لابد أن تتخلص من تلك الكُمِّثرية المستفزة وتتصرف كالرجال"
ردت بانة باندهاش وعلامات الغباء على وجهها "ما بها الكُمِّثرى؟! .. أنا أحبها "
رد بقرف " وأنا أيضا أحبها لكن في شكل الكمثري وليس متخفية هيئة الموز "

Des. Maryam Tamim

أرتسم الغباء على وجه بانة .. بينما استدار أحمد يكمل صعوده على السلم .

***

بعد أيام :

تتمطى أروى في سريرها تمسد عضلات جسدها وظهرها ..

تجبرها حالتها على تجنب بعض الاوضاع في النوم مما يجعل عضلاتها متيبسة أحيانا .. كما أنها احتاجت أمس لدهان ظهرها بالمسكنات فالوجع اشتد ..

هل عليها أن تعود للعلاج الطبيعي بعد انقطاع ؟..

إن الفكرة تلح عليها منذ مدة .. ربما عليها أن تستكمل الجلسات.. لن يكون لها هدفا سوى تقوية عضلات ظهرها وجسدها وتحريكهم للتقليل من نوبات الألم .. خاصة مع قلة حركتها ..

Des. Maryam Tamim

فهمست مفكرة " حسنا يا أروى مادمنا لا نتوقع الكثير فأي إحباط أو خيبة أمل ستكون تحت السيطرة "..

تحاملت لتعتدل جالسة .. تبحث عن كرسيها الذي تحرص أن يكون ملاصقا للسرير حتى تنتقل إليه دون احتياج لأحد .. تسعى دائما للتكيف مع ظروفها والاكتفاء بقدر الامكان لتكون إنسان يمارس حياة طبيعية بمفرده .. حتى أمورها الشخصية دربت نفسهاً جيداً على دخول الحمام والاعتناء بنفسها خاصة مع دعامات الحائط التي ثبتها لها أحمد في حوائط الحمام حتى تتحرك بواسطتها لاستخدام مقعد الحمام أو حوض الاستحمام .

Des. Maryam Tamim

أصابها الغيظ حين وجدت أن كرسيها تحرك بعيداً عن السرير .. فتساءلت عمن فعلها ؟؟!! .. من دخل عليها الغرفة وهي نائمة ؟؟!! ..

اعتدلت بصعوبة بجسدها النحيف فانتبهت لخيال ضخم على الارض بجوار السرير.. فشهقت مُجفلة وتمتمت بالبسملة لتميز جسم أحمد يفترش الارض.. عاري الصدر ببنطال بيتي قصير .. ينام على مرتبة رقيقة بجوار سريرها !.

تذكرت أيام مرضها حين كان يفعل ذلك... إذا مرضت يفترش الارض بجوار سريرها.. ولا تعلم إن كان يفعل ذلك ليعطيها دعمه أم يخاف ان يفقدها ؟! .. معظم أيام المرض بعد الحادث كان يصر على النوم معها بنفس الغرفة .

Des. Maryam Tamim

وهناك سببا آخر يجعل أحمد يقوم بهذه العادة .. حين يكون قلقا ويجافيه النوم فيتسلل ليفترش الارض بجوار سريرها ..

ابتسمت أروى وهي تتذكر أول مرة فصلهما والديهما في النوم حين بلغت العاشرة وهو الحادية عشرة .. اعترض أحمد بشدة.. ولم تغريه فكرة أن يكون له غرفة مستقلة .. فبقيت هذه العادة معه.. كلما انتابه الأرق يتسحب ليفترش الارض بجوار سريرها .

صاحت فيه أروى بغيظ "أنت يا باشمهندس ... يا بني آدم ! .... استغفر الله العظيم ! .. ألا يوجد أبسط أنواع الخصوصية في هذا البيت !!! " .

أخذت ترميه بالوسائد وبأي شيء تطاله يديها .. فتململ وهو يشتم .. ثم رفع رأسه يصيح بعصبية

Des. Maryam Tamim

" ماهذه الضوضاء اغلقي فمك الكبير هذا .. أريد أن أناااااااام "

امسكت بطرف آخر وسادة لديها تضربه بها بغيظ وهو يتلقى الضربات بذراعه ..وقالت وهي تجز على أسنانها " أريد أن أدخل الحمام يا بارد "

رد بعصبية " وما شأني أنا يا صقيعية؟! .. هل أنا مدير إدارة الحمامات تحتاجين لإذن دخول مني؟!!!!!!!!

قالت بغيظ " بل أحتاج الكرسي يا خفيف "

تأفف أحمد واستقام واقفا ثم رفع عنها الغطاء بحدة .. كانت ترتدي بنطالا قصيرا فوق الركبة وبلوزة قطنية بحمالات رفيعة .. مع نحافة جسدها وطولها كانت أشبه بعرائس الباربي ببشرة خمرية وشعرها الأسود الناعم حتى منتصف ظهرها..

Des. Maryam Tamim

فوضع ذراعه تحت ركبتيها والآخر حول ظهرها
ورفعها ببعض الخشونة ثم ...
ظل واقفا !.

قالت باستنكار " هل ستظل واقفاً !!! "

رد ببرود" هل ستظلين تفقدين الوزن يا أخت باربي
.. ربما سأستخدمك الآن كعمود رفع أثقال افردك
وارفعك عاليا .. واحد .. اثنان .. واحد .. اثنان..
لكن بهذا الوزن ستكونين خلة أسنان وليس عمودا
لرفع الاثقال !"

جزت على أسنانها وقالت " أريد أن أدخل الحمام يا
بارد .. يا غليظ "
تصنع اللامبالاة ورد ببرود " هذه مشكلتك ليست
مشكلتي"
صرخت أروى فجأة "أبيييييي ..... أمييييييي "

Des. Maryam Tamim

ثم نشبت باظافرها في وجهه.. فقهقه واستدار يضعها على الكرسي وهو يغيظها " أنت نمر شرس بظهر مكسور "

في مطبخ بيت سماحة سأل الحاج زوجته عن هذه الضوضاء فأجابت وهي تضحك " يبدو أن أحمد يناكف أروى (ثم سألته باهتمام) لقد تأخرت أمس عند الشيخ عبد الرحمن ولم أشعر بك حين عدت .. كيف هو الآن؟"

ارتسمت علامات الحزن على وجه الحاج سماحة ليقول" وهن الشيخ يا إلهام وبات لا يغادر السرير تقريباً "

رفعت خصلة سوداء وراء أذنها لتقول بتعاطف "أطال الله في عمر شيخنا (ثم سألت في حماس طفولي) هل فسر لك منامي يا ابراهيم .. إياك أن

Des. Maryam Tamim

تكون قد نسيت كالمرة السابقة.. الحلم يتكرر ويتكرر في الفترة الاخيرة لابد أن له معنى "

وضع إبراهيم يديه في جيب بنطاله المنزلي المريح بنفس الكيفية التي يفعلها أحمد ليقول بتسل" قال إنك سترزقين بإبنة "

جحظت عينا الهام في ذهول ثم شهقت تضرب على صدرها في جزع وهي تقول " في هذا العمر!!!!!!! "

رد عليها مشاكساً "ماذا بشأن العمر ! .. تحدثي عن نفسك يا إمرأة .. لي صديق في نفس عمري تزوج وانجب العام الماضي"

ضربت على صدره بيدها وقال باستنكار " هل تفكر في الزواج والإنجاب يا ابراهيم !"

Des. Maryam Tamim

رفع كتفيه بلا مبالاة .. فرفعت أنفها بشموخ
وقالت بتحدي " فكر أن تفعلها يا ابراهيم ..
وستندم "
قهقه بتسلية .. فعبست وقالت " كيف سأرزق
بإبنة لا أفهم ؟! .. أنا قلت لك أني أري نفسي افترش
الارض في شقة أحمد .. وأنه يدخل علي ويلقي في
حجري اسوارة فأخذها فرحة وأرتديها"

رد إبراهيم " صدقيني قال سترزقين بابنة جديدة "

حدقت فيه بذهول .. فلف ذراعه حول كتفيها
يسحبها نحو باب المطبخ .. لترفع إليه وجهها
بتساؤل فقال الحاج هامساً بلهجة ذات معنى "
تعال لنحقق الحلم ونرزق بابنة جديدة "
ضربته إلهام في صدره موبخة وقد أحمر وجهها
تقول " تحشم يا إبراهيم "

Des. Maryam Tamim

قهقه عاليا من احمرارها ثم قال معترفاً " حسناً .. سأقول التفسير كاملاً كما أخبرني الشيخ .. قال سترزق بابنة سيأتي بها أحمد ربما إشارة إلى ان كنتها ستكون بمثابة ابنة لها "

انشرح صدر إلهام وقالت بابتسامة واسعة " حقا يا حاج ! .. يارب يا كريم يهديك يا أحمد وأراك عريساً "

ثم مالت عليه لتقول بهمس " هل تعتقد أن زيارة محمود الدسوقي وابنته رشا ربما بشرى لأرتباطها بأحمد قريبا؟ "

قال بهدوء " لا أعلم .. كما أني لم أرى محمود منذ مدة طويلة "

ثم اقترب منها يناغشها بحميمية " لكن هذا لا يعني أننا لا نستطيع أن نرزق بابنة ثالثة يا عود الفانيليا أنت "

"ماذا يحدث هنا ؟؟ !!!!!!!"

Des. Maryam Tamim

قاطعهما صوت أحمد كالفحيح على باب المطبخ فأجفلت إلهام واحمرت بينما رمقه إبراهيم بنظرة غيظ.

كان أحمد واقفاً بصدر عضلي عاري وشعر مشعث وذقن خشنه غير حليقة .. يضع يديه في جيب بنطاله القصير في وقفة تميز ذكور بيت سماحة وتابع قائلاً بسخرية " هل أنتما مراهقان؟؟.. أاطلب لكما كأسين من عصير الليمون ! "

ضحكت إلهام بحرج فقال أحمد بتوبيخ "أتضحكين يا إلهام ؟؟!! .. كيف سمحتي له بضمك؟! "

و تحرك يضم قامتها القصيرة إلى صدره بتملك غيور وهو ينظر في عيني أبيه بتحدي ..فانفجرت إلهام ضاحكة وضربته على صدره العاري تقول" أمازلت تغار .. كنت تغار جداً عليّ من أبيك وأنت صغير وتغار على أختيك أيضا".

Des. Maryam Tamim

حاوطها بذراعيه أكثر يغازلها قائلاً " بل أغار عليك أنتِ فقط يا عود الفانيليا "
وأخذ يطبع قبلات متتالية على خدها وهي تضحك في سعادة وتربت عليه في حنان .. بينما جز إبراهيم على أسنانه ثم قال " حسنا يا ابن عود الفانيليا دعها لتحضر عزومة اليوم "

فاستفهم أحمد عن أي عزومة يقصد فاجاب إبراهيم وهو يرفع حاجباه يغيظه " محمود الدسوقي وابنته سيحضران على الغداء اليوم "

تشنجت عضلات أحمد ليقول " متى حدث ذلك وأنا ليس لدي خبر ؟!! "
رد إبراهيم بجدية "هو من فاجأني باتصاله أمس وأخبرني أنه سيزورنا هو وابنته على الغداء ولم أجد مفرا غير الترحيب "

Des. Maryam Tamim

جز أحمد على أسنانه .. فقالت أمه تربت على صدره " ربما هي فرصة جيدة لنتعرف على رشا.. أنا لا أذكرها جيداً "

قال أحمد بحنق " يا أمي أنا لا أريد أن نتعجل في هذا الأمر "

فقالت مهدئة " إنها مجرد عزومة يا بني .. فرصة للتعارف لا أكثر .. ولا يملك أحدا اجبارك على شيء "

زفر أحمد وتحرك مغادرا وقد تغير مزاجه ثم استدار فجاة ليقول " بالمناسبة .. سوف اتفرغ ليوم أو اثنين في الاسبوع لتوصيل أروى لمركز العلاج الطبيعي .. لقد اخبرتني منذ قليل أنها قررت العودة لجلسات العلاج "

شهقت إلهام من الفرح وتمتم ابراهيم بالحمد والشكر لله .. بينما استدار أحمد للخروج من

Des. Maryam Tamim

المطبخ فسألته والدته فجأة " ما أخبار رامز يا بني ؟"

تعجب أحمد وسألها " إنه بخير .. لماذا تسألين ؟"

قالت بنبرة حانية " يثير شفقتي جدا هذا الشاب .. وأفكر فيه طوال الوقت .. لكني أشعر أنه يتجنبني ولا يتصرف معي بأريحية مثل باقي الشباب .. ففضلت عدم الضغط عليه"

رد أحمد مدافعاً " دعيه يا أمي إنه منطوي ويفضل الوحدة .. (ثم أكمل متنهداً) أتمنى أن يأتي اليوم الذي يتخطى فيه الماضي ويندمج معنا"

***

عمرو القاضي : ما معنى اسمك Mi Min ؟

Mi : Mi Min تعني الجمال و Min تعني الاشراق

.

عمرو القاضي : إذن أنتِ جميلة مشرقة .

Mi Min" : ألا تعتقد أن الاسماء التي نختارها قد تداري نقصا فينا ؟.. أتذكُر الكارتون القديم كعبول ؟ (وجه يضحك) .

عمرو القاضي : نعم .

Mi Min : أ تذكر مدام رفيعة ؟ .. هل كانت رفيعة ؟ (وجه يختبئ في كفين حرجاً)

عمرو القاضي :إذن أنتِ قبيحة كئيبة (وجه يغيظ)

Mi Min: لاحظ أن كلامك جارح ! (وجه غاضب)

عمرو القاضي : أنتِ من قلتِ لست أنا (وجه يدعي البراءة)

Mi Min : أنا أقول .. لكن انت لا تقولها صراحة في وجهي (وجه غاضب) .

عمرو القاضي :هاهاها .. تتصرفين مثل أمي حين تعيب نفسها لكن تغضب إذا ما تحدثنا معها عن ذاك العيب .. يبدو أنها صفة نسائية .

Mi Min : حسنا يا صاحب الرجولة لو طلب منك أن تصف نفسك بصفة معكوسة فكيف ستصف نفسك ؟.

عمرو القاضي : امممم لا أعرف .

Mi Min : كيف ؟!!!

عمرو القاضي : لا استطيع أن أعبر عن نفسي بالكلمات .

Mi Min : كيف وأنت تكتب مقالات في موضوعات مختلفة !!

عمرو القاضي : أتحدث عن رأيي في موضوع ما .. لكني لا استطيع التعبير عن مشاعري .. وكلما ازدادت المشاعر بداخلي كلما استصعب عليّ التعبير عنها .

Mi Min : ربما يخطئ البعض في فهمك إذا كنت لا تعبر عن مشاعرك .

Des. Maryam Tamim

عمرو القاضي : ربما .. ولكن إن حدث فسيكون خارج دائرة المهمين لدى .. أما المقربين فيفهمونني دون كلام.

Mi Min : هذا يعني أنك محاطاً بمن يفهمونك جيداً فلا تحمل عبء تفسير نفسك أمام الاخرين .. هذه نعمة كبيرة .

عمرو القاضي : فعلا نعمة أيتها القبيحة (وجه يغيظ)

***

وقف أحمد مستنداً على الشرفة بكوعيه وهو يستمع لثرثرة رشا الناعمة .. لقد مر الغداء بسلام ما بين ترحيب وحنين للماضي وكثير من المجاملات .. وانزوت آية بعدها في غرفتها بينما شاركت أروى أحمد و رشا الحديث لبعض الوقت في الشرفة ثم انسحبت بمكر .. تترك لهما الفرصة للحديث بحرية اكبر.. أما والد رشا فيأتي صوته الجهوري

Des. Maryam Tamim

المتحمس من غرفة الصالون يثرثر ويضحك عالياً على حكايات قديمة بينه وبين الحاج سماحة ويستعيد الذكريات .

صمتت رشا قليلا ثم رفعت شعرها الأسود الشبيه بشعر أروى وإن كان قصيراً حتى كتفيها ولا يبدو مفرودا بطبيعية مثلها ولكن بشكل مصطنع عند صالون التجميل .. واستدارت إلى أحمد تقول باعجاب " شارعكم على الرغم من أنه بسيطاً لكنه مريح ودافئ "

قال مشاكسا " لا أتخيلك تعيشين في هذا الحي ستبدين مختلفة عنه كثيراً "

ضحكت ضحكة انثوية رقيقة ثم قالت " لست مدللة الى هذه الدرجة "

رد ببساطة " لم اقصد مدللة .. اقصد ... رقيقة " احمر خديها .. فتأملها أحمد وتمتم في سره " كُمِّثرية جدا ! "

Des. Maryam Tamim

قالت رشا باهتمام " تبدو مباني الشارع حديثة.. توقعت الحي أقدم من ذلك بما انك تعيش فيه لاكثر من ثلاثين عاماً "

رد بجدية " لقد تجددت معظم مبان الحي من بضع سنوات مضت وتحولت بعض البيوت البسيطة لمبان عالية فيها بعض السكان الجدد .. لكن تبقى الاسر القاطنة هنا منذ سنوات طويلة ومعظمها يضم الابناء بعد الزواج في شقق منفصلة في نفس البيت .. يمكنك القول أن المستوى المادي في هذا الشارع فوق المتوسط عموما ماعدا بيتنا وبعض البيوت الأخرى أعلى ماديا من المتوسط .. الحمد لله .. أما الشوارع الخلفية فتضم أُناس اكثر بساطة ".

سألته وهي تلعب بسلسال ذهبي رقيق في رقبتها بحركة لم تبدو مقصودة لكنها أشعرت أحمد بحرارة مفاجئة تشع من جسده " إذن لماذا لم

Des. Maryam Tamim

تنتقلوا لحى يناسب امكانياتكم المادية فكثير من العائلات قامت بذلك حتى أبي برغم نشأته المتواضعة حرص على أن تكون فيلاتنا في مدينة من المدن الجديدة "

قال أحمد وهو يشيح بوجهه بعيدا عن تلك الحركة المثيرة بسلسالها " نحن جميعا نرتبط بأهل الحي .. فلا أنا ولا أبي نستطيع الرحيل عمن نتشارك معهم ذكرياتنا " .

وصله تنبيه برسالة على الهاتف ففتحه ليجد مشاكسات وقحة من سيد و وائل بخصوص رشا.. فأدار وجهه ناحية المقهى ليجد الاثنان يقفان في شباك الخُن يشاكسونه بشقاوة بدون لفت انتباه رشا .. فحدجهم بنظرة مهددة ليعاود الحديث معها متجاهلا تنبيهات متكررة بهاتفه باستقبال عشرات الرسائل الجديدة المتتالية .

Des. Maryam Tamim

قالت رشا وهي ترمش بعينين خضراوين " إذن أنت ستتبع التقاليد هنا وستتزوج في نفس بيت والدك "

رد بجدية وبلهجة حاسمة " بالتأكيد .. أنا لدي شقة بالفعل في الدور الثاني كنت قد جهزتها تحت إلحاح من والديّ.. لكنها مشغولة الآن وأفكر في البدء في تجهيز شقة أخرى في البيت لنفسي اذا ما قررت الزواج "

لاحظ ارتباكها واحمرار وجهها وهي تديره بعيدا تتأمل الشارع فتمتم في نفسه " كُمِّثرية حلوة تقطرعسلا"

تحدثت رشا مغيرة للموضوع " ماذا عن معرضي الجديد ؟"

رد بابتسامة عذبة " كل شيء تحت السيطرة.. فمن أجلك انت فقط عدت للعمل بيدي من جديد "

Des. Maryam Tamim

ابتسمت في خجل ثم هتفت" ماذا يحدث لهاتفك إنه يستمر بالتنبيه المتواصل !"
جز على أسنانه وفتحه ليضغط عليه ويغلقه تماما وهو يقول "لا عليكِ .. ربي ابتلاني ببعض الاصدقاء المستفزين يشاكسونني"
فضحكت رشا ضحكة تحركت لها رجولته .

بعد ساعتين ودعت رشا الجميع على باب الشقة بينما سبقها والدها للشارع بصحبة الحاج سماحة..

كانت بانة تصعد السلم وهي ترى الحاج سماحة يودع ضيفاً في الشارع .. كانت عائدة بعد أن ابتاعت هاتفا جديدا .. وسعيدة لهذه الخطوة عندما جاءها صوت أحمد وصوت ضحكة أنثوية رقيقة على السلم .. فأسرعت إلى شقتها .. لكن الفضول

Des. Maryam Tamim

بداخلها جعلها توارب باب الشقة تحاول معرفة هوية الضحكة الانثوية..

شعورا أشبه بالحريق شب في صدرها دون توصيف منطقي له وهي تلمحه يتكلم مع رشا وابتسامة نادرة تضيء وجهه .. فأغلقت الباب تحاول تجاهل هذا الشعور المغيظ .

ودع أحمد رشا ووالدها بلباقة عند البوابة وهو يجز على أسنانه من لوحين الثلج المتسمرين عند باب المقهى يراقبون بتسل.. فحدجهم بنظرة صقيعية واستدار بتجاهل تام لرغبتهم المستعرة لمعرفة تفاصيل اللقاء . .ودخل البيت واغلق البوابة بعنف مقصود..لينفجر الاثنان في الضحك.

***

Des. Maryam Tamim

بعد عدة أيام :
دخلت بانة بوابة البيت تحمل بعض الاكياس لكنها انتفضت من حركة ما في حوش البيت.. حين ظهرت لها سهر فجأة من تحت السلم.. فهتفت بانة بجزع " ماذا تفعلين هنا ؟!!!!!!"

ردت سهر بإرتباك " أولا اعتذر جداً .. عما بدر من أخي "
تحسست بانة بلاوعي مكان الكدمة على وجهها والتي اختفت وبقى فقط طبقة الجلد الغامق المحترق من الشمس وكثير من البثور التي تتعمد الاختفاء وراءهم فقالت بغضب من بين أسنانها " هيا اذهبي من هنا ولا تفعليها ثانية "

قالت سهر متذللة " أعرف أنك لا تحبني يا رامز .. لكني احبك جدا .. وتمنيت ان أعرفك من وقت

Des. Maryam Tamim

طويل.. بالله عليك .. اعطني فرصة اثبت لك حبي "

حوقلت بانه في يأس ثم قالت " أنا لا اريد أي اثبات أريد أن تذهبي فوراً من هنا وكفى فضائح يا بنت الناس "

ردت سهر في وله وهي تحدق في جمال عينيه وشفتيه " حسنا سأذهب .. بشرط أن تقبل منى الهدية "

سألت باستنكار " أي هدية !! "

مدت سهر يدها تمنحها علبة حمراء متوسطة الحجم من الكرتون مرسوما عليها قلوبا بيضاء وعليها كثير من البودرة اللامعة .. فلم تمد بانة يدها لكن سألتها بإندهاش "ماهذا !! "

ردت سهر بهيام وهي تفتح العلبة أمامها " اليوم عيد الحب .. وهذه هديتي لك "

Des. Maryam Tamim

لمحت بانة في العلبة زجاجة عطر ودمية على شكل دب صغير بفراء أحمر فصاحت بذهول " اسمحي لي .. أنت مخبولة يا أختاه .. هيا من هنا لا أريد المشاكل "

أخذت تدفعها الى الخارج بعنف ثم اغلقت البوابة جيداً وهي تنفض يدها من البودرة اللامعة التي علقت بها .

***

في المساء طرق أحمد باب بانة ففتحت لتجده يمد يده إليها بنفس العلبة الكرتوية الحمراء ويقول " لك "

رفعت بانة حاجبيها باستغراب فأكمل بإبتسامة باردة "وجدتها أمام البوابة ومكتوب بداخلها (حبيبي رامز) "

Des. Maryam Tamim

زفرت بانة وقالت بغيظ " ماذا أفعل مع هذه الفتاة؟... إنها غبية جدا ولحوحة "

مط أحمد شفتيه يتأملها وقد لاحظت أنه يرتدي حلة سهرة سرقت أنفاسها وشعره ندي يصففه للخلف بعناية .. فانتفض قلبها يقرع كالطبول . وتساءلت في سرها "هل سيحتفل مع رشا .. بعيد الحب؟"
تخيلتهما في مطعم راق وهو يهمس لرشا بكلمات الحب وهي تنظر له بهيام سخيف !.. بينما قلوباً حمراء تتفجر في الهواء حولهما ! ..

نفضت الفكرة عن رأسها لكن الحريق ظل يشتعل في صدرها فتمتمت في سرها باستهجان " عيد العشاق ! .. ما هذا السخف !!! "

Des. Maryam Tamim

قاطع أحمد افكارها بسؤال مفاجئ " أي نوع من النساء تفضل ؟ "
استنكرت السؤال وردت " لا أفهم ؟!!"

فسر أحمد وهو يعتدل في وقفته " اقصد كرجل .. اي نوع من النساء تثيرك؟ .. هل تحب النحيفات .. الممتلئات .. الشقراوات .. السمراوات ؟"

احمرت بانة في حرج وأربكها السؤال الوقح فهتفت بعصبية " وهل النساء سلعة نختارهم بالنكهة المفضلة حمراء .. صفراء.. خضراء .. بوردة ... أو بدون !!!!!! "
جز على أسنانه وهتف بغيظ " أنت غبي بالفعل .. ولا أتخيلك أبدا مع امرأة .. اغرب عن وجهي "
قالها وابتعد ينزل السلم فهتفت دون تفكير " هل أنت ذاهب لمناسبة خاصة ؟"

Des. Maryam Tamim

أتاها صوته من أسفل " اليوم افتتاح معرض رشا .. سلام "

اغلقت الباب وهي تتنهد " حسنا ربما هذا افضل قليلا من أن يختليا ببعضهما في مطعم .. يتبادلان نظرات الحب بسخافة .. تُرى هل رشا هي النوع الذي يفضله أحمد في النساء ؟؟!!! (تنبهت لما تقول ففركت جبينها بعنف تقول لنفسها موبخة) توقفي يا بانة .. توقفي عن هذا الهراء (وتأملت الصندوق الأحمر في يديها ثم القت به بسرعة تقول بقرف) وهذا الهراء "

***

في معرض رشا الذي ضم الكثير من الأعمال الفنية وبعض قطع الديكور في أرفف عرض مبتكرة من الخشب المحفور يدوياً الذي لا يقل إبداعا عن الاعمال الفنية المتراصة فوقه أبدى الحضور انبهارهم بالمعرض وأثنوا على إبداعات سماحة

Des. Maryam Tamim

وهو الاسم الذي تخرج به اعمال أحمد منذ أن بدأها مع والده يوقع على كل قطعة فنية باسم سماحة بخط كوفي اسلامي أنيق يجمع بين الاصالة والحداثة .

تلقى أحمد بعضاً من التهاني على ابداعاته وهو كان غير مهتم بالعروض التي انهالت عليه من بعض المهتمين بالعمل معه فراوغهم في لباقة .

أما رشا فبدت كفراشة رقيقة غاية في الأناقة والانوثة تليق بأن تكون صاحبة معرض للأعمال الفنية ..

شرد أحمد قليلا في علاقته معها .. منذ زيارتها لبيتهم وهي تحاول أن تحاصره برقة لتنتزع منه اعترافاً بعلاقة ما منتظرة بينهما وهو يتهرب منها بلباقة .

عندما قرر أن يغادر الحفل مبكراً- فهو لم يكن ابداً من الشخصيات الاجتماعية التي تحب الصخب

Des. Maryam Tamim



والمجاملات - شعر بالذنب تجاهها حين لاحظ احباطها من اصراره على المغادرة .. وهو متأكد أن سبب احباطها منه ليس لمغادرته الحفل بل لأنها كانت تأمل أن يستغل مناسبة عيد الحب للاعتراف لها بأي شئ يخص علاقتهما الشخصية .. لكنه مازال حائرا يراها مميزة لكن الأمر يقف معه عند هذا القدر ولا يتطور لأكثر من ذلك .

****

أطفأ وائل السيجارة في منفضة السجائر أمامه وهو يجلس وحيداً في الشرفة يتابع بعض قطرات المطر المتساقطة أمامه واشعل سيجارة أخرى .. ففتحت ماجدة باب الشرفة الجرار فجأة لتقول " هل ستظل هنا في هذا البرد تدخن ؟" ..
رد بهدوء دون أن ينظر إليها " الطقس جميل "
ردت باصرار " بل بارد .. ولا يناسب حالتك الصحية .. "



زفر وائل في استسلام وقال بكآبة " حسنا إذهبي للنوم.. وسأقوم حالا "

زفرت ثم أغلقت باب الشرفة الزجاجي باستسلام .. فتنهد وائل باكتئاب وحزن وتمتم " عيد حب سعيد يا مريم .. اشتقت إليك يا ملاكي .. سأطلب الغفران من ربي عله يغفر لي خطاياي حتى يجمعني الله بك في الجنة .. ارقدي في سلام يا مليكة الروح ."

***

قرأ عمرو على صفحة Mi Min : وهل هناك أجمل من هذه الاغنية في عيد الحب :

أهواك بلا أملِ .. وعيونك تَبْسِمُ لي
وورودك تغريني .. بشهيات القُبَلِ
أهواك ولي قلبٌ .. بغرامِك يلتهبُ
تُدنيه فيقتَرِبُ .. تُقصيه فيغتَرِبُ

Des. Maryam Tamim

في الظُلمةِ يكتَئِبُ .. ويُهَدهده التعبُ
فيذوبُ وينسكِبُ .. كالدمع من المُقَلِ
في السهرةِ أنتظرُ .. ويطول بي السهرُ
فيُسائِلني القمرُ .. يا حُلوة ما الخبرُ
فأُجيبه والقلبُ .. قد تَيَّمهُ الحبُ
يا بدر أنا السببُ .. أحببتُ بلا أملِ

كتب لها رسالة خاصة :

عمرو القاضي : إذن أنت السبب .

Mi Min : السبب في ماذا ؟!

عمرو القاضي : أن أحببتيه بلا أمل .

Mi Min : (وجه يضحك) أحيانا لا يكون لك اختيار.

عمرو القاضي : هل هذا اعتراف أنك في حالة حب بلا أمل ؟.

Mi Min : وهل كل أغنية تحبها وتسمعها مرارا وتكرارا تكون بالضرورة معبرة عن حالة شخصية .. فرح .. حزن .. انتقام .. مرارة ؟

عمرو القاضي : هل ستراوغين كثيراً كلما سألتك سؤالاً شخصياً ؟.

Mi Min : أنت تعرف لا أحب الأسئلة شخصية.

عمرو القاضي : حسنا لن أضغط عليك .

Mi Min : هل أنت غاضب مني ؟ (وجه يختبئ في كفين حرجا)

فترة صمت .....

عمرو القاضي : لست غاضبا أنا أحترم خصوصية كل إنسان وإن كنتِ لا تريدين .. فلن أفعل يا ميمين .

فترة صمت .....

Mi Min : لمَ أنت صامت ؟

عمرو القاضي : لا شيء .. اذن اسمك هذا بالكورية وليس بالصينية كما اخبرتيني من قبل .

Mi Min : نعم .

عمرو القاضي : لم أكن أعرف أن الحروف تختلف بين اللغتين .

Mi Min : بل تختلف.. الصينية عن اليابانية عن الكورية .

عمرو القاضي : وهل تتحدثين الكورية ؟

Mi Min : قليلا .. التحقت بدروس عبر الانترنت.

عمرو القاضي : ولماذا الكورية بالتحديد ؟

Mi Min : أنا مولعة بدراما الشرق الاقصى كوري ، ياباني ، صيني ، تايواني ، تايلاندي .

عمرو القاضي : هاهاها .. لم اتخيل أن هناك دراما مستوردة غير التركية في وطننا العربي .

Mi Min : بالعكس .. هناك توجه منذ سنوات للدراما الآسيوية وخاصة الكورية .

عمرو القاضي : وأي منهم تفضلين أكثر ؟

Mi Min : امم .. أفضل الكورية .

عمرو القاضي : لمَ؟

Mi Min : تعجبني رومانسيتهم وأفهم منطقهم .. كما أنهم ينفذون الدراما بشكل ملفت جدا .

عمرو القاضي : إذن أنت شخصية رومانسية ... لم أتخيلك كذلك .

Mi Min : كيف تخيلتني إذن ؟

عمرو القاضي : من طريقة حديثك اشعر أنك حكيمة .. عملية .. ومثقفة.. وساخرة .

Mi Min : (وجه يختبئ في كفين خجلاً) أنا بالفعل كذلك لكن طبيعتي الرومانسية اخفيها في داخلي في منطقة ما.. وحينما تجوع أغذيها بالدراما أو بالروايات .

عمرو القاضي : إذن انتي لستِ في قصة حب ولست مرتبطة .

Mi Min : لماذا خمنت ذلك ؟

Des. Maryam Tamim

عمرو القاضي : لأن الجانب الرومانسي تخبئينه كما قلتي .

Mi Min : ربما أكون على علاقة أو متزوجة يا عمرو ومازلت عذراء من هذه الجانب.. الزواج شيء والحب شيء أخر .

فترة صمت .....

Mi Min : هل مازلت معي ؟

عمرو القاضي : معِك .

Mi Min : هل هناك شيئاً خاطئاً ؟

Mi Min : هل تختلف معي في موضوع الزواج والحب أم تراني جريئة لأطرحه ؟!!

عمرو القاضي : لا هذا ولا ذاك ..لكني لم يعجبني تلميح أنك قد تكوني متزوجة .

Mi Min : لماذا ؟

عمرو القاضي : لأنه ببساطة لا أحب الحديث مع امرأة متزوجة .. ما معنى دردشتنا .. هذا خطأ .

Mi Min : ما الفرق ؟؟!!

عمرو القاضي : الفرق أني لا يجب أن اتحدث معك في مناقشات مطولة إذا كنت متزوجة إلا في حدود المقالات التي انشرها ..ويفضل أن يكون في تعليقات الموضوع وليس في رسائل خاصة .. غير ذلك لا أقبل ذلك على نفسي.

Mi Min : لا افهم أين المشكلة ؟!!

عمرو القاضي : المشكلة اني أتحدث معك عن نفسي عن آرائي الشخصية .. اكشف لك جزاءا من روحي وأعتقد انك تفهمين السبب .

Mi Min : لا .. لا افهم السبب .

عمرو القاضي : حسنا .. عندما تفهمين نتحدث سلام .

Mi Min : عمرو .

Mi Min : عمرو !

Des. Maryam Tamim

***

انسحب سيد من السرير من جانبها وهو يتأمل الابتسامة التي ترتسم على وجهها وهي نائمة مسترخية .

اليوم بالذات كرسه لها عله يخفف من احساسه بالذنب تجاهها.. اخذها الي مطعم كبير ثم تجولا بمحلات أحد المولات الشهيرة وابتاع لها ملابس وأحذية.. كانت سعيدة مثل طفلة صغيرة ..

تأمل جسدها المنحوت بروعة .. حين اختارها كزوجة اختارها لهذا الجمال الفاتن المبهر وكأنه يعوض نقصا ما بداخله أو يقدمها قرباناً لمارد يسكنه عله يرضى ويستكين.. لكن المارد يتوحش ويتوحش ويسيطر عليه .. يمنعه من الشعور بأي شيء خاص تجاه بسمة .

Des. Maryam Tamim

دخل الحمام وكأنه يتعجل الاغتسال من ملامستها وازداد إحتقاره لنفسه أكتر وأكثر من هذا الشعور .. هل إمرأة مثل بسمة غاية في النقاء تستحق منه أن يشعر معها بهذا البرود؟ !!..

لا ينكر أن جمالها يرضيه كرجل .. لكنه أدرك مؤخرا أنه احتياج روتيني كان يتعامل معه قبل الزواج ببعض الشقاوة والعبث مع الفتيات .. لكنه يبقى مفتقدا لما يسد جوع روحه ...
وجراح قلبه ...
وحدته الصقيعية التي تسكنه حتى جزئيات الجزيئات..
وكثيرا جدا من مشاعر اليُتم في داخله ..

وقف تحت الماء يوبخ نفسه " أنت ككلب ضال تعض يد المحسنين إليك .. تزوجتها لتهرب من ورطتك.. تدفن مكنونات قلبك .. وتلهي مارد ك

Des. Maryam Tamim

بجمالها الفاتن الذي يرضي غرور أي رجل..
لينقلب عليك المارد متمردا.. يضعفك أكثر..
يسيطر عليك .. يوشم محبوبتك باصرار على جدار قلبك.. يوشمها وشما أبديا .. لتقضي عمرك الباقي في خزي .. مرعوباً أن يفتضح أمرك "
وقف أمام خزانة الملابس عارياً يبحث عن ملابس يرتديها .. ثم اختلس نظرة لبسمة ليتأكد من أنها نائمة ومد يده للرف العالي يسحب كيساً من الجلد .. فتحه لتظهر سترة شتوية .

سترته التي لبستها حبيبته يوما عند الجامعة .. فمرر أصابعه على السترة كأنه يتحسس بقاياها عليها .. وقف بتردد يقاوم ما يلح عليه قلبه في تلك اللحظة .. لتظهر ملامح المعاناة لما يدور في داخله من صراعات على وجهه وهو يقبض على السترة بقوة ..
واستسلم ..

Des. Maryam Tamim

استسلم للمارد الملح .. الذي أقنعه أنه لا يفعل أمراً خسيساً .. فأحنى رأسه نحو السترة .. واقترب يتشمم عطرها العالق به .. في نفس طويل ملأ به صدره ..

زفره بعدها بوجع وهو يعيد الكيس مرة أخرى فوق الرف العالي .

بعد دقائق تسلل من الغرفة بعد أن ارتدى ملابس مريحة ليستلقي على الاريكة في غرفة المعيشة .

فتح الفيسبوك من هاتفه وكتب منشوراً :

"وماذا لَو أخبَرتُك بأنّي أُخبئ لك حبًا أعظَمُ ممّا أظهرتهُ لك ".

فجأة رن هاتفه بنغمة يخصصها لها وحدها..فتمتم بلهجة معذبة وهو يغمض عينيه " ليس الآن ! "

لم يستطيع المقاومة ..

وعد نفسه بالحديث معها لثانيتين فقط ..

Des. Maryam Tamim

سيسمع صوتها لثانيتين فقط ..

فأجاب بلهفة وهو يتصنع الحزم " اتصالاً آخر في الليل يا آنسة "
ضحكتها رنت في أذنه فارتعشت أوصاله المتجمدة وهي تستقبل نفحات من دفء يتسرب إليه.. بينما قالت آية بحماس " اليوم عيد الحب .. والنوم يجافيني اسمع أغان تغذي روحي.. هل لك أن تلف لي سيجارة منتقاه في هذه المناسبة العظيمة "

"ماذا لو غنيت أنا لك كيفما تريدين ؟ (قالها في سره.. ثم قاوم مشاعره بحزم وقال) أنا مرهق اليوم يا آية "

قالت بشقاوة " هل ابعث لك أحلى اغنية حب في نظري"
سألها في فضول "ما هي؟ "

Des. Maryam Tamim

ردت بحماس " أغنية انجليزية اسمها All of Me
لجون ليجند "

راوغ ببعض الحزم وهو يتعرف على الأغنية وإن كان
لا يفهم كل كلماتها " اعرفها.. جميلة".

قالت مصححة " بل مذهلة .. قمة الحب
..والتفاني .. واللوعة "
الضعف يتسلل إليه والمارد يعافر للسيطرة على
مقاليد الأمور فقاوم وقال " حسنا يا آنسة ملتاعة
.. اذهبي للنوم فورا .. وكفاك تنهيدات المراهقين
.. تصبحين على خير "

أغلق الخط ثم زفر نادماً .. ربما لو أطال الحديث
معها اكثر.. هذه الليلة فقط ...

Des. Maryam Tamim

تنبيه على الواتساب ليجدها أرسلت له الأغنية مصورة ومترجمة بالعربية ..فشاهدها وهو مستلقي على الاريكة متمتماً "يا وليك يا سيد .. وكأن الحرمان قدرك "

بينما صوت جون ليجند يتسرب لأذنه :

“You’re crazy and I’m out of my mind
Couse all of me, Loves all of you “

الفصل الثامن

بعد شهر :

زفرت بانة في غيظ وهي تتحرك لتفتح باب شقتها .. من سيكون سوى ابن سماحة الغليظ الذي يتلذذ في ازعاجها يومياً.. ليقف يتحدث في أمورعادية على باب الشقة مثل الحاحه بأن تلتحق بدروس التايكوندو مع عمرو.. وهي تماطل وتستشعر الحرج .. وربما الخوف من التلامس عند التعامل معها كشاب وليس فتاة .

فتحت الباب لتفاجأ بوجه وائل الضاحك أمامها وبجانبه سيد.. وعمرو يقف مسjندا للحائط .. أما أحمد فيقف في آخر الصف يراقبهم.. فتعجبت متساءلة عن سبب وجودهم أمام شقتها للمرة الاولى !.

تنحنح وائل وقال بحرج " اليوم عيد ميلاد أروى أخت أحمد.. وهو يرغب في أن يقيم لها احتفالا

Des. Maryam Tamim

مفاجئاً ....لكننا لا نريد إزعاج الحاج والحاجة بصخبنا .. بالاضافة لأننا لن نكون على راحتنا في وجودهما "

أكمل سيد الحديث " أنت تعلم أن أروى تتحرك على كرسي متحرك .. ولن يعجبها أن يحملها أحمد إلى الخُن عبر الشارع .. وحتى لو اغلقت المقهى.. لن يكون الوضع مريحاً بالنسبة لها.. ففكرنا .. إذا لم يكن لديك اعتراض ربما تجمعنا عندك في شقتك "

شعرت بانة بالارتباك والحرج.. فلم تتخيل أبدا أن يجتمع هؤلاء الشباب عندها في شقتها ..

فقالت بارتباك " لحظة واحدة"

ثم اغلقت الباب ...

فتبادل الشباب النظرات في حيرة .. هل هو موافق أم معترض؟!..بينما هرولت بانة بجزع في صالة الشقة تتفحص أي شيء قد يثير الشك .. ودخلت الحمام وتأكدت أن ليس هناك ما يثير الشك ..

Des. Maryam Tamim

عادت للصالة بجوار الباب تتحسس المشد حول جذعها جيدا.. لتجري بسرعة إلى غرفة النوم ترتدي سترة خفيفة .. فهي تفضل إرتداء السترات أو القمصان الرجالية المفتوحة فوق ملابسها حتى تخفي أي بروز .

نظرت لنفسها نظرة سريعة في المرآة وتمتمت في سرها " ازددتِ بعض الكليو جرامات يا بانة.. وهذا سيؤدي لفضيحة .. عليك اتباع حمية غذائية (وأكملت بلهجة بائسة) .. بل الامتناع عن الأكل من الاساس ! ".

جرت نحو الباب مرة أخرى وقبل ان تفتح تذكرت اسدال الصلاة الذي كانت تصلي به في الصالة .. فانتشلته من خلف الاريكة وجرت به إلى غرفتها.. لتقف حائرة لثوان ..

أين تضعه؟.. أين؟.. أين ؟..

أخيرا رفعت مرتبة السرير ووضعته تحتها .

Des. Maryam Tamim

عادت من جديد لباب الشقة.. ثم أخذت نفساً عميقاً وجففت بعض قطرات العرق .. لتفتح الباب على مصراعيه بعدها بابتسامة واسعة .. ونسيت تماما مع كل هذه الاحتياطات.. أن تغطي ابتسامتها كما تفعل عادة .. فابتسامتها حلوة ومغرية.. وبالطبع لن تكون مثل ابتسامة .. أي ذكر محترم ..

استقبل وائل ابتسامتها باندهاش ثم ضحك ودخل .. وهو يغمز لها بهمس " لديك ابتسامة تمكنك من العمل في الاعلانات يا فتى صدقني "

ابتلع أحمد ريقه وهو يستقبل الابتسامة الـ ... التي لا يجد لها وصفا منطقيا يليق بها .. وصعد لاحضار أروى .

بعد قليل كان يحمل أروى وينزل السلم وهي ذاهلة لا تفهم سببا لما يفعله فهتفت بارتباك "من أين ظهرت فكرة أن نجلس في شقة صاحبك الغريب " قال ببرود " احترسي فكلمة (الغريب) ستثير كرامته المتورمة.. وسيلقي عليك محاضرات مملة بطريقته المتفلسفة "

هتفت أروى بعصبية " انتظر أحمد.. انتظر " توقف أحمد على السلم بتساؤل فقالت بغيظ " هل تخطط للجمع بيني وبين رامز ؟!"

قهقه أحمد ثم قال " من ؟.. أنت ورامز ؟!!!!! (وأكمل يغيظها) اعترف أنك عانس .. ويائسة .. لكن ليس لدرجة أن أزوجك لسلطة الفواكه هذا " ضربته على كتفه بغيظ لكنه تجاهلها وتابع النزول مستطردا " حين اقرر تزويجك .. فسيكون لرجل يضج رجولة قلباً وقالباً حتى يكون جديرا بأميرتي الحلوة وسأحرص على أن يعوضها عن كل ما فاتها

Des. Maryam Tamim

(التمعت عيناه بسادية وأكمل) ولكن أبشري ..فأنا لن اوافق على زواجك أبدا .. وسأكسر قدم أي بغل يجرؤ على الاقتراب منك "

ردت بضحكة صفراء مستخفة " يالها من بشرى!"
عند باب الشقة ضغط على الجرس فتحسست حجابها بحركة لا شعورية تتأكد من ثباته ثم همست بارتباك "ما هذا المنظر أصلا !.. ادخل وأنت تحملني "
فجأة انفتح الباب لتفاجأ بهم كلهم يغنون أغنية عيد الميلاد .. فصرخت بسعادة من المفاجأة واحمرت وجنتيها.. لقدا مر وقتاً طويلاً لم ترهم مجتمعين.
دخل أحمد واجلسها على كرسي في الصالة وصعد ليحضر كرسيها .. فتبادلوا السلامات بينما بانة تراقب أروى باعجاب من أول نظرة.. لقد كاد

Des. Maryam Tamim

الفضول أن يقتلها لتتعرف على من يطلقون عليها توأم أحمد .. وهذه هي المرة الاولى التي تراها...

التفتت أروى بلباقة تمد يدها لبانة بثقة مرحبة " أهلا أستاذ رامز سعيدة بالتعرف عليك " .

سلمت عليها بانة بمحبة .. معجبة بذلك البريق الشامخ الذي يطل من عيني أروى .. وتمتمت ببعض كلمات الترحيب بخجل..
ليدخل أحمد وحمل أروى مرة أخرى ويجلسها على كرسيها ثم يقبل رأسها وهي ترفع يدها بعفوية تربت على وجنته.. فجلس على المقعد الملاصق لكرسيها بينما بانة تراقبهما باندهاش..

إن النظرة التي تطل من عيني أحمد تجاه أروى تفيض حنانا ودفء .. لم تتخيل هذا الوجه أبدا لابن سماحة ..

Des. Maryam Tamim

وفي الوقت نفسه اشفقت على تلك الرقيقة الشامخة المفعمة بالحياة أن تقضي حياتها على كرسي متحرك .. فايقنت أنها كلما أقتربت من حياة الناس آمنت أن كل إنسان له قدره .

تحرك سيد نحو أروى يقول بمرح " وهذه هديتي للأميرة "
مد يده بصندوق هدايا صغير بينما تعالت صيحات الاعجاب.. فابتسمت أروى وهي تفتح الصندوق وسيد يغمز لها بشقاوة قائلاً " كنت أود أن أحضر لك قلبي"
تعالت الصيحات مرة أخرى وأروى تقهقه.. مدركة أن سيد قد تحرر من حرجه تجاهها بعد أن تزوج فأنطلق يشاكسها بمزاح كعادته .

ردت تغيظه " ومن قال أني سأقبله "

Des. Maryam Tamim

وضع سيد يده على قلبه متألماً بحركة مسرحية بينما علت ضحكة وائل ..
فتحت أروى الصندوق الصغير لتجد قطعة شيكولاتة فاخرة .. فاحمرت وجنتاها في سعادة وحرج فلم ينس سيد عشقها الأثير للشيكولاتة بالذات .
رن جرس الباب مرة أخرى ففتحت بانة لتجد آية تدخل وهي ترمقها بنظرة جليدية ثم تجاوزتها دون حتى إلقاء التحية ..فاطلق وائل صفيراً يقول بابتهاج " وها هي صغيرة الشِلة ليكتمل هذا الجمع الجميل"
ابتسمت آية وتحركت لتجلس بجوار أحمد في الجهة المقابلة لسيد .. تتطلع إليهم وهي تكتم فرحتها .. فلم تصدق حين استيقظت منذ قليل من قيلولتها لتجد رسالة من أحمد مع والدتها أنهم يجتمعون في شقة رامز لعيد ميلاد أروى ويمكنها

Des. Maryam Tamim

اللحاق بهم... بل إنه ترك لها رسالة على الواتساب بنفس المعنى ! ..

مر وقت طويل لم تحضر تجمعهم .. آخر مرة ربما كانت طفلة تجلس على حجورهم .. فجلست في هدوء وترقب لا تنوي القيام بأي مشاكسة..

في نفس الوقت وصلها تنبيه على الهاتف ففتحته لتجد رسالة من سيد يقول " لا أريد أي شقاوة تفسد الليلة "

رمقته بنظرة معاتبة ثم أومأت برأسها وهي ترفع يدها أمام فمها تشير له بأنها ستغلق فمها تماماً..فابتسم لها سيد تلك الابتسامة التي يخصها بها وحدها .. لتكافئه بابتسامة تقطرعسلا أذابت أعصابه .

أما بانة فتأملت الحاضرين .. وهي لا تزال مشدودة الأعصاب ومرتبكة .. على يسارها في مواجهة الباب

Des. Maryam Tamim

تجلس أروى الشامخة على كرسيها بابتسامة تشع ألقا وإيجابية .. بجوارها أحمد ملاصقا لها مع حقيقة تكتشفها بانة لأول مرة عنه وهي تعلقه القوي بأخته أروى.. على يسار أحمد تجلس آية هادئة ومتحفزة في ترقب ترمق سيد بنظرات مسروقة .. وعلى الأريكة الكبيرة تحت النافذة يجلس وائل وقد وضع على المنضدة أمامه أنواعاً من التسالي والمكسرات يأكل منها بتسلية .. وفي الجهة المقابلة لأحمد وآية يجلس سيد وبجانبه عمرو بجوار باب الشقة .. والذي يبدو صامتاً ومتحفظاً أكثر من طبيعته .. بل إنه يدفن وجهه في هاتفه يطالعه باهتمام بوجه خشبي الملامح .. فتساءلت بانة هل هو مستاء منها لأنها لم تحضر دروس التايكوندو كما أراد أحمد؟ ..

سحبت بانة كرسياً خشبياً وجلست بجوارعمرو لكنها لم تعرف عم تتحدث معه.

Des. Maryam Tamim

بينما زفر عمرو في غيظ محافظاً على وجهه الخشبي .. فهو لا يحب طريقة سيد العابثة اللزجة في المزاح مع أروى .. ولم يستطع الفرار من إلحاح أحمد بضرورة تواجد الجميع .. كان عليه أن يتحجج بأي حجة لعدم الحضور .. فهو يبدو دائماً وأبداً أحمقا في حضرة أروى.. مبتلعاً لسانه .. لا يجيد الكلام ولا المجاملات ولا تهاني عيد الميلاد.. ويتحرج من أن يفعل تلك الافعال اللزجة التي يمارسها سيد مع أروى .. كما أن وضعها يثير في قلبه الشفقة والألم ويشعره بالعجز دائما عن ايجاد كلمات مشجعة أو مواسية .. وخاصة أنها لا تحتاج لشفقته ..

فقط لو يتوقف سيد عن ذلك الاستظراف والمرح اللزج معها ستمر الليلة خفيفة عليه .. كما أن أحمد هذا يغيظه .. كيف لم ينبهها أن الجلسة ستكون بحضور الشباب فترتدي زياً أكثر حِشمة من هذا الذي ترتديه ..

Des. Maryam Tamim

ما هذا الفستان القصير ذو الالوان الربيعية والتي يجهل مسمياتها .. صحيح أنها ترتدي بنطالا من الجينز الأرزق تحته لكن الفستان قصير والبنطال يلتصق بفخذيها مظهرا نحافة ساقاها الرشيقان..

وهي تجلس على الكرسي

هذا موضوع .. بينما جوربها موضوع آخر ...

فهي ترتدي جورباً سخيفاً جداً .. قصير .. على شكل حذاء الباليرينا.. لكنه مصنوع من قماش خفيف منقوش بنقشات صينية ..

و...

كيف لم يلحظ ذلك من قبل وهو يحاول غض بصره ؟!! ..

أترتدي خلخالا فضيا !..

خلخال !!!!!

شعر برغبة ملحة في إلقاء أحمد من النافذة ..

كيف يسمح بذلك؟! .. كيف ؟؟!

Des. Maryam Tamim

يعترف أنه لا يشك لحظة في أي نوايا خبيثة لوائل أو حتى سيد اللزج تجاه أروى فهي دون أي شك كأخت لهم ... وأن الثقة متبادلة بين أربعتهم بدون نقاش .. ثقة بنيت على مدى سنوات طويلة جمعتهم ... لكن هناك شخصاً غريباً في هذه الجلسة لا تُعرف نواياه ولم يخضع لاختبارات الثقة التي خضعوا لها على مدى ربع قرن من الصداقة والاخوة ..

زفر عمرو مجدداً ودعا أن تنتهي الليلة سريعا واستدار متعمداً يجلس بزاوية حتى يغض بصره عن ذلك الجورب الملفت والخلخال الفضي المستفز ..مستمرا في التقليب في هاتفه يتابع صفحة Mi Min بالتحديد .. لقد مر شهراً كاملاً منذ أخر مرة تحدثا .. أرسلت هي له في بعض المرات .. لكنه لم يستجب مقاوماً بداخله شعوراً كبيراً بالافتقاد للحديث معها .. فقط .. لو تصدق معه ليضع حداً لتعلقه بها الذي بات يدهشه !.

Des. Maryam Tamim

دق جرس الباب للمرة الثالثة ..فوقفت بانة القريبة من الباب لتفتح .. فوجدت طأطأ صبي المقهى يدخل بأورج موسيقي وجيتار .. فلاح عليها الذهول لتجد سيد خلفها يتسلمهم وهو يقول " وها قد وصلت أدوات الاحتفال "
صفقت أروى بفرح قائلة " هل ستكون ليلة غنائية؟ .. اشتقت لصوتك "
رد سيد بمرح " وأنا تحت أمر الأميرة أرورا "
رد أحمد ببرود " اخرس يا ولد.. أنا فقط من أدللها بهذا الاسم "

بعد أن ناول وائل الآلات الموسيقية اقترب منها سيد ليقول باستعطاف " هل أطمع بأن اسمع عزفك على آلة الكمان الليلة ؟ "
ردت بصوت متأثر " آسفة سدسد لا استطيع "
قال بنفس التأثر " عليك العودة إليها .. مؤكد أنها اشتاقت لك "

Des. Maryam Tamim

ردت بمراوغة "حسناً أعدك أني سأحاول ولكن ليس الليلة .. سامحني "

كانت بانة مستمرة في مراقبة الجميع ..فتجمعهم في شقتها يشع طاقة ايجابية لمشاعر انسانية تفتقد لدفئها جدا .

ارسلت آية رسالة لسيد تقول " هل ستغني ؟ .. أخيراً سأنال شرف سماع صوتك " .
كتب لها ساخراً " أتمنى أن يعجب صوتي قطعة السكر".
مال أحمد على أذن أروى يهمس " كيف هو انطباعك عن رامز؟ "
استدارت إليه هامسة " ماذا تقصد ؟"
رد بهمس" اقصد انطباعك عنه كأنثى "

Des. Maryam Tamim

رفعت حاجباها وقالت باستنكار" ألم تقل أنك لا تفكر فيه من هذه الناحية .. كما أنه يبدو أصغر عمرا مني "

زفر أحمد وهمس" لا اقصد انطباعِك من هذا الاتجاه أيتها العانس الوقحة "

وضعت يديها تكتم ضحكة قبل أن تخرج وقالت " لا تنفعل .. أراه لطيفا جدا .. ويبدو لي ناعماً بعض الشيء.. مثل بعض الممثلين الكوريين .. اعتقد انه إذا سافر إلى كوريا يستطيع استغلال وسامته في الميديا .. "

علا صوته في حماس وهو يضربها على رأسها بصبيانية " كنتُ أعلم أن لديك نظرة ثاقبة مثل أخيك.. وتفرقين جيدا بين الموز والكمثرى " .

ضحكت أروى وهي تدلك رأسها بتوجع .. بينما بانة تراقبهم في إعجاب ..وهي تهمس لنفسها " إذن يا

Des. Maryam Tamim

باشمهندس أحمد نستطيع أن نلقبك لقباً جديداً وهو (السيد الحنون.. مع أروى فقط) ! ".

دق جرس الباب للمرة الرابعة فتمتمت بأنة لنفسها بسخرية "الاقبال على شقتك اليوم تاريخي يا بنت الخازن !"
فتحت الباب لتجد فتاتين الاولى بشعر بني ينزل كضفيرتين طويلتين على كتفيها فتغطي نهدين وليدين في مهدهما .. خمرية الوجه بنغزة في خدها الأيسر وتشع من عينيها الشقاوة والمرح..
أما الأخرى فشعرها بنفس الطول ونفس الضفيرتين ولكن بلون كسلاسل الذهب .. بيضاء البشرة تعقد حاجباها بعبوس .

نظرت إليهما بانة في تساؤل فقالت ذات الضفائر البنية بابتسامة طفولية " بابا .. أتينا لبابا "
اتسعت عينا بانة في اندهاش مرددة " بابا !! "

Des. Maryam Tamim

ثم نظرت للداخل بتساؤل ..فهتف وائل " ادخلا يا بابا "

دخلت الفتانان بخجل طفولي فهتفت بانة مندهشة " بناتك ؟!"

ابتسم وائل في فخر .. فقالت " لم أتخيل أنهما آنسات (ثم مالت على ذات الضفيرة البنية) كم عمر الحلوة؟ "

ردت بابتسامة مليحة " إحدى عشرة سنة وهذه توأمي.. أنا أنجيل .. وهي ميري "

فتحت أروى ذراعيها بحنان للصغيرتين فأسرعت إليها أنجيل متخطية بانة بينما وقفت الشقراء بجمود فاشارت إليها أروى فتحركت بتثاقل تقبلها.

أشار وائل للأكياس التي أحضرتها الصغيرتان وقال "أحضرت طعاما .. وأرجو أن تسمح لنا بطهيه في مطبخك .. فلم أرد أن أطلب من زوجتي أن تطهيه "

Des. Maryam Tamim

ضحك سيد معلقاً " حمدا لله أنك لم تطلب منها طهيه .. كانت ستضع لنا السُم فيه "
انفجر الجميع في الضحك فتساءلت بانة ليرد أحمد مفسرا " زوجته تكرهنا جميعا .. وتود لو تسممنا .. لتتخلص منا "
عم الضحك مرة أخرى بينما قالت بانة " أنا سأطهو الطعام .. فأنتم في بيتي .. ولو كنت أعلم بهذه الزيارة لكنت أعددت لكم ما يليق "
هتف وائل غامزا " إذن كلنا شوق لنأكل من يدك يا دكتور "
كان سيد قد تحرك ناحية أروى ليرحب بالفتاتين فقبل رأس ذات الشعر البني .. فأقبلت عليه تقبل خده في مرح .. أما الشقراء ذات الوجه الجاد ميري فانكمشت واغلقت قبضتيها بجانبها بتوتر وهي تحدج أختها بنظرة موبخة أن تكف عن هذه الميوعة ..

Des. Maryam Tamim

فوقف سيد بجانبها يشاكسها قائلاً " أنا أحب الشقراوات جدا "
احمرت وجنتي الفتاة لكنها وقفت بنفس الجدية فاستطرد سيد " هل تتزوجيني ؟"
عم الضحك .. بينما ردت ميري " لا "
فسألها مدعيا الاحباط " لماذا ! "
ردت بجدية " أنت مسلم وأنا مسيحية "

عم الضحك ..
فقال سيد يغيظها بصبيانية " ما المشكلة .. يجوز"
تكتفت في حركة دفاعية وقالت " لكنك متزوج بالفعل "
رد بنفس الصبيانية المستخفة " الشرع لدينا .. يحلل لي أربعة زوجات "

Des. Maryam Tamim

زفرت في حنق تدير وجهها في تشنج .. بينما سألها وائل باستغراب " من أين لك بأمر مسلم ومسيحي هذا يا ميري ؟ "

ردت بعبوس " أمي أخبرتنا "

رفع وائل عيناه وهو يزفر في يأس.. بينما قال أحمد ليشجعها على مقارعة سيد " أرفضيه لسبب وجيه يا فتاة "

استمر سيد في اغاظتها قائلا " مازلت انتظر سبباً للرفض "

أخذت ميري نفساً عميقاً تحرك عيناها في حيرة ثم قالت باندفاع" لن أتزوج شخصا في عمر أبي عندما أكبر أنا .. ستكون أنت عجوزا "

انفجر الجميع في الضحك.. وصفق لها أحمد قائلا "إجابة ذكية .. أفحمتيه "

Des. Maryam Tamim

استأذنت ميري للعودة للمنزل وهي تشد أختها التي كانت توزع ابتسامات مجانية حلوة على الجميع .. وبدى أن لديها رغبة كبيرة في الجلوس معهم.. فشدتها أختها بحزم بينما أنجيل تطالع أحمد بعينيها الصغيرتين في وله وتتنهد .

مالت بانة على عمرو تقول في دهشة " هل وائل مسيحي ؟!!!! "
رد دون أن يرفع عيناه عن هاتفه " أجل (ثم نظر لها ليسأل بتحفز) ألديك مشكلة ؟! "

أجابت بانة بسرعة " إطلاقا.. أنا لست عنصرية أبدا.. أنا.. فقط... تفاجأت .. فلم ألحظ ذلك طوال هذه الفترة "
رد بإستخفاف" وكيف من المفترض أن تلاحظ ؟ .. هل عليهم أن يمشوا في الشارع بعلامة مميزة؟!!! "

Des. Maryam Tamim

شعرت بانة بالحرج من أسلوبه المهاجم ..
فأسرعت بالقول وهي تتركه " لم اقصد شيئاً
صدقني .. بالعكس اشعر بمشاعر ايجابية لهذا
التآلف بينكم دون تفرقة بين دين وآخر "

جاء صوت أحمد موجهاً الكلام لوائل " يبدو أنهما
قد بدأتا في سن المراهقة "
رد وائل" أجل.. وانتبه أنت أيضا فأنت فارس أحلام
أنجيل.. حالياً "
ضحك أحمد وقال " لي الشرف أن أكون فارس
احلام هذه الوردة الصغيرة "
قالت أروى بجدية " حمداً لله فميري لا تطيق
سيد .. ولا اتوقع أنها تهتم بفكرة فارس الأحلام
حاليا"
وضع وائل بعض المكسرات في فمه ورد " من قال
هذا؟ ... إنها مهتمة .. ومهتمة جدا "

Des. Maryam Tamim

نظر إليه الجميع فحرك عيناه تجاه عمرو الغارق في هاتفه المحمول.. لتنتقل الانظار لعمرو و يهتفون " أووووووه !!!"

رفع عمرو وجهه وقد احمرت أذناه ثم اعتدل في جلسته قائلاً بجدية " لمَ لم تخبرني من قبل ؟"

رد وائل باستغراب " ولمَ أخبرك ؟! "
قال عمرو " لأنني أدربهما على التايكوندو في النادي .. وفي هذه الحالة مع المراهقين .. اتعامل بحرص أكثر من العادي .. وأدقق في انتقاء الكلمات ذات المعنى الواحد حتى لا تُفهم بمعانٍ أخرى "
رد وائل ببساطة " عموما أنت تعرف الآن "
سألت أروى عمرو " تبدو متمرساً في التعامل مع هذه الأعمار "

Des. Maryam Tamim

أجاب عمرو بهدوء " أنا أدرب الأطفال والمراهقين .. لهذا حصلت على شهادة تربوية في كيفية التعامل مع المراهقين لأنها مرحلة شديدة الحساسية " كانت بانة تتابع الحوار من المطبخ وقد وجدت بالأكياس لحم متبل فقررت شوائه على شواية صغيرة إبتاعتها منذ فترة ..

بعد دقائق قال وائل بجدية " أوصيكم ببناتي "
قال سيد بانزعاج " ما مناسبة هذا الكلام ؟! "
رد وائل بهدوء " لا أحد يعرف متى يحين أجله"

تمتم سيد بلهجة مرحة " أطال الله في عمرك يا أبا البنات "
ثم هتف بطريقة استعراضية مسرحية " إذن نبدأ حفلنا الساهر .. وسأسلطنكم بالغناء .. سيختار كل فرد من الحاضرين أغنية .. وسيقوم شخصي المتواضع بغنائها والعزف على الجيتار بينما يقوم

Des. Maryam Tamim

وائل بالعزف على الاورج (ونظر لأروى واستطرد)
نبدأ بأميرة الليلة ونسألها أن تختار أغنية "
احمرت وجنتي أروى وظهرت السعادة على وجهها
وقالت دون تردد " أختار أغنية مدحت صالح ..
قلب واحد "
ارتجف سيد عندما أخبرته باسم الاغنية .. ها هو
المارد يتراقص بداخله سيغنيها أمام شمسه
الصغيرة.

بدأ العزف وبدأ صوت سيد ذو البحة يصدح
بكلمات الأغنية وهو يتعمد عدم النظر في الجهة
المقابلة أمامه .

قلب واحد مش كفاية في حبي ليك
إنت محتاج ألف قلب يحب فيك
قلب يعشق بس صوتك
قلب يتأمل سكوتك
قلب تاني عشان عنيك

Des. Maryam Tamim

إرتجف قلب آية وصوته يتغلل في مشاعرها ويدغدها ..
فإذا كان الطرب يؤثر بها.. ويحررها في عوالم موازية.. فكيف اذا سمعته من سيد بالذات ..
وبهذا الاحساس المتدفق الذي ينساب كنهر من المشاعر مع صوته ..
لقد تخيلت كثيراً كيف سيكون صوته لكنها أدركت الأن أن الحقيقة أروع مما تخيلاتها .

تأملت وجوههم جميعا لتتأكد أنها لم تكن وحدها من تشعر بهذا الاحساس فقد كانوا جميعا في حالة سلطنة حتى عمرو ذو الوجه الخشبي بدا مستمتعاً متسلطناً .

أكمل سيد الاغنية متحكما في نظراته حتى لا تفضحه.. لكن قلبه كان يتمعن في كل حرف وهو يقول في سره " ما أروع اختيارك يا أروى! ".

جوايا ليك إحساس كبير.. نفسي اقوله
مانتا عندي حلم .. آه لو بس أطوله .

تسارعت نبضات قلب أروى تعزف على أوتار الوجع.. وخانتها عيناها لتنظر إلى الجهة المقابلة تتأمله وهو يستمع للاغنية بوجه متحفظ يحدق في الأرض بإنصات وشرود بينما صوت سيد يغني بشجن :

آه لو الأيام تاخدني
من مكاني لحد عندك
وألمسك وأخدك في حضني
وأنسى كل الدنيا بعدك مش كتير لو قلت فيه .

Des. Maryam Tamim

تمتمت أروى في سرها مسترقة النظر نحو عمرو "
بل يكفي أن أُهدى من وقت لآخر هدية مثل هديتي
اليوم وهي رؤياك ..
فياليت العيد يأتي كل يوم .. وأحظى بوجودك
كهدية.
حتى وإن ظللت صامتاً متجاهلاً أو جاهلاً ..
بحقيقة أُناس.. يستجدون البقاء في حضرة وجودك
البهي الصامت .. ولا يجرؤون على الطمع في أكثر
من مجرد مليء عيناهم برؤيتك ! "

انتهى اختيار أروى ليأتي الدور على أحمد..
أما بانة فكانت توزع الوقت بين المطبخ والصالة
تراقبهم باستمتاع .
حرك أحمد كتفيه بلا مبالاة معترفاً بعدم وجود
أغنية معينة لكنهم أصروا عليه لاختيار أغنية فقال
بتردد "هناك مقطع لأم كلثوم يتردد في ذهني بدون
توقف مثل الزنانة .. اعيده واعيده .. لا أعرف

Des. Maryam Tamim

لماذا.. ربما التقطته أذني صدفة فعلق بذهني .. إنه المقطع الأول من قصيدة من أجل عينيك عشقت الهوى "

صاح الجميع بإعجاب وغمز له وائل يشاكسه"
أنها فاتنة بالفعل لكني لم أركز في عينيها"
ضيق أحمد عيناه بتهديد فردت آية بامتعاض " أنا لا أرى في رشا تلك أي فتنة .. إنها فتاة عادية مدللة ولا يوجد ما يميزها ".
أرادت بانة في تلك اللحظة التوجه إلى آية وتقبيلها من أجل هذا الرأي السديد .
بدأ سيد بالغناء فتحركت بانة باستهجان نحو المطبخ وهي تتمتم في سرها " يبدو أنني سأكره القصيدة كلها منذ الآن (ثم زفرت تتمتم باستنكار) يا فاتناً ! "
بدأ سيد الغناء :
من أجل عينيكَ.. عشقتُ الهوى

Des. Maryam Tamim



بعد زمانٍ كنتُ فيه الخلي
وأصبحت عيني بعد الكرى
تقول للتسهيد .. لا ترحلي
يا فاتناً .. لولاه ما هزني وجدٌ
ولا طعم الهوى .. طاب لي
هذا فؤادي .. فأمتلك أمره
عذِّبه إن أحببت .. إن أحببت
او فأعدلِ .

عندما جاء دور آية رفع إليها سيد عيناه يغيظها
قائلا " لن أغني أجنبي "
ردت وعيناها تبرقان بالنجوم " ومن قال أني
سأطلب أغنية أجنبية !"
تدخل وائل يسألها " حسنا ما هو اختيارك آنسة
آية؟"
ردت وهي تتحدى سيد " سأطلب أغنية شعبية "

Des. Maryam Tamim

قال سيد متفاجئاً " حقا ! .. ومن أين لك هذا؟!!!!"

قالت مستمتعة بمفاجأته" بدأت اسمع الأغاني الشعبية مؤخراً لاكتشف سبب حبك له "
إلتمعت عيناه وهو يتطلع إليها باعجاب وقال " وهل اخترت أغنية شعبية قديمة أم حديثة يا آنستي؟"
قالت " قديمة "
رد باندهاش " أبهرتيني .. تفضلي "
قالت " اخترت موالاً "
رد وائل " ما أروعك !.. أي موال ؟"
نظرت لسيد نظرة غامضة وقالت " صاحبت صاحِب "
تمتم وائل " لا أذكره "
رد سيد وهو مازال ينظر في عينيها "أووووووف هدف ذهبي يا صغيرة .. موال لجمالات شيحة "

Des. Maryam Tamim

وارتجف قلبه وهو يسترجع كلمات الموال في رأسه متمتماً في سره " يا ويلك يا سيد ! .. الصغيرة تلعب وهي غافلة عن أنها تنبش في جروحك ببراءة " بدأ بالعزف على الجيتار بنغمات حاول أن تكون شرقية بينما تحرك وائل يحمل الأورج ليضعه على حجر أروى قائلاً " اضبطي أنتِ المقامات معه " فبدأت بالعزف على الأورج الكهربائي بأصابعها الرقيقة بخبرة واضحة .. وصدح صوت سيد بشجن اقشعر له جسد آية .

صاحبت صاحب يا ناس ...
ولقيت صاحبى ... مصاحب ...
وصاحب إتنين يا زمن ..
مايصدُقش مع... صاحِب ...
آه مـ الزمان والهوا .. إذا مالوا على صاحِب ..

لما أنت يا صاحبي .. من عشرتي ..
شبعت وانتهيت..
ماقولتليش ليه أدور لي على صاحب؟!!!!

انتهى سيد من الموال وهو يمسح عبرة رجولية تصر على السقوط من زاوية عينيه فضحك في حرج "اختيار ذهبي يا صغيرة "

فهمست في سرها " لم ولن أسمعها بهذه الروعة في حياتي إلا منك أنت "
حين جاء دور وائل هددهم بأنه لن يختار سوى أغنية حزينة كئيبة لا تتماشى مع الحدث لذا عليهم بتمرير دوره لكنهم أصروا وخصوصا أروى التي شجعته على اختيار أغنية حزينة هي تعشق أغاني الحزن .. فقال في شجن " تذكروا انكم أصريتم .. سأترك سيد يخمن أي أغنية سأختار "

Des. Maryam Tamim

رد سيد يرفع حاجبا بتحد" وإذا اخترت أغنية تبكيك .. ماذا ستعطيني ؟"

رد وائل " لك ما تطلبه "

أشار سيد لأروى إشارة بلغة الموسيقى ثم بدأ العزف والغناء .

كدة !

كدة يا قلبي.. يا حتة مني.. يا كل حاجة فيا ..

كدة !

كدة هتمشي .. وتسيبني وحدي.. في الحياة .. والدنيا ديا

يعني ايه !

يعني خلاص انا مش هشوفك تاني ؟!

مش هلمسك.. مش هحكي ليك عن حاجة تاعباني ..

كنت روحي.. لما كان جوايا روح ...

عمري ما تخيلت انك يوم تروح ..

مش فاضلي مني غير.. حبة جروح ..

Des. Maryam Tamim

مع السلامة يا حبيبي.. وفي أمان ..
عمري ما هقول يوم عليك ماضي وكان ..
عمري ما انسى مهما طال بيا الزمان ..

انهمرت الدموع من عيني وائل مستغرقا في كلمات الأغنية حتى اكتشف فجأة أنها انتهت وأن الموسيقى سكتت ..وعم صمت ثقيل متعاطف .. فمسح دموعه بحرج محاولاً المزاح فربت على كتف سيد وقال " أثمرت فيك التربية يا ولد "

سيطر الفضول على بانة لكنها لم تستطع اللجوء لعمرو هذه المرة حتى لا يعضّها .. فمن الواضح أنه لا يطيقها الليلة بالذات .. فلجأت لأروى تسألها بحذر " لماذا يبكي ؟"
ردت أروى وهي تمسح دموعها متأثرة "تذكر خطيبته الراحلة مريم .. إنها حب عمره "

Des. Maryam Tamim

أومأت بانة رأسها بتفهم .. بينما قال سيد بحماس
" سأترك إختياري لآخر السهرة.. هيا يا عمرو..
اخبرنا باختيارك "
تنحنح عمرو واعتدل يقول بحرج " أريد أن أسمع
مقطع من أغنية لا اذكر اسمها "
رد أحمد متهكماً يدعي الذهول " لا تقل أنك تحس
وتشعر مثلنا وستطلب أغنية عاطفية !!!!!!!!!! "

رمقه عمرو بنظرة تهديد ثم أكمل بعد أن تنحنح "
المقطع الذي تقول فيه السيدة أم كلثوم (نظرة
وكنت أحسبها سلام) " ..
استمر أحمد في سخريته فقبل كفه باطنه وظاهره
ثم رفع سبابتيه عاليا يقول بتهكم " الحمد لله ..
الحمد لله .. عشت وشاهدت (عم أمين الآلي)
يطلب أغنية عاطفية "

Des. Maryam Tamim

كتمت أروى ضحكتها بينما علت ضحكة آية باستمتاع فبادلها عمرو ضحكة صفراء مستخفة " هل اعجبك استظراف هذا البارد !"

لم تستطع بانة فهم ما يحدث فلجأت لأروى مرة أخرى هامسة " هل عمرو له أسم آخر ؟ .. أمين؟"
تطلعت إليها أروى بعينين دامعتين من الضحك وقد أفلتت منها ضحكة بالفعل وهي تداري فمها بيدها ثم قالت مفسرة " هل شاهدت من قبل (فوازير جدو عبدو)؟ .. الرجل الآلي كان يدعى عم أمين الآلي "
هتفت بانة " تذكرت .. فهمت الآن شكرا "
حك عمرو جبينه بغيظ وهو يستغفر ويقاوم رغبة قوية في تسديد لكمة لهذا الـ رامز تلصقه في الحائط كالبعوضة ! .. بينما غمز وائل وقد استعاد مرحه المعتاد " يبدو أن التطبيقات الحديثة على الانترنت تُنطِق الحجر يا شباب " .

Des. Maryam Tamim



حدجه عمرو بنظرة نارية محذرة فكتم الشباب ضحكاتهم بينما علت التساؤلات على وجوه الفتيات .

بدأ غناء سيد :

هو صحيح .. صحيح ... الهوى غلاب ؟ ..
معرفش انا ! ..
والهجر قالوا مرار وعذاب !..
واليوم بسنة ! ..
جاني الهوى من غير مواعيد ..
وكل مادا حلاوته تزيد ..
محسبش يوم هياخدني بعيييييد ....
يمني قلبي بالافراح ..
وارجع وقلبي كله جراح ...
ازاي ياترى ؟ ...
اهو دة الي جرى .. وانا معرفش
نظرة وكنت احسبها سلام وتمر قوام
اتاري فيها وعود.. وعهود... وصدود .. وآلام

وعود لا تصدق ولا تنصان
عهود مع الي مالوهش امان
وصبر على ذلة وحرمان
وبدال ماقول حرمت خلاص
اقول يارب يزيدني كمان
ازاي يا ترى؟ اهو دة الي جرى
وانا معرفش !.

حاولت بانة التملص من الاختيار بحرج ولكن مع الاصرار اختارت أغنية لفيروز على أمل أن يكون سيد لا يحفظها لكنه صفق بجزل حين ذكرت اسم الاغنية ثم بدأ بالغناء :

بكرة إنت وجاي .. راح زين الريح ..
خلي الشمس مراية .. والكنار تصيح ..
وجمِّع ناس وعلي أقواس ..
وبكل شارع .. ضوي حكاية
بكرة إنت ومارق .. راح صور أبراج
أرسم البيارق .. ع روس الدراج

Des. Maryam Tamim



وصوت العيد .. يدق بعيد
والشجر يبكي ع المفارق
بكرة انت ومارق ..
يا حبيبي ..

وضعت أروى قبضتها على قلبها بتأثر وقالت لبانة
" اختيارموفق يا رامز "
فزفر عمرو بملل متمتما في سره بامتعاض " ها قد
اصبح رامز بدون أستاذ!! "
اما أحمد فجز على أسنانه وتمتم في سره هو الآخر
" بل اختيار أنثوي مراهق يا دكتور كمثرى "

رفعت آية نظرة مختلسة لسيد فأسرع بإغلاق
عينيه هربا وادعاء بتركيزه في الغناء .

بعد قليل ترقب الجميع اختيار سيد الذي بدأ
بعزف مقدمة موسيقية بالجيتار سرعان ما صفرت

أروى بمرح مثل صبي شقي وبدأت في مشاركته بالعزف على الأورج .. وقد التقطت اللحن الذي كان مميزا جدا لمسامع الجميع ..فضيق وائل عيناه في تساؤل يحاول التذكر .. بينما اسرعت بانة تقول " أوبريت الليلة الكبيرة "

صفق أحمد باستمتاع " الله عليك يا سيد " فقال سيد بحماس وقد توقف العزف " هل تذكرون حين مثلناها في حفل أخر العام في المدرسة الثانوية ؟ "
سألت آية باستفهام " مثلتم وغنيتم كلكم ؟"
أجابها وائل " هم الثلاثة كانوا بالصف الاول الثانوي ..وأنا كنت بالصف الثالث .. وأروى اعتقد كانت بالاعدادية .. كانت حفلة رائعة "

تدخلت بانة تسأل " أعتقد أن سيد يكبر أحمد وعمرو بعامين "

Des. Maryam Tamim

ابتسم سيد ورد بفخر " رسبت في الابتدائية مرتين .. فأصبحت معهم في باقي السنوات الدراسية "
كتمت آية ضحكتها فحدجها سيد بنظرة متوعدة بينما تجاهلته هي لتسأل " وهل شاركك عمرو في الحفل ؟"
احمرت أذني عمرو وصمت بينما ردت أروى بسرعة " أجل كان يقلد ويحرك الأراجوز "
ثم كتمت ضحكتها فرمقها عمرو بنظرة صقيعية ثم أشاح وجهه .
فأكمل وائل لآية وبانة " لم يستطع أستاذ الموسيقى اقناعه بالوقوف على المسرح .. حتى أحمد ذو الصوت البشع شارك معنا في الغناء .. أما هو فرفض رفضا تاما .. فطلب المعلم منه أن يقوم بدورالأراجوز يختبئ خلف اللوح الخشبي ويحرك ويقلد الأراجواز .. والمفاجأة أنه أبدع وانطلقت مواهبه من خلف اللوح الخشبي ... حتى أن الاستاذ

Des. Maryam Tamim

أصبح يفرد له فقرات خاصة بعرائس الماريونت في الحفلات بعد ذلك ".
سألت بانة أحمد بلهجة ساخرة " وما كان دورك؟"

رد بضحكة صفراء مغيظة " بائع السمك المقلي "
هتف وائل في حماس " سنوزع الأدوار "
رفع أحمد يده " انا بائع الحمص والسمك المقلي والطراطير .. أنا أبيع أي شيء "
علا الضحك ..بينما قالت أروى بحماس طفلة " وأنا أم الطفل التائهة فانا ارتدي خلخالا " وغمزت بعينيها .فعلا الضحك من جديد ..

زفر عمرو وتشنجت عضلاته لجملتها الأخيرة وقال بامتعاض " وأنا لن أشارك .. ولو أصريتم سأغادر "
أدارت أروى وجهها بعيدا عنه وتمتمت بصوت مسموع " جبان ! "
هدر قائلا بصبيانية " ماذا قلت ؟!"

Des. Maryam Tamim

ردت ببراءة مصطنعة " أنا؟!! لم أقل شيئا "
قال وائل " وأنا شجيع السيما ابو شنب بريما "

نظر الجميع لبانة التي تراجعت للخلف في ذعر
"اعفوني فأنا أشعر بالحرج .. لن استطيع ..
سأذهب لاتابع الطعام "
رد أحمد ساخرا بلهجة ذات مغزى" دعوه يغني المقطع الذي يقول (يا أم المطاهر رشي الملح سبع مرات) "
احمرت بانة وانسحبت هاربة فلو شاركت وبدأت في الغناء مهما حاولت تغليظ صوتها سيكتشف أي شخص دارس للموسيقى مثل سيد أو أروى أنها تغني من طبقة صوت نسائية .. وتمنت لو شاركتهم الغناء فالجلسة ممتعة وهي صوتها مقبولاً ..
تذكرت حفلات الجامعة حين كانت تغني وتقلد الأصوات .. وأيام كانت تسهر مع والدها وأخويها

Des. Maryam Tamim

يتضاحكون وهي تقلد لهم أصوات المعارف والشخصيات الشهيرة ..
انتهت من إعداد الطعام فتركته في المطبخ حتى ينتهوا من الغناء .
هتف وائل " يبقى أهم شخصية في الأوبريت .. الراقصة الظريفة المرتعشة "
حاول سيد التذكر " من كان يقوم بهذا الدور في الحفلة يا شباب؟ "
رد وائل بسرعة وهو يرفع يديه بمحاذاة جذعه ليحرك ثديين وهميتين كالراقصات " الأخت رباب "
ضحك الجميع بينما أمسك أحمد بساعد آية يقدمها لهم "وهل هناك من سيقوم بالدور أحلى من هذه الشقية "...
تفاجأت آية ..
تفاجأت جدا .

Des. Maryam Tamim

فقد كانت تراقبهم في صمت محاولة التعقل ..رغم حسرتها أنها لا تجيد الغناء ولا تجيد العزف ولم تشاركهم حتى بجزء صغير من ذكرياتهم ..
فكالعادة هي الغريبة الوحيدة بينهم ..لكنها كانت تبذل كل جهدها لضبط النفس فتكومت على الأريكة بجانب أحمد مستمتعة في صمت .. لكن طلب أحمد صدمها بالفعل ..فنظرت إليه مشدوهة فقال ببساطة " اؤكد أنك ستقومين بتقليدها بخفة وبراعة "
تدخل سيد ليقول " إذن .. أنا سأغني دور الراقصة وأنتِ تؤدين حركاتها "
فهتفت آية بحماس لأحمد " إذن اعطني سترتك "

مالت أروى على أحمد تقول " فاجأتني بهذه المبادرة "
رد عليها وهو يختلس النظر لبانة الواقفة قبالته" أحاول إفراغ بعضا من الهواء المضغوط بداخل

Des. Maryam Tamim

البالون حتى لا ينفجر في وجهناً .. دعينا نمنحها قليلا من الثقة ونرى "

بدأ غناء الأوبريت في وسط جو من المرح.. والضحكات .. الكل يقدم دوره ما بين متقن وضعيف .. عدا بانة وعمرو اللذان بقيا مشجعين.

الليلة الكبيرة يا عمي والعالم كتيرة
ماليين الشوارع يابا والريف والمداين

وحين بدأ مقطع الراقصة وقفت آية بوجنتين حمراوين في حرج وقد لبست سترة أحمد فوق رأسها فتدلت اكمام السترة على الجانبين فأمسكت بكل جانب مقلدة العروس ذات الخيوط ..وصوت سيد يغني بشقاوة :

طار في الهوا شاشي وانت ما تدراشي ..
ياجدع ..

Des. Maryam Tamim

طرفه شاورلي شاورلي عليك...
حكم الهوى ماشي ..
حكم الهوى ماشي ..
هوا العصاري..
على سطح جاري ..
خدني ورماني.. رماني .. عليك .. ولا انت داري

لو كانت آية في نفس الموقف ولكن بحركة متمردة حانقة قامت بالرقص ..لكان همها الأول أن تثبت للجميع أنها راقصة موهوبة .. كنوع من إثبات الوجود.. والاستمتاع باستفزاز الآخرين .
لكن هذه المرة اختلف الأمر..
واختلفت آية ..
فاخذت تحرك جسدها بحركات مرتعشة مضحكة مقلدة العروس الماريونت ذات الخيوط .. فكان تمايلاها الرقيق حلوا ..والعيون والوجوه مستمتعة إلى أقصى حد من هذه الشقية اللذيذة كقطعة السكر ..

Des. Maryam Tamim

فوائل لم يتوقف عن الصفير والتهليل لحلاوتها .. أما سيد فود لو يأخذها بين ذراعيه ليأكلها .. حتى عمرو لم يقاوم شقاوتها فشقت ابتسامة وجهه المتحفظ لتزيد من وسامته .. فدائما ستظل تلك الصغيرة في مخيلته .. طفلة بضفيرتين كان يحمل لها السكاكر في جيبه حين يراها.

تأملت أروى عمرو وقد سرقت ابتسامته أنفسها فتمتمت في سرها " وأخيرا تعطف علينا بابتسامة تشع كضوء البدر ..هنيئاً لها الجِنّية الصغيرة ..ويالليتنا ننال هذا الشرف العظيم .. شرف إسعادك يا سيدي ".

بعد الانتهاء من الطعام الذي أثنى عليه الجميع تحجج أحمد بالمساعدة في رفع الأطباق ليلحق برامز إلى المطبخ .. فوضع الأطباق جانباً وهو يتأمل ظهره ..

Des. Maryam Tamim

إن هذا الفتى مخنث بلا شك .. لا يمكن أن يكون غير ذلك وهو بهذه التفاصيل الجسدية ! .

تنبهت بانة لوجوده فرسمت إبتسامة مرتبكة .. فالثقة والأمان الذين تشعر بهما مع هؤلاء الناس أصبحا ينسيانها أحيانا الحذر في توزيع ابتسامات حلوة أنثوية جذابة..
أشار لها أحمد بسبابته محذرا " إياك أن تبتسم هكذا أمامي مرة أخرى "

غطت فمها بحرج وقالت " ماذا تقصد ؟"
رد بغيظ " لا أريد أن أرى ابتسامتك المستفزة فهي تعصبني"
رفعت ذقنها بشموخ قائلة " أنا حر يا سيد أحمد.. لن تتحكم في ابتسامتي أيضا .. كما أنك لست مضطراً لرؤيتها "
رد ساخرا " انا أحمد فقط أما سيد فهو في الصالة

Des. Maryam Tamim

.. أما عن رؤياك.. فأنا مجبر على ذلك ..عموماً اليوم أنا مرهق .. لكن غداً في المساء.. سأنتظرك فوق السطح لأدربك على الملاكمة .. علك تخشوشن قليلاً لتصبح مثل أبناء جنسك "

وتركها دون أن ينتظر الرد .. فتمتمت بانة بغيظ " هنيئا لك برشا صاحبة الابتسامة الجميلة."

***

في آخر الليل استلقت آية على سريرها تسترجع تسجيل صوتي للحفلة من على هاتفها .. كانت سجلته دون أن يلاحظ أحد ..فاغمضت عيناها تغط في النوم وتحلم بأنها تجلس عند قدميه تطالعه بانبهار وهو يغني لها وحدها.

***

في مساء اليوم التالي :

Mi Min : أنيو هاسيو

Des. Maryam Tamim

لم يستطع عمرو المقاومة فعليه أن يعترف بأنه يفتقدها بشدة .

عمرو القاضي : وعليكم السلام والرحمة .

Mi Min : إذن خمنت أنها تعني سلاما

عمرو القاضي : أجل

Mi Min : ماذا لو كانت سُبة ؟

عمرو القاضي : امممم .. لا أظن أن هذه أخلاقك .

Mi Min : وهل تظن أن أخلاقي بهذا السوء الذي وصفته آخر مرة .

عمرو القاضي : أنا لم أصفك بشيء أنا قلت في حالة إن كنتِ متزوجة .

Mi Min : لهذا رفضت أن نتبادل معلومات شخصية حتى نتحرر مِن مَن ، وأين ، ولماذا، وهل يجوز .. ونتحرر من أي التزامات تجاه بعضا البعض .. لنكون فقط شخصين عابري سبيل .. بدون تصنيف ذكر أم أنثى .

Des. Maryam Tamim

شعر أن كلامها به بعضا من المنطق .. أو ربما هو فقط من يشعر بالذنب لأنه من يحمل اهتماماً خاصاً بها من ناحيته .. ومن الواضح أنها لا تحمل مشاعر خاصة تجاهه .. وهذا يؤلمه نوعا ما ..

Mi Min : لماذا أنت صامت ؟؟؟؟ ..

سأسالك سؤالا هل نحن نتحدث في أمر مخالف أو خارج عن حدود الأدب أو شيئاً من هذا القبيل؟

عمرو القاضي : بالطبع لا

Mi Min : إذن أين المشكلة ؟!

عمرو القاضي : المشكلة أني ...

عمرو القاضي : لا شيء.

Mi Min : حسنا.. سأقول لك معلومة شخصية عني .

عمرو القاضي : تفضلي

Mi Min :أنا اشعر بالوحدة وكلامي معك يؤنسني (وجه يختبئ في كفين حرجاً).

عمرو القاضي : وحدة حقيقية أم معنوية ؟

Mi Min : لا يهم .. النتيجة واحدة .. فإن كنت على استعداد للحديث معي من وقت لآخر بدون تفاصيل.. بدون إلتزامات .. وفي حدود الاحترام سأكون شاكرة جدا .. أما إن كان عندك أي موانع من أي نوع فلن ألومك وسأتمنى لك كل الخير.. سأخرج الآن فكر وقرر .. سلام .

***

كان الألم في قبضتها لا يطاق وهي تحاول تسديد ضربات لكيس الرمل الماثل أمامها .. بينما ابن سماحة يموج بغضب مستعر لم تعرف له سبباً وجيهاً .

لقد صعدت منذ قليل بسبب إلحاحه وطرقه على باب شقتها باستفزاز.. وفكرت في أن الملاكمة قد تكون وسيلة فعّالة للدفاع عن النفس .. مذكرة نفسها ببعض الفتيات اللاتي يحترفن الملاكمة .. فشجعت نفسها " لا بأس من اكتساب بعضا من

Des. Maryam Tamim

القوة في ذراعيك يا بانة .. ربما أشعرك ذلك بقليل من الأمان ".

لكنها الآن تندم على هذا القرار .. فكرة الصعود لوكر ابن سماحة وحدهما .. فكرة سيئة ومعذبة .. فمزاجه اليوم ناري والجنون يتراقص في عينيه.

صرخ أحمد هادرا " ما هذه الميوعة يا رجل .. إضرب بقوة "

اقترب منها يشير لذراعها فانكمشت للخلف تلقائياً فهدر فيها " اخشوشن يا رجل ! .. هل أنت فتاة لتتجنب الملامسة بهذا الشكل المقزز "

حدجته بنظرة نارية وزمجرت بغيظ فقال بمكر "حسنا إن أردت ألا ألمسك أرني قوتك في ضربات "

أعاد أحمد عليه مجدداً كيف يفرد ذراعه وكيف يضرب قبضته في القفاز المبطن الكبير في يد رامز البيضاء المستفزة متوسطة الحجم كالنساء!...

كل ما في هذا الفتى لا يرتبط بالرجولة أبداً ..

Des. Maryam Tamim

زفر أحمد في حنق وقال " سأساعدك لتشحن العنف بداخلك .. تذكر شخصاً يستفزك وتريد إلقاء اللكمات في وجهه .. وتخيل وجهه على هذا الكيس الرملي"

رمقته بانة بغيظ وهي تقاوم رغبة جامحة في البكاء.. فذراعاها يؤلمانها بشدة..

لقد كانت غبية حين قررت المحاولة ...

قالت من بين أسنانها " سأتخيل إذن وجهك أنت لأسدد له اللكمات"

رد ببرود " وأنا سأساعدك في التنفيذ.. فأن كنت رجلاً بالفعل .. سدد ضربات قوية وصحيحة للكيس .. وحين يشتد ذراعك سأكون أنا هدف حي أتلقى منك لكمات حقيقية ".

ضربت بانة بقوة أكتر وهي تشجع نفسها بهمس "اخشوشني يا بنت الخازن .. هذا لمصلحتك "

Des. Maryam Tamim

بعد دقيقة توقف رامز يدلك ذراعه في ألم .. ويكاد يجزم أحمد أنه شاهد إلتماع الدموع في عينيه .. فتسرب إليه شعور بالشفقة حتى ان ألم ذراعه شعر وكأنه في ذراعه هو !..

ألا يكفي هذا المظهر الأنثوي له تحت ضوء المصباح الوحيد يرسم حدود وجهه المليح باستفزاز .
هدر أحمد بقوة مرعبة لينفض تلك الأفكار الغريبة التي تتسرب إلى فكره "هل ستبكي الآن؟! "

فواصلت بانة الضرب وظلال المصباح تزيد من هيئة أحمد القاسية رعباً في قلبها ..

وحاول أحمد استفزازه ليخرج بعض الخشونة والعنف من هذا البسكوتي النزعة فقال بلهجة

Des. Maryam Tamim

مغيظة متعمدة " اضرب كما يليق برجال بلدك .. لا اعتقد أنهم مائعين بهذا الشكل "
نجحت خطته فقد احمر وجه رامز أمامه من الغضب والانفعال وسدد ضربة قوية للكيس الرملي..
ثم فجأة ..
صرخة خرجت من فمه وهو يمسك ذراعه متألماً وارتد الكيس الرملي ليضربه في وجهه ليرجع رامز للخلف قليلا .. وعلامات الألم الشديد تعلو وجهه .. فلم يشعر أحمد بنفسه إلا وهو يندفع نحوها بجزع وأخذ بحركة لا إرادية يدلك ذراع بانة التي يمزقها الألم ..

دلك ذراعها وحاول اختبار الساعد وتحريكه ليكشف عن أي تمزق أو كسر .. وهو يشعر بأن قلبه يعصف في صدره من الانفعال ..فتصبب عرقا

Des. Maryam Tamim

وهو يفك عنها القفاز الجلدي يتفحص يدها وأصابعها..
الـ ....
رقيقة لينة العظام ...

أما بانة فبرغم الألم الذي كان يعتصرها .. كان اقترابه و دفء جسده ورائحة أنفاسه المختلطة برائحة عطره يتسربون إلى رئتيها.. فحفزوا طبيعتها الأنثوية ..
ولم تدر أنها تركت العنان لدموعها شاعرة بالعجز.. بقلة الحيلة ..
برغبة في عدم المقاومة ..

تعبت ...
تعبت جداً من التمثيل ..
تعبت جدا من مقاومة شعوراً قوياً يدفعها نحوه ..

Des. Maryam Tamim

وتعبت من لعب دوراً أصبح أصعب وأصعب بعد احتكاكها به ..

للحظة ودت لو تعترف ..
تعترف له بكل شيء ..
تصرخ بأنها أنثى ..
بأنها ليست رامز وإنما بانة ..
بانة عبد الله الخازن..
وتختبئ في صدره العضلي الماثل أمامها
وليحدث ما يحدث بعدها ..

تطلع أحمد للدموع التي تغرق وجهها في صمت فارتفعت أصابعه دون إرادة منه لتتحسس الدموع وتمسحها ..

تسارعت أنفاسه..
وهو يتأملها من هذا القرب.. وأنفاسها ..

Des. Maryam Tamim

أنفاسه ..
أنفاس رامز ..

فجأة .. دفع أحمد رامز بعيداً بعنف فاختل توازن الأخير وسقط ارضا .. بينما هدر أحمد وقد تحررت كل شياطينه " اغرب عن وجهي (ثم أكمل بهستيريا " أغرب عن وجهي أنت حالة ميئوس منها ... أنت ... (رفع يديه المرتعشة لجبهته بارتباك وأكمل في غضب مجنون) أنت .. لا أريد أن أرى وجهك ... أمقت ميوعتك .. ورقتك .. ومظهرك المخنث هذا (صمت لثوان ثم صاح بانفعال أكثر) ابتعد من هنا فورا "

حاولت بانة الذاهلة تماماً والتي تختض من الرعب الوقوف وهي تمسك بذراعها .. غير مستوعبة لسبب ثورته المفاجئة .. بينما هدر أحمد بعدم صبر " بل أنا من سيغادر "

Des. Maryam Tamim

انطلق أحمد نحو السلم ينزل في غضب ..وانفجرت بانة في البكاء .. غير قادرة على الصمود أكثر فأبسط حقوقها كأنثى أن تمارس حقها في البكاء للتعبيرعن مشاعرها ..فجلست في ركن تحضن ركبتيها وتدلك ساعدها المتألم من وقت لآخر واطلقت دموعاً غزيرة ليس لها آخر .

***

بعد عشرة ايام :

علا صوت أحمد بغضب " لا اوافق .. وكان يجب أن أُسأل يا أبي قبل أن تتفق مع المستثمر"

هدر الحاج ابراهيم في حزم " اخفض صوتك وتحدث بأدب .. قلت لك المستثمر أتاني بنفسه والعرض ممتازا بل إنها فرصة ذهبية لن تكرر والعقد ينتظر توقيعك".

رد أحمد بعناد "وأنا لن أوقع".

Des. Maryam Tamim

أمسكه الحاج من تلابيبه يوبخه في غيظ " افهم يا غبي.. أنت تدفن موهبتك في التراب .. العرض مغر جداً .. فندق جديد سيصمم على الطراز العثماني وستكون فنون الحفر على الخشب والأربيسك أهم ما يميز تصميمه الداخلي.. المشروع كبير وضخم وسيحتاج منك مجهوداً جباراً .. لكنه سيضع اسمك تحت الأضواء وربما فزت بجائزة عالمية في الديكور.. الفندق عالمي واسم سماحة سيعامل كماركة مسجلة "

رد أحمد بعناد "وأنا غير مهتم "
دفعه الحاج بقوة غاضباً وقد افلتت اعصابه "غير مهتم !..بهذه البساطة تلقي بفرصة ذهبية لأنك غير مهتم !..بماذا أجيب المستثمر... (وأكمل ساخراً بمرارة) نعتذر لأن ابننا المدلل غير مهتم

Des. Maryam Tamim

بهذه الفرصة الذهبية.. وشكرا على ثقتك التي ليست في محلها).."

رد أحمد باصرار " أجل لست مهتم أن أكون نجاراً "

هتفت والدة أحمد التي دخلت الغرفة في منتصف الحديث على صوتهما العالي " نجار !!! .. ما هذا الكلام يا أحمد ! ".

هدر الحاج بحزم " اتركينا يا إلهام فورا ".

خرجت في طاعة وهي تدعو الا يتطور الوضع بينهما فأحمد ليس على طبيعته منذ مدة .. بينما قال الحاج بسخرية مرة " إذا أنت لا تريد أن تكون نجاراً يا ابن المدارس أليس كذلك؟ ".

قال أحمد يحاول التراجع عن تهوره " لم أقصد يا أبي سامحني ".

رد الحاج بمرارة " بل تقصد يا ولدي .. تقصد.. عموما أنا سأخلصك من هذه السُبة .. فمن اليوم

Des. Maryam Tamim

ليس لك أي عمل عندي.. اذهب وابحث عن وظيفة بشهادتك الجامعية .. يا جامعي ! "
انفعل أحمد مجددا " لماذا تضغط عليّ يا أبي لأقبل مالا أريده ! ".
سأله الحاج باستهزاء "وماذا تريد يا مدلل أبيك !.. هل سنقضي عمرنا كله نبكي على اقدارنا؟! .. لقد تحملتك كثيراً واعطيتك فرص كثيرة بعد الحادث .. على أمل أن تنضج وتتخلص من الغضب الذي يشتعل في داخلك كالمراهقين "

صاح أحمد باعتراض " أبي أنا لست مدللاً "
رد الحاج باصرار وقرف " بل مدلل.. وأنا فشلت في تربية رجل حقيقي يحمل اسمي واسم عائلتي "

قال أحمد بعصبية وهو يمرر أصابعه في شعره بتوتر " أبي أنا أمر ببعض الضغوط هذه الفترة امنحني مزيداً من الوقت "

Des. Maryam Tamim

رد الحاج بمرارة وخيبة أمل " امنحك كل الوقت فافعل ما تريد واقض افضل سنين عمرك في وهم المراهقين"

جلس الحاج إبراهيم باستسلام على الكرسي يطرق برأسه بينما تململ أحمد قليلا .. ثم تحرك نحوه ليسترضيه.. فقال الحاج بحزم " قلت اذهب من أمامي لا أريد أن أرى خيبة أملي فيك "

اندفع أحمد كالطلقة غاضبا نحو غرفته.. فلحقت أروى به تحاول تهدئته لكنه هدر فيها بأنه لا يريد الحديث مع أحد وبدل ملابسه وترك البيت غاضبا ..

توترت آية واسرعت في الاتصال بسيد لتخبره فطمأنها بأنه سيتحدث معه .

***

جاب الشوارع بسيارته ليلا..

Des. Maryam Tamim

الغضب والعصبية يسيطران عليه ..
وهاتفه مغلق ولا يريد التحدث مع أحد ..

يريد أن يبتعد عن الجميع .. يريد أن يفكر ..
يفكر فيما قاله أبيه.. وفيما يحيره ويقلب كيانه منذ عشرة أيام ...
عشرة أيام كاملة يتجنب فيها رامز ... لا يرغب في لقائه .. ويتهرب من شعوره تجاهه.. والذي يقوده لجحيم من الافكار والتناقضات واللامنطقيات ..

قضى ساعات الليل الأولى يجوب الشوارع تارة ويجلس في المقاهي تارة أخرى .. حتى أخذته قدماه للعوامة القديمة المطلة على النهر .. التي يملكها مراد صديقه القديم .. الذي يحي السهرات والليالي الملاح ..

لم يدري لِمِ ذهب إلى هناك .. وماذا يريد أن يثبت.

Des. Maryam Tamim

هل يعاند والده ويخالف وعده له الذي قطعه منذ سنوات أن يبتعد عن العبث ! ..
أم أن هناك ما يريد أن يثبته لنفسه ؟.

أغرته الخمر .. وأراد أن يشعر بالخدر ..فلا يريد أن يفكر فالافكار تكاد أن تشق رأسه نصفين..

تجرع بعض الكؤوس وهيئة رامز تتجسد أمامه..
وعاد دون أن يشعر ليفكر من جديد ..
لو جمع كل ملاحظاته الغريبة عن رامز كيف ستكون النتيجة ؟.

جلست بجواره امرأة تكشف أكثر ما تستر من جسدها تسأله بدلال " هل أنت صديق مراد؟".

تأملها بنظرة ذكورية ثم أومأ برأسه في صمت ..
فقالت" لم أرك هنا من قبل ".

Des. Maryam Tamim

قال مفكراً وقد بدأت الخمر تدير رأسه " كنت معتزلا وقررت العودة للملاعب ".
أطلقت ضحكة رقيعة وشاركته في الشرب دون خجل .. فقال لها فجأة " سأخذ رأيك في موضوع" ردت بدلال "عيوني".
ضيق عينيه بتركيز وقال " ما رأيك في إنسان بعينين جميلتين.. وشعر ناعم.. وبشرة بيضاء.. وفم مرسوم بأسنان مرصوصة بجاذبية.. قامته بالنسبة للرجال متوسطة .. يديه متوسطتي الحجم ناعمتان بعظام لينه وأحيانا يكون صوته رقيقاً.. وخاصة حين ينفعل ..(برقت عيناه بالجنون وأكمل) وأحيانا عندما يفقد السيطرة على أعصابه يصرخ .. صدقيني يصرخ كالفتيات...
وماذا أيضا ؟.....وماذا ؟ (صمت قليلا يهرش في رأسه مفكرا ثم هتف) ويبكي .. يبكي بسهولة ...وينكمش عند التلامس " .

Des. Maryam Tamim

جلجلت ضحكتها ثم قالت " هل تتغزل في امرأة آخرى في وجودي؟! ".
صاح بانتصار كالأطفال " أجل امرأة.. كل هذه المواصفات ...لأمراة ..(برق الجنون في عينيه أكثر وتمتم محدقاً في اللا شيء) رامز إمرأة " .

ثم انفجر في الضحك بهستريا حتى دمعت عيناه... حين هدأت هسترته تحركت المرأة تجلس بجانبه.. ثم قربت وجهها من وجهه وهي تهمس بإغواء متمرس " دعك من هذه المرأة .. وكن معي..أعدك ألا أسبب لك هذه الحيرة التي تملأ عينيك أبدا " حدق فيها يتأمل ملامحها المغرية وتمتم لنفسه " هذه كمثرى .. (وقال للمرأة) أنتِ كمثرى.. لمَ كل البشر من حولي محددين الهوية إلا هذا الكائن البسكوتي ؟! ".
قربت شفتيها من شفتيه وهمست " دع الكائنات الأخرى وركز معي ولن تندم ".

Des. Maryam Tamim

تسارعت انفاسه في استجابة ذكورية ويديها تتحرك على صدره بخبرة .. فاندفع يلتهم شفتيها بعنف وهو يشعر بفوران الرجولة في دمائه .. وتحركت يداه على جسدها بجرأة ووقاحة يستعيد لحظات قديمة من العبث مع النساء .. ليدخل يده تحت فستانها القصير يتحسس بشرة فخذها ويختبر استجابته الذكورية لملامستها .

حين شعرأنه قد أوشك على فقدان السيطرة ابتعد عنها فجأة وهو يمسح فمه وقال آمرا "انهضي "
قالت بتساؤل " هل ترغب أن نذهب إلى بيتك ؟"
رد وهو ما زال ينهت ويستجمع اعصابه " انهضي واغربي عن وجهي "
حدقت فيه بغباء فصاح فيها " قلت اذهبي من هنا" .
قامت المرأة مسرعة وهي تتهمه بالجنون ..جلس مرة أخرى وأكمل احتساء الكأس أمامه وهو يمرر

Des. Maryam Tamim

أصابعه بحير في شعره محدثا نفسه " إذن أين الخلل يا أحمد أين ؟؟!!!!"

في الساعة الثانية بعد منتصف الليل كان سيد يركن سيارة أحمد تحت بيت سماحة وأحمد بجواره يغمض عيناه .
لم يجد سيد ما يقوله .. فقد بحث عنه منذ أن أخبرته آية وهاتفه مغلق .. حتى أتاه اتصال من صديقه مراد يخبره بأن أحمد عنده وسكران طالباً منه الحضور لإيصاله للمنزل ..

رن هاتف سيد فرد على عمرو" صدقني هو معي وبخير يا عمرو .. عد إلى بيتك فالوقت قد تأخر .. هاتفه بدون شحن لهذا مغلق .. كان في مقهى يدخن الشيشة .. لا يريد الحديث الآن اتصل به غداً .. أجل أخبرت وائل اني وجدته .. تصبح على خير "

Des. Maryam Tamim

فتح أحمد عينيه قليلا وقال في ارتخاء " لماذا كذبت ولم تخبره بأني مخمور ... أتظنني أخشاه ! ..(واشار بسبابته صائحاً بانفعال) أنا لا أخشى أحداً .. هل تسمعني ... لا أبي ولا عمرو ولا أحداً منكم .. كما أني لست مدللا .. لست مدللا يا سيد .. ولست غريب الأطوار .. هل تفهمني ؟"

ربت سيد على كتفه وقال " من الأفضل أن تنام في الخُن الليلة .. ستتعقد الأمور إذا رآك الحاج بهذه الحالة .. أنا لا أفهم لمَ تطور الأمر ليصبح على هذا النحو لكن غداً لنا حديث مطول.. فلا تحمل أي هم .. كل عقدة ولها حل "

رد أحمد وهو يفتح باب السيارة " قلت لك أنا لا اخشى أحدا وهذا بيتي ولن يخرجني منه أحد "

Des. Maryam Tamim

خرج من السيارة فخرج سيد يقنعه بالعدول عن فكرة الصعود للبيت بهذه الهيئة ليميل عليه أحمد قائلاً بهمس كأنه يخبره سراً " لا تخف .. سأنام عند رامز .. تصبح على خير "

تركه سيد مستسلما حتى لا يعلو صوته أكثر من ذلك ويوقظ الشارع ويفتضح أمره .

***

فتحت عينيها على صوت جرس الهاتف المحمول فنظرت للساعة التي تجاوزت الثانية صباحاً بقليل لتجد أحمد على الهاتف ..

لقد هرب منها النوم منذ أن اتصل سيد يسأل إن كانت تعلم شيئا عن مكان أحمد .. وفهمت باختصار بعد إلحاح منها أنه قد تشاجر مع والده وسبب الشجار .. فتملكها الغيظ منه وشعرت

Des. Maryam Tamim

برغبة قوية في قتله.. لكن حين اختفى وأغلق هاتفه انتابها القلق..

ردت بلهفة و قلق " أحمد ... أين أنت .. هل أنت بخير؟ "

شتم وهو يبعد الهاتف عن أذنه ويتمتم " ها نحن عدنا للارتباك والهلوسة .. أهذا صوت رجل يا بشر ! "

ازداد قلقها فقالت "أحمد "

رد عليها " انطق اسم أحمد كما ننطقها نحن ولا ترقق حروفا وتفخم حروفا وتنطقها بلهجتك ".

جاءه صوتها غاضبا " هل اتصلت بي في هذه الساعة المتأخرة من الليل وبعد عشرة أيام كاملة من التجاهل.. وبعد تلك الساعات الطويلة من القلق وأنا أحاول الاتصال بك والاطمئنان عليك بعدما عرفت ما حدث بينك وبين والدك .. لتعلّمني كيف انطق اسمك ؟! "

Des. Maryam Tamim

اسند أحمد رأسه على الحائط بجوار باب شقتها وقال بهدوء " إذا أنت تعد الأيام مثلي .. كيف حال ذراعك ؟ "

لاحظت بانة أن صوته كان غريباً والكلام يتعثر على لسانه كما لو كان لسانه ثقيلا .. فتملكها القلق وسألته " أحمد أجب بالله عليك ..هل أنت بخير؟"

جاءها صوته يتنفس بصوت عالي ثم قال بنبرة يائسة " لا .. لست بخير أبداً .. أنا .. أنا متعب.. متعب جداً "

رفعت جذعها وجلست على السرير " ما بك ؟.. أرجوك طمئني "

رد أحمد بهدوء " افتح .. إن كنت تريد أن تطمئن عليّ افتح الباب .. أنا اقف أمام شقتك "

Des. Maryam Tamim

جف ريقها وقالت بارتباك "ماذا تفعل أمام شقتي في هذه الساعة ؟!..أحمد ..هل أنت مريض ؟ .. أحمد "

تحركت من السرير بلهفة وخوف ...

هل هو محموم؟ .. هل يحتاج للمساعدة لمتابعة الصعود على السلم ؟

جرت بسرعة وفتحت الباب بلهفة..

كان مستندا إلى الجدار مغمض العينان والهاتف مازال في يده والخط مفتوحا..فهتفت بجزع "أحمد ما بك؟ "

حرك رأسه بإتجاهها وفتح جزءا من عينيه يتأملها.. مشعثة .. ناعمة الشعر..عيناها حمراوان بإرهاق وساعدها مربوط برباط ضاغط ..

تحرك نحوها يلمس ساعدها قائلاً بخفوت " هل تأذيت لهذه الدرجة "

Des. Maryam Tamim

جحظت عينا بانة متفاجئة برائحته ... لم تشم رائحة الخمر من قبل لكن عقلها استوعب تلك الحقيقة بسرعة ..فهتفت بذهول وهي تضرب على صدرها بصدمة " هل أنت سكران ؟؟؟؟!!!!!"

انفجر أحمد في الضحك والتمعت عيناه بالجنون وهو يقول " لم أرى رجلاً من قبل يضرب على صدره عند الصدمة "
هتفت بغيظ " مالذي فعلته بنفسك يا أحمق .. هل وصل بك الحال لشرب الخمر ؟!!! .. ولمَ كل هذا .. لأن والدك يريدك ناضجاً ! ".

رد بهدوء " إذن أنت تعلم بما حدث ..(ثم أضاف ساخراً) تُرى هل بقي أحدا في الحي لم يعرف بعد .. عن ابن سماحة المدلل المراهق غريب الأطوار .. الذي أصاب والده بخيبة أمل ! "

Des. Maryam Tamim

اندفعت دون أن تشعر لتمسك بياقة قميصه بغيظ .. شاعرة بالحسرة أن تراه يضيع سنوات عمره بهذا الحمق.. فحدجته بنظرة صلبة وقالت موبخة " أفق ... أفق من غفوتك التي طالت يا أحمد.. وانظر ما لديك من نعم أنت تتبطر عليها (انتبهت لتسارع انفاسه ولوضعها القريب منه فأفلتته وهي مازالت توبخه بحزم فقالت) وانظر لمن حولك .. ماذا يفتقدون وتتبطر أنت عليه بمنتهى العنجهية .. انظر لي أنا كمثال حي أمامك .. أين كنت وكيف وصلت إلى هنا .. وماذا فقدت .. أنت تبكي كطفل مدلل لأنك لم تحقق حلمك بأن تكون لاعب كرة !! .. تشعر بالمرارة لأنك بشريحة ومسامير في ركبتك !! .. انظر لي .. فقدت أبي .. إخوتي .. بلدي .. كرامتي .. شهادتي ... ومررت بظروف اصعب واقسى مما تعرفه عني .. فما خفي كان أعظم .. (صمتت قليلا تبتلع ريقها الجاف ثم قالت بلهجة نادمة) كنت أوبخ نفسي أني ربما تبطرت يوماً عن

Des. Maryam Tamim

كوني بدون أم منذ أن كنت في العاشرة واعتمدت على نفسي واعتمدت عليّ أسرتي فلما قامت الحرب وانقلبت حياتي رأساً على عقب خشيت أن يكون عقاباً من رب العالمين ..(توقفت تتأمل هيئته الغامضة لثوان ثم أكملت) أنظر لسيد وما عاناه وما يعانيه مع والده وماذا تفعل أنت مع والدك .. وأنظر لنفسك أنت ماذا حققت ؟! .. كنت تحلم بحلم ولم يتحقق ... ثم ماذا؟؟؟ .. لم تفعل شيئاً .. ظللت كطفل صغير يبكي على لعبته الاثيرة التي انكسرت ..لماذا تحصر نفسك في موضع ضيق؟؟؟.. أنت بكل ما تملك من صفات شخصية وثقافة وعلم ومكانة اجتماعية تستطيع أن تكون من أسعد الناس .. بشرط أن ترضى و تسعى .. قدِّر ما بين يديك قبل أن تنقلب عليك الأقدار يا أحمد فتندم .. قدرعلاقتك بأهلك.. قدرعلاقتك بأصحابك ..(صمتت قليلا تبتلع طعماً مراً ثم قالت بلهجة اهدأ) هل أبوح لك بسر ؟! ..(أخذت نفساً

Des. Maryam Tamim

عميقاً وأكملت) في بعض الأوقات احسدك على أصحابك .. تمنيت لو أن عندي مثلهم فيشدون من أزري في هذا الطريق الموحش الذي فُرض علي .. لن أنسى شعوري بالانبهار بينما أنت تخبرني ببساطة أن اصحابك الثلاثة اعتزلوا لعب الكرة كهواية يمارسونها في نهاية الاسبوع .. اعتزلوا اللعب تماماً بعد حادثك حفاظاً على شعورك .. هل تدرك روعة ما قدموه لك بينما أنت تحدثت عنه بمنتهى البساطة !!!! .. اعتقد أن عليك أن تعيد ترتيب وتقييم ما لديك تقييماً حقيقياً ناضجاً .. وتستعيد مثابرة المراهق لتحقيق أهداف جديدة وتحقيقها .. هكذا تصنع نفسك وقيمتك كإنسان"

توقفت وهي تنهت بانفعال.. وحلق الصمت بينهما لدقائق إلا من صوت أنفاسهما المنفعلة .

Des. Maryam Tamim

صفق أحمد ببطء وقال متهكماً " كان معكم رامز الخازن في فقرة (اصنع ذاتك) .. قلت لك من قبل أنت عادة تبهرني يا دكتور".

أحزنها سخريته لكنها لم تندم على ما قالته حتى لواعتبره تدخلا منها ..فزفرت وقالت بلهجة يائسة " إصعد لشقتك يا أحمد.. تصبح على خير "

تحركت لتدخل شقتها لكنه هجم عليها فجأة يدفعها بجسده لترتطم بالحائط وهو يقول بلهجة مريبة " قبل أن تذهب .. دعنا نرى عن قرب من أي جنس انت "
تملكها الرعب ودفعته بكل قوتها بعيداً ليرتطم بسور السلم وهي تصرخ فيه " ماذا تفعل ؟؟.. ابتعد "
ثم أمسكت بساعدها المربوط متألمة..فتحرك في خفة فهد لينقض عليها مرة أخرى وهي تقاوم

Des. Maryam Tamim

فلصقها في الحائط وهو يقول بالقرب من أذنها بفحيح جمد الدم في عروقها " لا تخف سأشفيك من رهاب التلامس الذي يجعلك كعذراء مذعورة"

اخذت بانة تقاومه بكل قوتها .. وضربات قلبها الصاخبة تطن في أذنيها .. وذراعها يؤلمها من المقاومة وقد ثبتها بالحائط بقوة فهتفت " دعني .. هل جننت .. !! أنت سكران ..ذراعي يؤلمني "

حاولت دفعه عنها بصعوبة وكأنها تدفع جداراً صلباً .. ولم تدر أن دموعها قد سالت على وجهها فقرب وجهه منها يحدق في عينيها عن قرب مكبلاً مقاومتها يتساءل في سره .. كيف تكون تلك العينان وتلك الرموش لرجل !!!! .

مازالت بانة تقاومه ومازال هو متصلبا أمامها يثبتها على الحائط .. فلم تستطع التحكم في دموعها

Des. Maryam Tamim

ليعلو نشيجها شاعرة بالعجز.. وبذراعها المتألم
الذي يضغط عليه بقوة .

نشيجها وارتجاف جسدها القريب منه جعله بدون
وعي يرخي قبضته عن ذراعيها و..

ويأخذها بين ذراعيه فجأة ..
فضمها إلى صدره في شفقة ..
ورغبة في استكشافها....
أو ..
محاولة للتأكد من هاجس يقتله ..

بعد ثوانٍ...
جحظت عيناه مصعوقا وهو يشعر بهما ...
كانا طريان صغيران بارزان كحبتي كمثرى ..
لا يمكن لرجولته أن تخطئ استشعارهما ملاصقان
لصدره العضلي ..

Des. Maryam Tamim



لا يمكن ابدا...

صرخت بانة وهي تدفعه فيقع للخلف على السلم وجرت إلى الشقة تغلقها بإحكام وهي تتحسس صدرها برعب ..فلم تدرك سوى الآن أنها لا تلف المشدّ حول جذعها .
وأنها ..
ترتدي صدرية نسائية خفيفة للنوم ! .

الفصل التاسع

مازالت بانة تقاومه ومازال هو متصلبا أمامها يثبتها على الحائط .. فلم تستطع التحكم في دموعها ليعلو نشيجها شاعرة بالعجز.. وبذراعها المتألم الذي يضغط عليه بقوة .

نشيجها وارتجاف جسدها القريب منه جعله بدون وعي يرخي قبضته عن ذراعيها و..

ويأخذها بين ذراعيه فجأة ..
فضمها إلى صدره في شفقة ..
ورغبة في استكشافها....
أو ..
محاولة للتأكد من هاجس يقتله ..

بعد ثوانٍ...
جحظت عيناه مصعوقا وهو يشعر بهما ...

Des. Maryam Tamim

كانا طريان صغيران بارزان كحبتي كمثرى ..
لا يمكن لرجولته أن تخطئ استشعارهما ملاصقان لصدره العضلي ..
لا يمكن ابدا...

صرخت بانة وهي تدفعه فيقع للخلف على السلم وجرت إلى الشقة تغلقها بإحكام وهي تتحسس صدرها برعب ..فلم تدرك سوى الآن أنها لا تلف المشدّ حول جذعها .
وأنها ..
ترتدي صدرية نسائية خفيفة للنوم ! .

أما هو فتسمر يحاول استيعاب الأمر ..
منْطَقته ..
تخيّله ..
فأتاه صوت والده من أعلى يسأل "ماذا يحدث ..
هل تتشاجران في هذا الوقت؟!"

Des. Maryam Tamim

اندفع صاعدا على السلم يتلمس خطواته بقدميه ويديه .. يتصبب عرقا .. ويلتف خلفه وكأن وحشا يطارده .. وتجاوز والده الغاضب ليدخل مسرعاً... نحو الحمام ..
يتقيأ ...
ويتقيأ ...

بعد أن أفرغ ما في جوفه .. جلس على أرض الحمام منهك القوى ذاهل العينين كمن رأى وحشا .. بينما والدته تربت على ظهره وتطمئنه أنها ستصنع له مشروبا دافئا.. لكن الحاج أبعدها ليشده من ملابسه ويسحبه بعنف بينما هو مستسلم.. ذاهل تماما .. يحدق في اللاشيء...

لم يفهم مما قاله والده وهو يعيده مرة أخرى إلى باب الشقة سوى انه يطرده ولن يقبل بدخوله

Des. Maryam Tamim

سكران إلى بيته .. وسط توسلات من والدته وشهقات أختيه .

ألقاه والده بعنف على السلم وسمع صوت الباب يغلق خلفه .. لكنه كان مغيب فيما يشبه الحمى .. فتحرك بخطوات بطيئة ذاهلة ينزل .. ثم توقف قليلا أمام شقة رامز يحاول استيعاب ما حدث منذ قليل أو التأكد مما خيل إليه .. ثم أكمل نزوله إلى الشارع ..

أما بانة فتكومت في سريرها في رعب.. تنتفض كعصفور مبلل في نهار ممطر ..

تتساءل هل من الممكن أن يكون قد شعر بشيء غريب؟.. فهي لا تعلم هل يتذكر المخمورون ما حدث أثناء سكرهم أم لا ..

وأخذت توبخ نفسها وتضرب رأسها بيديها متمتة " كيف..سمحتِ له بذلك؟ كيف ! .. كيف !.."

Des. Maryam Tamim

ستنتظر حتى يفيق وترى إن كان قد لاحظ أم لا ..
وسواء هذا أو ذاك عليها الرحيل من هنا .
عليها البدء في البحث عن سكن جديد ..
فالأيام الحلوة قصيرة .. وهي ناضجة بشكل كاف لإدراك تلك الحقيقة ..
عليها الرحيل عاجلا أم آجلا فالأمر مع أحمد بات معقدا..
وخطرا ..
***
رنة الهاتف التي يخصصها لها جعلته يستفيق فورا في فزع بالرغم من انه لم ينم سوى أقل من ساعة ..
بعد ساعات من الارهاق يبحث عن أحمد.. فتح الخط قبل أن يستفيق كليا وهو يهتف بصوت أجش "ماذا حدث يا آية ؟ "
صوتها الباكي جعله ينتفض جالساً ليقول بعد لحظات " اهدئي حبيبتي كي أفهم .. لا أفهم اهدئي أولا "

Des. Maryam Tamim

أغلق معها الخط بعد دقائق .. ليغادر سريره يبدل ملابسه على عجل.. فقالت بسمة في تردد " هل هذه آية سماحة ؟ "

حين لم يرد عليها استطردت بتساؤل قلق " هل حدث شيء يا سيد "

انتبه لها بعد أن كان شارداً في أفكاره أين من الممكن أن يذهب أحمد .. فرد عليها باقتضاب " لا شيء .. أحمد تشاجر مع والده وطُرد من البيت .. لا تقلقي ..عودي للنوم "

ثم تحرك خارجا وهو يتمتم " ليتني اعطيته مفتاح المقهى .. أتمنى ألا يقود وهو مخمور .. لطفك يارب .. لطفك بنا "

***

في اليوم التالي:

أوشك النهار على الرحيل ولم يظهر أحمد بعد ..

Des. Maryam Tamim

فاجتمع الشبان الثلاثة في الشارع أمام المقهى في حيرة وقلق وعلامات الارهاق وعدم النوم بادية على وجوههم ..
قال عمرو بقلق واضح " هل نسأل في المستشفيات .. ربما لا قدر الله ... "
قاطعه وائل بحزم " اهدأ يا عمرو .. إن شاء الله هو بخير إن شاء الله "

أخذوا يراجعون تخميناتهم أين من الممكن أن يكون .. بينما بانة تراقبهم من نافذة شقتها بتوتر .. مرجحة أنه من المستبعد أن يكون قد شعر بشيء لأن أحمد بالتأكيد في موقف كهذا سيأتي لينتقم منها .. سيعتبر ما فعلته إهانة له أن تكذب عليه .. فربما يضربها أو حتى يطردها ..
إذن أين هو ؟.

Des. Maryam Tamim

الخوف بداخلها تحول من خوف منه لخوف عليه.. تتساءل هل حدث له مكروها .. فنغزها قلبها وهي تقاوم موجة أخرى من البكاء .

***

صباح اليوم الذي يليه :

المطارق ..

تدق المطارق على رأسه بقوة وطبلة أذنه قد اوشكت على التمزق .. أما عيناه فغالبا مشدودة بمسمارين نحو أعلى ..

الخدر يشل أطرافه فلم يقدر على تحريكهم منذ أن استيقظ من ساعة .. لم يقدر حتى على تغيير وضع الانبطاح على بطنه في سرير يبدو غريبا..

منذ أن استيقظ وهو يلملم شتات ذاكرته عما حدث بالأمس أو الأمس القريب لا يستطيع التحديد بالضبط كم ساعة كان نائما ..
الهلاوس لازمته طيلة نومه يتذكر بعض منها فقط لكنها كانت كثيرة وصاخبة ومربكة ..
يتذكر منها لقطات من طفولته ولقطات من مراهقته وهو يلعب كرة القدم والهتاف باسمه في المدرجات..
يتذكر الحادث مع بعض التعديلات والهلوسات..
يتذكر مواقف مع أصحابه ..
يتذكر أروى..
يتذكر رامز حين وجده بالورشة ليلا يختبئ تحت الكراتين ...
رامز ! ..

حرك جسده وألم رأسه يشقها إلى نصفين ليستعدل على ظهره ويحدق في سقف الغرفة ..

Des. Maryam Tamim

واسترجع تفاصيل ما حدث منذ أن خرج من بيته غاضبا يجوب الشوارع حتى طرده والده آخر الليل .

في المرات القليلة التي احتسى فيها الخمر - والتي كانت منذ وقت طويل - لم يكن ممن تنسيهم الخمر تفاصيل الأحداث ويكون واعيا لتصرفاته الى حد كبير...

إذن ماذا حدث له مع رامز ..

هل وصلت به الهلوسة إلى هذا الحد المرعب !.

إن لم تكن هلوسة فهذا جنون ..

صوت باب الغرفة يفتح بحرص .. وتلتقط أذنه تحركات شخص ما لكنه غير قادر على تحريك رأسه..

الشخص يقترب.. ثم يد تمس جبينه لتتحسس حرارته .. تذكر الآن أن هذا تكرر في فترة نومه أكثر من مرة ..

Des. Maryam Tamim

حاول الإعتماد على حاسة الشم فلم تسعفه ذاكرته بالتعرف على هوية هذا الشخص ..
حرك عينيه قليلا .. ليجد وجه أمير أخو وائل مبتسما كعادته ..
"ارفع يدك عني " قالها متألما .
رد أمير براحة " أخيرا استيقظت .. كنت على وشك أن أخبر الجميع أنك عندنا "
قال برجاء " ساعدني على النهوض فرأسي يؤلمني "
ساعده أمير ليجلس والمطارق تزداد قوة في رأسه .. يتذكر الآن..
انه بعد أن خرج من بيتهم جلس في السيارة لمدة طويلة يحدق في اللاشيء .. بعدها دار في شوارع الحى على قدميه ثم عاد لشارع سماحة من جديد .. فقادته قدماه لبيت الخالة أنجيل والدة وائل.. فلم يستطع أن يذهب لسيد المتزوج ولا وائل المتزوج في البناية المجاورة لبيت والدته .. وبالطبع لن يذهب لبيت الشيخ القاضي وهو سكران.. فلم

Des. Maryam Tamim

يجد بدا من الطرق على الخالة أنجيل ليستقبله أمير عند الفجر ..

يتذكر جيدا انه طلب منهم عدم إخبار أي أحد بوجوده واضطر لتهديد الخالة أنجيل بأنه سوف يرحل ويختفي دون أن يعرف أحدا عن مكانه.. حتى استسلمت ووعدته بعدم إخبارهم عن وجوده عندهم .

قاطع أمير شروده وهو يقول " احضرت لك ملابس نظيفة تحمم بماء ساخن حتى يخف الصداع "

قال بألم "أريد دواء للصداع "

رد أمير بتفهم " موجود وجاهز لكن أمي تصر أن تأكل أولا وألا أعطيك الدواء على معدة فارغة "

رد أحمد بحنق وهو يمسك صدغه من الألم " هذه المرأة مازالت مزعجة " .

ضحك أمير وقال " اسرع فلن أستطيع السيطرة عليها أكثر .. فهي مصرة على طمأنة والدتك على الأقل "

Des. Maryam Tamim

تحرك أحمد بصعوبة وهو يقول " لا تخبروا أحدا بمكاني "
رد أمير بجدية " الكل في حالة قلق كبير واصحابك لم ينموا منذ يومين "
قال أحمد " أشعر اني نمت كثيرا "
رد أمير " حوالي ٣٠ ساعة "
دلك أحمد جبينه ثم وتمتم " كثيرا فعلا .. أشعر وكأني كنت أهلوس .. ولكن أتركهم ولا تخبر أحدا فأنا احتاج للاختلاء بنفسي قليلا "
قال أمير في تردد " على الأقل والدتك "
تحرك أحمد ليدخل الحمام الملحق بالغرفة وهو يقول " أمي ستخبر الكل .. وسأجد الثلاثة فوق رأسي هنا وأنا في حاجة ماسة للاختلاء بنفسي قليلا (سكت للحظات ثم استطرد) دعهم يقلقون عليّ قليلا " .

Des. Maryam Tamim

بعد قليل كان يرتدي حلة رياضية وقد فكك الماء الساخن تشنج عضلاته لكن الصداع الشديد مازال ملازما له ..
تأمل الغرفة حوله وتذكر أيام الصبا والمراهقة حين كان يقضى ساعات مع الشباب هنا يتسامرون بألعاب الأتاري والمجلات المصورة وقصص الابطال الخارقين والمجلات الجنس التي كانوا يخبئونها تحت مرتبة السرير ..

وائل وسيد بما أنهما أكبر قليلا كانا يتوليان تعريفهما – هو وعمرو – كل ما هو جديد في كل مرحلة وبالطبع كان معظمه يتعلق بالنساء والجنس..
ابتسم في حنين للماضي ومسح بعينيه أركان الغرفة التي مازالت كما هي لم يتغير بها شيء حتى صورة العذراء مريم وهي تحمل المسيح طفلا مازالت تتوسط الغرفة كما هي .

Des. Maryam Tamim

تمتم لنفسه نادما " ذنوبك كثرت يا أحمد وتثاقلت وستقصم ظهرك .. وربما الهلاوس التي تحدث معك غضبا من الله عليك .. فأنت تتكاسل عن فروضك منذ مدة كبيرة.. فسهل لك الذنوب .. فلتبدأ بتصحيح مسار حياتك بتصحيح علاقتك مع الله".

حين دخل أمير كان يقف في الغرفة حائرا وكأنه يحسب حسبة .
سأله أمير بفضول "عمَ تبحث؟ "
رد بهدوء " أحدد إتجاه القِبلة "
ابتسم أمير وحاول التذكر ثم أشار الي الزاوية "من هنا .. عمرو كان يصلي في هذا الاتجاه "..
قال يلاطفه " كم أصبح عمرك؟ "
رد امير بابتسامة حلوة لا تفارقه " واحد وعشرون "
قال أحمد ممازحا " كبرت ما شاء الله .. إذن اصبحت أنا عجوزا "

Des. Maryam Tamim

ابتسم له أمير ثم غادر ليتركه يصلي .فتحامل على الصداع بصعوبة وهو يسجد.. مصرا أن يتحمل وجع رأسه عله يمحو قليلا من ذنوب تثاقلت فوق اكتافه..

بعد أن فرغ من الصلاة نوى اللحاق بصلاة العصر في المسجد .. فهو في حاجة ماسة للسكينة..
خرج الى صالة البيت ...ليجد الخالة أنجيل تتحرك بصعوبة تحضر المائدة .. فجلس على المائدة يشاكسها .. فهي من أمتع الشخصيات التي يشاكسها فتحمر وتعبس مثل الأطفال..
أمتع من مشاكسة رامز .
رامز !..
نفض سيرة رامز من رأسه ..ومط شفتيه في بامتعاض وقال واضعا يديه في جيب بنطاله " أين باقي الطعام .. هل ستدعين الفقر أمامي يا أنجيل .. أنتم اصحاب محلات الذهب ما شاء الله "

Des. Maryam Tamim

خمست الخالة بكفها في وجهه .. فضحك أمير ومد يده يتناول الطعام وهو ينتظر ردها ..

فقالت الخالة أنجيل وهي تريح جسدها البدين على الكرسي وقد تصببت عرقا من الحركة " نحن صائمون الصوم الكبير "

هتف بتأفف " وما دخلي... أنا أسمي أحمد ... شهر رمضان لم يأتي بعد "

ردت بفرح طفولي " يبقى أربعة أشهر على رمضان على ما أعتقد .. اشتاق لدعوة الجميع عندي على الافطار ككل عام" .

رد عليها وهو يضع بعض اللقيمات في فمه " أطال الله في عمرك يا خالة "

شرد قليلا يفكر في أنه عليه صيام بعض النوافل تكفيرا عن ذنوبه وآخرها شرب الخمر .

قطعت الخالة شروده لتقول "سأتصل بإلهام لابد أن المسكينة تموت من القلق .. لقد تهربت من

Des. Maryam Tamim

الرد على الهاتف طيلة يوم أمس خوفا أن تكون هي .. قلبي عندها ."

رد في تهديد "إياك أن تخبري أحدا يا أنجيل .. لن اشتري لك حلوى المولد النبوي هذا العام"

قطبت حاجبيها وضمت شفتيها ببؤس طفولي يناسب ملامح وجهها المستدير الممتلئ وقد احمر من الحزن ..ثم رفعت فجأة النظارة الغليظة من فوق عينيها تنظفها بمفرش السفرة وبدا عليها أنها قد اتخذت قرارها فقالت بكبرياء "لا مشكلة .. سأكتفي بعلبة عمرو فقط" .

هتف أحمد " تأكلين علبتين كاملتين من الحلوى يا أنجيل !! ... وتوهميني أني الوحيد الذي أحضرها لك!!!" .

رد أمير بغيظ " بل قل ثلاث أربع خمس علب كل واحد منكم يحضر علبة وتخبئها هذا بالاضافة إلى بعض الجيران " .

Des. Maryam Tamim

ارتدت النظارة وردت ببراءة " أنا أخزنها لأكلها طوال السنة .. كما أن أنجيل الصغيرة وميري لا تتركان لي منها كثيرا "

نظر إليها أمير نظرة معاتبة تعني (الكذب حرام) فمطت شفتيها واشاحت بوجهها بعيدا وهي تقول بإصرار "سأخبر إلهام " .

قال أحمد وهو يقف " حسنا .. اخبريها ولكن بعد أن أذهب من هنا .. هيا يا أمير اوصلني في طريقك لأن سيارتي أمام المنزل ولا أريد أن يلمحني أحد".

ثم استدار للخالة يراضيها وقال وهو يقبل رأسها في عجلة "اتصلي بها بعد أن أذهب ولكن بعد ان تعدي في سرك حتى المليون "

واسرع بالخروج مع أمير الغارق في الضحك .

***

بعد ساعة كان الشبان الثلاثة في محل وائل ...

وعمرو يرمي حقنة في سلة القمامة بعد أن افرغها في

Des. Maryam Tamim

جسد سيد الذي مازال يحاول السيطرة على تدفق الدماء من أنفه .

قال وائل وهو يربت عليه بقلق " اطمئن سيظهر.. أنت قلت انه كان سكرانا فربما أطال في النوم قليلا ".

قال سيد وهو يزفر في عصبية " لم يختفي من قبل كل هذا الوقت وخاصة انه لم يلجأ لبيت أحد منا كالعادة"

ضغط عمرو بين عينيه بالسبابة والإبهام في إرهاق وقال "لم نترك مكانا متوقعا أن يذهب إليه إلا وبحثنا فيه "

فجأة دخلت أنجيل الصغيرة تلهث وتتصبب عرقا فوقف وائل يهتف في جزع " لماذا أتيت يا أنجيل هل حدث شيء يا بابا ؟"

بلعت ريقها وهي تحاول أن تنظم أنفاسها وقالت " عمو أحمد .. ألستم تبحثون عن عمو أحمد ؟"

هتف وائل " هل رأيته ؟ "

Des. Maryam Tamim

أخذت نفساً عميقاً وبلعت ريقها الجاف وقالت " رأيته وأنا في الشرفة يخرج من بيت جدتي مع عمو أمير "

ضرب وائل على جبهته يقول " نسينا مكان لم نبحث فيه .. عند أمي ! "

سألها عمرو وهو يرفع الهاتف على أذنه ليتصل بأمير منذ متى يا أنجيل تقريبا "

ردت مفكرة "من أكثر من ساعة .. لكني لم استطع الخروج من المنزل إلا الآن "

قال وائل معاتباً " لا تكرريها مرة أخرى يا أنجيل كان من الممكن أن تتصلي بي "

ردت بحرج " أمي رفضت "

رفز وقال "حسنا اذهبي فورا للمنزل ولا تكرريها"

ترددت في التحرك ثم قالت مطأطأة الرأس " ولكن أمي ستعاقبني "

قال وائل مطمئنا "سأتصل بها لا تقلقي ".

Des. Maryam Tamim

أغلق عمرو الهاتف يخبرهم أن أمير وصّل أحمد لأول الطريق العام ولم يعرف وجهته .. ثم تحرك نحو سيارته فسأله وائل " إلى أين ؟ "
فقال عمرو وهو يشغل السيارة " مادام قد خرج استطيع تخمين بعض المناطق التي قد يلجأ إليها سأطمئنكم إن شاء الله "

كان سيد يجز على اسنانه بغيظ .. وبمجرد أن ذهبت الصغيرة شتم بكل الألفاظ النابية التي يعرفها ..بينما قال وائل " سأتصل برامز في الورشة .. لقد كان قلقا جداً .. واتصل بي أكثر من مرة يسأل عنه "
قفز سيد بغضب متوجها نحو سيارته فهتف وائل " أين ستذهب؟ "
أجاب وهو يموج بالغضب " إلى بيتي ... لأنام مثل البشر .. وذكرني حين استيقظ .. أن أقتله "

Des. Maryam Tamim

فجأة لفت إنتباهه ما يحدث عند بوابة بيت سماحة .. فالحاج سماحة يحمل إحدى إبنتيه مغشيا عليها ترتدي إسدال الصلاة .. ولم يميز من منهما فاقترب سيد منهم بالسيارة بسرعة فهم بالتأكيد في حاجة لوسيلة نقل عاجلة ..

وحين وجد آية تخرج بجزع خلف والدها أدرك أن أروى هي المحمولة بين ذراعي الحاج سماحة.

***

انتهى من صلاة العصر في جماعة وبدأ المصلون يتركون المسجد بينما أسند ظهره إلى الجدار البارد خلفه يغمض عينيه في سكينة ويستغفر ..

حين قل عدد المصلين لمحه أمامه يتطلع إليه في غضب ..

كان يعلم أن عمرو سيجده هنا وربما هو من سعى لذلك ..

Des. Maryam Tamim

اقترب عمرو يتطلع إليه بغيظ وقد بدا وجهه مرهقا جدا ..فتنحنح أحمد في حرج متحاشيا النظر إليه ..
ليبادره عمرو قائلا بهدوء " انهض معي "
رد أحمد ببراءة مصطنعة " أريد أن ابقى قليلا "
جز عمرو على أسنانه وقال بغيظ " لن تحتمي بالمسجد طويلا .. سأضربك عاجلاً أم آجلاً فانهض معي حالا "
قال أحمد ببرود " اخبرني أولا بدعاء أدعو به .. أنا أريد ان أدعوه "
رد عمرو بهدوء " الأدعية كثيرة لكني أفضل أن تبدأ بدعاء خاص بك ..اسأله من قلبك ".

رفع أحمد كفيه في خشوع يتمتم " اللهم أرني الحق حق وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطل وارزقني اجتنابه .. اللهم أنر بصيرتي لما يحيرني .. اللهم اغفر لي .. اغفر لي وارحمني " .

Des. Maryam Tamim

بعد قليل كان عمرو يمسكه في مقدمة ملابسه يلصقه في الحائط على بعد خطوات من المسجد وهو يقول من بين أسنانه " أريد توضيحا لما يحدث معك.. وإن كان لا يوجد ما يغفر ما فعلته أبدا "

رد أحمد وقد شعر أن عليه أن يشارك أحد فيما هو غارق فيه " إهدأ وسأقص عليك كل ما يحيرني ويربكني بكل صراحة.. وإن كنت اعترف أنه ليس هناك مبررا لما فعلت كما قلت"

بعد قليل كان عمرو يوجه لكمة قوية لوجه أحمد فأوقعه أرضاً .. ثم انهال عليه باللكمات في غضب .. وأحمد يصرخ به " إهدأ يا عمرو .. الأمر ليس كما فهمته .. اسمعني يا غبي وحاول الفهم "

استقام عمرو ينهت وهو يسوي شعره ويهتف والغضب يستعر في عينيه المرهقتين " أنت جننت

Des. Maryam Tamim

.. أنت جننت تماما .. وشيطانك سيطر عليك ..
تقول لي أشعر .. أحس .. يتملكني الفضول !!!!!"

بصق أحمد الدم و اعتدل يمسح فمه بكمه ثم
هتف بعصبية " افهم يا غبي أنا أشعر أن هناك أمر
غريب به صدقني .. ألا تشعر أنت الآخر بذلك ؟"
هتف عمرو بقلة صبر " مالي أنا إن كان رجل أم امرأة
أم مخنث أم كائن فضائي حتى !.. بماذا ستفيدني
هذه المعلومة أصلا .. فليذهب إلى الجحيم بعيد
عنا "
قال أحمد مدافعا " ألم تلحظ تكوينه الجسدي"
هدر عمرو " ولمَ سأركز أصلا في عينيه وشفتيه.. ما
هذا الجنون !!!!!!! .. هل تعاني من الفراغ في
حياتك إلى هذه الدرجة !!!!... ظننت أننا
سنتحدث عن الفرصة الذهبية التي تهدرها من
يدك .. عن والدك الذي أغضبته .. عن أهلك
القلقين عليك .. فتحدثني عن شكوكك تجاه

Des. Maryam Tamim

رامز!!!!!!! .. ألا يشير ذلك إلى أنك قد فقدت عقلك بالفعل !!!! "

زفر أحمد موضحا " هذا الأمر لا يحيرني ولا يحتاج مني تفكيرا .. سأوقع العقد وسأعتذر لأبي .. لن أدعي أني تغيرت فجأة من عدم الاهتمام للشغف بالأمر.. لكني لن أتحمل رؤية خيبة الأمل في عيني أبي مرة أخرى.. الأمر كان صعبا عليّ جدا .. كما انني أثق في رأيه ورأيك ورأي رامز.. انها فرصة جيدة بالنسبة لي "

شتم عمرو وقال " رامز مجددا !! .. اسمع.. هذا الكائن عليه الرحيل فورا "

تشنج أحمد وصاح "ما دخله هو.. أنا كنت أتحدث عن نفسي ".

Des. Maryam Tamim

اقترب منه عمرو وهو يقول بصوت خافت من بين أسنانه " أنت قلت أنك اقتربت منه وحضنته .. استغفر الله العظيم ".

رد أحمد بغيظ " يا بني آدم إفهم .. قلت لك اشفقت عليه فحاولت طمأنته أو مواساته.. سمها كما تريد .. ماذا حدث؟ .. ألا استطيع احتضانك الآن؟! "

واقترب يحاوطه بذراعيه فأبعده عمرو بخشونة وهو يصرخ فيه " وماذا خيل لك شيطانك بعد ذلك ؟"

أطرق أحمد برأسه يقول بخفوت " صدقني شعرت أن الأمر حقيقيا جدا "

هجم عليه عمرو مجددا يمسك في عنقه وكأنه يريد خنقه وزمجر في تهديد " أحمد .. قلنا لابد أن نغلق أي ثغرة يدخل لك منها شيطانك"

زفر أحمد باستسلام " حاضر.. ماذا تقترح "

Des. Maryam Tamim

تركه عمرو وهو يقول " يترك البيت فورا "
هتف أحمد "ولكن أنت تعرف ظروفه و .. "
قاطعه عمرو قائلا " لن أظلمه سأدبر له مكان آخر آمن تماما (ثم اشار بسبابته محذرا) وأنت ستقطع صلتك به تماما (ثم استطرد) وتتزوج فورا "
هتف أحمد بغضب " أنا لست منحرف ياعمرو!!!!!!"
قبل أن يجيب فتح عمرو الهاتف الذي يلح ويلح في الرنين منذ فترة وهتف بعصبية " إنه معي يا سيد .. فكف عن الالحاح والاتصال بالله عليك.. أنا أعصابي متعبة وسئمت منكم جميعا ... لا لم يفتح هاتفه بعد (ثم هتف في جزع) ماذا حدث لأروى !!!!!!"

***

Des. Maryam Tamim

قبل ساعتين :

في بيت سماحة كان الجميع متوترين لعدم ظهور أحمد منذ فجر أمس .. إلهام تولول على ابنها وآية عصبية والحاج ملتزم غرفته يدعي التماسك متأهبا لأي خبر يأتيه من الشباب ..

أما أروى... فكعادتها تحاملت وكتمت قلقها ومخاوفها وحاولت أن تبدو طبيعية متماسكة.. وتصور الأمر لنفسها بأنه بسيط .. لكن خلف هذا القناع المتصنع للهدوء والتماسك كان القلق يقتلها ..

إلا أحمد ... تستطيع التكيف مع أي شيء إلا أن يصيبه مكروه ... ولا تعرف لمَ تطاردها ذكريات الحادث المرير ...بمجرد أن طرده والدها من المنزل..

Des. Maryam Tamim

حاولت أن تطمئن نفسها بأنه سيكون بخير .. لكن عندما تتذكر أنه كان مخمورا تنتابها الوساوس والهلاوس ..

ومع مرور الساعات فقدت السيطرة على تحكمها الذاتي.. حتى باغتتها لحظة هلع دون مقدمات فضاق صدرها وفقدت القدرة على التنفس .. حيث تشنجت عضلاتها دون إرادة منها .. فأخذت تجاهد للحصول على الهواء.. تجاهد .. وتجاهد في رعب .. حتى استسلمت وارتخت فوق كرسيها بوجه ابيض شاحب وشفتين زرقاوين .. فسقطت مغشيا عليها غير قادرة على التنفس في حالة أرعبت الجميع .

***

بعد ثلاث ساعات :

تحرك سيد في ممر المستشفى يحمل صينية بها اكواب من الشاي وعلب العصير .. واخذ يوزعها

Des. Maryam Tamim

على الجميع .. الحاج والحاجة ووائل.. ثم اقترب من آية التي تجلس بعيدا وتهز ساقها في قلق وعصبية .. فوضع الصينية بجوارها ثم التقط علبة عصير وجلس القرفصاء أمامها يناولها إياها.

..

مدت يديها تتناولها وهي تمنحه ابتسامة مرتعشة تقول (أنا بخير) لكنه كان يفهمها أكتر من نفسها.

فطمئنها بحنان قائلاً " الطبيب طمأننا أنها بخير ونامت "

أومأت برأسها..فقال " أحب تماسكك في المواقف الصعبة تتماسكين حتى يمر الأمر ثم تبدأين بالانهيار بعدها "..

ابتسمت في توتر وقالت تتأمله " تبدو مرهقا جدا .. لمَ لا تذهب لتستريح "

همت.. أو خيل إليه.. بمد يدها تمسح على جبينه لكنها كورت قبضتها في حجرها بحزم ..

Des. Maryam Tamim

أما هو فلم يقاوم التخيل بأنها فعلتها .. فأغمض عينيه لثانية وكأنه يتلقى حركة يدها الوهمية على جبينه بلهفة.

قاطعتهما فتاة وقفت في الرواق تنادي اسم آية بإندهاش فرفعت آية وجهها لتقول " منة !"

اقتربت منها (منة) فاضطر سيد للوقوف والابتعاد خطوتين للخلف للسماح للفتاتين بالسلام .

قالت منة بفضول" ماذا تفعلين هنا ؟!!"

ردت أية بصوت حزين " أختي تعرضت لوعكة صحية "

ردت الفتاة بتعاطف " ألف لابأس على أختك .. وكيف حالها الآن "

ردت بتماسك " بخير الحمد لله ..ماذا تفعلين أنت هنا ؟"

اقترب شاب منهم بهدوء يتأمل ملامح آية بينما ردت منة بحماس " جئت لايصال شيئا لأخي .. إنه يعمل هنا .. أعرفكم الدكتور ريان .. ريان هذه آية سماحة "

ألتمعت عينا (ريان) وهو يمد يده لآية ليصافحها بمودة ويقول بمرح " اذن أخيرا قابلت آية سماحة بعد كل هذه السنوات من الحكايات عنها.. تشرفنا يا آنسة آية "

مدت آية يدها لمصافحته بينما تحرك سيد بحركة حمائية يقف بجوارها بعضلات متشنجة فارضا ضخامته على المشهد .. فرفعت منة عينيها نحوه متسائلة .. لتقدمه آية لهما بصوت مازال يغلفه الحزن " سيد صبرة.. قريبي "

فجأة خطوات متوترة صاخبة أتت من أول الممر فإنتبه الجميع لوصول أحمد وعمرو .. وسأل أحمد بتوتر " ماذا قال الطبيب ؟"

Des. Maryam Tamim

رد وائل بإعياء " إنها بخير الآن .. فاجأتها أزمة تنفس وبعض التشنجات نتيجة للتوتر .. فأعطاها الطبيب مهدئا وستخضع للتنفس الصناعي فترة بسيطة حتى تستعيد قدرتها الطبيعية على التنفس"

تحركت آية نحوغرفة أروى خلف أحمد وتركت منة وريان واقفين ... بينما حدج سيد ريان بنظرة صقيعية متحفزة .

اقتحم أحمد الغرفة يتطلع إليها بقلب ملتاع ..
كيف نسيها !!!..
كان عليه أن يطمئنها هي بالذات .
اقترب يمسح على خدها بحنان ويهمس باسمها ..
فانتبهت لوجوده وفتحت عينيها بضعف تنظر إليه بعتاب دامع .. ثم مدت يدها الى صدره تضربه

Des. Maryam Tamim

ضربات متتالية.. بقبضة ضعيفة .. بطيئة... واهنة جدا..وانهارت في البكاء ..

اخذ أحمد يعتذر بهمس .. ويسترضيها .. ويغلظ القسم بأنه نام لمدة ثلاثين ساعة دون وعي .. وهي مستمرة في ضربه على صدره في انهيار .. فأمسك بقبضتها ولثمها .. ثم مد ذراعه تحت رأسها .. وسحبها ناحية صدره ليضمها ..
فاختبأت في صدره ..كطفلة ترتجف متشبثة بقميصه .

بعد قليل توقفت عن البكاء وقد استغنت عن قناع الاكسجين.. وإن كانت لاتزال تدفن رأسها في صدره بينما هو يشاكسها .. ويلقي النكات وأمها وآية يشاركونهما الضحك ..

Des. Maryam Tamim

بعد دقائق تحركت آية من وقفتها المتشنجة في زاوية الغرفة وهمت بالخروج .. فاستأذن أحمد من أروى قليلا وخرج خلفها ليلحق بها في الممر .. منادياً عليها فاستدارت .

وقف أمامها .. لا يعرف كيف عليه أن يتعامل معها.. لم يختبر هذا الشعور تجاهها من قبل .. ولم يعرف كيف من المفروض أن يعبر عنه .. لغة التعبير بينه وبين أروى واضحة بل إنها لا تحتاج للتعبير بالطرق العادية .. يكفيه مشاكستها لتفهم مشاعره ..فعلاقته بأروى تحمل قدرا عظيما من مبادلة التفهم لشخصية الآخر بدون كلام ..

وجد نفسه فجأة قد سحب آية إليه دون أي كلمة ليضمها إلى صدره .. ولم تمر ثوان حتى انفجرت هي في البكاء تتشبث به ويمسد على ظهرها ..

كانت آية أول من قطع الصمت وقالت وهي تلمس بخدها صدره .. "ظننتك لن تعود للمنزل "

رفع ذقنها ورد مازحا " واترك لك (الحبل على الغارب).. تلهين هنا وهناك دون ظابط ولا رابط.. تضحكين على أبي المسكين الذي يدللك كثيرا .. أبدا لن أسمح بذلك أبدا ... سأضحي براحتي من أجل انقاذ العائلة المسكينة من بلاياك"

اخذت تمسح دموعها وهي تضحك بينما سيد ممزق بين شعور بالراحة لمحاولتهما التقارب وشعورا آخر بالغيرة .. عليها ..

اما الحاج سماحة فكان يختلس النظرات يتأمل ابنه ويتمتم بالحمد والشكر لعودته سالما وإن كان يتعمد تجاهله .

Des. Maryam Tamim

بعد قليل كان أحمد يحمل أروى خارجا من غرفة المستشفى وهي تطوق رقبته بذراعيها بينما ترفع عينيها من وراء كتفه تسترق بعض النظرات إلى عمرو الذي يقف في ممر المستشفى يطرق برأسه متجاهلا .. أو شاردا .

***

في المساء وصلت بانة لشارع سماحة عائدة للمنزل فاليوم تأخرت قليلا بالورشة تتعمد عدم الالتقاء بأحد .. وحمدت الله وشكرت فضله عندما أخبرها وائل عصر اليوم بظهور أحمد سالما .. كما حزنت جدا لما أصاب أروى ..وودت لو تستطيع زيارتها ..

إنها تعلم جيدا كيف يكون الشعور بالتعلق بشخص مثل أحمد .. وتذكرت انطباعها عنه في أول لقاء وشعورها نحوه الآن .
المشاعر !..

Des. Maryam Tamim



عليها أن تعترف أنها تحمل مشاعر خاصة نحو هذا الكائن العصبي الحنون الذي يفيض بالطاقة ....الحانق دائما ..

ألم تعترف لنفسها من قبل أنه الوحيد الذي يضعها أمام حقيقة أنها أنثى.. وهي التي لا تلتفت عموما في تعاملاتها لهذا التصنيف ..

ولأنها اعترفت أمام نفسها بعد كثير من المراوغة مع الذات أنها تحمل مشاعر خاصة تجاهه .. فلابد من الرحيل من هنا قبل أن يصل الأمر إلى نقطة اللا عودة .

ناداها صوت مألوف وقد أوشكت على دخول البيت .. أنه عمرو .. ماذا يفعل هنا ؟ .. مؤكد أن البقية ناموا بعد يومين من التوتر .

اقترب منها وهالها ما رأته على وجهه من الاجهاد والتوتر فتحفزت .
قال عمرو وقد بدا لها أنه يتحاشى النظر نحوها بشئ من التقزز " علينا أن نتحدث " .
ازدادت ضربات قلبها تلقائيا وتساءلت ماذا يمكن أن يكون موضوع الحديث .
فقبضت كفيها بجانبها ترتسم الهدوء وتنتظر أن يبدأ بالكلام .. ليعتدل عمرو قائلا بصراحة فهو يمقت المراوغة "عليك ترك الشقة في أسرع وقت"
ازدادت ضربات قلبها وسألت " وما السبب ؟"
تنحنح وقال " أحمد سيتزوج قريبا وأنت تعرف أنها شقة الزواج "

نغزها قلبها .. وسائلا حارقاً جرى في دمائها .. أبهذه السرعة متلهف على الارتباط برشا ؟!!!..

سألته بتردد " ولما لم يخبرني أحمد بنفسه؟! "

Des. Maryam Tamim

رد ببساطة " تحرج من طلبه منك بنفسه "
سألت بفضول أنثوي ملتاع " هل سيتزوج رشا؟!"

تفاجأ عمرو بسؤال رامز الذي اعتبره فضولا غير مفهوم.. لكنه تجاهل السؤال ليقول " أنا دبرت لك مكانا آمنا .. وحدك .. بنفس قيمة الإيجار عند بعض المعارف أثق بهم تمام الثقة "
رفعت ذقنها بشموخ وثقة لتقول " شكرا على مبادرتك سأتدبر أمري وحدي .. كنت قد بدأت بالفعل في البحث عن شقة جديدة "

رد بقلة صبر منهياً الحديث " إسمع .. لن يرضى أحد منا أن تنتقل إلى مكان أقل من هذه الشقة.. وسنكون أكثر خبرة منك في الحكم على أمر كهذا .. عموما سأمنحك فرصة حتى آخر الشهر تخبرني بالفرص المتاحة أمامك.. وسأدرسها بنفسي وإن لم تظهر فرصة جيدة فستتقبل المكان الذي جهزته

Des. Maryam Tamim



لك .. سأتركك الآن لأني أتساقط من الإجهاد .. نتحدث في التفاصيل لاحقا .. السلام عليكم ورحمة الله "

نادت عليه فاستدار ببطء .. فمدت يدها لجيبها تخرج شريطا من دواء وناولته إياه ..

نظر إليها بتساؤل فوضحت " لم يتسن لي مقابلة أحمد منذ أيام .. لقد وجدت شريط الدواء هذا بجوار الأريكة الكبيرة وأعتقد أنه سقط من أحد منكم تلك الليلة عندي "
نظر إليها بعدم فهم فاستطردت " هذا الدواء مدرج دوليا .. أي أنه لا يصرف إلا بوصفة طبيب لذا خشيت أن يكون من يتناوله يبحث عنه .. وربما عليكم أن تعرفوا من هو فالموضوع ليس سهلا "
بدى الأهتمام على عمرو يقول " هل هو مخدر !"

تنحنحت وقالت " هو يستخدم في بعض الحالات كمخدر وممكن إدمانه بسهولة وخاصة بين الشباب .. لكنه في الأصل مسكن قوي جدا جدا للآلام الحادة مثل حالات الأمراض الخبيثة كالسرطان .. لذا أردت أن أعطيه لأحمد فهناك شخصا ما يتعاطاه سواء كمدمن أو كمريض مرض عضال "

رفع نظره إليها في عدم استيعاب لكنه فضل أن ينهي الحديث فسحب الشرط منها ليضعه في جيبه .

استدار مبتعدا فلحقته بصوتها تسأل باهتمام واضح "كيف حال أروى ؟".

توقف دون أن يستدير إليها وتشنجت عضلات كتفيه بشكل واضح ثم رد من بين أسنانه " الآنسة أروى بخير والحمد لله "

Des. Maryam Tamim

قالها ببرود وهو يشدد على كلمة (الآنسة) بتعمد ثم اسرع الخطى مبتعدا في عصبية .

وقفت بانة صامتة تتأمل الشارع حولها ..محطة قصيرة أخرى على وشك الانتهاء وعليها الرحيل.. لكن الرحيل هذه المرة سيكون مؤلما وموجعا لقلبها ..

تأملت رواد مقهى (كوكب الشرق) أمامها اللاهين كلٍ في عالمه ... كم قضت ليال الوحدة القسرية تراقبهم من شباكها.. فبرغم ما يعلو وجوه الكثير من مشقة الحياة والظروف الاقتصادية الحالية للبلد لكنها كانت تقدر ما يملكونه من عائلة.. وبيت بسيط .. وطعام يسد الجوع.. وأطفال يشجعونهم على الاستمرار على قيد الحياة .

رفعت رأسها تتأمل شباك الخن الكبير ذو النقوش الخشبية البارزة .. لم تلحظ إلا الآن أن هذه

Des. Maryam Tamim

النقوش والحفر الخشبي الملفت هو بالتأكيد خرج من بين يدي ابن سماحة .
ستشتاق لإضاءة هذه النافذة .. لطالما آنسها ضوء نافذة الخن تتطلع إليها من نافذتها فيشعرها بدفء الصحبة .
إن حى سماحة كله حالة خاصة ستحمل ذكرياته معها للابد .. لكن الوقت قد أوشك على النفاذ وعليها أن تستعد لتواجه المجهول من جديد .

***

في اليوم التالي:

" أين أنت أريد أن أراك حالا " قالها أحمد بحماس أقلق عمرو المستيقظ للتو من النوم متعكر المزاج وقد فاتته صلاة الظهر .
رد بإجهاد بدني ونفسي " أنا في البيت لم اذهب لعملي منذ يومين بفضلك ".

Des. Maryam Tamim

رد أحمد متعجلاً " أين نتقابل ؟" .
أجابه عمرو " نتقابل بعد قليل عند المسجد "

خرجا الاثنان من المسجد بعد أن أديا صلاة العصر وقد ازداد قلق عمرو .. فإبن سماحة لديه ما يثير حماسه .. وهذا يقلقه جدا .. فهو لم يقتنع أبدا باستسلامه السهل أمس بشأن رامز .. يعرفه عنيدا جدا في التشبث بأي فكرة .. يكفي عدم استطاعته التحرر من حلم أن يكون لاعب كرة قدم محترف على الرغم من استحالة تحقيق الفكرة على مدى احدى عشرة سنة ..

لا ينكر أن أول أمس ربما كان يوما فاصلا في حياة أحمد .. فقد تلقى ضربات متتالية أيقظت بعضا من غفلته ليستفيق جزئيا من سبات متعمد منذ سنوات .. لكن موضوع رامز هذا لا يجد له كعمرو تفسيراً او تصنيفاً مفهوما لديه ..

Des. Maryam Tamim

ناوله أحمد ورقة ففتحها عمرو بتلقائية ولم يفهم ..

فقد بدت كصورة ضوئية من جواز سفر ..فقال باستفهام " لم افهم .. ما هذا ؟"

رد أحمد بهدوء " صورة من جواز سفر .. إقرأ الاسم".

تفحص عمرو بملل الاسم / رامز عبد الله محمد الخازن تاريخ الميلاد (.....) محل الميلاد (.....) .

ثم ألقى بالورقة في وجه أحمد وقال بنفاذ صبر " ماذا سأستفيد أنا من قراءة بياناته "

أعاد إليه أحمد الورقة يصيح بعصبية " انظر للصورة أمامك يا غبي !"

تطلع عمرو للصورة ليجد شابا بشعر أسود أقصر كثيرا من شعر رامز وملامح اربكته قليلا فلم تكن متطابقة مع شكل رامز ..

Des. Maryam Tamim

لكنه بحركة دفاعية اراد إغلاق ثغرة شك أخرى قد تضيع أحمد فهتف "مازلت لم أفهم شيئا .. ألم نغلق قصة رامز بالأمس "

رد أحمد بغيظ " يا بني أدم انظر للصورة جيدا .. أنا ذهبت اليوم للورشة وطلبت من العم عبد الحليم أي بيانات عن رامز لدينا فلم أجد سوى تلك الورقة .. (واشار للورقة في يده) أنظر للشكل جيداً.. يبدو هذا الشاب مختلفا عن رامز الذي نعرفه .. إن هذا الشاب وجهه أضخم وأكثر ذكورة .. صحيح يحمل ملامح مشتركة مع رامز الذي نعرفه لكنه لا يبدو هو أبداً .. انظر للعينين والشفتين مختلفة تماما كأني.. (وصمت قليلا يتنفس بانفعال ثم أكمل) كأني أرى شخص أخر في الصورة .. روح أخرى غير التي نعرفها تسكن في هاتين العينين اللتين أمامي ."

Des. Maryam Tamim

لم يرد أن يعترف عمرو بذلك فدافع ببعض المنطق
" ربما فقد وزنا كبيرا منذ قيام الحرب فما مر به لم يكن هينا أبدا "
رد أحمد يقارعه ليثبت وجهة نظر معينة " والأنف .. انظر لتلك الأنف الرجولية التي تتصدر وجهه لا تطابق ابدا أنف رامز .. اطلاقا.. هل الأنف تتغير مع فقدان الوزن !!!!"
قال عمرو بغباء " أنا لا أذكر كيف تبدو أنف رامز .. ولكن ماذا تريد أن تثبت يا أحمد بالضبط!!!!"
رد أحمد بسرعة " أنا فقط أريد أن اثبت أن هناك شيئا ما غير طبيعي "
مط عمرو شفتيه بامتعاض وقال " إذن ؟"
زفر أحمد وقال بيأس " لا شيء انس الأمر .. سأعود للبيت قبل أن يعود رامز فأنا أتجنب الاحتكاك به كما وعدتك حتى انني تعمدت تجاهله تماما عندما ذهبت للورشة اليوم ".

Des. Maryam Tamim

قال عمرو بجدية " لقد تحدثت معه أمس بشأن الرحيل متحججا بقرب زواجك واحتياجك للشقة وأعطيته مهلة حتى آخر الشهر .. لا تقلق سأتدبر الأمر كما تريد أن يكون وأكثر ".

نغزه قلبه من فكرة رحيل رامز فسأل " وكيف كان رد فعله حين أخبرته أن عليه الرحيل ؟ "

زمجر عمرو محذراً "أحمد ! "
زفر أحمد في استسلام ثم قال مغيراً الموضوع " لقد اعتذرت لأبي أمس وقبلت رأسه .. ووقعت على القعد .. ويبدو أني ساسافر لمدينة (.....) الساحلية حيث يقع الفندق الذي تحت الانشاء للاجتماع مع المستثمر والاتفاق على التفاصيل "

ربت عمرو على كتفه براحة وقال " بالتوفيق إن شاء الله كم ستبقى بهذه المدينة ؟".

Des. Maryam Tamim

رد أحمد " أول مرة سأبقى حوالي أسبوعين بعدها سأقسم وقتي بين هنا وهناك خلال الاسبوع حتى ينتهي المشروع " .

تحرك عمرو وهو يقول " هيا تعال معي الشيخ يريدك"

إرتبك أحمد وقال " لماذا ؟!! هل أخبرته بشيء ؟"

رفع عمر حاجبه ورمقه بنظرة عاتبة " هل تتوقع مني أن أخبره بشيء !"

تساءل أحمد في قلق " اذا لماذا يطلبني فجأة .. هل اشتكاني له أبي ؟!"

***

اقترب من السرير يحدق في الجسد الضئيل المدد في وهن تميزه هذه اللحية البيضاء كنقاء قلبه .. لطالما شعر بالهيبة في حضرة هذا الرجل ..

مرت سريعا أمامه مشاهد سابقة له مع الشيخ عبد الرحمن.. فعلاقته بأسرتهم لا تقف فقط بأنه والد

Des. Maryam Tamim

صديق عمره.. لكنه أيضا صديق والده بالرغم من فارق العمر بين الشيخ ووالده بأكثر من عشرين سنة .. كما أن والدة عمرو من نفس بلدة والدته وتعرفها منذ الطفولة ..

لكن يبقى ما لهاذا الشيخ من التبجيل والمهابة ما يجعله يقف الآن في ارتباك بجوار سريره ورائحة المسك المتسربة من مكان ما بالغرفة تملأ رئتيه ... ينتظر أن يستفيق الشيخ من الغفوات التي يذهب فيها مؤخرا بعيدا عن الحاضر.

فتح الشيخ عينيه بوهن يقول " أنت هنا يا عمرو أشم رائحتك " .
ابتسم عمرو بمحبة وانحنى يقبل رأسه الاشيب فرفع الشيخ نظره نحوه يربت على لحية ابنه الأنيقة .

Des. Maryam Tamim

تنحنح أحمد وقال مازحا ليداري إرتباكه " ألا يوجد صلة قرابة بيننا يا شيخنا جعلتنا نتشارك في حاسة الشم القوية " .

رد الشيخ وهو يدير رأسه نحو الصوت " ربما نبصر بعين القلب من يهمنا أمرهم فتنتبه حواسنا لوجودهم (ثم استطرد الشيخ بعتاب) رأيناك أخيرا يابن سماحة "

تحرج أحمد من التقريع المبطن وتحرك يقبل يد الشيخ في احترام قائلا " هل اشتكاني والدي عندك ".

رد الشيخ وهو يتطلع إليه بنظرة فاحصة " لا يحتاج لأن يشتكي.. يكفي أن أرى الهموم التي تطل من عينيه لأفهم .. ولطالما كنت أنت سبب رئيسي فيها يا ولد "

تألم قلب أحمد للعبارة الأخيرة والتي أدركها مؤخرا فقال بحزن " لقد وعدت نفسي بالتغير.. وأعدك بأن أحمل هموم أبي عنه كلها ".

Des. Maryam Tamim

قال الشيخ بوهن " كن له عصا متينة صلبة يتوكأ عليها مع تقدم العمر كما هو لك ظهر تستند عليه .. اعتمدت عليه وأنت صغير فحان الوقت لتبادل الادوار بينكما "

أومأ برأسه في طاعه وهو يعترف لنفسه بأنه كان غافلا حتى وقت قصير عن تلك الحقيقة .

سأله الشيخ فجأة " ما الذي يحيرك .. يبدو وكأن دودة الحيرة تنخر في رأسك"

تفاجأ أحمد بالسؤال ورفع نظرة متسائلة إلى عمرو الذي بدا متفاجئا هو الآخر من سؤال الشيخ فرد عليه عمرو (بلا أعرف) صامتة .

أجاب أحمد مراوغا " لا شيء محدد "

قال الشيخ بهدوء " تفسير رؤية عمرو في المنام وما استشعره منك الآن يؤكد ذلك "

Des. Maryam Tamim

رفع نظرة متساءلة ثانية لعمرو الذي تنحنح في حرج وقال " رأيت مناماً بالأمس فقصصته على أبي لكني اعتقدته حديث نفس ".
قال الشيخ وهو يغمض عينيه في إرهاق " ربما تجد إجابة على ما يحيرك في الشقة ".

جحظت عينا الشابين ليسأل عمرو بحذر " أية شقة يا أبي؟"
أجاب الشيخ وقد بدا على أعتاب غفوة جديدة "الشقة التى رأيتها في منامك يا بني .. لهذا استدعيت ابن سماحة لأخبره "

بعد قليل كان أحمد في الشارع يخضع عمرو للتحقيق فقال بتوتر " أخبرني عن ذلك المنام "
قال عمرو بهدوء " رأيتك في شقتك الي يسكنها رامز حاليا .. تمشط شعرك بصعوبة حتى فك تشابكه أخيرا .. وبعد أن انتهيت سقط من المشط خصلة

Des. Maryam Tamim

شعر طويلة مقصوصة بمقص تبدو وكأنها لامرأة ..
فأخذت أنت الخصلة بحرص ووضعتها بجيب
سترتك "
قال أحمد وقد بدا عليه التوتر " لم أفهم شيئا ..
لكن دعنا ننفذ تفسير الرؤيا ".
قال عمرو بتوجس " ماذا تعني ؟ "
رد أحمد وقد إلتمعت عيناه " نبحث في شقة رامز"
صاح عمرو بعصبية " عن ماذا .. نبحث عن
ماذا؟!!!!".

أجابه أحمد بنظرة حائرة ...فاستطرد عمرو وقد بدأ
يتوتر لظهور ثغرة أخرى في مسألة رامز قد تربك
أحمد " اسمع يا أحمد.. لا أنكر أن أبي منحه الله
قليلا من علم تفسير الرؤى.. وأنه هو نفسه يرى
رؤى بفضل الله صحيحة.. لكنه علمني أننا بشر ..
ولسنا أنبياء أو منزلين .. لذا نتعامل مع هذا الأمر
بحرص شديد .. كما أنه أطال الله في عمره قد يكون

Des. Maryam Tamim

قد اخطأ التفسير بسبب تقدم العمر.. ويكون ما رأيته أنا مجرد أضغاث أحلام .. بالله عليك دعنا نغلق هذا الامر الذي بات يوترني "
قال أحمد فجأة " اعطني مصحفك لحظة "

أخرج عمرو مصحف صغير من جيبه فالتقطه أحمد بسرعه وهو يضع عليه كفه ويقول " أقسم بالله أن تكون هذه آخر مرة أبحث فيها في أمر رامز .. إن لم أجد في شقته ما يفسر حيرتي .. سأنفذ كل ما تقوله دون نقاش وسأتجنبه قدر المستطاع.. وسأتركه يرحل لسكن جديد "

***

بعد نصف ساعة كان عمرو يقف تحت بيت سماحة في توتر ملحوظ وهو يرفع هاتفه على أذنه .. لا يصدق أنه طاوع أحمد في تهوره .. فقد أصر هذا المتهور ألا ينتظر للغد وأحضر مفتاح إضافي

Des. Maryam Tamim

لشقة رامز وطلب منه حراسة بوابة البيت .. خصوصا مع اقتراب وصول رامز من الورشة وقد اتفقا على فتح خط الهاتف بينهما حتى ينتهي أحمد من مهمته التي لا يعرف كلاهما ماهي بالضبط.

تمتم عمرو في توتر " لا أصدق ما نفعله الآن في هذا السن .. نقتحم بيوت الناس ونتلصص عليهم ".

جاءه صوت أحمد يقول بجدية " أنا من اقتحم ومن تلصص .. وأنا من سيتحمل الوزر ".

رد عمرو بحنق " كفى تفزلكا بالله عليك.. ولا تستهين بالذنوب .. هل وجدت شيء غير طبيعي؟" زفر أحمد باحباط " لا يوجد شيء غير طبيعي ابدا .. عدا أن الشقة نظيفة بشكل مستفز " .

Des. Maryam Tamim

قال عمرو بسرعة " اسرع بالله عليك .. أنا متوتر جدا وأخشى أن يأتي رامز في أية لحظة "

رد أحمد بحزم " اذا وصل اخبرني وعطّله بأي طريقة"

تجول أحمد في الشقة مرة أخرى في احباط .. شقة عادية مرتبة .. دخل غرفة النوم للمرة الثانية واتجه نحو خزانة الملابس الصغيرة لكن استرعى انتباهه قطعة من القماش الناعم يخرج طرفها من تحت الوسادة بنقوش كوردات صغيرة .. فتحرك نحوها يشدها من تحت الوسادة ويفردها أمامه و.....

وتجمد للحظات .

قال بصدمة لا يعرف إن كانت مفجعة أم مفرحة وعمرو متململ على الجانب الآخر من الخط " هل

Des. Maryam Tamim

من الممكن أن تفسر لي ماذا يفعل بإسدال صلاة نسائي تحت وسادته ؟"

رد عمرو بسرعة " أحمد.. لم نتفق أبدا على الهلوسة"
حرك أحمد الهاتف بيده وقد كان يتحدث مع عمرو طيلة الوقت بالسماعة الملحقة الإضافية والتقط صورة للاسدال مفرودا على السرير وأرسلها لعمرو وقال " تفضل شاركني بعضاً من الهلوسة البصرية "
بعد قليل جاءه صوت عمرو متفاجئا يقول " يا الله! (ثم استطرد يحاول حل هذه المعضلة التي على ما يبدو شديدة التعقيد فتساءل) هل يستقبل نساء مشبوهات في البيت !! ".

ضحك أحمد وهو يقاوم الارتجاف والصدمة ورد بسخرية مريرة " يبدو ذلك.. ويختارهن من المستقيمات الحريصات على الصلاة !"

Des. Maryam Tamim

اعترف عمرو بغبائه فعلا .. بينما تحرك أحمد ناحية الدولاب مرة أخرى وفتحه .. فلم يجد سوى ملابس رجالية قليلة .. فاخرج حقيبة السفر الموضوعة بأسفل الدولاب وفتحها على السرير .. فذكرته الحقيبة باليوم الذي وجد به رامز متكوما تحت الكراتين في الورشة ليلا ..

لم يكن بالحقيبة الكثير .. ففتح كيس بلاستيكي اسود متوسط الحجم ملفوف بعناية شديدة .. أخذ يفك طبقاته.. ثم تسمر مكانه لثوان يستوعب ما رأه..

بيد مرتجفة سحب الهاتف من جيبه ومازال الخط مفتوحا مع عمرو وصور محتويات الكيس ..

Des. Maryam Tamim

سأله عمرو باهتمام "هل وجدت شيئا جديدا ؟
صوت أنفاسك يعلو في توتر " .

رد أحمد وهو يجاهد لتحريك لسانه المعقود في صدمة " أنظر بنفسك وقل لي "
غاب عمرو قليلا ثم أتاه صوته حائرا " ما هذا الشئ.. لم أفهم "

كان أحمد يرتجف من التوتر وضربات قلبه تدق كطبول الحرب تضخ الأدرينالين بقوة في شراييينه.. فقال مستدركا " آه نسيت أنك ليس لديك أخوات بنات .. هذه فوط نسائية تستخدمها النساء شهريا ."
شهق عمرو وتمتم " يا الله !"
بهدوء وعناية أعاد أحمد الكيس لوضعه كما كان .. واستمر بأصابع مرتجفة يبحث في جيوب الحقيبة متوقعا أن يكون لها جيب سري..

Des. Maryam Tamim

بعد دقائق اكتشف طريق الجيب السري.. فأدخل أصابعه وقبض على كل محتوياته .. كان به كيسا صغيرا .. وبعض الأوراق ..فبدأ بالأوراق ليجد نسخ من صور ضوئية متكررة من جواز سفر بإسم رامز الخازن مطابقة للنسخة التي في حوزته و التي أحضرها من الورشة .. ووجد أيضا جواز سفر أصلي ..

فتح أحمد جواز السفر وهو يتساءل هل يترك هذا الغبي جواز سفره بالمنزل ويتحرك بدونه ! ..لكن حين نظر في جواز السفر تصبب عرقا ولم تستطع قدميه حمله فجلس على السرير يحدق أمامه في ذهول.

Des. Maryam Tamim

علت صوت أنفاسه فهتف عمرو " ماذا يحدث ؟... أحمد ...أحمد ...رد علي .. أحمد لا توترني أكثر"

لكن أحمد لم يكن يسمع أو يفقه لأي شيء وهو يحدق في جواز السفر ..

إنه هو ..

لا ..

بل..... هي ..

هي !!!!.

هي يا أحمد هي !!.

أنثى !!!.

كمثرى!!!.

حدق جيداً في الوجه الذي أمامه .. صحيح أنها فقدت الكثير من الوزن حاليا .. فالصورة تبدو

Des. Maryam Tamim

لفتاة بوجه وخدين ممتلئين بعض الشيء .. لكنه
لن يخطئ العينين ..
نفس العينان ..
نفس الروح التي تطل من العينين ..
إن تشابهت العيون حتى بين التوائم لن تتشابه أبدا
الروح التي تطل من العينين..
ونفس الأنف.. هذا هو أنفه ..
يقصد أنفها ..
الذي لا يخطئه كأحد أجمل الأنوف التي رأها في
حياته ..
والشفتان الانثوتان الملفتتان ..
أجل هذه هي صورة هذا الكائن الذي يعرفه بإسم
رامز ..

اتسعت عيانه أكثر حين أدرك حقيقة أخرى آلمته.
أكانت محجبة !!!.

إستفاق سريعا وأخذ صورة لجواز السفر بهاتفه .. ليأخذ وقته فيما بعد.. يستوعب ما وجد .. ثم فتح الكيس الصغير على عجل قبل أن يعيد كل شيء لمكانه .. لتصدمه مفاجأة أخرى أمَرّ وأقسى مما شاهد منذ قليل ..

وجد شعر طويل مقصوص ومرتب بعناية في ضفيرة سميكة بلون عسلي.. الضفيرة العسلية مربوطة من أول طرفها بشريط لامع وآخر طرفها بدبوس شعر ! ..

وكأن رصاصة حية قد اخترقت صدره .. فآلمه قلبه بشدة لمنظر الضفيرة المذبوحة !.

بعد دقائق استقبله عمرو وهو خارج من باب شقتها وقد كان على وشك الطرق بعد أن انقطع إتصاله به.. لكن هيئة أحمد التي خرج بها جعلت

Des. Maryam Tamim

عمرو يبتلع لسانه ويساعده على النزول من على السلم في صمت .

عند بوابة البيت ناوله أحمد هاتفه يريه صورة من جواز سفر وصورة من بطاقة شخصية صادرة من بلدها وهو يقول بصوت متأثر " بانة .... بانة عبد الله محمد الخازن " خمس وعشرون سنة تقريبا ... دخلت البلاد منذ ثلاث سنوات "
قال عمرو بعد أن عقدت الصدمة لسانه بعض الوقت محاولا عدم التسرع " ربما هذا جواز سفر أخته جاءت معه إلى هنا ثم تاهت عنه أو ماتت "

ضحك أحمد ضحكة مريرة وهو يمسد ذراعيه بالتناوب حتى يسيطر على إرتجاف جسده ثم قال متهكماً " ويحتفظ بإسدالها تحت وسادته وبأشياءها الشخصية كالفوط النسائية الخاصة بها كنوع من الذكرى الخالدة مثلا !!! (ثم استطرد

Des. Maryam Tamim

وعيناه يملؤها الألم) انها .. انها محجبة يا عمرو .. محجبة واضطرت لكشف رأسها لتعيش... إنها .... (وتوقف قليلا ليأخذ نفسا عميقا ربما يخفف به إرتجافه ووجع قلبه ثم استطرد) إنها تحتفظ بضفيرتها المقصوصة في الحقيبة يا عمرو " .

سأل عمرو وقد لاحت على وجهه علامات الغباء " ولمَ تتخفى في هيئة رجل !!!"

زفر أحمد وتمتم بحيرة " وهذا لغز آخر .. ربما الخوف هو السبب .. تخيل الأمر.. فتاة وحيدة في بلد غريب .. لا مال ولا أهل ولا سكن .. ببساطة لاشيء .. لو عرف أنها أنثى لأكلتها الكلاب البشرية حية ".

استمر عمرو يحوقل في عدم تصديق وهو مازال يتأمل صورة جواز السفر أمامه على الهاتف ..وأحمد بجواره يستند على الحائط يحاول تجميع الخيوط والتفاصيل في رأسه .

Des. Maryam Tamim

على الرغم من أنه كان يعاني من وساوس وشكوك استمرت لأشهر منذ أن دخل رامز / بانة في حياته .. وبالرغم من أن الشهر الاخير كان الاسوأ بالنسبة له حيث اهتزت ثقته بنفسه كثيرا وتشوش وهو يشعر ويرى ما يتناقض مع ما يحاول أو تحاول هي إدخاله في عقولهم ..
وبالرغم من أنه بات يرجح فكرة كونها أنثى بعد الليلة الي ضمها باجتذاب غريب ...
بالرغم من كل هذا ...

فالتأكد من الحقيقة أمر آخر .. له رهبة ووقع في النفس .. قوي وجبار .. وكأنه زلزال .
ردد يجرب طعم الاسم على لسانه " بانة ...
باااااانة ... باااااانة ".

وكأنه استدعاها ..

Des. Maryam Tamim

أمسك أحمد بذراع عمرو فجأة يتشبث به فرفع الأخير عينيه عن الهاتف الذي كان يحدق فيه .. ليجد أحمد بملامح شاحبة وجبين يتصبب عرقا وهو يحدق في نقطة ما خلفه فاعتدل ليرى رامز أو بانة.. أو بانة الشهيرة برامز .. تقترب منهم وتحدق فيهم .. فخبأ عمرو الهاتف وراء ظهره بحركة بدت طفولية .. وقد بدا الاثنان في وقفتهما كطفلين قد ارتكبا جرماً ..

أقتربت وهي تتأمل أحمد الذي يبدو منكمشا غامض الملامح .. فتساءلت في سرها هل هو متعب ؟. إنها المرة الأولى التي تواجهه فيها بعد تلك الليلة المشئومة.. حتى اليوم حين حضر للورشة .. تجاهلها تماما.. وبدا متعجلا .. كانت تريد أن تستشف منه .. إن كان يتذكر شيء من تلك الليلة.

Des. Maryam Tamim

اقتربت بذقن شامخ ونظرات متحدية .. وألقت السلام...كان عمرو يحدق فيها بنظرة لم تفهمها.. أما أحمد فتهيأ لها أنه يحدق بـ..

بصدرها !..

تأكدت بحركة لا ارادية من انسدال القميص الرجالي المفتوح على ثدييها المربوطين بالمشد بحزم .. وقالت بتماسك وهي ترتجف من المواجهة المحتومة " كيف حالك؟ تبدو مرهقا "

تنحنح أحمد ليجلي صوته المتحشرج وهو مازال يقبض على ذراع عمرو كاد يسحق عظامه وقال بنبرة ثابتة " بخير الحمد لله " .

تكلمت بلهجة شجاعة " اعتذر عما قلته لك تلك الليلة .. كنت هجوميا بعض الشيء .. وصدمت

Des. Maryam Tamim

حين رأيتك بهذا الشكل .. لكن لم يكن لي أي حق فيما قلته أنا ووصفته انت كفقرة تنمية بشرية ".

أشاح أحمد بنظره بعيدا والقشعريرة تسري في جسده فهذه هي المرة الأولى التي يتطلع إليه بحقيقتها كبانة ..

كأنثى ..

ككمثرى ...

والأمر بدى مريحا ومنطقياً وملائما .. مع هذا الصوت الذي يبدو مستعارا قليلا .. يزداد حدة عندما تنفعل وتصرخ في وجهه كتلك الليلة في منزلها .. وتلك العينان الجميلتان .. وذلك الانف الذي تشمخ به .. والذي لم يخيب ظنه وسهل له التعرف عليها..

لم يحاول أن يسترسل أكثر فيما يفكر .. خاصة فيما يدور بذهنه في هذه اللحظة من أسئلة باتت

Des. Maryam Tamim

وجودية أهمها (ماذا فعلت فيهما ليختبئا تحت الملابس ؟ !!.. أين أخفت حبتي الكمثرى؟!!!!!!)..

تصبب المزيد من العرق من جبينه وهو يقف أمامها .. ولم يزل تحت تأثير الصدمة من الحقيقة .. التي كانت برغم تخمينه لوجودها .. إلا أن توقع الأمر شيء .. والتأكد من وجوده شيء آخر !..فقال باقتضاب " بل أنا من اعتذر أني أثقلت عليك وازعجتك تلك الليلة ".

اندهشت من هذه اللهجة الرسمية المؤدبة الى حد كبير .. وأرادت أن تذكر موضوع الشقة .. وانها سترحل قريبا .. لكنها لم تستطع النطق خوفا من أن تخونها مشاعرها وتظهر أمامه بشكل عاطفي مؤثر .. فقصرت في الكلام وتحركت نحو البيت وهي تتنفس الصعداء .. فعلى ما يبدو أنه لا يتذكر أي أمر مريب حدث في تلك الليلة .

Des. Maryam Tamim

أما أحمد الذي سقط يجلس القرفصاء عقب انصرافها .. يهدئ من إرتجاف جسده.. ثم رفع عينيه لعمرو المتخشب كتمثال بعينين ذاهلتين وسأله " ما رأيك .. هل صدقتني ؟ "
رمقه عمرو بعينين زائغتين وقال " الأمر الآن يبدو أكثر منطقية وتناسبا لو نظرنا إليها كأنثى وليس كذكر .. كيف لم ألحظ كل ذلك ".

ضحك أحمد بوهن وهو يستقيم بجذعه وقال "لأنك حِمارا ".

رد عمرو بغيظ وبلهجة ذات معنى " بعد هذا الوقت الصعب الذي مررت به أنت .. أنا سعيد جدا أني حمار في هذه الأمور "

سأله أحمد فجاة "ما لون خصلة الشعر الي رأيتها في المنام ؟"

Des. Maryam Tamim

نظر إليه عمرو في غباء للحظة .. ثم حاول التذكر فقال " ليست سوداء وليست بنية أيضا.. وليست شقراء مثل الاوربيين لون ما في المنتصف لا أعلم أسمه ".

سأل أحمد بهدوء " عسلي ؟"
هرش عمرو في رأسه وكأنه يحل مسالة رياضية معقدة وقال " كلا ليست كلون العسل... إنه كلون .. كلون .. كلون شعر الجمل ولكن بدرجة اغمق قليلا "
رمقه أحمد بنظرة صقيعية ليترجم له اللون الذي وصفه قائلاً " هذا هو اللون العسلي ".

مط عمرو شفتيه ليقول بامتعاض " أنعِم وأكرِم .. تشرفنا (ثم تحرك مغادرا وهو يقول بإرهاق) يكفي هذا اليوم .. يكفي .. فأنا في حاجة لعدة ليال من الاجتهاد في قيام الليل والتعبد حتى استعيد توازني

Des. Maryam Tamim

النفسي وعقلي الذي طار بسببك يا ابن سماحة ..(
وأكمل بغيظ) سأقطع صلتي بك .. لقد سئمت
مصائبك التي تلقيها فوق رأسي .. سلام "

ابتسم أحمد بانهاك .. وهو يراه يبتعد .. ثم مد يده
في جيب سترته الداخلي ليخرج خصلة سرقها من
الضفيرة .
تأمل الخصلة وقلبه ينزف .. ألماً ووجعاً ودماً ..

وتساءل بعذاب .. ترى لماذا فعلتِ ذلك يا بانة
الخازن ؟ .
يا صاحبة الضفيرة العسلية !.

الفصل العاشر

بعد بضعة أسابيع :

خرجت آية من الجامعة بصحبة منة الله صديقتها تتضاحكا على أمر ما .. فاقترب منهما ريان بثقة وهدوء.. وهتف مازحا " هل أستطيع معاكسة الجميلات ؟"

ضحكت منة بينما تفاجأت آية به وتمتمت مرحبة .. وأصر كل من ريان ومنة على إيصالها في طريقهما..

في الطريق استشعرت آية أن منة تحاول الجمع بينها وبين أخيها .. واختلست النظر إليه تتأمل وسامته وخفة ظله .. وتستعيد ما أخبرتها به منة بأنه مهتم بالموسيقى والطرب مثلها ومستمع أصيل .. بعدها بدأ النقاش حول بعض الامور التي

Des. Maryam Tamim

تخص الأغاني والطرب وأكتشفت من خلاله أنه لديه ثقافه موسيقية جيدة .

عند أول شارع سماحة أصرت أن تترجل من السيارة وهي تودعهم وتشكرهم تنوي أن تتمشى المسافة القليلة الباقية .
بوق سيارة خلفها جعلها تنتبه بينما سيارة سيد تقف بجانبها.. فأهدته ابتسامة تقطرعسلا وهي تركب إلى جانبه .
سألها ببرود " سيارة من التي كنتِ تركبينها ؟"
ردت بلا مبالاة "سيارة الدكتور ريان أخو منة "

حدجها بنظرة غاضبة ثم قال " منذ متى تركبين سيارات الأغراب ! "
ردت بعصبية " منة كانت معنا يا سيد لم نكن وحدنا.. ولقد أصرا على توصيلي".

Des. Maryam Tamim

اشاح بنظره بعيدا عنها بعدم رضا فقالت بحنق شديد " تغيرت كثيرا يا سيد .. أصبحت تعاملني مثل أحمد ".

أجفل مما قالت فتطلع إليها بحيرة وتساؤل بينما استطردت " أصبحت لا تتعامل معي سوى لتحاسبني .. أنت أيضا أصبح كل ما يهمك التأكد من شد القيود حولي .. من قبل كنت متواجد بشخصك .. بكُليتك بجانبي وفي عالمي ترسم نقوشاً وألواناً كقوس قزح على قيودي لتقنعني أنها ليست قيود وإنما زينة أتزين بها.. تجعلني أجمل وتحميني من الناس فتلهيني عن ألمها.. الآن تحاول الانسحاب من حياتي تدريجيا .. لكنك تحرص جيدا على التأكد من وجود القيود " .

لوكانت ضربته بخنجر في قلبه لكان أفضل مما شعر به تلك اللحظة ..

ليتها تعلم أنه هو صاحب القيد الأكبر ..

Des. Maryam Tamim

قيد كبير .. ثقيل جدا .. يقتات على روحه شيئا فشئيا فيحول الأيام لتصبح بلا معنى ولا طعم .

قال بضعف وقد أوقف السيارة بالقرب من المقهى "تحدثنا من قبل عن مسألة وضع حدود بيننا .. وأنها أضحت إجبارية من أجلك أنت ومن أجل صورتك أمام الناس "

همست بألم " وهل نحن نفعل شيئا خاطئا يا سيد؟؟ .. لم أطمع سوى في أن تكون متواجد في حياتي كالسابق "

نظراته طافت بوجهها تتأمل تلك النجوم المتراقصة في عينيها وحجابها البني الذي يزيد من حلاوة بشرتها البيضاء ..

ماذا تعلم تلك الصغيرة عن الاحتياج ..

عن الشوق ..

عن القهر ..

Des. Maryam Tamim

أن تريد بشدة لكن ما تريده ما هو إلا ضربا من الجنون.

اشاح بوجهه بعيدا يلملم مشاعر مخزية تنتابه وقال موجها دفة الحديث بعيدا عن مناطق خطرة

" يويا .. صدقيني .. المجتمع لا يرحم النساء .. وحينما تحملين اسم كبير كإسم سماحة فالمسئولية تكون على عاتق الفتاة أكبر .. لأن العيون والعقول المريضة لن ترحمها .. وستتحين أي فرصة للنيل من اسمك واسم عائلتك ".

حدجته بنظره صقيعية وشمخت بذقنها بتحدي لتقول بمرارة وهي تفتح باب السيارة " لا تقلق يا سيد أنا رييبتك وأعلم مسئولياتي جيدا.. وبت استطيع تحديد ما يصح ومالا يصح ..فلا تقلق على اسم سماحة "

خرجت وصفعت الباب بعصبية ..فناداها لتلتفت إليه بعينين غاضبتين .. ليناولها كيساً .. لكنها

Des. Maryam Tamim

رفضت بعناد طفولي.. يصر على مد يديه لكنها هتفت " لا أريد منك شيئا ".
أفلتت أعصابه فهدر فيها بقوة يأمرها أن تأخذ الكيس ..فارتعبت خوفا لكنها وقفت قليلا بكبرياء دون حركة وظل هو مادا يده من خلال نافذة السيارة بالكيس ..
مرت لحظات في عناد وتحدي بينهما.. في معركة صامتة لفرض الإرادة .. لكنها لم تستطع في النهاية الاستمرار في معاندته .. وخرت قواها سريعا..
فخطفت منه الكيس بعنف ودخلت البوابة وصفعتها بعصبية..

أما هو فظل محدقاً قليلا في أثرها يلملم شتات نفسه ثم شغل السياره ليبتعد عن الحي بأكمله ..
بينما عينان كانتا تراقبان المشهد من بعيد في صمت وتوجس ..
***

Des. Maryam Tamim

عند اقتراب الشمس للمغيب دخلت بانة الشارع تحمل بعض الأوراق أخذتها للمنزل لمراجعتها .. وهي مازالت لا تصدق أنها لم تعد عامل يحمل الأخشاب .. وإنما سكرتير في إدارة الورشة منذ عشرة أيام .. هكذا فجأة دون سابق إنذار أخبرها الحاج أنه يحتاجها لأن تتولى الامور الإدارية الورقية والمحاسبية في الورشة ..

كانت الوظيفة شاغرة منذ مدة ولم يشغلها أحد ..... و فجأة عرض عليها الحاج سماحة الأمر.. فلم تصدق نفسها أنها أخيرا ستودع حياة الإرهاق البدني لتعمل عملا يناسب تكوينها .. وخاصة انها جيدة في الحساب وهذا ما تفاجأ به أحمد تعليقا على ما وجده منها خلال العشر أيام التي شغلت بها الوظيفة .

أحمد ...

Des. Maryam Tamim

إنها لم تقابله منذ تلك الليلة التي اعتذر لها فيها – بشكل مؤدب علي غير عادته - عما صدر منه قبل ذلك أمام شقتها ..
بعدها علمت أنه سافر إلى الفندق في إحدى القرى السياحية الذي وقّع على تنفيذ ديكوراته ...
وبالرغم من افتقادها لوجوده إلا أن الخطوة أسعدتها جدا أن يحاول شق طريقه للمستقبل ..
ويستغل إمكانياته لصنع هوية منفردة تخصه بعيدا عن جلباب أبيه..

ويبدو أنه كان على علم بوظيفتها الجديدة فلم يتفاجأ بذلك .. بل أمطرها بالطلبات من أول لحظة لها في العمل الجديد. كان مزعجا أحيانا بعصبيته وتدقيقه في تفاصيل الأمور.. لكنها ستتحمل غلاظته من أجل الوظيفة ..

أعترفت لنفسها وهي تبتسم أنه لم يكن غليظا طوال الوقت بالعكس فإن معاملته معها اختلفت قليلا عما سبق .. احتفظ بمشاكسته وغلاظته لكن هناك شيئا ما تغير لا تستطيع تحديده .
تنبيه على الهاتف قطع شرودها فوقفت في الشارع لتجد السيد المغرور يراسلها على الواتساب ..لا يكف عن الثرثرة منذ أن سافر .. وتساءلت متى يتحدث إذن مع رقيقته السنيورة رشا ؟!..

السيد المغرور : أين أنت ؟
كتبت : أنا في طريقي للمنزل.
السيد المغرور : هل غادرت المكتب دون أن تخبرني أيها السكرتير.. ماذا لو أردت أن ترسل لي شيء من المكتب .
زفرت في حنق .. ها هو يتسلط عليها وهي مجبرة على تصنع الأدب مع مديرها .

Des. Maryam Tamim

كتبت : اعتذر .. سأسألك المرة القادمة إذا كنت تحتاج لشيء قبل مغادرتي .

السيد المغرور :وماذا سأفعل أنا بالاعتذار الآن!!!

كتبت : هل تحتاج أن أرسل شيء إضافي؟.. أنا أرسلت إليك بريد إلكتروني بكل ما طلبت .

السيد المغرور: كيف سترسل وأنت قد غادرت بالفعل!!!!!! .

كتبت :أنا معي جزء من الاوراق أراجعها وصورت جزء آخر على الهاتف وإن لم يكن المطلوب منهم أستطيع أن أعود للورشة الآن .

السيد المغرور : اووووه ... تبدوا متحمسا يا دكتور لوظيفتك الجديدة... كلا .. لا تعود للورشة النهار على وشك الرحيل والطريق غير آمن ليلا.

كتبت : اذن ماهي الاوراق المطلوبة ؟

السيد الحانق: لا أريد شيء اضافي كنت اشاكسك فقط 😁

زفرت في ضيق وتمتمت " عدنا للمشاكسة "

Des. Maryam Tamim

السيد المغرور : كيف حالك ؟
كتبت : بخير الحمد لله .
السيد المغرور: هل ساعدك مازال يؤلمك ؟
كتبت : تحسن كثيرا
ودت لو أن تسأله متى يعود لكنها وجدت أن السؤال سيكون غريبا .
السيد المغرور : الجو هنا رائع .. الشمس والبحر منتهى الروعة.. سآخذك يوما لترى المكان ربما بعد الانتهاء من الفندق لأريك تصاميمي .
كتبت : إن شاء الله
السيد المغرور: والسائحات هنا يا صديقي اووووووف أحتاج لجلسة طويلة لأحكي لك .
كتبت : يبدو أن المكان هناك يعجبك .
السيد المغرور : جدا جدا.. بالمناسبة مازلت لا أعرف أي نوع من النساء تفضل ؟☺ .

Des. Maryam Tamim

زفرت مجددا وقد أحمرت من الخجل والغضب معا وتمتمت في سرها " عدنا للوقاحة الذكورية التافهة "

كتبت : اعتذر .. أنا في الشارع نتحدث لاحقا سلام

.

السيد المغرور: سلام ☺

اقتربت من البيت فناداها صوت مألوف ... فالتفتت لتجد عمرو يجلس في المقهى في الدور الارضي .. تحركت نحوه فبدى محرجا وأذناه حمراوان لسبب تجهله !..
أخبرها عمرو بأنه يريد التحدث معها فأدركت أنه سيفتح موضوع الشقة .. لقد انشغلت في الوظيفة الجديدة ولم تجد وقتاً للبحث عن سكن جديد ... يبدو أنها ستضطر لقبول الشقة التي يعرضها عليها عمرو ..

تحركت إلى داخل المقهى لتسحب كرسي من أمام الطاولة التي كان يجلس بجوارها .. فتردد عمرو قليلا ثم تنحنح وعاد ليجلس أمامها.

بدأت بانة الحديث بشجاعة " بالنسبة لموضوع الشقة .."

قاطعها قائلا بهدوء " هذا أول سبب من السببين اللذان أردت الحديث معك بشأنهما ... بالنسبة للشقة فيمكنك الاستمرار فيها فأحمد صرف نظر عنها حاليا"

هتفت بلهفة بدون أن تشعر " هل أجل زواجه من رشا؟؟؟"

تنحنح عمرو وقال " يمكنك سؤاله بنفسك عن السبب .. لكنه أكد لي بأنه ليس في حاجة للشقة لفترة طويلة " .

Des. Maryam Tamim

تذكر عمرو أن أحمد قد طلب منه شيئان بعد تلك الليلة التي اكتشفا فيها انها فتاة .. الأول ألا يخبر أحدا أبدا وكان مبرره لذلك الصبر عليها لتكون مستعدة للإعتراف بالحقيقة.. فربما ارتعبت من المواجهة وقررت الهروب .. لكنه يعتقد أن هناك سبباً آخر عند أحمد لعدم إخبار سيد ووائل .. ربما مبالغة في حمايتها .. والثاني طلب منه أن ينسى موضوع انتقالها تماما.

قاطعت بانة شروده لتقول " وما هو السبب الثاني الذي تريد التحدث معي بشأنه؟ " .
قال بهدوء " أردت أن أعتذر لك عما بدر مني في الأيام التي تلت حفل عيد ميلاد أروى فقد كنت مضغوطا وعصبيا وأحمد كان حاله يقلقني جدا.. فأرجو أن لا تؤاخذني ".

Des. Maryam Tamim

أبتسمت بانة بمودة.. فاشاح بنظره وهو يقول بهمس "ما هذا الارتباك كيف لم الحظ مثل أحمد هذه الملامح الانثوية !" .

قالت بهدوء " لا تقل هذا يا عمرو أنت أخي.. والله وحده يعلم كم أعتز بمعرفتكم وكيف تغيرت حياتي بوجودي وسطكم ".

رد عليها " أدام الله الود والثقة بيننا .. واعلم (أوشك على كسر الميم وهو يحدثها لكنه استدرك الأمر سريعا) واعلم يا رامز أننا هنا إخوة لك ظهر وسند ..لم تعد وحيدا.. امنحنا ثقتك أكثر ولن نخذلك " .

تأثرت بانة بكلامه المشجع وتمتمت تشكره بتأثر.. حين رفعت نظرها وجدته مهتما بحدث ما وراءها فاستدارت لتجد شاحنة متوسطة الحجم مغطاة من الخلف تقف عند بيت سماحة .

سألت بفضول " ماذا يحدث ؟"

Des. Maryam Tamim

رد وهو يتابع " إنها سيارة توصيل أروى على ما يبدو"

وقفت الشاحنة تسد الشارع لتفتح أبوابها من الخلف فتنزل السيدة أم أحمد على سلم صغير .. وبعد قليل تحرك لوح منزلق يخرج من الشاحنة ليستقر على الأرض .. وتظهر أروى على كرسيها تحرك الكرسي الآلي لينزلق بهدوء على اللوح المائل .

اعتدلت بانة تقول" كيف ستصعد للشقة البيت بدون مصعد؟ "

رد بهدوء " أحمد سيحملها بالتأكيد "

نظرت نحوه وسألته باندهاش "أحمد عاد ؟"

أجابها " أجل عاد منذ ساعات وأوصلها لمركز العلاج الطبيعي وذهب للبيت لينام قليلا على أن تعيدها سيارة المركز"

Des. Maryam Tamim

تمتمت من بين أسنانها بهمس " الغليظ كان بالبيت.. وهو يحدثني ويتغزل بالشمس والبحر والسائحات ".

بدا لهما أن كرسي أروى يواجه صعوبة ما.. بعد أن أستقر على الأرض .. وهي تحاول التعامل معه ... بينما حركة مرور السيارات في الشارع قد توقفت بسبب حجم الشاحنة الكبير .. فوراءها وقفت سيارتين في هدوء متفهم لما يحدث .. بينما سيارة ثالثة خلفهما تبدو غير صبورة يعلو بوقها بالحاح مستفز .

ارتبكت بانة وقالت" ألن نساعدها .. أحمد لم ينزل بعد"

رد عليها وهو يتعمد التجاهل " اتركها تتصرف.. هي قادرة على التعامل .. سنجرحها بعرضنا للمساعدة " .

استمر بوق السيارة المستفز باصرار .. فتدخل أحد ابناء الحي يقول للسائق المتعجل " صبرا يا أخي ..

Des. Maryam Tamim

أختنا على كرسي متحرك .. امنحها بعض الوقت وستتحرك الشاحنة ".

أخرج سائق السيارة المتأنق رأسه من النافذة وهو يصيح بعنجهية "ما ذنبنا نحن أن نتعطل .. فلتلتزم البيت إن كانت مشلولة "

لم تستطع بانة الجلوس دون مساعدة فتحركت نحو أروى الي تشعر بالحرج لكنها رسمت تلك الإبتسامة التي تجيدها تماما بأن (كل شيء بخير).. اقتربت بانة منها بينما استقام عمرو ليتحرك بهدوء شديد متجاوزا الفتاتين نحو قائد السيارة المستفز ..

ابتسمت بانة لأروى بمودة وقالت "دعيني اساعدك على استكشاف ماذا يحدث لهذا الكرسي اللعين يا آنستي"

كانت والدة أحمد تقف عند البوابة تتعجل أحمد بصوت عال بينما بانة تحاول تحرير عرقلة الكرسي من صخرة علق بها .. أما عمرو فوصل للرجل

Des. Maryam Tamim

المزعج في هدوء وبمجرد أن اقترب مد يده داخل السيارة إلى عنق الرجل الذي ترك البوق وجحظت عيناه من الألم بينما يد عمرو تضغط على منطقة بين الكتف وعظمة الترقوة .. فصرخ الرجل متألما وعمرو يفتح الباب ويسحبه إلى خارج السيارة قائلاً بخفوت ينذر بالشر " ما رأيك في أن تجرب بنفسك الجلوس في المنزل مشلولا!" .

لاح الرعب على وجه الرجل وبدأ يتصبب عرقا وقد جحظت عيناه وعلامات الألم تملأ وجهه .

راقبت بانة المشهد في اندهاش وهي ترى عمرو بهذا العنف وهذا الانفعال لأول مرة .. بينما أروى المذهولة قلبها يتراقص في صدرها وهي تتمتم لنفسها ساخرة " فلنعطل المرور يوميا في الشارع حتى نحظى ببعض من حمائية عاقد الحاجبين (ثم مازحت نفسها) خسارة لا أعرف كيف ازغرد كنت فعلتها والله في وسط الشارع احتفالا بهذا الحدث السعيد جدا".

Des. Maryam Tamim

ابتسمت أروى لنفسها فعادة ما تقلب المواقف الصعبة لمواقف ساخرة كمضادات دفاعية لتغليف الوجع والإلتهاء عنه ...

حاولت بانة التعامل مع الكرسي فرفعته بكل قوتها من جانب واحد لتحركه بعيدا عن الصخرة ..فهدر صوت أحمد فيها فجأة " ماذا تفعل يا بني آدم !!!"

ارتجفت لرؤيته ووقفت تنهت بعد أن أنجزت المهمة ..

فوبخها قائلا " هل تعتقد نفسك (شجيع السيما).. انظر لنفسك ولحجم عضلاتك قبل أن تتهور مرة أخرى " .

انتبه لعمرو من بعيد والناس يتدخلون لإقناعه لترك الرجل .. وأن المسامح كريم .. فتشنج وهتف بقوة متحفزا "ماذا يحدث ياعمرو؟ " .

Des. Maryam Tamim

رد عليه عمرو بإشارة من يده تعني أن كل شيء على ما يرام .. فارتخت ملامح أحمد وتركه يتعامل مع الموقف لينظر لأروى التي وبخته قائلة " أين كنت كل هذا الوقت ؟" .

رد بغيظ " ألا يستطيع الإنسان أن يمارس حقه في دخول الحمام دون إزعاج في هذا البيت !!!! ".

وضع ذراعه تحت ركبتيها والأخر وراء ظهرها وبينما أروى تتمتم " شكرا يا رامز أتعبناك " .

فقال أحمد لبانة موبخا " ولا تفعلها ثانية فيكفينا ساعد واحد مكسور "

تملك بانة شعوران متناقضان .. الغيظ من سخريته منها .. والفرحة لرؤية هذا ..المستفز ..الوسيم ..الذي افتقدته بشدة وحاولت السيطرة على ضربات قلبها السخيفة التي تتراقص فرحا لرؤية هذا الغليظ.

Des. Maryam Tamim

استطرد أحمد بإغاظة وهو يتحرك نحو البيت مشيرا لذراعه العضلي الأسمر العاري من تحت الكم القصير " أنظر لذراعي وذراعك واعرف حجمك جيدا يا فتى "

قالت أروى معاتبة بينما يصعد بها السلم " لقد أحرجت الشاب ربما جرحت رجولته ".

ضحك أحمد وهو يردد كلمة (رجولته) في ذهنه ولكنه تجاهل تعليقها ليسأل بفضول " ترى ماذا فعل سائق السيارة حتى يستفز عم أمين الآلي ؟"

ردت أروى وهي تداري الفرح وكأن الرجل قد مدح فيها " الرجل وصفني بالمشلولة ".

كشر أحمد وقال " لماذا لم تخبريني .. انتظري هنا ".

هم بوضعها على السلم فصرخت فيه " أحمد ماذا تفعل" .

Des. Maryam Tamim

رد ببراءة مصطنعة " دقيقة واحدة سأذهب لأقتل الرجل واعود "
ضربت على كتفه بغيظ وهي تكتم ضحكتها وقالت " أوصلني للبيت يا غليظ " .
ضحك ورفعها ثانية ليواصل الصعود وهي تتأمله بحنان وقالت " يبدو مزاجك رائقا (ثم همست تسأل) هل لعبت بذيلك مع السائحات ؟".

قهقه ضاحكا ثم قال " كلا يا وقحة .. كنت مؤدبا جدا اقسم بالله ".

دخل الشقة وأنزلها على الاريكة وهي تنظر إليه نظرة متشككة .. فوقت متخصراً أمامها وأطرق برأسه قليلا في حرج ليقول بجدية " أنا أحاول جاهدا للإلتزام هذه المرة " .
هتفت مندهشة بفرح " رائع "

Des. Maryam Tamim

أضاف " أندم على كثير من الوقت أضعته وتراكمت ذنوبا كثيرة على كتفي أحاول محوها بقدر المستطاع ".

هتفت مجددا " راائع " .

أضاف " هذه المرة أفعلها صادقا لنفسي وأجاهد نفسي وأطوعها للالتزام ... خاصة واني كنت غافلا بالفعل عن نعم كثيرة أحاول التركيز حاليا حولي لاستكشافها تباعا (صمت قليلا ثم استطرد بتأثر) كما أنني ممتن له سبحانه وتعالى في موضوع – ما- حدث معي مؤخرا ورجوته أن يخرجني من حيرتي فاستجاب لي بكرمه " .

صفقت " رااااائع" .

فانفجر ببؤس مدعيا البكاء " لكن الامر كان عذابا هناك في القرية السياحية والسائحات كن مغريات جداااااااا ".

Des. Maryam Tamim

قهقهت أروى .. فأضاف بجدية " عمرو يقول أن البداية دائما صعبة ويبدو أن امتحاني بدأ في مكان صعب لكني أعتقد أني أبليت بلاءً حسنا "
ثم اشهر قبضته بمزاح "مستمرين .. مكملين على العهد باقين ".
انفجرت أروى ضاحكة بينما صوت نحنحة تأتي من عند باب الشقة الذي ما زال مفتوحا وصوت بانة ينادي بحرج " أحمد ".

اعتدلت أروى تتأكد من حجابها وتستر قدمها بحركة لا إرادية التقطها أحمد واستدار ليجد أن بانة لا تظهر نفسها امام الباب مدعية احترام حرمات البيوت فانفجر ضاحكا بدوره وهو يتحرك ناحية الباب ويقول ساخرا " يعجبني فيك يا دكتور إلتزامك بحرمة البيوت ".
ما أن اقترب منها حتى اكتشف أنها قد أحضرت كرسي أروى فهتف بغيظ " أنت لا تسمع الكلام ..

Des. Maryam Tamim



قلت لا تحمل شيئا ثقيلا .. ربما تأذى ساعدك مجددا " .
ردت بانة بسخرية " أنسيت أني كنت حتى عشر أيام مضت أحمل اثقل منها في الورشة !"
آلمه قلبه.. فلا يتخيل حتى الآن كيف تحملت هذا المجهود البدني وتمنى لو كان يعرف الحقيقة قبل ذلك .. فهتف بحزم مدعيا السخرية " كان ذلك قبل ان نكتشف أن عظامك هشة لينة .. فتصرف بحرص منذ هذه اللحظة وإلا اعدتك لحمل الاخشاب مرة أخرى.. أرني ساعدك هل تأذى؟ "

تراجعت بخجل تخفي ساعدها خلف ظهرها واسرعت في النزول وهي تقول " إنه بخير لا تقلق ".
لحقها بصوته " استعد وقابلني بعد ساعة أمام البيت".
استدارت تواجهه بتساؤل فقال ببساطة " سنذهب مشوار يخص العمل "

ردت بغيظ " انتهت مواعيد العمل ".
قال بابتسامة باردة متسلطة " أنا مديرك وأنا من يقرر يا سيادة السكرتير .. نلتقي بعد ساعة " .

ثم استدار يدخل الشقة متجاهلا هيئتها اللذيذة وهي ستنفجر من الغيظ .

***

طالع عمرو صفحة Mi Min كما يفعل مؤخرا بفضول وتتبع.. للحصول على أي معلومة إضافية عنها..

ان الأمر لم يعد فضول فقط عليه أن يعترف لنفسه بذلك .. مذهولاً بعض الشيء من المشاعر التي يتخبرها لأول مرة .. والتي لم يكن أبدا مهتما بوجودها من قبل ..

Des. Maryam Tamim

تساؤلات كثيرة تحيره ويشعر أنه مشدود من جهتين جهة المنطق بأن عليه تجاهلها للمضي في طريقه .. وجهة أخرى لا يعرف مصدرها لكنها تتسلط عليه من مكان مجهول بداخله يمنعه من أي محاولة للإبتعاد .

لهذا علاقته بها باتت متوترة في الفترة الأخيرة .. فتارة يبتعد في محاولة جادة لإنهاء العلاقة بينهما.. وتارة أخرى يضعف ويشتاق ..

أجل يشتاق لها.. وللحديث معها ولمشاكستها .. يشتاق لهذا الجزء منها الذي يعرفه ويتألم لأنه غير قادر على الوصول إليها بكُليتها ... غير قادر على رؤيتها بكامل كينونتها .

نشرت Mi Minصورة على صفحتها لشاب وسيم ذو ملامح آسيوية ملحقة بإعلان عن بداية تصويره

لمسلسل جديد وأطّرت الصورة بقلوب حمراء كثيرة .. فلم يعجب عمرو الأمر ولم يستطع التعامل معه بهدوء بل انفعل وأرسل لها رسالة خاصة :

عمرو القاضي : ليس وسيما بالمناسبة .

Mi Min: من ؟!

عمرو القاضي :هذا الكائن الذي تنشرين صورته مؤطرة بالقلوب الحمراء !

Mi Min: إنه ووكي (وجه مختبئ خلف كفين حرجا)

عمرو القاضي : من ؟!!!

Mi Min: ممثل كوري يدعىji Chang Wook

عمرو القاضي :لم أحسبك مراهقة إلى هذا الحد (وجه غاضب) .

Mi Min : ووكي يستطيع أن يستفز الجانب المراهق بداخلي (وجه يفجر قلوبا حمراء)

عمرو القاضي : شكله مستفز بالفعل (وجه غاضب)

Mi Min: لا تتحدث عنه هكذا !(وجه باكي)

عمرو القاضي : ألا تخجلين يا جدتي من التغزل في حفيدك .. ألم تخبريني أنك اكبر مني عمرا بكثير !.

Mi Min: وهل المرأة إذا ما كبرت في العمر فقدت الاحساس بالجمال وفقدت الاحساس بالحياة!

عمرو القاضي : تحشمي ! (وجه غاضب).

Mi Min: سأتغاضى عن غضبك لأسالك .. هل تعتقد أن المرأة حين تكبر في العمر ليس من حقها إشباع الجانب الرومانسي بداخلها ؟.

عمرو القاضي :أنا لا أفهِمك !.. حقيقة لا أفهِمك!!!!!.. تارة تتحدثين كمثقفة أنا شخصيا أنبهر بكم الكتب التي قرأتيها وأعجب بآرائك في أمور كثيرة.. وأراكي حكيمة وواقعية ولديك قدرة على التعامل بنضوج مع الحياة .. حتى إنك أحيانا تميلين لبعض الفلسفة النسوية الحقوقية

المتفزلكة التي أمقتها .. وتارة أخرى أصدم بالجانب المراهق فيك فتربكينني .. ربما لو علمت عمرك لاستطعت تصنيفك وتحديد ردود أفعالي معك .

Mi Min: وكيف ستصنفني إذا كنت أكبر مني ؟ وكيف سأكون اذا كنت أنا أكبر منك ؟.

عمرو القاضي : إن كنت أنا أكبر منك عمرا فسيشفع لك ثقافتك ورجاحة عقلك ... وإذا كنتِ أكبر مني فتلك هي المشكلة لأن الجانب المراهق فيك لا يليق بعمرك ولا بقدرك .

Mi Min: رأي ذكوري قمئ (وجه ممتعض)

عمرو القاضي: أنا قمئ !!!

Mi Min: أنا اتحدث عن رأيك..

عمرو القاضي : حسنا ... سأتركك مع حبيبك المائع... وأعفيك من قماءتي.

Mi Min: هل نتشاجر الآن!!

Mi Min:عمرو !!!!!!

Des. Maryam Tamim



***

تملكته السعادة وهو يتأملها تجلس بجانبه في السيارة صامتة ويبدو عليها بعض الإرتباك .. تأمل يديها التي تكومها في حجرها وعينها تظهر من جانب وجهها برموش طويلة .. ليست سوداء.. فأراد أن يخبرها أن رموشها تبدو لأي متفحص لا تتماشى مع لون شعرها..

تطلع أمامه على الطريق.. بينما رائحتها التقطتها أنفه منذ أن دخلت السيارة .. فتذكر إرتباكه حين لم يستطع تصنيف رائحتها كرائحة ذكورية أبدا وتساءل كيف ستكون رائحتها اذا امتزجت بعطر نسائي .. فشعر بالدفء يتسرب
إلى أوصاله .
قطع الصمت مشاكسا " لاحظت أنكَ غيرت نوع الصابون الذي تستعمله .. هل تستخدم نوع الصابون حسب المهنة التي تعمل بها ".

منحته ابتسامة صفراء مستخفة بمزاحه وردت "
لم أجد النوع الذي أستعمله دائما ".
رد ببساطة " أحب النوع الاول ".

لم ترد ولكن جذب انتباهها بعض الاسطوانات
الموسيقية على تابلوه السيارة فاندفعت تفحصها
بفضول لتجد مجموعة من المطربين القدامى لكن
معظم الاسطوانات كانت للسيدة فيروز فعلقت
باندهاش "هل تحب فيروز إلى هذه الدرجة ؟!"

رد وهو يختلس النظر إليها ثم يعود ليحدق في
الطريق أمامه " طبعا أحبها جدا .. ومؤخرا
أصبحت أحبها جدا جدا جدا " .
سألت بفضول " وما السبب ؟" .
رد بابتسامة غامضة " لأن لي صديق جديد يحبها
جدا .. وأنا أحبه.. فأصبحت تذكرني به " .

Des. Maryam Tamim

غمز بعينيه فارتبكت وسألت ببراءة " وهل تحب كل المطربين الذين يحبهم باقي أصدقاءك ؟ " .

قهقه لسؤالها فشعرت بالبهجة من صوت ضحكته الرجولية الذي دغدغ أعصابها..
شعور بالدفء بدأ يسري في دمائها .. ويخدرها قربه ورائحة عطره مختلطة برائحة رجولته تغزو رئتيها فتسكن أوجاعا في قلبها..

سحب أحمد احدى الاسطوانات ووضعها بمشغل الموسيقى فصدح صوت فيروز ليضفي أجواءً ساحرة براقة حولهما وكأن السيارة طارت فوق السحاب و زحام العاصمة وأبخرتها الملوثة الماثل أمامهما ليس له وجود.

كانوا يا حبيبي
تلج وصهيل وخيل
مارق ع باب الليل

Des. Maryam Tamim



كانت اصواتن تاخدنا مشوار
صوب المدى والنار

وجودها معه بالسيارة وهذه المسافة الصغيرة
بينهما وحولهما .. وجوده في حد ذاته وهذا السحر
الذي يملأ الفراغ بينهما .
يشعرها بفرح وبهجة..
ويشعرها بأمان تفتقده في غيابه..
ويخبرها كم أفتقدت وجوده الأيام الماضية .

احترسي يا بانة احترسي فأنتِ تقفين على فوهة
بركان قد ينفجر في أية لحظة في وجه الجميع
ويؤذيهم ..

فكرت كثيرا في الاعتراف له بالحقيقة.. لكنها تجبُن
كل مرة .. فما اكتسبته من مكان تأوي إليه..
ووظيفة مُرضية وصحبة رائعة و...

وجوده في حد ذاته في حياتها .. بأي صورة وبأي شكل..

أحمد رب العمل ..

أحمد الانسان..

أحمد الصاحب..

أحمد الأناني الغليظ ..

أحمد العصبي ..

أحمد الحنون ..

وكل الألقاب التي اطلقتها عليه.. يجعلها تجبُن أن تكشف الحقيقة .. فتفقد ما تملك .

حلّفتك يا حبيبي ..

لا تنسى يا حبيبي..

لما بتسمع هالغنية فكر فيّ يا حبيبي

انتبهت لأنها لم تسأله الى أين سيذهبان... فاعتدلت تسأله باهتمام.. ليرد عليها بينما ابتسامة جانبية تشق جانب وجهه " أريد أن أشتري هدية

Des. Maryam Tamim

لآية فأروى ذكرتني بعيد ميلادها و بعدها سأدعوك على العشاء "
ردت غاضبة " وما دخل هذا بوظيفتي؟!!! "

رد ببرود دون أن ينظر إليها " سكرتيري يلازمني أينما أكون .. كما أن اختيار الهدايا من ضمن واجبات أي سكرتير محترم ".
أحمر وجهها في غيظ وهمت بالجدال لكنه رفع سبابته أمام فمه وقال بهدوء "
هششششششششش... فيروز تغني فلا تعكر مزاجي " .
والتفت للطريق المزدحم أمامه .

إرتبكت بانة لتلك الحركة التي بدا فيها وسيما لدرجة اطفأت غضبها فجأة لتطيعه في هدوء وتصمت .
وكانو الخيالة ..

Des. Maryam Tamim



تلج وصهيل ونار ..
مارق ع باب الدار ..
كانت أصواتن .. تاخدنا مشوار ..
صوب المدى والنار ..
صوب المدى والنار ..

تأملها بنظرات مسروقة ... تأملها بكُليتها ..
لم يكن الأمر سهلا عليه في البداية .. فكما شك وتحير ووصل لبداية الجنون .. وبرغم من أن كونها فتاة هو أعظم خبر قد سمعه في حياته .. لكنه قضى ليلتين بعد معرفة الحقيقة في صدمة وذهول حتى أن جسده لم يتحمل هول الصدمة.. فوقع مريضا ليومين في حمى ... غير قادر على تصور صعوبة وقسوة ما مرت وتمر به ...
وكأن جسده كان يستبدل كل المشاعر المربكة أو السلبية بأخرى متفهمة منطقية ليصحو بعدها من الحمى بنظرة جديدة وقلب منتصر بأنه أول من

تبصر أنوثتها... ورجولة متفاخرة بفطرته وانجذابه للأنثى فيها .. حتى لو ادعت غير ذلك .

حذره عمرو على الهاتف خلال الاتصالات المتواصلة بينهما أثناء وجوده خارج العاصمة أن يكون شعوره هذا مزيف متأثرا بانتشاء رجولته لاستكشافها ... لكنه الوحيد الذي يعرف نفسه ويعرف كيف يشعر بها.. يعرف أن شعوره المتفرد تجاهها قديم وليس مستحدث بعد اكتشافه الحقيقة ..

اصطحبها لبعض المحلات وهو حائر في اختيار هدية لآية .. فشعرت بانة أنه متوتر وهو يحدد الهدية ربما لأنه مهتم هذه المرة بالحدث .. فحاولت مساعدته قليلا تعرض عليه أكثر من اقتراح .. ثم اقتنع باقتراحها باحضار حذاء رياضي لآية.. واندهشت أنه تركها تختار الحذاء مدعيا أنه لا يعلم أي من هذه الأمور .. فأختارت لها حذاء

رياضي بنعل عالي عن الارض سيمنحها طولا ..
اختارته ابيض بشرائط فضية لامعة .. كان الحذاء غريبا وعلى طراز حديث شعرت أنه سيتناسب مع شخصية آية الغير نمطية .

من بين أحاسيسه التي اختبرها معها هذا اليوم ..
إحساس امتدت جذوره عميقة في داخله منذ أول يوم قابلها فيه ..ليثمر الآن ويعلن عن نفسه صراحة دون التباس ..

إحساسه بالخوف عليها والرغبة في حمايتها ..
هذا ما تبادر لذهنه وهو يقودها وسط المحلات والزحام .. والحقيقة أن علامات القلق والترقب ممن حولها في الاماكن المزدحمة استرعت انتباهه .. ليدرك أنها بالفعل تخشى الزحام حتى وإن ادعت ذلك برباطة الجأش التي تجبر نفسها على التحلي

Des. Maryam Tamim

بها ... وخيل إليه أنها بالفعل تخشى الملامسة بشكل أكبر من مجرد خجل أنثوي فطري .
أضطر للامساك بمرفقها معظم الوقت رغم اعتراضها لطمأنتها وطمأنة نفسه أنها بجواره ولن تختفي في الزحام .. والحقيقة ود لو يستطيع الإمساك بأكثر من مرفقها .. كاحتضان كفها مثلا..
لكنه ابتسم لتلك الخاطرة وقال لنفسه متهكما " رجلان يمسكان بكفي بعضهما في الشارع .. يا حلاوة ! .. سنُضرب بالأحذية بالتأكيد" .

حين تأخر الوقت واستشعر الارهاق البادي على ملامحها قرر شراء بعض الساندوتشات السريعة لالتهامها في السيارة ..فأوقف السيارة بجوار أحد محلات الطعام الشهيرة بالعاصمة وترجل.. لكنه حين عاد لم تكن بانة في السيارة .

Des. Maryam Tamim

انتفض الخوف بداخله وأسرع في تمشيط الشارع حوله بناظريه .. وبعد لحظات تحول الخوف لرعب ..

أين ذهبت؟ ولماذا ؟ !!!..

هل تهجم عليها أحد؟ ..

هل أوقفتها الشرطة ؟ .

نادى عليها برامز فلم يجد رد ..فأخرج هاتفه وحاول الاتصال بها .. لكنه لمح خيالا يقف تحت الكوبري في الناحية الأخرى من الشارع ..

المكان هناك مظلم فلم يستطع التأكد لكنه حدسه قاده لأن يعبر الشارع في عجلة متجاهلا انذارات السيارات ليصل للمكان .

حين اقترب رآها تقف تحضن نفسها هناك في الظلام تحت أقصى زاوية تحت الكوبري .. اقترب

منها بحرص واندهاش بينما عقله يحاول البحث على تفسيرات منطقية .. كانت شاحبة الوجه وعندما رفعت إليه عينيها البندقيتين ورموشها الكثيفة بدتا كعيني قطة مذعورة منكمشة في هذه الزاوية .

ابتلع ريقه الجاف واقترب أكثر وصوت تهشم الحصى والزجاج المتكسر تحت حذائه يشارك صوت أنفاسه العالية اختراقا للصمت المهيمن على المشهد فقال بحذر " باذ (ابتلع الحروف بسرعة)..... رامز .... هل أنت بخير ؟ .. لماذا تقف في هذا المكان الغريب ؟!! ".

أجابت وهي تمسد ذراعها وكأنها تقاوم ذكريات مؤلمة " قضيت ليلتين هنا وحدي تحت الكوبري في عز برد الشتاء أتضور جوعا ورعبا ".

Des. Maryam Tamim

ثم اكملت في سرها " أول ليلتين لي بعد أن قصصت شعري وهربت من دارالفتيات ".

جحظت عيناه واعتصر الألم قلبه ..
لو يستطيع احتوائها بين ذراعيه...
فقط لو يستطيع !.

تنحنح يجلي صوته ليتحدث بلهجة عادية لا تفصح عن مكنونات قلبه ورغباته " وهل جئت هنا مرة أخرى لتستعيد تلك اللحظات المريرة ؟" .

أجابت بتأثر " بالعكس بل جئت لأستعيد احساسي وقتها.. لاشعر بالامتنان لما بين يدي الآن .. بل إنني أفعلها أيضا حين تضيق بي الأمور وتتأزم معي .. أقف هنا بعض الوقت في الليل بالذات.. في هذا الظلام.. في هذا المكان شبه الخالي... أراقب ذاك المحل بالذات وهو مليئ بالناس والطعام..

Des. Maryam Tamim

واستعيد احساسي وقتها لأخبر نفسي بأنه مهما كان سوء أوضاعي لن تكون أسوأ من تلك الايام .. نوع من الترويض النفسي على التحمل " .

ما تفوهت به مزق نياط قلبه .. هذه الفتاة تلقنه دروسا مجانية في الشجاعة في مواجهة الأقدار وفي المثابرة وقوة التحمل .

قال يشجعها ويشد من أزرها ففتاة مثلها لن تتحمل نظرات الشفقة " وها أنت أبليت بلاءً حسنا وها أنا فخورا بأني تعرفت عليك.. وأتمنى أن تثق بي .. وتأكد أني لن أخذلك ابدا" .

لم ترد وكأنها مازالت محاطة بذكريات مؤلمة مريرة بينما الظلام المحيط بوجهها يحجب عنه قراءة ما تشعر به ..

كان الفضول و الرغبة في التشبع بتفاصيلها حتى بذكرياتها السابقة يدفعه دفعا لطلب المزيد من التفاصيل عن الماضي لكنه قاوم هذه الرغبة القوية بداخله حتى لا تستعيد هذه اللحظات السوداء لذا

Des. Maryam Tamim

تصرف بمكر لإخراجها من قيود الذكرى فقال بسخرية " هل تعرفه ؟ "

انتبهت للسؤال الغريب وقالت "من ؟"

اشار إلى نقطة ما خلفها ليقول " هذا الذي يقف خلفك يتفقدك من بعيد .. الفأر .. هل هو صاحبك منذ تلك الليالي ؟ "

انتفضت بانة بصرخة أنثوية خالصة وفي قفزة واحدة أصبحت تقف خلف أحمد تمسك بذراعه .. فقهق عاليا ..

لكنها استمرت بالتراجع للخلف في رعب حقيقي .. كانت تخاف من الحشرات والقوارض في الماضي لكن ما مرت به في الأيام التي عاشتها في الشارع حول الامر رهاب حقيقي وليس مجرد خوف أنثوي معتاد .

كادت بابتعادها للخلف أن تخرج لطريق السيارات فاندفع أحمد بسرعة يسحبها من خصرها نحو صدره مرتعبا وهو يصيح " احترس ".

Des. Maryam Tamim

انتبهت لذراعه الذي يحيط بخصرها.. ويديها التي استقرت على صدره.. بينما ضربات قلبه كانت تهدر بقوة تحت يدها.. فأوعزت ذلك لخوفه عليها .. الشعور بالقشعريرة الذي سرى في جسدها جعلها تنتفض لتحرر نفسها من ذراعه وتقف بعيدا تلملم شتات نفسها.

فزفر أحمد بقوة وهو يقول في سره " صرخة أنثوية صريحة لا يخطئها أي ذكر محترم وخاصة مع لمس خصر طري كهذا .. لو حدث ذلك منذ اسبوعين لكنت الآن نزيلا في مستشفى المجانين " .

بعد قليل كانا يجلسان في السيارة التي لم تتحرك بعد وقد أصر أحمد أن يتناولا الطعام قبل أن يتحركا من المكان وكأنه يتعمد إحلال وتبدليل ذكرياتها المؤلمة بذكريات أخرى أكثر آدمية .. وإن كان يتمنى لو استطاع أن يجعل الذكريات الجديدة أكثر من مجرد ذكريات آدمية ...

Des. Maryam Tamim

شاعرية مثلا ..
كأن ...
كأن يقبلها مثلا...
قبلة تنسيها الماضي والحاضر..
خاصة و أن فتات الطعام العالقة الآن بجانب فمها تستفزه ..
تستفزه جدا ...
سيطر أحمد على اعصابه وتناول منديلا ومد يده ليمسح بقايا الطعام من جانب فمها بجرأة ..
فتفاجأت بانة وانكمشت فأعطاها المنديل لتكمل تنظيف فمها بينما وجهها يتخضب بحمرة الخجل ...
يستمتع بإرباكها .. لكنه يوما ما .. حين تعرف أنه يعرف .. لن يرحمها بسبب كل ما عاناه ويعانيه حاليا بسببها .

Des. Maryam Tamim

انتبه لسقوط بعض الطعام على بنطاله وحذائه فانزعج وتأفف... وأخذ ينظف الحذاء والبنطال بإهتمام شديد وقد تعكر مزاجه..

أخذت تتأمل عبوسه كالأطفال وقالت تغيظه " أنت تميل لبعض الوسواس هل تعلم ذلك ؟"
قال بعصبية وهو يرفع الساندوتش لموضع آخر ليكمل تنظيف الحذاء " لست موسوسا انا فقط لا اتحمل أن تتسخ ملابسي "
ردت بإغاظة " انظر للحذاء اللامع وأنت تدرك أنك تبالغ في تنظيفه " .
فجأة وقع مزيدا من الطعام على الحذاء وهو يحرك الساندوتش فشحب وجهه وجحظت عيناه ...
بينما انفجرت بانة ضاحكة بدون أي حرص أن تكتم ضحكاتها حتى كادت أن تختنق من الضحك محاولة لتنظيم نفسها..

Des. Maryam Tamim

تأمل ضحكتها الأنثوية الحقيقية التي سرقت أنفاسه..واستعاد صداها مرارا وتكرارا في أذنه ..فأقسم لنفسه أنه سيجعلها تضحك هذه الضحكة دائما وابدا .

بعد ساعة أوقف السيارة تحت باب المنزل يتأملها مستغرقة في النوم بكل أريحية على الكرسي بجانبه ..

لو سُئل أي اللحظات سيفخر بها في حياته.. فيسقول تلك اللحظة التي انتبه وهو يقود أنها استسلمت للنوم في سيارته .. ففتاة مثلها بعد ما عانته من قبل وما لمسه اليوم بإحساسه أن لديها بالفعل خوفا ورهبة التحرك خارج المحيط الآمن المجرب .. لن تستسلم للنوم مهما كانت مرهقة إلا في وجود شخص تثق فيه .. وهذا كفيل بأن يملؤه فخرا وتأثرا..فود لو أطال الجلوس هكذا بجانبها بالسيارة يتأملها ويستكشف ملامحها بعينيه لكن الشارع لا يخلو من المارة ..

Des. Maryam Tamim

أيقظها مدعيا الغلاظة " استيقظ يا دكتور .. لن نبيت في السيارة ".
انتفضت بخوف أجفله لكنها سرعان ما استوعبت أين هي ليتلون وجهها باللون الأحمر من الحرج..
ففتحت باب السيارة تنطلق بسرعة وهي ترمي "عمت مساءً " مرتبكة إليه.
ليتمتم وهو يتأملها تحاول فتح قفل البوابة الحديد بارتباك " اسرعي يا بنت الناس وقولي الحقيقة .. وإلا ستكون فضيحة ابن سماحة بجلاجل ".

***

زفرت وألقت بالقلم مستسلمة أخيرا لفضولها لفتح الكيس الذي أعطاه لها سيد ظهرا .. كانت تصر بعناد أن تعاقبه بألا تفتح الكيس مقاومة فضولها عما يمكن أن يكون بالكيس وما مناسبته .. ثلاث ساعات تحاول التركيز في المذاكرة دون جدوى .. تطلعت للكيس القابع بإهمال بجانب السرير وهي تحاول محاولة أخيرة للصمود .. ترى ماذا سيكون

Des. Maryam Tamim

بداخله .. اسطوانة موسيقية .. طعام تحبه .. مثلجات .

مثلجات !!!!!!!!!!!!!!!

انتفضت آية إلى الكيس بسرعة فستكون مصيبة لو كانت فعلا مثلجات فلا شك أنها تحولت لحساء الآن بعد كل هذا الوقت ! .

كان في الكيس علبة هدايا من الكرتون ملونة باللون الزهري .. فازدادت ضربات قلبها وهي تفتح العلبة بأنفاس متسارعة ..

كارت صغير أول ما إلتقطته بأصابع مرتبكة لتقرأ "

عشرون عاما مضت على شروق شمس صغيرة على هذا العالم .. ومائة عام أخرى هي ما أتمنى لك أن تعيشيه في سعادة وفرح كما تستحقين "..(سيد)"

رفعت آية قطعة من القماش الناعم شبه الشفاف لتفردها أمامها وشهقت بإنبهار .. كان وشاحا

Des. Maryam Tamim

بتدرجات من اللونين الزهري والليلكي .. مطبوعا على حرفه شموسا صغيرة زهرية اللون .. ومطبوعا عليه أيضا مقتطفات من أغنيات كثيرة جدا لم تستطع احتواء عددها.. لأول وهلة .. لمحت مقاطع لأغان لأم كلثوم وعبد الحليم وفيروز ومنير وأنغام . وغيرهم من مطربيها المفضلين .. ويفصل بين كل مقطع وآخر مفتاح صول الموسيقى بلون ليلكي ..

الوشاح كان مبهرا إلى حد الصدمة .. فأخذت تتحسسه بأصابعها .. وكأنها تسمع صدى كل مقطع في أذنها .. ولم تشعر بالدموع التي أغرقت وجهها .. وهي مازالت تتأمل الوشاح وتتحسس نعومته ورقته على خدها .

الوقت تجاوز منتصف الليل لكنها لم تستطيع الصبر لليوم التالي.. فرفعت الهاتف وأتصلت به .

Des. Maryam Tamim

كان بالشرفة يدخن في قلق منتظرا تلك المكالمة من تلك العنيدة ليطمئن أن الهدية أعجبتها.. لم يقاوم أن يهديها هدية مميزة هذه المرة بعدما حرص لسنين مضت أن تكون هدية عيد ميلادها لا تحمل معنى قد يساء فهمه .

لكن هذه المرة يعترف أنه ضعف.. كل ما قدر عليه أن تكون هدية مميزة.. دون اعطاء أي تلميح لشيء خاص ..

لكن ألا تحمل هذه الهدية وحدها معنى خاص!

تنحنح حين رن الهاتف و فتح الخط بهدوء فبادرته بالقول بصوت متأثر " أعرف أن الوقت قد تأخر لكني .. (صمتت قليلا تحاول السيطرة على دموعها واستطردت) لكني لم استطع أن أصبر لأخبرك أن هذه أروع هدية قد حصلت عليها ولا أظن أني سأحصل على أحلى منها أبدا أبدا في حياتي " .

ابتسم في إرتياح وقال بصوت جاهد أن يكون عاديا "عيد ميلاد سعيد يويا "

Des. Maryam Tamim

ردت وهي تمسح دموعها " لكن عيد ميلادي بعد يومين "

قال مازحا " قد انشغل أو أنسى.. ووددت أن أعطيك الهدية قبل أي أحد "

ردت بتأثر واضح " شكرا يا سيد ... لا أستطيع أن أصف لك شعوري " .

حاول أن يقطع الطريق عن مارد يعربد بداخله ليتحرر وينطق فقال " أما أنا فاعرف شعوري جيدا وهو أني متعب واريد أن أنام .. تصبحين على خير يا مزعجة " .

اغلق الخط ..وهو يبتسم في مرارة ..

فبدلا من أن تدغدغه السعادة ..

شعور بالخزي أخذ يجلده ويستنكر ضعفه وجنونه.

***

بعد يومين :

Des. Maryam Tamim

اخرجها أحمد من الشقة يحملها بين ذراعيه وهي معترضة تتساءل عن السبب .. فاجلسها على السلم أمام الباب ثم أغلق باب الشقة من الخارج وجلس أمامها يستند على الحائط وهي تعدل إسدال الصلاة الذي ألبسها إياه في عجلة ..

زفرت أروى في ملل وهتفت" لا تقول أن أمي تحدثت معك بشأن دكتور طارق وكلفتك بإقناعي" رد عليها وهو يسترخي في جلسته " عيب عليك ! .. وهل سأفرط فيكِ لأي بغل حتى لو كان دكتور علاج طبيعي وسيم وأنيق .. أنا رأيي بشأن عدم الموافقة على زواجك قاااطع "
ابتسمت ابتسامة صفراء مجاملة وهي تقول " حقيقة لا أعلم إن كان علي أن أفرح برأيك هذا أم ألطم على وجهي " .
رد ببرود " عزيزتي الأمر محسوم (ليس هناك رجلا يستحقك).. نقطة أخر السطر " .

Des. Maryam Tamim

مطت شفتيها بإمتعاض وسألت " إذن ماذا نفعل هنا على السلم ؟".

سألها بدوره " هل أنت متأكدة أن أمك نائمة ؟(حين أومأت برأسها استطرد) إذن سنفعل كل خير إن شاء الله " .
ثم أخرج من جيبه علبة سجائر ومدها إليها لتسحب واحدة ..
اتسعت عيناها بفرح وصاحت وهي تصفق بيديها كطفلة.. ثم مدت أصابعها تحاول سحب أكثر من واحدة بطمع فضرب على يدها بحزم واعطاها سيجارة واحدة ثم سحب أخرى لنفسه .
مطت شفتيها بإحباط لكنها سمحت له بإشعال السيجارة لها وهو يهتف بسخرية " مساء الخيييييير يا مودموزيل ! " .

Des. Maryam Tamim

ضحكت ثم سحبت نفسا باستمتاع وأطلقته أمامها وهي تتأمل الدخان في هيام .
قهقه أحمد ثم شاكسها " لو رآك والداك الطيبان وأنت تدخنين لماتا بنوبة قلبية " .
ضحكت وسحبت نفسا أخر من السيجارة باستمتاع.. فتأمل جانب وجهها المليح والنغزة التي تحلي ذقنها ورشاقة أصابعها في التعامل مع السيجارة وقرر أن يحتفظ بهذه الصورة ليرسمها بأقلام الفحم فيما بعد .

قاطع حالة هيامها بالسيجارة ليسألها بجدية " ينتابني الفضول لأعرف سبب رفضك للدكتور طارق .. أنا أعلم أنها ليست المرة الأولى الذي يعرض عليك فيها الزواج " .
سحبت نفسا من السيجارة وأخرجته ببطء من فمها وهي تراقب خيوط الدخان أمامها وقالت " طارق شاب محترم وخلوق واشعر بمشاعره

Des. Maryam Tamim

الصادقة تجاهي .. لكني غير مقتنعة بفكرة الزواج عموما بدون حب .. وخاصة أني غير قادرة على منحه

ما تمنحه أي زوجة عادية تتحرك .. وغير قادرة على منحه قلبي .. فلماذا أسبب له تعاسة بزواجه مني وأسبب لنفسي تعاسة بالدخول في معترك الزواج وقتامته وروتينيته.. وتحدياتي التي لن تكون بسيطة ابدا وأنا زوجة قعيدة على كرسي متحرك .. ببساطة لماذا هذا التعقيد ؟ .. الدنيا أبسط من ذلك ".

رد بجدية " ربما لو اعطيتيه الفرصة لأحببتيه .. الشاب كما قابلته بضع مرات أثناء متابعة علاجك .. يوحي بالثقة " .

التفتت إليه تتأمله في شرود قبل أن تقول " الحب الذي أؤمن به لا يأتي بالتعود ولا نختاره من بين الاشخاص المناسبين .. الحب قدر .. وقدرك تأخذه دون اعتراض " .

Des. Maryam Tamim

قال بلهجة ساخرة " الروايات والدراما حبسوكِ في عالم رومانسي خيالي "

ابتسمت في مرارة " الروايات والدراما تعكس حياة المحظوظين في الحب .. تدخلك في عالم موازي يخدر آلامك...أما في الواقع.. قد يحول الحب أحيانا حياتك لجحيم لا يطاق " .

لم يلحظ الألم البادي في عينيها لكنه قاله في مرح " إذن أنا الآن ضميري مرتاح.. لم أفرض عليك رفضه بل إني سأقسم لأمي أنك مصرة على الرفض وأنا ضميري مستريح ".

ضحكت بخفوت بينما صوت باب شقة بانة يفتح فاستقام بسرعة ينظر من فوق السور قائلاً " أهلا يا دكتور"

قالت بانة بحرج " أنا فقط سمعت أصواتا على السلم أردت التأكد من هويتها ".

Des. Maryam Tamim

رد بمرح " أنا وأروى ندردش قليلا .. عموماً جئت في وقتك يا دكتور .. الحقني بفنجان قهوة من يديك مع هذه السيجارة " .

رفعت إليه عينيها بنظرة صقيعية ثم ردت بكبرياء " لقد خلقنا الله أحرارا يا باشمهندس أحمد (ثم رفعت صوتها أكثر لتقول) بعد إذنك آنسة أروى" دخلت وأغلقت باب الشقة بينما جلجلت ضحكته باستمتاع بمشاكستها وعلا صوته ليصلها " أروى تريد احتساء القهوة من يديك يا عم مصطفى كامل.. وبلدكم مشهورة بكرم الضيافة .. فلا تخذلنا ."

عاد ليجلس وعلامات الفرح تنير وجهه بالكامل .. وسحب نفسا مستمتعا هذه المرة وهو يستعيد ملامحها كما رآها من هذه المسافة منذ قليل .

تأملته أروى ثم قالت " أحمد .. بك شيء جديد .. هناك نظرة جديدة في عينيك .. وهناك طاقة

Des. Maryam Tamim

تجددت بك لتنبت خضارا بعد سنين من جفاف روحك " .

ابتسم في هدوء ثم صاح بسعادة طفل صغير "يحضر القهوة أشم رائحة البن الخاص به من هنا"

قالت موبخة " أحمد أنت تضغط عليه كثيرا .. أشعر بالشفقة عليه وأنت تمازحه مزاحا ثقيلا .. لا أعرف لكني لا أتصوره يتحمل مزاحك البغيض مثل سيد وعمرو ووائل .. لاحظ أنك لا تعرفه سوى من عام واحد فترفق به ".

سكت ولاحت علامات التردد على وجهه مما أقلقها ثم هتف بهمس " حسنا أنت بالذات لن أستطيع أن أخفي عليك شيئا مهما كهذا (واقترب منها وقال بهمس جاد) سأخبرك أمرا قد يصدمك" .

نظرت إليه باهتمام وهي تسحب نفسا من السيجارة التي أوشكت على الإنتهاء فقال بتردد " رامز .. فتاة وليس شاب ".

Des. Maryam Tamim

نوبة سعال خنقتها مع الدخان الذي يخرج من فمها لتصارع في شهقات متكررة وتسعل بقوة وتكرار طالبة بعضا من الاكسجين .. بينما كسى الرعب ملامح أحمد وأخد يربت على ظهرها حتى هدأت..فسألته وهي تمسح دموع الاختناق " هل هذه سيجارة حشيش؟ .. انك تهلوس " .
انفجر ضاحكا واقترب منها يضمها ويقبل رأسها بينما عيناها مازالتا متسعتان في تساؤل ثم قالت " هذه أسوأ مزحة قلتها يا أحمد"
قال بهمس" أعلم أنك مصدومة وسأحكي لك شكوكي منذ البداية ".

بعد دقائق قليلة كان شحوب وجهها واتساع عيناها أكثر بعدم التصديق وهي تتطلع في هاتفه على الصور التي أتخذها من شقتها .

Des. Maryam Tamim

صوت بانة تفتح شقتها ثم خطواتها تقترب على السلم لتظهر بفنجانين من القهوة وقد تخضبت وجنتيها بحمرة حرج لم تستطع أن تتحكم فيها .

مد يده يحمل عنها الصينية فقالت بانة بغيظ " فقط من أجل الآنسة أروى " .
حدجتها أروى بنظرة مصدومة من عينين مازالتا حمراوين من أثر السعال ..فارتبكت بانة من تحديقها ليتدخل أحمد قائلا " لقد اختنقت من دخان سيجارتي .."
تمتمت بانة بألف لا بأس واستأذنت للعودة لشقتها .. بينما عادت أروى للتطلع من جديد في الهاتف.

استقام أحمد ليدخل الشقة ويعود بعد دقيقة ويجلس بجانبها مجددها قبل أن يسأل بترقب " هل اقتنعتِ؟" .

Des. Maryam Tamim

أومأت أروى برأسها وملامحها مازالت تحت تأثير الصدمة فجاهدت لتجلي صوتها وقالت " يبدو كل شيء فيه .. أقصد فيها منطقي اذا نظرت إليها كأنثى "

فتح يده ليريها ما أحضره من الداخل وما أصبح يحتفظ به في جيب سترته دائما .. خصلة شعر عسلية ..فمدت أروى يدا مرتعشة تمسك بالخصلة..

ثم فجأة ..

أجهشت بالبكاء ..

فارتبك أحمد من رد فعلها بينما تمتمت أروى من بين دموعها " يا لها من مسكينة .. كيف واتتها الشجاعة لتتحمل كل هذا .. يا الهي أنا لا أصدق! .. لا أصدق أن يكون العالم بهذه القسوة " .

علا نشيجها بينما أحمد يربت على ظهرها ويمسده .

Des. Maryam Tamim

بعد دقائق كانت قد استعادت توازنها بعض الشيء فحذرها أحمد أن تخبر أحد لتسأله في حيرة " إلى متى ستظل هكذا؟ لابد أن المسكينة تعاني ".
زفر أحمد يقول بحيرة مماثلة " لا أعلم يا أروى.. أتمنى أن تعرف اليوم قبل غدا أني أعرف حقيقتها وأن عليها ألا تخاف وأننا جميعا بجانبها (ثم أضاف ساخرا) ادعي أن يحدث ذلك سريعا قبل أن يتهم أخاك بالانجذاب للذكور " .

تأملته في سعادة وقالت " إذن هذا هو سر خضار روحك وابتهاجها .. أنت عاشق .. لا أصدق!! .. أنت عاشق يا أحمد" .
ألقت بنفسها تطوقه بذراعيها وتربت على ظهره بمحبة هامسة " أتمنى من الله أن تكون محظوظا في هذا الحب وأن تكتب لك السعادة ياحبيبي " .

Des. Maryam Tamim

أبعد ذراعيها ليمسح دموع أخرى انهمرت من عينيها يسألها " لمَ تبكين الآن ؟!!!" .

ردت وهي تمسح دموعها "أعتقد أني مازلت تحت تأثير الصدمة .. هل لي بسيجارة أخرى ؟"

***

في المساء اعتلى سلم الخن بخفة فهد بساقيه الطويلتين وهو يجز على أسنانه من الغيظ حين علم من أمه أن الحاج سمح لآية بمناسبة عيد ميلادها بالصعود للخن للعب ألعاب الفيديو التي اشتروها مؤخرا .. وأستقبله صوتها وهي تصرخ بحماس وانتصار قبل أن يراها .

دلف إلى الغرفة ووقف متخصرا فارتبكت آية قليلا ثم عضت على شفتها كالأطفال وقالت " أبي سمح

Des. Maryam Tamim

لي بان آتي لأجرب الألعاب الجديدة وقال مادام احدا من الشباب موجودا فيمكنني اللعب قليلا " .

تأفف ثم قال " اقترب وقت المباراة وهي مباراة مهمة .. يكفي ذلك وعودي للبيت "
صاحت باعتراض طفولي " باقي على المباراة ساعة كاملة استطيع أن ألعب فيها (ثم اكملت باستعطاف) ليتني أشاهد المباراة معكم أيضا "
قال ببرود " انهي لعبك بسرعة هيا " .

مطت شفتيها باحباط..فتأملها قليلا وهي ترتدي الحذاء الذي أهداه لها .. فارتدته تحت بنطال من الجينز الازرق وبلوزة وردية طويلة مع ححاب زهري اضفى توردا طبيعيا على وجنتيها .. وتذكر فرحته حين رأي في عينيها هذا الصباح سعادتها بهديته .. كانت تتراقص كطفلة صغيرة وتمطره بالقبلات..

Des. Maryam Tamim

تدخل وائل قائلا " دعنا نحتفل بعيد ميلادها يا أحمد " .

رد ببرود " احتفلنا به في البيت منذ ساعات "

قال وائل "ونحتفل به نحن أيضا ".

هتفت آية بحماس " هيا نافسني يا أحمد اللعبة القتالية الجديدة مبهرة .. لقد هزمت وائل يبقى أنت وعمرو "

رد عمرو وهو مشغول بالتطلع في هاتفه كالعادة " أنا سأكون الأخير لأهزمك شر هزيمة " .

اخرجت لسانها بإغاظة ثم اقتربت تسحب أحمد بدلال فسألها " لماذا لم تنافسي سيد إذن " .

حدجت سيد بنظرة معاتبة ثم قالت بغيظ " سيد يحتفل بعيد ميلادي اليوم بزيادة ثقل دمه وإكتئابه"

Des. Maryam Tamim

تأمل سيد الصامت المنزوي بجانب النافذة الكبيرة في آخر الغرفة يدخن سيجارة ويجامله بابتسامة بلاستيكية فتوجس قلبه أكثر .

سحبته آية من ذراعه ليجلسان على الآريكة وبدآ التنافس ..
بعد قليل بدأت عصبيته وضحكاتهما تملآن أجواء الغرفة بالمرح وهو يهتف " نسيت انك شيطانة صغيرة في اللعب ".
رنة ضحكاتها فسربت البهجة لروح سيد شيئا فشيئا وهو يتأملها من بعيد .
يفضل أن ينزوي في ركن ما يتأملها .. يتحسس حضورها الذي ملأت به الغرفة منذ أن حضرت ..
لم يكن يعلم أنه اليوم على موعد مع قليل من السعادة فقرر أن يتمتع بكل لمحة منها قد يحصل عليها بعينيه وأذنيه .

Des. Maryam Tamim

متجاهلا احساساً بالخزي بات مرافقا ثقيلا على روحه .

صاحت آية بانتصار بينما رمى أحمد بمتحكم الألعاب وهو يزفر في حنق .

سألها وائل " لم تخبرينا بامنياتك للمستقبل في عامك العشرين يويا "

وقفت أمامه كعارضة أزياء يديها على خصرها وقالت بثقة " أن أصبح مذيعة مشهورة.. وأن اتزوج بعد قصة حب كبيرة جدا"

قال وائل بمكر " أليس مبكرا الحديث على الزواج"

ردت ببساطة " الزواج ليس له سن "

قال يشاكسها " ماذا لو لم تجدي قصة حب كبيرة كما تقولين ؟"

ردت بثقة وبراءة "بل أنا متأكدة أني سأتزوج عن قصة حب كبيييرة جدا ".

Des. Maryam Tamim

تدخل عمرو في الحديث " مازلتِ صغيرة على الزواج .. فاخرجي هذه التفاهات من رأسك واهتمي بدراستك ".

انفعلت وهمت بالاعتراض لكن أحمد سبقها ليقول "لقد فوجئت أمس بعريس يطلب يدها مني بالفعل".
نظرت لأحمد متفاجئة لكنها تماسكت وأخفت خجلها وحدجت عمرو بنظرة متفاخرة وهي تقول بإغاظة "أرأيت ؟ "
بينما حدج عمرو أحمد بنظرة معاتبة فتجاهله ليتطلع نحو سيد الذي تشنجت عضلاته بشكل واضح وتقبضت يداه بجوار جسده وهو يحدق في نقطة ما وهميه خارج النافذة.. ينفث دخان سيجارته كمحرقة صامتة .
زفرأحمد وهو يقول متهكماً " الإقبال هذه الايام جيد على بنات الحاج سماحة "

Des. Maryam Tamim

انتبه عمرو فقال " هل تقدم عريس لأروى هي الأخرى؟".

قال وهو يتحرك ليجلس بجواره " أجل طبيب بمركز العلاج الطبيعي وهذه ليست المرة الاولى التي يعرض عليها الزواج ".

سأله عمرو بتردد " وهل وافقت ؟ "

حرك رأسه في هدوء بلا ..

زفرت آية بنزق تستعجل عمرو فتحرك نحوها بينما وائل يشير له في سرية أن يتنازل عن الدور ويتركها تكسبه خاصة و أنه أكثرهم احترافية في ألعاب الفيديو .. لكنه هز رأسه بعناد صبياني وحرك حاجبيه بإغاظة .

بدأ النزال بينما دخلت بانة عليهم الخن بهدوء فهتف وائل بترحيب .

تفاجأ أحمد وهتف بدون وعي " لماذا أتيت هنا؟!!!!!!"

Des. Maryam Tamim

حاولت بانة التحكم في إرتباكها وتقدمت بثبات نحو وائل الذي يشير إليها بالجلوس بجانبه وهي تقول "وائل أصر أن أشاهد معكم المباراة " .

استنكر أحمد بغيرة واضحة أن تجلس بجوار وائل فقال بحدة " تعال اجلس هنا "
كان يجلس في أقصى يمين الغرفة بجوار الحائط ومقعد عمرو الذي بجانبه اصبح خال ..فنظر إليه وائل نظرة متسائلة فاستطرد بهدوء " إنه يختنق من الدخان وسيد يقيم محرقة بجانبك" .

جلست بجواره فحدجه عمرو بنظرة محذرة أن يتماسك وأن يسيطر على ردود افعاله حتى لا تفضحه وتثير التساؤلات .
توتر أحمد من وجود بانة بالرغم من فرحته أنه قد يقضي وقت ولو بسيط بجوارها لكن المباراة بعد

Des. Maryam Tamim

قليل و سيكون الجو مشحون بالانفعالات
والشتائم البذيئة كأي جلسة ذكورية أصيلة .
كان النزال بين آية وعمرو قويا وحماسيا فقوتهما
كانت متقاربة وعمرو مصر بعناد صبياني ألا يترك
لها فرصة للفوز بينما وائل يكاد يخنقه ..
أما سيد المتابع للأحداث في صمت .. إن كان قد
تحكم في نظراته نحوها فلم يقدر على التحكم في
أذنه التي ودت لو تلتقط حتى صوت أنفاسها من
هذه المسافة ...وانفصل عن الجميع في الغرفة
ليتابع انفعالاتها .. هي .. فقط ..
شمسه الصغيرة .

دخل طأطأ بالمشاريب ووضع أمام أحمد كوب ماء
وعلبة مياة غازية وقبل أن يبدأ أحمد باستجوابه
المعتاد بادره طأطأ يقسم أنه قد عقم الكوب جيدا
.. فتناوله أحمد يشتمه لثانيتين ثم شرب الماء ..

Des. Maryam Tamim

فتنفس طأطأ الصعداء وهم بالمغادرة ليقول الآخر بتسلط " هل غسلت علبة المياة الغازية " .
تأفف طأطأ ورد أنه غسلها بالماء .. فنهره أحمد ثم لاحظ بانة بجانبه تداري ضحكة صامتة فنظر إليها بحرج فهمست ببطء تغيظه " اسمه و سـ و ا س "
.
دافع عن نفسه بطفولية " لست موسوسا " ثم أشار لطأطأ أن ينصرف .

حاول بعناد التعامل مع العلبة ببساطة حتى يثبت لها عكس ما تدعيه ..
ثم تردد قليلا .. وسحب منديلا ينظف العلبة مرة اخرى وهو يشعر بالتوتر ..
ثم توتر أكثر من فكرة استخدام علبة غير نظيفة... فتركها أخيرا .. ليبرر لبانة "غيرت رأيي لن أشرب ".

Des. Maryam Tamim



وداري ضحكة تريد ان تفلت منه دون سبب ..
وهي الأخرى كانت تداري ضحكة مجهولة السبب
..
نظرتها الشامتة جعلته يصح بغيظ " هل النظافة اصبحت وسواسا هذه الايام ؟!!.. ما أدراني أنا كم يد مسكت العلبة قبلي !! " .
ابتسمت ابتسامة اغاظته ثم مدت يدها للعلبة فتحتها وسكبتها في الكوب الموضوع أمامه بهدوء ثم ناولته إياه .. فتردد قليلا ثم ابتسم لها ابتسامة سرقت انفاسها وأخذ الكوب وبدأ الشرب منه ..

ضربات قلبيهما تراقصت والابتسامات المنفلتة دون معنى أصبحت عالقة بينهما في الفراغ بينما وائل يراقبهما بنظرة غامضة .

صوت رسالة جديدة على الماسنجر شتت ذهن عمرو لثانية ينظر بلهفة في هاتفه ليجد Mi Min

تراسله...فكانت هذه الثانية كفيلة لأن تستغلها آية وتفوز بالضربة القاضية .. ثم تلا ذلك صيحات الانتصار والتهليل ونظرة غيظ من عمرو للجميع.

حين بدأت المباراة المباشرة على التلفاز استعدت آية للمغادرة بإحباط لكن أحمد أوقفها لغرض ما في نفس يعقوب قائلا " انتظري حتى تنتهي المباراة ."

فصفقت آية بسعادة واتخذت مقعدا تختلس النظرات إلى سيد وهي تشاهد المباراة بحماس .. وسط شقاوة وتهليل وصفير صبياني منها ..

بعد قليل تنبيه على هاتف سيد ليجد ملف صوتي أرسلته آية .. فاستخدم السماعة الإضافية ليستمع لأغنية فيروز:

تِبقى ميل تِبقى إسأل
مِثل الأول ضل إسأل

Des. Maryam Tamim



الله لا يشغلك بال
وديلي منك مرسال
إسأل إسأل

رفع نظره إليها فأهدته ابتسامة تقطر عسلا فرد عليها بابتسامة واهنة .. لكن سعيدة .. سعيدة جدا ..

تنبيه آخر على الهاتف كان من نصيب آية هذه المرة لتجد رقم بدون اسم على الواتساب ومكتوب
" عيد ميلاد سعيد آنسة آية "
تعجبت وهي تتفحص الصورة الخاصة بالرقم ..وتعرفت على صاحبه إنه الدكتور ريان.
كتبت ببرود " من ؟ "
رد " ألن تردي التهنئة قبل أن تعرفي من ؟ "
ابتسامة جانبية شقية زينت وجهها لكنها كتبت ببرود "إن لم تخبرني من أنت سأقوم بحظر الرقم"

رد " حسنا أنا اعتذر أني أرسلت إليك فجأة .. عموما أنا ريان أخو منة الله .. اردت أن أتمنى لك عيد ميلاد سعيد "
لمعت أسنانها الجميلة بابتسامة قبل أن تكتب " شكرا " .

أما بانة فلم تكن مهتمة بالمباراة مثل آية لكن صحبتهم جميعا كانت مبهجة وخاصة حضرة ذلك الجار الوسيم .

فجأة دلفت إلى الغرفة ماجدة زوجة وائل والغضب يشتعل في عينيها..
تفاجأ الجميع بمجيئها وخاصة أنها لم تفعلها من قبل بينما سألها وائل بغضب عن سبب مجيئها .

ردت بغيظ " إذن أنت فضلت رفقتهم على الذهاب للمستشفى " .

Des. Maryam Tamim

هدر وائل بقوة" هيا إلى البيت وإياك أن تفعليها مرة أخرى ".

توتر الجو وتفاجأ الجميع بهذا التحدي بينهما بينما صاحت ماجدة " مادمت تفضل رفقتهم عن الذهاب للمستشفى ومادمت ترفض الرد على اتصالاتي .. فلمَ تخبئ عليهم حالتك .. أليسوا أصدقائك أم انهم أصدقاء الهلس وإضاعة الوقت فقط ؟!!"

اختزل وائل الخطوات بينهما لينقض عليها وقد افلتت أعصابه ينوي ضربها .. فتدخل الجميع للتفريق بينهما ولتهدئة وائل الذي اشتعلت عيناه بجنون الغضب.. بينما ماجدة تتحداه بعناد وغضب مماثل ...

عرض عليها عمرو باحترام أن يقوم بتوصيلها لكنها تجاهلت عرضه وهي مازالت تتبادل نظرات تحدي مع وائل .. فبدا وكأنه يحاول منعها من قول شيئا

Des. Maryam Tamim

ما.. لكنها قررت أنها لن تصمت هذه المرة وستهد المعبد على من فيه فقالت بجدية "اعتقد أن من حق اصدقائك أن يعرفوا ".

هدر وائل فيها وسيد يحجزه بجسده " إخرسي وعودي فورا للبيت " .

بات الجو مشحونا بالتوتر .. والشباب تحيروا كيف يتصرفون ..
هل يشجعونها على الحديث ؟..
أم يقنعوها بالرحيل؟ ..

نظرت ماجدة في عيني وائل بتحدي وأكملت "أعتقد أن عليهم أن يعرفوا...
أن ..صاحبهم....
مريض بالسرطان...
ويرفض العلاج " .

Des. Maryam Tamim

الفصل الحادي عشر

نظرت ماجدة في عيني وائل بتحدي" أعتقد أن عليهم أن يعرفوا...
أن ..صاحبهم..مريض بالسرطان..ويرفض العلاج "..

ساد الوجوم .. الكل يتجول بنظراته بين وائل وزوجته في عدم استيعاب .

بعد قليل انصرفت ماجدة بعد أن فجرت القنبلة في وجه الجميع.. وسادت حالة من الشلل وكأن الحاضرون قد تحولوا لتماثيل ..

قطع نشيج آية الوجوم لتسرع للنزول عائدة للبيت وهي منهارة في البكاء .. أمسكه سيد من قميصه بعنف يسأل بتوتر " ماذا قالت ..ماذا تخبئ عنا .. انطق ".

Des. Maryam Tamim

طوقه أحمد من الخلف بحزم يقول " سيد اهدأ لنفهم أولا .. أنت تؤلمه ".
تركه سيد وهو يهدر " انطق يا وائل .. قل انها تكذب".
كانت بانة واضعة يدها على صدرها تحاول تهدئة ذلك الألم الرهيب الذي ينغز بقلبها .. بينما عمرو يحدق بها وقد تذكر شريط الدواء الذي اعطته له من قبل .

أشفق عليهم وائل فقال بهدوء "اجلسوا "
قالها وجلس بإعياء على الأريكة وكأن مقاومته لضعف جسده قد انتهت بإعلان زوجته للخبر بهذا الشكل ..
لم يستجب أحد لدعوته .. بل ظلوا باقين على حالهم في صدمة وترقب .. بينما قام وائل بكتم صوت المباراة التي كانت منذ قليل أهم حدث في حياتهم لتصبح في تلك اللحظة ... لا شيء .

Des. Maryam Tamim

بدأ وائل بالكلام " أنا أعاني من السرطان هذا ما اكتشفته مؤخرا .. لم أخبركم لأني لا أريد أن أؤلمكم .. أمي لا تعرف وأرجو أن يهدي الله ماجدة ولا تخبرها .. وأنا اعلم أن هذه الحالات الشفاء فيها نادر .. ولا اريد أن أنفق أموالا طائلة في وهم الشفاء .. عليّ أن أحافظ على كل قرش فهو من حق بناتي وسيحاسبني الله على إهدار هذه الأموال في أمل زائف .. أنا مستسلم لقدري بهدوء .. هذا هو الموضوع باختصار " .

كان عمرو أول من نطق وكأنه يوبخ نفسه "كان علي أن أهتم بالأمر .. كان علي أن ابحث فيه بمجرد أن اعطاني رامز الشريط .. أنا نسيت .. أنا تركت الأمر " .
هب سيد يمسك في عمرو وكأن عمرو هو السبب "أي شريط؟... منذ متى؟.... انطق " .

Des. Maryam Tamim

رد عمرو بندم " رامز وجد شريط دواء في بيته ليلة حفلة أروى وقال لي أنه يستخدم كمسكن للآلام الشديدة ولا يصرف سوى بتوصية طبيب .. وأنا نسيت .. ولم اهتم ".

هدر سيد وكأنه المسئول " ولماذا لم تهتم؟؟!!!"

تدخل أحمد بتماسك وهو ينفض يد سيد عن ملابس عمرو.

بينما هدر وائل بضعف " سيد أرجوك تماسك .. ماذا كان سيفعل عمرو إذا اكتشف .. الأمر ليس بيده ولا بيدي .. وانا متقبل قدري .. أرجوك اهدأ"

رد سيد بسخرية " متقبل قدرك ؟!!!! بهذه البساطة متقبل كل شيء أليس كذلك ؟ ... تبا لك يا وائل تبا لك ".

قالها وتركهم وانصرف بعصبية ..

Des. Maryam Tamim

اقترب عمرو بهدوء يمسد على ذراع وائل بمحبة وهو يقول " تقبل قدرك لا يعني ألا تتلمس طريق الشفاء يا أبا البنات ".

رد وائل بهدوء " ولماذا ابدأ طريق نهايته غير واضحة ؟".

تدخل أحمد وهو يقاوم ارتجاف جسده " دعه الآن يا عمرو وسنتحدث صباحا " .

عاد سيد ليدخل الغرفة مندفعا نحو وائل وهو ينهت وأمسك بتلابيبه بقوة صائحاً بقوة " اسمع .. لن اسمح لك .. هل تفهم .. لن اسمح لك بالاستسلام ... وستبدأ في العلاج .. وسأتأكد من ذلك بنفسي .. هل تفهم ؟ ".

في آخر السهرة أوصل أحمد بانة لشقتها في صمت واجم ثم صعد نحوالسطح .. وجلس وحيدا يستوعب هذا الخبر المفجع ..

Des. Maryam Tamim

شعر بخطواتها المترددة لتقف عند باب السطح
فرفع وجهه إليها والحزن يكسوه ..
تقدمت بصمت وجلست بجانبه .. ولم تجد
كلمات تخفف بها من قلقه وصدمته هي تشعر
بالألم فمابال اصدقائه منذ الطفولة .

رفعت كفها ولمست ذراعه بمواساة فارتعش
جسده استقبالا لأول لمسة منها.. ليسمع فجأة
نشيجها والذي حاولت السيطرة عليه.. ادار وجهه
إليها ليجدها تشيح بوجهها بعيدا وتكتم صوت
بكائها وقد فقدت السيطرة على نفسها .
كفه تصلبت على بعد سنتيمترات من ظهرها
متراجعا عن لمسها .. ثم تحرك ليجلس القرفصاء
أمامها وهي تمعن في الاشاحة بوجهها محاولة
للسيطرة على نوبة بكاء مكتومة.

Des. Maryam Tamim

قال أحمد يشاكسها بلهجة حانية " جئت لتواسيني يا دكتور أم تحتاج لمن يواسيك .. أنا كنت أستعد الآن لمحاضرة من محاضراتك في التنمية البشرية " غير صوته وبدأ يعيد بعضا من كلامها السابق له فتوقفت عن البكاء لتقول " صوتي ليس رفيعا هكذا "

ضحك على تعليقها ثم قال بإغاظة " بلى رفيع مثل الفتيات .. كل شيء فيك كالفتيات (ثم تحولت لهجته للجدية وسألها) هل تثق بي؟ "

أومأت بنعم بدون تردد وهي تتجول بنظراتها في وجهه..فسألها مجددا " ألديك ما تخبرني به؟ "

ارتبكت وسألت ببطء" مثل ... ماذا ؟ " .

حدق في عينيها وقال " أي شيء .. أي شيء تريد اخباري به .. عن ... عنك !" .

ازداد ارتباكها خاصة حينما أراد جزء منها أن تعترف بكل شيء لكن البعض الأخر الذي يخيفها.. حذرها

Des. Maryam Tamim

من أن تخطو خطوة مثل هذه وخاصة أن أحمد قد تلقي صدمة كبيرة منذ قليل فلترحمه من اعترافات صادمة أخرى .. فوقفت في ارتباك وقالت " بالتأكيد إذا كان هناك شيء يخصني سأخبرك فورا (وتحركت نحو السلم تغمغم) سأنزل لشقتي .. اليوم كان مرهقا وأريد أن أنام ".

تمتم وهو يراها تغادر " وأنا انتظر اليوم الذي تخبرني عما يخصك يا ..... رامز " .

***

بعد عدة أسابيع :

كان يبحث عنها وهو يقود سيارته صباحا يحاول اللحاق بها بعيدا عن الحي .. لقد كان مسافرا لعدة أيام خارج العاصمة وعاد بالأمس في ساعة متأخرة وأراد أن يفاجئها .. فانتظر أن تخرج ليخرج وراءها بالسيارة .. وضعا ما قاله عمرو في ذهنه حين حذره ألا يسمح لأهل الحي برؤيته معها كثيرا حتى لا يساء

Des. Maryam Tamim

الظن بهما إذا اعترفت بالحقيقة يوما ما وواجهت الكل كفتاة .

لذا انتظر ان تبتعد عن الحي قليلا ليلتقطها من الطريق وهي تنتظر سيارة أجرة .. فنبهها ببوق السيارة فابتسمت .. وحاولت المراوغة من الركوب في سيارته لكنه اصرعليها بتسلط فركبت وهي تتصنع التأفف ..

قال أحمد ونظراته تتجول في وجهها باشتياق " ألن تكف عن التمنع عن ركوب سيارتي مثل عذراء خجلة " .

هبت الحرارة في وجنتيها فقالت مغيرة للموضوع "هل تتابع أخبار وائل؟".

كسى الحزن وجهه واجاب " أجل أخبروني الشباب انهم اجبروه على الالتزام بالعلاج وقد يضطر لدخول المستشفى .. سنرى .. أدعي له بالشفاء في كل صلاة " .

Des. Maryam Tamim

سألت " وما أخبار العمل بالفندق؟"
رد وهو يركز نظراته على الطريق " بخير الحمد لله .. أوشكنا على الانتهاء " .
تأملت وجهه المرهق الذي ازداد سمرة بسبب الشمس والبحر وقالت بتعاطف " تبدو مرهقاً "

تطلع إليها وارتعش لتلك النظرة المتعاطفة التي تتطلع إليه بها ثم قال " أضغط نفسي في الفترة التي أذهب فيها للقرية السياحية حتى أنجز العمل في أقل وقت ممكن لأعود لأني .. لأني أشتاق .. إليكم جميعا " .
توتر الفراغ بينهما وأشاحت بوجهها تهرب من تلك النظرة الغامضة التي يتطلع إليها بها مؤخرا ..
فجأة هتفت بحماس " هل من الممكن أن توقف السيارة قليلا " .
أوقف السيارة بجانب الطريق متسائلا بينما فتحت هي الباب وترجلت نحو فرن مخبوزات.. وبعد

Des. Maryam Tamim

لحظات عادت ورائحة شهية تسبقها .. فقال بإعجاب " رائحة المخبوزات مذهلة " .

ردت وهي تفتح كيسا في حجرها " ان هذا الفرن يقوم بعمل مخبوزات رائعة".
ناولته قطعة منها وقبل أن يمد يده شدت منديلا ورقيا لتلف به جانبا من القطعة ليمسك بهذا الجانب .. فعلتها دون وعي وعادت تتفحص مخبوزاتها بإهتمام .. فتصلبت يده في الهواء واضطربت دقات قلبه في فرح لعفوية حركتها .. إنها باتت تتعامل مع عاداته بتفهم واضح بدون أن تشعر ..و كان ذلك كفيلا لأن يرفعه فوق السحاب .. فتأملها وهي تأكل باستمتاع ثم قال " يبدو أنك تحب المخبوزات " .
ردت بفم ممتلئ ولدهشته كان مغريا جدا " أحبها جدا وخاصة إذا كانت ساخنة .. تذكرني بعمتي

Des. Maryam Tamim

كنت أقف بجانبها وهي تخبز العجين وانتظر المخبوزات تخرج من الفرن بنفاذ صبر " .

سألها بهدوء " هل عشت مع عمتك ؟ ".
ردت بحزن " كلا .. أنا وأبي واخوتي كنا نعيش في العاصمة ... أبي أستاذا في الجامعة .. وأمي ماتت وأنا في العاشرة من عمري .. أما أعمامي وأخوالي فهم من مدينة صغيرة تبعد عن العاصمة كثيرا .. كنا نزورها في المناسبات والأعياد "
شردت وقد كسى الحزن ملامحها وتوقفت عن الأكل ..فنغزه قلبه ..
لو يستطيع أن يحمل عنها كل همومها وأحزانها لفعل ..فقال ليخرجها من أحداث الماضي " إذن أنت تشتري كل يوم من هذا الفرن مخبوزات ساخنة ؟ " .
ردت بإحباط واضح " كلا للأسف " .

Des. Maryam Tamim

سألها بتعجب عن السبب فردت بحرج " أود لو آكل منها كل يوم لكني .. لكني .. " .
سألها بفضول " لكنك ماذا ؟! "
قالت بهمس محرج " اتبع حمية غذائية حتى لا يزيد وزني " .
لم يستطع أحمد التماسك أمام الطريقة التي تكلمت بها فانفجر ضاحكا وهو يسعل .. بينما أشاحت هي بوجهها بعيدا عنه في حرج وغيظ تتمتم بصوت مسموع " لا تحترم مشاعر الأخرين أبدا".

قال من بين ضحكاته " أقسم بالله لو كنت قلت ما تقوله هذا منذ شهرين وبهذه الطريقة لكنت مت وقتها بنوبة قلبية " .
نظرت إليه بغيظ تحاول أن تفهم ماذا يقصد فأشاح بيده وهو ما زال تحت تأثير نوبة الضحك " لا تشغل بالك " .

Des. Maryam Tamim

تركت الطعام في الكيس بحجرها وتكتفت في غيظ وهي تعض على شفتها السفلية بعد أن قالت " لا أفهم ماذا يثير الضحك " .

اشتعلت عيناه وتوقف عن الضحك فجأة وهو يتأملها وهي تعض على شفتها بينما بعضا من فتات الخبر بجانب فمها الجميل ..فقال بهدوء وهو يقاوم حمما سائلة بدأت تجري في شراييينه "عادة ما يهاب زيادة الوزن هن الفتيات يا دكتور " .

ردت بتفلسف " وهل الرجال لا يزيد وزنهم ولا يتبعون حميات غذائية لإنقاص الوزن !!" .

أجابها وقد اغتاظ من فتفوتة الخبر التي مازالت عالقة بجانب فمها تستفز رجولته.. فمد يده يمسحها بإبهامه ببطء متعمد " ربما لأنك لا تملك كتلا عضلية فكان الأمر مضحكا " .

Des. Maryam Tamim

ارتبكت من حركة إصبعه على وجهها فاشاحت بوجهها سريعا في توتر وقد تسارعت أنفاسها وخرج الصهد من وجنتيها ... وأحست أن الحركة غريبة أن يقوم بها رجل لرجل آخر .. لكنها نفضت عنها الخاطرة وهي تهمس في سرها " بل أنتِ من تأثرتِ بلمسته يا غبية ".

ركز أحمد على الطريق وهو يقاوم شعورا بالاحتراق الذاتي ويتمتم في سره " حسنا .. سأكون سعيدا بإرباكك قليلا يا بانة علك تشعرين ببعض مما شعرت به من قبل " .

رن الهاتف فتعجب أحمد من إتصال وائل في هذا الوقت من الصباح ..فأجاب بقلق " صباح الخير يا وائل .. ماذا .. ماذا حدث .. المقهى ! .. أين هو الآن .. حسنا حسنا سآتي حالا "

Des. Maryam Tamim

أخذ يضرب على المقود وهو يبحث عن مخرج في الطريق للعودة مرة أخرى وقد تبدل مزاجه الرائق لتخرج كل شياطينه وهو يهتف في عصبية " تبا لهذا العجوز الخرف .. تبا له !" .

توترت بانة وسألت " ماذا حدث؟ "
أجاب باقتضاب " مشكلة جديدة بين سيد ووالده وقد تهور وذهب إليه ليفتعل المشاكل (ثم استطرد باهتمام) اسمع لن استطيع أن أتركك هنا في الطريق الخالي .. سأعيدك لأول المدينة فتركب من هناك للورشة وسأذهب أنا للشباب " .

بعد قليل أوقف السيارة فقالت بإلحاح " دعني أذهب معك أريد أن أطمئن على سيد " .
هدر بعصبية " انزل هنا وتوجه للورشة فورا .. لا يمكن أن تأتي الأمر قد يكون خطيرا وخاصة لو استخدم أبيه البلطجية ضدنا .. وقد تأتي الشرطة

Des. Maryam Tamim

وتأخذ كل من هم بموقع الحدث .. اذهب للورشة وسأطمئنك " .

خرجت بانة بتردد من السيارة بينما انطلق هو يسحق الطريق تحت عجلاتها.. فترددت قليلا لكن القلق تملك منها على الشباب وعلى أحمد فقررت العودة لشارع سماحة .

بعد قليل علت الصدمة وجهها وهي ترى طأطأ يلملم بعض الكراسي المكسورة والطاولات وكأن المقهى قد تحول لساحة قتال .. فسألت طأطأ بفضول قلق عما حدث فشرح لها أنه فوجئ برجل يدخل المقهى صباحا وقد كان يستعد ليوم جديد بمسح الطاولات وتنظيف المكان .. فدخل الرجل يتجول في المكان مدعيا أنه مالكه الجديد فاتصل طأطأ بسيد الذي جاء على الفور ليتأكد من صدق الرجل ..

Des. Maryam Tamim

المفاجأة والصدمة جعلا سيد يعتدى بالضرب على الرجل ودارت بينهما معركة بالمقهى وقد تدخل وائل وبعض الجيران لفض الاشتباك...
بعدها ذهب سيد يتوعد والده والكل يخشى أن يتهور ويرتكب جريمة أو يؤذي نفسه ..
لم تستطع بانة التحمل فسألت طأطأ عن المكان والذي يبعد عن الحي بمسافة ليست بعيدة ..
بعد قليل دخلت بانة للسوق التجاري حيث توجد إحدى محلات خليل صبرة واستدلت على المكان بسهولة بسبب التجمع البشري في أحد شوارع السوق الرئيسية..

راقبت الموقف من بعيد في إرتجاف لم تستطع التحكم فيه .. وهالها أن ترى سيد في حالة هياج وقد تقطعت ملابسه وظهر جزعه العاري الضخم وبه بعض الجروح النازفة يتعارك مع بعض الرجال الضخام الذين يوحون بالخطر .

Des. Maryam Tamim

كان يحمل عصا غليظة يحاول تكسير واجه أحد المحلات بالذات ويزمجر كوحش مخيف ..
والبلطجية يمنعونه تارة ويتعاركون معه تارة ..
أما أحمد فيحمل سلسلة حديدية غليظة كسلاح ويحاول الوصول لسيد .. بينما يمنعه مجموعة أخرى من البلطجية يتعارك معهم بالسلسلة الحديدية بطريقة حرب الشوارع ..
بينما عمرو فيبدو أنه قد ألقى سترة العمل الرسمية ورابطة عنقه في مكان ما في الشارع ليتعارك مع البلطجية تارة مستخدما حركات التايكوندو التي تعتمد على الذراعين والقدم .. ويحمي وائل تارة أخرى المصر على الوصول لسيد لمحاولة تهدئته ..
لكن من الواضح أن وائل كان من الوهن الذي كان يربك عمرو ويشتته نحو الوصول لسيد ..
تقدم عمرو يخلص وائل من رجل ضخم يشتبك معه .. فثنى ركبته ليضرب الرجل في بطنه بقوة

Des. Maryam Tamim

جعلت عيني الرجل تجحظ في ألم.. ثم دار على عقبه وضربه بقدمه ضربه قوية دفعت خصمه للخلف ليقع أرضا .. بعدها تحرك ليكبل وائل من الخلف بقوة ويسحبه بعيدا عن ساحة القتال ..ووائل معترض على الرغم من ضعفه الواضح وقواه التي أنهكها المرض .

صاح عمرو في بعض من المشاهدين للمعركة " كبلوه وامنعوه من الحركة وإن أفلت منكم فياويلكم مني "

أسرع بعض الشباب الصغار المتحمسين للسيطرة بحماس على وائل يظنون أنه من الفريق المعادي.. بينما اخترق عمرو ساحة القتال مرة أخرى هدفه الوصول لسيد هو الأخر .. التقت عيناه بعيني أحمد.. وكل منهما يفهم اشارات صاحبه .. بعدها وقفا تتلاقى ظهورهم يتعاركان ويحميان بعضهما .. ويخترقان الساحة نحو الهدف .. وصوت سيد كالثور الغاضب يصم الآذان .

Des. Maryam Tamim

حين وصلا لسيد الهائج المتوعد الذي لا يتوقف عن الهذيان بالتهديد والوعيد والقاء الشتائم وتكسير ما يستطيع الوصول إليه.. وقد أحضر بنزينا ينوي حرق المحل .. انقض عليه أحمد من الخلف يكبله أخيرا بينما عمرو يحميهما .

حين شعر البلطجية الذين استخدمهم خليل لحمايته أن الشابين يسحبون سيد بعيدا .. نظر كبيرهم لخليل المتابع للأحداث من واجهة الدور الثاني الزجاجية للمحل.. فأشار له خليل بأن يتركوهما يأخذا سيد ويرحلا.

سحب أحمد جسد سيد الضخم الهائج وهو يتحامل على ألم ركبته ويتراجع للخلف بينما عمرو يؤمِّن ظهرهما ملوحا بذراعيه في تهديد ونظرات متوعده لمن يفكر في التدخل .

أما سيد فرفع نظره نحو الواجهة الزجاجية ليجده يقف هناك بقامته الهرمة لا يظهر من ملامحه

Des. Maryam Tamim

سوى عينين لامعتين كالصقر بنفس نظرة الغل الأبدية وأسنان معدنية تظهر ابتسامة تشفي .

فنفض سيد ذراعي أحمد عنه بعنف أوقعه أرضا وقبل أن يحاول صاحباه استدراك الأمر كان قد ابتعد وتركهما يلهثان .

سأله عمرو وهو يشد ساعد صديقه ليساعده على الوقوف "هل تعتقد أنه سيعود للعراك ؟"

رد أحمد وهو يتحامل على الألم بركبته " لا أعتقد .. لو كان ينوي المواصلة لم يكن ليتركنا نسحبه بهذه السهولة".

تقدمت بانة في تردد بانفاس متسارعة وقلبها ينتفض من كم العنف الذي شاهدته .. الأمر لم يكن حرب شوارع يمكن أن تراها كمشهد في فيلم.. أو حتى في الحقيقة وهي تعبر من جانبه بحذر هاربة.. بل ان أُناس يهمونها كانوا يشاركون في هذه المعركة التي دارت منذ قليل ..

Des. Maryam Tamim



ورؤية أحمد يتعارك ويتلقى ضربات ويتألم كاد أن يوقف قلبها .. برغم شدة بأسه وقوته التي رأتها وهذا الجانب الشرس المتألف مع معارك الشوارع.. الذي يخفيه تحت ملابسه الأنيقة ذات الماركات العالمية .. برغم هذا كان قلبها يلتاع مع كل ضربة يتلقاها ..

في هذه اللحظة بالذات أدركت كل شيء ..

واجهت نفسها بما تحاول أن تهرب منه منذ مدة ..

انها تكن شعور خاص ..

خاص جدا ..

وغالي جدا ..

تجاه أحمد..

أهذا هو الحب ؟! ..

لا تعلم .. لكنه شعور عظيم..

و موجع ..



موجع جدا لأسباب كثيرة معقدة مرتبطة بحياتها وقدرها .

حين لمحها أحمد تفاجأ وهدر بعنف وهو يغرز اصابعه في لحم ذراعها " ما الذي أتى بك إلى هنا؟ .. هل جننت ؟!!" .
تأوهت من عنف قبضته على ذراعها فاستدرك ونفض يده عنها غاضبا وعلامات الألم في ركبته تظهر على وجهه ..فسألت بانة وهي تدلك ذراعها " أين وائل ؟ ".

قطب عمرو حاجباه يحاول أن يتذكر أين وائل .. والحشد بدأ في التفرق كلٍ إلى وجهته ... فأسرع عمرو نحو وائل ليجده جالسا متربعا على الأرض يسند خده على يده بقلة حيلة وقد كبله الشباب الصغار بالحبال .

Des. Maryam Tamim

تفاجأ عمرو بالمنظر ليهتف فيهم " ماذا فعلتم يا مجانين؟!!! "

ثم اخذ يفك عنه الحبال بنظرات معتذرة بينما وائل يحدجه بغضب .. حين ساعده على النهوض أمسك وائل بتلابيبه فأسرع عمرو وهو يكتم ضحكته يقبل كتفه ورأسه ويسترضيه .

***

هدر الحاج ابراهيم في الهاتف " قسما بالله سأجعلك تندم يا خليل على ما فعلته وتفعله مع هذا الشاب .. الناس يتمنون ظفر ولد وأنت تفعل كل ما يميته وهو حي " .

رد خليل ببرود " لن يرث مني .. تستطيع أن تورثه أنت إن كنت تحبه كل هذا الحب .. إنه نجس مثل أمه " .

قال الحاج ابراهيم في مرارة " ألا يوجد في قلبك ذرة شفقة على ابنك فلذة كبدك ؟!!!!!! .. ..لكن كيف

Des. Maryam Tamim

ستمتلك الشفقة إذا كنت رميته صغيرا في طرقات الحي!!!!! "

رد خليل باستخفاف " وأنت ظهرت بمظهر الفارس الهمام أمام الناس والتقطته من الشارع وربيته وجعلته شبيها لك .."

ثم أخفض صوته كأنه يقول سرا وقال بلهجة متسلية "هل تعلم لو لم أكن متأكدا أنك كنت تعمل في الخليج وقت ولادته لشككت أنه ابنك أنت وتفعل ما تفعل لتصحح غلطتك " .

هدر الحاج بعنف " استغفر الله العظيم .. استغفر الله العظيم .. أي شيطان أنت .. أعوذ بالله .. أعوذ بالله " .

أنفجر خليل ضاحكا بضحكة قذرة بينما أغلق الحاج سماحة الخط وهو يواصل الاستغفار والحوقلة .

***

Des. Maryam Tamim

حين قاربت الشمس على الرحيل كان الشباب مازالوا يبحثون عن سيد الذي اختفى تماما منذ الصباح .. بحثوا في كل الأماكن المتوقعة فلم يجدوا له أي أثر .. حتى هاتفه لا يرد عليه .. عشرات الاتصالات من الجميع ولم يرد ..

وقف الأربعة عمرو ووائل وأحمد وبانة في وسط الحي في إرهاق واضح .. ساعات يبحثون عنه ويتصلوا به.. وكان أحمد يعرج بركبته وقد استبد به الألم لكن خوفه على سيد كان أقوى من هذا الألم .
قال وائل وقد ظهرت علامات الإعياء جلية على وجهه " أخشى ان يكون ضغطه قد ارتفع ولم يجد أحد لإسعافه " .
سألت بانة بفضول " هل المقهى أصبح ملك الشخص آخر الآن " .
رد أحمد وهو يجز على أسنانه يقاوم نوبة ألم في ركبته " أبي أخبرني أنه سيتصرف .. وان شاء الله

Des. Maryam Tamim

يجد حلا.. إلا هذا المقهى بالذات .. سيد لن يتحمل فقدانه " .
أشفقت عليه بانة .. فتحركت نحو صيدلية قريبة وأحضرت مخدر يرش على إصابات الملاعب
وقالت لأحمد بقلق " رش قليلا من هذا المسكن "

أطال النظر إليها وهو ينهت من الإعياء والألم .. ورأها تبادر في حرج وتردد بالنزول على عقبيها أمام ركبته تحاول مساعدته.. فمد يده بسرعة وسحبها من مرفقها وأوقفها ناظرا إليها بملئ عينيه وقال " لا تتعب نفسك سأفعلها أنا ".

واستند نحو الجدار محاولا التعامل مع ساقه بصعوبة .
كان عمرو يحاول الاتصال بسيد مجددا دون رد ..
حين دخلت آية الشارع شاردة تسترجع حديثها اليوم مع ريان الذي يحاول جاهدا للتعرف عليها

Des. Maryam Tamim

بينما هي تتعامل معه ببرود متعمد لتستكشف نواياه .

هتف وائل منادياً عليها فور رؤيتها فاتسعت عيناها بتساؤل واقتربت وهي تراهم بهذه الهيئة الغريبة يقفون وسط الشارع بهذا التحفز وعلامات القلق تعلو وجوههم وبعض الكدمات .. فهتفت باندهاش " ماذا يحدث ! " .

أسرع وائل يقول وكأنه غريق يتعلق بقشة " آية هل تعلمين مكان سيد ؟" .

رفعت حاجبا جميلا لتقول " ما به سيد؟!.. لم نتحدث اليوم ".

قال وائل بسرعة " حاولي بالاتصال به من فضلك " .

رد أحمد بحدة " إن كنا نحن قد أمطرناه بالمئات من الاتصالات منذ الصباح ولم يرد فلن يرد عليها بالتأكيد" .

Des. Maryam Tamim

تجاهله وائل ليقول بتوسل لأية التي قد فتحت بالفعل هاتفها تنوي الاتصال به " حاولي يا صغيرتي ."

رن الهاتف ولم يرد فعاودت الإتصال بإلحاح وهي تسأل وائل بهمس ماذا يحدث فرد عليها " تعارك مع والده والموضوع كبير "

***

في أرض واسعة ومبان مهدمة أمامه لا يعرف أين هو بالضبط كان يجلس على الارض مطأطئ الرأس في صمت مهزوم..

لا يعلم كم مضى على وجوده هنا .. وكيف استقر به الحال في هذا المكان .. بينما اصوات تنبيهات كثيرة على الهاتف الملقى بجواره وكثير من الاتصالات .. كانت تخرجه من أفكاره قليلا .. ثم يعود مرة أخرى لحالة من الذهول والجمود .

رنة مميزة يحفظها عن ظهر قلب مخصصة لها وحدها قادرة على إيقاظه من نومه ليلبي النداء .. سحبته بسهولة من حالته .. ليرفع الهاتف آليا على أذنه قبل حتى أن يفكر .. ويرد عليها بصوت مبحوح من صراخ سابق.. ومهزوم من كثرة المعارك التي خاضها في حياته .. ويائس من كل شئ" نعم يا آية" .

هتفت آية بجزع " سيد .. أين أنت ؟!! .. الجميع قلقين عليك (ثم أضافت موبخة بعصبية) لمَ لا ترد على هاتفك ؟!!" .

تنفس وائل الصعداء .. بينما جحظت عينا أحمد في غليان فخطف الهاتف منها ووضعه على أذنه وهو يهدر بقوة " اقسم بالله لو كنت أمامي الآن لكنت قتلتك وارتحنا منك ..أنت يا سيد (.....) (.....) ...."

انهالت الشتائم الوقحة من فمه غير قادر على التحكم في أعصابه وغير مراعي لوجود الفتيات

Des. Maryam Tamim

الذاهلات أمامه.. ليغلق الخط بعد ذلك .. دون أن يسمع أي رد من سيد ثم وضع هاتف آية في جيبه وهدر فيها " أمامي إلى البيت ".

قالت بعصبية " وماذا فعلت أنا؟؟!! .. اعطني هاتفي".

لم يستمع لها ولكن جذبها من ذراعها بعنف لتتقدم أمامه إلى المنزل بعصبية وهو يعرج .. وترك خلفه وائل وعمرو يتبادلا النظرات.. وقد بلعا لسانيهما .

***

Mi Min : من الواضح أنك مكتئب .

عمرو القاضي : الأيام صعبة فعلا .

Mi Min :ماذا يحدث معك ؟.

عمرو القاضي: أنا عندي ثلاثة اصدقاء هم أكثر من أخوة .. إنهم من النعم التي أشكر ربي عليها .. واحد منهم اكتشفنا منذ مدة أنه يعاني من السرطان اللهم لا اعتراض ... والثاني لديه مشاكل قديمة مع والده

واليوم تجددت المواقف بينهما ولا أعلم إلى أين سيستقر الحال بينهما .

Mi Min :والثالث؟ .

عمرو القاضي: الثالث له موضوع مقعد أدعو الله أن ينتهي على خير خاصة وأنه يعاني منذ سنوات لذا أخشى عليه من صدمات أخرى .

Mi Min : وأنت يا عمرو .. ماذا عنك .. عن نفسك .. أنت لا تعبر عن نفسك كثيرا .

عمرو القاضي: ربما .. كما قلت لك من قبل لا اعرف كيف اصف مشاعري بالكلمات .

Mi Min : فيمَ تفكرهذه الأيام ؟.. ما الذي يقلقك بشأنك.. أنت .. عمرو ؟.

عمرو القاضي : اممم .. أولا أقلق على والدي .

Mi Min : امم.. هذا قلق عن الآخرين نحن نتحدث عن عمرو .

عمرو القاضي: أنا خائف أن أفقد والدي .. أنا خائف من الشعور بافتقاده .. بالرغم من استيعابي لنعمة

Des. Maryam Tamim

ربي عليّ بوجوده في حياتي حتى هذه اللحظة .. وبرغم من إيماني بقضاء الله .. لكني اعترف بنفسي الضعيفة الجشعة فيما يخص والدي .. واحيانا ألوم نفسي على كوني مؤمن ضعيف .

Mi Min : أنا اختلف معك في تقريعك لنفسك لأنك تطمع في عمر مديد لوالدك .. أنظر في حكايات السلف الصالح ستجد حتما ضعفا منهم أمام حبهم لذويهم .. اعتقد أن الفيصل ليس في ألا تحب أهلك أو ألا تخاف عليهم من الموت أو ألا ترتعب لفكرة فقدانهم .. إنه شعور انساني أصيل .. اعتقد أن الاختبار هنا في مدى إيمانك بالله وقت أن تبتلى بهذه المصيبة .. كيف ستحتسب .. كيف ستصبر.. وبقدر مشاعرك وفجيعتك بقدر الجزاء عند الصبر على الشدائد .

عمرو القاضي: كلامك منطقي يا ميمين .. كنت احتاج لترتيب أوراقي .

Mi Min: الاستشارة هذه المرة مجانية يا بني ..

عمرو القاضي: اعطينا عنوانك يا جدتي وسنكافئك عن كل استشاراتك .. بل سنكافئك عن وجودك في حياتنا .

Mi Min : يسعدني أن اساعد الشباب الصغـار بخبرتي (وجه مبتسم)

عمرو القاضي: سأطلب استشارة أخرى يا جدتي (وجه يغيظ)

Mi Min : تفضل يا بني (وجه امرأة عجوز)

عمرو القاضي: أنا منجذب لفتاة على الانترنت.. والحقيقة اني.. وصلت لمرحلة معها لم أعد قادر فيها على التراجع وتجاهلها .. ولست قادرا على المضي في حياتي .. ربما أنت لا تعرفيني في الحقيقة يا جدتي.. لكني لست هذا الانسان الحالم الذي من الممكن أن يتأثر بعلاقة عابرة على الانترنت .

Mi Min : يا بني لا تلتفت لعلاقة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.. فغالبا معظم ما تعلمه عنها وهمي.. إما من كذبة صنعتها هي .. أو من وهم

نسجه خيالك أنت.. كل ما تشعر به طبيعي وسيزول فور أن تتعرف على هذه الشخصية في الواقع .. سيكون الأمر مختلفا تماما .. جملةً وتفصيلا عن الشخص الذي صورته في خيالك .

عمرو القاضي: وهل أنا أمثل لديك أي أهمية يا ميمين.. حتى تساعديني على التخلص من أوهامي بإخباري بالمزيد عنك .. حتى تخلصيني من وهمي لأمضي قدما في حياتي ؟ .

Mi Min : عمرو ! .. صدقني الموضوع بيننا مستحيل .. وأنا قد لا أكون كما تخيلتني .. بالله عليك .. تقدم في حياتك ولا تلتف إليّ ..

بعد قليل من الصمت ...

عمرو القاضي: اشكرك على النصيحة يا ميمين .. أنا فهمت الآن قدري عندك .. ويبدو أن كل ما ذكرتيه

صحيحا وأني واهم .. والحقيقة أن ما قلتيه سيساعدني على اتخاذ قراري وسيرفع من على كاهلي ذنب أحمله تجاه والدي وهو.. أن يراني متزوج قبل أن يموت .. وربما مَنّ الله علينا بأن يرى حفيده ..

Mi Min: وأنا سعيدة من أجل قرارك وأدعو الله أن يمن عليك بزوجة صالحة تسعدك كما تستحق .. أما بشأننا.. فسأترك لك مطلق الحرية لتحديد ما تراه مناسبا .. بشأن استمرارنا في التواصل من عدمه.. فأنا أعلم أن الامر معك يدخل في منعطفات تخص المبادئ والأخلاقيات .

عمرو القاضي : شكرا ميمين .. شكرا على كل شيء .. تصبحين على خير .

***

بعد منتصف الليل كان سيد يجلس في الخن وحده .. يحتسي البيرة ودخان سيجارة حشيش يتراقص أمامه .

لقد طمأن الجميع عليه وانسحب لمكانه المفضل
.. هنا في الخن .. غير راغب في الحديث مع أحد..
فليتركوه جميعهم..
لمَ يتمسكون به ؟
ولماذا يهتمون له أصلا ! ..
فليتركوه كما تركته أمه بحفاضة متسخة ورحلت..
كما تركه أبوه جائعا يقتات من القمامة ..
كما تركته العجوز جدته يتلوى من الحمى في غرفة
باردة تؤنسه الأشباح من حوله ..

مالذي يجعله يستحق في نظرهم لأن يفعلوا كل
هذا من أجله ! ..
إنه لا يستحق ..
إنه ....
كلب ضال أجرب عطف عليه الناس .. لكنه سيظل
أجربا ..

Des. Maryam Tamim

وربما يتحول يوما ما لمسعور يعض أيديهم الممدودة إليه ..

في بيت سماحة تحركت آية بهدوء تفتح باب الشقة .. بعد أن انتظرت حتى نام الجميع .. إنه بالتأكيد بالخن .. فالضوء الخافت الذي يشع من شباك الخن يخبرها أنه هناك .. أحمد مازال يحتفظ بهاتفها دون أن تعرف سببا لحالته المعصبة منها اليوم .. وحينما حاولت الاتصال بسيد من هاتف أروى كان هاتفه مغلقاً ..

ما سمعته اليوم من حكايات عما حدث مع والده أحرق قلبها عليه .. آه لو تستطيع أن تخفف عنه آلامه .. لو تملك اختراعا ينسيه كل طفولته البائسة وذكرياته الحزينة .
دعت ربها أن يكون فعلا بالخن .. وأن يكون وحده ..

Des. Maryam Tamim

تسللت من البوابة والشارع هادئ تماما ولا حركة للمارة وجميع المحلات مغلقة .. حتى المقهى كان مغلق منذ الصباح ..

المقهى كان يؤنس الشارع .. يجعل له صوت..

وحين أغلق وأسدل الليل أهدابه .. أصبح الشارع كئيبا صامتا تعوي فيه الكلاب ..

أين أصوات الهتافات التي تعقب أي مباراة ..

أين صوت طأطأ المجلجل بالطلبات ..

أين مناقشات السياسة والإفتاء في أمور البلد .. أين صوت الطاولة وطرقعات النرد على الخشب ..

أين ضحكات الناس ..

وأين همهمات هزائمهم ..

المقهى لم يكن مجرد مكان لإضاعة الوقت ..

المقهى كان ديوان شئون الحي ..

مكان تجمعهم ..

كان صوت الحي النابض..

Des. Maryam Tamim

ووجود الخن فوقه .. كان بمثابة مقر إقامة أبطال الحي وفخر شبابهم ..

اقتربت من المقهى فلمحت في الظلام طأطأ يتوسد ذراعيه على احدى الطاولات في بؤس .. حين شعر بوجودها من خلال الباب الزجاجي للمقهى انتفض يفتحه.. وهي تشير له بسبابتها أن يخفض صوته .. فأشار لأعلى وهو يغمز بعينه.. لتسرع في ارتقاء السلم بخفة .

حفيف اسدالها لقطته أذنه فظن أنه يهلوس.. وبالرغم من ذلك أدار وجه نحو السلم يستجدي أي هلوسة تخصها .
حين دلفت للغرفة شعرت بالارتباك واعتصر الألم قلبها.

Des. Maryam Tamim

كان يجلس على الأريكة الجانبية يحني جذعه للأمام ويتكئ بمرفقيه على ركبتيه في إنهاك بينما دخان السيجارة يتطاير من بين أصابعه .

بالرغم الضوء الخافت في الغرفة إلا أنها استطاعت رؤية ذلك العذاب ومرارة الهزيمة على ملامحه وعينيه الحمراوين ..

كان منهكاً غير قادر على تحريك عضلة واحدة من جسده فلم يتحرك من جلسته..لكن بمجرد دخولها تحركت يده بحركة تلقائية ليزيح زجاجة البيرة من على الطاولة بهدوء ليخفيها بجانب الكرسي .. وتلاها الكوب الزجاجي الذي كان يشرب فيه .. ربما يتحرج منها.. أو يتجمل أمامها .. أو يحميها بمشاعر أبوية .
تأملها بعينين نصف مغلقتين وهمس في سره "ها هي شمسك الصغيرة قد حضرت يا سيد " ..

Des. Maryam Tamim

فتطلع فيها بصمت تقف على باب الغرفة بارتباك وقلق..غارقة في ذلك الاسدال الذي يبدو كبيرا عليها .. يجعلها كخيمة متنقلة .. تحجب عنه بهائها .. .
ترى ماذا ترتدي تحت تلك الخيمة..وممنوعا عنه ....محرما عليه .. للأبد؟. ..
يدها التي تقبض على الإسدال تلملمه وترفع طرفه الذي يجرجر في الأرض.. فتكشف عن قدمها الجميلة الصغيرة.. وجزء من ساقها الأبيض يبدو أمامه بخلخال ذهبي رقيق .

لم تقدر آية على التقدم نحوه .. آلمها منظره لدرجة أنها خشيت إذا ما تقدمت أكثر ربما تؤلمه أكثر .. فقد بدا أمامها ذلك المارد الضخم مهزوما مكسورا مستهلك القوى ..
ودت لو تضمه إلى حضنها لكنها تعرف أنها مهما قدمت له فلن تكون كافية.
ومن تكون هي لتداوي جراح المارد العظيم !.

Des. Maryam Tamim

قطعت الصمت لتقول بصوت خفيض وكأنها تخشى أن يزيد الصوت العالي من آلامه " قلقت عليك يا سيد " .

سرى صوتها كالمخدر عبر أذنه ليسري في عروقه .. فابتسم بضعف ورد بصوت مبحوح " لا تقلقي يا حبة السكر .. الآن فقط أصبحت بخير".

قالت تشجعه " قلت لي من قبل أن الألم نستخدمه كوقود لمعاركنا القادمة مع الحياة ليجعلنا نتقدم.. لا أن نهدم به أنفسنا ولا أن نستسلم له .. فيقتات علينا ".

ابتسم ابتسامة واهنة وهو يراقب كفيها الذين تفركهما أمامها بقلق وتمنى لو يدفن وجه فيهما لدقائق في استراحة محارب وقال " كلامك صحيح ".

قالت متألمة " لا أحب أن اراك هكذا (ثم وضعت يدها على قلبها لتستطرد) هذا يؤلمني .. يؤلمني جدا يا سيد " .

Des. Maryam Tamim

ارتج قلبه في عذاب .. قد يتحمل أي شيء إلا أن تتألم صغيرته ..فتطلع ليدها الموضوعة على قلبها ثم رفع نظره إليها يقول بألم " أعدك لن استسلم مرة أخرى.. ولن تريني مهزوما أبدا " .

ابتسمت له بحنان ابتسامة أضاءت قنديلا صغيرا في مدينته القابعة في الظلام الدامس .. ثم اكتست ملامحها بالشقاوة الحلوة وقالت بتردد ومكر " هل الزجاجة التي أخفيتها بجوار الكرسي زجاجة بيرة؟"
أومأ برأسه معترفا فأكملت الاستجواب " وهل السيجارة ذات الرائحة الغربية هذه هي سيجارة حشيش؟"
ابتسم في وهن ورد "هي كذلك يا شقية "
قالت في شقاوة وهي تفرك كفيها بحماس " وددت لو أجربهم يوما ما " .
اتسعت ابتسامته وهو يتأملها بعينين نصف مغلقتين وقال بصوت واهن " ليت الأمر بيدي "

Des. Maryam Tamim

سألت بشقاوة " لو كان الأمر بيدك كنت ستدعني أجربها ؟"

رد بنفس الابتسامة الحنونة " ربما سيراني البعض مجنونا .. لكن الإجابة نعم .. ربما سأرضي فضولك إذا كان الأمر يتعلق فقط بالبيرة والحشيش " .

ثم أكمل بنبرة مهددة برغم وهنها " لكنها ستكون مرة وحيدة فقط .. وأنا معك ومتحكم بالموقف .. ولن أسمح لسقف فضولك أن يرتفع لأكثر من ذلك"

رنة ضحكتها المغردة أنعشت بعضا من روحه التي تحتضر .. وانخفضت نظراته دون أن يشعر لذلك الخلخال اللامع في الظلام.. ثم رفعها ليتجول في وجهها من هذه المسافة بينهما التي لا تتعدي المترين .. يملأ نظره منها قبل أن تنتهي هذه اللحظات المسروقة.

هدأت ضحكتها .. وساد صمت متوتر.. فواصل الحديث بوهن " لكن الأمر ليس بيدي .. ولن يكون

Des. Maryam Tamim

أبدا .. لا هم سيتركونه لي .. ولا أنا سأسمح لنفسي
بذلك .. ببساطة الحرمان قدري إلى الأبد " .
نظرت إليه بعدم فهم بينما واصل الهذيان وهو
يحدق أمامه " أنا تعودت على هذا الحرمان...
لكنه لا يتركني أتعامل مع الحرمان كرجل ناضج.
إنه مصر على أن يضعفني ..
يذلني ..
يمسح أنفي في التراب " .

سألت بقلق " من الذي لا يتركك؟ " .
رفع عينيه الحمراوين إليها ورد بغيظ " المارد يا
آيتي .. المارد لا يريد أن يتركني وشأني " .

علا الاندهاش على وجهها للحظة.. ثم تحركت
نحوه جزعة تختصر المسافة بينهما وهي تسأله
بقلق " أي مارد ! .. سيد هل أنت محموم ؟؟!!! "

Des. Maryam Tamim

انتفض جسده وهو يرفع رأسه يطالعها من هذه المسافة التي تلاشت باقترابها ..
كانت تشرق عليه من عليّ.. وأنفاسها العطرة طالت أنفه لأول مرة فحبسها في صدره.. بينما وضعت هي يدها على جبينه بعفوية تختبر حرارته .. فسقط قلبه بين قدميه من لمستها وأغمض عينيه لحظة يهمس لنفسه " آآآآآآآآه ..لمستني .....أخيييييرا " .

بعد ثانية فتح عينيه الحمراوين بضعف يتطلع إليها باستجداء.. وتساءل في نفسه .. ماذا لو احاط ذراعيه حولها ودفن رأسه في حضنها لدقائق ؟ ..

فقط دقائق ..
هل ستقوم القيامة ؟! ..
هل سيفنى الكون لفعلته الشنيعة هذه ؟؟!! ..

Des. Maryam Tamim

فسمع صوتا بداخله يردد " كلب أجرب يعض الأيدي التي مُدت إليه " .
جحظت عيناه فجأة و كأنه تلقى صفعة.. فتنحنح واعتدل في جلسته ليستفيق و.. أمرها بملامح جادة برغم ارتباكه " انتظريني في الأسفل.. ولا تخرجي للشارع قبل أن أؤمِّن لك الخروج .. دعينا نتدارك فعلتك المتهورة الليلة بالخروج في هذا الوقت قبل أن يتحول الأمر لفضيحة ".

همت بالاعتراض مدافعة عن نفسها .. لكنه أشار إليها يحذرها من الاعتراض.. فلم تجد بدا من الانصياع .. سعيدة باختفاء ملامح الانهزام من على وجهه .
أخذ سيد دقائق ليستفيق ويلملم شتات نفسه ومشاعره .. ثم تحرك إلى الأسفل .. فوجدها تقف تقضم أظافرها في قلق وقد بدا أنها استوعبت للتو خطورة ما أقدمت عليه بخروجها في هذه الساعة.

Des. Maryam Tamim

فتحرك نحو باب المقهى يراقب الطريق جيدا وبعد أن تأكد من خلوه .. أشار لها هامسا أن تقترب .. ثم أخبرها أن تخرج بسرعة وتدخل البوابة على أن تحرص ألا تصدر صوتا وهي تغلق البوابة ..ثم طلب منها أن تطمئنه حين تصل لغرفتها أنها وصلت بأمان دون أن يلاحظ أحد بإشعال ضوء غرفتها واغلاقه ثلاث مرات متتالية.

وقبل أن تتركه رفع سبابته إليها محذرا بهمس " ما فعلتِه اليوم من تهور لن يتكرر مجددا حتى لو قيل لك أني احتضر مفهوم ؟" .

احمر وجهها وأومأت بارتباك ثم خرجت عائدة للبيت بخفة.. وكلاهما ضربات قلبيهما تعصف بجنون .

Des. Maryam Tamim

مرت الدقائق ثقيلة قاتلة حتى جاءته الإشارة بأنها وصلت بأمان .. فزفر في راحة ثم تجول بنظراته بين جدران المقهى فربما يكون هذا هو الوداع الأخير .. بعد قليل كان قد صرف طأطأ وأغلق المقهى متجها لسيارته باستسلام .

***

في اليوم التالي :

أشعل وائل السيجارة للحاج (خلف) صاحب المقهى الجديد وهو يستضيفه عنده في محل المشغولات الذهبية وهو يكمل الحديث " كما قلت لك يا حاج صدقني .. سيد هذا بلطجي ومثير للمشاكل ولا يمر يوم دون مشاكل بالحي.. أنت لست من هذه المنطقة كما علمت .. لهذا وددت إخبارك بكل شيء " .

Des. Maryam Tamim

قال خلف وهو يتحسس ذراعه المربوطة " انه عنيف جدا وكنت اريد أن ابلغ الشرطة لولا أنك اخبرتني انه سيخرج لينتقم مني إن فعلتها " .

لاحت علامات الحزن على وجه وائل ثم قال " للأسف إنه يجمع إتاوات من بعض المحال هنا في الشارع بحجة انه يحميهم .. أنا نفسي أدفع له كل شهر مقابل إتقاء شره " .
جفف خلف عرقه بمنديل وقال " لهذا لم يفاوضني الحاج خليل كثيرا في ثمن المقهى "
مال عليه وائل قليلا ليقول بصوت خفيض " هو وابنه بينهما معارك طاحنة... وأقطع ذراعي إن سكت سيد على بيع المقهى .. المجنون كان مصرا على إشعال النار في إحدى محلات والده أمس لولا ستر الله" .

Des. Maryam Tamim

ابتلع خلف ريقه في رعب وتمتم " يا ساتر يا رب .. ألا يوجد قانون في البلد .. سأقدم على محضر بالشرطة بعدم التعرض " .

رد عليه وائل بتفهم " وماذا سينفعك سجنه اذا احرق لك المقهى بما فيه .. من سيعوض خسائرك .. مسكين أنت مسكين .. كيف وقعت في هذه الورطة .. لم يجرؤ أحد من قبل على فعلها ".

رد خلف بارتباك " أنا لا أعرف أحدا هنا كل استثماراتي وأملاكي في شرق العاصمة وكنت أود أن أوسع عملي في هذه المنطقة (ثم استطرد في ندم وقد استشعر حجم الورطة) ماذا سأفعل الآن في هذه الورطة يا ربي ؟ ".

رد وائل بمكر " لا يوجد حل سوى أن تبيعها لأي مشتري وتبعد نفسك عن المشاكل ".

Des. Maryam Tamim

سأل خلف بغباء " ومن سيشتري المقهى مادمت تقول أنه عليه مشاكل بين الأب وأبنه ؟!! "
غمز وائل بعينه ثم قال" تبيعها لشخص من أهل الحي على عداوة مع الاثنين ويريد أن يتشفى فيهما "
قال خلف بترقب " يبدو أن لديك مشتري بالفعل "

دخل الحاج إبراهيم سماحة محل وائل فهتف الأخير "وها هو ابن الحلال عند ذكره يظهر .. أهلا يا حاج سماحة تفضل " .

دارت المفاوضات سريعا بين ثلاثتهم وقد عرض الحاج على خلف شراء المقهى ..
كان قد طلب من وائل مساعدته لتهيئة الموضوع مع خلف .. وأصر الحاج أن يدفع له نفس الثمن الذي دفعه لخليل صبرة على الرغم من أنه استشف بنظرته كتاجر أن خلف بقليل من الضغط قد يرضى بسعر أقل بعد أن تشاءم من الحى كله..

Des. Maryam Tamim

لكن الحاج آثر في نفسه ألا يظلمه .. فكل هدفه كان الحصول على المقهى حتى لو أضطر لدفع مبلغ أعلى ..

***

خرج من الحمام يلف منشفه على جسده وقد بدت بعض علامات معركة الأمس على جزعه الضخم.
لا يعلم كم ساعة نامها ولا يذكر كيف وصل إلى البيت بعد أن اطمأن على آية .
كل ما يذكره أنها زارته في أحلامه .. كما لم تزره من قبل .. وكان يستجدي وصالها طوال الليل ويتوسلها ألا تبتعد عنه.. ألا تتركه .. زارته كامرأة وتواصل معها كرجل .
وها هو يستيقظ لا يعلم هل عليه أن يبتهج من هذا الحلم الجميل .. أم يشعر بالخزي .. حمد الله أن بسمة تزور أهلها لعدة أيام .. ولا يعرف لمَ

Des. Maryam Tamim

يشعر بالراحة حينما تسافر لأهلها.. بالرغم من أنها مطيعة وهادئة وتتحمل منه الكثير .
ربما لاحساسه المتواصل بالذنب تجاهها .. بل إنه يأبى أن يعترف أنها باتت حملا ثقيلا على روحه...
أي جنون هذا الذي تفعله بنفسك يا سيد !.
أنت تصر على أذية نفسك وأذية من حولك ..
متى تستفيق؟..
متى تترك هذا الجنون !..

شعر بالجوع وهم بالاتصال بأحد مطاعم السريعة لا يذكر متى بالضبط كانت آخر مرة أكل فيها ..فقال لنفسه مشجعاً " حسنا يابو السِيد فلتأكل وتفكر ماذا ستفعل في حياتك من الآن فصاعدا ".

رن الهاتف ليجد رقم والده خليل .. فتجاهله واكمل ارتداء ملابسه وهو يقاوم آلام جروحه التي مازالت تنبض بداخله .

Des. Maryam Tamim

انتهى الجرس ليأتيه صوت تنبيه برسالة ..
فتحها بفضول ليجد خليل قد كتب له " تعال "
رمى الهاتف بتقزز وصفف شعره يلهي نفسه عن آلامه بالتفكير في أي المطاعم سيطلب منها الطعام .
رسالة أخرى على الهاتف من خليل جحظت لها عيناه وجمدت الدم في عروقه حين قرأها " صغيرتك هنا .. ابنة سماحة .. تعال خذها بنفسك.. وإلا سألتهمها أنا " .

خطف مفتاح السيارة وهو يغلق باب الشقة في عجلة.. وحاول الاتصال بها لكن الهاتف كان مغلق.. حاول استخدام المصعد لكن المصعد مشغول .. فهرول على السلم بسرعة ..
اتصل بخليل وهو يتحرك بالسيارة ففتح الخط و ضحكة مقززة عالية تستقبله ثم صوت خليل يقول " جاءت الحلوة تدافع عنك وتهددني..

Des. Maryam Tamim

وتنصحني كيف أكون أبا صالحا .. لذيذة جدا يا سيد تعجبني" .
قال سيد من بين أسنانه بتهديد " أتركها ترحل فورا "
قهقه خليل ثم قال " كلا .. سأستمتع بشراستها قليلا حتى تأتي " ثم اغلق الخط .

هدر سيد بقوة وهو يضرب على المقود " هذه المرة سأقتله " .
في مكتب خليل في الدور الثاني من المحل الكبير في السوق هتفت أية بشجاعة " هل تعتقد أنك إذا أغلقت باب المكتب بالمفتاح سأخاف؟" .
تحرك خليل بجسده المحني نحو مكتبه مجددا وهو يتطلع إليها بعينين كالصقر ويقول باستمتاع " أنت أمانة عندي ولن اسلمك سوى لسيد أو لأبيك الحاج سماحة .. هيا أكملي تهديدك ماذا ستفعلين إذا آذيت سيد " .

Des. Maryam Tamim

ردت بتقزز " سمها تهديد سمها تحذير .. لكن إعلم أنك لن تهزمه ..سيد لديه الكثير من الناس حوله .. اتركه في حاله وارحمه من المزيد من الألم .. إن كنت لا تقدر على أن تكون له أبا أتركه في حاله ".
قهقه عاليا بتسل ثم تأملها بنظرات وقحة وقال " ذوقه في النساء عالي هذا الماكر .. وماذا أيضا .. أكملي يا صغيرته ".
تحركت آية في عصبية وضربت بكفها بعنف على ظهر مكتبه تهدر بقوة " هل أنا أراجوز أمامك يا خليل .. صدقني لو أراد سيد سحقك لما احتاج لجهد يذكر.. "
ابتسم لها ابتسامة رطبة لزجة وقال " ستمنعه حفنة الأخلاق التي زرعها فيه سماحة .. يا صغيرته.. يا ابنة سماحة ".

Des. Maryam Tamim

تكتفت وهي تقول في سخرية " لكنها لن تمنع صغيرته ابنة سماحة حتى لو ضحيت بروحي من أجله ".

قهقه بضحكة مقززة حتى سعل ثم قال " أنت شهية جدا .. محظوظ هذا الماكر ".

فجأة ضربات قوية على الباب ثم محاولات لدفعه من الخارج وسيد يهدر بقوة "افتح يا خليل " .

قبل أن يضرب الباب ثانية كان خليل يفتح الباب بالمفتاح وسيد يقتحم الغرفة..

فقال خليل بسخرية " ها قد جاء البطل المغوار ".

اندفع نحوها يتأملها ويطمئن عليها ثم أشار لها في حزم قائلاً " اسبقيني للسيارة " .

كانت تقف متكتفة في كبرياء تطالع خليل بنظرة متحدية .. ثم تحركت بهدوء وثقة تخرج .. وخليل يتأمل جسدها بوقاحة ..فهجم عليه سيد وأمسك

Des. Maryam Tamim

عنقه بعنف حتى مال جسده على المكتب من ضغط سيد .. ليبادره خليل ونظرات العبث تطل من عينيه " شهية ولذيذة.. صغيرتك هذه ".

حذره سيد من بين أسنانه " لو كنت لمست شعرة منها ما كنت سأتركك حيا "
رد وهو يتحامل على شعوره بالاختناق من كف سيد القوية " أعرف أنها في حمايتك " .

صحح له سيد " بل في حماية آل سماحة وأنت لا تقدر عليهم "
بدأ خليل في السعال ثم قال بنفس الابتسامة المستفزة " وهل آل سماحة على علم بما يدور في عقلك .. أنت لا ترى نظرة عينيك لها.. تشتهيها يابن خليل .. تشتهيها كما لم تشتهي أمرأة من قبل"
هدر سيد بقوة " اخرس "

Des. Maryam Tamim

ضحك ضحكة مقززة وقال " ربما هذه هي الصفة الوحيدة التي ورثتها مني .. هذا لو كنت قد ورثت مني شيئا من الأساس (ثم اخفض صوته وقال بوقاحة) نحبهم صغار كبتلات الورود .. نهوي أن نفتحهن قبل أوانهن ..نستمتع بعطرهم الذي يمزج الطفولة والنضوج" .

هدر سيد وهو يتركه "اخرس يا خليل اخرس .. سأرحل من هنا قبل أن ارتكب جريمة .. لا اتحمل قذارتك ".

قال خليل باستهزاء " بيننا الأيام يابن شكرية..وسنرى أيا سينتصر بداخلك بذرتي أم... تربية سماحة لك " .

قال سيد وهو عند الباب " المقهى سأسترده .. بأي طريقة سأسترده .. وباقي الفروع ابحث عن شخص آخر يديرها لك .. لا أريد منك شيئا "

هم بالمغادرة فصاح خليل " وسيارتك وشقتك "

Des. Maryam Tamim

رد سيد بامتعاض " انها ملكي من كدي وعرق جبيني .. من راتبي الذي عملت به عندك ..يا ... والدي العزيز ".

***

دخل أحمد غرفة آية فلم يجدها فوضع هاتفها بجوار السرير..

لم ينم ليلة أمس ليس بسبب ألم ركبته فقط والذي انهال عليها طوال الليل بالدهان والمسكنات والكمادات الساخنة .. لكن بسبب ما يقلقه تجاه سيد .

إنه يشك بالأمر منذ سنوات لكنه كان يكذب نفسه دائما.. ففرق العمر بينهما كبير.. أربعة عشر عاما كاملة .. كما أن سيد صاحب تجارب نسائية بعدد شعر رأسه .. صحيح لم يكن أيا منها حبا ..لكن ليس من المنطقي أبدا أن ينجذب بعد كل هذا العمر وهذه التجارب مع النساء .. لآية ...

Des. Maryam Tamim



آية الصغيرة المجنونة !!!.

حين قرر سيد الزواج فجأة تنفس الصعداء ليبعد عنه هذا الهاجس لكن الشك في قلبه يزداد إلحاحا بمرور الوقت ..ورغم حساسية الأمر عليه أن يواجهه .. خاصة وأن حالة سيد ليست جيدة أبدا منذ فترة ..

لفت انتباهه علبة هدايا على مكتب آية الصغير فتذكر ذلك الكيس الذي رأى سيد يعطيه لها قبل يومين من عيد ميلادها .. ففتح العلبة ليجد كارت صغير وقرأ المكتوب به .. ثم أخرج الوشاح المطبق بعناية في العلبة ..وتأمله ..
فوقع قلبه بين قدميه ..

***

عند السيارة هدر سيد فيها بغيظ " هل لي أن أعرف سبب هذه الزيارة المتهورة؟؟ ".
ضمت قبضتيها أمامها وقد احمر وجهها من الغيظ فقالت من بين أسنانها " هذا الرجل يغضبني.. يستفزني .. لم أنم طوال الليل وهاتف ملح يدعوني لضربه .. لكني حين رأيته كان أضعف من أن يتحمل ضربة واحدة مني .. ومازلت لم أشف غليلي منه .. سأموت من الغيظ يا سيد "

هدر محذرا " إلا خليل .. ابتعدي عن خليل بالذات انه أقذر مما تتخيلي ".
قالت بحماس وتهور " وأنا لا أخاف ".
فرد سيد بسرعة " وأنا أخاف .. أخاف عليك .. خليل سيؤذيني بك " .
زمجرت بغضب.. فتأملها ويديه في خصره .. تتلوى من الغيظ أمامه كحبة ذرة تتقافزعلى سطح

Des. Maryam Tamim

ساخن.. فقال معترفا " أعتقد أن أحمد كان محقا حين أطلق عليك لقب (المجنونة) "
ضيقت عينيها للحظات .. ثم تقبضت وضربته لكمة في فكه .. فلم يتحرك قيد أنملة ..لكنها تأوهت وهي تمسد يدها واصابعها من الألم..وهو متجمد كتمثال ضخم متخصر أمامها يتأملها ببرود .. فدارت على عقبها وفردت ساقها في الهواء ورفعته بجانب وجهه فجأة بحركة من حركات التايكوندو .. وثبتت على هذه الوقفة .. وهي تنظر لعينيه بتحد ..

تجمد المشهد قليلا على هذا الوضع..كلاهما يحدق في الآخر ببرود .. وهي مازالت رافعة قدمها بجانب وجهه ..فلم يتحمل سيد شقاوتها .. فانفجر ضاحكا وهو يبعد قدمها الملاصق لوجهه لتنزلها على الأرض..مقاوما رغبة ملحة في تقبيلها هي وقبضتها الضعيفة وقدمها وكل ما يخصها .

Des. Maryam Tamim

بعد دقائق قالت بلهجة ذات مغزى وهي تركب سيارته " أتضور جوعا " .
رد وهو يركب السيارة ويبدأ في تحريكها "أنا أيضا .. لكني سأعيدك للبيت " .
ردت معترضة كطفلة صغيرة " سيد جائعة والله جائعة " .
رد عليها مراوغا " سآكل فول وطعمية من العم بهنساوي في الشارع ولن يعجبك هذا " .
ردت باعتراض " انه موعد الغداء ! ".
رد يغيظها " أنا لم افطر بعد ".

بعد قليل كان يضع صينية صغيرة على مقدمة السيارة بالقرب من عربة الفول وهما يقفان معا يتناولان فول وطعمية وبصل بِنَهم .. والضحكات والنظرات تطفو بينهما ..

Des. Maryam Tamim

وكان سيد ممتنا لتلك الدقائق معها .. فقد كان في حاجة ماسة للمزيد من اللحظات المسروقة معها حتى يشحن من الطاقة ما يجعله يستمر قدما .

***

نزل أحمد يعرج إلى الشارع ليجد وائل وعمرو يقفان وعلامات الارتياح على وجهيهما ..
سأله وائل بفرح " هل علمت أن الحاج اشترى المقهى؟"
رد باقتضاب وذهن مشغول " نعم أخبرني "
قال وائل محذرا " الحاج طلب أن يخبره هو بنفسه .. لو لم يقم الحاج بذلك كنت فعلتها أنا .. كنت أفكر في نفس الفكرة حين اتصل الحاج بي "

لكزه عمرو ينبهه بقدوم سيد ومعه آية فبلعا لسانهم .. بينما تخصر أحمد يتطلع إليهم بنظرة خطرة وهو يرى آية تخرج من سيارة سيد ..

Des. Maryam Tamim

أما سيد وآية فقد توقفا عن الضحك حين لمحا أحمد والشباب وبدت نظرات الترقب على وجهيهما ..فهمس سيد آمرا " تحركي في خط مستقيم نحو البيت دون أي حرف أو استفزاز له .. وأنا سأتلقى كل غضبه وحدي .. فورا نفذي يا آية " .

أخذت نفسا تهدئ رغبة متوحشة بداخلها للاعتراض والعراك والصياح من الغيظ لكنها نفذت .

تأملها أحمد في صمت وهي تلقي السلام على الجميع وتدخل البوابة بهدوء .. ثم تقدم نحو سيد الذي كان بانتظاره مترقبا ..

قال أحمد آمرا " تقدم أمامي إلى الخن " .

نظر سيد للمقهى المغلق بحزن ثم قال " أتمنى ألا يكون قد غير المفتاح .. فمازلت لم أخذ متعلقاتي منه " .

تحرك وفتح باب المقهى فدفعه أحمد إلى الداخل بعنف وهو يلتفت ليحذرهم " لا يقاطعنا أحد " .

Des. Maryam Tamim

تبادل كلا من عمرو ووائل النظرات المتوترة بينهما في صمت بينما أحمد يواصل دفع سيد بعنف أكثر.

في الخن وقف سيد أمامه بهدوء وقد علم أن اللحظة التي يخشاها قد حانت .. فظل يدعي في سره أن يكون أحمد متفهماً وألا يسئ الظن به .. فأسوأ كوابيسه أن يراه أصدقائه امتدادا لخليل .

وقف أحمد متخصرا وهو يضغط على شفتيه من الغضب .. فظهرتا كخطين في وجهه.. ثم سأله فجأة دون مراوغة " حدثني عن آية سماحة يا سيد "

شحب وجه سيد وتقبضت يداه بجانبه وسأل بصوت خرج من حنجرته بمجهود " ماذا عنها ؟"

رد أحمد بسخرية " بل أنت من سيخبرني .. عنها .. عن توصيف آية بالنسبة لسيد ".

Des. Maryam Tamim

رد سيد بصوت ضعيف مراوغا " أنتم جميعا آل سماحة تعزون علي و... "

هدر أحمد مقاطعا بصوت ارتجت له جدران الغرفة " أنا أسأل .. عن آية .. بالتحديد.. يا سيد ..فلا تراوغ ".

ازدادت ضربات قلبه واحمر وجه كاتما مشاعر الغضب والخزي والحرج.. وأشاح بوجهه محاولا التفكير في مخرج من المواجهة وقد انتفخت عروق رقبته .. فاقترب أحمد منه يواجهه بتحد .. ليستدير سيد نحوه فلم يعد يبعد بين وجهيهما إلا بضع سنتيمترات قليلة .. فحدق أحمد في عينيه وكأنه يحاول الوصول لأعماق قلبه .

وسأله بصوت هادئ مترجياً هذه المرة " قل لي يا سيد .. قل لي (هي أختي الصغيرة).. قل لي (هي كابنتي) .. قلها يا صديقي وسأصدقك فورا .. أنا أثق في أنك لن تكذب علي أبدا " .

Des. Maryam Tamim

ازداد احمرار وجه سيد وحبات العرق تتساقط من جبينه فأطبق على فمه يحبس انفاسه وقد انتفخت عروقه أكثر وأكثر ..
عليه أن يكذب حتى لا يخسره .. فلينطقها ببساطة من وراء قلبه " آية أختي الصغيرة " ..

مرت لحظات صمت قاتلة بينهما ..
واندفعت قطرات الدماء تسيل من أنف سيد كدموع حمراء فمسحها بظهر يده بحركة آلية ثم أطرق برأسه قليلا ليقول بصوت خافت محرج " أنا .. آسف .. ليس الأمر بيدي " .
فجأة انفجرت قبضة أحمد في فك سيد فاختل توازن الأخير وسقط ارضاً بينما أحمد يصيح " أنت جننت .. جننت بالتأكيد (ضربه بقدمه مرات متتالية مرات بغيظ وهو يهتف) جننت جننت " بينما سيد مستسلما تماما لضرباته دون أي مقاومة.

Des. Maryam Tamim

بعد دقيقة تراجع أحمد للخلف يحاول السيطرة على اعصابه وهو يمسك رأسه بكلتا يديه يحاول الاستيعاب .. بينما ظهر وائل مهرولا على السلم وخلفه عمرو وقد جحظت عيناهما .. فأشار لهما سيد بيده ألا يتدخلا فتراجعا قليلا ليقفا في منتصف السلم غير قادرين على تركهما وغير قادرين على التدخل .

وقف أحمد يكتم الغيظ وهو يتأمل سيد المستسلم يعتدل للجلوس بتوجع يمسح الدماء من على وجهه بظهر يده لا يعلم إن كانت من نزيف أنفه أم من ضرباته .
وتذكر هيئة سيد الغاضبة أمس كمارد ضخم يصارع .. وقارنها بهذا الشخص المستسلم لضرباته الذي يتحاشى رفع نظره إليه ..
فأدرك أي ورطة وقع فيها صديقه ..
وأي شقاء يعانيه ..

Des. Maryam Tamim

وأي حظ عثر يملكه سيد في هذه الحياة .. فتألم قلبه من أجله ..

تحرك أحمد نحوه لكنه لم يستطع ثني ركبته فسحبه من قميصه فأطاعه سيد ليقف أمامه باستسلام أغاظه .. فهمس يعنفه بشفقة " ماذا فعلت بنفسك يا مجنون !.. كيف تقع في هذه الورطة.. بكل تاريخك مع النساء !.. آية !!!!.. إن الأمر بينكما مستحيل .. هل تفهم مستحيل "

رد سيد بكبرياء " أعلم ذلك .. ولم أفكر أبدا أنه ممكنا ".
هتف أحمد بغيظ " إذن لماذا تفعل هذا بنفسك !!!"

رد عليه سيد محتدا لأول مرة منذ أن بدأ الحديث " قلت لك ليس بيدي .. هل هذا التعبير كاف

Des. Maryam Tamim

لتدرك أبعاد الموقف .. ليس بيدي .. ليته كان بيدي لكانت أمور كثيرة اختلفت .. ولما وقفت أمامك الآن أخشى أن تشك في إخلاصي لك و لأهل بيتك (ثم اخفض نبرة صوته ليقول بترجي) برغم أن الأمر صعب وقاسي .. وأني بالفعل في ورطة كبيرة أسعى للخلاص منها لكني لست ندلا يا صاحبي.. وسيظل احترامي ومحبتي لك هو ما يمنعني من الضعف وارتكاب أية حماقة .. صدقني يا أحمد قاومته كثيرا وحدث رغما عني اقسم لك ".

شدد أحمد من قبضته التي مازالت على مقدمة قميصه وقال بانفعال عاطفي " يا غبي .. هل تعتقد اني أخاف عليها منك ! .. أني لا أثق بك !! .. أنا أثق بك كما أثق بنفسي بالضبط ".

دمعت عينا سيد فأشاح بوجهه يقاوم التأثر بكبرياء رجولي .. فكل ما كان يرجوه ثقة كهذه في شخصه.. بينما أضاف أحمد " أنا أعلم من هو سيد الذي

Des. Maryam Tamim

تربى في بيتنا أكثر مما تعلم أنت عن نفسك .. ولهذا أنا مشفق عليك ".

رد سيد وهو يسمح عبرة نزلت من طارف عينه وقد بدأ الدوار الشديد يلف برأسه " صدقني أنا ابذل اقصى جهدي للتحكم في الموقف.. ولن اخذلك أبدا..فقط ابعد الأمر عن آية.. "

ترك أحمد ملابسه بخشونة ثم نادى على عمرو الواقف على السلم مع وائل " تعال يا عمرو اعتقد يحتاج لحقنة الضغط بشكل عاجل ".

دخل وائل وعمرو الغرفة فتطلع سيد إليهما بترقب وحرج ليرى رد فعلهما على الاعتراف الذي سمعوه منذ قليل .. لكن لدهشته لم يبد على أيا منهما أي شيء مختلف .. ولم يكن يعلم أن الأمر كان معروفا لهما حتى ولو لم يناقشوه سويا على الملأ من قبل .

Des. Maryam Tamim

فتنفس الصعداء وامتن كثيرا لهذا التفهم الصامت وأعتبره دعما له في كفاحة مع نفسه مع الحياة.

***

في اليوم التالي :

طرق سيد على شقة سماحة حيث اتصل به الحاج وطلب منه الحضور.
فاستقبلته إلهام بفرح وهي تتفحصه بقلق إن كان بخير بعد ما حدث في السوق برغم انه قد طمأنها من قبل على الهاتف..وأجلسته على كرسي السفرة المقابل للباب لينتظر الحاج حتى يفرغ من الصلاة..
دخلت أروى بكرسيها تناكفه " أهلا بهولاكو .. ألا يوجد لديك محلاً تريد إحراقه اليوم ؟".

Des. Maryam Tamim

اتسعت ابتسامة ثم بادلها المناكفة " لو كنتِ قبلتي بقلبي لما أصبحت محبطاً ضائعاً أهاجم خلق الله "

قهقت برقة ثم قالت " حسنا إن كنتُ أنا السبب فيما حدث من تلفيات لمحل خليل فيسعدني ذلك "

ابتسم لها بحنان ثم سألها عن حالها وعن جلسات العلاج وشدت هي من أزره وشجعته على المضي قدماً في حياته دون الاهتمام بوالده ..

خرج أحمد إلى الصالة وسأله ببرود "ماذا تفعل هنا؟ " ..
تطلع إليه سيد للحظة ممتنا أنه لم يتغير معه قيد أنملة بعد الحديث المؤثر الذي دار بينهما بالأمس

Des. Maryam Tamim

.. وكأنهما قد اتفقا ضمنيا على عدم الحديث في هذا الموضوع مجددا .

ورد ببرود مماثل "جئت لتطعمني أمي ".

هتفت إلهام بجزع " يا حبيبي أنت جائع؟! " .

تصنع البؤس ليقول " أنا جائع ويتيم وليس لي أما اذهب إليها فتطعمني " .

ترقرقت الدموع في عيني إلهام كالعادة كلما ذكر أمر اليتم ووضعت يدها على فمه تغلقه وهي تقول " إياك أن تقول ذلك مجددا .. هل أنا مت .. اجلس يا حبيب أمك سأحضر الطعام " .

رد بتأثر " أطال الله في عمرك يا أمي ".

ثم رفع نظره لأحمد يرفع حاجبيه بإغاظة والذي يراقب المشهد الدرامي باستخفاف ثم صاح " أمي! .. إلى متى ستصدقين هذا المحتال !".

ردت بدفاع أمومي وقد لاح على وجهها التأثر " أنت لا تعرف اليتم يا بني.. إلا اليتم ".

Des. Maryam Tamim

صاح أحمد بغيظ " يا أمي لم يعد ذلك الطفل الصغير لقد أضحى بغلا ضخما ولديه زوجة تطعمه . "

ربتت على صدر سيد ورن جرس أساورها الذهبية وهي تقول " ولديه أما تطعمه .. كما أن زوجته مهما فعلت لن تطعمه كأمه أبدا " .

رفع سيد يدها يلثمها فتحركت نحو المطبخ بينما رفع حاجبيه بإغاظة لأحمد مجددا الذي صاح بدوره بغيرة صبيانية " أمي لم تسأليني أن كنت جائعا " .

ضحكت أروى وهي تقول " لا أصدق أنها مازالت تتأثر بحكاياتك اللئيمة عن اليتم " .

ابتسم لهم ابتسامة ماكرة أرجعت ثلاثتهم لأكتر من عشرون عاما للوراء .

Des. Maryam Tamim

انتهى المشهد الصبياني حين خرج إليهم الحاج سماحة فاستقام سيد باحترام وتبعه للداخل كما طلب .

في الغرفة قال الحاج بتقريع " ألن تكف عن تهورك .. ماذا لو تدخلت الشرطة .. هل تريد أن تُسجن ؟!" .

أطرق برأسه دون رد .. فأشفق عليه الحاج ولم يرد أن يثقل عليه فسأله " هل تركت العمل لديه بالفعل ؟"

أومأ برأسه بنعم .. فسأله الحاج " وكيف ستدبر أمورك؟ "

ابتسم وقال " لا تقلق عليّ يا أبي .. سأدبر أموري جيدا .. بل اني مندهش أني لست قلقا.. وقد كنت اتصور طيلة الوقت اذا ما تركت العمل لديه سأعاني .. لكني أشعر بالتحرر واثق أنكم تقفون في ظهري"

ربت الحاج على كتفه وقال " إذن هل توافق على أن تعمل لدي ؟"

Des. Maryam Tamim

رد بهدوء " أأمرني وأنفذ ".
قال الحاج بابتسامة حانية " أنا أبحث عن من يدير لي المقهى" .
قطب سيد جبينه وسأل باندهاش " أي مقهى ؟"
ابتسم الحاج ابتسامة ماكرة وقال " ألم تعلم ! .. أنا املك مقهى كوكب الشرق الآن " .

نظر إليه سيد بعدم تصديق.. فأخرج الحاج العقد من جيبه ولوح به بفخر " المقهى اضحى ملكي يا ولد ألديك اعتراض " .
هتف سيد بذهول " كيف !" .

رد الحاج " إنها قصة طويلة يحكيها لك وائل .. كل ما في الأمر أن ربك كان بنا رحيما والرجل الذي اشترى المقهى من خليل كان ساذجا.. فكانت مهمتنا سهلة .. وأنا حاليا ابحث عمن يدير المقهى "..

Des. Maryam Tamim

أتسعت عينا سيد بذهول ولم يستوعب عقله بعد الخبر.. بينما قلبه كان يرقص فرحا وابتهاجا !.

قال الحاج بابتسامة أبوية " سأقدم لك عرض مغري .. ما رأيك أن تدير لي المقهى ونقتسم الإيراد .. وحين تملك ثمنه يوما ما سأبيعه لك .. ماذا قلت ؟!" .

كاد أن يقفز من الفرح .. وانحنى يقبل يد الحاج بإمتنان وهو يتمتم " أفضالك عليّ ليس لها أول من آخر يا حاج ".

ربت الحاج على كتفه يقول " أنت ابني يا غبي .. متى ستعي تلك الحقيقة ".

همس سيد في سره " ربما لأني أعلم جيدا أني لا أستحق منكم هذا الكرم يا آل سماحة ".

Des. Maryam Tamim

الفصل الثاني عشر

حرك قلم الفحم على اللوحة التي قاربت على الانتهاء أمامه لصورة أروى التي تنفخ دخان سيجارة تمسكها برقة ونعومة وشعرها الناعم شديد السواد ومبعثرا حول وجهها.. تركز نظراتها على الدخان بهيام وكأنه همومها التي تودعها مع تتطاير الدخان .

هناك صورة أخرى في ذهنه تلح وتلح عليه لكنه يتجاهلها ربما لأنها تؤلمه .

أين لوحة العينين ؟ ... سأل أحمد نفسه وهو يتحرك في غرفته وقد قارب الوقت على منتصف الليل ..

بحث في اللوحات البيضاء المتراكمة في دفاتر الرسم الكبيرة التي تملأ الغرفة ..وتوقف أثناء البحث أمام لوحة لعينين واسعتين برموش كثيفة ونظرات

Des. Maryam Tamim

زجاجية تتلألأ الدموع خلفها.. بالرغم من نظرة الكبرياء التي تتطلع بها ..
العينان أنثويتان بالتأكيد .. هذا ما تستطيع إدراكه بسهولة لكن وجود لحية ذكورية أمر يجعل باللوحة تناقض غريب ..
ابتسم أحمد وهو يتذكر أنه رسم هذه اللوحة عندما كان يعاني من تحديد هوية ساكن / ساكنة شقة الدور الثالث..
زفر في إرتياح لتوصله للحقيقة .. فكلما تذكر تلك المشاعر الكابوسية.. وأي وقت صعب مر به منذ فترة.. يحمد الله ويشكره كثيرا انه أخرجه من تلك الأيام سالما.. بل انه يتعجب كيف استطاع تحمل فكرة كهذه .. ربما لم يكن الامرمعذبا لو لم يكن يحمل مشاعر انجذاب تجاه بانة .

بانة ..
ارتسمت ابتسامة ولهة بلهاء على وجهه .

Des. Maryam Tamim

متى يا بنت الناس متى ستعترفين !.
أين لوحة العينين ؟ ليست تلك ذات اللحية ..
لوحة أخرى رسمها مؤخرا .. بمشاعره الجديدة ..
أو القديمة في ثوب جديد.
خمن انه قد تركها بالسيارة..فزفر في حنق وهم بالنزول للبحث عنها .. لكن التيار الكهربائي انقطع فجأة .. فنظر من نافذة غرفته على الحي وتأكد أن انقطاع الكهرباء كان عن الحي بأكمله وليس عيبا بوصلات الكهرباء في المنزل .

شعر بالملل .. ماذا سيفعل في الظلام؟ .. هل يذهب إلى أروى يناكفها .
الظلام !! .
بانة !! ..
اندفع خارجا من غرفته وقفز يقطع الصالة فنادته أمه ليحضر لها مصباح الطوارئ من فوق خزانة المطبخ .. مده يده وتناول المصباح وأخذه متجها

Des. Maryam Tamim

إلى باب الشقة.. فصاحت إلهام معترضة ..
فأخبرها انه ذاهب ليتفقد رامز ربما يخشى الظلام وحده .
هتفت إلهام خلفه " هناك مصباح آخر فوق الخزانة أريده " .
حينما اختفى أضافت " إحضر رامز هنا ليتسلى معنا حتى تعود الكهرباء".
جفل الحاج سماحة الجالس في غرفة المعيشة يطالع هاتفه حين طُبِعت قبلة على خده فجأة فهتف "بسم الله الرحمن الرحيم " .
خرجت آية من خلف الكرسي تقول بحنق طفولي " أبي ! .. هل أنا أخيف .. من سيقبلك غيري "
ابتسم بينما هي تجلس فوق حجره بدلال وتلف ذراعيها حول عنقه فقال " أنا تساءلت من جنية الظلام التي تقبلني في هذا الوقت ".
قالت بدلال وهي تحرك أصابعها بشعره الذي ملاه الشيب " وهل هناك جنية غيري يا حجوج "

Des. Maryam Tamim

قهقه ضاحكا وقال " بالطبع لا يوجد غيرك يا قلب الحجوج " .
مالت عليه تقبله كقطة ناعمة وهي تعلم جيدا أن هذه الطريقة تؤثر به دائما فسألها بتوجس " ماذا تريدين بدون مقدمات ناعمة ومواء القطط هذا"
قالت بنعومة " إن لم أتدلل على أبي على من سأتدلل إذن ؟"
قال بلهجة ذات معنى " رحلات خارج الجامعة مرفوض ولن نعيد الحديث مرة اخرى "
عبست ثم هتفت بعصبية " لن اطلب الذهاب لرحلات سأبقى في البيت حتى أتعفن ".
قبّلها على خدها بحنان ثم قال مداعبا " إذن ماذا تريد مدللة أبيها ؟".
هدأت قليلا وعادت للدلال " أريد نقودا "
رفع حاجبيه وسأل " ألم تاخذي مصروف الاسبوع منذ يومين ".

Des. Maryam Tamim

مطت شفتيها كالأطفال قائلة " اشتريت هدية لصديقتي ونفذت نقودي ".
قال بحنان " غالية والطلب رخيص " .
هتفت بفرح " هل أخبرتك من قبل أنك أعظم أب في الدنيا " .
رد عليها بنفس النغمة وهو يضحك " هل اخبرتك من قبل انك أكبر محتالة في الدنيا" .
جلجلت ضحكتها ثم هدأت ونامت على كتفه وهي تتنهد في حزن وإحباط .
آلمه قلبه برغم أنه يعلم أنها محتالة.. ويشعر بأن هناك طلبا آخر.. لكنها تتبع اسلوبها المعروف للتأثير عليه.. وهو يعرف نفسه.. لا يقاومها.. إلا في ما يخص حمايتها كبنت شرقية ملتزمة كما يريد أن يكون أهل بيته ..
لكنها صعبة المراس وتقييدها صعب .. خاصة عندما يضطر لإلزامها بشيء وهي تتعذب به .. فيتعذب بعذابها.. انها جامحة منطلقة .. وهو

Des. Maryam Tamim

يتقدم في العمر ويخشى أن يضعف أمامها.. وأحمد لا يعينه في هذا الشأن.. ولا يتولى عنه هذه المسؤولية .. لا ينكر أن أحمد قد تغير مؤخرا بعد المشكلة الاخيرة التي اضطر فيها لطرده من المنزل .. لكن علاقته بآية مازالت في طور البناء .. و ستظل عصبيته حائلا بينهما .. فآية تحتاج لمزيج من الحزم والحنان والاحتواء في نفس الوقت .

نفض افكاره ليسألها بقلق" لمَ تتنهدين بإحباط يويا".

قالت بإحباط " سأعطي صديقتي هديتها في الجامعة فلن أستطيع الذهاب لحفل عيد ميلادها مثل باقي أصدقائي".

ها هي الماكرة تؤثر عليه فسألها بفضول " صديقتك من ؟".

ردت في حماس " منة .. منة الله يا أبي "

سألها " أليست إبنة الطبيب ؟" .

Des. Maryam Tamim

ردت ببعض الأمل " أجل هي يا أبي هي .. لقد رأيت والدها حينما حضر لأحد معارضك ليشتري أثاثا لأختها الكبري " .

قال الحاج معترفا "يبدو رجلا محترما وعائلته محافظة".

ردت بحماس "جدا يا أبي ..جدا".

صمت قليلا ثم سأل " ومتى الحفل وأين؟ "

ردت بسرعة " في بيتهم غدا".

حبست نفسها في ترقب وفرك الحاج جبينه يقيم الأمر ويحاول البحث عن حل وسط وهو يتطلع لعينيها المستعطفة كقطة تموء أمامه بنعومة .

" هي ماكرة .. وانت كبرت وضعفت يا ابراهيم " هكذاحدث نفسه .

قال بهدوء " حسنا سأفعل مثلما كنت أفعل مع أروى.. سأجعل أحمد يوصلك ويعود ليأخذك "

صاحت بفرح وهي تمطره بالقبلات وهو يقهقه ..

Des. Maryam Tamim

تدخلت إلهام صائحة "هل ممكن أن أقاطع هذا المشهد العاطفي .. أريد مصباح الطوارئ يا ابراهيم .. ألا يوجد أحد فارع الطول في هذا المنزل يساعدني".

***

طرق أحمد على باب الشقة وهو يناديها برامز .. فانتفضت بانة في الداخل وهي تحاول تجاهل توترها في الظلام.

طرق أحمد مجددا "رامز .. هل أنت بخير"

أجلت صوتها وقالت " نعم الحمد لله ".

قال أحمد بترقب "هل تحب أن تصعد معنا قليلا حتى تأتي الكهرباء " .

ردت بهدوء مصطنع " كلا شكرا.. أنا بخير "

سأل بتردد من وراء الباب " هل تحب أن ندردش قليلا"

ردت وهي تقاوم الاجابة بنعم " شكرا يا أحمد "

Des. Maryam Tamim

شتم في سره" إنها عنيدة وتتظاهر برباطة الجأش وسأحطم رأسها هذا يوما ما" .
هم بالصعود لكن قلبه لم يطاوعه .. يقسم أن صوتها كان مرتعشا بخوف ..فزفر وجلس على السلم ثم صاح بصوت عال " ها أنا اجلس على السلم لأنك لا تريد استضافتي في بيتك ".

بعد لحظات " فتحت الباب ببطء ثم قالت بهدوء "تفضل".
انتفض واقفا ومصباح الطوارئ يضيء وجهه وإبتسامة ساحرة تزينه سرقت أنفاسها وأنارت الظلام من حولها .
***
فتحت آية الهاتف لتطالع رسالة واتساب من الدكتور ريان .. الذي مازال يحاول تحين الفرص للتعرف عليها كتب ريان " آنسة آية .. هل أجد

Des. Maryam Tamim

لديك أغنية فايزة أحمد (ليه يا قلبي ليه) .. لا استطيع العثور عليها أونلاين ".
ضحكت آية ثم كتبت " إنها أغنية منتشرة ستجدها بسهولة يا دكتور ريان "
رد ريان " اعترف أني لست ضليعا في أمور الانترنت وأجد صعوبة في تحميل الأغاني .. فلو أرسلتيها لي سأكون شاكرا لك ".
بحثت عن رابط الاغنية وارسلتها له وهي تبتسم بتسلية.
رد ريان " شكرا جدا "
ثم سألها "هل سأراك غدا في عيد ميلاد منة ؟"
كتبت "لا"
ريان "لمااااااااذا ؟"
ردت بمكر "أبي يرفض كالعادة "
ريان " سأجعل منة تتصل به "
ردت " سيرفض وسيحرجها "

Des. Maryam Tamim

ريان " هذا أسوأ خبر.. يا ليتني لم اتبادل مع زميلي المبيت في المستشفى الليلة بدلا من الغد لكي أراك ".

كتبت " تصبح على خير دكتور ريان "

ريان:" آنسة آية "

ريان: " آية " .

إلا أن آية أسرعت للرد على اتصال من سيد وهتفت تسأله " هل انقطعت الكهرباء عندكم أيضا؟".

رد باستغراب " لا ".

سألت بفضول " ماذا تفعل ؟".

قال سيد بذهن مشغول " أحاول أن ألحن بعض الكلمات للمطرب (....) .. علها تعجبه "

زفرت وقالت في حنق " بدأت أكرهه بسبب ما يفعله معك ألم تعطيه أكثر من لحن ولم يختار منهم حتى الآن .. ألأنه مطرب كبير يتدلل هكذا "

Des. Maryam Tamim

رد بوجوم "مضطرين يا يويا .. اسمعي هذا اللحن وقولي لي رأيك " .

سمعت عزفه على الأورج وغناؤه بصوته ذي البحة .. وبعد أن انتهى طلبت منه الإعادة فتوتر وقال " لم تكن جاذبة للأذن من أول مرة أليس كذلك " .

قالت بهدوء " بل هي جميلة لدرجة أني أريد أن اسمعها مرة أخرى " .

ضحك في سعادة وقال " إذن يا محتالة سأذهب الآن " .

هتفت بحنق " سيد أقول أني أريد أن أسمعها منك مرة أخرى".

رد عليها "آية حين أعمل على لحن أكون غير صبور و غير رائق البال .. والهث لأسجل الجمل الموسيقية التي تتدافع في ذهني .. فسامحيني سأتصل بك مرة أخرى".

أغلق الخط فغمغمت بسعادة وهي تصفق بيديها "الموسيقار سيد صبرة ".

Des. Maryam Tamim



***

كانت بانة ترفع ساقيها على الكرسي تحضن ركبتيها بينما أحمد يجلس على الكرسي المقابل يتأمل وجهها على ضوء مصباح الطوارئ .. لا يعلم كيف تطور الحديث ليصل لذكرياتها في الوطن .. ولم تعرف الساذجة أنها استخدمت أكثر من مرة صيغة المؤنث دون أن تشعر وفي كل مرة يخطئ لسانها دون انتباه تتوقف دقات قلبه .

يحب أن يسمعها تتحدث بصيغة المؤنث .. تتحدث للأبد .. ولا تخفي نفسها مجددا ولا تخش شيئا ..

الأمر الآخر الذي أمتعه من حديثها أنها تتحدث بلهجتها .. عادة ما تتحدث بلهجة بلدها حين يأتي الحديث عن الوطن ..

إنه قد تعامل مع الكثيرين من أهل بلدها يتكلمون بتلك اللهجة لكنها المرة الاولى التي يدرك فيها انها لهجة رائعة .. موسيقية .. جميلة .

Des. Maryam Tamim



قالت بانة " لقد شردت في ذكرياتي عن الوطن .. لمَ تبتسم هكذا "
قال مراوغا " أدركت للتو أنني أحب لهجتكم .. أحبها جداااا ".

دارت ابتسامة محرجة وقالت " يبدو أن الحديث عن الوطن جعلني أتحدث بلهجتنا دون أن اشعر .. في الواقع اشتاق للحديث بلهجتي جدا " .
نغزه قلبه من التعبير المتألم الذي كسى وجهها فسأل " لماذا لا تتحدث بها طيلة الوقت إذن ".
أجابت بتردد " لا أعلم ربما سأشعر وقتها بالغربة أكثر".
قال بجدية " أنا اختلف معك في هذا الرأي .. بل إني أكيد أنك يوما ما ستتحدث بلهجتك بكل أريحية دون أن تشعر بأي غربة .. أتعلم متى ؟
(تطلعت إليه في ترقب للإجابة فأضاف) حين

تشعر بالأمان الحقيقي وحب من حولك لك ..
حينما تثق بهم ".
أطرقت برأسها ولم تعقب فأضاف " هل تعلم أنك تتحدث بلهجتك حين تكون منفعلا أيضا ؟ ".

قالت مندهشة " حقا!.. لم ألحظ ذلك "
قال ابتسامة حنونة " هل تذكر يوم أن وبختني حين كنت سكرانا .. محاضرة التنمية البشرية كلها كانت بلهجتك " .
شحب وجهها لذكرى تلك الليلة .. وتساءلت هل يتذكر فعلا تفاصيل الليلة .. لكنها نفضت الفكرة عن رأسها فلو لاحظ شيئا لمَ صمت كل هذا الوقت .
حين لاحظ شحوبها حاول أن يلهيها فسألها " كيف اتقنت لهجتنا؟ .. أنت تتحدثها بطلاقة إلا من بعض الكلمات حيث تفخم حروفا وترقق حروف أخرى.. مثل إسمي تنطقه بنغمة معينة ".

Des. Maryam Tamim

شعرت بتدفق الدم لخديها وردت بحرج " كنت متابعا جيدا للدراما ومعظمها بلهجتكم.. كما أني أملك موهبة صغيرة في التقليد فكان سهلا علي إلتقاط اللهجة حين جئت إلى هنا " .

قال أحمد باهتمام " صحيح تقلد الاصوات .. أريد أن أرى شيئا ".

هتفت بحرج وهي تشوح بيديها "كان ذلك منذ مدة لا أستطيع الآن .. لا أستطيع " .

قال أحمد بحماس " هيا يارامز أنا مُصِّر " .

قاطعهما صوت أم أحمد من أعلى السلم يسأل إن كان رامز بخير .. فانتفضت بانة بلهفة لم تخفى على أحمد تخرج من الباب وترتقي بعض درجات من السلم في لهفة لتقابل إلهام قائلة بمحبة "أنا بخير أمي الحاجة .. اشكرك على السؤال"

ضحكت إلهام ورن صوت أساورها كأجراس السعادة وقالت " أحب أمي الحاجة منك يا رامز"

Des. Maryam Tamim

نظرت إليها بانة نظرة اشفق منها قلب أحمد..
كانت ترفع رأسها نحو أمه .. التي تقف على درجة أعلى على السلم .. تطالعها بانة بنظرة استجداء عاطفي فاجأه.. ومصباح الطوارئ الذي بيد إلهام يعكس الضوء على وجهيهما في لوحة فنية تستحق الرسم ..
ما ادركه في تلك اللحظة أن بانة تحب أمه ربما لافتقادها لأمها منذ وقت طويل ..

"هيا يا بانة هيا اعلني الحقيقة ولن تندمي أبدا يا حبيبتي".. هكذا حدث نفسه ..فارتجف قلبه للكلمة التي فاجأته " حبيبتي " فابتسم بسعادة دون إرادة منه .
قالت إلهام " أحمد أخبرني أنك طاه ماهر .. هل لي أن أسألك عن طريقة عمل (.....) لقد جربتها أكثر من مرة ولم تكن كما اكلتها قديما من احدى المعارف ".

ابتسمت بانة وحاولت شرح الطريقة بحماس فتدخل أحمد قائلا " من الأفضل يا بخيل أن تعرض عليها أن تعدها لنا وتذيق أمي من طعامك المميز ".

حدجته إلهام بنظرة عتاب وقالت " لا نريد أن نثقل عليه يا أحمد يكفي أن يخبرني بطريقة مجربة .. أنت تعلم يا رامز أن شهر رمضان على الابواب وأريد أن أصنعها كما يقول الكتاب"

شعرت بانة بالحرج وهتفت " كل عام وأنت بخير يا أمي .. أحمد محق ما رأيك لو اعدها لكم .. سأجهز نفسي وأخبرك ".

ابتسمت إلهام بسعادة ودعت له بتيسير الحال وتحركت للصعود ..فعادت بانة للشقة مع أحمد الذي بادرها بالقول وهو يقف على الباب واضعا

Des. Maryam Tamim

يديه في جيب بنطاله البيتي "هل تعرف ماذا أتمنى ؟".

سألت بفضول "ماذا ؟"

رد بلهجة ذات مغزى " أن تثق بي ؟ "

قالت بضعف "ولكني بالفعل أثق بك ".

غمغم أحمد " لا اشعر بذلك .. أشعر أنك تخفي عني أمرا مهما ".

سألت بإرتباك " مثل ماذا ؟".

تحرك نحوها ببطء وهو ينظر في عينيها.. فارتبكت وتحركت للوراء بالتبعية .. ليقول ونظرات تحدي هادئة في عينيه " أنت .... عليك أن ... تبحث بنفسك وتقرر ... ما الذي ..... تخفيه عني " .

تعثرت بالكرسي وهي تتراجع للخلف .. فمد ذراعه حول خصرها يدعمها ويشدها إليه قبل أن تقع ... فشهقت وتجمدت تتطلع إليه بشلل تمام .. وقلبها

Des. Maryam Tamim



يكاد يخرج من صدرها .. بينما شعور بالدفء يسري
في جسدها لأول مرة منذ وقت طويل ..
رائحته المُسكِرة تسللت إلى رئتيها .. وعصيان
وتمرد من قلبها لأي محاولة منها للمقاومة ..
الشعور لم يكن جسديا بقدر ما كان روحيا ...
شعور بالأمان ورغبة أكيدة بداخلها تستجدي
عطفه وحمايته...
تأمل عينيها من هذا القرب تبدوان تحت ضوء
المصباح الخافت ساحرتين كبندقتين شهيتين .. أما
شفتاها فكانتا معذبتين .. خاصة وهو ممنوع حتى
من التطلع فيهما كما يجب فما بال تذوقهما ..
رغبة قاتلة تلح بداخله لاحتوائها بين ذراعيه ..
لإخفائها بين ضلوعه ..
أجل إخفائها عن الجميع فلا يؤذيها أحد ..

تسارعت أنفاسه وابتلع ريقه فتطلعت بانة لتفاحة أدم وهي تتحرك في رقبته السمراء وحبست انفاسها

.

شعر أحمد بأنه قد فقد السيطرة تماما على نفسه .. وترك الأمر يتطور باستسلام .. فشدها أكتر نحوه بحزم فشهقت .. واتسعت عيناها تحدق فيه وهي تشعر بحرارة جسده بقربها.. ولم يسعفها ذهنها لقول أو فعل أي شيء .

فجأة ...

عاد التيار الكهربائي ..

واشتعل الضوء يؤلم عينيهما .. ليصطدما بالواقع.. لم يعرف من منهما كان المبادر.. لكنهما انفصلا فجأة كمن لدغهما عقرب .. فوقعت هي على الكرسي جاحظة العينين .. وابتعد هو واصابعه تتغلل شعره يحاول السيطرة على أعصابه التي انفلتت .

Des. Maryam Tamim

ضحك أحمد ضحكة عصبية محرجة بانفاس متسارعة.. ووقف يتطلع إليها في الضوء لأول مرة متخصر فخيل إليه أنه .. يرى بروزا في مقدمة منامتها.. لكنها كانت ترتدي فوق المنامة قميصا رجاليا لم يمكنه من التحقق من الأمر.. خاصة وانه قد شعر بالحرج فأشاح بوجه بسرعة .. أما هي فتذكرت أنها لا تلف المشد حول صدرها .. فتحركت سريعا تدفع ظهره بيديها وهي تغمغم بارتباك واضح" شكرا يا أحمد على وجودك معي .. تستطيع الذهاب الآن .. بعد إذنك أريد أن أنام " تلكأ قليلا وهو يشعر بكفيها الدافئين على ظهره فاشتعل جسده وود لو يستطيع اختلاس النظر أكثر لصدرها ليتأكد مما شاهد .. لكنها كانت تدفعه بكل قوتها كأنها تدفع حائط .. وهو يبتسم ابتسامة استفزاز يحاول أن يداري بها اشتعاله الذاتي .

بمجرد أن أخرجته من الشقة.. اغلقت الباب خلفه بسرعة .. حتى قبل أن يستدير ليواجهها .. وسمع صوت قفل الباب الإضافي يغلق ..فصاح بغيظ " اتفقنا يا نذل.. تطردني من بيتك بعدما اصبحت لا تحتاجني .. لن أرحمك "

صعد السلم وهو يقاوم الصهد المشع من جسده ويحرك صدر بلوزته البيتية عدة مرات ليرطب مشاعره الثائرة وهو يغمغم " اهدأ يا غبي ألم ترى ثدي انثى من قبل .. حتى أنك لم تتأكد إن كنت رأيت بروزهما فعلا أم أنك تهلوس ".

دخل غرفة المعيشة يبحث عن أروى التي كانت تشاهد شيئا على الحاسوب المحمول.. فدفع كرسيها فجأة نحو غرفتها وهي تصرخ بالاعتراض ... لكنه ادخلها واغلق الباب فهتفت بعصبية " ماذا هناك يا جلف يا عديم الذوق؟ ".

Des. Maryam Tamim

سألها متحمسا " أريد أن اعرف كيف تفعلونها ؟"

اغلقت الحاسوب ووضعته على السرير وقالت
باستخفاف "نفعل ماذا ؟ ".
قال بحيرة " كيف تخفون الكمثرى؟ "
رددت بحيرة " الكمثرى؟!"
فحرك يديه أمام صدره ليرسم بروزا في الهواء

قهقهت أروى وقالت "يا وقح ! (ثم مالت برأسها
تسأل) تتحدث بخصوص بانة ؟ " .
غمغم في حنق " خيل إلي أني رأيت بروزا بملابسها
لكني تحرجت من إعادة النظر ".

هتفت باندهاش " أنت تحرجت!!! .. لا أصدق ..
هل هي من علامات الساعة !!!!"

Des. Maryam Tamim

رد بحرج " هذا ما حدث بالفعل (ثم غمغم) ربما احترامي لشخصها أقوى من أي شعور ذكوري بداخلي ".

نظرت إليه بمحبة وقالت " يعجبني ما قلته للتو " صاح بإلحاح" هيا قولي كيف ممكن أن تفعلها "

مطت شفتيها الجميلتين تفكر قليلا ثم قالت " إما انها تلفهما جيدا وتزيد من علو منطقة البطن فلا يظهران كبروز أنثوي وهذا أمر حتى يتحقق سيكون مؤلما وغير مريح .. أو أنها لا تملك من أساسه " .
قال أحمد بانزعاج طفولي " لم أحب التخمين الثاني اسحبيه من فضلك " .
ردت بجدية " من الوارد أن تكون بدون بروز ليس بالضرورة أن.... "
قاطعها بعصبية " لا تروقني هذه الفكرة انتهى الحوار شكرا" .

Des. Maryam Tamim

جزت على اسنانها وقالت بغيظ " هل لا نكون إناثا إلا بهما .. نحن لسنا للسرير فقط يا باشمهندس .. ولا افهم اصلا ما علاقة الأنوثة بهما .. "

هم بقول شيء باندفاع لكنه تراجع وضغط على شفتيه يغلقهما ثم هتف بعد ثوان " اخرسي ولا تسألي اسئلة وقحة ".

هتفت بغيظ " أنت من فتحت الموضوع "

رد بنفس الغيظ " وأغلقته هيا إذهبي من وجهي"

جزت على أسنانها وقالت " أنت في غرفتي بالمناسبة ".

مد يده فنكش شعرها لينسدل بنعومه فيغطي وجهها وتركها وخرج وهو يبرطم في نفسه " ما العلاقة !!! .. علاقة قوية بالأنوثة يا غبية ".

ثم قرر بعد قليل أن يأخذ دش بارد يطفئ به نار اشتعلت بسبب قاطنة شقة الدور الثالث .

***

Des. Maryam Tamim

في اليوم التالي :

تسللت بانة آخر اليوم من الورشة قبل أن يجدها ابن سماحة ... لقد كان مشغولا طيلة اليوم وهي أيضا تحججت بمتطلبات العمل لتتجنبه خاصة وأنه يتوعدها بعد أن دفعته أمس من شقتها بطريقة فظة .. كلما تذكرت شعرت بالحرج مما فعلت .. لكنها تعلم أن هذا ليس هو السبب الوحيد في هروبها من لقاءه ولكن ما أختبرته أمس معه من مشاعر ...

قربها من أحمد أربكها .. وأخجلها .. وجعلها تفكر طيلة الليل في تلك اللحظات.. وفي مشاعرها التي عاشتها لأول مرة ..

الخوف بداخلها يدفعها للهرب ..كجرس إنذار لخطر مجهول يحثها على ضرورة الرحيل .. لكن فكرة الرحيل عنه وعن شارع سماحة أحسته بنفس صعوبة وقسوة رحيلها عن الوطن ..

Des. Maryam Tamim

هل تعلقت بهم إلى هذه الدرجة ؟.
ومن الذي لا يتعلق بدفئهم وشهامتهم وحبهم الغير مشروط .
لكن الأمر مع أحمد ينذر بالخطر ومشاعرها الغريبة عليها نحوه ترعبها من نفسها .
تحركت من باب خلفي صغير للورشة يطل على شارع جانبي وهي ترتجف من التوتر ثم ...
يد أمسكت بياقة قميصها من الخلف كاللصوص فانتفضت وهي ترى أحمد يجز على أسنانه قائلا بغيظ " إلى أين تتسلل يا دكتور ؟؟!!"
نفضت نفسها من قبضته وقالت بكبرياء"أنا لم أتسلل " .
سألها بمكر " إذن لماذا تخرج من هذا الباب ؟"

هتفت تبرر في صوت خفيض " لا يوجد سبب اردت تجربة الخروج من هذا الباب ليس إلا "

ابتسم لها ابتسامة صفراء مستخِفة ثم أشار إليها أن تتقدم أمامه فأطاعت وهي صامتة مستسلمة .

في السيارة كان مستمتعا بتوبيخها وهو يداري وقع ذكريات أمس عليه وهي لم ترد متصنعة البرود ...ولكن تتطلع إليه بتلك النظرة التي تذيب أعصابه..

لكنه سعيد .. سعيد جدا ..

كلما كانت بجانبه يشعر بأنه فوق السحاب ..

تأملت بانة ذراعه الأسمر وهو يشغل أغنية لفيروز ونغمات صوتها الذهبي يعطر الفراغ :

تعا ولا تجي

واكذب علي

الكذب مش خطية

اوعدني أنه راح تيجي

وتعا ولا تيجي .

Des. Maryam Tamim

طالعها بنظرة أربكتها فتطلعت للنافذة ..
لن تعترض أبدا لو قضيت الباقي من عمرها معه في السيارة .
فقط هو وهي..
والطريق الخالي أمامهم من الزحام ..
وصوت فيروز يترجم كل المشاعر التي تستحي من أن تُباح .

التفتت للكرسي الخلفي تفك تشابك قميصها بشيء ما لتجد لوحات كبيرة بيضاء من الكرتون فسحبتها بحركة تلقائية تتطلع إليها وصاحت باندهاش " هل ترسم ؟!!!" .

تطلع إليها بابتسامة مغرورة وعاد للتركيز على الطريق وتركها تشاهد الوحات .

Des. Maryam Tamim

طالع عينيها المنبهرتين برسوماته فشعر بالفخر وكأنه ليوناردو دافنشي نفسه ..

أمور كانت بالأمس القريب يتعامل معها كتحصيل حاصل أصبح يتعمد التفاخر بها أمامها كطفل صغير وكأنه ينتشي بكل مرة يشعر بإعجابها بجانب منه .

تطلعت بانة للوحات التي كان معظمها لنقوش ينحتها بالخشب فيما بعد .. وبعض اللوحات الأخرى مثل قطة تخرج من العدم جاحظة العينين لا تعرف إن كانت خائفة أم تخيف من ينظر إليها. ولوحة أخرى بدت غريبة لعينين وأنف مستقيم وشفتين جميلتين ممتلئتين لفتاة في صفحة بيضاء خالية .. بدون وجه وبدون أي شيء آخر...

فقالت بإهتمام " لم تكتمل تلك اللوحة بعد أليس كذلك؟"

Des. Maryam Tamim

رد بابتسامة غامضة " مادمت قد وقعت اسمي تحت اللوحة إذن هي اكتملت ".

قالت باندهاش " أين باقي وجه الفتاة فقط عينان وأنف وشفتان في صفحة بيضاء ! ".

همس بلهجة ذات مغزى " لأنها فتاة غامضة متخفية لا تظهر من أنوثتها سواهم ".
ظهر الغباء على وجهها ولم تفهم فسألها بتعجب " ألا تشبه أحدا تعرفينه ؟! ".
ردت وهي تعتصر ذهنها " لا تبدو كأروى ولا آية ... ولا اعتقد أنها رشا ... رشا عيناها أضيق بكثير ولها أنف مستقيم كهذا لكنه مرتفع قليلا .. كما أن شفتيها لا تبدوان مثل هذه الشفتين ... والسؤال الأكبر إن كانت رشا فلماذا ستكون متخفية ؟! إنها ... إنها تضج أنوثة ولا يوجد بها شيء متخفي " .

Des. Maryam Tamim

هل يشم رائحة غيرة أم يتوهم ! .
قال يناكفها " أنت تركز جدا في ملامح الفتيات على ما يبدو يا دكتور وخاصة مع رشا .. هل تعجبك ؟"
.
جف ريقها وقالت بارتباك " لم اقصد هذا (وهمست في سرها) هل سيظن أني معجبة بتلك الرقيقة المستفزة ! "
سألها فجأة " هل أحببت من قبل ؟".

ردت بسخرية " كلا لم يكن لي هذا الشرف من قبل .. وأنت؟".
احمر وجهها من النظرة الغامضة التي لاحت في عينيه .. ثم سقط قلبها في قدميها حين سمعته يقول هامساً بابتسامة مرتعشة " أعتقد ذلك ... فأنا اعيش تحت وطأة مشاعر لم أتخيل يوما أن قد تملكني ".

Des. Maryam Tamim

أدارت وجهها نحو النافذة تخشى أن يفضح وجهها الألم الذي اعتصر قلبها..
ما بك يا بنت الخازن فليتزوج أو ينجب .. ماذا تنتظرين منه ؟! ..
لكن النار اشتعلت أكثر في صدرها .. فتلك الخاطرة لا تعجبها ..
بل هي مؤلمة .. مؤلمة جدا .

سألها أحمد بقلق "هل أنت بخير يا رامز ؟ "
قاومت مشاعرها لتقول " أتمنى لك السعادة "
سألها بهدوء " ألن تسألني من هي ؟"
ردت بسخرية بينما صوت هاتف أحمد يرن " لا أحب أن أكون فضوليا ".
قال أحمد وهو ينظر لهاتفه " رشا !"
فتمتمت في سرها بسخرية " حقا ! لم اتوقع ذلك فاجأتني والله ! ".

Des. Maryam Tamim

رد أحمد على الهاتف بترحيب " أهلا رشا .. كيف حالك .. أعتذر فعلا كنت مشغول في المشروع .. أنا أيضا أريد أن اتحدث معك .. اليوم لا استطيع لدي موعد .. سأتصل بك غدا إن شاء الله .. سلام "

حين ترجلا من السيارة في شارع سماحة كان عمرو ووائل يقفان في الشارع أمام المقهى.. فتساءل أحمد عن سبب وجودهما .. بينما لوحت لهم بانة من بعيد تنوي الصعود لشقتها فلحقها وائل " إلى أين يا دكتور .. سيد طلب تجمع كل الحبايب لديه خبر سعيد" .

قال أحمد بحماس " هل مات خليل !".

ضحك الجميع وتحركوا متجهين للخن ... بينما بانة لم تكن بمزاج يرغب في سماع أي شيء .. لكنها تبعتهم في صمت بينما أحمد يراقب انفعالاتها شاعراً بالحماس ..

Des. Maryam Tamim

هل تشعر بانة بالغيرة؟ .. أم أنك تتوهم يابن سماحة !.
منعهم طأطأ من الصعود للخن بإرتباك متعللا بأنه مغلق والمفتاح مع سيد .. فهم وائل بإخراج مفتاح إضافي فحدجه طأطأ بنظرة مذعورة.. ليتراجع وائل ويخبرهم أنه نسي المفتاح الإضافي بالبيت..
فقرروا الجلوس في الدور الأرضي دون أن يفهم وائل السبب الحقيقي لما يحدث .

في نفس الوقت كان سيد يركن السيارة بالخارج وهو يتحدث في الهاتف بابتهاج " يويا .. لماذا لا تجيبي على الهاتف .. لدي خبر مفرح جدا .. المطرب (...) قرر أن يضم احد ألحاني في ألبومه الغنائي الجديد بل إنها ستكون الاغنية الرئيسية .. كما انه اعجب بالاغنية التي لحنتها بالأمس وسيضمها للألبوم أيضا .. أخيرا يويا أخيرا سيخرج لحنا باسمي للناس".

Des. Maryam Tamim

جاءه صوتها يهتف بهمس " حقا سيكو حقا ! .. ألف الف مبروك يا سيادة الموسيقار " .
تجمدت الابتسامة على شفتيه وسألها بقلق وهو يتحرك نحو المقهى " لماذا تهمسين ؟ .. أين أنت بالضبط؟ ".
سكتت قليلا ثم قالت بإرتباك " سيد أنا في ورطة .. أنا في الخن.. والشباب ومعهم أحمد بالأسفل يجلسون في المقهى .. ولا أريد أية مشاكل مع أحمد اليوم بالذات لأنه سيوصلني لحفلة عيد ميلاد صديقتي.. ولا اريد أن أفسد الليلة .. سيد ماذا أفعل؟....سيد تصرف" .

هتف بجزع " ماذا تفعلين هناك يا مجنونة !" قالت بإرتباك " أنت قلت لي أن الاسطوانة الخاصة برومان بونكا في الخن.. فصعدت سريعا لأخذها .. ولم أتوقع أن يتجمعوا في هذا الوقت ".

Des. Maryam Tamim

كان سيد قد توقف على باب المقهى و شحب وجهه بينما الانظار تتطلع إليه .. فأغلق الخط وسلم عليهم وهو يفكر في مخرج دون مشاكل لآية .. أعلن الخبر السعيد للجميع وتلقى التهاني والمباركات.. بينما وائل يحاول فهم ما يحدث.. فأشار له ببعض الإشارات ففهم وتوتر هو الآخر.

تحركت آية بنزق تمد برأسها من أعلى السلم لتختلس النظر نحو الجالسين في الطريق للباب .. وحمدا لله أن أحمد ظهره لسلم الخن .. لكن عمرو لاحظ وجودها وبانة أيضا فجحظت عينيهما ..

تبادل الجميع النظرات المتوترة المفكرة في طريقة للخروج من المأزق بينما أحمد يطالع هاتفه باهتمام ..
بادرت بانة بمحاولة التمويه فوضعت الشاي الساخن على المنضدة ثم تأوهت فجأة بصوت عال

وانحنت بجذعها مدعية انسكاب بعضا من الشاي على يدها...

" آاااااه .. يدي احترقت من الشاي "

أجفل أحمد وانحنى يطالعها بجزع .. بينما فهم الباقون الخدعة .. فأشاروا لآية لتتحرك سريعا نحو الخروج وتحرك كلا من عمرو وسيد لحجب مجال الرؤية عن أحمد المشغول مع رامز...

هرولت أية بخفة ثم خرجت من المقهى نحو البوابة في لمح البصر .

هتف أحمد في طأطأ بتوتر " أين الثلج يا غبي "

بينما تنفس الباقون الصعداء بما فيهم بانة التي توقفت عن إدعاء الألم وهي تشكره على إهتمامه ..

فالتفت أحمد فجأة خلفه يتشمم حوله وينظر نحو باب المقهى وبوابة البيت أمامه ليتمتم " خيل لي برائحة آية ".

امسكت بانة بيدها مرة اخرى و توجعت " آاااااااه"

فصرخ أحمد " الثلللللج " .

Des. Maryam Tamim

***

في المساء :

تقدم ريان نحو آية بثقة بعد وقت طويل من ملاحقتها بنظراته ..

همس بجوارها في عذوبة " إذن حضرتي الحفل أخيراً" .

قالت بترفع " والدي وافق في آخر لحظة " .

قال لها مداعباً " على الأقل أخبريني أنك ستحضرين "

ردت ببرود وهي ترفع حاجبا جميلا " ولماذا أخبرك؟!"

حرك مقلتيه مفكرا ثم رمقها بعينين مبتسمتين ثم أجاب " من أجل الإنسانية "

تحكمت في إبتسامة تريد أن تشق وجهها وقالت " وما علاقة إنسانيتي بالأمر ؟!"

Des. Maryam Tamim

وضع يده على صدره وقال بجدية " ماذا لو كنتُ قررت ألا احضر الحفل بسبب عدم حضورِك .. كنتُ سأموت قهرا الآن "

أشاحت بنظرها لتداري ابتسامة خجلة وهي تسأل ببرود " و ما دخلك بي؟ "

تحرك ليقف أمام مرمى نظرها قائلا بثقة " أنت تعلمين وتتصنعين عدم الفهم "

شمخت بأنفها بكبرياء وقالت مندفعة " اسمع يا دكتور .. أنا لا أشبه غالبية الفتيات اللاتي هنا في الحفل .. وبالتالي لا أقبل أي تجاوز في التعامل معي "

صمت قليلا وهو يتأملها بعينين متفحصة ثم سأل بهدوء " إن كنتِ لا تشبهينهم إذن من تكوني "

تكتفت وقالت بثقة وكبرياء " أنا .. آية سماحة "

ابتسم إبتسامة جعلته وسيما ثم وضع يده على صدره يعرفها بنفسه " تشرفنا آنسة آية .. أنا ريان علم الدين .. أعمل طبيباً.. عمري ٢٩ عاما (ثم مال

Des. Maryam Tamim

نحوها قليلا يقول بهمس) و لا أشبه هذه العائلة الارستقراطية في أي شيء .. وأعتقد أنهم قد تبرأوا مني منذ مدة .. غير أن هذا الرجل المسكين والدي مازال يتعامل معي من باب الشفقة .. أما هذه السيدة التي أدعوها أمي ففوضت أمرها لله .. وعندي ابن واحد .. حسنا لا تتسرعي بالحكم .. أقصد كلب صغير أعامله كأبني .. أسمه روي .. والأمر ليس له علاقة أبدا بفيلم نجاة الصغيرة حتى لا نبدأ (بالقَلْش) والتفكه الذي أمقته .. ولكن له قصة أخرى قد أحكيها لك يوما ما" .

ثم توقف أمامها متخصرا مضيقا عينيه ينتظر رد فعلها.

فانفجرت أية ضاحكة فتطلع لابتسامتها المضيئة بانبهار وغمغم " أشرقت الأنوار يا فندم " .

Des. Maryam Tamim

حين تغلبت على موجة الضحك قالت " تشرفنا يا أبا روي أقصد يا دكتور .. هل لي أن أعرف ماذا تريد مني بالضبط ؟" .
تأملها قليلا وابتلع ريقه وهو يقول " هل تتزوجيني " .

***

في الخن جلس أحمد مع الشباب بعد أوصل أية لمنزل صديقتها..في انتظار إعادتها بعد عدة ساعات .. بينما وائل وسيد يتطلعان لهاتف أحدهما يشاهدان مقطع ساخن ويطلقون صفير الإعجاب ..
مال أحمد على عمرو المشغول بهاتفه كالعادة وقال بمداعبة "إني أحبك يا شيخ عمرو "
رد عمرو ببرود دون أن يرفع رأسه "وما المطلوب ؟"

Des. Maryam Tamim

استطرد أحمد في بشاشة متصنعة "أقسم بالله انت بالذات من دون الأوغاد ... الوغد القريب الى قلبي اقصد ... شيخنا وتاج فوق رؤوسنا "

رد عمرو بنفس البرود " عجِّل .. ماذا تريد ؟"

استمر أحمد بنفس اللهجة المداعبة " وأنوي أن اشتري لك سبحة من العقيق الخاااااالص من حي الحسين "

رفع عمرو رأسه وبادله ابتسامة صفراء مستخفة "شيء لله يا حسين ! ... . يكفي ظرفا وادخل في الموضوع ".

فرك أحمد كفيه وسأل ببطء " كنت اسأل..إن كنت قد رأيت لي مناماً جديداً يبشرني بأية بشرى تخصني " .

زفر عمرو بملل ثم قال باستخفاف" منام عن أي شيء.. يا قرة عين الشيخ !".

رمقه أحمد بنظرة حماسية وقال "مثلا منام أن صاحبة الضفيرة العسلية قررت أن تصارحني

Des. Maryam Tamim

بالحقيقة وأنا أتظاهر بأني مدهوشا مصدوما .. أو أنها مثلا تُزَف لي عروساً ".

نظر عمرو في عينيه بتفرس يلتمس جديته في الحديث عن الزواج وقال بتعجب من تطور الأمور " زفاف ! .. وعروس !".

هتف أحمد بمزاح " أوبسسس لقد وقعت بلساني واعترفت ".

قال عمرو بجدية " يبدو أن مزاجك رائق اليوم يابن سماحة .. لكن احترس.. إن شفقتك أو إحترامك لها لا يكفيان أبدا لقرار كهذا هذا خاصة مع شخصية مثلها ومع ما عاشته هنا ".

زفر أحمد بحرارة وهو يحرك مقدمة ملابسه للامام والخلف يرطب من حرارة مشاعره وتمتم "أنت لا تشعر بما أشعر " .

حذر عمرو وقد فهم ما يقصده " ولا هذا أيضا يكفي .. قد يكون لديك فضول ذكوري لا أكثر.. نظراً

Des. Maryam Tamim

لغرابة قصتها قد ينتهي سريعا وستكون هي المتألمة .. فإتقي الله في بنات الناس ".

رد أحمد بثقة ووله " أنت لا تعرف شيئا يا شيخي الحبوب.. أخيك وقع في المصيدة.. واستسلم...إن إن الأمر أعمق وأحلى وأكبر مما أستطيع أن أصف ".

ضحك عمرو حتى ظهرت أسنانه البيضاء وقال " تبدو مختلفا فعلا ... أتمنى أن يكتب لك الله كل خير ".

استمر أحمد في مداعبته " وأنت يا شيخي الوسيم لماذا العبوس الذي على وجهك منذ مدة ".

صمت عمرو قليلا ثم كسى الألم ملامحه وهو يبوح بما يكن في صدره لصديقه " لا أعرف كيف أتعامل معها يا أحمد.. حاولت التعامل ببرود.. حاولت التجاهل .. حاولت أن أمشي قدما في موضوع الزواج من بنت حلال لأفرح أبي .. لكني لم

Des. Maryam Tamim

استطع... شيئا ما يؤلمني يا أحمد.. كلما قررت التحرك في الإتجاه الآخر بعيداً عنها ... وكأني مشدود إليها برباط غير مرئي... أما هي لا يبدو عليها أي اهتمام سوى صداقة انسانية عادية جدا ".

هتف أحمد وقد تغير مزاجه انزعاجا من الألم البادي على ملامح عمرو لأول مرة " هل أنت متأكد أصلا انها إمرأة وليست رجل؟ ".

رد عمرو بتجهم " أتاني هذا الهاجس بالفعل... حتى أنني شككت أن أحدا منكم يحيك لي مقلبا "

ضحك أحمد وربت على كتفه وهو يقول " أنت لست متمرسا مع ألاعيب النساء .. اعطني حسابها وسأتكلم معها .. وسأخبرك بهويتها الحقيقية".

رد عمرو بحدة " لا استطيع ".

اغتاظ أحمد فقال " لماذا لا تستطيع؟ .. أؤكد لك أنها تتحدث مع أكثر من شخص .. وترحب بالحديث مع أي رجل " .

Des. Maryam Tamim

قال عمرو محتدا " أحمد إياك والحديث عنها بهذا الاسلوب " .
قال أحمد باستسلام " أنا قلق عليك يا صديقي .. لم أتوقع أن أراك تعاني بهذا الشكل .. وينتابني الفضول الشديد لأتعرف على ذلك الكائن الذي استطاع يستحوذ على انتباه عم أمين الآلي إلى هذه الدرجة"

دفن عمرو رأسه بين كفيه وهو يقول بإنهاك " لقد حان الوقت.. إذهب لآية ".

***

وقف يستند على السيارة أمام فيلا الدكتور علم الدين واضعا يديه في جيب بنطاله يتأمل آية التي تودع صديقتها بمودة ..
فجأة اخترق الفتاتين شاب وتقدم نحوه في ثقة يرحب به " أهلا باشمهندس أحمد .. أنا دكتور

Des. Maryam Tamim

ريان أخو منة الله .. لماذا لا تتفضل .. لا يصح أن تأخذها من على الباب" .

تطلع أحمد لثوان إلى يد الشاب الممدودة وللفتاتين اللتان وقفتا بجانبه ثم أخرج يده في برود يسلم على ريان وهو يقول بلهجة حاول أن تكون لبقة بقدر الإمكان " شكرا دكتور ريان .. مرة أخرى إن شاء الله فالوقت تأخر وآية لديها محاضرات صباحا " .

ودون أي كلمة أخرى أشار لآية واستدار ليركب السيارة دون أن ينظر إليه.. بينما تبادل الفتاتان التلويح والوداع .

حدق ريان في أثر السيارة التي ابتعدت وهو يتمتم "يبدو أن مزاج هذه العائلة كلهم ناريا "

ثم استدار يحيط ذراعه بكتف أخته ليدخلا الفيلا وريان يسترجع وجهها وابتسامتها النارية التي تشع من عينيها وهو يبتسم في سعادة .

في السيارة سأل أحمد " ما حكايته هذا الدكتور؟ "

Des. Maryam Tamim

دارت ابتسامتها وقالت بمكر " ما به ؟" .
قال " يبدو مهتماً " .
ردت بمراوغة " مهتما بمن ؟" .
هتف بعصبية " آية لا تراوغي .. هل سيكون مهتما بي أنا !! " .
ضحكت وأدارت وجهها وهي تقول " هذا أمر يخصه .. ما لي أنا " .
حدجها بنظرة جانبية ثم قال بلهجة ذات مغزى " يبدو لي جيدا من أكثر من جانب " .
تطلعت للنافذة .. ولم ترد .

***

على الرغم من أنه لا يستطيع تصور فكرة أن ميمين تتحدث مع اشخاص أخرين.. حتى ولو تحت بند الصداقة .. لكن شكه غلبه فقرر تسجيل حساب وهمي على الفيسبوك .. وحاول إرسال بعض

Des. Maryam Tamim

الرسائل الخاصة إليها مدعيا اهتمامه بالدراما الكورية ..

لكنه ولفرحته الشديدة لم يجد ردا .. كان يصله أنها تشاهد الرسائل دون رد وتتجاهلها .. وفي النهاية علم أنها قامت بحظر الحساب الذي يرسل إليها منه .

أسعده ذلك كثيرا ..

لكنها كانت سعادة لحظية .. ليعود شقائه من جديد..

بعد قليل جاءه رسالة منها على حسابه الأصلي (عمرو القاضي) :

Mi Min : هل قررت شيئاً بشأن تواصلنا ؟

لم يعرف ماذا يخبرها .. هل يخبرها أنه حاول وفشل .. لكنه كتب باقتضاب :

عمرو القاضي : ليس بعد .

Mi Min : لم نتحدث منذ مدة .

عمرو القاضي : أحاول تدريب نفسي على القادم .
Mi Min : وما هو القادم .
عمرو القاضي : أن نستمر في التواصل طوال العمر هكذا بجملتين أخر الليل .
Mi Min : أنت تضغط مجدداً .
عمرو القاضي : بالعكس .. أنا قلت أدرب نفسي على أن أبتعد أو أرضى بجزء بسيط منك في يومي .
Mi Min : عمرو .. ألا نستطيع أن نكون أصدقاء .
عمرو القاضي : أولا : أنا كعمرو لا أعترف بالصداقة بين رجل وأمرأة ليس بينهما أي رابط مفهوم .
ثانيا : صدقيني أنا أحاول أن أضع علاقتنا في هذه الخانة ولم اقدر حتى الآن .. على الأقل من ناحيتي .. لم أكذب عليك وقلت لك سابقاً أنا مهتم بك .
Mi Min : وبعد الإهتمام ؟
عمرو القاضي : أتطلع لأن أعرف عنك أكثر لأدرك أبعاد الأمر بداخلي وأحدد ماهو وضعك بالنسبة لي بالضبط .

Des. Maryam Tamim

Mi Min : وهل حقيقتي ستشكل لديك فارقا في تحديد وضعي بالنسبة لك .

عمرو القاضي : بالطبع ميمين .. ولا تردي ببرود بهذا الشكل .. وتعصبيني !

Mi Min : ماذا لو كنت أكبر منك بخمس أو عشر سنوات مثلاً .. ماذا لو كنت دميمة أو بدينة .. كيف سيكون شعوري إذا لم أعجبك .

عمرو القاضي : الشعور لا يحدد بالإفتراضات ميمين ولا (بماذا لو).. أنت هي أنت .. وعليك أن تواجهي نفسك بها.. وتواجهيني بها ..

إرحميني ميمين من(ماذا لو) وامنحيني حقائق.. وبعدها سأقرر من أنت بالنسبة لي .. أنت قلت أني بالنسبة لك مجرد صديق .. إذن لن يضيرك قراري بشأنك .

Mi Min : بالعكس ربما أخشى أن تعرف عني حقائق فتكتشف أني لست مناسبة لك وتتركني .. صدقني سأتألم جدا .

Des. Maryam Tamim

بعد فترة من الصمت ...

عمرو القاضي : حسنا .. كلامك منطقي .. وانا لن أعرضك لمثل هذا الشعور إن كان سيؤلمك ... أعدك لن أسأل مرة أخرى .

Mi Min : أنت غاضب ؟

عمرو القاضي : كلا .. حزين .

Mi Min : لا يا عمرو بالله عليك .. لا تكن حزيناً أبدا .. أنا لا أتحمل فكرة أن تكون حزيناً .. أخرجني من عقلك .. إن كنت أنا سبب حزنك فأنا أعتذر .. أنا فقط ... أحب الحديث معك .. لكن يبدو أني قد أخطأت .

عمرو القاضي : لا تقولي هذا ميمين .. أنا المخطئ .. ليس ذنبك أني وقعت بهذه الورطة .. لكني أحاول صدقيني .. أحاول .

***

في اليوم التالي :

دخلت بانة الشارع تحمل الأكياس الخاصة بإعداد الطبخة التي طلبتها أم أحمد .. لقد قررت في لحظة شريرة أن تصنعها اليوم بالذات بعد أن علمت أن أحمد قد قرر لقاء رشا اليوم ..

لا تدري إن قصدت بهذا استفزازه لأنه لن يكون موجودا وقت الغداء أم لسبب آخر .

ولماذا تلومه أصلا ..
من هي في حياته ؟ ..
سكرتيره أو صديقه رامز الذي يشفق عليه ..

هي ك بانة غير موجودة أصلا بحياته .. فلماذا تنزعج كل هذا الانزعاج لأنه يحب رشا .

Des. Maryam Tamim

يحبها !!!!!!.
ما هذا الوجع ! .

دخلت شارعا خلفيا ووصت محمصة البن بتجهيز خلطة البن الخاصة بها .. على أن تمر غدا للحصول عليها .. أصبحت معروفة بخلطتها عند صاحب المحمصة .
في الطريق سمعت صوتا من الخلف " بسسس بسس " .
استدارت لتجد سهر .. تلتصق بالجدار وتشير إليها بالتقدم نحوها .

همت بانة بالتجاهل لكن سهر بدت مرتبكة وهي تهتف " بالله عليك أستاذ رامز.. بالله عليه دقيقة واحدة فقط "

زفرت بانة وتطلعت حولها وتأكدت أنه لا وجود لحموءة.. ثم تقدمت وهتفت بنزق " ماذا هناك آنسة سهر " .

لاحظت أن وجه سهر منتفخا من البكاء .. بينما ردت سهر وهي تقاوم مزيدا من البكاء " أخي يصر على تزويجي من أحد أصدقائه البلطجية "
ابتسمت بانة بابتسامة صفراء مجاملة وقالت " مبروك " .
قالت سهر وقد سقطت بعض الدموع من عينيها "أرجوك أستاذ رامز استر علي .. استحلفك بالله أن تستر علي.. وسأعيش خادمة لك طول العمر"

وانحنت تمسك يد بانة وتستعطفها .. لكن الأخيرة سحبت يدها وهي تهتف" ماذا تقصدين يا أخت سهر ؟" .

Des. Maryam Tamim

مسحت سهر خدها وقالت باستعطاف طفولي " اخي سيقتلني .. اخي سيقتلني .. أنا .. أنا .. لست عذراء .. أحببت شابا وسلمت له نفسي.. لكنه تركني واختفى منذ ثلاث شهور لا أعرف عنه شيئا .. "

شهقت بانة بجزع " كيف تفعلين ذلك يا مصيبة!!"

هتفت سهر بعصبية " أنت السبب ..أنت من عذبت قلبي فانزلقت معه لأنساك " .

تطلعت إليها بانة في ذهول وقالت " أنت مريضة يا أختاه وتحتاجين مصحة نفسية أقسم بالله .. ما المطلوب مني الآن ؟؟؟ " .

عادت سهر لاستعطافها وانحنت تقبل يدها " استحلفك بالله أن تستر علي .. تزوجني ولو حتى شهر واحد ثم طلقني " .

Des. Maryam Tamim

سحبت بانة يدها بعنف " ما تطلبينه مستحيل .. إبحثي عن هذا الشاب واجعليه يستر عليك "

قالت وهي تلطم على وجهها " لقد اختفى وأنا خائفة لأن أخي مصر على تزويجي من صديقه .. أرجوك ساعدني .. أتوسل إليك أن تستر علي .. أنا أتوسم فيك الطيبة والشهامة " .

تكلمت بانة بتعاطف " صدقيني يا اختاه ليس بيدي ما أقدمه لك .. أخبري أخيك الحقيقة ووكليه يبحث عن هذا الشاب بدلا من أن يشهر قبضته في وجه الناس .. فليشهرها في وجه من غرر بك ".

في محل وائل .. في غرفة صغيرة ملحقة بالمحل تستخدم كورشة صغيرة لصنع المصوغات الذهبية .. كان وائل منهمك في تدريب أمير على بعض

Des. Maryam Tamim

التقنيات في صياغة الذهب.. عندما انتبه للبكاء الصامت لأمير..

توجع قلب وائل وربت على كتفه يقول " أمير .. لا تفعل هذا .. أنت لست صغيرا لتبكي" .

أشاح أمير وجهه الأحمر وأخذ يمسح دموعه في صمت.. بينما استمر وائل في التربيت على ظهره قائلا " يا حبيبي أنا أدربك في حالة أن حدث لي شيئا .. أنا أعلم أنك لم ترغب يوما في العمل في مجال أبيك وأجدادك .. وأن دراستك وطموحك كانا بعيدان تماما عن صناعة الذهب .. لكننا لابد أن نعد أنفسنا لأي قدر .. أنا لا أقول أني سأستسلم.. ها أنا ذا أخضع للعلاج .. لكن كما أخبرنا الأطباء سأدخل المستشفى لفترات وأخضع للعلاج الكيماوي.. كل ذلك سيبعدني عن المحل .. ولابد أن تكون بديلا عني .. صحيح أن لدينا عمالا مهرة ..

Des. Maryam Tamim

لكنك كرب العمل لابد أن تعرف كل تفاصيل صياغة الذهب حتى لا يستغلك أحد " .
مسح أمير دموعه واستعاد ابتسامته وهو يقول " وأنا لست حزينا لأنك تعلمني .. سأتعلم وسأجيد صياغة الذهب.. لكن إياك أن تستسلم إياك يا وائل .. إياك " .

بعثر وائل شعر أخيه الأشقر مداعبا وقال ليغير الموضوع " كيف حالك مع كريستين .. هل اتفقتما على موعد للخطبة ؟ " .

ابتسم أمير بحرج ورد " أنتظر أن تنهي امتحاناتها وسنتفق على موعد " .

ابتسم وائل بفرح .. لكن لفت إنتباهه حديث وراء شباك الغرفة الأرضية الذي يطل على الشارع الخلفي ففتح الشباك فجأة.. ليجد رامز يحاول

Des. Maryam Tamim

الإفلات من سهر التي تبدو وكأنها تبكي .. فقال بابتسامة صفراء ساخرة " هل أحضر لكما كأسين من الليمون وشمسية ".

تركت سهر ذراع رامز فورا وأخفت وجهها بعيدا عن وائل تمسح دموعها.. فتطلع لرامز الذي بدى وكأنه يريد الفرار فقال وائل " لماذا تأخرت يا رامز أنتظرك منذ الصباح يا رجل ".

حملت بانة الأكياس وهي تقول بارتباك " سأتي حالا أعتذر عن التأخير " .
اسرعت سهر للابتعاد دون النظر في وجه وائل...
بينما هتفت بانة بابتسامتها المليحة " شكرا يا وائل أنقذتني ".
فحياها وائل وهو يتأمل تلك الابتسامة السنيمائية وقال وهو يغمز "زورونا تجدوا ما يسركم ".

Des. Maryam Tamim

***

قالت آية بعصبية " لا أفهم سبب أن يأتي رامز هذا ويحضر طعاما ويأكل معنا " .
قالت والدتها وهي تعد المائدة " الشاب أراد أن يكرمنا .. وليس لديه منضدة كبيرة ليستضيفنا في بيته لهذا طلبت منه أن نجتمع كلنا سويا هنا " .

زفرت آية في عصبية واتجهت نحو غرفتها بينما تساءلت إلهام " أين أحمد ؟ "
ردت أروى بتسللي " بدل ملابسه سريعا ونزل ليناكف في رامز ".

عند باب شقة الدور الثالث كان أحمد يطرق على الباب باستفزاز " أين الطعام يا دكتور أنا جائع "
فتحت بانة الباب وقد كسى وجهها الاندهاش " أنت هنا .. ألم يكن لديك موعدا !!" .

Des. Maryam Tamim

رد بتسلي " أنهيت الموعد مبكرا لأني جائع "
ردت بارتباك " ألا يوجد طعام .. أقصد لماذا لم
تتناول غدائك بالخارج .. اقصد مع الموعد ؟"

منحها تلك الابتسامة التي تحطم أسوارها وقال "
ومن سينتقد طبخك السيء يا دكتور ؟ .. ولم
أحاسبك بعد على تحديد موعد للعزومة بدوني "

نظرت إليه بملئ عينيها في ابتهاج لحضوره.. فابتلع
ريقه .. وهو يقاوم مشاعر أضحت خارجة عن
السيطرة .. فضرب فجأة على الباب ليسيطر على
الوحوش التي تعربد بداخله تطالب بإلتهامها وصاح
" أين الطعام ! " .

بعد قليل كانت بانة تجلس في شقة الحاج سماحة
على مائدة الطعام تشعر بالارتباك والحرج .. وهي
تسمعهم يثنون على طعامها .. بينما أحمد يناكفها

Des. Maryam Tamim

وينتقد الطعام ويأكل باستمتاع في نفس الوقت .. أما آية فكانت تأكل في صمت وقرف دون أن تقول كلمة واحدة ...

والحاج سماحة يراقب رامز بهدوء وبعض الحيرة من كينونة هذا الفتى الغريب الذي يجمع متناقضات كثيرة فطن إليها منذ أن بدأ الاحتكاك به كسكرتير .

لكزت أروى أحمد في جانبه وهي تقول من بين أسنانها بهمس " تحكم في نفسك .. واسحب الكرسي بعيدا عنها قليلا أنت توشك أن تأخذها على حجرك .. ستفضحنا " .

ضحك أحمد بحرج وسحب كرسيه بعيدا قليلا عن بانة الغارقة في إرتباكها .

كتم الحاج صوت التلفاز فاعترضت إلهام " اتركه يا ابراهيم إنها حلقة مهمة.. سيعرف إنها ابنته غالبا في هذه الحلقة ".

Des. Maryam Tamim

نظرت بانة للشاشة قليلا فتعرفت على المسلسل .. إنه مسلس تركي شهير كانت تتابعه في الوطن فاندفعت تقول " ليس في هذه الحلقة .. هناك مزيدا من الأحداث قبل أن يكتشف ".
هتفت إلهام باندهاش " هل شاهدته من قبل ! "
أومأت بانة برأسها .. فتمتمت آية باستنكار وهي ترفع حاجبا " تعرف كيف تطبخ .. وتتابع الدراما التركية .. هل جربت طلاء الاظافر من قبل !"

احتقن وجه الحاج وقال بحزم " آية !"
شعرت آية بالحرج لإندفاعها فتمتمت باعتذار مقتضب وتركت المائدة .
حاولت إلهام تلطيف الاجواء فأخذت تسأل رامز بفضول عن مصير بعض الشخصيات فردت عليها بانة بالمزيد من الأحداث.

Des. Maryam Tamim

بعد دقائق قالت إلهام وصوت جرس أساورها يسبقها " أنت طاه ماهر يا بني ما شاء الله " تمتمت بانة بكلمات الشكر مجددا .

فأضافت بحبور " عروسك لن تحتاج لأن تطبخ إن كنت تطبخ بهذه المهارة .. ألا تفكر في الزواج؟ .. نريد أن نفرح بك " .

ابتسمت بانة ولم ترد ولدهشتها آلمها قلبها ..
آلمها أن تخدعهم ..
أن تغشهم ..
كيف ستنظر في وجوههم الطيبة إذا ما قررت يوما ما كشف الحقيقة ..
كيف سيكون رد فعلهم إذا علموا بأنها غشاشة مخادعة.. كذبت عليهم .

Des. Maryam Tamim

همست أروى لأحمد بقلق " هل تعتقد أن أمي تفكر في رامز لي أنا !!!!! " .
كتم أحمد ضحكته وسعل باختناق .. فناولته بانة كوب الماء بقلق لم تستطع إخفائه.. وهي تربت على ظهره .. فنظر إليها بعينان لامعتان وقد تشنجت عضلاته من لمستها ..
بينما أروى تراقب الحديث الصامت وتبتسم في مكر .
أكملت إلهام حديثها " وربما تشجع صديقك أيضا.. حتى يفرح قلبي ويتزوج .. ويرحمني من الحلم الذي يتكرر مرارا وتكرارا " .

سألت أروى باهتمام " أي حلم ؟!"
قالت إلهام بحماس طفولي " أرى نفسي أجلس على الأرض ويدخل علي أحمد يرمي في حجري إسوارة فأفرح بها وأرتديها "

Des. Maryam Tamim

ردت أروى بهدوء " ربما عليه أن يشتري لك أحمد أسوارة حقيقية ".

ردت إلهام بسعادة " أنتِ لا تفهمين في تفسير الأحلام لقد فسر لنا الشيخ عبد الرحمن الحلم وقال أن أحمد سيأتيني بكنة أحبها كأبنتي "

جحظت عينا أحمد وهو يهتف " حقا يا أمي هل هذا تفسير حلمك المتكرر ؟"

ردت بثقة وفخر " تفسير الشيخ عبد الرحمن لا يقع على الأرض أبدا بإذن الله " .

استقام أحمد فجأة واستدار حول المائدة يقبل رأس أمه في فرح " بشرك الله بالخير يا غالية "

ابتهجت إلهام لرد فعله وقالت " هل ستعجل الأمور مع رشا " .

لمعت عيناه وهو يطالع بانة التي تدفن وجهها في صحنها وقال " أدع لي يا أمي .. أن يسعد الله قلبي وقلبك "

Des. Maryam Tamim

***

في تلك الليلة لم تستطع بانة النوم أبدا .. وجوههم الطيبة كانت تحاصرها و تعذبها .. أي قسوة تملك في قلبها لتتلقى منهم كل هذا الود وهي تخفي حقيقتها عنهم ..

هل لديها الشجاعة للاعتراف ؟

الأمر ليس سهلا.. سيصدمون حتما ..

تخيلت نفسها مكانهم فوجدت الصدمة شديدة ..

بكت كثيرا ...

لا تستطيع أن تستمر هكذا أبدا ....

لن تقدر على خداعهم أكثر ...

ولن تقدر على الاعتراف ....

الحل الوحيد هو الهروب ..

الاختفاء بعيدا عنهم ..

وفورا ...

***

بعد صلاة الفجر كانت بانة تقرأ القرآن .. تطلب من الله الهداية .. تستخيره فيما تنوي أن تفعله .. لماذا عليها أن تختار دائما بين دروب صعبة؟..

انتبهت لوجود رسالة نصية على هاتفها ارسلت منذ عدة ساعات .. كانت من أحمد فقرأتها " حين أعود .. لنا جلسة مطولة معا .. فجهز نفسك لكرسي الاعتراف" .
هل سيسافر للفندق اليوم ؟ .. هو عادة يخرج عند الفجر .. شعرت بالقلق فأمسكت الهاتف وكتبت رسالة : "متى ستسافر ؟ "
خرج أحمد من غرفته بالفندق يلف جسده بمنشفة ويجفف شعره بمنشفة أخرى .. فانتبه لرسالتها وما أن قرأها حتى أبتسم بسعادة .. إنها تهتم لأمره ..فإرتمى على السرير بسعادة واتصل بها " أنا بالفعل وصلت منذ وقت قصير " .

Des. Maryam Tamim

ردت بانة باندهاش " هل خرجت قبل الفجر .. الطرق خطرة في الليل يا أحمد وخاصة مع قيادة السيارة " .

رفع حاجبا وسألها بمكر " هل تقلق عليّ لهذه الدرجة يا دكتور ؟ " .

صمتت دون رد مما أشعره بالقلق ..فسألها " هل استيقظت لتصلي الفجر؟ .. أنا صليته في مسجد في الطريق " .

قالت بإرهاق " أنا لم أنم بعد .. يجافيني النوم " سألها بقلق " هل هناك ما يقلقك .. أخبرني ما يقلقك ولا تحمل هما .. شاركني همومك ومخاوفك يا دكتور .. أمنحني ثقتك ولن أخذلك .. أقسم لك سأفعل المستحيل حتى لا أخذلك.. فقط .. امنحني ثقتك " .

قالت بلهجة بلدها " الأمر لا يخص الثقة يا أحمد أنه الخوف .. الخوف من أن تفقد ما تملك ..

Des. Maryam Tamim

الخوف من أن تؤذي أشخاصا وثقوا بك .. الخوف من أن تُساء الفهم " .

تنهد أحمد .. يحب لهجتها .. وطريقتها في الحديث وصوتها ومخارج حروفها وكل شيء بها ..

رد عليها بهدوء " إن كانت ثقتك في الأخرين في محلها فلن يخذلوك .. ربما يصدمون قليلا لكن حبهم واعتزازهم بك لن يهتز .. جرب ولن تندم "

قالت وهي تقاوم رغبة في البكاء " ماذا لو كانت بعض الحقائق صادمة لدرجة أنهم لفظوني من بينهم .. أنا أفضل أن أغادر بكرامتي على أن أعيش احساس الرفض والخيبة في عيون من يهموني " .

توتر أحمد من كلمة (المغادرة) وهتف " أتفهم شعورك لكن جربني أنا على الأقل .. أرم حمولك على كتفي ولن تندم .. وإذا خذلتك واجهني وذكرني بما أقوله الآن .. ربما ما تعتقده عظيما يكون هينا .. وربما ما تعتقده سرا يكون ليس كما تظن " .

Des. Maryam Tamim

صمتت ولم ترد والحيرة تأكلها .. بينما اشتعل قلبه من فكرة أن تجن وتقرر الهروب . .فقال بتوسل " دعنا نتحدث عندما أعود وتأكد أني سأكون عند حسن ظنك " .

زفرت بانة وقالت بهمس " أمرك "

شرد قليلا وهو يهمس في سره " لا مفر سوى أن أواجهك أنا بالحقيقة يا بانة وأعفيك من هذا الحمل الثقيل " .

بعد قليل سألت بانة " متى ستعود ؟... أحمد ... أحمد هل نمت ؟ "

لم يأتيها رد فاستلقت على الوسادة وهي تسمع صوت انتظام انفاسه فهمست " أنا أثق بك .. لكني أخاف عليك من الصدمة .. لا أعرف كيف ستعاملني كفتاة .. ولا أعرف كيف أكون فتاة من اساسه أمامك .. رغم أن بداخلي رغبة قاتلة ملحة لأن تراني أنثى .. يابن سماحة "

Des. Maryam Tamim

***

في الصباح فتحت آية هاتفها لتجد رسالة واتساب من ريان فقرأتها وهي عابسة من أثر النوم " هناك شيئ نسيت أن أخبرك به وأنا أعرفك عن نفسي تلك الليلة .. وهي أني لا ايأس بسهولة .. لذا لن أعتبر ردك على طلبي هو الرد النهائي .. وسأنتظر حتى تنتهي كل الحجج التي أخبرتيني عنها في أسباب الرفض " .

ألقت بالهاتف في جيبها وغادرت غرفتها بينما شعرها ذو اللفائف يصنع هالة سوداء مشعثة حولها.. وألقت بنفسها على أريكة غرفة المعيشة ترمي رأسها على حجر إلهام الجالسة والتي أخذت تمشط لها شعرها بأصابعها بتلقائية .. فانتبهت آية لملامح أمها القلقة فسألت " ما بك يا إلهام ؟"

ردت وهي تضع كفها على صدرها " لا أعلم قلبي مقبوض منذ أن استيقظت .. اللهم ألطف بنا في قضائك وقدرك يا لطيف يا رب "

صوت رسالة أخرى من ريان على الواتساب فتحتها آية لتجد صورة لكلب صغير وكتب لها " روي يتمنى لك صباحا جميلا ".

***

عند غروب شمس اليوم التالي :

خرج عمرو من الاجتماع في الشركة التي يعمل بها متوجها إلى مكتبه فوقفت سكرتيرة صغيرة حسناء تحييه باحترام .. ثم تبعته لداخل المكتب وهي تقول " اتصل بك الباشمهندس أحمد سماحة أكثر من مرة (ثم أرتبكت وأضافت) كان ثائرا وعصبيا ولم يتفهم مني أنك بالفعل في اجتماع هام مع مجلس الإدارة وبعض المستثمرين وأني لا أستطيع أن أخبرك باتصاله " .

Des. Maryam Tamim

زفر عمرو باجهاد وشكرها ثم فتح هاتفه ليجد عشرات الإتصالات من أحمد فأتصل به بقلق .. وبادره بعصبية " أقسم بالله لو لم يكن في الأمر كارثة تبرر هذا العدد الهائل من الاتصالات بإلحاح وأنا في اجتماع هام .. سأضربك ".

هتف أحمد في جزع " أين بانة يا عمرو ؟؟؟"
جحظت عينا عمرو وهو يهتف " ماذا تعني بـ أين بانة !! ".
قاله أحمد برعب " أحاول الاتصال بها طيلة اليوم هاتفها مغلق واتصلت بالورشة اخبروني لم تأتي اليوم للورشة .. وحين لم ترد أنت علي طلبت من وائل أن يطرق عليها الباب لم ترد .. " .

تحرك عمرو خارجا من المكتب بسرعة " ربما نائمة أو مريضة " .

Des. Maryam Tamim

قال أحمد بإنهاك " ربما .. لكني لم أستطيع أن أطلب من وائل أو سيد الطرق على باباها مجددا .. تصرف يا عمرو بالله عليك سأموت من القلق .. لا أستطيع الوصول إليها منذ أمس " .

بعد ساعة كان عمرو يفتح باب شقة بانة في حرج .. بعد أن حصل على المفتاح الإضافي من الخالة إلهام..وأوشك أن يطلب منها أن تنزل معه وهو يفتح الشقة .. لكنه وجد أن الأمر سيبدوغريبا أمامها .. كما أنه تهرب من وائل الذي عرض أن يصعد معه لشقة رامز للاطمئنان عليه ..

قرر أن يطرق على الباب مجددا .. وحين لم يأتيه أي رد فتح الباب وهو ينادي ويتنحنح وقد احمرت أذناه ..

تحرك في الشقة فلم يجد أثر لأي إنسان .. طرق على غرفة النوم بحرج .. لا مجيب .. دلف برأسه وهو ينادي على رامز فلم يجد سوى غرفة

Des. Maryam Tamim

خاوية .. بينما أحمد مستمر بالإلحاح في الاتصال ..
فأجاب اتصاله قائلا بفم جاف " ليست موجودة بالشقة يا أحمد ولم تذهب للورشة منذ أمس " .

هتف أحمد بجزع " غادرت ؟؟؟؟؟ .... بانة ذهبت يا عمرو ؟؟؟؟؟"
تحرك عمرو في الغرفة ولم يرد ..
بلع لسانه ..
كيف سيخبره أن إسدالها ملقى على السرير...
وأن ملابسها معلقة بالدولاب..
وأن الشقة لا توحي بأن صاحبها غادرها بإرادته ..
****

Des. Maryam Tamim

الفصل الثالث عشر

الوقت تجاوز منتصف الليل ولم ينم أحد.. الكل في حالة ترقب قلقا على رامز حتى الحاج ابراهيم وإلهام..

زفرت آية في ملل" لماذا يعطونه كل هذا الاهتمام؟" ..

تحركت نحو الشرفة تشاهد الشباب المتجمعين في الشارع حتى هذا الوقت المتأخر.. وسيد يبدو عليه القلق وهو يهاتف بعض معارفه في الحي للبحث عنه ..

ركزت أكثر .. هل وصل أحمد من السفر ! .. لا تجد مبرر لكل هذا القلق على هذا الـ رامز ..

خرجت بعد قليل من غرفتها وطرقت غرفة أروى لتجدها قلقة هي الأخرى .. بادرت أروى بسؤالها في لهفة" هل وجدوه؟؟ " .

Des. Maryam Tamim

اغتاظت آية ولم ترد .. ثم سحبت إسدالها وارتدته في عجلة ونزلت إلى الشارع .
كان الشباب في حالة قلق واستنفار بينما أحمد بدى في حالة غريبة يرثى لها.. فأشفقت عليه للدرجة التي لم تستطيع معها السكوت .
هتفت بعصبية " ربما قرر الرحيل بعيدا عنا ما المشكلة أنتم تضخمون الأمور .. أنظر لنفسك يا أحمد ماذا يحدث معك " .

انقض عليها أحمد يغرز أصابعه في لحم ذراعها وقد وجد تنفيسا لشياطينه ليهدر من بين أسنانه " ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت .. إصعدي للبيت فورا " .
اكفهر وجهها من الألم لكنها هتفت بغضب " سأصعد إذا صعدت معي .. إبحث عنه في الصباح "
غرز أصابعه أكثر في لحمها ونظرات الجنون تتراقص في عينيه " إخرسي واصعدي فورا "

Des. Maryam Tamim

هب سيد يهدر به " أترك ذراعها يا أحمد "
نظر إليه أحمد يتحداه بينما تحرك سيد يقف
بينهما وهو يمسك بساعده الممسك لذراع آيه
ويقول له بهمس متوسل " أنت تؤلمها يا أحمد " .

ملامح الألم التي رآها على وجه سيد جعلته يعيد
النظر ليده الممسكة بذراع آية.. ويطلق سراحها
وكأنه استفاق من نوبة جنون.. بينما سحبها وائل
وهو يأمرها بحزم أن تصعد إلى البيت ..

همت بالإعتراض وهي تمسد ذراعها لكن وائل كان
حازما على غير عادته.. مما جعلها تتركهم في غيظ
لتصعد للشقة .

تطلع عمرو إلى أحمد في قلق .. لقد أخفى عنه
معلومة أنها لم تأخذ معها شيئاً خوفا من تهوره

Des. Maryam Tamim

وهو يقود السيارة آتيا على الطريق .. وحينما وصل منذ قليل اضطر لإخباره بالحقيقة كاملة ... مما زاد من قلق أحمد عليها ..

قال وائل " أنا بحثت في معظم المستشفيات وسيد تولى أقسام البوليس " .

أضاف سيد بقلق حقيقي " كلفت أكثر من صديق في أقسام الشرطة إذا ما ظهر اسمه يبلغوني لكن هذا الأمر سيأخذ وقت حتى يظهر في قسم الشرطة إذا ما قُبض عليه لأي سبب ".

تطلع أحمد لعمرو واستند على كتفه يهمس " ماذا سيفعلون بها في قسم الشرطة يا عمرو " .

ثم انتفض فجأة واسرع نحو سيارته فهتف عمرو مناديا عليه ولحق به يركب بجانبه قبل أن ينطلق الآخر في جنون .

Des. Maryam Tamim

على الطريق هدر عمرو فيه " توقف يا أحمد
ودعني أقود .. سنذهب إلى أي مكان تريده "
لكن أحمد لم يكن ينصت له .. سحق الطريق
تحت إطارات سيارته ..واتخذ طريق الورشة .. وهو
يبحث على جانبي الطريق وكأنه سيجدها تنتظره
على الطريق الخالي المظلم . ..

حين وصل للورشة هرول يبحث في الظلام بين
غرف الورشة والحمامات .. ثم استدار كالمجنون
يبحث في ساحة الورشة الخلفية بين أكوام
الأخشاب كأنه يبحث عن قطة ضالة ..

أخذ ينادي بقوة" رااااااااااااااااااامز ....
باااااااااااااااااانة .... باااااااااااانة "
بينما عمرو يلاحقه في كل خطواته خوفا أن يؤذي
نفسه .. ويتساءل عما يفعله هذا المجنون ! .

Des. Maryam Tamim



بعد قليل عاد للسيارة .. ثم توقف أمامها يفرك جبينه بإنهاك وجسد متشنج ..

ربت عليه عمرو بإشفاق وهو يتمتم " إن شاء الله سنجدها سالمة "

هتف أحمد برعب " ماذا لو كانت في قسم الشرطة .. ماذا سيفعلون بها .. أنت تعرف الأهوال التي تحدث في الداخل .. لا أستطيع تحمل الفكرة يا عمرو.. قلبي سيتوقف أقسم بالله .. أشعر أن قلبي سيتوقف " .

ربت عليه عمرو باشفاق ولم يجد ما يقول فاستطرد أحمد وكأنه يحدث نفسه " لو كانت غادرت بإرادتها لكان الأمر أهون يا عمرو .. لكان أهون علي " .

رن هاتفه ليجد أروى قبل أن يرد أمسك عمرو يده يحذره " إهدأ ولا تجعلها تقلق عليك "

Des. Maryam Tamim

أومأ أحمد برأسه وأخذ نفسا قويا ثم رد .

***

فتحت عينيها بألم لكن جفونها كانت ثقيلة جدا ..
والرؤية مشوشة .. بينما الألم ينشر في كل جسدها
.. لكنها لا تستطيع تحديد مكان الألم بالضبط..

الجدران حولها قديمة .. متهالكة .. وقذرة ..
هل هي في شقة نرجس؟! ..
غابت عن الوعي لدقائق..
ثم فتحت عينيها من جديد ..
أكياسا من الرمل ربما معلقة بأطرافها ..
من أين مصدر هذه الأوجاع ؟؟ ..
لم تستطيع التحديد ..
لا تستطيع تحريك يدها ولا قدميها .. فقط وجهها
ما تشعر به .. وجهها ساخن ملتهب وتشعر أنه أكبر
حجما من الطبيعي ..
أين أنا؟! ..

Des. Maryam Tamim

ما هذا المكان الغريب؟! ..
حاولت التذكر ..
شقتها ..
أحمد ..
المقهى ..
الورشة .. أجل الورشة ..
ثم عودتها من الورشة ..
الشارع الخلفي في اتجاه محمصة البن ..
لكنها لم تصل للمحمصة ..
لأنها...
حاولت التذكر لماذا لم تصل للمحمصة ..
لأنها سقطت أرضا ..
لم تسقط بإرادتها ولكن قنبلة انفجرت في وجهها
اسقطتها أرضا .. وغابت عن الوعي قليلا ..
ثم ..
مقتطفات من الذاكرة لسقوطها في أرض غرفة ..

Des. Maryam Tamim

تأملت حولها.. أجل تلك الغرفة ..
وضربات عنيفة على جسدها من ..
مِن مَن ؟...
من جسد ضخم وصوت قوي كخوار ثور .

غامت الرؤية مرة أخرى وغابت عن الوعي قليلا..
بعد وقت قصير .. عادت للانتباه .. لكنها عافرت
هذه المرة ألا تغيب عن الوعي ثانية ..

حاولت التذكر ..
أين هي ؟..
تذكرت الآن ..
هذا الشخص أخو سهر .. كان يهتف ويهذي ولا
تذكر السبب .

حين بدأت تستعيد كامل وعيها بمجهود جبار
استيقظ الرعب بداخلها حين تنبهت لوضعها ..

Des. Maryam Tamim

كانت في غرفة قديمة متهالكة الجدران .. تجلس على كرسي مربوطة القدمين ويداها مربوطة خلف ظهرها..

الألم لا يحتمل ..

وإحساس بهبوط حاد في دورتها الدموية ..

فغابت عن الوعي مرة أخرى .

***

جلس الشباب في الخن وقد تعامدت شمس الظهيرة في اليوم التالي ..

الإنهاك يكسو وجوههم ..

أحمد أمامه أوراق يمحو منها الاماكن التي بحثوا فيها حتى الآن.. ويفكر في أماكن محتملة أخرى..

وقد بدا وجهه مخيفا متشنجا ..

Des. Maryam Tamim

سيد هاتفه على أذنه واحمرار وجهه يشير لنوبة ضغط عال قادمة ..
وعمرو يعمل على هاتف أحمد يحاول الوصول لهاتف بانة عن طريق بعض تطبيقات التتبع ..
بينما وائل نائم على الكرسي في إعياء وقد رفض توسلاتهم بأن يعود للبيت ليستريح فغطاه سيد بسترته بشفقة .

أما الشارع فلا حديث له منذ أمس سوى عن الشاب الغريب الذي اختفى في ظروف غامضة ..
وبعض الإشاعات التي خرجت من العدم ..

فجأة هتف عمرو بانتصار .. فانتفض الجميع وحاولوا التركيز على خريطة تتبع هاتف رامز .. فبدا المكان قريبا إلى حد ما من الحي.. لكن معظمهم لم يستطع تحديده .. بينما هتف سيد بهدوء " أنا أعرف المكان " .

Des. Maryam Tamim

تحرك الجميع وحاولوا اقناع وائل بالبقاء.. لكنه أصر وقد أشعره ذلك بالحزن لعدم قدرته على مجاراة تحركاتهم ..

فاشفق عليه عمرو وساعده على اللحاق بهم .. بينما كان سيد وأحمد يتخذان مكانهما في السيارة.. وسيد يهاتف بعض البلطجية الذين يتعامل معهم ليسبقوه إلى المكان .

بعد قليل وعند أرضٍ خربة تتجمع فيها القمامة وبعض البيوت القديمة الغير آدمية.. تحرك الأربعة يقودهم سيد لدهاليز المكان.. بينما عمرو يتبع شاشة الهاتف للاقتراب من هاتف رامز .

هتف أحمد بقرف" من أين تعرف هذا المكان يا سيد ؟"

Des. Maryam Tamim

ابتسم سيد بسخرية مرة " إنه المكان الذي جربت فيه المخدرات لأول مرة .. كنت آتي إلى هنا مع حموءة .. أخذت في حياتي جرعتين .. وقبل الثالثة سحبني أبي سماحة من قفاي يجرني إلى الخارج .. وصفعني على وجهي صفعة لن أنساها .. كنت في السادسة عشر تقريبا ".

نظر إليه أحمد بصدمة وقال " لم أعرف هذه القصة من قبل ".

ابتسم سيد بشجن ورد " لأني توسلت لأبي سماحة ألا يخبركم .. كنت أخشى ألا تحبوني وتبتعدوا عني .. وخصوصا أنت يا أحمد كنت أخشى أن تطردني من حياتك " .

قاطع عمرو الذكريات حين أعلن انهم وصلوا ..

لا يوجد بالمكان سوى مجموعة من الشباب منهم النائم ومنهم المستيقظ .. يبدو على بعض منهم

Des. Maryam Tamim

علامات الفقر الشديد والبعض آخر الإدمان لا محالة..

حينما شعروا باقتراب الشباب والبلطجية حاولوا الفرار دون سبب وجيه .. فأشار سيد للبلطجية لإحضار الجميع.

بعد تطويق المكان واستجوابهم.. لم يجدوا أي دلالة على وجود رامز .. لكن بعد التفتيش وجودوا عددا كبيرا من المسروقات خفيفة الحمل من بينها هاتف رامز ..

قبض أحمد على شاب صغير مرتعب يستجوبه لمعرفة سبب وجود هاتف رامز معه.. فأخبره الشاب بارتجاف انه وجد الهاتف على الأرض .. واقسم على ذلك كثيرا .. برغم استعمال أحمد العنف والتهديد للحصول على معلومة مفيدة..

Des. Maryam Tamim

لكن الشاب أصر على أقواله .. فتدخل الباقين لتخليصه من بين يد ابن سماحة .. لكن الشاب وصف لهم المكان الذي وجد به الهاتف واتضح أنه شارع من شوارع الحي الخلفية .

***

شهقت بانة والماء يغمرها لتستفيق وصوت حموءة يصرخ " استيقظ .. هل سنقضي العمر كله ننتظرك حتى تستفيق " .
سعلت قليلا وهي تحاول إخراج بعض قطرات الماء من حنجرتها .. استجمعت شجاعها وقوتها برغم احساسها بهبوط شديد .. وقالت في ضعف " ماذا تريد مني ؟ "
أشهر قبضته أمامها في غضب وهو يهدر " الذي يراك يعتقد أنك ملاكا ... لا يعلم بأنك شيطان "

Des. Maryam Tamim

هتفت بانة بضعف وهي تلمح سهر خارج الغرفة ترمقها من بعيد وترتجف في رعب " كلمني دون أن تستخدم يدك يا أخ حماءة .. وكل شيء وله حل "
رد باستخفاف " إسمي حموءة يا خفيف .. والحقيقة أني لا أعرف أين أضربك وأنت بهذا الهزال والضعف .. اقسم بالله أني أتحكم في نفسي بصعوبة بالغة لأنك ضعيف إلى حد أن قبضة واحدة أخرى قد تودي بحياتك .. وعندها لن استفيد شيء من جثتك " .

أخرجت بانة صوتا مرتعشا وهي تقاوم رغبة في التقيؤ وهبوطا حادا بقلبها " قل لي ماذا تريد بالله عليك .. ماذا فعلت أنا؟ " .
أمسكها من ملابسها بعنف وصوته يكاد يصيبها بالصمم " أتسأل ماذا فعلت يا قذر !!!! .. شرفي وشرف أختي يا حقير .. الطفل الذي في أحشائها يا

Des. Maryam Tamim

نجس ... لولا الفضيحة لكنت ملقى جثة هامدة بالقمامة ولن يسأل عنك أحداً "

شحب وجه بانة واستدارت تنظر لسهر التي اخذت تكتم صوت بكائها وهي تلطم على وجهها وتتوسلها ..

استدارت لتواجه حموءة وقالت بغضب " وما دخلي أنا؟!!!!! "

حمل عصا غليظة فجأة واندفع نحوها فصرخت بانة.. لكنه ضرب الحائط وراءها .. وحطم بعض الأثاث في الغرفة كثور هائج ثم قال " أقسم بالله أني سأقتلك فور أن توقع على قسيمة زواجك بها .. أنا أتحكم في أعصابي لأنك لن تتحمل قبضة أخرى .. فلا تجبرني على قتلك الأن وفورا "

هتفت بانة بذهول غير مصدقة " زواج ! .. كيف .. هذا مستحيل " .

Des. Maryam Tamim

قرب وجهه منها وهدر صوته في وجهها بعنف ورائحة فمه الكريهة زادت رغبتها في التقيؤ " بل خروجك من هنا على قدميك هو المستحيل نفسه "

هتفت بانة " أنا لا أعرف شيئا عن أختك .. اذهب واسألها عن الشاب الذي وعدها بالزواج واختفى.. مالي أنا والموضوع " .

جذبها حموءة من شعرها بقوة ليرفع رأسها للوراء وهو يقول بفحيح مرعب " لا أفهم ما الذي يعجبها في هيئتك المخنثة هذه .. ولا أرى فيك ذرة رجولة لتفعل ما فعلت يا ابن (.....) .. (..... .) ... (....) ".

جسدها كان ينتفض من الرعب لكنها استجمعت كل قواها باصرار ألا تغيب عن الوعي ثانية ..

Des. Maryam Tamim

فقرأت آية الكرسي في سرها بسرعة تحاول التماسك وتدعو الله أن ينجيها من هذا الكائن ..
واستجمعت شجاعتها في ألا تبكي .. وقالت محاولة استخدام ذكائها الذي تعطل مثلما تعطل كل شيء في جسدها " يا أخ حموة صدقني لست أنا .. صدقني "
هتف بصوته الغليظ " لن تفلت مني .. في المساء سنعقد القران.. بعدها سأتركك تذهب.. بعدما أخبر أهل الحي بزواجك منها.. لكن عيني ستكون عليك "
قالت بانة بإرتباك أنا لا أحمل أوراق رسمية "
ضحك حموءة حتى بانت أسنانه البنية وأخرج جواز سفرها التي كانت تحمله " جواز سفرك يكفي يا خفيف" .

هتفت بانة " اعتقد أن الوافدين هنا من غير حاملي الجنسية يعقدون القران في المحكمة وليس على

Des. Maryam Tamim

يد مأذون كالمواطنين .. وأنا لم أسوى أوراقي بعد لتقبل بها المحكمة ".

صمت حموءة قليلا وكأنه يفند الكلام ثم قال " حسنا سنكتب عقد عرفي على يد محامي ونشهر زواجكما وبعدما تنتهي من أوراقك الرسمية نسجل الزواج في المحكمة .. إن كنت مازلت على قيد الحياة أصلا لأني أنوي قتلك بعد ستر شرفي أمام الناس أولا ".

هتفت بانة " هذا لا يجوز .. اسمع أنت لا تفهم شيئا .. أرجوك اسمعني " .

قاطعها حموءة وهو يغادر الغرفة محذرا " سأذهب لأعد كل شيء .. اليوم سهر ستكون على ذمتك .. ووفر أي طاقة عندك لما بعد الزواج .. لأنك لن تخرج من هنا إلا زوجا لأختي أو جثة هامدة في جوال .. بالمناسبة.. أصدقائك يبحثون عنك .. لكن لا تتعشم أن يصلوا إليك ابدا "

Des. Maryam Tamim

***

في الخن دخلت آية بعصبية تحمل كيس وضعته على المنضدة وقالت " أمي أرسلت إليكم بعض الساندوتشات".

كان الوجوم هو المسيطر على الجميع فلم يتحرك أحد..

أحمد يحني جذعه للأمام ويستند بمرفقيه على ركبتيه ويدفن رأسه بين كفيه يسترجع ما قاله الشاب عن الهاتف ومكانه ويحلل ويحاول الوصول لأي تفسير بينما عمرو يقرأ في المصحف ..

وسيد يقف بجوار النافذه الكبيرة يراجع خريطة الحي في ذهنه وجحوره الخفية كما يحفظها عن ظهر قلب ...

تحركت آية بعصبية وفتحت الكيس لتأخذ بعض السندوتشات واقتربت من أحمد تمد يدها .. رفع إليها عينين حمراوين وسألها " كيف حال ذراعك؟"

Des. Maryam Tamim

تفاجأت باهتمامه فقالت وهي تمسد على ذراعها وكأنها تذكرت الألم " لا بأس " .
قال بإرهاق " يا بنت سماحة .. أنا وأنت كقطارين سريعين لا يجب أن نلتقي على قضيب واحد .. عندما تجديني منفعلا إلزمي جانبا ولا تقفي أمامي ."
إحمر وجهها قليلا.. ثم أومأت بطاعة ..
ومدت يدها بالأكل وهي تقول " ألن تأكل ؟"
حرك رأسه بلا وهو يعود ليدفن رأسه في كفيه .. فمطت شفتيها في امتعاض وتحركت تجلس بجوار وائل تناوله بعض الطعام وقالت " لا تنظر لهؤلاء المجانين وكُل .. أمي أوصتني أن تأكل أنت بالذات "
ابتسم لها وقال " أنا فعلا جائع " وبدأ يتناول الطعام ..
تأملته آية بقلب متألم ثم قالت بابتسامة مرتعشة " لن تخذلني أليس كذلك ؟" .

Des. Maryam Tamim

مضغ الطعام ببطء وهو ينظر لها بشفقة ثم قال "
المهم ألا تخذلني الدنيا يا صغيرة .. أنا لم آخذ
نصيبي منها كما أردت.. لكني أدعو أن تأخذوا أنتم
نصيبي كله .. لو حدث ذلك سأكون راض جدا ".
قالت بلهجة حانية " ستبدأ جلسات الكيماوي
قريبا أليس كذلك؟" .
أومأ برأسه بنعم ثم قال متهكما " سيقع شعري
الأشقر كله " .
ابتلعت طعما مرا في فمها وردت بشقاوة " كلي
شغف لأراك برأس حليق حتى أحدد هل أنت
وسيم لأنك بشعر أشقر أم لأنك وسيم في كل
الحالات (قهقه وائل فأضافت وهي تغمز) أعتقد
أن ساعتها زرقة عيناك ستضيء وجهك أكثر"
علت ضحكته ثم غمز لها يقول " حسنا هذا الكلام
مشجع لأن أخوض التجربة لأرى مدى سحري في
عيون الإناث " .

Des. Maryam Tamim

تدخل سيد يقول بلهجة مستخفة " هلا رحمتمونا من غرامكم قليلا.. فحالنا لا يتحمل سخافتكم والله ".

همس وائل لآية بصوت مسموع " إنه يغار مني .. يريد أن يُدَلل مثلي .. لا تعيري له اهتماما " .

تحكمت آية في ابتسامة تلح على شفتيها وتصنعت الجدية وهي تسأل سيد " هل أخذت دواءك .. وجهك أحمر " .

قال لها بعناد صبياني " أمر لا يخصك " .

رفعت حاجبا جميلا ثم استقامت وتوجهت نحوه وهي تتصنع الجدية ..

وقفت أمامه.. فتشنجت عضلاته وكتم أنفاسه .. يحبس رائحتها العطرة التي تسللت إلى رئتيه .. هامسا في سره وهو يجول بناظريه في وجهها " لا تقتربي هكذا استحلفك بالله .. أنا مرهق .. وفاقد السيطرة على كل شيء " .

Des. Maryam Tamim

أرخت رموشها السوداء قليلا ثم سحبت فجأة ميدالية مفاتيحه وفتحت المطواة الخاصة به في وجهه . .فرفع يده أمامه في استسلام قائلا " آية لا تلعبي بها قد تجرح يدك .. آية هذه ليست للهو "

حركتها أمامها في الهواء بحركات عشوائية كما يفعل البلطجية المتمرسون .. وهو يحرك نظراته معها في خوف أن تجرح نفسها ..مد يده وقال بغيظ " ستجرحين نفسك يا مجنونة " .

نظرت إليه ببرود متحدي ثم قالت " علمني كيف تلفها حول يدك بحركة دائرية كالأفلام السنيمائية"

قال بإصرار وقلبه يرتجف " إعطني المطواة يا آية أنها حادة جدا وليست للعب " .

سقطت الملامح المتحدية من على وجهها ..
ليكسوه ملامح طفولية فقفزت على قدميها
كالآطفال تترجاه بدلع " علمني يا سيد كيف
أفعلها"
قال لها بهدوء " حسنا اعطها لي لإريك كيف أفعلها
"
سلمته المطواة بحماس .. فأغلقها ورفعها أمامها
ليقول بحزم " هذه ليست للعب " .
اشتعلت عيناها العسليتان بالغضب.. فتحركت
للوراء خطوتين .. وبحركة مفاجئة.. شدت
قبضتيها أمام صدرها .. واستدارت على عقبها تفرد
ساقها في الهواء فضربت يده التي تحمل المطواة
بقدمها وهي تصيح صيحة المقاتلين .. لتسقط
المطواة أرضا.. بينما استقرت ساقها مرفوعة بجوار
ذراعه في تحدي ..

Des. Maryam Tamim

طالعها هو بنظرة غامضة .. هذه الحركة بالذات تفقده عقله .. تفقده كل أنواع المقاومه على نفسه ومارده وكل شيء ..بينما قهقه وائل بتسل.

تجمد المشهد لثوان وهي تناظره بتحد .. حتى خرج صوت أحمد مرهق يقول بضعف دون أن يرفع رأسه المدفون بين كفيه " آياااااااااة "
ردت بنفس النغمة" نعاااام "
قال " يكفي هذا إذهبي للبيت "
أنزلت ساقها وقالت " حاااااضر "

وتحركت مغادرة وهي تعض على شفتيها من الغيظ .. فالتقط سيد أنفاسه... أخيرا .

***

هل عاد أحمد ؟..

Des. Maryam Tamim

لا تذكر كم مر من الوقت لكنها تخمن أنها هنا منذ يومين تقريبا .. وإن كان ذلك صحيحا فيبقى يومان حتى يأتي أحمد من السفر .

أم أنه قد شعر بإختفائها ..
مؤكد سيعلم لأنها لم تذهب للورشة ..
هل سيطلب منهم البحث عنها ؟
إذا تركت الأمر لقلبها فهو يؤكد لها أنه يبحث عنها منذ أن أختفت .. وأنه هنا يبعد عنها شارعين فقط ..
كيف تخبر أحمد أنها هنا ... كيف .
دخلت سهر بإرتباك بوجه متورم من البكاء وبعض الكدمات الزرقاء من الضرب ..وتقدمت إليها تفرك كفيها لتجلس أمامها تقبل ركبتها في توسل "
سامحني يا رامز أتوسل إليك أن تسامحني .. لم أجد غيرك أمامي .. كان سيقتلني"

Des. Maryam Tamim

هتفت بانة في غيظ من بين أسنانها " أبتعدي عني يا مختلة .. أنت لا تعلمين أي غباء تفعلين "

قالت سهر من بين دموعها " لقد سقطت مغشيا عليّ .. فأصر أخي عرضي على الطبيب ليطمئن.. فأخبره أني حامل .. من الخوف والذهول ومما أعلم جيدا ماذا يمكن أن يفعل بي .. لم أجد سوى اسمك على لساني".

هتفت بانة بغل " أنتم تستغلون كوني غريبا مستضعفا .. لكني لست وحدي .. أصدقائي لن يسكتوا .. أنا أعرف أني لست وحدي.. وسيجدوني بإذن الله "

قالت سهر بتوسل " أقسم بالله أحبك .. أستر عليّ وسأكون خادمة تحت قدميك .. ويمكنك تطليقي بعد فترة لن أعترض .. وإذا رغبت في الزواج بأخرى لن أعترض " .

Des. Maryam Tamim

قالت بانة بحزم " إن كنت تحبينني فعلا .. فكي يداي وقدماي .. ودعيني أذهب وأعدك أن أجد لك حلا .. أقسم بالله العظيم سأساعدك لتجدي هذا الشخص .. سأطلب من أصدقائي ولن يتأخروا .. فكي وثاقي وأثبتي لي أنك تحبينني "

قالت سهر بلوعة " أخي سيقتلني إن فعلتها .. ولن تستفيد شيئا لأن اثنين من أتباعه يحرسون البيت من الخارج "

نفضت بانة يد الفتاة عنها بغيظ وهي تهتف " لا تلمسيني إبتعدي عني ".

تراجعت سهر تستند على الجدار وهي تبكي بحرقة وتتمتم " آسفة والله آسفة "

بعد فترة طويلة من الصمت قالت بأنة " يبدو أنه لا مفر من أن أتزوجك "

هتفت سهر بلهفة " حقا ! .. حقا يارمز "

قالت بانة بهدوء " وهل هناك أختيار آخر "

Des. Maryam Tamim

اندفعت نحوها سهر بلهفة ثم طوقتها بذراعيها " سترك الله دنيا وآخرة يا رامز "
انتفضت بانة تجز على أسنانها وهي تقول بغيظ " قلت لا تلمسيني " .

ابتعدت سهر وهي تمسح دموعها " حاضر لن أفعل "

قالت بانة بهدوء " أريد قهوة .. رأسي ستنفجر لعدم شربي للقهوة منذ يومين .. اكرمي عريسك بقهوة "
ابتهجت سهر لكلمة (عريسك) فاستقامت بحماس قائلة "حالا سأعد لك القهوة "
قالت بانة " كلا .. لا أريد القهوة على طريقتكم.. أحب قهوتنا بإضافاتي الخاصة لها "
رمشت سهر بغباء ثم قالت مستفهمة " وكيف سأعرف إضافتكم " .

Des. Maryam Tamim

قالت بانة " الأمر بسيط .. إذهبي لمحمصة البن الموجودة على بعد شارعين وأطلبي من الرجل الطيب هناك البن الخاص بي .. هو يصنعه مخصوصا لي ..استلمي منه البن المخصوص .. واذهبي لطأطأ .. صبي القهوة وأطلبي منه أن يعدها لأن لها طريقة خاصة في الإعداد "

ترددت سهر قليلا ثم قالت " لماذا يعدها طأطأ ولا أعدها أنا "

قالت بانة بنفاذ صبر " قلت لك هو يعرف كيف يعدها وفي حالتي هذه لن اشربها من يد شخص يصنعها لأول مرة .. فقط أخبريه أن يعدها لك وآتيني بها " .

قالت بعدم فهم " لكن قد تبرد قليلا حتى أحضرها لك "

زفرت بانة وقالت " المسافة ليست كبيرة كما أنني اشربها باردة قليلا .. هيا رأسي سينفجر .. وربما

Des. Maryam Tamim

ازدادت عصبيتي.. وقررت أن أعاند مع أخيك الثور هذا ورفضت الزواج "

تحركت سهر في هلع تخرج من الغرفة وهي تقول " لا لا .. سأذهب فورا "

رفعت بانة عينينها للسماء وقالت " يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف "

ثم تمتمت بهمس " أنا أعتمد على حاسة الشم لديك يا ابن سماحة .. فلا تخذلني "

***

بعد قليل دخلت سهر المقهى بتردد وتوجهت نحو طأطأ الذي أخذ يتأملها باستغراب ..

قالت بارتباك وهي تفتح كيس البن " هل من الممكن أن تعد قهوة لأخي "

رد عليها باستخفاف " ولماذا لا يأتي أخيك ليطلبها .. أم أنه يخشى سيد بعد أن منعه من الجلوس في المقهى "

Des. Maryam Tamim

قالت بهدوء " لأن سيد منعه فهو يريد أن تعد له القهوة ولقد أحضرت لك البن والركوة "
قال بامتعاض " ولماذا لا تعدينها أنت له .. هل يديك عليها نقش الحناء " .
قالت سهر مدافعة " إنه ..إنه يقول أنها لا تعد بالطريقة العادية .. إنه بن مخصوص ... مثل البن الذي يشرب منه .. يشرب منه .. استاذ رامز"
تنهد طأطأ في حزن وهو يضع يده على صدره "حبيبي يا أستاذ رامز .. ترى أين أنت الآن .. حي أم ... (نفض الفكرة من رأسه وهتف بها) إذهبي من أمامي يا بنت الناس .. أعديها مثل أي قهوة عادية الاختلاف فقط في خلطة البن مع بعض العطارة الأخرى .. إذهبي من أمامي بالله عليك لست في مزاج لدلالك أنت وأخيك "

في الدور الثاني هتف وائل بغيظ " لا أفهم لماذا لا تبلغ الشرطة مر أكثر من ٢٤ ساعة على اختفاؤه!"

Des. Maryam Tamim

رد عمرو مبررا " كما قلنا رامز إقامته منتهية ونخشى أن يجره هذا لأي تعقيدات "

تدخل سيد بعصبية " لكننا بحثنا في كل مكان محتمل ولم يعد هناك مفر من إبلاغ الشرطة "

نظر عمرو لأحمد الذي يدفن رأسه بين كفيه وقال "أعتقد أن كلامك منطقيا "

رفع أحمد رأسه فجأة يقول " رائحة البن ! "

ضيق سيد عينيه ولم يفهم فبادره أحمد بالسؤال " هل تقدمون البن بخلطة رامز هنا "

اعتدل سيد وقال بعدم فهم لهذا السؤال في هذا الوقت "لا .. جاءتني الفكرة لكني لم أنفذها حتى أحمد..... إلى أين ؟!!!!!!!!"....

كان أحمد قد انتفض من مكانه كالملسوع يجري نحو السلم .. فتحرك يتبعه الباقين بعدم فهم .

Des. Maryam Tamim

هجم أحمد على طأطأ يسأل " من أين رائحة البن الخاصة برامز .. أنفي ألتقطتها " .

قال طأطأ بهدوء " إنها تلك الغبية أخت حموءة .. أتتني مصرة على أن أصنع لأخيها قهوة بالبن الخاص برامز متخيلة أنها تصنع بطريقة خاصة .. لكني طردتها (صمت قليلا ثم أضاف بأسف) يبدو أن أخيها قد جُن .. هناك آثار ضرب على وجهها " .

استدار أحمد للشباب وقد اتسعت عيناه وقال ببطء يحاول التركيز " أخت حموءة.... أحضرت خلطة البن... الخاصة برامز ... هنا ... لتصنع قهوة !!! "

هتف سيد بعدم تصديق " حموءة ! "

في لمح البصر كان أحمد وسيد يجريان في الشارع يتبعهما عمرو ووائل .

Des. Maryam Tamim

عند باب بيت حموءة لاحظوا أن رجلين ضخمين يقفان هناك .. وهذا أمرا غريبا وغير معتاد ..

حاول أحمد اقتحام البيت.. لكن عمرو هدر فيه بعنف يمنعه " هل ستتعدى على حرمات البيوت .. سننتظر حموءة يأتي ونسأله "

أمسك سيد بتلابيب رجل منهم يسأله عن مكان حموءة فرد الرجل بخشونة أنه غير موجود.. ولا يعلم شيئا عن مكانه .
حاول سيد الاتصال بحموءة مرارا دون رد.. بينما رفض أحمد ترك المكان .. وهو يتحكم في أعصابه بصعوبة ألا يقتحم البيت.. بينما عمرو يناقشه بهدوء أنه لا يوجد دليل منطقي على وجود رامز مع حموءة.. قصة البن قد تكون صدفة بحتة .

Des. Maryam Tamim

وحين وجده عمرو مستمرا في التلويح بإقتحام البيت هدر فيه " أحمد امسك أعصابك لسنا صغارا ولا بلطجية لنقتحم البيوت دون دليل "

ظل أحمد يتحرك بعصبية في الشارع جيئة وذهابا وهو يفرك جبهته وقد فقد التحكم في وحوشه تماما .. وكل ما ألح عليه وقتها .. إضرام النار في هذا المنزل بعد اقتحامه والتأكد من عدم وجود بانة بداخله .

بعد قليل حضر حموءة وآثار التوتر لاحت على وجهه لكنه أنكر معرفته بمكان رامز أو علاقته به .. بينما لم يقتنع أحمد وبدأ في ضرب على الباب بقوة.. وقد تجمع الناس في الشارع يشاهدون بفضول .

من الداخل سمعت بانة الصياح وميزت صوت أحمد بوضوح .. بينما سهر تلطم على وجهها خوفا

Des. Maryam Tamim

من الفضيحة ..فاستجمعت بانة كل قواها التي تعرفها والتي لا تعرفها لتصرخ صرخة قوية كبيرة باسمه "أحمااااااااااااااااد".

في الخارج كان حموءة مازال ينكر علاقته باختفاء رامز حتى سمعوا صرخة باسم أحمد من الداخل فهتف وائل باندهاش " صوت نسائي يستغيث بأحمد !".

هتف أحمد وهو يضرب الباب بقوة " رامز .. بانة .. بانة "

التحم عمرو وسيد مع حموءة وشركاه بينما هدر حموءة بعصبية " لن يخرج من هنا حتى يستر على أختي .. هذا الكلب الوقح عديم الشرف "

هتف عمرو بذهول " هذا مستحيل .. أنت مجنون ... مجنون " .

Des. Maryam Tamim

كان وائل يضرب الباب بجسده مع أحمد في اندهاش لما يقوله أحمد .. إنه يهتف باسم غريب .. اسم بانة ! .

انكسر الباب وظهرت سهر تنكمش في ركن بعيد تولول وتلطم على وجهها .. وهي ترى الناس بالخارج بدأوا يهمهمون بفضيحتها مع الشاب الغريب.. بينما المعركة مستمرة ..

هجمت عليهما امرأة نحيلة تقول " لن يخرج حتى يستر شرف إبنتي " .

هدر أحمد فيها بقوة " إذهبي من أمامي يا خالة حتى لا أؤذيكِ "

التصقت المرأة في الحائط برعب بجوار إبنتها .. ودخل أحمد بهلع ينادي باسم بانة .. حتى وصل لغرفة مغلقة .. أخذ يضرب بابها بكتفه بقوة حتى أنكسر الباب ..

Des. Maryam Tamim

دلف إلى الغرفة فوجدها هناك مقيدة في كرسي من يديها وقدميها . .فأسرع إليها كالمجنون يتفحصها بيديه .. بينما تطلعت إليه بانة غير مصدقة أنه هنا ..

أنه وجدها ..

أحمد وجدها ..

فك وثاق قدميها سريعا ثم يديها وهو يرتجف ويهتف بحرارة " لا تخافي .. لا تخافي يا بانة .. أنا هنا .. لقد وجدتكِ .. لقد وجدتكِ "

أنهى فك يديها ... بينما وائل يشاهد المشهد باندهاش وأحمد يحيط كفيه بوجهها ملتاع من حالتها .. وهي تنظر إليه بنظرات ذاهلة غير مصدقة أنه موجود .

قرب أحمد شفتيه من خدها يقول بهمس حار " لا تخافي يا بانة أنت معي ... لقد وجدتك حبيبتي " .

Des. Maryam Tamim

ألقت بانة بنفسها عليه تحيط عنقه بذراعيها ودفنت رأسها في رقبته وانهارت في البكاء تتمتم باسمه في شكوى صامتة ... وهي تستنشق رائحته لتتأكد أنها لا تهلوس فتخللتها رائحته كالمخدر..فضمها أحمد إليه بقوة كادت أن تسحقها بين ذراعيه .. يود لو يخفيها بين ضلوعه .. لكنها لم تبال بالألم.. لأنه دليل على أنها في أمان ..

إنه هنا ..

وهي في أمان ..

أخذ يمسد على شعرها وظهرها بكفه متمتماً " أنا أسف .. أنا أسف حبيبتي تأخرت عليكِ ".

بعد ثوان ارتخى جسدها كله فجأة وتوقف نشيجها ... فطالعها أحمد بهلع وهو ينادي باسمها بانة ..

Des. Maryam Tamim

لكنها غابت عن الوعي تماما وبدأ وجهها في الشحوب وأزرقت شفتاها بشكل مخيف .

ارتعب من منظرها فحملها بين ذراعيه وهو يصرخ في وائل الذاهل على باب الغرفة " أمِّن الطريق يا وائل لابد أن نخرجها من هنا فورا " ..

تحرك وائل ينفض عنه الذهول . .بينما المعركة مازالت بالخارج.. ليقطعا الطريق بعد تأمين عمرو وسيد الخروج لهما ..
والمتجمهرون في الشارع .. غاضبون .. يرددون أن ابن سماحة يحمي الغريب الذي غرر بالفتاة الصغيرة إبنة بلدهم ..

تحرك بعض من الناس وراءهم غاضبين .. بينما أحمد يعرج بركبته وهو يحملها نحو المنزل.. بعد

Des. Maryam Tamim

أن استبعد فكرة الذهاب بها لمستشفى حتى لا يفضح أمرها ..

توجه لبيته ...
لشقته...
فدخل على أمه يحملها نحو غرفته.. ولو طال لخبأها داخل قلبه بعيدا عنهم ..

في خلال دقائق .. امتلأت شقة الحاج سماحة بأهل الحي .. منهم الغاضب من الغريب يطلب القصاص منه .. ومنهم من تطوع لسرد حكايات تخيلية .. ويقسم أنه شاهد رامز وسهر معا أكثر من مرة في أوضاع مخلة بالأداب ..
لكن البعض كان عاقلا يحاول تهدئة الناس ..

جلس عدد كبير من الناس في شقة سماحة والحاج يحاول تهدئة الغاضبين .. ويدعوهم ألا يتعجلوا

Des. Maryam Tamim

الأمر.. وأوضح لهم أنه لا يصدق أبدا أن يفعل رامز هذا الفعل المشين ..
كل هذا وأحمد في وادٍ آخر ينتظر الطبيب الذي استدعوه بفارغ الصبر ..

حين حضر الطبيب أخيرا اندهش من العدد المتجمهر في الشقة ودخل ليفحص المريض ..فدخل معه أحمد لكن عمرو كان قد أنتهى من حموءة بعد توثيقه هو ورجاله الاثنين وتركهم في حوش بيت سماحة حتى يطمئنوا على رامز .. فسحب أحمد للخارج بعد أن طلب الطبيب إخلاء الغرفة .. وأرسل في إحضار بعض المحاليل لتعليقها بجوار المريض وهو يكمل الفحص ..

ضغط أحمد على ذراع عمرو بشده يقاوم الرعب الذي يدور في داخله قلقا عليها وخوفا من افتضاح

Des. Maryam Tamim

أمرها ويقول لعمرو "سنتركها في يد الطبيب يا عمرو تتعرى أمامه ؟"
لم يجد عمرو ما يقوله وهو يشعر أن القادم لا يبشر بالخير هذا الطبيب بالتأكيد سيكتشف أنها فتاة ..

وهؤلاء الناس المتجمهرين في البيت من أهل المنطقة يظنونها رجل واغتصب بنت الحي .. وحموءة ورجاله المربوطين في حوش البيت يريدون القصاص منها ..

جرى أحمد لأمه الواقفة تشاهد في ذهول الأمر كله وتسمع لما يقوله الناس الغاضبة من حكايات عجيبة فأمسك بيدها في توسل وهو يهمس " أتوسل إليك أمي أن تدخلي مع الطبيب "

Des. Maryam Tamim

عقدت إلهام حاجبيها في عدم فهم.. فانحنى أحمد يقبل يديها في توسل .. فربتت على صدره تطمئنه وتوجهت نحو الغرفة .

بعد قليل خرجت أروى وآية من الغرفة بعد أن وضعا عليهما إسدال الصلاة في استعجال تراقبان في اندهاش ما يحدث بينما أروى تنظر لأحمد نظرات قلقة وهو ينكس رأسه بقلة حيلة .

في الغرفة سألت أم أحمد الطبيب الذي يتصبب عرقا دون سبب وهو يعلق المحاليل بجوار السرير عن حالة الشاب فرد عليها باقتضاب أن ضغطه منخفض جدا ويواجه صعوبة في التنفس .

اكمل الطبيب الفحص وهو يرفع ملابسها فاسترعى انتباهه القماش الملفوف طبقات كثيرة على جذع

Des. Maryam Tamim

المريض فهتف باندهاش " أيعاني من تمزق في الضلوع أم ماذا ؟"

رفع ملابسها وهو يحاول فك القماش أمامه ويفحص الضلوع بينما إلهام تحدق في شكل الجسد الناعم الأبيض الملقى أمامها على السرير .. فاقتربت من السرير والطبيب يفك القماش قليلا ويمسح عرقه بين الحين والآخر من المجهود ..
حين وجد الطبيب أن طبقات القماش كثيرة طلب مقصا وبدأ في قص القماش ..
ظهر من تحت القماش جلد متقرح قليلا من ضغط القماش عليه .. ثم ظهر أمامهما ما جعل الطبيب يرتد للخلف فجأة وهو يبسمل من المفاجأة ويهتف " ألم تخبروني أنه شاب !!!!!! "

Des. Maryam Tamim

بينما صرخت إلهام صرخة رعب مدوية سمعها كل من بالخارج . فدفن أحمد رأسه بين كفيه بينما قبض عمرو قبضتيه وجز على اسنانه .

انفضح كل شيء ..
تحرك الحاج سماحة نحو الغرفة في هلع ليطمئن على زوجته التي خرجت تضع كفها على فمها تمرر نظراتها الذاهلة بين أحمد وزوجها فهتف الحاج " ماذا هناك يا إلهام ؟"
هتفت وهي تحرك عينيها بذهول " انها فتاة .. رامز فتاة يا ابراهيم ... فتاااااااة "

جحظت عينا الحاج بعدم فهم .. ثم استدار لأبنه ينظر إليه .. فأسرع عمرو يضغط على ذراع أحمد وقال "مالذي تقولينه يا خالتي .. من فتاة ؟"
فارتبك أحمد وجارى عمرو في الكذبة يقول " ما هذا الكلام الغريب يا أمي "

Des. Maryam Tamim

ضربت إمرأة كانت تقف عند الممر على صدرها لتهتف بجزع " الغريب فتاة متخفية في هيئة رجل "!!

برقت عينا إلهام فجأة ونفضت عنها الذهول واستدارت لتعود للغرفة .. لتجد الطبيب يواصل فك القماش فدفعته بغلظة قائلة " ماذا تفعل؟! "

رد عليها باندهاش " أفك هذا الذي يلف جسدها حتى تتنفس " .

قالت إلهام بعنف ورباطة جأش " إبعد يدك عنه.. عنها .. عن .. البنت (ثم دفعته بعنف) هيا انتظر بالخارج حتى أناديك "

فُتِح الباب وخرج الطبيب مدفوعا بعصبية .. وأُغلِق الباب مرة أخرى .. فنظر الطبيب للوجوه الذاهلة أمامه والتي لم تستوعب الأمر بعد ليقول

Des. Maryam Tamim

وهو يجفف عرقه "الحاجة طردتني .. لبعض الوقت "

تحركت المرأة التي تقف عند الممر لتدخل الغرفة عند إلهام والفضول يقتلها ... بينما أحمد المتصنع للاندهاش يود أن يقتل المرأة المتطفلة التي دخلت .

أما الحاج فكان يطرق برأسه أرضا في ذهول يسترجع ويستوعب الأمر ويرفع نظره من حين لأخر لأبنه .

في الغرفة تأملت المرأة إلهام وهي تعري جذع بانة ويظهر ثدييها الذابلين .. فهتفت إلهام " علام تنظرين يا أم عادل ألا تملكين مثلهم ! ".

قالت المرأة بتشكك " هل أنت متأكدة أنها فتاة ".

نظرت إليها إلهام وهي تواصل تغطية بانة بعد أن تخلصت من القماش وأغلقت ملابسها بعناية

Des. Maryam Tamim

وقالت " هل أنت مجنونة يا امرأة هل يملك رجلا ثديين مثل ما رأيتِ !"

ردت المرأة برعب "ربما تكون من جنس ثالث "
قالت إلهام بقرف " كيف ! "
همست المرأة برعب " سمعت أن هناك ناس استغفر الله لديهم هرمونات مختلطة يملكون اشياء تخص النساء واشياء تخص الرجال "

ضيقت إلهام عينيها بعدم فهم فقالت المرأة بغيظ "إفهمي يا أم أحمد ونظرت للأسفل "
جحظت عينا إلهام بدون تصديق ثم قالت " هذا مستحيل .. انها فتاة .. كنت دائما أشعر أن هناك أمرا غريبا به .. بها .. لكن حين قال الطبيب أنه فتاة بدا الأمر منطقيا جدا "
قالت المرأة بريبة "علينا أن نتأكد "
قالت إلهام بعدم فهم " نتأكد من .. ماذا ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت المرأة بقرف " بأنها أنثى مائة بالمائة "
فهمت إلهام ماذا تقصد فاتسعت عينيها و قالت "
ومن سيتأكد ؟"
ردت المرأة " الطبيب .. من سيملك الشجاعة غيره
"

هتفت إلهام مؤكدة " إنها فتاة "
سألتها المرأة في عناد " كيف تعرفين !.. دعينا
نجعل الطبيب يتأكد "
تحركت المرأة تنادي الطبيب فتألم قلب إلهام
لسبب مجهول .. فهدرت بالمرأة فجأة بدون تفكير
" أنتظري " .
نظرت إليها المرأة باستفهام .. بينما تحركت إلهام
بشجاعة ورفعت جزء من الغطاء وهي تداري
المنظر عن أم عادل.. التي جحظت عيناها من
جرأة أم أحمد .

Des. Maryam Tamim

تمتمت أم أحمد " سأتبع قلبي ولن أعرض هذه المسكينة للمهانة وأرجو أن يكون قلبي صادقاً "

بعد ثوان لاح الألم على إلهام وهي تغطيها مرة أخرى جيدا وقالت بهمس يقاوم البكاء و تضرب بقبضتها على قلبها في لوعة ... وكأنها توقف احساسها بالألم " أنثى يا أم عادل.. أنثى مائة بالمائة "

خرجت أم عادل وهي تلطم تنادي الطبيب ليعود للغرفة بينما هي ذهبت تخبر الجميع أنها أنثى.. لتتعالى الصيحات والهمهمات .. والعبارات الذاهلة ..

وائل لم تستطع قدماه التحمل فجلس على الأرض بجوارالحائط في إعياء .. بينما سيد المصدوم الذي دخل متأخرا بعد أن ربط حموءة في حوش المنزل نظر لأحمد نظرة واحدة تيقن منها أن ابن سماحة كان يعرف.. فوقف يحاول إستيعاب الأمر.

Des. Maryam Tamim

بينما آية تبحث في الوجوه عن حل لهذه المعضلة .. عمن يحاول تفسير ما يحدث هنا .. فتعلق نظرها بمن تلجأ إليه دائما حين يصعب عليها أمرا .. تعلق نظرها بماردها الضخم الذي بدا ذاهلا هو الآخر بعدم فهم ..

قرأ الحاج ابراهيم الوجوه وعلم أن الأمر لن ينتهي بسهولة .. الصدمة قوية على جميع الحاضرين من أهل الحي .. ولن يمر الأمر دون تدخل بعض النفوس الضعيفة للتسبب بفضيحة لأهل بيته لا محالة .

فتقدم ناحية أحمد يمسك في تلابيبه أمامهم حتى يكون الأمر على مرأى ومسمع من الجميع ليقطع الألسنة قبل أن تستطيل هاتفاً " هل كنتم تعرفون أنها فتاة ؟"

Des. Maryam Tamim

حرك أحمد رأسه بلا بعد أن حذره عمرو منذ قليل من أن يخبرهم بالحقيقة لأن الناس ستظن بهما السوء..
هدر سيد بصوت جهوري " بالطبع لم نكن نعلم وكيف سنعلم بأمر كهذا " ..

خرج الطبيب مغادرا فتطوع أحد الجالسين بسؤاله للتأكد منه إن كانت فتاة فعلا فرد وهو يجفف عرقه "إنها فتاة.. ولا أفهم القصة جيدا .. كيف تطلبوني لمعالجة شاب وأجدها فتاة .. هل تمثلون الكاميرة الخفية ؟؟.. هل هناك كاميرات مثبتة هنا أو هنا ها ؟ " .
حين ساد الوجوم ولم يضحك أحد على نكتته تنحنح الطبيب بحرج وهم بالرحيل .. فوقف أمامه سيد بضخامته ليتراجع الطبيب للخلف يطالعه بترقب .. ليقول سيد بلهجة آمرة "انتظر "

Des. Maryam Tamim

ثم تحرك يخرج من باب الشقة وهتف عند السلم آمرا " حِلوا وثاقه وإحضروه "

بعد قليل دخل حموءة ثائرا يزمجر في وحشية وغضب فتراجع الطيب يجفف عرقه بينما هدر سيد فيه " اخرس واستمع.. عندنا لك مفاجأة.. لقد اكتشفنا للتو أن رامز فتاة وليس شاب.. فكيف جعلت أختك حامل ".

نظر حموءة للطبيب ثم هجم عليه يقول " فتاة كيف؟!!!!!!!!! "

ابتلع الطبيب ريقه وقال " مثل كل الفتيات .. تحمل كروموسومين من x ".

هدر حموءة " هل وصلت بكم الوقاحة أن ترشوا الطبيب".

علا صوت الحاج سماحة قائلا في غضب ارتجت له جدران المكان " إحترم نفسك .. أنت في بيت سماحة ... والناس كلهم شهود على ما حدث "

Des. Maryam Tamim

زمجر حموءة في غضب وقد شعر بالفضيحة أكثر وهو يتجول في الوجوه التي تؤكد له ما قاله سيد .. واندفعت أم عادل تقول " إنها فتاة .. أنا كنت في الغرفة معها منذ قليل وتأكدت "
اندفع حموءة يغادر غاضبا دون كلمة واحدة بينما الناس يضربون كفا على كف .

تنحنح الطيب يترقب أي اعتراضات أخرى ثم هم بالمغادرة .. ليندفع أحمد هذه المرة محطما الصمت ويسأله " كيف حالها ؟ "
بينما عمرو يقرصه من ذراعه ألا يبدي اهتماما خاصا أمام الناس .

تنهد الطبيب ومسح عرقه مجددا قائلا " الحمد لله أن سألني أحد سؤالا منطقيا في هذه الزيارة العجيبة ...الإجابة هي الحمد لله بخير .. الضغط منخفض جدا وتحتاج للراحة وعلقت لها محلول

Des. Maryam Tamim

بالوريد.. لكنها ستكون بخير مع بعض الراحة والإلتزام بالأدوية .. وسأمر في المساء للاطمئنان عليها "

حين لم يعقب أحد ومازال الذهول يسيطر على المشهد تحرك الطبيب مغادرا وهو ينظر إليهم بريبة .

هتف أحد الحاضرين بخبث " ومن يؤكد لنا أن الباشمهندس لم يكن يعلم بأنها فتاة خاصة أننا رأيناها تركب سيارته أكثر من مرة ".

تدخلت أروى المراقبة للحوار وهتفت بجرأة " وهل كان يعلم أنها فتاة حين جعلها تحمل الأخشاب بالورشة "..

همهم الحضور بينما خرج سيد ليجلس على السلم في إنهاك وهو مصدوم من خيانة أحمد له أكثر من صدمته أن رامز فتاة .. فخرجت آية تطالعه في قلق .. ثم جلست بجانبه على السلم ورفعت يدها دون

Des. Maryam Tamim

وعي تمسح الدماء من على وجهه بكم اسدالها وهي تقول بصدمة " هل تفهم شيئا يا سيد .. كيف يحدث ذلك " .

تشنج جسده وقال بحشرجة " ادخلي يا آية الناس حولنا "

حين لم تفعل هدر بصوت ضعيف " إدخلي يا بنت الناس يكفيني ما أنا فيه " .

جاء صوت أحد الحاضرين في الداخل " هناك من رأوك تقبِّلها في حوش البيت خلف البوابة "

وصوت عمرو يهدر بعنف " اتق الله !.. واحفظ لسانك يا هذا وإلا سأقطعه ".

اندفع سيد في غضب للداخل كالطلقة يشهر مطواته في وجه الرجل الذي كان عمرو يقف يواجهه وامسك بتلابيبه يلصقه بالحائط هادرا بصوت أرعب الجميع "بل أنا من سيقطع له لسانه ولن أنتظره حتى أن يتق الله .. عمن تتكلم يابن (.....) .

Des. Maryam Tamim

استقام وائل ليقول ساخرا "ولماذا يقبِّلها في حوش البيت أليس لها شقة يا أخ !.. كما أنكم منذ قليل كنتم لا تعلمون مثلنا أنها فتاة.. فكيف ترون رجلا يقبل رجلا وتركتم الأمر هكذا .. أنت وصاحبك الذي شاهد الأمر!!!".

تحرك الناس يبعدون سيد عن الرجل الذي جحظت عيناه ولم يعرف ماذا يقول وسيد مصر على استجوابه " انطق من قال هذا التخريف.. قلنا لك لم يكن أحد منا يعلم أنها فتاة "

تدخل الحاج سماحة وهدر في سيد ليترك الرجل فتركه وهو يجز على ضروسه غيظا.. ليتناول الحاج المصحف من جانب الغرفة وأمر أحمد بأن يتقدم فأطاع وهو يداري ارتجافه .. بينما نظر الحاج في عينيه جيدا وقال " اقسم على كتاب الله"

Des. Maryam Tamim

تشنجت عضلاته ثم وضع يده على المصحف
وقال بتحد " اقسم بالله أني .. حين احضرته
ليسكن معنا .. لم أكن أعرف أنه فتاة "
ثم تحرك منهيا الموضوع حتى لا يدقق أحد في
شهادته..فهتف أحد الحضور قائلاً "ومالذي يدعو
فتاة لأن تتنكر في هيئة رجل ربما وراءها كارثة.. أو
جاسوسة أو إرهابية "

تدخلت أروى معلقة " أو إمراة شريفة خائفة
وحدها.. لماذا تفترضون السوء دائما "

لم يعجب عمرو تدخلها في الحديث ..
ولم يعجبه النظرة التي تأملها بها الرجل ..
ولم يعجب عمرو بعض الشباب الذين ينظرون
إليها وعلى وجوههم ابتسامات بلهاء متفحصة
..فجز على أسنانه مقتربا منها وهو يقول بخفوت "
لا تتدخلي في كلام الرجال من فضلك خذي أختك

Des. Maryam Tamim

إلى الداخل ودعي هذه الليلة تمر بخير دون مزيد من الإصابات "

عقدت حاجبيها بغضب وهي تنظر إليه وقالت بخفوت مماثل " لم لا اتدخل أليس لي لسان وعقل"

تركها وتراجع بغيظ مغمغما " بنات سماحة سيجلطونني بجرأتهن "

تدخل أحد الحضور ليقول " هذه الفتاة خطر .. مادامت تتخفى .. إذن وراءها مصيبة لابد من ابلاغ الشرطة "

رد الحاج سماحة وايده بعض الرجال الكبار سننا مستنكرا تسليمها للشرطة مادامت لم تفعل شيئا وليس هناك دليلا .. وقد عاشت في وسطهم فترة ولم يصدر منها شيئ مشين .

فجأة دخل عليهم الشيخ عبد الرحمن وهو يستند على شاب صغير ويبدو عليه الإعياء.. قام الحاضرون احتراما .. بينما اجفل عمرو في ذهول

Des. Maryam Tamim

وهرول يساند أبيه وهو يقول بجزع "لماذا قمت من سريرك يا أبي؟!!"

قال الشيخ وهو يلهث" أريد قليلا من الماء "

اسرعت آية بالماء بعد أن أسنده عمرو ليجلس على أقرب كرسي .

أمسك عمرو بتلابيب الشاب الذي حضر معه غاضبا لأنه لم يخبره بخروج أبيه فلمس الشيخ ذراع إبنه في ضعف وقال " أنا من طلبت يا بني منه أن يحضرني إلى هنا .. هل سأخذ منك الإذن قبل الخروج."

شعر عمرو بالحرج وانحنى يقبل كتف أبيه وهو يتمتم " ما عاش ولا كان من يقول ذلك يا أبا عمرو "

قال الشيخ " ما قصة الفتاة الغريبة .. أخبروني "

سأله عمرو باندهاش " من أخبرك عنها يا والدي؟ "

Des. Maryam Tamim

رد الشيخ بهدوء " لم يخبرني أحد .. لكني كنت أعلم منذ مدة أن هناك فتاة غريبة عليّ أن أساعدها .. واليوم رأيت مناما أنها هنا ببيت سماحة "

سادت الهمهمة بين الحضور وترديدات

" الله اكبر"

" ماشاء الله يا شيخنا " ..

" سبحان الله " .

بينما توجه الشيخ للحاج سماحة الذي جلس بقربه بالسؤال " لماذا هذا التجمهر في بيتك يا ابراهيم؟"

ربت الحاج على يده وبدأ في سرد القصة .. بينما جلس أحمد القرفصاء يستند على الجدار المجاور لباب الشقة فلم تعد قدماه قادرة على حمله.. داعيا الله أن ينتهي الأمر على خير .

****

Des. Maryam Tamim

فتحت بانة عينيها تحاول لملمة شتات ذهنها..
أين هي؟؟..
وماذا حدث؟؟ ..
إنها بغرفة لا تعرفها ..

رضوض وخدوش تشعر بها في أنحاء متفرقة من جسدها ووجهها ..
تذكرت حموءة فصرخت في رعب تحاول النهوض فلم تقدر ...

بينما صوت أجراس أساور تعرفه جيدا سمعته بجوار أذنها قبل أن تجلس بجانبها إلهام تهدئها ..
فجحظت عينا بانة في صدمة من وجود إلهام بجوارها على سرير ..
سرير !..
سرير من ؟..

Des. Maryam Tamim

تجولت بعينيها في الغرفة بسرعة.. لتعود لإلهام التي تنظر إليها بنظرة حانية مشفقة وكأنها تستكشفها هي الأخرى ..
حاولت بانة التركيز أكثرعن من ؟ وماذا؟ وكيف؟ ومتى ؟..كثيرة في ذهنها .. ثم تنبهت فجأة لملابسها بدون .. بدون القماش فرفعت عينيها لإلهام بهلع .. لتضمها إلهام إلى حضنها وهي تتمتم " لماذا يا بنتي .. لماذا؟ "

صوت الهمهمات بالخارج جعل بانة تسأل بتقطع "ماذا حدث؟ ".

قالت أم أحمد بأسف " كل شيء انكشف .. الكل علم أنك فتاة .. والكل متجمهر في الخارج يتهمون الشباب بمعرفة الأمر تارة .. ويتهمون أحمد بمعرفة الأمر واستغلاله بشكل قذر تارة أخرى .. وأنا أمسك أعصابي حتى لا أخرج واسمعهم ما

Des. Maryam Tamim

يستحقون .. لكني ألتزم الصمت كرامة للحاج ابراهيم الذي لن يحب مني التدخل "

هبت بانة بهلع تردد " أحمد لم يكن يعرف .. كلهم لا يعلمون .. اقسم لكم " .
قالت إلهام وهي تربت على كتفها " ربي يجعل العواقب سليمة .. ألطف بنا يارب "

تحركت بانة من السرير تفك إبرة المحلول الوريدي بعجلة فهتفت بها إلهام " إلى أين ؟! "

قالت بانة تحاول استجماع قواها المعدومة " لابد أن أخبرهم أنهم لا يعلمون شيئا .. أحمد لم يكن يعلم شيء "
وضعت بانة يديها على شعرها وتصلبت قليلا تستوعب الأمر ثم قالت بخجل " أريد حجابا .. أريد أن أغطي رأسي "..

Des. Maryam Tamim

بعد دقائق شهق أحمد من المنظر أمامه.. حين رأى بانة تخرج عليهم ترتدي إسدال الصلاة يغطيها كلها إلا من وجهها .. وأمه تسندها .. فاستقام على الفور يحدق فيهما باندهاش .. بينما تحرك عمرو ليقف بجواره ليقيد انفعالات صاحبه .

كان الشيخ يوقف همهمات تشكك من أمر الفتاة قائلا " لا أريد تخمينات أريد حقائق ودلائل هل منكم من رأي عليها شيئا معيبا ".

هتفت إمرأة بارتياب " لا تؤاخذني يا شيخنا ان التخفى في زي الرجال أمر مريب "

ردت إلهام بحمائية " وما شأنك أنت هل أذتك بشيء "

توجهت أنظار الجميع لأم أحمد التي تسند بانة .. فصعق الجميع لرؤية رامز الذي يرونه أمامهم يسدل عليه إسدال الصلاة فلم يظهر منه إلا وجهه

Des. Maryam Tamim

وكفيه .. وقد بدا بشكل عجيب.. في هيئة مناسبة أكثر من كونه شاب ..
بينما تراجع سيد يحدق بذهول للفتاة الكائنة أمامه .. وكأنها لم تكن حتى هذا الصباح ذكرا في اعتقاده .

كان إرتجاف جسد بانة واضحا من هول الموقف .. لكنها أخذت نفسا عميقا وشمخت بأنفها تقول بكبرياء بصوت مرتعش لم تستطيع السيطرة على أرتجافه " أنا.. اسمي .. بانة عبد الله الخازن .. جئت إلى هنا وحدي فرارا من الحرب .. دخلت البلاد .. منذ ثلاث سنوات .. دخلت باسمي وكينونتي الحقيقية .. لكني .. واجهت الصعاب كوني فتاة وحيدة وغريبة في البلد .. لم أعرف أحد هنا .. ولم أجد أحد ألجأ إليه (توقفت لتأخذ نفسا تقاوم الإرتجاف ثم أكملت) الحرة لا تأكل بثدييها .. لذا قصصت شعري وتعاملت بهوية أخي الذي لم يسعفه القدر لأن يأتي معي .. حتى أعمل وأعيل

Des. Maryam Tamim

نفسي بالحلال .. بكرامتي (ابتلعت ريقها الجاف ثم أكملت) لم يعرف أحد أني فتاة.. لا أحمد ولا سيد ولا عمرو ولا وائل ولا أي مخلوق .. لقد ساعدوني كشاب غريب ودعموني كثيرا ..لا أريد الأذى لشباب لم أجد أفضل منهم شهامة وسمعة طيبة .. لذا سأترك المكان فورا .. ولا يـ .... "

سقطت بانة بإعياء لم تستطيع المتابعة .. فأسندتها أم أحمد وامرأة أخرى لتعودان بها للداخل.. بينما أمسك عمرو بأحمد بقوة بعد أن أنتفض وكاد أن يهرع إليها .. فنفض يد عمرو وخرج خارج الشقة غير قادر على تحمل رؤيتها بهذا الشكل ..

قلبه يتألم ..

يرتجف مع ارتجافها ..

لو بيده ..

ولم يكن ذلك إساءة لها..

Des. Maryam Tamim

لخبأها بين ضلوعه أمامهم.. يحميها من نظراتهم المتفحصة المتفرسة ..
من ظنونهم فيها ومحاكمتهم لها ..
لو بيده..
لصرخ فيهم جميعا يطردهم من بيته .. ويعلن للجميع انها تخصه وفي حمايته .. و يحذر من يقترب منها أو يمسها بسوء ..
لو بيده..
لحملها وابتعد بها بعيدا عن الأنظار ليطمئنها أنها في أمان معه .. وأن الجزء الصعب من حياتها قد انتهى.
لو بيده .. لفعل ذلك ..
ولولا وجود عمرو .. لفعل هذا دون أن يفكر في العواقب.
عاد الشيخ يتحدث للناس ويطلب منهم أن يدعموها وأن يعتبروها مثل ابنتهم .. استحث فيهم طيبه أخلاقهم ورغبتهم في حماية وستر فتياتهم ...

Des. Maryam Tamim

بينما عمرو يجز على أسنانه وقدرته على التحمل انتهت تماما .. حين رأى أروى تستمع لحديث الشيخ بينما هناك من يفترسها بعينيه من الجالسين .. ليزداد المشهد ضغطا على أعصابه عندما ظهر ذلك الجورب السخيف .. الذي يشبه الحذاء القماشي .. ذو الألوان والنقوش الاسيوية الملفتة.. المستفزة ..

ظهرت قدماها من تحت إسدالها وجزء من ظاهر القدم لا يغطيه الجورب ولا الاسدال .. فلم يستطع التحمل فتحرك ناحيتها يسحب كرسيها للخلف ويديره ناحيته قليلا مرسلاً نظرة نارية للشخص المحدق فيها بتهديد..فأشاح الشاب وجهه في حرج.

نظرت إليه أروى باندهاش .. فقال من بين أسنانه وهو يمد يده يسحب طرف الإسدال ليغطي الجوربين " لمَ لا تذهبين إلى خالتي إلهام لتطمئني

Des. Maryam Tamim

على بانة .. ويكفي هذا القدر من التواجد في مجلس الرجال " .

ارتجفت أروى من لمسته على قماش إسدالها..
فنظرت إليه باندهاش وهي تقول بصوت حاولت أن يكون طبيعيا لتطيل الحديث " المجلس يضم رجالا ونساء !"
طالعها بعينين مرهقتين ورد من بين أسنانه بتهديد "يكفي هذا يا أروى خذي أختك وادخلا فورا .. وذكريني أن أحضر لك إسدالات طويلة أو ارتدي ملابس عادية في أي تجمع من هذا ".

تجولت بناظريها في وجهه بحرمان وردت ببرود متعمد "لماذا؟ "
انحنى بجذعه قليلا يحدق في عينيها ثم قال " أروى.. أنا لم أنم ولم آكل منذ يومين .. وأكاد

Des. Maryam Tamim

أسقط إرهاقا من فرط التعب .. فلا تستفزيني ونفذي ما أقول "

قبضت على قماش إسدالها تقاوم رغبة قاتلة للمس لحيته .. لم يكن يوما بهذا القرب ولم تكن يوما ملامحه بهذا الوضوح .. و البهاء .

أرادت أن تستفزه أكثر ليتحدث إليها أكثر وأكثر حتى لو حديثا غاضبا ..لا يهم ... لكنه استقام وأدار الكرسي فجأة ودفعه ببعض الخشونة نحو الممر المؤدي للغرف .. فضغطت على زر التحكم بالكرسي باستسلام ليستكمل الطريق نحو الداخل وهي تتمتم لنفسها " يكفينا أن نطق بأثنين (أروى) في دقيقة واحدة .. ويكفينا أن تنفسنا بعضا من رائحته لثوان .. يا طيب أنفاسك يا عاقد الحاجبين ! ".

Des. Maryam Tamim

بعد قليل صعد سيد لسطح البيت يبحث عن أحمد ويتبعه وائل .. فرفع أحمد رأسه ينظر لهما وقد قرأ نظراتهما .. فاستقام واقفا يبحث في حرج عن تبرير .. لكن سيد لم يمهله فرصة للتفكير بل بادره بلكمة قوية أردته أرضا .. تأوه أحمد يمسد فكه وهو يهدر " ماذا تفعل يا غبي !"
رد سيد بمرارة " الغبي لم يكن موضع ثقة لتخبره مثل عمرو أليس كذلك " .

استقام أحمد ليبرر بانهاك " الأمر لم يكن كذلك اقسم بالله .. ولم يكن عدم ثقة فيكما .. الأمر ... "
قاطعه سيد يهدر بانفعال " كيف كان الأمر إذن؟ .. ولا تكذب وتخبرنا بأنك لم تكن تعرف .. أنا أحفظك مثل خطوط كفي.. وأستطيع أن أفهمك من نظرة واحدة .. عموما هذا يفسر كثيرا من تصرفاتك معه .. معها .. مؤخرا والتي كانت غريبة .. لكني ... لكني كنت أبرر لك دائما بداخلي كل

Des. Maryam Tamim

أفعالك .. ولم أشك فيك يوما ولم .. ولم أتوقع أن ... (صمت قليلا وهو ينهت من فرط التأثر ثم رفع إليه نظرات متألمة مجروحة وأكمل) لم أتوقع ألا أكون موضع ثقة لك يا أحمد ... عموما الرسالة وصلت يا صديقي " .

قالها وتحرك يتجاوز وائل المتابع في صمت وينزل فهتف أحمد " اسمع يا بني أدم الأمر لم يكن كذلك أقسم بالله "
ربت وائل علي كتفه وهو يقول بهدوء "اتركه الآن كلنا منهكين وستتعقد الأمور "
تحرك وائل لينزل فأمسك أحمد بيده يقول بتوسل "وائل الأمر لم يكن بالشكل الذي ترونه " .

نظر إليه وائل نظرة عتاب وحزن وقال " لاحقا .. لاحقا نتحدث يا أحمد .. أنا متعب جدا " .

Des. Maryam Tamim

حين نزل أحمد أخيرا من سطح البيت كان معظم الناس قد انصرفوا .. فحمد الله .. عدا الشيخ عبد الرحمن وعمرو .. فتقدم نحو أمه في لهفة يسأل عن بانة فأخبرته أنها نائمة مجهدة تماما .. فأوصاها عليها بتوسل .

جاء صوت الشيخ عبد الرحمن يقول " واين الحسناء ابنتك الكبيرة يا ابراهيم ؟".
نادى الحاج على أروى فدخلت عليهم بكرسيها فابتسم لها الشيخ ويقول " لم تسلمي علي يا ابنة إبراهيم "
ردت أروى بهدوء " أسفة يا شيخنا .. انتظرت أن يغادر الجميع.. خاصة وأن ابنك صرفني للداخل بكل غلظة ".
ضحك الشيخ ورفع رأسه لعمرو الواقف بجانب كرسيه يرمقها ببرود مستفز وقال " أمازلت تناكفها يا عمرو؟!" .

Des. Maryam Tamim

لم يرد عمرو وإنما انحنى يقبل رأس والده في صمت .. بينما أشار الشيخ لأروى أن تتقدم.. فاقتربت و تحرك عمرو يفسح لها مجالا بجانب الشيخ .. الذي تأملها بمحبة وهتف " ما شاء الله تزدادين حُسنا يا فتاة " .

تخضب وجه أروى بالحمرة .. بينما وضع الشيخ يده على رأسها وبدأ يتمتم آيات من القرآن والأدعية .

استقام الحاج حين انتبه لوجود أحمد فأمره أن يتبعه إلى غرفة أخرى .

حين دخلا إلى الغرفة أمره الحاج بإغلاق الباب ثم اقترب وصفعه بقوة على وجهه .

Des. Maryam Tamim

لم يهتز أحمد.. لقد كان متأكدا من رد فعل كهذا من والده بعد ما حدث ..
أمسك الحاج في تلابيبه يقول " إن كنت قد خدعت الجميع بالقسم على حقيقة منقوصة فلن تخدعني ..
لم تعرف بأنها فتاة حين جلبتها هنا كما أقسمت .. لكنك بالتأكيد علمت بعد ذلك .. ولهذا طلبت في شبه توسل أن تترك حمل الأخشاب و تعمل عملا مكتبيا أليس كذلك ؟"
أومأ أحمد بهدوء بنعم .. فهدر الحاج بعنف " ولماذا لم تخبرني.. كنا تصرفنا بدلا من الفضيحة التي حدثت "
رد أحمد بتأثر " كنت خائفا عليها .. أردت أن أحميها وأعطيها الفرصة أن تواجهنا بالحقيقة .. خشيت أن واجهتها بما أعرف فتختفي "

Des. Maryam Tamim

لمس الحاج تأثر ابنه.. وتيقن بأن الأمر اقوى من مجرد شفقة عليها.. فقال بتشكك " إذن هي لا تعلم أنك اكتشفت حقيقتها ؟"
هتف أحمد بسرعة : أبدا يا أبي أبدا "

تركه الحاج وجلس يدفن رأسه بين كفيه بإنهاك فتقدم إليه أحمد قائلاً باصرار " أبي أنا لن اسمح لأحد مجددا أن يؤذي شعرة منها .. إنها كما رأيت فعلت أمرا صعبا لتحافظ على نفسها .. إنها وحيدة يا أبي وليس لها أحد في هذا البلد ".

تمتم الحاج باستسلام " ليفعل الله ما يريد " .

حين خرجا من الغرفة كان الشيخ قد فرغ من رقية أروى فقالت إلهام " ادع لها يا شيخنا أن تتزوج " .
هتفت أروى معترضة " أمي ! .. من قال اني أريد أن أتزوج ! "

Des. Maryam Tamim

ضحك الشيخ وربت على رأسها قائلا " كل شيء بميعاد .. وكله مقدر ومكتوب .. فلا تقنطوا من رحمة الله ".

هم عمرو بإسناد والده للمغادرة فتقدم أحمد يسند الشيخ هو الأخر وهو يتمتم لعمرو " خذني معك يا عمرو " .

Des. Maryam Tamim



الفصل الرابع عشر

وقفت أمام المرآة تبدل ملابسها.. فنظرت للصدرية الانثوية الملونة التي ترتديها تحت قميص داخلي بحمالات رفيعة ..
الملابس الداخلية كانت ألوانها زاهية وكأن أم أحمد وهي تشتريها أرادت أن تمنحها تعويضا على ما عاشته خلال الثلاث سنوات الماضية .

مر أسبوع على وجودها في شقة أحمد وأسرته ..قضت معظمها في السرير ..
نامت كثيراً... كثيراً جداً ..وكأنها تهرب أو تشحن أعصابها التالفة ..
أم أحمد أولتها اهتماما خاصا..تلك السيدة التي تشع حنانا أموميا فطريا لم تستطيع الطفلة المحرومة بداخلها الصمود أمامه .. فبكت في حضنها كما لم تبك من قبل.. وكأنها تشكو لها كل

مأساتها .. ثم جاء دور أروى لتمنحها شعور بالرفقة الأنثوية لم تألفه من قبل .
تأملت بقايا القرح الحمراء على جذعها .. والتي في طريقها للزوال كحروق بشرة وجهها التي اختفت بسبب الدهانات الطبية.. ولم يبق إلا بضع أجزاء قليلة منها ..
كانت أروى من تصر على وضع دهان وجهها لها بنفسها لتتأكد أنها لن تتهرب من وضعه .

لقد انتقلت لغرفة أروى بعد يومين من تلك الليلة التي تكشف فيها كل شيء..وذلك بسبب شعورها بالتحرج من وجودها في غرفة أحمد وفي سريره ..وهو الذي لم يبيت في البيت منذ أسبوع ..

الامر كله محرج ولا تدري ماذا ستفعل في الخطوة القادمة .. فهي حبيسة غرفة أروى لم تتعامل مع أحد منذ ما حدث سوى مع السيدة إلهام وأروى ..

Des. Maryam Tamim

ولا تعرف كيف ستواجه أحمد بحقيقتها كفتاة
وكيف ستواجه الشباب.. وكيف سيعاملونها..
والأهم ... كيف ستخرج للشارع ؟
وماذا ستفعل في حياتها القادمة ؟...
هل تترك الحي؟ ..
هل تعود للشارع مرة أخرى؟ ..
هل ستستمر في دور الذكر أم ستواجه الحياة
بصورتها الأنثوية ؟.

فُتِح باب الغرفة فجأة فشهقت بانة وهي تنكمش
بينما دخلت آية ببرود وأغلقت الباب وهي
تتفحصها بقميصها الداخلي .
هتفت بانة بعبوس " ألا تستطيعين؟ طرق الباب
قبل الدخول !"
ردت آية ببرود " لماذا انتفضتِ ... من سيدخل؟
.. أبي الحاج مثلا؟ ... أم أحمد المطرود من بيته
منذ أسبوع ؟".

Des. Maryam Tamim

اسرعت بانة بإرتداء ملابسها وهي تنظر في عيني آية نظرة تحدي .. كانت أول مرة ترى فيها آية بدون حجاب.. ترتدي شورتا من الجينز وبلوزة بيتية مريحة تتدلي قليلا من ناحية الكتف فتبرز جمالها.. بينما شعرها يليق بها جدا .. كهالة فوضوية سوداء من لفائف شعر طبيعية .

تخصرت آية ..ومدت شفتيها بامتعاض.. تتفحصها.. وهي تسرع في ارتداء ملابسها وقالت ببرود " أتيت لأخذ شيء ".

توجهت نحو التسريحة وأخدت زجاجة من الجارور.. ثم قالت وهي ما تزال تتفحصها بوقاحة " بشرتك بيضاء كالحليب لكن شاحبة ليس بها دماء "

ثم استدارت نحو المرآة تنظر لكتفها العاري وتقول "ليس كل بشرة بيضاء جميلة "

رمشت بانة قليلا ثم قالت " شكرا على المعلومة "

Des. Maryam Tamim

تفحصت وجهها بفضول ثم هتفت " تقشرت حروق الشمس عن وجهك وبدأت تظهر ملامحك الحقيقية .. لستِ جميلة بالمناسبة حتى تخشي أن يستغلك الرجال"

رفعت بانة حاجبها باستنكار فأستطردت آية " كنت أشك في أمرك من أول لحظة .. فلم أقتنع أبدا أنك تحملين أي هرمونات ذكورة ... الحقيقة حتى نكون محددين ولا هرمونات أنوثة .. حتى بعد ارتدائك لملابس النساء ... تبدين مخنثة "..

عضت بانة على شفتها بغيظ لكنها آثرت عدم التعليق كرامة لأهل البيت الذين أكرموها فتحركت لتمشط شعرها القصير أمام المرآة في عصبية و تجاهل .. بينما استمرت آية بالتحديق بها قليلا ..ثم تحركت ناحية الباب .. وقبل أن تخرج استدارت فجأة لتسألها "هل كان سيد يعلم بحقيقتِك ؟"

Des. Maryam Tamim

توقفت بانة عن تمشيط شعرها ونظرت إليها عبر المرآة لتقول ببرود مماثل" يمكنك سؤاله بنفسك "

سألتها آية بانفعال " هل كنتِ مقربة من سيد في الفترة السابقة ؟" .

زفرت بانة في ملل وردت " كنت مقربة منهم جميعا إنهم شباب رائعون"

ضيقت آية عينيها وقالت " احسدك على قضائك وقت بينهم دون حواجز .. ليتني اتخفى في هيئة رجل لأفعل ما أريد بكل حرية " .

تمتمت بانة بسخرية " صدقيني ليس كل ما يلمع ذهبا "

بعد قليل خرجت أروى من الحمام على كرسيها تجفف شعرها .. فاستقبلتها بانة بابتسامة وقالت " أقلق حين تدخلين الحمام "

Des. Maryam Tamim

بادلتها أروى الابتسامة وردت " لا تقلقي عودت نفسي على التعامل .. كما أن أحمد صنع لي دعامات بالحائط".

تأملتها بانة وتمتمت " أحب شجاعتك "

ضربت أروى على صدرها بحركة كوميدية وقالت "إن كنت أنا شجاعة فماذا تكونين أنت؟ ... الفتاة الخارقة ! " .

ضحكتا سويا بمحبة وقالت بانة بتردد "أتسمحين لي بتمشيط شعرك؟ "

فكرت أروى قليلا وردت "امممم .. عادة أتبع أسلوب العناد لمحاولة إثبات أني أستطيع ولكن هذه المرة سأوافق "

تأملتها بانة قليلا ثم تمتمت " لم تكن رشا إذن .. بل أنتِ"

نظرت إليها أروى باستفهام " أنا ماذا ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت بانة وهي مازالت تتأملها " أنت صاحبة التمثال الخشبي في الورشة .. بشعرك الطويل وأنت تعزفين على الكمان " .

قالت أروى باستغراب " لم أعرف أنه صنع تمثالا كهذا !! " .

إبتسمت لها بانة في محبة وتحركت تجفف شعرها وتمشطه.

***

دخل عمرو غرفة الضيوف عاري الصدر يرتدي بنطالا بيتيا .. ثم تحرك نحو السرير الذي ينام عليه أحمد ... ورفع الغطاء عن قدميه وأخرج من جيبه ورقه وضعها بين أصابع قدم أحمد بعدها أخرج كبريتا.. وأشعل الورقة .. فانتفض أحمد صارخا .. بينما قهقه عمرو بضحكة صبيانية متخليا عن تحفظه المعتاد .

شتمه أحمد بوقاحة وهب ينقض عليه في غيظ بينما الثاني مازال غارقا في الضحك .

Des. Maryam Tamim

تشاجرا كالصبية في استعراض للقوة .. من يصرع الأخر.. وبدى عمرو سعيدا بوجود من يؤنس وحدته ..
كان مزاحهم عنيفا مسليا لهما.. لكن أم عمرو دخلت فجأة وهي تصرخ في جزع ..

توقفا عن المزاح الخشن وتحرك أحمد يرتدي ملابس على صدره العاري في حرج من اقتحامها للغرفة.. بينما تأملت عفاف إبنها في ألم وهي ترى الكدمات الحمراء على جسده الخمري فهتفت وهي تمسد على كدماته الخفيفة بيدها متألمة " يا ويلي يا ويلي .. أنظر لنفسك كيف تأذيت " .
اشفق عليها عمرو فكظم حنقه من مبالغتها المعتادة في الخوف عليه .. وتحرك يضمها الي صدره العاري ويتمتم " أنا بخير يا أم عمرو لا أشعر بأي ألم " .

Des. Maryam Tamim

اندفع أحمد يقول بغيظ " انه يمارس رياضة عنيفة لن يتألم من مجرد خدوش "
حدجه عمرو بنظرة غاضبة مؤنبة فهو يعرف أنه أخبرها من قبل أن عمله كمدرب لا يتعرض فيه لأي احتكاك عنيف هو يدرب فقط..
فقال مصححا " أنا مدرب والمدرب لا يمارس اللعبة " .
تذكر أحمد أن عمرو أخبرها ذلك حتى لا تقلق ..
يكفي أنه بسبب خوفها الزائد لم يستطع عمرو تحقيق حلمه في استكمال مشواره كلاعب تايكوندو عالمي .. وقد كان مرشحا بقوة لأن يمثل البلاد في المسابقات الأوليمبية .. لأنها لم تحتمل فكرة أن يُهاجم ويتلقى الضربات ويتألم .. حتى أنها أصيبت بجلطة يوما ما لأنه تلقى ضربة عنيفة في منافسة .. فاضطر عمرو لاعتزال اللعب واتجه للتدريب فقط.

Des. Maryam Tamim

رد أحمد وهو يكتم غيظه " يا خالتي لا تخافي على هذا البغل بكل هذا الجسد العضلي "
ردت عفاف بتشاؤم " ما شاء الله لا قوة إلا بالله !"
ثم استدارت لعمرو توبخه " لماذا تتجول عاري الصدر هكذا يا مرمر .. ماذا لو مرضت الآن "

لاحت علامات الحنق على عمرو ..لكنه تمالك نفسه واقترب منها يمسك وجهها بين كفيه.. بينما أحمد يكتم ضحكته وهو يردد في استنكار " مرمر!.. عم أمين الآلي أصبح مرمر !.. عجِبت لك يا زمن !"
قال عمرو بهدوء " يا ست الكل ... ألم نتفق على أن ألقاب الدلال بيني وبينك فقط وليس أمام أحد "
هتفت عفاف تبرر " إنه صديقك "
رد عمرو ببؤس " إنه نذل وجبان .. سيفضحني و سيمارسون علي حفلا من ألف ليلة وليلة ".

Des. Maryam Tamim

لم تفهم عفاف المعنى فنظرت لأحمد الذي يضع يديه في جيب بنطاله لتتأكد.. فبادرها الأخير بالقول بإعتراف صقيعي" أجل .. أنا نذل وجبان .. وسأفضحه "

قالت عفاف بحنق وعدم فهم " ألا تدللك إلهام ؟!"

رد أحمد " تدللني بالتأكيد لكن لا يصل الأمر لمرمر .. والحقيقة لا أفهم العلاقة بين إسم مرمر وهيئة أبا قردان الملتحي هذا " .

نظرت عفاف بوجه طفولي عابس لعمرو تتأمله وكأنها تقارن بين شكل إبنها وأبا قردان .. ثم عادت تنظر لأحمد تحاول فهم ما يقول من لوغريتمات ... بينما عمرو يشير له في الخفاء أن يتوقف عن المزاح عقلها لن يستوعب ذلك .. لكن أحمد أكمل بعناد " أقترح عليك يا خالتي أن تناديه بالأسم الذي

Des. Maryam Tamim

ندلله به فيما بيننا نحن الشباب .. نناديه بالجِلف
" .
اتسعت عينا عفاف كثيرا وأخذت ترمش بعدم فهم
.. ثم نظرت لأبنها الذي كان يرمق أحمد بغيظ..
لكن سرعان ما ندم أحمد وأشفق عليها لشعوره أن
المرأة على وشك الإصابة بنوبة قلبية.. فأمسك
لسانه عن المواصلة .. بينما ربت عمرو على كتف
أمه وقال " لا تلتفتِ إليه يا أمي إنه يمزح قليلا
...أمي ما هذه الرائحة .. انها شهية وأنا جائع بل
أشعر بالدوار .. أشعر بالدوار من عدم الآكل"
هتفت عفاف بلهفة " يا حبيبي أنت لم تأكل جيدا
في العشاء .. سأطعمك حالا .. لقد صنعت بعضا
من المخبوزات "
هتف عمرو بلهجة رقيقة مصطنعا الاهتمام "
الله!.. أحب المخبوزات اطعميني يا أمي أشعر
بالدوار "

Des. Maryam Tamim

خرجت عفاف مسرعة وقد صدقت إدعاء إبنها بالجوع لتتغير لهجة عمرو من الرقة المصطنعة للغيظ وهو يقول لأحمد من بين أسنانه " أنت تعرف أنها لن تتحمل مزاحك هذا "
رد أحمد بجدية " أعانك الله وأعان زوجتك المستقبلية يا صاحبي "
***
كانت إلهام تساعد الحاج في تجهيز ملابسه للخروج وهي تبكي .. فقال الحاج " أنت تعانين من أعراض صدمة متأخرة يا إلهام .. تعاملتِ مع الصدمة بشجاعة ورباطة جأش .. والآن تبكين!! .. الذي يراك وأنت تطردين الطبيب من الغرفة.. وتكشفي عليها لتقطعي لسان أم عادل بأنها فتاة بدلا من أن تخدشي حياء الفتاة .. ومن يراك وأنت تمارسين دور القطة التي تخربش من يقترب من صغيرتها لا يعرفك الآن وأنت تبكين منذ يومين على حالها"

Des. Maryam Tamim

مسحت إلهام دموعها وقالت " يؤلمني قلبي إبراهيم كيف تعيش فتاة في ظروف كهذه .. كما أني أخجل من نفسي كنت في بعض الأوقات أحزن على حال أروى فجعلني الله أرى أن ابنتي في نعمة ".

رد الحاج بعقلانية " لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .. حتى في الإبتلاء " .

تمتمت إلهام وهي تمسح دموعها " صحيح لا يملأ عين الإنسان إلا التراب " .

ضمها الحاج إلى صدره وقبل رأسها بحنان .

***

فتح أحمد هاتف بانة بفضول بعد أن استلمه أمس من محل الصيانة بعد استبدال الشاشة المكسورة منذ الحادث..

تفحص ما بداخل الهاتف بوقاحة مستمتعاً .. لكنه لم يجد ما يرضي فضوله.. الهاتف فارغ تماما حتى عدد الأرقام المسجلة به قليل جدا لا يتعدي عدد الاصابع يعرفهم كلهم .. وإن لم يعجبه أن تحتفظ

بأرقام هواتف الشباب .. لماذا تهاتفهم أصلا ؟! ما الداعي !.

فتح الواتساب فلم يجد سوى شخص واحد تتحدث معه .. وقبل أن ينتفش بخيلاء لكونه الشخص الوحيد الذي تدردش معه حتى ولو كان معظمها محادثات عن العمل جحظت عيناه واحمر وجهه من الغضب وهو يراها تسجل اسمه (السيد المغرور الحانق المتذمر) .

انتفض يجلس على السرير بحنق وهو يتمتم " أنا مغرور وحانق ومتذمر.. أنا !!... حسنا يا بانة يا بنت الناس الطيبين ".

رمى الهاتف على السرير وتجول في الغرفة متخصر كأسد حبيس .. ثم تحرك بعد ثوان مرة أخرى نحو هاتفها وعدل الإسم الخاص به ليصبح (الشاب الوسيم الرائع المتميز) .

ثم اطلق ضحكة صبيانية عابثة .

Des. Maryam Tamim

***

تشجعت بانة لتخرج من غرفة أروى لأول مرة منذ أسبوع .. شعرت بالخجل وهي ترتدي لأول مرة ملابس أنثوية .. عباءة من الجينز تخص أروى وحجابا .

تقدمت نحو المطبخ بارتباك وهي تسمع حركة إلهام بداخله .. حين رأتها إلهام استقبلتها بسعادة أن تراها تخرج أخيرا من الغرفة .. فعرضت بانة المساعدة بارتباك وقبلت إلهام بامتنان .

عند مائدة الطعام كانت أروى تساعد في إعدادها بالتحرك بكرسيها حول المائدة بينما آية تتدلل على الحاج كعادتها ..

عندما خرجت بانة تحمل بعض الأطباق تقاوم الارتباك بداخلها لتظهر بمظر عادي جدا غير متأثر ولا مرتبك من مواجهة الحاج لأول مرة .. هتف

Des. Maryam Tamim

الأخير بترحيب " كيف حالِك يا رامز ... أقصد يا بنيتي"

ضحك الجميع بينما تمتمت بانة بخجل " يمكنك الاستمرار بمناداتي برامز فهو اسم اخي الحبيب"

بعد قليل على مائدة الطعام همست أروى لبانة" إرحميني من اتصالات أحمد .. لمَ ترفضين الحديث معه .. انه يتصل كل ساعتين ويخضعني لاستجواب عنك وعن صحتك وهل تأكلين وهل تتنفسين وهل وهل وهل "
شعرت بانة بالذنب وقالت " لا أعلم .. لست مستعدة بعد للحديث معه بهويتي الجديدة ..لم أستعد لمواجهته بعد أن كذبت عليه ".
همت أروى بإخبارها أنه كان يعرف لكن بانة قاطعتها عندما وجدت أن الحاج على وشك المغادرة فقالت "سأنزل لشقتي بدءً من اليوم "

Des. Maryam Tamim

تدخلت إلهام معترضة " ماذا ستفعلين في الشقة بمفردك كما أن شهر رمضان على الأبواب ورمضان يحب التجمع ".

ردت آية ببرود " وهل ستطردين أحمد خارج البيت طيلة الشهر !"

ردت أم أحمد مدافعه " وهل منعه أحد من العودة للبيت ... كما انه لا يمكث بالبيت في العادة سوى للنوم ".

تدخلت أروى تقول " ابقي معنا حتى العيد فلو نزلتِ لشقتك ستتحرجين من الصعود معظم الوقت .. وأنت ترين حالتي لن تسمح لي بالنزول إليك كلما اردت .. رافقيني خلال الشهر الكريم ودعينا نجعلها girls nights " .

لم يعجب الحاج أن تنزل الفتاة لشقتها وحدها بعد أن علم الجميع أنها فتاة ووحيدة.. كما انه لا يأمن جانب أحمد كثيرا بعد ما حدث ... خاصة وأنه يلمس منه اهتمام غير مسبوق تجاه الفتاة يجعله

Des. Maryam Tamim

يرغب في مزيد من الوقت ليستبين مالذي ينتويه ابنه أولا .. وعلى ضوئه سيحدد كيف سيكون القادم .. وفي كل الحالات كان قد أقسم أمام الله أن هذه الفتاة في ذمته إلى أن يطمئن عليها .

لذا تدخل الحاج ببعض الحزم " ستبقين شهر رمضان معنا وبعدها سنتحدث .. بالنسبة للعمل سأترك لك الوقت لتكوني مستعدة وهناك الكثير منه تستطيعين انجازه هنا من أي حاسوب .. وهذا كلام نهائي ".

أطرقت بانة بطاعة على الرغم من عدم رغبتها في أن تكون ثقيلة على أحد .

بعدما غادر الحاج ودخلت آية حانقة لغرفتها تستعد للذهاب للجامعة .. طرق على باب الشقة ثم حركة تحريك متعمد في مفتاح الباب لتنبيه أهل البيت بدخوله جعل بانة تتحفز .. ثم صوت

Des. Maryam Tamim

نحنحة أحمد جعل بانة تقفز هاربة تختفي في غرفة أروى ..
استقبلت إلهام إبنها بلهفة وسألته " هل تطعمك عفاف جيدا؟ ".
رد عليها ساخرا "عفاف لا ترى بشرا حولها سوى الشيخ وابن الشيخ .. وخاصة ابن الشيخ تحشر الطعام في فم المسكين كذكر البط "

ثم سأل بلهفة " أين هي؟ "
ردت أروى " هربت إلى الداخل "
لاح الاحباط على وجهه وقال بعصبية " لا أفهم لماذا تتجنب الحديث معي؟ .. لمَ هي غاضبة مني؟"
ردت أروى بهدوء " هي محرجة وخجلة ولم تتعود أن تتعامل معك بحقيقتها " .

Des. Maryam Tamim

عبس وجه أحمد وجز على أسنانه في عصبية فحذرته أروى " هذه الأمور لا تؤخذ بالعصبية يا أحمد أعطها وقتها " .

زفر في استسلام وأخرج هاتف بانة أعطاه لأروى ثم تحرك ناحية الباب متعمد الحديث بصوت عال " أنا ذاهب يا أمي .. سوف أسافر الآن لبضعة أيام .. لقد أحضرت لكم مخبوزات ساخنة " .

سألت إلهام باستغراب " من طلب منك المخبوزات ؟!"

تدخلت أروى بلهجة ذات مغزى " أنا يا أمي أحب المخبوزات الساخنة ".

انتبهت إلهام لما يقصده فاقتربت منه تربت على صدره " فلتصحبك السلامة يا حبيب أمك .. طمئنّي عند وصولك " .

لثم أحمد يدها وألقى نظرة أخيرة على الممر ناحية الغرف ..

Des. Maryam Tamim

وخرج في إحباط .

***

ردت أروى على الهاتف " كيف حالك يا وائل "
قال وائل " بخير الحمد لله .. وأنتِ يا مليحة "
ردت بابتسامة جميلة " بخير "
سأل باهتمام " كيف حالها اليوم؟ "
ردت أروى وهي تنظر نحو بانة " أصبحت أفضل بكثير .. وخرجت من الغرفة .. وتناولت معنا الإفطار .. وأصدر الحاج فرمانا بأن تبقى معنا حتى إنتهاء شهر رمضان " .
قال وائل بارتياح "هذا أفضل الحمد لله ".
قالت أروى مندفعة " تريد أن تحدثها؟ .. حسنا "

مدت الهاتف لبانة التي كانت تشير لها إشارات صامتة رافضة .. بينما أروى مصرة في برود وهي تشير لها بأن هذا لا يليق .

Des. Maryam Tamim

استسلمت بانة للأمر في حرج بينما شاكستها أروى تحرك حاجبيها بإغاظة .

استجمعت شجاعتها وردت بصوت جاهدت ألا يكون مرتعشا " أهلا وائل " .
هلل وائل في ترحيب " اهلا يا دكتور .. هل تعلمين أن شعري تحول للأبيض من هول المفاجأة ؟ (تمتمت بانة باعتذار لكنه استطرد يقول بمرح) لكن ما فعلتيه جعلني أنتبه لأمر ما "

عقدت حاجبيها لتسأل بإهتمام " أي أمر ؟"
أخفض صوته ليقول بهمس " أشك أن ماجدة زوجتي ربما ذكر متخفي ".
ضحكت بانة بينما صوت قهقهته تأتيها عبر الهاتف ..

Des. Maryam Tamim

بعد قليل قال لها بجدية " لا يهم إن كنتِ شاب أم فتاة أم مخلوق فضائي أنت مرحب بك بيننا .. اعتبرينا أهلك .. وإياك أن تخشي أحد "

ترقرقت عيناها بالدموع وقالت بصوت متأثر "اشكرك يا وائل.. وأعتذر عن عدم إخباركم بالحقيقة.. فالأمر كان معقدا ولم أدر متي أقولها أو كيف " .

رد وائل بصدق " لا داعي للاعتذار يا أختاه.. أنت فوق رؤوسنا جميعا " .

سألت بانة بقلق " وائل .. ماذا حدث للفتاة ؟ "

رد وائل " من تقصدين ؟... سهر ؟.. يقولون انها هربت من البيت وأخيها يبحث عنها ".

قالت بانة بقلق "على الرغم من أنها طائشة وقد تسببت بسبب غبائها بفضيحة كبيرة وآذتني لكني قلقة على مصيرها " .

Des. Maryam Tamim

طمأنها وائل بلهجة غامضة " لا تقلقي عليها .. أخرجيها من رأسك هي بخير " .
حين أغلقت الخط مع وائل بدت ساهمة.. فسألتها أروى عن السبب .. أخبرتها أنها لا تذكر اللحظات الأخيرة بعدما صرخت بأسم أحمد وشاهدته يكسر الباب حتى استيقظت في السرير بجوارها إلهام .
طمأنتها أروى أن هذا يحدث أحيانا وسرعان ما ستتذكر مع الوقت .
***
بعد يومين :

ردت أروى على الهاتف بعصبية " هاتفي ليس سنترالا يا أحمد . .. من يريد الحديث معها ومن يريد الإطمئنان عليها ينتظر حتى تفتح هي هاتفها .. عموما هي بخير لا تقلق " .
هدر أحمد في عصبية " إن كانت بجانبك افتحي مكبر الصوت .. فورا " .

Des. Maryam Tamim

رفعت أروى حاجبيها ثم فتحت مكبر الصوت ..فهدر أحمد بلهجة حادة " يا استاذة أين أوراق وتصميمات المشروع ؟ لا أجدها على بريدي الإلكتروني.. ولم أجد النسخة الورقية في سيارتي .. ما هذا الإهمال! .. هذه ليست طريقة عمل محترفة أبدا"

عصبيته استفزت بانة فاندفعت ترد بعصبية مماثلة "أنا أرسلتها منذ عشرة ايام وأنت أكدت على إستلامها .. وأنا لست مهملة "
صمت لثوان بينما رفعت أروى حاجبا ماكرا كانت متأكدة من مقصده .
رد أحمد مدعي الحنق " أنا لا أجد شيئا ماذا سأفعل الأن ! .. تصرفي ".
قالت بانة وهي تجز على أسنانها " حسنا سأستعمل حاسوب أروى لإرسالها مرة أخرى "

Des. Maryam Tamim

قال بلهجة متعالية " بسرعة العمل متوقف ..
وافتحي هاتفك بالله عليك .. .نحن لا نلعب هنا "

اغلق الخط وراقبت أروى وجهها المحتقن وهي تبرطم .. ابتسمت في صمت وتركتها تستعمل حاسوبها المحمول .
بعد قليل رن هاتف بانة .. فزفرت وتناولته في عصبية .. وما أن قرأت الإسم على الشاشة حتى رمته على السرير فورا كمن لدغها عقرب .. فاتسعت عينا أروى في قلق لمنظر بانة التي جحظت عينيها وتسمرت كالتمثال تنظر للهاتف .
حركت أروى كرسيها نحو الهاتف والتقطته وهي تسأل " ماذا حدث من يتصل بك ؟!! ".
وما أن طالعت الاسم على الشاشة (الشاب الوسيم الرائع المتميز) حتى انفجرت في الضحك وهتفت "لا تقولي أنه أحمد وأنه من غير اسمه على هاتفك ."

Des. Maryam Tamim

سكت الهاتف ثم عاد يرن من جديد بإلحاح فالتقطته بانة من يدها والحمرة تعلو وجهها حمرة خجل وحمرة غيظ .. وردت وهي تجز على أسنانها " نعم .. أرسلت كل شيء" .

قال أحمد بعصبية " لمَ لا تردي على الهاتف من أول مرة ؟"

ردت بعصبية مماثلة " الحقيقة كنت أحاول إستيعاب من هو الشاب الرائع المتميز الذي يتصل بي "

رد بهدوء صقيعي " نسيتي الوسيم " .

تأملتها أروى وهي تتحرك في الغرفة يدها في خصرها في عصبية .. فابتسمت بسعادة وهي تهمس في سرها " أخيرا وجدت نصفك الثاني يا أحمد "

أحمر وجه بانة وهتفت وهي مازالت تحدثه على الهاتف " من أعطاك الحق في الاطلاع على هاتفي ؟"

Des. Maryam Tamim

رد أحمد بتعال " ومن أعطاك الحق في تسميتي بالسيد المغرور الحانق المتذمر .. أستطيع أن أرفع عليك قضية رد شرف الآن " .

احمرت أكتر وطحنت أسنانها قائلاً " ماذا ؟!!!! .. رد شرف ؟!!! .. أنا حرة في هاتفي يا باشمهندس .. أكتبك عندي مغرورا .. أكتبك عندي عفريتا .. ما دخلك أنت !" .

رد أحمد مستمتعا باستفزازها " حرة كيف؟! .. أنت تطلقين عليّ إشاعات مغرضة يا أستاذة .. تؤثر تأثيرا مباشرا على سمعتي أمام الجنس الناعم " .

اندفعت تقول بسخرية " لا تقلق على نفسك أمام الجنس الناعم.. يكفيك رشا "

انفجر ضاحكا .. الضحكة التي تجعل قلبها يزغرد من الفرح .. فعضت على شفتها في غيظ توبخ نفسها .. لماذا ذكرت اسم رشا .. لماذا ؟ .. . لماذا؟... .

Des. Maryam Tamim

سألت في جدية تحاول تدارك الأمر " أرسلت لك كل ما طلبت يا باشمهندس .. هل أرسل لك شيئا آخر "

صمت قليلا ثم قال بهدوء " حسنا .. لا يهم أي اسم ستكتبيني على هاتفك .. المهم أنك قلتي لي على الواتساب ما يؤيد أني وسيم ..رائع .. مميز وأستطيع الاحتفاظ بهذا الكلام كإثبات إذا ما أطلقتِ عليّ إشاعاتك المغرضة " .

ضيقت بانة حاجبيها في استفهام وسألت " أي كلام ؟"

قال ببرود " الكلام الذي قلتيه لي موثق ومكتوب ع الواتساب يا أستاذة ".

أنزلت الهاتف من على أذنها وفتحت الواتساب لتجد أنها مرسلة لأحمد على الواتساب تقول "

أنت رائع جدا جدا يا باشمهندس .. ومميز بين شباب بلدك .. بل وشباب بلدنا أيضا .. أنا

Des. Maryam Tamim



محظوظة لأني قابلتك في حياتي ... لا أعرف ماذا
كنت سأفعل لولا وجودك .. كما أنك
وسيييييييييييييييييييييييييم جدا"

جحظت عينا بانة حتى أن أروى قلقت من أن
تصاب بنوبة قلبية ..
إن الحديث مرسل منذ يومين أي عندما كان الهاتف
معه .. فغلت الدماء في رأسها ورفعت الهاتف وهي
تحاول إيجاد الوصف المناسب لهذا الكائن
المستفز الوقح فقالت من بين أسنانها " أنت ...
أنت ... أنت... "
قاطعها بلهجة متأثرة " أنا ؟... أنا اشتقت إليك يا
بانة ".
شعرت وكأن دلوا من الثلج قد أفرغ فوق رأسها
فردت بتلعثم " مـ ... ماذا ... قـ.... لت ! "
قال بلهجة هادئة وجادة " قلت.. اشتقت.. لك ..
جدا " ؟

Des. Maryam Tamim

أغلقت الهاتف بسرعة وألقت به على السرير في صدمة .

سألتها أروى بقلق " مابك ؟.. ماذا حدث ؟"

قالت بانة بتلعثم " أين أمي الحاجة .. لابد أنها تحتاجني"

وخرجت من الغرفة وتركت أروى ذاهلة .

***

أوقف السيارة أمام الجامعة فركبت في حماس وهي تهديه ابتسامتها التي تقطر عسلا ..

فحاول السيطرة على دقات قلبه التي تقصف في صدره وتصنع بعضا من الجدية وإن كانت عيناه لم تطيعانه وتجولت في وجهها تُقَبِّل ملامحها في شوق ..

اشتاق لها كعادته في الفترة الأخيرة..

Des. Maryam Tamim

وقاوم كثيرا كعادته أيضا .. لكن بضعة أيام دون رؤيتها كانت كفيلة في دحض مقاومته ليأتي إتصالها فيرفع راية الاستسلام .

تصنع الجدية وهو يقول " إياكِ أن تظني أني صدقت حجة أنك نسيتي محفظة النقود في البيت وتهديدِك إن لم آتي لاصطحابك ستطلبين من أي زميل إيصالك للبيت ".

ردت بإغاظة " مادمت لم تصدقني لماذا حضرت بالفعل ".
جز على أسنانه وقال " لأني أعرف عنادك .. وأنك قد تقفين أمام بوابة الجامعة وقتا طويلا .. قبل أن تستسلمي وتقرري الرحيل " .

غردت ضحكتها فتطلع إليها بطارف عينيه مبتهجا لتسأله هي بحماس " إذن إلى أين سنذهب ؟"

Des. Maryam Tamim

رد عليها بحزم" إلى البيت "
مطت شفتيها في عبوس ثم قالت " أنا جائعة يا سيد " .
رد بنفس الاستخفاف " سأوصلك للبيت حالا "
زفرت وتكتفت في غضب وأولته ظهرها تطالع الشارع من النافذة .

رق قلبه فقال " حسنا نستطيع أن نمر على أحد المطاعم السريعة "
استدارت في حماس تقول " بيتزا " .
ابتسم في سعادة واستسلام .
في المطعم تأملها وهي تحدث النادل بجوار ركن السلطات بتعالٍ .. كان النادل يحاول مساعدتها فحدجته بنظرة مترفعة لتتول الأمر دون مساعدة .

Des. Maryam Tamim

أقتربت لتجلس بجواره فتغيرت شخصيتها من الشخص المتكبر المترفع ذو الوجه الجاد منذ قليل لتعود للمنضدة الصبية الصغيرة المشاغبة.

وجودها أمامه تثرثر وحدهما دون أن يخشى مقاطعة من أحد ..وأن تضمهما دقائق مسروقة .. يستلزم سيجارة وفنجانا من القهوة لتكتمل لحظات متعته لإخر قطرة .

سألها باهتمام " كيف حال رامز ؟"
تغير مزاجها لتنظر إليه بفم مغري مليء بالطعام ونظرة عاتبة .
استطرد سيد ليقول " لماذا تتخذين منها هذا الموقف العدائي " .
تركت قطعة البيتزا لتقول " ولماذا تهتم بها إلى هذا الحد ؟ ولماذا يهتم بها الأخرون كل هذا الاهتمام وكأنها أسطورة من الأساطير " .

Des. Maryam Tamim

ابتسم لغيرتها من بانة ليقول " هي فتاة تستحق كل الاحترام ..وما صدر منها يدل على شخصية مكافحة قوية .. الأمر ليس سهلا يا يويا ..صدقيني ليس سهلا .. وأنا أكثر من يعرف بهذا الشعور .. إحساس الفقد .. إحساس الغربة .. أن لا تملكين بيت تأوين إليه آخر الليل .. أن لا تملكين شخص تشكي همومك وأوجاعك له .. أمرا ليس هينا بل هو عظيم "

كسى وجهها الحزن وقالت بلهجة حانية " كل هذا كان في الماضي يا سُدسُد .. أنت تخطيت كل شيء الآن .. ظروفك ونشأتك وكل شيء .. أنا فخورة بأني أعرف شخصا مثلك في حياتي "

بدى التأثر على وجهه وتحاشى النظر في عينيها وهو يتمتم " أتمنى أن أبقى هكذا أمام عينيك إلى الأبد (وأكمل في سره) وألا أصدمك بحقيقتي المخزية يا مالكة القلب والكيان" .

Des. Maryam Tamim

تنحنح ينفض أفكاره التي تزداد تطرفا وجنونا مع الوقت ليقول بجدية " مادمت تقدرين ما فعلته أنا .. فعليك أن تقدري ما فعلت هي كفتاة غريبة في بلد وحيدة ولا تملك شيئا ولا تريد أن تمتهن كرامتها " .

حدقت فيه بنظرة غاضبة وهي تقول " أراك معجبا بها جدا " .

شاكسها ورد بنفس النغمة " وأنت أيضا معجبة بها لكن لا تعترفين .. أستطيع قراءة ذلك دون مجهود .. وهذا يثير روح المنافسة بداخلك "

زفرت ولم ترد وعادت لتلتهم البيتزا بينما أشعل هو سيجارة أخرى يتأملها بنظرات مختلسة .

سألته " هل مازلت غاضبا من أحمد ولا تتحدث معه "

رد ببرود وهو يمج في سيجارته " لا تتدخلي بيني وبينه "

Des. Maryam Tamim

ردت بعصبية " لكنه ليس له ذنب انها من كذبت على الجميع .. لا تسمح لها أن تفسد صداقة عمرها أكثر من ثلاثين عاما "

رد عليها بحزم " ما بيني وبين أحمد لن يمحى بسهولة .. فلا تشغلي بالك بالأمر "

قالت ببعض الغيرة " أحيانا أشعر أنك تبالغ في حبه وهذا يشعرني بالغيرة منه " .

ابتسم ابتسامة ساحرة ليرد معترفا " لا أنكر أني محظوظا بوجود الكثير من الناس حولي وأني أحبهم كلهم .. لكني اعترف أني أحب أحمد جدا .. حين كنا صغارا كنا نفعل المصائب سويا ثم أنفي اشتراكه معي فيها لأتلقى العقاب وحدي .. حتى أني تعمدت أن أرسب في الابتدائية حتى نكون سويا في نفس السنة الدراسية وحين لم أجد نفسي معه في نفس الفصل ..افتعلت مشكلة كبيرة وانتابتني نوبة غضب.. كسرت فيها عددا من

Des. Maryam Tamim

المقاعد ..وتم استدعاء الحاج سماحة ..وكانت قصة كبيرة كادت أن توشك بطردي من المدرسة"
اسندت ذقنها على قبضتها تنظر إليه بعينين تشتعل بوميض نجوم تتراقص لتسأل " وكيف انتهى الأمر "
قال بحرج " عرض الحاج مبلغا من المال لإصلاح ما أتلفته.. وتدخل لدى المدير لنقلي لنفس الفصل مع أحمد وعمرو .. بعدها أصبحت أحرص على المذاكرة حتى أبقي على ما حصلت عليه ..وهو أن أكون مع أحمد في نفس السنة الدراسية .. فلولا وجود هذا الهدف لما اهتميت بالدراسة أصلا .. حتى جاء مجموعي في الثانوية العامة لا يسمح لي بالالتحاق بكلية الهندسة مثله.. وحقدت كثيرا على عمرو وقتها عندما التحق لنفس الكلية معه .. لكنهم أقنعوني أن التحق بكلية التربية الموسيقية لما لي من حس موسيقي.. وقد كان (صمت قليلا ثم قال بمرارة) معظم الناس كانوا يظنون أني أتقرب

Des. Maryam Tamim

من أحمد لأضمن وجودي في بيت سماحة لكن الحقيقة كانت غير ذلك .. أنا أدين بالفضل لثلاث بيوت بيت سماحة وبيت القاضي وبيت مجدي موريس.. لكني فعلا أحب كل أهل سماحة حبا صادقا كما لو كانوا أهلي الحقيقيين .. حب أصقلته السنين.. واصقلته صفاتهم وأخلاقهم وما فعلوه من أجلي .. والحب شيء والإعتراف بالجميل شيء آخر "

سألته وهي مستمتعه بحديثه " إن كنت تحبه إلى هذه الدرجة فربما كنت تغير من عمرو لأنه أيضا مرتبط به " .

حرك أصابعه على كوب الماء أمامه وهو يستعيد الذكريات ثم اعترف بابتسامة محرجة " قضيت وقت طويل من طفولتي أحقد على عمرو بالذات .. ليس فقط لأنه ابن الشيخ .. ولا لأن والدته معروفا عنها انها تبالغ في حمايته .. ولكن لقربه من أحمد ..

Des. Maryam Tamim

لدرجة أني أشك أن سبب إتجاهه للتايكوندو كان ليدافع عن نفسه لأني كنت أضربه"
صمت قليلا وهو يبتسم بحرج فسألت باستمتاع "وشعورك نحوه الآن ؟"
رد بسرعة " طبعا كان هذا ونحن صغار .. لكن عندما غادرت فترة المراهقة وبدأت أستقر نفسيا أكثر .. أعدت تقييم أمور كثيرة في حياتي .. وتوطدت صداقتي بعمرو وأصبحت صداقة وحبا حقيقيا ..وأنا مستعد لأن أفديه بنفسي .. كبرت وفهمت أن علاقة أحمد بعمرو لا تهدد وجودي في حياة أحمد وحبه لي .. فنضجت مشاعري "

تنهدت في غيرة " أحقد عليكم جميعا .. لم احظ أبدا بتلك الصحبة التي تضمكم .. ولم ألحق شبابكم لأكون جزءا من ذكرياتكم " .

Des. Maryam Tamim

قال بجدية " أعترف بأني كنت محظوظا بوجودي في وسطهم .. وأنت أيضا عليك أن تبحثي عما أنت محظوظة به .. فبرغم من إفتقاد كل شخص لشيء ما بشدة لكنه في المقابل يمنح رزقاً مميزا من ناحية أخرى .. وأنا كنت محظوظا معهم وبهم .. وبقدر ما كان الوجع من المفقود كبيرا كان الرزق الممنوح في المقابل كبيرا أيضا "

تأملته شاردة وتمتمت " صدقني لم أكتشف حتى الآن ما أنا محظوظة به (ثم هتفت مغيرة للموضوع فجأة) متى سيصدر ألبوم (.....) الغنائي ؟"

رد بابتسامة " في عيد الفطر بإذن الله تعالى " صفقت بيديها بفرح ثم قالت بصدق " سينجح لحنك والأغنية ستكتسح الأسواق .. أنا أكيدة من ذلك " .

Des. Maryam Tamim

إلتقت نظراتهما لثوان ثم تنحنح يقول " هيا لقد تأخر الوقت ولا أريد أن أسبب لك أو لي أيا من الحرج" .
عبست في اعتراض طفولي فأشار للنادل ليحضر الفاتورة وهو يقول بحزم " هيا يا آية "

استقامت في عصبية وهي تسحب شنطتها وقالت "سأذهب للحمام "
راقبها وهي تتحرك بأناقة أنثوية أكبر من عمرها الحقيقي .. مشيتها المتهادية بثقة وكبرياء أنثوي تلقاها قلبه بوجع وكأنها تخطو فوق قلبه بقدميها الصغيرتين ..
وسقطت عينيه على وشاحها الموضوع على ظهر الكرسي فتحرك كفه دون إرادة منه يتلمس قماشه وكأنه يستجدي وصال صاحبته خلسة . . بينما عقله يتهمه بالجنون وضميره يذبحه ذبحاً .

Des. Maryam Tamim

***

طرق على باب شقة سماحة جعل أروى تقول "هلا فتحت الباب يا بانة من فضلك أعتقد أنه فتى السوبر ماركت "
فتحركت بانة لتلتقط إسدال الصلاة وترتديه .

حين فتحت الباب لم يكن هناك أحد .. فأطلت برأسها بتعجب تسأل " من ؟ " .

يد قبضت على ساعدها فجأة تشدها لخارج الشقة بينما هي تطلق صرخة مكتومة مرتعبة ..
سرعان ما تنبه عقلها لصاحب الرائحة المميزة جدا التي تصيبها عادة بخدر في كامل جسدها. .. تبعها اشارة من يده لتبقى هادئة بينما يده الأخرى أغلقت باب الشقة من الخارج .. وهو يقول بهمس " اششششش ... لا تخافي أنا أحمد "

Des. Maryam Tamim

بدأ رعبها يتلاشى لكن طبول قلبها مازات تهدر بهدير يضغط على أذنيها .. فتمتمت بارتباك " أحمد !.. متى عدت من السفر ؟"
صمت يتأملها فازداد إرتباكها وقالت بهمس "أترك ذراعي أنت تؤلمني "
انتبه لأنه مازال يمسك بساعدها فتركه ليتأملها بملئ عينيه .. ثم مد يده لمفتاح الضوء يشعل ضوء السلم ليراها بوضوح ..
حين اشتعل الضوء أنار وجهها قلبه وكيانه كله.. فتأملها بعد أن قاربت حروق وجهها وبثوره على الاختفاء ..فوضحت ملامحها الجميلة ...وبشرتها البيضاء.. وقد أضفى الحجاب عليها هالة من الغموض والسحر لتؤكد هيئتها الأنثوية به .. وتظهر ملامحها أكثر وضوحا ودقة .. عيناها الجميلتان .. وأنفها المستقيم الذي يحبه .. وشفتاها المكتنزتان اللتان تخفيان إبتسامة ملفتة عذبته كثيرا ..

Des. Maryam Tamim



أي غبي صدق يوما أن هذه الملامح يمكن أن تكون لرجل !.

خجلت من تحديقه فيها فمدت يدها وأطفأت الضوء .. فمد يده وأشعل الضوء يتأملها في صمت وقلبه يرتجف ..

أخيرا .. رأها ..

تعرقت وودت لو تنشق الأرض من تحتها وتبتلعها..

فمدت يدها باصرار وأطفأت الضوء.. فمد يده وأشعله بإصرار أكبر ..

وحين مدت يدها لتطفئه حجز يدها على مفتاح الضوء الذي بقى مشتعلا كاشتعال قلبه وهو يمسك بكفها على الحائط . .. سرت القشعريرة بينهما وبدى الطقس استوائيا .

جاهدت ليخرج صوتها وتفاجأت من المشاعر التي تشعر بها في لحظتها ..

مشاعر لم تعرفها من قبل ..





مشاعر معقدة كرهتها وأحبتها في نفس الوقت ..
وتمنت أن تستسلم لها وأرادت الفرار منها ...

سحبت يدها من تحت يده بإرادة قوية فأقترب
منها أكثر ..لتلتصق منكمشة بزاوية الحائط وهو
يحاصرها .. يمنعها من الفرار ...

أطرقت في إرتباك لم تعهده في نفسها وهي تتمتم
بصوت خفيض " لا أصدق أنك كنت تعرف
الحقيقة قبل تلك الليلة .. أروى أخبرتني" .

تأمل رأسها المطأطأ أمامه من هذا القرب الشديد
فلو تحرك شبر واحد لالتصقت رأسها بصدره ..
قيم طولها الذي يصل لكتفه حين ترفع رأسها
ليقتنع في إعجاب أنها طويلة القامة كأروى .

Des. Maryam Tamim

احنى رأسه نحوها يكاد يمس قماش الحجاب بشفتيه يستنشق رائحتها بشوق وسأل بهمس "أعرف ماذا ؟" .

فركت كفيها تسيطر على إرتجاف جسدها وهمست "أني ... أني .. فتاة " .

اقترب أكثر يحاصرها بحضوره المذيب لأعصابها دون أن يلمسها وهمس بالقرب من أذنها " هل تعلمين أن حقيقة أنك فتاة تجعلني ممتنا لربي سبحانه وتعالى ؟! .. صدقيني الأمر عجيب حتى أني لم أفصح به لأحد حتى لا يتهمني بالجنون .. لكني كلما أفكر في تلك الحقيقة أن الكائن الماثل أمامي الآن هو فتاة أسجد لله شكرا "

تجاهلت بتعمد التفكير في معنى كلامه فما يقوله ويفعله إبن سماحة مؤخرا يجعلها تفكر في أمور غير قابلة للتصديق فسألته دون أن ترفع رأسها "لماذا لم تخبرني أنك تعرف ؟"

Des. Maryam Tamim

رد عليها بمشاكسة " ولماذا أخبرك أني أعرف إن لم تخبريني أنت بنفسك " .
تملكها الغيظ فرفعت رأسها فجأة بعصبية .. فارتطمت بذقنه بينما تحرك هو للخلف قليلا لتقول بغضب " وهل كان الأمر ممتعا وأنت تراني أقوم بدور الشاب .. هل استمتعت ؟! "
ابتسم لها وهو يمسد ذقنه ثم اعتدل ينفش كتفيه بخيلاء واضعا يديه في جيبه وقال بإغاظة " ممتع جدا خاصة حين تتصنعين صوت غليظ ليس له علاقة بالرجال .. وحين تصرخين في وجهي بصوت نسائي رفيع ..صدقيني تمثيلك فاشل .. وحين تنادي باسمي بلهجتك فيبدو اسمي منطوقا بدلع ".
فارت الدماء في رأسها وقالت بنظرة غاضبة وكأنها تدفع عن نفسها سُبة " أنا لا اتدلع "
رد بإصرار مستفز " بل تتدلعين "
ثم أخذ يرقق صوته ويقلدها في نطق اسمه .

Des. Maryam Tamim

ضيقت عينيها وعضت على شفتها تكتم غيظها ثم هتفت " متى عرفت ؟ وكيف ؟ ".
تنهد ثم رد بجدية " منذ أن عرفتك وأنا غير مرتاح أشعر أن هناك شيء غامض يتعلق بكِ .. ثم تطور الأمر لشعوري تجاهك بمشاعر مرتبكة"

قاطعته في استفهام " أية مشاعر؟ "
صمت قليلا يتأملها بنظرة غامضة ثم أكمل حديثه " ثم تطور الأمر ليحيل حياتي لجحيم مستعر .. بعدها قررت إبعادك عن محيط رؤيتي حتى أتخلص من هذا الجحيم من الأفكار ... ثم ازداد الأمر سوءا حين اصطدمت بأبي وموضوع العمل بالمشروع ثم تلك الليلة التي كنت فيها سكرانا و .. و ضممتك إلي صدري .. وطردي من البيت .. لهذا تدخل عمرو وطلب منكِ الرحيل حتى استطيع السيطرة على ما يحدث لي " .

Des. Maryam Tamim

صمت قليلا وقد زاد شحوبها من ذكرى الليلة التي ضمها لصدره فاندفعت تسأله وهي تخشى سماع الإجابة لتستبين هل علم حين ضمها إلي صدره فسألت بخفوت متردد " ومتى بالتحديد تأكدت.. أني .... فتاة؟" .

تأملها مجددا وهو يتلذذ بكل قطرة من المشاعر التي تموج في صدره في تلك اللحظة ثم قال "تخليت عن حيرتي بطريقة عجيبة .. بل بمعجزة ورحمة من الله عليّ.. تجعلني ممتنا له أن نجاني قبل أن أفقد عقلي "

سألته بترقب "كيف ؟"

قال بلهجة ذات مغزى " فتشت شقتك "

اتسعت عيناها في عدم تصديق لثوان وعقلها يحاول إستيعاب مالذي يمكن أن يراه فيها ليكتشف الحقيقة فسألت بذهول" مالذي وجدته بالضبط لتتأكد ."

Des. Maryam Tamim

أخرج هاتفه من جيبه ثم فتح لها صورة جواز سفرها وقربها من وجهها .. فنظرت للصورة ثم قالت بتماسك " ليس دليل كاف .. فربما أنا رامز وأحمل جواز سفر أختي كما أحمل أنا الآن جواز سفر أخي بالرغم من أنه لم يأتي معي إلى هنا "

فقال لها بهدوء مستمتعا بحيرتها " دققت وقارنت بين ملامح الصورتين لأجدك أقرب لصورة الفتاة" .
ردت باستخفاف " لكن الصورة تظهرني ممتلئة قليلا كما أنا في العادة .. بينما أنا فقدت بعضا من الوزن " .
قيمها بنظرة ذكورية بطيئة من رأسها لأخمص قدميها ثم قال " بل كثيرا من الوزن على ما يبدو"

احمرت خجلاً فهتفت بعصبية تداريه " هذا ليس دليل منطقي أيضا يجعلك تتأكد من أني فتاة "

Des. Maryam Tamim

ابتسم بمكر فحبست أنفاسها وأشاحت بوجهها بعيدا عنه ليحرك الصور في هاتفه ويرفعه أمامها مرة أخرى .

حينما تطلعت للشاشة شهقت وهي ترى صورة لضفيرتها العسلية ثم سمعته يقول " وهل تحتفظي بتلك الضفيرة كذكرى خالدة من أختك .. أم .... تحتفظي بهذا الشيء النسائي .. كذكرى خالدة منها !!!!! " .

حرك الصورة لصورة أخرى جعلتها تصرخ بهلع .. و قفزت من مكانها فدفعت باب الشقة فانفتح بسهولة .. دخلت الشقة وأغلقت الباب في حرج.. بينما صوت ضحكته المجلجلة تطاردها من وراء الباب الذي أوصدته بالمفتاح ثم هربت إلى غرفة أروى وهي تغلي من الغضب وتتمزق من الحرج. . بينما أحمد يطرق على الباب وينادي عليها لتفتح .

Des. Maryam Tamim

طالعتها أروى بذعر من تلك الهيئة التي اقتحمت بها الغرفة .. وجهها محتقن تموج من الغضب فسألتها بقلق "ماذا حدث يا بانة؟!!!!!! " .. تجولت بانة بعصبية في الغرفة كحبة ذرة على سطح ساخن ثم استدارت لأروى تهتف من بين أسنانها " كنت تعرفين أن أحمد من بالباب أليس كذلك " .

ضيقت أروى عينيها وعضت على شفتها كالأطفال وردت " آسفة .. أعترف أني أضعف أمامه " .

حدجتها بانة بغيظ ومدت يدها في الهواء وكأنها تحاول خنقها وهتفت " أنتِ نذلة وجبانة "

تصنعت أروى الإرتباك وقالت بمزاح " تهمة لا أنكرها .. ماذا فعل هذا الشقي ؟؟؟"

جزت على أسنانها ثم قالت " إنه ... إنه .. مستفز .. غليظ .. لا أتحمل وقاحته.. وسيجعلني أغادر البلد كلها هربا من وجهه " .

Des. Maryam Tamim

ثم توجهت نحو الحمام الملحق بغرفة أروى
وأغلقت الباب وراءها بعنف ..

زفرت أروى في توتر وحركت كرسيها تخرج من الغرفة بينما أم أحمد تفتح الباب وهي تتعجب عن سبب إغلاقه بالمفتاح من الداخل .. حين دخل أحمد هللت إلهام " حمد لله على سلامتك يا حبيب أمك .. من الجيد أنك أتيت قبل رمضان لتفطر أول يوم في بيتك يا ضنايا "
ضمها أحمد لصدره وهو يقبل رأسها ثم قال " كل عام وأنت بخير يا ست الحبايب .. أتضور جوعا يا أمي " .
ربتت إلهام على صدره واختفت داخل المطبخ فتحرك تجاه أروى يقبل رأسها فأبعدت رأسها عنه تسأله في توبيخ " ماذا فعلت يا جِلف لتغضبها بهذاالشكل ؟"

Des. Maryam Tamim

تحكم في إبتسامة تلح عليه وحرك كتفيه في لامبالاة وقال " لم أفعل شيء .. طلبت أن تعرف كيف تأكدت أنها فتاة فأريتها الأدلة " .

ضيقت أروى حاجبيها وسألته " أية أدلة ؟؟!!"
فتح هاتفه وأرها أخر صورة رأتها بانة فصرخت أروى وأخذت تضرب فيه وتلقي عليه أي شيء تصل إليه يدها وهي تهتف " يا وقح .. يا جلف ..يا قليل الحياء .. يا عديم الأدب " .
بينما ألقى أحمد نظرة أخرى يطالع الصورة أمامه على شاشة الهاتف .. صورة علبة فوط صحية نسائية .. وانفجر ضاحكاً .

****

بعد أيام :

تأملتها بأنة بشفقة وألم .. قطرات العرق تتصبب من جسدها النحيف .. وهي تحاول جاهدة السير

Des. Maryam Tamim



ممسكة بالدعامات على الجانبين وعلامات الألم والمجهود تلوح على وجهها .. الممرضة تقف بجانبها تدعم جسدها و طبيب العلاج الطبيعي يعطي التعليمات .. كانت تبدو غارقة بنحافتها في ثوب المرضى الأزرق المكون من بنطال واسع وقميص من نفس اللون بينما حجابها يغطي بهاء شعرها الجميل .

بعد قليل كانت أروى تتمدد على الأرض وتحاول رفع جذعها للأمام بوجه مكفهر متألم .

عند إنتهاء الجلسة تحركت بسرعة بانة تسندها مع الممرضة لتجلس على كرسيها وهي تمنحها إبتسامة مشجعة وتساعدها في تجفيف عرقها بمنديل ورقي .. فقالت أروى بسخرية " ما رأيك هل مازلتِ عند رأيك أني جميلة وفاتنة حتى وأنا أتلوي كأرنب مسلوخ بين التمرينات "



ابتسمت لها بانة وقالت بلهجة حانية " بل انك رائعة .. يا عزيزتي " .
بعد قليل خرجت إليها أروى من غرفة اللبس بعد أن بدلت ملابسها فشكرت بانة الممرضة وسارت بجوار كرسيها وهي تسأل " هل بلّغتِ السيارة الخاصة بالمركز بموعد انتهاء جلستك يا أروى.. أم سنعود مع أحمد كما أتينا " .
قالت أروى " أحمد سيأتي .. دعينا نجلس قليلا بمقهى المركز ..نطلب شيء لنشربه وندردش "

بعد قليل كانتا تجلسان بالمقهى فسألتها أروى "هذه أول مرة تخرجين منذ تلك الليلة وهي المرة الأولى منذ مدة طويلة تخريجن بملابس أنثوية وحجاباً كيف هو شعورك ؟ "
ردت بانة وهي تتنهد في راحة " أشعر أني استعدت نفسي.. أستعدت أماني .. ربما لأني لا أخشى الآن أن يوقفني أحد ويكتشف هويتي المزيفة .. ربما لأن

Des. Maryam Tamim

الوضع أصبح مختلفا قليلا عن ذي قبل .. وأني لست وحدي.. لكنه شعور بالراحة الكبيرة وخاصة وأنا أرتدي الحجاب "

ردت أروى بصدق " وأنا سعيدة لأنك وافقتِ على الخروج معي .. ليتني أستطيع أن أتحرك بدون كرسي صدقيني كنا فعلنا أشياء كثيرة خارج المنزل أنا وأنت"

قالت بانة بصدق " يوما ما سنفعلها .. فقط ركزي على هدفك وتمريناتك .. ويوما ما ستقفين على قدميك بسهولة وتمشين وتجرين وأعدك أني سأكون معك وقتها لنفعل مالا تستطيعين فعله الآن" .

ضغطت أروى على شفتيها في عبوس طفولي وقالت "أريد فقط أن تسامحيني .. ولا تغضبي مني "

تفاجأت بانة بكلامها وسألتها " ماذا تقصدين ؟ "

Des. Maryam Tamim

قالت أروى بشعور بالذنب " هو من فرض علي حضوره.. "

سألت بانة بفضول " من ؟!"

قالت أروى " سيد اتصل وعلم أني سأذهب لجلسة العلاج الطبيعي وعرض أن يصحبني بسيارته لكني أبلغته أني سأذهب بسيارة أحمد وعندما علم أنك ستأتين معي أخبرني أنه سيمر علينا هنا .. أسفة لو كنت لم أخبرك من قبل "

ابتسمت بانة وقالت " لا بأس .. علي أن أوجهه عاجلا أم آجلا " .

بعد قليل اقترب سيد بخطوات متمهلة من منضدة الفتاتين .. أروى تلوح له .. بينما استدارت فتاة ترتدي بنطالا من الجينز ورداءً قصيرا حتى ركبتيها كملابس الباكستانيات و تلف حول رأسها وشاحا بنفس لون الرداء ..

Des. Maryam Tamim

خلع نظارته الشمسية يتأمل الفتاة بصمت .. هذه هي المرة الأولى التي يراها فيها .. بعد رؤيتها الصادمة له بالاسدال تعرف نفسها للجميع بشجاعة باسم بانة .. الأمر كان صادما جعله يعيش يومان في ذهول يسترجع أمور ومواقف قديمة ويقارنها بحقيقة كونها فتاة ليجد أن الامر بدى أكثر منطقية بهيئتها الأنثوية ..وأنه كان حمارا كبيرا .. ومع الوقت واستيعاب الأمر بدأت هيئة رامز وكينونته تندمج شيئا فشيئا مع الهيئة الأنثوية لصاحبة الاسدال التي أطلت في شموخ وشجاعة ذلك اليوم .. فبدأ يستوعب الموقف إستيعابا كاملا .. وقرر أن يواجهها ويتخطى صدمته .. لكنه لن يغفر لنفسه أبدا أنه كان حمارا كبيرا .

حين إلتقت عيناه بعيني بانة الشهيرة برامز ووجدها قد احمرت وأطرقت في خجل ..فلم يستطع سيد المقاومة ... وانفجر ضاحكا في هستيريا.

Des. Maryam Tamim

اقترب منهما وهو غير قادر على التحكم في هيستيريا الضحك حتى أنه لفت انتباه رواد المقهى حولهم .
تحول خجل بانة لحرج وغيظ منه فنظرت إليه وتكتفت تتطالعه بهدوء ونظرة صقيعية تعلو وجهها .

بعد دقائق قال وقد دمعت عيناه من نوبة الضحك التي لم تنتهي بعد " لا استطيع أن أتخيل أني أراكَ بفستان " .
استمرت في النظر إليه ببرود وهي متكتفة بينما هتفت أروى " اجلس يا سيد واهدأ صوتك الجهوري وحده يلفت الانتباه ستفضحنا "

سحب كرسيا بجوار أروى ليجلس مواجها لبانة يمسح بعض الدموع بطارف عينيه من نوبة الضحك وقال "وأية فضيحة .. لن يصدقوا أصلا

Des. Maryam Tamim

القصة حين أخبرهم أن هذا الكائن الماثل أمامي في ثوب النساء كان منذ اسبوعين ... "
بتر كلماته ليدخل في نوبة ضحك أخرى .. ثم نظر إليها وهي لا تزال واقفة تطالعه بهدوء فقال "إجلسي إجلسي .. أم تريدين أن أسحب لك كرسيا يا آنستي ؟"
وتحرك يسحب لها الكرسي بحركة مسرحية ووجهه أحمر يكتم المزيد من الضحك فشدت منه الكرسي ببرود وجلست .

جلس يحدق فيها في صمت وتفحص فاحمرت وأدارت وجهها بغيظ بينما وبخته أروى " كف عن إحراجها يا سيد ".

رد بعناد طفولي " هي التي أحرجتني أمام نفسي .. حين جعلتني أكتشف أني حمار .. بينما ابن سماحة الخبيث ألتقطها أسرع مني " .

Des. Maryam Tamim

اشتعل وجهها حين ذكر اسم أحمد وتذكرت ما دار بينهما أمس على السلم وبسببه لم تستطع النوم طوال الليل تحلل كلماته وتحاول تقييمها حتى لا تقفز لمعانٍ وهمية .
نفضت تلك الأفكار من رأسها لتعتذر لسيد اعتذارا كانت صادقة فيه " لم أقصد يا سيد أن أكذب عليكم .. أنا كنت أعيش بهذا الشكل قبل أن أقابلكم وحين قابلتكم لم أكن أعرفكم وحين عرفتكم لم أعرف كيف أعترف بحقيقة صادمة كهذه "

رد سيد بجدية " لا داعي للاعتذار .. الأمر كله مؤلم حين أفكر به ولا ألومك على شيء صدقيني"
ثم استعاد صوته بعض المرح ليقول " إلا أنك وصمتيني بالحمورية .. وهذا لن أنساه لك أبدا "

لمح أحمد قادم من بعيد فتأفف وقال وهو يسحب هاتفه ومفاتيحه من على المنضدة " ها قد أتى على

Des. Maryam Tamim

السيرة ! (ثم نظر لبانة وقال بجدية) أنا جئت فقط لأذكرك بما قلته لك أول ما قابلتك عند الورشة .. هل تذكرين ؟(أومأت بنعم فاستطرد) أنا أعيده عليك مرة أخرى وأؤكده .. إذا احتجت لشيء أنا هنا .. وإذا تنمر عليك ابن سماحة اخبريني فقط وستكونين وقتها أسديتِ لي أكبر خدمة ".

أقترب أحمد وهو يقول " السلام عليكم .. ما به ابن سماحة .. ألا تخاصمه؟ "

تجاهله سيد وتحرك يتجاوزه وهو يقول " أراكم على خير "

أمسكه أحمد من مرفقه بحزم قائلا " ألن ترد السلام؟ "

حدجه سيد بنظرة باردة ثم قال " السلام لمن يستحق السلام "

رن هاتف سيد فنفض ذراعه من أحمد ورد في الوقت الذي رن هاتف أحمد أيضا .

Des. Maryam Tamim

سيد " نعم أمير "
أحمد " ماذا هناك يا عمرو "
ثم تلاقت عيناهما في هلع وهتفا معا " وائل ! "

****

دخل أحمد رواق المستشفى بتوتر بعد أن أوصل الفتاتين للبيت بينما سبقه سيد للمستشفى .
استقبله وجه عمرو الغارق في الحزن فسأله بلهفة وهو يطالع أمير الذي يجلس يدفن وجهه بين يديه وسيد الذي يتحرك في عصبية جيئة وذهابا كأسد في قفص " كيف حاله ؟" .
قال عمرو بأسى " انتكست حالته ويشكّون أن الورم قد انتشر لمكان آخر .. وضعوه في العناية المشددة لحين إستقرار حالته ".
علا نشيج أمير فتحرك عمرو نحوه وجلس بجواره يربت على كتفه " تماسك يا أمير بالله عليك .. لا نريده أن يرى أحد منا في هذه الحالة"

Des. Maryam Tamim

لم يستطع أمير السيطرة على نفسه فدفن وجهه في كفيه.. بينما أشار أحمد لعمرو يسأله عن سيد ..
فقال عمرو بصوت خفيض " حاول إقناعه بأن يأخذ حقنته أخشى أن يلحقه بالغرفة المجاورة "
نظر أحمد إلى سيد فاستطرد عمرو من بين أسنانه "خلصنا الطبيب من بين يديه بصعوبة كدنا أن نُطرد من المستشفى بسببه "
إقترب أحمد من سيد ومد يده يلمس ذراعه فنفض سيد ذراعه بعنف وهتف بعصبية " أنت بالذات لا تلمسني " .
وبخه عمرو بصوت خفيض " اخفض صوتك الجهوري هذا يا سيد بالله عليك سنطرد "
قال أحمد بهدوء " خذ دواءك وسنتركك "
هدر سيد بإصرار " قلت لا شأن لك بي "
قال أحمد من بين أسنانه " لقد تركت لك وقتا لتهدأ ... إفهم يا غبي .. أنا لم أخبرك ليس لأني لا أثق بك .. أنا فقط خشيت أن تعاملوها معاملة

Des. Maryam Tamim

خاصة فتعرف أننا على علم فتخاف وتهرب .. أنا لا أعرف خلفيتها النفسية وأي تجارب مرت بها لتقوم بأمر غريب كهذا .. فأردت أن أترك لها الوقت لتخبرنا عندما تكون مستعدة لذلك .. صدقني لو طال الأمر أكثر لكنت أبلغتكم صدقني .. وعموما أعتذر لو كنت تصرفت بغباء "

تجاهل سيد كلامه وتحرك بعصبية يجلس على كرسي في آخر الممر .. فأشار له عمرو أن يتركه وهو سيتصرف معه .

***

بعد ساعات :

تحرك أحمد نحو سريره يطالعه وقلبه يعتصر ألما الوقت قد تجاوز منتصف الليل بقليل .. وقد تعمد ألا يدخل إليه حتى لا يتألم قلبه لكنه لم يستطع الصمود .. كانت الغرفة صامتة هادئة لا تملؤها ضحكاته كالعادة .. الصمت يغلف المكان إلا من

Des. Maryam Tamim

صوت الأجهزة الموصلة بخراطيم صغيرة بجسده تصدر صفيرا منتظما ..
مد يده فمس شعره الأشقر وهمس " هيا يا رجل .. لا تخذلنا " ..
لم يستطع التحمل أكثر فتحرك خارجا من الغرفة بسرعة يخلع ملابس العناية المركزة وهو يشكر الممرضة التي سمحت له بالدخول في غير وقت الزيارة المسموح .

تطلع لماجدة التي تجلس بجوار الغرفة في صمت تتلو آيات من الكتاب المقدس بيدها .. فتعجب من تلك السيدة التي طالمها أصابته بالحيرة في المرات القليلة التي جمعته بها .. انها صموتة عابسة كئيبة دائما .. حتى اليوم لم تتكلم كثيرا .. ومع هذا باءت كل محاولات أمير وسيد لإقناعها بالعودة للبيت معهما بالفشل.

Des. Maryam Tamim

رفعت ماجدة نظرها إليه فابتسم لها إبتسامة مشجعة لكنها لم تبدي أي رد فعل وعادت لتقرأ الإنجيل .

تحرك بالممر ليجد عمرو مازال يصلي في ركن من الممر مستغلا الهدوء في حركة المارة بالمستشفى في هذا الوقت المتأخر .. ولاحظه في الاستراحة بين الركعات يطالع هاتفه بصمت ..
فتساءل عن حاله مع فتاة الانترنت .. ترى هل تعرف على حقيقتها .. هل تجاهلها؟ .. هل مازال على علاقة بها ؟ حاله لا يعجبه أبدا في الفترة الأخيرة يبدو مهموما حزينا بشكل لم يعهده به .. وكالعادة فهو صموت منغلق لا يبوح بما يشعر به بسهولة ..
لم يتوقع أبدا أن يهتم عمرو بأي فتاة فهو عادة شخص جاد وواقعي .. وموضوع الزواج بالذات يتعامل معه كواجب أو تقليد .. أو ربما فرصة

Des. Maryam Tamim

لإسعاد أبويه بإنجاب أحفاد لهما .. لكن لم يتوقع أبدا أن يتعلق عمرو يوما بفتاة .

على ذكر سيرة الفتيات .. تذكر وجهها وهيئتها الجديدة .. فسحب نفسا قويا يهدئ نار تشتعل في صدره في شوق إليها .. واعترف لنفسه أن مشاعره تتدفق وتتكاثر وتزداد حجما وحيزا في كيانه كله مؤخرا.. وكأن إعلان الحقيقة قد حرر مشاعر مدفونة هو نفسه لم يتوقع وجودها بهذه القوة... تذكر كلمات أروى له " سترغب في الزواج حين تجد من تجعلك تلهث للحصول عليها " .. ومع بانة هو مستعد أن يعبر المحيطات ويتسلق أعلى الجبال من أجل الحصول عليها ..

ابتسم لنفسه وتمتم " أصبحت شاعرا يا أحمد بسبب تلك الـ بانة واردة الخارج ".

Des. Maryam Tamim

فتح هاتفه واتصل بها وهو يقول بتسلية " ترى كيف سيكون رد فعلها وأنا أوقظها من النوم؟ .. خاصة وهي مازلت حانقة عابسة بسبب تلك الصورة على هاتفي .. وعبوسها في وجهي طيلة الطريق اليوم من وإلى المركز الطبي .. "

في غرفة أروى تلوت بانة في السرير بقلق وهي تطالع الهاتف من وقت لآخر .. كانت بجوار أروى التي تشاهد حلقة من مسلسل كوري على الحاسوب .. وبرغم أن بانة بدأت تتابع حلقات المسلسل معها في شغف وقد كانت لأول مرة تجرب هذا النوع من المسلسلات فأحبته جدا..

لكنها اليوم قلقة وعقلها يموج بكثير من الأفكار .. قلقة على وائل .. قلقة من مصيرها بعد شهر رمضان .. تفكر كثيرا ....كثيرا جدا فيما يفعله معها ابن سماحة ..

خلعت أروى النظارة الطبية التي تستخدمها للقراءة وسألتها بفضول " لماذا أنتِ قلقة؟ "
توسدت بانة ذراعها وقالت " لا أعرف لا أستطيع النوم ولا المشاهدة "
ثم سألتها " لماذا يبيت أحمد معه؟ .. من الممكن أن يأتي لينال قسط من النوم ثم يذهب إليه في الصباح "
ردت أروى بمكر " لماذا لا تسألينه أنتِ؟! "
اعتدلت بانة على ظهرها تحدق في سقف الغرفة تهرب من نظرة أروى المتفحصة وقالت " لا شأن لي به .. هو حر فيما يفعل .. سأنام "
ثم استدارت توليها ظهرها ..

فجأة رن هاتف بانة فانتفضت جالسة وهي تحدق في الشاشة وقد لاح الاسم الذي سجلته مؤخرا ليكون (السيد الوقح).
قالت بارتباك لأروى " انه أحمد "

Des. Maryam Tamim

غمزت أروى بعينها فأحمرت بانة وهي تجلي صوتها وترد بهدوء يتناقض مع ضربات قلبها التي تعصف في نفس اللحظة .
سألها بهدوء وهو يسند رأسه على الحائط في إرهاق " لماذا لم تنامي بعد ؟"
ردت ببرود " كنت نائمة و شخص فظ أيقظني "
ابتسم بإرهاق وتحرك في الممر باتجاه مقهى المستشفى وهو يقول " ها هو لقب إفترائي آخر تطلقينه علي شخصي المظلوم سأسجل هذه المكالمة لتكون دليلا ".

سمعت صوت ضربات قلبها واضحة كدقات بندول الساعة ..ونظرت لأروى التي عادت ترتدي نظارتها تتابع المسلسل.. فتركت السرير وخرجت إلى الشرفة .. لترمقها أروى بنظرة مختلسة من فوق النظارة وابتسمت .

Des. Maryam Tamim

سألته بانة " دليل على أي شيء "
رد عليها وهو يشير لفتى المقهى الناعس على المنضدة في هذا الوقت من الليل يطلب كوبا من الشاي " دليل على أنك تشوهين سمعتي يا أستاذة .. ألا تتقين الله في أولاد الناس ؟" .
ابتسمت رغما عنها ثم قالت " صوتك مرهق " جلس على إحدى مقاعد المقهى الفارغ إلا من شخص أو اثنين واعترف بصوت ضعيف مجهد " مرهق جدا"
نغزها قلبها شفقة عليه فقالت " لماذا لم تأتي لتنام قليلا مادام وائل لم يستيقظ بعد " .

رد عليها بهدوء " أنا وعمرو بقينا .. لن نستطيع النوم حتى لو ذهبنا لبيوتنا .. كما أن ماجدة اصرت على البقاء فلم نستطيع أن نتركها وحدها في المستشفى تجلس على كرسي في الممر "

Des. Maryam Tamim

سألت بانة باهتمام " وأين الباقين " .
سحب نفسا عميقا وقال " أمير اضطر للذهاب للبيت فورا للاطمئنان على الخالة أنجيل التي فاجأتها نوبة سكر عندما علمت بمرض وائل .. وسيد ذهب معه ".
ردت بتأثر " أجل أعلم .. أمي الحاجة ذهبت إليها منذ العصر ولم تعد حتى الآن .. من أخبر والدته بالأمر ؟"
رد أحمد بهدوء " إحدى الفتاتين وقعت بلسانها "
فجأة هتف بعصبية يقول " أوبسسس ! " وأخذ يشتم من بين أسنانه.
سألته بانة بقلق " ماذا حدث ؟؟!!!! "
أسند الهاتف بين رأسه وكتفه وقال وهو ينفض بنطاله بمنديل ويلمع حذاوه بقرف " وقع بعض من الشاي على بنطالي وحذائي " .
شقهت بانة وقالت بجزع " وهل البنطال والحذاء بخير؟!!! "

Des. Maryam Tamim

رد عليها في عصبية وهو يبالغ في مسحهما "بضع قطرات .. أحاول تنظيفها " .

هتفت " لا لا لن ينفع التنظيف ارميهما فورا .. لقد وقع عليهما الشاي .. هل تدرك حجم الكارثة "

توقف فجأة عن التنظيف وأمسك الهاتف بيده وقال وهو يرفع حاجبا مستنكرا " هل تسخرين مني!!!!!!!! "
قالت بتسلية " حاشا لله ! .. أنا فقط اشفق عليهما من التعذيب بالمسح.. جرب مثلا أن تتمتم بأعوذ بالله من شر الوسواس الخناس قد تفيد "
ضيق عينيه وهو يتحكم في ضحكة تريد أن تظهر على ملامحه وقال بسخرية " أشم رائحة استظراف "

ردت عليه بتسل " أرى أن رائحة الشم لديك قد تطورت كثيرا فأنت تشمها من هذه المسافة "

Des. Maryam Tamim

قال مندفعا " حاسة الشم التي تسخرين منها .. أنت بنفسك اعتمدتِ عليها يوما وهي من أنقذتكِ يا أستاذة" .

صمتت بتأثر وقد داهمتها لحظات صعبة فقال بجدية " أنا آسف "

سحبت نفسا عميقا ثم سألته " آسف على أي شيء"

رد بصوت متهدج " آسف لأني تأخرت في العثور عليكِ .. وآسف لأني حين اكتشفت حقيقتك وعدت نفسي أن أحميكِ لكن على ما يبدو أني قد غفلت عنك قليلا فحدث ما حدث .. وآسف لأني كنت جزء من بعض المواقف الصعبة التي مريتِ بها .. فعلتها قبل أن أعرف حقيقتك .. وآسف لأني عندما اكتشفت الحقيقة لم أواجهك وأطمئنك أن كل شيء على ما يرام .. ليتني استطيع إعادة عقارب الساعة للوراء ".

Des. Maryam Tamim

سرت رعشة في جسدها وهي تسمعه يتكلم بهذه الطريقة فاندفعت لتقول بهمس " لم تقصر في شيء يا أحمد .. بل أنا ممتنة جدا لوجودكم جميعكم في حياتي فلولاكم لما كنت حية الآن "

سألها فجأة " هل تثقين بي يا بانة ؟"
ردت بدون تفكير " لو لم أثق بك لما استطعت تحمل ما حدث والصمود في مواجهته .... ثقتي بك كانت سلاحي بعد ثقتي بالله ..ألا تثبت ثقتي في حاسة الشم لديك أني أثق بأنك تبحث عني على الرغم من معرفتي أن موعد رجوعك كان من المفترض أن يكون بعد يومين ؟ "
ساد صمت حار بينهما .. لو كانت أمامه في تلك اللحظة لغمرها بقبلات محمومة رغماً عنها .. كيف تخرج بضع كلمات من فمها بأنها (تثق به) فيشعر بأنه فاز بالجائزة الكبرى في حياته .

Des. Maryam Tamim

قال بجدية " أنا فخور بك .. بانة الخازن .. أنتِ من أشجع الفتيات اللاتي قابلتهن في حياتي .. معرفتي بك شرفا لي حقا "
أطرقت في خجل ولم ترد .. فساد الصمت المرتبك لبعض الوقت إلا من صوت أنفاسهما العالية المتبادلة كأنه حديثا هامسا .
قطع الصمت ليقول فجأة " ما معنى اسم بانة ؟"

تفاجأت بالسؤال لكنها سحبت نفسا عميقا تهدئ الهدير الصاخب في صدرها وقالت " بانة مفرد البان .. والبان نوع من الشجر له اسم آخر هو شجر المورينجا .. وعند العرب تسمى شجرة الفقراء أو شجرة اليسر .. لها موائد طبية كثيرة وتتحمل الظروف الصعبة ..(صمتت قليلا تنظم أنفاسها ثم أضافت) كنت لا أحب اسمي وأنا صغيرة لكن حين أخبرني أبي بمعناه أصبحت أحبه جدا"

Des. Maryam Tamim

رد بشقاوة " وأنا أحبه جدا "
ردت بضحكة خافتة مرتبكة تحاول الهرب من وقع كلماته وتمتمت "وكما يقول أحمد شوقي .. ريم على القاع بين البان والعلم "
أكمل لها بيت الشعر في لهجة لها مغزى " أحل سفك دمي في الأشهر الحرم "
هدرت دقات قلبها بعنف من الطريقة التي نطقها بها ومن صوت أنفاسه العالية فقالت بإرتباك " أروى تنادي .. عليّ أن أذهب الآن "
هتف بحنق " لا تردي عليها ودعينا نكمل الحديث"
فسألت بسرعة " الحديث عن .. ماذا ؟ "
قال بمزاح " عن أحمد شوقي ونظرته البعيدة لأهمية شجر البان الطبية " .
تمتمت بسرعة " تصبح على خير "
وأغلقت الخط وهي تبتسم وتلطف سخونة وجنتيها بكفيها الباردين .

Des. Maryam Tamim

***

في اليوم التالي :

فتح أحمد باب البيت وهو يتنحنح فردت أمه عليه بالدخول .. بدا مرهق نابت الذقن وطلب أن يأكل ويستحم حتى يعود مرة أخرى للمستشفى .
خرجت بانة من غرفة أروى ترتدي جلبابا وحجابا يظهران قوامها الممشوق .. واستعدت للخروج فسألها باستغراب " إلى أين؟! "
ردت ببرود " أزور وائل .. ألم تقولوا انه استفاق ونقل لغرفة عادية ".
رفع حاجبه باستنكار وقال ساخرا " هكذا .. دون إخبار أي أحد؟!" .
قالت تستفزه " أخبرت أمي الحاجة " .

Des. Maryam Tamim

تحركت نحو الباب وفتحته بكبرياء فلحقها يقف أمامها على السلم وهو يهتف بعصبية " أقصد أن تستأذني من رجل البيت "

تخصرت في عند وقالت " أنا ضيفة في هذا البيت ولست من سكانه .. وبالتالي لي مطلق الحرية لتقرير مصيري " .

ضرب كفه على الحائط بجانبه في عصبية وحدجها بنظرات نارية قائلاً " ومن سيسمح لك بتلك الحرية ؟"

ضيقت عينيها وقالت بغيظ " وما شأنك أنت؟!!!!!"

رد عليها ببرود وهو يحدق في عينيها باصرار "أتريدين معرفة ما شأني ؟ .. حسنا إن كنتِ تدعين عدم المعرفة فسأخبرك .. وإن كنت أود أن يكون في مكان آخر أكثر شاعرية .. وليس على سلم البيت ."

Des. Maryam Tamim

إرتبكت وأسرعت بالقول وكأنها تخشى الآتي" اقصد أنك لست صاحب البيت أنت ابن صاحب البيت "
شعر بهروبها كالجبانة من المواجهة فابتسم لها تلك الابتسامة التي تحطم أسوارها .. وقد بدا بذقنه النابت مغريا للمس.
قال بمكر وهو يخرج الهاتف من جيبه " حسنا.. نتصل بصاحب البيت .. ونرى ماذا سيقول " .

أمسكت بسرعة بساعده الذي يحمل الهاتف.. بكلتا يديها لتمنعه وهي تقول بترجي " أحمد لا تحرجني مع الحاج ..أنا فقط أريد أن أطمئن علي وائل " .
سرت قشعريرة في عموده الفقري من جراء لمستها لتكون شرارة لاشتعاله الذاتي...
كل شيئ فيها ..
صوتها.. حديثها .. نظرة عيناها .. رائحة جسدها المختلطة برائحة صابون منعشة ..

Des. Maryam Tamim

رائحة أنفاسها ..
ذلك البروز الكمثري البارز من مقدمة جذعها والذي يتحاشى النظر إليه بمشقة وكأنه أول مرة يرى ثدي أنثى في حياته..
كل شيء فيها.. جعله يتسمر بمكانه .. يبتلع ريقه للحظات.. ثم أنزل بصره ينظر ليديها على ساعده .

انتبهت بانة لوقفتهما فانتفضت مبتعدة ودخلت الشقة كالملسوعة تغطي فمها بكفها وهي توبخ نفسها .
فأخذ نفسا عميقاً يهدئ من إنفعاله وقال بهدوء وهو يلحقها للداخل "انتظري سأستحم وآكل ونذهب سويا ".
ردت بلهجة غاضبة من نفسها على جرأتها منذ قليل "أنت يجب أن تنام قليلا .. استطيع أن اذهب وحدي "

Des. Maryam Tamim

استدار إليها وهو يشير مهددا وقد نفذ صبره
"اسمعي يا بانة يا بنت عبد الله الخازن .. لا تختبري
صبري عليكِ.. فأعصابي لن تتحمل عنادك..
وخاصة وأنا لم أنم منذ يومين .. ستنتظريني ..
وسنذهب سويا .. وإلا.... "

بتر كلمته وهو يهددها بسبابته فزفرت هي في
استسلام تجلس على الأريكة بعنف وردت "وإلا..
لا ألومن إلا نفسي " .

فمنحها إبتسامة ساحرة وغمز لها بشقاوة .
***

Des. Maryam Tamim

الفصل الخامس عشر

تأمله وهو يرقد على جانبه في ضعف ومازالت بعض الأجهزة متصلة بجسده .
غريبة هي الحياة .. قد تأخذ حتى الصحة كحق مكتسب .. غافل عن أنك قد تفقدها في أي لحظة .. غافل عن كونك قد تتحول لكومة من الوهن بفرقعة إصبعين .
قد يكون قد جرب السجن في فراش المرض أيام عجز من عدها وهو يرتعب من فكرة ألا يستطيع السير بطريقة طبيعية مجددا .. لكن يبدو أننا نتألم على من نحبهم أكثر من حزننا على أنفسنا .

فبرغم السنوات الأربع التي يصغرها عن وائل إلا إنه كان دائما يراه كبيرا لا يُهزم .. كان أكبرهم وأطيبهم قلبا وأكثرهم تسامحا ..

Des. Maryam Tamim



استعاد أحمد ذكريات الإقامة الجبرية له منذ سنوات في فراش المرض .. وتذكر كيف كان وائل حاضرا وداعما وباعثا للأمل بضحكاته ونكاته التي لا تنتهي أبدا ... على الرغم من كونه – كوائل - كان أكثر الناس يأسا وبؤسا ..
مكسور الروح منذ وفاة مريم ..

ها قد حان الوقت لتنقلب الأدوار .. وليته يمتلك ما يستطيع أن يمنحه إياه .

هتف أحمد بلهجة مشجعة " تشجع يا صاحبي إياك أن تستسلم .. الطبيب طمأننا أن الورم لم ينتشر الحمد لله ولم ينتقل لمنطقة أخرى وأن ما حدث كان متوقعا " .
رد وائل بوهن شديد " أنا بخير صدقوني (ثم أضاف بلهجة ساخرة كعادته) حتى أني أصبحت أفضل من ذي قبل .. على سبيل المثال قبل هذه الوعكة

Des. Maryam Tamim

كنت أرى هذا الكائن المنكمش خلفك رجلا .. أما الأن فأنا أراه فتاة مكتملة الأنوثة .. أليس هذا دليلا على أني أصبحت أفضل "

ضحك بينما تقدمت بانة برغم إحمرار وجنتيها لتضع بجانبه باقة من الورد وهي تحمد الله على سلامته .. هذه هي المرة الأولى التي تقابله بشخصها الحقيقي كبانة .. هتف وائل بإعجاب " أرأيتم اللفتات الأنثوية .. لم يهديني أحدا منكم وردا من قبل يا بغال ".

قال أحمد ضاحكاً " استعد صحتك وسنهديك حقلا من الزهور " .

أشاح وائل بيديه وقال " لا أريد ورودا سوى من الجنس الناعم .. فقط أخرجوا هذا الثور الذي يستحوز على الأكسجين من الغرفة .. ويكتم على أنفاسي .. ويخيف الممرضات الجميلات فلا يدخلن للاطمئنان عليّ" .

Des. Maryam Tamim

نظر أحمد لسيد فتجاهله الأخير وهو يتحرك ناحية النافذة ..
أشار وائل لأحمد يسأله (هل مازال سيد يخاصمك؟) فأومأ أحمد بالإيجاب بامتعاض ..

بعد قليل طُرق باب الغرفة ودخلت آية تحمل باقة من الورد .. فهلل وائل بوهن " ألم أقل لكما أني أحب الورود من معجباتي من الجنس الناعم " سألت آية بمكر " ومن غيري يهديك الورود يا آبيه "
رد ممازحا بصوته الضعيف " معجباتي كثيرات يا عسلية آبيه .. وها هي رامز قد سبقتكِ "

حدجت آية بانة بنظرة باردة ثم تحركت تضع الورود على المنضدة .. فرفعت باقة بانة ووضعتها أرضا ثم وضعت باقتها مكانها وابتسمت بخيلاء..

Des. Maryam Tamim

رمقت سيد بنظرة سريعة فاستقبلها بعينين دافئتين مبتسمتين رغم التجهم البادي على وجهه .

قال أحمد وهو يستند على الحائط ويديه في جيب بنطاله "لم تبلغيني ".
فهمت آية ما يقصد .. والحقيقة أنها قد تفاجأت بوجوده حيث اعتقدت أنه عاد للبيت لينام.. لكنها سألته ببرود " عن ماذا ؟"
رد بنفس الهدوء " عن زيارتك للمستشفى "
ردت من فوق كتفها بسخرية " أليس من حقي زيارته مثلكم ! "
رد عليها " أنا لا أمنعك من زيارته بالتأكيد أنا أقول لم تخبريني "
ردت ببساطة " أخبرت أمي ".
ضرب كفا بكف قائلا باستهجان " ما حكاية بنات هذا البيت يكتفين بإخبار أمي وينطلقن بحرية دون

Des. Maryam Tamim

رابط ... المفروض أن تخبريني أنا أو أبي .. عموما سأتصرف مع أمي ".
حدجته بانة بنظرة معاتبة أن يعنفها أمام الجميع فهمس معترضا " ماذا ! "

طُرق آخر على الباب ثم دخل طبيب شاب وسيم بمعطف أبيض فهتفت آية بمرح " ريان ! .. أقصد الدكتور ريان ".
ألقى ريان السلام ومد يده لأحمد فحدجه بنظرة متعالية ثم مد يده يسلم عليه .. استدار ريان لسيد الواقف بعيدا عند النافذة فتحرك سيد يوليه ظهره ..
فرفع ريان حاجبا مستفهما وتنحنح ليقول " جئت لأرى إن كنتم تريدون شيئا .. أنا أطمأننت من رئيس القسم على الأستاذ وائل .. أين الباشمهندس عمرو ؟"

Des. Maryam Tamim

رد وائل " شكرا يا دكتور على الاهتمام .. عمرو ذهب للبيت ليستريح قليلا ويشكرك على سجادة الصلاة لقد تركها لك على المنضدة هناك " .

نظرة عين ريان المختلسة نحو آية ووجنتيها اللتين احمرتا .. سكب سائلا حارقا في دماء سيد .. فتحرك مغادرا وهو يقول " أنا ذاهب للبيت وسأخلصكم مني " .
هتفت آية بإحباط " هل ستذهب الآن ! " فلم يرد بينما نظر أحمد لوائل نظرة تعني (ما هذا المزاج السوداوي !).

تجاوز سيد ريان بوجه متجهم دون أن ينظر نحوه .. فتعجب ريان من هذا المتوحش الغير ودود أبدا .. الذي كاد أن يضرب الممرضة أمس وهو يجادلها في شيء بشأن المريض .. هذا غير همجيته مع الأطباء أول وصوله إلى المستشفى .

Des. Maryam Tamim

رد ريان على وائل بابتسامة جميلة " لا شكر على واجب .. يستطيع إقتراضها في أي وقت .. أشفقت عليه أمس وهو يصلي في الممر ليلا على ورق الجرائد "

وأختلس نظرة أخرى لآية لاحظها أحمد فتحرك وهو يقول " سنذهب نحن أيضا .. هيا يا آية .. سأنام قليلا وأعود إليك يا وائل " .

فأشار له وائل أن يذهب وهو يغمض عينيه بإعياء ..

خرج أحمد وبانة من الغرفة بينما تجاوزت آية ريان بتجاهل أنثوي متعمد بينما هو يراقبها بابتسامة بلهاء ..ثم وقف ينظر بدهشة للغرفة الخالية بعد أن تركه الجميع ورحلوا بعدم لباقة .. بينما وائل يبتسم له إبتسامة صفراء تحمل عنوان (تشرفنا .. أريد أن أرتاح).

Des. Maryam Tamim

فتنحنح ريان بحرج وتمتم " سأطمئن عليك بعد قليل .. سلام " .

في ممر المستشفى قال أحمد لآية " لم ينتهي حديثنا بعد ".
لكزته بانة في مرفقه بينما ردت آية بعصبية " لو كنت مهتما بي كما تهتم بالأخرين كنت سألتني إن كنت أريد أن أذهب أم لا .. لكن من الواضح أن ذهنك مشغول بأمور أخرى أهم ".

تحركت أمامهم بعصبية تسبقهم للخارج بينما نظر أحمد لبانة التي بادرته بالقول " أنت أحرجتها أمام الجميع .. ألا تستطيع عتابها بمفردكما ".

رد عليها بغيظ " فهمتك الآن .. أنت تدافعين عن بنات جنسك ".

Des. Maryam Tamim

ردت بامتعاض " بصراحة لو كنت مكانها لما وافقت على هذه الطريقة في المعاملة " .
ثم تركته وأسرعت الخطى أمامه فنفش كتفيه في كبرياء وهو يضع يديه في جيبه ويطالع قوامها أمامه بنظرة ذكورية جريئة .

عند السيارة كانت آية تنتظر وبمجرد أن ضغط على مفتاح السيارة في يده حتى فتحت آية الباب المجاور لأحمد بشموخ وهي ترمق بانة بنظرة جانبيه بإغاظة .. فنظرت بانة للسماء في يأس من ابن سماحة وأخته وفتحت الباب لتجلس في المقعد الخلفي .
في الطريق هتفت آية " هل ستحضر لي فانوسا أم ستقول أني كبرت والفانوس للأطفال كما يقول سيد "
حدجها أحمد بنظرة جانبية وقال " هل قال سيد ذلك ؟ "

Des. Maryam Tamim

ردت بإحباط " أجل يراوغ في شراء الفانوس لي هذا العام وقال أني كبرت .. وأنا أعترض على هذا ما علاقة الفانوس بالعمر !.. سأظل أتلقى فانوسا كل عام حتى لو أصبح عمري مائة عام "

إبتسم أحمد وقال " حسنا .. عهد علي سأهديك كل عام فانوس مع دخول شهر رمضان حتى آخر العمر "

صفقت آية بفرح ثم قالت " إذن سنذهب لنشتريه الآن؟"

أومأ برأسه بنعم فقالت " من منطقة (.....) "

اعترض أحمد " سيكون الزحام خانقا دعينا نشتريه من أي محل أو من مول كبير "

ردت بإصرار " كلا أريده من هناك .. لا أريد فانوس حديث أريد فانوس قديم من الصفيح والزجاج ولن نجده إلا في هذه المنطقة الشعبية .. ونستطيع تحمل الزحام قليلا ".

Des. Maryam Tamim

ابتسم أحمد ونظر لبانة الشاردة تطل من النافذة وقال "لا بأس .. ربما فرصة جيدة نعرف بانة على بعض المناطق القديمة الأثرية في العاصمة"

انتبهت بانة عند ذكر اسمها فاستدارت لتلتقي عيناهما في المرآة الأمامية .. نظرته كانت مشتعلة غامضة جعلت القشعريرة تسري في جسدها .. وتذكرت مكانها في المقعد الخلفي ونظرته لها من نفس المرآة منذ ما يقرب من العام.. في تلك الليلة التي وجدها في الورشة .. لقد مرت بهم احداث كثيرة منذ ذلك الوقت ..

تحاشت نظرته لتحدق في الشارع عبر النافذة من جديد ..
يسيطر عليها شعور بالارتباك مؤخرا ....
تعاني ارتباكا من كل الأمور حولها..
ومشاعر مضغوطة..

Des. Maryam Tamim

وأفكار كثيرة ..
انها بحاجة لبعض الانطواء في شقتها.. لترتب أفكارها .. ربما هو شعور بعدم التوازن للتغير المفاجئ في كل شيء ..

انكشاف الحقيقة ..
إعفائها من التمثيل كشاب ..
وجودها في بيت عائلة سماحة فجأة بعد سنين من الوحدة..
أشخاص جدد دخلوا إلى حياتها الصامتة كالسيدة إلهام وأروى ..
وأحمد (في شخصيته الجديدة).

أحمد بالذات يتعامل معها منذ أن اكتشف أنها فتاة بطريقة مختلفة وخاصة جدا .. لكنها لا تفهم معناها ..
أو تخشى أن تفهم معناها ..

الأمر مربك بداخلها ومعقد وليس بسيطا كما قد يبدو لأي شخص ينظر لها من الخارج ..
ومتناقضات كثيرة تعذبها .. تمزقها .. وكأنها على وشك الإنهيار عصبيا .

وقفت السيارة فتنبهت للمكان .. حي شعبي قديم والبيوت يبدو عمرها أكثر من مائة عام ..
ترجل أحمد وآية من السيارة فترجلت وهي تتساءل عما يفعلون هنا .
رد أحمد وهو يغلق السيارة اتوماتيكيا " سأركن السيارة هنا ونتحرك سيرا .. فالشوارع لن تسمح بمرور السيارات بسبب زحام البشر " .

تقدمت آية أمامهما تكاد تقفز كالأطفال بينما تحدث أحمد لبانة " هذه منطقة (.....) إنها منطقة قديمة عريقة .. كانت مركز الأحداث وعاصمة البلاد في فترة من فترات التاريخ .. تنتشر

Des. Maryam Tamim

بها بعض الحرف القديمة والصناعات اليدوية ..
كنت آتي وأنا صغير هنا أشاهد وأتعلم من معلمين
فن الأرابيسك الكبار "
وأخذ يشرح لها تاريخ بعض الأماكن القديمة أمامها
..
لمعت عيناها وهي تراقب حركته .. يرفع ذراعه
يشرح لها .. وتكسو ملامحه الجدية .. ورائحة
جسده العطرة يلتقطها أنفها فتسري بداخلها حالة
من الانتشاء الممزوج بالخدر فتمتمت لنفسها " كم
من وجه لك يا صاحب الوجوه الكثيرة " .

شعرت بالتوتر كالعادة من الزحام بينما لاحظ أحمد
أنها تتحاشى التلامس مع الأخرين دون أن يكون
هناك تلامس حقيقي .. فمد ذراعه حولها دون أن
يلمسها ليسمح بمسافة بينها وبين الآخرين..
وهتف بجانب رأسها القريبة منه " ربما أنتِ
بالفعل تعانين من رهاب الزحام يا بانة الخازن " .

Des. Maryam Tamim

كانوا قد وقفوا أمام محل للفوانيس أختارته آية فرفعت بانة رأسها ناحيته متسائلة " ماذا تقصد .. أنا اضطررت لقول ذلك حتى لا يشاركني أحد في السكن "

رد وهو يتجول بوجهها وقلبه يعزف لحنا عذبا يطن في أذنيه " لاحظي طريقتك وأنت تتحركين في الزحام تبدين متوترة متحفزة من الاحتكاك الجسدي تنكمشين بوضوح بشكل مبالغ فيه بمجرد أن يقترب منك أحد ".

ضيقت حاجبيها بتركيز وقالت" لم ألاحظ ذلك .. أنا فقط أشعر بالتوتر وبقلة الاكسجين وتنتابني قشعريرة لكني لم أفكر يوما أنها قد تكون رهاب "

رد بجدية وهو يقترب من أذنها " راقبي واكتشفي بنفسك "

هتفت آية وهي تمسك بفانوسين من الصاج بجوانب زجاجية تسأل أحمد " أيهما ؟"

Des. Maryam Tamim

فأشار على واحد منهما .. ثم تقدم ليأخذ واحد باللون الفيروزي ونقوش زرقاء وزهرية وقال وهذا يناسب أروى .. ماذا عنك يا دكتورة؟"

كسى وجنتيها اللون الأحمر وعضت على شفتها فبدت أمامه شهية .. شهية جدا ..ليقترب بجانب أذنها مرة أخرى قائلاً " لو كنتُ جئتُ بكِ هنا كرامز ونظرتِ بتلك العينين وبهذا الإنبهار للفوانيس لكنتُ سقطت بنوبة قلبية .. لا تعضي على شفتك هكذا ".

سألته ببراءة " لماذا؟"

رد ساخرا " ألم أقل لك أنك تختارين أماكن وأوقات غير مناسبة لهذا السؤال ! ... أعدك أن أجيبك عنه في مكان آخر مناسب .. "

رفعت نظرها إليه وتسارعت أنفاسها كأفكارها من فرط المشاعر في داخلها .. ترغب في سماع ما سيقوله وتشعر بالخوف مما ستعرف . . فظل

Des. Maryam Tamim

يبادلها النظرات لثوان وقد انفصلا عما حولهما حتى مر بجانبها صبيان يتمازحا فدفع أحدهما الآخر باتجاهها.. فاتنفضت نحوه تمسك في قميصه في حركة عفوية .. بينما مد هو ذراعه في نفس اللحظة يشدها إليه من مرفقها بعيدا عن الصبيين .. إنتبهت لموضع يدها فسحبتها من على قميصه كالملسوعة ثم تمتمت في سرها " ماذا جرى لك بانة الخازن كلما كنت بجواره .. تحولت لأنثى مائعة .. أين بانة التي كانت تمشي وحدها في الشوارع ليلا ؟؟!!"

هتفت أية في حنق " هل سنظل واقفين هكذا طوال الليل ؟!.. اخترنا الفوانيس وانتهينا "

رد أحمد وهو مايزال تحت تأثير لمسة بانة لصدر قميصه " لم ننته بعد .. ننتظر بانة "

زفرت آية وتكتفت بعصبية تهز ساقها بملل.. بينما تمتمت بانة بحرج " لا أعرف أيهما أختار .. هذه

Des. Maryam Tamim

أول مرة أشتري فانوس .. فلا توجد عادة شراء الفوانيس في بلدي .. كلهم رائعين أمامي "

مال أحمد عليها يقول بصوت خفيض " اسمحي لي بهذا الشرف يا بانة الخازن .. بأن أكون أول من يمنحك فانوساً في حياتك "
ثم تقدم وطلب من البائع إنزال فانوس معلق بالأعلى .. من الصفيح .. جوانبه الأربعة بارزة على شكل قلوب من الزجاج الملون بدرجات اللون الزهري .. وأعطاها إياه ..فأخذت تحدق فيه بإنبهار وخجل .

بعد قليل سارت الفتاتان بجانبه وهو يتطلع للسعادة التي تشع من عينيهما وهما تحملان الفوانيس ..وتمنى أن تسير أروى يوما ما بجانبه هي الأخرى .

Des. Maryam Tamim

توقفوا عند محل مثلجات شهير فطلبتا المثلجات
بينما طلب هو شاي وهمس لها " لم أعد أشرب
القهوة إلا من شخص محدد ".
صورت آية كأس المثلجات عدة صور منفردة
وصورة لنفسها ترفع الكأس بجانب وجهها وتخرج
لسنها .. فتطلع إليها أحمد ضاحكا وقال " ماذا
تفعلين أيتها المجنونة " .

ردت بحرج" لا شيء .. أحب تسجيل اللحظات
المميزة .. وهذه لحظة مميزة فأنت لم تشتري لي
شيئ منذ وقت طويل ".
شعر أحمد بالذنب وسأل نفسه" ألهذه الدرجة كان
لا يشغله سوى نفسه ومشاكله وألامه وما فقده
عن من حوله !!" .
فرد عليها بمشاكسة وهو يضرب رأسها بيده " كفى
لسانا طويلا .. إذا احتجتِ شيء أطلبيه .. أنا جاهل
في هذه الأمور .. فقط غششيني " .

Des. Maryam Tamim

أهدته ابتسامة فاتنة وهتفت بسعادة "إتفقنا "

تطلع إلى بانة التي تأكل المثلجات باستمتاع .. وقال بصوت خافت بمشاسكة " كانت هذه فقرة .. (الكونت سماحة الرائع) بعد تطبيق نصائح بانة الخازن المتفزلكة".

تحكمت في ابتسامة لكنها لم تقدر على منع إحمرار خديها وقالت بهدوء وهي ترفع إليه عينين مضيئتين " أنت لا تحتاج لنصائح بانة الخازن المتفزلكة .. أنظر إلى علاقتك الاستثنائية بأروى لتعلم أنك أخ رائع بالفعل .. الأمر فقط أن تدخلها في محيط إهتمامك ولن تحتاج لبذل أي مجهود بعدها ".

قال بلهجة ذات مغزى " إذن أنت تدركين فعلا أن من يدخل في دائرة إهتمام الكونت سماحة محظوظ جدا " .

توترت من لهجته لكن آية أنقذتها حين هتفت باستفزاز " بماذا تتهامسان ؟"

Des. Maryam Tamim

أحمرت بانة واطرقت رأسها بينما هتف أحمد من بين أسنانه بغيظ " أقول لها علينا أن نعود فورا فأنا مرهق ولم أنم منذ يومين " .
في طريق العودة فتحت آية هاتفها وأرسلت صورتها مع مثلجات على الواتساب لسيد وهي تبتسم بمكر ..
وانتظرت ردا فلم تجد .

بعد أن وصلوا للبيت سحب أحمد الفوانيس من الفتيات الفرحات بهم وقال " أتركوهم معي بعض الوقت سأضيف لهم شيء "
قالها وانسحب بإرهاق إلى غرفته غير راغب سوى في النوم لثلاثة أيام قادمة بينما وجوه الثلاث فتيات يرتسم عليها الإحباط ..
لقد صادر ابن سماحة الفوانيس .. لحين إشعار آخر ..
***

Des. Maryam Tamim

نظر سيد للساعة التي بجانب السرير ووجدها قد تجاوزت الثامنة مساء .. فتحرك بإرهاق يحاول الاستفاقة بعد أن نام عدة ساعات .

جلس على السرير وأنزل قدميه على الأرض يفرك جبينه بإرهاق وكل عضلة في جسده تئن .. فشعر ببسمة خلفه تدلك ظهره العاري وهي تهمس " كنت مرهقا جدا .. وتتكلم أثناء نومك "
قال لها بصوت أجش مرهق دون أن ينظر إليها " أنا أتكلم دائما وأنا نائم وأزعجك "
ضحكت وقالت بمداعبة " هذه المرة كنت تتشاجر بصوت عال "
نظر إليها باهتمام وسأل " ماذا كنت أقول ؟"
ابتسمت وقالت " لم اتبين شيء من حديثك .. لكنك كنت مستاء جدا "
حين لم يعقب همست " هل أعد لك الحمام لتأخذ حماما ساخنا يفك تشنج عضلاتك "

Des. Maryam Tamim

ابتسم لها ابتسامة مجاملة بالإيجاب برغم أنه لم يكن متحمسا لما ترمي إليه.
تحركت تخرج من الغرفة.. فتناول هاتفه يتفقده .. فتح الواتساب ليجد صورة من آية بجانب كأس من المثلجات تخرج لسانها بشقاوة ..
بدت مهلكة .. مبهجة وكأنها تشع دفئا ينير روحه ..
ابتسم وهو يتحسس ملامحها في الصورة ..
كان غبيا حين فكر أنه سينساها إذا تزوج .. ربما كان قبل زواجه في مرحلة الإنكار .. أو مرحلة الاستنكار مما يشعر به ..
الحقيقة أنه ظل في هذه المرحلة طويلا .. يراوغ نفسه .. يرفض الاعتراف .. يجادل المارد الساكن بداخله .. وحين استشعر الخطر واستشعر حجم الورطة .. أسرع بالزواج بفتاة يتمناها أي رجل..
لكن سرعان ما أكتشف أنه كان أغبى قرار اتخذه في حياته ..
ليدخل بعدها مرحلة أخطر ..

Des. Maryam Tamim

مرحلة الاستسلام ..
الاستسلام والاعتراف بحقيقة مشاعره وعمق ورطته ..
ليته لم يتزوج ويحمل نفسه ذنب ظلم إمرأة أخرى ليس لها أي ذنب .
ليته أعترف لنفسه قبل ذلك .. وأكتفى باختلاس اللحظات المسروقة معها ..
وأكتفى ببعض المنح المجانية التي تهديها له .
ليته اكتفى بآية ..حتى ولو طيفا في حياته .

كتب لها على الواتساب " خائنة ! .. "
يويا : (وجه يغيظ)
ابتسم وكتب .
سدسد : أدخلي لسانك الذي تفرحين به هذا وأخبريني متى ومع من؟ .
يويا: مع أحمد سماحة منذ ساعتين
سيد : خيانة مزدوجة إذن (وجه غاضب)

Des. Maryam Tamim

يويا : (وجه يغيظ)
تذكر جزءا من أحلامه وهو نائم منذ قليل .. كان يضرب فيها هذا المدعو ريان بوحشية ... لم يستطع المقاومة وكتب :
سدسد : ومن ريان هذا ؟
يويا : أخو منة صديقتي
سدسد : أعرف ذلك ما علاقته بك؟ .
يويا : لا شيء
سدسد : لا تراوغيني يا آية لم يفتني نظراته المختلسة لك وإحمرار وجهك ..
يويا : أنا بوجه أحمر متورد دائما يا سيد (وجه برئ)
طحن أسنانه في عصبية فبادرته هي بالقول .
يويا : ما رأيك في الفانوس الذي اشتراه لي أحمد؟(وجه يغيظ)
شعر بالغيرة مرة أخرى وكتب .
سدسد : حقا !!..

Des. Maryam Tamim

يويا : ووعدني سيشتري لي فانوسا كل عام حتى لو أصبحت عجوز .(وجه يغيظ)

سدسد : (وجه ممتعض)

يويا : مارأيك بالصورة ؟

سدسد : أي صورة ؟ .. صورة لسانك ؟ قبيحة طبعا .

يويا : لا صورتي مع الفانوس .

سدسد: أين هي لم تصلني .

يويا : تنير صفحتك على الفيسبوك .(وجه برئ)

عقد حاجبيه وفتح الفيسبوك ليجدها تنشر على صفحته صورة مقربة لوجهها بحجاب باللون العسلي كلون عينيها التي تحيطها رموشا سوداء كثيفة .. وتحمل بجانب وجهها فانوس من صاج قديم الطراز بألوان مبهرة انعكست على صفحة وجهها وزادته بهاء وجمال ..

كانت في الصورة تغمز بعينها وتبتسم ابتسامة تقطر عسلا..

Des. Maryam Tamim

الصورة كانت مبهرة .. ومهلكة .. سرقت أنفاسه وعقله..
تحسس بأصابع مرتعشة ملامحها وهو يتمتم " ما هذا العذاب يا ربي .. متى ستعفو عني يا الله"
لم يستطع المقاومة .. ضغط على الصورة ليختار نسخ صورة منها على هاتفه .
فجأة تنبه لما يحدث وجحظت عيناه ..
الصورة لم تكن منشورا مخصصا له.. الصورة كانت على صفحته مرئية لجميع أصدقائه وأصدقائها .. منشورة منذ ساعتين وعلامات الإعجاب من الطرفين تنهال على الصورة ..
والتعليقات نارية .. ما بين الإعجاب بالصورة أو بجمال صاحبتها أو بالإشارة بخبث لسيد والحقد عليه أو معاكسات من أصحابها في الكلية .. المنشور كان صاخبا كما تستحق صاحبته .

كاد أن يصاب بأزمة قلبية .. ونهشته الغيرة ..
وأوشك على أن يصاب بالجنون وهو يرى
التعليقات .
اتصل بها فورا وهو يتحرك خارج الغرفة يستشيط
غضبا .
ردت على الهاتف بخيلاء " إذا أعجبتك صورة
الفانوس لدرجة أنك اتصلت بي شخصيا "
هدر بغضب " هل جننت يا آية "
توترت للهجته وقالت بخفوت " ماذا فعلت ؟"
هتف باستنكار " ماذا فعلت ! .. صورتك تنشريها
هكذا على الفيسبوك .. للجميع .. منذ متى وأنت
ترفعين صورك على مواقع التواصل "

ردت بإحباط " لم أرفعها من قبل .. وأردت أن
أريك الصورة وفكرت لو أرفعها على الفيسبوك
لأغيظك سيكون الأمر ظريفاً و .. "

Des. Maryam Tamim

قاطعها منفعلا بشكل لم تعهده منه من قبل " وماذا؟ .. بدلا أن يكون منشور خاص .. جعلتيه منشور لكل من هب ودب يراها وقد يحتفظ بها على جهازه .. هل أحمد يعلم بهذا الهراء " .

هبت فيه بعصبية وقد ادركت تهورها " أحمد لا يدخل على الفيسبوك كثيرا .. ثم اصدقائي يرونني على الحقيقة فما المشكلة أن أنشر صورتي "

استعرت نيرانه وهتف " المشكلة أنك لا تجدينها مشكلة وأصحابك الشباب الذين يمطرون المنشور بالمعاكسات والقلوب الحمراء ... وأصحابي الذين يتواقحون في المنشور حاليا ... كل هذا ليس به مشكلة !!!!! .. إمسحي المنشور فورا يا آية .. أنا لا أعرف كيف أمسحه " .

صرخت بعصبية " آاااه .. آسفة نسيت أنه ربما تخاف على شعور زوجتك .. أعتذر على جرح شعور السيدة حرمك "
ثم أكملت ولم تستطع كبت البكاء أكتر فانفجرت تبكي وتقول في وسط نشيجها " هذه أول مرة تتعامل معي بهذه الطريقة .. أصبحت عصبيا جدا معي و .. "
سمع نشيجها قبل تغلق الخط فجأة .
شتم وهو يشد في شعره .. وحاول الاتصال بها كثيرا لكنها لم ترد .. فتح الفيسبوك مرة أخرى ليجد الصورة اختفت من على صفحته وصفحتها.

اقتربت بسمة تقول الحمام جاهز .. كان شاردا يفكر كيف سيصالح تلك المجنونة التي لا تريد أن ترد على الهاتف .
نفض شروده ليقول بسرعة .. سأخذ حماما سريعا .. علي الخروج لأمر مهم .

Des. Maryam Tamim

قالت بسمة باحباط " ستخرج ! "
رد بحرج " طرأ أمرا مهما .. لن أتأخر "

بعد قليل كان يقف بجوار المقهى يحاول الاتصال بها دون رد .. أرسل لها الكثير من الرسائل النصية والواتساب وأخبرها أنه تحت بالشارع ويريدها أن ترد على الهاتف لم ترد .
حين يئس ركب سيارته وتحرك مغادرا للحي .
***
طرق أحمد على باب غرفة أروى يقول "أروى أريد الدخول "
رفعت أروى حاجبها بينما قفزت بانة من السرير تغطي رأسها فوق منامتها المحتشمة .. ثم فتحت له الباب وهي تقول باندهاش " ألم تنم بعد؟!!!!!!"

Des. Maryam Tamim

دخل متعجلا وهو يتمتم بالاعتذار ولم يفته أن يمسح بعينيه على منامتها وتفاصيلها ثم اتجه نحو أروى .. فرفع عنها غطاء السرير فشهقت بانة .. بينما هو حمل أروى المعترضة بين ذراعيه بمنامتها المكونة من شورت قصير وبلوزة بدون أكمام واتجه نحو الباب وهو يقول لبانة لا تغلقي الباب سأعود بعد دقيقة ..

دخل إلى غرفته ووضع أروى على سريره وهي تضرب فيه بكل قوتها قائلة " يا وقح .. يا جلف .. أنا لست بهيمة تسحبني وقتما تريد "
قال ببرود" سأعود حالا "
دخل غرفة أروى مرة أخرى بينما بانة مازالت واقفة كتمثال مذهول .. وحمل حاسوب أروى المحمول وهاتفها وكل ما كان يخصها على السرير ثم قال لبانة بهدوء " أروى ستنام في غرفتي الليلة ... تصبحين على خير "

Des. Maryam Tamim

خرج وأغلق الباب .

في غرفته أخذت أروى ترميه بما يصل إليه ذراعها وهي تشتم .. وقد لاحظت أنه يفرش مرتبة صغيرة بجوار سريره ..

استلقى ببرود على الأرض بجوار السرير بينما هي تشتم بعصبية فهدر فيها " اخرسي أريد ان أنام "
صرخت أروى تنادي على أبيها ..
هدر بعصبية "أبي نائم فلا توقظيه .. ودعيني أنام بالله عليك لم أنم منذ يومين "
بعد أن هدأت سألته في شفقة " لماذا تعاني من الأرق .. بماذا تفكر ؟"
استدار على ظهره ينظر لسقف الغرفة وهو يزفر " أنا قلق .. أحيانا أشعر أن بانة هي الأخرى تحمل لي مشاعر خاصة .. وأحيانا أخرى أراها تراوغ و تتدارى خلف قشرة باردة متحفظة "

Des. Maryam Tamim

ردت بهدوء " اعتقد أن عليك مصارحتها بمشاعرك "

استقام فجأة ووقف أمامها يقول " هذه هي المشكلة .. أنا لا أعرف ماذا أقول .. لم أجرب من قبل أن أقول كلمات حب ومشاعر لأي فتاة .. بل اني لا أتخيل نفسي وأنا أقف أمامها وأقول لها أحبك سأبدو كالأحمق بهذا الكلام .. "

ردت أروى بهدوء " لكن كل فتاة تحب أن تعرف أنها محبوبة فكيف ستوصل لها ما تشعر به "
رد أحمد بحنق طفولي " عليها أن تفهم وحدها .. ألا تراني أهتم بها ! "
تكتفت وقالت بسخرية " ما شاء الله تبخل عليها بكلمات الحب وعليها أن تقرأ الفنجان لتعلم أنك تكن لها مشاعر خاصة "

Des. Maryam Tamim

رد أحمد وهو يضع يديه في جيبه " أستطيع أن أخبرها بعمق مشاعري بطريقتي الخاصة .. طريقة أكثر عملية"

ردت أروى " يا وقح .. إياك وتخطي الحدود مع المسكينة .. ستخسرها "

قال بهدوء وهو يطرق برأسه " أعلم.. ولهذا أنا اتحكم بنفسي "

هتفت أروى باستنكار " أنتم الرجال لا تفكرون سوى بهذه الأمور "

نظر إليها باستخفاف " أنتن لا تفهمن الرجال ومشاعر الرجال "

ردت باستخفاف مقابل " وأنتم لن تفهموا أبدا مشاعر النساء"

قال بسخرية " عانس ! "

ردت بهدوء " وقح ! "

ارتمى على الأرض من جديد وصرخ " لا أريد أن أسمع صوتا .. اطفئي الضوء "

Des. Maryam Tamim

زفرت أروى باستسلام تغلق ضوء الغرفة وفتحت حاسوبها تتابع ما كانت تشاهده .

***

دخل سيد غرفة وائل الذي وجده نائما فالوقت قد قارب الحادية عشر مساء .. أحكم الغطاء حوله ... وأخذ يبحث عن هاتف وائل حول السرير ..

جاءه صوت وائل الواهن يقول بمزاح " أنت انتظرتني لأنام لتسرقني يا حيوان .. تريد أن تأخذ مفتاح الخزانة المعلق في رقبتي لتسرق أموالي وكنوزي "

ابتسم سيد وهو مازال يبحث حتى في الادراج وقال " نامي يا جدتي وكفي عن مشاهدة الأفلام العربية "

قال وائل " لمَ أتيت .. ألم تخبرني أنك ستأتي في الصباح .. لا تقل أنك اشتقت لي ! "

تجاهل سيد سؤاله و سأله " أين هاتفك ؟"

رد وائل " الإجابة على حسب الغرض من السؤال "

Des. Maryam Tamim

هتف سيد بعدم صبر" كف عن المزاح واعطني الهاتف .. لم أجد في حياتي رجلا كان في العناية المركزة حتى صباح اليوم ولديه مزاجا للمزاح "

سحب وائل الهاتف من تحت الغطاء وناوله إياه ...فطلب سيد رقم آية وانتظر الرد بنفاذ صبر ليأتيه صوتها باكيا " نعم يا أبيه هل أنت بخير؟ "
قال بصوت أجش " يويا أنا سيد .... إياك أن تغلقي الخط .. أنا أسف "
حدجه وائل بنظرة متسلية فتحرك سيد ليخرج من الغرفة ..ووقف في الممر ينتظر منها أي رد لكنها صمتت..
قال بصوت حاول ألا يفضح مشاعره " يويا ردي علي"
علا نشيجها المكتوم فكوى قلبه.. ليقول مداعبا " كل هذا لأني صرخت فيك قليلا .. ألا تتحمليني في وقت أنا فيه مجهد "

Des. Maryam Tamim

ردت من بين نشيجها " هذه ليست أول مرة يا سيد .. أصبحت لا ألقى منك سوى الغضب .. لم تعد تحتويني بأخطائي كما تعودت منك "

ماذا يقول ؟ ..
كيف سيفسر لها أنه أصبح عصبيا لأنه لم يعد يستطع مقاومة تأثيرها عليه دون أن تفضحه مشاعره ؟!..
كيف يخبرها أنه يغار ..
يغار عليها بهوس ... وأن قلبه يحترق وهو مجبر إلتزام المشاهدة من بعيد .
قال بصوت هادئ " ربما كنت عصبيا مؤخرا بسبب ما مررت به في الفترة الأخيرة فالأمور ضاغطة علي جدا .. كما أني منتظر نزول الألبوم الغنائي بفارغ الصبر لأرى انطباع الناس عني .. عليك أن تتحمليني"

Des. Maryam Tamim

هدأ نشيجها فقال موبخا بلطف " كما أن ما فعلتيه كان خطأ لا تنكري .. لم نتفق على رفع صورك على مواقع التواصل "

هتفت في حنق " ما المشكلة ؟"

رد بنصف الحقيقة " المشكلة أنه قد يستغل أحد الماكرين صورك .. سمعت من صديق يوما أن زميلته في العمل قام أحد الأشخاص بتزوير صور لها في أوضاع مخلة ونشرها على الفيسبوك وفضح الفتاة.. كيف تعتقدين أني سأسمح لأي خطر أن يمسك "

قالت معاتبة " حسنا إعتذر بالنيابة عني لزوجتك المصون "

ابتسم وقال " يا قطعة السكر أنا أتحدث عنك لا عن بسمة .. كما أن بسمة لا تدخل على الفيسبوك .. الأمر لا يتعلق ببسمة لا من قريب ولا من بعيد"

صمتت قليلا ثم قالت " حسنا .. أنت أخطأت وأنا أخطأت (ثم استلقت على ظهرها على السرير

Des. Maryam Tamim

تداعب خصل شعرها ثم قالت) لكن هذا لا يعني أني سأتنازل عن ترضية مناسبة "
ابتسم وقال " ولماذا أقدم أنا ترضية وأنت لا .. ألم تقولي أننا أخطأنا نحن الأثنان !"

ردت بخبث " أنا صغيرة .. مازلت طفلة .. لم أتم الواحدة والعشرون بعد .. أي أني قاصر .. هل ستطلب ترضية من قاصر! "
قهقه ضاحكا بسعادة فاغمضت عينيها تعض على شفتها السفلى وصوت ضحكته تتغلغل في جزيئاتها .
توقف عن الضحك وقال " حسنا يا ماكرة .. يا ويله من يقع تحت يدك .. أي ترضية تطلبين ؟"
ردت بدلال " سأفكر وأرد عليك "
نظر في ساعته وتململ فالوقت متأخرا وعليه أن يغلق الخط .. لقد وعد نفسه أن يتحكم في تجاوزاته معها .. فقال متصنعا الهدوء " إذن

Des. Maryam Tamim

سأغلق الآن وحين تتوصلين لشكل الترضية أخبريني "

هتفت معترضة " ستغلق الآن "

رد بحزم لابد أن أغلق لقد جئت خصيصا لوئل لأستخدم هاتفه لتردي علي .. تصبحين على خير"

حين دخل يعيد الهاتف لوائل وهو يزفر بإرتياح .. نظر إليه وائل نظرة ذات مغزى فبادره سيد بالقول " لا تقل شيء ولا تعلق بأي تعليق .. يكفيني ما أنا فيه من ضغوط أتمنى أن تقتلني سريعا لأتخلص من حياتي واستريح "

ابتسم له وائل مشفقا فسحب سيد كرسيا وقال " سأبقى معك حتى تنام" .

***

في الصباح :

Des. Maryam Tamim

تأملت أروى بانة وهي تمشط شعرها القصير وقالت " بدأت الجذور الكستنائية في الظهور .. لون شعرك الحقيقي جميل ما شاء الله "

ابتسمت بانة في خجل فأضافت أروى " لن تقصيه مرة أخرى ولن تصبغيه بغرض التخفي أليس كذلك "

تنهدت بانة ثم استدارت لها بعينين شاردتين و غمغمت " تريدين الصدق ؟ .. لا أعرف "

اتسعت عينا أروى بصدمة " ماذا يعني هذا أنت نزلت بملابس النساء والكل بالحي أصبح يعرف أنك أنثى !"

ردت بانة بشرود وكأنها تحدث نفسها " ماذا لو اضطررت لترككم لسبب ما .. ماذا سأفعل "

هتفت أروى بجزع " بانة لا تقلقيني ... لماذا أصلا ستتركينا .. هل تتوقعي أن يؤذيك أحدا منا لدرجة أن تتركينا !"

Des. Maryam Tamim

نظرت إليها بانة بنظرة حانية وقالت " أنا لا أنوي
على شيء يا أروى لكني .. خائفة .. ومرتبكة ..
وأشعر بعدم توازن "
تساءلت أروى بفضول " خائفة من ماذا ؟ !!..
اسمعي يا بانة .. إن كنت تثقين بي ولو لقدر ضئيل
فحدثيني عما يدور بعقلك ربما استطعت
المساعدة .. صدقيني أنا مستمعة جيدة .. جربيني"
قبل أن ترد عليها بانة .. جاءهما صوتا عاليا يغني
من خارج الغرفة .. صوت أحمد يغني ببشاعة .
حبك صالحني على الدنيا ...
كل الدنيا ...
وخلى نظرتي وردية ...
وغيّر فيّا ...

جحظت عينا أروى في صدمة وقالت " لقد شوه
الأغنية ! "

Des. Maryam Tamim

تحركت بكرسيها تخرج من الغرفة بينما كتمت بانة ضحكتها واتجهت ترتدي جلبابا وتضع حجابا على رأسها وتلحق بها .

دخلت أروى للمطبخ تقول بتوبيخ " الحمد لله أن السيدة وردة ماتت ولم تسمعك تغني أغنيتها "

نظر إليها بتجاهل ثم أكمل بصوت عالي

من بعد ما تعودت زمان
على الخصام وعلى الحرمان
من كتر ظلم الناس ليا ..

هتفت أروى " صوتك بشع !.. "

نظر لأروى وعلامات التذكر على وجهه فأكملت له أروى تغني

حبك في يوم جه وقابلني
رجعلي قلبي وحببني

أكمل أحمد :

"في كل حاجة حواليا "

Des. Maryam Tamim

دخلت بانة تضع يدها على فمها تداري ضحكتها وهي تتأمل هيئته المغرية .. كان يقف في المطبخ ببنطال بيتي رياضي أسود وفانلة سوداء بحملات تبرز عضلات ظهره وذراعيه السمراوين .

سألت أروى وهي تضحك " ماذا تفعل بالمطبخ؟"

رد وهو يراقب الفرن الكهربائي " أصنع لنفسي ساندوتشا "

هتفت أروى " واااااو "

ثم سألت " وهل لنا نصيب في هذا الساندوتش؟ "

حدجها بنظرها باردة ثم قال " بالطبع لا "

شدت أروى بانة من ملابسها فأمالت الأخيرة رأسها نحوها لتهمس لها " إنه لا يدخل المطبخ إلا نادرا ولا يستطيع عمل أي شيئ .. لكنه بارع في اختراع شطائر لذيذة جدا .. يضع مكوناتٍ لا تخطر على

Des. Maryam Tamim

بالك فوق بعضها لتأكلي طعماً رائعاً .. علينا ألا نتركه اليوم دون أن نتذوق "
قال دون أن يستدير " أسمع همساً من خلفي .. عن ماذا تتأمرون أنتن الثلاثة "
رفعت كل من بانة وأروى نظريهما بانهدهاش وردت بانة " نحن اثنتان "
أدار رأسه ونظر لها من فوق كتفه يقول بثقة " رائحة المجنونة دخلت علينا منذ قليل " ..

ونظر عبر الباب كانت آية تقف بوجه منتفخ من النوم شعرها مشعث كهالة سوداء مخيفة حول رأسها .. وترتدي منامة بحمالات وبنطال مرفوع ساق منه فوق ركبتها .. فبدت في حالة فوضوية .. وهي تحك جسدها الأبيض في محاولة للتركيز فيما يحدث .. فأردف أحمد يصحح " أقصد أمنا الغولة حضرت "

Des. Maryam Tamim

هتفت آية " ما هذا الإزعاج منذ الصباح .. لقد شوهت سمعي بغنائك "
رن هاتف أحمد فأخرجه من جيبه يرد " نعم يا عمرو " وهو يتجاوز آية ويخرج من المطبخ بعد أن نكش لها مزيدا من لفائف شعرها باستفزاز .

هتف عمرو عبر الهاتف " هذا الكائن المستفز سأقتله وأدفنه هنا في الشارع وأخلص البشرية منه .. أنا تحت بيتكم .. إما أن تلحقه أو لا "

قالها وأغلق الخط فتحرك أحمد خارجا من الشقة وهو يضحك متسائلا في سره " ترى ماذا فعل سيد ليستفز عم أمين الآلي؟ "

في الشارع كان عمرو يقف مكفهر الوجه حوله مجموعة من الأطفال والصبية ويمسك بخيوط كثيرة بها زينة سيزينون بها الشارع .

Des. Maryam Tamim

هتف عمرو لأحمد " البارد هاتفني منذ الصباح يصر أن أمر على المقهى لأمر هام جدا وعاجل .. حتى أني إرتعبت واتصلت بوائل لأطمئن عليه .. ثم تفاجأت أنه يحتاجني لأمسك معه فروع زينة رمضان !!!!!!.. أنا تأخرت على عملي "

سأله أحمد وهو يكتم ضحتكه " ألست في عطلة اليوم.. كلنا أجازة.. فغدا رمضان "

جز عمرو على أسنانه " أنا موظف يا فندم .. لست صاحب عمل مثلكم "

رفع أحمد رأسه يشاهد سيد يقف في شرفة البيت المقابل لبيتهم يعلق فرعا من زينة رمضان بالشارع وحوله عدد من الصبية يساعدونه بفرح بينما يهدر فيهم بصبيانية ألا يلمس أحدا منهم الزينة .

Des. Maryam Tamim

قال أحمد " أنظر إليه .. إنه يحرص على تعليقها كل عام مثل الأطفال .. ضخامة جسده بجوار الصبية الصغار مضحكة جدا .. لن يكبر أبدا "

ثم هتف بصوت عال يغيظ سيد " لا لا .. اعدل الزينة ناحية اليمين قليلا يا ولد .. إربطها جيدا لا نريدها أن تنقطع .. عفارم عفارم .. مر علينا آخر اليوم نطعمك على السلم "

جز سيد على أسنانه وقال متجاهلا أحمد " يا عمرو بلغ صديقك أن يخرس قبل أن أنزل وأعلقه بدلا من الزينة"

ضحك أحمد بتسل ثم توجه نحو سيارته بينما عمرو يحدق فيه بذهول .. وشغل أغنية بصوت عال

وفضلت أحايله.. ميردش
أقوله حبيبي .. ما يردش
أقوله يا سيدي .. مايردش
أعمله إيه

Des. Maryam Tamim

أنا عارف زعلتك مني ..
صدقني كان غصب عني ..
ولا أنت بتتقل يعني ..
ولا انت إيه

رمى عمرو فروع الزينة من يده بحنق قائلا " يا مجانين ! .. أشبعا بزينتكما .. أنتما باردين مستفزين "

تجمع الأطفال يهتفون في فرح حول فروع الزينة التي رماها عمرو .. فهتف سيد بصوته الجهوري في جزع " الزينة التي تعبت فيها .. يا طأطأ .. إلحق الزينة من أيدي الصغار ! "

في بيت سماحة في المطبخ فتحت بانة باب الفرن بعد أن أصدر صفيرا يعلن أن الوقت المحدد للتسخين قد أنتهى ...
سألتها أروى بلهفة " كيف شكل الساندوتش "

Des. Maryam Tamim

تمتمت بانة " أنه كبير بطبقات متعددة ... وهناك أشياء غريبة فوق بعضها "

ضحكت أروى ثم قالت " رأيتيه وهو يغني ببشاعة ؟ "

ابتسمت بانة وغنت بصوت خفيض

حبك ربيع وحنان وأمان

أجمل هدية من قدري

صفقت أروى وهتفت " أووووه .. أنتِ تملكين صوتا حلوا يا فتاة"

أحمرت بانة وراقبت باب المطبخ بارتباك ثم قالت بصوت خفيض بشقاوة " وأقلد الاصوات .. سأقلد لك الست وردة "

وراني أحلى ما عاش إنسان

خلاني تاني أعيش عمري

وأنا إللي قلت لقلبي خلاص

مافيش ياقلبي خير في الناس

Des. Maryam Tamim



أتاري كل دة وهم وكدب ..
وأنا الي عايشة من غير قلب

هتفت أروى بسعادة " أنت تقلدين جيدا
..وصوتك حلو إن علم سيد لن يتركك "
شهقت بانة وأحمرت في إرتباك حين طالعت أحمد
ينظر لها بعينين متسعتين مصدومتين على باب
المطبخ .. إستدارت في خجل تدفن رأسها في أي
مكان .
فدخل يقول بهدوء " أريد ساندوتشي "
أخرج الساندوتش وهو يكمل الأغنية بعدها بشقاوة
دا اللي ماحبش عمره ما عاش
حتى النعمة ما بيشوفهاش
والي يحب ياروحي عليه
يحب كل اللي حواليه

خرجت بانة من المطبخ مسرعة فقهقه بخشونة .. بينما هتفت أروى توبخه " أحرجتها .. كان من الممكن أن تستمع لها من بعيد "

رد أحمد بصوت خفيض " هل رأيتِ شقاوتها .. أشعر أننا لم نتعرف على شخصيتها الحقيقية بعد .. انها تضع نفسها في قالب حذر بارد متحفظ "

قالت أروى بتأثر " سنأخذ وقتا قبل أن نكتشف شخصيتها الطبيعية قبل أن تأتي إلى هنا "

دخلت أم أحمد تقول " هيا يا أحمد إذهب إلى أي مكان .. ستأتي السيدة التي تنظف البيت بعد قليل"

قال أحمد بحنق " لماذا اليوم بالذات وأنا أجازة " ردت إلهام بسرعة وذهنها مشغول بما يتنظرها من مهام عليها إنجازها " لأن غدا أول الشهر الكريم .. أريد أن أنظف البيت .. هيا إذهب إلى أي مكان "

Des. Maryam Tamim

قال باستسلام " حسنا سأكون فوق السطح عندي عمل متأخر سأقوم به "

***

عند أقتراب الشمس من المغيب تغير الجو الربيعي فجأة وانهمر مطر غزير بشكل مفاجئ ..

صفقت أروى بسعادة للمطر وهي تشاهده عبر زجاج الشرفة .. بينما أخذت السيدة التي تنظف المنزل تضرب كف بكف من انقلاب الجو بهذا الشكل مدعية أنه غضبا من الله بسبب ذنوب البشر .

ضربات على الباب متعددة أنبأتهم أن أحمد يريد الدخول .. فتحت آية فدخل مسرعا نحو أروى وجلس فجأة ظهره لها وشد يديها حول رقبته وهو يهتف " هيا يا عاشقة المطر "

هتفت أروى " دعني أرتدي الإسدال أولا "

Des. Maryam Tamim

تجاهل كلامها وحملها على ظهره وأسرع نحو السطح.. بينما لحقت به آية وبانة وهي تحمل حجابا تضعه على رأس أروى .

المطر كان شديدا أغرق كل شيء .. فراقبت بانة آية التي تقفز كالأطفال .. بينما أحمد يحمل أروى على ظهره وهي تلف ذراعيها حول عنقه بسعادة .. و يدور ويدور بها حول نفسه ويضحكان كالأطفال .

اقتربت من السور تتأمل أسطح البيوت الغارقة في الماء وتنهدت وهي تتذكر لحظات هطول المطر في بلدها ...تذكرت أبيها وأخويها .. والطرقات المبللة بالماء وضحكاتها مع صديقاتها يحملن المظلات في الطريق إلى البيت .. يسمعن فيروز من سماعات الهواتف .

توقف أحمد قليلا يراقب بانة الشاردة بعيدا ترفع وجهها ليغرقه المطر .

Des. Maryam Tamim

همست أروى بجانب أذنه " أنزلني للبيت وتحدث إليها هيا .. تشجع .. ليس من الضروري أن تقول أحبك .. المهم أن توصل لها مشاعرك "

بعد قليل صعد أحمد يقول لآية " أمي تريدك بسرعة "

زفرت آية في حنق ومررت نظرها بينه وبين بانة في إرتياب ثم تحركت للنزول ..فانتبهت بانة بأنهما أصبحا وحدهما فإرتبكت وهمت بالمغادرة .. مد ذراعه أمامها يمنعها وهو قول " إلى أين ؟.. علينا أن نتحدث "

تلجلجت وقالت " هنا ؟! .. الآن ؟ !"

رد وهو يمسح الماء من على وجهه " أجل .. أروى تقول أن الحديث تحت المطر يكون رومانسيا "

أطرقت قليلا وحين لم يبدأ بالحديث رفعت عينيها إليه بتساؤل وهي تمسد ذراعها في إرتباك وتحاول الهرب من تحديقه فيها ... كان شعره مبلل بالمطر والغرة الطويلة قد تسللت لتلتصق بجبينه لكنه

Des. Maryam Tamim

رفعها بيده السمراء وهو يتطلع إليها بعينين أكثر لمعانا من ذي قبل .
وضع يديه في جيبه وقال بعجرفه لم يستطيع أن يخفيها " ألا يوجد لديك أي أسئلة لي؟"
ضيقت عينيها تحاول أن تفهم معنى الكلام ثم سألت ببطء "مثل ... ماذا ؟!؟
رد عليها بتماسك دون أن يظهر عليه الإرتباك الذي يشعر به " مثلا .. أنك لاحظتي معاملتي لك بطريقة خاصة وتريدين معرفة السبب "
صمتت بانة قليلا تحاول إستيعاب المعنى ثم قالت بتوتر " لا شكرا ".

حاولت تجاوزه فمد ذراعه يمنعها من المرور .. لترجع للوراء تنظر إليه بوجل فقال " لكني أريد أن أخبرك "

Des. Maryam Tamim

نظرت حولها تتأمل الظلام الذي بدأ يسبل أهدابه على المنظر حولهما .. بينما المطر يتدفق فوق رأسها.. دلكت ذراعها وقالت باستسلام " تفضل"

عم الصمت للحظات لا يعرف ماذا يقول .. ما أراده في تلك اللحظة وهو يراها ترتعش هكذا تحت المطر هو أن يحتويها بين ذراعيه يلتهم شفتيها .. بقبلة محمومة .. وقتها ستفهم كل شيء.

أخيرا أجلى صوته ثم قال " أمي"
فنظرت إليه في غباء تنتظر أن يكمل .. فأكمل ببطء
" أمي .. تريدني أن .....أتزوج "

حدقت فيه بعدم فهم للحظات ثم قالت وقد شب الحريق في قلبها "مبارك لك "
رد بهدوء " لا تهاني قبل أن توافق العروس أولا"

Des. Maryam Tamim

ردت باندفاع " هل تنتظر ردا من رشا ؟"
ضيق عينيه قليلا يحاول الفهم ثم قال " ما دخل رشا ! .. انتهى موضوع رشا منذ مدة طويلة يا بانة "
دبت الحرارة في جسدها وبدأ قلبها يضخ الدم لعروقها في فرح .. ثم توقف عن الدق فجأة حين مر بخاطرها تساؤل (هل وجد رشا أخرى أرق وأحلى ؟)
سألت بفضول " إذن من هي العروس التي تنتظر ردها؟"
رد ببساطة " بانة الخازن "
ردت بعفوية " نعم "
ابتسم ابتسامة واسعة جعلته وسيما ثم قال بهدوء "أنتظر الرد من بانة الخازن ".

اتسعت عينيها للحظات بعدم فهم .. ثم تلون وجهها في الظلام للون الأحمر غضبا.. وليس خجلا.. وصاحت " شكرا على العرض السخي يا

Des. Maryam Tamim

باشمهندس ... أقدر شهامتكم جدا .. أنكم تريدون ضم فتاة غريبة وحيدة لعائلتكم الكريمة وسترها .. جزاك الله خيرا ستضحي برشا من أجلي .. ولكني أعتذر سأرفض عرضكم السخي فأنا لا أريد أن أتزوج ."

قالتها وتحركت بغضب تحاول تجاوزه فمد يده وشدها من مرفقها بحزم يعيدها إلى حيث كانت هاتفا بعصبية " انتظري يا غبية .. ألا يوجد حل للسانك الطويل هذا الذي يلقي بالكلام بسرعة مائة كلمة في الثانية !"

صاحت فيه " أنا غبية يا أحمد سماحة !!!!!"

رد بقسوة " غبية ومتفزلكة ومعقدة نفسيا .. من أين أتى موضوع الستر والكرم وهذا الكلام .. وحتى لو كانت عائلتي لديها رغبة في مساعدتك .. هل تعتقدي أني بهذا السمو الذي يجعلني أتزوج من فتاة لأني أشفق عليها وأريد أن أساعدها!!!!!!!!..

Des. Maryam Tamim

إسمحي لي أنا أبعد ما يكون عن هذا التصور يا بانة الخازن "

وقفت تحدق فيه بعدم تصديق .. هل من الممكن أن يبادلها أحمد الشعور الذي تشعر به نحوه .

حين طال صمتها وطالت وقفتها المتخشبة متسعة العينان رفع كفه أمامها يحركه أمام ناظريها .. بينما دوى فجأة صوت الرعد قويا فانتفضت برعب تمسك في ملابسه البيتية الغارقة في المطر دون إرادة منها فلف ذراعه حولها يطمئنها ..

انتبهت بانة لما فعلت... فأسرعت تحاول الإبتعاد عنه .. لكنه أحكم ذراعه العضلي حولها يضمها نحوه أكتر .. وهو يحدق فيها من هذا القرب .. وجهها كان غارقا بالمطر بإغواء .. ورموشها ملتصقة ببعضها وقطرات المطر لامعة فوق جفونها بينما

Des. Maryam Tamim

مقلتاها البندقيتان تبدوان أكبر حجما وأكثر إلتماعا .. وهذا الصابون الذي تستخدمه أروى يبدو عليها مختلفا بعد أن اختلط برائحة جسدها فخرج إليه مذهلا حارقا .

أصابت رائحة أنفاسه العطرة القشعريرة في جسدها وارتبكت أكثر حين سمعته يتمتم " هذا الوضع رومانسيا أكثر من أمطار أروى "

هتفت بذهول وهي تحاول الإبتعاد " أحمد اتركني .. ماذا تفعل؟؟!!!! "

في الضوء الخافت الآتي من مكان ما حولهما استطاع أن يرى إنعكاس صورته في عينيها حين رفعتهما إليه في تساؤل وإرتباك .. فسرت الحمم السائلة في عروقه ..

Des. Maryam Tamim

تكلمت بضيق وهي تحاول الافلات من ذراعه" أحمد !!"

شدها نحوه بقوة فألصق جسدها بصدره العضلي وملابسه المبللة ..

ارتبكت أكثر وتسارعت أنفاسها فبدأت بالارتجاف تقاومه وهو يحكم ذراعه أكثر سعيدا برؤية صورته في عينيها .

فلم تشعر بنفسها إلا وهي ترفع كفها تصفعه على وجهه .. فأجفل وتركها وعيناه تموجان بالغضب.. وقفت تحدق فيه للحظات غير مصدقة أنها صفعته.. ثم هتفت بكرامة مجروحة " من تظن نفسك لتفعل هذا .. أم تظنني رخيصة ؟!"

رد بهدوء " من أظن نفسي ؟ .. أظن نفسي الوحيد الذي ستسمحين له بهذا يا بانة.. ولا أحسبك رخيصة أبدا .. الأمر ببساطة أني أعتبرك تنتمين إلىّ "

Des. Maryam Tamim

وقفت تحدق فيه بذهول تحاول استيعاب الأمر كله.. بينما المطر قد توقف تماما .
فأضاف أحمد بمشاكسة " كما أنها ليست المرة الأولى التي أضمك فيها "
هتفت مدافعة" المرة الأخرى كنت أعلم أنك تتعامل معي كرجل .. لكن هذه المرة أنت تعرف"
رد بهدوء وبرود " لا أقصد هذه المرة "
ارتسم الغباء على وجهها وقالت " لا توجد سوى مرة واحدة عندما كنت سكران و..... (قطعت حديثها وهي تنظر لأصبعيه الذين رفعهما فقالت بغباء) ما معنى هذا .. علامة النصر!"

أغلق قبضته ثم رفع السبابة ثم الوسطى فهتفت مصعوقة " مرتان !!!.. متى ؟!!! أنت تكذب ! "
رفع حاجبا مستنكرا ثم قال بتسل" في بيت حموءة .. بعد أحمااااااااااااااااااااااد .. بعد أن فككت

Des. Maryam Tamim

رباط يديك وقدميك فارتميت تحكمين ذراعيك حول رقبتي ".

حدقت فيه بذهول وإنتابتها فجأة رغبة في البكاء فهتفت " أمي ...أمي الحاجة تناديني "..

قالتها وجرت على السلم قبل أن يمنعها هذه المرة..فتمتم بغيظ " لماذا تهرب إلى أمي كلما تكلمت معها!!! "

***

في موعد أول سحور في رمضان .. كانت بانة قد أنزوت في الغرفة منذ أن نزلت من السطح ثم صلت التراويح مع أروى.. وظلت متدثرة في الفراش في صمت.. وحين حاولت أروى سؤالها لم تجيب .. بل حاولت أن تعتذر عن السحور بحجة أنها مريضة..لكن الحاج أمر بلهجة حازمة أن يجتمع أهل البيت كلهم في أول سحور في رمضان..

Des. Maryam Tamim

فخرجت بانة تساعد أم أحمد بينما أروى في غرفة أخيها.

هتفت أروى بإستهجان " هل لديكِ سؤالا لي؟!!...
أمي تريدني أن أتزوج !! ..
أنتِ غبية ومعقدة نفسياً !! ...
ولمستها وضممتها إلى صدرك !!! ..
وعايرتها بأنها لم تكن المرة الأولى !!!..
ما شاء الله ما كل هذه الرومانسية يا أخي ! ...
ستصيبني بنوبة قلبية من عمق رومنسيتك
والله!!!!!!!!!!
لماذا لم تهددها أيضا بأنك ستفضحها إذا لم تتزوجك ؟!"
كان أحمد يقف أمامها مطأطيء الرأس يديه في جيبه ولم يرد .. بينما أضافت أروى " لو كنت مكانها لدفعتك من فوق السلم لتنزل وتتفتت عظامك .. ثم لملمت بقاياك وأحرقتها .. ورميت

Des. Maryam Tamim

الرماد في النهر .. حتى تكون عبرة لأمثالك من الأجلاف "

رفع لها نظرات باردة وهو يقول " ولو قلت كلمة أحبك الحمقاء هذه لن أكون من الأجلاف !! "

هتفت من بين أسنانها " ليست الكلمة المطلوبة يا عبقري .. الشعور ..الاحساس "

هتف بسرعة " بالضبط .. الشعوووووور .. والشعور لا يفهم إلا باللمس .. هذه قضية محسومة "

قالت بيأس " أنا فوضت أمري لله فيك .. سأذهب من أمامك.. لأني صاحبة مرض "

قبل أن تخرج من الغرفة قالت " إياك أن تتحدث معها الآن .. أتركها في حالها يكفي أن أبيك أصر أن تخرج للسحور فلا تحرجها بوجودك وأترك لها فترة تتوازن "

على السحور كانت بانة صامتة شاردة منطوية .. فراقبها أحمد وهو يشعر بالذنب نحوها .. لم

Des. Maryam Tamim

يقصد أبدا المعنى الذي وصلها .. لكنه آثر الإلتزام
بما طلبته أروى ... حتى لا يخرب الوضع أكثر .
راقب شرودها ولقيماتها القليلة فوبخ نفسه كثيرا .

بعد السحور انسحبت بانة وجلست على سجادة
الصلاة تقرأ القرآن وتنتظر أذان الفجر .. كانت
مشوشة الأفكار .. تعصف بها الحيرة ..
ما قاله أحمد منذ ساعات وما أدركته هي كان جرعة
قوية من التغيرات في حياتها أضيفت لما لديها
بالفعل منذ فترة ..
ذهنها كان مشغولا تحاول تذكر ما حدث تلك
الليلة حين أنقذها أحمد ..
والأهم من ذلك .. هو ذلك الاعتراف الذي فجره في
وجهها أحمد.. أنه يراها كأنثى ويرغب فيها..
ويحمل لها مشاعر خاصة ..
كان أمر برغم أن قرون استشعار الأنثى بداخلها
والتي كانت معطلة لفترة.. قد استشعرته .. لكن

Des. Maryam Tamim

على ما يبدو أن هناك خللا قد حدث بين مستقبلات الأنثى لديها وعقلها الواعي .. فبات الأمر وكأنه خبرا قديما لكنها تفاجاءت به ! .

لم تدري أنها غفت على سجادة الصلاة ورأت نفسها مقيدة على كرسي في غرفة قديمة وتصرخ باسم أحمد فانكسر الباب ليدخل هو بهيئة مرهقة ملتاعة .. إندفع نحوها .. وفك وثاق قدميها سريعا ثم يديها وهو يرتجف ويهتف بحرارة " لا تخافي .. لا تخافي يا بانة .. أنا هنا .. لقد وجدتكِ .. لقد وجدتكِ "

أنهى فك يديها ثم أحاط كفيه بوجهها ملتاعا من حالتها وهي تنظر إليه بنظرات غير مصدقة أنه موجود .

قرب شفتيه من خدها يقول بهمس حار " لا تخافي يا بانة أنت معي . لقد وجدتك حبيبتي "

Des. Maryam Tamim

ألقت بانة بنفسها عليه .. دفنت رأسها في رقبته وانهارت في البكاء تتمتم باسمه في شكوى صامتة بينما تستنشق رائحته لتتأكد أنها لا تهلوس فتخللتها رائحته كالمخدر..

ضمها إليه بقوة.. كاد أن يسحقها بين ذراعيه لكنها لم تبال بالألم.. لأنه دليل على أنها في أمان .. يديه مسدت على شعرها وظهرها .. وشفتيه تهمسان بجانب أذنها " أنا أسف .. أنا أسف حبيبتي تأخرت عليكِ " .

شهقت فجأة وهي تفتح عينيها لتجد أروى توقظها وتقول "اقترب أذان الفجر .. إشربي قليلا من الماء ."

حدقت فيها بعينين متسعتين لبعض الوقت .. ثم اعتدلت وتناولت من يديها كوب الماء تشرب منه .. فتحركت أروى بالكرسي وأحضرت فوطة

Des. Maryam Tamim

وأخذت تجفف جبين بانة التي تحدق في الفراغ
فقالت لها " هل كان كابوسا؟"
حركت بانة رأسها وهي تنهت " بلا "

أذن لصلاة الفجر فاستعدتا للصلاة .. وعند نسائم
أول نهار في رمضان استلقت الفتاتين في سريرهما
بعد الفراغ من الصلاة وقراءة القرآن ..
فقالت أروى " هل أنت منزعجة مما قاله لك
أحمد؟"
كانت بانة تعرف أن أحمد لن يخفي شيئا عن أروى
فردت بهدوء " كلا .. أنا فقط تفاجأت بما قاله ..
ثم بدأت أتذكر ماحدث تلك الليلة "
لاحظت أروى إحمرار وجهها فسألتها بصراحة "
ماذا تشعرين بصراحة تجاه أحمد ؟"
ردت بانة بخجل " الأمر معقد يا أروى "
قالت أروى بإصرار " أنا أسأل عن شعورك تجاهه
بعيدا عن باقي الظروف والتعقيدات والعقبات ..

Des. Maryam Tamim

فقط أنت بانة وهو أحمد خارج حدود الزمان
والمكان والماضي والمستقبل "

أغمضت بانة عينيها قليلا تحاول فصل شعورها
تجاهه عن باقي الأمور الأخرى ثم قالت في هدوء "
إنه .. إنه كوهج شعلة من نار .. قابلتها في ظلمة
وبرودة طريقي.. ظننتها ستؤذيني ..
لكنها أضاءت ظلمتي وأدفأت برودتي وأشعرتني
بالأمان .. "
تأملتها أروى مأخوذة بوصفها وعمق مشاعرها .
فأكملت بانة وهي تحدق في سقف الغرفة
"أتعلمين؟ .. سألت نفسي يوما ماذا لو كنت قابلته
في بلدنا ..والغريب أن شعوري تجاهه لم يتغير ..
أحمد.. حطم كل قواعد المنطق عندي إنني ..
أشعر بأنه.. إبني .. و..رفيقي "

Des. Maryam Tamim

لمعت عينا أروى بالدموع تأثرا ..فأضافت بانة "لكن..."

هتفت أروى بسرعة " لا أريد أن أسمع عن (لكن) الآن بالله عليك .. دعيني أنام على هذه الكلمات الرائعة ... تصبحين على خير "

هتفت بانة بجزع " أروى إياك أن تخبريه "

أغمضت أروى عينيها وكسى وجهها الأرتياح وهي تتمتم " لا تخافي .. إنها أسرار الفتيات "

في اليوم التالي وبالرغم من تنبيه أروى عليه أن يتركها في حالها حتى تتوازن إلا أنه لم يستطع .. منذ مدة يكتشف تغيرا في نفسه ويستشعر أنه أصبح يضعف أمامها أكثر وأكثر .

كانت تقف مع أمه وأروى في المطبخ يقوموا بإعداد طعام إفطار أول يوم من أيام شهر رمضان الكريم ..فتنحنح وقال " بانة أريد أن أتحدث معك (ثم أضاف بصوت أكثر رقة) إن كان لديك وقت "

Des. Maryam Tamim

تطلعت إليه بعينين مضيئتين .. واحمرت وجنتيها.. إسمها ينطقه بطريقة عذبة حلوة لمسامعها ..
قالت إلهام " إتركي ما في يدك وإذهبي يا ابنتي "

بعد قليل لحقت به بانة في الصالة .. كان واقفا يديه في جيبه كالعادة لكنه كان مطأطيء الرأس وكأنه يبحث عما يقول ..

بعد فترة من الصمت رفع نظره إليها عندما سمعها تسعل ليرى أنفها أحمر ..فسألها بقلق " ما بك .. هل أنت مريضة ؟"
أومأت برأسها وقالت بغيظ " شخص ما فظ وغليظ أبقاني في الأمطار أمس "
هتف ببراءة " إنها أفكار أروى أقسم بالله .. إن أفكاري مختلفة عن هذه التفاهة "

Des. Maryam Tamim

تأملت وجهه وهو يدفع عن نفسه التهمة بصبيانية فإبتسمت تفكر في أنه عندما يكون غير متشنج أو عصبي يظهر الكائن الطفولي الظريف الذي بداخله .

حين شاهدها تكافؤه بتلك الابتسامة الحلوة إرتخت أعصابه قليلا وسألها بهدوء " هل أنت غاضبة مما حدث مني أمس ؟"

قبضت بكفها على ذراعها الآخر في حرج وقالت بلهجة بلدها " لقد تذكرت ما حدث تلك الليلة .. وأريد أن أقول .. أن أقول .. أن ماحدث كان شعور إنساني بحت .. أقصد .. أنه .. لو كان شخصا آخر الذي حضر لينقذني .. كنت .. كنت .. وائل مثلا أو سيد "

رفع حاجبا غاضبا ثم رد باندفاع " كنت قتلته .. وقتلتك "

هبت موجة من الحر فعضت على شفتها بينما أضاف هو " وهذا ما قصدته من كلامي أمس .. فلم

Des. Maryam Tamim

أكن أقلل من قدرك .. كنت أريد أن أقول أنك تخصيني .. وأنني لا أنظر إليك من منظور التقاليد والأعراف وهذا الهراء .. أقصد ... لا أنظر من تلك الزاوية التي تقيم الفتاة أخلاقيا .. لأنك عندي أنقى وأطهر من أن تقيّمك بتلك المعايير و .... "

صمت فجأة وزفر نفسا حارا من صدره كأنه قام بمهمة صعبة .. وتطلع إليها يترقب رد فعلها.. بينما هي تتجول بنظراتها في المكان متحاشية نظراته لا تعرف بماذا ترد .. ضربات قلبها تضخ الدماء في أذنيها ..وودت لو تجري من أمامه .. لكنها أصرت على عدم الهروب .. وتمتمت بصوت هارب منها " شكرا على كل شيء "
سألها فجأة " وأنت كيف ترينني يا بانة ؟"

صمتت قليلا ثم ابتلعت ريقها وقالت ".. بالرغم من أنك فظ ومغرور ومتعجرف وأحيانا وقح "

Des. Maryam Tamim

هتف باستنكار " أنا !!!!!!!!!! "
ابتسمت إبتسامة مرتعشت وأكملت " لكن عندما خطفني حموة .. كنت .... "
قاطعها بهدوء وهو يحدق فيها بملئ عينيه " حموءة .. أسمه حموءة "
قالت " آه .. حمأة .. كنت... "
قاطعها مجددا وهو يتطلع لشفتيها كيف تنطق الاسم "ح .. مو .. ء .. ة بفتح الحاء وضم الميم وفتح وتشديد الهمزة يا بانة "

لعقت شفتها بلسانها في حرج فتمتم من بين أسنانه "استغفر الله العظيم .. اللهم إني صائم "

أما هي فأكملت " عندما خطفني هذا الكائن ... لم أفكر في أي شخص.. سواك ... بالرغم من معرفتي

Des. Maryam Tamim

بأنك تبعد عني مئات الكليومترات .. وعلى الرغم من أني أثق بالتأكيد في الباقين و...."

لم يسمع باقي الحديث ..
ماذا يمكن أن يفعل معها الآن بعد هذا الوسام من الثقة الذي منحته إياه للتو؟ ..
إنه غبي..
أجل غبي.. أن يسألها سؤالا كهذا في نهار رمضان
فلن يستطيع الرد بما يليق بإجابتها !!!.

هتف فجأة بعصبية " لماذا تتحدثي بلهجتك يا بانة .. نحن في رمضان!"
رمشت بعينيها عدة مرات ثم قالت ببراءة" ما العلاقة !"
فرد بانفعال " العلاقة واضحة .. لا تتحدثي بلهجتك أمامي أبدا في نهار رمضان .. إنها من المفطرات .. المفطرااااات "

Des. Maryam Tamim

عقدت حاجبيها تحاول الفهم فبدا لها المعنى وقحا.

إحمر وجهها وتخصرت تشاكسه " وماذا بها لهجتي يا باشمهندس "
مع تخصرها لمحت عيناه البروز في منطقة صدرها أكثر وضوحا أمامه..
فجحظت عيناه برعب .. ثم قال كمن لدغه عقرب "رمضان كريم يا بانة... إذهبي من أمامي .. إذهبي يا بنت الناس .. ويفضل ألا أراك خلال نهار رمضان (اقترب من الباب وهو يصيح) أنا ذاهب لألحق بصلاة العصر في الجامع يا أمي (ثم أغلق الباب خلفه بعنف وهو يتمتم) يا رب .. ما هذا الاختبار الصعب ؟!!.. بانة في بيتنا .. تتحدث بلهجتها وتلعق شفتيها أمامي .. وتخبرني أني الوحيد الذي فكرت فيه ..والكمثرى .. استغفر الله العظيم

Des. Maryam Tamim

أصبحت أكبر ... كل هذا وأنا صائم !..اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه"

عند ساعة الإفطار قامت بانة من قيلولتها وقد اشتدت بها أعراض البرد .. فتحركت خارج غرفتها لتقابلها آية في الممر ومالت عليها تقول " تقومين بما تخططين له بمستوى عالي من تملق آل سماحة .. أمي تمدح موهبتك في الطبخ .. أشهد لك بالذكاء الفذ .. ستحصلين على مأوى دائم قريبا جدا "

أدمتها كرامتها بالرغم من أنها تشعر أن تلك النارية تستفزها .. فتحركت في صمت نحو المطبخ .. بينما سحبت إلهام أحمد- الذي كان يرص الفوانيس على منضدة الطعام - نحو باب الشرفة لتقول بحماس "أخبرني يا ولد .. هل ما أشعر به في الأجواء صحيح؟"

Des. Maryam Tamim

سألها بمكر وهو يداري إبتسامته " بماذا تشعرين يا عود الفانيليا ؟"

همست " أنك تميل لبانة .. لن أنسى نظرة الهلع في عينيك حين دخلت عليّ وأنت تحملها فاقدة الوعي .. ولن أنسى نظرات التوسل في عينيك حين طلبت مني أن أدخل مع الطبيب .. ولم يخفى عليّ لهفتك عليها ولا نظرة عينيك لها التي تأكلانها .. يابن بطني "

ابتسم أحمد بسعادة وقال " وما رأيك يا أم أحمد لو كان إحساسك في محله؟ "

شهقت في فرح وهي تضرب على صدرها " رأيي أنه إختيار ممتاز .. هذه الفتاة تسعد قلبي كلما رأيتها ربي يعلم (ثم عقدت حاجبيها في تساؤل وقالت) وماذا عن رشا "

حرك كتفيه وقال بلامبالاة " لم يعد هناك وجود لرشا يا أم أحمد .. بانة .. ولا يوجد غيرها "

Des. Maryam Tamim

هللت وهي تربت على صدره بحنان وأجراس أساورها تزغرد في فرح .. فوضع إصبعه أمام شفتيه يقول " أشششششش .. دعينا لا نتعجل يا أم أحمد حتى لا نضغط عليها .. هذا سر بيني وبيك"

كتمت إلهام فمها مؤيدة .. ثم وقفت على أطراف أصابعها فأحنى رأسه لها لتطبع قبلة سعيدة على خده .

على منضدة الإفطار هتفت أية بفرح حين وجدت الفوانيس تزين منضدة الطعام.
كان أحمد قد رسم على زجاج كل فانوس إسم كل واحدة منهن بالخط الكوفي والزخارف الملونة فبدا وكأن الفانوس قد صنع من أجل صاحبته .

بقى دقائق على أذان أول يوم من شهر رمضان والكل مجتمع حول الطعام .. الحاج يستغفر ويسبح

Des. Maryam Tamim

والفتيات يتأملن فوانيسهن في فرحة .. وإلهام تنظر للوليمة التي أمامها في رضا وسعادة.

هتفت أروى بفرح تشرح لبانة " في داخل الفانوس مكان لوضع شمعة .. كنا نشعلها ونحن صغار .. لكن هذا النوع من الفوانيس لم يعد شائعا حاليا فحل محله أنواع أحدث .. لكني مازلت لا أعترف بفانوس غير هذا النوع "

مسحت بانة أنفها الأحمر من أثر البرد فأدار أحمد رأسه يستغفر ويحوقل .. بينما طالعت هي الفانوس بفرحة طفلة صغيرة وفتحت باب الفانوس لترى مكان الشمعة كما شرحت أروى.. فكتمت شهقة لكنها كانت مسموعة بشكل جعل الجميع يتطلع إليها فتصنعت السعال لتبعد النظرات الفضولية عنها .. وهي ترفع الفانوس من

Des. Maryam Tamim

على المائدة لتضعه في حجرها كأنها تخفيه عن الأعين .

رُفع آذان المغرب فبدأوا في الإفطار إلا بانة التي التي أعادت فتح باب الفانوس وهي تنظر نحو أحمد في الجهة المقابلة لها على المنضدة الذي بادلها نظرات مبتسمة لتنظر إلي ماكتبه على جدار الفانوس من الداخل
. (You Belong To me !)

***

بعد عدة أيام :

على صفحة Mi Min قرأ عمرو كلمات الأغنية الشهيرة .

كم جميل لو بقينا أصدقاء
إن كل إمرأة تحتاج .. إلى كف صديق
كن صديقي



رواياتي صغيرة
وإهتماماتي صغيرة
وطموحي أن أمشي ساعات معك
تحت المطر..
عندما يسكنني الحزن .. ويبكيني الوتر
فلماذا تهتم بشكلي .. ولا تدرك عقلي
كن صديقي.

فرك عمرو وجهه بكفيه بإرهاق .. إنه يجهد نفسه في العبادة مستغلا نفحات شهر رمضان المبارك لينساها .. ليمحو أثرها من عقله .. لكنها لا تريد أن تنمحى ..

الأمر معها لا يعرف كيف يصفه بطريقته وبمنطِقه .. إمرأة لم يراها ولا يعرف عنها شيئا وتحتل عقله كل هذا الاحتلال ..

أرسل إليها رسالة خاصة :

"لو كلمات الأغنية رسالة موجهة.. فلو تعلمينني حق المعرفة .. لعلمتِ أني أبعد شخص يمكن أن يهتم بالشكل .. والدليل إهتمامي بك .. دون أن أعرف شكلك وقد جذبني عقلك..
ولو لم تكن رسالة موجهة فأعتذر لحساسيتي الشديدة هذه الأيام .. وأعتذر أيضا أني قد لا أكون متواجد بشكل يومي .. فأنت تعلمين وقت رمضان القصير .. وأنا غالبا اتفرغ فيه للعبادة بإذن الله تعالى .. رمضان مبارك ميمين ".
ثم تمتم في سره " المهم أن أتغلب على هوى نفسي وأركز "
قاطع أفكاره يد والده الذي يجلس على كرسي بجواره في المسجد تربت عليه ..

كان الشيخ عبد الرحمن قد أصر أن ينزل للمسجد ليؤدي التراويح كعادته كل عام .. وكم يشفق عليه عمرو في كل مرة ينزل فيها .. حتى أن المصلين ألحوا

Des. Maryam Tamim

أن يؤم الشيخ الصلاة ككل عام .. وكل هذا يراه عمرو إرهاقا على والده.

قال الشيخ وهو ينظر في عينيه " لا تحمل هما .. ما ضاقت إلا ما فرجت بإذن الله ".
قال عمرو وهو يقبل يده " بإذن الله تعالى اتفقت مع أمي أنها سترشح لي فتاة غير إبنة خالي.. وستدبر أمر لقاء غير رسمي بالفتاة المرشحة .. حتى لا يكون الأمر مؤلم للفتاة لو لا قدر الله لم يحدث توافق .. أنا أبلغت أمي أني على استعداد للزواج لكن لا تجبرني على إبنة خالي .. ليس لأنها بها عيبا لا سمح الله .. ولكني سأدخل هذه التجربة لا أعلم مدى نجاحها من فشلها .. فلا أريد أن أظلم إبنة خالي معي ولا أظلم نفسي بها بسبب القرابة "
ربت الشيخ على رأسه وهو يبتسم إبتسامة أضاءت وجهه وقال " كل شيء قسمة ونصيب .. وعندما يأتي النصيب ستتزوج .. وأنا أدعو ربي ليل نهار أن

Des. Maryam Tamim



يرزقك بمن تسعد قلبك وتكون لك نعم الأهل والسكن "
تمتم عمرو بتأثر "يا رب يا شيخنا .. يارب "

بعدها أقيمت الصلاة ليستقيم المصلين لاستكمال صلاة التراويـح .
***

الفصل السادس عشر

صاح أحمد " أسرعي يا أمي لأوصلك للخالة أنجيل قبل أن أذهب لصلاة العصر "

قالت أروى " إياك أن تشاكسها كعادتك .. يكفيها ما هي فيه .. أمي أصرت أن تقبل دعوتها على الافطار هذه السنة بحضور الكل حتى تخرجها من حالة الاكتئاب الذي تعيشه بعد معرفتها بحقيقة مرض وائل "

هتف أحمد بعجرفة " لا أحد يتدخل بيني وبين أنجيل .. ما بيننا علاقة غرام وانتقام "

ثم وجه كلامه لبانة " سأعرفك على أنجيل الليلة .. من أطيب القلوب وأظرف الشخصيات التي قد تقابلينها في حياتك "

فأكملت أروى " ولهذا يتعمد استفزاز المسكينة "

فرد أحمد بتسلية " استفزازها أمتع من استفزاز بانة الشهيرة برامز "

Des. Maryam Tamim

تحكمت بانة في ابتسامة لحوحة.. فنظر إليها نظرة متفحصة ثم هتف " اللهم إني صائم .. سأنتظرك في الشارع يا أم أحمد "

تحرك نحو باب الشقة فجرت بانة خلفه تناديه .. استدار على السلم يقول " قلنا قطع العلاقات بين البلدين الشقيقين في نهار رمضان يا بنت الناس "

تحكمت في ابتسامة لحوحة أخرى .. لكن وجنتيها احمرتا رغما عنها فتصنعت الجدية وقالت " لابد أن نتحدث يا أحمد .. الأمور ليست بسيطة كما تتعامل معها.. عليك أن تسمعني "

استشعر جديتها واستشعر أن ما تريد أن تقوله لن يعجبه لكنه تصنع المزاح هاتفا " متى سنتحدث يا دكتور .. في النهار العلاقات مقطوعة وبعد الافطار ننشغل في العبادة .. ثم أعود لأجد تجمع نسائي أمام التلفاز .. مسلسلات مسلسلات .. كم مسلسلا تشاهدين يا بانة ؟"

Des. Maryam Tamim

رفعت أربعة أصابع ببراءة.. فهتف باستنكار
"أربعة!! "
قالت بهدوء وهي تتكتف " والباقي بعد رمضان "
تأملها قليلا ثم ابتسم ابتسامة أضاءت
قلبها.. فأشفقت على نفسها من الآتي ..
كيف ستمنع نفسها بكل قسوة من أن تمتك تلك
الابتسامة لها وحدها !.
قال أحمد بهدوء "أنت كمثرية بجدارة "
قالت مندفعة " ما موضوع الكمثرى هذا الذي تردد
كثيرا "
تنحنح ثم قال " حسنا .. هذا الموضوع شيق
وسيسعدني أن أقصه عليك .. لكن بعد رمضان إن
شاء الله "
قالت مفسرة بشجن " إنها المرة الأولى التي أشاهد
فيها المسلسلات وسط جو نسائي أنت تعلم أن أمي
توفيت وأنا صغيرة ولم يكن لدي أخوات بنات

Des. Maryam Tamim

فكنت أفعل الأمور النسائية بمفردي معظم الوقت
"

تطلع إليها قليلا وقد خفق قلبه بإشفاق عليها ..
فقال بحنان " وإن شاء الله ستتمتعين كل عام بهذه الرفقة حتى تصبحين عجوزا شمطاء مزعجة ومتفزلكة "

اعتصر قلبها الحزن وهي تقول " لا تسترسل في الأمنيات يا أحمد .. علينا أن نتحدث بجدية "

ارتجف قلبه في لحظة خوف لكنه قال بهدوء " ألا يمكن أن نؤجل الحديث لبعد الشهر الكريم ؟"

قالت في إصرار " أرجوك يا أحمد أنا لا أنام من التفكير "

هتف بسخرية " وكيف لا تفكرين .. وتتفزلكين .. وتعقدين الأمور .. وتتضخم كرامتك .. وأنتِ بانة.. ملكة الفزلكة "

ابتسمت في مرارة فنغزه قلبه أكثر وقال لها " سنجلس ونتكلم قريبا جدا إن شاء الله "

Des. Maryam Tamim

***

دخلت أروى بكرسيها لبيت السيدة أنجيل وهي تحمد ربها أن العمارة بها مصعد فلم تضطر لأن يحملها أحمد هذه المسافة القصيرة في الشارع .. وضعها على كرسيها وسارت بجانبه حتى مصعد العمارة .

رحبت بها السيدة أنجيل ثم انتبهت لوجود بانة التي تقف في حرج .. فأشارت إليها أنجيل لتقترب بينما أحمد يراقب مشيتها الواثقة الشامخة ترتدي عباءة من الجينز مطرزة من الجانبين بأكمام منتفخة من المرفق للرسغ..

خيل إليه أنها اكتسبت بعض الوزن .. ومن خبرته الذكورية فيِعتقد أنها بقامتها وكتفيها الواسعين قليلا ستبدو مذهلة إذا اكتسبت بعض الكيلو جرامات الأخرى .

أطرق يتحاشى النظر إليها .. ويفكر بقلق في إصرارها على الحديث معه بهذا الإلحاح .

Des. Maryam Tamim

قالت بانة للسيدة أنجيل " أشكرك على أدوات المطبخ التي أرسلتها لي حين أتيت إلى هنا "
قبّلتها أنجيل وجنتيها بمودة وهي تقول " لا شكر على واجب .. الناس تقف بجانب بعض في الشدائد .. ولو كنت أعلم أنك فتاة لكنت اهتممت أكثر والله "
ثم تطلعت إليها بنظرة تقييمية وهتفت بعدم تصديق "من الحمار الذي صدق أنك ذكرا؟!!! "
هتف أحمد من بعيد " ابنك أول الحمير "
تحرجت بانة وابتعدت تجلس في صمت بجوار أروى بينما تحركت آية تقف في أقصى الزاوية تضع سماعات الهاتف في أذنيها في امتعاض حتى ينتهي مسلسل (بانة ومناقبها).
بعد قليل قال أحمد " غالبا عمرو لن يأتي "
قالت إلهام وهي تمصمص شفتيها " وهل ستتركه عفاف .. هذه أول سنة لن يستطيع الشيخ الحضور .. وبالطبع لن تتركه يفطر بعيدا عنها "

Des. Maryam Tamim

شعرت أروى بالإحباط والألم .. منذ أن تحدد موعد تلك العزومة .. وهي تحسب الساعات متى ستراه .. لقد مر وقتا طويلا منذ آخر مرة رأته .. وأضناها الشوق .. الشوق لملئ عينيها بطلّته .. للتواجد في محيط حضرته حتى لو كانت خارج مجال نظره .

سألتها بانة في قلق " هل أنت بخير ؟"

ابتسمت بصعوبة " بخير لا تقلقي إنه إرهاق الصيام "

أخذت بانة تدلك كفي أروى الباردتين وهي تراقبها في قلق .. بينما رن الجرس ثم دخل سيد بضخامة جسده وصوته العالي ..

تهللت أسارير آية لأول وهلة لكن حينما شاهدت الكائن الجميل الذي يدخل برفقته يتأبط ذراعه في وجل انكمشت في مكانها وضرب الصداع رأسها .

Des. Maryam Tamim

ما أن لمح سيد بانة تقف قريبة .. في هيئة أنثوية .. حتى انفجر ضاحكا في هستيريا.. بينما تكتفت بانة وحدجته بنظر صقيعية في صمت ..
لم تفهم بسمة ماذا يحدث فوقفت ترتسم عليها علامات الغباء لا تعرف هل تجلس أم تسلم أم ماذا يحدث ..
قاوم سيد نوبة ضحك أخرى وتقدم يعرّف زوجته ببانة " أقدم لك .. أقدم لك .. أنظري يا بسمة منذ حوالي شهر كانت الدكتور رامز .. أما حاليا فهي تعيش في دور الدكتورة بانة الشهيرة برامز .. ولا نعرف متى ستغير رأيها "
ارتسمت علامات الغباء أكثر على بسمة وهي تمرر نظرها في عدم فهم بينهما .. فقال لها بصوت خفيض مسموع " إنها متحولة كانت ذكرا وأصبحت أنثى "
شهقت بسمة في رعب وهي تداري فمها بكفها تحاول الاستيعاب بينما رد أحمد ويديه في جيبه "

Des. Maryam Tamim

ما كمية الظرف التي حلت علينا هذا اليوم..
سنصاب بتلبك معوي لا محالة على الإفطار "
تدخلت بانة تمد يدها لبسمة " بانة الخازن ..
سعدت بالتعرف عليك "
مدت إليها بسمة يدها في توجس وعدم فهم .
تحرك سيد يسلم على الجميع في مرح .. لكن قلبه كان بعيدا عن أي مرح .. بالرغم من تعمده للحضور هذا العام برفقة زوجته بسمة في تجمع مهم كهذا .. كوسيلة لمقاومة جنونه .. لكنه بمجرد أن اقترب من المكان شعر بالندم .. وشعر أنه منافق .. ووضيع .. وظالم لبسمة ولنفسه وللناس الذين يحبونه .
سلوك جلد الذات هذا بات يؤرقه مؤخرا .. ولا يعرف متى سينتهي هذا العذاب .
المضحك في الأمر والذي يؤكد على أنه بات مختلا عقليا ..

Des. Maryam Tamim

أنه يشعر بوجوده هنا في هذا التجمع يصطحب بسمة .. في وجود آية .. أنه ..
يخون آية !.. وليس بسمة!.
دخل وائل وقد بدى أكثر نحولا يسلم على الجميع ثم سأل عن الحاج سماحة فأجابه أحمد أنه يخجل من الصعود إلا بعد أن يتواجد وائل فهتف وائل " وأنتما ماذا تفعلان هنا "
رد أحمد باستظراف " نحن لا نخجل "
بعد قليل دخل الحاج سماحة مع وائل وجلس يقرأ القرآن من مصحفه الصغير في الدقائق الباقية على مدفع الإفطار ..
عند دخول أمير بصحبة فتاة جميلة خجولة أطلق سيد صفير إعجاب فهتف وائل " أنها حصري لبيت مجدي موريس يا ولد "
ابتسم أمير بمودة وهو يعرف الجميع " كريستين .
.. خطيبتي .. سنعلن الخطبة بعد أيام "
بعد تبادل التهاني سأل وائل أمه " أين ماجدة ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت أنجيل " نزلت منذ قليل عادت لشقتها وأنت تحضر الحاج سماحة "
قال بعصبية " ولماذا تركت التجمع ؟"
ردت أنجيل بحنق " أتركها يا وائل بالله عليك .. البنت تعبت ليومين معي تحضر كل شيء ولم تتركني أفعل شيئا "
زفر وائل في يأس " حاضر يا أمي .. اتصل يا أمير بالفتاتين حتى تحضرا "
حاول سيد تلطيف الأجواء فتحرك يفتح كيسا بحوزته بينما انكمشت بسمة تجلس بجوار السيدة أنجيل بخجل .. تراقبهم جميعا ..فأخرج سيد فانوسا ورقيا بألوان زاهية وتقدم للسيدة أنجيل قائلا " كل عام وأنت بخير يا أنجيل" ..
فتحت أنجيل الفانوس الورقي لتجده مليء بقطع الشيكولاتة والتمر والمكسرات .. فهتفت في فرح طفولي .. لكن أمير خطف من يدها الفانوس ليقول

Des. Maryam Tamim

بابتسامة صفراء " سأحتفظ بها لك يا أمي وأعطيك كل يوم قطعة "

عقدت أنجيل حاجبيها ومطت شفتيها في عبوس فضولي بينما أعطى سيد لبسمة فانوسا مثله .. وتحرك نحو كريستين الخجولة ثم أروى التي ابتسمت في مجاملة .. حتى وصل لآية المنزوية في الركن البعيد .

مدة يده بالفانوس لتستقبله بوجهها العابس .. ومدت يدها تأخذ الفانوس فانزله لأسفل قليلا قبل أن تمسكه وهو يسأل " ما بك ؟"

ردت بعبوس " اعطني الفانوس "

مدت يدها تأخذه رفعه قليلا قبل أن تصل إليه يدها فهتفت بعتاب " اعطني الفانوس مثل الأخريات "

ابتسم لها في مرارة يقول " أحيانا تجبرنا الحياة أن نقبل جزء صغير مما نريد بدلا من الحصول عليه كله "

Des. Maryam Tamim

شدت منه الفانوس بعصبية وهي تقول " يا أهلا بالواقع الجميل ! "
تأمل كفها الذي يضم الفانوس إلى بطنها ثم رفع عينيه لوجهها يسألها " هل أنت مريضة ؟"
ردت بهدوء " عندي صداع "
سألها " هل نسأل الخالة أنجيل على دواء للصداع"
قالت بهدوء " سألتها لا يوجد "
أدرك أنه قد أطال في الوقوف معها فتحرك يتجاوزها نحو السيدة إلهام الجالسة على الأريكة ... بينما بسمة تختلس النظر إليهما.
تفاجأ سيد أن إلهام تدير وجهها بعيدا عنه فقال بجزع "هل أنتِ غاضبة مني يا أمي "
لم ترد إلهام .. فأمسك بيدها يلثمها فنزعتها بغضب .
هتف في حيرة " ماذا فعلت لأغضبك يا ست الكل"

Des. Maryam Tamim

نظرت إليه بعتاب وردت بألم " لا تعرف ماذا فعلت !!! .. أنت لم تأتي على الإفطار عندي .. أول سنة لا تفطر عندي يا سيد .. "

قبل رأسها وقال " أنا آسف يا أمي .. لم أطيق التواجد مع ابنك في مكان واحد "

رمقه أحمد من بعيد بنظرة استهجان بينما هتفت إلهام وهي تشيح بيدها "مالي أنا بما يحدث بينك وبين أحمد .. ما دخلي أنا بالموضوع ! .. (وأكملت بعدم تصديق) لا تزورني في رمضان !.. لا تأكل من يدي ! .. أجلس على مائدة الإفطار لأجد أحد أبنائي غائبا ! "

تألم قلبه لألمها فانحنى يلثم يديها ويعتذر .. فهتفت وهي تتأمل رأسه الكبيرة المنحنية أمامها " تغيرت يا سيد منذ أن تزوجت .. أصبحت تتعمد الابتعاد عني .. هل زوجتك من تبعدك عن أمك "

هتف سيد بسرعة بلهجة صبيانية " أجل هي يا أمي من رفضت أن أفطر عندك في رمضان "

Des. Maryam Tamim

شهقت بسمة بجزع وقالت وهي توشك على البكاء
"أنا يا سيد ! .. أقسم بالله أبدا أقسم بالله "
ردت أروى وهي تشفق على المسكينة أنها صدقت ألاعيب سيد " أمي لا تصدق هذا الكلام .. لا تخافي "
قال سيد يطيب خاطرها " سأفطر عندك منذ الغد إن شئتِ "
رد أحمد بسخرية " بلغني بالمواعيد حتى أفطر على موائد الرحمن في الشارع "
تجاهله سيد وأخرج فانوسا وأعطاه لها يقبل رأسها ثم تحرك يقول " ها قد حصلت كل أنثى على فانوس " ..
قالت أنجيل وهي تشير إلى بانة " وهذه أين فانوسها "
خبط سيد على جبينه يتصنع التذكر " آاااه نسيت .. لم أعتاد الأمر بعد "

Des. Maryam Tamim

وتقدم يعطيها الفانوس الأخير وهو يقول بإغاظة "
عفوا .. فليس كل من يرتدي ملابس نسائية .. إناث
"

أخذت الفانوس وهي تشمخ بذقنها وقالت بكبرياء
"وليس كل من يرتدي ملابس رجالية ..رجال "
صفر سيد بإعجاب وأعطاها الفانوس وهو يقول
"رمضان كريم بانة الخازن "
بينما رمقها أحمد بفخر وإعجاب من هذه الأبية
الشامخة رغم كل الظروف .
بدأ الجميع الجلوس حول منضدة الطعام العامرة
بما لذ وطاب .. يبقى دقائق على مدفع الإفطار ..
رن الجرس فجأة.. ففتح أمير وتهللت أساريره .
دخل عمرو بصحبة الفتاتين ميري وأنجيل اللتين
قابلهما في طريقه وقال " السلام عليكم .. آسف
على التأخير"
هلل الحاضرون في فرحة بينما ارتج قلب أروى
بعنف من اللهفة والشوق والشعور بالامتنان .

Des. Maryam Tamim

قالت إلهام بسخرية " لا تخبرني أن عفاف تركتك تأكل بعيدا عنها.. ولم تخشى عليك أن نأكلك "
رمقتها أنجيل بعتاب وتدخلت لتقول " الحمد لله أنك أتيت يا حبيبي .. كيف حال الشيخ "
رد عمرو بإرهاق " الحمد لله يا خالة بخير ... وهو من أقنع أمي أن تتركني لحضور الإفطار مادام لن يستطيع الحضور ككل عام .. ويبلغكم تحياته "
ردت أنجيل " أتمنى أن يكثف الدعاء لوائل "
وبدأت في البكاء بينما وائل يحاول تهدئتها ويقبل رأسها لا يعلم ماذا يقول .
أشفق قلب أحمد عليها فاقترب منها يشغلها صائحا باستنكار " أين السوبيا يا أنجيل !!!! "
مسحت دموعها وقالت ببراءة " هناك أربعة أنواع من العصير يا بني "
رد أحمد من بين أسنانه " أنا أريد سوبيا .. ألن تكفي عن البخل أبدا "

Des. Maryam Tamim

هتفت إلهام مدافعة " أبدا والله طيلة عمرها أم الكرم "
تخصر أحمد وهو ينظر للخالة أنجيل وقال " لكنها تمارس البخل معي أنا بالذات "
هتفت الخالة أنجيل بتوبيخ " اجلس مكانك وأصنع لك السوبيا بعد الإفطار "
أكمل أحمد مشاكستها " ظهرت من تنافسك في عمل ورق العنب يا أنجيل ... جاءت من بلدها الشقيق لتهز عرش أنجيل في ورق العنب .. اسأليهم "
ضيقت أنجيل عينيها بتركيز وعلا صوت قهقهة وائل بينما أطرقت بانة تخبئ وجهها في طبقها في حرج وتمنت أن تحفر حفرة تحت المنضدة وتدفن نفسها.. أو تدفن أحمد الغليظ ..
أخذت تقرصه من تحت المنضدة في ذراعه أن يتوقف عن هذا المزاح المحرج .

Des. Maryam Tamim

بينما مطت الخالة أنجيل شفتيها تتأمله في تفكير ثم قالت بمكر" ومن أحببت أصابعها أكثر في لف المحشو .. يا حبيب أنجيل أنا أم الأخرى ؟"
اتسعت ابتسامة أحمد ورد وهو يغمز لها " أحببت أصابع المحشو نفسها يا حبيبة أحمد يا ماكرة أنتِ "

أذن الآذان وبدأ عمرو والحاج سماحة يؤديان الصلاة بعد أن شربا العصائر ولحق بهم أحمد.
بينما خرج سيد لفترة وجيزة وعاد قبل أن يفرغوا من الصلاة .. فاقترب من آية يضع أمامها دواء الصداع فرفعت أنظارها إليه تهديه ابتسامة مرهقة لكنها كانت كافية لتبل ريقه الجاف من الصيام .
على مائدة الإفطار صرخ أحمد باستنكار " لا .. لن آكل في هذا الطبق يا أنجيل "
سألت الخالة أنجيل في جزع " ما به الطبق ؟!! "

Des. Maryam Tamim

قال بقرف " لن آكل في طبق به زخارف بهذا الشكل .. أين الطبق الأبيض الذي تضعينه لي "

قالت أنجيل " انكسر .. وطقم الصيني كله بهذه الزخارف "

وقف أحمد في اعتراض " لن آكل "

ثم تحرك نحو دولاب الفضية فهتفت أنجيل بجزع "إياك أن تلمس دولابي "

نظر إليها نظرة شريرة وهو يفتح الدولاب ..

فتحركت أنجيل بصعوبة وأمسك أمير بيدها يساعدها .. توجهت نحوه وهو يقف أمام الدولاب متخصرا يحاول البحث بنظره عن طبق يمكنه أن يأكل فيه ..

هتفت أنجيل " دولابي .. أطباقي "

قال بسخرية " ما هذا .. أطباق وأطقم خزف من عصر المماليك ! .. لا تقولي أنها بتوقيع لويس التاسع يا أنجيل"

هتفت بغيظ وكاد قلبها أن يسقط " أترك أطباقي "

Des. Maryam Tamim

قال بمشاكسة " لمن ستورثينها يا أنجيل "
هتفت بفخر" لحفيداتي أن شاء الله "
صاح أحمد" ها قد وجدت واحدا بدون نقوش" .
هتفت أنجيل في جزع" إنه تحت عدد كبيرا من الأطباق قد تنكسر الأطباق الأخرى !"
تجاهل ما تقول ومد يده يزيح الأطباق بحذر بينما الجميع يركز بقلق على رد فعل أنجيل التي توشك على الإصابة بنوبة قلبية .
قال يغيظها " لا تخافي يا أنجيل .. يداي ماهرتان أنسيتِ أنني أعمل بهما "
بعد عدة دقائق كان أحمد قد حصل على ما يريد وأعاد الأطباق ثم قال " لن أتعبك وسأغسله بنفسي "
عادت السيدة أنجيل لمكانها وهي تجفف عرقها من فرط الإجهاد .
حين عاد أحمد لكرسيه نظرت إليه بانة تداري ابتسامة ساخرة فهمس يقول " ماذا ! .. هذا ليس

Des. Maryam Tamim

وسواسا .. أنا فنان .. مرهف الحس .. لا أحب أن أكل في طبق به رسوم أو نقوش مزعجة"
كتمت ضحكة بيدها فتطلع إليها للحظات سعيدا ثم همس بجانبها " رمضان كريم يا بانة "
قال الحاج سماحة بمحبة " دائما مجتمعين بإذن الله على المحبة والرحمة "
قال أحمد من بين أسنانه " العيب الوحيد في هذا التجمع أنه يضم من الرعاع أولاد الشوارع "
اتسعت عينا بانة في هلع بينما أتى صوت سيد هادئ يقول " لولا وجود أبي سماحة .. لكنت أريتك ماذا يفعل أولاد الشوارع "
رد عليه أحمد بلهجة ساخرة دون أن يلتفت له " لماذا أخذت الحديث عن نفسك .. أم أنك تعلم قدرك"
رد عليه بلهجة باردة " أنظر إلى طعامك وكُل "
تمتم أحمد بسخرية " هل تعلم زوجتك أنك كنت تلبس ملابسي القديمة المستعملة "

Des. Maryam Tamim

قهقه وائل عاليا بينما رفعت بانة نظرها لأروى التي طمأنتها بأن هذا مزاحا خشننا بينهما .
زفر سيد وقال " لو تغاضت عن فرق العمر فلن تتغاضى عن فارق الحجم .. أنظر لحجمك وحجمي ..يا بني صدقني .. أنت ديتك نفخة "
قهقه أحمد بضحكة باردة صقيعية ثم رد " هل تتوقع أن يصدقك أحد .. و ... "
قطع أحمد حديثه حين رأى سيد يقف فجأة ويقترب منه بضخامته ويده خلف ظهره .. فتوترت ملامح أحمد يحاول أن يتكهن ماذا سيفعل .
حين أصبح سيد بجانبه أخرج صحن الشوربة الصغير من وراء ظهره.. وقبل أن يستوعب أحمد.. قطر بضع قطرات على ساق بنطال أحمد.. الذي قفز من مكانه مرعوبا في قرف وهو يشتم بالقدر المسموح به للشتائم في وجود النساء.. بينما ضحكة سيد الخشنة تجلجل..

Des. Maryam Tamim

هتف أحمد بغيظ وهو يتحرك ناحية الحمام " يا غبي أنت لا تعلم ثمن هذا البنطال "

علت ضحكت أنجيل فهتف أحمد من الداخل " أسمع ضحكتك يا أنجيل "

فهتفت " إذا احتاجت المطهر موجود على الرف يا عيون أنجيل "

همست بسمة لسيد " إنهم يحبونك جدا "

قال بصدق " إنهم عائلتي الحقيقية "

عندما عاد أحمد ببقعة ماء كبيرة على بنطاله وهو ينظر لسيد شذرا .. هتف الحاج في حزم " اجلس وكفى تهريجاً يا أحمد .. وأريدك بعد صلاة التراويح فلا تذهب إلى أي مكان "

جلس أحمد في غيظ وهو مازال ينظر لسيد نظرة مخيفة متوعدة.

تدخلت أنجيل الصغيرة بجرأة تقول "بالمناسبة .. يا عمو أحمد ما فعلته عيب وحرام "

احمر وجه أحمد بينما كتم الجميع الضحك .

Des. Maryam Tamim

أكملت أنجيل الصغيرة " أنت عايرته لأنه كان فقيرا وأنك كنت تعيره ملابسك القديمة .."
قاطعها سيد مزمجرا يوضح" يا صغيرة .. أنا أكبر منه بعامين وأضخم منه .. كيف سألبس ملابسه "!
اتسعت عينا أنجيل الصغيرة في صدمة وقالت ببراءة وهي تنظر لأحمد " أنت تكذب أيضا "
تدخل وائل " أنهما يتمازحان يا بابا .. هذا كله مزاح مثلما تشاكسين ميري وتشاكسك "
نظرت لأحمد بابتسامة خجولة ودارت وجهها في صحنها .
فأطرق سيد رأسه في صحنه هو الآخر وقال بنغمة بؤس " كل هذا لأني .... يتيم "
هتفت أروى في ملل " لا ... لن يبدأ المسلسل ! "
بينما أفلتت ضحكة مكتومة من آية ميزتها أذنه فدغدغت قلبه .
قالت أنجيل " لمَ هذا الكلام يا بني .. إنه يمازحك "

Des. Maryam Tamim

بينما قامت إلهام من كرسيها وهي تقول " يا حبيبي .. يا ابني .. لا تقول هذا أبدا .. هل قصرت معك؟ .. كُل يا حبيبي هذه طرية وسهلة "

نقلت كثير من الطعام أمامه ثم سألته بجدية " تريد المزيد من الرقاق ؟"

فأومأ برأسه ببؤس فهتفت " ناولني يا أمير يا ولدي مزيدا من الرقاق من عندك "

كتم امير ضحكته وهو يستلم من كريستين التي تخفي الضحك هي الأخرى طبق الرقاق فوضعته أمام سيد وهي تقول " أنت تحب الأجزاء الطرية خذ هذه "

قال عمرو الجالس بجانبه لإلهام بتحذير "أمامي أربع أصناف يخصونني.. إذا أردت تدليله أطلبي أمدادات من الناحية الأخرى من المنضدة ولا تقربي أصنافي "

Des. Maryam Tamim

ضحكت إلهام وربتت على يده بأجراس أساورها ..
بينما عض أحمد على قبضته في غيظ وهو يقول لوالده " أرأيت .. وأنت تمنعني عنه "
راقب الحاج سماحة المشهد مبتسما بينما هتفت أروى في غيظ " لا أصدق يا أمي أنك مازلت تصدقين هذه التمثيلية بعد كل هذه السنين .... إنه ماكر "
تدخل وائل بعد موجة ضحك قائلا باستنكار "يحب الأشياء الطرية !.. هذا الهولاكو ! .. أنت لم تريه يا خالتي وهو يقشر الطعام بالمطواة مثل قطاع الطرق "
هتفت إلهام وهي تجلس مكانها " وماذا فيها إن كان يتدلل يا أولاد .. أتركوه يتدلل كما يريد .. فوالله لو دللته مائة عام لن يعوضه عن أمه الحقيقية أبدا .. أنتم لا تعلمون شيئا عن اليتم "

Des. Maryam Tamim

تمتم سيد بعاطفة قوية " ربي لا يحرمني منك يا غالية ويعطيك الصحة والعافية ... وهل لي أما غيرك "

ربتت على يده بأجراسها عبر المنضدة .

همست بانة لأحمد " كدت تفقد معجبة من معجباتك منذ قليل "

أدار وجهه يتأملها من هذا القرب .. وجودها بقربه بات يشعره بحالة من الاكتمال .. حالة من الهدوء والاطمئنان .. وكأنه كان يعيش طيلة عمره وجزء منه مفقود وجده أخيرا .

نفش كتفيه بفخر وقال " لن تستطيع أي معجبة الفكاك من سحري "

هتفت أنجيل الصغيرة فجأة " هل أبلة سهر تزوجت فعلا .. لماذا لم نحضر الزفاف ؟"

جحظت عينا بانة ونظرت لأحمد قابضة على كم قميصه بتساؤل .. بينما رد أمير عليها باقتضاب " أجل تزوجت ليلة أمس يا أنجيل "

Des. Maryam Tamim

سألت ببراءة " لماذا لم نحضر الزفاف ؟"
رد أمير " لا نعرف يا أنجيل .. هم لم يقيموا زفافا "
قالت بإحباط " أردت أن أحضر حفل زفاف "
رد وائل " وماذا عن حفل خطبة عمك أمير القريبة ؟"
ابتسمت بمرح بينما هتفت بانة " تزوجت من ؟ .. هل وجدتم الشاب ؟"
تنحنحت أنجيل الكبيرة تشير لها بعدم مناقشة الأمر أمام الفتيات الصغيرات .
فبلعت بانة لسانها في ارتباك .

بعد الإفطار همس أحمد لها " وجدنا الشاب لا تقلقي .. كنا نبحث عنه منذ ذلك الوقت .. والبنت كانت مختبئة بمعرفتنا .. وكنا سنعقد قرانهم منذ فترة لولا وعكة وائل أجلت الأمر .. وانتظرنا ظهور حموءة لكنه لم يظهر من يومها فلم نجد سوى أن نعلن قران الفتاة بحضور أمها أمام أهل الحي وبدعم

Des. Maryam Tamim

من الشيخ عبد الرحمن نفسه .. وننتظر ظهور حموءة (ثم أكمل وهو يطحن فكيه) حتى آخذ بثأرك بنفسي"

نظرت إليه بامتنان ثم قالت " وكيف هو الشاب؟"

مط شفتيه بامتعاض " طفل صغير لم يتعدى العشرين ظروفه أسوأ من ظروفها .. لكننا لن نتركهم إن شاء الله .. المهم أن يستجيب للإصلاح"

رفعت له نظرها تتأمله وهي تفكر في سرها " لماذا تصعب عليّ الأمور ؟ .. لماذا تزيد من تعلقي بك ؟.. كيف سأترك عادة الالتصاق بك !"

بجوار الشرفة أوقفت أروى كرسيها بجوار عمرو الذي يتأمل المشهد أمامه في الخارج بصمت ... شاكسته تقول "إن كنت ستظل بهذا العبوس في وجهنا فلمَ حضرت؟ .. كنت أفطرت في بيتكم "

حدجها بنظرة جانبية ثم قال " جئت لأتفقد أحوال الجوارب القصيرة الملفتة .. ويبدو أنكِ لن



تتوقفي عن ارتدائها خارج المنزل .. ويبدو أنني سأضطر لتنبيه أحمد لذلك الأمر "

تخصرت وقالت من بين أسنانها " وما شأنك أنت أو أحمد ماذا أرتدي .. أنا حرة نفسي "

هم بالرد عليها عندما علا صوت سيد بالغناء " رمضان جانا وفرحنا به .. بعد غيابه ..أهلا رمضان "

تدخلت إلهام تسحب عمرو بعيدا عن غناء سيد إلى ركن بعيد .. فشعرت أروى بالإحباط وجمد الحزن قلبها .. لم تكن تطمع سوى في بضع كلمات .

وقفت إلهام بافتخار طفولي ترفع ثلاث أصابع أمام وجه عمرو الذي لم يفهم في البداية فقالت " أبلغ الشيخ عبد الرحمن أني حفظت ثلاثة أجزاء حتى الآن "

أبتسم عمرو في حبور فأضاءت أسنانه وجهه وقلب أروى التي تتابع من بعيد .. بينما أكملت إلهام

بطفولية " لا تخبره أمام عفاف لأنها تعيرني أنها تحفظ أكثر مني "

انحنى عمرو يقبل رأسها ثم أشار لها أن سرها في بئر عميق ..فأكملت إلهام بحماس "هل تختبرني ؟"

اتسعت ابتسامته فبدى وسيما بدرجة لم يتحملها قلب أروى البائس بينما قال عمرو " بالطبع .. هيا ابدئي من سورة ..... "

أخذت إلهام تقرأ ما حفظت من القرآن وعمرو يصحح لها تارة أو يحدد آية أخرى في سورة أخرى لتكمل بعدها .

على الجانب الآخر من الصالة الواسعة وصوت غناء سيد يصدح ويطرب الآذان .. أشارت بانة إلى أطباق الحلوى الموضوعة على منضدة الطعام وقالت لأحمد بمشاكسة " لا تقل لي أن طبق الحلوى الخالي من المكسرات .. يخصك "

وضع يديه في جيبه ونفش أكتافه وهو يقول " أكره الإضافات في كل شيء "

Des. Maryam Tamim

أفلتت منها ابتسامة شقية لم تستطع أن تداريها فتوقف قلبه عن النبض لثواني بينما لاحظهم سيد فغير الأغنية فجأة ليغني "

ضَلي اضحكيله يا صبية
ضَوي بقلبه .. غِنية
هيدا خطيبك .. قوليلو
صارت صحيحة الخَبَرية
وتحسي ع دمك يا صبية "

شعرا أحمد وبانة أن سيد يقصدهما فأطرقا برأسيهما بحرج .. بينما تدخلت آية لأول مرة وقد بدت بمزاج أفضل من قبل الإفطار " ليتك سمعت أحمد وهو يغني ببشاعة حبك صالحني على الدنيا "

قالت أروى " لكن هناك من عدل مزاجنا بعدها بصوته الجميل "

لم تفهم آية بينما نظرت أروى نحو بانة التي احمر وجهها وحدجتها بنظرة غيظ ..فضيق سيد عينيه

Des. Maryam Tamim

واتجه نحو بانة يتفحصها محاولا تبين صدق حديث أروى فانكمشت بعفوية خلف أحمد الذي أطربته حركتها اللاإرادية للالتجاء إليه فنفش كتفيه في خيلاء ذكورية.

هذه الفتاة باتت تذهب عقله بكل حركة منها ..

متى تكون حلاله؟ متى ؟.

حدج أحمد سيد بنظرة متحدية أن يضايقها فانسحب الأخير يغني وهو يتوجه نحو أروى ويغازلها

"حبك صالحني على الدنيا

وخلى نظرتي وردية

وغير فيا "

تحرك عمرو بعد أن أنتهى من تسميع القرآن لإلهام وقال " أنا سأذهب للاستعداد لصلاة التراويح ..

لابد أن أمر على أبي لأوصله للمسجد "

قال الحاج سماحة " خذني معك ... دائما عامر يا أم وائل .. دائما عامر يا وائل "

Des. Maryam Tamim

هتفت بانة فجأة " هل أستطيع أن أقابل الشيخ ؟"
قال عمرو " طبعا .. سأخبر أحمد بموعد مناسب"
ارتبكت من نظرة الجميع المتسائلة فتمتمت " أريد أن أشكره لأنه دافع عني "
هتف أحمد " اذهب يا عمرو وسألحق بك عند صلاة التراويح "
قال سيد " وأنا سأعيد بسمة إلى البيت "
اعترضت النساء يطلبن بأن يترك بسمة معهن تشاهد معهن التلفاز لكنه أصر على المغادرة ..
خرج سيد وسبقته بسمة خارج باب الشقة بعد أن ودعتهم .. فاستدار يغلق الباب ليجدها تراقبه من الركن البعيد بنظرة غامضة .. ابتسم لها ابتسامة دافئة مرتعشة .. وراقب صورتها وهي تتلاشى من أمامه وهو يغلق الباب ..
ويتساءل ..
متى ستحين الفرصة القادمة لأن يتواجد في محيط شمسه الصغيرة .

Des. Maryam Tamim

***

Mi Min : حسنا دعنا نتكلم كأي اثنين ناضجين..
أنت لا تستطيع الاستمرار في دور الصديق .. وتعاني .. وأنا بغبائي سببت لك الحزن دون قصد..
ومن ناحية أخرى أنا لدي ما يمنعني من تبادل معلومات شخصية معك .. كما أنني أخشى الألم .. إن أخبرتك عني فلا أعجبك .. أو لا أحقق توقعاتك عني .. كما أنني لن أستطيع منحك أكثر من صداقة على الإنترنت .. إذن فالنتيجة علينا أن نقبلها نحن الاثنان كناضجين .. هي أن الفراق أسلم حل .
لهذا أقولها من كل قلبي .. أتمنى لك التوفيق والسعادة.. وأنا آسفة جدا جدا ..
ولا تقلق عليّ.. عندي رواياتي ودراماتي المسلية .. وسأبحث عن صديق جديد بالتأكيد .. سلام .

***

بعد صلاة التراويح :

Des. Maryam Tamim

قال الحاج لأحمد بهدوء " اجلس "
كان أحمد يدرك أن موضوع الحديث سيكون عنه هو بانة .
بادره الحاج قائلاً " أولاً.. لا يعجبني طريقتك في التعامل مع الفتاة علنا أمام الجميع .. إن كنتما قد اتفقتما على الارتباط نعلن ذلك فورا .. لكن هذا الوضع غير مقبول أبدا"...
هرش أحمد في رأسه بحرج وغمغم" وما الذي صدر مني يا حاج "
رد الحاج بغيظ " صدر منك كل وقاحة يا ابن الحاج .. ملاصق للفتاة في كل لحظة .. لم يبق سوى أن تقبِّلها أمام الجميع "..
دلك أحمد صدره وتنحنح في حرج " ياريت .. لكن يفضل أن نكون وحدنا "
تحكم الحاج في ابتسامة تلح عليه وقال بجدية " أحمد تحكم في نفسك واعلم أن علينا أن نتقي الله

Des. Maryam Tamim

فيها .. وأعلم أنها مثل أروى وآية عندي ولن أقبل أي تجاوز في حقها "

قال أحمد بتأثر " أطال الله في عمرك يا أبي وأكثر أولادك في الله وأحفادك"

دخلت بانة المطبخ تعد قهوة للسيدة إلهام التي ألحت عليها أن تشاهد معها المسلسل .. بعد أن انسحبت أروى لغرفتها فلم تكن في مزاج جيد منذ رجوعها من إفطار السيدة أنجيل .

لم تجد بانة بدا من تلبية رغبة السيدة إلهام في مشاركتها مشاهدة المسلسل برغم أنها رغبت في مشاهدته في وقت آخر عند الإعادة .

إن ذهنها مشغول..

عليها ترتيب أوضاعها.. والتفكير في الآتي .. لن تستطيع الاستمرار بهذا الشكل وعليها أن تحسم الامور وتضع النقاط على الحروف..

مع نفسها ..

مع أحمد ..



ومع ما هو قادم ..
لا تنكر أنها مترددة ..
مشدودة بدبابيس من أكثر من جهة .. تصارع الفكرة .. وعكسها في نفس الوقت .. تريد الاقتراب والابتعاد..
إنها في نفق مظلم وعليها اتخاذ القرار .
دخلت عليها آية متكتفة تقول بسخرية " مبروك .. أصبح لديك مأوى رسمي .. وأمنتي المأكل والمبلس .. كل جهودك في الفترة السابقة .. في التملق والمداهنة وألاعيب البنات أتى بثماره "
احمر وجه بانة وجزت على أسنانها في غيظ ..
لا ..لن تسكت على تطاول هذه الطفلة مرة أخرى .. يكفي إهانة .. يكفي .

همت بالرد لكن آية أكملت " يبدو أن أبي وأحمد يتفقان على تفاصيل عقد القران "

جحظت عيناها وابتلعت لسانها في صدمة .. هل ممكن أن يكون ذلك صحيحاً ؟... أهي سهلة إلى هذه الدرجة في عيونهم

فجأة اختفت آية من أمامها وسمعت باب غرفتها يصفع في عنف .

سكبت القهوة في الفنجان وقدمته للسيدة الهام وتحركت بسرعة نحو غرفة الصالون التي كان بابها مفتوحا ..فاسترقت السمع تتأكد مما قالته آية ..

الحاج " لاحظ أن سيرتنا ستكون على كل لسان إذا طال الوضع الحالي .. فتاة غريبة في بيت عائلة بها شاب عازب .. وقد يرونكما معا فيظنان بكما الظنون .. لذا عليكما حسم هذا الأمر فورا.."

تحركت بانة نحو غرفة أروى .. لا تريد الاستماع للمزيد ..

من قال انها تريد الزواج ..

ولماذا عليهما الإسراع في ذلك الأمر ؟ .. أهو مبدأ الستر مرة أخرى !

Des. Maryam Tamim

لماذا تشعر بكونها أنثى وكأنها جسد عاري على أحد أن يغطيه بالزواج ليستره .

بعد بضع ساعات كانت بانة تتلوى في سريرها .. عليها أن تتحدث مع أحمد .. عليها أن تضع النقاط على الحروف .

لاحظت أن أروى ليست بجانبها .. بل إنها في الحمام منذ مدة ..ففقزت نحو الحمام الصغير الملحق بالغرفة وأخذت تطرق الباب وتنادي عليها ..

لم يأتها رد سوى صوت بكاء مكتوم .. ففتحت الباب واندفعت للداخل .. لتجد أروى على كرسيها تدفن وجهها بين كفيها وهي تكتم البكاء .. حاولت الحديث معها .. أو تهدئتها .. لكنها فشلت ..فقد كانت أروى متخشبة في هذا الوضع بشكل مرعب .. فدفعت بانة كرسيها نحو الغرفة .. ثم تركتها أسرعت إلى غرفة أحمد وطرقت عليها حتى استيقظ الأخير في استفهام .

Des. Maryam Tamim

قالت مرتعبة " أروى تبكي بانهيار وحالتها متشنجة وغريبة "

دخل أحمد الغرفة في هلع .. حاول الكلام مع أروى دون أي استجابة .. فأخذها في أحضانه وهو يهمس بكلمات تطمئنها ..بينما بانة تراقب استجابتها البطيئة .. بعد فترة من الوقت استرخى جسدها قليلا لكنها لم تتوقف عن نوبة البكاء ولم تتكلم .

حملها أحمد بين ذراعيه وقال لبانة " سآخذها إلى غرفتي .. لا تخبري أحد .. فهي لا تحب أن تظهر في مظهر الضعف أمام أحد "

بعد قليل كان أحمد ممددا بجوارها في سريره يحتضن رأسها إلى صدره ويمسد على شعرها .. كانت هادئة لكنه فشل في تشجيعها على الكلام .. سألها كل الأسئلة التي وردت على ذهنه .. لكنها لم تتكلم . . وعند السحور رفضت الطعام فأحضرت لها بانة قليلا من التمر والماء أكلته تحت ضغط من أحمد.

Des. Maryam Tamim

بعدها مدد مرتبة رقيقة بجانب سريره ونام بعد أن أطمأن أنها هدأت تماما ونامت .

***

عمرو القاضي : ميمين .. أين ذهبت ؟؟؟؟؟؟ ..
ميمين ... هل تأخذين القرارات وحدك !!!!!!!
ميمين ردي ... هل أنا لعبة بيدك ترمينها عندما تملّين منها !!!!!!!

****

في الصباح زارت بانة شقتها لأول مرة منذ الليلة التي تكشف فيها كل شيء .. فشعرت أنها تركتها منذ زمن طويل .
استلقت على سريرها تفكر وترتب أفكارها .. لقد طلب أحمد الحديث معها الليلة بعد الإفطار .
"يا رب ساعدني " كانت آخر جملة تتذكرها قبل أن يخطفها النوم .

Des. Maryam Tamim

لتستيقظ بعد سويعات منزعجة .. فقد رأت أبيها وأخويها يرفضون النظر إليها... يشيحون بوجوههم عنها .. وهي تصرخ " أنا على العهد .. أنا عائدة إليكم "

***

في مساء ذلك اليوم بعد الإفطار هتف أحمد بقلة صبر "هيا يا بانة"

خرجت بانة من غرفة أروى تقول بهمس وغيظ " لا أعرف لماذا علينا أن نخرج معا لنتكلم .. أنا محرجة جدا .. كنا تحدثنا هنا أو فوق السطح " .

رد وهو يتأمل ملابسها الأنثوية وحجابها الذي ينير وجهها .. هذه هي المرة الأولى التي يراها كحيلة العينين وقد بدت ساحرة فقال بحشرجة " هنا لن أستطيع أن أتحدث بحرية .. وفوق السطح .. إحم ... هادئ أكثر من اللازم .. دعينا نخرج نتمشى قليلا .. العاصمة بعد الإفطار رائعة في رمضان ..

Des. Maryam Tamim

هيا أبي أعطاني ساعتين .. مائة وعشرون دقيقة بالتمام والكمال .."
حدقت فيه بوجل فهتف فيها " مالك تنظرين هكذا وكأني سأكلك "
شمخت بذقنها في كبرياء وردت " من الذي يخاف!"
ابتسم ثم أشار لها بيده بحركة مسرحية " تفضلي يا بانة التي لا تخاف "

في السيارة كانت الأجواء بينهما مرتبكة وقلقة .. كانت قلقة ألا تستطيع التعبير عما تريد وكان قلقا هو من الذي ستقوله .
شغل مشغل الأسطوانات على أغاني فيروز فصدح صوت جارة القمر تغرد :

لا إنت حبيبي
ولا ربينا سوا
قصتنا الغريبة

Des. Maryam Tamim



شلّعها الهوى
وصرت عنك غريبة
إنساني يا حبيبي

نغزها قلبها من كلمات الأغنية .. وكأنها تفهم معانيها لأول مرة.. ما بال فيروز أصبح لها طعما آخر .. بينما مد هو أصابعه السمراء الطويلة يغلق الأغنية فجأة ويقول بصوت متوتر " شعرت بالصداع " .

خرجت السيارة من الحي المليء بالحياة بعد الإفطار والزينة والأنوار الملونة والفوانيس الورقية متعددة الألوان تزين الشرفات .. إلى الشارع العام المليء بالزحام وسهرات والأجواء الرمضانية التي تتناقض ما بين أجواء رمضانية دينية ومظاهر ترفيهية .



بعد قليل أوقف السيارة أعلى الكوبري المطل على النهر .. وفتح حزام مقعد القيادة ليقول بمرح يداري قلقه " كنت أود أن نذهب إلى مقهى راقي .. لكني غيرت رأيي .. المكان هنا أكثر راحة "

ترجلت من السيارة بعده فلفحتها نفحة من نسائم النهر الهادئة لتسري القشعريرة في جسدها .

سألها وهو يشاهد بائع الحمص على بعد أمتار " تريدين كوب من الحمص الساخن "

نظرت للعربة الخشبية ولبائع الحمص ثم قالت بمشاكسة " هل ستأكل معي حمص "

نظر للبائع وللعربة في تردد ثم قال " لا .. فأنا لا أضمن نظافة الكوب الذي سيضعه فيه "

قالت متصنعة الصدمة "وتريد أن تضحي بي وأنت تشك في نظافة الكوب !!"

رد بسرعة " كلا .. لم أقصد .. أقصد أنك ليس لديك مشكلة مثل باقي الناس .. أنا من .. "

Des. Maryam Tamim

بتر عبارته عندما لمح عينيها تلمع بتسلي فهتف في حنق " أنا لا أحب الحمص أصلا "

ابتسمت بينما تحرك نحو البائع يطلب كوب من الحمص فلحقته تقول للبائع " كوبان من فضلك .. هل يمكن أن أغسل أنا الأكواب التي سنأكل فيها؟"

نظر إليها البائع بغضب وكأنها سبته وهتف " أكوابنا نظيفة يا سيدتي .. أنا أقف وراء هذه العربة منذ أكثر من ثلاثين سنة .. وزبائني من البسطاء ومن علية القوم"

ابتسمت بانة ثم مالت على بائع العجوز تقول " إنه مريض بالوسواس لذا عليّ أن أغسلها بنفسي أمامه ليرضى أن يأكل من الكوب " .

نظر البائع لأحمد بنظرة تقييمية ممتعضة وكأنه من الكفار بينما رفع أحمد حاجبا مستفهما لبانة .

بعد قليل كان أحمد يتأملها بهدوء واضعا يديه في جيبه وهي تشمر عن ساعديها الأبيضين وتغسل

Des. Maryam Tamim

الأكواب أمامه.. ثم طلبت من البائع ليمونة وعصرتها بداخل الأكواب وقالت هي تشاكسه " الليمون مطهر طبيعي ".

ثم طلبت من البائع قليلا من الماء الساخن في الأكواب فتحفز أحمد بقلق أن تحرق يدها لكنها بدت متمرسة .. غسلت الأكواب فبدت لامعة أمامه .. وأعطتها للبائع الذي زفر في حنق ووضع الحمص وسائله الساخن فيها وناولها لأحمد وهو يقول " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "

اتسعت عينا أحمد باستهجان بينما كتمت بانة ضحكة وسبقته نحو سور النهر ..فحدجها بنظرة غيظ وقال " الرجل يستعيذ من الشيطان في وجهي ".

نظرت للكوب الذي وضعه أمامها على سور وقالت بسخرية " من شر الوسواس الخناس " .

Des. Maryam Tamim

أفلتت ضحكة منه فأصيبت بعدوى الضحك هي الأخرى .. لكن هذه الضحكة سرعان ما تلاشت سريعا .. ليتصاعد بينهما الترقب .

قطع هو الصمت ليسألها وقد نفذ صبره " ماذا تريدين أن تخبريني ؟"

ارتبكت وتطلعت لكوب الحمص أمامها ثم أخذت نفسا طويلاً وقالت بصوت متهدج " لا استطيع أن أفعلها"

سقط قلبه بين قدميه بينما قبضت كفه على الكوب الساخن جدا دون أن يشعر بسخونته وقد كاد أن ينكسر في يده .

أكملت هي بمزاح أرادت أن يخفف من وقع توترها " لا أستطيع تلبية رغبة والدتك بزواجي بك"

هتف بسرعة مبرراً" اسمعي .. الأمر ليس كما تظنين أنا ..... "

Des. Maryam Tamim

قاطعته بلهجة مشفقة " افهم جيداً يا أحمد .. أنا فقط أمازحك .. وأعلم أيضا أن الحاج يتعجلك في اتخاذ خطوة رسمية تجاهي "

تأملها بصمت فأكملت " الحقيقة أنا لا أفهم .. لماذا أتحول دائما لمصدر للخزي كلما علم الناس أني أنثى.. ويضغطون عليّ لأن أتزوج فوراً.. وكأني ... وكأني .. قنبلة موقوتة.. الزواج سينزع فتيلها ..

ولا أفهم كيف تكون عدم رغبتي في الزواج مصدراً لتهديد أمن البشرية .. ويشعر الجميع بالمسئولية نحو تزويجي " .

أخذت نفسها طويلا تهدئ فرط ارتجافها وأكملت " الأمر ليس حصريا هنا ببلدكم .. وإنما هو جزء أصيل في المخيلة العربية .. وهذا أمر يشعرني بالمرارة.. ويجرح كبريائي وكرامتي .. أنا فضلت العيش في الشوارع .. أشارك كلاب الطرق طعامهم على أن أتحول لحيوان أليف أقصى طموحاته

Des. Maryam Tamim

المأوى والمأكل والإنجاب .. أنا أشعر بالإهانة يا أحمد "

عم صمت كئيب .. وهي تحاول السيطرة على المشاعر التي تعصف بها في تلك اللحظة .. تحاول البحث عن باقي الكلمات التي حضرتها لتقولها . لاح الألم في عينيه ثم قطع الصمت فجأة ليقول بسخرية " كان معكم بانة الخازن في تقرير عن قضايا المرأة العربية ".

تألمت من رد فعله الساخر .. وهمت أن تتكلم .. أن تدافع عن نفسها لكنه هجم عليها فجأة .. يشدها من مرفقها نحوه حتى كاد أن يلصق وجهه بوجهها .. لكنه انتبه لوجودهما بالشارع .. فتراجع قليلا للخلف وهو مازال ممسكا بمرفقها بقسوة وأصابعه المغروزة في لحمها تؤلمها بينما هدر فيها بصوت خفيض ملتهب وهو يتطلع في عينيها" نسيت شقا مهما في تحليلك العبقري يا دكتورة .. وهو .. أنا .. أحمد ...

Des. Maryam Tamim

أين أنا في كل هذا التحليل العبقري لحال الفتاة العربية .. ما هو محلي من الإعراب في حياتك بالضبط ؟!!!!!! .. ألهذه الدرجة وجودي في المعضلة لا يغيرها عندك؟!!!!! ... لماذا تحوّلين الأمور عادة بيني وبينك لقضايا عامة؟!!!!!! (صمت قليلا ينظر في عينيها متألما ثم قال بصوت متهدج) نسيتِ في حسبتك أن الأمر يخصنا أنا وأنتِ فقط .. بانة وأحمد " .

دافعت عن نفسها بعصبية " أنا لا أستطيع أن أفصل نفسي عن كل ذلك .. فأتحول لفتاة عادية .. تتزوج وتعيش في سعادة .. الأمر ليس في يدي وحدي الأمر أكبر مني "

خفف من ضغط أصابعه قليلا لكنه اقترب أكثر لتلفحها أنفاسه العطرة وهو يقول في همس حار " بانة .. أنا أسألك عن موقعي في هذه القضية الجدلية الكبري .. موقعي يا بانة في كل هذا الذي يقيدك.. عن قدري عندك .. عن قوة تأثيري في

Des. Maryam Tamim



حياتك .. ألا يرجح وجودي الكفة .. ولو لقدر بسيط " .

ارتبكت من سؤاله وارتبكت من اقترابه منها فنفضت مرفقها وقالت بصراحة بالرغم من خجلها " هذا هو السبب الرئيسي للمعاناة ..ظهورك في حياتي جعل الأمر معذب .. وكأني مشدودة من ناحيتين بنفس القوة .. وأشعر أني سأفقد جزء مني إذا ما تخيرت أحداهما دون الأخرى "

تشكلت علامات الألم على محياه وهو يستمع لقسوتها .. فضغط على شفتيه قليلا يفكر ويستوعب الأمر .. وكلما وضحت الصورة المؤلمة كلما زاد الألم الذي يذبح صدره ..

بعد فترة من الصمت بلع طعما مرا في حلقه وقال بلهجة ساخرة " من الواضح أني سأتعلم منكِ أمرا آخر يا بانة الخازن .. وهو اكتشافي لحقيقة أني

ساذج .. فقد تخيّلت .. بسذاجتي أني قد يكون لي قدر عندك بما يسمح بترجيح الكفة نحوي ".
صمت فجأة وأخذ نفسا عميقا حتى انتفخ صدره .. يقاوم الشعور المريع الذي يختبره في تلك اللحظة وقال بابتسامة مريرة " لكن على ما يبدو أني أعطيت لنفسي أكثر من حجمها .. أعتذر"
تحرك نحو سور النهر يطالع صفحته المتلألئة أمامه يحاول أن يستوعب كلامها .. ويصارع وحوشا غاضبة بداخله تهمز له بتهشيم رأسها العنيد والزواج منها رغما عنها ..بينما وحوشا أخرى روضتها هي بداخله تهمز له بأن يتوسل منها الوصال والشفقة على حاله .
أما هي فانكمشت تحدق في الكوب أمامها وتتأمل الحساء المائل للأحمر كدموع قلبها .. تتساءل في سرها أيتوقعها لا تشعر! .. ليته يعرف كم هي مرتعبة أن تكون سببا لألمه .. فبالرغم من أن حقيقة أنه يحمل لها مشاعر خاصة كانت من أحلى

Des. Maryam Tamim

وأروع الهدايا التي حصلت عليها على مدى حياتها .. إلا أنها الآن تود لو أن تكون مجرد وهم في حياته حتى لا يتألم .. فكرة أن يشعر بالألم تؤلمها فما بال أن تكون هي سبب هذا الألم فهذه الخاطرة وحدها تقتلها ..

بعد فترة من الصمت مد يده داخل سترته واتجه نحو البائع يحاسبه .. ثم عاد ليقول بهدوء " هيا لنعود "

سبقها باتجاه السيارة فصاحت من خلفه بألم " أنا لن أبقى هنا للأبد .. أنا هنا لفترة مؤقتة.. ولابد أن أعود إلى بلدي وأرضي .. سأعود لأبحث عن أبي وإخوتي يوما ما .. أنا هنا ضيفة يا أحمد "

لم يتحمل الفكرة أبدا .. كانت مؤلمة ألم فاق الحد كيف يمكن أن تتركه وترحل هكذا ببساطة ؟.. ماذا سيفعل هو إن رحلت ؟.. كيف سيتحمل حياته وقتها ؟..

Des. Maryam Tamim

استدار بعنف ينظر إليها مرتعبا فأكملت بانة بلهجة متوسلة " ألا نستطيع أن نكون مجرد أصدقاء .. رفقاء.. ألا تقدر أن تمنحني رفقتك وضيافتك فترة وجودي هنا ؟.. لمَ لا نبقى كما نحن أنا بانة الفتاة الغريبة التي تقطن بشقة الدور الثالث .. وأنت .. أنت صاحب الشقة وصاحب العمل (ثم أكملت في سرها) ورفيق الروح"

الألم الذي يلوح في عينيه زاد من عذابها أضعافا .. لم تقصد أبدا أن تؤلمه .. ولم تتخيل أبدا حتى في أسوأ حالات غضبها منه أن تكون سببا في عذابه ..

هتفت توضح أكتر علها تقلل من نظرة الألم تلك التي يحدجها بها " أنا لا أملك ما أمنحه لك يا أحمد .. ولا أستطيع المضي في أمر كبير كتزويج نفسي بدون عائلتي .. كيف أتزوجك وأنعم بقربي بك .. وهم قد يكونوا أحياء ويعانون من ويلات الحرب .. كيف يمكنني فعل ذلك "

Des. Maryam Tamim

رد بهدوء يقارعها " أنتِ قلتِ إنهم ماتوا"
هتفت ترد عليه " لا أعرف .. لا أعرف .. ولم أرى جثة أحد منهم .. ولم أدفنهم.. مازال لدي بعض من الأمل في أنهم أحياء يا أحمد فلا تقتله "
كانت قد اقتربت منه في وقفته بجوار السيارة فهمس بحرارة " أنتِ تدفنين نفسك على قيد الحياة يا فتاة "
قالت بهدوء شامخ " هذا قدري .. وعليّ أن أتقبله"
نظرة الإحباط التي تلوح في عينيه عذبتها فقالت " أنا آسفة .. حاولت كثيرا جدا ألا أورطك معي في ظروفي .. إذا أردت أن تسعدني حقا .. عليك أن تولي ظهرك لي وتستمر في حياتك .. إذا رغبت في أن تشجعني للمضي قدما .. تخطاني وعش سعيدا .. دعني أملأ عيناي منك وأنت سعيد .. وقتها صدقني نصف عذاباتي ستتلاشى.. أنا لا أتحمل فكرة أراك متألما "

Des. Maryam Tamim

تأملها في وقفتها كيف تحول شموخها منذ قليل لاستجداء الآن .. فصمت قليلا يفكر.. عليه أن يعترف أن الأمر في داخله أكبر من مجرد شاب يريد الارتباط بفتاة .. ورغبته فيها أكبر من مجرد رغبة في امرأة ..
أكبر بكثير.

وبقدر الحب بقدر ما يكون الخوف عليها ومنها .. عليها .. من أن تقسو على نفسها بتحملها هذا للدرجة التي تضاعف آلامها .. ومنها .. أن تتهور متخذة قرار بالابتعاد .. بالإختفاء من حياته .. ربما لم يستطع مؤقتا اقناعها بالزواج منه لكنه لن يسمح أبدا بفقدانها .. لن يسمح لها بالابتعاد .
تأملها قليلا وهي تتصنع الشجاعة .. إن كان هذا الألم الذي يذبحه الآن مهولا إلى هذه الدرجة فكيف تكون آلامها هي بعد كل ما عانته وتعانيه ..

Des. Maryam Tamim

تمتم في سره " أمرا آخر أتعلمه منك يا بانة .. فإن كنت أنت شجاعة إلى هذه الدرجة في مواجهة قدرك فلن أكون أقل منك شجاعة في تحمل قدري معك "

قطع الصمت بهدوء وهو يفتح لها باب السيارة لتركب "هيا علينا العودة فورا "

دخلت في صمت وتأملته وهو يجلس بجانبها ويحكم إغلاق حزام المقعد . . ودت لو تعرف ماذا يدور بعقله .. وكيف سيكون الوضع بينهما . وكأنه يقرأ ما تفكر فيه فقد أخذ نفسا عميقا يسيطر به على انفعالاته وقال بجدية " فرمان من الكونت سماحة إلى بانة الخازن .. لن تستطيعي التخلص مني .. أنا قدرك .. سأكون في حياتك بأي مسمى تريدين .. رئيسك في العمل .. صاحب الشقة التي تستأجرينها .. صديق .. أب .. أخ .. أي صفة .. إلى أن يشاء الله بغير ذلك ..وأعدك أني لن أفرض عليك

Des. Maryam Tamim

نفسي أبدا.. وسأحميك حتى من نفسي .. وأني لن أخذلك أبدا.. وفي المقابل سأطلب منك أمرين " مد يده وأمسك بكفها فأجفلت.. لكنه سحبه بحزم رقيق ليضعه على صدر الصلب.. فشعرت بهدير دقات قلبه تحت أصابعها بينما أستطرد أحمد في صوت متهدج "أولهما .. ألا تغيبي عن ناظري أبدا .. والثاني أن تثقي فيّ تمام الثقة .. " أشتعل جسدها كله من لمسته وشعرت أن وجنتيها بالتأكيد تبدوان كحبتي طماطم ناضجتين .. أومأت في صمت وهي تحاول سحب كفها في ارتباك والهرب من نظراته المحدقة فيها .. لكنه أصدر تأوها معترضا وضغط على يدها أكثر .. فهمست بحشرجة "أحمد !"

تنهد ثم ترك يدها باستسلام وتحرك بالسيارة عائدا للمنزل وقد نُصب جدارا من الصمت بينهما كل منهما غارقا في أحزانه .

Des. Maryam Tamim

حين وصلا للبيت .. توسلت إليه أن تبيت في شقتها الليلة .. فاتسعت عيناه من المفاجئة .. لم يحسب حساب أنها قد تعود إلى شقتها بهذه السرعة أبدا.. سألها في جزع " لماذا ! "

نظرت لأعلى السلم في ألم وقالت " لن أستطيع مواجهتها وهي خائبة الأمل .. ستكرهني بالتأكيد"

قال مدافعا " أنت لا تعرفين أمي "

قاطعته في تأثر " بل أعرفها وكأني أعرفها قبل أن أولد .. ولهذا لا أتحمل أن أرى نظرة إحباط في عينيها .. ليس بعد كل ما منحته لي "

قال باعتراض " ولكن أبي قال .. "

ردت بسرعة " لا تقلق سأهاتف الحاج ومتأكدة أنه سيتفهم "

نظر إليها بتردد فنظرت إليه بتوسل ليتحرك باستلام صاعدا نحو شقة العائلة ..

عليه أن يدرب نفسه ألا يضغط عليها حتى لا تقرر الاختفاء من حياته .

Des. Maryam Tamim

دخل أحمد الشقة فاستقبلته إلهام تسأل " أين بانة؟"

تصنع الهدوء وقال وهو يتجه نحو غرفته هاربا "قررت أن تبيت في شقتها الليلة .. وستتصل بأبي وتستأذنه "

ضيقت إلهام حاجبيها في اندهاش .. ثم لحقته لغرفته تسأل في لهفة " ها ؟ .. فاتحتها في أمر الزواج "

قال أحمد مراوغا " علينا ألا نتعجل في أمر الزواج يا ست الكل "

قالت بصدمة " نتعجل ! .. أنت توشك أن تبلغ الثالثة والثلاثين .. متى ستتزوج وسأطمئن عليك وأرى أحفادي .. حين تبلغ الخمسين ؟ "

سكت قليلا يفكر بماذا يجيبها .. هل يعطيها الأمل ويطلب منها الانتظار ؟ ولكن إلى متى ؟ .. عليه ان يقتل أحلامها بخصوص بانة بسرعة..

Des. Maryam Tamim

قاوم الألم الذي يعتصر قلبه وقال مازحا " إذن هذه مهمتك يا ست الحبايب .. رشحي لي عروس .. هاتي كل ما عندك من ترشيحات "

رفعت رأسها إليه في صدمة تتمتم " هل رفضت بانة الزواج منك !"

هتف بعجرفة " لم تخلق بعد من ترفض أحمد سماحة يا أمي "

ثم أكمل في نبرة حاول ألا تدل على مكنونات قلبه الملتاع " الأمر فقط أننا لم نتفق سويا .. وخاصة أنها تقيم في بلدنا إقامة مؤقتة وتنوي العودة لبلدها قريباً "

حدقت فيه قليلا ولم يخفى عليها الألم البادي في عينيه ولا صوته المخنوق ..فأحنت إلهام رأسها تدفن وجهها في كفيها وأجهشت في البكاء .

أجفل أحمد واقترب منها يضم قامتها القصيرة إلى صدره وهو يصيح في جزع " لماذا تبكي يا عود الفانيليا ؟!"

Des. Maryam Tamim

رفعت إلهام إليه وجهها الأحمر الغارق في الدموع تقول من بين نشيجها " لماذا كل من أريدهم أن يقترنوا بأولادي يرفضون ؟ .. أنا أحبهم لهذا أريدهم في بيتي وحولي أراعيهم .. هل أطلب الكثير ؟ "
أشفق عليها جدا .. أحاطها بذراعيه أكثر وأحنى رأسه يقبل رأسها في حنان وهو يقول بتماسك " تعلمين أن هذا الموضوع بالذات قسمة ونصيب يا أمي .. وعسى أن تكرهوا ... وعلى أن تحبوا ..(ثم أبعدها عنه قليلا وقال) هم سيظلون ابنائك سواء تزوجنا بهم أم لا يا أم المساكين .. "
مسحت دموعها وقالت " لله الأمر .. أنا أدعو لكم جميعا بالسعادة ربي يعلم "

بعد قليل خرجت من الغرفة بعد أن هدأت قليلا لتجد أروى تستقبلها في الممر في قلق فتجاوزتها إلهام في صمت بينما دلفت أروى لغرفة أحمد .

Des. Maryam Tamim

دخلت آية إلى المطبخ تسأل إلهام بامتعاض وهي تتكتف وتميل برأسها فتميل لفائف شعرها الأسود جهة اليمين " متى موعد عقد قران السنيورة "

تصنعت إلهام عدم الفهم تداري إحباطها " من تقصدين؟"

ضيقت آية عينيها وقالت بغِل " أمي .. أنا أعلم جيدا أن أحمد سيفاتح بانة في الزواج .. وإن كنت لا أرى سببا لهذه الرسميات .. هي تسعى لذلك من أن أرخت شباكها على أحمد منذ أن عملت بالورشة "

تحركت إلهام بغيظ نحوها تضربها على ذراعها فرنت أجراس أساورها في عنف وهي تقول " كفي عن أمور الشك والارتياب هذه .. الله وحده أعلم بنفوس الناس "

توجعت آية وأخذت تمسد ذراعها ثم صاحت في حنق طفولي " ماذا فعلت أنا !! "

تحركت إلهام نحو الخزانة تخرج منها بعض الأشياء وقالت " ليس هناك زواجا ولا يحزنون .. بانة لا

Des. Maryam Tamim



تريد توريط أحمد في أمورها خاصة وأنها لا تنوي البقاء طويلا بالبلد "

لاحت ملامح الصدمة على آية للحظات واتسعت عيناها فأكملت إلهام وكأنها تحدث نفسها " لكني أخذت منه وعدا أنه سينظر بجدية في أمر الفتيات اللاتي سأرشحهن .. وإن شاء الله سأزوجه قبل أن يهل عيد الأضحى .. ولن أسمح بهذا الإحباط الذي في عينيه .. هل اختفت الفتيات من بلدنا !"

رفعت آية حاجبا جميلا في ريبة وتمتمت بصوت مسموع " إلام تخطط هذه الفتاة .. لم أظن أنها ابدا شخصية سهلة "

حوقلت إلهام ثم أشاحت بأساورها في عصبية وقالت "اذهبي من أمامي يا آية بالله عليك "

زفرت آية في حنق وتركت المطبخ بينما وقفت إلهام متخصرة تائهة تنظر حولها لا تذكر ماذا كانت تنوي أنت تفعل حين دخلت منذ قليل .. ثم

Des. Maryam Tamim

حدثت نفسها "وهل ستبيت في شقتها دون سحور .. ما هذا السخف!"
خرجت للصالة تلتقط هاتفها المحمول من على الأريكة وهي تتمتم "وأين سلطة الحمص ! "
جاءها صوت بانة يبدو باكيا فنغزها قلبها ثم وبختها تقول " ستبيتين في شقتك لم نعترض .. لكن هل ستنامين دون سحور "
تمتمت بانة بعدم رغبتها في الطعام فهتفت إلهام " أين سلطة الحمص التي وعدتني بها اليوم ؟!

في غرفة أحمد وقفت أروى تتطلع إليه في صمت بعد ان خرج من الحمام عاري الجزع يرتدي بنطالا رياضيا ويجفف شعره ..
لم تجد كلاما تقوله .. لسانها معقود ليس في صدمة ولكن في أسف وحزن على حال كليهما ...
شعرت بروحها ثقيلة .. ومزاجها الاكتئابي الذي يسيطر عليها منذ أمس يحكم قبضته عليها .

Des. Maryam Tamim

ارتدى أحمد بلوزة رياضية ومشط شعره أمام المرآة في عصبية وصورته المنعكسة أمامها تقول الكثير والكثير مما يقطع نياط القلب .. لقد سقط القناع الذي ارتداه أمام بانة وأمام أمه .. لتظهر مكنونات قلبه المفجوع أمام نفسه وأروى .

***

قال سيد لوائل الذي يسهر معه في الخن وهو يراه يرتدي طاقية على رأسه " لماذا ترتدي هذه الطاقية ؟"

رد وائل ببساطة " وجدت فراغا في رأسي .. يبدو أن شعري بدأ في التساقط "

تألم قلب سيد لكنه قال يهون عليه " فترة صعبة وستمر المهم ألا تستسلم أنت يا وائل .. تشبث بالأمل بالله عليك"

رد وائل باكتئاب " لا أجد سببا الحقيقة للتشبث بالأمل هذا .. الذي تتحدث عنه .. كل شيء حولي بائس .. ولا أجد للاستيقاظ كل صباح معنى "

Des. Maryam Tamim

هدر فيه سيد بانفعال " وائل لا تترك اكتئابك أن يسيطر عليك .. منذ سنين طويلة حذرتك من الوقوع فريسة لاكتئابك "

رن هاتف سيد فتطلع إليه بسرعة وتغيرت ملامحه .. وكان يكفي لوائل أن يطالع ملامحه والنظرة التي في عينيه ليخمن هوية المتصل .

رد سيد على الهاتف موبخا " إنها الواحدة بعد منتصف الليل يا آنسة "

قالت آية بنغمة رتيبة كمقدمات نشرات الأخبار " أهلا بكم ومرحبا في نشرة الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .. معكم آية سماحة وإليكم أهم الأنباء "

أشرقت الابتسامة على وجهه ولم يستطع المقاومة فتحرك نحو النافذة البعيدة يستمع إليها وهي تبث إلى روحه قليلا من البهجة .

أكملت آية بنفس النغمة " الخبر الأول .. قام المطرب الشهير (.....) بطرح مقطع قصير للأغنية

Des. Maryam Tamim

الرئيسية في ألبومه الجديد والمنتظر طرحه في الأسواق في عيد الفطر المبارك .. الأغنية من ألحان ملحن جديد عبقري فذ وساحر ووسيم أسمه سيد صبرة .. إحم .. وقد لاق المقطع وألحانه المميزة استقبالا مذهلا في الأوساط الشبابية مما يبشر بنجاح الألبوم وظهور اسم جديد في عالم الألحان "

تطلع إليه وائل ثم تمتم بسخرية في همس " أنظر لملامح وجهك وأنت تستمع صوتها فقط ثم تعال حدثني بعدها عن الأمل في الحياة ! "

أكملت آية " الخبر الثاني .. في حركة مريبة ومفاجئة رفضت الآنسة بانة الخازن طلب الباشمهندس أحمد سماحة الزواج منها "

هتف سيد في جزع " ماذا .. رفضت !!!! "

سأل وائل بقلق " من رفضت ماذا "

أبعد سيد الهاتف عن أذنه يقول بانزعاج " بانة رفضت الزواج من أحمد "

Des. Maryam Tamim

ثم أعاد الهاتف لأذنه يتأكد " هل أنت متأكدة يا أية أنها رفضت "

قالت آية بسعادة " أجل رفضت ويبدو أن أمي صدمت هي الأخرى .. لكن أحمد وعدها بأنه سيقبل بترشيحاتها لفتيات للزواج .. وأكد لها أنه على استعداد تام للزواج .. وقد قررت أمي في حركة انتقامية أن تزوجه قبل حلول عيد الأضحى المبارك "

تمتم وائل في مرارة وقد تفاجأ بالخبر الحزين " حدثني أكثر عن الأمل في الحياة !"

انفعل سيد يقول " هل أنت متأكدة من هذا الكلام ؟.. أن أحمد قرر أن يتزوج من أي فتاة ترشحها أمي ؟"

أكدت آية في حماس " أمي من قالت لي ذلك و.."

قاطعها بعصبية " اغلقي الآن يا أية .. سلام "

Des. Maryam Tamim

جحظت عينا آية وهي تنظر للهاتف في ذهول ثم تمتمت " لماذا كلهم لا يطيقوني اليوم .. كله هذا بسبب تلك الحرباء المتلونة "

***

جلس أحمد بجوار السرير على الأرض بجانب كريسيها ولم يقل شيئا ... فتمتمت هي دون ان تنظر له " هذا ما كنت أخشاه من التسرع بعرض رباط رسمي عليها .. إنها ليست فتاة عادية تبحث عن مجرد مأوى وسكن .. وفتى أحلام " .

لم يرد .. كان يحدق في الفراغ يفرد ذراعا على ركبته المرتفعة أمامه وملامح وجهه متصلبة في جمود .

سألته " أنت لا تلومها أليس كذلك ؟ "

تطلع إليها بنظرات هادئة محبطة قليلا ولم يرد أيضا .. فسألته مجددا " ماذا ستفعل ؟"

رد بسخرية مرة " ماذا سأفعل ؟ .. هل بيدي شيئا لأفعله ؟ .. لو كنت أحمد القديم ربما كنت ألعن حظي الأن وربما كنت أبخ عصبيتي في وجهها

Des. Maryam Tamim

بسبب قلبي المجروح .. لكني بت أخاف حتى من نفسي عليها .. من عصبيتي وردود أفعالي.. فيكفيها ما عانته وتعانيه (ثم رفع نظره نحوها يقول بضعف لم تعهده به) لا أملك سوى القبول بالأمر الواقع يا أروى حتى لا تتهور وتبتعد .. عليّ تعلم التكيف مع هذا الأمر"

قالت في تعاطف وهي تطالع الألم البادي على ملامحه " كنت أتمنى دائما أن تتذوق الحب وتنعم بنعيمه .. لكني الآن أندم على تلك الأمنية "

ابتسم لها في مرارة وصمت قليلا في شرود فمدت يدها تمسد على كتفه في تعاطف ..

فجأة قال دون أن ينظر لها " منذ قليل اكتشفت اكتشافا آخر لم أكن أعيره اهتماما أو قيمة .. اكتشفت أني كنت أنانيا تجاه أمي حين كنت أهرب من الارتباط .. حين رأيت إحباطها منذ قليل .. ورغبتها القوية في أن ترى أولادي .. في أن تكثر من عدد أولادها وأحفادها شعرت أني كنت مقصرا

Des. Maryam Tamim

تجاهها .. أنها مازالت تحملني على ظهرها بدلا من أن أحملها أنا على ظهري "

صمت قليلا وكأنه يحلل ويعيد تقييم نظرته للأمور.. ثم لمعت عيناه واستدار لها ليقول " أنا فهمت الأن رغبة عمرو المحمومة في الزواج على الرغم من أنه متردد من تجربة الزواج التقليدي .. الآن فهمت صراعه الداخلي "

آلمها قلبها عند ذكر سيرة عمرو وتخيلته للحظة وهو يضم امرأة أخرى .. ويبتسم لها ابتسامته النادرة .. فتفجرت براكين الغيرة بداخلها .. لكنها بالتأكيد ستكون سعيدة من أجله لو ظهرت امرأة في حياته تسعده وترخي عقدة حاجبيه .

قاومت مشاعرها وسألت أحمد " وماذا تنوي أن تفعل مع أمي ؟"

قبل أن يرد رن هاتفه ليجد اسم سيد .. تعجب قليلا من أن يتصل به سيد وفي هذا الوقت .

Des. Maryam Tamim

فتح الخط وهو يقول بتأفف " ماذا تريد في هذه الساعة .. ألست تتدلل في خصامك مثل النساء "
أتاه صوت سيد غاضبا " أنا في الخن .. أريدك فورا "
قال أحمد بعصبية " لست في مزاج يسمح لي برؤية سحنتك "
هدر سيد بصوت خرق طبلة أذنه " أريدك فورا وإلا سأصعد إليك أجرك من ملابسك "
ثم أغلق الخط .
نظر أحمد للهاتف في دهشة ثم زفر وهو يستقيم ويعدل من ملابسه ليخرج و يقول لأروى " سأذهب لهذا الهولاكو يبدو أن لديه أمرا هاما "
عندما فتح باب الشقة وجدها تقف في تردد أمام الباب فهتف في قلق " بانة .. ماذا هناك لماذا تقفين هكذا "
قالت بتردد " أمي الحاجة أصرت أن أصعد وأنا متحرجة من مواجهتها .. هل أخبرتها ؟"

Des. Maryam Tamim

ابتسم في حنان وقال " أجل أخبرتها ولا تقلقي .. أمي بارعة في الصمود أمام الصدمات (ثم قال يشاكسها بمكر) المشكلة أني مضطر أن أستسلم لرغبتها في رؤية أحفادها بسرعة .. إنها ستسعى لتزويجي ولن أستطيع الفكاك هذه المرة "

لمح نار الغير تتأجج في عينيها قبل أن تداريها خلف نظرة غير مبالية .. فانتشت رجولته وود لو تأخذ بتلابيبه كما فعلت يوم أن كان سكرانا .. وتصرخ فيه بأنه ملكها .. وقتها سيثبت لها كم يحبها حين يرد عليها بـ " أمرك مولاتي " .

رن هاتفه بإلحاح فجز على أسنانه وهو يغلق الخط في وجه سيد ويقول " ادخلي بانة .. وسأعود بعد قليل بعد أن أقتل هذا الهولاكو اللحوح "

استقبلتها إلهام بشموخ متحدي لكن حين لمحت عينيها المنتفختين من أثر البكاء غلب حنانها غضبها فأشفقت على حال بانة وحاولت تجاهل ما

Des. Maryam Tamim

حدث لتتعامل معها كما تتعامل دائما .. بقلب يغدق حنانا .

***

دخل أحمد الخن متخصرا بتحفز .. ينظر لسيد ووائل ببرود فبادره وائل بالسؤال " هل حقا رفضت بانة أن تتزوجك "

رفع حاجبه متفاجئا وسأل " كيف علمتم بهذه السرعة ! (ثم استطرد بعد ثوان) آه فهمت .. من وكالة الأنباء المتنقلة في بيتنا ... للأسف الخبر صحيح "

ثم أطرق رأسه في ألم نغز قلب صاحبيه .

هتف سيد بغضب " وهل تنوي فعلا أن تتزوج من أخرى لترضي أمك ؟! "

رفع إليه أحمد نظرة باردة ورد وهو يضع يديه في جيبه باستفزاز " وإذا فعلت .. ما دخلك أنت ؟!!"

فوجئ أحمد بانفعال سيد والذي اندفع نحوه يمسك بتلابيبه ويلصقه بالحائط بعنف وهو يهدر

Des. Maryam Tamim

محذرا " إياك أن تفعلها .. إياك أن تلقي نفسك في هذا الجحيم "

عقد أحمد حاجبيه ورمقه باهتمام فاستطرد سيد بانفعال "إياك أن تتزوج بامرأة وقلبك متعلق بأخرى يا صاحبي .. إياك أن تهرب من حب امرأة إلى أحضان امرأة أخرى .. صدق مجرب .. ستلعن غباءك ألف مرة.. وستموت في اليوم آلاف المرات.. وأنت ... وأنت مشتت بين قلبك وعقلك وواجبك تجاه الأخرى "

بعد فترة من الصمت يحدق كل منهما في وجه الآخر أرخى قبضته وابتعد خطوتين للوراء ..وأحمد ذاهل أمامه .. لا يستطيع عقله حتى الآن أن يستوعب منطقية حب سيد لآية ! .. حرك عيناه نحو وائل فلمح الألم على وجهه جليا شفقة على سيد .. أعاد أحمد نظراته لسيد الواقف أمامه يحدق في اللاشيء بنظرات زائغة .

Des. Maryam Tamim

رفع سيد كفه يفرك جبينه بتوتر ثم رفع إليهما عينين يلمع فيهما الجنون وأضاف بخفوت " وقد تتطرف مشاعرك للحد الذي.. للحد الذي تشعر وأنت تعاشر زوجتك أنك .. أنك تخون حبيبتك " أدرك ما تفوه به لسانه للتو .. فابتسم في حرج وخزي لصاحبيه بينما أبتلع أحمد طعما مرا في حلقه يشفق على حال صديقه .. فكف عن نيته مشاكسته وقال بصدق يطمئنه " لا تقلق .. لا أنوي أبدا أن افعلها .. بالرغم من أني أدركت منذ قليل مدى أنانيتي تجاه أمي وأني احرمها من أن ترى أحفادها .. وتفهمت شعور عمرو جيدا ومسئوليته تجاه أبويه .. لكن الأمر خارجا عن إرادتي فعلا .. ولن أستطيع أن أجرح بانة وأنا أعلم أنها تبادلني المشاعر .. ولن أيأس من بانة مهما مر العمر .. سأظل أنتظر أن تمنحني ولو بعضا منها ... أنا فقط أردت امتصاص صدمة أمي من رفض بانة لكن سأحاول المماطلة .. المشكلة أن شعوري

Des. Maryam Tamim

بالذنب تجاه أمي بدأ بالتضخم فجأة .. ولا أعلم كيف سأحلها .. ولا أعلم لماذا تستمر حياتي في التعقد أكثر وأكثر .. اللهم لا اعتراض "

ربت سيد على كتفه في راحة " الحمد لله أن بانة تعلم بمشاعرك نحوها وتبادلك المشاعر .. صدقني نعمة كبيرة .. وأتمنى من الله أن تجد حلا يسعدك "

التاع قلب أحمد أكثر وهو يدرك مدى بؤس وشقاء صاحب عمره .. فحاول تبديد هذه الأجواء الدرامية بينهما.. خاصة وأنه لم يتخيل أن يأتي يوما يقف سيد أمامه متحرجا من أمر ما ... فطالما اعتبر أن سيد أخ أكبر له بكل ما تعني الصفة من معنى .

تصنع صوتا رقيقا مائعا ليقول بوقاحة وكأنه أنثى " هذا يعني أنك لم تعد تخاصمني .. كنت أعلم أني لن أهون عليك يا سدسد يا حبيبي .. فحبك لي يجري في شراييينك مجرى الدم "

Des. Maryam Tamim

تصنع سيد الجدية وتحاشي النظر إليه فاستدار أحمد خلفه وقفز على ظهره فجأة بينما سيد يهدر فيه " أنزل يا أحمد .. ماذا تفعل "

مال أحمد برأسه وهو يقول " ليس قبل أن أعبر لك عن مدى حبي أنا الأخر "

ثم عضه في خده من الخلف فصرخ سيد متألما ونفضه عنه بعنف وهو يمسح خده بقرف بينما علت قهقهة وائل المتسلية .

نظر سيد في ساعته وقال " لابد أن ألحق ببسمة .. فهي لن تتسحر بدوني "

تحرك ينزل من سلم الخن فانقض عليه أحمد مرة أخرى وقبل خده بوحشية ثم ضحك بخشونة ..

مسح سيد خده بعنف وهتف " ما هذا القرف ! "

استمر أحمد في الضحك فنظر إليه سيد شذرا ثم غادر وهو يشتم .. بينما أحمد يلوح بيده بنعومة ويقول " في أمان الله يا حبيبي روحي "

Des. Maryam Tamim

بمجرد أن غادر سيد .. عادت ملامح أحمد للجدية والعبوس مرة أخرى .. فوضع يديه في جيبه وأطرق رأسه يغمض عينيه يحلل كعادته الأمور المعقدة من حوله بينما وائل جالس على الاريكة يتأمله بعينين واهنتين من المرض يملأها القلق والحزن على حال الجميع.

هتف أحمد فجأة " أنا لا أستطيع استيعاب الأمر يا وائل حتى الآن .. كيف يمكن أن تكون آية امرأة في نظر سيد .. كيف بعد كل هذه التجارب النسائية في حياته .. لو كانت أروى لكان الأمر منطقيا ومفهوما .. لكن لماذا آية؟.. أين المنطق هنا ؟"

سأله وائل بهدوء " ولماذا بانة؟ .. هل تنكر أنك انجذبت إليها وكانت تؤثر فيك حتى من قبل أن تكتشف أنها أنثى .. خبرني عن المنطق هنا ؟."

قال أحمد يدافع عن نفسه " أنا كنت أراها أنثى واستقبل منها كذكر .. الأمر لم يكن مجرد

Des. Maryam Tamim

استكشاف لأمر أثار فضولي .. الأمر كان الشعور بذكوريتي بأنها أنثى "
رد وائل يعقب على كلامه " أنت شعرت بها وهي متخفية بهيئة الذكر بشكل مختلف عنا .. ربما نكون قد شعرنا ببعض الغرابة من تصرفاتها أو هيئتها لكنها لم تكن بهذه الأهمية التي تجعلنا نتعذب مثلك .. إنه الحب يا صديقي ببساطة .. لا يخضع أبدا للمنطق .. يهبط عليك كالقدر "
تذكر أحمد كلام أروى له عن الحب بتعريف مشابه لهذا .. بينما أكمل وائل حديثه " ترفق به في موضوع آية وأعلم أنه يعاني ويتعذب ويشعر بحماقته .. لكنه لا يستطيع الفكاك من الأمر .. وأعلم أنه أقدم على الزواج وأنت تعلم أنها مسألة كانت بعيدة كل البعد عن مخططاته فقط ليقاوم ما يشعر به .. "
قال أحمد مدافعا" أنا مشفق عليه صدقني .. وكلما أدركت عمق مشاعره كلما تأكدت أني على صواب ..

Des. Maryam Tamim

ناهيك على أنه أصبح متزوجا بالفعل .. فالأمر بينهما مستحيل .. آية صغيرة السن خرقاء .. لم تستقر مشاعرها بعد أو تنضج ... فلا مجال للتجربة في هذا الأمر لأننا سنتضرر جميعا .. هي ستخسر مثلا أعلى وأنا سأخسر صديق عمري .. أما هو سيدمر تماما سيخسر عائلته وسيخسر آية نفسها .. هذه الخرقاء لو تصرفت بعدم مسئولية تجاه مشاعره التي لم ألمس منها إلا القشور وقد هالني ما رأيته.. ستدمره .. إنها مجازفة خطرة جدا ...

صمت وائل قليلا يفكر ثم قال بعد فترة من الصمت " أنا لا أفكر بمنطقية وبتحليل للأمور مثلك .. وربما أنا عاطفي في أحكامي .. وربما لأني أحبه وأشفق عليه أريده سعيدا .. لم أفكر بواقعيتك واحتمالات الفشل .. أفكر برومانستي وآمال النجاح.. أريد أن أرى من حولي لهم حظ في

Des. Maryam Tamim

الحب بنهاية سعيدة أنا حرمت منها ولا أمل لي
لأنها لم تعد على قيد الحياة .. أنا سئمت
الحزن.. وسئمت افتقاد الأحباب .. وسئمت
الفراق .. وسئمت قصص الحب الفاشلة ...
سئمت من الواقع كله بوجهه القبيح .
أطرق أحمد برأسه ولم يجد ما يرد به على وائل
فتمتم " لله الأمر من قبل ومن بعد "
***

عمرو القاضي : ميمين .. هل فعلا لن تردي ..
ميمين .. تذكري أنك اتخذت قرار الابتعاد بمفردك
.. تذكري هذا جيدا ...
سلام .
***

بعد يومين :

Des. Maryam Tamim

كان أحمد عائدا مع بانة وآية من حفل خطبة أمير وكريستين .. الحفل أقيم بعد الإفطار في الكنسية .. حضره الجميع عدا أروى التي اعتذرت فلم تكن في مزاجا يتحمل نظرات الشفقة .. أو يتحمل رؤية عبوس عاقد الحاجبين ..

في الحفل ظهر انسجام واضح بين آية وكريستين التي تعرفت عليها منذ وقت قصير في يوم افطار السيدة أنجيل .. بعد انتهاء الحفل آثر أحمد العودة بالفتاتين بانة وآية مشيا على الأقدام فالمسافة لم تكن كبيرة وترك الحاج والحاجة يأتون بعد أن تنتهي السيدة أنجيل من توديع ضيوفها .

لم تكف آية عن الثرثرة طوال الطريق في حماس .. بينما أحمد وبانة يتصنعون الانصات وإن كان ذهن كلا منهما مشغولا بالآخر .. يستشعر وجود الآخر بجانبه .. طوال الوقت بالكنيسة لم يكفا عن تبادل النظرات والابتسامات ..

Des. Maryam Tamim

عند الاقتراب من البيت كانت آية قد انتهت من سيرة كريستين ولطافتها وجمال فستانها وأنهما تبادلتا أرقام الهواتف وبدأت في الحديث عن عمرو " ماذا يحدث مع عمرو ؟ .. لقد أطلق لحيته ونحل جسده وأصبح أكثر عبوسا "

شرد أحمد قليلا في حال عمرو هو الآخر الذي لا يسر عدو ولا حبيب لكنه قطع شروده حين وجد اثنان ضخام الجثة يحومون حول بيت سماحة .. ذاكرة أحمد القوية ساعدته في التعرف عليهما بسرعة .. إنهما البلطجيان اللذان كانا أمام بيت حموءة .. تحفز أحمد لرؤيتهما الغير متوقعة ونظر لبانة في توتر ليتبين إن كانت تذكرهما .. لكن بانة لم يبدو عليها شيء .. اقترب الرجلان نحوهم فأخرج أحمد يديه من جيبه بتحفز وقال بهدوء ادخلا للبيت فورا .

سألت بانة وهي تنظر للرجلين " من هؤلاء ؟!"

Des. Maryam Tamim

قال أحمد بحزم "ادخلا " وتقدم نحو الرجلين في هدوء بينما وقفا الفتاتين وقد استشعرا من ملامح الرجلين الخطر .

قال أحدهما " يا أهلا بالرجل الهمام الذي أنقذ الشاب من بين أيدينا " نظر الرجل لبانة الواقفة بعيد واستدرك بتسلية " أقصد ... الفتاة "

أدار أحمد وجه الرجل لينظر إليه وقال بهدوء وحزم "ماذا أتى بكما إلى هنا ؟ .. ماذا تريدان ؟"

رد الرجل الآخر في غلظة " نريد حموءة "

رد أحمد بغلظة هو الآخر " وما دخلي أنا .. اذهبا وابحثا عنه في مكان أخر "

قال الرجل الثاني " أنت السبب في اختفائه .. وعليك أن تدفع لنا ما وعدنا به "

رد أحمد ببرود " ولماذا ادفع أنا .. ولمَ استأجركم أليس له رجالا "

رد الرجل الأول بسخرية " أراد أن يستأجرنا من بعيد حتى لا ينفضح أمام رجاله .. لكنه فضح

Des. Maryam Tamim

فضيحتين فضيحة أخته وفضيحة اختطاف أنثى والادعاء أنها السبب فيما حدث لأخته "
قهقه بخشونة ونظر لبانة المرتعبة من بعيد خلف أحمد وقد سمعت من هم وماذا يريدون فالتفت أحمد وهدر بصوت مخيف " قلت ادخلا فورا "
دخلت الفتاتين بسرعة وأمسكت آية تهاتف سيد فهتفت بها بانة " وعمرو ووائل بسرعة "
استدار أحمد للرجلين يهدر " اذهبا من هنا قبل أن أكسر أرجلكم "
هدر الرجل الثاني بتحدي " لن نذهب قبل أن تدلنا على مكان حموءة فربما يختبئ لديكم كما اختبأت لديكم أخته .. أو تعطينا نقودنا "
هدر أحمد وقد استيقظت شياطينه كلها " ليس لدينا حموءة .. أرحلا قبل أن تلوما أنفسكما "
رد الأول باستفزاز " لنرى من سيلوم نفسه "

Des. Maryam Tamim

أخرج صفيرا من فمه فظهر من أول الشارع خلفه عدة رجال أخرين كل له سلاحه اليدوي الذي يلوح به ..

هدر أحمد بغضب وهو يدفع رجلا منهم للخلف "تردونها حربا إذن "

اشتبك أحمد مع أحد الرجال بينما تحرك بعض شباب الحي وزبائن المقهى للاشتباك بجانب أحمد بينما وقف الباقون في رعب يتابعون الحرب الوشيكة .. صرخت بعض النسوة في الشرفات بينما بانة تنتفض وتشعر بالشلل عما يمكن أن تفعل.. وآية تولول وتبكي وتحاول الاتصال بسيد تتعجله .

جاء صوت أروى من فوق السلم تهتف في قلق " من بالأسفل؟ .. ماذا يحدث؟ "

صرخت أية في هستيريا " أحمد يا أروى سيقتلونه"

Des. Maryam Tamim

صرخت أروى في هلع فنظرت بانة بغيظ لآية وجرت تصعد لأروى التي قد أوشكت تسقط بكرسيها من فوق السلم ..
قالت بانة لأروى وهي تنتفض " أنا أريد أن أخرج إليهما .. أنا خائفة عليه .. لكني .. لكني أخشى أن يشتت خروجي ذهنه .. ماذا أفعل يا أروى .. سيد وعمرو ووائل في الطريق "
هتفت أروى بجزع" أريد أن أراه .. أريد أن أطمئن عليه "..
ردت بانة " تعالي لنراه من الشرفة .. استر يا رب .. اجعل العواقب سليمة يا رب "

في الشارع كانت معركة ليست بالهينة حاول أحمد فيها الصمود رغم كثر عدد الرجال المدججين بالأسلحة اليدوية .. ولم تستطع آية الصمود أكتر في الداخل فخرجت تقف أمام البوابة تهز جسدها في عصبية وهي تبكي .. ثم تشجعت واقتربت من

Des. Maryam Tamim

أطراف المعركة تدور في الهواء وتركل أحد الضخام في منطقة حساسة من جسده فانحنى يتأوه من ضربتها .. استعدت للتدخل أكثر لعمق المعركة حينما جذبتها يد قوية للخلف .. لتجد سيد يعيدها لداخل البيت .. ثم يتوجه لداخل المعركة .. بينما عمرو قد سبقه بدورة في الهواء بخفة لينزل على أحد الرجال الحاملين لساطور ضخم ..

تدخل عمرو وسيد ووائل الذي لم يطيع صاحبيه في ألا يتدخل .. خفف الضغط عن أحمد هذا بالإضافة لبعض شباب الحي الذين شاركوا في الدفاع أن أبناء حيهم .

أمسك أحدهم بسلسلة غليظة وضرب بها سيد فأمسك بها بذراعه بقوة فنفرت عضلاته ذراعه وانتفخت وسحبها فجأة ليلفها حول رقبة الرجل الذي خر مغشيا عليه ..

خرجت آية مرة أخرى لم تستطيع الصبر قلبها يرتجف من الخوف والقلق على احمد وسيد ..

Des. Maryam Tamim

فتوجهت لرجل أخر ودارت على عقبيها تسدد له ركلة في صدره .. ليرتد الرجل للخلف قليلا ويزمجر في غضب.. ثم يتقدم ينقض عليها .. استدارت بسرعة لتضربه بكوعها في بطنه الصلبة لكن الرجل كان جدارا صلبا.. فلم تيأس واستدارت لتفرد ساقها في الهواء تضربه فأمسك الرجل بقدمها أمامه وشل حركتها .. وهو يطلق سبة وقحة ..

فجأة وجدت آية قبضة تمتد من خلفها تضرب بقوة على ساعد الرجل ليترك قدمها متأوهاً .. وقبل أن تستدير شعرت بذراع عضلية ضخمة تحملها من خصرها لترتفع قدميها بعيدا عن الأرض والذراع الأخرى تسدد لكمة ثانية للرجل الذي أمامها فيسقط أرضا ..

قبل أن تشعر بالهلع ميزت رائحته التي تحفظها عن ظهر قلب .. ليتحرك سيد بها غاضبا يحملها بذراع واحدة نحو البوابة الحديدية ويلقي بها في الداخل بعنف حتى ارتطم كتفها بالحائط .. ثم أغلق البوابة

Des. Maryam Tamim

بعصبية ولف السلسلة الغليظة ليغلق البابين بالقفل الكبير دون حتى أن ينظر لها وكأنه يفعل ذلك بحركة لا إرادية أو دون وعي .. تأملته وهو يستدير ليعود للمعركة وجرح غائر تسيل منه الدماء في جبهته .

ولم يكن هناك بدا من الصعود خاصة وهي لا تحمل مفاتيحها ..

كانت بانة تصف لأروى المشهد برعب من الشرفة .. سألتها أروى بلهفة عن عمرو .. بمجرد أن ذكرت اسمه كان رجلا يدفع عمرو ليسقط أرضا ثم مال الرجل فوقه بسلاح حاد لكن عمرو استقبل السلاح بقوة يمنعه من أن يخترق جسده قالت بانة " عمرو .. استر يا رب استر "

لم تستطع أروى التحمل أمسكت بسياج الشرفة الحديدي تتحامل لتقف عليه فتحركت بانة

Des. Maryam Tamim

تساعدها على رفع جذعها ووقفت خلفها تدعم وقفتها ..

كان النزال بين عمرو والرجل على أشده كل منهما يضغط باتجاه الأخر بالسلاح الحاد وقد نفرت عروق عمرو وجحظت عيناه يقاوم السلاح الذي يوشك أن يخترق صدره .

فجأة ارتخت يد عمرو لينزل السلاح باتجاهه فأطلقت أروى صرخة مدوية ملتاعة باسم عمرو .. لكن عمرو كان قد تحرك في خفة يبتعد عن موضع السلاح ويستقيم على قدميه في مرونة ثم ضرب الرجل في جنبه فسقط يتلوى .

انحنى يأخذ السلاح من على الأرض ويلقي به لأحد شباب الحي الذين يجمعون الاسلحة المصادرة ويأمرهما بتكتيف الرجل .. ثم رفع رأسه لأعلى يبحث عن مصدر الصرخة الملتاعة باسمه فلمح بانة وأروى وآية تقفن في الشرفة بقلق .. هذه الصرخة جاءته في منامه منذ يومين صرخة أنثى

Des. Maryam Tamim

تهتف باسمه ولم يتبين من هي .. تحرك بعدها نحو صاحبيه ليستكمل العراك .
هرولت إلهام في الشارع فتحرك الحاج بسرعة يكبلها ويمنعها من الاقتراب .. فأخذت تولول في رعب أمومي " أولادي .. أتركوا أولادي "

تشتت أحمد بقلق لمصدر صوت أمه ليطمئن أن أبيه يمنعها لكن ضربه فجأة أحد الرجلين الذين أتيا بحثا عن حموءة بعصا غليظة في ركبته.
صرخت الفتيات من الشرفة وولولت إلهام حينما سقط أحمد أرضا يصرخ من الألم .. فتحرك الرجل نحوه يضربه مره أخرى.. فأمسك أحمد العصا بقوة يمنعها من الوصول لركبته التي يشعر فيها بألم يفوق الاحتمال ..
جحظت عيناه وتصبب عرقا وهو يقاوم الرجل لكن الرجل أدرك أن ركبة أحمد نقطة ضعف يحاول حمايتها .. فسحب العصا فجأة نحوه ففلتت من

Des. Maryam Tamim

يد أحمد ثم هوي بها بعنف على ركبة أحمد الذي تكوم في الأرض على جانبه في وضع الجنين يمسك بركبته متأوها كأسد جريح .. فتحرك الرجل بغل وحقد ليرفع العصى في الهواء وينزل بكل قوته هذه المرة وكأنه ينوي أن يهشم عظام ساقه .. لكن سيد وضع ذراعه فجأة يتلقى الضربة القوية بدلا من أحمد وتولي وائل خنق الرجل من الخلف بسلسلة حديدية حتى سقط مغشيا عليه ..

صرخت آية في الشرفة في وجه بانة " كله بسببك .. كله بسببك .. لا أعرف لما بلينا بك .. حسبي الله ونعم الوكيل .. حسبي الله ونعم الوكيل " .

وسقطت تدفن وجهها بين يديها في هيستريا بكاء .. فنظرت إليها بانة بعينين زائغتين ووجه مبلل بشلالات من الدموع وهمت بالنزول بسرعة لأحمد .. لكنها شعرت أن أروى التي مازالت تتمسك بسياج الشرفة على وشك السقوط أرضا .. اقتربت تحدق فيها فوجدتها توشك على الإصابة بنوبة

Des. Maryam Tamim

ضيق تنفس .. استجمعت شجاعتها حتى لا تسقط مغشيا عليها هي الأخرى فحضنت أروى تهدئها .. عليها أن تبقى واعية من أجل أروى .. بينما صوت أحمد يصلهم يتأوه بآهات كزئير أسد مصاب .. يضرب بقبضته في الأرض محاولاً التحمل .. فانخلع قلبها عليه في لوعة وتمنت لو كانت هي التي تتوجع بدلا منه .

بعد قليل كانت الشرطة حاضرة وأحمد ينادي بعذاب "ركبتي يا سيد .. ركبتي يا عمرو .. ركبتي يا وائل "

وإلهام مازالت تولول من بعيد محجوزة بين يدي الحاج.

تحرك سيد نحوه بسرعة بعد أن استسلم الباقين فور حضور الشرطة وفر البعض لكنهم لم يعبئوا هذه المرة لملاحقة الفارين ..

تحرك سيد نحو أحمد وهو يمسك ذراعا يبدو أنه قد كسر من الضربة التي تلقها بدلا منه ..

Des. Maryam Tamim

رفعه سيد بذراعه الأخرى وجلس أمامه ليحمله على ظهره .. حاول أحمد التحامل بينما وائل يرفعه من تحت إبطيه ليمسك في رقبة سيد ..
لكن عمرو تدخل بسرعة ليبعد سيد وهو يقول " انتبه لساعدك يبدو قد كسر .. دعني أحمله .. السيارة يا وائل بسرعة "
حمله عمرو يجري به نحو إحدى السيارات .. وسرعان ما تحركت السيارات تباعا تحمل المصابين والحاج والحاجة وعدد من أهل الحي بينما ظل وائل مع الشرطة ليقدم الإفادة .

ظلت الفتيات الثلاث في البيت بأمر من الحاج .. يأكلهن القلق يطاردن الجميع باتصالاتهن للاطمئنان على أحمد..
كانت أروى كعادتها في مرحلة التحمل تحاول طمأنة نفسها بأن كل شيء سينتهي على خير بينما وجهها الشاحب يرعب بانة عليها والتي ودت لو

Des. Maryam Tamim

تهرول إلى المستشفى لولا أوامر الحاج بالتزامهن البيت ..

اقتربت بانة من أروى تشجعها على التنفس بعمق وببطء وتمسد ظهرها فنفذت أروى بطاعة لرغبتها في عدم فقدان الوعي أو الإصابة بنوبة أخرى ستعقد الأمور أكثر .

أخيرا أتى اتصالا من سيد لأروى أن حالة أحمد مستقرة .. لكنه لابد أن يخضع لعملية جراحية عاجلة في ركبته ذات الإصابة القديمة ..

بعد أن تمتمت بالحمد توسلته للحديث مع أحمد فأعطى سيد – الذي يضع ذراعه الأخرى في جبيرة - الهاتف لأحمد فرد بصوت ضعيف مبحوح " أنا بخير يا أروى لا تقلقي .. عملية جراحية بسيطة وستكون الأمور بخير .. الحمد لله على كل شيء .. المهم أنهم خدروا الألم الذي كان بشعا .. يفوق الاحتمال "

Des. Maryam Tamim

تمتمت أروى " الحمد لله يا حبيبي الحمد لله .. لا تتأخر عني يا أحمد .. هذه أكثر مرة أشعر فيها بالعجز .. لأني لن أستطيع الذهاب إليك "

قال بوهن " حاضر يا حبيبتي .. كيف حال بانة؟ "

ردت أورى وهي تنظر لبانة وقالت " تحاول التماسك انها منهارة "

مدت أروى يدها بالهاتف لبانة التي هزت رأسها برفض وانهارت في البكاء .. فقالت أروى لأحمد " لن تستطيع الحديث الآن .. انها منهارة "

قال أحمد بحنان " لا بأس لا بأس .. أبلغيها أني بخير "

وأعطى الهاتف لسيد .

عند آذن الفجر وقد اكتفت كل منهن بقليل من الماء فقط ومهدئ لتنام أروى .. دخلت آية عليهما لتعطي الهاتف لبانة وتقول بلهجة مستفزة " أحمد يريد الهانم السنيورة" .

Des. Maryam Tamim

تجاهلت بانة لهجتها المستفزة وسألت بفرحة وهي تأخذ الهاتف " هل استفاق من الجراحة ؟" لم ترد آية وتركتها وخرجت من الغرفة وهي تتميز غيظا ..

كانت الاخبار قد وصلتهم من ساعتين أن أحمد خرج من العملية وفي غرفة الإفاقة فتنفسن الصعداء . . فسحبت بانة نفسا عميقا ورفعت الهاتف إلى أذنها وهي تلقي نظرة عابرة على أروى التي استغرقت في النوم فورا بعد ابتلاعها لحبة مهدئ .

قالت بهمس ملتاع " أحمد ! " .

رد عليها بصوت هامس واهن " يا قلب أحمد " .

انفجرت في البكاء دون توقف وأخذت تشهق بصوت عال فقال " أششششششش .. كفى بكاء يا بانة .. أنا بخير .. حبيبتي كفى بكاء .. أنا لا زلت تحت تأثير المخدر وسأقول كل كلمات العشق

Des. Maryam Tamim

المحروم منها إن لم تتوقفي عن البكاء .. أنا أحذرك ".

قالت من بين دموعا " ليتني تلقيت الضربات بدلا منك ... خشيت أن أخرج إليك فأشتت أنتباهك "

قال أحمد " أبدا لن يمسك سوء وأنا على قيد الحياة"

انفجرت في البكاء مجددا وهي تتمتم " أنا آسفة .. كل هذا بسببي.. كل هذا بسببي "

ساد الصمت إلا من بكائها.. وفجأة سمعت صوت سيد يقول بعد أن أطلق ضحكة قصيرة " كيف حالك يا بانة .. لقد دخل في غفوة .. إنه لم يستعيد وعيه كاملا بعد لكنه كان يردد طول فترة الإفاقة أريد أن اتصل برامز فسأله الطبيب هل رامز أحد أصدقاءك الذين ينتظرون بالخارج فرد عليهم .. كلا إن رامز حبيبتي .. وظل يردد ذلك حتى أن الطبيب شك في ميوله .. لكننا أوضحنا للطبيب أنه يدلل خطيبته باسم رامز ..(كان قد خرج من الغرفة وهو

Des. Maryam Tamim

يضيف) فضحتي الشاب أيتها الفتاة .. وسرقتي عقله ".

جاءها صوت إلهام مسموعا من بعيد تولول وتقول "حسبي الله ونعم الوكيل فيمن كان السبب ".
تمتمت ببكاء " أنا السبب أنا السبب في كل ما تعرض له .. أنا السبب "
رد سيد بلهجة حنونة " لا تقولي ذلك يا بانة .. بل أنت أجمل شيء قد حدث لأحمد في حياته . .. هيا توقفي عن البكاء واذهبي للنوم ".
قالت بتوسل " أوصيك عليه يا سيد ".
رد يطمئنها " لا تقلق يا أبا رامز .. تصبحين على خير"
تحركت بانة تحكم الغطاء على أروى ودموعها منهمرة لا تستطيع التحكم بها .. ثم اتجهت نحو باب الشقة تنزل إلى شقتها ..

Des. Maryam Tamim

فتحت باب شقتها .. واتجهت نحو الخزانة
فأخرجت حقيبة السفر .. وجمعت أغراضها
القليلة كلها في عجلة..

بعد قليل استفاقت إلهام تشهق من غفوتها على
أحد الأرائك المعدنية في الممر بجوار غرفة أحمد ..
فانتبه إليها جميع الساهرين وهي تحدق فيهم
بنظرات زائغة ثم سألت "هل ابني بخير ؟"
طمأنها الحاج وهو يربت على كتفها " إنه بخير يا أم
أحمد .. غفى مجددا منذ قليل وكل شيء مطمئن
والحمد لله "
ربتت على صدرها تهدئ ضربات قلبها السريعة ..
فأسرع سيد يسأل " ما بك يا أمي؟؟ "
هتفت بجزع وهي تربت على قلبها وأجراس
أساورها ترن بحزن " خير اللهم اجعله خير يا رب
وألطف بنا في قضائك وقدرك يا كريم " .

Des. Maryam Tamim

أما بانة فكانت أمام بيت سماحة تركب سيارة أجرة وتنطلق بها وهي تستدير لتنظر من نافذة السيارة الخلفية تودع الحي ...

وداعا أخير ..

وقد أغرقت دموعها حجابها..

بينما صوت آية يطن في أذنيها وكأنه يطاردها " كله بسببك .. كله بسببك .. لا أعرف لما بلينا بك .. حسبي الله ونعم الوكيل .. حسبي الله ونعم الوكيل"

Des. Maryam Tamim

الفصل السابع عشر

فتحت أروى عينيها بإرهاق .. فحبة المهدئ التي تناولتها أمس على السحور تشعرها بالدوار .. اعتدلت بصعوبة وأمسكت بدعامة السرير للنزول إلى الكرسي وهي تعاني من الدوار ..فاختل فجأة توازنها وسقطت بجانب الكرسي أرضا..

بحثت عن بانة لم تجدها فأخذت تنادي " بانة .. آية .. أمي "

بعد قليل دخلت آية مهرولة للغرفة وساعدتها على الجلوس على الكرسي .

سألتها أروى " أين الجميع ؟"

ردت آية والارهاق بادي على وجهها " لا أحد هنا سواي "

سألت أروى بقلق " هل نزلت بانة لتنام بشقتها ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت آية بامتعاض " لا أعرف خط سير السنيورة .. أنا كنت بغرفتي طوال الوقت "

***

أغلق سيد عيناه بإعياء وهو يستند على الجدار البارد في ممر المستشفى ..

لم ينم أحد منذ أمس .. كان قد أحضر لهم شطائر للسحور لكنهم اكتفوا جميعا بشرب الماء ..

الجميع في حالة إجهاد وتوتر.. ويرفضون المغادرة قبل الاطمئنان على أحمد ..حتى عمرو استأذن عند الفجر ليطمئن والدته التي لم تكتف بطمأنته لها عبر الهاتف فاضطر للذهاب ليريها نفسه.. حتى تتأكد أنه بخير .. المهم ألا تلاحظ الضماد الذي يربط به كتفه من تحت الملابس .

لمح سيد عمرو آتياً من بعيد فاستقام يسأله " كيف الحال هل لاحظت والدتك كتفك ؟ "

Des. Maryam Tamim

رد عمرو بإعياء واضح وقد بدى وجهه نحيلا أكثر بلحيته التي استطالت مؤخرا " الحمد لله مر الأمر بسلام "

شاكسه سيد بوهن " ما هذه الأم المهملة .. لماذا لم تراك عاريا لتتأكد من أن كل جزء من جسدك سليم "

ابتسم عمرو وضربه على كتفه بمحبة.

تأمل عمرو الحاج والحاجة اللذان يجلسان في شرود .. ووائل النائم وهو جالس على الأريكة..

فسأل سيد " ألم يقتنع بعد بأن يذهب لمنزله ليستريح؟ "

نظر سيد لوائل ثم قال من بين أسنانه " الحل هو أن أقتله حتى يرتاح ويريحنا "

جاءهم صوت وائل وهو مغمض العينين " أسمع وقاحتكما "

Des. Maryam Tamim

فجأة لمح سيد بسمة آتية من أخر الممر تتطلع حولها كطفلة تائهة في الصحراء .. تحرك نحوها باندهاش وغضب .. وبمجرد أن لمحته حتى هرولت إليه .

تطلع إليها سيد بغضب " ماذا الذي أتى بك إلى هنا ؟"

قالت بجزع وهي تتفحص ذراعه ورأسه المربوطة " جئت لأطمئن عليك "

قال من بين أسنانه "ألم أطمئنك عليّ في الهاتف"

بدأت تبكي وهي تقول " لم أستطيع يا سيد الانتظار.. قلبي كان قلقا عليك "

ازداد نشيجها فرق قلبه.. فسحب رأسها إلى صدره وهو يسأل بلهجة أكثر رقة " كيف أتيت يا مجنونة ... أنت لا تعرفين كيف تتحركين في العاصمة "

قالت من بين دموعها " ركبت سيارة أجرة وكنت خائفة "

أشفق عليها وقال بحزم" لا تفعليها مرة أخرى"

Des. Maryam Tamim

رفعت وجهها المبلل بالدموع إليه تقول " وأنت لا تقلقني عليك يا سيد .. ولا تتأذي مجددا أرجوك "
ربت على ظهرها ثم قال " أخيك قادم في الطريق سيأخذك إلى أهلك لبضعة أيام "
هتفت بجزع " لماذا؟!!!"
رد بإشفاق وهو يشعر بالذنب تجاهها كلما نظر في وجهها "لأني سأكون مشغولا مع أحمد طيلة الوقت.. ولا أريدك أن تبقي وحدك في الشقة.. وخاصة أننا في رمضان.. وقد تضطرين للافطار وحدك .. "
ردت ببراءة " سأكون معك في أي مكان ... سأبقى معك هنا بالمستشفى "
قال بحزم" لا ترهقيني يا بسمة .. أنا مجهد جدا ووجودك سيضيف أحمالا فوق ظهري .. كيف ستبقين هنا؟!!!! "
لمحت بسمة السيدة إلهام تنظر إليها من بعيد فتحرجت وتركته.. وتقدمت نحوها في ارتباك

Des. Maryam Tamim

وحيت الجميع ثم انحنت تقبل وجنتي السيدة إلهام بمحبة .

بعدها عادت لسيد تقول " أستطيع البقاء لأساعد السيدة إلهام هنا وبالمنزل "

رد سيد بعنف " لن تساعدي أحد .. ولم أتزوجك لتساعدي أحد "

ردت بسرعة " لم أقصد هذا المعنى.. أليست هي في مقام والدتك؟ .. إذن هي في مقام حماتي .. عندنا في البلدة ... "

قاطعها سيد " هذا الأمر منتهي يا بسمة .. سأوصلك للبيت .. وأخيك على وشك الوصول ستذهبين معه .. وأنا سأعيدك حينما تستقر الأوضاع (ثم همس في سره) ليت الأمر بهذه البساطة أن أستطيع ضمك لعائلة سماحة .. وأهدى أمي إلهام كنة طيبة مثلك .. ليته بهذه البساطة .. يكفيني من ذنوب أحملها فوق ظهري تجاه الجميع " .

Des. Maryam Tamim

قاطع حديثه مع نفسه اتصالا من أروى ففتح الخط يرد " نعم أروى .. نحن بخير .. ماذا هناك يا أروى .. اهدئي لأفهم .. لا .. لم تأتي ولم نرها " .
انتبه الجميع في توتر.. فأغلق سيد الخط بعد ثوان وقد اتسعت عيناه وقال " بانة ليست بالمنزل وهاتفها مغلق ومر وقت منذ اختفائها .. وأية طرقت على بابها لم ترد " .

تحرك الشباب سيد ووائل وعمرو للمغادرة وقال سيد لبسمة في عجلة " ابقي هنا مع أمي .. وسأهاتف أخيك ليأتي ويأخذك من هنا .. سأتصل بك فيما بعد "
نظرت إليه بسمة بإحباط بينما إلهام ضربت على صدرها وتقول " كنت أشعر بأن شيء ما قادم .. ألطف بنا يا رب "
***

Des. Maryam Tamim

حين وصل الشباب سأل وائل أروى من على السلم
" لماذا لم تحاول آية فتح الباب ".
ردت أروى من فوق " لا يوجد معنا مفتاح أبي
أعطاها المفتاحين بعد أن عادت لشقتها "

كان سيد يضرب بقبضته على الباب منذ دقائق
وحين تأكدوا أنه لا يوجد أحد .. بدأ في ضرب الباب
بكتفه فساعده عمرو وهو ينبهه أن يؤذي ذراعه
المكسور .. فوقفت آية على السلم وقالت منفعلة
" ذراعك يا سيد ذراعك "
لكنه لم يكن ينصت لأي شيء ..
فجأة فتح الباب ودخلوا بحرج يتملكهم أمل ولو
بسيط أن تكون في الداخل مغشيا عليها مثلا..
فهتف عمرو بآية في عصبية " لا تقفي هكذا
واسبقينا للداخل "

Des. Maryam Tamim

دخلت آية وخرجت من غرفة النوم والحمام تؤكد لهم خلو الشقة تماما ..
تحركوا جميعا يتفقدون المكان وحين وجدوا خزانة الملابس فارغة تأكدوا من شكوكهم
رحلت بانة ..
رحلت وتركتهم ..

على المنضدة بجوار السرير كان هناك خطابا مغلقا وفوقه نسختين من المفاتيح
الخطاب كان مكتوبا عليه (إلى أحمد)..
تردد سيد قليلا وهو ينظر للخطاب فسحبه عمرو بحزم وفتحه ..
هتف سيد " ربما شيء خاص "
رد عمرو بجلافة " وربما لا .. وبالطبع لن نخبر أحمد في حالته هذه انها رحلت .. لكن ربما كتبت له عن مكانها فنستطيع استدراك الأمر قبل أن يشعر هو "

Des. Maryam Tamim

فتح عمرو الخطاب وقرأه سريعا ..

كان الفضول يتملك آية لمعرفة ما يحتويه الخطاب لكن عمرو حدجها بنظرة حازمة وطوى الورقة ووضعها في جبيه وقال" لم تذكر شيء عن مكانها .. ويبدو أنها ذهبت بلا رجعة .. ودعته للأبد .. وتمنت له الشفاء .. وتعتذر لنا جميعا " .

ارتجف وائل ولاح عليه التأثر .. فقال بإعياء " أنا ذاهب للبيت .. لأستريح .. يكفيني هذا .. يكفيني "
نفض سيد الألم الذي ينبض في قلبه ليسأل وائل باهتمام " هل أنت بخير ؟"
لم يرد عليه وائل وانصرف وهو يشيح بذراعه ليتركه بمفرده .

وقفت آية متسمرة في حالة من الذهول .. لم تتوقع أن تقوم هذه الفتاة بالهرب أبدا ..

Des. Maryam Tamim

بل انها تعاملت معها كأمر واقع في بيتهم .. لم تحسب أنها قد تفكر في الذهاب وترك البيت .
كان سيد وعمرو قد سبقوها للخارج لأخبار أروى المحبوسة عند أول السلم فوق لا تستطيع النزول إليهم ..فتحركت آية ببطء تخرج من الشقة وقد شعرت بالذنب .

على السلم هتفت بجزع أروى " رحلت !!!! .. بانة رحلت !!!! "
اقترب سيد منها يطمئنها " سنجدها بإذن الله .. لا تقلقي .. اهدئي أرجوك يا أروى "
هتفت أروى بعدم استيعاب " لا تخبروا أحمد الآن .. أرجوكم لا تخبروه "
رد سيد يهدئ الذعر البادي على ملامحها
"سأبحث عنها في كل مكان لا تقلقي "
تحركت بكرسيها لداخل الشقة وهي تتمتم " أعتذر .. أريد أن أبقى بمفردي "

Des. Maryam Tamim

اغلقت الباب خلفها وسيد يناديها بقلق " أروى .. دعينا نتحدث .. أروى "

كان عمرو يقف على السلم يستمع لصوت أروى الحزين .. دون أن يملك القوة للصعود ورؤيتها في هذه الحالة .. ولسبب ما شعر بألم في قلبه .. فقد بدت متأثرة جدا برحيل بانة على الرغم من تماسكها في كبرياء كعادتها في ألا تبكي .. ربما يشفق عليها أكثر من أي وقت مضى لأنه يعلم أن أحمد ليس متوجدا بجانبها هذه المرة .
أغاظه إلحاح سيد عند باب الشقة .. فهدر فيه دون إرادة منه " كفى يا سيد .. قالت تريد أن تبقى وحدها هيا .. أمامنا مهمة صعبة لا أعرف كيف سنجدها قبل أن يشعر أحمد .. الله المستعان .. "

ثم استدار لآية الذاهلة على باب شقة بانة وقال " اصعدي لأروى بالله عليك .. لا تتركيها وحدها "

Des. Maryam Tamim

***

بعد يومين :

وصل الشباب الثلاثة للمستشفى فاستقبلهم الحاج سماحة بقلق خارج غرفة أحمد يحاول التقاط الأخبار من وجوههم .. لكن وجوههم جميعا كان باديا عليها الوجوم والتعب والارهاق ..ففهم الحاج وجلس الحاج على الأريكة وهو يحوقل ويستغفر الله .

تحركت آية ببطء نحو سيد الذي يقف متخصرا وشاردا ومدت الإبهام والسبابة لتشده بضعف من كم قميصه في صمت واستجداء .. فتنبه لنقر فراشة بكمه ليستدير نحوها.. وهاله أن يرى وجهها بهذا الحزن .. وتساءل أهي لهذه الدرجة حزينة على رحيل بانة ؟!.

أشارت إليه بخفة أنها تريد الحديث معه .. ثم تحركت تبتعد في خطوات مرتبكة قلقة ..

Des. Maryam Tamim

بعد قليل وجدها في حديقة المستشفى تجلس على أحد الارائك .. فاقترب منها بقلق يتفحصها قائلا بقلق " ما بك آية ؟.. هل أنت بخير ؟ "

وقفت أمامه ورفعت وجهها نحوه وهي تزم شفتيها كقوس منحني لأسفل تكتم البكاء كطفلة صغيرة .. ونظرت في عينيه وقالت " سيد أنا قمت بشيء بشع "

ثم انفجرت في البكاء تدفن وجهها في كفيها ..

زاد قلقه وهو يحاول التفكير في أي شيء ممكن أن تكون قد فعلته المجنونة بنفسها ..

حاول نزع كفيها عن وجهها ليفهم ويسألها برعب عما فعلت ..

بعد دقائق رفعت وجهها الأحمر المتورم من البكاء لتقول " أنا أزعجتها بكلامي .. أنا أخبرتها انها السبب فيما حدث لأحمد .. كنت أضايقها بكلامي ..

فرحلت .. أنا السبب فيما سيعاني منه أحمد ..
كنت أغار منها لاهتمام الجميع بها .. "
ثم انفجرت في موجة أخرى من البكاء وجلست على الأريكة أمامه .
تنفس الصعداء وحمد الله أن الأمر لا يتعلق بأذيتها لنفسها .. ثم وقف متخصرا يشاهد رأسها الصغير المدفون في كفيها تبكي بحرقة .. وتألم قلبه من أجلها ومن أجل بانة أيضا.. أن تسمع ما لا تطيق من سليطة اللسان هذه ..
بعد قليل قال لها بتقريع هادئ " ألن تكفي عن التسرع وسلاطة اللسان أبدا.. ها أنت آلمتي الفتاة"
رفعت وجهها فجأة كالطلقة من بين كفيها تقول في شراسة " أنا لم أخطئ في حقها .. ولم أغير رأيي فيها "

رفع سيد حاجبيه اندهاشا من حالها فعادت هي لنوبة البكاء مرة أخرى تدفن يديها في كفيها فقال "

Des. Maryam Tamim



إذن لماذا تبكين الآن .. إن كانت تستحق ما قلتيه عنها ؟!!"

رفعت وجهه الأحمر المتورم تقول " أبكي لأني أذيت أحمد ولا أعلم كيف سيكون رد فعله على رحيلها "

وعادت تدفن وجهها من جديد ..

تأملها قليلا من وقفته بنظرة رجولية فشل في التحكم فيها .. ليشملها أمامه بكليتها وبتفاصيلها الصغيرة.. في هذا البنطال الجينز وبلوزتها التي تغطي ارادفها المنحوتة بإغراء.. وحجابها الغير مهندم بفعل تشنجها وبكائها .

تمزق قلبه من بكائها فتحرك ليجلس القرفصاء أمامها بجسده الضخم وهو يحاول تهدئتها ويقول " أحيانا يويا نتقبل أناس في حياتنا قد لا نرتاح لهم من أجل راحة أشخاص يهموننا جدا .. للأسف بعض الأوضاع علينا تقبلها كما هي .. وإن كنت لا أراها سيئة كما تقولين لكن ... "



هبت ترفع وجهها من بين كفيها وهي مازالت منحنية الجزع إلى الأمام فبدت المسافة بين وجهيهما صغيرة منحته فرصة تأملها من هذا القرب وقالت مندفعة بغل " أما أنا مصرة على رأيي .. أنت لم تراها كيف تموء حول أمي كالقطة لتلفت انتباهها .. ولم ترى كيف تهتم أمي بها وتتكلم عن مناقبها "

تأمل وجهها الجميل من هذا القرب متورم الجفون والأنف وحمرة تسبح فيه هنا وهناك .. حبس أنفاسه ... وتذكر وجه بسمة الباكي وقارن جمالها بآية .. عقله أخبره أن بسمة أحلى بكثير .. لكن قلبه وكيانه كله كانا أقوى من عقله ليعلنا أن قطعة السكر هذه مهلكة بكل تفاصيلها .. تأمل شفتيها المكتنزتين وود أن ..

أن ..

نفض أفكاره وانتفض يقف على قدميه يمسك بذراعه المجبر بالجبيرة وهو يقول بهدوء " والدتك

Des. Maryam Tamim



لديها من الحب والحنان في قلبها ما يسع ملجأ للأيتام فلا تخافي على نصيبك منها أن يتأثر.. واتركي أم المساكين تفيض بحنانها على الجميع (ثم تخصر بذراع واحد يقول) ليس لأن الله منّ عليك بأم.. تستكثرين أن يحظى الأيتام ببعض مما عندك يا آنسة آية "

رفعت إليه نظرها تبتسم فأشرقت الشمس حولهما وقالت بلهجة حانية " إذا كان الأمر يخصك .. فلا مانع عندي أن تدللك أمي وتنهل من حنانها كما تريد "

ابتسم ابتسامة جعلته وسيما برغم الإرهاق البادي على وجهه وقال " نحن نشكر تضحياتك العظيمة آنسة آية "

ابتسمت هي الأخرى لكن سرعان ما لاح البؤس على وجهها وقالت بمسكنة " الإحساس بالذنب سيقتلني يا سيد .. قل لي ماذا أفعل "



زفر سيد في حيرة ثم قال " لا أحد منا يعلم ماذا يمكن أن يفعل .. لقد بحثنا في كل الأماكن .. ربما عليك مساعدتنا للوصول إليها بأن تدلينا عن بعض التجمعات الخاصة بالوافدين .. نحن ذهبنا لعدد منها لكن لو كان هناك أماكن أخرى أخبرينا .. اسألي أصحابك أو ابحثي على الإنترنت "

مطت شفتيها بامتعاض وقالت " حسن .. سأرى ما يمكنني أن أفعل "

فجأة... استقامت تقترب منه لتلمس جبيرته وهي تقول " لماذا لم يكتب لك أحد إهداء على هذه الجبيرة " ..

ابتسم لتغيرها المفاجئ بينما انحنت هي نحو حقيبتها الملقاة على الأريكة وأخرجت قلما عريضا واقتربت نحو ذراعه ..ووقفت منحنية الرأس على ذراعه تكتب على جبيرته باهتمام وتركيز .. أما هو فكان فاقدا لكل تركيز .. إلا من رأسها المنحنية أمام

Des. Maryam Tamim

صدره فحبس انفاسه .. ودفء جسدها القريب جدا .. ورائحتها .. وآه من رائحتها ..
إنها مزيج غريب من رائحة طفلة ورائحة امرأة في نفس ذات الوقت ..

بعد دقائق رفعت وجهها المرقط بالبقع الحمراء من آثار البكاء تسأله بابتسامة مشرقة " ما رأيك؟"
للحظة ظهر الغباء على وجهه لم يفهم معنى السؤال ..
ثم انتبه بارتباك ليحرك عينيه بعيدا عن وجهها إلى جبيرته ليجدها قد كتبت بخط عريض أنيق " Be Happy .. SodSod ! "
قبل أن يعلق رن هاتفه ففتح يسأل وائل " ما الخبر ..أنا هنا بحديقة المستشفى "
جاءه صوت أحمد هائج في الخلفية ووائل يقول "تعال بسرعة "
****

Des. Maryam Tamim



قبل قليل قي غرفة أحمد بالمستشفى :

تحدث أحمد عبر الهاتف " لا أفهم يا أروى لمَ تتجنب بانة الحديث معي .. ماذا فعلت؟ "
ردت أروى متحكمة في لجهتها لتبدو طبيعية "يا حبيبي تشعر بالذنب ورافضة الحديث مع أي أحد صدقني "
هدر أحمد بعصبية " افتحي مكبر الصوت يا أروى "
ارتبكت أروى تقول " إنها .. إنها في شقتها ليست هنا "
قال أحمد مواصلا بخ عصبيته " أنت تكذبين يا أروى .. صوتك وطريقتك تقول إنك تكذبين .. ما الذي تداريه عني .. ما الذي يداريه عني الجميع .. أمي كلامها معي مقتضب .. الباقون يغيبون في أوقات عجيبة .. بانة ترفض الحديث معي وهاتفها

مغلق .. ماذا يحدث بالله عليك يا أروى أنطقي.. أين بانة ؟ "

خيل إليه أنه سمع نشيج أروى قبل أن يُغلق الخط فجأة .. فنظر لوائل وعمرو أمامه يسأل بتوتر " ماذا تدارون عني .. أين بانة ؟ ... لماذا تبكي أروى؟" .

نظر الشباب إلى بعضهما البعض ثم تدخل عمرو وقد بدى عليه الانفعال " ربما أروى مضغوطة من كثرة اتصالاتك .. هل رحمتها قليلا .. أنا جلست معك قليلا أوشكت على الانهيار عصبيا من كثرت اتصالاتك بأروى تسأل عن بانة .. ارحمها قليلا "

هدر أحمد فجأة بعصبية بصوت ارتجت له جدران الغرفة " ماذا تدارون عني ؟"

دخل الحاج سماحة فجأة الغرفة وهدر فيه "صوتك وصلني حتى الممر .. هلا هدأت وريحتنا من توترك .. بانة رحلت .. تركت لك خطابا ورحلت "

Des. Maryam Tamim

شحب وجه أحمد وجحظت عيناه لثوان يستوعب ويعيد الذي سمعه منذ قليل .. ثم مرر أنظاره بعدم استيعاب على وجوه صاحبيه يلتمس منهم معنى ما يقوله والده .. وحين شاهد وجوههم .. أدرك كل شيء ..

أدرك سبب تغيبهم طيلة اليومين الماضيين ..

أردك تلك النظرة الغامضة المرتبكة التي لمحها منهم حين زاروه اليوم ..

أدرك حالة أروى على الهاتف وقد حاول تصديق أن ما بها بسبب حالته ..

أدرك الوجوم على وجه والدته وصمتها الغريب..

حتى آية بدت غريبة منكمشة وهي تزوره منذ قليل ...

وأدرك ...

أدرك أن بانة رحلت ..

تركته ورحلت ..

هكذا ببساطة !!!!!!!!!!

Des. Maryam Tamim

تحرك من السرير ينفض الغطاء .. ورفع ساقه المضمدة بيديه بتحامل يحاول إنزالها على الأرض .

هتف الحاج " ماذا تظن نفسك فاعلا !!!"

رد وهو يتحامل على الألم بركبته " سأذهب لأبحث عنها "

هدر الحاج بغضب " هل أنت مجنون .. الطبيب منعك من الحركة لمدة ثلاثة أشهر وإلا ستتأثر ركبتك وتفشل العملية الجراحية وستعرج للأبد "

رد أحمد وكأنه لم يسمعه يكرر " سأذهب لأبحث عن بانة "

هدر الحاج بعنف " ابق مكانك "

صاح أحمد بصوت أقوى منه بتحدي" لن أبقى مكاني ولن يوقفني أحد .. أتركوني "

دخل سيد للغرفة ينهت ثم تحرك يهدئ الحاج بينما حاول وائل إثناء أحمد عن الحركة لكن الأخير كان بحالة هياج وصدمة .

Des. Maryam Tamim

خرج الحاج من الغرفة وصفع بابها بعنف بينما سيد يحاول تطويق أحمد من الخلف بذراع واحدة لإبقائه على السرير دون حركة ويساعده في ذلك وائل بينما أحمد يهدر في هياج " اتركوني لابحث عنها .. اتركوني "

هدر عمرو فيه بأعصاب مجهدة " أين ستذهب ..أخبرنا وسنبحث عنها بدلا منك .. نحن قضينا يومين كاملين نبحث عنها .. سألنا في المساجد التي يتجمع بها هؤلاء الوافدين .. سألنا في بيوت البنات الوافدات .. سألنا في السفارة .. مشطنا كل الأماكن التي يمكن أن تكون بها .. فنادق صغيرة .. بيوت لسكن البنات .. سألنا باسم رامز وباسم بانة "

هدر أحمد والجنون يترقص في عينيه " لابد أن أجدها .. لابد أن أبحث عن بانة وأجدها "

اقترب منه عمرو وهو جالس مكبل من سيد ووائل وأمسك بفكه يرفع وجهه إليه بعنف ويحدق في عينيه بقوة وصاح في وجهه بحزم " هل تثق بنا ؟"

Des. Maryam Tamim

حدق أحمد فيه بعنين زائغتين وهو ينهت من فرط العصبية ...

فهدر فيه عمرو يعيد عليه نفس السؤال " أنا أسألك .. هل .. تثق بنا ؟ .. نحن نقول لك لم نترك مكانا لم نبحث فيه .. وسنستمر في البحث .. إن كان لديك مكانا لم نبحث فيه أخبرنا وسنذهب فورا .. غير ذلك فأي مجهود ستقوم به لإعادة البحث يعني أنك لا تثق في ثلاثتنا "

لاح على وجه أحمد استيعابه للموقف ..
وأنها اختفت بالفعل ..
اختفت من حياته ..
الألم الذي اعتصر قلبه كان يفوق الوصف .

فجأة حرك جذعه بعنف ينفض تكبيل ذراعيه وأخذ يضرب بقبضته وبرأسه على دعامة السرير عدة مرات .. وضرب ما على المنضدة الصغيرة

Des. Maryam Tamim

بجانب سرير فوقع كل ما عليه بالأرض .. وهو يزأر كاسد جريح قبل أن يسيطروا على هياجه ..
بينما أسرع وائل يحضر طبيبا بسرعة الذي لم يجد بدا سوى أن يحقنه بحقنة مهدئة فينام بأنفاس تئن من الوجع .

***

حين جاء العيد لم يكن عيدا لأحد ..
على الرغم من أن أحمد يستعد للخروج من المستشفى مع التشديد على عدم استخدامه لقدمه قبل انتهاء المدة المحددة ..
وعلى الرغم من أن ألبوم المطرب (....) قد طرح في الاسواق من ليلة العيد ولاقت الأغنية التي لحنها سيد قبولا واستحسانا واسع النطاق من أول ساعات انطلاق الألبوم الغنائي ..
فحالة الوجوم والحزن تسيطر على الجميع ..

Des. Maryam Tamim

تحرك أحمد في رواق المستشفى مدفوعا على كرسي متحرك بحامل يفرد ركبته مستقيمة أمامه .. وهو يتطلع في ورقه في يده يشطب منها الأماكن التي تم البحث فيها عن بانة ..

عند السيارة حمله عمرو وساعده سيد الذي مازالت الجبيرة تحيط ذراعه ليجلس في السيارة بينما غاب وائل عن المشهد لظروف مرضه التي اشتدت عليه مؤخرا .

في الطريق هتف أحمد فجأة .. أريد أن أمر على مكان .. نظر إليه عمرو باندهاش فرد عليه أحمد بإصرار " أريد الذهاب أرجوك "

عند ذلك الكوبري .. الذي أخبرته يوما ما أنها قضت يومان تحته توقفت السيارة .. وترجل كلا من سيد وعمرو ينظران للمكان الخالي باندهاش .. بينما أحمد يراقب من نافذة السيارة ..

Des. Maryam Tamim

كان المكان في وضح النهار أكثر وحشة وقبحا من منظره في الليل .. تحت ذلك الكوبري في ذلك الشارع الهادئ نسبيا ..والقمامة والقاذورات والزجاج المتكسر والحصوات يملؤوا المكان .

هتف سيد بصدمة" قلت إنها بقيت هنا يومان ! " لم يرد أحمد بل ازداد وجهه جمودا وخشونة وكأن الألم قد تجمد عليه .

صوت حركة على حصوات بالأرض جعلهم ينتبهوا ليجدوا رجلا أشعث الشعر واللحية ممزق الملابس.. يبدو عليه عدم الاستحمام منذ سنوات ..
أجفل الرجل العجوز حين رآهم ... وتراجع يلتصق بالحائط تحت الكوبري .. بينما اعتصر الألم قلب أحمد وهو يتخيلها تحت هذا الكوبري تجلس في استكانة .. وتذكر حين وجدها ملتصقة بالحائط في

Des. Maryam Tamim

نفس مكان هذا الشحاذ فهتف بعنف " أسألوه لو رآها "

برغم عدم اقتناع عمرو بهذا الهراء في أن تلجأ بانة للوقوف تحت الكوبري مثل المتسولين .. فإن كانت فعلت ذلك يوما فلا يعتقد أن تكررها فالظروف اختلفت ..لكنه آثر استخدام النفس الطويل مع ابن سماحة تعاطفا مع حاله فتقدم من الرجل الذي انكمش في خوف من صياح أحمد منذ قليل فسأله عمرو برفق " ألم ترى شابا .. أقصد فتاة .. أقصد شاب أو فتاة هنا خلال الأسبوعين الأخيرين؟ "

لاحت علامات الرعب على الرجل الذي انكمش أكثر ليهذي " ماذا تريدوا مني ..تركت لكم كل شيء .. كل شيء .. هل ستطردونني من هنا أيضا؟"

Des. Maryam Tamim

أغمض عمرو عينيه بشفقه وتراجع بينما هدر أحمد بعصبية " هل جاءت إلى هنا وطردتها؟!!!"
هدر الرجل فيه بعينيه ذاهلتين " هم من طردوني .. هم من أخذوا كل شيء "
أشار سيد لأحمد بعنف أن يصمت .. وتحرك بانفعال وشفقة نحو الرجل ليقول " منذ متى وأنت هنا؟ "
رد الرجل بثقة " منذ ألف عام .. وبالتالي لي الأقدمية في هذا المكان بوضع اليد "
ابتسم سيد بألم وشفقة بينما أخرج أحمد من النافذة لوحتين ملفوفتين وهو يهتف " أره الصور يا سيد بالله عليك "
فتح سيد اللوحات فرفع حاجبه في اندهاش فاللوحتان لبانة واحدة بهيئة رامز بشعر قصير والأخرى بالحجاب مرسومة بقلم الرصاص ..

Des. Maryam Tamim

اقترب من الرجل الشحاذ ليسأله إن رأى صاحبة الصور فحرك الرجل رأسه بلا وهو ينكمش أكثر في الجدار ويحك لحيته الطويلة جدا القذرة .
ظهر عمرو يعبر الطريق عائدا من المطعم المقابل يحمل كيسا .. وتقدم من الرجل وأعطاه الكيس قائلا بلطف " لابد أنك جائع "
تجول الرجل بنظره بعينين زائغتين في الجميع ثم نظر للكيس وقال في ريبة " هل وضعتم لي السم في الطعام حتى تأخذوا مكاني هذا أيضا .. لن أسمح لكم .. لن اسمح لكم .. هذا مكاني .. ولن تنتصروا على هذه المرة "
ربت عمرو على كتفه بشفقة وترك بجانبه الطعام وتحرك يستقل السيارة وسيد يتبعه .

حين وصلوا للبيت حمله سيد على ظهره بينما عمرو يدعم ساقه المفرودة وأجلساه في شقة بانة .. التي أصر أن يبقى فيها وتحجج أنه لديه كثير من

Des. Maryam Tamim

الأعمال اليدوية المؤجلة وسيستخدم صالة الشقة كورشة صغيرة أثناء إقامته الجبرية على كرسي متحرك .

استقبلته إلهام بدموع الفرح والقبلات وهي تربت عليه بأساورها ذات الأجراس وهو يطمئنها أنه بخير ..فتطلع أحمد لصالة الشقة التي افرغتها إلهام من الأثاث وقال " هذا جيد .. سأجعلهم يحضرون أدواتي من الورشة غدا .. أين وضعتي الأثاث؟ "
ردت إلهام وهي تشيح بيدها بغضب " خزنته في غرفة من الغرف لحين التصرف فيه لا أريد ان نحتفظ بشيء من رائحتها "
نظر إليها أحمد بشفقة وهو يعلم أنها تتألم لفراقها فتتخذ هذا الموقف لتقلل من قلقها فلم يرد .

أصرت إلهام على عمرو وسيد بالبقاء لكنهما اعتذرا .. فعمرو عليه أن يعود لوالده الذي أهمله الفترة

Des. Maryam Tamim

الماضية وسيد لابد أن يسافر لزوجته يحضرها من بيت أهلها فهي تمطره باتصالاتها ليل نهار .

حين انصرف الجميع شعر أحمد بحركة كرسيها فاستدار بالكرسي ليراها تدخل من باب الشقة المفتوح وتعجب من وجودها .. وقبل أن يسأل كيف نزلت لمح أبيه يبتعد بعد أن وضعها على الكرسي وهي تتمتم " شكرا يا أبي آسفة أتعبتك "

حين رأته هتفت موبخة " يا نذل يا جبان .. هنت عليك تطلب الجلوس في هذه الشقة قبل ان تراني"
تحرك نحوها بكرسيه وهو يقول بهدوء"
أسف أرورا ..أشفقت عليهم حملي للدور الثالث ثم إعادة حملي للدور الثاني "
دخلت آية وراءها تقول" أنظرا إليّ لآخذ لكما صورة بهذين الكرسيين .. ستبدو صورة غريبة ومميزة ".

Des. Maryam Tamim

لم يكن أحمد بمزاج لشيء لكنه رفع نظره لآية بهدوء لثوان لتلتقط الصورة .. كان الألم متخشب على ملامحه فيها .. ثم تحرك يشد كرسي أروى إليه .. وما أن جاوره حتى مد ذراعه تحت ركبتيها وخلف ظهرها وحملها ببعض من الصعوبة حتى استقرت على حجره ..

هتفت أروى في جزع " ركبتك ! "
لكنها سحبها إلى صدره وهو يتمتم" لا تقلقي بعيد عن ركبتي ".
أحاطت أروى ذراعيها حول عنقه وفي خلال ثوان كانت قد انفجرت بالبكاء ..
تأملتها آية كيف ظلت متماسكة حتى رأته ..فبكت كطفلة صغيرة .
مسد أحمد على ظهرها وهو يتمتم" اشتقت إليك حبيبتي "

Des. Maryam Tamim

أما هي فشددت ذراعيها حول عنقه في انهيار بينما هو لا يظهر على ملامحه سوى الجمود ..
فحركت آية الهاتف دون أن يشعرا لتلتقط لهما صورة أخرى في هذا الوضع ..

بعد قليل ساعدتها آية لتعود على كرسيها وهي تقرصها في ذراعها لأمر ما ..فتنحنحت أروى عدة مرات ثم قالت لأحمد " آية تريد أن تعتذر لك "
نظر أحمد بتعجب لآية التي وقفت منكمشة عند الباب تقضم أظافرها بتوتر فاستطردت أروى "إنها .. تعترف أنها آذت بانة بالكلام دون قصد منها .. وأنها قد اتهمتها يوم المعركة بأنها السبب فيما حدث .. فتشعر بالذنب لذلك "
أغمض أحمد عينيه قليلا يقاوم نزيف قلبه .. ولم يعقب .. لكنه تحرك بكرسيه وهو يقول " أنا اريد ان أبقى وحدي سأذهب لأستريح " ..

Des. Maryam Tamim

أطرقت آية برأسها تقاوم رغبة في البكاء .. فحاولت أروى طمأنتها " اتركي له الوقت .. الوضع ليس هينا عليه وهو يحاول التعامل بنضوج .. يكفي أنه لم يثور ويغضب في وجهك كما كنا نخشى "
ردت آية " ربما لأنه لم يثور ويغضب أشعر بالذنب أكثر " وانفجرت في البكاء ..فابتسمت أروى بمرارة وهي تتمتم " ما هذه الأيام يا الله .. استغفر الله العظيم "

دخل بالكرسي الغرفة ..
غرفتها ..
يبحث في لهفة عن رائحتها .. تحامل للوقوف على قدم واحدة ثم انتقل للجلوس على السرير ..
واستلقى عليه يدفن رأسه في الوسائد وهو الذي أقسم على والدته ألا يدخل مخلوقا غرفتها في غيابه .. فأغرق نفسه في رائحتها .. يلملم بقايا رائحة الصابون التي أدمنها بسببها .

Des. Maryam Tamim

إن وجع الافتقاد فوق طاقة الاحتمال والقلق عليها يقتله .

أخرج من جيبه الخطاب الذي أعطاه له عمرو منذ أسبوعين . والذي لم يجد الشجاعة حتى الآن ليفتحه .. فتردد قليلا ثم فتحه ببطء يطالع خطها الجميل "

أحمد ..

أعلم أنك تقرأ هذه السطور وأنت غاضب مني ..

وأعلم أني وعدتك ألا أرحل..

لكني لا أريد أن أتسبب لكم في المزيد من الألم..

أنتم جميعا تعزون عليّ مثل أهلي .. ولا أتحمل أن يتأذوا أهلي بسببي ..

يبدو أنني أسبب متاعب وآلام لمن أحبهم فيتوجب علي الرحيل دائما ..

ويبدو أيضا..

Des. Maryam Tamim



أني سأظل غريبة أينما حللت ومهما حاولت التأقلم...
لكن ما أنا أكيدة منه .. أنكم جميعكم أكرمتموني مثل الأهل .. وحميتموني .. وساعدتموني كثيرا .. وعشت بينكم أفضل أيامي منذ أن قامت الحرب .. وأنك ..
شخص رائع .. ومميز.. .. وكنت محظوظة لأني قابلتك في حياتي ...و لا أعرف ماذا كنت سأفعل لولا وجودك ..
اعتذر بالنيابة عندي للجميع و (لأمي) ..
وأعدك أني سأكون بخير فلا تقلق عليّ ..
وكما اتفقنا مسبقا إذا أردت أن تحقق لي جزءا من السعادة فامض في حياتك وكن سعيدا ..
علينا أن نعترف أنا وأنت أن طرقنا دائما ستكون متوازية وليس لنا أملا في الالتقاء ..
الوداع يا أحمد .
بانة الخازن .

[1295]



غلت الدماء في عروق أحمد بغضب..
وألم..
وافتقاد..
وقلق ..
مشاعر متضاربة مختلطة ..
فمزق الخطاب وألقاه أرضا .. ثم تبعها بدورق
زجاجي به ماء بجانب السرير فحطمه ..
واستلقى على ظهره يفرك جبينه بكلتا يديه يحاول
تهدئة انفعالاته ..
ويحاول التحكم في رغبة ملحة..
للبكاء ..
***
بعد عدة شهور :

دخل أحمد إلى شقة العائلة يرتدي ساعته في
معصمه وقد بدا أنيقا كالعادة .. وهتف في تعجل
"ماذا تريدين يا أم أحمد على الذهاب "

Des. Maryam Tamim

هتفت إلهام تقول بأمل زائف " ها ؟ .. هل أعجبتك أيا من الفتيات التي رأيت صورهن؟ "
رد أحمد بمزاح مصطنع " يا أم أحمد ماذا أفعل برؤوس بدون أجساد أريد أن أرى البضاعة كاملة"
ضربته على ذراعه وهتفت " تحشم يا ولد ! "
هتف ببراءة " ماذا يا أمي ! .. هل أتزوجها برأس بدون جسد !"
ضيقت أمه عينيها وقالت بغيظ " اذا ذهبنا لنراها ستستطيع معاينة قوامها يا وقح "
وضع يديه في جيب بنطاله ونفش كتيفه قائلا بعجرفة "آسف .. ماذا لو فوجئت أن الوجه ليس كالجسد .. سأحرج نفس وأحرج الفتاة "
تدخلت أروى في الحديث بغيظ " يفضل أن تطلبي من أهلن صورة بملابس البحر يا أمي "
هرش أحمد في رأسه ثم تنحنح وعدل من سترته مغمغما " لو بدون سيكون رائع لكن لا بأس بملابس البحر "

Des. Maryam Tamim

ضربته أمه في صدره بعنف فتوجع وهي تهتف بضيق " اذهب من أمامي يا أحمد "
تركته واتجهت للداخل فصاح يقول " حسنا دعينا نجد حلا وسطا .. أريد صور للفتيات كاملة وليس رأسا مقطوعا يا إلهام .. أنت المقصرة ولست أنا"
حين تأكد من اختفائها بالداخل سقط القناع اللامبالي ليظهر وجهة الحقيقي الواجم المتحجر من الألم .. فحرك ناظريه نحو أروى في نظرة متألمة صامتة فبادلته النظرة بأخرى مشفقة .. وتحرك في صمت يخرج .

بعد دقائق رن هاتف أروى فتعجبت من الرقم الغريب فردت " السلام عليكم "
بعد فترة من الصمت جاءها الصوت " وعليكم السلام ورحمة الله .. اشتقت إليك يا فتاة "
صرخت أروى " بانة !!!!!! .. أين أنت يا بانة .. قلبي يأكلني عليك "

Des. Maryam Tamim

ردت بانة بسرعة بصوت باك " أنا بخير .. اقسم بالله بخير .. واعيش بشخصيتي الحقيقة .. ولا أعمل عملا مرهقا .. والأمور جيدة والحمد لله .. أردت أن أطمئنكم .. أردت أن أقول لأحمد لا تقلق .. أنا بخير .. لا تسأليني أين أنا لأني لن أخبرك فقط أطمئنكم علي حتى لا تشعروا بالذنب تجاهي .. لو أضمن أنك لن تخبري أحمد باتصالي لاتصلت بك كل يوم فأنا أشتاق لك "

خرجت إلهام على صرخة أروى وحين تأكدت مما سمعت هتفت بعصبية " قولي لها لا نريد اتصالات هي تعرف مكاننا جيدا .. إن لم تأت فلا تتصل مجددا "

تمتمت بانة من الناحية الأخرى بسرعة وقد سمعت ما قالته إلهام " آسفة .. آسفة "

وأنقطع الخط ..

صرخت أروى " بانة !!! .. بانة !! "

ثم هتفت بأمها " لماذا يا أمي لماذا فعلت ذلك ؟! "

Des. Maryam Tamim

فأشاحت إلهام بذراعها وتحركت نحو الداخل وهي تكتم البكاء .

***

تحرك أحمد بالسيارة بوجه واجم وصوت فيروز يملأ الفراغ الموجع :

بناديلك يا حبيبي ما بتسمعلي ندا
ولا التلاّت القريبة بترجعلي الصدى
كأنك ما حدا .. ضايع بها المدى
حبيبي يا حبيبي
مالي غيرك حدا

لماذا تحولت أغاني فيروز لقنابل حارقة تزيد اشتعال القلب والأعصاب؟ ..

Des. Maryam Tamim

تأمل مفكرته الملقاة أمامه على فوق المقود ..
مئات الأماكن المتوقع وجودها بها تم وضع علامة (خطأ) عليها بعد التأكد من عدم وجودها ..
حتى أماكن تجمع هؤلاء الوافدين التي ترصدتها آية بعد البحث كثيرا على الانترنت أو بسؤال أصدقائها في الجامعة الذين يحملون نفس الجنسية لم يتوصلوا لأي شيء..
اعترف في سره أن أصدقاؤه تحملوه كثيرا في فترة حجزه الإجباري على كرسي متحرك.. تحملوا عصبيته وغضبه ووجومه ..
تحملوا إلحاحه بأن يبحثوا ويبحثوا ويبحثوا .. ولم يهتدوا شيء ..
فأغرق نفسه في العمل ..
حول الشقة لورشة يعمل بها كل العمل المتأخر قبل افتتاح الفندق وبمجرد أن سُمح له بالسير أخيرا .. صارع الوقت لتركيب كل ما عمل به في فترة عجزه ليتم افتتاح الفندق أخيرا ..

Des. Maryam Tamim

وبرغم إشادة وإعجاب الكثيرين لما أنجزته شركة سماحة .. لكنه لم يشعر بطعم أي شيء ..
يكفي فقط أن يستسلم لفكرة واحدة وهي أنها قد تكون الآن بلا مأوى أو بلا عمل أو بإحدى اقسام الشرطة ..
يكفي لأن يستسلم لهذه الخاطرة فيصاب بنوبة قلبية .

أكملت فيروز تغريدها :

مالي غيرك حبيب .. يسأل عني سؤال
ويبقى مني قريب .. ويسألني كيف الحال
ويسمعني كلام .. ويغمرني بالسلام
وعا صوتو إغفي وغيب .. عا نغمات الحدا

حين استطاع السير مجددا لم يترك مكانا إلا وبحث فيه هو الآخر .. حتى أنه بات يحفظ معظم أماكنهم وتجمعاتهم عن ظهر قلب .. وساعده

بعضا من معارفه منهم أثناء رحلة البحث .. حتى أن وائل توسط له عند أحد أقاربه الذي يعمل بالمطار ليؤكد له أنها لم تغادر البلاد حتى الآن . لكنه لم ولن ييأس ..

أكملت فيروز بتغريدها أفكاره :

"لو أعرف أنت وين .. ساكن وبأيا بلاد
لأطير بغفوة عين صوبك عيد أعياد "

تمتم بألم " سأجدك يا بانة .. بإذن الله سأجدك حتى لو بعد خمسين عاما "

قاطع أفكاره صوت الهاتف ليرد على أروى فبادرته بانفعال " أحمد .. بانة يا أحمد .. اتصلت بي منذ قليل "

اختلت عجلت القيادة في يده .. وحمد الله أن الطريق كان خالي إلى حد ما مكنه من إيقاف السيارة

Des. Maryam Tamim

بجانب الطريق وهو ذاهل يسمع لتفاصيل المكالمة مع بانة ..

انهت أروى حديثها وهي تقول" لكني اتصلت بالرقم مرة أخرى لأجده هاتف عمومي في سوبر ماركت يقول صاحبه أنه لا يعرفها .. خذ الرقم وحاول التأكد أنت أيضا "

قال بصوت متحشرج " هل شعرتي أنها فعلا بخير "؟

ردت بهدوء " أجل أقسمت أنها بخير .. وأن أحوالها جيدة .. وقالت لو تضمن أني لن أخبرك باتصالاتي لاتصلت بي كل يوم "

قال أحمد بلوعة " حسنا لو اتصلت مجددا اخبريها أنك لن تخبريني .. أنا راض بأن أتواصل معها من بعيد .. قولي لها أحمد راض ببعض منكِ .. كما أخبرك مسبقا (ثم أكمل بوجع) ولو أني أشك أنها ستتصل بعد ما فعلت أمي ما فعلت .. إنها مرتبطة بأمي .. وإن كانت رحلت لأنها تسببت لنا في

Des. Maryam Tamim

المتاعب فكلام أمي سيثنيها على خطوة التواصل معك .. (ثم زفر متألما) لا حول ولا قوة إلا بالله "
قالت أروى بتأثر " أنت تعلم أن أمي تتألم مثلنا يا أحمد "
رد أحمد معترفا " أعلم ذلك "

بعد قليل كان يركب سيارته من أمام السوبر ماركت الذي اتصلت منه بانة بعد أن ترك لصاحبه رقم هاتفه ليتصل به إذا ما ظهرت مجددا.. بعدما أكد له الرجل أنه لم يعرف هوية الفتاة ولم يرها من قبل ولا يذكرها أصلا من بين عشرات المستخدمين للهاتف .. وكيف يعرفها والسوبر ماركت في ميدان عام في وسط العاصمة أمام محطة المترو ...

زفر أحمد وهو يقول بسخرية " كم أنت ذكية يا بنت الناس الطيبين لتختاري هذا المكان حتى لا

Des. Maryam Tamim

يستدل على مكانك ... هل تشاهدين أفلاما بوليسية كثيرة ! "

تنهد يحاول السيطرة على النار التي تأججت في صدره ليقول بسخرية " على الأقل أنها مازالت على قيد الحياة .. وما دامت أقسمت لأروى أنها بخير .. إذن هي بخير .. ومادامت حية وبخير وتحت سماء هذا الوطن .. فمهمة قتلها بعد العثور عليها ستكون ممتعة يا أحمد "

ثم شغل السيارة وانطلق واختفى في الزحام .

***

قبّل عمرو رأس أبيه للمرة العاشرة بعد أن استفاق من غيبوبته التي طالت هذه المرة .. وفرح لأن الشيخ قد استعاد بعض من القوة ليجلس مستلقيا على وسادة عالية .. وبدى واعيا أكثر من الأيام الماضية .. فحمد عمرو الله على ذلك .

Des. Maryam Tamim

تأمل الشيخ ابنه قليلا بعينين لامعتين رغم وجودهما وسط تجاعيد السنين ثم قال بضعف
"أوصيك بأمك يا عمرو "
رد عمرو بهدوء " إنها فوق رأسي يا أبي .. لا تقلق عليها "
تنهد الشيخ ونظر للفراغ أمامه وهو يقول " أعلم أنها ستكون عبئا عليك "
هتف عمرو بجزع " لمَ تقول هذا الكلام يا أبي إنها أمي "
تأمله الشيخ مجددا ليقول " أعلم .. لكني أشفق عليك وأنا أتركها لك .. ستكون عبئا ثقيلا .. لكن تحملها .. واعلم أنك ستُجزى عن ذلك خيراً كثيراً إن شاء الله "
قال عمرو بتأثر " أطال الله في عمرك يا شيخنا "
رد الشيخ برضا " الحمد لله .. لقد أكرمني بها ... ومنحني من فضله الولد في سن الخمسين ..ومد في عمري لأراه رجلا يسر العين.. "

[1307]

قال عمرو بتأثر " دائما سأكون عند حسن ظنك إن شاء الله "

أكمل الشيخ حديثه وهو يحدق في الفراغ مجدد بابتسامة واهنة " أمك تربيتها كيتيمة جعلتها متطلبة عاطفيا ..مازالت نفس الفتاة الغيور التي تزوجتها .. ويعلم الله اني حاولت تعويضها كثيرا لكن هذا لم يساعدها على التخلص من تطرف مشاعرها أبدا"

رد عمرو بلهجة حانية " أمي تعشقك يا أبي .. أتمنى أن يرزقني الله بامرأة تعشقني ولو بنصف العشق الذي تكنه لك أمي "

ربت الشيخ على لحية ابنه التي استطالت وقال بمحبة " سيرزقك إن شاء الله بزوجة صالحة .. انفض عنك هذا الهم البادي على وجهك منذ مدة "

أطرق عمرو برأسه وزفر في حيرة " أخشى أن أخطئ في الاختيار يا أبي"

Des. Maryam Tamim

رد شيخ بهدوء وهو يتأمل ملامح ابنه " النصيب غالب يا بني "

قال عمرو بحيرة أكثر " لكني .. لكني مسئول عن اختياري وأنا خائف "

ابتسم الشيخ ابتسامة أضاءت تجاعيد وجهه وقال " لا تخشى الوقوع في الخطأ .. فنحن بشر ولسنا كائنات آلية مبرمجة .. نحن نجاهد أنفسنا لنكون أفضل .. لنسير على الدرب المستقيم.. لكن هذا لن يمنحنا الكمال أبدا .. دوما سنخطئ .. المهم الا نكون متعمدين الخطأ .. وأن نكون خير الخطائين التوابون ..

إن شعرت أنك أخطأت يوما في حق نفسك لا تستسلم.. وصحح خطأك قبل أن تقابل وجه كريم ... "

Des. Maryam Tamim

صمت الشيخ قليلا بينما عمرو يفكر في كلمات أبيه
فأكمل الشيخ حديثه وهو يحدق في الفراغ مجددا
"وازن بين أمك وزوجتك .. وتحمل قدرك في أمك "
سأله عمرو بارتباك "لا أفهم يا أبي "
تنهد الشيخ وقال " ستفهم يوماً ما "
سأله عمرو باهتمام " هل رأيت لي مناما ؟"
ابتسم الشيخ وقال بغموض " ربما "
تحفز عمرو وقال " قُصه عليّ "
رد الشيخ بهدوء " لن أفعل "
سأله عمرو بدهشة " لماذا؟!! "
أجاب الشيخ ببساطة " أخشى أن يكون حديث
نفس مني فتتعلق به "
قال عمرو بسرعة " إن كان لديك أمنية بشأني ..
أخبرني بها .. وسأحققها لك فورا .. حتى لو على
رقبتي "
ابتسم الشيخ له وربت عليه بحنان يقول " ما
أتمناه لا يعنيك هي فقط أمنية تخصني .. وليس لي

Des. Maryam Tamim

الحق في أن افرضها عليك .. يكفي عليك والدتك ..
فقط أدعو ربي أن يرزقك بالزوجة الصالحة "
ضيق عمرو عينيه قليلا ثم تساءل " إذن منامك
عني.. عن زواجي "
ابتسم في غموض " ربما .. وربما حديث نفس "
سأل عمرو بقلق " هل هي شخص نعرفه ؟"
ربت الشيخ على كتفه وقال " كفاك إلحاحا لن أبوح
بشيء عليك أن تكون مقتنعا وأنت تختار .. لكن ...
"
صمت الشيخ قليلا فسأل عمرو بقلق " لكن ماذا "
استطرد الشيخ " إذا ما قررت خطبة فتاة يكفي
فقط أن تكون مقتنعا بها وحدها لتعرف أنك قد
أحسنت الاختيار .. وإن كانت من معارفنا فسأل
أبيها عن الحلم القديم .. إذا قص عليك حلما قديما
يجمع بيني وبينه .. فأعلم أن رؤياي قد تحققت ..
وأعلم أني سعيد في قبري "

Des. Maryam Tamim

شعر عمرو بالإحباط .. إذن سيتزوج من فتاة يعرفها .. ربما يقصد ابنة خاله .. فأحلام الشيخ غالبا ما تتحقق ..

ابتلع شعور بالإحباط وقال " أطال الله في عمرك يا شيخي (ثم استطرد بتوسل) قل لي أمنيتك يا أبي وسأحققها فوراً.. مهما كانت.. أنا أخشى أن أختار وأندم .. أخبرني عنها سأحققها على رقبتي"

شعر الشيخ بالقلق من حالة ابنه فقال " لا تخش من الاختيار وتيقن كل إنسان له قدره .. أين مبدأ (إعقلها وتوكل) إذن ؟"

أطرق عمر برأسه فأشفق قلب الشيخ عليه ليقول بابتسامة غامضة " حسنا سأخبرك بجزء من المنام .. ربما هي من ستختارك أولا "

حدق فيه عمرو بذهول ..

فتبسم الشيخ بوهن ورفع ذراعه يسحب رأس ابنه الي صدره وتمتم " كل إنسان له قدره يا قرة عين

Des. Maryam Tamim

أبيك فقط استعن بالله .. وكن مقتنعاً لما تقدم عليه .. ولا تخش العواقب أبدا "

دفن عمرو رأسه في صدره وهو يغمغم بتأثر "كنت أريد أن أرضيك وأُفرح قلبك يا أبي "

ربت الشيخ على رأس ابنه الغارقة في صدره وقال بمحبة وقد دمعت عيناه " يشهد الله أني راض عنك يا عمرو .. راض عنك إلى يوم الدين .. يا قرة عين أبيك.. ويشهد الله أنك تسر عيني وقلبي كلما نظرت إليك.. وأنك نعم الابن ونعم الولد الصالح .. "

ثم أخد يدعو الشيخ له .. فأجهش عمرو بالبكاء الحار على صدر أبيه .. وقد استشعر أن لحظة الفراق قد حانت .

***

عبر أحمد الطريق لسيارته المركونة على الرصيف المقابل وتوجه نحو الشحاذ الجالس القرفصاء تحت الكوبري يدعي اللامبالاة بينما عيناه تراقبه في

Des. Maryam Tamim

صمت وترقب .. فألقى أحمد في حجره كيسا وقال آمراً " كُل "

نظر الشحاذ للكيس قليلا ثم قال " أنا أعلم خطتك جيدا .. أنت تخطط أنت وأصدقاءك لأن تسمني .. فأموت وتحصل أنت على هذا المكان الذي هو ملكي "

رد عليه أحمد بحاجب مرفوع " ومع هذا تأكل كل مرة ما أشتريه لك من طعام ولا يحدث لك شيء ومازلت حيا "

هرش الشحاذ في لحيته الطويلة القذرة ثم ابتسم لتظهر أسنانا بنية وقال " هذا لأن السم لا يؤثر بي"

مط أحمد شفتيه بامتعاض ثم قال " إذن كل ولا تجادل "

ثم توجه نحو سيارته وجلس على مقعد القيادة وترك ساقيه خارجها ..وفتح كيسا آخر وبدأ في الأكل هو الآخر .

Des. Maryam Tamim

تكلم الشحاذ ببرود " هل معك طعاما غير الذي معي؟!"
توقف أحمد عن المضغ ومسح فمه بمنديل قبل أن يرد " أنت مستفز فعلا !.. إنه نفس الساندويتش كُل "
مط الشحاذ شفتيه ببرود وحك لحيته وشعره فهدر أحمد فيه " لا تبدأ في حك جسمك أمامي بالله عليك "
منحه الشحاذ ضحكة بنية مستفزة وبدأ في الأكل بجوع .

أرسل أحمد على الواتساب لسيد " ارسل لي مقطعا لأي أغنية تبرد ناري قليلا "

بعد قليل أرسل له سيد رابط إلكتروني فضغط عليه ليصدح صوت أم كلثوم "
ياما حاولت أنساك ... وأنسى ليالي هواك

Des. Maryam Tamim

فرفع أحمد الهاتف وأتصل بسيد يقول بعصبية" يا حبيبي أنا طلبت أغنية تبرد ناري.. لا أغنية تذبحني بدم بارد "

قهقه سيد ضاحكا ثم قال " أهلا بك في عالم الحرمان يا صديقي .. لم أتخيل يوما أراك تتعذب بنار الحب والشوق والافتقاد .. لا يليق بك يا كونت "

قال أحمد بحزن " هذا الاختراع المسمى بالحب .. اختراع سيء جدا يا هولاكو "

رد سيد بشفقة " أجل سيء وابن (.....) ويا ويل من يقع في دوامته "

سأل أحمد بنبرة يائسة " أليس هناك أمل في الشفاء من هذه الورطة ؟"

رد سيد معترفا " هي ورطة فعلا .. أتمنى من الله أن يهونها عليك وتجتازها سريعا "

غمغم أحمد بحرج " المصيبة أني لست قادر على الدعاء بمحوها من ذاكرتي .. وكأني أخشى أن أنسى كياني "

انفجر سيد ضاحكا في نوبة هستيرية فرفع أحمد حاجبا وقال ببرود " لا أجد سببا للضحك "

سعل سيد من نوبة الضحك ثم قال " لا أستطيع أن أصدق أنك عاشق ... يا الله الكونت سماحة ملك المنطق غارق في الحب حتى منابت شعر رأسه "

قال أحمد بغيظ " اغلق الخط "

سأله بفضول " أين أنت بالضبط ؟"

رد أحمد ببساطة " بجانب الكوبري مع صديقي الشحاذ "

صاح سيد بضحك " ها هو تعبير آخر جديد عليك .. صديقك الشحاذ .. أخشى عليك أن تصير قريبا من المجاذيب "

تنهد أحمد في يأس ثم قال " سأغلق الخط "

Des. Maryam Tamim

قال سيد سريعا قبل أن يغلق " لا تنس أن تحاول إقناعه بالذهاب للمكان الذي وفره له عمرو لقد تعبنا من إقناعه "

أغلق أحمد الخط وأكمل السماع للمقطع الذي أرسله سيد :

ياما حاولت أنساك .. وأنسى ليالي هواك
وأنسى الجمال الي شفته .. في الوجود وياك
حرمت روحي من كل نسمة .. كانت بتسري بينك وبيني ..
وحرمت روحي من كل نعمة .. كانت بتحلى وياك في عيني ..
وقلت أعيش من غير ذكرى .. تخلي قلبي يحن إليك ..
ما فضلش عندي ولا فكرة .. غير اني أنسى أفكر فيك ..

Des. Maryam Tamim

هتف الشحاذ " ارفع الصوت قليلا لأسمع الست جيدا "

ابتسم أحمد في سخرية ورفع الصوت ..

بعد قليل قام الشحاذ من مجلسه يقترب من أحمد وقال " أرني الصور "

فسأله أحمد " أي صور ؟"

أوضح الشحاذ " اللوحات المرسومة للشخص الذي تبحث عنه "

مد أحمد يده داخل السيارة ثم أخرجها باللوحات وهو يحذر بحاجب مرفوع " إياك ولمسها ..

شاهدها من بعيد "

ثم فردها أمام الرجل وسأل " هل رأيت أحدهما من قبل ؟"

رد الرجل بهدوء " أنهما نفس الشخص .. هذه فتاة .. وهذا ذا الشعر القصير نفس الفتاة "

Des. Maryam Tamim

أطلق أحمد ضحكة قصيرة ساخرة وقال " أين كنت قبل عام ونصف من الآن .. كنا نحتاجك لهذه الفتوى "

سأله الشحاذ " لماذا تبحث عنها ؟"

رد أحمد بغل " إنها سارقة .. سرقتني وهربت "

ضحك الشحاذ ضحكة بنية خشنة ثم قال " ها هو مغفل آخر .. لكن على ما يبدو ظروفك أفضل مني .. أنظر لسيارتك ووجاهتك وملابسك ذات الماركات العالمية .. فلا تبتئس "

تعجب أحمد من أن يقيم الرجل ملابسه بأنها من ماركات عالمية .. يبدو على دراية بتلك الأمور .. إن هذا الرجل يثير العجب فعلا .. تارة يكون عاقلا متزنا وتارة يهذي ويخرف .

سأله أحمد بتأمل " ما اسمك ؟"

عاد الرجل ليجلس في نفس البقعة تحت الكوبري التي لا يفارقها ليقول " قلت لكم من قبل(برقوق)"

رد أحمد بشك " أريد اسمك الحقيقي "

Des. Maryam Tamim

مط الرجل شفتيه وحك جسده فاقشعر بدن أحمد وهدر فيه " قلنا لا تحك جسدك أمامي أن عندي وسواس "

ضحك برقوق ضحكة بنية وغمغم " تذكرني بشخص ما .. حتى انقلبت أيامه "

سأله أحمد مستغلا أن الرجل في نوبة تركيز "من سرقك ؟.. وأين بيتك ؟"

رد برقوق بهدوء " إبني .. سرق كل أموالي وطردني في الشارع "

اتسعت عينا أحمد في صدمة فأكمل الرجل بعينين زائغتين " لكني لن اسمح له ولا لزبانيته أن يسلبوني هذا المكان إنه ملكي (ثم نظر لأحمد بشك وقال) هل هو من أرسلك لهذا تقنعونني بالذهاب معكم لمكان معين ؟"

تأمله أحمد بذهول وقد أشفق عليه ولم يعقب..

Des. Maryam Tamim

بعد قليل رن هاتفه فرد أحمد بسخرية "هل وجدت مقطعا غنائيا يذبحني بشكل أكثر بشاعة يا سيد "

رد عليه سيد بجدية ووجوم " يبدو أن الشيخ ليس على ما يرام "

***

دخل أحمد بهدوء ووجل لغرفة الشيخ يتبعه وائل .. بينما سيد يجلس في أرض الغرفة في هدوء..

فجلس بجواره وائل وظل أحمد واقفا يستند على الحائط فلم يستطع ثني ركبته ..

ظل جميعهم يستمعون لصوت عمرو يرتل القرآن بجوار سرير أبيه الذي طلب أن يقرأ ابنه القرآن..

همس سيد لوائل " لماذا تركت سريرك ؟"

رد وائل بهمس " مللت من الرقاد "

جلسوا جميعا يستمعوا للقرآن في خشوع .. ثم تركوا الغرفة بعد قليل لينضموا للحاج سماحة في

Des. Maryam Tamim

الخارج .. بينما طلب الشيخ أن يتوضأ ويصلي ..
وزوجته جالسة عند قدميه تبكي في صمت ..
فساعده عمرو ..

بمجرد أن أنتهى الشيخ من الصلاة وهو راقد على ظهره.. حرك ناظريه قليلا أمامه وأضاءت الابتسامة وجهه وبدأ يغمغم بضعف " ما شاء الله !.. ما شاء الله !.. ما شاء الله ! "
خمن عمرو ما يحدث فتحرك بتماسك لا يعلم من أين أتى .. وهمس في أذنه يلقنه الشهادتين.. فتمتم الشيخ بهما وهو متعلق بتلك النقطة في زاوية الغرفة ..
ثم...
فقدت عيناه بريقهما .
تحرك عمرو قليلا يفرك رأسه بكفيه في صدمة يطالع جسد والده المدد على السرير أمامه بابتسامة راضية .. وحين استوعبت عفاف الأمر

Des. Maryam Tamim

صرخت ملتاعة ... فهرول إليها عمرو يسحب رأسها إلى صدره وهو يقول بحزم " أششش .. إياك والصراخ يا أمي "
فكتمت عفاف فمها في انهيار بينما تحرك عمرو بتماسك وأغمض له عينيه وسجاه بالغطاء ثم خرج إليهم في هدوء يقول بصوت متحشرج "إنا لله وإنا إليه راجعون " .

مرت أحداث الجنازة سريعا وحمل النعش الحاج ابراهيم وعمرو بينما تسابق الشباب الثلاثة في المبادلة فيما بينهم في حمل النعش .. هذا بالإضافة لتلامذة الشيخ ومحبيه .. فالجنازة كانت كبيرة ومهيبة ...
فقد الحي رجلا ذا مكانة كبيرة في القلوب ..
تقدم العزاء عمرو والحاج سماحة الذي أشفق عليه أحمد كثيرا .. فلم يره أبدا يبكي هكذا كالأطفال ..

Des. Maryam Tamim

كما أشفق على عمرو الذي ظل متماسكا .. أو مصدوما .. لم يستطع أن يحدد ..

عند أذان الفجر أصر عمرو على أصدقائه العودة لمنازلهم .. ثم تفقد حال والدته الراقدة منذ سماع الخبر وأطمأن عليها من زوجة خاله ..

ربتت إلهام على صدره تسأله إن كانت تحضر له الطعام فرفض.. وتحرك يوقظ الخالة أنجيل التي تنام على الكرسي .. وحاول إقناعها أن تذهب لبيتها لكنها رفضت وأقسمت ألا تغادر قبل أن تطمئن على عفاف ..

بعد قائق دخل عمرو إلى غرفة أبيه الخالية منه .. وتحرك يتلمس أشيائه وملابسه في حزن.. ثم توضأ وصلى الفجر .. وارتمى على سرير أبيه يتشمم

Des. Maryam Tamim

رائحته ويطلق العنان لدموع حبسها طوال الوقت عن الجميع .

***

بعد شهر :

كان وائل متكوما في سريره بالمستشفى يئن من الوجع .. آلاما شديدة تهاجمه دون أن تخدرها المسكنات .

تكلم بألم موجها الكلام لسيد " إياك أن تبدأ بوصلة الهياج التي تهاجم بها الأطباء .. أشعر أني بت مكروها بسببك "

صاح سيد كالأسد المحبوس " لابد أن يجدوا حلا لآلامك .. كيف يتركوك هكذا للوجع .. أين ما تعلموه في كتب الطب "

رد وائل وهو يجز على أسنانه يقاوم ويقبض على الفراش تحت كفه " إنهم يحتاجون لأن يتعلموا في كتب السحر حتى يجدوا حلا لي "

Des. Maryam Tamim

صمت قليلا ثم استطرد " اذهب من هنا لا أحب أن أصدِّر لأحد الألم .. اذهب من هنا ودعني أتوجع وحدي .. يكفي أنك تخيف الممرضات فلا يأتين للاطمئنان عليّ ولا تدليلي يا مؤذي "

ابتسم سيد وقال " تحسن وسأقيم لك حفلا كل مدعواته من النساء الجميلات "

رد وائل ساخرا بمرارة " وهل بت أصلح لأي من النساء بحالتي هذه "

صاح سيد متهكماً " هل وصل الأمر لهذا لا حول ولا قوة إلا بالله !"

رد عليه وائل وهو يدفن رأسه في الوسادة يتحمل الألم الجسدي " لست أقصد هذا الجانب يا (....) أقصد الجانب الروحي "

ابتسم له سيد ابتسامة صفراء ورد ساخرا " سلمت روحك يا حبيبي "

قال وائل بصوت مكبوت في الوسادة " لا يعجبني حال أحمد ولا عمرو "

Des. Maryam Tamim

تنهد سيد وقال " لا أعرف ماذا أصابنا ... أحمد عاد للعصبية والوجوم والقشرة الصلبة الدفاعية حول نفسه ..وعمرو منذ وفاة الشيخ أزداد صمتا واكتئابا .. صحيح يبدو متماسكا لكني أعلم أنه يتألم ."

رد وائل " قل لي سببا يجعل الانسان يبقى من أجله في هذه الحياة "

هدر سيد فيه "وائل !"

تجاهله وائل ثم قال " بالمناسبة .. أريد أن تكتشف هوية معجبتي الغامضة "

سأله سيد باستغراب " أي معجبة ؟"

أشار وائل لباقة ورد على المنضدة يقول " أتلقى باقات من الورد كل فترة منذ دخولي للمستشفى .. دون معرفة المرسل .. ودون أن تترك أي بطاقة"

وسألت لأعرف أن الورد من خارج المستشفى ويأتي بها شخص مجهول يتركها للممرضات باسمي "

تعجب سيد وقال " ولماذا خمنت هوية المرسل بأنه امرأة "

Des. Maryam Tamim

هدر فيه وائل بغيظ " بالله عليك لماذا سيرسل لي رجلا وردا دون أي بطاقة.. ولماذا سيهديني وردا أصلا!.. أنظر لشكل الباقة ستدرك فورا أنها اختيار نسائي "

اتسعت عينا سيد وسأل ببطء " هل من الممكن أن تكون من .... ؟

بتر عبارته وسكت فرد وائل بصوت المكبوت في الوسادة " فكرت نفس تفكيرك .. حاول تتبع الأمر ربما وصلنا لمكانها "

فقال سيد يغيظه" أنا كنت أقصد أنه ربما ماجدة زوجتك هي من ترسل لك الورود حتى تشعرك أنك مرغوبا من النساء وما إلى ذلك "

رفع وائل رأسه عن الوسادة يطالعه بغيظ ثم قال "هيا اذهب .. سأطلب من أمن المستشفى أن يلقوك خارجا ويمنعوا دخولك .. اذهب بالله عليك لا تزد على آلامي وخذ هذه الباقة معك .. كرهتها"

فانفجر سيد يطلق ضحكة مجلجلة ملأت الغرفة

Des. Maryam Tamim

****

كتب عمرو رسالة خاصة على الفيسبوك لـ Mi Min " كيف حالك ميمين ؟ .. أبي توفى منذ شهر تقريبا ... مات شيخي وسندي وظهري .. ربما المعلومة لا تهمك .. لكن يهمني أن أخبرك..
ملحوظة : وقتها تذكرت كلماتك حين قلت بقدر الوجع وبقدر الصبر سيجزى المرء ..
ملحوظة أخرى قد لا تهمك أيضا .. الأيام ثقيلة بدونك .

****

ركن أحمد سيارته بجانب الكوبري فوجده في نفس موضعه .. تعجب وهو يمرر نظره في المكان للمرة الألف .. ماذا يعجبه في هذا المكان القذر للدرجة التي تجعله متمسكا به بهذا الشكل؟ .. فباءت كل

Des. Maryam Tamim

محاولاتهم لأن يأتي معهم لمكان قد دبروه له بالفشل ..

أهو من اليأس والإحباط الذي يجعله يتمسك بالوهم .. أم أنه يشك في نواياهم بالفعل ؟..
فإن كانت القصة التي يدعيها حقيقية .. فحتما لن يثق في كلامهم بسهولة ..
اعترف أحمد في سره أن هذا الرجل برغم من شخصيته المستفزة وخرفه لكنه يشفق عليه كثيرا.
بادره برقوق يقول ببرود " هل يئست من تسميمي فتوقف عن الحضور؟ "
وضع أحمد يديه في جيبه وضيق عينيه وهو يقول " لا .. كنت أبحث عن طرق أخرى لتسميمك واليوم أحضرت لك طعاما من يد الحاجة "
ثم أخرج كسيا من السيارة ووضعه بجانبه ..
نظر برقوق بطارف عينيه بفضول للكيس ثم تصنع عدم الاهتمام وقال ببرود " كنت ترسل لي معارفك

Des. Maryam Tamim

يشترون لي الساندويتشات.. وصاحبك هذا الضخم .. لكني لم أستطيع أن أخبرهم ما أريد أن أخبرك به "

قال أحمد بهدوء " كنت مشغولا .. قل لي ماذا تريد .. هل اقتنعت بالانتقال للمكان الذي دبرناه لك؟ "

تجاهل برقوق سؤاله ليقول " رأيتها "

فضيق أحمد عيناه وسأل " من الذي رأيتها ؟"

رد برقوق بلامبالاة " السارقة الجميلة صاحبة الصورة "

اتسعت عيني أحمد فتقدم منه وسأله بلهفة " هل حقا رأيتها ؟؟ هل جاءت إلى هنا ؟!!!"

حك الرجل في لحيته العفنة فصاح أحمد معترضا .. لكن برقوق تجاهله وقال " أجل جاءت هنا .. أرادت أن تسرق مكاني كما سرقتك "

سأل أحمد بلهفة "وماذا حدث ؟"

ابتسم الرجل ابتسامة بنية باردة وقال " طردتها فخافت "

Des. Maryam Tamim

هدر فيه أحمد بعصبية " كيف تخيفها يا غبي كيف ؟!! "

رفع الرجل حاجبا يقول " وهل سأكون مغفلا مثلك واتركها تسرقني .. هع! "

رد عليه أحمد بغيظ " تركت ابنك يسرقك ويطردك هع! .. وتشجعت على المسكينة من أجل ماذا؟ .. قطعة من رصيف عام !"

لاح الألم على وجه الرجل فندم أحمد على تهوره وسأله " صف لي ما حدث؟ "

قال الرجل " رأيت فتاة جميلة تقترب .. ظننت أنها ستعطف عليّ .. وفعلا أعطتني ما فيه النصيب .. ثم رأيتها تتجول بأنظارها في المكان وحاولت الوقوف في هذه البقعة فخشيت أن تحتلها وتطردني فوقفت واقتربت منها .. وبمجرد أن اقتربت أدركت أنها نفس الفتاة التي بالصورة .. هتفت فيها (أنت السارقة) فيبدو أنها ارتعبت مني ففرت في هلع .. دون أن تتكلم "

Des. Maryam Tamim

فرك أحمد جبينه في ألم يقاوم رغبة في الصياح في التكسير ..في قتل هذا الرجل .. في المناداة باسمها في ميدان عام .. أي شيء يخفف ما يشعر به من تمزق حاليا.. لكنه كبح جماح نفسه ليقول " على الأقل أنها حية ترزق ..(ثم رفع صوته للرجل ليسأل بلهفة) كيف بدت؟ هل تغطي رأسها ؟"

رد الرجل وهو يضيق عينيه يحاول التذكر "كانت تغطي رأسها وكانت جميلة فعيناها .... "
قاطعه أحمد هادرا بحزم " يكفي .. إياك أن تنظر إليها مجددا .. سأقتلع عينيك هاتين .. وإذا جاءت مرة أخرى قل لها .. الكونت يتمنى أن يراك لدقيقة واحدة "
ثم تحرك نحو سيارته وهو يضع النظارة على عينيه فسأله برقوق بدهشة " هل تترجى السارقة لمقابلتها ؟!!"

Des. Maryam Tamim

لم يرد أحمد.. واغلق باب السيارة لينطلق بسرعة ..

فحك برقوق لحيته القذرة في تفكير وغمغم " ربما هي خطة بأن يستعطفها وحين تظهر ينقض عليها ويخنقها ويزهق روحها .."
ابتسم ابتسامة بنية ولمع الجنون في عينيه ..وتذكر فجأة الطعام ..
فأسرع في لهفة يفتح الكيس ويأكل بنهم وجوع.
***
رسالة من عمرو القاضي لـ Mi Min " تبا لك ميمين ! ..
كيف تكونين بهذه القسوة !..
لو أنت انسانة طبيعية لكنت أشفقت على حالي وظروفي .. وهذا يصيبني بالشك في أنه لست امرأة .. وإنما رجلا مريض عقليا يمارس معي مقلبا ..

Des. Maryam Tamim

عليك تحمل المسئولية ميمين .. فأنا غير قادر على ممارسة حياتي الطبيعية .. إن كان لديك ذرة ضمير دعيني أسمع صوتك لأتأكد أني لست مغفلا .. لأتأكد أنك فعلا موجودة .. حتى لا أجن .. أنا كاره لنفسي في هذه اللحظة وأنا أكتب هذه الكلمات .. وأنا أتذلل لهذه الدرجة .. هل هذا كافي لأن تدركي حجم ما أمر به الآن ..

اتصلي بي ميمين مرة واحدة فقط لن أطلب منك مرة أخرى بعدها .. وهذا يعني أن الأمر بيدك لن أكون من يرفض أو يقبل بل أنت من ستتخذين القرار .

استحلفك بالله .. أنا فعلا أريد أن أغلق ذلك الفصل من حياتي ويسيطر عليّ شعور أني مازلت منتظرا لشيء لا أدري ما هو .

ساعديني ميمين .. اعتبري ذلك عمل خير .

رقمي هو (....)

سأنتظرك وأرجو أن تتحملي المسئولية ."

Des. Maryam Tamim

رمى عمرو هاتفه وهو كاره لأن يتطور به الحال لهذا الشكل البائس .. لكنه كان صادقا في كل كلمة كتبها

..

الشعور بأنه معلق ..

الشعور بأنه ينتظر شيئا ما..

مشاعر تجعل القلق يقتات عليه ..

هذا بالإضافة لذلك المنام الذي رآه .. منام غريب في أن يأتيه في هذا التوقيت بعد أن وعد والدته بأن سيفكر في الزواج دون مماطلة .. وحمد الله أنها اقتنعت برفضه لأبنة خاله .. وحمدا لله أنها خُطبت .. فهذا يخفف الحمل قليلا من فوق ظهره

..

تحرك نحو غرفة والدته وتأكد أنها استسلمت للنوم ..

شعور بالشفقة عليها يتملكه منذ وفاة والده وهي في حال غير الحال ..

Des. Maryam Tamim

اتصل ليطمئن على وائل ..
ثم جلس في غرفته يقرأ كتابا ...

رن هاتفه ليظهر رقم غريب ..
فتح الخط بترقب وقال " السلام عليكم "
لم يجد ردا .. فقط أنفاسا متوترة ..
قفز من مكانه بتحفز وارتج قلبه في صدره بعنف ..
وسأل في تردد " ميمين ؟ .. أنت مينين ؟!!! "
تنحنح الصوت وقال بصوت مرتعش " السلام عليكم "
الصوت كان أنثويا رخيما تسرب إلى أذنه كلحن موسيقي رائع فانتبهت حواسه كلها له ..

Des. Maryam Tamim

الفصل الثامن عشر

رن هاتفه ليظهر رقم غريب .. فتح الخط في ترقب
" السلام عليكم "
لم يجد ردا .. فقط أنفاس متوترة ..

قفز من مكانه بتحفز وارتج قلبه في صدره بعنف ..
وسألها في تردد " ميمين ؟ .. أنت ميمين ؟!!! "
تنحنح الصوت وقال بصوت مرتعش " السلام عليكم "
الصوت كان أنثويا رخيما تسرب إلى أذنه كلحن موسيقي رائع فانتبهت حواسه كلها له ..
رد وقلبه يقصف في صدره بجنون يكاد يحطم قفصه الصدري " وعليكم السلام والرحمة "
سكتت لم تتكلم فقال " هل أنا أهلوس أم أنك حقيقة؟"

Des. Maryam Tamim

ردت ببعض من الحنق " هل أنت مرتاح الأن؟ ..
واطمأننت أن قواك العقلية سليمة ؟.. وأني أنثى ..
ورأيتني وأنا أتحمل مسئوليتك .. هل ستتابع
حياتك الآن ؟."
انفجر ضاحكا بسعادة .. فجاء صوت ضحكاته كماء
زلال في جوفها الظمآن ..
قال بسعادة " هكذا إذن تكوني حين تحنقين
وتغضبين .. لم تختلفي كثيرا عما تخيلتك وانت
تتواصلين معي بالكتابة "
قالت بتأثر " عمرو أنت لا تعرف كيف أغامر الآن
وأنا أتحدث معك.. وكيف قد تكون تابعات ذلك ..
لكني يا عمرو أشعر بالذنب الكبير تجاهك ..
وأعترف أني أخطأت خطأ كبيرا حين تواصلت معك
.. فهل انتهيت من هذه القصة وبدأت حياتك؟"
رد بتأمل " اقسم بالله.. لم أعرف من قبل أن
اسمي له مثل هذا الوقع في النفس إلا الآن.. بعد أن
نطقت بإثنين (عمرو) في دقيقة واحدة (حين

Des. Maryam Tamim

صمتت ولم ترد استدرك ليقول بحرج) آسف لا أعرف إن كان ما قلته يليق أم لا .. أقصد أنا لا أغازل أنا اتكلم بما أفكر .. صدقيني "

ساد الصمت لثوان ثم قالت" عليّ أن أغلق الآن "

سألها فجأة " هل شعرك أسود طويل ؟ "

صدمها السؤال فلم تتوقع أبدا أن يسأل سؤالا كهذا خاصة مع شخصيته المتحفظة الوقورة ..

ويبدو أنه قد خمن ما تفكر فيه فأسرع بالقول " أنا أسأل هذا السؤال لأتأكد إن كان ما رأيته في المنام صحيحا أم لا "

سألت بفضول " ماذا رأيت؟ "

رد بجدية " رأيت أني كنت أبحث عنك ثم رأيتك تقفين بظهرك وشعرك أسود طويل (ثم ضحك ضحكة قصيرة ليقول) وتأتي أضغاث الأحلام في المنام لأجدك تمسكين بذراع أحمد سماحة .. إنه صديقي الصدوق .. فانزعجت جدا أنك تمسكين

Des. Maryam Tamim

بذراعه وانزعجت أكثر حينما فشلت في أن أرى وجهك "

شعرت بالألم في قلبها وبالغضب من غبائه فقالت بحنق " لا للأسف شعري ليس أسود ولا طويل (ثم أضافت بسخرية) يبدو أنك تحب ذوات الشعر الطويل فظهر ما تتمنى بالحلم "

تملكه الحرج وتنحنح قليلا ثم قال " احم .. لا أنكر ذلك .. يبدو أني كنت أخرف .. ولو أني كنت متأكد حين استيقظت أنها رؤية "

قالت تنهي المكالمة " عليّ أن أذهب .. أتمنى لك كل الخير "

فقال وكأنه لم يسمعها " أشعر أيضا .. وأرجو أن تصدقيني وألا تعتقدي أني أردد جملا محفوظة يقولها الشباب .. لكني صادق فيما سأقول .. أشعر بأني أعرف صوتك جيدا .. لكني لست قادر على التحديد .. أنا .. "

Des. Maryam Tamim

قاطعته في حزم " لابد أن أغلق الخط الآن .. وعليك أن تنفذ ما وعدتني به .. ستمزق صفحتي وتبدأ حياتك وتعيش في سعادة ".

هتف " ميمين .. ميمين بضع دقائق أخرى " ولكنها أغلقت الخط .. ودفنت وجهها بين كفيها تبكي بحرقة وهي تتمتم " حتى صوتك لم يتعرف عليه يا أروى .. ألهذه الدرجة أنت لست مرئية .. أنك لم ترتقي لدرجة معارف أو حتى قرابة ليتعرف عليك حين يسمع صوتك .. "

لم تقصد أبدا أن تتحايل .. وتتخفى في شخصية أخرى .. الأمر حدث بالصدفة .. وحينما وجدت أنها فرصة جيدة لأن تتواصل معه .. استمرت في التخفي خلف شخصية ميمين ..

كل ما كانت تتمناه قليل من الوصال معه .. ولو حتى في شكل صداقة ... لكنها لم تحسب حساب لأن يكون فضوليا ليتعرف عليها أكثر .. ولم

Des. Maryam Tamim

تحسب حساب أن يتعلق بالوهم هكذا .. فأكثر ما يرعبها الآن أن يعلم من هي .. وأن يرفضها .. يرفضها صراحة بعدما يعلم من هي .. إذا كان لم يتعرف على صوتها بالطبع سيرفضها .. أو ربما أشفق عليها أو تحرج منها.. فيقرر أن يضحي من أجل أحمد ويرتبط بها .. وهي لم تطمع في أكثر من مجرد حديث معه يؤنس وحدتها .. يبلل قليل من ظمأها لتواجده في حياتها ..

لقد أخطأت ..

وعليها أن تدفع الثمن بهذا الشعور الذي يعتريها الآن ..

شعور بالدونية والاحتقار .

***

تمطى أحمد وهو جالس مع سيد في الخن ثم قال "إذن أنت الآن مكتسح السوق الغنائي بالأغنية الأشهر في هذا الموسم وبدأ إقبال المطربين عليك

Des. Maryam Tamim

.. وبعد قليل سنأخذ منك مواعيد مسبقة حتى نراك "

ضحك سيد ضحكة خشنة ثم قال " حتى الآن لا أصدق .. أخيرا .. أخيرا أفعل ما أحب "

ربت أحمد على كتفه بمحبة ثم شرد قليلا فسأله سيد " فيما تفكر؟"

تنهد أحمد وقال " اتساءل إن كانت بانة هي فعلا من قابلها برقوق .. أم أنه يخرف .. أقاوم شعور يلح عليّ بأن انصب خيمة تحت الكوبري لانتظارها "

ابتسم سيد في شفقة فسأله أحمد " هل تعتقد أنها لو كانت بانة فعلا ستعود بعدما فعله برقوق؟ "

زفر سيد وغمغم " أشك في أنها ستكررها .. لو روايته صحيحة فأعتقد أنها خافت منه "

فرك أحمد رأسه بكفيه بيأس.. بينما اقتحم عمرو فجأة الخن وهو يقول بانفعال " هل منكما من يعرف أحد في شركة الاتصالات ؟ .. عندي رقم وأريد أن أعرف صاحبه .. وبحثت بواسطة

Des. Maryam Tamim

تطبيقات إظهار الرقم فلم يكن مسجلاً بأي اسم ..
أريد أن أعرف اسم صاحب رقم بشكل عاجل "
رفع سيد حاجبيه في دهشة من الحالة التي يبدو
عليها عمرو ثم قال في هدوء " أنا أعرف شخصا"
قال عمرو بلهفة " اتصل به فورا "
رد سيد وهو يتجول بنظراته بينه وبين أحمد الذي
لم يقل عنه دهشة من حالته " اعطني الرقم
لأعطيه للرجل "
رد عمرو بعناد " كلا .. دعني أكلمه وسأعطيه الرقم
بنفسي "
فتح سيد هاتفه وهو مازال تحت تأثير الدهشة
وبحث عن اسم الرجل وهاتفه بينما سأل أحمد
بترقب" هل هذه فتاة الانترنت ؟"
صمت عمرو والتمعت عيناه .. فسأله أحمد
بفضول "وكيف كان الاتصال معها "

Des. Maryam Tamim

اتسعت ابتسامة عمرو فجأة ووضع كفه على صدره يهدئ من ضربات قلبه التي تكاد تكون مسموعة لصاحبيه ..

قال أحمد بسخرية " لم أتخيل يوما أني قد أراك بشرا لديك قلب ينبض ويدق من أجل فتاة .. سأصنع تمثالا من الخشب لهذه الفتاة إذا رأيتها يوما .. تقديرا لهذه المعجزة "

لم يرد عليه عمرو بينما يتناول الهاتف من سيد ليحدث الرجل الذي طلب مهلة لليوم التالي للرد عليه .. فوافق عمرو على مضض وتمنى لو عرف في التو واللحظة من هذه وأين تعيش ؟..

كان يعتقد أنه بمجرد أن يتحدث معها سيهدأ الفضول بداخله لكنه يشعر الآن وكأن نارا أطلقت في الهشيم ... فتحول إلى كتله من لهب يحترق .

في اليوم التالي :

Des. Maryam Tamim

ترجل عمرو من سيارته أمام منزله وتبدو عليه علامات الترقب .. لم ينم ليلة أمس ... تردد هل يتصل بها مجددا .. أم ينتظر بعد أن يرد عليه الرجل الذي يعمل بشركة الاتصالات ..
لن يكون مبالغا إذا قال انه عد الساعات والدقائق والثواني حتى الآن في انتظار اتصال الرجل .. وهو الذي لم يكن يوما لحوحا أو متعجلا ..
بمجرد أن هم بالصعود للبناية الفخمة التي يقطن بها مع والدته ... رن جرس هاتفه ..
رد بلهفة " السلام عليكم أستاذ طارق "
جاءه صوت طارق يرد السلام " وعليكم السلام باشمهندس عمرو .. لقد أحضرت لك بيانات عقد شراء خط الهاتف المحمول .. أرجو أن يكون معك ورقة وقلم لتدون ورائي "
رد عمرو بارتعاش وهو يضغط على زر تسجيل المكالمة " تفضل "

Des. Maryam Tamim

قال طارق وهو يقرأ البيانات " الخط مسجل باسم آية إبراهيم سماحة .. طالبة .. عنوانها .... "
انعقد لسان عمرو وجحظت عيناه بذهول .. حتى أن الرجل انتهى من قراءة البيانات وانتظر أي تعقيب .. أو كلمة شكر فلم يجد فهتف بقلق "باشمهندس عمرو .. هل لازلت معي؟! "
تنحنح عمرو وقال بحشرجة .. شكرا .. وآسف على إزعاجك "
قالها وأغلق الخط دون حتى أن يسمع أي رد من الرجل .

لم يدر أنه قد جلس على السلم في بهو المبنى يحدق أمامه في ذهول .. وضغط على تسجيل المكالمة ليعيدها مرات ومرات ليتأكد مما سمعه منذ قليل ..

Des. Maryam Tamim

لم يستطيع الاستيعاب .. كيف تكون آية؟!!!!!!!!
..
هل تلعب الصغيرة ؟!!!!!! ..
هل وصلت بها الوقاحة لأن تتجرأ لفعل مقلب مثل هذا ؟!!!..

بعد قليل أقر أن الأمر غير مقنع .. لا يمكن أبدا أن تكون آية من تتحدث معه .. مهما حاولت تقمص شخصية غير شخصيتها .. آية ليست بهذه الثقافة ولا بهذه الطريقة في التفكير ..
أبدا ليست آية ...
كما أن الصوت ...
الصوت ليس بصوت آية أبدا ..

أمن الممكن أن تكون وقحة لدرجة أن تقوم بهذه اللعبة بالاشتراك مع إحدى صديقاتها !! ..

Des. Maryam Tamim

قطع تفكيره حارس المبنى وهو يهزه من كتفه بقلق
" هل أنت بخير يا باشمهندس عمرو ؟!"
تنبه عمرو لجلسته على السلم في بهو المبنى
فتنحنح بحرج .. ثم تحرك نحو المصعد..
لكنه عاد وخرج إلى الشارع مندفعا وهو يرفع
الهاتف على أذنه يقول " السلام عليكم يا آية .. أين
أنت .. حسنا سأقابلك عند باب بيتكم بعد عشر
دقائق .. أريد أن أسألك عن شيء "
أغلق الخط وهو يؤكد لنفسه أن هذا ليس صوت
ميمين أبدا ..

بعد ربع ساعة كانت آية عائدة من الجامعة وقد
وصلت عند بوابة البيت لتجد عمرو يقف في حالة
من الشحوب فسألته في قلق " ما الأمر ؟"
تنحنح عمرو وقال بصوت متحشرج " هل تعرفين
هذا الرقم " وأشار للرقم على شاشة هاتفه.

Des. Maryam Tamim

نظرت للرقم قليلا بحاجب مرفوع ثم مطت شفتيها لتقول " لا أعتقد .. لماذا "

حاول عمرو مجاراتها حتى يكتشف الأمر فقال "الأمر أني لا أذكر من أين حصلت عليه .. سجلته بدون اسم فأسأل من أعرفهم إن كان الرقم يخصهم "

ضيقت آية عينيها قليلا في تركيز وهو تقول "هذه الأرقام ليست بغريبة عليّ .. أنتظر "

فتحت هاتفها وضغطت على الأرقام الموجودة بشاشة هاتف عمرو ثم صاحت فجأة بانتصار ؟؟

فتحفز عمرو لما ستقوله بينما ردت آية ببساطة "إنه رقم أروى .. اشتريته لها من مدة قصيرة "

شحب وجه عمرو محاولا الاستيعاب وقال " هل غيرت أروى رقم هاتفها ؟؟!!!!!"

Des. Maryam Tamim

رفعت آية كتفيها تقول " كلا مازالت تحتفظ بنفس الرقم.. هذا رقم إضافي.. طلبت مني أن أشتريه لها .. هاتفها يسمح بوضع شريحتين "

نظرت آية لعمرو بقلق فقد بدا ذاهلا شاحبا مع لحيته الطويلة كالمجاذيب .

سألت بقلق " عمرو هل أنت بخير ؟"

تماسك عمرو وقال يداري انفعالاته أمام الصغيرة " أنا بخير الحمد لله .. تذكرت الآن أن أروى قد أعطتني إياه فعلا .. وقد نسيت تدوين الاسم بجانب الرقم .. لهذا لجأت لك لأني كنت أشك أنه يتبع لبيت سماحة .. شكرا آية ... تفضلي ادخلي .. سلام "

تحركت آية باندهاش ودخلت البوابة بينما استند عمرو على الجدار لحظة يشعر بالأرض تدور من تحت قدمه .

مسح ظهره في الجدار نزولا حتى جلس القرفصاء فلم تقدر قدميه على حمله .. وبدأ يتعرق .

Des. Maryam Tamim

حين استرجع المكالمة معها في ذهنه .. أيقن أنه كان غبيا ..

كان غبيا حين لم يدرك أنها أروى ..

كيف لم يتعرف على صوتها ؟؟؟..

هل تهزأ منه ؟!!!!

هل تتسلى وتلعب على حساب كرامته؟؟؟؟ ..

أهو لهذه الدرجة تافه في نظرها حتى تختاره هو من دون الجميع لتتسلى وتشغل وقتها؟؟..

وهل يعرف أحمد ؟؟؟؟؟؟

لا.. لا يمكن أن يعرف أحمد أمرا كهذا ويسكت ..

صحيح أن أروى قطعة من قلبه لكنه لا يشك أبدا في ولاء أحمد له .. لو كان يعرف لما رضي أبدا..

استقام بصعوبة بعد أن لاحظ تحديق المارين فيه .. فتحرك نحو بيته بخطوات ثقيلة مهزومة تشعر بالانكسار وجرح الكرامة ..

وهو يفكر كيف سيكون رد فعله ...

هل سيواجهها؟

Des. Maryam Tamim

***

صدح صوت فيروز :

"سلملي عليه .. وقلّو إني بسلم عليه
بوسلي عينيه .. وقلّو إني ببوس عينيه
إنتا ياللي بتفهم عليه .. سلملي عليه .. سلم
قلّو عيونو مش فجأة بينتسو
وضحكات عيونه ..ثابتين ما بينقصوا "

تحركت الدموع تسقط من زاوية عينيها في صمت وهي تحدق في سقف الغرفة مستلقية على سريرها في حالة كسل .
بعد قليل مسحت دموعها وقامت من على السرير ودخلت الحمام الصغير الملحق بالغرفة .. ثم خرجت وهي تجفف وجهها .. ووقفت أمام المرآة تمشط شعرها العسلي الذي يصل لمنتصف ظهرها..

Des. Maryam Tamim

ارتدت لباسا محتشما من بلوزة طويلة حتى الركبة وبنطال بيتي مريح وحجاب .
وخرجت لتنزل من سلم داخلي نحو بهو فيلا فخمة .. فقابلت في طريقها الخادمة الافريقية فحيتها وسألتها بالإنجليزية عن أصحاب البيت فأشارت للأسفل ..
مرت على غرفة من الغرف في الدور الأرضي من الفيلا ثم تسحبت على رؤوس أصابعها تحاول أن تعبر من أمام الباب دون أن يراها أحد.. لكن أتاها صوت أنثوي يقول " أراك .. فلا تتسحبين"
عضت على شفتها ودخلت الغرفة في حرج..

كانت بها امرأة خمسينية قصيرة ترتدي زيا رياضيا وتمارس بعضا من الرياضة .. فبادرت بانة بابتسامة " صباح الخير خالتي سوسو"
ردت المرأة بلهجة بانة الأصلية وهي تنهت "صباح الخير يا بانة .. لماذا تهربين من تمارين الصباح "

Des. Maryam Tamim

قالت بانة بنفس لهجتهم" اشعر بتوعك اليوم "
رفعت المرأة حاجبيها وقالت " بل أنت تتهربين ..
والرياضة مفيدة للصحة والقوام .. لاحظي انك
اكتسبت بعض الوزن مؤخرا "
مسدت بانة على وركيها اللذان امتلآ برشاقة وقالت
بحرج " هل قوامي ساء لهذه الدرجة "
ردت المرأة بإعجاب واضح " لا أنكر أن قوامك
أصبح فاتنا.. ما شاء الله .. وأنثويا وملفتا .. لكني
أوصيك بالرياضة .. فنحن النساء نعاني من
التغيرات الجسدية باستمرار "
أومأت بانة برأسها وقالت مراوغة "اعدك إن شاء
الله ".
ثم تحركت بسرعة من الغرفة نحو غرفة الطعام
الكبيرة على الطراز الأنيق .. فوجدت شابين
ضخمين كالمصارعين متطابقي الشكل تماما أحدهما
يركز في الطعام الذي أمامه يلتهمه بشراهة بينما
وقف الآخر لاستقبالها بترقب .

Des. Maryam Tamim

ابتسمت لهما وهي تقول بإشراق " صباح الخير أيها التوأمان "

رد كامل بهدوء وعيناه تمسحان على وجهها الصبوح " صباح الخير يا بانة ".. بينما هتف شامل وفمه الكبير مليء بالطعام دون أن ينظر لها " صباح الخير يا أختاه "

سألت بانة " أين عمي غنيم ؟"

فأشار لها كامل للشرفة فتوجهت لتلقي تحية الصباح على رجل عجوز يجلس في الشرفة يقرأ الجريدة .

أشرق وجه غنيم عندما دخلت عليه ليقول " يا صباح العسل والسكر .. أقسم بالله منذ أن انتقلت للعيش معنا وأنا أترقب هذه الاطلالة الصبوحة كل يوم بعد أن كنت أبتلى بوجهيّ زوج الثيران أبنائي"

ضحكت بانة بخجل فسألها "هل تحتاجين شيئا يا بنتي إياك أن تخجلي مني "

ابتسمت بانة بحرج وقالت " أشكرك يا عماه"

Des. Maryam Tamim

قال الرجل في محبة " راتبك وضعته لك في غرفتك ليلة أمس "
غمغمت بالشكر مرة أخرى ثم قالت "هيا إلى الطعام " .

على منضدة الطعام جلست بانة على المائدة فسألتها الخادمة الأفريقية بأدب إن كانت تريد شيء آخر فشكرتها ... وهي تسمع الخالة سوسو تقول " أنا سأكتفي ببعض من الخضروات الطازجة وقهوة بدون سكر ".
ثم توجهت المرأة إلى ولديها على الجهة المقابلة للمنضدة تصيح في جزع " ارحما نفسيكما من هذا الكم من الطعام المليء بالكوليسترول .. كل هذا سيتراكم في جسديكما وستعانون حين تتقدمون في العمر "
كان التوأمان الضخمان يأكلان بشراهة وكميات الطعام أمامهما كبيرة بينما العم غنيم يرمقهما في

Des. Maryam Tamim

غيظ فرد شامل بفم ملئ بالطعام " نحن نحب الكوليسترول يا أماه فلا تقلقي علينا "
ثم أضاف وهو يربت على صدره " نحن نهضم الكوليسترول ومن يتشدد له "
فجأة شعر بالاختناق من الطعام وجحظت عيناه .. فضربه توأمه كامل بقوة على ظهره ليسعل بشدة
ثم نظر لأخيه بغيظ هاتفا "سأموت من قبضتك "
لم تستطع بانة مقاومة الضحك فرفع إليها كامل عينين ضاحكتين حنونتين .

تأملت بانة هذه الأسرة الطيبة وشردت مع ذكرياتها لما يقرب من عام مضى .. وبالتحديد في فجر ذلك اليوم الذي خرجت فيه باكية من بيت سماحة تغادرهم للأبد .

يومها وبعد أن أصبحت على الطريق لم تدر إلى أين عليها الذهاب .. فطلبت من السائق أن يوصلها

Des. Maryam Tamim

لأحد المساجد الكبيرة بالعاصمة . . وهناك انتهزت الأجواء الرمضانية لتبقى بالمسجد مع المعتكفات ..

فعاشت في رحلة روحانية مع الخالق .. أودعت ربها كل ما يعتلج في صدرها وتعانيه من آلام ..وتركت مصيرها في يد الخالق .
في العشر الأواخر من رمضان تعرفت على السيدة سوسو التي كانت تأتي عادة لصلاة التراويح ..في البداية لفت نظرها هيئة السيدة الارستقراطية .. وتأففها الدائم من الحر ومن ضعف أجهزة التكييف بالمسجد .. ثم سمعتها تتحدث بلهجة بلدها .. فانشرح صدر بانة لذلك وقد اشتاقت للحديث بلهجتها فسعت للتعرف عليها .. وأصبحتا رفيقتين في الصلاة خلال العشر الأواخر من رمضان .. تحجز لها بانة موقعا استراتيجيا تحت المكيف الكبير بالمسجد .. فهذه الاماكن الاستراتيجية في

Des. Maryam Tamim

المساجد لابد أن تحجز قبلها بساعات ... في أوقات الزحام ..
وكانت تخرج لتحوم حول المستشفى تتلمس أي أخبار عن أحمد .. تخشى الاقتراب وتخشى أن يلمحها أحد ممن تهرب منهم .
بعدها استطاعت التعرف على ممرضة بالمستشفى واختلقت لها حكاية درامية فأشفقت عليها المرأة وبدأت تتلقى اتصالاتها تطمئنها على أحمد .

وحين أتى العيد – الذي لم يكن عيدا لأحد منهم – شاهدته وهو على كرسي متحرك يساعده صديقاه على الركوب في السيارة .. فتمزق قلبها على رؤيته بهذه الحالة .. فرحلت سريعا ولم تستطع تحمل مشاهدته.
يومها عادت مرة أخرى للمسجد بحقيبتها الكبيرة التي تحملها في رحلتها ذهابا وعودة من وإلى المستشفى ..

Des. Maryam Tamim



لم تعلم أين ستذهب وقد انفض الشهر الكريم وسيمنع المبيت في المساجد ..
تأملت الشوارع حولها ومظاهر العيد .. واشتاقت للعيد في بلدها واشتاقت لأهلها ..
واشتاقت لبيت سماحة .. وودت لو تتلقى تهنئة العيد من وجه السيدة إلهام ..

تساءلت ساعتها لمَ باتت تتمزق بشعورين مؤخرا ؟..
شعور بالافتقاد لوطنها .. وشعور بالافتقاد لبيت سماحة ولكل فرد فيه .. حتى لآية المستفزة .

حين وصلت للمسجد .. النقطة الوحيدة التي كانت ترتكز فيها ساعتها.. وقفت تفكر أين تذهب ..
حاولت استحضار كل الشجاعة التي استحضرتها يوم قررت قص شعرها والخروج من بيت الفتيات قبل أربع أعوام ..

[1363]





استجمعت شجاعتها وطلبت المدد والعون من الله وحاولت وضع خطة إنقاذ .
لاحظت السيدة سوسو توزع طعاما على المساكين حول المسجد فابتسمت لأمر هذه المرأة المتأففة دائما التي تحمل متناقضات عدة .. لكنها اعترفت بأنها طيبة القلب .
حين لاحظتها السيدة سوسو هتفت بفرح تقترب منها بهيئتها الارستقراطية وملابسها الفخمة تهنئها بالعيد فابتسمت لها بانة بفرح ..
دعتها السيدة سوسو أن تقضي العيد معهم لكن بانة اعتذرت بأدب .. في الوقت الذي خرج من السيارة الفارهة التي كانت تقف بجوارها السيدة سوسو رجل فوق الستين فخلع نظارة الشمس ليحدق في بانة بذهول ..
عرفتهم السيدة سوسو " هذه بانة يا غنيم .. تعرفت عليها في المسجد وكانت تساعدني بحجز مكان .... "



قطعت المرأة كلامها وهي تحدق في زوجها وفي بانة التي اتسعت عيناها تحدق في الرجل أيضا ..
هتف الرجل غير مصدق " بانة ... بانة ابنة الاستاذ عبد الله الخازن !!!! "
ترقرقت عينا بانة بالدموع وهي تتمتم " عمي غنيم "
وقفت السيدة سوسو مذهولة تراقبها فأسرع العم غنيم يقول لزوجته " إنها ابنة الأستاذ عبد الله الخازن صديقي .. "
لم تستطع بانة أن تستوعب ما حدث بعد ذلك فبمجرد أن علم العم غنيم أنها بمفردها في هذا البلد أقسم يمينا ألا يتركها .. والحقيقة أنها لم تكن في وضع يسمح لها بالاختيار .. أو التعفف .. فبدلا من أن تجوب الشوارع تختبر حظها فلتبقى مؤقتا لدى أناس تعرفهم .. من بلدها ..

Des. Maryam Tamim



علمت بعدها أن العم غنيم قد انتقل للعيش في هذه البلد منذ أن بدأت الحرب .. ناقلا كل أمواله واستثماراته .. وأنه استطاع بسهولة التأقلم هنا دون مشاكل تذكر فالشعب ودود والحكومة ترحب بكل الاستثمارات .. فاختار فيلا لا تقل فخامة عن بيته الفخم في الوطن .. اختارها في إحدى المدن الجديدة على أطراف العاصمة والتي يتجمع فيها نسبة لا بأس بها من أشقائها من الوطن .. فكونوا مجتمعا صغيرا لهم في هذه المدينة الجديدة .

لا تنكر أنها لم تعاني بعدها .. فالسيدة سوسو امرأة طيبة فرحت بوجودها جدا تعوض افتقادها للابنة .. فلم ترزق سوى بالتوأم الضخم شامل وكامل .. والتي تعذبت في إنجابهما كما تقص دائما .. فقررت ألا تعيد هذه التجربة المريرة بالإنجاب مرة أخري .. مولية كل اهتماما للرياضة والرشاقة والموضة وغيرها من الأمور النسائية.. تعوض كما تدعي .. فترة حملها وتربيتها للتوأمين المعذبين.



قاطع شرودها العم غنيم يسألها " هل انتهيت من رصد الحساب الختامي للمطعم ؟"
أومأت بانة برأسها في هدوء وقالت " الأمور تحت السيطرة يا عماه "
رمق العم غنيم ولديه في غيظ وقال " شكرا يا بنيتي .. الحمد لله الذي رزقنا بشخص في عائلتنا يستطيع التحكم في الحسابات "
ثم ضرب على منضدته يقول في حزم " هيا سنتأخر في فتح المطعم "
قالت بانة بحماس " أنا جاهزة يا عماه "
اعترضت السيدة سوسو " ما هذا هل ستتركينني أذهب لصالون التجميل وحدي ! .. وماذا عن جلسة أقنعة الوجه .. وجهك سيلتهب من الشمس مجددا لابد أن تهتمي به "
ابتسمت بانة وقالت " لا تقلقي يا خالتي .. أنا أضع المراهم وأهتم به .. واعذريني اليوم من الذهاب لدينا حجز كبير بالمطعم ولابد أن أقف على آلة

Des. Maryam Tamim

الدفع لأساعد في محاسبة الزبائن حتى نجد كاشير ونادل جيدين للمطعم .. لذا المهام ستوزع علينا.. حتى أن شامل وكامل يتركان المطبخ بالتناوب لخدمة الزبائن "

تأففت السيدة سوسو في إحباط فقامت بانة لتسترضيها وتقبل وجنتها بينما صاح العم غنيم في زوجته بغيظ " اتركي الفتاة في حالها يا سوسو .. إنها لا تحتاج لأقنعة وجه وكل هذه الاختراعات التي تشغلك .. أنظري إليها تبارك الخلاق فيما أبدع وصور "

احمر وجه بانة ولم يغفل عليها نظرات كامل إليها فأسرعت لغرفتها وهي تتمتم " سأذهب لأبدل ملابسي "

***

لم يستطع عمرو الصمود أكثر .. يشعر أنه مطعون في كبريائه الذكوري .. ومجروح الكرامة فقرر أن يواجهها ..

Des. Maryam Tamim

اتصل برقم أروى الأساسي .. فلم ترد .. فألح في الاتصال .. فحبست أنفاسها وهي تقول بتردد "حسنا ربما اتصالا واحدا فقط (ثم أجلت صوتها وردت) ألم نقل أنها ستكون مرة واحدة يا عمرو "
ابتسم في مرارة ورد ساخرا " أنا قلت أنت ستتصلين بي مرة واحدة لكني لم أحدد عدد الاتصالات التي ستكون من جانبي ميمين "
تنهدت وقالت بألم " لو اضمن أنك لن تتألم لتحدثت معك للأبد "
هدر فجأة بصوت أرعبها " وهل ما فعلتيه معي لا يؤلم يا أروى !!!!!! .. لماذا فعلتِ ذلك؟؟؟؟؟ .. لماذا يا أروى؟؟؟؟ "
جحظت عينا أروى في هلع وابعدت الهاتف تتطلع لشاشته تحاول أن تستكشف أي رقم يحدثها عليه ثم عادت لتقول " عمرو ! "
رد في ألم واضح " نعم يا أروى .. نعم يا بنت سماحة .. أحدثك على هاتفك القديم .. وليس

Des. Maryam Tamim

الخط الجديد المزيف الذي استخدمته للتسلي بإهانتي "

شعرت أن قلبها سيتوقف وودت لو تنشق الأرض فتبتلعها فلا يكن لها وجودا .

قالت بصوت ضعيف " عمرو سأوضح لك "

هتف بجنون " ماذا ستوضحين ؟.. ها أخبريني .. كيف استمتعت بالتمثيل عليّ كل هذه الفترة ؟! .. كيف تلذذت وأنت تطعنيني في كرامتي ؟؟؟ .. أخبريني كيف بدوت أمامك؟ .. هل كنتُ مسليا؟ .. هل كنتِ تضحكين بعد كل محادثة بيننا وتصفينني بالمغفل ؟ .. صفي لي كيف كنت أبلها وأنا أستجدي وصالك..

حدثيني عن شعورك وأنت تحيكين الكذبة تلو الأخرى عنك .. وأنا .. الأبله الساذج... أصدقك"

غمغمت في بكاء " لم يكن الأمر كذلك صدقني "

هدر فيها بهياج " إياك أن تبكي .. إياك أن تحاولي السيطرة عليّ ببكائك "

Des. Maryam Tamim

علا نشيجها وقالت " أعطني فرصة لأوضح "
قال بغضب مستعر " لا أعتقد أن هناك مبرر واحد يشفع لك ما فعلتيه يا أروى .. لكني سأنتقم منك أشد انتقام .. سأثبت لك أنك أخطأت في اللعب معي .. سأوضح لك جيدا من هو عمرو القاضي الذي تخيلت أنه تافه وساذج ويصلح لأن تتسلي به .. تأكدي أني سأعرفك بعمرو الحقيقي حين يغضب ."

اغلق الهاتف فجأة فدفنت وجهها بين كفيها تبكي بحرقة ..
الألم يعتصر قلبها ..
لم تتخيل يوما أن تكون سببا في إيلامه ..
إهانته لها كانت موجعة أيضا ..
أي فعلة سوداء فعلتها .. أي شقاء سببته لنفسها ..
لو لم تضعف .. لو لم ترضخ لشوقها إليه لما تألم بسببها هكذا ..

Des. Maryam Tamim

لقد جرحت كبريائه بغبائها بضعفها في حاجتها إليه
..
لعنت نفسها وقلبها ..
وودت لو لم تعش بعد الحادث الذي أذلها هكذا ..
ليتها كانت ماتت ..
ليتها كانت ماتت وأراحت الجميع منها وارتاحت.
***

جلست بانة أمام الكاشير بالمطعم الأنيق الذي يحتل جزء من مساحة أرض الفيلا التي يملكها العم غنيم ... لقد استلمت أمر الحسابات في المطعم منذ وجودها معهم .. وتتلقى راتبا يساعدها لأن تعيل نفسها .. ووجودها برفقة هذه الاسرة الطيبة يجعلها ممتنة لكرم الله سبحانه وتعالى ..
لا يفسد عليها حياتها سوى موضوعان ..
الأول كامل .. ونظراته لها التي تفهمها جيدا ...إنه يريدها للزواج .. وأمه لمحت لها أكثر من مرة ..

Des. Maryam Tamim

لكنها لا تريد .. لا تريد الزواج ولا تتخيل نفسها مع كامل زوج وزوجة .. الأمر يشعرها بالنفور وبعدم الراحة ..

أما الأمر الآخر فهو الشوق الذي يضنيها .. يمزقها ويعذبها .. شوقها لآل سماحة .. شوقها لحي سماحة كله ..

وشوقها المعذب لأحمد ..

كم تشتاق إليه ..

كم تبكي كلما اختلت بنفسها بسبب شوقها إليه .. إلى صوته .. إلى وجهه .. إلى ضحكته الصبيانية .. إلى استفزازه..

حتى عبوسه وعصبيته تشتاق إليها ..

تمنع نفسها كثيرا من أن تذهب لرؤيته .. تخشى أن تضعف حين تراه .. أن تتشبث به كطفلة صغيرة .. أن تتوسل لأن تختبئ في حضنه ..

برغم أنها تعيش في حياة لا بأس بها مع أناس طيبون من بلدها يشعرونها بالمؤانسة ..

Des. Maryam Tamim



تستنشق فيهم رائحة الوطن..
ولهجة الوطن ..
وذكريات الوطن..
وعادات وتقاليد الوطن ..
لكنها لم تستطع أبدا أن تمحي أحمد من داخلها ..
أن تأمر قلبها ألا يتألم اشتياقا له ..

ترى هل تخطاها ؟..
هل تزوج خلال العام الذي مضى على فراقهما؟..
هل حقق أمنية والدته وتزوج ؟..

تخشى أن تتصل بأروى مجددا فتؤلم السيدة إلهام
.. تذكرها بأنها سبب وجيعتها في ابنها ..
وتخشى أيضا أن تضعف مقاومتها وتذهب إليهم..

حتى وائل تتحرج أن تتصل به .. بالرغم من قلقها
عليه .. تكتفي فقط أن تتعرف على أخباره من

الممرضة صديقتها .. وترسل له من حين لآخر باقات الورود التي يحبها .
قطع شرودها شاب يقف في ارتباك يبحث عن مكان الباب في واجهة المطعم الزجاجية .. يدور منذ دقائق حول المطعم تراه من خلف الزجاج .. يحاول البحث عن مكان الدخول .. وحاول في أكثر من موضع دفع الزجاج لكنه كان دائما يختار المكان الخطأ .

ابتسمت وتحركت نحو الباب الذي فتح إلكترونيا بمجرد أن استشعر اقتراب شخص منه .
ثبت الشاب نظارته الطبية وهو ينظر للباب بغيظ .. فاستقبلته بانة بابتسامة تقول " عبد الكريم !"
جحظت عينا الشاب فأكملت بانة بمشاكسة " عبد الكريم عبد البر !"
سألها الشاب في ارتباك " هل .. هل تعرفينني يا آنسة ؟!"

Des. Maryam Tamim

اكملت بانة وهي تسند يدها على خصرها " عبد الكريم عبد البر الحسيني .... "
وفرقعت اصبعيها تحاول تذكر الاسم الرابع فهتف بعفوية " شحاتة .. عبد الكريم عبد البر الحسيني شحاتة "
ضحكت وقالت" أجل .. شحاتة "
عدل من نظارته الطبية يسألها " هل نعرف بعض من قبل يا آنسة ؟"
استمرت في مشاكسته " لماذا لم نعد نراك يا رجل !"
جحظت عيناه في غباء وسألها ببراءة " هل كنا على موعد ؟! .. وكيف تعرفين اسمي؟ "
مطت شفتيها بتسلي وقالت بهمس " أنا أخاوي الجن "
شهق عبد الكريم وارتد للخلف خطوتين في رعب .. ثم تنحنح وهو يعدل نظارته مرة أخرى ويقول " لا يوجد مثل هذه الأشياء "

Des. Maryam Tamim

فسألته بانة فجأة " هل مازالت والدتك تعلق صورتك مع المحافظ ؟"

شهق عبد الكريم ..

استمتعت قليلا بمنظره المذهول ثم سألته بجدية "ما الذي أتى بك إلى هنا هل تريد أن تأكل؟ "

تنحنح وقال في حرج " جئت من أجل الإعلان هذا الذي تطلبون فيه نادلا "

رفعت حاجبها الجميل تسأل " هل تركت الجامعة؟"

رد بسرعة " بالطبع لا .. لكن كلية الطب تحتاج لمصاريف كثيرة ... كيف علمت أني أدرس؟!!!"

اشفقت عليه بانة فقالت " تعال معي سأتوسط لك عند صاحب المطعم للعمل "

تهلل وجه عبد الكريم وتبعها إلى داخل المطعم ووقف يشاهدها من بعيد تتحدث مع العم غنيم الذي يجلس في زاوية المطعم يدخن الشيشة .

Des. Maryam Tamim

مالت بانة تقول للعم غنيم " جربه يا عمي يبدو بحاجة للعمل إنه طالب بكلية الطب ويحتاج لدوام جزئي ليدبر مصاريف الدراسة "

تأمل العم غنيم عبد الكريم من بعيد ثم قال " يبدو مرتبكا "

ردت بانة تحاول إقناعه " جربه لن تخسر شيئا "

سألها العم غنيم وقد ضيق عينيه " هل تعرفينه ؟"

تمتمت في ارتباك " معرفة سطحية قديمة"

قال العم غنيم بحنان " وأنا لن أرد لك طلبا يا حلوة عمك "

صفقت بانة بيديها بسعادة وهي تشكره ثم ذهبت لعبد الكريم ترفع له إبهامها .

حدق فيها غير مصدق " بهذه السرعة .. دون أن يسأل عني ؟"

ردت بانة بابتسامة جميلة " قلت لك لدي قدرات خاصة لم تصدق "

Des. Maryam Tamim

تسمر عبد الكريم يحدق فيها ثم قال وهو يضيق عينيه " لماذا أشعر أني قابلتك من قبل لكني غير قادر على التذكر .. خاصة عيناك وأسنانك "

ضربت بانة على صدرها بطريقة مسرحية وهتفت " هل تغازلني يا عبد الكريم !"

ارتبك عبد الكريم وتعرق وهو يثبت نظارته ويقول بتأتأة " أبدا والله أبدا .. كنت أقصد التركيب التشريحي "

فابتسمت وقالت " هيا اذهب وتعال في المساء ستبدأ معنا من مساء هذا اليوم "

تمتم عبد الكريم بكلمات الشكر وتحرك يخرج عبر الباب الالكتروني فنادته بانة تسأل " كيف حال الست نرجس يا عبد الكريم؟ "

جحظت عينا عبد الكريم وقال " وتعرفين الست نرجس أيضا !!!!!"

تكتفت بانة في ثقة فرد عليها وهو يتنحنح قليلا "الله يهديها ويرزقها في الحلال "

Des. Maryam Tamim

مطت بانة شفتيها بامتعاض وغمغمت " اممم فهمت ... أنصحك أن تنتقل في أقرب فرصة وتبحث عن سكن جديد .. صدقني هذه العتبة نحس .. "

تسمر عبد الكريم يحدق فيها فعادت لداخل المطعم بعد أن منحته ابتسامة جميلة جعلته يتعرق وهو يردد لنفسه " أين قابلتها .. أين يا عبد الكريم "

***

قال أحمد لعمرو عبر الهاتف وهو يصعد سلم منزله نحو شقة عائلته " لم أفهم هل أعطاك صديق سيد معلومات عن الخط "

راوغ عمرو يقول " أعطاني اسم فتاة لكنه لم يستطع الاستدلال على أكثر من اسمها .. لا عنوان ولا أي بيانات "

تعجب أحمد يقول " غريبة .. كيف وقعت عقدا مع الشركة لشراء الخط بدون بيانات .. ربما صديق

Des. Maryam Tamim

سيد متحرج منه ولا يريد سوى البوح بجزء من البيانات "

رد عمرو بعصبية " لا أدري .. المهم أني قررت أن أترك هذا الأمر نهائيا وأن ألتفت لحياتي "

أطلق أحمد ضحكة قصيرة ساخرة يقول " سمعت هذا الكلام لأكثر من سنة يا بني فعدني بشيء تستطيع تنفيذه "

رد عمرو بعصبية "هذه المرة مختلفة أعدك أني سأتجاوز الأمر "

وقف أحمد عند باب الشقة يقول " ما بك يا عمرو تبدو في حال غريب ؟"

هدر عمرو به " ما بي ؟ .. ليس بي شيء .. أتركوني في حالي "

وأغلق الخط بعنف فنظر أحمد للهاتف بتعجب ثم تنهد في كآبة وأدخل المفتاح يفتح الباب .

Des. Maryam Tamim

استقبلته أروى بارتباك تحاول قراءة وجهه بعد يومين من مكالمة عمرو الغاضبة سألته بقلق "كيف الحال؟؟ "

رد عليها بوجوم " لا جديد "

لم تستطع إلا أن تخص عمرو بالسؤال فقالت "وعمرو كيف حاله ؟"

رد ببساطة " أسوأ من ذي قبل .. كنا قد استبشرنا خيرا أن حاله سيعتدل لكنه انقلب فجأة ولا ندري السبب .. لماذا تسألين عنه بالتحديد ؟"

ردت بارتباك " لأطمئن إذا ما تجاوز وفاة أبيه أم لا "

تمتم أحمد في كآبة " هو الآخر يحمل هما ثقيلا أتمنى أن يجتازه .. سأنزل لشقتي .. أخبري أمي أني لا أريد الطعام .. لا أريد شيئا سوى أن أختلي بنفسي .. سلام "

Des. Maryam Tamim

خرج أحمد بينما ذهبت أروى لغرفتها تبكي .. لا تدري ماذا تفعل ..
هل تعترف لأحمد ؟؟..
لكنها أشفقت عليه من الصدمة فيكفيه ما يعانيه .. تخشى أن تكون قد فرقت بين الصديقين ..
يا الله !.. كيف تكفر عن ذنبها ..

رن هاتفها فوجدت اسم عمرو .. قررت ألا ترد فالألم والحرج يسيطران عليها .. فجاءها تنبيه برسالة على الهاتف .. ففتحتها لتجد رسالة من عمرو " حين أطلبك تردين فورا يا أروى "

رن الهاتف مرة أخرى فسحبت نفسا عميقا وأطلقته ببطء تهدئ من انفعالاتها وردت " نعم عمرو "

Des. Maryam Tamim

هدر فيها بفحيح مرعب " حين أتصل بك تردي عليّ فورا .. وإلا لا أعرف ماذا يمكن أن يفعله جنوني "
قالت والألم يعتصرها " حاضر يا عمرو .. سأتركك لتنفس في وجهي كل غضبك وانفعالك لأكفر عن ذنبي تجاهك "
أطلق ضحكة ساخرة وقال " لا تدعي المثالية يا أروى .. فصدمتي فيك أنت بالذات فاقت الحد والوصف"

الألم يفوق الاحتمال ..
لكنها ستتحمل من أجله .. من أجل كرامته التي جرحتها .

سمعته يقول بسخرية مقلدا صوتها " لا شعري ليس أسود .. لابد أنك تخرف في أحلامك .. يا كاذبة "

Des. Maryam Tamim

قالها وأغلق الخط ..

نظرت للهاتف ثم انفجرت في البكاء .. صحيح
كانت تتمنى أن تسمع صوته يوميا .. لكن ألمه
يدميها وكلامه يؤلم قلبها .. يعذبها ..
انهارت تبكي دون أن تجد أحد يشاركها ما تعيشه
من أيام صعبة .
***

تقدم كامل نحو بانة يقول " أنت لم تأكلي طيلة
اليوم "
ردت وهي ترتب النقود في صندوق الكاشير
الإلكتروني " حين يخف الزحام قليلا "
قال لها بلهجة حانية " سآخذ مكانك واذهبي إلى
المطبخ أعددت لك طبقا ستأكلين أصابعك بعده "

Des. Maryam Tamim

نظرت له بقلق أن تترك له مكانها فضحك وقال "سأحسب النقود جيدا لا تقلقي سأركز هذه المرة "

ابتسمت له وتحركت تهرب من نظراته ... فقد باتت تشعر بالتوتر كلما اقترب منها كامل .. ليس لأنه يضايقها .. إطلاقا فهو مهذب وجاد .. لكن لأنها باتت تتوقع منه مصارحتها بمشاعره وهي تخشى تلك اللحظة التي سترفضه فيها .. كيف سترفض طلبه وتظل تعيش معهم في نفس البيت.

دخلت المطبخ ليستقبلها شامل ببشاشته وشخصيته الطفولية .
لا تعرف لماذا ارتبط معها الطعام دائما بالخالة إلهام .. هكذا كلما فكرت في الطعام تذكرتها .



ابتسمت لنفسها في حزن وقررت الخروج
لاستنشاق بعضا من الهواء بعد الانتهاء من الأكل
عل الهواء البارد يخفف من لوعة قلبها .

بعد قليل وقفت أمام المطعم تستنشق الهواء وهي
تضع سماعات الهاتف في أذنيها تستمع لفيروز ..
فوجدت نفسها تفكر في أحمد .. وتذكرت حينما
أخبرها أنه أصبح يحب فيروز أكثر بسببها ..
وهي أيضا أصبحت تحب فيروز أكثر منذ أن اغتربت
عن الوطن .. ومنذ أن عرفت أحمد ..
صدح صوت فيروز يزيد عذابها :

بقيت القصة تحت الشتي
بأول شتي حبوا بعضن
وخلصت القصة بتاني شتي
تحت الشتي تركو بعض
حبو بعضن .. تركو بعض

[1387]

انتبهت فجأة لأنها تخيلت وجه شخص تعرفه ..
شخص تعرفه وتمقته ..
وجه حموءة !..

وخيل إليها أنه كان ينظر إليها بل ويحدق فيها ..

كان يقف في الظلام يتحدث مع شخص من المحل المجاور للمطعم ..فارتج قلبها في خوف .. وخافت حتى أن تعيد النظر باتجاهه لتتأكد مما رأت..
فجرت إلى داخل المطعم في توتر ليستقبلها كامل الذي يراقبها طيلة الوقت والذي استشعر اضطرابها .

سألها كامل بقلق " ما بك يا بانة؟؟؟؟ "
تمتمت بسرعة "لا شيء .. لا شيء "
استقبلها عبد الكريم هو الآخر بنفس القلق لكنها تجاوزته إلى الحمام .

Des. Maryam Tamim

ظلت قابعة في الحمام فترة تحاول تنظيم نفسها .. بينما وقف كامل ينتظرها أن تخرج بعد أن مشط المكان أمام المطعم لم يجد شيئا مريبا .. ثم لمح عبد الكريم يقف ساهما هو الأخر قلقا على بانة فهدر به " عد لعملك " ليتحرك عبد الكريم في ارتباك .

بعد قليل خرجت بانة بعد أن استعادت رباطة جأشها لتقف على الكاشير مرة أخرى .. توزع ابتسامات حلوة على رواد المطعم .. وإن كانت ابتسامات مصطنعة قلقة تراقب باب المطعم كل دقيقة .

***

Des. Maryam Tamim

بعد اسبوعين :

فتحت إلهام الباب لتجد عمرو واقفا أمامها فرحبت به وهي تقول " أحمد ليس هنا يا ولدي "
يقبل رأسها ومال تنحنح عمرو وقد احمرت أذنيه ثم قال " أعرف أنه بالورشة .. أنا جئت من أجل أروى .. أقصد من أجل حاسوب أروى أحمد أخبرني " أنه به عطل
رحبت به إلهام ليجلس في الصالة الكبيرة وسألته " كيف حال عفاف ؟"
ابتسم لها عمرو بمحبة يقول " بخير الحمد لله .. تحاول تجاوز محنة موت أبي "
قالت إلهام بشفقة " قلبي عندها ..لقد كانت متعلقة به فقد كان لها كل شيء (وتأملته قليلا ثم قالت) وأنت يا عمرو ... ألن تتجاوز هذه المحنة أيضا يا حبيبي .. أنظر لنفسك وللحيتك التي

Des. Maryam Tamim

استطالت .. هل تعتقد أن الشيخ كان يريد ألا تمارس حياتك وتسعد يا بني؟"..
ابتسم في مرارة وهو يومئ برأسه .
دخلت إلهام على أروى تقول " عمرو بالخارج .. يريدك "
هتفت أروى وقد تفاجأت من جرأته " ها ! .. عمرو ! .. ماذا .. ماذا يريد ؟!"
تعجبت إلهام من رد فعلها وقالت " جاء يصلح عطل حاسوبك "
رددت أروى بغيظ " حاسوبي ! (ثم استجمعت رباطة جأشها تقول) لو تسمحي يا أمي أن تعطيه الحاسوب فأنا مرهقة وليس لي مزاجا لمقابلة أحد "

استنكرت إلهام تقول " لا يصح يا بنتي "
فترجتها أروى.. لتأخذ إلهام الحاسوب وتعطيه لعمرو الذي طحن ضروسه غيظا ثم توجهت بعدها لتعد له شيئا يشربه ..

Des. Maryam Tamim

صاح عمرو بصوت عال " أريد كلمة السر يا أروى "
عضت أروى على شفتها السفلى في ارتباك ثم
صاحت من داخل الغرفة " لا أذكرها "
رفع حاجبا مستنكرا ثم رد ببرود " حقا .. إذن
سآخذه للبيت معي "
تحركت أروى بسرعة تلبس اسدالها عليها ثم
ضغطت على زر حركة كرسيها لتخرج من الغرفة في
خوف على حاسوبها ..
خرجت تخفي ارتباكها وارتعاشها خلف الحنق
لتقول " ليس من حقك أخذ حاسوبي " .

ارتج قلبها لهيئته ..
على الرغم من لحيته الطويلة وهيئته الغير مرتبة
على عكس عاداته تماما.. لكنه كان مهلكا .. حتى
بنظرة الحزن في عينيه وعلامات الألم البادية على
محياه ..

Des. Maryam Tamim



ودت لو تقبل رأسه ولحيته عله يسامحها فيخف عنه ذلك الألم .

رد عمرو ببرود " إذن لم تتركي لي مجالا .. سأدخل بطرقي الخاصة على الجهاز "
ردت بحنق " هل ستتجسس عليّ .. أليس هذا حراما ! "

تأملها قليلا .. ثم ابتسم ابتسامة باردة لكنها كانت فاتنة وقال " أنت محقة ولهذا سأقوم بـ Format للجهاز وسأمحو كل ما عليه "
تأملت عينيه اللتين تلمعان بالجنون وقالت " لماذا أتيت يا عمرو ؟؟ "
رد عمرو بسخرية وهو يترك الجهاز على المنضدة " جئت لأسليك .. أردت أن تشاهدي الأراجوز يا ميمين (ثم أخفض صوته وقال بلمعة جنون في عينيه متصنعا المرح) بدلا من أن أسليك عبر

Des. Maryam Tamim

الرسائل .. أو عبر التليفون . .جئت لأسليك بنفسي
يا ميمين أقصد يا أروى (ثم وقف ودار حول نفسه
يستعرض نفسه أمامها وقال بسخرية مُرة) ها ! ..
ما رأيك في الأرجوز "

لم تستطع التحمل لم تستطع .. فأدارت الكرسي
وقد خيل إليه أنها تبكي ..
دخلت غرفتها تبكي من الألم ..
من العذاب الذي بعينيه ..
ماذا فعلت يا أروى ؟..
ماذا فعلت بمالك القلب ! .

سمعته يودع أمها بهدوء وصوت باب الشقة يغلق
خلفه فانهارت في البكاء .

Des. Maryam Tamim

نزل عمرو من عندها غاضبا ثم توقف عند البوابة .. وأسند ظهره على الحائط يسحب أنفاسا طويلة ليهدئ بها ارتباكه وارتجافه .

لا يعرف لمَ أقدم على هذه الخطوة ؟.. لما أصر أن يراها؟ .

هذه المرة نظر إليها نظرة جريئة متفحصة .. نظرة ذكورية فضولية ..

والحقيقة أنه لم يفاجأ بشيء جديد بشأنها .. إنها أروى..

بكل بهائها وسحرها الطاغي ..

بالهالة الملكية الهائلة التي تحيط بها ..

بتفاصيلها الأكثر رقة وأنوثة على الإطلاق ...

بكامل كينونتها كـ ...

كـ أروى !

فشعر بكرامته تئن .. وجرح قلبه يذبحه ..

هل تهزأ منه ؟..

لمَ فعلت ذلك ..

Des. Maryam Tamim



لماذا ؟؟؟...

فتح هاتفه وأرسل لها رسالة.. ثم خرج من البوابة يداري كرامته المجروحة خلف هيئة من البرود والجمود .

فتحت أروى هاتفها لتقرأ رسالته لتجده قد كتب "
كان صرحا من خيال .. فهوى ! "
فتأوهت بتنهيدة حارة من صدرها وهي تغمغم " يا الله ! .. إنه يتلذذ بتعذيبي .. يا رب الطف بي "

***

تحرك سيد نحو سيارته في ذلك الوقت من النهار خارجا من المقهى .. فتنبه لشخص يناديه .. التفت ليجد حموءة يقف متخفيا في ركن من زاوية الشارع ..

رفع سيد حاجبيه باندهاش وهتف ساخرا " حموءة أين أنت يا رجل! (ثم أخفض صوته يقول بتسلية) هل تتخفي لأنك تخشى ابن سماحة وثأره منك ؟"
تنحنح حموءة وقال" بل لأني أشعر بالخزي من أهل الحي لما فعلته أختي .. سامحها الله "
قال سيد وقد خشي أن يراه أحمد ويتهور " اذهب من هنا قبل أن يراك أحمد يكفينا من المشاكل ما قد أتانا بسببك "
فرد حموءة وهو متحرج من أن يره أحد من أهل الحي " أريدك أن توصل رسالة لابن سماحة .. فأنا لا أريد مواجهته وتتجدد المعارك بيننا مجددا ..
أخبره أن هذا الفتى .. أقصد الفتاة الوافدة التي سمعت أنه يبحث عنها .. أني أشك بفتاة تشبهها قليلا تعمل في مطعم يمتلكه أحد هؤلاء الوافدين من بلدها .. إن المطعم في مدينة (....) "
امسك سيد بتلابيبه بسرعة وقال " هل أنت متأكد ؟"

Des. Maryam Tamim

رفع حموءة كتفيه يقول " لست متأكدا.. فأنا لم أرها في الهيئة الأنثوية من قبل.. كما أن هذه الفتاة ممتلئة قليلا عن الأخرى .. لكن الملامح تكاد تكون ذاتها .. بالإضافة لأنها حين رأتني ارتبكت .. وهذا ما جعلني أشك أنها هي بالفعل "

تركه سيد وسأل بفضول " وماذا كنت تفعل في هذه المدينة "

تنحنح حموءة وقال " لي مصالح هناك "

مط سيد شفتيه في أمتعاض وقال " اذهب الآن قبل أن يأتي أحمد "

قال حموءة " لو كانت هي بالفعل من تبحثون عنها فقل لابن سماحة هكذا رددت الدين الذي عليّ "

دفعه سيد وهو يقول بسخرية " لا أعتقد أن هناك ما يكفي لما فعلته أنت في بانة.. ولما فعلناه نحن من ستر أختك يا خفيف .. اذهب من أمامي وسنبت في أمرك لاحقا .. وادع الله أن تكون هي "

Des. Maryam Tamim

خرج سيد من الحي يدعو الله أن يكون ما رآه حموءة صحيحا .. ولمحها تدخل الشارع في سيارة أجرة ..
حين لمحت سيارته طلبت من السائق أن يتوقف وخرجت وهي تناوله حسابه .. فتوقف سيد حين شاهدها في المرآة تترجل من السيارة الأجرة ..

ركبت آية بجانبه تهديه ابتسامتها التي تقطر عسلا وهي تهتف " اشتقت إليك يا سيد "
أرتعش قلبه وهو يتنشق حضورها بداخل صدره .. في كل مرة يراها يشعر وكأنه حي يتنفس وأنه كان قبل دقيقة من حضورها ميتا .
تحرك بالسيارة وهو يقول بهدوء " كيف حالك ؟"
هتفت بمرح " بخير .. السنة الأخيرة ضاغطة جدا واتطلع للتخرج .. وأفكر في التقدم لمسابقات الإذاعة في الراديو .. أحيانا يطلبون مذيعين جدد"

Des. Maryam Tamim

هتف بإعجاب " رائع أتطلع لسماع صوتك في الراديو "
قالت بتردد " لكني خائفة من أن أخطو هذه الخطوة "
سألها بذهن مشغول " لماذا ؟ "
تنهدت وردت " لا أعرف أشعر أني أخطو من مرحلة الطالبة لمرحلة مجال العمل وأشعر بالخوف "
ابتسم لها ابتسامة جعلته وسيما وقال " هذه هي رهبة البدايات .. تشجعي وادخلي وأنا واثق من أنك ستنجحين "
قالت بدلال سكب حمما سائلة في عروقه " هل ستكون معي وأنا أذهب لأول مرة "
رد يحاول أن يداري انفعالاته " طبعا يويا إن شاء الله سأكون معك "

Des. Maryam Tamim

تنهدت بسعادة وغاصت في المقعد أكثر باسترخاء
فسألها بدهشة " أنت لم تسألي إلى أين نحن
ذاهبين ؟"
أغلقت نصف عينيها تقول " لا يهم أين ستأخذني
المهم أني معك وكفى "
تمتم بخفوت لكنه كان مسموعا " ليتني أستطيع
أن آخذك لأي مكان تريدين .. حتى لو سنقضي أياما
نلف في الشارع نزور أماكن تريدين أن نزورها معا"
استدارت نحوه بنفس جلستها المسترخية ورأسها
ينام على المقعد وقالت "وإذا أردت أن تأخذني
لمكان ما فإلى أين تريد أن تأخذني ؟"
نفض عن رأسه الإجابة التي أسرع مارده باعلانها
ليقول وهو يتحكم في انفعالاته " أريد أن أذهب
معك إلى حفل موسيقي لأي مطرب مشهور
.. واستمع أنا وأنت للحفل باستمتاع دون أن
يقاطعنا أحد "

Des. Maryam Tamim

صفقت بسعادة.. ثم قالت بشقاوة وهي تضيق عينيها العسليتين " ما رأيك أن نفعلها ذات مرة ويكون سرنا الصغير "

ضحك وقال " لا أستطيع أن أفعل ذلك "

سألته في إحباط " لماذا؟ "

هتف يقول " كيف آخذ أخت صاحبي في السر إلى حفل موسيقى دون علمه! "

تكتفت وضيقت عينيها وقالت " أنت توصلني أحيانا وتعزمني على الطعام أحيانا .. أليست هذه خيانة؟ .. وأين نحن ذاهبان الآن أليست هذه خيانة؟ "

ابتسم ورد وهو يتأملها " أنت تعلمين أننا نحاول التقليل من تلك الأمور .. ثم إنها لا تأخذ أكثر من ساعة وليس حفلا موسيقيا كاملا .. كما أنها بالفعل اسرارنا الصغيرة التي يجب أن نتوقف عنها "

تغير مزاجها وسألت باستهجان" وإلى أين نحن ذاهبان الآن ؟"

Des. Maryam Tamim

فرد وهو يزفر في توتر " إنه مشوار ضروري .. ومن الجيد أني قابلتك صدفة .. أعتقد أني سأحتاج لصحبة أنثوية معي .. إن كان الموضوع حقيقيا .. فقد لا أستطيع التحقق من الشخصية بالتحديق فيها كما يجب" .

ردت آية باندهاش " لم أفهم شيئا "

غمغم سيد بشرود وهو يركز على الطريق أمامه " ستفهمين بعد قليل "

بعد ساعة ترجل سيد وآية من السيارة ثم تبعته لمطعم أنيق وهي تحاول فهم نوع المهمة التي يمكن أن يفعلاها معا في مطعم كهذا .

اتخذا طاولة وبدأت تراقب سيد وعلامات التوتر البادية عليه يبحث في المكان ويتفحصه .وقالت بسخرية وهي تضع يدها على قلبها " لا تقل إنك تحضر لي مفاجأة وسنقضي اليوم سويا دون أي

Des. Maryam Tamim

مشاعر بالذنب من ناحيتك أو الخوف من ناحيتي !! "

التفت إليها وقال منفعلا " كفاك تقريعا يا آية .. اقسم بالله كلامك يؤلمني "

أجفلت من جديته ومن انفعاله فغمغمت بحرج تعتذر وقد احمرت وجنتيها ..فرق قلبه لها وقال بجدية " هل تعتقدي أن علينا أن نمنع أي تواصل بيننا نهائيا ؟ .. كعلاقتي بأروى مثلا .. أعزها لكني لا اتواصل معها يوميا ولا أتحدث معها إلا لسبب .. ما رأيك .. ربما بهذه الطريقة نتعود على الانفصال .. وستتعودين أيضا أن تتحركي وحدك دون أن تنظري خلفك وتبحثي عني إن كنت موجودا أم لا .؟"

تجمدت مقلتاها في صدمة تحدق به .. ثم قالت بمرارة " إذن هذا هو سبب هذه الدعوة اللطيفة .. أصبحت تشعر بي كعبء عليك !.. لماذا كلفت نفسك كل هذا العناء .. كان من الممكن أن ترسل لي

رسالة نصية ..تقول فيها (آية أنا أصبحت مشهورا ومشغولا ولست متفرغا لتفاهاتك).. الأمر بسيط (وسحبت حقيبتها وقامت في عصبية تقول) سأوفر عليك ثمن تلك العزومة " .

تأملها وهي واقفة تلقي بكلماتها العصبية تداري حنقها بكبرياء .. وجهها أحمر من الغضب والألم .. وبالرغم من الألم الذي استشعره في قلبه لكنها كانت شهية .. كل ما يتعلق بها كان شهيا .. هدر فيها بحزم آمرا " اجلسي مكانك ".
نظرت له بتحدي فجز على أسنانه وكرر الأمر وهو يشير بسبابته لأسفل ..لتزمجر مثل قطة عصبية وتجلس وهي تكتم الغيظ .
قال بهدوء " أنا كنت أتحدث معك واناقشك كفتاة ناضجة "

Des. Maryam Tamim

ردت بحنق " أنا ناضجة يا سيد .. لكن أنتم بأفكاركم تسجنوني في قالب صغير .. لا أحد يعطيني الفرصة لأريكم كم أنا كبرت "

اقترب منهما عبد الكريم يضع أمامهما كوبين للماء وزجاجة مياه ووضع قائمة الطعام وهو يقول بلطف " تشرفنا بكم .. هل ستطلبون شيئا قبل اختيار الطعام ؟"

هبت آية تقول بفظاظة " اذهب من هنا وعد بعد قليل ".

تراجع عبد الكريم بفزع للخلف ..بينما ابتسم له سيد بحرج وأشار له أن يعود بعد قليل.. ثم أخذ يراقب المكان بذهن شارد عن المواء الغاضب والزمجرة التي تقذفها آية بجانبه ..

فجأة رآها تخرج من ناحية المطبخ تتجه نحو مقعد الكاشير .. تتبادل الابتسامات مع شاب ضخم البنية ..

Des. Maryam Tamim

هل هي فعلا ! ..
تبدو ممتلئة قليلا وازدادت جمالا بشكل ملفت بعد أن اختفت الحروق من وجهها ..
تحرج ولم يعرف هل هي فعلا أم لا .. وتحرج أن يستمر في التحديق فيها بشكل ملفت قد يفهم بشكل سيء .. وخاصة أن ذلك الضخم يبدو متحفزا ..

سمعها تتبادل الكلمات مع ذلك الضخم بلهجتها .. فتساءل هل من الممكن أن يكون كل ذلك صدفة؟.. نفس الشكل ونفس الجنسية .. ؟؟

انتبهت آية لشروده وأنه لم يسمع حرفا من المحاضرة التي ألقتها منذ قليل .. فنظرت نحو الجهة التي يحدق فيها باهتمام ..و شهقت من المفاجأة ثم قالت بعصبية " إذن هذا هو سبب حضورنا لهذا المكان "

Des. Maryam Tamim

في تلك اللحظة تأكد سيد أنها هي بالفعل .. لكن لم تتوان له الفرصة لأن يعلق بشيء .. فقد ارتعب حين وجد آية تستقيم فجأة وتندفع مثل القطار السريع نحو بانة وهي تصيح " أنت ! " .. تحرك سيد يحاول اللحاق بها لمنعها لكنه لم يستطع.. فقد هجمت آية على بانة لتلصقها بالحائط وتضغط على رقبتها بساعدها .

هب كامل نحو بانة في جزع ينوي الهجوم على تلك القصيرة التي تهاجمها .. بينما ارتبك كل من في المطعم مما يحدث لا يفهمون هل هي محاولة للسرقة أم ماذا ..

تحرك سيد بسرعة يقف حائلا ظهره في ظهر آية وفي مواجهة كامل يحاول تهدئته وهو يقول "اهدأ .. لسنا هنا سوى للخير (ثم تحدث مع آية آمرا) أتركيها فورا " .

Des. Maryam Tamim

زمجر كامل بعدم صبر فتكلمت بانة التي تحاول التغلب على الصدمة.. فلم تكن تستوعب حتى الآن أنها تقف تحدق في عيني آية سماحة وخلفها سيد صبرة .. وقالت بهدوء " لا بأس يا كامل إنهما من معارفي"

ضغطت آية أكثر لتقول هي تجز على أسنانها " معارف ! "

فابتسمت بانة بشجن وقالت " إنهم أصدقائي "

استدار سيد يمسك آية من كتفيها قائلا بلهجة حازمة " قد يطلب أحد الجالسين في المطعم لنا الشرطة .. هل جننت يا آية !.. اتركيها فورا الناس يحدقون بنا "

زمجرت آية وتركتها .. بينما رمقت بانة كامل بنظرة مطمئنة .. فتركها على مضض وذهب ليطمئن الحاضرين بالمطعم .

Des. Maryam Tamim

ابتسمت بانة لهما ثم قالت لآية بإغاظة " مازلت نارية .. وقزمة " .
جزت آية على أسنانها ثم قالت " اشتقنا والله للسنيورة وظُرفها "
لتبتسم بانة وقد شعرت بالفرح الحقيقي لرؤيتها ثم انتقلت لتنظر لسيد الذي بمجرد أن التقت أعينهما حتى وضع كفه على فمه وانفجر ضاحكا .. فرمقته بانة بغيظ وقالت وقلبها يرقص فرحا من رؤيته " لا أعلم سبب الضحك كلما رأيتني .. حقيقي لا أعلم ".
قاوم نوبة ضحك أخرى ليقول " كلما رأيتك في هيئة الأنثى لا أستطيع مقاومة الضحك ولا أدري السبب "
نظرت بانة إليهما وقالت " اشتقت للجميع "
وقفت آية متكتفة بينما رد سيد " ولماذا ذهبت يا بنت الناس .. أنت لا تعرفين كم من القلوب كسرت ورائك "

Des. Maryam Tamim

لاح الألم على وجه بانة وتحركت تدعوهما للجلوس على أحد الطاولات القريبة من الباب وهي تقول " سامحوني .. لم أستطيع تحمل فكرة أن أكون سببا في أي ألم لكم (ثم سألت بلهفة واضحة) هل أحمد بخير ؟"

ردت آية بقرف " تستطيعين معرفة ذلك بنفسك حين تقابليه "

هتفت بانة بسرعة " لا لا .. أرجوكم لا تخبروه أنكم قابلتموني .. استحلفكم بالله "

فتحت آية هاتفها وشغلت مسجل الصوت بحركة لم تفهم لمَ فعلتها .. لكنها كالعادة تتحرك قبل أن تفكر .. وبدأت تسجل ما يدور بالجلسة دون أن يشعر أحد .

رد سيد بحيرة " ولماذا لا تريدينا أن نخبر أحمد بأننا قابلناك وأين مكانك .. أنت لا تعرفين كيف هي

Des. Maryam Tamim

حالته.. إنه يبحث عنك حتى الآن .. ولا تعرفين كم من جهد بذلنا لإيجادك "

ردت بانة بتوسل " أرجوك يا سيد .. أتوسل إليك ألا تخبره .. لا أريد أن أسبب له المزيد من المتاعب .. ما يريده منى أحمد لا أستطيع تلبيته وهذا يؤلمني لأنه يتألم .. أرجوك يا سيد .. لا تجبراني على أن اختفي مرة أخرى .. كما ترون أنا أعيش حياة جيدة الحمد لله وأعمل فاتركوني وشأني "

سأل سيد بحزن " ألم تشتاقي لنا يا بانة ؟"

ردت وقد آلمها السؤال ونبش في جرح لم يندمل " أقسم بالله أنى أنام وأحلم بكم .. كلكم .. حتى هذه المزعجة اشتقت لها "

منحتها آية ابتسامة صفراء مستخفة دون رد ..

فعادت بانة تتوسل سيد " أرجوك يا سيد .. إن كنت تريد لأحمد ألا يتألم .. اعطه الفرصة لينساني .. ويكمل حياته في هدوء "

Des. Maryam Tamim

أطرق سيد برأسه وقد انعقد لسانه شاعرا بالحيرة
ثم قال لها " هل ستعطيني فرصة لأن أقابلك مرة
أخرى دون أن تختفي .. ونتناقش في هذا الأمر
مجددا .. لأني لابد أن أعيد هذه الفتاة للبيت فورا"
ردت بانة بتوسل " عدني أنك لن تخبره "
أومأ برأسه في استسلام .. فأدارت وجهها نحو آية
التي استقامت تقف في خيلاء وهي تسحب حقيبتها
من على الطاولة وتقول " هيا نذهب يا سيد فقد
تأخرنا "
فنظر سيد لبانة يطمئنها أنه سيتحدث مع آية ..
ودعتهما بانة وهي تشعر بالقلق .. ماذا لو رفضت
آية الانصياع ؟.. ماذا لو جاء أحمد إلى هنا ؟..
يا الله ماذا تفعل ؟..
هل ستهرب من جديد ؟..
"يا رب تعبت دبرها من عندك "
***

Des. Maryam Tamim

بعد قليل في السيارة العائدة لحي سماحة كان سيد صامتا يفكر ..

رن هاتف آية فردت بثقة " نعم يا أحمد .. كما سمعت التسجيل لقد وجدناها وهي ترفض أن نخبرك بمكانها "

تحفز سيد يقول في عصبية " لماذا تسرعت وأخبرته ماذا لو هربت ثانية يا آية "

ابعدت الهاتف لترد عليه بعصبية مماثلة " هل ستنفذ كلامها؟! .. إنها خائفة ولابد أن يعرف أحمد قبل أن تفكر في الهرب ثانية .. هل تعتقد أنها ستقف هكذا تقيّم إن كنت ستنفذ وعدك إليها أم لا .. بالطبع ستحاول الهرب (ثم وضعت الهاتف مجدا على أذنها وبعدها ناولته لسيد تقول) أحمد يريد الحديث معك "

جاءه صوت أحمد متوترا يقول " كيف وجدتها يا سيد ؟"

Des. Maryam Tamim

رد سيد موضحا " لست أنا من وجدها في الحقيقة .. من وجدها هو حموءة .. شاهدها صدفة في المكان الذي تعمل به وأخبرني لأخبرك .. لكني أحببت أن أتأكد من روايته قبل أن أعلقك بأمل زائف .. فأخذت معي آية لاستشعاري الحرج من الموقف .. المهم أنه حدث ما سمعته .. "

رد أحمد بلهفة " أنا في الطريق "

سأل سيد بجزع " أي طريق؟؟؟ "

قال أحمد " في الطريق لبانة .. آية ارسلت لي العنوان .. هل تعتقد أني سأصبر للحظة واحدة ؟"

هتف سيد بقلق " أحمد .. انتظر حتى أوصل آية للبيت وسأعتذر عن موعد مهم وآتي معك .. لا أضمن رد فعلك .. وبانة ليست وحدها .. حولها رجل من بلدها لا أعرف علاقته بها لكنه صاحب المطعم على ما يبدو .. ارجوك يا أحمد لا أريد أن تتهور بالله عليك .. لن ندخل في مشاكل أخرى.."

Des. Maryam Tamim

رد أحمد بعصبية " لن استطيع الانتظار لثانية واحدة يا سيد .. لا تقلق .. أعدك لن أتهور .. ليس بعدما وجدتها سأعطي فرصة لفقدانها مجددا "
رد سيد بقلق " احذر قد تضغط عليها يا أحمد فتهرب ثانية "
قال أحمد بتفهم " حاضر لا تقلق (ثم سأله بقلق) كيف حالها يا سيد كيف بدت ؟"
رد سيد بنبرة ذات معنى " إنها تبدو بخير .. أما كيف بدت ... إحم .. أعتقد أنك ستضربني إذا أجبت بصدق عن هذا السؤال .. لهذا سأترك لك أن تعرف الإجابة بنفسك "

أغلق أحمد الخط مع سيد وهو لا يصدق حتى الآن ..
كان بالورشة حين وصله المقطع الصوتي من آية وعندما سمعه .. وسمع صوتها .. لم يصدق .. شعر أنه في حلم ..

Des. Maryam Tamim

في حلم جميل كأحلامه الكثيرة التي يراها فيها يوميا ..

يراها تزوره في منامه ..

تطمئنه عليها ..

ويخبرها بأشواقه ..

وحين استمع لصوتها في التسجيل وأرسلت له آية العنوان.. لم يدر إلا وهو يقفز في سيارته نحو العنوان.

ضغط على البنزين بقوة يزيد السرعة .. وصوت فيروز يتردد في هدوء بين جنبات السيارة :

حلفتك يا حبيبي

لا تنسى يا حبيبي

لما تسمع هالغنية .. فكر فيّ

يا حبيبي ..

***

كان عمرو يطالع نص المحادثات بينهما منذ أن بدأت علاقتهما ..

Des. Maryam Tamim

يقرأ من جديد .. يقرأ ما بين السطور ..
يستقبل ردودها بطريقة مختلفة هذه المرة ..
يحلل كلماتها ..
يحاول أن يمسك أدلة عليها تدينها ..
بعد قليل فتح هاتفه واتصل بها فردت عليه بهدوء أوجع قلبه .. لكن كرامته أبت أن تشفق عليها فقال ساخرا يقلدها " Mi Min.. معناه الجمال والإشراق .. لكنني لست كذلك .. أنه اسم معكوس .. ألا تذكر مدام رفيعة في كعبول .. انه كذلك .. الحقيقة أنا كئيبة وقبيحة (ثم استطرد في غيظ) كذبة أخرى من كذباتك .. كئيبة وقبيحة ! .. أنت كاذبة يا أروى كاذبة " .
ولم يعط لها فرصة أن ترد .. أغلق الخط وألقى بالهاتف على السرير .

تحرك في غيظ .. لا يعلم ماذا يفعل ليشفي غليله .. ويهدأ .. حتى النوم لا يستطيع النوم ..

Des. Maryam Tamim

الشباب يتجنبهم وخصوصا أحمد ويتعلل بالاكتئاب ..

رن الهاتف فأسرع إليه في لهفة وكأنه كان يتنظر مكالمة من شخص معين .. ولدهشته شعر بالإحباط عندما وجد أن المتصل كان سيد .

زفر في حنق ورد بتحفز " نعم ! "
قال سيد بلهجة جدية " عمرو .. لقد وجدنا بانة .. وأحمد علم بعنوانها.. وبالطبع لم ينتظر وهو في الطريق إليها .. أنا عائد للحي لأوصل آية .. وبعدها عندي موعد هام .. لو لن تستطيع اللحاق به سأعتذر عن الموعد وأذهب أنا "
تحفز عمرو لسماع الخبر ثم قال " ولماذا أنت خائف عليه وتريد مرافقته "
قال سيد بقلق " الوضع مقلق .. أولا لا أعلم رد فعل أحمد .. ثانيا بانة لا تريد أن يعرف بمكانها ..

Des. Maryam Tamim

ثالثا بانة موجودة لدى أحد أبناء بلدها شخص طويل وضخم ومتحفز.. ويبدو أنه لديه بعض مشاعر الحمائية تجاه بانة .. الوضع كله يقلقني عليه "

تحرك عمرو نحو خزانة الملابس وهو يقول " لا تقلق ارسل لي العنوان وأنا ذاهب إليه "

ثم اغلق الخط ليبدل ملابسه ويلحق بصاحبه قبل أن يتهور .

**

أوقف أحمد السيارة وترجل منها .. لكنه فكر في أن السيارة قد تكون مكشوفة للموجودين بالمطعم ومن بينهم بانة وقد تتعرف على سيارته فتهرب ..فعاد للسيارة وأرجعها للخلف قليلا بعيدا عن المطعم وترجل ثانية ..

لم يكن يعرف كيف عليه أن يتصرف ؟.. أو كيف من المفروض أن يكون رد فعله ؟.

حين اقترب من الواجهة الزجاجية للمطعم بحث
بعينيه بسرعة..
ورآها ..
رأى بانة..
رأى .. مالكة قلبه
.

Des. Maryam Tamim

الفصل التاسع عشر

أوقف أحمد السيارة وترجل منها .. لكنه فكر في أن السيارة قد تكون مكشوفة للموجودين بالمطعم من بينهم بانة وقد تتعرف على سيارته فتهرب .. عاد للسيارة وأرجعها للخلف قليلا بعيدا عن المطعم وترجل ثانية ..

لم يكن يعرف كيف عليه أن يتصرف أو كيف من المفروض أن يكون رد فعله ..وحين اقترب من الواجهة الزجاجية للمطعم بحث بعينيه بسرعة ورآها ..

أجل رآها من بعيد ..

غارقة في الأفكار شاردة خلف مكتب الكاشير ..

المسافة كانت بعيدة وملامحها بعيدة... حتى رائحتها كانت بعيدة ..

لكنه تعرف عليها ..

Des. Maryam Tamim

كيانه كله أدرك وجودها حتى لو لم تستطع عيناه التقاط تفاصيلها ..
وتملكته رغبة حارقة في اقتحام المكان واختطافها والهرب بعيدا ..
لكنه كان خائفا ..
خائف من أن تهرب .. فصوتها المرتعش وهي تتوسل ألا يخبروه يخبره بالكثير ..

تراجع ووقف على الجهة الأخرى من الشارع المطل عليه المطعم يتحرك جيئة وذهابا في توتر ...
يحاول السيطرة على انفعالاته ..

بعد قليل استشعر حركة بجانبه فانتبه لوجود عمرو .. كان قد ركن سيارته خلف سيارة أحمد وترجل يبحث عنه ..فاستقبله أحمد بحماس وارتجاف وصدمة قائلا "إنها بانة يا عمرو أنظر إنها بانة ".

Des. Maryam Tamim

أشفق عمرو عليه فربت على كتفه وقال " ماذا ستفعل الآن يا صديقي؟ ".
حاول أحمد السيطرة على انفعالاته وقال"لا أعلم .. لكني أنتظر أن يخف العدد بالمطعم .. فلا أريد أن أسبب لها فضيحة .. ولا أريدها أن ترتعب من رؤيتي "

وقف عمرو بجواره في صمت شاردا فهتف أحمد فجأة" لم أخبر أروى .. من المفاجأة نسيت أن أخبر أروى .. ستفرح جدا ... ستتخلص من حالة الكآبة التي تلازمها منذ فترة "

تحفز عمرو عند سماع اسمها وبدأت ضربات قلبه تطرق في صدره بعنف ..فلعن قلبه الساذج ... ألم يكن مجروحا مصدوما بسببها منذ قليل !!.

Des. Maryam Tamim

قال أحمد على الهاتف بلهجة ذاهلة " لا أعرف يا أروى .. ربما لو كنتِ موجودة لجعلتك تتكلمين معها أولا ولأفادنا ذلك كثيرا ....لا أعلم يا حبيبتي ماذا سأفعل أنا مرتبك وخائف .. أعدك أني سأكون هادئا .. لا تقلقي عمرو معي .. سلام"

تحفز عمرو وأراد ان يعرف ماذا قالت عندما أخبرها أنه معه ؟..

هل ابتسمت في سخرية بأن الأراجوز معه؟ ..

أم كان صوتها منتصرا وهي تتذكر كيف لعبت به وكيف استجاب ووقع غارقا فيها ..

غارقا فيها .. !

يا ويلك يا عمرو .. يا ويلك ! .

رن هاتف عمرو فوجد رقم والدته .. واضطر لترك أحمد بعد قليل لأن والدته أخبرته بأنها ليست على ما يرام .. فقال بقلق " سأضطر للعودة للمنزل.. لكني قلق عليك "

Des. Maryam Tamim

رد أحمد بهدوء " لا تقلق اذهب لوالدتك "
تحرك عمرو لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من
القلق على صاحبه ..فأخذ يدعوا له بالتصرف
بحكمة..

تأخر الوقت وازداد سواد الليل وبدأ رواد المطعم في
المغادرة ..فاقترب احمد يراقب الوضع عن
قريب.. ليجد شاباً ضخماً يحوم حول بانة
باهتمام.. أما هي فيعلو وجهها القلق والهم ..

تساءل هل هو كأحمد سبباً في هذا القلق والهم ؟..
عليه أن يعرف منها الإجابة وفورا ..
وعليه أن يعرف أيضا .. علاقتها بذلك الشاب الذي
يتملكه رغبة حارقة لتشويه وجهه ..

Des. Maryam Tamim

لم يستطع أحمد الصمود أكثر من ذلك إنه يموت ببطء .. فاقتحم المكان بخطوات ثابتة تدعي الهدوء
وهو يدعو الله أن يلهمه حسن التصرف وقوة الأعصاب بألا يرتكب مجزرة وحشية أو ينهار باكيا أمامها في مشهد سيغتال كرامته .

كان عبد الكريم يتثاءب وهو يمسح الارض بالماسحة حين فوجئ بشخص يدخل ويلطخ بآثار اقدامه ما قام بمسحه منذ لحظات ..فتطلع إليه بغيظ وهو يقترب بخيلاء وبخطوات ثابتة نحو بانة الغارقة في شرودها ..

خلف قناع من الجمود والخيلاء دارى أحمد انفعالاته بصعوبة ..واضعا قبضتيه بتحفز في جيبه يداري ارتجافهما .. وتحرك نحوها بهدوء قد يوحي بالثقة وهو أبعد ما يكون عن ذلك ..

Des. Maryam Tamim

كانت شاردة ..
وكانت مبهرة ..
اكتسبت قليلا من الوزن فباتت تشبه تلك الصورة في جواز السفر ..
لكنها أمامه أجمل وأنضج وأكثر فتنة.
ود لو يجمد المشهد ويوقف الزمن فيتأملها هكذا ويشبع منها قبل أن تنتبه لوجوده ..
رائحتها حين اقترب تسللت إلى أنفه لتسري قشعريرة اشتياق ولهفه في أوصاله .
"يا الله كم اشتقت لرائحتك ! " .. هذا ما تمتم به في سره ..

كانت غارقة في الافكار فلم تنتبه لوقوفه أمام الكاشير .. بينما راقب عبد الكريم المشهد من بعيد فتنحنح ينادي باسمها لتنتبه .. فرفعت نظرها ثم تسمرت وبدأ قلبها في القفز كطبول الأفراح ودبت الحرارة في وجهها وهي تحدق فيه .

Des. Maryam Tamim

لم تدري ساعتها هل كانت تهلوس أم إنه حقيقة .. الا عندما تدخل كامل فجأة بعدائية يتصدى لأحمد الذي نظر إليه نظرة متعجرفة .. ثم عاد للتحديق فيها .

زمجر كامل يقول " من أنت ؟ .. وماذا تريد ؟"

رد أحمد ببساطة " أريدها ".

لاح الخطر على وجه كامل واقترب منه يستعرض صدره في تهديد .. فنظر إليه أحمد ببرود وهو مازال يضع يديه في جيبه وقد لاحظ أنه أطول منه قليلا وأضخم فقال بسخرية " لا تفرح بضخامتك .. عندنا سيد صبرة ضخم مثلك .. فلا تعتقد أن أبناء بلدك فقط من يتمتعون بالضخامة "

سأل كامل بصوت غليظ" ماذا تريد؟"

رد أحمد باستخفاف " قلت أريدها هل لديك مشاكل في الاستيعاب؟! "

زمجر كامل فخرج شامل من باب المطبخ يحاول فهم ما يحدث ..فجحظت عينا أحمد وهو يرى

Des. Maryam Tamim

التوأمين المتطابقين ليهتف بجزع " هل تنقسم كلما زمجرت !!!!!"

تحركت مقلتي كامل قليلا بغضب فأسرع أحمد يرفع سبابته أمامه قائلا بتحذير "إياك أن تزمجر ثانية "
ثم مال برأسه نحو بانة التي يداريها كامل بجسده وقال "ما الأمر يا ست البنات هل تلعبين دور الاميرة والضخام السبعة ! .. أم سيسرك أن أنقل مرة أخرى للمستشفى ! " .

نفضت بانة عنها صدمتها وقالت وعيناها غائمتان بالدموع "أتركاه ... أنا أعرفه .. وإياكم والاقتراب من ساقه أرجوكما "
رفع أحمد حاجبا ساخرا وصاح فيها "لماذا لا تخبريهم أني لدي شريحة في ركبتي اليمين بالمرة يا بانة!!! "

Des. Maryam Tamim

سأل شامل بهدوء " من هذا يا بانة ؟"
ردت متجاهلة سؤاله "أرجوك يا شامل أرجوك يا كامل أتركاني بمفردي معه .. لا تقلقوا أنا أعرفه جيدا "
ردد أحمد وراءها وهو ينظر لكامل قائلا بإغاظة " أرأيت .. هي تعرفني جيدا "
حاول كامل الاعتراض " ولكن .. "

فقالت وهي تمسح دموعا تنهمر دون إرادة منها " أرجوك"
نظر كامل بغيظ لأحمد فابتسم له الأخير ابتسامة صفراء وقال " قالت اتركونا بمفردنا "

سحب شامل أخيه المعترض وهو ينظر لبانة التي طمأنته أن الامور بخير .
ثم وقفت في صمت أمام أحمد تداري ارتجافها وتتحاشى النظر اليه حتى لا تضعف ... فبرغم

Des. Maryam Tamim



الموقف الغريب.. وبرغم إصرارها في عدم رؤيته.. لكنها لا تستطيع التحكم في رغبتها في التشبث بملابسه او الارتماء بين احضانه .. أو أي شيئ مجنون يلحه عليها قلبها .
لكن عليها أن تصده .. أن ترفضه بحزم .. أن تكون قاسية حتى يتركها وينساها..

شعرت بنفسها تتعرق وهي تمسح دموعها لتقول مدعية الصلابة " لماذا أتيت الى هنا .. ألم تفهم حينما رحلت من حيكم .. أني لا أريد وجودك في حياتي .. ماذا تريد الأن؟ "

اخرج من جيب سترته الداخلي ورقة ممزقة أعيد لصقها بلاصق شفاف .. ووضعها أمامها على الكاشير بعنف وقال بعجرفة " نسيتِ (الوسيم) "

احتل الغباء ملامحها وسألته في بلاهة وهي تمسك بالورقة فاكتشفت أنها الخطاب الذي تركته له منذ عام تقريبا فقالت " لا أفهم "

أشار للخطاب وقال " نسيتِ وأنت تكتبين الخطاب وتذكرين مناقبي .. بأن ليس هناك مثلي لا في بلدكم ولا في بلدنا وباقي تلك المميزات أن تكتبي أني (وسيم) ".

تحجرت مقلتيها وفغرت فمها في بلاهة تحاول استيعاب ما يقوله .. فقال بقلة صبر " هيا يا بنت الناس أكتبيها كي أخذ الخطاب وأرحل " ..

حين لم تتحرك .. اقترب منها قليلا وهتف ساخرا بمرارة " ماذا ؟! .. هل اعتقدت أني جئت أبحث عنك لأني اشتقت إليك إلى حد اليأس مثلا !.. أو لأني افتقدتك الى حد المرض !... أو لأني لا أستطيع أن أمارس حياتي الطبيعية بسبب قلقي عليك .... أو

Des. Maryam Tamim

لأطمئن أنك بخير بالرغم من أنك تركتني بالمستشفى ورحلتِ دون حتى أن تطمئني علي ! "
هتفت بسرعة " كنت أطمئن عليك أقسم بالله من ممرضة تعرفت عليها.. "
سألها فجأة بنبرة متألمة وهو يقترب منها أكثر"
أهنت عليك ؟!.. بهذه البساطة هنت عليك يا بانة؟!.. لم أتوقع أبدا أن تكوني بهذه القسوة " .

انفجرت في البكاء وتحركت مسرعة تهرب منه لا تحتمل أكثر من ذلك ..
خرجت من باب المطعم فجرى أحمد ورائها بجزع ..

كانت تجري على الرصيف وهو وراءها ..وحين أدرك أنها لن تتوقف.. صرخ فجأة وارتمى على الأرض " آاااااه .. ركبتي ... ركبتي ".

Des. Maryam Tamim

توقفت بانة عن الركض واتسعت حدقتاها الحمراوان من البكاء .. ثم عادت اليه مسرعة وهي تهتف بجزع" أحمد ماذا حدث هل أنت بخير؟"

كان مستلقياً على ظهره على الرصيف في هذا الوقت المتأخر من الليل يتوجع رافع ركبته المثنية أمامه في الهواء..فاقتربت منه بلهفة تتفحصه .. وحين لم يرد عليها جلست بجانبه على الرصيف تسأل بقلق وهي تمد كفها في الهواء ناحية ركبته دون أن تلمسه حتى لا تؤلمه "
فجأة قبض على كفها وسحبه لصدره .. فجحظت عيناها وقد أدركت سذاجتها لتقول بغيظ وهي تجز على أسنانها" اترك يدي يا احمد "

تلكأ قليلا وهو يتجول في وجهها الغاضب ثم تركها تسحب يدها .. لكنه أمسك بمرفقها قائلا ببؤس "

Des. Maryam Tamim



انتظري قليلا يا بانة ولا تتحركي بالله عليك .. ركبتي تؤلمني بالفعل.. فأنا ممنوع من الركض"

بقي مستلقيا على ظهره لثواني فنظرت أمامها وتمتمت بلهجة باكية "لمَ جئت يا أحمد ؟ ... لماذا ظهرت مرة أخرى في حياتي ؟.. أنت رأيت بنفسك كيف يكون اقترابي منك أذى لك ولكل من حولك ..."

لم يكن يفقه شيئا مما تقول .. كان يتأمل وجهها الذي أمامه يتضح بكل تفاصيله تحت عامود الانارة القريب ..
تأمل جمالها.. وامتلاء جسدها بأنوثة مذيبة للأعصاب... و...
قطع تأملاته فجأة ليسألها باهتمام" كيف فعلتيها يا بانة ؟!!!! "

Des. Maryam Tamim

ردت بحرقة " قلت لك لم أتحمل أن أراك تتألم بسببي .."
قاطعها قائلا بجدية " أنا لا أسأل عن هذا الأمر يا بانة "
توقفت عن البكاء واستدارت تتطلع إليه في تساؤل" ماذا تقصد إذن؟"
قال بعينين لامعتين "كيف حولت الكمثري ... إلى .. إلى رمان ؟"
ضيقت حاجبيها بعدم فهم وقالت ببراءة " أي كمثري؟ .. وأي رمان ؟!"
نظر في عينيها قليلا ثم أنزل ناظريه نحو صدرها.. فشهقت بانة وانتفضت واقفة بعد أن ضربته على صدره بغيظ صائحة " يا وقح .. يا قليل الأدب "
تأوه من ضربتها وهو يضحك بينما وقفت هي وعدلت ثيابها .. وصاحت به بعصبية وقد احمر وجهها " اذهب من هنا يا أحمد قبل أن أضربك أنا في ركبتك المصابة "

Des. Maryam Tamim

مسد على صدره وكتفه وهو يتأوه ضاحكا ثم قال "
كان سؤالاً علمياً بريئاً "
ثم مد يده نحوها يقول ببؤس" اعطيني يدك
فلست قادرا على القيام بمفردي .. هل ستتركينني
مستلقيا في الشارع هكذا؟ "
تكتفت ولمع الشر في عينيها فقالت بمكر" خسارة
البنطال والقميص الغاليين وقد ملأهما التراب"

قالتها ووقفت تتسلي بالمشهد الذي تلا ذلك ..
فقد جحظت عيناه فجأة وكساهما الهلع في إدراك
متأخر لوضعه .. ثم انتفض واقفا في حاله ذعر كمن
امسكت بثيابه النار .. أخذ ينفض البنطال بقرف
وهو يشتم .. ثم حاول نفض ظهر القميص فلم
يستطع فاستدار إليها لتنفض ظهره.. لكنها
ابتعدت خطوتين للخلف متكتفة تشاهده بتشفي
.. فجز على أسنانه وبدأ في فك أزرار قميصه ..

Des. Maryam Tamim

جحظت عينا بانة وسألته بهلع" ماذا تفعل ؟؟!!"
رد بغيظ " ما دمت لن تنفضيه فسأخلعه من على جسدي "
هتفت بسرعة "انتظر .. انتظر "
واستدارت تنفض له كتفيه وظهره ..فأغمض عيناه للحظات وقد تشنجت عضلات جسده..

لاحظت بانة استكانته وهدوءه فسحبت يدها في خجل وقالت هاربة " تصبح على خير يا أحمد "
هدر فيها قبل ان تدخل بوابة الفيلا " توقفي يا بانة وإلا سأقتحم وراءك المكان .. وسينتهي الأمر بي إما مسجونا أو معاقا .. أنت تعلمين تهوري جيدا فلا تتسببي في كارثة " .

وقفت بتردد فاقترب بثقة .. لتستدير وتواجهه فوجدته قريبا جدا منها ..

Des. Maryam Tamim

رجعت للخلف قليلا.. فتحرك نحوها لتجد نفسها ملتصقة بالحائط في انكماش ..

كان لا يزال غير مصدق .. يتأمل هيئتها ووجودها ورائحتها وكأنه في حلم ..
تكلمت بهمس والخدر يسري في أوصالها من حضوره الذي اشتاقت له " الوقت قد تأخر"
سألها بهدوء " من هؤلاء الناس ؟"
ردت بارتعاش " العم غنيم من معارف والدي قابلته صدفة بعد أن تركت الحي .. واقسم عليّ أن أبقى معهم "
تجول في وجهها بنظره وهو يلجم شياطينه عن التهور وسألها " وما دور زوج الثيران في القصة؟ "
أطرقت برأسها تهرب من تحديقه المربك "إنهم أبناءه "
سأل " وهل لديه بنات ؟" فهزت رأسها بلا
سأل " وزوجته موجودة ؟" أومأت بنعم .

Des. Maryam Tamim

تخصر قائلا " إذن تعيشين مع زوجي الثيران وعمك هذا في بيت واحد .. وتطلبي مني ببساطة أن أذهب !.. لمَ لا تأتين أنت معي .. لأروى .. وأمي ؟! "

قاومت نوبة أخرى ملحة للبكاء وقالت " أحمد اذهب وكفى جنوناً ... عمي غنيم يعتبرني مثل ابنته "

صاح بغيظ "لا يعجبني هذا الوضع يا بانة "
قالت بصوت خافت وهي تخشى أن يسمعهما أحد
" اذهب يا أحمد وقفتنا هنا لا تليق وقد يخرج عمي أو يأتي كامل وشامل هيا "
رن هاتفها فأخرجته من جيبها بارتباك وأغلقت الخط على المتصل ..فسحب منها الهاتف فجأة
وهي تزمجر باعتراض " أعطني هاتفي "
رفع يده عاليا دون أن يلتفت لذراعها الممدود وطلب رقمه من هاتفها.. ثم ابتسم حين وجد رقمه مسجل في هاتفها تحت اسم (السيد الوقح) .

Des. Maryam Tamim

رن هاتفه برقمها الجديد فهتف في انتصار .. وهي مازالت تزمجر أمامه وتجز على أسنانها.. واقفة على أطراف أصابعها للحصول على هاتفها المعلق بيده.. وهو يستدير يمينا ويسارا يمنعها من الوصول اليه .. ثم فتح الكاميرا الخاصة بهاتفها والتقط صورة علوية لهما معا .. فظهرت في الصورة بجانبه تمد يدها تطلب الهاتف ووجهها مرقط بالأحمر وأنفها متورما من البكاء .

ضحك في سعادة وهو يشاهد الصورة ثم أرسلها لهاتفه .. بينما جاء صوت من ورائهم " الوقت تأخر يا بانة!"

استدار أحمد يرمقه ببرود بينما تحركت هي للداخل فجز أحمد على أسنانه يقول " هل تأخذين أوامر من كامل هذا "

فهمست بحرج وهي تخطف منه الهاتف "هذا شامل .. سنتحدث لاحقا تصبح على خير "

Des. Maryam Tamim



دخلت واغلقت البوابة فاستدار ينفش كتفيه ويمر ببرود من جانب شامل الذي رمقه بنظرة غاضبة.
حين تجاوز شامل صاح الأخير دون أن يستدير إليه " لولا أنها قد طلبت منا لك الأمان لما كنت تمشي على قدميك الآن .. لكننا لن نسمح بأي تجاوز في حق بانة ".
فأكمل أحمد طريقه نحو سيارته دون أن يرد .

بعد قليل رن هاتفها فوجدت اسم المتصل My Lover . فاتسعت عيناها وردت وهي تجز على أسنانها قائلة " متى غيرت الاسم على هاتفي ؟ ألن تكف عن الفظاظة أبدا "
رد بصوت مرهق " بأي شرفة أنت .. أنا في الشارع "
شهقت بانة ووضعت غطاء على رأسها وخرجت للشرفة ..



حين شاهدها تقف أمامه تتطلع إليه من الشرفة ابتسم في سعادة .. بينما همست بانة بغضب " لماذا لم تذهب حتى الآن ؟"

رد عليها بصوت بدا لها مرهقا وهو يتطلع إليها من أسفل "أخشى أن استيقظ من الحلم .. إياك أن تختفي من أمامي مرة أخرى ".

اشفقت عليه فقالت "اذهب يا أحمد أنا لا أنوي الهرب مرة أخرى ... تعبت .. أقسم بالله تعبت"

رد عليها بهمس وهو يتمنى أن تكون أقرب ليتأمل تفاصيل منامتها جيدا " إذن بدلا من أن تهربي.. تعالي إلى .. تعالي واسعدي قلبي .. "

ردت بنبرة معذبة " لن تجني من ورائي سوى الألم .. لأني ببساطة لا أملك ما أمنحه لك "

قال بتوسل هامس " أنا راض ولو ببعض منك يا بانة .. هل هذا كافي ليشرح لك الوضع الذي أنا أعيشه بسببك ؟"

Des. Maryam Tamim

ارتجف قلبها فتطلعت إليه في صمت كان ابلغ من أي حديث .. بأنفاس لاهثة متبادلة بينهما عبر الأثير.

بعد قليل قطعت بانة الصمت تقول بتوسل

"اذهب وسنتحدث لاحقا "

همس بحشرجة " اقسمي أنك لن تهربي مني مرة أخرى "

همست بشفقة " أقسم لك أني لن أهرب فاذهب واسترح ونتحدث لاحقا "

فجأة فُتِح باب البوابة وخرج العم غنيم الى الشارع فشهقت بانة في حرج ودخلت مسرعة من الشرفة .. بينما وقف العم غنيم متخصرا يضيق عينيه ويتأمل أحمد بعبوس ثم قال" هل لك أن تفسر لي ماذا تفعل أمام بيتي في هذا الوقت من الليل وتتواقح على حرمة البيت "

Des. Maryam Tamim

رد أحمد وهو يداري حرجه " أنا خارج محيط بيتك"

هدر فيه العم غنيم مهددا " أي وقاحة منك .. سأطلق عليك زوجي الثيران الغاضبين بالداخل اللذان يريدان الانفراد بك "

رد أحمد بسرعة " أنا أيضا قلت انهما زوجي ثيران .. إذن نحن متفقان "

رفع العم غنيم حاجبيه باندهاش من وقاحته فاستدرك أحمد الأمر وهو يخرج بطاقة العمل ويقول بخيلاء "أحمد سماحة .. مؤسسة سماحة للموبيليا والأعمال الخشبية .. تستطيع ان تسأل عني وعن سمعتي .. أما سبب وقوفي هنا أني جئت لأطلب يد الآنسة بانة للزواج "

رد عليه العم غنيم باستنكار " تطلب يدها للزواج! .. هنا! .. في هذا الوقت ! "

Des. Maryam Tamim

تنحنح أحمد في حرج وقال " الحقيقة أني أبحث عنها منذ مدة ولم أعثر عليها سوى من بضع ساعات .. وأخشى أن تختفي مرة أخرى "

ضيق العم غنيم عينيه يقلب الأمر في ذهنه ويتفحص هيئة أحمد ثم قال منهيا الحديث بحزم " حسنا.. سنتكلم لاحقا في هذا الامر .. هلا تفضلت الآن وأريتنا عرض أكتافك !"

تململ أحمد قليلا ثم تراجع للخلف بنفس الخيلاء .. فانتظر العم غنيم حتى ركب السيارة وظل واقفا يحدق فيه بعبوس حتى اضطر احمد للانطلاق بالسيارة .

تطلع العم غنيم في البطاقة التي في يده ثم وضعها في جيبه ودخل يغلق باب الفيلا.

Des. Maryam Tamim

بعد قليل دخلت بانة الغرفة على العم غنيم الذي كان يقف يتطلع للنافذة مرتديا منامته في هذا الوقت المتأخر من الليل .
شعرت بالارتباك وودت لو تختفي من الوجود .
استدار إليها بهدوء يسأل " من هذا يا بانة ومن الاثنان اللذان أتيا قبله بساعات ؟"
قالت بحرج " إنهم من آل سماحة "
سألها " العائلة التي كانت تستضيفك ؟"
فأومأت برأسها بنعم .
قال وهو يتفحص رد فعلها " إنه يطلبك للزواج "
عضت على شفتها وسكتت .. فشعر أن الأمر يروقها فقال " حسنا يا ابنتي .. اذهبي الآن للنوم وغدا نتحدث " .

حين خرجت وجدت كامل يتطلع إليها بقلق فألقت تحية المساء واسرعت نحو غرفتها ..فدخل كامل

Des. Maryam Tamim

إلى غرفة أبيه غاضبا يقول " هل طلب منك هذا المتعجرف يدها للزواج فعلا ؟ "

رد العم غنيم عليه وهو مستغرق في التفكير "أجل ويبدو متلهفا وجادا "

هتف كامل " وماذا ستفعل معه ؟"

رد عليه العم غنيم بغيظ " ماذا تعتقد أني سأفعل؟ .. سأفعل مثل أي أب.. سأسألها عن رأيها فإن وجدت لديها القبول سأسأل عن أصله وفصله وأقرر"

اعترض كامل " وأنا يا أبي ؟! "

رد عليه باستنكار " وأنت ماذا ؟ .. ماذا في يدي لأفعله لك .. هل سأرغمها على الزواج بك؟ "

تحرك كامل غاضبا وخرج من الغرفة وهو يصفع الباب خلفه .

* * .

دخل أحمد شقة عائلته في إرهاق فاستقبلته أروى بترقب .. اقترب منها وقبل رأسها بسعادة وقال

Des. Maryam Tamim

بصوت خافت " لا أصدق يا أروى حتى الآن ..
ولولا أن الرجل الذي تعيش في بيته أوشك أن
يطلب لي الشرطة لما تركتها "
استشعر حركة أمه من المطبخ لغرفتها فقال
بصوت عالً " بانة تسلم عليك يا أمي "
أشاحت إلهام بأساورها بامتعاض وهي تتجه نحو
غرفتها بينما سأل أحمد أخته بصوت خافت
"كانت تنتظر عودتي للاطمئنان عليها أليس كذلك؟
"
ابتسمت أروى بالإيجاب ثم سألته " كيف
وجدتها؟ "
وضع يده على صدره وقال بتأثر " مهلكة يا أروى ..
وأعصابي لن تتحمل ذلك كثيرا "
اتسعت ابتسامة أروى بسعادة وهتفت " لا تقلق
إن شاء الله يجمعكما على خير "
تحرك نحو باب الشقة وهو يقول " سأذهب فورا
لأخلع هذه الملابس التي تأكل في جسدي وأستحم

Des. Maryam Tamim

جيدا ... سأرسل لك صورتها ورقمها الجديد ..
ادعي لي ألا يكون حلما يا أرورا "
***

في اليوم التالي :
نزلت بانة من غرفتها في إرهاق بعد أحداث ليلة أمس .. وابتسمت وهي تتذكر أن أحمد اتصل بها ثلاث مرات أثناء الليل .. لم يقل شيئا سوى أنه يطمئن أنه لا يحلم وأنها لم تهرب .. كان يقول ذلك بصوت متحشرج غارق في النوم ويغلق الخط .

استقبلها كامل قائلا بهدوء " بانة أريد ان أتحدث معك "
شعرت بالتوتر لكنها تبعته إلى غرفة الجلوس .

وقفت أمامه تتصنع الشجاعة فبادرها بالقول وهو يتنحنح " تعلمين أني .. معجبا بك "

Des. Maryam Tamim

فأطرقت برأسها أرضا وتمتمت بجدية " أنت مثل أخي يا كامل "

رد بعصبية " وهذا الغريب ليس مثل أخيك ؟! "

صمتت ولم تجد كلاما مناسبا يقال .. فهتف هو بنبرة مترجية " بانة تزوجيني .. أنا أبن بلدك .. إذا قررتِ الزواج من هذا المتعجرف ستتمزقين بين وطنين وجنسيتين .. أولادك سيتمزقون بين بلدين .. أنا سأحميك .. سأحافظ عليك .. أنا ابن بلدك الذي شاركك وجعك .. الذي مر بما مررت به .. الذي سيفهم ما تعانين منه .. وأنا من سيعود معك حين تنتهي الحرب .. أنا من سيعود معك لنعمر بلدنا من جديد .. لماذا تختاري الطريق الصعب بينما الطريق السهل مفتوحا أمامك "

ردت بهدوء " كل ما تقوله صحيحا ومنطقيا يا كامل .. لكن هناك نقطتين هامتين .. الأولى أني فعلا أعزك كفراس ورامز .. واشعر أن الله عوضني عنهما بكما أنت وشامل "

Des. Maryam Tamim

ثم أطرقت برأسها وهي تضيف " والثانية أن هناك أمور لا تخضع للمنطق مهما حاولت إخضاعها له .. وهذا لا يعني أني سأقبل بطلب أحمد أنا فقط أوضح لك ... الأمر "

لاح الألم على وجه كامل لكنه تحرك يخرج من الغرفة وهو يقول "كما تريدين يا بانة .. هذه حياتك وأنا لن أفرض نفسي عليك " .
تألمت لاضطرارها لرد طلبه وتمتمت لنفسها "كان هذا سيحدث عاجلا أم آجلا يا بانة "
بعد قليل سمعت سيارة كامل تخرج من المرآب وحين سألت عن شامل وجدته مازال نائما بينما العم غنيم قد خرج باكرا .. فقررت الجلوس مع الخالة سوسو تستمع لثرثرتها حول أحدث طرق تغيير لون الشعر وتبدي إعجابها بلون شعرها الجديد.

Des. Maryam Tamim

رن هاتفها فوجدت أحمد يخبرها أنه قادم ومعه أروى .. ارتبكت وحاولت أن تثنيه لكنه أخبرها أنه بالفعل في الطريق وطلب منها أن تخرج إليهم.
بعد دقائق ركن أحمد سيارته بجانب المطعم فوجد سيارة عمرو موجودة فقال لأروى متعجبا "أليست هذه سيارة عمرو ! .. ما الذي يفعله هنا؟!"

سألت أروى بتوتر وهي تدير وجهها للخلف تحاول رؤية عاقد الحاجبين " هل يعلم أننا سنأتي؟"
رد عليها وهو يفتح باب السيارة " أجل يعلم أخبرته صباحا لكنه لم يخبرني أنه قادم "
ترجل من السيارة فترجل عمرو هو الأخر من سيارته .. بينما تطلعت إليه أروى باندهاش من النافذة .. كان قد قصر لحيته وشذبها فازدادت وسامته.. ولاحت عيناه السوداوان ساحرتان تحت حاجبيه الكثيفين .. يرتدي بنطالا من الجينز الأزرق

Des. Maryam Tamim

وبلوزة قطنية بنصف كم فبدا معذِبا لناظريها .
.فتوترت وابتلعت ريقها بينما بادره أحمد " لم تقل إنك ستأتي "
رد عليه عمرو ببرود وهو يرمق أروى بطارف عينيه
" هل من الممنوع أن أسلم على بانة ؟"
قال أحمد وهو يخرج كرسي أروى من حقيبة السيارة ويحملها لتستقر عليه " لا اقصد طبعا ..(ثم أكمل ساخرا) لكن أخبرني لمَ هذه الوسامة .. هل كل ذلك من أجل لقاءك ببانة؟ .. يا بني مهما فعلت بنفسك لن تقارن بوسامتي فلا تعذب نفسك "
رد عمرو بهدوء بلهجة ذات معنى " لا.. أنا استعد .. لخطبة فتاة عرضتها عليّ أمي واتفقنا أن نذهب ونعقد لقاء ودي مع أهلها وبعدها سأقرر "
قال أحمد بتهليل " أخيرا ستفك عقدك ! .. هذا خبر جميل وفأل خير إن شاء الله (ثم مال عليه

Des. Maryam Tamim

يضربه على كتفه وهو يقول) ربما عقدنا زفافا جماعيا يا صاحبي .. دعواتك "

ابتلعت أروى طعما مرا في حلقها وتحكمت في انفعالاتها لتظهر دون مبالاة .. لكنها لم تستطع الصمود حين فتحت بانة البوابة بعد أن رأتهم من الشرفة .. فهللت أروى لرؤية بانة التي جرت عليها وتبادلتا التحيات والقبلات الحارة .

بعد قليل كانوا يجلسون في المطعم الخالي في هذا الوقت من الصباح وقد فتحت لهم بانة المكان ليجلسوا فيه .. فظلت أروى تعاتب بانة وتوبخها بمحبة لعدم اتصالها بها.. وحين تدخل أحمد في الحديث.. استقام عمرو فجأة وتحرك ناحية كرسي أروى التي ترسم علامات الكبرياء على وجهها وتتعمد تجاهله .. فقام بسحب الكرسي قليلا .. فسأله أحمد بدهشة " إلى أين؟ "

Des. Maryam Tamim

فرد عمرو بهدوء " سندردش أنا وأروى قليلا ونترككما تتحدثان "
وقبل أن تعترض أروى كان يدفع كرسيها بثقة فصاحت بكبرياء معترضة " أستطيع أن أحرك الكرسي وحدي "
فترك الكرسي ومشى بجانبها بقامته الطويلة وهيئته المهلكة ..
***

بمجرد أن تركاهما عمرو وأروى .. اقترب أحمد بكرسيه بجوار بانة فحركت كرسيها بعيدا عنه بارتباك وهي تتمتم باعتراض هامس" أحمد !"
رد بابتسامة خفق لها قلبها " نعم يا قلب أحمد "
نفضت عنها الارتباك لتتحدث معه بجدية " لماذا طلبت من عمي ما طلبت؟ ألم نتحدث في هذا الشأن من قبل ؟ "

Des. Maryam Tamim

عاد لجديته ليقول " كان ذلك حينما كنتِ في بيت سماحة.. كنتُ مستعدا لأن أبقى بجوارك للأبد ..أما الآن فأنا لن أحتمل يوما آخر وأنت بعيدة .."
قالت تقنعه " أنا هنا.. وتستطيع أن تأتيني في أي وقت "
رفع حاجبا مستنكرا وقال " بأي صفة سآتيك وأتحدث معك ؟ .. وماذا ستقولين للعم غنيم بشأننا؟ .. أعتقد أنه سيكون وضعا غريبا ؟ .. وحتى وإن وافقوا على ذلك.. وهذا مستحيل .. أنا لن أحتمل وجودك يا بانة في هذا المنزل مع شابين .. وخاصة كامل هذا.. أنا لست ساذجا حتى لا ألحظ نظرته لك .. وهذا لا أطيقه يا بانة .. أقسم بالله أمس طيلة الليل أحلم بأني أشوه وجهه .. ولن أتركه يحوم حولك هكذا.. لن أحتمل "
أطرقت برأسها في حيرة تحاول التفكير في حل مرضي فسألها بجدية " هلا أخبرتني بصراحة عن

Des. Maryam Tamim

سبب رفضك لفكرة الزواج عموما .. أخبريني فيما تفكرين بصوت مسموع "

أجفلت من سؤاله لكنها لم تشعر بغرابة من الحديث عن الموضوع معه فأخذت نفسا عميقا ثم قالت " أنا أوضحت لك من قبل يا أحمد .. لن أستطيع تزويـج نفسي هكذا بمنتهى الجرأة ... ماذا لو عدت ووجدت أهلي على قيد الحياة بماذا أخبرهم .. هذا زوجي ! .. أراه أمرا عظيماً أن أفعله بدون أهلي .. أشعر أني أفعل إثما إذا ما فرطت في نفسي بالزواج دون موافقتهم .. هذا بالإضافة لأني .. لأني ..... (فركت كفيها فشجعها على المواصلة بصبر فقالت بخجل) لا أتخيل أني مع زوج و ... وأني ... (لاحظها أحمد تمسد ذراعيها في قشعريرة ثم أكملت) هل تذكر ما قلته لي من قبل بشأن ما لاحظته عني بشأن الرهاب .. أعتقد أنك كنت محقاً .. وحينما ... حينما أفكر في أني .... الأمر يضايقني جدا ويشعرني بعدم الراحة .. و .."

Des. Maryam Tamim

سكتت في حرج وأطرقت برأسها أرضا تفرك كفيها في توتر فقال بهدوء متفهم " أعتقد أن ما مررت به يا بانة كفتاة بمفردها ومخاوفك التي مررت بها في التجارب الصعبة التي عشتِها ربما اصابك بصدمة ما ."

تمتمت في خجل وهي مازالت تنظر في حجرها "هذا الأمر لم أناقشه مع مخلوق غيرك .. ولا أعتقد أني أستطيع أن أقوله لأحد سواك "

دون إرادة منه تحرك نحوها وطبع قبلة سريعة على رأسها .. فهمست باعتراض وهي تحيط نفسها بذراعيها تقاوم قشعريرة "أحمد!"

رد بمرح " هذا لم يكن تلامساً.. إن كانت هذه فكرتك عن التلامس فاسمحي لي أفكارك خاطئة تماما "

أطرقت برأسها واحمرت وبدا عليها الارتباك .. فأدرك أحمد أبعاد الموقف ..

Des. Maryam Tamim

وما أدركه كان محبطاً جداً لرجولته ... لكنه لم يثنيه أبدا عما هو عازما عليه .

قطعت أفكاره حينما غمغمت تنهي حديثها " لهذا أنا أرفض العرض الذي طلبته من عمي غنيم .. فكما قلت لك من قبل .. لا يوجد لدي ما أقدمه لك"

صمت قليلا يرتب أفكاره ويحسم قراره ثم قال بهدوء " اسمعي يا بانة .. سأعرض عليك صفقة"

رددت باندهاش " صفقة !"

فأكمل "أجل صفقة يستفيد منها طرفان .. صفقة زواج "

ضيقت عينيها في اندهاش وحسبته يمزح لكنه أكمل بهدوء وجدية " أنا أتحدث بمنتهى الجدية يا بانة .. بالنسبة لك تستفيدي من هذه الصفقة كالتالي سيكون لك بيت دائم .. مستقر طوال فترة إقامتك هنا .. سيكون لديك أم .. أمي .. ستتمتعين برفقة أروى .. ستعيشين وسط عائلة حقيقية .. ستكونين زوجة مواطن .. وستتخلصين للأبد من

Des. Maryam Tamim

أي أوراق غير منتهية أو أي مشاكل قانونية...
ستستقرين يا بانة وتزيحي من على أكتافك الحِمل الثقيل ... ستجدين من يشاركك همومك وآلامك ..والأهم من ذلك (وصمت قليلا يسحب نفساً عميقا قبل أن يكمل) أن هذا الزواج سيكون بشروطك وهي أولا أنه سيكون عقد قران فقط ... عقد شرعي يتيح لنا أنا وأنت.. فرصة ان نكون سويا على راحتنا دون أن نخشى أحدا.. ستكونين حلالي وأنا حلالك مع التزامي الكامل بما ستقررينه في المستقبل لشكل علاقتنا ... لن أطالبك بأي حقوق من هذا الجانب إلا عندما تقررين أنت إتمام الزواج .. وثانيا إن ثبت لي أن أحدا من أهلك على قيد الحياة سأسمح لك بالذهاب " .
ساد الصمت بينهما وأخذت تحدق فيه ذاهلة .. ثم تكلمت بنفس الذهول " وأنت ؟ ماذا ستستفيد من هذه الصفقة " .

Des. Maryam Tamim

أعتدل في جلسته وحرك كتفيه يقول "أولا سأتخلص من إلحاح أمي عليّ بالزواج وسأسعدها وسأقلل من إحساسي بالذنب تجاهها .. ثانيا .. سأكف عن القلق عليك .. ثالثا سأنام بملىء عيني أخيرا بعد فترة طويلة بعد أن أطمئن أنك تشاركيني نفس البيت .. رابعا سأحمي نفسي من السجن .. (لاحظ نظرتها المتسائلة فقال بلهجة تأكيد) أجل السجن لأني حتما سأقتل كامل أو أي رجل سينظر اليك ".

أشرقت ابتسامتها وهي تتأمله بعينين جميلتين فأكمل بصوت أكثر هدوءا وحرارة " وسأتمتع حصريا بهذه الابتسامة .. وربما وصل بي الهوس بالأمر إلى أن أعد عدد الابتسامات التي سأحصل عليها منك.. وأضيفها لمجدي الشخصي كنياشين وأوسمة تغذي كبريائي .. وسأملأ عيني منك ..

Des. Maryam Tamim

وسأملأ صدري برائحتك .. وسأتمتع بسماع اسمي
بلكنة خاصة ممطوطة تدغدغ أعصابي "

كلامه ...
وثقته بنفسه ...
وحنانه الذي يشع من عينيه ..
وحضوره ..
كل ذلك كاد أن يصيبها بنوبة قلبية..
نوبة عشق ..
عشق لابن سماحة .

وأدركت في هذه اللحظة أنها عاشقة لهذا الرجل
حتى النخاع .. وكلما قدرت حجم مشاعرها تتفاجأ
بالمزيد والمزيد منها ..
وكأن المشاعر التي تحملها له كنبع ماء تفجر في
صحراء حياتها..
نبع ماء ليس له قرار ..

Des. Maryam Tamim

وبالرغم من اعترافها لنفسها أنها محظوظة ..
وأن ظهور أحمد في حياتها كان أجمل ما يمكن أن يحدث لها في حياتها كلها ..
لكنها خائفة ..
مرتعبة ..
خائفة أن تسبب له مزيدا من الألم ..
وخائفة أن تحبه أكثر فتتعذب أكثر إذا ما قررت يوما ما العودة للوطن .

قالت في محاولة أخيرة لمنع نفسها من الاقتناع بما يقول " لكن طرقنا ستظل متوازية للأبد يا أحمد"
رد عليها بصبر ليس من شيمه " لكن الظروف تدخلت لتلتقي دروبنا .. دعينا ندع الفراق لوقت الفراق "
تمتمت بضعف " أخشى أن نتألم أكثر من لو كنا لم نقرر خوض هذه التجربة سويا "

Des. Maryam Tamim

رد عليها " نحن لا نعلم المستقبل يا بانة .. دعينا نفكر في الحاضر ونترك المستقبل للمستقبل .. ماذا لو مر بنا العمر وتحسرنا على وقت كنا نستطيع أن نكون فيه سويا ولم نفعل حين كان ما يبعدنا فقط بضع كيلومترات "

أطرقت برأسها في صمت تفكر في حالة تمزق بين قلبها الذي يريد أن يبقى مع أحمد للأبد وعقلها الذي يقارعها ويلقي في طريقها عوائق مستحيلة . حين استشعر حيرتها قال مشفقا " انظري يا بانة كل الدروب تقودنا في اتجاه بعضنا البعض ..تقود كل منا نحو الآخر "

تمتمت بضعف هامس " أنا خائفة "

رد عليها " وأنا سأسهلها عليك .. كما قلت لك من قبل .. حين تفندين الأمور ويقارعك عقلك .. استحضري وجودي في المعادلة وإن لم يرجح وجودي الكفة المقابلة لمنطقك ومخاوفك .. فلا توافقي "

Des. Maryam Tamim

لمعت عيناها وهي تنظر له فقال منهيا الحديث
"سأتركك تفكرين وتتخذين قرارك بنفسك"

في نفس الوقت في حديقة المطعم :
أخفت مشاعرها خلف قناع من الكبرياء والهدوء
وقالت " عن ماذا تريد الحديث يا عمرو؟ "
وقف أمامها بمرح زائف قائلا بلهجة ساخرة "أنا
أمنحك متعة رؤيتي من وقت لأخر .. لأمتعك
بانتصارك .. وأذكرك من جديد بلحظات التسلي في
لعبتك "
تمتمت في سرها وهي تتأمل حضوره البهي أمامها "
لا أدري إن كان عليّ أن أفرح لتلك الفرص المجانية
لرؤياك .. أم أتألم لحالك وحالي"
تكلمت بكبرياء " حسنا يا عمرو .. أنا كنت ألعب
معك .. أتسلى كما تقول ... ولك كل الحق في
الانتقام مني .. وسأتحمل انتقامك لأني أعترف بما
أخطأت فيه تجاهك .. فإن كانت إهانتي وإذلالي

Des. Maryam Tamim

سيشعرانك بمتعة القصاص فلك هذا .. لكن في المقابل عليك أن تستمر في حياتك وأن تنزع هذا الألم البادي في عينيك "

ارتسم الغضب على ملامحه فجأة وضرب كرسيها بقدمه في عصبية وهو يهتف " تبا لك يا ميمين! .. تتصنعين دور المضحية الآن بمنتهى البراءة "

أجفلت أروى واتسعت عيناها والكرسي يرجع للخلف قليلا .. فمال عليها بجذعه يثبت الكرسي وهو يقول من بين أسنانه " كم وجه لك يا أروى على أن أكتشفه ؟! "

ردت بعصبية وهي تنظر في عينيه بتحدي "سترى كل الوجوه التي تريد أن تراها إلا الحقيقي يا عمرو "

حدق فيها بملء عينيه وهو يستند على الكرسي وسألها " وما هو وجهك الحقيقي يا أروى ؟"

نغزه قلبه حين طالع الألم الذي بدا على وجهها وهي تقول " عليك ان تكتشفه بنفسك "

Des. Maryam Tamim

استقام وتحرك أمامها قليلا بعصبية ثم سألها "لماذا أنا يا أروى ؟ هل ترينني ساذجا الى هذه الدرجة؟"

ردت بهدوء " ولماذا تفترض أني فعلت ذلك لأنك ساذجا .. بدِّل الأدوار .. وضع أي شخص بدلا منك .. سيد أو وائل أو أي شخص تريد.. ستجد أن الأمر كان سيسير بنفس الطريقة التي سار بها .. ولن يعرف من أنا .. هل كل الرجال سذج ؟ .. أم أنا المرأة الخارقة؟ "

جز على أسنانه وقال في إلحاح " لماذا أنا بالتحديد يا أروى ؟"

قاومت رغبة قوية في الانهيار لكنها لم تستطع التحكم بملامح البؤس التي ارتسمت على ملامحها والتي اخترقت قلبه كنصل خنجر بدأ في شق الغشاوة من أمام عينيه " أردت الحديث معك هذا خلاصة الأمر .. استرجِع ما حدث ستجد أني لم يكن لي أي غرض سوى حديث برئ معك.. وضع

Des. Maryam Tamim

تحت كلمة (معك)ألف خط .. واسأل نفسك .. هل لو كنت احسبك ساذجاً أو تافهاً كما تقول كنت رغبت في الحديث معك؟ .. هل هذا تقييمك لي .. أني سأرغب في تبادل أطراف الحديث من التافهين والسذج ! .. "

حدق فيها بملء عينيه وتعجب من احساسه الذي يراوده تجاهها .. الأمر بدا وكأنه يحاول فك شيفرة بداخله تخصها منذ سنوات .. وأنه قد حاول من قبل مرارا وتكرارا فك هذه الشيفرة وفتح الملف الخاص بها.. ولكن تلك الشيفرة لم تحل سوى الآن .. وتم التعرف على محتويات الملف الخاص(بأروى سماحة) .
وبمجرد أن أدرك عقله لهذا الحدث – فك شفرة أروى سماحة المعقدة المستعصية – تدفقت بيانات هائلة الحجم بسرعة أمامه لم يستطع عقله إدراكها دفعة واحدة .

Des. Maryam Tamim

قاطعت تأمله لذاته ولأحاسيسه حين أضافت
"لولا فضولك وإصرارك التعرف على هويتي.. لكنا
لا نزال نتحدث سويا حتى الأن .. كأي اثنين
ناضجين.. لم أطمع أبدا في أكثر من ذلك " .

هل ما وصله صحيحا ؟
هل الوجع الذي ضرب قلبه حقيقيا ؟
هل من الممكن أن يكون ما يستوعبه عقله الآن
قابلا للتصديق !
سألها بلهجة أكثر هدوءا " ولماذا لم تتحدثي معي
كأروى ؟"
ردت مبررة " أردت أن أتحرر من أي مجاملات أو
مبررات للحديث أو ألقاب.. بكوني ابنة سماحة..
أو بكونك صديق أخي .. ربما ضغط ذلك عليك بأني
أبحث عن شيء أكثر من مجرد حديث ورفقة ..
أردت أن أرفع عنا الحرج .. وأن نتحرر .. أنا وأنت
من كل القيود لا أكثر ولا أقل (ثم أضافت بلهجة

Des. Maryam Tamim



ساخرة وابتسامة مرتعشة ضربت الخنجر مرة أخرى في قلبه) كما أني في الواقع .. لست مرئية بالنسبة لك .. حتى صوتي لم تميزه"

رد بحرج مدافعا بحرارة" هذا الأمر لا أعلم كيف حدث .. ربما لأني كنت مجهد أو مشوش أو أن تأثير الاتصال المفاجئ من ميمين أربكني وقد كنت يائساً من استجابتها "

سكت قليلا وهو يداري مشاعرا تزداد اشتعالا بداخله .. وعينيه ترصدان هيئتها من زوايا ذكورية بحتة ثم أضاف " وربما لأننا لم نتبادل الحديث عبر الهاتف إلا نادرا.. لاحظي إنها مكالمة واحدة .. وقد أخبرتك وقتها أني أشعر أني أعرفك"

صمت .. فتأملته بحرمان وهو مستند على جذع شجرة بأناقة هيئته .. يديه في جيبه مطرق الرأس في تفكير .

رفع رأسه فجأة ليسألها " وهل هذه الرغبة في (الحديث) تشمل أحدا غيري .. أم أنا فقط؟"

آلمتها كرامتها ولاح ذلك في عينيها وهي تتطلع إليه .. فاعتدل في وقفته وأسرع يقول مستدركاً "أنا لم أقصد إهانة .. أنا أحدد فقط موقعي من الإعراب "

أطرقت برأسها قليلا في صمت فأعطاه ذلك فرصة للمزيد من النظرات الذكورية المختلسة منه تجاهها .. لترفع رأسها بعد قليل قائلة " الأمر حدث صدفة ولم يكن متعمداً .. حساب ميمين على الفيسبوك كان حسابي الأول وكنت أتابع به أخبار دراما شرق آسيا ومشتركة من خلاله في أكثر من صفحة ومجموعة تهتم بهذا النوع من الدراما .. بعد فترة نسيت كلمة السر بعد سفري للعلاج وعودتي .. فاضطررت لإنشاء حساب آخر باسم أروى سماحة.. بعد مدة تذكرت كلمة السر للحساب القديم واستعدته ..
وبالصدفة قرأت لك المقال الذي تجادلنا حوله فدخلت ألقيت في وجهك رأيي في المقال وخرجت

Des. Maryam Tamim

دون أن أتنبه أني أحدثك من حساب ميمين أو أعرفك بنفسي .. وحين بدأنا المناقشة رأيت أن الأمر ممتعا أن نتحدث سويا دون أي تكلف أو حرج أو حسابات .. فتصرفت ببعض من الأنانية ولم أحسب أن الأمر سيتطور إلى هذا الحد الذي تعتبره جرحا لكرامتك .. وأنا على استعداد لأي ترضية تكفر عن خطئي "

تسمر يحدق فيها قليلا وقد بدى الألم على وجهها جليا وآلمه أن يراها تشيح بوجهها وتقاوم بكبرياء دموع تريد أن تفر من عينيها .
ظهر أحمد فجاء يقول " هيا يا أروى لنغادر "
ثم ضيق عينيه وهو يتفحص وضعهما ويطالع وجه أخته التي تمسح طارف عينيها في خلسة فسألها بقلق " ما بك يا أروى هل كنت تبكين ؟"

Des. Maryam Tamim

تمتمت أروى (بلا شيء)ولم يسعفها ذهنها لقول أي تبرير فتدخل عمرو يقول " لقد تذكرنا أبي .. فلهذا هي متأثرة "

قالت بانة لعمرو " البقاء لله .. علمت منذ قليل وتأثرت جدا .. وودت أن أقابله لأشكره على ما فعله من أجلي "

رد عليها عمرو وقد كسى وجهه الحزن عند ذكر سيرة أبيه " الدوام لله .. لقد أوصلته شكرك لا تقلقي "

تقدمت بانة من أروى تتفحصها بينما أروى تشعر بالحنق من نفسها لأن دموعها لا تريد أن تتوقف وهذا يشعرها بالغضب من نفسها أن تظهر مثيرة للشفقة .. وعمرو آخر من تريد أن تظهر أمامه بهذا الشكل .

فأوضح أحمد لبانة " لقد بكت كثيرا عند وفاة الشيخ"

Des. Maryam Tamim

لم يدر عمرو لما شعر ببعض المواساة وبعض من الدفء في قلبه حين سمع هذا الكلام .. وتذكر أحاديثه المطولة معها عن أبيه .

حملها أحمد فاعترضت بحرج تصيح " أحمد .. أستطيع أن أتحرك بالكرسي حتى السيارة "

تجاهلها وقال " حان وقت تدليل الأميرة "

ودار بها حول نفسه فصرخت من المفاجأة ثم كتمت فمها بيدها بعد أن أدركت سخافتها ..

حين تحرك بها نحو السيارة غطت عينيها بيدها حرجا وضحكات بانة تلاحقهما وتدغدغ أذن ابن سماحة . . بينما عمرو تسمر قليلا شاعرا بالانزعاج من أحمد وشعور لم يفهم مسماه كان كالحريق في صدره ومشاعر ذكورية أحمرت لها أذنيه .

فزفر نفساً حارا وتحرك يحمل كرسيها الفارغ ويلحقهم .

***

Des. Maryam Tamim

بعد يومين :

قال وائل لماجدة وهو مستلقي على السرير "اذهبي يا ماجدة للبيت أنا أصبحت أفضل وكما سمعتِ من الطبيب أني سأخرج خلال أيام" .

ردت ماجدة بعبوس وهي تطوي بعضا من ملابسه وتضعها في الخزانة الصغيرة في غرفة بالمستشفى " سأذهب بعد قليل "

تطلع إليها في صمت .. إنها تصر على البقاء بجواره وهو لا يشعر براحة في وجودها.. دون وجود تفسير مناسب لهذا الشعور وهذا يؤلمه ويشعره بالذنب تجاهها .

طرق على الباب ودخلت بانة في خجل .. فتهلل وجهه لقدومها لكنه قال بعبوس طفولي " لا ... أنا أخاصمك "

ابتسمت وأحمر وجهها ثم تبادلت التحية مع ماجدة التي انسحبت من الغرفة في صمت كالعادة

Des. Maryam Tamim

..فسحبت كرسيا وجلست وهي تقول " اشتقت لك جدا "

رد بعبوس " لن أصدقك .. وإياك أن تحسبي أن باقات الورود الرقيقة التي أرسلتها لي ستشفع لك"

ابتسمت بخجل وقالت "كنت تعرف أني من أرسلها ؟"

رفع حاجبا مستنكرا وقال " بالطبع أعرف .. صحيح أن معجباتي كثر .. لكن قلبي حدثني أنها منك .. واكتشفت بعدها أنك تشاهدين أفلاما بوليسية كثيرة وبالتالي لم نستطع تتبع مكانك "

أطرقت برأسها وتمتمت " كنت خائفة أن أراكم .. احيانا أشعر أني شؤم على من أحبهم "

قال لها مطمئنا" لا تقولي ذلك .. الجميع يحبك بصدق وذهابك آلم الجميع .. وآلمني أنا شخصيا جدا .. فأنا أحب أن أرى الناس سعداء من حولي "

سألته بمحبة "كيف حالك؟ "

Des. Maryam Tamim

رد بهدوء "أنا سأخرج خلال أيام بعد أن خضعت لبعض جلسات الكيماوي .. والحقيقة أني سئمت من كل شيء .. المرض والأدوية والألم والناس والحزن والإحباط وكل شيء .. سئمت من كل شيء .. لا شيء يفرح "

قالت بلهجة مشفقة " سيمر كل هذا الوقت الصعب دائما ما أخبر نفسي بذلك "

رد بنبرة تشجيع " سيمر يا بانة إياك أن تفقدي الأمل مثلي .. وقت أن تفقديه .. صدقيني ستكون نقطة اللا عودة "

لاحت علامات الألم على وجهها فأسرع يقول ببعض المرح وهو يغمز لها " هل من جديد ؟(أطرقت بخجل ولم ترد فاستطرد يقول) أتمنى أن أسمع خبرا سعيدا قريبا .. اعتبروني حالة إنسانية وأسمعوني خبرا سعيدا "

ردت تغمز مثله " عليك بالخروج من هنا أولا حتى ندعوك إلى مناسباتنا السعيدة "

Des. Maryam Tamim

قهقه ضاحكا " أصبحتِ مشاكسة .. أو دعينا نقول ظهرت بانة الشقية على طبيعتها دون تحفظ (ثم أكمل وهو يميل برأسه ويغمز) وأصبحت أكثر جمالا .. على أي شيء كانت تتوحم الماما ؟"

مالت برأسها تقلد حركته ونظرت في عينيه تقول بشقاوة جملة قالها لها يوما " ليس من اللياقة ولا الرجولة معاكسة امرأة تخص صاحبك يا أستاذ "

انفجر ضاحكا حتى انتابه السعال .. وبعد أن هدأ سألها " هل اتخذتِ قرارك ؟"

أومأت برأسها ثم قالت " ولكني خائفة "

فقال مطمئنا " لن تندمي .. هل أبن سماحة يعلم بهذا الخبر ؟"

فقالت وهي تهم بالمغادرة " أنه خبر حصري لك. وإياك أن تخبره "

***

الحيرة والتردد يزاحمان رأس أروى .. تشعر بذنب كبير تجاه أحمد .. عليها أن تخبره بأمر عمرو ..

Des. Maryam Tamim

فالموضوع لم يعد سرا في قلبها وحدها الأمر انكشف لعمرو ولا تشعر بالراحة لعدم معرفته ..
ترى هل سيسامحها عمرو وينسى الأمر؟ ..
هل ستتأثر علاقته بأحمد في المستقبل ؟..
هل سيظل يذكر ما فعلته كلما تعامل مع أحمد ؟..
يا الله ما هذا الموقف السخيف الذي أصبحت فيه .. لابد أن عمرو يراها تافهة وقحة ..
ترى كيف سينتهي الأمر معه؟ ..
وكيف سيستقبل أحمد الأمر ؟ ..
يا الله .. أنا في وقت صعب ساعدني ..

رن جرس الباب فخرجت إلهام من المطبخ تفتح الباب .. وبمجرد أن أدركت من بالباب .. تركته مفتوحا ودخلت للمطبخ وهي تتمتم " كلمي يا أروى صاحبتك "

Des. Maryam Tamim

عقدت أروى حاجبيها باندهاش وتساؤل عن هوية صاحبتها .. فظهرت بانة تدخل من الباب وهي تضغط على شفتيها حرجا ..

صاحت أروى بفرح " بانة ! .. ما هذه المفاجئة !!"

اقتربت تقبل وجنتيها وهي تقول بلهجة ذات مغزى

" أتمنى أن تكون مفاجئة سعيدة "

همست لها أروى " اذهبي وراءها .. إنها تتدلل فقط "

عضت بانة على شفتها السفلى في حرج ثم لحقتها إلى المطبخ ..فوقفت وراءها وهي تفرك يديها في توتر قائلة "كيف حالك يا أمي؟ "

توقفت إلهام عما تفعل ثم أكملت وهي تقول بسخرية "لو كنت أمك فعلا لما تسللت هاربة دون أن تخبريني "

قالت بانة بتأثر " أقسم بالله كنت مضغوطة من كل شيء ومتألمة لما حدث لأحمد والشباب

Des. Maryam Tamim

ومتألمة من أجلك .. وشعرت أني السبب في كل هذا "

قالت إلهام وهي مازالت لم تستدير لها " لو كنت تعتبرين هذا بيتك فعلا لما فكرتِ في الابتعاد بل كنت تشبثت بنا ..(ثم خرج صوتها مختنقا بالبكاء وهي تضيف) ما ذنب ابني أن يختبر هذا العذاب برحيلك "

اقتربت منها بانة وقبلت كتفها قائلة " أنا أيضا كنت أتعذب بدونكم يا أمي يعلم الله .. لكني كنت أخشى أن أكون شؤم على كل من أحبهم "

استدارت إليها إلهام لأول مرة وهتفت" ما هذا الكلام عن التشاؤم .. كله مقدر ومكتوب .. "

قالت بانة وقد اغرورقت عيناها بالدموع " فعلت ذلك من حبي لكم اقسم بالله "

اغرورقت عينا إلهام بالدموع هي الأخرى قائلة "تعالي إلى حضني .. تعالي "

Des. Maryam Tamim

انفجرت بانة في البكاء دون سبب بمجرد أن ارتمت في حضن السيدة إلهام التي شاركتها البكاء وهي تربت على ظهرها بحنان ..

حين وصل الحاج سماحة بدا عليه الفرح الحقيقي لرؤية بانة بينما اسرعت هي عليه بشوق .. فربت على كتفها قائلا بلهجة موبخة " لا تفعليها ثانية يا بنيتي .. وإن كان أحمد يضغط عليك في أي موضوع بلغيني " فابتسمت بطاعة ومحبة .
أما آية فوقفت تطالعها من رأسها لأخمص قدميها حين وصلت من الجامعة وغمغمت " يا روائح الدول العربية الشقيقة .. لهذا شعرت بأن الجو خانق من أول دخولي الشارع "
فهدر صوت إلهام من داخل المطبخ " آية ! "
ردت آية باستنكار " ماذا! .. أرحب بها .. يكفي أني من وجدتها "

Des. Maryam Tamim

في نفس اللحظة رن هاتف أروى باسم عمرو ..
فارتبكت وحركت كرسيها نحو غرفتها وهي ترد "
نعم عمرو "
قال بلهجة ساخرة " أحببت فقط أن أخبرك أني
سأحقق لك أمنيتك حتى لا تشعري بالذنب .. أنا
قررت أن استمر في حياتي .. فلا تشعري تجاهي بأي
ذنب .. لقد اتفقت مع أمي أن نذهب لمقابلة فتاة
ما رشحتها لي .. رأيت صورتها وسألت عنها
ووجدتها مناسبة .. وخلال أيام سأزور عائلتها ."

كان كلامه كخنجر اخترق قلبها .. لكنها استنكرت
أن تشعر بهذا الشعور .. وهل كانت تتمنى غير
ذلك!.. فقالت بهدوء " مبارك لك "
رد عليها " سأرسل لك صورتها ع الوتساب
وأخبريني برأيك .. ألسنا أصدقاء؟ "

Des. Maryam Tamim

أغلق الخط وتركها تقاوم رغبة في البكاء .. ورن التنبيه لتجد صورة فتاة على قدر كبير من الجمال لا يتعدى عمرها الثلاثة وعشرون عاما محجبة وتبدو مريحة .

بعد دقيقتين اتصل مجددا " ما رأيكِ فيها ؟"

أدركت أنه لم يتخطى الأمر بعد وأن كرامته مازالت مجروحة بدليل أنه يحاول أن يثبت أن أمامه اختيارات كثيرة .. فقالت ببرود " رأيي في ماذا؟ .. أنا لا أعرفها حتى أحكم عليها "

رد ببرود مماثل " أنا أسأل عن جمالها ما رأيك فيها أليست جميلة "

ردت بسخرية " ألم تخبرني من قبل أنك لا تهتم بالجمال .. أم غيرت رأيك "

قال بهدوء " الجمال ليس من أولوياتي فعلا .. يكفي أن تكون مقبولة ..فأنا أبحث عن أمور أخرى أهم .. لكن أليس رائعا أن تكون جميلة أيضا "

Des. Maryam Tamim

ابتسمت في ألم وقالت " لا تغتر بالصورة انتظر حتى تراها بملء عينيك "

علت ضحكته وبرغم أنها كانت باردة صقيعية لكن قلبها قفز من موضعه لسماعها.. ثم سمعته يقول ساخرا " لا تقلقي عليّ .. لقد استوعبت الدرس جيدا .. عموما أنا أقدر نصائحك . .. يا .. صديقتي العزيزة .. سلام "
أغلق الخط فاسندت جبينها على كفها تحاول السيطرة على احتراق أعصابها ..

في الصالة اقتربت آية من بانة تقول في همس "طبعا أنت مبتهجة أن يعرض عليك أحمد الزواج للمرة الثانية .. وتتصنعين الدلال في الموافقة حتى تداري لهفتك على الزواج وتصحيح أوضاعك في هذا البلد "

Des. Maryam Tamim

بالرغم من غيظها من تلك المستفزة التي افتقدتها لكنها ابتسمت لها ابتسامة باردة ثم نفشت كتفيها بخيلاء وتخصرت تهمس لآية بإغاظة " الحقيقة أنا في حيرة شديدة يا آية .. ولم أحسم أمري بعد .. هل أقبل بعرض أحمد للزواج بي .. أم أقبل بعرض كامل .. تعرفينه الضخم الذي كان يدافع عني في المطعم .. إنه ابن صاحب المطعم والفيلا التي أعيش فيها .. ادعي لي يا آية أن أتخلص من حيرتي قريبا "

حدقت فيها آية بصدمة فأشارت لها بانة بدلال وأضافت " سألحق بأمي في المطبخ .. فهي تفرح جدا بمن يساعدها "

وتحركت أمامها بخيلاء بينما آية تتأمل قدها الطويل بحاجب مرفوع في غيظ .

***

في المساء :

Des. Maryam Tamim

تجاوزت الساعة الواحدة صباحا وأروى تتقلب بصعوبة في سريرها .. ظهرها يؤلمها وأشفقت أن تنادي والدتها لتدهنه لها بالمسكنات .. فتناولت حبة مسكن وودت لو تجد حبة مهدئ تريحها قليلا .. لكنها لم تذكر أين وضعته ..

حاولت مرارا وتكرارا التفكير في الصيغة التي يمكن أن تخبر بها أحمد بالأمر .. وتتخيل سيناريوهات كثيرة لرد فعله لكن أسوأها كان أن تغضبه منها.... ألا يتفهم أسبابها أن تشعره بالخزي والحرج أمام صاحب عمره .

تنبيه على الواتساب من عمرو وصلها " هل أغلقتِ حساب ميمين على الفيسبوك ! "

تمتمت بغيظ " لماذا مازال مستيقظا "

كتبت باقتضاب " أجل "

كتب ببرود " لماذا؟ "

Des. Maryam Tamim

ردت بسخرية " الحقيقة ليس لدي مزاجاً لاصطياد المزيد من الشباب للحديث معهم على الانترنت "

أدرك أنها مازالت مجروحة من سؤاله الفظ لها منذ يومين .. والمفروض أن ذلك يشعره بلذة الانتقام كما كان يرغب أول ما أكتشف الأمر .. لكنه يتألم .. ومشاعره تبدو له كاللوغاريتمات لا يستطيع تفسيرها .

كتب لها " كنت أرغب في إرسال مقطعا من أغنية سمعتها صدفة فأعجبني .. سأرسله لك .. تصبحين على خير "

ضغطت أروى على الرابط ليصدح صوت أم كلثوم :

وعودك في الخيال غالية عليّ
وأجمل من حقيقة بين إيديا
وأصدق كل كلمة قلتهالي
وأكذب في هواك ظني وعنيا

Des. Maryam Tamim

اجهشت بالبكاء بمشاعر مرتبكة ..
لم تعد تفهمه أو تقرأ افكاره ..
ماذا يريد منها ..
ماذا يريد ...
ألن ننتهي من هذا العذاب ونغلق هذه الصفحة يا ربي !.
***
تقلب احمد في سريره بقلق .. يقاوم رغبة ملحة للاتصال بها حتى لا يضغط عليها .. لكنه لا يستطيع تحمل ذلك لا يستطيع..
لقد مر يومين .. يومين كاملين .. هل الأمر صعبا لهذه الدرجة ؟ .
الأمر يحبطه جدا .. كان يتوقع عندما طلب منها أن تضعه في كفة قراراها أن هذا سيحسم الأمر لصالحه بمنتهى السهولة ..
هل كان مغرورا لهذه الدرجة وواثقا في حبها له !

Des. Maryam Tamim

قام من السرير وتحرك في الغرفة كأسد محبوس والهاتف في يده .. هل يتصل بها .. ماذا سيقول "ماذا قررتِ بشأني ؟"!!
الأمر محرج وكرامته لا يعجبها ذلك أصلا .

فتح الهاتف بسرعة واتصل بسيد .
فتح سيد عينيه بانزعاج من صوت الهاتف بجانبه .. ونظر في الهاتف ليجد اسم أحمد .. فرد في قلق قائلا بصوت أجش خشن من أثر النوم " ماذا هناك يا أحمد هل الجميع بخير ؟"
قال أحمد ببرود " منذ متى وأنت تنام قبل الفجر .. هل أصبحت مستقيما إلى هذه الدرجة ! "
أغمض سيد عينيه وفرك جبينه يحاول التركيز وقال " ماذا تريد خلصني .. عندي موعد هام صباحا "
قال أحمد متسليا " اصبحت مهما ولديك مواعيد يا ابن صبرة "

Des. Maryam Tamim

رد سيد بغيظ " تكلم يا بن سماحة ولاحظ أني امسك لساني عنك لأن زوجتي بجواري لكن لن استطيع تحمل ذلك كثيرا "

قال أحمد بابتسامة باردة " أرسل لي أغنية أرسلها لبانة .. أريدها أن تعبر عن حالي وحالها .. وأريدها أن تتغلغل في وجدانها وتخبرها بكل شيء .. كل شيء يا سيد .. أريدها .... ألو .. ألو .. سيد ! "

كان سيد قد أغلق الخط في وجهه .. فرفع أحمد حاجبا مستنكرا .. وهم بالاتصال به مجددا في غيظ عندما سمع تنبيها على الواتساب من سيد يرسل له رابط أغنية .. بمجرد أن تعرف عليها حتى صاح بإعجاب وتمتم " رائع .. إنها ما أريد .. كيف تاهت عني هذه الأغنية .. كان من الممكن أن أجدها بسهولة "

أرسل لسيد على الواتساب " شكرا يا ولد .. مُر علينا سنترك لك عشاءك بجوار عتبة الباب "

فرد عليه سيد بشتيمة وقحة .

Des. Maryam Tamim

تحرك في حماس وأرسل لها على الواتساب " هل أنت مستيقظة "

ردت عليه بسرعة "اجل "

تحمس وكتب " إسمعي هذه الأغنية فورا وبعدها سأتصل بك "

اعتدلت بانة في السرير وضغطت على رابط الأغنية فصدح صوت الست وردة "

وعملت إيه فينا السنين عملت إيه ..

فرقتنا لا .. غيرتنا لا .. ولا دوبت فينا الحنين

لا الزمان .. ولا المكان .. قدروا يخلوا حبنا دة يبقى كان ..

وبحبك ..

والله بحبك..

قد العيون السود بحبك ..

وأنت عارف .. قد إيه كتيرة وجميلة ..

Des. Maryam Tamim



اعتدلت بانة وقلبها يقفز كالأطفال بداخل صدرها .. لا تصدق ما تعيشه هذه الأيام .. وكأنها محلقة فوق السحاب .

أكمل صوت وردة :

قد أغاني الصبر بحبك
وأنت عارف قلنا إيه فيها كل ليلة
وقال معانا الناي في سهرنا يا حبيبي
قد الي فات من عمري بحبك
وقد الي جاي من عمري بحبك
وشوف قد ايه بحبك

لا تعرف لماذا تذكرت في تلك اللحظة أول مرة قابلته فيها .. بوجهه العابس المتجهم وهو يصارع ذباب وجهه ويصيح فيها بغضب " أغرب عن وجهي الآن "

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تسمع باقي الأغنية الي كان هو الي كان



قدروا يغيروا في يوم الزمان

رن جرس الهاتف ليقطع الأغنية وجاء صوت أحمد يقول " هل استمعت لها كاملة ؟"

ردت بصوت باك " أنت غليظ كالعادة .. لم تنتهي الأغنية بعد "

سألها بقلق "لماذا تبكين ؟."

مسحت عينيها وقالت " تذكرت أول مرة رأيتك فيها .. كنت تصارع ذباب وجهك تحت حرارة الشمس الحارقة .. يومها صحت في وجهي بأن أغرب عن وجهك ولكن يبدو أن القدر لا يستجيب لنا مهما حاولنا أن نبعد عن بعض " .

سألها بتأثر " هل هذا يعطيني بعضا من الأمل أننا لن نفترق ؟"

قالت بصوتها المتأثر " أريدك أن تعلم أني لا أفعل ذلك لأني مترددة .. أنا خائفة عليك "

ردد مجددا " هل هذا يعني أنكِ قد اتخذت قرارك؟"

قالت بصدق " لم يكن القرار صعبا عندما سرت بالخطوات التي أخبرتني بها.. أن اضع وجودك في حياتي في كفة وأرى أي الكفتين سترجح .. قلبي أم عقلي "

قال بعصبية من بين أسنانه " تبا يا بانة .. انطقي .. سأصاب بنوبة قلبية أقسم بالله "

تجاهلته بتسلي وقالت " لم أستطيع أن أسمع الأغنية كاملة يا أحمد .. لقد أفسدت مزاجي "

جز على أسنانه يقول " اقسم بالله لو جئت لك الآن سأدق عنقك يا مستفزة "

ردت ببرود وهي تستمتع باستفزازه " عند أي مقطع قطعت الأغنية علي .. أه تذكرت "

أجلت بانة صوتها وبدأت بالغناء وقد ارتفعت درجة حرارة الغرفة واشتعلت وجنتاها "

Des. Maryam Tamim



لا الزمان .. ولا المكان . قدروا يخلوا حبنا دة يبقى كان ..
كل ليلة .. من ليالي البعد عدت عليا ..
وأنت مش جنبي يا روحي .. يا نور عنيا ..
وحبي فيها كان بيكبر من ليلة وأكتر ..
والله من ليلة وأكتر ..
قد كل الليالي ديا وأكتر شوية .. بحبك ..
وقد عمري ونور عنيا يا نور عنيا .. بحبك ..

جحظت عينا أحمد في صدمة وصوتها الانثوي يتسلل إلى أذنه وضربات قلبه تهدر بجنون كمفرقعات العيد .. فتسمر كتمثال خشبي مذهول .. وحين صمتت تتنظر رد فعله في حرج قال لها " انتظري ... وإياك أن تنامي "
وأغلق الخط ..

Des. Maryam Tamim

نظرت في صدمة للهاتف ولم تفهم شيئا وتمتمت في حيرة " ماذا حدث؟ .. أين ذهب؟ ..هل فهم ما أردت أن أقوله أم ظهرت أمامه تافهة ومبتذلة ؟"

ظلت تحدق في الهاتف في حنق من نفسها وشعرت بالحرج .. ما هذا العرض المبتذل الذي قدمته منذ قليل ؟!.

بعد نصف ساعة رن الهاتف مرة أخرى ففتحت بسرعة ليقول أحمد " أخرجي إلى الشرفة "

سألت بغباء "أي شرفة ؟"

فرد " شرفة غرفتك يا بانة "

غطت شعرها وخرجت جاحظة العينان ..ووقفت تتأمله في ذهول ..كان يقف في الشارع خارج سور الحديقة الصغيرة الخاصة بالفيلا وهاتفه على أذنه

..

سألته باندهاش عبر الهاتف " كيف وصلت بهذه السرعة "

Des. Maryam Tamim

صمت قليلا يتأملها ثم قال " الطريق خالي في هذا الوقت من الليل وقدت بسرعة جنونية كي أصل قبل أن تنامي "

هتفت بجزع " أحمد إياك أن تفعل ذلك مجددا أرجوك "

قال بهدوء " ما دمتِ منعدمة الضمير يا بانة فهذا سيكون حالي للأسف "

ردت بعدم فهم " أنا يا أحمد "

رد بنفس الهدوء" بالطبع أنت .. إذا كنت قد قررت أن تخبريني بقرارك عبر الهاتف .. وتدغدغي مشاعري بصوتك عبر الهاتف .. وتخبريني بالكلمة التي جف ريقي لكي أسمعها منك عبر الهاتف .. أي كائن قاس أنت .. ها ؟"

ابتسمت في خجل وهمست باسمه .

قال بهدوء وهو مازال يتأملها ويود لو يقتحم البيت ويصعد إليها فورا " أريد ترضية"

Des. Maryam Tamim

فلتت منها ضحكة خافته انثوية فزفر في حرارة
وقال " أخبريني عن مشاعرك تجاهي "
اعترضت تقول " أحمد !"
قال ببعض الحنق "ماذا! .. الا استحق منك أي
كلام يقال .. لي أنا .. يخصني أنا أحمد "
ردت دون أن تفكر " على الرغم من أنك فظ
ومغرور ومستفز ووقح .."
قاطعها يقول " جزاك الله خيرا يا بنت الناس ..
اذهبي لغرفتك"

لكنها أضافت بصوت مرتجف " لكن في الحقيقة ..
أنت تستحق كل الكلام الذي خلق في الرجال يا
أحمد .. أتمنى أن تأتيني الفرصة لأثبت لك أنك
لست بالنسبة لي فرصة مناسبة .. أنا لو كنت
أبحث عن فرص مناسبة لكنت اخترت طريقا آخر
.. فأنت .. أنت حبيب الروح .. وستظل هكذا حتى
لو فرقتنا الحياة والبلاد .. ستظل أنت الشخص

Des. Maryam Tamim

الاستثنائي الذي ظهر في عالمي فجأة يحطم كل قواعد المنطق .. شعاع الضوء الذي اهتدي به في ظلمة حياتي "

عم الصمت بينهما للحظات .. فأجلت صوتها تقول " لمَ أنت صامت ؟.. ربما لم أوفق في التعبير عن شعوري تجاهك وخرجت الكلمات مني لا تعبر عما أشعر به حقا و .. "

قاطعها فجأة يسأل " هل هذه الشجرة بجوار شرفتك تبعد حوالي نصف متر كما أراها أم أكثر؟"

شعرت بالارتباك من سؤاله الغريب فحدقت في الشجرة قليلا ثم سألته " لماذا تريد أن تعرف ؟"

رد عليها" أفكر كيف أصعد إلى الشرفة الآن"

تخضبت بالحمرة وهمست " يا مجنون! "

علا صوته فجأة في غيظ " وهل لازلت تعتقدي أن قواي العقلية مازالت سليمة بعد ما مررت به معك يا دكتورة "

Des. Maryam Tamim

ارتبكت من صوته العالي وأخذت تنظر حولها في الشارع الهادئ وقالت " أششش .. ستفضحنا "
تجاهلها وقال " غني لي مجددا "
همست بحنق " أحمد كف عن هذا واذهب هيا "
تطلع لهيئتها الماثلة أمامه من الشرفة وود لو يحمل منظارا يقرب له الصورة بتفاصيلها ثم قال ببعض التهديد " غني لي وإلا سأغني أنا .. ولا تلومين إلا نفسك بعدها "
أفلتت منها ضحكة أنثوية حركت رجولته فقال بعاطفة ملتهبة " أحبك يا بانة ..ولو أخبرني أحد قبل أن ألتقيك أني سأقف يوما ما في الشارع أتطلع لشرفة فتاة وأنطق بهذه الكلمة لكنت قتلته ومصمصت عظامه .. لكنك أتيت من بلدك لتقلبي لي كياني كله .. ومع هذا .. وبالرغم من أني أشعر أني أبله الآن في وقفتي هذه .. لكني أكررها .. أحبك يا بانة الخازن "

Des. Maryam Tamim

فُتح باب الفيلا فجأة .. فأجفل أحمد يحدق في العم غنيم الذي خرج بمنامته متخصرا ينظر إليه بهدوء .. بينما شهقت بانة واختفت في الداخل بسرعة .

أنزل أحمد الهاتف من على أذنه في حرج فبادره العم غنيم يقول من بين أسنانه " ألن نستطيع النوم في هذا البلد أبدا ؟!"

قال أحمد " مساء الخير يا عمي "

رد العم غنيم في استهجان " بل قل صباح الخير نحن في الثالثة صباحا "

قال أحمد ببرود " من الجيد أني رأيتك يا عمي .. لقد وافقت بانة على الزواج مني "

تكتف العم غنيم ورد بامتعاض " أعلم "

اتسعت عينا أحمد يقول " لمَ لم تخبرني يا عماه!"

رد العم غنيم " لأنها أخبرتني في وقت متأخر وكنت سأتصل بك في الصباح "

Des. Maryam Tamim

قال أحمد ببشاشة " ها أنا قد جئت إليك بنفسي .. دعنا نتفق على التفاصيل "

جحظت عينا الرجل وقال " الآن !!!!!!!!! "

رد أحمد بنفس البشاشة المستفزة " خير البر عاجله يا عمي "

جز العم غنيم على أسنانه وقال " اذهب من هنا فورا وإياك أن تقف هذه الوقفة مرة أخرى أمام بيتي في وقت متأخر حتى لو كنت زوجها .. المرة القادمة سأتصل بالشرطة "

رد أحمد في برود " ومتى سنتفق إذن على باقي التفاصيل "

انتفخت عروق العم غنيم من الغيظ وقال " غدا الساعة الخامسة مساء أهلا وسهلا بك وبأهلك .. لا تدخل بيتي إلا بأهلك .. هيا اذهب من هنا "

تراجع أحمد نحو سيارته وهو يتمتم من بين أسنانه " عمت مساء "

***

Des. Maryam Tamim

عند غروب اليوم التالي كان أحمد يجلس في خيلاء في صالون فيلا آل غنيم ..ولم يخفى عليه عدم وجود كامل ولا نظرة شامل إليهم التي تحمل بعض الحزن .. مما أكد له شكوكه .. فكامل هذا يحمل مشاعر خاصة لبانة وبالتأكيد قد عرض عليها الزواج .. وهذا ما جعله يصر على عقد القران خلال أسبوع وأن يكون الزفاف بعدها بأسبوع فهو لن يتحمل أن تظل بانة في نفس البيت مع كامل وتوأمه .

رد عليه العم غنيم بسخرية " ولماذا لا يكون عقد قران وزفاف غدا .. لماذا تنتظر أسبوعين كاملين يا رجل !"

استشعر أحمد سخرية الرجل لكنه قال ببرود "لأن لي صديق بالمستشفى وسيخرج خلال أيام "

تدخل الحاج سماحة في لباقة يحاول تقريب وجهات النظر وقد استشعر من أول الجلسة أن الرجل لا يستسيغ أحمد " نعلم أننا نضغط عليكم

Des. Maryam Tamim

في المدة لكن أنت تعرف حماس الشباب .. والحقيقة أنا أيضا متعجل .. نريد أن نفرح .. مضى وقت طويل لم نستشعر الفرح "

رد العم غنيم بمحبة " طلبك فوق رأسنا يا حاج سماحة ولن نرده .. والحقيقة نحن يشرفنا أن نناسبكم .. فنحن كما تعلم أغراب في هذه البلد لذا كان لزاما علينا السؤال عنكم .. وما علمناه عنكم والله أسعد قلوبنا أن نناسب من عائلتكم "

رد الحاج بحرج " الشرف لنا والله يا حاج غنيم"

اعترضت الخالة سوسو التي تجلس في كامل أناقتها كالعادة وقالت " لكن اسبوعين قليل جدا أن نجهز حاجيات العروس "

ردت إلهام بلباقة " إن شاء الله سيدبر الأمر لا تقلقي .. ومالا نستطيع تجهيزه الآن .. يجهز فيما بعد "

Des. Maryam Tamim

مطت الخالة سوسو شفتيها في عدم رضا بينما كان أحمد تائه في عالم آخر .. عالم يضمه هو وبانة التي تجلس أمامه في ثوب زهري مذيب للأعصاب .

***

حين عاد آخر السهرة منتشي بالسعادة .. دخل على أروى يبشرها ويحكي لها ما تم خلال اللقاء .. فوجدها في حال لم يعجبه .. وهي تخفي آثار البكاء عن وجهها .

سألها وهو يقترب منها " ماذا بك .. منذ فترة وأنت لست على ما يرام .. هل أنت مريضة ؟.. هل آلام ظهرك غير محتملة؟ .. أريد تفسيرا يا أروى "

ردت بهدوء " كنت أود أن أنتظر لبعد زفافك حتى لا تتأثر بما سأقول لكني غير قادرة على إخفاء الأمر عنك أكثر من ذلك ..

أنا ..

ميمين ..

المرأة التي يحدثها عمرو على الأنترنت .

Des. Maryam Tamim



الفصل العشرون

حين عاد أحمد آخر السهرة منتشي بالسعادة .. دخل على أروى يبشرها ويحكي لها ما تم خلال اللقاء .. فوجدها في حال لم يعجبه .. وهي تخفي آثار البكاء عن وجهها .

سألها وهو يقترب منها " ماذا بك ؟ .. منذ فترة وأنت لست على ما يرام .. هل أنت مريضة ؟.. هل آلام ظهرك غير محتملة؟ .. أريد تفسيرا يا أروى "

ردت بهدوء " كنت أود أن أنتظر لبعد زفافك حتى لا تتأثر بما سأقول لكني غير قادرة على إخفاء الأمر عنك أكثر من ذلك .. أنا .. ميمين .. المرأة التي يحدثها عمرو على الأنترنت "

تجهم وجهه وقال " لم أفهم !"

قالت باضطراب " ألا يتحدث عمرو مع امرأة على الإنترنت؟"

ضيق عينيه وسأل باستغراب " كيف عرفتِ؟ .. هل أخبرك ؟ "



قالت بارتعاش " أنا أعرف وحدي .. لأن هذه المرأة هي .. أنا "

لاحت علامات الخطر على وجهه وقال بهدوء مرعب " أعيدي مجددا لأني لم أفهم شيئا .. أنت تعرفين أن عمرو يتحدث مع امرأة على الانترنت .. وتعرفين هوية هذه المرأة ....أنها ؟ .. .. "
وصمت ينتظر ردها فقالت وهي تفرك كفيها بحرج "أنا.. "
جحظت عيناه في عدم تصديق فأسرعت تقول "الأمر كله كان صدفة بحتة .. ثم وجدته جميلا أن.. أن نتحدث دون هويات أو التزامات .. لم أحسبه سيتملكه الفضول لمعرفة تفاصيل عني "
سأل باستنكار وهو لم يزل في مرحلة عدم استيعاب الأمر " كيف لم يعرفك ؟!!"
ردت بهدوء " كنت أحدثه من حسابي القديم "

Des. Maryam Tamim

حدق فيها مجددا بعدم تصديق وقال بتردد " Mi Min !"

أومأت برأسها بنعم وهي ما زالت تراقب رد فعله.

هدر فيها بذهول " المرأة التي يتحدث معها عمرو منذ ما يقرب من عامين .. هي أروى سماحة!!!!!!"

ردت باضطراب " قلت لك حدث الأمر صدفة "

تأجج الغضب في عينيه وهدر فيها " ولماذا تخبريني الآن !!.. بعد العامين !!!"

قالت بعصبية " لأنه لم يعد سري الصغير الذي أخفيه في قلبي .. فعمرو قد علم أنها أنا "

ازداد جحوظ عينيه وشحب وجهه وهو يسترجع حال عمرو مؤخرا فسألها "أنت من اتصلت به على الهاتف منذ مدة ؟!!!!"

ردت بلهجة نادمة " أجل ولم يتعرف على صوتي أول الأمر "

فأكمل لها وهو يستوعب الصورة الكاملة "واكتشف هوية صاحبة الرقم عن طريق شركة الاتصالات "

Des. Maryam Tamim

فردت بسرعة " يبدو ذلك لأني كنت أتحدث من رقم جديد كانت آية قد أشترته لي"
استعر الغضب أكثر في عينيه وردد " آية!! .. وآية أيضا تعرف بالأمر؟؟؟؟؟ "
قالت مصححة بسرعة " لا لا .. لا أحد يعرف بهذا الأمر إلا عمرو .. وأنت "
اقترب منها يحدق فيها بغضب وقال بفحيح مرعب " من يبحث عنها عمرو هي أروى سماحة ! .. أروى سماحة هي المرأة التي يحادثها عمرو ! .. أختي أنا .. تتسلى مع صاحبي متخفية!"
ردت مدافعة " الأمر لم يكن بهذا الشكل صدقني ... الأمر .. .."
لطمها على وجهها بعنف وهو يهدر فيها " هل فقدت قواك العقلية يا أروى !!! .."

أغمضت عينيها تداري إحساسها بالإهانة من لطمته .. وتتحاشى ذلك الألم الذي لاح في عينيه

Des. Maryam Tamim

فأمسكها أحمد من كتفيها يهزها بعنف قائلا
"أخبريني يا أروى أن ما قلتِه منذ قليل كان مزاحا ..
لو كانت آية من فعلتها لكان الأمر قابلا للتصديق ..
لكن .. أنت ! .. أنت يا أروى !!"
تركها وأخذ يتحرك أمامها بعصبية ويفرك رأسه
بكفيه ويتمتم " لا أصدق . لا أصدق !"

بعد لحظات هجم عليها مجددا وغرز أصابعه في
لحم ذراعها بعنف " لماذا؟ .. أخبريني لماذا يا أروى
... لا أصدق أنك كنت تتسلين .. مهما وصل بك
الجنون لن تفعليها لهذا السبب "
انفجرت فيه بعصبية " قلت أردت الحديث معه ..
أنا لم أطلب الكثير .. ولا أجرؤ على تمني أكثر من
ذلك منه.. منذ سنين طويلة وأنا متقبلة قدري ..
ولا أحملكم همّا.. ولا أفتعل المشاكل .. ألأني
تمنيت شيئا بسيطا تنقلب الدنيا هكذا وتنصب لي
المحاكمات .. ارحموني "

Des. Maryam Tamim

شعر أحمد بالصدمة مما قالت .. وسقط قلبه في قدميه من النظرة التي لمحها في عينيها قبل أن تدفن وجهها في كفيها بانهيار ..فانحنى نحوها أكثر يحاول ابعاد كفيها عن وجهها وهو يقول بإصرار " أخبريني لماذا هو بالذات .. ارفعي رأسك وأخبريني " حين لم تستجب رفع رأسها بنفسه وثبت ذقنها عاليا فأسبلت جفونها تتحاشى النظر إليه وهو يقول بإصرار "انظري في عيني يا أروى .. أخبريني " رفعت إليه ناظريها تحدق في عينيه بصمت لكن ما قرأه فيهما كان صادما له ..

صادما جدا ..

فترك ذقنها وهو يبتعد عنها متمتما بذهول "عمرو! .. عمرو القاضي ! "

دفنت وجهها في كفيها مجددا في حرج فسألها بنفس الذهول " منذ متى ؟"

ردت بخفوت" منذ سنين طويلة تعبت من عدها .. من قبل الحادث" .

Des. Maryam Tamim

صمت قليلا وهو يتأملها مصعوقا وهي مطرقة برأسها تفرك يديها في حجرها ...

بعد قليل من الصمت قال بهمس عاتب "هل أنا أخ سيئ لهذه الدرجة لتحتفظي بهذا الأمر في قلبك دون أن تخبريني كل هذه السنوات ؟!!! "
هتفت في جزع " ليس الأمر كذلك "
ضيق عينيه ثم قال " وهل هو يعرف أنك تكنين له مشاعر خاصة ؟"
أسرعت تجيب برعب "لا لا .. عمرو لا يعرف شيء عن ذلك .. هو يعتقد أني كنت أتسلى "
أطرق أحمد يتمتم " إذن هو يعرف هوية صاحبة الرقم منذ شهرين تقريبا .. ولم يخبرني "
انهمرت دموعها وقالت " أحمد أنا آسفة لم أتخيل أن تتحول الأمور إلى هذا الحد أقسم بالله "

Des. Maryam Tamim

هدر فيها مجددا بعصبية وهو يحاول استيعاب كل هذه الأمور التي كانت مخفية عنه " أصمتي يا أروى .. أصمتي "

فُتح باب الغرفة ووقف الحاج سماحة غاضبا يقول " لماذا يعلو صوتك هكذا !"

ثم نظر لأروى التي أشاحت بوجهها بعيدا تمسح دموعها وقال بغضب " لماذا تزعجها ؟.. انزل لشقتك ولا يعلو صوتك في وجهها مجددا "

تحرك أحمد في صمت خارجا من الغرفة وهو يطحن أسنانه .. ثم سُمع باب الشقة يغلق في عنف.. فأقترب منها الحاج سماحة يربت عليها في حنان لتبتسم بعينيها الحمراوين تطمئنه .. فقال لها "هل أضربه ؟"

اتسعت ابتسامتها وقالت " لا تضربه .. فانا التي أزعجته هذه المرة .."

قبل رأسها فسحبت يده تلثمها ثم رفعت ناظريها إليه تقول " لا تقلق علي يا أبي "

Des. Maryam Tamim

بعد قليل تركها الحاج وخرج من الغرفة فرفعت يدها تلمس موضع لطمة أحمد على وجهها وتبكي بحرقة.

***

خرج عمرو من مصعد العمارة ليقابل أحمد الذي أصر عليه أن ينزل فورا ويقابله .. طالعه عمرو ببعض القلق وخاصة لأنه كان يعلم أنه سيزور بانة اليوم مع أهله للاتفاق على تفاصيل الزواج .

بادره أحمد بلهجة هادئة وبعض الحرج " لماذا لم تخبرني ؟"

سأله عمرو بهدوء " بماذا ؟"

رد أحمد وهو يجز على أسنانه " بأمر أروى "

رفع عمرو حاجبه في كبرياء وقال " ما بها أروى؟"

هدر أحمد بعصبية " تبا .. لا تتحاذق .. لقد أخبرتني أروى بكل شيء منذ قليل "

طالعه عمرو ببرود " هذا شأنكما معا "

Des. Maryam Tamim

اشتغل الغضب في عيني أحمد وقال " لماذا لم تخبرني أنها أروى سماحة؟؟؟؟؟ "

وضع عمرو يديه في جيبه وقال ببرود" لأن الأمر بيني وبين أروى سماحة ولا دخل لك به "

هدر أحمد فيه بعصبية " كيف لا دخل لي ! .. إنها أختي "

طالعه عمرو بعينين باردتين فاستدرك أحمد بضيق وحرج " أنا أسف يا عمرو .. أنا .. أنا لا أعرف ماذا أقول "

رد عمرو بنفس البرود " اذهب لبيتك يا أحمد "

ثم استدار يدخل بوابة العمارة في هدوء قاتل .

***

حين عاد أحمد للبيت مجددا لم يستطع النوم فصعد للسطح يقوم ببعض الملاكمة ينفس فيها عن مشاعره بعد الاكتشافات الصادمة له في الساعات الماضية ..

Des. Maryam Tamim

مشاعره كانت مزيجا من الغضب والإحباط والدهشة .. والوجع على أروى .. والحرج من عمرو ..

لكن أكثر ما أوجعه أن تخفي عنه أروى أمرا جوهريا كهذا .

عند نسمات الفجر أخذ حماما وخرج ليصلي الفجر في المسجد .. وتعمد أن يذهب لمسجد آخر غير الذي يصلي فيه عمرو.. يتحاشى الالتقاء به مؤقتا حتى يلملم مشاعره ويحدد كيف سيتصرف في الأمر..

لأول مرة يقام حاجز بينه وبين عمرو ..
لأول مرة يواجه أمر يتحاشى الحديث فيه معه ..
وكان ذلك خانقا مرعبا بالنسبة له .

Des. Maryam Tamim

بعد أن فرغ من الصلاة ركب سيارته ودون إرادة منه وجد نفسه أمام فيلا آل غنيم .. لتخرج له بانة بعد قليل أمام البوابة مذعورة ترتدي عباءة ووشاحا على رأسها .. وطالعت وجهه المتجهم بقلق فمد يده واحتضن كفها في صمت وسحبها ليعبر الطريق نحو الرصيف المقابل للفيلا وهي مستسلمة تتطلع إليه بتوجس .. وجلسا على أريكة رخامية ..
بعد قليل تأملت جذعه المائل للأمام يسند بمرفقيه على فخذيه شاردا في وجوم بعد أن لخص لها ما حدث.. وبالطبع تفاجأت بخبر مشاعر أروى لعمرو وأشفقت عليها جدا ..

بعد فترة من الصمت أجلت صوتها وقالت " حين أنظر لظروف أروى لا أجد ما فعلته أمرا مشينا .. هي أرادت بعضا من الدفء في حياتها الباردة الوحيدة .. من الرجل الذي تحبه .. ورغبتها بأن تتعامل معه دون قيود أو تفاصيل أجد أن عندها

Des. Maryam Tamim

بعضا من الحق أيضا .. أم أنك تستنكر أن تبادر هي بالحديث مع الرجل الذي تحبه ؟.. لو كانت رجلا لما استنكرت عليها ذلك !"

حدجها أحمد بنظرة جانبية ساخرة ثم قال " حان الأن موعد فقرة (نون النسوة) لبانة الخازن "

قضمت شفتها بغيظ وقالت "مازلت غليظا كما أنت "

فرد عليها باستهزاء " ومازلتِ متفزلكة كما أنت "

صمت قليلا ثم قال موضحا " لا أنكر أني غضبت في أول الأمر لكن حينما صدمت بمشاعرها نحو عمرو أشفقت عليها جدا.. بالإضافة لانزعاجي من أمرين.. الأول .. ألمي من أنها لم تخبرني طيلة هذه السنين .. كنت أتخيل أن ما بيننا ليست مجرد علاقة عادية بين أخ وأخته .. وعلى الرغم من غيرتي الشديدة عليها إلا أني كنت أعد نفسي لليوم الذي ستخبرني فيه أنها عاشقة لرجل ما (صمت قليلا ثم استدرك بغيظ) حتى أذهب وأضربه طبعا "

Des. Maryam Tamim



ابتسمت بانة ثم سألته" والأمر الآخر؟ "
رد أحمد " الأمر الآخر أني محرج من عمرو جدا .. ولم أتوقع أن يأتي اليوم الذي يقام فيه حاجز بيننا وأكون أمامه مكسور النفس .. أنت ربما عاصرت بعضا من أحداثنا .. الفتاة قلبت حال عمرو .. والأمر لم يكن أبدا مجرد علاقة على الانترنت .. كما أني أخشى على أروى من عمرو إن غضبه سيئ جدا .. وخاصة لو تعلق الأمر بكبريائه .. غضبه يكون باردا وحادا كنصل سيف مسموم .. وإذا آذى أروى لن أرحمه وستكون القطيعة بيني وبينه للأبد "
أدركت بانة ما يخشاه جيدا .. إنه يخشى أن يفقد صديقه .. فردت بهدوء " بالنسبة للأمر الأول ربما خجلت أن تخبرك "
حدجها بنظرة باردة وقال " ليس بيني وبين أروى هذا الخجل "

Des. Maryam Tamim

ابتسمت لغروره ثم قالت " مهما وصلت علاقتكما سيظل هناك خيط رفيع من الخجل من جانبها إنها فطرة الأنثى "

تأملها قليلا ثم أشاح بوجهه وهو يمط شفتيه بامتعاض فابتسمت للتعابير الصبيانية التي تعلو وجهه .. فما لاحظته أن أروى دوما تستفز وترا طفوليا بداخل أحمد .

أكملت تقول " بالنسبة للأمر الثاني .. أنت قلت أن فتاة الانترنت قلبت كيان عمرو وأنه فاجأكم ببعض الأمور الغريبة عن شخصيته بسبب هذا الموضوع .. فلماذا تفترض أنه سيؤذي أروى أنا لا أتخيل عمرو يفعل ذلك .. ليس بعد العلاقة التي تربط بينك وبينه .. وليس بعد العشرة الطويلة .. وليس بعد علاقته بأروى نفسها ومكانتها كابنة الحاج سماحة لا أتوقع ذلك ".

Des. Maryam Tamim

قال أحمد مدافعا " أنا لا أقصد أنه سيفعل ذلك متعمدا .. أنا أخشى أن يعميه غضبه ويخل بتوازنه النفسي .. ومن ناحية أخرى لو تحكم بغضبه سيكون من أجل الاعتبارات التي قلتِها وهذا سيؤلمني أن يكبت الأمر بداخله وسيبقى حاجزا نفسيا بيني وبينه.."

اشفقت بانة عليه من هذا العبء النفسي فمسدت على ذراعه بتعاطف تقول بلهجة حانية " أنت تستبق الأحداث .. انتظر لنرى تابعات الأمر ووقتها تفكر في حلول .. وأعتقد أن صنع أوضاع مثالية في حياتنا أمر صعب ولابد أن نتخلى آسفين عن جانب مهم من أجل جانب آخر أهم .. هذه هي الحياة وعلينا أن نتقبلها "

سرت الكهرباء في جسده من كفها الذي يمسد ذراعه من فوق السترة.. فسحب كفها وانحنى

Des. Maryam Tamim

رأسه يقبل باطنه الطري الذي كان يستفزه يوما ما
..ثم قبّله قبلة أخرى ثانية وثالثة ..
همست بانة باسمه في اعتراض والقشعريرة
والصهد يشعان من جسدها .. لكنه لم يلتفت
لاعتراضها ووضع يدها على صدره يطبق عليها
بكفه وتطلع أمامه شاردا .

رن هاتفه فسحبت يدها بسرعة وقد اشتعلت
وجنتيها .
كان المتصل عمرو فضيق أحمد عينيه ثم رد ..
ليأتيه صوت عمرو ثائرا " لماذا لا ترد أروى على
اتصالاتي ؟.. ماذا فعلت بها؟ .. إياك أن تكون قد
آذيتها سأقتلك "
انفجر أحمد بعصبية قائلاً " ما شأنك أنت ماذا
فعلت معها .. ولمَ تتصل بها أصلا .. "
قال عمرو بغضب بارد " قلت لك لا تتدخل بيني
وبينها"

Des. Maryam Tamim

هدر أحمد بصوت تردد صداه في الشارع الهادئ وعروق رقبته قد انتفخت بعصبية " هل أنت مجنون !!!!!.. أنظر يا عمرو أنا أحذرك أن تقترب من أروى .. أروى خط أحمر "

رد عليه عمرو ببرود صقيعي " لماذا تبالغ في حمايتها فهي ليست طفلة .. اذهب الآن .. أروى تتصل .. سلام "

اشتعل الغضب أكثر في وجه أحمد فقلقت عليه بانة وحاولت تهدئته .. فاستقام يسحبها من يدها و يعبر بها الطريق .. ثم أوقفها عند بوابة الفيلا متمتما بالوداع متجها إلى سيارته.. لتلحق به بسرعة تنادي عليه ..

حين استدار إليها اقتربت منه ورفعت إليه رأسها وهي تسحب كفه الكبيرة بين كفيها فتفاجأ أحمد

Des. Maryam Tamim

..ونظر لكفيها ثم طالع وجهها الذي لم يتخلص من أثار النوم بعد .

قالت وهي تربت على كفه " لا تبالغ في حماية أروى ..قد يجرحها ذلك .. أروى أراها شجاعة حتى حين تخطئ .. لو أردت نصيحتي راقب أمرهم من بعيد واتركهما يتعاملان .. وتدخل عند اللحظة المناسبة "

مط شفتيه بامتعاض ثم سحب كفه وركب السيارة ... فودعته وقلبها قلق من عصبيته المفرطة في التعامل مع الأمر ..

***

أغلق عمرو الهاتف مع أحمد وقد إدعى أن أروى تتصل به وهذا لم يحدث .. فأعاد الاتصال بها مجددا .. إنه يحاول منذ منتصف ليلة أمس بعد أن جاءه أحمد أن يتصل بها ولا ترد .. ويقلقه أن يكون أحمد قد فقد أعصابه وآذاها .

Des. Maryam Tamim

في السابعة صباحا جاءه صوتها أخيرا غارقا في النوم فاغتاظ وهتف بحقد " أنت تنامين وأنا أظل طيلة الليل مستيقظا لأطمئن أن أحمد لم يفقد أعصابه معك !"

ردت بصوت متحشرج من النوم والبكاء "اضطررت للجوء لحبة مهدئ "

نغزه قلبه فقال بغضب " لماذا يا أروى .. لماذا أخبرتيه؟؟؟ "

قالت بجدية " عليه أن يعرف ما فعلت تحسبا لأي تغير في علاقتكما "

رد عليها عمرو باستنكار " هل أنت مجنونة ! .. هل تظنين أن هناك أمرا قد يغير من علاقتي مع أخيك ! .. ثم الأمر بيني وبينك وهو خارج القصة أصلا "

تمتمت " اتمنى ذلك "

قال عمرو بضيق " أخطأتِ يا أروى بإخباره .. هذه الأمور تمر ثقيلة على نفوس الرجال "

Des. Maryam Tamim

ردت بعناد " لم أكن لأشعر بالراحة إلا إذا اخبرته .. برغم أنه غاضب مني لكني اشعر أني رفعت هما كبيرا عن كاهلي .. المهم أن نتفق أنا وأنت أن ننهي هذه المسألة بالشكل الذي يرضيك "

رد بكبرياء " هذا الأمر سأقرره أنا .. سلام"

***

بعد قليل طالعت أروى المنظر المطل على الأفق البعيد من شرفتها في هذا الوقت المبكر من الصباح تحدق في اللاشيء ...

كما أخبرت عمرو على الهاتف مهما أصبح الوضع سيئا .. لكن إخبارها لأحمد بالحقيقة أزاح بعضاً من الحِمل عن كاهلها.. بقي الحِمل الأكبر.. إرضاء كبرياء عاقد الحاجبين ودفعه لأن يستمر في حياته ويستقر ..

سرت رعشة خوف في جسدها من الآتي فمسدت ذراعيها تحاول شحن طاقتها الذاتية ..

سمعت باب الغرفة يفتح وميزت صوت خطواته ..

Des. Maryam Tamim

دخل عليها أحمد ووقف بجانبها في الشرفة يطالعها في صمت ويديه في جيبه.. قلبه يتألم بسببها ألم عظيم ..,لا تزال المفاجأة تعقد لسانه كلما استرجع الحقائق التي انفجرت في وجهه منذ ساعات..

رفعت إليه وجهاً يحمل بقايا دموع صامتة وقالت بمسكنة " هل ممكن أن تعطيني سيجارة؟ "

تحرك بوجه واجم وأخرج علبة السجائر من جيب سترته الداخلي واعطاها واحدة .. فأخذتها بلهفة ثم أنحنى يشعلها لها ..

سحبت نفسا في اشتياق واخرجته من فمها .. فلاح شبح ابتسامة على وجهه وهو يفكر في أنها تدخنها كهاوية .. تسحب الدخان وتنفسه من فمها وليس من أنفها وكأنها تلعب بالدخان ..

أو ترتاح لرؤيته يخرج من فمها .. وكأنه هموم سوداء تنفسها خارج صدرها ...

Des. Maryam Tamim

سألته أروى بصوت يبدو مجهداً من كثرة البكاء "
هل عدت للتدخين؟! .. كنتَ قد أقلعت لسنوات
إلا في المناسبات ".
رد عليها وهو يسحب كرسياً ويجلس بجوارها
"عدت إليه أسوأ من ذي قبل منذ اختفاء بانة ..
لكني أنوي الاقلاع مجددا إن شاء الله ".
طالعت دخان السيجارة في هيام كعادتها ثم قالت
بمزاح " حسنا .. كما أفعل دائما أبحث عن شيء
ايجابي في أسوأ المواقف .. والشيء الإيجابي هنا أنك
اشفقت عليّ ومنحتني سيجارة أخيرا " .
اشتد الألم في قلبه فمد ذراعه حول كتفيها وسحبها
نحوه فمالت برأسها تدفنها في صدره وأجهشت
بالبكاء .. بينما هو يطبع قبلة مواسية طويلة
متألمة على رأسها.
رفعت إليه وجهها الباكي تغمغم "أنا آسفة "
فشملها بنظرة حانية وهمس " بل أنا من عليه أن
يتأسف .. المفاجئة أفقدتني أعصابي "

Des. Maryam Tamim

ثم رفع خصله ناعمة من شعرها الاسود وقال معاتبا " ولكني مازلت متألما وأشعر بخيانتك لأنك لم تخبريني بمشاعرك من قبل "

كسى الاحمرار والخجل وجهها ودفنت رأسها في صدره مجددا فابتسم ابتسامة دافئة من حرجها .. ثم سحب السيجارة من يدها وسحب منها نفسا هو الآخر ثم قال ساخراً يشاكسها " حتى الآن لا اصدق .. عم أمين الآلي !!!!! .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. ما هذا المزاج المقرف ! ".

رفعت إليه وجها يحمل شبح ابتسامة وقالت "أخبرتك من قبل الحب قدر.. ونحن لا نختار من نحب "

شدد من ذراعه حول كتفيها محدقا في عينيها وهو يقول بجدية " حسنا يا أروى سماحة.. أنا مضطر آسفاً أن اعترف لك.. بأن ذوقك في الرجال فوق الممتاز".

Des. Maryam Tamim

انفجرت مرة أخرى في البكاء تدفن وجهها في صدره فتمتم وهو يمسد على شعرها "لو اخبرتيني قبل أن يتعقد الأمر لأتيت لك بهذا الجلف مكبلا تحت قدميك "

انتفضت تتحرر من ذراعه وتقول بهلع "لا يا أحمد إياك .. إياك أن تفعلها .. لن أتحمل نظرة شفقة واحدة منه نحوي .. ولن أتحمل أن يجاملك على حسابي.. أقسم بالله سأموت حينها " ..

ثم دفنت وجهها مجددا في صدره تبكي بحرقة فتألم قلبه واحترق عليها .. وهو يتساءل في سره ما شكل هذا الحب الذي يستمر كل هذه السنوات يحرق قلبك في صمت يا أروى ويجعلك مستعدة لكل هذه التضحيات ؟.

بعد قليل وبعد أن هدأ نشيجها تمتم بغيظ "وهناك شيئا إيجابيا آخر في هذا الموقف المأساوي"

Des. Maryam Tamim

فرفعت له رأسها في ترقب فقال " أني أخيرا علمت هوية هذا الذي خطف قلبك والذي سأتلذذ بكل متعة في تعذيبه من الآن فصاعدا "

***

هتف وائل بدهشة " أروى سماحة ! "

قال عمرو بهدوء " إثبت ستجرح نفسك "

كان عمرو يمسك بماكينة الحلاقة الآلية ويقوم بحلق شعر وائل الذي خف وسقط أغلبه بسبب جلسات الكيماوي .

تمتم وائل باندهاش حقيقي " مفاجأة فعلا ! "

رد عليه بسخرية باردة " سأتركك مع المفاجأة وأثبت قليلا لننتهي من حلق رأسك .. بعدها سأكمل لك"

بعد قليل كان عمرو قد فرغ من حلاقة رأس وائل تماما ولحيته وناوله مرآة صغيرة ليرى هيئته فأبعد الأخير المرآة يقول " لا أريد أن أرى شيئا أخبرني عن

Des. Maryam Tamim



الموضوع كله "

بعد أن أخبره عمرو بكل شيء وهو يستند للحائط مطأطئ الرأس سأله وائل في هدوء " وأنت كيف ترى الأمر ؟"

رد عمرو بحيرة " أنا مرتبك جدا ولا أنام من التفكير.. هناك أمور لازلت لا أستوعبها "

سأله مجدداً " هل لازلت تشعر بالإهانة مما حدث؟"

أطرق يفكر ثم قال " في البداية كدت أُجن .. بعد ذلك هدأت قليلا.. وخاصة أني ألتمس الصدق منها .. لكن هذا لا يعني أني تقبلت الأمر فمازلت أشعر بعدم راحة مما حدث "

تأمله وائل قليلا ثم قال" أخبرني عن رأيك في أروى سماحة "

احمرت أذنا عمرو وغمغم "لا أعرف ماذا أقول في وصفها .. أنا لا أجيد التعبير عما يدور بداخلي .. خاصة وأن هناك أمور غير مفهومة بشأنها"
أصر وائل " حاول أن تصف كيف تراها كامرأة"
صمت عمرو قليلا يفكر ثم قال " إنها .. إنها ملكة نساء الدنيا كلها "..
ابتسم وائل في سعادة .. فحدجه عمرو بنظرة جليدية وسأل في حرج " لماذا تبتسم ! "
رد وائل بحاجبين يلعبان " سعيد " ..

أطرق عمرو برأسه مجددا فسأله وائل " ما دمت تراها هكذا وتحمر أذناك على سيرتها .. لماذا لم تفكر فيها يوما كزوجة .. هل بسبب حالتها الصحية ؟"
رد عمرو بسرعة " لا دخل لحالتها الصحية بالموضوع إطلاقا ...بالعكس أنا قلبي يؤلمني على حالها وهذا ربما ما يجعلني أتعمد الحفاظ على

Des. Maryam Tamim

مسافة بيننا.. لأني .. لأني لا أعرف كيف أخفف عنها .. ولا أريدها أن تشعر أني أشفق عليها.. إنها أكبر من أن يشفق عليها أحد .. و ... وأخشى إذا ما اقتربت أن أؤلمها ولو بنظرة عين .. فأنا كما تعرف قد اتصرف بدون لباقة أحيانا (سكت قليلا يحدق في الفراغ وكأنه يستحضر مشاعره ليصفها ثم أضاف وهو يمرر أصابعه في شعره) هذا بالإضافة لأنها .. نجمة عالية في السماء .. يمنعني كبريائي من النظر إليها"

ضيق وائل عينيه وسأل في هدوء "لماذا؟"

رد بانفعال " لأنني حتما سأكون في أخر الصف فلمَ أجرح كبريائي بالمحاولة أصلا ".

قطب وائل جبينه وقال بعدم فهم " عمرو ما أنا متأكد منه أنك شخص شديد الثقة بنفسك .. فكيف ترى أنك ستكون بآخر الصف !!!"

Des. Maryam Tamim

أطرق عمرو برأسه بحرج متمتماً " معها يكون الأمر مختلف .. إنها .. إنها شخص استثنائي"

نظر إليه وائل بذهول ثم قال " لا أصدق .. ربما تمنيت قديما أن تجتمعا سويا .. لكني لم اتوقع أبدا أن تحبس بداخلك كل هذه المشاعر تجاهها .. أنا متفاجئ بالفعل "

تمتم ببعض الحرج " لم أدرك الصورة كاملة إلا بعد ما اكتشفت أنها ميمين "

ابتسم وائل وقال " لكن يبدو أن (ملكة نساء الدنيا كلها) قامت باختيارك أنت من بين كل الشباب فلمَ لا تلبي نداءها ؟"

رد عمرو بحزن " ماذا لو كنت واهما.. وأن ما فهمته من جانبها في آخر لقاء كان جهلا مني في فهم مشاعرها .. أنا لا أفهم في هذه الأمور .. سيتحطم كبريائي وقتها يا وائل .. يكفني الصدمة التي تلقيتها على يديها (وصمت قليلا ثم سأل وائل) وأنت كيف ترى الأمر ؟"

Des. Maryam Tamim

رد وائل بجدية " أنا أعتقد أنها تحمل لك شعور خاص .. لا أظن أبدا أن أروى ستفعل كل ذلك لمدة عامين من أجل أن تتحدث معك كشخص عادي من الممكن استبدالك بأي شخص آخر .. وحجتها بأنها تريد أن تتحرر وتنطلق في الحوار غير منطقية إلا إذا كان هناك مشاعر خفية تريد أن تداريها .. لو كان الأمر مجرد حديث دون مشاعر كانت ستتحدث معك بشخصيتها الحقيقية كأي صديق عادي دون أن تخاف المجاملات .. الخوف يحضر حين يكون لديها مشاعر .. أنا أرى أن تسألها مباشرة "

أطرق عمرو برأسه وقال " لا أعلم يا وائل .. وتدخل أحمد في الموضوع عقد الأمر وأربكه أكتر "
رد وائل " أعتقد أن أي أنثى تحتاج لأن تشعر بأن رَجُلها يتحمل الصعاب من أجلها "

Des. Maryam Tamim

هتف عمرو بمرارة " هذا لو كانت تراني رجلها فعلا .. إن استشعرت أن هناك ولو فرصة ضعيفة معها مستعد لأفعل المستحيل من أجلها "

تأمله وائل واتسعت ابتسامته فأطرق عمرو برأسه واحمرت أذناه ووجهه كله .

***

رفعت أروى الهاتف على أذنها وقد استعادت بعضا من طاقتها وردت "نعم يا عروس "

ابتسمت بانة وقالت بتعاطف " كيف حالك يا أروى ؟ .. كنت أريد أن أزورك .. لكني فضلت سؤالك أولا .. لأرى إذا كنت مستعدة لاستقبال زوار "

ابتسمت أروى بمحبة وقالت ساخرة" أحمد أخبرك بمغامراتي أليس كذلك؟"

أسرعت بانة بالتبرير " الحقيقة كان مصدوما فلم يستطع كتمان الأمر فاضطر أن يحكي "

Des. Maryam Tamim

ردت بهدوء " لا بأس أعتقد أن وجودك بجانبه ساعده على التكيف سريعا مع الأمر "
سألت بانة " هل أمر عليك ؟"
ردت أروى بجدية " لم أتوازن بعد يا بانة.. وأشعر بالحرج في مواجهة من يعرف بالأمر.. فامنحيني مزيدا من الوقت .. أرجو ألا تغضبي مني "
اسرعت بانة بالقول " لا لا أنا أتفهم جيدا لهذا اتصلت بك أسألك أولا (صمتت قليلا ثم أضافت) أروى هل أخبرك بشيء؟ .. أنت شجاعة ..وأنا احترمك جدا .. ولا أرى عيبا فيما فعلت .. لو كنت مكانك وبظروفك لكنت فعلت نفس الشيء مع من أحب " .
ابتسمت أروى بتأثر ثم غيرت الموضوع لتقول "حسنا يا عروس كيف هي الأمور ؟"
تنهدت بانة وقالت " مشاعري مختلطة ما بين ترقب ولهفة لأن أعود لحي سماحة وخوفي من عواقب علاقتي بأحمد .. وخوفي أن أؤلمه .. وحرجي

Des. Maryam Tamim

من بيت غنيم فليس ذنبهم أن يعدوني لعريسي ويتكفلوا ببعض النفقات الخاصة بزواجي .. فذلك يجرح كرامتي.. وأشعر أني أصبحت فظة وأنا أكرر رفضي لكثير من كرمهم .. بالإضافة لشعوري بالحرج من موضوع كامل.."

قاطعتها أروى تستفهم " ابنهم الذي قلتِ لي أنه يريدك للزواج ؟"

ردت بانة " أجل أنا حقا محرجة من الأسرة كلها ومن أسرتك ومن أحمد ومن كل شيء.. ومرتعبة من هذه الخطوة .. هذا بالإضافة لعدد لا نهائي من الكوابيس في نومي .. عن أهلي أراهم غاضبون مني "

تنهدت أروى وقالت بتعاطف " بالنسبة لمخاوفك فكلها في محلها.. لكن عليك تقبل الأمر برمته.. حتى شعورك بالحرج مما يحدث معك لماذا تأخذينه على كرامتك ؟ .. لمَ لا تستقبليه كهدية وتدبير من الله لك "

Des. Maryam Tamim

ردت بانة بألم" صدقيني يا أروى أنا ممتنة لرب العالمين .. وأقارن وضعي من أربع أعوام و وضعي الآن أرى اختلافا كبيرا وفضلا أكبر .. لكني مجروحة ولا اشعر بفخر العروس "

ردت أروى بتعاطف "أفهم شعورك ولا أرى مخرجا سوى بتقبل الواقع .. والتضحية بكرامتك قليلا حتى تستمر الحياة .. واتمنى يوما ما أن تستطيعي رد ما تشعرين أنه فضائل عليك .. أما موضوع الكوابيس .. فأعتقد أنها ترجمة لإحساسك بالذنب .. وأخشى أن يتضخم هذا الاحساس مع الوقت ويصبح عقبة أمام تقدمك للأمام ".
تمتمت بانة في حيرة " لا أعرف يا أروى أتمنى أن تسير الأمور بلطف على نفسيتي "
ردت أروى بدفء " إن شاء الله يا حبيبتي لا تقلقي ... أنا أترقب اليوم الذي ستعودين فيه للبيت"

Des. Maryam Tamim

ردت بانة مؤيدة " وأنا أيضا يا أروى (ثم قالت بمرح) أستعدي لأن أرسل لك سيلا من الصور على هاتفك من الفساتين المرشحة من قبل الخالة سوسو ليوم عقد القران .. فساعديني في اجتياز هذه المهمة الصعبة "

***

بعد يومين :

دخل عمرو بوابة بيت سماحة بتعجل .. يرتدي حلة رسمية تبرز قوامه العضلي النحيف وربطة عنق يفكها وهو يصعد السلم نحو شقة بيت سماحة... رن الجرس وهو يدعو ألا يكون أحمد موجودا ..

رغبة حارقة بداخله تدفعه لأن يذهب إليها ويرى رد فعلها وهو يرتدي الحلة ويستعد لزيارة أهل الفتاة التي رشحتها أمه للزواج .

هل هي رغبة مازالت مستعرة بداخله للانتقام ؟..

أم هو التشفي ؟..

Des. Maryam Tamim

أم البحث عن أجوبة لاستفهامات ملحة تؤرقه ؟
فتحت إلهام الباب وقابلته ببشاشتها وهي تقول
"بسم الله ما شاء الله ما هذه الاناقة ؟"
رد بهدوء "أنا ذاهب لزيارة عروس"
هتفت بمحبة " ما شاء الله .. ربي يسعدك يا بني
"
ابتسم لها في ارتباك فقالت وكأنها تذكرت شيئا
"أحمد ليس هنا.. كان يتحدث مع بانة على الهاتف
منذ قليل وخرج "
قال عمرو وهو يبحث بعينيه عنها " خسارة كنت
أريده أن يعقد لي ربطة العنق .. عادة ما أفشل في
عقدها جيدا "
ضحكت إلهام وقالت " أنا للأسف لا اضبطها أيضا
.. انتظر لأنادي أروى "
إنتظر بأعصاب تحترق بضع دقائق قبل أن تطل
على كرسيها عليها اسدال الصلاة وذلك الجورب
القصير الذي يستفزه .. ويكسو وجهها الجدية .

Des. Maryam Tamim

طالعته بالحلة الرائعة التي تزيد من بهاء حضوره
فارتج قلبها بعنف ... وهي تسأل نفسها هل عليها
أن تبتهج لرؤيته أم تتألم لما جاء من أجله .
حين أخبرتها والدتها لماذا حضر أدركت أنه مازال
يعاني من جرح كرامته وأنه جاء لينتقم .
لم يدري أنها ستفرح له إذا ما استقر ..
ستفرح له حين يتزوج ويجد فتاة تسعده .. ستفرح
له إذا نسي ما فعلت وانتبه لحياته..
ستفرح حتما حتى لو كانت تحترق داخليا كما تشعر
الآن ..
حتى لو نزف قلبها وهو يقتلها بسكين بارد ..

حاولت إخفاء عذابها تحت القناع الجليدي الذي
تجيده واقتربت تقول بصوت جاهدت ليخرج عاديا
"مرحبا عمرو.. أمي تقول إنك تحتاج للمساعدة
اقترب أنا ماهرة في عقدها "
طالعها مرتبك بقلب يرتجف..

Des. Maryam Tamim

فقد خيل إليه أن ملامحها متجمدة من الألم .. شعر بالندم لوهلة لاندفاعه ورعونته بمجيئه بهذا الشكل .. لكن بسبب كبريائه اللعين لم يجد مفرا من الاستمرار فيما جاء من أجله ..فنزل أمامها على ركبته معقود اللسان .. مبهوتا بعظمة حضورها الملكي وهو يطالعها من هذه المسافة القريبة ...

مدت يدها في صمت تعدل الربطة حول عنقه ثم تعقدها .. وتعدل من ياقة قميصه بجفون مسبلة .. تقاوم النظر إليه .. بينما تأمل هو تفاصيلها بانبهار .. رائحتها المسكرة التي خدرت أعصابه ..ورطبت مساحات قاحلة بوجدانه .. ودغدغت رجولته .

أنفها الجميل وجفناها الواسعان .. كانوا رائعين من هذا القرب ..

أما شفتاها الممتلئتان ويداها اللتان تلمسانه فقد أشعلوا حمما سائلة في شرايينه لم يختبرها من قبل

Des. Maryam Tamim

.. فتسارعت أنفاسه وهو يلجم رغبات انفجرت بداخله فجأة دون سابق انذار ..
بينما قلبه كان على وشك أن يحطم ضلوعه ليقفز في حجرها .

حين انتهت تمتمت بصوت مرتجف " من أين هذا الغبار الذي على كتفك .. "
وامسكت بطرف كمها تمسح على كتفه باهتمام بينما هو يتجول في وجهها .. لكنه سرعان ما انتبه لما تفعله وللقشعريرة الخطرة التي سرت في جسده .. فاستقام بسرعة يلملم شتات نفسه محدقا فيها بخرس.
رفعت إليه عينيها تقول بجدية بصوتها الرخيم " حين تجلس مع الناس فك حاجبيك قليلا .. حتى لا تتهم بالعبوس .. وراقب حركة ساقك فأحيانا تهزها باستمرار حين تكون متوترا ..(صمتت قليلا ثم أضافت بنفس الهدوء) حاول أن تتناقش مع الفتاة

Des. Maryam Tamim

بدون أسئلة مباشرة .. ستكون ساعتها فظا .. وفي الوقت نفسه قد تتلقى إجابات مستهلكة "
استمر في التحديق فيها بنفس الصمت.. وحين لم يرد بشيء تصنعت ابتسامة ضعيفة ثم حركت الكرسي نحو غرفتها وهي تقول "بالتوفيق بإذن الله .. بعد إذنك"
شيعها بناظريه حتى اختفت وهو ينهت من مشاعره المستعرة .. ثم تحرك ببطء مطأطئ الرأس وخرج..

بمجرد أن اجتازت أروى عتبة غرفتها أغلقت بابها جيدا ثم رفعت يدها تمسح دموع صامتة خانت كبريائها ونزلت .. وتحسست كفيها اللذان لمساه منذ دقائق..متمتمة لنفسها بابتسامة مرتعشة " ابتهجي يا فتاة هذا ما أردتيه .. فلا تكوني جشعة "
..
***

Des. Maryam Tamim

في نفس الوقت كان أحمد في شقته يتحدث مع بانة في الهاتف مسترخي الأعصاب يستند على سور الشرفة .. عندما لمح عمرو يخرج من بوابة بيتهم .. فجحظت عيناه في قلق .. وأسرع بأنهاء المكالمة ثم صعد نحو شقة عائلته في تحفز يسأل أمه عما إذا كان عمرو قد جاء منذ قليل .. فأخبرته بما حدث.

استشاط غضبا وحاول الاطمئنان على أروى التي طمأنته لكنها رفضت دخوله وهي تطلب منه بعض الوقت بمفردها .. فانطلق كالسهم خارجا من الشقة يبحث عن عمرو في غضب مشتعل ..

في الشارع اسند عمرو رأسه على الحائط بجوار بوابة بيت سماحة يلملم شتات نفسه واعصابه .. ما كان يخشاه طيلة عمره قد حدث ..

Des. Maryam Tamim

كان يتحاشى النظر للنجمة العالية متعمدا .. حتى لا يقع في سحر بريقها اللامع.. وها قد وقع ما كان يخشاه وانتهى أمره ..
عليه أن يعترف بذلك ..لقد أنتهى أمره ..
فليودع ذلك الكبرياء الذي احتمى به كثيرا .

اندفع أحمد من البوابة فوجده مازال واقفا في الشارع .. فهجم عليه في غضب وهو يهدر " ماذا كنت تفعل عندنا ؟؟؟؟؟"
أجفل عمرو للحظة لكنه رد بجرأة " كنت أتحدث مع أروى "
استشاط أحمد أكثر وهو يدفعه بعنف نحو الحائط ثم أمسك بتلابيبه قائلا من بين أسنانه " قلت لك أروى خط أحمر .. ألا تفهم .. إن كنت غاضبا مما حدث خذ حقك مني أنا (ثم ابتعد عنه وفرد ذراعيه يقول) ها أنذا أمامك خذ حقك حتى ترضى "
صاح عمرو بغضب مقابل " لا تتدخل بيني وبينها"

Des. Maryam Tamim

هجم عليه أحمد من جديد يقول " هل أنت مجنون!!!.. هل فقدت عقلك يا عمرو !!! "
دفعه عمرو بعيدا عنه بعنف وهو يقول بغضب بارد " قلت لك أن الموضوع بيني وبينها فاتركنا نسويه أنا وهي "
انتفخت عروق أحمد في جنون وهجم عليه فأوقعه أرضا وركب فوقه بينما عمرو يمسك بساعدي أحمد يمنعه من أن يسدد له أي ضربات .. وكلامهما يحدق في عين الآخر بعروق منتفخة وتحدي يرغب في صرع صاحبه .
هدر صوت سيد بحزم وهو يخرج من المقهى بسرعة بعد أن أخبره طأطأ " ماذا يحدث معكما .. توقفا حالا .. قلت توقفا فورا "
جذب أحمد ليقف على قدميه ثم صاح في الناس الذين تجمعوا فورا حول المشهد أغلبهم من رواد المقهى .. ليعود كلا منهم لمكانه مرعوبا .

Des. Maryam Tamim

سأل سيد الاثنين المتحفزين أمامه "ماذا يحدث؟"..

لم يرد عليه أحد وهما مازالا يحدقان في بعضهما بغضب وتحدي ..فرفع أحمد سبابته مهدداَ " أمامك حل من اثنين إما أن تأخذ حقك مني أنا بالطريقة التي تريدها .. أو تخرس وتنسى الأمر .. غير ذلك والله مستعد أن أخسرك لو اضطررت لذلك .. إلا أروى "

قال سيد باستغراب " ما بها أروى ؟!!!!"

قال عمرو بغيظ موجها الكلام لأحمد " لماذا تبالغ في حمايتها .. هي لا تحتاج لتلك الحماية انها قادرة على التعامل بكل شجاعة ونضج .. بل لماذا تحميها أصلا وتمنعها من التعامل مع الموقف إن كان الموضوع عاديا كما تدعي هي (ثم ضيق عينيه في شك يقول) إلا إذا كان هناك أمرا لا أعلمه يجعلك ترفض احتكاكها بي "

Des. Maryam Tamim

رد أحمد من بين أسنانه " أنت تعمدت أن تظهر أمامها قبل ذهابك لزيارة العروس .. أي أخلاق لديك ! .. هل تتشفى فيها "

جحظت عينا عمرو وشعر أنه قد اقترب مما يريد أن يعرفه فقال بسرعة " وماذا إن رأتني قبل ذهابي مباشرة .. وما دخل أخلاقي في الأمر !! .. أخبرني أنت إن كنت تعرف شيئا لا أعرفه "

راوغ أحمد يقول مهاجما " أنت الذي عليك أن تبرر سبب زيارتك في هذا التوقيت بالذات بهذه الحجة التي أنا وأنت نعرف جيدا أنها كاذبة "

هدر سيد بعنف وقلة صبر " سألت ما بها أروى "

رد عمرو بسرعة " لا شأن لك بها "

قال أحمد وهو يحدق في عيني عمرو بتحدي " أروى سماحة هي المرأة التي كانت تتحدث مع عمرو على الانترنت.. كانت متخفية بحساب قديم لها على الفيسبوك.. واكتشفنا ذلك مؤخرا .. هل

Des. Maryam Tamim

ارتحت الآن يا عمرو؟ .. سأخبر وائل أيضا .. هل هذه الفضيحة كافية لترد اعتبارك ؟"

شحب وجه سيد وحدق فيهما بذهول يستوعب الأمر بينما هجم عمرو على أحمد يقول "لماذا أخبرته .. لماذا ؟؟؟"

اعتصر الحزن قلب سيد وآلمه الاحساس بالذنب لكنه نفض عنه الذهول وتحرك يفض اشتباك صاحبيه من جديد بحزم ووقف بينهما يقول بحزن " وجعي عليك يا أروى لو لم أكن خسيسا .. لكنت اهتممت بك ولما احتجت أبدا لشغل فراغك بأحاديث على الفيسبوك "

حدق فيه عمرو بذهول بينما قال أحمد محذرا "أحفظ لسانك يا سيد .. ليست أروى سماحة من تتدلل على الزواج وأنت تعلم ذلك جيدا "

رد سيد بألم حقيقي " لم أقصد أي معنى سيئ .. هي غالية عندي جدا وكان من واجبي أن .... "

Des. Maryam Tamim

قطع سيد كلامه عندما تلقي ركله مفاجئة من قدم عمرو في صدره أرجعته للخلف يصطدم بالحائط مذهولا من المفاجأة ..

أنزل عمرو ساقه أرضا وهجم عليه يضغط بساعده على رقبته بقوة صائحا بجنون " إياك أن تعيد هذا الكلام مرة أخرى .. ليست أروى سماحة من تحتاجك لتمارس دور الشهامة "

رد سيد مدافعا بصوت مختنق " لم أقصد هذا المعنى أقسم بالله .. أحمد يفهم ما أقصد جيدا .. أروى هي .."

ضغط عمرو بساعده أكثر فبتر سيد عبارته يحدق فيه بذهول من رد فعله العنيف الغير مبرر بينما عمرو يصيح فيه غاضبا " لا تتحدث عنها مجددا .. لا تنطق باسمها .. ولا شأن لك بها لا من قريب ولا من بعيد .. وإلا ستلقى مني مالا يرضيك "

حرك سيد عينيه الذاهلتين بعيدا يطلب تدخل أحمد الذي يقف متخصرا يراقب المشهد في ذهول

Des. Maryam Tamim

هو الأخر ..ثم نفض عنه ذهوله حين استشعر أن سيد يكاد يختنق ممتنعا عن المقاومة حتى لا يؤذي عمرو الذي يشتعل بغضب مخيف في حالة نادرا ما تحدث له .. فطوق أحمد ذراعيه حول عمرو من الخلف وحين لم يستجيب سحبه بقوة بعيدا عن سيد الذي أخذ يسعل ويتنفس بقوة .

أدرك أحمد أن عمرو ليس في حالة عصبية سليمة فآثر عدم تطور الأمر ودفعه ببعض العنف قائلا "هيا اذهب لموعدك وسنتحدث لاحقا .. هيا ستتأخر على الناس ألم يكن موعدك في السابعة .. الساعة الثامنة الآن يا غبي "
كان عمرو مازال يحدق في سيد بتهديد لكنه ما أن سمع ما قاله أحمد حتى استدار نحوه يقول بعصبية وهو يخلع سرته ويرميها أرضا ثم ربطة عنقه " لن أذهب إلى أي مكان "

Des. Maryam Tamim

حدقا فيه كلاهما باندهاش بينما تحرك هو نحو سيد مرة أخرى وكأنه لم ينتهي منه بعد وأكمل "من الآن فصاعدا .. لا مزيد من اللزوجة مع أروى.. ولا التباسط في الحديث "

نظر سيد بعينين متسعتين لأحمد وهو يشير لنفسه مرددا بهمس "أنا لزج !!!!!"
فضيق أحمد عينيه وتخصر يراقب المشهد باهتمام في محاولة للاستيعاب .. بينما كشر سيد وقال مدافعا " أنا أدللها مثل أختي"
جحظت عينا سيد وانكمش في الحائط بجسده الضخم حين اقترب عمرو منه يصيح في وجهه بغضب مستعر " هل تتحدث العربية يا سيد ؟؟؟.. قلت لا شأن لك بها .. ولا مزيدا من الهدايا .. ولا مزيدا من الشيكولاتة .. ولا مزيد من دبابيس الشعر"

Des. Maryam Tamim

اتسعت عينا سيد وردد باندهاش " دبابيس شعر!!!!!"

رن هاتف عمرو بإلحاح فأخرجه من جيبه ورد بعبوس " السلام عليكم ... أنا أسف .. أنا أسف لن أستطيع الحضور الليلة .. حدث ظرف طارئ ولم أجد فرصة للاعتذار .. أنا أسف .. أنا أسف "

تحرك أحمد نحو سيد يمسكه من ياقة قميصه ويسأل في نبرة خطرة " هل تهدي أختي دبابيس شعر ؟؟!!!!! "

انكمش سيد مصعوقا وقال بسرعة " لم أفعل أقسم بالله .. صاحبك قد جُن "

أغمض عمرو عينيه في استياء فعلى ما يبدو الطرف الآخر قد أغلق الخط في وجهه .. فسأله سيد ببطء وكأنه يستجوب مجنون في عنبر الخطرين " أنا .. أهديت أروى .. دبابيس شعر؟!!!!"

زمجر عمرو في جنون واقترب منه أكثر فانكمش سيد للخلف أكثر وهو يطالع حالة صاحبه الخطرة

Des. Maryam Tamim

بتوجس ويسمعه يرد من بين أسنانه " أنا لا أهلوس "
فأومأ سيد برأسه بموافقة ليتحاشى اشعال جنونه أكثر .

رن هاتف عمرو مرة أخرى فرد بعصبية بينما تبادل سيد النظرات المتوجسة مع أحمد وهما يسمعان عمرو يقول " نعم يا أمي .. أجل اعتذرت عن الموعد .. غيرت رأيي .. لمَ البكاء يا أمي؟ .. لا حول ولا قوة إلا بالله !.. حسنا أنا قادم إليك حالا فكفي عن البكاء .. سلام "
تراجع عمرو يستعد للمغادرة وهو يلتقط ملابسه من على الأرض ويشير بتهديد لصاحبيه اللذان يحدقان فيه " أنت التزم بما قلته بشأن أروى بالحرف وإلا سأؤذيك وستخسرني للأبد .. وأنت لنا حديث آخر لأرى ماذا تخبئ عني "
ثم تحرك مغادرا في عجلة .

Des. Maryam Tamim

عمت فترة من الصمت يحدقان في عمرو الذي يبتعد حتى دخل البناية التي يقطن فيها ثم قال سيد بنفس الذهول " لا أصدق ما يحدث .. عمرو يحب أروى !!!"

نظر إليه أحمد باندهاش وقال " ما الذي تهذيه ؟! .. إنه ينتقم بغباء كعادته "

استدار إليه سيد يقول بحماس " أنت غبي وستظل جاهل في فهم مشاعر الأخرين .. ما حدث منذ قليل كان جنون الغيرة .. يغار عليها .. إنه يحفظ تفاصيل علاقتي بها وكل ما أزعجه مني بشأنها من قبل .. لا أصدق أن عم أمين الآلي عاشق .. ولمن! .. لأميرة البنات !"

تطلع إليه أحمد بعدم تصديق وقال باستهجان "أنت أصبحت تتقمص دور الموسيقار وتفسر كل الأمور برومانسية .. عموما لن أسمح له بالاقتراب من أروى .. سلام يا سيد كازانوفا "

Des. Maryam Tamim

تحرك أحمد للداخل وأغلق البوابة بعنف بينما تمتم سيد " لا أصدق فعلا .. عمرو عاشق .. إنه أغرب من خبر رامز الذي أصبح بانة "
ثم صفق بيديه في فرح وهو يردد " حبيبي يا عم أمين "
***
خرجت أروى من غرفتها حين سمعت صوت أحمد تسأله بقلق " هل كنت تتشاجر مع عمرو في الشارع "
رد أحمد بامتعاض " أجل وسأقطع رأسه إذا اقترب منك مجددا "
قالت بتأثر " ترفق به يا أحمد أرجوك إنه لم يستعد توازنه بعد "
رد بسخرية " أي توازن.. لقد جن الفتى وسنسلمه لمستشفى المجاذيب قريبا .. قضيت عليه يا بنت سماحة ".

Des. Maryam Tamim

أطرقت أروى في حزن فشعر بالندم من اندفاعه ليسألها مغيرا للموضوع " هل أهداك سيد دبابيس شعر من قبل ؟"

نظرت إليه باندهاش وقالت " لا لم يحدث .. لا اذكر شيئا كهذا "

تمتم أحمد بشفقة " كنت متأكد .. لقد ذهب عقل عمرو.. وانتهى أمره "

ثم زفر في حزن وتركها ينزل لشقته ... بينما أروى تحدق فيه باندهاش .

رن هاتفها فتحركت نحو غرفتها والتقطت الهاتف لترد على عمرو بترقب فبادرها بالقول بعصبية " وأنت .. إياك وارتداء هذا الجورب القصير المستفز خارج البيت أو في وجود أغراب ..إياك .. أنا لن أضمن رد فعلي بعد الآن "

جحظت عيناها في اندهاش ثم قالت ببرود " وما دخلك أنت بماذا أرتدي !!!!!"

Des. Maryam Tamim

رد بجنون " دخلي الكثير .. سنتحدث فيه لاحقا حين أراك .. احذرك مرة أخرى يا أروى إياك وهذا الجورب القصير.. سلام "

أجفلت من إغلاقه للخط فجأة وتسمرت تحدق في الهاتف .

***

بعد أيام :

ردت بانة على الهاتف فبادرها أحمد بالقول "صباح الخير يا بون بون "

ابتسمت بخجل وتمتمت برد التحية ..

في كل ليلة تقضيها مع الأفكار أو الكوابيس .. يشرق عليها الصباح وهي مرتعبة من القرار الذي اقتربت من تنفيذه حتى يأتي صوت أحمد صباحا ليطمئنها مجددا ألا تقلق .

قال بسخرية " أطمئن فقط على اخبار الكوابيس والأرق "

ردت بمزاح " مستمرون صامدون قلقون متكوبسون "

سألها بهدوء " هل تريدين التراجع ؟"

ردت بمشاكسة " وهل لو قررت التراجع ستوافق؟"

رد ببرود " بالطبع لا .. أنا فقط أوهمك بأنك صاحبة القرار "

رنت ضحكتها فتراقص قلبه في صدره.. ثم سمعها تقول بهمس " عموما أنا أتغلب على مخاوفي بطريقتك السحرية استحضر حقيقة وجودك فتخف مخاوفي"

صمت قليلا ثم قال " بانة لماذا أنت شريرة هكذا؟"

هتفت باستغراب " أنا !! "

Des. Maryam Tamim

رد بغيظ " أجل أنت .. تتعمدين قول الكلام الذي يدغدغ رجولتي في الهاتف .. وحين أراك تتخشبين مثل العسكري أثناء الخدمة "

ضيقت عينيها وردت باستنكار " أنا عسكري يا أحمد !! .. أنا فقط أرتبك وأخجل حين أراك "
ردد بهمس حار " جبانة "
التهبت وجنتيها من نبرته الحارة فقالت مغيرة الموضوع " ما زال عمرو لم يتصل بك بعد ؟ "
زفر في حزن واختفت لهجته المازحة ليقول باقتضاب " لا "
قالت بلهجة متعاطفة " فلتبادر أنت بالاتصال به "

رد بعند " لا .. "
حاولت إقناعه " لا أعتقد ان بينكم هذه الأمور .. من عليه أن يبدأ "

Des. Maryam Tamim

رد بنبرة مختنقة بالحزن " هذه المرة مختلفة يا بانة .. للأسف .. الأمر يتعلق بأروى .. ولن أستطيع التنازل في هذا الأمر .. لهذا أنا دائما ضد فكرة المصاهرة مع أصحابي .. لأن العلاقات العاطفية غير مضمونة قد تؤثر على صداقة عمرها ثلاثين عاما .. "

قالت بثقة " لا أتوقع أبدا أن هناك شيئا قد يفرقكم يا أحمد .. أنتم تخطيتم الكثير حتى وصلتم لهذه العلاقة النادرة بينكم .. فلا أتوقع أن تهون الأمور بسهولة بينكم .. حتى لو دخلت فيها علاقة مصاهرة كما تقول وفشلت لا قدر الله .. أنا واثقة أنكم أنضج من أن تخلطوا بين العلاقتين "

قال بهدوء " الأمر لن يتعلق وقتها بالنضوج يا بانة .. سيتعلق بقلوب متألمة مكسورة "

رددت بتشجيع " لا تقلق .. وتفاءل بالخير "

قال فجأة بلهجة استعراضية منهيا المكالمة " حسنا يا بانة الخازن ألقاك بعد ساعات قليلة .. في

Des. Maryam Tamim

المحكمة لتوقعي قسيمة زواجك مني وتدخلي التاريـخ من اوسع الأبواب "

أنهت المكالمة والابتسامة تعلو وجهها على الرغم من رعبها من هذه الخطوة .. وتحركت تخرج من باب الفيلا في هذا الوقت من الصباح متجهة للمطعم .. بعد أن علمت من الخادمة الأفريقية أن العم غنيم هناك ..

بالطبع لم تسأل عن كامل لأنها تعلم أنه قد سافر مع اصدقاءه في رحلة لأحد المنتجعات السياحية متجنبا أجواء المنزل التي تتحضر لزفاف عروس .. بينما بقي شامل لإعداد عزومة العائلة الليلة لآل سماحة احتفالا بعقد القران الذي سيتم في المحكمة بعد ساعات قلائل .. وقد حاولت كثيرا إثناءهم عن إقامة هذا الحفل في حرج لكن العم غنيم والخالة سوسو أصرا عليه بسعادة أخجلتها كثيرا .

Des. Maryam Tamim

دخلت المطعم فاستقبلها عبد الكريم يخبرها أن العم غنيم في الغرفة الداخلية .. ثم اقترب منها بارتباك يقول وهو يعدل نظارته الطبية " إذن عقد القران سيكون اليوم .. من هذا المتعجرف الذي جاء منذ فترة ؟"

ردت بانة باستنكار " لا تقل عليه متعجرفا يا عبد الكريم عيب .. أجل اليوم عقد قراني على المتعجرف "

قال عبد الكريم بارتباك " ها أنت اعترفت أنه متعجرف "

رفعت حاجبيها وقالت بابتسامة مليحة " أنا أقول لكن لا أسمح لأحد غيري بذلك "

تطلع إليها قليلا وهو يتعرق ثم قال " عموما مبارك لك وأتمنى لك كل الخير "

ردت بسعادة " شكرا يا عبد الكريم "

قبل أن تتحرك سألها " ألم تتذكري بعد أين التقينا من قبل "

Des. Maryam Tamim

أشاحت بنظرها عنه بتسلية وقالت " عبد الكريم أنت من عليه أن يتذكر فأنت الذي يصر أننا تقابلنا من قبل "

ثم تحركت من أمامه نحو الغرفة الداخلية وهي تكتم ضحكتها... بينما بعد الكريم يشيعها بنظرات حزينة .. ثم فرك جبينه يغمغم في تركيز " أين من الممكن أن تكون قد رأيتها يا عبد الكريم .. الصفات التشريحية لوجهها مميزة ومتأكد انى رأيتها من قبل "

دخلت بانة على العم غنيم الذي يتفحص بعض المواد الخاصة بالمطعم ويسجلها بكشف فاستقبلها بفرح يقول " أهلا بالعروسة الجميلة " اقتربت في حرج وقالت ما تود أن تقوله منذ مدة وتشعر بثقل الكلام على لسانها " عمي أنا أريد أن أقول لك أني لا أعرف كيف سأرد لكم هذا الكرم الذي شملتموني به "

Des. Maryam Tamim

رد العم غنيم بعتاب " ما هذا الكلام يا بنيتي ! "
فركت ذراعها في حرج وقالت " هذه حقيقة لا
أستطيع إخفائها .. أكرمتموني بمكان أسكن فيه
وبعمل.. وكنتم خير عائلة.. وأنتم الأن تزوجوني
على الرغم من أن .. من أن .. كامل كان له رغبة في ..
(اختنق صوتها بالبكاء لكنها أكملت) ومع هذا
تقبلتم قراري بل وتصرون على أن أخرج من بيتكم
مرفوعة الرأس .. "
قاطعها العم غنيم بحزم وقال " كفى يا بانة .. لا
أريد ان أسمع المزيد .. لا أنكر أني كنت أفضل أن
تكوني كنة هذا البيت .. ولا أنكر أني متألم على ألم
ولدي .. لكن في أمور الزواج بالذات لا يمكن أن يتم
إلا باقتناع كل طرف بالأخر .. أما ما تسميه
بالفضائل فوالله لا تقارن بفضائل أبيك ولا جدك
على كل من حولهم .. كما أني أخبرتك من قبل أني
أعتبرك ابنتي وأشعر بأني أزوج أبنتي بالفعل .. حتى
سوسو طيلة عمرها كانت ترغب في ابنة تدللها

Des. Maryam Tamim

وانفرجت هذه العقدة في هذا العام الذي قضيتيه معنا..

إنها متحمسة لموضوع زواجك لدرجة أني أشك أنها لا تتعاطف مع كامل أصلا .. أنت لا تدركين حجم الهوس بالأمر .. إنها توقظني من عز النوم ليلا لتسألني هل عليها أن ترتدي من تصميم المصمم العالمي (...) أم المصمم العالمي (.....) في زفافك .. ماذا ستقدم للضيوف؟ .. من أي ماركة ستختار قمصان نومك ؟.. أصبحت مزعجة جدا حتى أني بعد أن كنت غير راض على تعجل هذا المتعجرف لإتمام الزواج .. الآن أريد هذا الزواج أن يتم حتى تهدأ سوسو وترحمني من هوسها "

مسحت بانة دموعها وشعرت بالحرج والتأثر أكثر وأكثر بعد هذا الفيض من المشاعر النبيلة التي تحيطها ثم قالت بابتسامة " أشعر أنك لا تستلطف أحمد "

Des. Maryam Tamim

مط شفتيه وقال بامتعاض " إنه متعجرف ومستفز .. لكني أثق به .. وأشعر أنه يحبك فعلا ومستعد لأي شيء ليرضيك .. ولم أكن لأقبل به إلا بعد أن تأكدت من سمعته وسمعة عائلته وأي أناس سنناسبهم .. كما أن ما فعلوه من أجلك من قبل يؤكد أنك في أيد أمينة.. وسيجعلني راضي وأنا أقابل أبيك يوما ما سواء في الدنيا أو في الأخرة "

قاومت بانة نوبة أخرى من البكاء وقالت " كنت أود أن يكون أبي حاضرا وفراس ورامز يزفونني لأحمد .. أعلم أنه حلم غير منطقي فهم في أرض وأنا في أرض أخرى لكني على ما يبدو أصبحت جشعة في أمنياتي "

تمتم العم غنيم بحنان " كلنا بنيتي نتمنى أن نعيش لحظة كاملة لا ينقصها شيء ولا ينغص علينا فيها شيء .. لكنها الحياة تأخذ من ناحية وتعوض من أخرى .. فلا تفسدي عليك ليلة العمر .. وأنا متأكد سواء كانوا أحياء أو أموات .. فإن دعواتهم لك

Des. Maryam Tamim

بالسعادة والأمان هي ما أوصلتك لكل من عرفتيهم هنا في هذا البلد "

سألته بانة بيأس " ألا توجد أي أخبار عنهم .. أحياء أم أموات .. أريد أن أعرف .. إحساس صعب ألا تعرف إن كان أهلك أحياء أم واراهم الثرى "

زفر العم غنيم وقال " صدقيني مازلت أبحث وأستخدم علاقاتي لمعرفة أي أخبار عنهم .. أتمنى أن نصل لأي معلومة قريبا "

صمتت بانة تضم قبضتها على قلبها تحاول تخفيف هذا الألم الذي يعتصر قلبها ..فقطع الصمت الخالة سوسو التي دخلت في حالة توتر تهتف ببانة " أنت هنا وأنا أبحث عنك في كل مكان .. الوقت ضيق أمامنا علينا أن نبدأ في تزيينك يا عروس "

عضت بانة على شفتها السفلى وهي تنظر للعم غنيم الذي كتم ضحكته ثم قالت " خالتي سوسو الأمر لن يأخذ أكثر من نصف ساعة أرتدي الفستان

Des. Maryam Tamim

وأضع بعض المساحيق .. انه عقد قران وليس زفاف .. كما أني لا أميل لزينة الوجه كثيرا"

هتفت الخالة سوسو بحماس " بل سنحتاج لكثير من الوقت حتى تكوني على أكمل وجه ولا تخافي انا أعلم ماذا تفضلين .. "

ابتسمت بانة للعم غنيم وانسحبت في حرج تتبع الخالة سوسو في استسلام .

***

بعد العصر :

زفر أحمد في توتر وهو يحاول الاتصال ببانة والتي لا ترد على هاتفها ..

كان يقف في قاعة المحكمة ينتظر وصولها مع العم غنيم .. فاستدار يتأمل الحاضرين معه ذلك الحدث المرتقب.. بالطبع أبيه الحاج سماحة وأمه التي أصر على حضورها بالرغم من عدم حضور البنات لتوقعه أن بانة ستحتاجها في لحظة كهذه .. كما حضر بالطبع سيد ووائل ..

Des. Maryam Tamim

أما عمرو فلم يظهر بعد ..
تلقى اتصالا من أروى فرد بلهفة " هل ردت عليك يا أروى ؟"
جاءه صوت أروى هادئا " لا لم ترد لكنها لم تتأخر كثيرا يا أحمد لمَ كل هذا التوتر ؟"
زفر في عصبية " أنا قلق جدا يا أروى ولن أهدأ حتى أستلم نسخة من قسيمة زواجنا معي "
قالت بحنان " إن شاء الله يا حبيبي لا تقلق "
ثم سألت بتردد " من حضر غير أبي وأمي من جانبنا ؟"
رد عليها بامتعاض " لم يصل السيد المحترم .. وصدقيني لا أعرف ماذا سأفعل معه إذا لم يحضر هذا الجلف عديم الاحساس "
جاءه صوت عمرو من خلفه " وصل عديم الاحساس فكف عن العواء وارحمنا "
استدار إليه يحدجه بنظرة جليدية ثم استدار يقول " سأغلق الأن يا أروى سلام "

Des. Maryam Tamim

تصنع التجاهل وتوجه لأبيه يسأله عن العم غنيم
فرد أبيه في هدوء " لم يرد هو الآخر "
ففرك أحمد جبينه بتوتر ونظر لساعته للمرة
العاشرة خلال العشر دقائق الأخيرة ..بينما حيا
عمرو الشباب بعبوس فاستقبله سيد بابتسامة
حارة استفزته فحدجه بنظرة مهددة ..

علا صوت سيد يغني بتسلي " مادام تحب بنتكر
ليه .. ليه .. دالي يحب يبان في عنيه .. دالي يحب
يبان في عنيه .. يا وائل " .

قهقه وائل وهو يطالع عمرو بنظرة جانبية فقال
سيد بتسلي" هل تعلم يا وائل .. لقد اكتشفت
بالأمس أني حارق لبعض الناس .. يغارون مني لأني
وسيم وظريف .. وأجيد التعامل برقة مع النساء ..
بينما هم أجلاف .. عديمي الاحساس "

Des. Maryam Tamim

قهقه وائل مجددا بينما طحن عمرو اسنانه وقال "هل تخطط لافساد الحدث اليوم أم أنك تشتاق لقبضتي "

أحاط سيد كتفي وائل بذراعه وقال لعمرو " أعرفك بنا .. سيد صبرة ووائل موريس .. عاشقان مخضرمان .. استشاريان في الأمور العاطفية .. متخصصان في جلب الحبيب وفك عقدة اللسان .. وشفاء الحمورية العاطفية .. وتفريج الكبت الذي يؤدي للانفجار .. والذي يحول العشاق لمجانين .. مجانين .. يحطمون كل شيء حولهم .. احتفظ بأرقام هواتفنا معك قد تحتاجنا قريبا "

تحكم عمرو في ابتسامة تريد أن تشق وجهه وهم بالرد لكن أحمد هدر فيهم بعصبية " هلا توقفتم عن الظُرف والسخف بالله عليكم "

عم الصمت بينهما فدخلت بانة فجأة يرافقها العم غنيم والخالة سوسو ..فتطلع إليها أحمد كاتما

Des. Maryam Tamim

أنفاسه بينما أطلق كلا من سيد ووائل صفارات الإعجاب .

كانت ترتدي فستانا باللون الوردي الهادئ من قماش ناعم يبرز قوامها الطويل الممتلئ قليلا برشاقة .. يحيط بخصرها حزام من القماش بنفس لون الفستان ينتهي بشريطين طويلين يتدليان وحجاب بنفس اللون بدرجة أفتح .. مع طوق من الفل الأبيض كتاج يحيط برأسها .. وتمسك باقة من الفل الأبيض في يدها .

أطلقت إلهام زغرودة عالية أجفلت أحمد الذي كان يحدق في بانة بانبهار .. فاقترب منها ثم همس من بين أسنانه "لماذا لم تردي يا بانة على الهاتف ؟"

قالت ببراءة " ربما ضبطته على الوضع الصامت"

ضيق عينيه وقال " هل كنت تتعمدين إزعابي ؟ "

عضت على شفتيها بشقاوة فجز على أسنانه وقال " بالاتفاق مع أروى ؟"

Des. Maryam Tamim

تأمل عينيها الجميلتين المكحلتين ثم تنحنح قليلا وتصنع الجدية يداري شعور بالسعادة لأنها تتعامل شيئا فشيئا على طبيعتها دون تصلب او رهبة ثم همس متوعدا" سأرد عليك بعد قليل هيا تأخرنا "

بدأت مراسم الزواج ..
حين جلس أحمد أمام العم غنيم شعر برهبة الموقف ..فتطلع لأصحابه يطمئن أنهم بجانبه .. فأرسلوا إليه نظرات مطمئنة .
وحين طلب منه أن يردد وراء القاضي نطق بالكلمات وعيناه مسمرتان على بانة التي تقف أمامه تحدق فيه متوترة وقبضتها تفرك بعصبية في قماش فستانها .
وحين طلبوا منها توقيع الأوراق كانت ترتجف بوضوح وبذلت مجهودا لتثبت القلم ..

Des. Maryam Tamim

بعدها علت زغاريد أم أحمد بسعادة فجحظت عينا بانة تتجول بأنظارها فيهم ثم نظرت لأحمد الذي تسمر في مكانه يحدق فيها بصمت تسأله "هل هذا كل شيء؟" ..

أومأ رأسه بنعم وقال بهمس استطاعت قراءته "مبارك زوجتي العزيزة "

ارتجفت قليلا وعلت ضربات قلبها حتى كادت أن تحطم صدرها ..وبحثت بعينيها عن أم أحمد ثم هرولت تنحني إليها وتدفن رأسها في صدرها وانفجرت في البكاء .. بينما أم أحمد تواصل الزغردة والتربيت عليها في نفس الوقت .

ظلت بانة منكبة على صدر أم أحمد ومنكمشة غير قادرة على السيطرة على حالة البكاء في هيئة اثارت ضحكات من بالقاعة .

Des. Maryam Tamim

تناوب الجميع على تهنئة أحمد ثم اقترب منه عمرو يحدق في عينيه بجدية مليئة بالمشاعر الصادقة جدا ..واندفع كل منهما يحضن الأخر في تأثر كبير ومقاومة لدموع رجولية تفرض نفسها على اللحظة ..وسط بعض التعليقات المازحة الوقحة من وائل وسيد على حالتهما .

بعد قليل خرجت بانة من الحمام بعد أن هدأت قليلا .. حاولت بقدر المستطاع تعديل زينة وجهها من أجل الخالة سوسو التي بدت محبطة مما فعلته بوجهها بسبب البكاء .. لكن بقي احمرار وجهها الأبيض وأنفها فلم تستطع السيطرة على ذلك .

شعر أحمد برهبتها وتأكد أن الأمر معها ليس عاديا وإنما قد يكون رد فعل نفسي لما عاصرته وحدها .. وقد آلمه ذلك وأشفق عليها .. فعلى الرغم من كل هذه القلوب حولها .. على ما يبدو أنها لم تستطع

Des. Maryam Tamim

مقاومة شعورها باليتم .. او افتقاد خوض هذه اللحظة مع أهلها .. دعا الله أن تكون أكثر تماسكا في حفل الزفاف الأسبوع القادم .

حاول المزاح قليلا فقال ويديه في جيبه في زهو "أعلم أنك لا تصدقين نفسك .. فهذا أمر ليس عادي .. أن تصبحي زوجة أحمد سماحة لهو حلم صعب المنال حققته لك بكل تواضع "

ابتسمت بخجل وسألت أين الباقين فلم يكن موجودا سوى الشباب الثلاث ..

فوضح أحمد " سبقونا لفيلا العم غنيم .. كما أخبروني أنهم يعدون عزومة بمناسبة عقد القران .. أما نحن فسنمر على البنات في البيت أولا نحضرهم ونلحق بهم "

خرجت بانة معهم من المحكمة وحاول أحمد التزام الحدود قليلا وعدم التهور بلمسها حتى تستعيد هدوءها ..على الرغم من اشتعال الحمم السائلة في أعصابه بعد إدراكه فكرة أن بانة أصبحت حلاله .

Des. Maryam Tamim

عند باب المحكمة رن هاتف أحمد فرد وبدا على وجهه بعض القلق .. وبعد أن انتهى من المكالمة توجه للشباب يقول " صاحب المطعم المقابل للكوبري الذي أوصيته على برقوق يقول ان سيارة الشرطة قد سحبته منذ ساعتين بعد أن تعارك معهما "

تطلعت فيهم بانة لا تفهم بينما نظر أحمد لسيد يطلب المشورة فقال الأخير بسرعة " اذهب أنت لحفلك وأنا سأكلف أحدا بالبحث عنه .. وحين نحدد في أي قسم شرطة هو سأتكفل بالأمر "

رن هاتف أحمد مجددا فرد " نعم أنا أحمد سماحة .. من ؟ .. أجل أعرفه .. أي قسم شرطة .. الآن؟!!! .. حاضر "

اغلق الخط وقال " برقوق في قسم شرطة (...) وقد أعطاهم اسمي ويريدون مني الحضور لاستلامه "

رفع سيد حاجبا وقال " وماذا ستفعل الآن ؟"

Des. Maryam Tamim

فكر أحمد قليلا ثم زفر في استسلام وقال " مضطر أن اذهب إليه . فهو مستفز وقد يؤذوه "
سألت بانة بقلق " من برقوق هذا ؟"
رد أحمد بسرعة " شخص ما مستفز يصيبني بالحكة "
اتسعت عيناها باندهاش بينما تحير أحمد قليلا ثم قال " اذهبي مع أحد الشباب لبيت سماحة انتظريني مع البنات وسأنهي الأمر وألحقك "
هتفت بانة بجزع " كلا لن أتركك تذهب لقسم الشرطة وحدك "
تطلع إليها قليلا ثم نظر في ساعته ليسحبها بعد ذلك من مرفقها بتعجل لتركب في سيارته بينما تحركت خلفه سيارات الشباب إلى قسم الشرطة.

بعد قليل كانت بانة جالسة في سيارة أحمد أمام قسم الشرطة تفرك كفيها في قلق .. بينما اختفى أحمد منذ ساعة بالداخل ومعه سيد .. فخرجت

Des. Maryam Tamim

من السيارة لتسأل وائل وعمرو اللذان يقفان بجوار السيارات ينتظران معها فطمئنها وائل ألا تقلق .. مازالت لا تشعر بالراحة بجوار أقسام الشرطة وكأنها مطلوبة للعدالة .

خرج أحمد متخصرا ممتعض الوجه وخلفه سيد يسلم على بعض أفراد الشرطة بابتسامة بلاستيكية .. ثم ظهر برقوق يسرع الخطى للحاق بأحمد . . الذي استدار إليه يقول " أسمك نبيل الحسيني ها ! "

اهداه برقوق ابتسامه بنية سمجة فقال أحمد يوبخ العجوز " لا أصدق أنك اشتبكت مع الشرطة لأنهم يبعدونك من تحت الكوبري "
رد برقوق بانفعال " أدافع عن أملاكي "
جز أحمد على أسنانه وقال " أي أملاك يا مخرف هذه ملك الحكومة "

Des. Maryam Tamim

رد برقوق بانفعال " بل أملاكي بوضع اليد منذ ألف عام "

ضغط أحمد على شفتيه وأغمض عينيه قليلا يتماسك ثم سأله " من أين حصلت على بياناتي ؟"

اتسعت ابتسامة برقوق البنية في بشاشة ثم انحنى وخلع قدمه المتعفنة من حذاؤه المهترئ وأخرج بطاقة عمل أحمد مهترئة متعجنة وأطلعه عليها

..فاتسعت عينا أحمد في صدمة وتطلع لحال بطاقته وبدأ في حك ساعديه بحركة تلقائية .. بينما كتم سيد ضحكته وهو يراقب ابن سماحة وهو يوشك على الإصابة بنوبة قلبية .

قال برقوق بابتسامة متفاخرة " أنت أعطيتها لي عندما كنت تبحث عن السارقة في حال ما إذا رأيتها أتصل بك "

رد أحمد بغيظ " ووقتها مثلت دور المخرف الذي لا يفهم شيئا وها أنت ذا احتفظت بها (ثم جز على اسنانه يقول) ولماذا اخبرتهم أني أبنك !! "

Des. Maryam Tamim

ابتسم برقوق ابتسامته البنية في سماجة مرة أخرى وهو يحك لحيته الطويلة فحك أحمد ساعده وهو ينهره " قلت لا تهرش أماااامي "

اقتربت بانة منهم مع وائل وعمرو تتطلع للعجوز القذر الهيئة كمجاذيب الشوارع ثم هتفت تشير إليه بسبابتها في مفاجئة" أنت !!!!"

استدار العجوز وهتف هو الأخر " أنتِ !"

قالت بانة بغيظ " أنت من هاجمني وطردني من تحت الكوبري ودعوتني بالسارقة "

رد عليها بانفعال " لأنك جئت تسرقين مكاني "

ردت عليه بنفس الانفعال " هذا ليس مكانك .. ولمعلوماتك أنا كنت هناك قبلك "

احمر برقوق ورد " إنه ملكي أنا هناك منذ ألف عام "

هدر أحمد فيهما " كفى !!! "

Des. Maryam Tamim

ثم استدار لبانة يقول بذهول " بانة هل جننت ماذا تقولين !!!! وأي كوبري تتعاركين عليه مع هذا الشيء !!!!.."

تحرجت من سخافتها واندفاعها في مجادلة المجذوب وتمتمت " ألا ترى الطريقة التي يتحدث بها "

رد أحمد يوبخها " بانة إن لديه ظروفا خاصة فلا تدققي على كلامه هكذا "

تكتف برقوق وردد بسماجة " أجل لدي ظروفا خاصة "

استدار إليه أحمد ووبخه " اخرس ! (ثم سألها بتوجس) هل أذاك هذا المخرف ؟"

تطلعت للعجوز قليلا ثم ردت بحرج " لا .. أنا فقط كنت أريد أن أقف قليلا تحت الكوبري .. كنت أعاني وقتا صعبا بدونكم .. و.. هو منعني وظل يردد (السارقة السارقة) ويصيح بالشارع (استدعوا الشرطة) فخفت وابتعدت بسرعة "

Des. Maryam Tamim

قال بهدوء " حسنا يا حبيبتي اسبقيني للسيارة وأنا سآتي فورا "

تحركت بانة نحو السيارة باستسلام بينما برقوق يحدجها بنظرة باردة .. بينما استدار أحمد لسيد يستشيره ماذا سيفعلون بهذا البرقوق فرد سيد بهدوء " سيذهب معنا لشارع سماحة للمكان الذي أعددناه له من قبل "

جاء صوت عمرو يقول " علينا أن نسرع لقد تأخرنا كثيرا "

اقترب برقوق من أحمد الذي ابتعد خطوتين للوراء في المقابل وقال " ماذا تفعل مع السارقة الجميلة ألن تسلمها للشرطة ؟"

رد عليه أحمد بهدوء " أنها زوجتي "

رفع العجوز حاجبيه باندهاش وقال " كيف تتزوج السارقة؟!!!!!"

رد عليه أحمد بسخرية " لأبقى بجانب ما سرقته مني لأنه أصبح ملكها وليس ملكي "

Des. Maryam Tamim

وتركه وتحرك نحو سيارته فتمتم برقوق " يتزوج ممن سرقته !!! .. استراتيجية جديدة في التعامل مع الأعداء !"

ثم تبع أحمد فقال له الأخير محذرا " إياك أن تلمس سيارتي .. اركب مع أحد منهم "

حدجه برقوق بنظرة باردة بينما قال له عمرو برفق تعال "معي أنا ووائل في سيارتي "

تطلع برقوق للسيارتين أمامه سيارة عمرو سيارة سيد ثم قال بامتعاض " بل سأركب سيارة هذا الضخم لأنها ماركة أحدث "

فتبادل الشباب الابتسامات المتعجبة وركبوا السيارات إلى شارع سماحة .

في السيارة تطلع أحمد لبانة وقال بسخرية " ما رأيك؟ أول لحظة في زواجنا ذهبت بك لقسم الشرطة "

Des. Maryam Tamim

تطلعت إليه بابتسامة حلوة .. ها هي عادت من جديد للشعور بالأمان .. شعور لم تشعر به أبدا في هذا البلد إلا مع أحمد ..
حتى وجودها مع آل غنيم وشعورها بالدعم الوطني .. ومع كل كرمهم لم تستطع الاحساس بهذا الشعور المطمئن وكأنها تعرفه من ملايين السنين .. ومن حيوات أخرى .. حتى عيوبه وطباعه الشخصية تتعامل معها بتقبل غريب .. صحيح فكرة الزواج ترعبها لكنها لم تكن لتفعلها أبدا لو لم تكن مع أحمد .

مد يده وسحب كفها في رقه فتحفزت وهو يلمس بشفتيه باطن كفها يقبله برقه حارة ويرميها بنظره سريعة قبل أن يعود للتركيز على الطريق .. جعلت قلبها يقفز بصدرها كالكرة الصغيرة .

Des. Maryam Tamim

وضع كفها على فخذه وأطبق عليه بكفه فتشنجت حين شعرت بعضلات ساقه ..وحاولت سحب يدها فقال " ماذا ! هذه ليست ملامسة .. إن كانت هذه فكرتك عن التلامس يا بانة.. فاسمحي لي فكرتك خاطئة تماما .. وسأكون في غاية السعادة أن أصحح لك هذه الفكرة وقتما تشائين "

وغمز لها فاحمرت واستدارت تتطلع للطريق في صمت إلا من دقات قلبيهما الصاخبة .

بعد ساعة كان أحمد يقف بسيارته في ساحة فيلا آل غنيم تتبعها سيارتي عمرو وسيد ..واستدار إلى بانة التي أصرت الجلوس بجوار أروى بالمقعد الخلفي بينما آية تجلس بجواره بسعادة وقال " ألم تكن مجرد عزومة عائلية بمناسبة عقد القران .. أبي يقول ان الفيلا ممتلئة بالضيوف من جاليتكم ".

Des. Maryam Tamim

قالت بانة وهي تنفض عنها المفاجأة " أنا أيضا كنت أظنها عائلية "

تدخلت أروى بحزم " هيا أسرعا .. أنزلني فقط على الكرسي واذهب أنت للداخل "

بعد أن استقرت أروى على كرسيها قالت " هيا لا تضع أصهارك في موقف محرج مع ضيوفهم .. أنا معي آية والشباب "

تحرك أحمد يسحب ذراع بانة بسرعة .. وعند باب الفيلا توقف قليلا يقول في عصبية " لا أحب التجمعات ولا المجاملات "

ردت بانة وهي تسحب نفسا عميقا تهدئ توترها "ولا أنا لكن دعنا نفعلها من أجل القلوب الدافئة التي تشملنا بحبها "

أشار لها بمرفقه فتأبطت ذراعه تتطلع إليه في امتنان فقال لها بهمس حار " بل من أجلك أنت فقط يا بانة الخازن "

Des. Maryam Tamim

الفصل الواحد والعشرون

استقبلت أروى الشباب المترجلين من سياراتهم من أمام فيلا آل سماحة بالترحاب.. فوقف سيد ووائل أمامها بمسكنة يطرقان برأسيهما أرضا ولم يجيبا.

عقدت أروى حاجبيها الجميلين وتطلعت لآية الواقفة بجانب كرسيها في تعجب ثم عادت للشباب تسأل " ما بكما ؟!"

حين لم يردا شعرت أنهم يمزحان لأمر ما فهتفت بإعجاب " وائل يعجبني شكلك الجديد بدون شعر تبدو فاتنا "

همس سيد لوائل بصوت مسموع " قالت عليك فاتنا يا وليك منه.. سيقتلك "

كتم وائل ضحكته فهتفت أروى فيهما " ماذا يحدث.. أريد أن أفهم!"

تطلع سيد لعمرو الذي يقترب منهم وقال برعب "لا أستطيع.. لا أستطيع.. أنا مهدد.. سيقتلني المجنون إذا ما تحدثت معك "

Des. Maryam Tamim

رفعت أروى حاجبيها بدهشة بينما سألت آية بعدم فهم " من الذي يهددك؟"
رد عمرو بامتعاض ويديه في جيبه " أرى سخفا واستظراف فاق الحد سيجعلني أتقيأ.. لذا سأسبقكم للداخل ".
تحرك أمامهم بينما انفجر وائل وسيد من الضحك وتبعه الجميع لداخل الفيلا..
سألت أروى "ماذا يحدث يا سيد لا أفهم شيء؟"
غمز لها قائلا " لا أستطيع البوح صدقيني يا أميرة البنات.. لكن حاولي أنت التخمين حتى يتشجع هذا البائس ويفسر لك "
فتأملت أروى عمرو وكرسيها يقترب منه بقامته الممشوقة وهو يركز نظراته عليها فارتبكت.

في القاعة الكبيرة اتخذوا ركنا واستمر سيد ممازحا أروى" أعيدي لي كل هداياي.. وخصوصا دبوس الشعر من فضلك.. حياتي في خطر "

Des. Maryam Tamim

صاحت أروى باندفاع " ما حكاية دبوس الشعر الذي أسئل عنه هذا !"

كتم سيد ضحكته وأشار لعمرو قائلا "اسأليه "

تنحنح عمرو بحرج واحمرت أذناه وقد شعر بتفاهته لذكر هذا الموضوع القديم فقال " أنس الأمر لم أقصد "

صاح سيد " لم تقصد! وما فعلته معي منذ أيام ماذا كان إذن؟ جلسة تدليك !!!"

حدجه عمرو بنظرة غاضبة محذرة فتدخلت أروى تقول لعمرو" أنا مصرة أن أعرف حكاية دبوس الشعر "

من اثنين وعشرون عاما مضت:

وقفت أروى الصغيرة ذات التسع سنوات متسعة العينان برباطة جأش بالرغم من ذعرها من الولدين الأكبر منها عمرا اللذين يعترضان طريقها في ممر من ممرات المدرسة.. ترتدي زي المدرسة الذي يصل إلى ركبتيها وجوارب بيضاء طويلة وحذاء أسود..

Des. Maryam Tamim

بينما شعرها الأسود الملفت يتدلى على جانبي كتفيها بشريطين أبيضين.
هتف الولد الأول " لماذا تتكبرين علينا.. أ لأن لك شعر جميل ووجه جميل تعاملينا بهذا التعالي "
ردت أروى بحزم " اتركاني وإلا أحمد لن يمررها لكما "

نظر الولد الأول لصاحبه وضحك ثم قال " هذا المتعالي الوقح الذي يظن نفسه الموهوب الأوحد في عالم الكرة.. هل تعتقدي أننا نخاف منه "
تكلم الولد الثاني " هل شعرك هذا حقيقيا.. أختي تقول أنه مستعار "
ومد الولد يده يلمس شعرها بفضول.
فجأة دفعة أوقعت الولد أرضا على زميله بينما هتف عمرو ذو العشر سنوات وهو ينهت بانفعال " هيا يا أروى بسرعة "

Des. Maryam Tamim

جذبها من يدها بينما الولدان يستقيمان في غل ويرميان حقيبة ظهريهما في الأرض ويسرعان للحاق بهما.

نظر عمرو خلفه في قلق وتوتر ثم أسرع في الجري وهو يشد أروى من يدها بينما هي تهتف فيه " مهلا يا عمرو مهلا.. لا أستطيع الجري بهذه السرعة " لكنه لم يستمع إليها والقلق في داخله يزداد من أن يلحق بهما الولدان.. لن يستطيع صرعهما في نفس الوقت.. وقد يؤذي أحدهما أروى.. عليه أن يبعدها أولا.

فجأة وقعت أروى أرضا على وجهها.. اتسعت عينا عمرو بذعر وبدأت أروى في البكاء تمسك بركبتها التي سالت منها الدماء.

ارتجف عمرو وقاوم رغبة في البكاء هو الأخر ثم اقترب منها مرتبكا لا يعرف ماذا يفعل.. كيف يوقف بكاءها؟ او الدماء التي تسيل من ركبتها؟

Des. Maryam Tamim

أخرج منديله واقترب منها بحرص وهو يتأتئ بكلمات غير مفهومة.. ومد يده ليضع المنديل على ركبتها النازفة.

فجأة يد مسكته من ياقة قميصه ووجد نفسه مدفوعا بقوة بعيدا عنها ليسقط أرضا.

للحظة ظن أنهم الولدان فتحفز للهجوم لكنه وجد سيد ذو الثانية عشر عاما بقامته الضخمة بالنسبة لعمره.. وقد خط وجهه الأبيض زغبا خفيفا بنيا فوق شفته العلوية.. ينحني برفق يطمئن أروى وقام بالتعامل مع ركبتها ثم استدار إليه بينما هو جالس على الأرض يتطلع إليه بارتباك فهدر سيد بغضب "أنظر ماذا فعلت بها يا غبي! "

تدخلت أروى من بين بكائها " لم يفعل شيئا يا سيد كان يخلصني من ولدين سخيفين "

تطلع سيد بعيدا ليجد الولدان يقفان ينهتان ويراقبان المشهد وبمجرد أن شاهدا سيد أطلقا ساقيهما للرياح مبتعدين.

Des. Maryam Tamim



حدجه سيد بنظرة ممتعضة ثم ساعدها على القيام وتحركا وهي تستند على ذراعه.. وهو يتوعد الولدان ويمازحها لتكف عن البكاء وتضحك.
أما عمرو فشيعهما بنظراته وهو مازال يجلس أرضا بوجه أحمر يكتم البكاء.

في اليوم التالي:
اقترب منها عمرو بملامحه الهادئة وهو يتطلع لركبتها المربوطة بالأبيض فشعر بالأسف عليها..
كانت تقف تنتظر أحمد وسيد بعد انتهاء الحصص ليعودوا للمنزل سويا.
وقف أمامها بارتباك وهو يرتجف.. فتطلعت إليه بابتسامة رقيقة أربكته أكثر.. فأدخل قبضته داخل جيبه وأخرجها مليئة بالعلكة ومدها إليها دون أي كلام..



لمعت عيني أروى وضمت كفيها معا لتتلقى منه العلكة وهي تصيح بفرح " من أين حصلت على كل هذه العلكات "

أحمرت أذناه وقال بحرج " أمي تحبها وتحتفظ بالكثير منها في صندوق صغير فأخذت منها الكثير دون أن تعلم لأعطيها لك (ثم تلعثم قليلا وقال) لأنك تحبين العلكة "

جلست على مقعد خشبي قريب في ساحة المدرسة ووضعت واحدة منها في فمها تلوكها وهي تنظر إليه بسعادة فتعرق وقفز قلبه كالكرة المطاط.

فجأة قطع صوت سيد العالي الصمت المبهج بينهما وهو يصيح " أين أنت يا أروى بحثت عنك كثيرا "

حين اقترب منها قال برقة " أغلقي عينيك "

تطلع إليه عمرو بتركيز يحاول استيعاب ما يفعله سيد بينما أخرج سيد من جيبه دبوسين شعر على

Des. Maryam Tamim

شكل فراشتين وقال "سمعتهم في البيت يتحدثون عن اعداد حفل لعيد ميلادك.. فاشتريت لك هذه.. بكل مصروفي.. عيد ميلاد سعيد "

عندما فتحت أروى عينيها صرخت في سعادة ووضعت العلكات بجانبها على المقعد لتأخذ الدبوسين وتتأملهما بانبهار طفولي.

بعد قليل حضر أحمد متعجلا يقول " هيا أسرعوا سيفوتني التمرين "

تحرك الجميع عدا عمرو الذي حدق في العلكات التي تركتها على المقعد وسمعها تخبر أحمد بفرح "أنظر يا أحمد ماذا احضر لي سيد في عيد ميلادي "

رد أحمد بعدم اهتمام "جميل "

سألته باستفهام" وأنت ماذا ستحضر لي كهدية؟"

نفش كتفيه ورد ببساطة " أنفقت نقودي أقرضيني لأشتري لك هدية "

Des. Maryam Tamim

ثم استدار يبحث عن عمرو وحين وجده مازال واقفا في مكانه صاح يناديه " هيا يا عمرو سنتأخر على التمرين "

لملم عمرو العلكات بسرعة من على المقعد ودسها في جيبه وحمل حقيبته فوق ظهره ثم هرول يلحقهم.. فاستقبله أحمد يحيط ذراعه حول رقبته بمناكفة وابتعد الاربعة عائدين لمنازلهم.

انفجر سيد في هستيريا ضحك حين تذكروا الموقف القديم وشاركه الجميع بالضحك.. بينما شعر عمرو بالحرج من سخافته أن يتذكر موقفا قديما طفوليا كهذا.. ولولا أن أروى طلبت منه بعينين راجيتين أن يذكّرِها بالموضوع لما عرّض نفسه لهذا الموقف المحرج.

قال سيد من بين ضحكاته " سأموت أقسم بالله.. سأموت من الضحك لو انتظرت معك أكثر من ذلك "

Des. Maryam Tamim

حدجه عمرو بنظرة نارية فسحب سيد آية من مرفقها يقول " تعالي نبتعد عن هذه الأجواء الطفولية.. المليئة بالعلكات ودبابيس الشعر "
تمتمت أروى وهي ترفع عينيها إلى عمرو بتأثر " لم أتذكر سوى الآن.. ولا أعرف كيف تصرفت بهذه الفظاظة وقتها "
تمتم عمرو بحرج "هذا موضوع قديم سخيف لا أعرف لمَ تذكرته "
تشابكت عيناهما للحظة قبل أن يتدخل أحمد فجأة ويقول بلهجة متملكة " أروى تعالي أريدك بجانبي هل ستتركينني في يوم كهذا "
وسحب كرسيها قليلا لتستدير بارتباك بينما عمرو يجز على أسنانه غيظا من أحمد.
في ركن من القاعة الكبيرة بالفيلا التي تضم عددا كبيرا من المدعوين معظمهم من جالية بانة..

Des. Maryam Tamim

وقفت آية تتأمل سيد الذي يصب لكليهما بعض العصير وقلبها يتراقص من الفرح أنه شملها هي وحدها بهذه الدعوة للابتعاد عنهم.. بعد أن كانت تستمع لذكرياتهم بضيق.. عادة ما تشعر بالغيرة من ذكرياتهم معا بينما هي تقف متفرجة لا دور لها.
ناولها كوب العصير فسألت بفضول "هل كنت تحب أروى وأنتم صغار؟"
تفاجأ بسؤالها لكنه رد بهدوء " كلا لم يحدث ابدا"
سألته مجددا وهي تتجول بوجهه بعينيها العسليتين
"إذن كيف كان شعورك تجاهها وأنت تهتم بها وتدللها؟".
رد بجدية "أروى أختي.. تربيت معها في بيتكم أعزها وأحترمها جدا هذا كل شيء"
قالت بتردد " لكني أعلم أن كان هناك رغبة ما في ارتباطك بأروى "

Des. Maryam Tamim

تفاجأ من أنها تعلم تلك المعلومة فسألها " كيف عرفت بهذا الأمر؟"
تكتفت وردت بغيظ "يبدو أنكم لن تتخلوا أبدا عن فكرة أني صغيرة حتى لو أصبحت جدة "
ابتسم وهو يتخيلها جدة عجوز قصيرة عصبية بعينين عسليتين ثم قال بجدية "موضوع أروى أصبحت أفكر فيه بعد الحادث.. اشفقت على وضعها وشعرت أني على أن أقدم لها الدعم من هذه الناحية كشخص يعرفها ويقدرها ولن يعايرها أبدا بحالتها.. وكنت جادا فيه حتى وقت معين.. وقتها بدا الأمر حتميا كواجب عليّ ... بعدها وجدت أني سأظلمها إن فعلت ذلك وسأعيد قصة ماجدة ووائل مرة أخرى فلم أقبل لها أمرا معذبا كهذا ".
مطت شفتيها بامتعاض وقالت " تقصد حين ظهرت بسمة في حياتك فلم ترد أن تتزوج امرأة وأنت تحب أخرى "

Des. Maryam Tamim

ابتسم في ارتباك واحتسى بعضا من العصير يبلل ريقه الذي جف.
فبادرته بالسؤال "وكيف تفرق بين حبك لشخص واحترامك واعتزازك به؟"
ارتبك قليلا من سؤالها ثم قال بحرج " لا أعرف هل سأعبر جيدا عن هذا الأمر أم لا.. لكن الشخص الذي تحبينه لن يكون بالنسبة لك شخص آخر ككيان مستقل.. سيكون قطعة منك.. أو نصفك الآخر أو ظلك.. ستشعرين أنك خلقت ملتصقة به مهما فعلت لن تستطيعي ان تقطعي هذا الالتصاق.. ولو نجحت ستعيشين كشخص مبتور الأطراف أو مشوه.. لهذا أخبرتك سابقا أن تعيشي دون أن تقابلي نصفك الآخر أفضل من أن تصابي بداء الحب ويكون حبا تعيسا تعانين منه طول العمر ".
صمتت تتأمله ثم قالت " مثل وائل؟ "

Des. Maryam Tamim

تطلع سيد لوائل الجالس بجانب عمرو بعيدا يبدو هزيلا صامتا يستمع لعمرو باهتمام وقال " أجل مثل وائل "

قالت وهي مازالت تتأمله بمليء عينيها في هذه اللحظات المسروقة من الجميع " قص لي حكايته مع مريم.. كيف ماتت وماذا حدث.. لم يخبرني أحد من قبل بالتفاصيل "

سحب نفسا عميقا تضخم له صدره ثم أطلقه وهو يقول بتأثر " كانت مريم فتاة جميلة في الثامنة عشر تقريبا بينما وائل في الرابعة والعشرين.. من أسرة فقيرة أتت تسكن في الحي.. أنا ووائل كنا نتسابق ونتصارع للتعرف عليها.. كما كنا نفعل أنا وهو دائما.. أحبها وائل بصدق وحين أدركت أن الموضوع جديا انسحبت من المشهد لأني كنت كالعادة ألهو واشاكسه ليس إلا.. هي أيضا أحبته جدا.. "

Des. Maryam Tamim

احتسى قليلا من العصير يبلع طعما مرا في فمه وأكمل " المشكلة كانت في أن أهل وائل قد خطبوا له ماجدة ابنة عمته منذ أن كانا صغارا.. وبات الأمر مفروغا منه أن يتزوجها.. رغم أنه أبدى أكثر من مرة رفضه للموضوع.. لكن عند ظهور مريم في حياته بدأ في الاعتراض بحزم على خطط زواجه من ماجدة ويقف في وجه الجميع.

حين علموا بهوية الفتاة التي يريدها وأنها تلك الفتاة الفقيرة كان الأمر صادما أكثر.. وخاصة كما تعلمين أن عائلته من الأثرياء بل إن أعمامه وأخواله كانوا من الأسماء اللامعة في مجال تجارة الذهب..

بعد صدامات كثيرة وتهديد من وائل بترك البيت للأبد بل إنه نفذ ذلك بالفعل واختفى بضعة أيام.. مرض فيها والده وأصبح في حالة خطيرة ... أضطر بعدها وائل للعودة للبيت بل وللرضوخ للأمر الواقع وتوديع مريم للأبد تحت الابتزاز العاطفي

Des. Maryam Tamim

لحاله أبيه.. والزواج من ماجدة سريعا قبل أن يغير رأيه ...

وكان المحرك الأساسي لكل هذه الأحداث والدة ماجدة.. كانت امرأة قوية مرعبة متعالية.. حلمها تزويـج ابنتها لأبن أخيها من أجل الميراث والثروة وهذه الأمور.. خاصة وأن زوجها لم يكن بنفس ثراء عائلتها.. فكانت تؤمن لابنتها الوحيدة زوج ثري ولم تجد أفضل من ابن أخيها طبعا وريث العائلة.

المهم حين تزوج وائل بماجدة محاولا أن يكون شخصا عمليا واقعيا وهو ليس هذا الشخص أبدا..

لم يستطع الضغط على نفسه أكثر من أسبوع بعدها انهار نفسيا وهجرها تماما.. وظل يقضي أيامه ومعظم لياليه معي نتسلى ونتسامر ونعربد..

وبالطبع لم يعجب ذلك عمته وجرح ذلك كبريائها وكبرياء ابنتها فأطلقت إشاعات تسيئ من سمعة مريم وتتهمها بالباطل وبعلاقة غير شريفة مع وائل متخذة غيابه عن البيت كحجة..

Des. Maryam Tamim

وهذا ما حاولنا بعدها إثبات عدم صحته لكنها كانت قد أحكمت القصص حول مريم المسكينة وأسرتها الضعيفة التي لم يكن لها ظهر ولا سند.
حين اشتدت المشاكل والفضائح مات العم مجدي موريس وترك الوضع مشتعل.. ولم تمضي أيام قليلة حتى ماتت مريم.. قطعت شراييها بعد أن فقدت وائل وفقدت سمعتها افتراء وبعد أن عانت أسرتها من الفضيحة ... ولم تستطع الأسرة الاستمرار في الحي فهجرته للأبد.
حين انكشفت الحقيقة بعدها وعرف أن والدة ماجدة هي من أطلقت الشائعات واستأجرت من يلوث سمعة مريم ويقنع الناس بها.. وقفت الخالة أنجيل أمام أم ماجدة ومنعتها من أن تدخل بيتها للأبد.. فانحاز أخوة مجدي موريس لأختهم فلجأت أنجيل لعائلتها هي الأخرى.. واشتعل الوضع بين العائلتين وكل منهم يهدد بنفوذه.. لكن الخالة أنجيل لم تكن أبدا امرأة ضعيفة تسكت عن

Des. Maryam Tamim

الحق وقد شعرت أن ذنب مريم وعائلتها في رقبتهم..

بعد تدخل الوسطاء هدأ الوضع بين العائلتين ولكن بالقطيعة.. ومُنعت أم ماجدة من زيارة بيت أنجيل أو بيت أبنتها للأبد..

أما ماجدة فقد خيرت للبقاء أو الرحيل مع أهلها فاختارت البقاء.. وخاصة أنها كانت تحمل التوأمتين في بطنها ... وكانت تزور والدتها من وقت لآخر.. مما جعل البعض يشيع بأن سبب بقاء ماجدة هو الثروة والأموال.. وهناك من أشاع بأن أمها من طلبت منها البقاء حتى لا تخسر كل شيء.

كل هذا كان صعبا على وائل.. موت مريم وما تلا ذلك وهو الشاب الذي لم يكن قد أختبر قسوة الحياة بعد.. كان أقسى من أن يحتمله.. فأصيب بانهيار عصبي لدرجة أنه كان يهلوس ويتخيل مريم موجودة ويحدثها..

Des. Maryam Tamim

الأمر تطلب أن يدخل مصحة نفسية لمدة ستة أشهر.. في هذه الاثناء ولدتا التوأمتين أنجيل وميري. وربما كانتا السبب الذي جعله يقاوم ويحاول التكيف أو ادعاء ذلك..

فخرج يمارس حياته الطبيعية لكنه لم يستطع أبدا نسيان مريم ولا التآلف مع ماجدة التي كانت ضحية الجميع.. أقيم حاجز نفسي بين وائل وماجدة لم تستطع هي أبدا هدمه أو اختراقه ولم يبادر هو بمساعدتها في ذلك.. وبقي الأمر بينهما بهذا الشكل حتى الآن..

أما الأمر الذي عادة ما نخشاه هو أن يقضي عليه الاكتئاب.. إنه يعاني منه منذ سنين طويلة.. وهو ليس هذا النوع من الاكتئاب الذي قد يصيب معظم الناس أياما ثم يعودوا لطبيعتهم.. إنه المرض النفسي بحقيقته.. الذي إذا ما انزلقت إليه قدم أي شخص الخروج منه يكون صعبا جدا.. حتى لو أتينا له بنجمة من السماء.. نحاول ونحاول

Des. Maryam Tamim

معه ألا يقع في قاع البئر ونحرص بأن نظل متمسكين به على حافته.. غير قادرين على سحبه خارجه لكننا نمنعه بكل قوتنا أن يقع في القاع.. الذي لا رجعة منه "

صمت يحاول تشتيت ذهنه عن الذكريات المؤلمة التي خرجت أمامه من صندوق الحكايات المتجاهلة عن تعمد.. فلاحظ دموع ترتعش للسقوط من زاوية عينيها.. لم يدري أنه مد يده يمسح زاوية عينيها بإصبعه ثم سحب يده باستدراك وقال بمزاح " أنت شريرة يا يويا تسألين عن أمور حزينة في مناسبة كهذه.. هيا احكي لي عن أخر الأخبار "

تأملته قليلا بحزن وقالت " لم أتخيل أن الأمر كان بهذه القسوة .. واعتقدت انها كانت خطيبته بالفعل"

تنهدت وحاولت أن تنفض عنها الألم ثم اتسعت ابتسامتها التي تقطر عسلا فجأة.. فأشرقت الشمس

Des. Maryam Tamim

على قلبه وتبددت كل سحابات الحزن وهي تهتف بحماس " أنت لم تعلم ماذا حدث للسخيفة جيرمين.. "

تطلع عمرو بغيظ وهو يهز ساقه في عصبية لأحمد الذي يجلس قبالته على أريكة أنيقة وعلى يساره بانة وعلى يمينه أروى على كرسيها بهيئتها الملكية وهو يصر أن تبقى بجانبه..
ربت وائل على فخذه وقال " لا تكن عصبيا هكذا وانتظر أن تتحرك أروى من جانبه "
قال عمرو من بين أسنانه " لابد أن أتحدث معها الليلة يا وائل.. لن أتحمل ليلة أخرى يقتلني التفكير.. وأنت تعرف أن أروى خروجها من المنزل نادر "
طمأنه وائل قائلا " لا تقلق سندبر لك الفرصة الليلة بأي طريقة حتى لو اضطررنا لتكميم ابن سماحة وخطفه "

Des. Maryam Tamim

ابتسم عمرو لتلك الفكرة التي بدت له مغرية جدا.

أما أحمد فمال على بانة وهو يجز على أسنانه قائلا " هل سنظل مسمرين هكذا كتمثالين معروضين في متحف يحدق فينا الجميع؟.. لا أطيق تلك الأمور وأشعر أننا كتمثالي (قصر النيل) الآن "

وضعت بانة يدها على فمها وهي تقول من بين ضحكاتها " أحمد كف عن المزاح لا أستطيع التوقف عن الضحك ومنظري غريب "

قال لها بسخرية " وماذا سنفعل لنقتل الوقت ونحن في هذا الوضع الممل إما المزاح أو تبادل القبلات"

قالت باعتراض " أحمد نحن أمام الناس! "

فهمس يقول " هل هذا معناه أننا سنفعلها إذا أصبحنا وحدنا ".

زمت شفيها في ارتباك وأدارت وجهها بعيدا عنه.

Des. Maryam Tamim

تقدمت إلهام بعباءتها الأنيقة تحمل علبة كبيرة من المخمل بين يديها فتجمع الحاضرون للحظة هدية العريس (الشبكة) وارتداء محابس الزواج.. ففتحت العلبة وتناولت أروى المحبسين وناولتهما لأحمد الذي ألبسها محبسه وتركها تلبسه محبسها بأصابع مرتجفة .. ثم مد يده يخرج سلسالا من الذهب الأبيض متوسط الطول ينتهي بدلاية على شكل قلب منقسم لنصفين نصف يمثل ألوان علم بلدها والأخر ألوان علم بلده.. يجمعهما قلب واحد.. واسورة بقلوب صغيرة بنفس الشكل الذي يجمع العلمين.

علت الأصوات المنبهرة بشكل الهدية بينما اغرورقت عيني بانة بالدموع وتطلعت إلى أحمد بتأثر فأحاط برقبتها يلبسها السلسال والإسورة وهو يقول " أنا رسمت التصميم ووائل نفذها بنفسه شخصيا "

Des. Maryam Tamim

نظرت لوائل الجالس بعيدا بامتنان فغمز لها بعينه بمرح ... ثم لمحت نظرة رضا وفخر في عيني الخالة سوسو بالهدية المميزة والقيمة.

بعد أن انفض الجميع من حولهما مباركين ومهنئين متمتمين بالإعجاب بهدية أحمد لها..
همست بانة له بتأثر " أحمد هذا كثير "
فرد عليها بهمس وهو يلتقط كفها ويطبع عليه قبلة حارة " لأنك تستحقين الكثير "
غامت عيناها بالتأثر وعادت تتطلع للسلسال والإسورة بانبهار.. فانتفخ غروره الذكوري بسعادة.
بعد قليل تحركت أروى بكرسيها بعيدا عن محاصرة عينا عاقد الحاجبين الذي يجلس يهز ساقه بعصبيه باديا عليه التحفز.
هتف أحمد " إلى أين؟"
قالت وهي تبتعد" لمحت شيئا على مائدة الطعام " لاحقها بصوته " سأحضره لك "

Des. Maryam Tamim

لكنها أشارت له بيدها وابتعدت.
قالت له بانة موبخة " أتركها قليلا تتحرك في المكان ... أنا أرى عيون كثيرة من الشباب تلاحقها "
رد بغرور " لهذا لا أريدها أن تتحرك من جانبي"
عضت بانة على شفتها السفلية بعد أن قالت موبخة " أحمد لا تكن أنانيا .. فالأمر وصل معك إلى حد الهوس "
تطلع لشفتها التي تعضها بغيظ من هذا القرب ثم قال بهدوء " بانة.. لا تعضي على شفتك أمامي مجددا ولا تقفي متخصرة.. ولا تتحدثي بلهجتك ونحن وحدنا أبدا.. ويفضل أن تغيري طريقة نطقك لأسمي لتكون أكثر غلاظة "
تخضبت بالحمرة لكنها لم تستطع هذه المرة الإشاحة بوجهها بعيدا عنه.. فظلت أسيرة لعينيه من هذا القرب تتطلع إليه في صمت.. فابتلع هو ريقه بصعوبة وأضاف هامسا بحرارة " وهذا العطر الذي تضعينه.. يؤذيني يا بانة.. يعذبني.. يكويني

Des. Maryam Tamim

بالشوق إليك.. فكوني رحيمة ولا تضعينه مجددا
إلا عندما تكوني مستعدة لـ ....."
بتر جملته عن عمد خوفا من أن ترتعب منه بينما
أشاحت هي بوجهها تفرك كفيها في حجرها
بارتباك.. فمد يده ليشبك أصابعه في أصابعها لتهدأ
قليلا .

اقتربت أروى من المائدة الكبيرة التي تحتوي على
افخر أنواع المأكولات واتجهت نحو مائدة
الحلويات وبالتحديد من نافورة الشيكولاتة التي لم
تلحظها إلا منذ دقائق.
تطلعت للنافورة بعينين تتراقص فيهما القلوب
الحمراء ثم تحركت حول المائدة تحاول الحصول
على عيدان الخشب الرفيعة المخصصة لأكل
الفواكه.
اقترب منها شامل بسرعة يناولها عودا فابتسمت
بخجل ثم وضعت بها قطعة من الفراولة ثم مدتها

Des. Maryam Tamim

نحو النافورة ولمعت عيناها بفرح طفولي وهي تشاهد الشيكولاتة السائلة تتدفق على قطعة حبة الفراولة ثم قضمتها بتلذذ.

تأمل شامل جمالها ورقتها واستمتاعها بطعم الشيكولاتة فازدادت ضربات قلبه.

قالت بإعجاب " الشيكولاتة من نوع فاخر جدا وبها نكهة جديدة تجعلها رائعة "

رد شامل " إذن أنت ذواقة ممتازة "

ثم مال عليها يهمس " أنا بالفعل وضعت عليها لمستي السحرية "

ردت بحماس " إذن أنت من أعد هذه الشيكولاتة"

فقال بفخر " بل كل هذه المائدة التي أمامك ".

نظرت للمائدة العامرة بانبهار ثم قالت " إذن أنت شامل ابن العم غنيم "

قال باستغراب " إذن تعرفين اسمي ... لكن كيف عرفتي أنني شامل ولست كامل؟ معظم الناس يصعب عليهم تفريقنا "

Des. Maryam Tamim

تنحنحت تفكر في كذبة فهي بالطبع لن تخبره أنها تعرف أن كامل في رحلة مع أصحابه حتى ينتهي العرس فقالت " لأن بانة أخبرتني أن شامل ابن العم غنيم شيف مميز وهو من سيعد مأدبة الليلة (ثم مدت إليه يدها تقول) أروى سماحة أخت أحمد"

تعرق شامل وابتسم ابتسامة طفولية فخورة حين سمع أن بانة وصفته بالمميز.. ثم مد يده يسلم عليها في ارتباك وقال " تفضلي كلي المزيد"

فقالت أروى بطفولية " سيكون ذلك عدم لباقة مني أن أستولي على نافورة الشيكولاتة كلها فأنا أعرف نفسي لن أتوقف "

ابتسم لها شامل بسعادة وقال " اقضي عليها وسأمدها بالمزيد من الشيكولاتة لا تقلقي "

ثم مد يده بعود أخر لقطعة فراولة الشيكولاتة لكن قبل أن يصلها التقطتها يد عمرو وهو يحشر نفسه بينهما وينظر لشامل ببرود خطر قائلاً" يكفي هذا شكرا لك "

Des. Maryam Tamim

اختفت الملامح الطفولية من على وجه شامل ليتطلع لعمرو بزمجرة.. فآثر الأخير عدم إفساد الليلة فقال بابتسامة بلاستيكية " إنها تتحسس من الشيكولاتة وإذا أكثرت ستنتفخ كسمكة الينفوخ.. ولن نستطيع إخراجها من الكرسي "

جحظت عينا شامل في استغراب وأخذ يحدق فيها بصدمة.. فأدار عمرو وجه شامل نحوه وسأله ببرود "هل تعرف سمك الينفوخ ؟".

فهز شامل رأسه بلا فقال عمرو ببرود صقيعي "ابحث عنها على الانترنت إذن "

ثم استدار لأروى التي تحدق فيه بذهول والتي بادرته بالقول بغيظ " ما الذي تفعله! "

قال بهدوء " أريد التحدث معك في أمر ضروري "

قالت بعصبية " بل أنا التي أريد أن أتحدث معك.. هذا كثير وعلينا وضع النقاط على الحروف.. تفضل "

Des. Maryam Tamim

ثم ضغطت على زر التحكم بالكرسي بعصبية ليتحرك الكرسي أمامه نحو الشرفة الواسعة المغطاة بالستائر الفخمة واختفت .. بينما صاح فيه أحمد وهو يلحقها يناديه فاستدار له عمرو يجز على أسنانه..

اقترب منه أحمد يقول " ماذا يحدث لماذا تلحق بأروى؟"

قال عمرو بهدوء "أريد الحديث معها "

رفع أحمد سبابته متحفزا يقول "قلت لك ابتعد عن أروى يا عمرو "

رد عمرو بهدوء مستفز " وأنا قلت لك لن أبتعد واتركني أتعامل معها.. وأن تطلعني على السبب الذي يجعلك تبالغ في حمايتها بهذا الشكل معي أنا بالذات "

كان سيد يضحك بتسلي وهو يستمع لحكايات آية ثم قال " عرفيني على هذه الفتاة.. تريد أن يكتشفها

Des. Maryam Tamim

أحد للدخول لعالم الفن سأكتشفها أنا بطريقتي الخاصة "

جزت آية على أسنانها بعصبية وقالت " سيد لا تستفزني.. كما تستفزني هذه الوقحة ... وما يغيظني أنها قُبلت في فرقة الفنون الشعبية مع أنها ترقص كسلعوة مذبوحة.. ياليتني أستطيع أن أنضم مثلها كنت جعلتها تشاهد كيف يكون الرقص الشعبي "

قطع حوارهما وائل الذي ينادي فانتبه له سيد ليجده يشير لأحمد وعمرو اللذان يقفان أمام بعضهما بتحدي يوحي بالخطر والفضيحة.. فتحرك بسرعة نحوهما .

قال أحمد لعمرو " قلت لك من قبل وأعيدها خذ حقك مني كما تريد وابتعد عن أروى "

سأله عمرو بنفاذ صبر" هل تثق بي يا أحمد؟ أجبني.. هل تثق بي؟ "

Des. Maryam Tamim

حدق فيه أحمد قليلا وكأنه تفاجأ بالسؤال ثم قال "أثق بك تمام الثقة.. لكني أخشى من فقدان أعصابك عند الغضب "

رد عمرو مؤكدا " أنا لم أعد غاضبا يا أحمد.. هذا الأمر انتهى منذ مدة.. أنا أريد أن أتحدث معها فثق بي ولا تقلق "

اقتربت منهم بانة ولمست ذراع أحمد برفق تحاول فض الاشتباك " أحمد كيف تتركني وحدي هكذا.. الناس تحدق بي "

لكن أحمد كان غير منتبها سوى لتحليل كلام عمرو فسأله" ماذا تريد منها؟ "

زفر عمرو في ضيق ثم مال عليه يقول بجانب أذنه " أحمد.. أروى تهمني.. ولن أتحمل أن أؤذيها.. هل وضحت نيتي الآن.. أروى تخصني .. فاهدأ.. وعد لعروسك "

حدق فيه أحمد بمفاجأة وهم بالاعتراض عندما تدخل سيد يطوقه من الخلف قائلاً " حبيبي

Des. Maryam Tamim

العريس لم نلتقط الصور معا.. هيا وائل نأخذ صور مع العريس والعروس "
ثم شده بحزم عائدين نحو الأريكة وهو مازال يتطلع في عمرو الذي تحرك ودخل الشرفة..
بينما سيد بدأ بالغناء وشاركه وائل " بطلوا دة واسمعو دة.. ياما لسة هنشوف وياما .. الغراب يا وقعة سودة .. جوزوه أحلى يمامة "

في الشرفة كانت تجلس على كرسيها شاردة تنتظره..
فتبدد بعض من الثقة التي تميزه عادة.. ليرتبك في وجودها.. كل ما حضره في ذهنه ليقوله قد تلاشى فجأة ووقف يحدق فيها.
بادرته بعصبية " هل لي أن أعرف متى سينتهي انتقامك مني؟"
رد عليها ببرود " إنه لم يبدأ بعد "
صاحت فيه " إذن ما هذا الذي فعلته أمام شامل منذ قليل.. عمرو أنا لا أسمح لأحد أن يتحكم بي"

Des. Maryam Tamim

سألها وهو يتأمل عصبتيها لأول مرة " ما الذي فعلته؟"

قالت بحنق" أحرجتني أمام الشاب الذي كان يعاملني بمنتهى اللطف "

قال باستخفاف " تقصدين بمنتهى اللزوجة.. وهذه الطريقة معك تستفزني "

صاحت بغيظ " وما دخلك أنت يا بني آدم. كوني أخطأت في حقك في أمر ما.. لا يعطيك أبدا أي حق في التحكم في حياتي "

صمتت قليلا تهدئ من انفعالها لا تعلم إن كان بفعل عصبتيها أم بفعل تأثرها بقربه.. ثم أكملت وهي تتطلع إليه " علينا أن ننهي هذا الأمر.. ما الذي تريده مني بالضبط يا عمرو ؟"

رد بانفعال " أريد إجابة على تساؤلات كثيرة تحيرني يا أروى .. لماذا أنا بالذات؟؟؟؟... كل المبررات التي قلتيها لم يكن منها شيئا مقنعا لكبريائي.. لماذا يبالغ أحمد في حمايتك في هذا الموضوع إن كان

Des. Maryam Tamim

الأمر مجرد مقلب سخيف ليس إلا قد يضاف لمقالبنا ونحن صغار؟؟ خاصة وأن ما أعلمه عنك أنك لست هشة أو ضعيفة.. إلا إذا كان في الأمر شيئا آخر يخشى أحمد أن ينكشف.. وإذا كان هناك أمر لا أعرفه فلماذا لا أعرفه إن كنت طرفا فيه!! وهذا الأمر أيضا يجرح كبريائي ويحيرني.. فما أنا متأكد منه جيدا أن أحمد يثق بي.. إذن ما هو هذا الأمر الذي يفوق ثقته بي ويجعله يداري عني أمرا أنا طرفا فيه؟ (صمت قليلا وشعر أنه يهذي أمامها كالأبله فقال موضحا) أرأيت يا أروى.. هذا جزء من دوامة الأفكار والحيرة التي أمر بها منذ أن علمت بالأمر"

اعتصر الألم قلبها حين أدركت أنها كانت سببا في تلك الحيرة التي تقتله. فردت مدافعة "لماذا فسرت الأمر أن المشكلة عندك ربما هي عندي .. "



هدر فيها فجأة مقاطعا " أروى !!!! "

أجفلت لصيحته .. فأكمل" لن أحتمل مزيدا من كلمة (ربما).. أنا وأنت مازلنا نراوغ.. علينا أن نتخطى حاجز الجبن الذي نختبئ خلفه نحن الاثنين نحمي أنفسنا (ثم اقترب منها قليلا وأضاف بهدوء) من الواضح أن كل منا لديه عقبات نفسية تمنعه أن يفهم الآخر.. وأن أي خطوة سيقوم بها أحدنا سيفسرها الآخر بشك.. ويبدو أننا نتعذب في الابتعاد والاقتراب.. لذا سأقترح عليك أمرا قد يخرجنا من هذه المتاهة.. ما رأيك أن تثقي بي؟ لما لا نجرب أن يخطو كل منا خطوة يضحي فيها بشيء ما من أجل اكتساب ثقة الأخر.. فلنسميها مثلا خطوة الثقة.. (وانحنى يستند على كرسيها بذراعيه فحبست أنفاسها بتوتر.. ليقول بهمس وهو يحدق في عينيها باستسلام للأسر المتوقع فيهما) سأبدأ أنا يا أروى.. هأنذا أقف أمامك.. أمام حضورك الطاغي

الذي يشعرني دائما بأنك بعيدة المنال.. وهأنذا ألقي بكبريائي الذي أحتمي به.. منك.. ألقيه عند قدميك.. وأسألك السؤال الذي أخشى من أجابته من وقت طويل.. كيف تريني بعينيك يا أروى؟ كيف تريني كإنسان؟ أو كرجل؟ أو ككائن حي حتى؟ وأرجو أن تتخلي عن موهبتك الكبيرة في المراوغة وأن أسمع منك إجابة قاطعة لا تحمل أكثر من معنى.. تخرجني من دوامات الحيرة التي لا تنتهي. "

لم تستطع أروى تحديد هل سمعت كل ما قاله أم تاهت قليلا فيما اختبرته لحظتها من مشاعر تفجرت بداخلها دون سيطرة منها..

تجولت في ملامحه بعينيها تستكشفها من هذا القرب لأول مرة.. انفاسه الرجولية العطرة خدرتها .. اشعلت نارا بداخلها غير محددة المصدر .. لكن حين رأت انعكاس صورتها في سواد عينيه أجفلت وأطرقت في ارتباك .

Des. Maryam Tamim

فرفع ذقنها برقة هامساً " أنا أعرف أنك شجاعة.. يبقى فقط أن تثقي بي "

تطلعت إليه مجددا في صمت ثم تكلمت بأنفاس مقطوعة "واثق الخطوة.. يمشي ملكا.. ظالم الحُسن.. شهي الكبرياء.. عبق السحر كأنفاس الربى.. ساهم الدرب.. كأحلام.. المساء "

سقط قلب عمرو بين قدميه مبهوتا.. يحدق فيها بذهول.

وأدرك بعد ثوان كثيرة أنه نسي أن يتنفس؟!

بينما سألت أروى من بين أنفاسها المتسارعة "هل.. هذه إجابة قاطعة.. لا تحمل تأويلا... تكفيك؟"

استقام فجأة.. وتحرك بظهره خطوتين للوراء وهو يضع كفيه على جبينه يحاول السيطرة على انفعالاته .. شاعرا أن قلبه قد توقف عن النبض للحظات ...

Des. Maryam Tamim

تطلع حوله يمينا ويسارا بارتباك.. ثم عاد يحدق فيها مبهوتا بأنفاس متسارعة..
اندفع نحوها مجددا يحتوي وجهها بين كفيه.. ثم قرب جبينه من جبينها ينظر في عينيها ويقول بهمس أجش "يا أروى!! يا أروى!! أنت لا تحتاجين لأن تتخفي في حسابات غير معروفة على الفيسبوك لتتحدثي معي.. أنت ما عليك إلا أن تشيري بأصبعك الصغير.. لآتي إليك ملبيا طائعا.. أنت لا تعرفين من أنت وما قيمتك عندي.. أنت.. .."
بتر عبارته بأنفاس حارة متسارعة يبحث عن معنى يعبر به عما يشعر.. بينما أروى توشك على الإصابة بنوبة قلبية.. فكانت تحدق فيه متسعة العينان .. تسحب أنفاسه المختلطة بعطره إلى رئتيها غير مصدقة أنه في هذه اللحظة .. يلمسها ..
تطلع عمرو في شفتيها بجوع وأدرك أنه على وشك فقدان السيطرة.. فما يختبره من مشاعر حارقة مسيطرة لحظتها لم يمر به من قبل.

Des. Maryam Tamim

استعان بإرادة من حديد ليتركها مبتعدا.. ثم يوليها ظهره لدقائق يفرك رأسه بقوة يسيطر على انفعالاته.

شعرت أروى أن ما اختبرته في الدقائق الأخيرة من مشاعر يفوق طاقتها على التحمل فاستجمعت شجاعتها لتنهي الأمر وأجلت صوتها لتقول " أعتقد أن كرامتك قد ردت إليك الآن.. يبقى أن ننهي الأمر وكل منا يمضي في حياته "

استدار إليها ويحاول استيعاب ما تقوله ثم قال "تقصدين ننهي مرحلة الحيرة ... ونبدأ مرحلة جديدة سويا "

شعرت باقترابها من انهيار عصبي وبذلت مجهودا للتماسك وقالت بهدوء " ماذا تقصد بالضبط "

رد بتوضيح " أن نتزوج "

قالت بعدم استيعاب " من يتزوج من ؟!"

تطلع حوله بهدوء ثم قال " لا يوجد سوانا في هذه الشرفة "

Des. Maryam Tamim

أومأت برأسها بحركة عصبية متكررة ثم قالت بتوتر" أرأيت.. هذا هو الرد على سؤالك لماذا لم أخبرك أنني أروى ... حتى لا يحدث ما فعلته للتو "
اقترب منها يحاول الفهم وسألها متكتفا " وماذا فعلت للتو ؟!"
ردت بعصبية " فورا تتحرك شهامتك لتشفق على أخت صاحبك ذات الظهر المكسور.. وندخل في مجاملات وانسانيات مقيتة "
رد بحزم " أنت أكبر وأقيم من أن يشفق عليك أحد يا أروى.. فلا ترددي هذا الكلام الذي لا يليق بك أبدا يا بنت سماحة.. أنا كنت أنتظر منك الضوء الأخضر لأتحرك.. يمكنك سؤال وائل فهو يعلم بنيتي هذه منذ أيام.. اسألي أحمد ماذا قلت له قبل أن ألحقك إلى هنا أي قبل اعترافك.. قلت أروى تخصني.. تخصني.. (سكت قليلا ثم قال بنبرة أهدأ) ربما لا أعرف كيف اصيغ كلمات عاطفية لكني سأخبرك بشيء.. هذه أول مرة منذ أن قررت

Des. Maryam Tamim

الزواج لم أشعر فيها بلحظة تردد واحدة فيما أنا مقدم عليه.. وكأن الارتباط بك أمر بديهي غاب عني لسنوات طوال.. (اقترب خطوتين وأكمل بهمس متهدج) تزوجيني يا أروى "

تزوجيني يا أروى!!

تزوجيني يا أروي!!

أخذت الجملة تتكرر وتتكرر بتسارع في عقلها.. فحدقت فيه قليلا بنظرات ذاهلة غير مستوعبة وقد فقدت السيطرة على كل شيء..

ضغطت على زر متحكم الكرسي ليستدير ويتحرك بها ليخرج من الشرفة.. وهي مازالت تحدق أمامها بمقلتين متصلبتين.. وطنين الكلمات في أذنها.

تزوجيني يا أروى!!

تزوجيني يا أروي!!

Des. Maryam Tamim

كانت القاعة قد غادر معظم ضيوفها ولم يبق سوى القليل.. لم تتجه ناحية أحمد.. بل اكملت طريقها نحو باب الفيلا الكبير بنفس النظرات الثابتة الذاهلة.

لمحها أحمد الذي كان يجلس على مضض وقد استشعر تأخرها بالداخل وحين لمحها تبتعد انتفض واقفا في قلق وأسرع للحاق بها يحاول عدم لفت الانتباه.. بينما فرغ عمرو من تحليله لرد فعلها مرجحا أنها خائفة أو متفاجئة وخرج ليتفاجأ بعدم وجودها بينما أحمد والباقين يتحركون باتجاه باب الفيلا..

عندما خرج أحمد من باب الفيلا علا صوته قليلا يناديها لكنها لم تستجيب .. فخرج عمرو هو الأخر مندفعا في قلق يحاول الاستيعاب ... ليهجم عليه أحمد فجأة يلصقه بالحائط وهو يقول " ماذا فعلت؟؟؟ ماذا قلت لها؟ "

Des. Maryam Tamim

رد عمرو وهو يتابعها بنظراته قلقا " لم أفعل شيء يؤذيها أقسم بالله "

هدر فيهم وائل بحزم " هل ستتعاركان وتتركاها "

تحرك الأثنان فاستدار إليه أحمد مهددا " إياك أن تقترب إياك.. ستكون أخر لحظة في حياتك "

أوقفت أروى كرسيها بجانب سيارة أحمد دون أن تحرك مقلتيها عن التحديق في اللا شيء.

فأسرع إليها أحمد يهزها في قلق " أروى ردي عليّ.. أروى ماذا حدث !!"

ساعدته بانة في محاولة استيعاب ماذا يحدث معها فلم يجدوا منها أي استجابة فقط نظرات زائغة غير مستجيبة وراقبتها آية هي الأخرى متفاجئة مذعورة متسائلة.

قالت بانة "اذهب بها للبيت ربما تحتاج للراحة والابتعاد "

هتفت آية " سأحضر حقيبتها "

Des. Maryam Tamim

حملها أحمد ووضعها بمقعد السيارة ثم استدار
يقول لبانة باعتذار " بانة أنا أسف أنا.. "
أشارت له ألا يكمل وقالت " اذهب يا أحمد
وطمئني.. وأنا سأعتذر بالنيابة عنك للجميع "

تحركت السيارة .. بينما وقف عمرو يحدق فيها
بصدمة وعلى وجهه القلق والحيرة..
نظروا إليه فسألته بانة " ماذا حدث يا عمرو
أخبرنا؟"
تطلع فيهم وقال " لم يحدث سوى أني طلبت يدها
للزواج.. فلم أتلق ردا سوى أنها تركتني وذهبت"
قالت بانة مطمئنة " لا تقلق أعتقد أنها تعاني من
بعض الصدمة.. ستتماسك بعد قليل "

خرجت آية وتطلعت في صدمة لسيارة أحمد التي
غادرت بدونها.. فوقفت تحتضن حقيبة أروى في
إحباط..

Des. Maryam Tamim

أشفق عليها سيد الذي يقف بجوار سيارته يراقبها ... لكنه صمت متحكما في مارده الذي ألح لاستغلال الموقف.

حين تنبه وائل لآية قال مدافعا " لقد أسرع بالعودة حتى لا تتطور حالة أروى.. وطلب منا أن تعودي مع الحاج والحاجة.. ويمكنك أيضا أن تأتي معنا أنا وعمرو فكلنا ذاهبين لشارع سماحة"

تماسكت آية قليلا ثم تمتمت بالشكر.. لكنها تحركت للاتجاه العكسي لسيارتهم.. تحركت نحو سيارة سيد وركبت في صمت.. فتبادل سيد ووائل النظرات ثم ركب السيارة بجانبها وتحرك.

أما عمرو فاقترب من بانة يسألها بخفوت "لماذا صدمت؟ أنا لست أول من يطلبها للزواج.. أم أني جعلتها بغبائي يائسة مني إلى هذه الدرجة "

ابتسمت بانة دون رد..

Des. Maryam Tamim

بعد قليل أرسلت بانة رسالة لأحمد على الواتساب
" لقد عرض عليها الزواج.. أعتقد أنها في حالة صدمة"
شتم أحمد من بين اسنانه وأخذ يحاول إجبارها على الاستجابة لكنها كانت بنفس الحالة من الجمود.

"تزوجيني يا أروى !!"

"هذا أنا ذا أقف أمامك.. أمام حضورك الطاغي الذي يشعرني دائما أنك بعيدة المنال.. "

"وها أنا ذا ألقي بكبريائي الذي أحتمي به.. منك.. ألقيه عند قدميك.. "

"أنت ما عليك إلا أن تشيري بأصبعك الصغير.. لآتي إليك ملبيا طائعا.. "

[1642]



"أنت لا تعرفين ما أنت وما قيمتك عندي.."

ما يحدث معها يذهلها.. وما اختبرته من لحظات استثنائية فوق طاقة استيعابها.. بعد سنوات من اليأس والحرمان.. في لحظة تمنح كما كبيرا من المِنَح تُغدق عليها.

إن لم يكن شفقة كما أنكر فماذا يكون؟!!

هل كان ينوي بالفعل الزواج منها قبل اعترافها؟! لمَ الآن بالذات وليس قبل ذلك؟

هل أخبره أحمد بمشاعرها فيشفق عليها.. لا لا.. مستحيل أن يصغّرها أحمد أمام أي أحد مهما كان حتى لو أعز أصدقائه ..

هل خمن مشاعرها حين أكتشف من هي ويحاول أن يبادر بفعل الخير تجاه أخت صديق عمره؟
أم أن هذا ثمنا مضطرا أن يدفعه لتحرجه من أحمد؟
أم يريد أن يتزوجها فعلا.. لأنها أروى..
فقط أروى..
بمفردها دون أي اعتبارات أخرى.

***

تطلع سيد إليها في نظرات مختلسة أدمنها ... ثم قال مازحا " أليست فرصة جيدة لإطالة الوقت لنا سويا؟ ألم تتذمري بالداخل أن الحفل قد انتهى سريعا؟"
حاولت الابتسام وإن كانت لم تتخلص من الشعور بالإحباط وقالت " فعلا هذه فرصة جيدة لإطالة الوقت لنا سويا."

Des. Maryam Tamim

انحنت وخلعت حذائها ذو الكعب العالي ومسدت قدميها بحركة اشعلته.. فأشاح بوجهه يتطلع من نافذته ويركز في الطريق.. لتغوص آية في مقعدها باسترخاء.

قال بهدوء " لا أفهم لماذا تصرين على ارتداء الكعب العالي في المناسبات فقدمك عادة تتألم منه"

نظرت إليه بنظرة ناعسة وقالت " لن تفهم إلا إذا كنت قصيرا "

ابتسم لها ثم قال " أما أنا فكنت دائما أشعر أني أكثر ضخامة وطولا من زملائي وكان هذا يشعرني أني غريب وسطهم.. سبحان الله الانسان دائما لا يرضى بحاله "

أغمضت عينيها وقالت باسترخاء " سأترك لك فرصة لف سيجارة مميزة تناسب هذا الجو الرائع الذي يحيط بنا "

Des. Maryam Tamim



ارتجف قلبه وهو يتأمل استرخائها الملهب لأعصابه ومد يده نحو هاتفه يبحث عن أغنية مناسبة ... ثم وصلها بسماعات السيارة وراقب تلك الابتسامة التي شقت وجهها وهي مازالت مغمضة العينان .. حين بدأت الأغنية .

فغاصت في الكرسي أكثر كقطة مخملية ناعمة كسولة وصوت أم كلثوم يحول الواقع إلى عالم استثنائي حولهما :

أقولك إيه عن الشوق يا حبيبي
ياريت في كلمة أوصف بيها حبك
وأقولهالك ما بين قلبي وقلبك
مايقدرش الكلام يوصف غرامي
ولا أشواقي في بعدك وقربك .
وأقولك إيه
شوية إني أقولك يا حبيبي

[1646]

ياريت في كلمة أكتر من حبيبي .

بعد قليل توقفت الاغنية فسألها " هل تريدين أغنية أخرى أم نغير المغني .. يويا ... آية ... هل نمت؟ .. آية "

تابع الطريق أمامه في صمت يتذوق كل لحظة تمر وهي مسترخية .. نائمة بقربه.

حين قارب الطريق على الانتهاء ضعف للحظة أمام مارده وأوقف السيارة بجانب الطريق.. وبقي ساكنا للحظات..

ثم استدار يتطلع إليها بملء عينيه..

يتأمل ملامحها الجميلة التي تأسره رغم أنها ليست أجمل ما رأى من النساء.. أمسك بهاتفه وخطف صورة لوجهها النائم ... واستدار يتحرك بالسيارة من جديد يصارع ذلك المارد الجشع الذي يعربد للمزيد منها.

Des. Maryam Tamim

أوقف السيارة بالقرب من بيت سماحة وتأملها للمرة الأخيرة.. ثم فرد ذراعه خلف ظهر مقعدها وهمس بصوت أجش باسمها أكثر من مرة يوقظها بلهجة حانية.. حتى أشرق العسل في عينيها تحدق فيه بصمت دون حركة لثواني كأنها لم تستيقظ بعد.. ثم انتبهت فجأة واعتدلت تلتف حولها وتمتمت " هل نمت؟"

ابتسم لها وقال " هيا يا ناعسة إلى سريرك"

ردت إليه الابتسام وارتدت حذائها ثم خرجت من السيارة مودعة يتبعها بنظراته وهي تعرج بكعبها العالي.. حتى اختفت خلف بوابة البيت.

***

وضعها أحمد في السرير وهو يفك عنها حجابها.. فاستلقت على جنبها..

Des. Maryam Tamim

جلس على عقبيه بجانب السرير وقال بهمس
"أخبريني بما تشعرين .. أخبريني لو جرحك هذا الجلف.. إن لم تتكلمي يا أروى سأذهب وأضربه "
مدت أصابعها بارتخاء تلمس يده ورفعت مقلتيها قليلا نحوه وقالت بهمس بعد أن أجبرت نفسها على الخروج من دوامة الجمود التي أصابتها "أنا بخير.. لم يفعل شيء.. أنا آسفة أني انهيت احتفالك بهذا الشكل.. أنا فقدت السيطرة فجأة وانتابتني حالة غريبة لم أفهمها "
سألها بقلق " ما الذي دار بينك وبينه؟"
خجلت من اطلاعه على التفاصيل فقالت باقتضاب "طلبني للزواج والحقيقة لا أفهم لمَ الآن بالذات (ثم سألت بوهن) هل تحدث معك بالفعل عني الليلة؟"
رد بامتعاض " نعم.. أخذ يردد بوقاحة أروى تخصني "

Des. Maryam Tamim

قالت أروى بحيرة " لماذا الأن بالذات أخصه ما الذي تغير ؟!"
استقام يقف على قدميه ورد بامتعاض " هذا السؤال إجابته عنده هو ليست عندي "

دخلت آية بوجوم ووضعت حقيبة أروى بجانب السرير.. وجلست بجانبها تطمئن عليها قليلا فوقف أحمد يفكر في صمت ويحلل الأمر في ذهنه كعادته ليستشف دوافع عمرو الحقيقية هل يميل لأروى بالفعل أم إن هناك أمور أخرى تدفعه.
بعد قليل دخلت إلهام في جزع تحاول فهم ماذا حدث لأروى.. خلعت حجابها وألقته بإهمال على السرير وجلست بجوار أروى تضم رأسها في صدرها في قلق بينما أروى تطمئنها بوهن فانسحبت آية بنفس الوجوم إلى غرفتها.
قال أحمد بهدوء وهو يغادر الغرفة " ما دمت قد أصبحت أفضل سأتركك ترتاحين "

Des. Maryam Tamim

بعد دقائق رن هاتف إلهام فردت بسرعة " نعم يا عمرو.. أجل يا حبيبي.. إنها مستلقية الآن "
أشارت لها أروى بألا تجعلها تكلمه بينما إلهام تواصل الحديث على الهاتف " لا أدري يا بني ماذا أصابها.. ربما عين حاسد أعوذ بالله.. لقد لفتت أنظار الجميع اليوم في الحفلة وأكثر من سيدة تكلمت معي تحاول الاستفسار عن حالتها بالضبط وهل هناك موانع للزواج ومثل هذه الاسئلة وطلبن رقم هاتفي.. وكنت سعيدة جدا يا ولدي بهذا الأمر وقلت ربما يأتيها من توافق عليه ويفرح قلبي .... لا يا حبيبي هي غير قادرة على الحديث الآن.. حسنا يا بني.. تصبح على خير "
اغلقت إلهام الهاتف وهي تقول " قابلني المسكين في الشارع وطلب مني أن أطمئنه أول ما أراك لكني نسيت "
دفنت أروى رأسها في صدر أمها وبدأت في نشيج صامت غير قادرة على استيعاب أحداث الليلة

Des. Maryam Tamim

برمتها بينما إلهام تمسد على شعرها وترقيها من العين والحسد.

***

خرج أحمد من بوابة البيت وقد تجاوزت الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل.. والهدوء يعم الشارع إلا من بعض الأصوات القليلة التي مازالت بالمقهى ..

فوجئ بعمرو يقف بجوار بوابة البيت يستند للحائط في شرود.. وانتبه حين خرج أحمد .

نظر إليه أحمد ببرود فبادره عمرو بقلق "لماذا لا ترد عليّ يا أحمد؟"

رد أحمد بامتعاض "كنت مشغولا مع أروى "

سأل عمرو بلهفة "كيف هي الآن أرجوك طمئني إنها لا ترد على هاتفها "

قال أحمد وهو يتجاوزه متجها لسيارته " لديها انهيار وحالتها صعبة .. دعها وشأنها "

Des. Maryam Tamim

قال عمرو بتأثر " لمَ كل هذا أنا لا أفهم ؟!!"
رد أحمد ببرود " إن كنت غبيا فهذه ليست مشكلتي "
ثم ركب سيارته وتحرك عائدا إلى بيت العم غنيم..

بعد ساعة خرجت بانة من بوابة فيلا آل غنيم بحذر وحرج أن تصدر صوتا ثم اتجهت لسيارة أحمد الرابطة على بعد خطوات من الفيلا.. وركبت بجواره وهي تسأل في قلق " ماذا هناك يا أحمد؟ لماذا عدت في هذا الوقت من الليل وأصريت على أن تراني لأمر هام؟"
تأمل وجهها الأبيض الذي مازالت آثار المساحيق عليه وقال بهدوء " جئت لأرى زوجتي.. هل هناك اعتراض "
تحكمت بانة في شعورها بالغيظ وقالت " أحمد.. هل تريد أن تسبب لي حرجا.. ماذا يقول أصحاب

Des. Maryam Tamim

البيت عني حين يروني أخرج هكذا كاللصوص
لأقابلك.. لن أصدقك مرة أخرى "
حرك كتفيه بهدوء وهو مازال يتأملها " سيقولون
خرجت تقابل زوجها "
اشتعلت وجنتيها من تحديقه وقالت مغيرة
للموضوع " هل أروى بخير؟"
اشاح بوجهه ورد بقرف " بصراحة حالها مقزز هي
مصدومة لأنه طلبها للزواج وكأنه أمير موناكو..
وهو يقف تحت البيت كالشحاذين "

ابتسمت بانة لغيرته الطفولية وقالت توبخه
"أحمد هذا الجانب فيك غير ناضج بالمرة "
مط شفتيه بامتعاض وحدجها بنظرة سريعة
بطارف عينيه قائلا " ها أنا صامت ولم أفعل شيء"
قالت تقلد طريقة كلامه وتعابير وجهه " بصراحة
حالها مقزز هي مصدومة لأنه طلبها للزواج وكأنه
أمير موناكو.. وهو يقف تحت البيت كالشحاذين "

Des. Maryam Tamim

استدار إليها يتأملها ثم قال بهدوء يحثها على المتابعة " وماذا أيضا؟ "

احمرت قليلا ولاحظ كفيها المتوتران في حجرها ثم تماسكت وأكملت مقلدة صوته وحركته "هل سنظل مسمرين هكذا كتمثالين معروضان في متحف يحدق .... "

بترت كلامها فجأة عندما أطبق على شفتيها برقة حارة فتخشبت في إجفال. بينما انفجر قلبها يدق بجنون يختبر مشاعر غريبة.. جديدة.. حارقة.. أطبقت بكفيها في حجرها بقوة فمد كفه يمسد كفيها بخفة مطمئنا وهو مستمر في تقبيلها حتى شعر بانخفاض توترها بالرغم من استمرار تخشبها.

بعد دقيقة.. استحضر كل قواه في ضبط النفس ليترك شفتيها دون أن يترك العنان للبراكين التي تفجرت في أحشائه أن تتمادى في أكثر من قبلة رقيقة خوفا عليها.

Des. Maryam Tamim

ما أن ابتعدت أنفاسه الحارة العطرة عنها قليلا حتى أطرقت برأسها في خجل تدفن وجهها في كفيها فلاح شبح ابتسامة على وجهه ثم مال برأسه يهمس في إذنها بحرارة عبر الحجاب " قلت لك هذا العطر يفقدني أعصابي "

تمتمت بصوت مكتوم في كفيها " أنت وعدتني "

قال بنفس الهمس وهو مازال مائلا بجذعه نحوها " نحن اتفقنا على عدم إتمام الزواج (ثم مال على أذنها مجددا يكمل) ألا تعلمين كيف يتم الزواج يا مثقفة "؟

سمع تمتمات مكتومة فأشفق عليها مقاوما رغبة قاتلة في ضمها بين ذراعيه. فطبع قبلة حانية على رأسها.. ثم حاول أن يزيح كفيها من على وجهها فرفضت بخجل دغدغ رجولته..

ابتسم ومال بجذعه نحوها مرة أخرى وقال بخفوت " لو تعلمين يا بانة كم تمنيت هذه القبلة وكم مرة تحكمت في أعصابي. ومنذ متى.. لأشفقت

Des. Maryam Tamim

عليّ.. (ثم رفع حاجبه بمكر وأكمل بنفس الخفوت)
وبالرغم من أنها ليست المرة الأولى التي أقبّل فيها فتاة إلا أنني ... "

بتر عبارته فجأة عندما رفعت إليه وجهها تحدق فيه بنظرة خطرة فرجع بجذعه للخلف تزامننا مع حركتها يطالعها بعينين متسعتين كاتما ضحكته..
فالطريقة الوحيدة لإخراجها من حالة الخجل هي استفزازها.
سألت بعينين جاحظتين " هل قبّلت رشا؟؟؟؟؟ "

أجفل من سؤالها عن رشا بالذات وتحكم في ابتسامة ملحة وقال باندهاش " هل اختصرت علاقاتي النسائية كلها في رشا فقط "
اتسعت عيناها وهتفت في ذهول "علاااقات!! "
جزت على أسنانها بغيظ وفتحت باب السيارة مندفعة خارجها..

Des. Maryam Tamim

تفاجأ بحركتها وخرج وراءها ليلحق بها وهو يقول بخفوت حتى لا يخدش السكون المسيطر على الشارع " بانة انتظري ".

لحقها عند البوابة لكنها حاولت الدخول فجذبها من كتفيها وأدارها نحوه يثبتها بحزم قائلا " دعيني أوضح "

ردت وهي تشيح بوجهها بعيدا عنه بغضب " عن ماذا؟ عن قبلتي التي ستضاف لبقية لائحة النساء اللاتي قبلتهن.. أم ستقص عليّ كيف قبّلت رشا!"

تطلع إليها في صمت قليلا ثم قال " أولا أنا لم أقبّل رشا مطلقا.. ولم أرغب في ذلك "

نظرت إليه بسخرية ونفضت كفيه الدافئين الذين يثبتهما على أعلى ذراعيها وقالت بقرف " الحقيقة تلهفك عليها ونظرتك إليها كان واضحان فلا تقول لم أرغب "

تنحنح وقال مستدركا " حسنا ربما رغبت.. لكن هذه الرغبة تختلف تمامااااااما عن احساسي معك..

Des. Maryam Tamim

هذا موضوع ... وهذا موضوع آخر مختلف عنه..
جملة وتفصيلا "
تطلعت إليه في شك متسائلة فقال موضحا " إذا
أردت وصف الأمر بالتفصيل ليس لدي أي مانع (
فأشاحت بوجهها الغاضب في خجل فأكمل) أما عن
موضوع قبلتك التي اضيفها للقبلات الأخرى
فاقسم لك أنها لا تقارن أبدا بأي احساس مررت به
من قبل مع أي أنثى.. أنت زوجتي "
هتفت ساخرة بلهجة مستخفة " كلام إنشائي سهل
أن يقال في مواقف كهذه.. أنا لو مازلت أمثل دور
الشاب حتى الآن لكنت استحضرت هذا الكلام
بسهولة "
تحكم في ابتسامة ملحة وهو يشاهد احمرارها
الشهي ثم قال وهو يضع يديه في جيبه باسترخاء "
لو كنتِ مثل أي فتاة أخرى قابلتها يا بانة ما
تحملت حتى أتزوجك لأحصل على قبلة منك..
على الرغم من أني أوضحت لك من قبل أني لا

Des. Maryam Tamim

أقيمك بالمعاير التقليدية.. ولا يهمني متى قبّلتك قبل الزواج أم بعده فأنت أنقى من كل هذه التفاهات.. ومع هذا انتظرت ليكون الأمر في إطار شرعي كما تفكري أنت وتقيمي الأمور وفي الإطار الذي لن يشعرك أني أهينك "

ارتجفت وهي تتطلع إليه في هذه الهيئة المسترخية الواثقة وصوته المرهق يكمل" أما عن موضوع العلاقات النسائية في حياتي فكان ذلك منذ سنوات.. قبل أن أعد الحاج أني سأمتنع عن ذلك.. توقفت وقتها كرامة لأبي.. لكني الآن وبعد أن قررت الالتزام الديني أشعر ببعض الندم على هذه اللحظات الطائشة "

تحولت وجنتيها لحبتين من الطماطم وتمتمت وهي تشيح بوجهها " تقول علاقاتي النسائية وكأنها نياشين على صدرك "

Des. Maryam Tamim

اتسعت ابتسامته لغيرتها فمال على أذنها يهمس بحرارة " نيشاني الأول حصلت عليه منذ قليل.. وكان شهيا محطما للأعصاب ".

سرت القشعريرة في جسدها فتلوت تبتعد عن مجال حضوره وهمت بدخول البوابة فأمسك بذراعها وهو يقول بترجي" انتظري لدقيقة أخرى يا بانة "

فجأة فُتح باب الفيلا وخرج العم غنيم بمنامته ووجهه المحتقن.. ووقف مشبكا يديه أمامه في هدوء يحدق في أحمد الذي يظهر رأسه وكتفاه من وراء البوابة القصيرة.. فشهقت بانة من الحرج ودخلت بسرعة تمر كالسهم من جانب العم غنيم وهي تتمتم بحرج "آسفة.. آسفة جدا " واختفت بالداخل.

Des. Maryam Tamim

تسمر الاثنان في صمت لدقائق ثم بادر العم غنيم بالقول " عندما يتم الزفاف.. سأغير عنواني.. حتى يحظى أهل هذا البيت ببعض النوم "

تنحنح أحمد في حرج وقال " نسيت معها مفاتيح بيتنا فجئت لأستردها.. سأسرع لعائلتي قبل أن يناموا في الشارع.. تصبح على خير "

***

ركن سيد السيارة بجانب النهر وقد خلى الشارع من الزحام ليعم الهدوء في هذا الوقت المتأخر من الليل..

فتح هاتفه وتطلع لصورتها المسروقة يدقق في ملامحها.. يتحسسها بأصابعه بارتعاش.. ثم هاجمه ذلك الشعور بالذنب الذي بات رفيقه منذ سنوات وآلمه ضميره – كالعادة – فرمى الهاتف بجوار المقود بعصبية.. لينزل بقبضات عنيفة متوالية على المقود في غضب من كل ما يحيط به... من كل شيء.

Des. Maryam Tamim

نفسه.. وحظه.. وحياته.. وبسمة.. كل شيء.

ترجل من السيارة يقف أمام النهر متخصرا يحاول السيطرة على انفعالاته التي تلح عليه لتحطيم أي شيء أمامه.
رفع نظره للسماء وقال في هذيان " لماذا؟ لماذا هي بالذات؟ لماذا تعذبني بها؟
لماذا عليّ أن يكون قدري الحرمان طيلة حياتي؟
أنا أعلم أني مقصر..
لكني تائه في الوصول إليك.. فهل تعاقبني بها؟
ثم أكمل في ترجي " هذه هي المرة الأولى التي سأطلب منك أن تمحوها من ذاكرتي..
من أجل بسمة التي ليس لها ذنب فيما فعلت أنا..
من أجل آل سماحة الذين لا أعرف وقع هذا الخبر عليهم ربما رأوني نسخة من خليل.. وشكّوا في سوء نيتي معها خلال السنين الطويلة الماضية..
من أجلها هي..

Des. Maryam Tamim

أريد أبقى دائما كما تحب أن تراني.. (صمت قليلا يلملم مشاعره ثم واصل باختناق) أنا لم أصل حتى الآن لإجابة على تساؤلاتي.. لماذا أنا بالذات كل هذا الحرمان في حياتي.. لكني أتوسل إليك أن تساعدني في هذا الأمر.. "

خبأ وجهه بين يديه يداري دموعا رجولية صامته لم يستطع التحكم فيها ..

دوامة مشاعره تصيبه بالاختناق..
يحتاج للحديث مع شخص..
الشعور بالوحدة موحش لا يحبه..
بل إنه لا يحب أبدا أن يختلي بنفسه..
لا يحب هذا الشعور..
قاسى منه كثيرا حتى بات يختنق لو بقي وحده مدة طويلة.

Des. Maryam Tamim

فتح هاتفه يحتاج للبوح.. للكلام.. دون انتباه كان أول أسم قد تبادر إلى ذهنه هو أحمد.. لكنه توقف بابتسامة مرة بعد أن أدرك ما كان على وشك أن يفعله.. كيف سيتحدث معه في هذا الأمر بالذات.
اتصل بوائل وهو يدعو ألا يكون قد لجأ كعادته للمهدئات لينام.
حين رد عليه وائل بهدوء بادره بالقول " انصحني ماذا أفعل.. أخبرني بطريقة اتخلص بها مما اعانيه ."
قهقه وائل ورد بسخرية مُرة " الحقيقة اخترت الانسان المناسب ليصف لك وصفة للسعادة!"
تجاهله ليقول " انا وصلت لحائط سد يا وائل.. ولا اعلم ماذا عليّ أن أفعل بعد ذلك."

قال وائل بهدوء " لا أريد تذكيرك أني كنت معترضا على زواجك من بسمة بالرغم من أننا لم نتكلم صراحة في موضوع آية وقتها.. لكني كنت متأكدا

Des. Maryam Tamim

من مشاعرك تجاهها.. في وقت لم تكن أنت استسلمت بعد واعترفت بالأمر بينك وبين نفسك .. لهذا عارضت زواجك بشدة وكنت أرى أن تصبر قليلا "

رد سيد بانفعال " كانت آية صغيرة يا وائل حين اتخذت القرار.. كانت في الثامنة عشر.. وكنت أجادل نفسي أني ربما بحاجة لزوجة واستقرار لأتخلص مما اعتبرته حتى هذا الوقت وهما.. صنفت مشاعري كاضطراب ناتج عن الحياة التي عشتها بدون أم مع أب يكرهني.. فعلتها لأحميها من جنوني وخفت من انفلات أمري فأؤذيها وأصدمها في شخصي.. تصور مشاعر رجل في الثانية والثلاثين وقتها مع فتاة في الثامنة عشر تودع المراهقة.. وأهلها يثقون به ثقة عمياء.. (صمت قليلا ينهت من فرط انفعاله ثم أضاف) بالإضافة لظروف أروى.. أمي الحاجة كانت تتمنى أن أتزوج أروى.. وكنت عازما فعلا أن أفعل ذلك إسعادا لها

Des. Maryam Tamim

ورفقا بحال أروى فلم أكن أريدها أن تظل دون زواج.. بالرغم من أني لم أنظر لها يوما إلا كأخت صغرى أدللها.. لكني كنت مستعدا لذلك من أجل أل سماحة كلهم.. وكنت صادقا في ذلك بالفعل.. ففاجأتني مشاعري تجاه آية.. فاجأتني وأربكتني وقتا طويلا كما تعلم.. ولهذا آثرت أن أبتعد عن فكرة زواجي من أروى.. وحمدا لله أني اتخذت قرارا صحيحا بهذا الخصوص وإلا لكانت كارثة.. فكيف كنت سأذهب إليهم وقتها بكل وقاحة أخبرهم أني أريد آية ذات الثامنة عشر عاما بدلا من أروى التي هي أولى بذلك.. بالله عليك كيف سيكون شكلي أمامهم مع استحضار صورة خليل في المخيلة "

قال وائل مستسلما " حسنا.. لا تدقق على كلامي أنت تعرف أني أميل لاتخاذ قرارات عاطفية (ثم أضاف بعد فترة من الصمت) لماذا لا تخبر آية

Des. Maryam Tamim

بمشاعرك.. من نظرتي أرى أنها تكن لك بعض المشاعر "

رد سيد موضحا " الأمر لم يختلف كثيرا عن ذي قبل.. إنها توشك على اتمام الواحدة والعشرين.. ليست امرأة ناضجة ستتفهم الأمر.. فأنا لا أريدها أن تصدم بمشاعري ونظرتي إليها.. ربما رأت تلك المشاعر أمرا مقززا مني. خاصة أني متزوج.. وهي التي تحسبني ببراءتها عظيما.. بل هي الوحيدة في العالم التي تمدني بذلك الشعور.. أني ذا قيمة.. فلا أريد أن أهز ثقتها بي...

ولو سلمنا أنها تكن لي مشاعرا فبالتأكيد ستكون مشاعر مراهقة سطحية ساذجة ستنتهي بمجرد أن تطأ قدميها مرحلة النضوج والأمر ذاته لو علمت بما أشعر واستقبلته بانبهار المراهقة.. لتستفيق بعد فترة لتجدني في حياتها قيد ثقيل.. إذن في كل الحالات.. سأخسرها كحبيب وكإنسان.. وبالتالي

Des. Maryam Tamim

فكرة إخبارها بالأمر مغامرة كبيرة غير محسوبة العواقب لا أستطيع الاقدام عليها "
زفر وائل بيأس وقال " أنت تحلل الأمر كأحمد.. إنه يتخوف من كل ما ذكرته ويضيف عليه أنك في حالة فشل علاقتك معها.. وهو كما يرى أن ذلك متوقع بنسبة كبيرة.. ستفقد رغما عنك مقعدك في عائلة سماحة كفرد ينتمي إليها معنويا.. وستصبح بلا عائلة.. بلا شيء.. إنه ينظر للأمر بواقعية شديدة ويراها مثلك مغامرة غير محسوبة في حالة ارتباطك بها لذا هو يرفض هذا الارتباط من أجلك "

تنهد سيد بألم وقال معترفا " أعلم ذلك.. أنا أفهم أحمد وأعرف كيف يفكر.. إنه ضد المصاهرة معنا لإيمانه أن رباط الصداقة أهم من الزواج وهذا من ضمن أسباب عدم تقبله لفكرة ارتباط أروى بعمرو ... ولم أجد منه أي ترحيب مما كانت تلمح إليه أمي بشأن تمنيها لارتباطي بأروى (صمت قليلا ثم قال

Des. Maryam Tamim

مستدركا) كما أننا ناقشنا جانب آية ولم نتطرق لحقيقة أخرى مهمة بل باتت اساسية.. وهي أني متزوج بالفعل "

قال وائل بهدوء " ربما عليك أن تصحح هذا الخطأ.. أنت لديك فرصة للانفصال لا أجدها أنا.. فانتهزها.. فما تفعله حاليا يعتبر خيانة فكرية لها "
رد سيد بانفعال " لست قادرا على هذا أيضا يا وائل.. أنا أحملها فوق ظهري ذنبا لكني أشعر أني سأظلمها حين اقرر طلاقها هكذا فجأة.. أنا الذي عانيت من الظلم كثيرا واعلم وجعه الحارق لم أتخيل يوما أن أكون ظالما.. تحولت بزواجي بها لأكبر ظالم.. ولست قادر على الامعان في ظلمها أكثر بطلاقي لها دون ذنب.. ربما لو طلبت هي ذلك مني لأي سبب سأكون سعيدا.. لكني لست قادر على المبادرة.. الأمر مؤلم جدا"

Des. Maryam Tamim

قال وائل بحيرة " إذن لا يوجد أمامنا إلا اللجوء لرب الكون.. نطلب منه المساعدة "

رد سيد بيأس " أتمنى أن يتقبل مني ويساعدني يا وائل.. أتمنى هذا بشدة"

ثم قال قبل أن ينهي المكالمة " وائل وأنت ايضا لا تستسلم "

رد وائل بهدوء " بالرغم من اني لا أرى سببا يدفعني للاستمرار لكني أفعل ما بوسعي من أجلكم أنتم "

أكمل له سيد " ومن أجل بناتك "

رد وائل لهجة شاردة " بناتي سيعيشون سواء بي أو بدوني "

هدر سيد بعنف محذرا من هذه النبرة المكتئبة "وائل! "

رد وائل بملل " حسنا.. لا تصيح.. خرقت طبلة أذني.. هيا اذهب أريد أن أنام تصبح على خير"

***

.....

Des. Maryam Tamim



استقبلته بسمة بقلق "سيد هل أنت بخير؟
قال بإرهاق وهو يبدل ملابسه "أنا بخير لا تقلقي
امتد الحفل لساعة متأخرة "
قالت بإحباط " كنت أود أن أذهب معك.. لا يصح
ألا أبارك لخالتي الهام "
رد باقتضاب " باركي لها في الهاتف "
قالت بنبرة باكية " لماذا تصر على اقصائي من أي
مناسبات مع آل سماحة يا سيد بل لماذا تقصيني
من حياتك كلها ؟!!"
قال بضيق " بسمة .. أنا مرهق ولا طاقة لي
للجدال "
بعد قليل خرج من الحمام بجذع عاري وبنطال بيتي
مريح وجلس على السرير يستعد للنوم فقالت
تسترضيه بنبرة هادئة " أنا ذهبت للطبيبة النسائية
اليوم "
رد بدون اهتمام "جميل "

Des. Maryam Tamim

شعرت بالإحباط لعدم اهتمامه لكنها أضافت "قالت إني ليس عندي أي موانع للحمل.. و. وطلبت مني أن تقوم أنت ببعض التحاليل " تمتم وهو يعطي لها ظهره " ان شاء الله " حاولت التخفيف من عصبيته التي لا تعلم سببها كمعظم أحواله فزحفت بنعومة خلفه ومسدت كتفه العضلي العاري برفق فتشنجت عضلاته وقال بحزم " بسمة أنا مرهق ومستنزف وأريد أن أنام عندي تسجيل في الاستوديو غدا.. تصبحين على خير "

استدارت توليه ظهرها هي الأخرى وهي تكتم دموعها بينما سيد يغمض عينيه على إحساس بالكره لذاته ولحياته كلها.

***

حين دخلت سيارة أحمد الحي كان الشارع أكثر هدوء وسكينة.. وعند اقترابه من إيقاف السيارة لمح شبحا يجلس على عتبة المقهى المغلق في

Des. Maryam Tamim

مواجهة بوابة بيته.. فخرج من سيارته يرفع حاجبيه باندهاش من رؤية عمرو يجلس تلك الجلسة ولم يذهب إلى بيته حتى الآن والذي استقام بمجرد أن لمح سيارته.

بادره أحمد باندهاش " لماذا تجلس هكذا ؟!!"

قال عمرو بهدوء " انتظرك تعود لتطمئني على أروى إن هاتفها مغلق والوقت متأخر لأتصل بآية وخجلت ان أتصل بالخالة إلهام مرة أخرى "

شعر أحمد بالشفقة على صاحبه وبعضا من الدهشة من حالته الغريبة فقال مطمئنا " هي بخير لا تقلق استعادت طبيعتها قليلا "

سأله عمرو بترجي " هل ستساعدني في الحصول على موافقة أروى؟ "

.....

رد أحمد ببرود " آسف ليس في يدي ما أفعله يكفي أني أترك لك الفرصة لتحاول معها أصلا "

قال عمرو بهدوء " هل لديك اعتراض على شخصي؟"

Des. Maryam Tamim

صاح أحمد بقلة صبر" عمرو لا تتلاءم لاستحضار عاطفتي تجاهك.. أنت تعرف جيدا أنه بعيدا عن أنك جِلف وتشبه طائر أبا قردان.. فأنت صاحب عمري وأحترمك وأكن لك معزة خاصة جدا.. للأسف ".

أجفل عمرو من كلمة (للأسف) وابتسم لصاحبه وهو يقول ساخرا " يا له من اعتراف بالحب شديد الحرارة.. أنت غلبتني في الجلافة يا رجل!"

هم أحمد بدخول البوابة فلحقه عمرو يقول " أحمد أنا أعرف مدى ارتباطك بها.. لكن ساعد صديقك ما دمت تثق فيه.. أنا أكاد أفقد صوابي اقسم بالله.. أشعر وكأن بركانا قد تفجر بداخلي.. كشيفرة مستعصية كنت اتجاهل فكها جُبنا.. حُلت فجأة فتدفق أمامي كماَ من البيانات والتعريفات لأمور كنت أجهلها وأنا الآن غارقا فيها..

Des. Maryam Tamim

غير قادر على تحديد أولها من آخرها.. أشعر أني احتاج وقتا طويلا لأصنفها واستوعبها.. لكني لن أستطيع فعل ذلك وحدي بدونها هي.. هي بالذات (صمت قليلا ثم أضاف) أنت تعرف موقفي من الزواج.. وحالة التردد الغير مفهومة التي تنتابني ... أعتقد أني بغبائي لم أدرك أن سبب ترددي هو أني انتظر أن أحسم أمرا.. هذا الأمر هو أروى.. هذه هي المرة الأولى يا أحمد التي أقرر فيها الارتباط وأنا متأكد مائة بالمائة أني أريد هذا الأمر أن يتم فورا دون تأخير ".

ساد الصمت لفترة وأحمد يتأمله في هدوء ثم تكلم أخيرا يقول ساخرا " هل تعلم أن هذه أول مرة تتكلم فيها كل هذا الكم من الجمل في المرة الواحدة.. هل أنت محموم!"
قال عمرو بغيظ " أحمد.. أعصابي لا تتحمل مزاحك ".

Des. Maryam Tamim

مط أحمد شفتيه بامتعاض ثم سأله متأففا "ومن أين ظهر هذا البركان فجأة؟!! "

أطرق عمرو برأسه وقال " يبدو أنه كان خاملا بداخلي طيلة الوقت لكني كنت غبيا ولم اكتشف وجوده حتى تفجر يمزقني ".

قال أحمد باستنكار " وماذا لو لم تقم أروى بالمبادرة لظل خاملا للأبد.. إذن الخطأ خطأ أروى ".

رد عمرو ببعض الحنق " إن لم تقم هي بالمبادرة لكنت انفجرت إذا ما قررت هي الزواج من غيري وكنت سأقضي حياتي بائسا نادما.. صدقني يا أحمد كنت أكابر وأتغافل متعمدا عن الاحساس بالغضب الذي ينتابني كلما جاءت سيرة عريس لأروى "

سأل باستخفاف " لماذا؟"

أطرق برأسه يقول بخجل " كنت أخشى ألا أكون مناسب لذوقها في الرجال وخشيت أن أجرح كبريائي معها.. وكنت أراها عازفة عن الزواج فكنت مطمئنا

Des. Maryam Tamim

لذلك.. وهذا من رحمة ربي بي أنها عزفت عن الزواج وإلا كنت عانيت طيلة حياتي.. صدقني حين أحلل الأمر الآن واتصور كيف كان من الممكن أن تتخذ أروى قرارا بالزواج وأنا في حالة التجاهل المتعمد هذه وأن الله رحمني من هذا المصير أشعر كما لو كنت على وشك الموت وربي نجاني في آخر لحظة"

تمتم أحمد بامتعاض " لم أرى أغبى منك في حياتي"
أطرق عمرو برأسه في حرج..
فتركه أحمد يصعد سلم البيت وهو يقول منهيا للحوار " اذهب الآن الوقت متأخر ولست مستعدا لحالة الثرثرة العاطفية التي تنتابك الليلة "
فلحقه عمره بصوته يسأل "هل هي حقا بخير؟"
توقف عن الصعود وقال بملل " هي بخير يا عمرو لا تقلق.. بدليل أني تركتها وذهب لأقابل بانة..
تصبح على خير (ثم أكمل بعنجهية وهو يضع يديه

Des. Maryam Tamim

في جيبه مواصلا الصعود) اغلق البوابة جيدا قبل أن تذهب"

***

قاد عمرو سيارته وقد تجاوزت الساعة الثالثة صباحا..

بعد هذه الليلة العجيبة..

وبعد هذا الوقت الاستثنائي الذي عاشه مع أروى في شرفة فيلا آل غنيم..

وبعد هذا الاعتراف منها بمشاعرها تجاهه.. والذي كان اعترافا مذهلا..

لم يدر بنفسه إلا وهو يقود سيارته بعد أن اطمأن على والدته ليخرج إلى أطراف العاصمة متجها نحو مقابر العائلة..

يزور الشيخ عبد الرحمن.

لقد اشتاق إليه كثيرا.. شاعرا بأنه في اشد الحاجة إليه.

Des. Maryam Tamim

فتح بوابة المدفن وهو يردد بعض من آيات القرآن.. ودخل الغرفة الخلفية يطالع قبر ابيه برهبة..
ثم افترش الارض وأمسك بمصحفه وبدأ بقراءة القرآن بصوته الذي يحبه والده.

بعد فترة من الوقت تحدث إليه قائلا " اشتقت لك يا أبي.. كنت أود أن تكون بجواري لأحكي لك أولا بأول بما حدث معي.. ولا أعلم يا أبا عمرو كيف أبدأ بالحديث عن الأمر.. هل أحكي لك عن أروى سماحة صاحبة الملف السري المغلق بداخلي بشيفرة مستعصية تجاهلت بتعمد فكها.. أم أحكي لك عن ميمين التي جذبتني إليها بشخصيتها وأفكارها..
أم أحدثك عن كوني أشعر أن عقلي اللا واعي كان ربما يعلم أن ميمين هي أروى ولهذا لم يدعني أقرر فكرة الزواج..

Des. Maryam Tamim



أنا مرتبك كمن تلقى ضربة على رأسه لكنها أفاقته..
رتبت بداخلي أفكار مبعثرة.. أو مشاعر مبعثرة بتعبير أدق.
اليوم يا أبي.. شعرت أني شخص مميز.. مميز جدا عن جميع الرجال..
كيف يمكن أن تخرج كلمتان من شفتيها فترفعني هكذا إلى السماء.. وأنا الذي لم أكن يوما أفكر في مسائل الحب والمشاعر والتضحيات.. لم أتخيل نفسي أبدا في هذا القالب.
بكلمتين تخرجني من ظلمة مشاعري إلى رحاب واسع من النور..
لقد استخرت الله وقررت الزواج منها..
سأقاتل من أجل أن أفوز بها مادامت تريدني.. فأخيرا جاءت اللحظة التي أخطو فيها نحو فتاة وأنا متأكد أني أريدها..
يبقى فقط إقناع أمي.. وأنا أعرف أن ذلك سيكون صعبا.. وربما كان ذلك من أسباب عدم سعيي



للارتباط بها بسبب حالتها.. لأني أعلم أن أمي تحبني بهوس.. وتبالغ في اختيار أي شيء لي فما بال زوجتي.. إنها تخضع الفتيات لفحص دقيق قبل ان تعرضهن علي كما تعلم.. أنا أعلم أن هذا بدافع حبها لي لكني كنت دائما أتجنب أن اعرض أروى بحالتها التي طالت لهذا الأمر.

لكن ما أدركته مؤخرا عن مشاعرها وعن مشاعري لن أستطيع تجاهله بعد الآن..

لم أعد قادر على تجاهل الأمر.

أروى باتت تحتل كل ذرة مني.. أو هي كذلك منذ زمن بعيد لكني أدركت ذلك منذ وقت قصير..

وأدركت أمور أخرى يا أبي تخصها..

وهالني ما أدركته..

أتمنى من الله أن يرزقني إياها.. "

سمع أذان الفجر فاستقام يتوضأ ويصلي.. ثم أخذ يكنِس الحوش ويرشه بالماء.

وعند شروق الشمس كان يغلق بالبوابة ويقود عائدا
للعاصمة بعد أن استراح قليلا..
بعد ما قضاه من وقت مع شيخه.

***

مدت ذراعها من تحت الأغطية تسحب الهاتف
ومن بين رموشها المتشابكة من أثر النوم أدركت
المتصل.. فوضعته على أذنها وردت بعينين
مغمضتين " نعم أحمد ".
كان أحمد مستلقي على بطنه في نفس الوضع غارقا
بين وساداته فقال بصوت أجش من أثر النوم "
كيف حالك يا زوجتي العزيزة؟"
ردت بصوت مجهد ناعس " أشعر أني مجهدة جدا
وكأننا أمس كنا في ماراثون وليس عقد قران"
قال بهمس " ربما هي من أثر القبلة التي دمرت
أعصابي ولم تدعني أنام سوى بعد الفجر "

Des. Maryam Tamim

فركت جبينها تطرد ذكرى تلك القبلة التي لم تدعها هي أيضا تنام طوال الليل وقالت مغيرة للموضوع " كيف حال أروى؟"
قال وقد شعر تهربها من الحديث عما حدث بأمس " عندما عدت من عندك كانت قد تناولت حبة مهدئ ونامت.. سأقوم بعد قليل لأطمئن عليها "
سألته " هل ستستريح اليوم في البيت؟"
رد وهو يتقلب على ظهره " لا أنا سأكون مضغوطا الأيام الباقية على الزفاف لأنتهي من أثاث بيتنا.. فأنا أصنعه قطعة قطعة بيدي فربما أحصل على قبلة أخرى من حبيبة عمري "

صمتت قليلا ثم قالت بتأثر " أحمد.. أنت.. لا أعرف ماذا أقول وكيف أعبر.. بت أشعر أنك منحة كبيرة من السماء لا أستحقها.. ولا أعرف كيف سأرد لك في المقابل.. وهذا يزيد من قلقي لحياتنا سويا "

Des. Maryam Tamim

رد عليها بهدوء وهو يحدق في السقف " أنا لا أرى أني أفعل أكثر من أي رجل يدلل حبيبته.. فما بال لو كانت حبيبته هذه فتاة استثنائية.. عاشت ظروفا لا يتحملها أعتى الرجال.. حمت نفسها من اللئام.. تكيفت مع أوضاع لا انسانية.. ومع هذا تقف شامخة أبية.. لم ترخص نفسها أبدا حتى لو ستموت.. أي منا محظوظ إذا؟"

صمتت بتأثر ولم تجد كلاما مناسبا لهذا الرجل الذي لا تعرف أي عمل عظيم فعلته في حياتها لتحظى به.. وهذا يزيد من حملها النفسي أكثر.

شعر بتأثرها فاستطرد بنفس الهدوء " أما عن حياتنا معا فأنا لست ساذجا أو حالما للدرجة التي تعميني عما قد نواجه من صعوبات سويا.. هناك ما سأتحمله منك وهناك في المقابل ما ستتحملينه مني.. هذا ما سيذكر به أحدنا للآخر إذا ما صعبت

Des. Maryam Tamim

علينا الأمور.. ستتحملينني وسأتحملك.. فلا أريد أن أسمع هذا الكلام بيننا مجددا.. القادر على العطاء يعطي الآخر دون انتظار المقابل.. لأنه لا يعطي ليمُن عليه.. يعطيه لإسعاده."

صمتت معقودة اللسان إلا من أنفاسها المضطربة التي تأتيه عبر الهاتف فأكمل بنفس النبرة "وبالطبع أنت لن تكوني عديمة الاحساس.. وستقدرين ما أقوم به من أجلك وستمنحيني قبلات مُهلِكة في المقابل "

ساد الصمت للحظة ثم انفجرت بانة في الضحك فشاركها بضحكة صبيانية عابثة.

بعد أن أنهت المكالمة شردت قليلا في تلك القبلة أمس..

كان لها شعور عجيب لم تختبره من قبل..

شعور أقل ما يوصف به أنه رائع..

لكن ...

Des. Maryam Tamim

لكن شعور آخر بالذنب بالتفريط في نفسها يسيطر عليها..
تعلم أن هذا جنون.. لكنها فشلت في التخلص منه.
طرقت الخالة سوسو الباب ودخلت وهي تقول "بحماس هيا يا بانة لدينا الكثير لإتمامه ".
اتسعت عينا بانة وقالت بصدمة "الكثير من ماذا؟؟؟؟"
قالت الخالة سوسو وهي تحاول ترتيب أفكارها "تجهيزك يا عروس.. اتفقت مع صالون لإعداد العرائس لإرسال متخصصة ستقوم بعمل كل ما تحتاجينه من الاقنعة الطبيعية للوجه وللجسم وما إلى ذلك من الأمور التي تحتاجها العروس.. لابد أن تظهري أمام عريسك في أبهى صورة.. هناك خلطات مجربة للجسم رائعة.. هيا لدينا الكثير "

قالت بانة بتلعثم " ولكن.. ولكن زوجنا لن يكون هذا النوع من الزواج "

Des. Maryam Tamim

جلجلت ضحكت الخالة سوسو وهي تشدها من يدها لتقول " وهل الزواج أنواع.. عليك أن تبهريه في يوم الدخلة ليفقد عقله".

تمتمت بانة في رعب والخالة سوسو تشدها لخارج الغرفة " صدقيني لن يكون بيننا هذا النوع من.. "
قاطعتها الخالة سوسو وهي تغمز هامسة "اخترت لك قميص نوم لأول يوم مذهل.. سيرسل لي ابن سماحة خطاب شكر حين يراه عليك "
قالتها وهي تسحبها خارج الغرفة بحزم بينما بانة تستغيث في صمت.

***

"أروى ابنة إلهام !!!" قالتها عفاف والدة عمرو في صدمة.
فقال بهدوء مصححا " أجل يا أمي أروى ابنة الحاج سماحة "
سألته بعدم فهم " لمَ هي بالذات؟"

Des. Maryam Tamim

رد عمرو " لأني أرى فيها الزوجة التي أبحث عنها "
قالت بصدمة " هل كنت تبحث عن زوجة مشلولة؟!!"
كتم انفعاله وقال بحزم " أمي أروى ليست مشلولة ولكن لديها مشكلة بفقرات الظهر والأمل في الله كبير بأن يمن عليها بالسير مجددا.. ثانيا ما بها لا يعيبها أبدا حتى لو لا قدر الله مشلولة".

سألته بسخرية " كيف لا يعيبها.. كيف ستدير حياتها وتنجب أطفال وتجري ورائهم في البيت وتخدم زوجها.. أم انك تفكر في أن تجعلني أخدمها "
تنهد يحاول ضبط انفعالاته " يا أمي كيف تفكرين أني ممكن أن أفعل أمرا كهذا بك؟!!! أما بالنسبة لكيف ستدير حياتها كزوجة فأنا أثق في قدرات أروى وذكائها كما أنني بالطبع سأساعدها سندرس

Des. Maryam Tamim

الأمر سويا أنا وهي.. ونرى حلولا لأي عقبات قد تقابلنا.. وأنا أثق أن الله سييسر لنا الأمور "
قالت باستنكار " ولماذا كل هذا الجهد.. ما الذي يجبرك لتقبل وضعها.. بنات الناس كثيرات والحمد لله أنت لا يوجد بك عيب واحد ".

رد عمرو بضيق " استغفر الله يا أمي.. من منا ليس به عيوب.. كلنا عيوب لولا ستر الله ".
ضيقت حاجبيها وقالت " يا بني لا يجب أن تصل بك الشفقة عليها أن تجعلها زوجتك.. يكفينا الدعوة لها بالشفاء.. وليجدوا لها شابا معاقا مثلها إن كانت متلهفة على الزواج "
رد عمرو بحزم " ما هذا الكلام يا أمي!!! أروى لا تحتاج شفقة من أحد وليست متلهفة للزواج أنا المتلهف الذي أريدها هي بالذات "
هتفت بعصبية " لماذا؟"

Des. Maryam Tamim

قال بحرج " لأنني معجب بها ولا أرى سواها زوجة لي "
سألت بعدم استيعاب " أنت تعرفها طوال عمرك.. هل اكتشفت فجأة أنك تريدها زوجة!"
قال مراوغا " كل شيء له وقت وميعاد.. أنا أحتاج رضائك يا أمي "
تمتمت عفاف تكلم نفسها " كلا.. هناك سر.. هل تجامل صاحبك.. أم إن إلهام وابنتها نصبا شباكهما حولك "
قال عمرو منفعلا " ما هذا الكلام يا أمي!!! "
أكملت عفاف بغيظ " لابد انهما استغلوا قلبك الطيب وحبك لعمل الخير ليكسبوا عريسا لأبنتهم.. وأنت خلوق لم تردهم.. ألاعيب النساء هذه أفهمها جيدا "
استقام عمرو واقفا بغضب وقال " عندما تكونين على استعداد للحديث يا أم عمرو دون سوء الظن بالناس سنتحدث مرة أخرى.. سأذهب لأستريح "

Des. Maryam Tamim



اتسعت عينا عفاف من سلوك ابنها الغريب فهو عادة لا يخالفها في الرأي ولا يكون عصبيا هكذا.. فلحقت به في الغرفة تحاول الاستيعاب " لا افهم ماذا يحدث.. أنت تركت ابنة خالك تخطب لغريب.. لتتزوج أنت في النهاية من فتاة على كرسي "!!!

رد عليها بضيق " يا أمي ابنة خالي لا عيب بها لكني لم أجد الراحة والقبول معها والعكس مع أروى.. وبالنسبة لحالتها انا من سيتزوجها وأنا راض بذلك "

قالت تقارعه " يمكنك أن تجد قبولا مع غيرها أيضا وتكون سليمة "

رد عليها ببرود " وهل أضمن أن السليمة ستبقى سليمة.. بل هل أضمن أن أبقى أنا سليما.. أنا لا أعلم أين سأكون غدا "

اقتربت عفاف منه بجزع تربت على صدره قائلة "حفظك الله من كل شر يا بني.. لا تؤلم قلبي عليك بهذا الكلام "

ربت عمرو على كتفها بحنان ثم اجلسها على السرير ليجلس على كعبيه أمامها قائلا باستعطاف " أنا لم أرفض لك طلبا ابدا يا أمي.. كل ما كان باستطاعتي نفذته لك بمحبة لأسعدك.. أكثيرا عليّ أن تلبي لي طلبا واحدا أريده بشدة؟!! إن أمر الزواج هذا لابد أن أكون مقتنعا به ... وأن يكون هناك قبول بيني وبين الفتاة التي ستشاركني ما بقي من عمري.. والتي ستكون أما لأولادي.. عمرو يريد أروى يا أم عمرو.. فهل رضيت لتسعديه "

زمت عفاف شفتيها واشاحت بوجهها عنه في غضب مكتوم.

***

بعد يومين:

Des. Maryam Tamim

اخذت نفسا عميقا واجلت صوتها لتبدو هادئة
وردت على الهاتف " نعم عمرو "
جاءها صوته ساخرا " أخيييرا تفضلت بالرد على اتصالي "
قالت بهدوء " كنت أريد الاختلاء بنفسي قليلا "
قال باستهجان " دون أن تطمئنيني عليك بعد الطريقة السخيفة التي تركتني بها أول أمس..
واضطررت للجوء لأخيك المتعجرف لأعرف أي خبر عنك "
قالت محاولة عدم التركيز في نبرة صوته العذبة التي تدغدغ أعصابها ولا الطريقة التي ينطق بها الحروف
" ألم تكن تتصل بأمي من وقت لآخر؟ "

رد بغيظ " أجل كنت ألجأ لخالتي محرجا عندما يعذبني أخيك في عدم الرد على أي أسئلة تخصك..
وبالطبع لم أستطع غير أن اختصر المكالمة في كلمتين سريعتين معها لتحرجي ".

Des. Maryam Tamim

قالت بهدوء " أنا بخير الحمد لله.. واعتذر على
الطريقة التي تركتك بها المرة السابقة "
قال بصوت أجش " لماذا فعلت ذلك؟ ما الذي
كنت تفكرين به؟ أخبريني يا أروى من فضلك"

تنحنحت وقالت بجدية " أعصابي توترت ففضلت
الابتعاد حتى لا أفقد السيطرة على ذاتي "
قال بنبرة متعاطفة " آسف لو كنت ضغطت
عليك.. أنا أحيانا أكون غير لبق دون أن أدري "
صمتت دون رد فسأل بهدوء " أنا منتظر أن ينتهي
زفاف أحمد لأتحدث مع الحاج سماحة بشأننا "
ردت بكبرياء " ومن قال إني موافقة "
صاح بغضب " ستوافقين يا أروى "
قالت بغيظ " هل ستجبرني على الموافقة رغما
عني !!!"
رد ببرود مستفز " ربما!"

Des. Maryam Tamim

تنهدت وقالت بصبر " اسمع يا عمرو ليس لأني اعترفت لك بشيء.. هذا يعني أن عليك أن تقدم على أمر ما كالفارس الشهم.. أو أن عليّ أن أقبل الزواج بك.. الحب والزواج شيئان مختلفان.. الحب وحده لا يكفي لاتخاذ هذا القرار "

قال بعصبية " يبدو أننا سنحتاج لمناقشة مستفيضة في هذا الموضوع لكني سأوجلها حتى أراك وجها لوجه.. سئمت الحديث معك دون أن أراك ... أما بالنسبة للاعتراف الذي تشيرين إليه.. من أخبرك أني افعل ذلك شهامة مني؟ ربما انتقاما منك "

قالت في تردد " انتقاما بالزواج !!! "

رد ببرود " أجل قررت ان اتزوجك لانتقم منك يا أروى لكل ما فعلته بي.. أنت قلبت عالمي الهادئ الرتيب المنظم.. لعوالم غريبة لم أعرفها من قبل ولا أستطيع استيعابها بعد.. كما انك عطلتني عن

Des. Maryam Tamim

الزواج لمدة عامين.. فعليك تحمل مسئولية أفعالك لأني بت لا أرضى بفتاة غيرك "

احمرت وجنتيها وازدادت ضربات قلبها بينما سمعته ينهي المكالمة " أنا مضطر أن انهي المكالمة لأن أخيك المستفز يلح بالاتصال لنذهب لاختيار حُلة الزفاف له.. بالمناسبة.. سأعيد عليك ما قلته لك من قبل في أول اتصال بيننا ... (وصمت قليلا ثم تكلم بصوت أجش) لم أعرف من قبل أن اسمي بهذا الجمال إلا عندما أسمعه منك.. سلام ".
دفنت وجهها في كفيها تهدئ من انفعالها من وقع كلماته.. وأخذت تربت على وجنتيها متمتمة لنفسها " أفيقي يا أروى.. الزواج موضوع صعب.. لمَ عليك تعقيد حياة عاقد الحاجبين؟ "

***

في المساء:

Des. Maryam Tamim

صاح أحمد في الهاتف " لماذا لا تردي على اتصالاتي يا بانة "

ردت بانة بغيظ " ماذا تريد يا أحمد؟"

سألها مندهشا " ما هذا المزاج؟ ماذا بك؟ "

قالت بألم مكتوم " اتركني فيما أنا أعانيه طيلة اليوم أرجوك "

صاح أحمد بقلق " أخبريني يا بانة وإلا ستجديني عندك فورا "

قالت وهي تجز على أسنانها " حتى لو أتيت الخالة سوسو لن تسمح لك برؤيتي.. انني محجوزة مع امرأة مسئولة عن تجهيز العرائس وهناك أمورا مؤلمة عليّ أن اتحملها بصفتي عروس "

رفع أحمد حاجبا متسليا وقال باهتمام " هذا الأمر خطير يا بانة! هلا شرحت لي بالتفصيل؟"

جزت على أسنانها وقالت بغيظ " أحمد اذهب الأن ولا تلح في الاتصال "

Des. Maryam Tamim

قهقه ضاحكا ثم قال " حسنا كنت أريد أن أمر عليك لكن سأؤجلها للغد.. "
قالت مستدركة قبل أن يغلق الخط " أحمد "
رد بهدوء " نعم هل قررت اخباري بالتفاصيل؟"
تجاهلت وقاحته وسألت " ما هذه البطاقة التي أرسلتها لي "
رد ببساطة " بطاقة بنكية "
ردت بحرج " لماذا؟"
قال باستنكار " ما هذا السؤال! لتشتري بها ما تحتاجين.. لا أريدك أن تشعري بالحرج أمام آل غنيم.. ابلغيهم أني مُصّر على شراء كل ما يخصك "
تمتمت بحرج وقد بدأت تتعرق " ليس عليك فعل ذلك "
صاح فيها بغيظ " لماذا يا بانة؟ هل أنت متزوجة من ذكر بط!! أنت زوجتي.. عالجي كرامتك المتورمة هذه بالله عليك "

Des. Maryam Tamim

صمتت في حرج ولم تجد ردا فسألها بخفوت "هل تعتقدي أني إذا اتصلت بالخالة سوسو ستخبرني بوصف تفصيلي لما تفعله هذه السيدة معك " زمجرت في غيظ فضحك وقال " سأذهب.. سلام" فأسرع بإغلاق الخط ثم اطلق ضحكة صبيانية عابثة .

***

بعد أيام :

بحثت عيناه عنها في أروقة مركز العلاج الطبي .. بعد أن أخبرته الممرضة أنها في هذا الطابق .

دخل لصالة واسعة بها أجهزة رياضية مخصصة للعلاج الطبي والمعاقين والخاضعين لجلسات تأهيل ..فاستنكر لأول ولهة أن يكون الوقت مخصصا للرجال والنساء معا .. لمَ لا يفصلون أوقات الجلسات !!..

Des. Maryam Tamim

لمحها أخيرا تتشبث بحاجزين معدنين على ممشى مستقيمة تحاول المشي بصعوبة بالغة .. وأدرك أنه مر زمن طويل لم يراها واقفة مستقيمة .. فاعتصر الحزن قلبه ..

كانت نحيلة رقيقة ببشرتها الخمرية الصافية .. غارقة في تلك الملابس التابعة للمركز المخصصة للتمرين باللون الأزرق الفاتح .. بنطال واسع و بلوزة .. وترتدي حجابها .. بينما يبدو وجهها متعرق متألم وهي تتحامل على ذراعيها الرقيقين لتخطو خطوات ثقيلة مؤلمة .

ارتج قلبه لمعاناتها.. وللحظة فكر .. فلتترك هذا الأمر ولتبقى هكذا على الكرسي حتى لا تعاني بهذا الشكل الذي يؤلمه .

Des. Maryam Tamim

اقترب منها بهدوء يحدق فيها بتأثر .. فرفعت عينيها لتجده أمامها .. أجفلت للحظة كيف علم بوجودها وكيف دخل ؟..
ارتبكت لوجوده .. وشعرت بالحرج الشديد أن يراها هكذا وهي غير قادرة على المشي بسهولة .. فاختل توازنها وخانتها ذراعاها وكادت أن تسقط من على الممشى .
فأسرع إليها عمرو بهلع يمسك بذراعها بينما قام طبيبها الذي كان بالقرب منها يتابعها ويوجهها بإمساكها من ذراعها الأخر قبل أن تسقط .

اشتعل غضب بارد في عيني عمرو .. وضغط على ساعد الطبيب وهو يحدجه بنظرة مهدد ويقول بخفوت مرعب " أتركها أنا سأتولى الأمر"
تطلع إليه الطبيب الشاب باستنكار وامتقع وجهه من الغضب وهو يقول " من أنت وكيف دخلت إلى هنا؟"

Des. Maryam Tamim

حدق عمرو في عينيه ورد بنفس الخفوت المرعب " انزع يدك أولا ".

حدق الرجلان في بعضهما بتحدي فخرج صوت أروى تهمس بحرج " عمرو ظهري يؤلمني من هذا الوضع ".

تطلع فيها عمرو بلهفة وأمسك بذراعيها الاثنين وهو يطلب منها التشبث بذراعيه محاولا تلقي حمل جسدها عليهما.. وهو يفكر بحرج هل عليه أن يحملها؟ بينما ترك الطبيب ذراعها فورا ونادى على إحدى المساعدات التي ترافق مريضة أخرى فأسرعت امرأة قوية البنية إليهم وقامت بحمل أروى ووضعها على كرسيها المتحرك.

تنفس عمرو الصعداء واستدار للطبيب يقول بغضب " لماذا لا ترافقها مساعدة كباقي الحالات هنا.. أين مدير المكان؟ "

Des. Maryam Tamim

سأله الطبيب الشاب بوجه محتقن " من أنت؟؟
ومن سمح لك بالدخول؟ سأبلغ الإدارة فورا "

قال عمرو ببرود " أنا خطيبها ومن حقي أن أدخل أي مكان تتواجد به خطيبتي.. وسأرى مع الإدارة كيف تتمرن بدون مساعدة تقف بجوارها على الأجهزة ".
اتسعت عينا الطبيب ثم حدق في أروى وهو يتمتم " أروى.. هل خطبت؟"
جزت أروى على أسنانها بغيظ وقد استعادة رباطة جأشها فردت بحرج " أنا آسفة يا طارق.. يا دكتور طارق على سوء التفاهم.. فهو أول مرة يزورني هنا "

نظر إليها عمرو بغيظ بينما انسحب الطبيب غاضبا. . فقالت أروى بانفعال " ما الذي تفعله هنا وكيف تتدخل بهذا الشكل الفج؟"

Des. Maryam Tamim

قال عمرو من بين أسنانه " ما شاء الله.. أروى وطارق! أين خالتي إلهام.. كيف تتركك هكذا مع هذا المتحذلق ودون مرافقة؟ "
حدقت فيه بغيظ بينما اقتربت منهم امرأة ترتدي ملابس المساعدات تتمتم بالاعتذار عن التأخير في حرج.. فقالت لها أروى بعصبية " ساعديني يا أم شهد من فضلك لتبديل ملابسي "
وتركته مكفهرة الوجه..

بعد قليل خرجت على كرسيها مرتدية ملابسها فاستقبلها بقامته الطويلة يستند للحائط ببرود.

تجاهلته واتجهت نحو المصاعد ليلحق بها ويثبت الكرسي بقوة حتى لا يتحرك وهو يقول " علينا أن نتحدث يا أروى ".
رفعت إليه سبابتها تقول من بين أسنانها وهي تقاوم رغبة في البكاء بكبرياء " عمرو أنا أكره أن يثبت أحد

Des. Maryam Tamim

كرسيي بهذا الشكل.. وهذه الحركة تشعرني بالإهانة فإياك أن تكررها "
أجفل من الألم البادي في عينيها فترك الكرسي وهو يتمتم " حسنا لن أكررها "
تركته ودخلت المصعد فلحق بها لكنه وقف صامتا بجوارها لوجود أناس أخرين بالمصعد.

في الدور الأرضي قال يهددها لتقف " ما دمت لن تردي على أسئلتي سأقدم شكوى للإدارة بما حدث"
استدارت إليه في غيظ وقالت " بالرغم من أني لست مطالبة بإعطائك أجوبة لكني سأجيبك حتى لا تؤذي أم شهد.. هي أخبرتنا أنها ستتأخر قليلا فبدأنا التمرين بدونها.. وعادة أنا لا أحتاجها وسط التمرين إلا للتحرك بين الأجهزة.. وهذه الجزئية طلبنا فيها مساعدة أخرى وما حدث كان بسببك.. ارتبكت حين رأيتك فاختل توازني.. هل وضح الأمر الآن "

Des. Maryam Tamim

شعر بالندم للتسبب فيما حدث لكنه قال بإصرار
"مادامت مخطئة على الإدارة معاقبتها "
قالت في غيظ " يا بني آدم افهم المرأة مسكينة
ولديها ظروف خاصة نعرفها أنا ودكتور طارق "
قال بسخرية باردة " أنا آسف أني جرحت مشاعر
الدكتور طارق.. أليس هذا من تقدم للزواج منك
أكثر من مرة؟"
تخضبت وجنتيها بالحمرة لكنها قالت ببرود " هذا
ليس من شأنك.. ولا تدعي مرة أخرى أنك خطيبي..
كيف دخلت إلى هنا أصلا"
حرك كتفيه ورد ببرود " أخبرتهم أني خطيبك
وأعطيتهم اسمك بالكامل فسمحوا لي "

قالت بغضب "هذا تسيب واستهتار وأنا التي
سأقوم بتقديم شكوى "
قال بإلحاح "أروى.. طارق هذا هو من تقدم للزواج
منك من قبل أليس كذلك "

Des. Maryam Tamim

ردت بكبرياء" لست مجبرة للرد عليك ولا أريدك أن تعاملني بهذا الشكل ولا تدعي مرة أخرى أني خطيبتك "

قال بكبرياء مماثل " سأعرف بطريقتي إن كان هو أم لا "

اقتربت إلهام تحمل أكياسا كثيرة وهي متفاجئة من وجود عمرو فأسرع يحمل عنها الأكياس وهو يقول " أين كنت يا خالتي؟"

قالت مفسرة " ذهبت لشراء بعض الأشياء.. ماذا تفعل هنا يا بني "

قال عمرو وقد احمرت أذناه "كنت بجوار المركز لأمر يخص العمل وقد علمت بالصدفة وجودكم هنا فجئت لأرى إن كنتما تحتجان لشيء "

قالت بحنان "سلمت يا حبيبي "

ثم نظرت في ساعتها وسألت" لماذا انتهيت باكرا من الجلسة ؟!"

Des. Maryam Tamim

حدجت أروى عمرو بنظرة غاضبة ثم أجابت "تعبت"

قال عمرو " تفضلي يا خالتي للسيارة سأوصلكما للبيت "

ردت أروى "أحمد سيأتي لتوصيلنا "

ردت عليها إلهام " أحمد سيأتي على موعد انتهاء الجلسة وأنت انتهيت مبكرا اليوم "

ردت بهدوء " أنا اخبرته أنني انتهيت وهو قادم في الطريق "

جز عمرو على أسنانه بغيظ.. ولم تمر دقائق حتى ظهر أحمد وحدجه بنظر باردة.. فسبقتهم إلهام للسيارة بينما سأل أحمد وهو يتجول بالنظر بينهم " هل حدث شيء؟"

ردت أروى بهدوء " لم يحدث شيء أنا متعبة وأنهيت الجلسة مبكرا.. أرجوك أريد أن أذهب لأرتاح"

Des. Maryam Tamim

حملها أحمد برفق نحو سيارته بينما رفع عمرو الكرسي والأكياس بوجه ممتقع ولحق بهما..

بعد قليل كانت السيارة تتحرك وعمرو يقف يحدق بها وهي تجلس في المقعد الخلفي بوجوم.. فشعر بالحنق والغيظ وبرغبة في تحطيم رأسها العنيد.

في السيارة تأملها أحمد بقلق في المرآة الأمامية تحدق من النافذة بشرود.
إنه يحاول ترك المجال لها لتتعامل مع الأمر بعد أن استشعر من عمرو صدق نيته في الارتباط بها ولم يكن ليسمح بذلك إلا عندما لمس بنفسه سلوك من صاحبه يدل على امتلاكه مشاعر خاصة لها.. فهو لم يكن ليرضى لأروى بأقل من ذلك.. فلا هي تطمح في علاقة زواج عادية.. ولا هو سيستطيع التحكم في مشاعر الغيرة عليها والشعور بأن سيفقدها إلا لرجل يحبها حبا كبيرا..

Des. Maryam Tamim

ولدهشته.. وجد هذا الغبي عمرو.. يكن لها مشاعر قوية مستحيل أن تكون قد خُلقت من العدم في هذا الوقت القصير!
تمتم في سره " عمرو الغبي!"

استدار ليسأل والدته التي تجلس بجانبه " ما كل هذه الأكياس يا أمي "
ردت بسعادة " أشياء احتاجها قبل العرس "
تردد قليلا ثم قال " أنا أريد أن أخبرك يا أمي أمرا أرجو أن تتفهميه "
طالعته إلهام بقلق فأكمل " أنا وبانة اتفقنا أن يكون عقد قران فقط لفترة.. حتى تستعد هي للفكرة.. أنت تعرفين أي ظروف مرت بها.. وغالبا الخوف من انتهاك كرامتها ولّد لديها نوعا من الرهاب من الزواج.. فأنا أردت أن أعطيها الفرصة لأن تستعد وتتخلص من مخاوفها"

Des. Maryam Tamim

قالت إلهام وقد لاحت علامات الإحباط على وجهها " ولماذا استعجلتم الزفاف إذن؟"
رد أحمد بهدوء بينما أروى تطالعه بنظرة عتاب أن أخبر أمه وسبب لها إحباطا " أعتقد أنك أول شخص تريدينها في البيت وتنتظرين عودتها إليه.. ثانيا لا أريد أن تبقى زوجتي أكثر من ذلك في بيت أناس أغراب.. ثالثا أريدها أن تعتاد عليّ وتكسر حاجز الخوف ".

نفضت إلهام إحباطها لتقول بشفقة وهي تربت على كتفه " الأمر كله لله يا بني.. ربي يجمع بينكما في خير ويرزقكما بالذرية الصالحة.. سبحان من زرع في قلبي حبا كبيرا لهذه الفتاة "

أمسك أحمد كف أمه من على كتفه ولثم يدها في تأثر متمتما " رزقك الله الجنة من أوسع أبوابها يا أمي على قدر قلبك الكبير هذا "

Des. Maryam Tamim

في شارع سماحة أوقف أحمد السيارة أمام البيت وترجلت إلهام بأكياسها تسبقهما بينما استدار أحمد يحمل أروى وهو يقول " ابتعد عن سيارتي يا برقوق "

قال برقوق وهو يقف خلفه " كيف علمت أني موجود؟ "

قال دون أن ينظر إليه " رائحتك "

رد برقوق باستنكار " بالرغم من أن الشباب شباب الحي الذين كلفتهم بإجباري على الاستحمام لم يعتقوني.. كادوا يسلخون جلدي من عليّ "

استدار أحمد وهو يحمل أروى ليتفاجأ ويرفع حاجبا وهو يرى أمامه هيئة برقوق الحقيقية.. رجل أسمر نحيل فوق الستين قد حلق اللحية العفنة تماما.. وأثارا لبعض القرح مكانها.. وقص شعره فأصبح قصيرا يتماوج بين الأبيض والأسود..

Des. Maryam Tamim

بينما وجهه يملأه التجاعيد.. لديه عينين صغيرتين غائمتين بفعل السنين مرتديا بنطالا وقميصا..
ولولا أنه تعرف عليه بالرائحة لم يكن ليصدق أبدا أن هذا هو برقوق الشحاذ.
تجاوز أحمد الاندهاش ليقول بسخرية " ها قد وضحت ملامحك وتخليت عن هيئة الأشباح "

طالعه برقوق بوقفه مسترخية وهو يحك ذقنه الحليقة بنفس الطريقة التي أعتاد أن يهرش بها أمام أحمد فهدر فيه الأخير " قلت لك لا تهرش أمامي "
مط برقوق شفتيه في امتعاض وقال ببرود مستفز "من الحلوة النحيلة التي تحملها؟"
جز أحمد على أسنانه ورد وهو يدخل البوابة "هذا ليس من شأنك يا برقوق "
على السلم سألته أروى باندهاش " هل هذا هو الرجل المجذوب؟"

Des. Maryam Tamim

رد عليها بنعم فسألت " هل فعلا ما يدعيه أن ابنه طرده "

أتضح أنه كان ثريا يسكن في إحدى المدن الساحلية.. وأن لديه ابن وحيد كثير المشاكل ومستهتر.. وعلمنا أنه تشاجر مع ابنه وزوجته يوما فطرده ابنه من البيت.. واكتشف بعدها أن ابنه نقل كل الأملاك له بموجب توكيل رسمي كان قد حرره له من قبل.. ويبدو أن كل من كان يعرفهم كانوا من أصحاب المصالح فأداروا له ظهورهم فور أن فقد كل أمواله.. فلم يجد مكانا يبيت فيه فلزم مكانه على الرصيف المقابل للفيلا وبقي فيها أياما بعد أن أصيب بصدمة عصبية جعلته يخلط بين الحقيقة والخيال.. وظل يخبر المارة بأن هذه الفيلا ملكه وأن أبنه طرده.. فلما وجد الأبن أنه يفضحه استأجر بعض البلطجية الذين أجبروه على الابتعاد عن الفيلا بعد أن أوسعوه ضربا بسبب مقاومته الشرسة لهم.. "

[1715]

سألته أروى في صدمة وهو يضعها على الأريكة "وكيف وصل للعاصمة ؟؟؟"

رد أحمد بتأثر " لا أحد يعرف كيف وصل كل هذه المسافة.. هناك اشاعات تقول إن البلطجية هم من رموه خارج المدينة على الطريق السريع فاقدا للوعي.. لا أحد يعرف التفاصيل.. خاصة وأن نصف كلامه من خياله "

عادت لتسأله بنفس الصدمة " هل تعني أنه مختل عقليا؟"

رد أحمد بهدوء " لا أستطيع الجزم بذلك.. أحيانا اشعر أنه منفصل عن الواقع فعلا وأحيانا أشعر أنه يدعي.. عموما لولا ظروفه ما كنت تحملته فهو بارد ومستفز ويصيبني بالحكة "

ترقرقت عينا أروى بالدموع وقالت " ما هذه القسوة.. من يجرؤ أن يفعل أمرا كهذا مع إنسان ما بالك بأبيه "

Des. Maryam Tamim

مط أحمد شفتيه بضيق وقال " نحن نعيش في عصر قذر لا يرحم "

تركها ذاهلة تضع قبضتها على قلبها بتأثر ونزل ليحضر الكرسي فوجد برقوق يحوم حول السيارة بفضول يتطلع بداخلها دون أن يلمسها.. وبمجرد أن رأى أحمد حتى رفع يديه باستظراف وكأنه يقول أنا لم ألمسها.

قال أحمد من بين أسنانه " اذهب من أمامي يا برقوق.. قلت لك أبتعد عن سيارتي ولا تلمسها "

حين نزل أحمد مرة اخرى بعد أن أوصل الكرسي لأروى وجده يجلس القرفصاء بجوار الحائط واستقام حين رآه.

ركن أحمد سيارته وأغلقها جيدا وهو يتجاهله ليتجه نحو المقهى فقال برقوق ببرود وهو يشير للخن " هل هذا المكان تتجمعون فيه أنت وأصحابك؟"

Des. Maryam Tamim

استدار أحمد وهو يقول "لا تختبر صبري واذهب من أمامي "
قال برقوق ببرود مستفز " هذه الغرفة التي أسكنتموني فيها الجو فيها حار "
تنهد أحمد بنفاذ صبر وقال " سنشتري لك مروحة.. هيا اذهب لمكانك الأن "
تركه ودخل المقهى قاصدا الخن بينما برقوق وقف بتلكؤ يطالع الخن ويحك ذقنه.. ثم تحرك عائدا بخطوات مسترخية لغرفته التي لا تبعد بضع الأمتار عن المقهى.. فهي مكان السوبر ماركت الذي كان يؤجره حموءة.. وبعد أن ترك الحي واختفى بعد الفضيحة فاستأجره سيد من صاحبه ووضع فيه بعض الأثاث البسيط لبرقوق حين أشفقوا عليه.

***

بعد قليل كان سيد ووائل بالخن يمازحون أحمد بوقاحة بمناسبة قرب زفافه فحدجهم بنظرة

Des. Maryam Tamim

ممتعضة ثم شبك يديه أمامه ومال بجذعه يقول بابتسامة صفراء " دعونا نؤجل وقاحتكم ليوم زفافي الحقيقي ".

عم الصمت بينما حدجه سيد بنظره متسائلة متفحصة فأجلى أحمد صوته وقال " سيبقى عقد قران فقط حتى تستعد بانة نفسيا هذا اختصار الموضوع ".

علت ملامح الأسف على وجه سيد وقال " أنت تدخل الجحيم بقدميك يا صاحبي"

رفع أحمد حاجبيه معترفا وقال " لم يكن هناك مفرا من ذلك.. من أجل بانة ".

قهقه وائل وقال " صحيح الحب يفعل المعجزات لا أصدق أن أحمد قد يضحي بأمر حيوي كهذا من أجل الحب ".

ضحك سيد ساخرا بينما مط أحمد شفتيه بامتعاض.. فاستدار وائل لعمرو الصامت من أول

Des. Maryam Tamim

الجلسة وقال " والعريس الثاني.. متى سنشرب الشربات"

هتف عمرو بحنق وهو يجز على أسنانه " إنها عنيدة يابسة الرأس "

صاح أحمد بعصبية " إياك أن تصف أروى بهذه الصفات أنا أحذرك "

رد عمرو ببرود " قلت لك لا تتدخل بيننا "

استقام أحمد من مقعده في هياج وهو ينظر لوائل وسيد قائلا " لقد جن.. فقد عقله.. ويتعامل بوقاحة وأنا صامت من أجلكما فقط.. لكني لن أحتمل هذا كثيرا "

حدجه عمرو بنظره باردة ثم قال " هذا لأنك لا تريد مساعدتي في اقناعها "

ابتسم وائل لحالهما وقال " اجلس يا أحمد أرجوك هو لم يقصد شيئا سيئا "

تجاهله أحمد ليرفع سبابته أمام عمرو قائلا بتهديد "اسمع أنا فقط أعطي لك فرصة لتتعامل معها

Des. Maryam Tamim

وتحاول إقناعها بما تريد.. لكني لن أحتمل هذا الوضع كثيرا.. أمامك مهلة عشرة أيام فقط.. إن لم تحصل على موافقتها على طلبك.. فانس الأمر تماما.. ولن أسمح بعدها أن تلمحها حتى بطارف عينيك "

ثم اندفع مغادرا فناداه وائل " إلى أين أنت ذاهب يا عريس ؟!!!"

لكن أحمد لم يرد.. فتنهد وائل وقال لعمرو بهدوء "اعتقد أنها تفعل ذلك معك لتحافظ على كبريائها.. وأرى أن تكون أكثر هدوء معها "

رد سيد بسخرية " ألا تعرف كيف تدللها.. النساء يضعفن أمام العاطفة والدلال "

حدجه عمرو بنظرة غاضبة قائلا " أصمت أنت "

فمط سيد شفتيه وسكت بينما قال وائل " سيد على حق.. كن أكثر عاطفية معها ".

Des. Maryam Tamim

قال عمرو بغيظ " إنها لا تعطيني الفرصة لأفعل أي شيء.. وتستفزني بعندها.. تتاح لي الفرصة فقط وسأمنحها كل العاطفة "

ضحكة مكتومة خرجت من سيد فجز عمرو على أسنانه بغضب بينما ضربه وائل على كتفه بقوة ليتوقف عن السخرية من عمرو.

ثم قال " حفل الزفاف بعد يومين.. عليك استغلال فرصة انشغال أحمد بالحفل لتحاول الحديث مع أروى باستفاضة "

تنهد عمرو وقال " بإذن الله تعالى.. أتمنى فقط ألا يلصقها أحمد بجانبه كما حدث في حفل آل غنيم "

طمأنه وائل " لا تقلق.. أن شاء الله ستتاح لكما الفرصة للحديث ولا تقلق بشأن أحمد سنتولاه أنا وسيد بإذن الله "

تطلع إليه عمرو بامتنان فأرسل إليه وائل نظرة مشجعة.

***

Des. Maryam Tamim

الفصل الثاني و العشرين

وقف أحمد بتوتر في بهو الفيلا يرتدي حلة الزفاف الأنيقة بينما دخلت أمه للتو لغرفة العروس.. فقد أصر على إحضارها معه خوفا من أن تنهار بانة كما حدث في عقد القران.

فجأة علت زغرودة أمه فرقصت دقات قلبه على ألحانها وربت وائل المرافق له على كتفه بمباركة..

لم تمر دقائق إلا وخرجت إليه أمه مستمرة في الزغردة تمسك بذراع بانة وخلفهم السيدة سوسو بأناقتها.. فأطلق وائل صفيرا متتاليا بإعجاب بينما تسمر أحمد مكانه يطالعها بانبهار.. مهما تخيل كيف ستكون بفستان الزفاف فما رأه أمامه كان يفوق كل تصوراته.

فستانها الأبيض بنقوش على هيئة ورود بيضاء مفرغة فوق طبقة من الساتان الأبيض.. يبرز طول جذعها واكتناز ذراعيها قليلا.. بينما صدرها لم يعد

Des. Maryam Tamim

مجرد بروزا بل صدرا أنثويا كامل الاستدارة يزين جذعها بشموخ.. ثم خصر رشيق بفيونكة هابطة عن محيط الخصر من الخلف.. وباقي الفستان منفوشا بعظمة وتموجات طولية كبيرة.

وفوق رأسها حجاب أبيض يزين وجهها ذو الزينة الرقيقة والذي يظهر عليه توترها جليا.. بينما تحمل في يدها باقة من الورد باللونين الأبيض والأخضر.

وقفت بانة مطرقة الرأس بأنفاس متقطعة تقاوم ذلك الشعور الهستيري للبكاء الذي ينتابها بينما الخالة سوسو تترجاها أن تهدأ وألا تفسد هيئتها الرائعة ببكائها..

وبالفعل مارست بانة كل ما تعلمته من ضبط النفس حتى لا تبدو مثيرة للشفقة بالإضافة لإن أحمد لا يستحق منها هذا العرض المزري كل مرة.

Des. Maryam Tamim

مصور الفيديو الذي يرافقهم ليسجل لحظات الحفل لحظة بلحظة لم يقاوم أن يسجل جمالها وهيئتها..

بينما تقدم العم غنيم وقبل جبينها مباركا لها بتأثر " مبارك يا بنيتي.. خروجك من هذا البيت لا يعني أنه لم يعد بيتك.. بل إنه بيتك وبيت أولادك حتى نهاية العمر.. أنت أول فرحتنا أنا وسوسو.. ونتمنى أن نرى هذا البيت عامر بأولادك "

بدأت إلهام في البكاء بتأثر بينما عنفت الخالة سوسو زوجها وهي تمسح دموعها " توقف عن هذا الكلام يا غنيم ستفسد زينتنا من البكاء "

مسح العم غنيم دموعا سقطت من عينيه وصاح بأحمد الذي مازال يقف متسمرا ليقول له " ماذا يا عريس هل غيرت رأيك تعال إلى عروسك "

تحرك أحمد وهو يشد على قبضتيه بجانبه يسيطر على مشاعره ووقف أمامها بصمت وهي مطرقة

Des. Maryam Tamim



بارتباك.. بينما باقة الورد ترتعش في يديها بمنظر أدمى قلبه..
قال لها هامسا " ألن تنظري إليّ؟ "
حركت رأسها بلا صامتة..
فتنهد ووضع يديه بجيبه وقال بنفس الهمس " هل تريدي أن تخبريني يا بانة.. أن زواجك مني أصعب عليك من كل المواقف المأسوية التي مررت بها خلال الأربع سنوات التي مضت! والتي واجهتيها بكل شجاعة بينما تقفي أمامي هكذا ترتجفين!! شكرا يا بنت الناس الرسالة وصلت"
سمع ضحكة مكتومة منها.. فتنهد براحة وانحنى برأسه قليلا يطبع قبلة فوق حجابها برقه.
ثم وقف بجانبها ومد كفه أمامه وهو يقول بخفوت " هل تقبلين يا بانة الخازن أن أرافقك في الرحلة التي ستبدأ من هذه اللحظة؟".

Des. Maryam Tamim

رفعت إليه نظرها لأول مرة فتشابكت أعينهما للحظة.. ثم أخذت نفسا طويلا تشحن طاقتها ووضعت كفها الباردة على كفه ...
فابتسم لها ورافقها لخارج الفيلا.

***

وقفت السيارة أمام قاعة الزفاف.. وشعرت أروى بالارتباك.. إنها وآية وصلتا في سيارة أحد المعارف والمفروض أن الحاج سماحة سيلحقهما بسيارته ومعه عددا من أقاربهم..
كما تم الاتفاق عليه أن الحاج سماحة هو من سيخرجها من السيارة إلى كرسيها لأن أحمد بالتأكيد سيكون منشغلا مع بانة.. لكن الحاج مازال عالق بالطريق بسبب الزحام.
خرجت آية من السيارة ترتدي فستانا بلون وردي باهت يلف جسدها ويبرز مفاتنها بأنوثة ورقة عليه حجاب من نفس اللون بدرجات أغمق وحقيبة يد

Des. Maryam Tamim

صغيرة مع حذاء بكعب عال من نفس لون الحجاب..
وقد ارتدت أروى نفس لون وتصميم الفستان..
وعلى الرغم من التشابه لكن الفتاتان كانتا مختلفتين فلكل منهما لها شخصيتها التي انعكست على اطلالتها..
آية مشعة للحرارة والطاقة وأروى هالة من الرقة والملكية.
لمح سيد الواقف خارج القاعة آية بتلك الاطلالة المذهلة فحبس أنفاسه وهو يقترب منها بينما عيناه تشملانها بنظرة ذكورية منفلتة.
وقفت آية أمامه بخيلاء تداري تسارع ضربات قلبها وهي تنتظر رأيه فيها.
حين أقترب لم تستطع المقاومة فقالت بعينين تنفجر فيها القلوب الحمراء" هذه الحُلة مذهلة عليك يا سيد.. تبدو رائعا".

Des. Maryam Tamim

ابتسم لها وقال " لماذا لم تخبريني أنك ستكونين بهذا الشكل لأحضر صبياني يقفون حولك حراسا حتى لا نقضي وقتنا في الحفل نفض الشباب من حولك "

احمرت وغطت فمها بيدها كطفلة ثم قالت " ما رأيك في الفستان؟"

رفع حاجبا وقال " ضيق وملفت وأشك أن أحمد قد شاهده عليك "

قالت بشقاوة " لا.. لم أجعله يراه حتى يتفاجأ به في الحفل "

تمتم وهو يجز على أسنانه " آية متعهدة إفساد حفلات الزفاف "

فمطت شفتيها بعبوس تحدجه بنظرة عاتبة.

في السيارة فركت أروى كفيها في قلق وتوتر.. لهذا لا تحب الخروج من البيت.. لا تحب أن تجلس

Des. Maryam Tamim

عالقة في مكان ما لا تعرف أن تتحرك ولا تجد أحمد أو والدها في الجوار..
يكفي ما تشعر به من حرج حين تُحمل أمام الناس..
صحيح أنها قد تصالحت مع حالتها ولم تعد تعبأ بالعيون الفاحصة أو المشفقة أو الفضولية حولها..
وتقبلت ذاتها بكل شموخ تتعامل به مع الناس على هذا الكرسي رفيقها.
لكنها مازالت تتحرج من لحظة أن تُحمل من وإلى الكرسي هذه اللحظة هي اللحظة التي تشعرها بالعجز فعلا.
ها هو أبيها لم يصل بعد.. وأحمد غير موجود ولا تريد أن تعرض نفسها للحرج.
تكلم صاحب السيارة بحرج بأن عليه أن يتحرك من أمام القاعة فلا يُسمح بالانتظار في هذا المكان..
وسألها إن كان يتحرك بالسيارة بعيدا قليلا أم ماذا يفعل.

Des. Maryam Tamim

تسارعت أنفاسها وبدأت تشعر بالارتباك.. بينما فهم سيد الموضوع فقال للرجل " سنتحرك حالا "

أخرج سيد كرسيها من مؤخرة السيارة ووضعه بالقرب من الباب.. فتمتمت أروى لنفسها بحرج " لا بأس إن كان سيد.. أستطيع الاعتماد عليه "
فتح سيد الباب وهو يمد يده الكبيرة أمامها قائلا بدفء " هل تسمح لي أميرة البنات بهذه الرقصة؟"
ابتسمت في حرج وهي تتساءل هل سيحملها أم ما ماذا ومدت يدها إليه.

قبل أن تصل إليه يدها كان ذراع سيد يُسحب ويرفع لأعلى وعمرو يحدق فيه بتهديد " إياك.. هيا ابتعد ".
ابتعد سيد في استسلام للخلف قليلا ووقف متكتفا يشاهد بنظرة متسلية.

Des. Maryam Tamim

شاهدته أروى ينحني إليها بلحيته العصرية الانيقة وحلته الفاتنة دائما وأبدا.. وتذكرت حين أخبرها أحمد أن عمرو لديه ذوق مميز في اختيار الحُلات حتى أنهم لابد أن يستشيروه في اختيار أي حلة لأي مناسبة مهمة.. والحقيقة أن حلة أحمد التي أختارها للزفاف كانت تناسبه جدا.

مد عمرو يده لها قائلا بهدوء " هيا يا أروى "
ارتبكت وتوترت.. لا تريد أن تتعرى أمامه بمشاعر الحرج.. في تلك اللحظة الفاصلة بينها وبين كرسيها والتي تمقتها وتشعرها بالعجز..
لا تريده أن يراها وهي غير قادرة على الحركة كأي امرأة عادية.. ولا تريد أن يحملها كالكسيحة.. فهذا يحطم كبريائها أمامه.

تمتمت بصوت خفيض "أريد سيد "

Des. Maryam Tamim

حدجها بنظرة خطرة وهو يقول بحزم " هيا يا أروى ".
تطلعت إليه بتوتر بينما شتم هو في سره.. لم يكن ذلك ما كان ينويه أبدا أن يوترها من أول لحظة.. كان يحضّر نفسه أن يكون أقل تشنجا معها وأن يزيح عنه ذلك القناع البارد الذي يخفي خلفه انفعالاته ليظهر لها بعض من دفء مشاعره.
قال لها بحزم " هيا يا أروى.. إلا إذا كنت تتطلعين لأن أحملك.. سأكون سعيدا بذلك "

حدقت فيه تلتمس صدق تهديده فاقترب أكتر بأذنين حمراوين فأسرعت بوضع يدها ذات الأصابع الرفيعة في كفه.
نظر في عينيها مطمئنا.. فهدأت قليلا وهي تستنشق عطره الرجولي الأنيق.. جاءها صوته الهادئ يقول " أنزلي قدميك "..

Des. Maryam Tamim

حركت قدميها بالحذاء ذي الكعب العالي وتوترت للحظة هل ستستطيع الوقوف به.. لقد وافقت على اقتراح أية أن ترتدي هذا الكعب العالي مادامت لن تقف عليه وستتحرك بالكرسي أو محمولة.

أنزلت قدميها ببطء ثم أمسكها عمرو من أسفل ساعديها فشبكت يديها بساعديه من أعلى تنظر لقدميها.

فقال هامسا " لا تنظري لقدميك أنظري إلي يا أروى"

نظرت إليه فاستقبلت بعض الثقة من عينيه واستقامت ببطء.. بينما سيد يقرب الكرسي منها.. تحركت خطوتين بثقل ثم جلست على كرسيها أخيرا ورفعت قدميها بالكعب العالي الأنثوي وهي تنهت.

حدجها بنظرة فخورة بها فزفرت وقالت ساخرة "أرأيتم الأمر بسيط لمَ كنتم تعقدونه!"

Des. Maryam Tamim

ابتسم الجميع وقالت آية "أحببت هذا المشهد ".. استداروا ليجدوها تصورهم بهاتفها تسجل ما حدث.. فعدلت أروى من حجابها بحرج بينما أحمرت أذنا عمرو وقد لانت ملامحه ليبدو أصغر عمرا.. وقد حاول يمد يده يخطف منها الهاتف التي مازالت تصور به.. لكنها ابتعدت قليلا فأدخل سيد رأسه أمام كاميرا الهاتف يشير لأروى وعمرو الظاهرين من خلفه قائلا " كان هذا مشهد لأميرة العلكة ولص العلكة.. نراكم في مشاهد أخرى ".

أطلقت آية ضحكة عالية تراقص لها قلب سيد وهي تغلق الهاتف بهذه النهاية المميزة بينما عمرو تمتم لأروى بحرج " هيا يا أروى فمعدتي تتحسس من المستظرفين "

في الطريق إلى القاعة سار بجانب كرسيها يسند عليه بكفه دون أن يحاول دفعها كما أخبرته سابقا أنها تكره أن يتحكم أحد بكرسيها.

Des. Maryam Tamim

ثم قال من بين أسنانه بعد أن استقرا داخل القاعة
"ألم يكن هناك أوسع من هذا الفستان!"
رفعت حاجبيها وقالت بكبرياء" ما به الفستان!"

قال وهو متخصر أمامها يلقي بسترته للخلف "
ضيق يا أروى يحدد كل شيء وخاصة وأنت
تجلسين على الكرسي "
قالت له بعند " يعجبني الفستان "
رد عليها بعند مماثل " وأنا لا يعجبني "
صاحت فيه بغيظ " وما دخلك أنت يا بني آدم "
رد عليها ببرود وثقة " دخلي الكثير"
تكتفت وأشاحت بوجهها ووهي تقول" لا أحد مهما
كان له الحق في التدخل في شئوني "
ضغط على أسنانه وقال " أنتِ كتلة من العند "
ردت بوجه ممتقع مستمتعة بهذه المشاحنة
الصبيانية " وأنت ملك البرود "

Des. Maryam Tamim

مال على كرسيها وهو يحدق في عينيها فتطلعت إلى وجهه البهي من هذا القرب تحبس أنفاسها ولم يخفى عليه ارتباكها الذي تحاول أن تداريه.. فقال بصوت هامس "حين تلبسين بهذا الشكل الملفت يشعرني ذلك بالغضب.. ويحرق الهواء في صدري.. وألف حولي اترصد أي العيون التي تنظر إليك فتتملكني رغبة لا أحبها للعنف ... (ثم تغيرت نبرته للهجة ذات معنى) وأنا أعلم أني.. لن أهون عليك ...أن.. تغضبيني ".

تلون وجهها بحمرة الخجل فاستقام بجذعه واقفا يشيح بوجه عنها يتحكم في انفعالاته بينما هي تتمتم بصوت مسموع " أنت لا تلعب بنزاهة"

قال وهو ينظر بعيدا يداري ارتباكه وحرجه "كل الوسائل مسموحة في الحرب.. والحب "

ازدادت ضربات قلبها وتمتمت متهكمة " تتكلم عن الحب وكأنك تعرفه حق المعرفة ".

Des. Maryam Tamim

استدار إليها يسحق باطن كفيه في بعضهما وهو يقول " من منا لا يلعب بنزاهة الآن؟ عموما بالرغم من أني أعترف أني جاهل في أمور المشاعر.. لكني متأكد أن هذه الامور ليست بالأقدمية يا أروى هانم.. ولا تتسرعي وتنصِّبي نفسك صاحبة السبق.. تعالي لنتحدث سويا أولا ثم أعلني بعدها أنك الأقدم في هذا المضمار "

لمحت في شاشات القاعة الداخلية وصول سيارة العروسين.
تطلع الجميع للشاشات يشاهدوهما يتحركان نحو قاعة الزفاف في صمت فسألت أروى "ألا توجد زفة "!!
رد عليها عمرو وهو يبتسم متطلعا للشاشة "أخيك ألغى الزفة وغير من برنامج الحفل تماما حتى كاد مدير القاعة أن ينتحر "

Des. Maryam Tamim

دخل العروسان يحييان الحضور الذين قاموا بالتصفيق بينما السماعات الداخلية تصدح بموسيقى رومانسية هادئة.

تطلعت أروى لأحمد بحلة الزفاف ولبانة بهذه الطلة المذهلة واغرورقت عيناها بالدموع بينما عمرو يراقبها بتعاطف.

رفع أحمد يديه يحيي الحضور بخيلاء فاقتربت منه أمه تسأله " أين الزفة ؟!"..

رد عليها ببساطة " لا يوجد زفة "

سألت بمفاجأة " لماذا!! "

رد بانفعال " يا أمي انا لست شمبانزي لأقف وسط الموسيقى والراقصات أتمايل أنا وعروسي"

اتسعت عينيها ثم عادت لتسأله " ولماذا احضرتنا إذن! كان من الممكن أن تأخذها الى البيت دون حفل.. وأنتِ.. هل توافقين على هذا يا بانة"

Des. Maryam Tamim

ابتسمت بانة في حرج وقالت " الحقيقة يا أمي أنا أيضا سأشعر بعدم راحة ".

أحاط أحمد بخصرها وهو ينظر لأمه بفخر قائلا "أرأيت!"

ضربت إلهام كفا بكف وقالت " وماذا سنفعل مع الضيوف الآن؟ هل نفتح لهم موائد الطعام ليأكلوا ويغادروا أم ماذا"

قال أحمد " لا تقلقي يا أماه كل فقرات الحفل موجودة كما هي لكني انا وبانة لن نكون مشاركين فيه بل مشاهدين مثلكم ستقدم هنا في ساحة الرقص "

قالت الهام بامتعاض وهي تتركهم " كثر خيرك والله على هذا الكرم!"

بحث أحمد بعينيه عنها فوجدها بجانب عمرو فاحتضن كف بانة وتحرك نحوها.. ثم انحنى إليها يضمها فأحاطت رقبته بذراعيها واغرورقت عيناها بالدموع وهي تهمس له "مبارك يا حبيبي.. تبدو

Des. Maryam Tamim

فاتنا ما شاء الله.. اتمنى لك كل السعادة إن شاء الله "

قبل رأسها ثم أتاح الفرصة لبانة لتتبادل الفتاتان القبلات والدموع الحارة.. بينما وقف أحمد ينظر لعمرو بنظرة عدائية ويديه في جيبه فضحك الأخير وأرتمى عليه يحضنه قائلا بمحبة " أنت تعرف أنك حبيبي ".

لم يخرج أحمد يديه من جيبه بل قال بامتعاض "وأنت لم تعد حبيبي.. من يأخذ مني أروى يصبح عدوي "

قهقه عمرو وشدد ذراعيه حوله وتمتم " أنت مجنون اقسم بالله وتحتاج لعلاج عاجل (ثم أكمل بلهجة متأثرة) مبارك لك يا كونت.. أدعو الله أن يجمع بينكما على خير "

أخرج أحمد يديه من جيبه وربت على ظهر عمرو وهو يقول متأثرا " العقبى لك قريبا بإذن الله"

Des. Maryam Tamim

بعد قليل تحرك أحمد يحتضن كف بانة ويحي الحضور بخيلاء كعادته.. ثم توجها ناحية الأريكة المزينة للعروس والعريس.. فجلست عليها بانة تفرش فستانها حولها بينما تمتم أحمد " نسيت أمر هذه الأريكة السخيفة "

وقف بجانبها " فسألته ألن تجلس؟!"

رد بهدوء" كلا.. لن أجس على هذا الشيء المزين المضيء المقزز.. قلت لكم لست شمبانزي للعرض "

كتمت بانة ضحكتها وقالت " أحمد الناس يتطلعون فينا.. هل ستتركني وحدي هنا كأنك لا تطيق الجلوس بجانبي؟ "

نظر أحمد يتأمل الحضور.. العم غنيم والخالة سوسو والكثير من جالية بانة الذين لا يعرفهم.. وبعض التجار واصدقاء أبيه وبعض الشباب من حي سماحة وبعض الشخصيات المهمة في مجال الاعمال وبالطبع عائلة مجدي موريس.

Des. Maryam Tamim

ثم قال بلا مبالاة " لن أجلس على هذا الشيء "
قالت بغيظ " وماذا سنفعل الآن ؟؟؟"
شدها من يدها وقال " سنتجول لنرحب بالحضور
فرد فرد "

جلس وائل على الطاولة المستديرة التي تضم أسرته الخالة أنجيل وأمير وخطيبته كريستين والتوأم ميري وأنجيل الصغيرة وقد لبستا فستانين من التل الأبيض عارية الكتفين بحمالات رفيعة وورود بيضاء حول الوسط ثم ينزل منفوشا حتى الركبتين. وقد صففا شعريهما على هيئة ضفيرة كبيرة من جانب الرأس تتدلى على كتف واحد مضفرة بشريط فضي لامع فبديتا كملاكين.. أنجيل تضع بعض مساحيق التجميل البسيطة وميري لا تضع أي شيء. فتطلع إليهم وائل وقال بانبهار "هل لدينا فراشتين رقيقتين!"

Des. Maryam Tamim

برطمت ميري بقرف فسألها باندهاش" ماذا بك يا ميري !"

قالت بغيظ " لا أحب ارتداء هذه الأشياء أبدو كدمية بلهاء "

رفع وائل حاجبيه في اندهاش بينما تدخل أمير يمسد على شعرها ويقول بلهجة حانية " تبدين رائعة يا ميري"

أشاحت ميري بوجهها وهي تنفخ فقال وائل "ماذا كنت تريدين أن تلبسي إذن في مناسبة كهذه"

ردت الخالة أنجيل بامتعاض وهي تشبك كفيها على بطنها العالية " تريد أن تلبس بنطال وبلوزة لا أفهم هذا الجيل .. كنا ننتظر الافراح لنلبس هذه الفساتين"

قال وائل بهدوء" ألا تثقين في بابا ..تبدين رائعة"

رفعت ميري صدر الفستان حتى حنجرتها وهي تشيح بوجهها في قرف .

بينما قال وائل باستهجان " طبعا لم تأتي معكم "

Des. Maryam Tamim

ردت الخالة أنجيل بعصبية " تأتي لتحرق دمها وأنت تنظر لهذه وهذه ولا تنظر في وجهها حتى .. اتركها في حالها ".

تدخل أمير صائحا " أمي ! " محذرا أن تتمادى أمام البنات فاشاحت الخالة أنجيل بوجهها بامتعاض .

نظر وائل لانجيل الصغيرة الصامتة التي يعلو وجهها الاحباط ..وسألها " ما بك يا بابا تعالي ؟"

تحركت الصغيرة نحوه فكرر السؤال "ما بها حبيبة بابا؟"

تمتمت بخفوت وهي تحرك كتفيها " لا شيء "

قال لها " أنت جميلة جدا الليلة "

تقوست شفتيها للأسفل بطفولية فأجلسها على حجره وهو يقبل وجنتها .

في الناحية الأخرى من القاعة لحق عمرو آية يقول " آية من فضلك أريد وشاح أو شيء من هذه الأمور من أجل أروى "

Des. Maryam Tamim

تطلعت إلى أروى من بعيد ثم قالت ببرود "لماذا؟"
رد بحرج وقد احمرت أذناه" فستانها ضيق قليلا
فأريد شيئا حول كتفيها "
تطلعت مرة أخرى من وراء كتفها لأروى ثم رفعت
حاجبا جميلا وهتفت باستنكار "ضيق!!! "
حدجها ببرود ورد بحزم " أجل "
قالت باستهجان" ومن أين أحصل أنا على هذا
الوشاح؟ هل سأنزع وشاحا من على رأس ضيفة في
الحفل لتلفه أروى حول ذراعيها لأنك تعتقد أنه
ضيق !!"
هدر فيها بحزم " هيا يا آية نفذي "
زفرت في عصبية وتحركت تضرب بقدمها في الأرض
وهي تبرطم.

اقترب أحمد وبانة من طاولة الخالة أنجيل وتلقيا
منهم التهاني.. قالت الخالة بلهجة ماكرة ستنسى
ورق العنب الذي أصنعه لك يا ابن سماحة"

Des. Maryam Tamim

تمتمت بانة بخجل " لا نستغني عنك أبدا يا خالة "

بينما انحنى أحمد يلثم يدها وقال " وكيف اعيش بدونه.. وأنا الذي توقعت أن ترسلين لي قدرا كبيرا من ورق العنب هدية زفافي.. سأنتظره منك خلال اليومين القادمين "

شدته أنجيل فانحنى إليها لتهمس في أذنه فأحمر وجه أمير بحرج وقد أدرك أنها تمازحه بوقاحة وتأكد من ذلك عندما أنفجر أحمد يضحك عاليا.

هتف أمير باستنكار " أمي!!! "

قهقه وائل وقال وهو يرى أحمد ينحني ليهمس هو الآخر في أذنها " وعلقت مع ابن سماحة "

انفجرت الخالة انجيل في الضحك حتى دمعت عيناها وبطنها العالية تترجرج أمامها.. فاستدار أمير يقول بخفوت لوائل بغيظ من بين اسنانه " لا اصدق امرأة فوق السبعين تمازح بهذه الوقاحة!"

Des. Maryam Tamim

تطلع إليها وائل وهو يكتم ضحكته ورد " إن لسانها يستطيل أكثر فأكثر كلما كبرت في العمر ... انصحك أن لا تريها وجهك حين تتزوج لمدة شهر فأنت بالذات لن تتحمل وقاحتها "

قبل أحمد رأس الخالة أنجيل.. ثم سأل أمير " أين كريستين؟"

قال بابتسامة " موجودة لكنها مع أية في مكان ما"

مازحه أحمد " يبدو أن آية مستولية عليها معظم الوقت "

رد أمير بابتسامة محرجة " أجل "

سأله أحمد مجددا "متى زفافك؟"

رد أمير " خلال شهور بإذن الله "

أحاط أحمد بخصر بانة الهادئة التي تراقبهم بصمت يتطلع إليها بعشق.. بينما قال وائل بلهجة ذات مغزى " أنت لا تراعي مشاعر الأخرين أبدا"

Des. Maryam Tamim

تطلع إليه أحمد بنظرة متسائلة.. فلكزته بانة وهي تشير نحو أنجيل الصغيرة التي تجلس على حجر والدها مطرقة الرأس تلعب بأصابعها.

هرش أحمد في رأسه ونظر لبانة يطلب منها العون ثم هتف فجأة " أتعرفين يا بانة يؤسفني أن أخبرك أنك لست صاحبة أحلى فستان في هذا الحفل "

ردت بانة " حقا! "

قال أحمد " نعم انظري لهاتين الجميلتين سترين أجمل فستان في الحفل "

تمتمت بانة بحسرة " يا خسارة!"

ثم انحنى نحو انجيل الصغيرة يقول " واو.. أريني هذا الفستان.. تبدين رائعة".

سحبها برفق من يدها لتقف وأخذ يتطلع فيها وقال " لماذا لم ترتدي فستانا كهذا يا بانة هذا الفستان أحلى "

Des. Maryam Tamim

رفعت أنجيل الصغيرة عينيها إلى وجهه ثم اخفضتها بسرعة في حرج وهي مازالت تلعب بأصابعها.

ردت بانة " لكني لن أكون مثلها هي أجمل مني في هذا الفستان "

تطلعت أنجيل الصغيرة بطارف عينيها تقيم فستان بانة.. ثم عادت تطرق برأسها فرفع أحمد ذقنها برقة وأضاف وهو يحدق في عينيها " أنت تبدين كالأميرات ما شاء الله "

ضمت شفتيها في خجل وقد ملأت الحمرة وجهها الخمري.. فسألها " ألن تباركي لنا؟"

رفعت رأسها نحو والدها ثم عادت تقول بصوت خفيض " مبارك لكما "

أمسك بيدها الصغيرة وسلم عليها وهو يقول "شكرا يا أنجيل.. العقبى لك.. أعدك أن احضر أنا الآخر حفل زفافك.. وأنا متأكد أن العريس سيكون وسيما ويشبهني تماما.. اتفقنا "

[1750]

أومأت برأسها وعادت تلعب بأصابعها فمسد أحمد على رأسها بكفه.. ثم سحبها وائل لتجلس على حجره مرة اخرى وهو يقول " كلا أنا سأحرص على أن يكون أوسم منك يا أحمد حتى يليق بفراشتي الجميلة.. أليس كذلك يا أنجيل "
أومأت أنجيل بحرج فقبل وائل رأسها بحنان.

تطلع أحمد لبانة ليرى هل تصرف بشكل ملائم فابتسمت له بتشجيع.

بعد قليل سحب أحمد كرسيا بمقدمة الطاولات وهو يجلس بجانب بانة فقد طلب أن يجلس على طاولة عادية مثل الضيوف وبدأ يتابع فقرات الحفل في ساحة الرقص وهو يتمتم براحة " هذا أفضل (ابتسمت له بانة فأضاف) أشعر أن سيد يدبر شيئا ما من ورائي في هذا الحفل "

Des. Maryam Tamim

خرجت أروى إلى حديقة صغيرة ملحقة بالقاعة وأوقفت كرسيها لتقول لعمرو تتصنع التأفف " ما هي الأمور التي عليّ أن أترك حفل الزفاف لمناقشتها في هذه الساعة ؟!!"

قال عمرو وقد استند على السور أمامها " أنا مضطر لذلك لأني لا أستطيع أن اقابلك وجها لوجه لنتحدث "

أخذت نفسا طويلا وقالت وهي سعيدة بهذا الشعور بالابتهاج بقربه منها التي بدأت في الفترة الماضية "تفضل "

قال عمرو بهدوء " هل من الممكن أن أعرف سبب اعتراضك على الطلب الذي طلبته منك الأسبوع الماضي؟ لماذا يا أروى ترفضين ارتباطنا؟"

بلعت ريقها وارتجفت وهي تذكر تلك اللحظات الاستثنائية بينهما وقالت " الأمر يشعرني بالإهانة.. لماذا الآن تطلب مني الزواج؟ هل فجأة اكتشفت أن هناك كائن في هذا الوجود اسمه أروى!

Des. Maryam Tamim

أم أنني كنت مثيرة للشفقة لهذه الدرجة حين اعترفت بمشاعري.. أريد أن أوضح لك أمرا.. أنا اعترفت ساعتها لأخلصك من حيرتك.. لأنني تألمت من أن تدخل في دوامة من الحيرة بسببي.. لأني أردت أن أخبرك أنك عندي شخص مميز.. لأثبت لك أني أثق بك.. لكن لم أحب أن أبدو مثيرة للشفقة وانت اشعرتني بذلك حين طلبت ما طلبت"

شعر عمرو أن النزال معها سيكون صعبا لكنه قال بصدق " دعيني أوضح يا أروى أني لم اطلب منك الزواج لأجل ما قلتيه يومها في الشرفة.. أنا كنت أنوي هذا كما أخبرتك من قبل.. وكنت مشدودا لك عندما كنتي ميمين.. وهذا كان واضحا جدا "

قالت بألم "وأروى سماحة التي ظهرت أمامك من العدم فجأة؟"

أخذ نفسا عميقا وقد آلمه سخريتها فجلس على سور قصير أمامها وقال " اسمعيني.. أنت دائما

Des. Maryam Tamim

وأبدا شخصا مميزا عندي.. شخص أكن له شعور خاص.. لم أستطع أن افهم هذا الشعور أو دعينا نكون أكثر دقة تجاهلت بداخلي تحليل شعوري نحوك لأسباب كثيرة يا أروى.. أولها وأهمها أني كما لاحظتي جاهل بالمشاعر.. وخاصة أمور الحب والعشق.. أنا لست هذا الحالم ولم تكن أبدا أفكاري في أن أتزوج لأني أعشق امرأة.. كنت أفكر في الزواج كخطوة طبيعية عليّ أن أقوم بها.. (صمت قليلا ثم أكمل بصوت متهدج وهو ينظر في كفه بحرج) لكن دائما الفتيات عندي سواء وأنت الوحيدة ...أنت الوحيدة .... لا أعرف ما هو الوصف المناسب.. لا أعرف كيف أعبر عما بداخلي (ابتلع ريقه ثم استدار إليها يقول) الحادث كان فاجعا بالنسبة لي.. وأذكر أني علمت خبر أنك قد لا تسيرين مجددا وأنا استعد لخوض مباراة مهمة وأنني لم أستطيع أن أصفي ذهني من الصدمة لحظتها فتعرضت لأصابه بالغة.. وهي التي أدخلت أمي العناية المشددة من

Des. Maryam Tamim

الهلع لإصابتي.. وقتها شعرت بذنب كبير تجاه أمي أني لم أكن حريصا على نفسي وأنا أعلم مدى هوسها بي.. فما كان عليّ إلا أن اعتزلت اللعبة حتى أطمئنها.. أما أنت فكان الوجع بداخلي لما حدث لك يفوق الاحتمال.. فآثرت الابتعاد.. لأني شعرت بالعجز.. شعرت أني لا أستطيع أن أقدم لك شيئا يخفف عنك ويواسيك.. حبستك قسرا بداخلي.. كنت متألما لدرجة أشعرتني بالعجز كلما رأيتك.. وتواريت أنت لسنوات تلتزمين البيت.. فلم يكن بيننا احتكاكا حقيقيا لفترة.. لكني متابع لأخبارك كلها أولا بأول وكأني معك أنا فقط كنت أتحاشى الاقتراب منك "

سألت بصوت متأثر " لماذا ؟!!"

أطرق رأسه في حرج وتطلع في كف يده وقال من بين أسنانه " بسبب كبريائي اللعين.. لأني كنت أرى أنه من الصعب الوصول إليك. فكنت أحمي نفسي من ألم توهمت أنه نتيجة حتمية لأي محاولة مني

Des. Maryam Tamim

للتقرب إليك.. وكنت أفهم أحمد جيدا حين يقول (لا يوجد رجل يستحق أروى).. هذه الجملة كانت وصف جيد لشعوري أنا الآخر "

صمت قليلا يحاول لملمة كلمات تهرب من ذهنه غير قادر عن وصف مشاعر تتأجج بداخله.. بينما أروى تطالعه في ذهول غير مصدقة أن يكون هو الآخر يحمل لها مشاعر خاصة كل هذه السنين!

تنحنح قليلا يقول " أنت يا أروى دائما وأبدا عندي.. أنت .... "

فجأة استقام ووقف أمامها يسند يد على خصره ويشيح بالأخرى قائلا بعصبية " أرأيت.. هذا ما كنت أخشاه.. أن أبدو أحمق أمامك.. وهذا يجرح كبريائي جدا.. "

ردت عليه وهي مازالت تحت تأثير الصدمة "أنت لا تبدو أحمق أمامي الآن.. أنت فقط غير قادر على التعبير اللفظي "

Des. Maryam Tamim

سألها بتردد " إذن هل وصلك ما أريد أن أقوله ولا أعرف أن أعبر عنه؟ (ثم أكمل ببطء يشعر بالحرج) غير أني.. أحمق.. وغبي "

تطلعت إليه بعينين ذاهلتين .. تحلل كلماته هذه وتربطها بكلماته تلك .. وتستخلص مالا يقدر على أن يشرحه .. وما لاح أمامها من حقائق كان صاعقا .. فأشاحت بوجهها تداري الدموع التي انهمرت من عينيها فجأة..

شعر عمرو بالارتباك.. واندفع نحوها يركع على ركبته أمام كرسيها.. محدقا فيها وهو يسأل في جزع " ماذا فعلت الأن لأبكيك؟؟؟ .. أروى هل قلت شيئا فظا؟؟؟؟ "

نظرت إليه وهي تمسح دموعها وتجولت في وجهه القريب قائلة " لا شيء.. أنا فقط أدركت الآن كم نحن أحمقان غبيان.. أضعنا من عمرنا سنينا طويلة

Des. Maryam Tamim



كل منا متقوقعا في ذاته محبوس بقيوده النفسية التي تمنعه أن يبادر نحو الآخر بمشاعره ... "

حدق في ملامحها وزينة وجهها منبهرا وقال "بل أنا وحدي الأحمق الغبي.. وسأظل أخبر نفسي بذلك حتى آخر عمري.. لكن أنا أؤمن أن قدرنا معا لم يحن إلا الآن "

ساد الصمت قليلا.. فتجرأت على تأمل ملامحه مستغلة موضعها القريب منه ودون إرادة منها رفعت أصابعها المرتجفة.. وفعلت ما كانت تحلم به دوما..

لمست بأطراف أناملها لحيته الانيقة لثواني ثم أبعدتها.. ولكنه أطبق برقه على أصابعها قبل أن تبتعد.. وقربهم إليه من جديد ليمس أناملها بشفتيه في قبله هامسة شديدة الرقة.



اقتحمت آية المكان بزوبعة تقول بعصبية " عمرو لم أجد سوى هذا الوشاح فارحمني من ط .. لـ.. بـا.. تك ... ".

هب عمرو واقفا يرجع للخلف خطوتين بإجفال ووقف متخصرا يلملم مشاعره وينظم أنفاسه وهو يضغط على شفتيه فبديتا كخطين في وجهه.. بينما تسمرت آية وبترت عبارتها شاعرة أنها قد حضرت في وقت خاطئ أما أروى فأطرقت برأسها تمسك بأصابعها.

ارتبكت آية ولم تدر ماذا تفعل؟.. وتلفتت يمينا ويسارا بحرج..

هل تأخذ معها الوشاح ؟..

أم تعطيه لهما؟..

أم ...تلقيه من يدها وتجري؟ .

تنحنح عمرو وأجلى صوته وتقدم يأخذ الوشاح قائلاً " شكرا آية.. اتعبتك "

Des. Maryam Tamim

أومأت آية بعينين متسعتين في صمت.. ثم طالعتهما مرة أخرى في ريبة وتحركت مغادرة وهي تكتم ضحكتها.

وقف عمرو في صمت ينظر للوشاح بغباء يحاول أن يتذكر سبب طلبه من آية وهو مازال يحاول السيطرة على دقات قلبه المتفجرة في صدره وارتجاف جسده..

ولم يكن الأمر مختلفا مع أروى التي طالعته بطارف عينيها قليلا ثم عادت تفرك أصابعها المرتعشة.

قطع عمرو الصمت يقول وقد تذكر سبب طلبه للوشاح " ضعي هذا من فضلك حول كتفيك "

سألته باستنكار " لماذا! "

قال بصوت حاول أن يكون ثابتا " قلت لك الفستان ضيق على الأقل داريه من الأمام "

صاحت تحاول كسر حاجز الحرج الذي ملأ الفراغ حولهما " عمرو أنا حريصة على ملابسي وعلى التزامي.. ولو كان الفستان به شيء فج لما لبسته "

Des. Maryam Tamim

تقدم نحوها ووضع الوشاح حول رقبتها ليتدلى طرفيه على فستانها ثم وقف أمامها يضع يديه في جيبه مشيحا بوجهه عنها وهو يقول " أنا أعلم أنك ملتزمة ... لكن كما شرحت منذ قليل ينتابني شعور يخصك عادة فيما يتعلق بما ترتديه ... واتوتر واتطلع للرجال حولك.. واشعر أن انفاسي تحترق وتنتابني رغبة قوية في العنف "

قالت بصوت متأثر وقلبها مازال لا يستوعب ما يحدث " تغار "
تطلع إليها مستفسرا وعلى وجهه علامات الغباء فقالت موضحة " هذا الشعور الذي تشعر به بشأن ملابسي أسمه (الغيرة).. أنت (وخرج صوتها هاربا مرتعشا) تغار.. عليّ "
أشاح بوجه مرة أخرى وقد احمرت أذناه وحاول أن يسيطر على مشاعره المتفجرة خاصة وأنه أنب

Des. Maryam Tamim

نفسه لانفلات أعصابه منذ قليل فتمتم " شكرا للتوضيح "
ثم هرش في أرنبة أنفه بحرج وأضاف وهو لا ينظر إليها " أنا.. أغار.. عليك.. فأريحيني وضعي الوشاح "

سكتت قليلا تفكر في حيرة بين كبريائها الأنثوي.. ومشاعرها نحوه.. فغلبت مشاعرها.. خاصة وهي تطالع هذا البهي الفاتن المتخصر أمامها يشيح بوجهه بعيدا في حرج.

نظرت للوشاح الذي ليس له علاقة إطلاقا بلون فستانها ومطت شفتيها بامتعاض تعدله عليها مستسلمة.
طالعها بطارف عينيه فوجدها قد عدلت الوشاح ليستقر فوق مقدمة الفستان.. فتنهد بانتصار وفخر ذكوري يختبر الشعور به لأول مرة.

Des. Maryam Tamim

بعد قليل من الصمت نظر إليها يقول بهدوء " لم أسمع ردك على طلبي حتى الآن "
أخذت نفسا عميقا ثم قالت بجدية " صحيح أني أيقنت أنك فعلا تحمل لي مشاعر خاصة.. "
أسرع يقاطعها ويقلد طريقتها " تعنين (أحبك).. هذا الشعور الذي أشعر به بشأنك أسمه (الحب) عمرو يحب أروى "
احمر وجهه برغم جديته وأشاحه بعيدا عنها واحمرت هي الأخرى وضحكت وهي تتطلع إليه ثم عدلت كلامها وأكمت " صحيح أني أيقنت أنك (تحبني).. لكن كما قلت لك من قبل أن الحب شيء وتوافر الشروط لتصنع زواجا ناجحا شيئا آخر "
استدار إليها بكليته وسألها باستنكار " وما هي شروط الزواج التي نفتقدها؟؟!!! "
ردت بهدوء " زوجة ليست قعيدة لا تستطيع ان تتحرك وحدها ".

Des. Maryam Tamim

هب يقول بعصبية محذرا " أروى.. إياك والتمادي في هذا الكلام الفارغ.. أتعلمين. أنا لن أنتظر رأيك أصلا.. هذا الأمر سيحسم بين الرجال.. وافقت أم لم توافقي هذا لن يغير من الأمر شيء.. سأتزوجك بإذن الله.. فلا ترهقي نفسك بالتفكير لأننا في هذا الموضوع سنتغاضى فيه عن رأيك "

جحظت عينا أروى باستنكار.. فتمتم يسخر من كلامها " (الحب شيء والزواج شيء آخر).. لابد من لمسة التعقيد هذه لتدخلنا في متاهات وتسرق من عمرنا أكثر.. كما عذبتني بتعقيداتك وأدخلتني في متاهاتك العقلية والآلاف من (ماذا لو) لمدة عامين مستغلة غبائي.. هذا الأمر سيحسمه الرجال.. فلا تتدخلي أنت.. ولا تعقيداتك.. ولا متاهاتك فيه " طالعته بغيظ فتحرك مغادرا وهو يهتف بعصبية "انتظري هنا لا تتحركي سأعود ".

Des. Maryam Tamim

وقف سيد في قاعة داخلية يجهز مع شاب الـ DJ الفقرات الغنائية التي ينوي غنائها فدخلت آية تبحث عنه بحماس مناديه عليه.. فخرج إليها يستنشق بعضا من السعادة في النظر إليها فقالت بحماس وهي تقفز من مكانها " لن تصدق ما رأيت الآن "

تطلع إليها باهتمام فمالت نحوه قليلا تخفض صوتها وقالت " بحثت عن عمرو لأعطيه شيء فوجدته مع أروى في الحديقة الخلفية.. حين دخلت كان راكعا على ركبته أمامها ويمسك بيدها عند شفتيه "

اتسعت عينا سيد بمفاجأة وهتف "حقا!"

أومأت بسرعة في سعادة وقد أحمر وجهها فقال سيد بابتسامة ساحرة " هذا اللئيم.. ويدعي الاستقامة والالتزام!"

صححت آية " أو هو ملتزم بالفعل لكنه أمامها لم يستطع المقاومة.. حطمت كل حصونه (ثم

Des. Maryam Tamim

تنهدت واكملت بهيام) ما أجمل أن تضعف أمام الحب للحظة.. أن يرغمك الحب على فعل مالم تتوقع أبدا أنك يوما قد تفعله.. أن يستبد الحب بك لدرجة أن.. تستسلم تماما "

طالعها بتأثر وتمتم في مرارة " أنه أمر رائع فعلا مع المحظوظين في الحياة.. أما سيئي الحظ فلحظة استسلام واحدة قد تودي بكارثة.. لذا هم يقضون باقي عمرهم في جحيم المقاومة.. ويكون الموت هو خلاصهم الوحيد ".

طالعته في خرس.. وانقبض قلبها مستشعرة الألم البادي في عينيه دون أن تفهم.. فتنحنح يقول بمرح " هيا اتخذي مقعدك في الصفوف الأمامية وشاهديني وأنا اشعل أجواء الحفل رغم أنف ابن سماحة "

فصفقت آية بكفيها بحماس طفولي.

Des. Maryam Tamim

لمح سيد عمرو يترك الحديقة الخلفية متجها لمكان ما فقال لآية بسرعة " اذهبي أنت واستعدي.. وسأعود بعد قليل.
تركها واتجه نحو الحديقة الخلفية حيث تجلس أروى.

كانت أروى ساهمة تضع يدها على قلبها الذي تتسارع دقاته حتى تعب.. فجرعة الليلة من المشاعر معه أقوى من المرة الماضية..

فكرت قليلا.. اعتراف بالحب وعرض زواج في يوم واحد!! من قمة الحرمان للاغداق في المنح.
فكرت في أمر الزواج بتردد لا تريد أن تكون هما فوق ظهره بعجزها.
اقتحمت هيئته الضخمة مجال رؤيتها فابتسمت حين اقترب سيد وجلس أمامها على السور القصير يقول بمكر " كيف الأحوال مع عم أمين الآلي؟"

Des. Maryam Tamim

تخضبت وجنتيها بحمرة الخجل واجابت " لقد جن تماما "

ضحك ورد عليها " اتفق معك.. ويعجبني ما فعلتيه لتقلبي كيانه كله "

تنحنحت في حرج " أنت أيضا تعرف بما فعلت؟"

رد سيد بحماس " لا تخجلين يا أميرة البنات أنت فعلت إعجازا.. لقد انطقت الحجر.. أنا اعرفه من ما يقرب من ثلاثين عام لم أره أبدا يهتز من أجل فتاة.. "

ارتجفت في سعادة لكنها تمتمت " لكن أمر الزواج أمر صعب يا سيد.. لا أريد أن أكون هما فوق ظهره.. أريده أن يسعد بامرأة كاملة "

قال سيد محذرا " إياك يا أروى أن تبالغي في حماية من تحبين فتتسببين لنفسك في شقاء أبدي.. بعض القرارات قد نأخذها لنحمي من نحب تلقي بنا في الجحيم (لمحت الألم البادي في عينيه فأضاف) مادام هو الأخر يكن لك نفس المشاعر فاحذري أن

Des. Maryam Tamim



تضيعي عليك فرصة أن تكوني معه .. مهما كان الألم ومالك قلبك أمامك تتنفسين وجوده سيكون أهون بكثير صدقيني من عذاب الحرمان..
واستجداء الوصال.. وانتظار اللحظات المسروقة بيأس "
نظرت إليه بحيرة.. وأدركت أنها أمام قرار صعب.

اقترب عمرو بجدية من الحاج سماحة يستأذنه للحديث.. فاعتذر الأخير من ضيوفه لينتحي جانبا مع عمرو الذي احمرت أذناه وبدى متحرجا وهو يقول " عمي أنا كنت أنوي الانتظار حتى ينتهي زفاف أحمد لكني غير قادر على الانتظار دقيقة واحدة أكثر من ذلك "
بدى على وجه الحاج ابراهيم الاهتمام فقال " ما الأمر يا عمرو؟"
تنحنح عمرو وقال " أنا أرغب في الزواج من أروى"

Des. Maryam Tamim

اتسعت عينا الحاج وبدت عليه المفاجأة.. ثم ابتسم يقول " تريد أن تتزوج من أروى؟"
فأومأ عمرو برهبة من الموقف ثم قال ممازحا "هل ستطلب مني وقتا لتسأل عني؟"
اتسعت ابتسامة الحاج ورد " أنا ليس عندي مانع بالعكس أنت اسعدتني بهذا الطلب لكن.. "
هتف عمرو بجزع " لكن ماذا!!! "
رد الحاج بابتسامة " لكن لابد أن اسألها أولا واستشير والدتها قبل أن أعطيك الرد النهائي "

هتف عمرو بسرعة " لا.. لا تأخذ رأيها.. لا تعطيها الفرصة لإبداء الرأي.. ستتوه في تعقيدات ومتاهات ولوغاريتمات ليس لها أول من آخر.. حتى تكبر وتشيب واشيب أنا بجانبها في انتظار موافقتها.. مع أروى نتعامل معها معاملة الجاهلية وتتزوجني بالأمر "

Des. Maryam Tamim

قهقه الحاج وقال " هذا طلب زواج عاطفي جدا "
قال عمرو بجدية " ابنتك نسفت كل العاطفة يا عمي "
ضحك الحاج بسعادة وهو يربت على كتفه باعتزاز وقال " يفعل الله كل الخير ان شاء الله.. لن نجد أفضل منك زوجا لها ولن نجد أفضل من نسب الشيخ عبد الرحمن رحمه الله "
تمتم عمرو يدعو بالرحمة لأبيه ثم سأله في لهفة "هل اعتبر نفسي خطيبها من الأن؟"

ضحك الحاج مجددا وقد استشعر جديته واصراره فقال " لا بأس خطيب مؤقت حتى أسألها وأرد عليك الرد النهائي "
سلم عليه عمرو بحماس وهو يتمتم بعبارات الشكر ثم تركه ليعود لأروى وهو يقبل خاتم أبيه الفضي في خنصره هامسا في سعادة " باركلي يا شيخنا "

Des. Maryam Tamim

حين اقترب من أروى ووجد سيد يتحدث معها بلزوجة كعادته قال ببرود " ماذا تفعل هنا؟"
رد سيد ببرود مماثل " أتحدث مع أختي الصغيرة.. ما دخلك أنت؟"
ثم استقام يعدل من حلته في استعراض لأناقته وقال وهو يغادر بلهجة رقيقة مقصودة " سأبدأ بالغناء بعد قليل يا أروى.. لا تنسي "
تطلع إليه عمرو بغيظ وهو يطحن أسنانه وقال بعد أن غادر سيد " لا أعرف لماذا تجذبين دائما اللزجين"
ابتسمت في سعادة لفكرة أنه يغار عليها بينما أضاف هو ببرود " بالمناسبة طلبتك للزواج من الحاج سماحة ووافق مبدئيا.. فأعلمي أني خطيبك من الآن فصاعدا "
طالعته بذهول وقد تراقص قلبها المغفل لفكرة الارتباط به لكنها هتفت باستنكار " خطيبي.. هكذا ببساطة دون أخذ موافقتي!"

Des. Maryam Tamim

حدجها بنظرة باردة بينما سمع صوت سيد يغني في القاعة فقالت لتهرب من الموقف " هيا سيد سيبدأ الغناء "

تأفف وهو يراها تسبقه للقاعة فقال بلهجة مستخفة "وما المشكلة أن يغني.. عبد الحليم حافظ مثلا!"

في القاعة مال أحمد على بانة يقول بغيظ " أرأيت.. كنت أشعر أنه يعد لشيء ما من وراء ظهري "

ابتسمت بانة وهي تتطلع لسيد ووائل اللذين اندمجا في الغناء والدي جي يعزف خلفهما..

اشتعلت الاجواء فعلا خاصة وأن معظم الأغاني كانت أغاني شعبية راقصة.

تحركت فتاة عشرينية ترتدي فستان سهرة لامع يلتصق بجسدها بجرأة.. وتقدمت من سيد ووائل وبدأت في الرقص المغري على غنائهم مما أشعل الحفل أكثر وقد اندمج معها الشابين بوقاحة.

Des. Maryam Tamim

تبادل كل من وائل وسيد النظرات في تساؤل عمن تكون.. ثم نظر سيد لأحمد الجالس بخيلاء على إحدى الطاولات الأمامية يطالعها هو الأخر بحاجب مرفوع.. فهز أحمد له كتفيه بأنه لا يعرفها ثم استدار الأخير بدوره ينظر لعمرو الجالس معه هو وأروى على نفس الطاولة فكانت نظراتهما تحمل كلاما صامتا استشعرته الفتاتان قبل أن يعتدل عمرو في جلسته متحاشيا إعادة النظر لها يقلب في هاتفه.

رمقته أروى بإعجاب فبرغم من أنها أكيدة مبادلته مع أحمد كلاما ذكوريا بتلك النظرات بينهما منذ ثوان لكنه يجتهد في الالتزام بكل جدية..

قال عمرو لأروى " أنا جائع لن أنتظر افتتاح موائد الطعام سأذهب لأحضر لنا شيء "

Des. Maryam Tamim

أما بانة فطرقت على كتف أحمد بأصابعها وحين نظر إليها قالت باستنكار " فيم تحدق؟"
تنحنح وقال " في الحفل "
فسألت باستهجان " أي جزئية بالضبط من الحفل"
رد ببراءة " لحُلة سيد.. تعجبني.. تبدو أنيقة "
قالت ساخرة " لاحظتها.. الآن!"
تحكم في ابتسامة ملحة. فقالت بغيظ " ما رأيك أن تنظر لي قليلا حتى تنتهي هذه الفقرة ".

رد أحمد بمغازلة" أنا مستعد أن أنظر إليك حتى أخر لحظة في عمري يا بنت الخازن "
تخضب وجهها بالحمرة وتمتمت بهمس " أتمنى من الله أن يحل عقدي حتى أستطيع اسعادك "
أمسك كفها بين كفيه وهمس " سأتحمل كل شيء منك فلا تقلقي "

Des. Maryam Tamim

غامت عيناها بالحزن من جديد ففضل تغيير الموضوع وقال " ما رأيك أن أحضر لنا شيئا نأكله.. حفل سيد سيؤجل فتح الموائد "
أومأت برأسها فتركها ولحق بعمرو.

على مائدة عائلة مجدي موريس قالت آية بغيظ لكريستين " لا أفهم ماذا تفعل هذه السلعوة.. هل تعتقد أن هذا رقصا.. إنها دعوة لليلة حمراء وليس رقصا أبدا "
ابتسمت كريستين بهدوء ورفعت شعرها عن وجهها وهي تقول " إهدئي قليلا.. هي حرة بنفسها "

قالت أية من بين أسنانها " ألا ترين كيف تتواقح.. وسيد وأبيه وائل لم يتركا الفرصة ".
قالت كريستين بلهجة ذات معنى " يبدو أنها معجبة بسيد.. انظري كيف تحاول لفت انتباهه "

Des. Maryam Tamim

تكتفت آية وزفرت بعضا من الحريق المشتعل بداخلها لتقول بكبت " ليتني أستطيع أن أريها كيف يكون الرقص على أصوله ".

تطلع أمير لوائل الذي يشعل القاعة غناء ورقصا بوقاحة مع الفتاة التي لم تهدأ منذ أن بدأت وصلة الرقص.. فقال لكريستين الجالسة بجانبه تتحدث مع آية " سآخذ البنات لموائد الطعام فلا أريدهم أن تشاهدا هذه المناظر من أبيهما "
ثم أشار للبنات للذهاب معه فتحمست ميري للفكرة بينما تحركت أنجيل الصغيرة بتثاقل..

هتفت كريستين " موائد الطعام لم تفتح بعد " فرد عليها ببساطة " الحفل حفلنا "

أفاقت الخالة انجيل فجأة من غفوتها على الكرسي وقالت " أحضر لي طبقا كبيرا من الحلويات "

Des. Maryam Tamim

فرد أمير بغيظ " نامي يا أمي.. تم حظر الحلويات من البلد كلها "
برطمت أنجيل بانزعاج طفولي ثم تطلعت لوائل وما يفعله وقالت بامتعاض " لا تفلح إلا بذلك " ثم استسلمت لغفوة أخرى.

تقابل أحمد وعمرو وأمير والتوأمتان على مائدة الطعام الكبيرة يكتمون الضحك لأنهم يبدأون بالأكل قبل الضيوف.
وتسمر أحمد يتابع من بعيد الفتاة الراقصة مع سيد ووائل.. فلف عمرو ذراعه حول رقبته ليشيح بوجهه بعيدا ببعض العنف وهو يقول " ألم يكن هناك نية عندك للالتزام! "
فتنحنح أحمد في حرج وأخذ الطبق عائدا لمكانه..
بينما نظر عمرو وأمير لبعضهما وضحكا من جديد وهما مستمران في ملئ الأطباق بالحلويات وهي التي كانت مجهزة على المائدة حتى ذلك الوقت..

Des. Maryam Tamim

بينما أنجيل الصغير تمسك الطبق في شرود ولم تكن راغبة في أكل شيء.
أما ميري التي انقضت على الحلويات بنهم.. لكن بمجرد أن استشعرت بوجود عمرو أخرجت منديلا ومسحت فمها من أثر الطعام.. ووقفت قليلا في تشنج صامت حتى غادر فتنفست الصعداء وعادت لالتهام الحلويات مجددا.

قال أمير " سنأكل هنا حتى لا نذهب بالحلويات أمام جدتكما.. أنتما تعلمان أنها ممنوعة منها "

أومأت ميري وهي تأكل بحماس بينما أنجيل الصغيرة تقف بتثاقل أو هدف واضح بجانب المائدة.

Des. Maryam Tamim

وضع عمرو أمام أروى الطبق به شوكتان وهو يقول
" لم أجد سوى الحلويات لم يضعوا الطعام بعد..
حاولت أن أختار لك الشيكولاتة ".
ابتهجت لأنه أحضر الشيكولاتة من أجلها لكنها
قالت بجدية "لماذا أحضرت طبقا واحدا؟"
رد عليها بلهجة ذات معنى " منذ تلك اللحظة
سنتشارك في كل شيء "
تصنعت التأفف وقالت " سنتحدث بهذا الشأن
لاحقا لأني لا أريد أن أفسد أجواء الحفل "
على الطاولة الأخرى وقفت آية بعصبية تقول "
لا.. لا أستطيع التحمل.. هذه المستفزة لن تتركهم
الليلة.. إنها مستمرة في الرقص دون توقف أغنية
بعد أخرى.. كما أن أعصابي لا تتحمل القيد أكثر من
ذلك دون رقص على هذه الموسيقى.. لابد أن
أنفس عن طاقتي.. سأموت من الكبت أقسم بالله "

Des. Maryam Tamim

تحركت آية مندفعة نحو ساحة الرقص وكريستين تناديها بتوتر لكن الأخيرة كانت كالطلقة اتجهت نحو سيد ووائل وقد بدأ سيد في غناء أغنية شعبية.. وقسم بصوته في الموال:

عين يا ليل .. يا ليل

يا أحلى منهم كلهم ..

ما فيكش غلطة يا عمهم

كانت عيون سيد مثبتة على الحسناء راقصة الحفل التي يستقبل منها الكثير من الاشارات التي تفهمها طبيعته كرجل.. لكنه لمح وائل يغمز له ليستدير خلفه... فاتسعت عيناه في مفاجأة حين وجد آية تقف تتمايل بنعومة على كلمات الموال.

أكمل الموال وهو يتحكم ببعض الارتباك لخوفه من ردود أفعال حركتها المتهورة وهو يحدجها بنظرات نارية.

بعيونك غطيت عليهم.. وجمالك كالتهم

Des. Maryam Tamim

رفعت له آية حاجبيها بإغاظة وهي تتمايل بنعومة فأكمل وهو يحدق فيها ورغم عنه أصبح للأغنية طعما آخر:

غزال ما فيش غلطة يا واد فيك
ما تحن ربنا يرضى عليك
من كتر خوفي لا يحسدوك
أنا عايز أبخرك وأرقيك

قبل دقائق على طاولة العروسين:

قال عمرو بجدية وهو ينظر لأروى " يعجبني ذلك الشعور "
ردت بعدم فهم " أي شعور؟"
قال بخفوت وهو يتطلع لعينيها " أن أجلس بقربك.. أن أستشعر وجودك.. أن نتشاجر في أمور تافهة لكننا لا نبتعد عن بعضنا أبدا "

Des. Maryam Tamim

تهدج صوتها وقالت " عمرو. قليلا من الرحمة من فضلك "

سألها بخفوت " ماذا تقصدين؟"

ردت وهي تنظم انفاسها " هل تعلم حين يجدون شخصا في الصحراء قضى وقتا طويلا بدون ماء ماذا يفعلون؟ لا يلقوا بالماء في جوفه مرة واحدة.. حتى لا يموت.. فترفق بي ".

تطلع إليها مبهوتا بما قالته واعتصر الألم قلبه فقال بصوت متهدج " يبدو أنني لم أستوعب حتى الآن حجم الجريمة التي ارتكبتها في حقك بغبائي يا أروى.. لكني أعدك أني سأنسيك كل لحظة بحثت عني فيها ولم تجديني بجانبك.. اقسم لك أني سأنسيك كل هذا الحزن.. فقط وافقي واعطيني الفرصة "

تشابكت أعينهما لبعض الوقت في كلام صامت..

Des. Maryam Tamim

فضرب أحمد فجأة على المنضدة فانتفضا بإجفال وهو يهدر فيهما " الحفل.. تابعوا الحفل ".

وضعت أروى يدها على قلبها تهدئ ضرباته بينما حدجه عمرو بنظرة غيظ.

لكزته بانة تهمس في عصبية " ما الذي تفعله يا أحمد !!!"
رد عليها باستنكار " هل سيغازلها أمامي! يكفي أني سمحت له بالجلوس على طاولتنا أصلا"

حدقت فيه بانة قليلا ثم اتسعت ابتسامتها لا تعرف ماذا تفعل مع هذا الكائن الاستثنائي..
فرفعت كفها تحضن جانب وجهه هامسة كأنها تحدث طفل مشاكس"ماذا أفعل معك؟ أحيانا لا أجد رد الفعل المناسب خاصة وأنت تأسر قلبي بين يديك.. ماذا افعل معك؟"

Des. Maryam Tamim

أصدر همهمة صوتية علامة على التفكير ثم قال "سأترك تقدير هذا الأمر لذوقك وضميرك الإنساني.. لكن إن أحببت أن أقترح عليك بعض الاقتراحات بشأن (ماذا تفعلين معي) سيسرني ذلك كثيرا "

ابتسمت في خجل.. ثم اتسعت عيناها حين لمحت آية تقف أمام سيد في قاعة الرقص وهو يغني الموال.

أوشك أحمد أن يستدير فثبتت وجهه بكفيها في اتجاهها بحزم وهي تقول بارتباك " أخبرني المزيد " حرك مقلتيه باندهاش ثم سأل ببطء" المزيد عن ماذا.. عن ماذا يمكن أن تفعلين معي !!"

نظرت مجددا لآية بطارف عينها ترى إن كان سيد قد أقنعها لأن تعود.. ولما وجدتها مازالت واقفة تتمايل برقة وهو يغني الموال ردت على أحمد بعدم

Des. Maryam Tamim

تركيز وقد ظهر الانفعال على وجهها " نعم المزيد ".

رفع حاجبيه في استفهام وقال " هنا! .. الآن! (ثم حاول تحريك وجهه) إلام تنظرين ".

شددت كفيها على وجهه تثبته أمامها واقتربت منه في ارتباك حتى كاد وجهها الذي تخضب بالحمرة أن يلمس وجهه قائلة " أحمد انظر إليّ"

اتسعت عيناه وتمتم مصعوقاً " بانة .. ماذا تفعلين! نحن أمام الناس !! (صمت لثانيتين ثم أبعد كفيها بحزم عن وجهه وهو يقول) ما الذي تحاولين إشغالي عنه؟".

تطلع لأروى الواجمة المحدقة في ساحة الرقص ثم استدار ليجد آية تتمايل أمام سيد.

هب واقفا فأمسكت بانة بذراعه بقوة وهي تحاول تهدئته " أحمد تعقل.. لن تسبب فضيحة

Des. Maryam Tamim

بالتأكيد.. الجميع ينظرون باتجاههم وأي حركة معترضة منك سيكون موقفا محرجا ولن ينساه أحد.. كما أنه حفل زفاف أخيها وكثير من الفتيات يفعلن ذلك في أفراح ذويهم ".

نظر إليها أحمد شذرا فأوضحت " أقصد أن الأمر ليس جريمة في عرف معظم الناس ".

تدخل عمرو يقول بهدوء " إهدأ يا أحمد سبق السيف العزل.. ندعو الله أن تكون متعقلة ولا تترك لنفسها العنان "

بحث أحمد عن أبيه فوجده يقف في آخر القاعة مع بعض الضيوف بملامح ممتعضة نحو ما يحدث لكنه أشار إليه أن يهدأ ولا يتدخل.

في وقت عزف الموسيقى بين الموال والأغنية أبعد سيد الميكروفون وراء ظهره وهو يهمس لآية "ماذا تفعلين يا مجنونة ؟!!"

Des. Maryam Tamim

رفعت رأسها لتهمس بشقاوة " العمر واحد.. حين يقتلوني.. ضع صورتي على الفيسبوك وأكتب تحتها (شهيدة الفن.. عاشت مكبوتة وماتت سعيدة بعد أن رقصت أمامي كما تمنت "

التمعت عيناه والتقطت أذنه النغمات ليبدأ على ايقاع الأغنية الشعبية الراقصة:

أسمالله عليك أسمالله ..
وألف ماشالله كمان عليك
حصوة في عين اللي ما صلى
يا جامد أنت يا سمبتيك .

فوجئ سيد وكل الحضور بها ترقص رقصة المطاوي.. وهي رقصة شعبية الشائعة للذكور في المناطق الشعبية.. تعتمد على الإشاحة بالذراعين في الهواء كمن يهدد بالمطواة يمينا ويسارا مع بعض حركات القدمين والجذع على الإيقاع.. وبالطبع

Des. Maryam Tamim

خرجت الرقصة بنسخة أنثوية خاصة بآية سماحة.. تحمل أطنانا من النعومة والدلال والفكاهة ...

سقط قلب سيد بين قدميه وهو يرى هذه الجنية.. وكأنها تنفخ البهجة من كفها عليه كتعويذة سحرية ترمم مدنه التي هدمتها حروبه الأزلية..

وكأنها قطعة سكاكر لا تذوب أبدا لكنها تمحو طعم العلقم من فمه.

وكأنها الحياة.. حين تفتح ذراعيها إليك وتنصبك سيدا للكون..

بالطبع لم يدر بأحد وهو يغني ويتابع حركتها ونظراتها وكليتها أمامه.. حتى أنه نسي تماما تلك

Des. Maryam Tamim



الراقصة المتطوعة التي شعرت بالضيق حينما
توقف عن الاستجابة لها..
لم تعرف أنه لم يعد يراها اصلا..
كأن يغني لآية وحدها..

يا ابو قوام جامد وبلدي
أنا بحبك يابن بلدي
م الآخر أنا مش حسيبك ..
لو حتى بالطبل البلدي .

على طاولة العروسين سألت بانة أحمد بفضول
"أليست هذه رقصة للشباب ".
أومأ أحمد برأسه بوجه ممتعض وقد هدأ قليلا على
الرغم من استمرار غيظه منها..

تأملها عمرو بابتسامة بينما تمتمت أروى بمرح
"تلك العفريتة.. أنظر لسيد هو الآخر يبدو كمن

عاد عشر سنوات للوراء.. ويتحداها في الرقص أمامها كشابين في فرح شعبي.. المدهش أنهما بالرغم من عدم اتفاقهما مسبقا كما بدى من تفاجؤ سيد في البداية.. لكنهما يبدوان كثنائي متناغم بشكل مذهل.. هذا المشهد يحتاج للتسجيل والإعادة آلاف المرات.. "

على ذكر اسم سيد تطلع أحمد بألم لصاحبه الذي بدا كمن رُدت إليه روحه.

فحرك عينيه نحو عمرو الذي بادله النظرة المتألمة على حال صاحبهما.. ليطرق أحمد برأسه ويفرك جبينه في حيرة متسائلا.. ماذا عليه أن يفعل مع هذا المهووس!

في ساحة الرقص غناء سيد كان مستمرا:

حس بقى وأهتم بيا ..

والنبي ما تتقل عليا ..

[1791]

لو حصلي حاجة بسببك ..
هحملك المسئولية..
بطل شقاوة ..
وبالهداوة ..
واحدة واحدة ..
اتقل علينا ..
دحنا استوينا ..
بطل مناهدة ..

آية هي الأخرى انفصلت عن الزمان والمكان .. أخيرا ترقص أمام سيد وهو يغني .. صحيح ليس ذلك الرقص الذي تشتهيه .. الذي يتحدث عنها بدلا من لسانها بكل تشعر به وتريد أن تقوله .. لكنها سعيدة .. حتى لو كانت هذه آخر رقصة في عمرها . وكلما يغني سيد جملة (يعني أعمل حسابك .. مش سايب جنابك .. أنا وراك وراك يا حبيبي .. وبقولها ورزقي على الله) كانت تشده من رابطة عنقه وباليد

Des. Maryam Tamim



الأخرى تشهر في وجهه مطواه وهمية للتهديد ...
فتتسع ابتسامته بينما قلبه سينفجر من السعادة .

اسمالله عليك اسمالله ..
وألف ماشالله كمان عليك
حصوة في عين الي ما صلى
يا جامد أنت يا سمبتيك
دنتا لما عنيك بتضحك بتجنن عليك ..
ربنا ما يحرمني منك وأفضل أحب فيك ..

يابو قوام جامد وبلدي ..
أنا بحبك يابن بلدي ..
م الأخر أنا مش هسيبك ..
لو حتى بالطبل البلدي ..

حس بقى وأهتم بيا ..
والنبي ما تتقل عليا ..
لو حصللي حاجة بسببك ..

[1793]



هحملك المسئولية ..

بطل شقاوة ..
وبالهداوة ..
واحدة واحدة ..
اتقل علينا ..
دحنا استوينا ..
بطل مناهدة ..
يعني اعمل حسابك ..
أنا مش سايب جنابك ..
أنا وراك وراك يا حبيبي وهقولها ورزقي على الله .

عند اقتراب نهاية الحلم .. أو الاغنية .. تمالك سيد أعصابه وحاول استعادة عقله الناضج الذي أطاحت به عفريتته الصغيرة منذ دقائق..
ومع نهايتها كان يسحبها من يدها برقة ليوصلها حتى طاولتها.. مع تصفيق وتصفير معظم الحاضرين.. وعاد لساحة الرقص من جديد يكمل

Des. Maryam Tamim

باقي الأغاني.. وهو يلملم في أعصابه المبعثرة هنا وهناك ويلجم مارده الذي استفاق وانتشى مطالبا بالمزيد منها.

بعد فترة فتحت موائد الطعام.. ثم جاءت آخر فقرة في الحفل رقصة هادئة للعروسين.. فشدها أحمد برفق وهي معترضة تشعر بالحرج نحو ساحة الرقص بينما إلهام في آخر القاعة تتمتم في سرها بالحمد أنه لم يلغي فقرة رقصة العريس والعروس أيضا ولم يعتبرها فقرة خاصة باستعراض القردة كما وصف الزفة في أول الحفل.

انطفأت أنوار القاعة وانعكست أضواء خافته رومانسية على ساحة الرقص.... فلف أحمد ذراعه حول خصرها وقد استشعر ارتجافها ولم يحدد هل ذلك لارتباكها أمام الناس أم رد فعل لتلامسهما أم خجل عروس أم ماذا.

Des. Maryam Tamim

شدد ذراعه أكثر حولها لترفع ذراعها فوق كتفه وتلتصق به مجبرة.. بينما يده الأخرى يضعها فوق كفها المثبت على صدره العضلي.

استشعرت بانة حرارة جسده واستقبلت رائحة انفاسه المغوية المختلطة مع عطره.. لتخدر بعض من ارتجافها بينما هو غير قادر على تجاهل استشعاره لتفاصيل جسدها الملتصق بصدره بعدما استعادت وزنها الطبيعي.
تمتمت بهمس " أحمد أنا لا أعرف كيف أرقص سأبدو بلهاء "
ألصق خده بخدها وهو يقول " وهل تريني حفيد ماري أنطوانيت أمامك!"
لم تستطع مقاومة تعليقه فانفجرت في الضحك تبذل جهدا للسيطرة على نفسها فأبعد رأسه لينظر إليها مضيفا " بالمناسبة أختي من كانت ترقص رقص الشوارع منذ قليل ".

Des. Maryam Tamim

عادت للضحك مرة أخرى فخبأت وجهها في كتفه بعض الوقت بينما هو يتلذذ بكل لحظة تمر وهي بين ذراعيه ملتصقة به خاصة وأنه لن يكون كباقي الأزواج الليلة.. ولن يشبع جوعه منها حين يجمعهما بيت واحد.. وإنما عليه أن يعاني المزيد من الوحشة والحرمان منها والمزيد من الشوق إليها وهي أمام عينيه.. وأن يتحلى ببطولات في ترويض النفس لا يعرف من أين سيأتي بها.

بعد قليل أبعد خده مجددا لينظر إليها ويسألها بجدية " هل تعرفين من هي ماري أنطوانيت؟"

ضحكت مجددا وهي تومئ برأسها بالإيجاب وأضافت "ملكة فرنسا.. درسناها في التاريخ "

فعاد يلصق خده بخدها متمتما " جيد.. أتأكد فقط من ثقافة زوجتي "

Des. Maryam Tamim

وأغمض عينيه في حالة من الاسترخاء النفسي ثم سألها وهو مغمض العينين " وهل درستم عن أحمد سماحة أيضا في كتب التاريخ "
توقفت عن الحركة معه وانفجرت في الضحك مرة أخرى وهزت رأسها بلا.. فأبعد خده لينظر إليها ويقول مبتسما "منهجكم ليس متطورا إذن"

تراقصت السعادة في عينيه وهو يشاهدها تقاوم المزيد من الضحك بينما قالت بانة " أحمد توقف عن المزاح.. لا أستطيع التوقف عن الضحك وأبدو كالبلهاء أمام الجميع ".
حرك كتفيه بلا مبالاة ورد " لا يهم.. المهم أن نحارب سحابة الحزن التي تخيم على عينيك من وقت لآخر.. "
صمتت دون رد فسألها" تفكرين بأهلك؟"
فأومأت بالإيجاب.. فطبع قبله رقيقه مواسية على جانب رأسها.. وعاد للرقص.

Des. Maryam Tamim

بعد قليل من الصمت قال " على الاقل أنت في الطريق الصحيح فتخيلي أن أراد الله أن تقابليهم يوما ما.. مدى الفخر الذي ستكونين فيه حينما يعلموا أنك تزوجت من الكونت أحمد سماحة شخصيا "

تطلعت إلي وجهه وقالت بهمس " ليتك تعرف من أنت بالنسبة لي.. ليتني أملك برهانا على حبي لك.. يثبت أني أحبك لشخصك لا لما قدمته وتقدمه لي.. وأنك لست صفقة رابحة وأنا في هذه الظروف.. أني أحبك أنت.. لأنك.. أنت.. أنت وحدك بكل وجوهك وتفاصيلك.. كلها."

سقط قناع المزاح من على وجهه وطالعها بعشق يخبرها بنفس الهمس " برهانك قدمتيه يا بانة حين وافقت على الزواج مني.. حين وثقت بي.. وأنت بكل ما تحميله بداخلك من الخوف والغربة.. فضلتني على ابن بلدك.. وتحملت الشعور بالحرج

Des. Maryam Tamim

أمام عائلته وهم يجهزوك لرجل آخر ليس ابنهم..
اخترت أن تحملي اسمي أنا.. على الرغم من أن
الحياة بيننا سيكون بها الكثير من التحديات وأننا
قد نواجه ألم التمزق بين بلدين.. وأن الاختيار
الاسهل من كل النواحي كان الارتباط بكامل وأنت لا
تحتاجين للمزيد من التعقيد في حياتك "
تمتمت بصدمة " كنت تعرف بأمر كامل!"
ردد بنفس الهمس " أجل كنت أعلم.. وأعلم أنه
معجبا بك رأيت ذلك في عينيه بسهولة.. وأعلم أنه
طلبك للزواج.. وأعلم أنه لا يقل عني في شيء لا
عائلة ولا أخلاق ولا مال ولا أي شيء.. وأعلم أنك
لو كنت طلبت منه أمر الزواج المؤجل كان سيوافق
أو ربما أطلتم الخطبة.. أعلم كل هذا يا بانة وأعلم
معنى اختيارك لي جيدا.. فلست في حاجة لأن
تبرهني لي أي شيء ".

Des. Maryam Tamim

فقدت السيطرة على مشاعرها فأحاطت عنقه بذراعيها تحتضنه بقوة.. فشدد ذراعيه حول خصرها هو الآخر وهو يرفعها عن الأرض ويدفن وجهه في رقبتها مطلقاً تأوها مكتوما لم يسمع وسط صفارات الاعجاب من الحاضرين.

بعد دقيقة أنزلها وقد أفاقا من غفوة عشق ليدركا أنهما أمام الناس.. وأن العيون مسلطة عليهما.. وأن سيد ووائل لا يكفان عن إطلاق التصفير..
تحكم أحمد في ملامح وجهه وقد أصابه الحرج بينما دفنت بانة وجهها في كفيها واختبأت في صدره بخجل.
فاحتضن كفها ليعودا لطاولتهما وقد انتهى الحفل وفتحت الأنوار واستعد الحاضرون للمغادرة.

Des. Maryam Tamim

لمحت بانة انجيل الصغيرة تجلس على حجر أبيها بعد أن عاد ليجلس معهما ومازال يسيطر عليها البؤس وتلعب في اصابعها بشرود..
فقالت بشفقة " أحمد هذه الصبية تؤلم قلبي الموضوع يبدو جديا. ماذا يمكن أن نفعل لها؟ "

تطلع لأنجيل الصغيرة قليلا وقد أشفق الأخر على قلبها الأخضر .. ففرك جبينه للحظات ثم تحرك ناحية الميكروفون ووقف بثقة يده الأخرى في جيبه وقال " أشكر كل من شرفنا بالحضور الليلة .. وأتمنى للجميع أفراحا لا تنقطع .. والحقيقة أني أود قبل أن تنتهي الحفل أن تتحقق لي أمنية.. وهي أن أراقص أجمل فتاة في الحفل"
ثم استدار باتجاه بانة يقول " آسف يا بانة لكنها الحقيقة "
علا الضحك.. فأكمل أحمد " وأرجو أن يوافق والدها أن يحقق لي أمنيتي ".

[1802]

ثم ترك الميكروفون وتحرك نحو طاولة وائل والجميع في ترقب .. ونظر لميري وغمز لها فكانت من الذكاء لتفهم فابتسمت .. ثم مال بجذعه قليلا يقول " هل تسمح لي يا وائل أن أرقص مع أنجيل الصغيرة ؟"

رفعت إليه أنجيل نظرات متفاجئة ذاهلة بينما رد وائل بصوت تخنقه المشاعر " هي من تقرر توافق أم لا " .

أدارت أنجيل رأسها نحو أبيها وكأنها تستشيره ثم تحركت من على حجره لتقف على حذائها ذي الكعب الرفيع يزيد قامتها ذات الثلاثة عشر ربيعا طولا .

فمد أحمد يده إليها لتضع كفها الخمري الصغير فيها واصطحبها نحو ساحة الرقص وهي تتحكم بمشيتها بأناقة بهذا الكعب العالي وتعدل حمالات فستانها الأبيض بحركة خجلة متكررة.. وسط صفارات الإعجاب من شباب القاعة بقيادة سيد .

Des. Maryam Tamim

وضعت كفها على مرفقه والكف الأخر فوق كفه المفتوح .. ورقصت بأناقة شديدة وهي ترفع عينيها إليه في افتتان ... فبادرها بالمزاح قائلا "حاذري لن أستطيع مجاراتك بالرقص وأنت ترقصين بهذه البراعة .. فأنت تعرفين طبعا أني بشريحة في ركبتي" أومأت له بالإيجاب ووجهها شديدة الحمرة من الخجل . .فاستمر أحمد في ملاطفتها .. والسماح لها بالاستدارة حول نفسها أكثر من مرة أثناء الرقص لينتفش فستانها الأبيض الملائكي .

بعد قليل .. تحركا نحو طاولة وائل من جديد وهو يتمتم بلطف " شكرا على هذه الفرصة الجميلة يا أنجيل "

أومأت برأسها لتحيته في خرس ووجهها مازال محتقنا من الخجل والدهشة .. وبمجرد أن ابتعد أحمد غمز لأنجيل الكبيرة التي كانت تراقب المشهد بابتسامة فربتت على ذراعه وهو يمر من أمامها .

Des. Maryam Tamim

أما أنجيل الصغيرة فاستدارت نحو والدها وهي تغطي فمها بكفيها تكتم ضحكة محرجة.. ثم دفنت وجهها في صدره في خجل شديد .. وقد بدا التأثر على وائل .. فقال لها وهو يمسد على شعرها "آنستي الجميلة ما أجملك اليوم ".

رفعت إليه وجهها المتأثر وسألته " هل ستكون حاضرا يوم زفافي يا أبي ؟"

أومأ وائل برأسه وهو يقاوم التأثر وقال " إن شاء الله "

فسألته " وعد؟ "

اختنق بالمشاعر ولم يدر كيف يرد عليها لكنها رحمته من الرد عندما التفتت تسأل ميري بحماس " إياك أن تقولي أنك لم تصوري الرقصة بالفيديو".

***

أمام القاعة والجميع يغادر سلمت كريستين على وائل تستعد للمغادرة مع أمير فاخترقت آية

Des. Maryam Tamim

المشهد كالطلقة وهي توبخ أمير " أليس لديك أي نوع من الاحساس!"
فسألها بدهشة " ماذا فعلت ؟!!"
قالت بتوبيخ " ألا تعلم أن أهلي يطاردونني يريدون القصاص !"
جحظت عينا أمير بينما قهقه وائل وسيد فأكملت آية " أليس من المفروض أن تقول (تعالي يا ست أمال أساعدك على الهرب) "
قال أمير باستفهام " أمال !! "
ردت آية مؤكدة " نعم أنا أمال وأبي عبد الوارث عسر يريد قتلي لأني افتعلت فضيحة "
كتمت كريستين ضحكتها .. فاستدار إليها أمير يقول بغباء " أنا لا أفهم شيئا!! "
قالت له بغيظ " ومتى كنت تفهم يا أمير !"
رد عليها بغيظ مماثل " قصي لسانك هذا! "
تدخل وائل " خذها معك يا أمير "

Des. Maryam Tamim

رد أمير بحنق " أنا سأوصل كريستين لبيتها أولا لمَ لا تذهب معك أنت وأمي بالسيارة "
قالت آية من بين أسنانها " سنأخذ وقتا حتى نحضر الخالة أنجيل.. وسيد لابد أن ينتظر موكب العريس ..وأنا أريد أن أهرب فورا"
زفر أمير في استسلام وركب السيارة وبجانبه كريستين بينما آية في المقعد الخلفي والتي هتفت فجأة " أنتظر ".
فتحت باب السيارة وخرجت تحدث سيد ووائل اللذان يقفان على بعد خمسة أمتار تقول بلهجة مسرحية مبالغة وهي تشيح بذراعيها " الوادع يا سيد .. الوداع يا صديقي .. تذكرني دائما .. تذكر حكاياتنا معا .. تذكر ضحكاتنا سويا .. وتذكر أغانينا .. لا تنسى أغانينا التي أحببناها سويا يا سيد .. لا تنسى آية الصغيرة التي ذهبت شهيدة الفن .. شفيقة التي قتلها متولي .. ليغسل عارها "

Des. Maryam Tamim

قهقه وائل حتى دمعت عيناه بينما أخرج أمير رأسه من نافذة السيارة يقول بعصبية " يا ست شفيقة كريستين تأخرت على البيت "
لوحت إليهما آية بوداع مسرحي ثم دخلت السيارة.
ما قالته آية لم يضحك سيد أكثر من ابتسامة مجاملة بينما قلبه كان مقبوضا دون سبب ...
تأملها وهي تلوح لهم من نافذة السيارة وشعر برغبة جامحة في أن يجري وراء السيارة يوقفها ..
ويخطفها بعيدا عن الجميع .
سأله وائل " ما بك ؟"
فرد سيد " لا أعلم .. قلبي مقبوض .. طريقتها في الوداع .. أوجعتني "
قال وائل باستغراب " لماذا ؟ . لا أتوقع أن يقوم أحمد أو الحاج بإيذائها .. ستأخذ توبيخا على الأكثر .. كما أنها لم تظهر بشكل مبتذل أبدا لقد أسرت القلوب بشقاوتها ".

Des. Maryam Tamim

تنهد سيد وقال " ليس هذا ما يقلقني .. أتوقع كما قلت أن الأمر يمر بسلام .. لكني لا أعرف لماذا أشعر بهذا الانقباض "

استدار لوائل يسأله فجاءة " هل صور أحد أغنيتي مع آية "

غمز له وائل قائلا " أعتقد أن ميري صورت هذا الجزء سأرسله لك "

***

قال عمرو لأروى بغيظ " لا أفهم لماذا ترفضين الذهاب معي في سيارتي .. بعد أن رفضت الذهاب مع أحمد بسيارته "

ردت عليه وهي تدلك ساقيها قليلا " سيارة أحمد ستكون محط الانظار ولا أريد أن أظهر بهذا الشكل في الصورة .. وبالنسبة لسيارتك فليس هناك داعي لأن يحملني أبي لأركب سيارتك ثم يحملني مجددا منها .. سأركب مع أبي وأمي أفضل .. وعلى كل الاحوال السيارات كلها ستصل في نفس الوقت بما

Des. Maryam Tamim

أنكم تنوون قيادة السيارات في موكب زفاف يدخل الحي في نفس الوقت "

تطلع لكفيها اللذان يمسدان ساقيها فخلع سترته وغطى بهما ساقيها بجرأة فتطلعت إليه بدهشة ثم قالت بصوت متهدج " عمرو قلنا ترفق بي "

خبأ الألم الذي سببته عبارتها خلف نظرة باردة ورد عليها "أنا لا أفعل ذلك خوفا عليك .. أنا خائف على ممتلكاتي المستقبلية "

حدجته بنظرة مستنكرة وقالت " ومن وهبك حق التملك هذا !"

رفع مقلتيه للسماء وزفر بيأس ثم قال لها "سنتحدث في هذا الأمر لاحقا لأن سيارة عمي الحاج آتية ".

أدارت أروى وجهها تطالع السيارة ففوجئت به قد اقترب منها حتى أصبح أمام كرسيها وقال بلهجة آمرة " أريني ظاهر يدك "

Des. Maryam Tamim

نظرت إليه باستفهام فمد يده أمامه يقول " أريني ظاهر يدك يا أروى أسرعي قبل أن تصل السيارة"
نظرت لسيارة أبيها التي اقتربت نظرة خاطفة وتمتمت بارتباك وهي تنظر ليديها بغباء " أي .. أي واحدة ؟"
فرد عليها "اليمين "
مدت كفها اليمين باندهاش وترقب فانحنى أمامها وخلع خاتما رجاليا من الفضة من خنصره وتردد قليلا أمام أصابعها الرفيعة ثم أدخله في اصبعها الوسطى وهو يقول " وهذا خاتم الخطبة المؤقت لحين شراء خاتم الخطبة الأساسي ".
ثم استقام بحرج حين استقرت السيارة بجانب كرسيها .. بينما ظلت هي تحدق في الخاتم ونقوشه بذهول فقال " حافظي عليه إنه خاتم الشيخ عبد الرحمن "
رفعت إليه رأسها تطالعه بتأثر وقد بلعت لسانها بينما أشاح عمرو بوجهه ليسيطر على مشاعره

Des. Maryam Tamim

وارتجافه .. ثم ابتعد قليلا حين ترجل الحاج سماحة من السيارة ينحني ليحمل أروى .

تمتمت في شفقة والحاج يضعها بالمقعد الخلفي
"آسفة يا أبي لم أكن أريد أن أحمل على ظهرك "
فرد عليها باستنكار " ما به ظهري !.. أ لأني زوجت ابني اليوم أصبحت عجوزا !.. أرأيت يا إلهام ابنتك تلمح أني أصبحت عجوزا "

ضحكت أروى أما إلهام فلم ترد .. كانت في المقعد الامامي تراقب عمرو بوجوم وهو يطوي كرسي أروى ويضعه في حقيبة السيارة .
نزع الحاج سترة عمرو من على ساقيّ أروى ومد يده لعمرو بها فقال الأخير بسرعة " دعها تدفئها يا عمي فأنا لست بحاجة إليها حاليا "
رفع الحاج حاجبا متسليا ثم استدار يعطي السترة لأروى وهو يرمق احمرار وجهها بنظرة ساخرة.

Des. Maryam Tamim

حين استقر الحاج أمام المقود ..قال لعمرو الذي يقف متسمرا يحدق في أروى ويديه في جيبه "اسبقني أنت بسيارتك يا عمرو فأنا أريد أن أكون في آخر الموكب لا أحب الإزعاج الذي يقومون به والحركات المتهورة التي يفعلونها بالسيارات في مواكب الزفاف .. عمرو .. هل تسمعني !"

استفاق عمرو وقال " نعم .. حاضر (ثم تمتم بصوت مسموع وهو يحك جبينه) أنا لا أذكر أين ركنت السيارة أصلا " .
ضحكة منفلتة خرجت من فم أروى كتمتها بكفها بسرعة لكن أذنه التقطتها فورا فاحمر وجهه في حرج ولاح عليه شبح ابتسامة مرتعشة بينما ابتسم الحاج وقال " حسنا سأتحرك أنا أولا وأقود على مهل حتى تتذكر أين سيارتك "

Des. Maryam Tamim

لوح له عمرو مودعا ثم عاد للنظر لأروى التي بادلته النظرات حتى ابتعدت السيارة .
زفر عمر بتوتر ثم تمتم " أصابعها جميلة ..جدا" ثم تنحنح يسيطر على نفسه. والتفت يمينا ويسارا يحاول تذكر أين ركن السيارة .

بعد منتصف الليل وبعد أن وضع الحاج أروى على كرسيها في شقة العائلة وتمتمت بعبارات الشكر بحرج لحق بإلهام يسألها وهو ينهت " ما بك يا إلهام واجمة منذ أن أخبرتك بطلب عمرو .. هل عندك تحفظ على الشاب ".

ردت وهي تزيح عنها حجابها " ليس عندي أي تحفظ على عمرو .. إنه بسم الله ما شاء الله من خيرة الشباب ويكفي أنه ابن الشيخ عبد الرحمن (ثم فركت جبينها وقالت بضيق) المشكلة في عفاف .. لا أتوقع أن ترضى عفاف بأروى بسبب

Des. Maryam Tamim

حالتها الصحية .. ولو ضغط عليها عمرو ووافقت أخشى على أروى منها .. أنا أعرفها جيدا .. إن لديها من الهوس بابنها ما كنت اشفق منه على كنتها المستقبلية .. ما بالك عندما تكون كنتها في ظروف أروى "

رد الحاج بحيرة " لا أعرف يا إلهام أنا أجده فرصة ممتازة .. الولد كما قلتِ ما شاء الله عليه .. ونعرف أصله وفصله ويعرفنا جيدا .. وهذا يطمئن قلبي عليها .. خاصة أني لمست منها قبولا مبدئيا .. كما أراه متلهفا لا أعلم لمَ فجأة أصبح كذلك ... عموما دعينا نبحث الأمر جيدا من جميع النواحي ثم نستخير الله "

في نفس الوقت شقة أحمد :

وقفت بانة في الصالة بارتباك وهي ترى أحمد يطالعها في صمت ..

لم تعرف ماذا عليها أن تفعل الآن ؟..

Des. Maryam Tamim

هل تتجه فورا لغرفتها وتتمتم بعمت مساء ؟..
أم تجلس معه قليلا تتحدث مثلا؟..
أم ماذا تفعل ؟!..
الأمر محرج جدا وغريب ..

تطلع إليها وهي تقف في وسط الصالة .. فستانها الأبيض المنفوش يضفي عليها هالة من السحر تقف تتطلع يمينا ويسارا بارتباك وهي تشبك كفيها خلف ظهرها بينما الكمثرى شامخة أمامه على خصرها الرشيق تستفزه وتسخر منه .

تنحنح وقال وهو يفرك جبينه " أعتقد أني سأتركك قليلا تتجولين في الشقة وتبدلين ملابسك .. وسأصعد لأطمئن على الأمور بين أروى وعمرو"
أومأت برأسها في هدوء واستمرت على نفس وقفتها .. فتحرك بتثاقل نحو الباب ثم استدار يسألها " هل ستحتاجين مساعدة في خلع هذا الفستان؟ "

Des. Maryam Tamim

حركت رأسها (بلا) مرتعبة .. فاستدار للباب وفتحه .. ثم عاد يحدق فيها ويقول " هل تذكرين أول يوم جئتِ فيه إلى هذه الشقة ؟ .. كنا نقف نفس هذه الوقفة " .

ابتسمت له ابتسامة مرتعشة وقالت ببعض الحشرجة " كنت أتذكر هذه اللحظة حالا "

ابتسم لابتسامتها وقال " أنا أخذت بعض من ملابسي ووضعتها في الغرفة الأخرى .. لكن مازالت معظم ملابسي في خزانة غرفتك سأنقلها لاحقا "

أومأت بانة له في ارتباك .. فتنهد وخرج وأغلق الباب خلفه على مضض .

بعد قليل طرق على باب غرفة أروى عدة مرات فلم يجد ردا.. ففتح الباب ودخل ؟؟ ثم تراجع بإجفال وهو يتمتم " بسم الله الرحمن الرحيم !" .

Des. Maryam Tamim

كانت أروى على كرسيها بنفس ملابس الحفل مطرقة الرأس وشعرها الأسود الحريري منسدل للأمام يغطي وجهها كله .. فأقترب ووقف مخصرا أمامها يقول " أنت يا آنسة زومبي .. ماذا حدث؟"

رفعت إليه يدها اليمنى ببطء دون أن تغير من وضعها شيئا ... فرفع حاجبا مستفهما وقال " ماذا تريدين .. لم أفهم !!"

حركت يديها قليلا ليلاحظ الخاتم فحدق في الخاتم وقال باستنكار " أليس هذا خاتم عمرو ! "

أومأت بشعرها بنعم ..

فقال مستنكرا " هذا الجلف .. أهداك خاتما رجاليا!!! "

رفعت إليه وجهها أخيرا وقد ظهرت عينيها مبللة بالدموع وقالت بتأثر " إنه خاتم أبيه "

رد باستخفاف " حقا !!! .. ما أروعه !"

ثم استطرد بسخرية " وما علاقة هذا الحدث المبهر بمنظرك هذا؟!"

[1818]

ردت ببؤس " أنا متخبطة ولا أستطيع أن أتخذ القرار .. لقد خطبني رسميا من أبي "
مط شفتيه بامتعاض وقال " أعلم "
ثم حدق فيها جيدا ليجدها تحتضن سترة رجالية .. فشدها منها ورفعها أمامه بقرف يقول " أليست هذه سترته؟!!"
ردت بهيام " لقد أعطاها لي لأدفئ ساقاي"
أوشك أن يطلق لفظا وقحا بغيظ .. لكنه ربط لسانه وأشاح بيده يرمي السترة بعيدا ثم استدار يغادر وهو يقول " سأغادر قبل أن يرتفع ضغطي"
نادته قبل أن يخرج فتوقف دون أن يلتفت إليها فقالت بهيام بائس " ماذا كنت ستفعل لو كنت مكاني ؟"
رد بسخرية " لو كنت مكانك لاستخدمت السترة في مسح المرحاض طبعا "
صاحت فيه بإلحاح طفولي " أحمد كف عن المزاح وساعدني من فضلك "

Des. Maryam Tamim

تجاهلها وخرج وهو يوصد الباب خلفه ببعض العنف .

اتجه بعدها لغرفة آية وطرق الباب عدت مرات فلم ترد.. حاول فتح الباب فوجده موصدا من الداخل .. فطرق بعنف يقول " افتحي يا ست البنات .. افتحي جلبت لك زجاجة بيرة وسيجارة حشيش هدية بمناسبة نجاحك المبهر الليلة .. "

صاحت من الداخل " أنا في حمى أبي وسأقبل العقاب الذي سيقرره مهما كان "
خرج الحاج من الحمام وهو يجفف وجهه وذراعيه بمنشفة وهدر فيه قائلا " كفى يا أحمد .. أنا وبختها والموضوع انتهى .. انزل لعروسك "
اقترب منه أحمد يقول بغيظ " تدليلك لها سيفسدها يا أبي .. طيشها هذا سيوقعها في مصيبة يوما ما"

Des. Maryam Tamim

رد الحاج بهدوء " آية لم تعد صغيرة يا أحمد ..وكسرها قد يأتي بنتيجة عكسية .. ليس أمامنا سوى التقويم بصبر "

زفر أحمد في غيظ ثم قال " أنا سأرفع يدي عن آية لأنها مصرة على استحضار الشخص الهمجي بداخلي .. دللها حتى تأتينا بمصيبة يوما ما "

صمت قليلا ووقف يضع يديه في جيبه بشرود فقال له الحاج بتسلي " لماذا تقف هكذا يا عريس؟"

حرك أحمد كتفيه بلا شيء.. فقال له الحاج هامسا بمكر " هل أنت خائف مثلا ؟"

تحكم أحمد في ابتسامة ملحة وقال بلهجة عابثة "ربما لو كنت فعلت معي كما يفعل الأباء ..تجلس لتطلعني على بعض الأمور وتعطيني تعليمات لما كنت واقفا هكذا "

Des. Maryam Tamim

أطلق الحاج ضحكة ساخرة ثم قال " أعتقد أني أنا من يحتاج أن يجلس معك ليستفيد من خبرتك في هذه الأمور يا بروفسور "

قهقه أحمد بوقاحة ثم رد " دائما أنت تسيء الظن بي يا حاج ... كانت لحظات طيش قديمة وتبنا إلى الله "

تمتم الحاج بجدية وهو يربت على كتفه " ألف حمد وشكر لله .. أسأل رب العرش العظيم أن يقبل توبتك يا ولدي ويغنيك بحلاله عن حرامه "

قال أحمد بلهفة " أجل .. أريدك أن تركز في دعائك لي على أن (يغنيني بالحلال) هذه حتى تتيسر الأمور معي "

ضحك الحاج وقال مغيظا " أكان لابد أن تدعي دور الشهامة هذا ؟"

أطرق أحمد برأسه في بؤس وقال " كما يقول المثل الذي يحب أكثر يضحي أكثر "

Des. Maryam Tamim

رد عليه الحاج بسخرية وهو يتوجه لغرفته بعد أن ضربه على كتفه " أو كما يقول المثل .. (من يفشل الحاج في تربيته .. تربيه الأيام والليالي .. وخصوصا الليالي "

تحكم أحمد في ابتسامة ملحة وقال ببؤس " تشمت في ابنك يا حاج .. فلذة كبدك ! .. عموما سأنزل لشقتي .. تصبح على خير "

تمتم الحاج وهو يدخل غرفته " اللهم هون عليه .. واهدي له زوجته ..و أرزقهما بالذرية الصالحة "

***

في نفس الوقت في شقة أحمد :

تجولت بانة بشوق وتأثر في الشقة التي وقعت في غرامها منذ أول لحظة دخلتها .. منذ عام .. استرجعت ذكريات ومشاعر ولحظات عاشتها فيها.. وتجولت بين جدرانها تطالعها في شكلها الجديد بعد أن تم طلاء الجدران والنوافذ .. ووضع

Des. Maryam Tamim

بها أثاث فاخر اختارته بنفسها من بين تصاميم أطلعها عليها أحمد ..
تطلعت للأثاث بانبهار لا تصدق أن تم إنجازه في هذا الوقت القصير .. ولا تصدق أن أحمد قام بنفسه بمعظم العمل اليدوي فيه ..
كانت مرهقة ومنهكة المشاعر فقررت بعد جولة قصيرة أن تتخلص من هذا الفستان ثقيل الوزن الذي ترتديه ولترجئ التأمل في تفاصيل الشقة فيما بعد ..
دخلت لغرفتها وانبهرت بتفاصيلها شديدة الرقة وتمتمت " ستظل تبهرني يا ابن سماحة "

عانت قليلا في خلع الفستان .. لكنها نجحت أخيرا .. ووقفت بملابسها الداخلية تحاول البحث في الحقائب عن منامة محتشمة مناسبة فلم تتسنى لها الفرصة بعد لتفريغ حقائبها .. ففوجئت بأن الحقيبة التي وضعت فيها بعض الملابس القديمة

Des. Maryam Tamim

التي كانت ترتديها في بيت العم غنيم غير موجودة في المكان الذي وضعتها فيه .. وكل ما هو في الحقيبة ملابس عرائس .. منامات وقمصان نوم قصيرة وخليعة ..

جحظت عيناها وهي تطالع بعض العينات من الحقيبة .. ومنها ما جعلها تشهق في فزع .

فتلفتت حولها تفكر ماذا ستفعل في هذا المأزق ؟ عليها أن ترتدي شيء قبل أن يحضر أحمد في أي وقت.

بحثت مجددا بإرهاق ثم فتحت الحقيبة الأخرى فوجدت منامة بدون أكمام بفتحة رقبة واسعة قليلا لكن المشكلة فيها أنها ملحقة بشورت قصير .. قصير جدا ..

ارتدت البلوزة وفتحت الخزانة وأخذت بنطالا رياضيا قصيرا بعض الشيء يخص أحمد حين ارتدته كان يصل حتى ركبتيها ..تمتمت (بلا بأس) بالرغم من تحرجها الشديد من أن يراها أحمد بذراعين

Des. Maryam Tamim

عاريين وساقان مكشوفان .. فقررت أنها لن تخرج إليه حين يحضر وستدعي أنها مرهقة وتريد أن تنام ..

مسحت المساحيق عن وجهها ولمت شعرها في عقدة مرتخية واسرعت للمطبخ وهي تشعر بالعطش الشديد ربما من توترها .. وحمدت الله أن وجدت مياه باردة بالثلاجة ...

دخل أحمد شقته شاردا قليلا يفكر في أنه يحتاج للتحدث مع بانة للاتفاق على بعض القواعد التي يمكن أن تنظم الأمور بينهم .

استقبل رائحتها.. قريبة ..

ثم رآها تخرج من المطبخ ..

فشهق وجحظت عينيه وهي تتشخص أمامه في هذه الهيئة .

Des. Maryam Tamim

الفصل الثالث والعشرين

دخل أحمد شقته شاردا يفكر في أنه يحتاج
للتحدث مع بانة للاتفاق على بعض القواعد التي
يمكن أن تنظم الأمور بينهم .
استقبل رائحتها .. قريبة ..
ثم رآها تخرج من المطبخ ..
فتسمر وجحظت عيناه يتأملها بهذه الهيئة .
شاخصة أمامه بحقيقتها البحتة .
المجردة ..
دون تنكر ..
دون حجاب ..
دون حواجز ..
تشخص أمام عينيه .. ككائن إنساني دون أي
تصانيف جنسية ، عرقية ، اجتماعية ، دينية .
شاخصة ك (بانة) بكليتها وكينونتها .
بشعرها ..

Des. Maryam Tamim

شعرها العسلي ... المبهر .

إنها المرة الأولى التي يراه على الحقيقة ..
الضفيرة المذبوحة أنبتت مكانها ضفيرة أخرى أحلى منها .. فتملكه الفضول ليعرف لأي مدى استطال شعرها.
كانت ترتدي بلوزة عارية الذراعين بفتحة صدر واسعة تكشف عن بشرتها البيضاء ..
والبنطال ..
إنه بنطاله القصير !! .. يصل حتى ركبتيها فوق ساقين أبيضين ممتلئين.

أجفلت حين وجدته مسمرا يطالعها بذهول فقالت بتأتأة " متى أتيت ؟ .. كنت .. كنت أشرب "

Des. Maryam Tamim

شكلها هذا.. الجديد عليه ..بتفاصيلها التي يطالعها لأول مرة بحرية وبجرأة .. مع خلو وجهها من الحروق وآثار الشمس ..

أظهر أمامه كائنا خلب لبه ..

جمالها لم يتخيله أن يكون بهذا الإبهار ..

لملمت فتحة البلوزة وتمتمت بحرج "اضطررت لأخذ بنطال من عندك .. يبدو أن الخالة سوسو قد أخرجت بعضا من الملابس البيتية التي وضعتها في الحقائب .. لا أدري أين ذهبت .. لا يوجد سوى ملابس عرائس .. و.. تصبح على خير "

تحركت مسرعة نحو غرفتها فناداها بحشرجة متوسلة "بانة ! "

تجمدت بجانب باب الغرفة توليه ظهرها كفأر مرتعب أمام قطة .. فقطع المسافة بينهما في لمح البصر وأدارها نحوه بأيد مرتعشة.. وهي متصلبة ..

Des. Maryam Tamim

مع الاستدارة العقدة المرتخية في شعرها انفرطت لينسدل شعرها كدفقات العسل حتى منتصف ظهرها..
أي أعصاب يمكن أن يتحكم فيها أمام هذا المنظر؟ وهو الذي أحبها ورغب فيها بهيئتها المسترجلة فما بال الآن تتكشف أمامه كل هذه الفتنة التي تذيب الأعصاب .. أي أعصاب !

وأي عقل يمكن أن يحتفظ به حينما يرى فتاته ببنطاله البيتي مغرية إلى هذا الحد.. فكيف ستكون في قميص نوم عروس .. أي عقل !
تسارعت أنفاسه وهمس باسمها وهو يرفع كفه يتحسس شعرها ويمشطه بأصابعه بعينين مبهورتين ..ثم يتلمس بشرة ذراعيها العاريان أمامه .. وهي تشعر بالتجمد والخرس ..

Des. Maryam Tamim

لم تستطع أعصابه التحمل فما يحدث فوق طاقته وهو المشتاق إليها منذ أن قابلها ..فانفجر بركان من العشق الملتهب بداخله لينقض على شفتيها بجوع .. بركان من مشاعر كالحمم السائلة في شراييينه تستجدي الوصال .. تتذلل للارتواء ولو من شفتيها فقط . ..

منها ..

من هذا الكائن المسمى ببانة .. الذي قلب كيانه كله من أول لقاء .

شهقت وحاولت دفعه لكنه كان يسحقها بجسده في الحائط بقوة مشاعره التي هو نفسه غير قادر على السيطرة عليها .

قبلته المفاجئة تبعتها قبلات أخرى أكثر سخونة وعمقا .. ويداه تستكشف تفاصيل جسدها بلهفة محمومة.

Des. Maryam Tamim

لو كانت رغبة جسدية بحتة لم تكن لتشتعل بهذا الجنون من مجرد ذراعين مكشوفين وبنطال رجالي !.

إنها تلك الرغبة في الالتحام مع توأم روحه .. الرغبة في الوصول إلى أبعد نقطه في كيانها .. إلى إخبارها عن مشاعره باللغة التي يجيد التعبير بها جيدا .. الرغبة في الغزو .. في الاجتياح .. مستعينا بكل جيوشه وأسلحته ..

رغبة فطرية متأججة بمشاعر العشق لترسيم الحدود .. ووضع علامات تتلخص كلها تحت منطق (ملكية خاصة بابن سماحة).

الطنين في أذنيها يختلط بصوت أنفاسه السريعة وهمهماته باسمها ودقات قلبها العالية كالطبول .. حين ترك شفتيها ليقبل عنقها نادت باسمه بتوسل .. لكن صوتها لم يكن قويا بحجم الرعب الذي تشعر به ..

Des. Maryam Tamim

أجل كانت مرتعبة وترتجف وتشعر بالدوار ..
وبحالة من الاشتعال الجسدي لم تفهم سببها ..
لكن أوعزتها لتلك الحمم المتدفقة من جانبه .

عاد أحمد لمهاجمة شفتيها مرة أخرى بعد جولة سريعة من القبلات هنا وهناك وهو يحيط خصرها بذراعيه ويرفعها عن الأرض ..

بعدها لم تدر كيف أصبحت ممددة على السرير وهو يخيم فوقها يدفن وجهه في رقبتها .. يقبلها ويستكشف تفاصيلها بشوق مضني .

بعد عدة مرات نادت باسمه في ضعف وخجل تتوسله أن يتوقف دون استجابة .. فأدركت أن عليها أن تستسلم..
واستشعرت أنه غائب عن الوعي ..فاغرورقت عيناها بالدموع برعب وإحباط .. لكنها تشجعت

Des. Maryam Tamim

كعادتها في المواقف الصعبة بتذكير نفسها أنه
زوجها وحبيبها وحلالها ..
وأن هذا حقه ..

حاولت أيضا أن تنفض عنها شعور بالذنب ..
وإحساس بالخزي في التفريط في نفسها مجهولي
المصدر .. قد بدآ لحظتها يتشكلان بداخلها !! .

أغمضت عيناها تبكي بدموع صامتة وهي تقبض
على غطاء السرير تحتها بقوة ... وتتمتم ببعض
الأدعية دون أن تشعر لتستجمع شجاعتها لاجتياز
الأمر بسرعة ...
واستسلمت ...

لكنها شعرت بالبرودة فجأة بعد أن انحصرت
الحمم البركانية عنها ..

Des. Maryam Tamim

استفاق من غيبوبته في هلع لينتفض واقفا في استجابة متأخرة لهمهماتها المتوسلة والتي تسللت لعقله الواعي بصعوبة بالغة وسط هذا التدفق البركاني المتفجر في عقله الشعوري .
تمتم بارتعاش من بين أنفاسه اللاهثة " أنا أسف .. أنا أسف .. أنا أسف يا بانة "
مد يده يغلق أزرار بلوزتها فلم يقدر من شدة ارتجافه .. فشد طارف غطاء السرير عليها يغطي فتحة البلوزة التي انحسرت لتكشف الكثير ..
ورجع للخلف يغرز أصابعه في شعره في ذهول من انفلات أعصابه وما فعله بها متمتما بالاعتذارات .
حين وجدها تتقوقع على السرير في وضع الجنين تبكي بصمت مغمضة العينين ..لم يستطع تحمل المنظر فاندفع يخرج من الغرفة بسرعة ..

Des. Maryam Tamim

بعد ثوان كان يقف في الحمام بكامل ملابسه والماء البارد يتدفق فوق رأسه في طلب عاجل لإخماد براكينه .

حدق بذهول في كفه يستند به على الجدار والماء مستمر بالتدفق فوق رأسه .. يستعيد تفاصيل ما فعله.. فشتم نفسه ألف مرة وصورتها وهي متقوقعة على السرير بهذا الشكل المؤلم لا تريد أن تنقشع من أمامه .. وهمهماتها الضعيفة المتوسلة في الدقائق السابقة تطارده وتعذبه..

إن تضررت بانة نفسيا مما فعل لن يسامح نفسه أبدا ..

أهذا الوعد الذي وعدها به؟!! ..

أهذا الأمان الذي أقسم أن يوفره لها حتى ولو على حساب نفسه وقلبه واحتياجاته ؟.

لقد أفسد كل شيء من أول لحظة بينهما بهذا الانفلات الذي لم يدر كيف حدث ..

Des. Maryam Tamim

لا يستطيع الانكار أنها مُهلكة للحد الذي يصعب مقاومته .. لكن ما فعله لا يُغتفر ... لا يُغتفر أبدا.
ضرب بقبضته على الجدار وهو يشتم نفسه مرة أخرى.

بعد أن هدأت قليلا .. وانتظمت أنفاسها ..
استرجعت بانة ما حدث منذ دقائق وصورة أحمد المرتعب بعد أن تحكم في أعصابه وابتعد أثارت شفقتها .. وآلمها قلبها عليه ..
أشفقت عليه أن تراه يتمتم بكل هذا الأسف وهو يندفع خارج الغرفة شاعرا بالذنب .. بالرغم من أنها هي المذنبة الوحيدة هنا .. هي من تحمل عوائق نفسية وتشوهات روحية تمنعها من أن تمنحه ما يتوق إليه.
لا تنكر أنها كانت مرتعبة .. لكن عليها أن تعترف أن هذا الرعب مصدره الاساسي مخاوفها الداخلية المعقدة التي تمنعها من أن تمنحه ما أدركت منذ

Des. Maryam Tamim

دقائق فقط أنه يحتاجه .. يحتاجه بشدة تصل إلى حد التوسل .
لا تعلم كيف تشكل هذا الشعور في وجدانها ووصلها منه ..وهو الذي لم يتلفظ سوى بهمسات محترقة باسمها .
لكنها أدركته جليا ... ربما بفطرتها .. ربما بمستقبلاتها الأنثوية لرسائله الذكورية .

كل هذا زاد من شعورها بالإحباط من نفسها ..
هل كانت أنانية حين وافقت على الارتباط به ؟

بالطبع كانت تعرف أنه كرجل لديه احتياجات جسدية كمعلومة عامة بخصوص هذه الأمور ... وأنه قد وعدها أن يؤجل الحصول عليها حتى تكون مستعدة نفسيا لهذه الخطوة . ..لكنها أدركت الآن أنه يضحي من أجلها تضحية كبيرة ..فتألمت من أجله وخافت أن يندم على زواجه منها...

Des. Maryam Tamim

ما يدهشها أنها لا تشعر بأي مشاعر سلبية تجاهه على الرغم من الرعب الذي سيطر عليها لحظتها.. فالأمر الذي كان شديد الصعوبة في التصور من قبل بات أقل صعوبة الآن.. وربما مع بعض الصبر منه والشجاعة منها يصبح بسيطا عليها .. فأدركت أن وجوده في المعادلة الصعبة رجح الكفة لصالحه كالعادة .

لكن هل سيقدر على مساعدتها في التغلب على مشاعر الذنب والخزي التي تسيطر عليها بعد تلك اللحظات التي جمعتهما ؟

يبدو أن أهم معاركها القادمة ستكون معركة مع مخاوفها وتشوهاتها النفسية التي وشّمتها الحرب بداخلها .

خرج أحمد من الحمام يلف جسده بمنشفة وقد ترك ملابس الزفاف ملقاه بإهمال في أرضية الحمام ليتجه نحو غرفته ... أو بمعنى أصح الغرفة

Des. Maryam Tamim

الصغيرة الجانبية بسرير ملتصق بالحائط وخزانة صغيرة .
ارتدى ملابس بيتية مريحة وجلس يفكر كيف عليه أن يتصرف .
هل من الأفضل أن يتركها تستريح وتهدأ قبل أن يحاول الظهور أمامها؟.. أم عليه أن يخفف عنها ويواسيها ؟.. أم إنها لن ترغب في رؤيته حاليا؟؟..

بعد قليل طرق هادئ على باب الغرفة وصوته الهادئ الذي ينادي باسمها جعلها تنتفض نحو الباب وهي ترد بخجل .. بادرت بفتح الباب لكنه كان يتحكم به من الخارج .
تنهد أحمد براحة عندما ردت عليه وحين حاولت فتح الباب أسعده ذلك بأنها ليست خائفة منه .. لكنه تحكم بالباب وهو يقول بصوت هادئ يشعر بالذنب" دعينا نتحدث هكذا من وراء الباب يا بانة"

Des. Maryam Tamim

وقفت تستند بكفيها وجبينها على الباب من الداخل وهي تتنفس الصعداء أنه طلب الحديث من وراء الباب .. فهي لم تستعد بعد لمواجهته وجها لوجه بعد ما حدث .. لكنها كانت مستعدة لاستجماع شجاعتها والخروج إليه من أجل التخفيف عن الشعور بالذنب تجاهها .

وقف أحمد نفس وقفتها من الخارج يستند بيديه وجبينه على الباب وكأنه يستجدي وصالها عبر هذا الحاجز بينهما .. وسألها بهمس قلق " حبيبتي هل أنت بخير؟"

ردت وهي تشعر بانتظام ضربات قلبها أخيرا "أنا بخير لا تقلق .. أنا بخير "

صمت قليلا يحاول البحث عن كلمات مناسبة ثم قال بخفوت ملتهب " بانة أنا .. "

قاطعته تقول بتوسل " لا تقل شيئا يا أحمد أرجوك"

Des. Maryam Tamim

قال بلهجة نادمة " أريد فقط أن أوضح شيئا .. ما صدر مني منذ قليل لم يكن أبدا مخططا له .. وأنا حين وعدتك بزواج مؤجل حتى تقرري أنت وقت إتمامه كنت صادقا تماما .. الأمر أن هناك أمور لم نضعها في الحسبان ربما لو كنا انتبهنا إليها قبل الزفاف كنا خففنا من وقع الصدمة التي حدثت لي .. أجل يا بانة صدمة .. أنا أراك أمامي لأول مرة بشعرك الحقيقي .. وأطالع تفاصيلك بعد التغيرات التي طرأت عليك بعد أن استعدت هيئتك الأنثوية .. ربما لو كنا خففنا من وقع المفاجأة قليلا مستغلين فترة الاسبوع الماضي بعد أن أصبحتِ زوجتي شرعا في أن أراك ربما في صورة مثلا لكنت امتصيت وقع الصدمة وأنت بعيدة .. أنا آسف يا بانة .. وأشعر أني صغير أمامك بعد ما فعلت "

قاطعته منادية باسمه فرد بهدوء " نعم "

تكلمت بانة بلهجة مشفقة" لا تعتذر يا أحمد .. المشكلة عندي أنا أعترف .. لكنك أبدا لم تكن

Des. Maryam Tamim

صغيرا أمامي ..ولن تكون .. بالعكس ما حدث أشعرني كيف تضحي من أجلي .. ربما لست مطلعة بعد على تفاصيل مشاعرك كرجل أو هذا الشيء بتفاصيله .. لكني قدرت أكثر ما تفعله من أجلي "

ضرب بقبضته بهدوء على الباب باعتراض " توقفي عن هذا الكلام يا بانة لا أحبه .. لا يوجد بيننا فضائل .. اتفقنا أن كل منا سيبذل من أجل سعادة الآخر قدر استطاعته .. وما هو خارج عن استطاعته سيتحملها الآخر عنه "

خنقها البكاء وانعقد لسانها .. فحاولت فتح الباب لتشعره بامتنانها لكنه كان متحكما بمقبض الباب وقال بلهجة متوسلة " لا يا بانة لا تخرجي من غرفتك الليلة .. لم استعد توازني وتحكمي بنفسي بعد "

أطرقت بخجل ثم سمعته يقول " هل تريدين أن تأكلي شيئا ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت بصوت يخنقه البكاء " لا .. أنا مرهقة وأريد أن أنام "
قال بحنان " حسنا حبيبتي .. تصبحين على خير "
ردت بصوت مخنوق " وأنت بألف خير "
تلكأ قليلا دون أن يتحرك .. وقرب وجهه من الباب وكأنه يستجدي ولو بعضا من رائحتها.. ثم تحرك أخيرا إلى غرفته .

***

أرسلت أروى لعمرو على الواتساب " هل من الممكن أن تعطيني وقتا لأقرر .. صدقني القرار ليس سهلا "
رد عليها بسرعة " لا أفهم حقيقة ترددك يا أروى"
كتبت " أمازلت مستيقظا ؟"
رد عمرو " أجل .. يجافيني النوم بسبب فتاة عنيدة عديمة الضمير لا تريد تحمل مسئولية ما فعلته بشاب مسكين مثلي "
ابتسمت وكتبت " اسمع هذه الأغنية "

Des. Maryam Tamim

فتح عمرو رابط الأغنية ليغرد صوت ماجدة الرومي:

أحتاج إليك .. واهرب منك .. وأرحل بعدك من نفسي
في بحر يديك أفتش عنك .. وتحرق أمواجك شمسي
وجهك فاجأني كالأمطار .. في الصيف وهب كما الإعصار
والحب قرار .. والبعد قرار
وأنا .. لا أملك أن أختار .

ارتجف قلبه رجفة اليابسة حين تبلل بقطرات المطر بعد سنين من الجفاف .
كتب لها والأغنية مستمرة في ملئ قلبه الظمآن لها وللحب .
" هل أستطيع أن أتصل بك الآن؟ .. أم أن الوقت قد تأخر ؟"

[1845]

ردت " لا .. لن استقبل المزيد منك حاليا لأن أعصابي لن تتحمل هذا الإغداق .. سأموت حتما"

طلب رقمها بإصرار لترد بهمس ألهب مشاعره فقال لها بصوت أجش " أروى .. بالتأكيد لن أستطيع أن أجاريك في طلاقة التعبير عن مشاعرك .. فأنا كما تعلمين لا أملك هذه الموهبة.. كما اني حاليا ألجم نفسي نحوك لأني أذكّر نفسي بحقيقة أننا مازلنا لا يربط بيننا رباطا شرعيا حتى الأن .. وصدقيني الأمر بات عذابا وأنت تخبريني بمشاعرك نحوي ..وأنا غير قادر على البوح والاسترسال في وصف ما أشعر به .. فعليك تحمل مسئولية أفعالك .. وأن تحكمي ضميرك فيما فعلت وتفعلين بي .. من القسوة أن ترشديني لباب الجنة ثم تغلقيه ثانية في وجهي .. هذا هو المن الذي يتبعه الأذى "

ردت بخفوت " لا أريد أن أثقل كاهلك بظروفي "

Des. Maryam Tamim

رد بانفعال " ماهي ظروفك يا بنت الناس .. مثلما تعيشين في بيت أهلك ستعيشين معي .. كل الموضوع أننا سنحتاج لفتاة تساعدك أثناء النهار"
قالت بحنق " ولماذا تتحمل ذلك !"
رد بعصبية" لأني أحبك يا أروى .. أحبك .. هل تريدين أن أجوب الشوارع لأقولها في مكبر صوت لتتأكدي!!! "
ارتجفت لسماعها كلمة الحب منه وقالت بإصرار " أشفق عليك في تحمل ظروفي ؟"
رد عليها بهدوء " وأنتِ أيضا ستتحملين ظروفي مع أمي .. ستتحملين حبها الشديد لي وتعلقها بي .. وستشجعينني على التحمل "

تمتمت بيأس " أنت تستحق كل السعادة يا عمرو"
رد بتوسل " إذن امنحيني إياها من عندك .. كوني كريمة واسمحي لي بدخول الجنة "

Des. Maryam Tamim

قالت بتوسل مماثل " فقط اعطيني مزيدا من الوقت لاستوعب ما يحدث معي أشعر أني سأجن"
رد باستسلام " حاضر .. لك كل الوقت .. سأتركك الآن لتستريحين .. تصبحين على خير."

أغلق الخط وتسطح على السرير يفرك جبينه بإرهاق والأغنية عادت تصدح من جديد :

حبك يا لهفي تضحية..
وعطاءات من غير حدود.
وأنا لا أملك أن أعطي ..
ودروبي أمنية ووعود.
أمصيري أن أمشي ؟..
وغدي أمس ..
وأحباء وقيود

استرجع أحداث الليلة معها ..
كلامها ..

[1848]

نظراتها ..
تلك المشاعر التي تحبسها والتي تذهله أن يكون كل هذا الكم يخصه هو وحده ..
ضحكتها ..
رأسها اليابس العنيد..
وتفاصيلها الأنثوية ..
سرح قليلا في تفاصيلها الأنثوية لكنه سرعان ما وبخ نفسه أن يتقي الله فهي لم تحل له بعد فنفض صورتها من رأسه وهو يتمتم " أسرعي يا أروى ووافقي قبل أن تكثر ذنوبي بسببك "

أما أروى فكانت هي الأخرى تستمع للأغنية وهي تحتضن سترته بين ذراعيها ودموع صامته حائرة تنساب على وسادتها .
حررني رفقا أنصرني ..
ساعدني أن أهجر طيفي
الحب كظلي يتبعني ..

[1849]

يعدو بجنون من خلفي

***

تلوى أحمد في سريره يلعن هذه الليلة الطويلة التي لا تريد ان تنتهي ..

الأمر أكثر صعوبة مما تصور .. بل أنه معذب جدا ..ولم يمر ساعات فقط على وجودها معه في مكان واحد .. إذن كيف سيتحمل الأيام والشهور أو ربما السنين القادمة .

يحتاج لقوى خارقة للتحكم بأعصابه وبمشاعره التي لا تريد ان تهدأ .. واللحظات التي جمعتهما تعاد مرارا وتكرارا في مخيلته .

أمسك بالهاتف واتصل بسيد الذي بادره بلهجة ساخرة " لم يحدث من قبل أن اتصل عريس بصاحبه في ليلة عرسه .. العلاقة بيننا تأخذ منحنى خطر يا صاحبي "

لم يكن أحمد في مزاج للمزاح فسأله بضيق " أين أنت ؟ "

[1850]

رد عليه سيد وقد استشعر ما يعانيه " أنا في الخن أنا ووائل نكمل السهرة "

قال أحمد وهو يقفز من على سريره " جيد .. سآتي لكما"

رد سيد بسرعة " أين تأتي يا عريس؟!! .. ماذا سيقول الناس حينما يرونك تترك عروسك من أول ساعتين .. لتتسلل في منتصف الليل تذهب لأصحابك .. سيساء الظن بك .. هل تريد أن تقصر رقبتنا أمام أهل الحي .. اهدأ وتحمل قليلا"

زفر أحمد بحنق وهو يعود للسرير مرة أخرى فقال سيد بتعاطف " أشعر بك .. لكن تذكر دائما في هذه اللحظات أن كل شيء من أجل مالكة القلب يهون مهما كان صعبا "

تمتم أحمد بلا شيء وأغلق الخط .

تنهد سيد بوجوم فسأله وائل وهو ممدد على الأريكة يدخن بشراهة " بدأت معاناته ؟ "

Des. Maryam Tamim

رد سيد الواقف أمام النافذة يدخن هو الآخر " يبدو ذلك .. أدعو الله أن ييسر له العسير (ثم أضاف بسخرية مرة) ألا تلاحظ أن ثلاثتنا متزوجون ومع هذا نتعذب كلٍ مع قدره ؟"

لم يرد وائل وإنما استمر في التحديق في سقف الغرفة بوجوم يمج دخان السيجارة لأبعد نقطة يمكن أن يصل إليها الدخان أمامه بينما سيد اختلس النظر نحو نافذتها البعيدة .. فهي أبعد نافذة في واجهة المنزل من هذه الزاوية من المقهى ثم عاد يشاهد الأغنية التي جمعتهما من جديد .

لقد اطمأن منها على الواتساب أن الأمر مر بسيطا وحصلت على توبيخ من الحاج .. لكن قلبه مازال مقبوضا من مشهد الوداع المازح منذ ساعات ..

Des. Maryam Tamim

إن كان الوداع صعبا كمزحة.. فكيف سيكون لو فكر في السفر مثلا .. في الابتعاد .. في عمل أي شيء ليستريح ؟!.

جاءه صوت وائل يقول بعصبية " كفى إعادة للأغنية يا بني آدم .. هذه هي المرة الألف التي تعد فيها هذا المقطع "

تمتم سيد بحشرجة وهو مازال يتأملها أمامه " لا أعلم كيف تحكمت في أعصابي وأنا أراها بهذا الجمال وهذه الشقاوة أمامي .. (صمت قليلا يتأملها ثم أضاف) هل تعلم؟ .. حين أستعيد تلك اللحظات أتأكد أن الله هو من ثبتني ألا أفتعل شيئا مجنونا معها أمام الناس .. أقسم بالله كنت منفصلا تماما عن الحاضر في الخمس دقائق الخاصة بالأغنية فالحمد لله أني لم أفعل شيئا متهورا "

Des. Maryam Tamim

نظر إليه وائل يقول " والحل .. هل ستظل تتعذب بهذا الشكل إلى الأبد ! .. أروى وها هي على وشك الزواج إن شاء الله وآية كبرت.. وأنا لدي شعور بأنها تحبك بالرغم من أنك تصفني كل مرة أقول فيها ذلك بالمختل .. عليك أن تنفصل عن بسمة يا سيد .. أنت محظوظ أن لديك فرصة للانفصال أنا لا أجدها فكيف تهدر فرصة كهذه "

هتف سيد بحنق وقد أغلق هاتفه " هذا أمر صعب .. ماذا أفعل في رأيك؟ .. أذهب إليها فجأة وأخبرها أني قررت أن أطلقها لأني أحب فتاة أخرى!!!"

رد وائل دون أن ينظر إليه " تستطيع أن تفتعل المشاكل لا تتحجج "

قال سيد بانفعال " وضميري .. أنا لا أحب أن أظلم أحد .. أنا جربت الظلم كثيرا وأعلم كيف يكون احساسه .. فيكف أكون ظالما ! "

Des. Maryam Tamim

زفر وائل وقال بعصبية " على أساس أنك بما تفعله الآن لا تظلمها .. اغلق هذا الموضوع الذي بات يوترني "

رمقه سيد بنظرة مندهشة أن يراه عصبيا بهذا الشكل على غير عادته فسأله باهتمام " ما بك يا وائل .. لا تبدو على طبيعتك منذ مدة ؟"

أشاح وائل بيده وتمتم " لا شيء .. اذهب واتركني سأنام هنا بالخن الليلة "

قال سيد بإلحاح" أخبرني يا وائل "

رد وائل بعد تنهيدة قوية " لا شيء أنا فقط أشعر بالوحدة "

رفع سيد حاجبيه وسأل باندهاش " وأين نحن .. هل سافرنا ؟؟؟؟"

رد عليه وائل باستخفاف " ليس وحدة تخصكم يا ذكي .. أنا اشعر بوحدة من نوع آخر .. أفتقد للرفقة الأنثوية في حياتي .. أشعر أن قلبي أصبح يغطيه الثلوج .. أفتقر لحضن امرأة بشدة .. لدفء

Des. Maryam Tamim

جسدها .. أرغب في معاشرة امرأة أحبها .. أرتوي منها فأسد جوع راكمته السنين بداخلي ..
في الماضي كنت ألجأ لبعض العربدة لأسد هذا الجانب .. لكني كما اتفقت معك منذ مدة كبيرة توقفت عن هذه الأمور وصدقني لم أعد ألهث وراءها كالسابق .. صحيح أني أعبث كلما واتتني الفرصة لكنها نوع من التسلية من بعيد لم أعد أرغب في أن أقيم علاقة جسدية مع أي عابرة في الطريق ..
وخاصة حين تكون حياتك على المحك مثلي .. في أي لحظة قد تكتشف ورما جديدا وفي خلال أيام يتطور الأمر وأغادر ..(صمت قليلا ثم قال) أشعر أني سأغادر دون أن أدفئ روحي قبل جسدي مع امرأة أحبها يا سيد ... أشتاق في أوقات المرض وأيام الرقاد الطويلة لامرأة بجانبي .. تشد من أزري تبكي من أجلي ليلا حتى لا أشعر بما تعانيه .. واستلقي على صدرها حين تحين لحظتي "

[1856]

تسمر سيد مكانه معقود اللسان .. غير محتمل لحجم الألم الذي يشعر به صاحبه .

بعد فترة من الصمت سأله سيد في حرج " لا تؤاخذني في سؤالي .. لكني غير متخيل كيف تعيش مع امرأة في بيت واحد لأربعة عشر عاما ولا تشعر يوما أنك تريد معاشرتها .. لا تؤاخذني لكن أنت تعرف أن هذا الأمر احيانا كثيرة نفعله للاحتياج الجسدي فقط .. لكني لا افهم كيف لم تقربها إلا أول اسبوع من زواجكما من اربعة عشر عاما ... الأمر غريب بعض الشيء"

رد عليه وائل ببرود " هذا ما حدث "

تنحنح سيد في حرج مرة أخرى وقال " لا تؤاخذني أقصد ألا تثير فيك أية مشاعر .. ليس بالضرورة مشاعر حب .. أقصد المشاعر الأخرى ؟!"

رد وائل وهو يمج دخان سيجارته لأعلى " ولا أي شيء .. تمضي من أمامي كأنها هواء .. اشبهها دائما

Des. Maryam Tamim

بشخص فرض عليّ ليسكن معي في نفس البيت ..
أو مديرة المنزل التي تربي لي بناتي"
حك سيد رأسه باندهاش ثم قال مجددا " آسف
ولكن ألا تعتقد أن زوجتك لديها حقوق ومشاعر
واحتياجات هي الأخرى .. إنها لا زالت شابة صغيرة
... على ما أذكر هي من عمر أحمد وعمرو أي ثلاثة
وثلاثين عاما "
رد وائل ببرود " لا دخل لي بهذا الأمر "
تمتم سيد باستنكار " أنت تفاجئني حقا .. من أين
أتيت بهذه القسوة !!!.. أنا أعرفك حق المعرفة
وأعلم كم أنت لين القلب عاطفيا رقيق المشاعر ..
متى ظهرت تلك البقعة من القسوة بقلبك "
هدر وائل فيه وقد أعتدل فجأة ليجلس على
الاريكة بصوت أرتج له سكون الليل " القسوة لمن
يستحقون القسوة .. أمها وعائلتها .. القسوة لمن
يسحقون القلوب .. ويزهقون الأرواح بلا رحمة ..
القسوة لمن يستغلون أموالهم ونفوذهم لسحق

Des. Maryam Tamim

أرواح بريئة ضعيفة ليس لها ذنب حتى يحصلوا على المزيد من الأموال والنفوذ .. هؤلاء يستحقون أن اخصص لهم ركنا في قلبي يختلف تماما عن طبيعتي التي تعرفها .. ركن مليئ بالقسوة والغل والكره يليق بهم "

توتر سيد من هيئة وائل الغريبة لكنه قال مدافعا " لكن ماجدة ليس لها ذنب .. أنت تعرف كيف كان جبروت أمها .. وكيف أن ماجدة اختارتك أنت بدلا من أهلها "

قاطعه وائل وقد انتفض واقفا يصيح بجنون " ذنبها أنها ابنتها.. أنها من عائلة أبي .."

جحظت عينا سيد من حالته بينما أكمل وائل بنبرة أقل هياجا ومقلتاه تتحركان بطريقة عشوائية وهو يضغط بأصابعه على جانبي رأسه "كلما أنظر إليها أذكر كل شيء.. كل شيء .. مريم .. معاناتي .. حسرة قلبي وأنا اتزوج بها.. وأنا مفروضا عليّ معاشرتها

Des. Maryam Tamim

لأرضي أبي حتى لا يموت وهو غاضبا مني .. وأنا أحمي مريم من بطشهم بزواجي .. أتذكر الاشاعات القذرة التي أطلقتها أمها .. أتَذَكر موت مريم .. أتَذَكر عائلتها المسكينة .. أتذكر كل شيء .. كل شيء "

ضغط وائل على جانبي رأسه بألم فأسرع إليه سيد ينهي هذا الحوار " أنا آسف أني تطرقت لهذا الأمر .. وائل هل أنت بخير .. أنت ترتجف بشدة .. أنا أسف حاولت فقط البحث لك عن مخرج "

أخرج وائل شريطا صغيرا من جيبه بيد مرتعشة فأسرع سيد لمساعدته في إخراج حبة الدواء وقد أدرك أنها مهدئ قوي المفعول .. وساعده في ابتلاعها وهو يهدئه ويربت على ظهره .

Des. Maryam Tamim

بعد قليل كان وائل مستلقي على الأريكة بإعياء بينما سيد لم يتخلص بعد من شعوره بالخوف على صاحبه .

بعد فترة من الصمت ..

حاول سيد تلطيف الأجواء فقال له مشاكسا وهو يجلس بجانب الأريكة على الأرض " لكن لا تنكر أنك كنت تجتذب الجميلات دائما وأنا نصيبي يكون مع الأقل جمالا يا اكسلانس"

تطلع إليه وائل بعينين نصف مغلقتين وقد بدا عليه الاهتمام قائلا بضعف " متى حدث ذلك لا أذكر .. أنت دائما كنت (....) تجتذبهم بضخامتك ومظهرك العضلي "

رد عليه سيد وقد اسعده أنه جذب انتباهه لموضوع آخر " وأنت كنت تجتذبهم بشعرك

Des. Maryam Tamim

الأشقر .. هل تذكر حينما كنت تدعي أنك أجنبي لتفوز بهم "

قهقه وائل بتسلي والذكريات تتدفق في ذهنه لزمن بعيد بعض الشيء بينما لاح الألم على وجه سيد وهو يستقبل قهقهته أخيرا والشفقة تعصر قلبه .

قال وائل بارتخاء بفعل المهدئ " هل تذكر تلك الفتاة التي كانت ترسم وشما على شكل عقرب على كتفها من الخلف وتشاجرنا نحن الاثنين عليها "

رد سيد بهدوء " موشا .. اسمها موشا التي كانت تدعي أنها من بلد أجنبي واكتشفنا أنها من منطقة (الشعبية " ...)

قهقه وائل مجددا ثم قال " أنت تحفظ أسمائهن يا خبيث .. لكنها كانت اووووووووووووف صاروخ "

قال سيد بغيظ " فعلا وقد اختارتك أنت بعد أن أوهمتها أنك فعلا أجنبي "

[1862]

قهقه وائل عاليا وهو يحدق في سقف الغرفة وقال " وأنت أردت أن تكشفني أمامها فتتدخل الصدفة لتنفضح هي أمامنا بعد أن فضحتها منافسة لها ووقفت كل منهما تجذب الأخرى من شعرها أمامنا وتقطع ملابسها ونحن نتسلى بالمشاهدة "

بعد دقائق كان وائل يستغرق في النوم فاستلقى سيد على الأرض يتوسد ذراعه بإرهاق بعد أن أرسل رسالة لبسمة يخبرها أنه سيأتي في الصباح بعد أن يطمئن على وائل .

***

أخرج أحمد إحدى اللوحات البيضاء وأمسك بالقلم الرصاص وحركه بعشوائية على اللوحة يحاول أن يخط بعض الخطوط عليها ربما الرسم يساعده على الاسترخاء في هذه الليلة التي ليس لها آخر .

Des. Maryam Tamim

بعد قليل من الوقت كان قد رسم بطول اللوحة بانة في المنتصف تقف بفستانها وهيئتها المبهرة تشبك كفيها وراء ظهرها والفستان يفترش الأرض يمينا ويسارا.. وملامح بانة مزيـج من الارتباك والخجل بينما عيناها تنظران إليه بترقب

أسفل يمين الصورة رسم وجه فتاة وكتفيها وجزء من الذراعين بتفاصيل وجه أنجيل الصغيرة وهي تتطلع لأعلى بانبهار .

وأسفل اللوحة ناحية اليسار وجه عمرو يحدق في أروى بذهول ولا يظهر من أروى سوى جانب وجهها وكتفيها .

وختم اللوحة بسيد برأسه وجذعه وملامح تحمل ابتسامة مشرقة وعينان تتألقان بالنجوم وهو يتطلع لأية أمامه التي تولي ظهرها للمشهد ولا يظهر منها سوى رأسها المرفوع وجذعها .. وقد أظهر تناقضا بين حجم سيد وحجم آية .

Des. Maryam Tamim

وقع باسم سماحة معلنا انتهائه من اللوحة .. لكنه سرعان ما سحب لوحة بيضاء جديدة وبدأ يخط عليها بالقلم الرصاص بتوتر واضح وانفعال على وجهه .. لتتضح من خلال خطوطه بانة مستلقية في وضع الجنين ومتقوقعة على ذاتها شعرها منثور حول رأسها بإغواء تضم قبضتيها أمام صدرها وعلامات الألم والرعب على وجهها .. تنظر إليه بعينين دامعتين خائفتين .. بينما فتحة بلوزتها واسعة بعض الشيء وجزء من كتفيها عاريا .

حدق في اللوحة متألما .. لكنه لم يوقع على اللوحة هذه المرة بالرغم من أنه قد انتهى منها .. لم يدر لمَ ..

لكنه قرر أن يضع هذه اللوحة أمامه ويطالعها كلما شعر أن أعصابه قد فقد السيطرة عليها لتذكره بذلك المشهد المؤلم جدا لقلبه علها تردعه إذا ما انفلت زمامه مرة أخرى .

Des. Maryam Tamim

خبأ اللوحة بعناية بين الحائط والسرير وحاول الاسترخاء ربما ينجح في النوم هذه المرة .

***

في الدور العلوي وبالتحديد في غرفة آية لم تكن تختلف عن الجميع في أن هذه الليلة طويلة ..لا تريد أن تنتهي ..

كانت مستلقية على جانبها في الغرفة المظلمة إلا من ضوء جانبي ضعيف .. وشعرها ذو اللفائف منثورا على الوسادة خلف رأسها .. تطالع المقطع الغنائي بينها وبين سيد مجددا ..

بعد قليل .. مدت يدها للأدراج بجانب السرير وأخرجت مفكرة ملونة الغلاف وخطت على إحدى صفحاتها بخط كوفي مزخرف تعلمته وهي صغيرة كمهارة تخص آل سماحة في إتقان أولادها للخطوط العربية . .فكتبت بعرض الصفحة الجملة الغنائية :

وبعد ما أغريتني .. لم أجد ..

[1866]

إلا سراباً.. عالقاً .. في يدي..
لم أجني منه ..غير طيف ..سرى وغاب عن عيني ..
ولم أهتدي .. لم أهتدي .

واحتضنت المفكرة تدفن رأسها بين الوسائد تبكي بكاءً حارقا مكتوما .. حتى لا يشعر بها أحد.

***

في صباح اليوم التالي فتح وائل عينيه في حالة خدر شديدة .. يحاول الاستيعاب أين هو.. محدقاً في سقف الخن بتركيز .. ثم بدأ يتذكر رويدا رويدا أنه بات في الخن بعد زفاف أحمد وبانة .
حرك جسده بصعوبة يتساءل عن سبب هذا الخدر في جسده واعتدل ينزل ساقيه من فوق الاريكة ليصطدم بذراع عضلية منتفخة فرفع ساقيه فجأة بإجفال .. ثم نظر إلى الأرض يبتلع ريقه بعد أن

Des. Maryam Tamim

وجد سيد مستلقي على السجادة بجانب الأريكة يتوسد ذراعه .
بعد أن هدأ من المفاجأة أنزل ساقيه مره أخرى يضرب سيد بعصبية هاتفا باستنكار " أنت يا خفيف .. ما الذي أبقاك لتنام بهذا الشكل .. هل تركت زوجتك لتنام بجانبي !"
عقد سيد جبينه وأغمض عينيه بقوة يشعر بالإزعاج مزمجرا .. وحين شعر بقدم وائل على ذراعه أزاحها بعنف وأكمل نومه وهو يرميه بلفظ وقح .
ازدادت ملامح وائل عبوسا من أثر النوم واستمر في برود بضرب سيد بقدمه .. فانقض الأخير بغيظ يحاوله عض قدم الآخر .. ليفلتها وائل منه بسرعة وقد أطلق قهقهة عالية ثم استمر على هذا المنوال حتى هب سيد قائما يزمجر كالمارد بشعر بني مشعث وحاول الانقضاض على وائل الذي دُفن في

Des. Maryam Tamim

الأريكة بانقضاض سيد العابس عليه يمسك في عنقه بغيظ .

هتف وائل مستسلما " أنا حبيبك يا هولاكو كنت أمزح معك ."

زمجر سيد مرة أخرى يشتم مجددا وجلس بجانبه على الأريكة في مزاج عكر يحاول تسوية شعره فبادره وائل يقول بتذمر وهو يدلك كتفه ورقبته " ما هذا؟ .. ثور هائج يستيقظ من النوم .. ولا مراعاة لسني الكبير ولا ظروفي الصحية .. ولا لمقامي والفارق الاجتماعي بيننا !!"

استدار سيد ينظر له بوجه مقلوب ولم يرد فلم يكن مستعدا لأي مزاح .. فتطلع إليه وائل بتسلي يقول " هل من الممكن أن تفسر لي سبب نومك بهذا الشكل كالشحاذين أليس لك بيتا لتنام به ؟!.. "

طالعه سيد بعبوس ورد بصوت أجش " ومن غيرك السبب .. لم أقدر على تركك قبل أن أطمئن عليك "

Des. Maryam Tamim

نظر إليه وائل باندهاش ثم قال مستخفا " تطمئن عليّ !! .. هل لأني أخبرتك أني أشعر ببعض الوحدة في حياتي فجعلك قلقا لدرجة أن تفترش الأرض بجانبي ! .. يا حبيبي قلت لك أشعر بالوحدة في اتجاه آخر .. اتجاااااه آخر .. فما وجه المساعدة التي تقدمها لي بنومك على الأرض بجانبي .. لأصطبح بسحنتك من أول النهار !! "

تطلع إليه سيد بعبوس بينما استقام وائل ودخل الحمام .. وحين خرج بعد قليل يجفف وجهه قال لسيد " أشعر أن جسمي مخدر .. وكنت أسبح طيلة الليل في أحلام كثيرة متداخلة لا أذكر منها شيئا .. لا تقل لي أني تركتك تحدث نفسك ونمت"

طالعه سيد بقلق ثم سأله بحذر " أجل تركتني أتحدث ونمت ما أخر جملة تذكرها "

Des. Maryam Tamim

رفع وائل كتفيه وقال" حين أبلغتك عما أشعر به من الوحدة يبدو أنني سقطت بعدها في نوم عميق"

عقد سيد حاجبيه ثم سكت ولم يعقب فقال وائل باستهزاء " ولهذا قررت أنت بقلبك الحنون .. أن تعوضني عن هذه الوحدة بأن تفاجئني بنومك بجانبي طيلة الليل (وعقد حاجبيه يضيف متهكما) لا تقل أنك حاولت أيضا أن تنفذ لي ما كنت أتمناه فدخلت تبكي عليّ بحرقة في الحمام حتى لا أراك .. لا يا سيد آسف لا أفضل الضخام"
ثم انفجر ضاحكا.. فطالعه سيد بنظرة ممتعضة وقال " أرى أن مزاجك عالي اليوم "

رد عليه وائل من بين ضحكاته " أحاول يا هولاكو ابتلاع صدمة التصبح بسحنتك .. أنت لا تعرف إلى أي مدى رؤيتك أول شيء في اليوم يغم النفس .. ولا أفهم كيف تراك النساء جذابا بصراحة "

[1871]

فكر سيد قليلا وتساءل هل من الممكن أن يكون قد نسي أمر انهياره أمس ؟ !!..
غمز له وائل قائلا " دعنا نتصل بابن سماحة نتسلى عليه قليلا "
بعد دقائق جاءه صوت أحمد خشن عبر مكبر الصوت المفتوح بينهما وباديا عليه الإرهاق والنعاس فبادره وائل يقول " كيف حالك يا عريس .. أرجو أن تكون قد قضيت ليلة ممتعة مع الأشباح تعد دقات الساعة بصبر وتأني "

صدرت همهمة من أحمد فتبادل الاثنان المزاح معه بوقاحة وقد بدأ أحمد يستفيق ويستجيب شيئا فشيئا لمزاحهم .. ثم قال بعد قليل " حسنا من الجيد الحديث عن الوقاحة ما دمنا لن نستطيع ممارستها " فانفجر الثلاثة في الضحك .

Des. Maryam Tamim

قال وائل بسخرية " إياك أن تشكو حالك أمام سيد فهو رقيق المشاعر هذه الأيام .. ومستعد لأن يفعل أي شيء من أجلنا .. يوم أمس شكوت له من الوحدة بات بجواري وغالبا بكى عليّ بحرقة في الحمام .. ليحقق لي أمنيتي .. وحاليا أخاف أن أكون سيء الحظ وينتهي بي الحال وأنا ألفظ أنفاسي الأخيرة ورأسي على صدره .. تخيل مدى الإحباط الذي سأغادر به الدنيا ".

بعد دقائق كان وائل قد غادر بينما سيد مازال مع أحمد على الهاتف .. فحكى له ما حدث أمس من وائل معبرا عن قلقه تجاه الحالة التي كان عليها.

بعد فترة من المناقشة قال أحمد " أنا أرى أن مرة واحدة لا تكفي لأن نقرر أن هناك مشكلة .. ووارد جدا أن يكون انفعال عادي وخاصة أننا لا نعلم الأثار الجانبية للدواء المهدئ الذي يتناوله "

Des. Maryam Tamim

رد سيد باستسلام " أنا قلق يا أحمد لست مرتاحا وأشعر أنه ليس على ما يرام "
زفر أحمد وقال " إذن دعنا نتحدث مع طبيبه ونرى هل من الممكن أن يوصي له بطبيب نفسي خاصة وأن كم المهدئات التي يتناولها منذ فترة طويلة دون مراجعة الطبيب أمرا ليس صحيا أبدا"
رد سيد " إنه يكره سيرة الطبيب النفسي وأذكر أن أخر مرة ذهب إليه كان منذ سنوات طويلة وقد حصل منه على اسم المهدئات وانقطع بعدها "

قال أحمد منهيا الحديث " دعنا نتابع الأمر وأتمنى من الله أن يخلف ظنوننا "

***

وقفت بانة أمام ملابسها بعد أن أفرغت الحقيبتين .. واكتشفت بعضا من ملابسها القديمة في أسفل إحدى الحقائب وحمدت الله على وجودها

Des. Maryam Tamim

..فارتدت بنطالا من الجينز وبلوزة ورفعت شعرها فوق رأسها بعقدة ..

طرقات على الباب جعلت نبضاتها تتسارع ..
وأجابت بنعم فأتي صوت أحمد يقول " سأصعد لهم هل ستأتين معي يا بانة ؟"
فتحت الباب فلم تجده فسألت " أين أنت ؟"
أجابها " أنا في الصالة .. هل ستأتي ؟"
تساءلت هل يتعمد عدم الوقوف أمام باب غرفتها!..
خرجت إلى الصالة لتجد شعره المبلل مصفف بعناية ورائحة عطر ما بعد الحلاقة يفوح منه مرتديا ملابس بيتيه رياضية ... فبدا وسيما منعشا للروح ...
كيف يكون هذا الوسيم زوجها وحبيبها وتحرم نفسها منه .!.

Des. Maryam Tamim

حاولت تجاوز مشاعر الارتباك التي خلفتها الليلة الماضية ومشاعر الحرج كونهم يعيشان تحت نفس السقف وحدهما .. لكنها لم تستطع التحكم في الحمرة التي خضبت وجنتيها وهي تقول " صباح الخير "

طالعها بعينين واسعتين وهو يمسح قوامها بنظرات رجولية .. البنطال الجينز يبرز قوامها بمظهر يحبس الانفاس .. وهو الذي لم يتعود بعد على صدمة شعرها .. فأمسك فجأة بصدره ولاح على وجهه الاختناق .. لينهار على الكرسي القريب ..

جحظت عيناها برعب لكنه هتف فيها بتوتر " إياك أن تقتربي مني يا بانة "

تسمرت في صدمة غير مستوعبة ..فقال بإعياء وهو يمسك صدره " لقد فهمت الآن ..فهمت كل شيء"

سألته بهلع " ماذا تقصد؟؟ ما بك يا أحمد؟!!!"

Des. Maryam Tamim

قال وقد لاحت على وجهه علامات الرعب "عرفت الآن سبب حضورك لبلدنا يا بنت الناس"

تطلعت إليه في ذهول فأكمل أحمد بأسى " أنت مفوضة من بلدكم لتدميري .. لإصابتي بنوبات قلبية متكررة .. "

زفرت الهواء المحبوس في صدرها بارتياح بعد ما أدركت أنه يمازحها .. لكن الألم أعتصر قلبها بأن تراه يحاول أن يخفف من وقع ما حدث ليلة أمس.

أكمل أحمد بريبة " ما حدث أمس لم يكن صدفة أبدا .. والآن .. انظري لنفسك في هذا البنطال الرائع .. وشعرك وهيئتك .. لا لا .. هذه خطة دولية للقضاء عليّ حتما "

تحكمت في ابتسامة ملحة ثم قالت بغيظ " أنت .. غليظ .. أرعبتني "

وتلفتت حولها لتمسك بوسادة الأريكة وألقتها عليه بغل .. تتجاوب مع مزاحه ملطفة للجو

Des. Maryam Tamim

المرتبك بينهما ..فالتقطها واستقام وقال وهو يضيق عينيه " اعترفِ يا بانة بالمخطط كله .. هل الخالة سوسو مشتركة معك في مهمتك ؟"

احمر وجهها خجلا وصاحت " كفى مزاحا يا أحمد "

قال بإصرار " أنا لا أمزح .. لقد اكتشفت خطتكم .. لا تقنعيني أنك إذا ما هاجمك شخص يوما ما كل ما ستفعلينه دفعات مائعة .. وهمهمات باسمه قد تُفهم بمعنى آخر .. مثلما حدث معي بالأمس "

وضعت كفها على فمها واحمر وجهها في حرج وفكرت في الهروب من أمامه .. لكنه بادرها بالقول ليستفزها "هيا اهربي من مواجهتي واثبتي لي أنني على حق وأنه ليس لديك أي رد "
تماسكت وقد زاد وجهها احمرارا من الغضب هذه المرة وقالت " أنا لست مائعة "

Des. Maryam Tamim

رفع حاجبيه وقال في برود " بل مائعة "
جزت على أسنانها وصاحت " لا تقول مائعة لا أحب هذه الكلمة "
ردد ببرود متسليا " مائعة "
ضمت قبضتيها أمامها بغضب فتحكم في ابتسامة ملحة يتأملها في هذه الصورة الشهية كأحلى مأدبة إفطار يوم صباحية عريس ..

تقدمت نحوه فرفع سبابته محذرا بحزم "إياك!"

توقفت لحظة في عدم استيعاب فأكمل بنفس الحزم " إياك والاقتراب مني .. حافظي من الآن فصاعدا على مسافة متر على الأقل بيننا.. هذه أول قاعدة سنتفق عليها"
سألته باستفزاز وهي تتكتف " وإذا لم أفعل؟ "

Des. Maryam Tamim

تكتف أمامها هو الأخر وقال بتحدي " وقتها لا تلوميني.. فلن يخلصك من يدي مفوضية اللاجئين نفسها "

ضمت شفتيها بخجل وبدأت تفرك جبينها في ارتباك فأشفق عليها واكتفى بهذا القدر من المزاح قائلا وهو ويتحرك نحو الباب "آتية معي أم أحضر الطعام وأنزل به "

فقالت بحرج " ألن يكون أمرا غريبا أن نزورهم اليوم "

فسألها بخبث "لمَ؟ "

ردت بحرج " أقصد .. أننا من المفروض حديثي الزواج .. و .. "

صمتت في حرج فوقف يحدق فيها ببرود مستفز..

فصاحت بحنق " أحمد .. كفى غلاظة أرجوك"

ابتسم تلك الابتسامة المذيبة لأعصابها وقال "لا داعي للحرج هم يعرفون ".

[1880]

جحظت عيناها وتمتمت "يعرفون ! "
رد أحمد بهدوء" أجل أخبرت أمي .. تعرفيني أنا لا أطيق الكذب .. وهم متفهمون لا تقلقي "
أطرقت برأسها في أسى فقال " حسنا يبدو أنك لا تريدين الصعود "
فأسرعت للقول " سأصعد معك .. اشتقت لوجودي معهم .. انتظر دقيقة "
دخلت الغرفة ووضعت على ملابسها عباءة مغربية مفتوحة من الأمام ورفعت طاقيتها تغطي رأسها واقتربت منه وهي تلملم فتحتي العباءة في يديها .
تسمر أمامها يحدق في لون العباءة الأخضر الداكن المطرزة من الجانبين والأكمام بخيوط لامعة وتلك الطاقية بنفس اللون التي لا تداري كل رأسها بل تخرج بعض الخصل العسلية القصيرة على جانبي وجهها فبدت رائعة الجمال .. فاحتفظ بتلك الصورة في ذهنه ليرسمها في الليالي الطويلة القادمة التي سيقضيها يتلوى في سريره شوقا إليها .

[1881]

توقفت تحدق فيه وقالت " هيا أنا ملتزمة حدود المتر وأنت لا تتحرك "
استفاق من تحديقه بها وتصنع المرح ليسبقها وهو يضع يديه في جيبه مسرعا على السلم يداري انفعالاته .. فنادته بغيظ وهي تسرع لتلحقه
"انتظر .. لا تجعلني أدخل وحدي .. أنا محرجة "

توقف فجأة في منتصف السلم ثم استدار إليها يقول بلهجة حاول أن تكون عادية لا تنم عما بداخله من حريق " كنت أود أن أعرف يا بانة .. وأرجو أن تجاوبيني بكل صراحة .. وتأكدي أني لن أحزن لكني فقط أريد أن أضع تصور دقيق للأمر.. فأرجوك لا تمنحيني معلومات غير دقيقة قد تجعلني أتصور وضعا غير حقيقيا يصدمني فيما بعد "

نظرت إليه في ترقب فتنحنح وقال وهو يراقب انفعالاتها " هل أمس .. عندما كنا سويا .. في تلك

Des. Maryam Tamim

الدقائق .. هل كنت تشعرين بأي نوع من النفور .. أو التقزز .. أو القرف .. وأنا أقصد تلك المشاعر بالتحديد ليس المشاعر الأخرى كالتوتر أو الرعب أو الخجل وغيرها "

شعرت بوجهها يحترق وأطرقت بارتباك تمسك في سور السلم بقوة بينما حبس أحمد أنفاسه في ترقب لإجابتها .. لكنها كانت رحيمة به ولم تطيل التفكير وحركت رأسها بلا .

سألها بحشرجة " تقولين الصدق يا بانة أليس كذلك ؟؟؟"

فأومأت بنعم وهي مازالت مطرقة في حياء .

فزفر أحمد الهواء المحبوس في صدره براحة واستدار وهو يتمتم بهمس سمعته جيدا " الحمد والشكر لله ".

نغزها قلبها شفقة عليه ثم أسرعت خلفه حتى لا يسبقها بالدخول فتدخل وحدها ..

[1883]

في شقة العائلة طرق أحمد على غرفة أروى فلم يجد ردا ففتح الباب وأدخل رأسه ليجدها مازالت نائمة .. وقبل أن يخرج .. تسمر قليلا يحدق فيها .. ليجدها تحتضن سترة عمرو أثناء نومها ... فمط شفتيه بامتعاض وأغلق الباب بعنف فأيقظها مجفلة.

لاحظته بانة فاقتربت منه تسأل عن سبب عبوسه .. فمط شفتيه بقرف ولم يجيب .. فقالت مشاكسة " مادام يعلو على وجهك هذا العبوس الصبياني فالموضوع يرتبط بأروى "

حدجها بنظرة باردة ولم يجيب ..فأشفقت عليه بالرغم من أن الموضوع مثير للضحك لكنها لم تستطيع الصمود كثيرا أمام عبوسه الصبياني الذي بدا ممتعا فغطت فمها بكفيها وأطلقت ضحكة غردت لها نبضاته لكنه حدجها بنظرة باردة يقول " لا أجد سببا للضحك "

Des. Maryam Tamim

اقتربت منه ولمست خده ضاحكة " أنظر لملامحك .. أنت تتحول لطفل غيور في السادسة من العمر كلما تعلق الأمر بأروى "

ارتجف للمستها لكنه لم يبد عليه أي رد فعل حتى يمنحها الفرصة أن تتعامل معه بطبيعية دون حرج ..

أطرق برأسه يقول بإحباط " لا أحب هذا الشعور"

علت ضحكتها وأمسكت بجانبي وجهه تتطلع إليه فازدادت ضربات قلبه ..وقال بحنق صبياني" لا تضحكي "

قالت بحنان "لكنك تريدها سعيدة وستكون ولدا مؤدبا ولن تفتعل المشاكل "

مط شفتيه بغير رضى .. ثم تأملها بابتسامتها المشرقة ووجها الصبوح .. وذكرته رائحة أنفاسها القريبة بطعم شهد شفتيها أمس فسرت رعشة بمفاصله حاول ألا تلاحظها .

Des. Maryam Tamim

خرجت آية للصالة وقد تفاجأت بوجودهما فقالت باستغراب " ماذا تفعلان هنا !"

أزاحت بانة يديها عن وجهه وردت عليها" وأين من المفروض أن نكون ؟!"

قالت آية مندفعة "ألستم عرسان و .. "

بترت عبارتها وهي تنظر لأحمد الذي وضع يديه في جيبه وقال لها "وماذا آنسة أية أكملي .. أبهريني ."

زمت آية شفتيها في حرج وآثرت الابتعاد من أمام أحمد مؤقتا فألقت بكلمة مبروك واختفت من أمامهما .

خرج الحاج من غرفته فتطلع لبانة وابتسم بمحبة حينما رآها بهيئتها الجديدة عليه ..فأشار لها بيده وقال بابتسامة " تعالى يا رامز يا بنيتي "

احمر وجه بانة وتحركت بحياء نحوه بينما صاح أحمد معترضا " أبي ! " اسمها بانة "

Des. Maryam Tamim

رد عليه الحاج وهو ينظر إليها بدفء" لا شأن لك هي تحب أن أدعوها بذلك .. بسم الله تبارك الله .. حفظك الله من شر العين "

أخرج الحاج سلسالا من الذهب فاحمرت وجنتاها لكن أحمد أدرك أنها أحبت هذه اللفتة من والده .

أخذته وهي تمتم بالشكر تنظر للسلسال بعيني طفلة ممتنة .. بينما الحاج يربت على ظهرها بحنان أبوي ...تدخل أحمد وقد نهشته الغيرة كعادته فأحاط ذراعه حول خصرها بلمسه خفيفة وهو يتمتم " أطال الله في عمرك يا حاج " وهو يجذبها بعيدا بحركة حاول أن تكون تلقائية لكنها لم تخفى على أبيه الذي ابتسم متسليا .

على مائدة الطعام تطلعت إليهم بانة بسعادة كبيرة .. وتعجبت أن تشعر بهذه المشاعر فقط مع آل

Des. Maryam Tamim

سماحة بالرغم من قضائها مع آل غنيم عاما كاملا لم يبخلوا عليها بشيء .
ويبدو أن أحمد قد قرأ أفكارها فمد يده يزيح خصلة عسلية متمردة يعيدها خلف أذنها فطالعته بابتسامة خجلة .
همس لها بعشق " أنا سعيد يا بونبونتي .. سعيد جدا "
قطع اللحظة عليهم أروى الساهمة منذ أن خرجت إليهم عندما جذبت بلوزته في صمت ويعلو وجهها عبوس طفولي.
نظر أحمد ليدها التي تشده من البلوزة شذرا ثم عاد ينظر لبانة بتجاهل متعمد .. فأدركت بانة ما يحدث بينهما وراقبت أروى وهي تشده مرة أخرى من طرف بلوزته وقد تقوس فمها للأسفل .

نظر إليها أحمد هذه المرة فرسمت تعبيرا طفوليا بائسا متوسلا على وجهها وأشارت إليه أنها تريد

Des. Maryam Tamim

محادثته.. فرد عليها ببرود " أنا عريس جديد ومشغول الآن "

ابتسمت بانة لمنظرهم الطفولي وتدخلت بهمس لأحمد أن يذهب معها .. قاوم قليلا ثم استقام على مضض وهو يتمتم " من أجلك أنت فقط يا بانة "

تحركت أروى أمامه بكرسيها وعندما استقرا في غرفتها وبخته بغيظ" أنت نذل وجبان "

سألها ببرود "ماذا تريدين مني؟"

كسى وجهها البؤس الطفولي مرة أخرى وقالت "ساعدني في القرار .. لا أعرف ماذا أفعل "

صاح بحنق" أروى أنت تعرفين القرار لكنك جبانة في اتخاذه"

ردت بعصبية فجأة " أنت تعرف أني لست جبانة"

قال معترفا "أنا أعلم ذلك .. لهذا لا أفهم لماذا التردد؟ "

عادت للعبوس الطفولي مرة أخرى تقول " أخشى أن أكون عبئا عليه "

Des. Maryam Tamim

مط شفتيه بامتعاض ثم قال" أرى أنك تبالغين في حمايته وهذا أمر ليس صحيا في أي علاقة .. تحرري من هذا الشعور وستعودين أروى التي أعرفها بقراراتها الموضوعية "

سألته "وكيف اتحرر منه ؟"

رد ببساطة " إذا وثقتِ في قوة وعمق مشاعره تجاهك فلن تشعري أنك عبئا عليه أبدا .. وهي التي ستجعلك تتحملين أي صعوبات قد تواجهانها سويا في المستقبل .. وحدها الثقة يا أروى .. الثقة فيه وفي مشاعره ".

أطرقت برأسها كطفلة صغيرة فأشفق عليها أن تواجه كل هذه الانفعالات .. لتمارس حقها الطبيعي كأي فتاة في الزواج من الشاب الذي تحبه .. لكنه آثر اعطائها الفرصة لتقرر وحدها دون تدخل منه .

رفعت إليه وجهها تسأله باستجداء " وأنت كيف ترى حجم مشاعره تجاهي ؟

Des. Maryam Tamim

رد عليها بهدوء "عليك أنت اكتشاف ذلك دون مساعدتي "

هتفت بغيظ "ولماذا لا تخبرني برأيك؟؟.. أنا أثق في حكمك "

مال بجذعه نحوها ينظر في عينيها وقال بهدوء "لأنه يتوجب عليك الحصول على الإجابة بنفسك حتى يكون قرارك عن اقتناع بعدها سأقولك لك رأيي "

أطرقت برأسها من جديد بينما تحرك أحمد يتركها غارقة في بحر أفكارها .

***

بعد اسبوع :

رن جرس الباب ففتحت آية لتجد عامل التوصيل يحمل باقة كبيرة من زهور التيوليب البيضاء مع سلة من قطع الشيكولاتة المختلفة الاحجام يزينها شريط ساتان .

شهقت منبهرة وهي تحدق في عامل التوصيل فقال
" الآنسة أروى سماحة ؟"
استلمت آية الهدية ووقعت بالنيابة عن أروى التي
وقفت بكرسيها عند الممر متسمرة في مفاجأة
..وحين ناولتها آية الباقة تطلعت فيها بانبهار ..
بينما تدخل أحمد كالسهم يخطف الظرف المرفق
مع الهدية والمغلق بعناية ...

وبخته بانة بغيظ لكنه تجاهلها واستمر في فتح
الظرف المغلق ببرود بينما إلهام تتطلع لملامح
أروى بذهن مشغول ..
يبدو أن ابنتها تميل لعمرو .. فما لاحظته اليومين
السابقين من ردود أفعال أروى على موضوع الزواج
وكيف أنها لم تعترض من أول لحظة كعهدها حين
يأتيها عريس .. يخبرها أن أروى تريده .

Des. Maryam Tamim

تطلعت للسعادة التي تتراقص في عيني ابنتها وهي تنظر للباقة بتأثر فتمتمت إلهام في سرها "فوضنا أمرنا إليك يا رب " .

قرأ أحمد البطاقة التي كانت موضوعة بالظرف بنظرة استخفاف ثم أعادها مرة أخرى للظرف وألقاها في حجر أروى بامتعاض وهو يقول " أنا ذاهب يا أمي هل تريدين شيئا؟ "
تمتمت إلهام بسلامته فقال لبانة" هل تريدين شيئا يا بونبونتي "
حدجته بانة بنظرة غيظ وتكتفت وهي تشيح بوجهها بينما احتضنت أروى باقة الورد والظرف وتوجهت لغرفتها وقد انعقد لسانها .. فأشارت إلهام لأية أن تحمل سلة الشيكولاتة تضعها في غرفة أروى فنفذت آية بعد أن أمطرت الباقة والسلة بالتصوير أولا .

Des. Maryam Tamim

اقترب أحمد من بانة يشاكسها فقالت بغيظ " ألن تكف عن الفظاظة أبدا .. كيف تفتح الظرف دون استئذانها !!!"

قال لها وهو يهم بالمغادرة " إنها ليست زوجته بعد لذا لابد أن أكون مطلعا على تفاصيل الامور بينهما "

تكتفت وأشاحت بوجهها في غيظ فعاد إليها وطبع قبلة سريعة على الخد المواجه له فتفاجأت وتخضبت بالحمرة .. بينما توجه هو نحو الباب وهو يقول ببرود " في كل مرة ستغضبين مني ستحصلين على قبلة .. فاختاري أيهما تفضلين .. الغضب مني أم القبلة؟ "

غمز ثم رفع إصبعين نحو جبينه يودعها وخرج من الباب بينما هي تحاول السيطرة على نبضات قلبها التي تقفز كالكرة المطاط .

أما أروى فكانت تواجه مشاعر أكثر قوة وهي تطالع باقة الورد وسلة الشيكولاتة بتأثر .. وقد كانت منذ

Des. Maryam Tamim

قليل تتساءل لماذا هو هادئ هكذا منذ ذلك الاتصال بينهما من اسبوع .. صحيح أنها طلبت منه مهلة لتفكر .. لكنها شعرت بالفراغ الشديد خلال هذا الأسبوع .. وأخذت تتطلع لهاتفها كثيرا بمشاعر متناقضة .

فتحت الظرف بأصابع مرتعشة فوجدت عمرو يتعجلها للموافقة بالجملة الغنائية الشهيرة :

لك إبطاء المذلِ المنعمِ ..
وتجني القادرِ المحتكمِ ..
وحنيني .. لك يكوي أضلعي ..
والثواني جمرات في دمي .

***

بمجرد أن خرج أحمد من بوابة البيت لمح برقوق واقفا يستند على الحائط المجاور للبوابة بوقفته المسترخية المستفزة ..

[1895]

اعتدل برقوق حين خرج أحمد الذي بادره بالقول وهو يفتح باب سيارته دون أن ينظر نحوه " لماذا تقف هكذا يا برقوق ؟"

اعتدل برقوق يقول بهدوء ناعس" اعجبني الحذاء" نظر أحمد لحذائه بسرعة ثم قال ببساطة "جميل "

أضاف برقوق بهدوء" لكني لا أحب الألوان الداكنة كنت أريده بلون فاتح "

نظر اليه أحمد باندهاش ثم قال" حاضر يا برقوق المرة القادمة سأجعلهم يشترون لك حذاء فاتح اللون .. فقط إلزم مكانك وابتعد عن المشاكل "

رد ببرود " أنا لا أفتعل المشاكل "

نظر إليه أحمد نظره خطرة فتراجع برقوق وغمغم " ربما بعض المشاكل القليلة "

ردد أحمد من بين أسنانه " قليلة !!.. أنا يوميا أتلقى شكوى منك .. تارة تشاكس زبائن المقهى وتارة تشاكس سائقي التكاتك .. "

Des. Maryam Tamim

مط برقوق شفتيه في هدوء وحرج دون أن يرد فأضاف أحمد مهددا " اياك أن أسمع عنك شكوى مجددا هل فهمت "

قالها ووضع النظارة الشمسية على وجهه وركب سيارته تاركا برقوق يعود الى غرفته في خطوات متهادية مسترخية .

***

تطلعت بسمة للعلبة المملوءة بالخواتم الذهبية بعينين لامعتين تحاول اختيار أحدهم ثم رفعت نظرها لسيد الذي يطالعها بابتسامة مشجعة أن تختار ..

بينما وائل يجلس على مكتبه أمامهما يطالعهما في وجوم على الرغم من تعامله بتهذيب مع بسمة منذ أن دخل بها سيد عليه يطلب لها هدية لعيد ميلادها.

Des. Maryam Tamim

تحاشى سيد نظرات وائل الممتعضة وحاول التركيز مع بسمة أكثر .. ربما عيد ميلادها فرصة له ليكفر بعض من ذنوبه في حقها .

رن هاتف وائل ففتح الخط يرد بتحفظ " نعم " تنحنحت ماجدة على الجانب الآخر تقول بتردد " هل ستذهب إلى العزومة التي دعانا إليها خالي رؤوف "
رد عليها ببرود " منذ متى وأنا أحضر أي تجمع يخص عائلة أبي يا ماجدة ! "
تلجلجت قليلا وفركت جبينها بارتعاش ثم قالت "كنت .. كنت أريد أن أحضر فأنا لم أزورهم منذ سنين طويلة وكما تعلم أخوالي لا يكفون عن الاتصال بي وإرسال السلامات وأنا ... "
قاطعها وائل بقلة صبر " وأنا لم أمنعك عن زيارة أخوالك من قبل .. أما هم كأعمامي فأنا لن أغير قراري بشأنهم .. تستطيعين الذهاب كما تريدين ..

Des. Maryam Tamim

لكن إياك أن تأخذي البنات إليهم .. أتركيهم عند أمي حتى تعودين "

أسرعت بإنهاء المكالمة تتمتم بهمس " حسنا .. شكرا "

أغلق الخط وزفر في عصبية من سيرة أعمامه التي تجلب عليه ذكريات مؤلمة وكريهة ..

راقب سيد توتره لكنه لم يتدخل حتى لا يتكرر ما حدث له منذ اسبوع في الخن من انهيار وخروج عن السيطرة .. لكنه راقب بقلق حبة المهدئ التي بلعها وائل بشربة ماء ..

بعد قليل أوصلهم وائل إلى باب المحل وبسمة يزين وجهها ابتسامة واسعة وتتطلع للخاتم في يدها بفرح طفولي .

فجأة صاحت بسمة" أليست هذه آية ؟.. آية كيف حالك ؟"

Des. Maryam Tamim

كانت آية قد لمحتهم من بعيد فأسرعت خطاها تحاول تحاشي الالتقاء ببسمة لكن بمجرد أن نادت عليها الأخيرة .. جزت على أسنانها ثم استدارت ترسم ابتسامة صفراء واقتربت منهم .

عقد سيد حاجبيه في اندهاش من تصرف بسمة وتبادل النظرات مع وائل الذي بدا متفاجئا هو الآخر .

طالعتها آية بكبرياء وقالت " أهلا بسمة "

ردت بسمة بسعادة " كيف حالك ؟"

تكلمت أية باقتضاب " بخير" ثم تبادلت التحية مع وائل وسيد .

تعلقت بسمة بذراع سيد وقالت" سيد كان يشتري لي هدية .. فاليوم عيد ميلادي "

حدجتها آية بنظرة باردة وتمنت ألا ترد لكنها لم تريد إحراج سيد فقالت بامتعاض " عيد ميلاد سعيد"

Des. Maryam Tamim

مدت بسمة يدها بالخاتم بدلال فنظرت إليه آية بغباء لا تفهم ما المطلوب لكنها تمتمت باستخفاف "جميل"

رفع وائل حاجبه بتسلي وهو يراقب المشهد بينما جز سيد على أسنانه وأشاح بوجه بعيدا في حرج.

استأذنت آية تغادر فقالت بسمة بسرعة وهي تخرج هاتفها " آية .. أعطيني رقمك .. إنه ليس معي"

استدارت آية نصف استدارة وطالعتها من وراء كتفها بملامح مستنكرة .. بينما تنحنح سيد يقول "هيا يا بسمة سنتأخر "

ردت بسمة "سآخذ رقمها بسرعة "

ردت آية بحاجب مرفوع " خذيه من سيد .. سلام"

في شقة سيد بعد ساعة :

قال بغضب " لا أفهم لم فعلت ذلك؟!!"
ردت بارتباك " ما المشكلة أني طلبت رقم هاتفها؟!! "
رد بانفعال " المشكلة أنه ليس هناك علاقة قوية بينكما لتطلبي رقمها فجأة .. بالإضافة لمناداتها في الشارع أصلا "
هتفت بسمة بعصبية " لكنها على علاقة قوية بزوجي فلما لا تكون صديقتي أنا الأخرى!!"

انقض عليها يغرز أصابعه في ذراعها ويهدر بصوت مخيف " ما المقصود بهذا الكلام !"
تألمت من يده التي ستكسر عظام ذراعها وقالت منفعلة رغم اضطراب ضربات قلبها " المقصود أنه لو كانت تهمك بالتأكيد تهمني لأنك زوجي.. أم أن لك رأيا آخر؟ "

Des. Maryam Tamim

بالرغم من شعوره بالذنب واعترافه بأخطائه لكنه انتهج اسلوبا ذكوريا أصيلا وهو(قلب الطاولة) فرد وهو يشد من قبضته على ذراعها " أرى أنك تتدخلين فيما لا يعنيك .. فأن كنت تريدين قول شيء فلتقوليه دون مراوغة "
هتفت بصوت باك " أنت تؤلم ذراعي يا سيد "

ترك ذراعها لكن ملامحه ظلت محتفظة بالغضب وإن كان غير مفهوما له هل هو غضب منها أم من نفسه .
أكملت وهي تدلك ذراعها بألم " الحقيقة أنني أريد أن أفهم كينونة آية تلك في حياتك .. إنها تحتل موقعا غير مفهوما .. وأمرها بات يضايقني "

رد محاولا التحكم في مشاعر الغضب المتأججة بداخله " بسمة .. أخرجي آية من عقلك .. ولا تشغلي نفسك بها "

[1903]

صاحت في عصبية " كيف لا أشغل عقلي بها .. وهي تحاصرك هنا وهناك "
اقترب منها يستشيط غضبا " من التي تحاصرني هنا وهناك ؟؟!!.. من أين جئت بهذا الكلام !!"

ردت بتحدي "أنا أعرف كل شيء خالتي شريات أخبرتني "
جحظت عيناه يقول بذهول " شريات زوجة خليل!!.. وما شأنك بها؟؟ وكيف تتواصلين معها؟؟ أخبريني"
قالها وهو يمسك بذراعها مرة أخرى ويهزها بعنف .. فردت وهي تقاوم الارتجاف فصوته وحده يرعبها
" أنا أتواصل معها منذ مدة عبر الهاتف .. هي من بدأت بالاتصال وبدأنا مبادلة الاتصالات .. وأخبرتها عن عدم راحتي لآية هذه فأخبرتني بكل شيء "

Des. Maryam Tamim

هدر فيها بعصبية " كيف تتواصلين معها ؟؟!!
كيف يا بسمة .. أبعد ما حدث تودينها ؟.. ألا
تعرفين أني أرفض التعامل مع كل ما يخص خليل؟ "
قالت بسمة بألم شديد " أترك ذراعي يا سيد
ونتكلم "
حدق فيها للحظة يحاول الاستيعاب ثم ترك
ذراعها فقالت مدافعة " أنا لا أرى المرأة شريرة ..
إنها تودني وتتحدث معي كثيرا .. والوحيدة التي
أعرفها من العاصمة "
صاح سيد بغضب ارتجت له جدران الشقة "بسمة
.. هذه أخر مرة تتواصلين مع تلك المرأة .. هل هذا
مفهوم؟؟ "
صاحت بغيظ "لأنها أخبرتني بخصوص الست آية
وما تفعله معك ؟"
شم رائحة كريهة في كلامها فسألها بفحيح مرعب "
وما الذي تفعله معي ؟ .. ما الذي تعرفينه بالضبط
؟"

Des. Maryam Tamim

قالت بغيظ " أعرف كل شيء .. كيف تتدلل عليك وكيف تقابلها في الخن ليلة بعد ليلة وحدكما في سكون الليل .. وأعلم محادثاتكما معا عبر الواتساب والله أعلم شكل المحادثة ومدى نظافتها .. فلا تقنعني أن مدللة مائعة مثلها تتعامل معك كأخ كبير أبدا "

لطمة على وجهها أخرستها فلم تكمل حديثها .. ليرتمي جسدها على السرير بفعل قوة ذراعه .. وكمن فقد عقله أمسك بشعرها يقول وبركان غضب يشتعل في عينيه " أسمعي .. اسمعيني جيدا .. أنا أسامح في أي شيء وأتحمل أي شيء.. إلا أمرا واحدا ألا وهو المساس بأي فرد من عائلة سماحة .. وخصوصا آية .. هل تفهمين يا بسمة " علا نشيجها فترك شعرها بعنف لتنزل على السرير مرة أخرى وأكمل وهو ينهت من فرط انفعاله " القاذورات التي ملأت شربات بها عقلك نظفيها .. وإلا سترين مني وجها آخر "

[1906]

قالت من بين دموعها "كل هذا من أجل هذه المدللة التي ليس لها رجلا في عائلتها يحكمها "

زمجر بصوت مخيف وأقترب منها فصرخت تنكمش وتخبئ رأسها بين ذراعيها برعب.. فتراجع متشبثا بذرة عقل باقية تحكم بها في غضبه وأمسك بالكرسي وضربه عدة مرات في التسريحة ومرآتها حتى تهشمت هي والكرسي بينما بسمة تزداد انكماشا ورعبا .
بعدها وقف ينظر لها بأنفاس متسارعة ثم تركها وخرج قبل أن يرتكب جريمة قتل .
***
الندم ..
هو الشعور التي يسيطر عليها هذه اللحظة .. لكنه ليس الشعور الوحيد حتى وإن كان له نصيب الأسد فيما تشعر به من مشاعر ..

Des. Maryam Tamim

من أول لحظة دخلت فيها لبيت خالها رؤوف .. لم تجد ذلك الشعور بالعائلة الذي تفتقده إلى حد الوجع .. في محاولة فاشلة على ما يبدو بعد كل هذه السنوات الطويلة أن تعود لودهم ..
لكنهم لم يتغيروا ..
لم يتغيروا أبدا .. نفس الكبر والعنجهية والاستخفاف بالضعيف ..
على الرغم من ترحيبهم بها لكنها أبدا لم تشعر بأي دفء أو أي شعور بالألفة .. حتى النساء .. حاولت أن تقترب منهم قليلا فشعرت بنظراتهم الساخرة منها ومن حالها ..
بالطبع هي تُعتبر علكة العائلة !.. يتسلون بالحديث عنها وعن حالها .. فالكل يعلم بطبيعة حياتها مع وائل.. يعلم بأنه لا يعتبرها سوى مربية بناته .. يعلم بأنه لا يقربها ولم يقربها منذ أول أسبوع من زواجهم كمنديل تمخط فيه ورماه ..

Des. Maryam Tamim

ويعلمون أيضا أنها اختارت البقاء في بيته حين خيرت على البقاء أو الرحيل عند اندلاع المشاكل بين العائلتين من أربعة عشر عاما مضت .
لكنهم انقسموا في تبرير قرارها هذا ما بين مؤيد لها بأنها عاقلة .. فمادام ليس عندها فرصة للطلاق فلتنعم بثروته ولا تُحرم من بناتها ولا تحرمهم من أبيهم .. وما بين متهما لها بأنها باعت أهلها وأمها بالذات حين اختارت جانب وائل من أجل الثروة .. ومنهم من يراها ضعيفة الشخصية وينعتها بأسوأ صفات الخنوع والاستلام ... سواء استسلام لأمها قديما أو لوائل بعد ذلك وفرضه عليها حياة لم تقتل الأنثى فيها فقط .. بل قتلت أدميتها نفسها .
انزوت تجلس في ركن القاعة الفخمة المصممة على طراز فاخر مصدرة وجهها الجامد تحاول أن تقنع نفسها بالبقاء قليلا .. ومتجاهلة النظرات المتباينة التي رُشقت فيها من هنا و هناك .

Des. Maryam Tamim

بعد قليل شعرت بالملل فحملت حقيبتها وقررت المغادرة بهدوء حتى دون أن تودع أحد .. فلم تكن بالأهمية التي تجعلهم يهتمون بوداعها على الرغم من اتصالاتهم المتكررة لها وارسال السلامات على مدى السنين الماضية لكنها أمور يقوم بها البشر كنوع من الروتين أو كنوع من الشعور بحالة (أنا رائع .. أنا أهتم بعائلتي) دون التزام حقيقي بتلك الصلة .

وربما – وهذا ما ترجحه أكثر – أنهم كانوا يطمعون في أن تقنع وائل بالحضور.. فميراث وائل وأمير من والدهم يجعلهما الأكبر بينهم على الرغم من أن الاثنان لا يعيشان بهذه المظاهر المبالغة من الثراء .. بل يفضلون كأبيهم الحي القديم .. ويبدو أن الأخبار التي وصلتهم عن حالة وائل الصحية أسالت لعابهم للحصول على ما يمكن الحصول

Des. Maryam Tamim



عليه .. وهذا يفسر جيدا استقبالهم لها بذلك الفتور أو عدم الاهتمام .
على أية حال هذا ليس جديدا عليها فالشعور بأن تكون (لا شيء) هو رفيقها منذ أن وجدت بهذه الحياة .

وقف يطالع قوامها المنحوت في ذلك البنطال الجينز والبلوزة السوداء بنظرة جريئة متفحصة .. ووجها الخالي من الزينة بشعر بني معقوص بربطة عادية خلف رأسها .
اقترب منها وهي تنتظر المصعد وقال بهدوء "كيف حالك يا ماجي؟ "
أجفلت ماجدة من الصوت القريب جدا من أذنها فارتدت إلى الخلف قليلا في فزع ثم هتفت بعد أن تبينت هوية الشخص " أهلا سامي .. افزعتني .. لم أعلم أنك ستحضر "



ابتسم لها وعيناه تأكلانها وقال " وكيف لا أكون موجودا ألستُ فردا من هذه العائلة .. صحيح والدي كوالدك من الفرع الفقير أو بمعنى أصح أن والدي أضاع ثروته فأذلنا .. لكني مازلت من العائلة "

ردت بحرج "لم أقصد ذلك .. أقصد أنك تسافر كثيرا فلم أتوقع أن تكون موجودا "
رد بلهجة ذات مغزى " أنا هنا منذ مدة يا ماجي وأنوي الاستقرار .. فالحمد لله حالتي المادية في أفضل حال .. كما انني أرسل لك من مدة من رقم هاتفي رسائل ألم تلحظي أنها من رقمي المحلي؟"

ردت مرتبكة حين تذكرت رسائله التي يبعثها كل فترة وتمسحها فورا" بمناسبة الرسائل من الجيد أني قابلتك .. هلا توقفت عن ارسال هذه الرسائل التي لا تليق بي كامرأة متزوجة يا سامي .. هل

Des. Maryam Tamim

جننت!! .. أم تريد أن تجدد المعارك بين العائلتين يكفي أن خسرنا ما خسرناه "

قهقه بضحكة باردة ثم قال" ومن سيعاقبني على ذلك ؟ .. زوجك المتيم بك ! .. كلنا نعرف أنك لست سوى أريكة قديمة بمنزله فلا تنتفشي هكذا وتهددينني بتجدد المعارك بين العائلتين (ثم مال نحوها يقول بنظرة ماكرة)عموما أنا سويت أوضاعي بين العائلة وعدت بأموالي لمكانتي فيها وأكثر .. فهيا انطلقي وبلغي زوجك وأريني ماذا سيفعل "

كلماته طعنتها في صميم قلبها وبالتحديد في ذلك الجرح النازف منذ سنوات طوال ... لكنها تمسكت بقناع الجمود وقالت بصرامة " ربما أنا كما تقول لكنه كأي رجل شرقي .. سيعتبر ما تفعله إهانة أن ترسل لزوجته كلمات حب وهيام ولن يسكت على

Des. Maryam Tamim



ذلك أبدا .. خاصة أنه يعز أعمامه جدا فينتهز الفرصة بالتأكيد للتعبير عن هذا الاعتزاز "

فُتح باب المصعد فتنفست الصعداء وألقت بنفسها بداخله بسرعة لتجده يمنع المصعد من الاغلاق ويدخل وراءها ويقول بابتسامة واثقة " زوجك لا يحب العنف .. رقيق المشاعر يفضل الكلام والتعقل .. ويهرب من المشاكل .. فلا تتعشمي كثيرا في أن يهب لكرامته "

لاح الغضب في عينيها وصاحت فيه بحزم "سامي أنا أحذرك .. إياك وتجاوز الحدود معي هل تفهم "!!

هجم عليها فجأة يمسكها من ذراعيها فتراجعت في رعب لتلتصق بحائط المصعد تحاول التخلص من يده بينما همس سامي بحرارة " وهل تفهمين أنت؟؟!!.. هل تفهمين يا ماجي أن الشوق أضناني ولم أعد قادرا على التحمل ؟.. لقد سافرت وتغربت وأكلت التراب من أجل أن أعود بثروة وأنقذك من

Des. Maryam Tamim

هذا الرجل ومن زواجك البائس هذا .. أنا يا ماجي الذي أحبك ويحبك وسيحبك إلى الأبد .. أنا سامي حبك الأول .. أنا أكيد أن ما حدث له ولعائلته كان بسبب لعنتي عليهم كلهم فردا فردا بعد أن أخذوك مني وأجبروك على الزواج من هذا المجنون وائل .. "

لطمة على وجهه هي الرد الذي تلقاه من ماجدة بعد أن استطاعت تحرير ذراعيها من يديه ثم قالت بوجه يتميز غضبا " دعك من تلك الأوهام .. وخرافة أنك حبي الأول .. وإياك والتجرؤ على الاقتراب مني هل تفهم " .

انفتح المصعد فخرجت بسرعة مهرولة وهي تمسك قلبها الذي يضرب بعنف من الرعب .. لا تصدق أنها تغلبت على الخوف واستطاعت ردعه.. فوقفت ترتجف وهي تبحث عن سيارة أجرة بينما صوته يأتيها من بعيد صائحا " لن أيأس يا ماجدة ..لن أيأس أبدا .. أنت لي في النهاية "

[1915]

***

هل حانت لحظة المواجهة ؟!!

هذا ما فكر فيه سيد وهو يصعد لشقته بعد أن غاب لساعتين يجوب فيهما الشوارع بسيارته على غير هدى .

بعيدا عن قذارة ما تلفظت به شربات بخصوص آية .. وبعيدا عن حقيقة أن باتت علاقته بآية مؤخرا يتعمد فيها الابتعاد بقوة كبيرة يفرضها على نفسه .. فإن ما كان يخشاه قد حدث وبسمة وصلها مالا يريدها أن تعرفه ..

أنه نذل وجبان وظالم .

هذه هي الحقيقة التي يعترف بها جيدا لكن كبرياؤه الذكوري لا يرضى أن تواجهه بها بسمة.. كما أن شفقة قلبه لن تتحمل أن يرى شخصا مجروحا بسببه .

Des. Maryam Tamim

دخل المصعد والحيرة تقتله .. ماذا إن واجهته وسألته سؤالا مباشرا عن آية ؟
كيف سيكون رده؟ .. أو .. كيف من المفروض أن يكون رده ؟!.
هل يخبرها بالحقيقة المجردة فقط وعليها تقبلها كحقيقة واقعة ؟!...
أم يطمئنها أنه بات يفعل المستحيل مؤخرا للابتعاد عن آية .. وأنه لم يعد يراها إلا كل فترة ويتعمد أن تكون لقاءات داخل محيط العائلة وفي المناسبات .. كمناسبة زفاف أحمد التي كان يترقبها بقلب طفل يعد الأيام الباقية على مجيء العيد .. وقد جاء أخيرا .
جاء العيد جميلا فاتنا كالسكاكر الملونة .. ينعش روحه المحتضرة بجرعات مكثفة من الهواء ...
صحيح ظل لسويعات فقط .. وتركه يعاني بعدها وحشة أقسى من سابقاتها .. لكنه جاء .

Des. Maryam Tamim

هل يخبرها أنه يتعذب حين تتصل به صغيرته تتحجج كثيرا للقائه لكنه يتعلل بالانشغال ويتحمل تقريعها تارة وإلحاحها المؤلم تارة أخرى .. ويكتوي هو بنار ردها خائبة الرجاء ... هل هذا سيثبت لبسمة أنه جاد في المحاولة؟ .

أم يعترف ويترك الأمر لها تقرر ما تريده بشأن حياتهما معا ؟؟

دلف إلى غرفة النوم بقلب تعذبه الشفقة
يتفحصها في ذلك الوضع الذي تركها فيه ..
فوجدها متكومة على السرير في نفس الوضع الذي تركها عليه .. شعرها يغطي وجهها وانتظام انفاسها يخبره أنها نامت ..
اعتصر الألم قلبه وكواه الندم .. فلا يتحمل أبدا فكرة ضرب النساء .. إنه لأمر قاسي أن يستخدم

Des. Maryam Tamim

رجل قوته مع كائن ضعيف مهما بلغ استفزازه أو وقاحته ..

رفع شعرها برفق وحاول إيقاظها بهدوء فنظرت إليه ببؤس وعلامات يده التي تشبه المطرقة في ضربتها تلوح ببشاعة على وجهها ..

تمتم بعبارات هادئة قبل أن يعدل من وضعها على السرير ثم تركها قليلا وغاب ليعود بصحن فيه ماء بارد وأخذ يتعامل مع خدها بوضع كمادات عليه .. وهو يقاوم رغبة في ضرب رأسه في الحائط لبشاعة ما فعله .

بعد قليل تحدث إليها بهدوء " شربات امرأة حقود ولا تختلف عن خليل كثيرا .. وكل ما أخبرتك عن آية ليس صحيحا أنا لا أقابلها يوميا .. ولا أهاتفها يوميا.. ولا نتقابل في الخن وكل هذه الروايات القذرة أبدا .. تتحدث معي آية على الواتساب أو الهاتف من وقت لآخر إذا احتاجت لشيء أو لأخذ رأيي في موضوع .. كما أنها تستعد للامتحانات

[1919]

النهائية فلا يوجد عندها وقت لمقابلتي وتلك الأشياء القذرة التي أدخلتها شريات في رأسك ..
وتعلمين أيضا اني مشغول مع أكثر من مطرب حاليا لتجهيز أغاني الموسم الجديد وأني غارق في العمل بشكل كبير مؤخرا .. هذا بالإضافة لأن آية ليست بالأخلاق التي وصفتيها"..
تطلع لاستكانتها فأكمل بعد أن أخذ نفسا يحاول أن يسيطر على انفعالاته ويجمل الوضع في محاولة يائسة للمراوغة " تعلمين مدى ارتباطي بآل سماحة وماذا يمثلون لي فلن أرضى أبدا أن يهان أحدا منهم أمامي .. واعلمي أن آية لها معزة كبيرة جدا عندي .. لذا فأي إهانة لها قد تفقدني أعصابي كما حدث اليوم .. فإذا أردت أن نتحدث في أي أمور تخص آل سماحة وآية بالتحديد عليك تخير الكلمات حتى تكون المناقشة مثمرة .. لذا دعينا نؤجل الحديث في هذا الأمر قليلا حتى نهدأ"

Des. Maryam Tamim

ثم تحرك بعيدا عن السرير يقول" سأطلب طعاما هل تفضلين شيئا معينا ؟"
نادته بصوت واهن فاستدار لها لتقول " هناك أمرا نسيت أن أخبرك به علمته من شربات "

عقد حاجبيه باهتمام فأكملت " رحمة رحلت "
سألها بعدم استيعاب " رحمة من .. ورحلت إلى أين ؟؟"
ردت بوهن " رحمة خليل صبرة .. أختك التي أتتك لتوصلها لخليل .. رحلت منذ عدة أيام دون أن يعرف مكانها "
فجحظت عينا سيد وسقط قلبه في قدميه

****

Des. Maryam Tamim



الفصل الرابع والعشرون

انتبهت ماجدة لرسالة على هاتفها من رقم مجهول فقرأتها " ماجي .. لا تعذبيني .. أنت لا تعرفين ماذا تحملت من أجل أن أعود وأنا أملك من الثروة ما سيرد إلينا كرامتنا التي أهدروها ونحن صغار لأننا فقراء العائلة .. أنا عدت من أجلك .. ومن أجل أحلامنا سويا .. دعينا نتحدث قليلا .. "

حدقت في الرسالة طويلا بجمود .. ثم مسحتها وهي تغمغم " كم رقم على أن أغيره .. لأتخلص من هذا السخف " .

دخلت التوأمتين من الباب بملابس رياضية يحملن حقائب ظهر من القماش ويبدو على ميري الانهاك بينما أنجيل تبدو منزعجة .. فسألت ماجدة باهتمام " ما بك يا أنجيل ؟"

[1922]



ردت أنجيل بوجه مقلوب " لا شيء "
تدخلت ميري تقول " إنها منزعجة لأن الفتيات بالمدرسة يسخرون منها بأن من تلعب رياضة التايكوندو لا تحمل مظاهر أنثوية .. والحقيقة لا أفهم هذه التفاهة فعلا .. سواء من ابنتك أو منهن .. ما دخل هذا بذاك ! "
صاحت انجيل بحنق " لا تقولي تفاهة .. هل لأني أريد أن أمارس أنوثتي أصبحت تافهة في نظرك"

ردت ميري بهدوء " هذه الأمور التي تتعجلين عليها سترتدينها عاجلا أم آجلا .. لكن إحراز الألقاب والميداليات سيكون لفترة معينة من حياتك بعدها ستضطرين للاعتزال .. ولكن وأنت فخورة بنفسك وما حققته "
هتفت أنجيل بوجه باك " فلتفخري أنت بميدالياتك وألقابك أنا لم أعد مهتمة "

[1923]

تدخلت ماجدة بعصبية " لماذا يا أنجيل ؟.. أنت تهدرين موهبتك في التايكوندو "
ردت أنجيل بحنق " لست مهتمة يا أمي ومللت من التمارين المتكررة تعبت .. أريد أن أخرج مع صديقاتي كما يفعلن ..أريد أن ألبس كالبنات وليس ملابس رياضية طوال الوقت "
صاحت ماجدة بحدة " تلك الأمور التي تستعجلين عليها ستجعلك تافهة ليس لك قيمة .. عليك أن تكوني قوية .. عليك تحقيق ذاتك يا أنجيل .. دراستك واعتمادك على نفسك وقوتك هي أهم شيء .. ودعي تلك الأمور عن اللبس والاصحاب وما إلى ذلك إن تبقى لك وقت .. "
صاحت أنجيل باكية " تعبت .. قلت لكم تعبت يا أمي .. من التمارين والاجهاد والشد العضلي والضغط العصبي .. والمنافسات "
همت ماجدة بتوبيخها لكن صوت الباب يفتح ودخول وائل أخرسها فجأة .

Des. Maryam Tamim

سأل وائل بقلق" لماذا صوتك يصل لبوابة البناية يا أنجيل ؟!"

اقتربت أنجيل منه تلف ذارعيها حول جزعه وانفجرت في البكاء.. فسأل وائل بجزع " ما بها؟.. من أبكاها "

وقفت ماجدة صامتة بينما تدخلت ميري تقول ببعض الدبلوماسية " لا شيء يا أبي أنت تعلم أن أنجيل تتدلل لا أكثر "

صاحت فيها أنجيل من بين دموعها " أنا لا اتدلل!!!!"

ربت عليها وائل برقة ثم سألها بهدوء " أخبريني أنت يا بابا لم تبكين؟ "

ردت من بين دموعها " سئمت من التدريب والتمارين "

تفاجأ وائل لكنه قال " ألا تريدين التمرن من أجل الحصول على فرصة تمثيل بلدنا في الأولمبياد .. كما فهمت من عمرو أنت وانجيل مرشحتين بقوة"

[1925]

ردت أنجيل من بين دموعها " الموضوع يتطلب الكثير من الجهد والتحمل .. وأنا لست قادرة على هذا ولست مهتمة بالأمر إلى هذا الحد "

سكت وائل قليلا ثم قال " إذن توقفي عن التدريب .. أين المشكلة ؟"

احتقن وجه ماجدة بينما صاحت أنجيل في عدم تصديق " حقا يا أبي !! .. هل من الممكن ألا أتدرب بعد الأن ؟"

رد وائل ببساطة " بالطبع.. إن كان الأمر لا يثير شغفك لتفعلينه فلا تتعذبي من أجله "

أحاطت ذراعيها حول جزعه تتمتم في فرح باك "أحبك يا أبي ..أحبك "

ربت عليها وائل وتمتم في سره "من شابه أباه في عدم التحمل المصاعب فما ظلم "

نطقت ماجدة تقول بغيظ مكتوم " لكن يا وائل .. إنها تلقي بسنين طويلة من التدريب والتعب من

Des. Maryam Tamim

أجل قرار تتخذه في لحظة طيش قد تندم عليه لاحقا "

رد عليها بحزم " فلتفعل ما تريد أتركيها تنعم بحياتها دون ضغط.. ما فائدة الألقاب إن لم تكن سعيدة بها "

زفرت ماجدة في عصبية وانسحبت إلى المطبخ بوجه محتقن .. بينما حدجت ميري أختها بغيظ فسألها وائل " وأنت يا ميري ماذا تريدين ؟"..

ردت بثقة " سأحصل على الميداليات الذهبية في الأولمبياد هذا العام إن شاء الله "

ابتسم يقول " حسنا .. وأنا أثق بك وأدعمك .. وسأكون وقتها فخورا بك فخرا لم يشعر به أب من قبل "

ابتسمت له فازدادت شُقرتها حلاوة وسألته بتأثر "هل ستكون معي هناك وأنا أتسلم الجائزة يا أبي؟"

Des. Maryam Tamim

رد عليها مؤكدا " بالتأكيد .. ركزي الآن أن يتم اختيارك من بين من سيمثلون البلاد في الأولمبياد .. وإذا تم اختيارك أعدك أن أرافقك في تلك الرحلة "

ابتسمت ميري بسعادة ثم تركتهم لتلحق بأمها في المطبخ ووقفت بجانبها تتطلع إلى صمتها وجمودها بقلق .

ربما يظنون أن أمها صموتة جامدة .. لكن لا يعلمون أنها تكتم الأنّات بحزم فيبدو وجهها جامدا .. متخشبا من الألم .

مسدت ميري على ظهر أمها وقالت بحنان "دعك من هذه المدللة يا أمي فأنا أؤيدك فيما تقولين "

ردت ماجدة بهدوء" أنا لا أريدها أن تنجح في حياتها من أجلي .. فلن تفيدني هي بشيء إذا نجحت .. أنا أبحث عن مصلحتها "

ردت ميري بتفهم " أعلم ذلك يا أمي .. عموما أنت نصحتها وعليها أن تتحمل تابعات هذا القرار "

Des. Maryam Tamim

أومأت ماجدة برأسها في استسلام فراقبتها ميري بصمت .. لتسألها ماجدة فجأة " هل من الممكن أن أمنع رقما من أن يتصل بي أو يرسل لي رسائل دون الحاجة لتغيير رقم هاتفي "

ردت ميري بسرعة " طبعا يمكنك عمل حظر للرقم .. لماذا ؟"

قالت ماجدة بسرعة " لا شيء .. جارتي سألتني إن كنت أعرف كيف نفعل هذا الحظر لأن هناك رقما يرسل لها نكات بذيئة "

ردت ميري بهدوء " سأعلمك كيف تفعلها .. لكن من الممكن أن يرسل لها هذا القذر من أرقام أخرى "

شعرت ماجدة بالإحباط لكنها قالت " لا بأس علميني كيف تحظر الرقم وسأخبرها بذلك "

***

فتحت إلهام الباب فوجدت عمرو يقف في حرج .. استقبلته بترحاب وبعض التحفظ الذي لم يخف

Des. Maryam Tamim

عليه فقال " لقد استأذنت الحاج سماحة لأمر عليكم قليلا "

ردت بارتباك " تفضل يا ولدي لا تحتاج للاستئذان هذا بيتك " ثم علا صوتها "عمرو هنا يا أروى " قبل أن تتحرك لتقدم له الضيافة سألها بهدوء "هل أنت معترضة على شخصي يا خالتي؟ "

تحرجت إلهام بعض الشيء لكنها أشارت له بالجلوس على أحد مقاعد منضدة الطعام وهي تقول" اجلس يا ولدي "

صمتت قليلا ترتب كلامها ثم قالت " أنت تعرفني صريحة لذا تقبل ما سأقول .. أنت عندي كأحمد وسيد .. كما أنك كعمرو بسم الله ما شاء الله نسب يشرف ويكفي أنك ابن الشيخ رحمه الله .. ولو كانت أروى بكامل صحتها لكنت الآن أقف في الشرفة لا أتوقف عن الزغردة ..

Des. Maryam Tamim

لكني أعرف عفاف تمام المعرفة ... إننا من بلدة واحدة وتربينا سويا وأعلم أن ظروفها التي عاشتها هي وأخيها كأيتام جعلتها شديدة التمسك بوالدك الشيخ رحمه الله حين تزوجها .. وحين انجبتك واستأصلت الرحم وهي لم تزل شابة صغيرة .. كل هذه الظروف جعلتها تضع فيك كل أمالها وهذا حقها.. وأدعو الله ألا يحرمك منها ولا يحرمها منك .. لهذا أنا أعلم أنها وافقت على مضض على زواجك من أروى و هذا يقلقني .. لا أقصد شيء لكن من حقي أن أتأكد أن ابنتي ستعيش في جو سليم وعائلة ترحب بها وهذا ما أشك به .. ولن أتحمل أن تسمع ابنتي كلمة تحزنها لذا أنا قلقة .. قلقة جدا ليس منك .. ولكن على ابنتي "

رد بجدية متفهما "أنا أعلم مخاوفك جيدا يا خالتي وأجدها في محلها .. كل ما أستطيع أن أعدك به أني سأحافظ على أروى وسأجعلها سعيدة .. وأمي سأحاول أن أتعامل معها ولا أقصر تجاهها ..

[1931]

صدقيني يا خالتي جزء من تأخري في طلب أروى للزواج هو خوفي عليها من ظروفي التي لا تتلاءم مع ظروفها .. لكني أصبحت غير قادر على الارتباط بفتاة غيرها .. وأعدك أني سأحافظ عليها ولن أجعلها حزينة أبدا "

أطرقت إلهام في حيرة ثم قالت في حنق " لا أتوقع أن أروى ستكون بكامل حريتها مع والدتك في نفس الشقة "

رد بهدوء "ومن قال إني أنوي الزواج في شقة والدي ؟!!.. أروى من حقها شقة تخصها .. صحيح أني سأكون قلقا أن تتواجد بمفردها .. لكني سأدبر الأمر وأبحث عن فتاة ترافقها أثناء النهار لا تقلقي بهذا الشأن "

طالعته إلهام باهتمام وسألته " هل تنوي حقا الزواج في شقة منفصلة عن والدتك ؟"

Des. Maryam Tamim

أكد لها "أنا بالفعل حجزت شقة في نفس العمارة في الدور الثالث .. وبدأت في دفع الاقساط والشقة جاهزة لن تحتاج سوي لبعض التعديلات "
شعرت الهام ببعض الراحة وإن كانت لم تتخلى عن قلقها تماما .. قلبها غير مطمئن لعفاف أبدا
فتمتمت باستسلام" يفعل الله ما يريد يا ولدي .. وأرجو ألا تغضب من كلامي "

ابتسم لها عمرو بمودة وتمتم "أطال الله في عمرك يا خالتي "
تنحنحت أروى تقترب بكرسيها فاحمرت أذناه واستقام بتهذيب رجولي يستقبلها بينما قالت إلهام بلهجة ذات مغزى " سأحضر لك شيئا لتشربه "

وتركتهم مسرعة إلى هاتفها لتتصل ببانة .

Des. Maryam Tamim

كانت بانة في شقتها.. فقد تأخرت في الاستيقاظ اليوم لظروفها الشهرية التي جاءتها بأعراض مؤلمة هذا الشهر فلم تستطع النوم طول الليل ..
حتى عندما خرج أحمد في الصباح لم تخرج إليه ولكن أخبرته من خلف باب غرفتها المغلق دائما أنها تحتاج للمزيد من النوم .
وبالرغم من تفهمه لكنه لم يتوقف عن الاتصال بها كل ساعة في إلحاح لمحاولة فهم سبب حالتها وبالطبع خجلت من إخباره .. لكنه لم يرحمها من الاستجوابات عبر الهاتف وهو بالورشة .. هل لديها انفلوانزا ؟ هل ضايقها أحد ؟ .. هل تفوهت آية بشيء سخيف كعادتها؟.. مما زاد من توترها وتقلصاتها . .. وعندما حضر منذ نصف ساعة ردت عليه أيضا من سريرها دون أن تفتح له الباب بأن لديها مغص عادي وتريد المزيد من الراحة .. ولم يخف عليها أنه يذهب ويجيء أمام غرفتها بتوتر طيلة النصف ساعة الماضية .

[1934]

حين اتصلت إلهام ردت عليها بوهن فسألتها بتوتر
" هل عاد أحمد ؟؟؟ "
فردت بانة " أجل من نصف ساعة تقريبا لكنه لا يريد الصعود ليأكل "
ردت إلهام بسرعة "لا لا ... عطليه عندك قليلا يا بانة "
تعجبت بانة وسألت " هل حدث شيء يا أمي ؟!!"
قالت إلهام بهمس " عمرو هنا وأريده أن يتحدث قليلا مع أروى لنعرف رأيها النهائي وأنت تعرفين أحمد وغيرته وفظاظته لن يتركهما في حالهما "

قالت بانة بإرهاق " تمام سأحاول تعطيله قليلا "
اغلقت الهاتف وحاولت التفكير كيف ستعطله وتلكأت قليلا تحاول دفع نفسها للنهوض وفتحت الخزانة تبحث عن ملابس ترتديها .. ثم أجلت ذلك ودخلت الحمام أولا .

Des. Maryam Tamim

حين خرجت من الحمام سمعت أحمد يقول من خلف بابها "سأصعد لأحضر الطعام ونأكل سويا ما دمت لا تريدين الصعود "
جحظت عيناها ونادت عليه "أحمد انتظر "
سمعت باب الشقة يفتح فأسرعت تخرج من غرفتها في رعب وهي تصيح " انتظر يا أحمد أريد أن أخبرك بشيء مهم "
استدار ليسألها عما تريد لكنه تسمر مكانه متسع العينان وفاغر الشفاه بانبهار يثير الشفقة.

لقد كانت بانة من الاعياء وعدم التركيز فلم تلحظ أنها خرجت دون أن تبدل منامتها القصيرة .. القصيرة جدا ..
أغلق الباب بظهره بهدوء ووقف يستند عليه بعد أن انهارت أعصابه وتوهجت عيناه مشدوها يتأمل منامتها الحريرية السوداء ذات الحمالات الرفيعة

Des. Maryam Tamim

تحدد تفاصيلها جيدا ثم تنسدل متسعة قليلا تكاد تلمس الخصر وشورتا قصيرا.. جدا ..
اللون الاسود الحريري مع بشرتها البيضاء وشعرها الذي يتناثر حولها بفوضى عسلية ناعمة أصابته بصعوبة في التنفس وهو يكبح جماح وحوش جائعة انطلقت تعوي وتعربد بداخله .

وقفت أمامه في حالة من التشويش تسند يد على خصرها بينما الأخرى تحك جبينها بارتباك تحاول التركيز في سبب لتعطيله بينما عيناه ترسمانها وتجريان على خطوطها وتفاصيلها بكل جرأة وعشق ويده تقبض على مقبض الباب بقوة حتى يلجم نفسه .
قالت بعد ثواني" كنت أريدك أن تحضر لي حبوبا مسكنة للألم من الصيدلية "
صمت قليلا يحاول استيعاب ما قالته وسط كم الانفعالات التي يصارعها بداخله ثم خرج صوته

Des. Maryam Tamim

مبحوحا يقول "ألم تخبريني منذ قليل أنك بالفعل أخذتي حبة مسكن؟!"
ردت بارتباك " بالفعل أخذت واحدة لكني أريد نوعا أقوى فهذا النوع لم يفعل شيئا "
أدرك أنها لم تكتشف الأمر بعد.. وود أن يماطلها للأبد لتبقى أمامه بهذه الهيئة المذهلة الحارقة .. لكنه لم يستطع التحكم في أعصابه أكثر من ذلك وأوشك أن ينفجر كقنبلة موقوتة لا يعرف بعدها كيف يلملم شظاياه .
فخرج صوته المبحوح يقول باستنكار " هل تنامين بهذه الهيئة كل ليلة يا بانة ..وأنا ملقى في الغرفة الأخرى كجوال من الدقيق ؟!!"

نظرت إليه في عدم فهم وذهنها مستمر في التفكير في خطة محكمة لتعطيله .
فصاح فيها بصرامة" هل تنتظرنا ليلة ساخنة أم ماذا يا بنت الناس ؟؟"

[1938]

انقشع التشويش من ذهنها تدريجيا فشفهت وأطلقت صرخة مرتعبة لتسرع نحو غرفتها وهي تغطي صدر المنامة بكفيها .

لكنها سمعت صوت مقبض الباب فتحركت خطوتين عائدة إليه تصيح " انتظر يا أحمد لا تذهب الآن أرجوك "

رد بعصبية " لابد أن أخرج فورا ..وأرسلي اسم الدواء على الواتساب "

ارتبكت أكثر لا تعرف ماذا تفعل .. فتشجعت وجرت إليه تعطله عن الخروج غير عابئة بمنظرها ..

راقب قدميها الحافيتين على السجادة آتيتان نحوه وبمجرد أن اقتربت أمسكها من خصرها يلصقها بالحائط بعنف .. وقد تحرك طرف بلوزتها قليلا لتصبح يديه على خصرها العاري.. فهدر فيها بغضب وهو يغرز أصابعه بقوة في لحم خصرها

Des. Maryam Tamim

مقاوما جحيم اشتعال أعصابه " بانة .. هل تدركين حجم العذاب الذي أعانيه في هذه اللحظة؟؟؟؟"
كسى وجهها الألم .. ألم معنوي بسببه وألم جسدي لأصابعه التي يغرزها في لحمها وتقلصات بطنها التي اشتدت عليها فرددت بهمس متألم" قليلا "

رد عليها بلهجة عتاب " وهل هذا القليل ليس بكافي لأن تشفقي على حالي وتدركي أنه مهما كان حجم الكارثة التي تتعمدين تعطيلي بسببها والتي هي غالبا تتعلق بإحدى الفتاتين لا تستحق أن تعذبيني بدم بارد بهذه الطريقة !!"

أطرقت تقاوم رغبة ملحة في البكاء وتمتمت "آسفة جدا "
ملامحها المتألمة عذبته..
واعتذارها مزق قلبه..

[1940]

فانحنى يسند جبينه على كتفها وتمتم بعذاب "
قلنا لا تعتذري يا بانة أرجوك "
استمر على وقفته جيبنه مسندا على كتفها لثواني
ثم سحب نفسا عميقا يحاول السيطرة على
أعصابه وعلى وحوشه التي تلعب به ..واستحضر في
ذهنه منظرها في اللوحة المؤلمة التي رسمها تلك
الليلة وقال بخفوت " سأعد وعند ثلاثة سأرفع
يدي وستنطلقين فورا نحو الغرفة دون ان تنظري
خلفك "
عند ثلاثة رفع يده وأسرعت منفذة ما طلبه بينما
خرج هو وأغلق الباب بعنف .
على السلم توقف قليلا وأسند جبينه على الحائط
يحاول لملمة أعصابه وهو يشجع نفسه بهمس
"أحسنت يا كونت .. لن تكون أقل منها قوة في
مواجهة اللحظات الصعبة .. ولن تؤذيها كما وعدت
نفسك . (مارس قليلا من تمارين التنفس وهو
يتمتم) العون من عندك يا الله ".

[1941]

قبل قليل في شقة العائلة :

طالعها عمرو قليلا بمليء عينيه قبل أن يجبر نفسه على كسر نظره لتكون نظرة طبيعية يوجهها بأدب لكل النساء .

قال ببعض المرح يداري حرجه ولا يعلم أن أذناه تفضحانه كالعادة " كيف حالك آنسة أروى؟"

ردت أروى بابتسامة تداري ارتباكها هي الأخرى " بخير باشمهندس عمرو تفضل "

أشارت نحو الأريكة في الصالة وسبقته إليها.. فتبعها لكنه كان من التوتر بالقدر الذي لم يستطع الجلوس باسترخاء .. فسند على يد إحدى الأرائك يحاول إيجاد الكلمات التي عادة تهرب منه في حضرتها .. ولم يغفل عن خاتمه الذي مازالت ترتديه في إصبعها الوسطى .. فانتفخت أوداجه في

[1942]

غرور ذكوري منتشي .. وقال بهدوء" تبدين مجهدة .. هل القرار صعب الى هذه الدرجة ؟"
ردت بابتسامة محرجة " لا تطاوعني نفسي لتحميلك فوق طاقتك "
قال ببعض السخرية "ومن أين تعلمين حجم طاقتي يا أنسة أروى لتقرري أنه فوق احتمالي؟!"

صمتت تقبض على قماش عباءتها بخجل فتمتم بعد قليل" يبدو أنه قدري .. وعليّ أن أتقبله"
رفعت إليه عينيها البندقيتين في استفهام فقال هامسا بلؤم "أن تبالغ النساء في حياتي في حبي وحمايتي"
اشاحت بوجهها تتحكم في ابتسامة خجلة .. وهي تعترف لنفسها أنه يبدو وسيما أكثر من قدرتها على التحمل حين يتخلى عن قناع التحفظ ويفك عقدة حاجبيه فتسترخي ملامحه.

[1943]

جاءها صوت ضحكته الصبيانية خافتة تعزف على أوتار قلبها فعادت تتأمله وهي تفكر هل شعوره نحوها بهذا العمق الذي يجعله يسقط أمامها قناعه المتحفظ؟! .. إنها تعلم جيدا أنه يداري خجله الفطري خلف الوجه المتجهم ليظهر بمظهر خشن ورجولي أكثر .

قاطع شرودها حين لاطفها يقول " أخشى أن نرزق بأنثى .. وقتها ماذا سأفعل مع ثلاث إناث في حياتي ؟"

اشتعلت وجنتيها من نطقه للجملة الأخيرة بصيغة الجمع وتمتمت بسخرية لتداري خجلها "أرى غرورا ذكوريا يلوح في الأفق "

كان دوره هذه المرة ليشيح بوجهه عنها يداري ابتسامه محرجة ويقول" من حقي أن أغتر.. فأنت لا تدركين كيف أهدتني السماء بما لم أتوقع أن أحظى به يوما (تنحنح بعدها في حرج والحرارة

[1944]

تدب في جسده وقال بعد أن ارتدى قناع التحفظ مجددا) أروى .. أسرعي قليلا في قرارك .. فهذا التباسط بيننا في الحديث غير سليم دون ارتباط رسمي "

قالت بصوت متأثر" شكرا على الورد والشكولاتة والبطاقة كانوا مذهلين "

فأشاح بنظره قليلا يحك أرنبة أنفه وغمغم " نبذل قصارى جهدنا لإسعادك آنسة أروى فقط لنحظى بالرضا"

"ما الذي يحدث هنا !!!!! "

أفزعهم صوت أحمد الذي دخل من باب الشقة فجأة يطالعهم ببرود ويديه في جيبه ..فرد عمرو بنفس البرود " جئت للحديث مع أروى"

قال أحمد باستهجان " هكذا... دون استئذاني !!"

[1945]

رد عمرو باستخفاف " استأذنت عمي الحاج سماحة "

زفر أحمد وجلس على الأريكة واضعا ساقا فوق الأخرى في عنجهية يحدق فيهما بصمت

..فاستغفر عمرو الله في غيظ بينما دخلت بانة مسرعة ترتدي عباءة وحجابا.. ليتوتر أحمد قليلا متسائلا في سره هل من الممكن أن تكون قد ارتدت هذه العباءة فوق تلك المنامة السوداء المؤذية ؟!!!!.

ألقت بانة السلام ثم نظرت لأحمد الذي طالعها بنظرات غاضبة آلمتها وقالت " أحمد تعال من فضلك أريدك قليلا "

حدجها بنظرة باردة ثم قال " سنتحدث لاحقا لدينا ضيوف ومن غير اللائق تركهم بمفردهم "

دخلت إلهام بصينية فوقها كأسين من العصير وبعض الحلويات فاستقام عمرو بأدب يأخذ منها

Des. Maryam Tamim

الصينية ويتمتم بعبارات الشكر بينما قالت وهي تنظر لأحمد بغيظ "اتركيه يا بانة لله الأمر من قبل ومن بعد "

رد أحمد وهو يستقيم ويأخذ واحدا من كأسي العصير " سلمت يدك يا غالية ".

نظرت إليه أمه شذرا .. ثم عادت إلى الداخل وتبعتها بانة التي اشتد عليها الألم أكثر .

عم الصمت وتطلعت أروى لأحمد تبتسم لصبيانيته فأهداها نظرة دافئة ولم يخفى عليه السعادة التي تتراقص في عينيها .. ثم قال بعد قليل بلهجة مستفزة "أرى أن الحديث متوقف "

قال عمرو بغيظ " نسيت ما كنت أرغب في قوله للأسف "

فاستقام أحمد وهو يقول" إذن ما دمت قد انتهيت من الحديث دعني أرافقك حتى باب الشقة "

Des. Maryam Tamim



افلتت ضحكة مكتومة من أروى دغدغت مشاعر عمرو المتخفي خلف قناعه المتحفظ لكن صاحبه الذي يحفظه عن ظهر قلب ألتقط تأثيرها عليه بسهولة فمط شفتيه بامتعاض .

هتف أحمد فجأة وقد تذكر شيئا " كدت أنسى .. انتظر قليلا (واتجه ناحية باب الشقة ثم استدار يقول بلهجة تحذيرية) لا تتحدثا حتى أعود "

بعد أن اختفى قال عمرو بغيظ " أنت السبب يا أروى فيما يفعله بنا هذا المتعجرف "
أهدته ابتسامتها المليحة ثم سألته فجأة" وما هو رأي والدتك ؟"
توترت ملامحه قليلا ورد باقتضاب " أعطتني موافقتها "
فأكملت أروى " لكن على مضض أليس كذلك ؟"

[1948]



قال عمرو بتأثر" ألا أستحق منك أن تتحملي هذا الأمر من أجلي يا أروى ؟"

دخل أحمد مرة أخرى فلم تستطع أروى الرد عليه ليناول عمرو كيسا.. ففتحه الأخير في تساؤل وأخرج منه شيئا ثم جحظت عيناه في هلع .

كان بالكيس سترة عمرو التي أعطاها لأروى ليلة زفاف أحمد لكنها كانت ممزقة لشرائط طولية متساوية وكل شريط بلون فبدت كسترة بهلوان كثيرة الألوان ومضحكة.
اشتعل الغضب في عيني عمرو وأمسك في تلابيب أحمد الذي يطالعه بنظرة تشفي وقال من بين أسنانه "هل تعلم ثمن هذه السترة التي تلهو بها ؟؟؟.. من الواضح أني سأفقد صبري معك ."

Des. Maryam Tamim

فجأة انسحبت أروى بكرسيها نحو الداخل فانتبها وتبادلا النظرات بتساؤل ..
نادى عليها أحمد فلم ترد .. فلحقها قبل أن تصل لغرفتها بينما وقف عمرو في الصالة بقلق يشاهد من بعيد وود لو يستطيع أن يذهب وراءها .

جلس أحمد على كعبيه أمامها وهي مولية ظهرها لعمرو يسألها عما حدث فأشارت له بيدها تقاوم البكاء .. غير أن الدموع تدفقت رغما عنها فغمغمت بحرج " دعني أذهب يا أحمد أبدو تافهة وفي حالة مزرية "
قال يلاطفها متصنعا السخرية " لا تخافي عمرو منا.. وعليه أن يدرك حقيقتك دون غش ".

استمرت الدموع تتدفق من عينيها وهي تشعر بالحرج الشديد .. فأخذ أحمد برأسها إلى صدره

Des. Maryam Tamim

لتهدأ وهو يقول " هل أغضبتك بما فعتله في السترة ؟"
جاء صوت عمرو الملتزم بوقفته البعيدة يطمئنها بصوت متأثر " إنه مزاحا خشنا ليس إلا يا أروى .. وأنا سأنتقم منه أشد انتقام وسيدفع ثمنها مضاعفا حتى ينضج .. ويرحمنا من جنونه."
همهمت تقول " أعلم أنكما تمزحان لكن منظر السترة ممزقة أزعجني لا أعرف لماذا "..

تمتم أحمد بتأثر " أنا آسف أنا لم أحسب حسابك وأنا أفعل ذلك .. يبدو أن عليّ أن أنتبه منذ الآن للأمور التي ستكونين طرفا ثالثا فيها "
مسحت دموعها وتمتمت بحرج شديد " أنا آسفة لا أعرف ماذا حدث لي .. أعرف أنكما تمزحان صدقني "
صاح أحمد ساخرا" أحضر لنا سترة أخرى تخصك يا شيخ عمرو .. لدينا حالة انسانية هنا "

Des. Maryam Tamim

ضربته أروى في صدره بحرج فارتد للخلف قليلا لتتحرك نحو غرفتها بينما هتف عمرو بصوت عال تكسوه الفرحة " طلباتها أوامر الست أروى سأحضرها حينما آتي مع والدتي في زيارة رسمية إن شاء الله ."

***

تحكم سيد في انفعالاته وهو يدخل الفيلا المدججة بالحرس الذين منعوه من الدخول .. قبضته تلح عليه لأن يشهرها في وجوههم .. ويسحقهم في مجزرة ستكون وليمة ملائمة لمشاعر الغضب التي تحرقه حاليا .. لكنه بات يلجم الشخص الهمجي الذي يسكنه ليكون أكثر تعقلا بعد أن بدأ يصنع لنفسه كيانا مستقلا .. خاصة أن المجال الذي يعمل به .. كثير الشائعات واقتناص الهفوات وتضخيمها .. وظلت نصيحة أصحابه ترن في أذنه حين أبلغهم بما سمعه من

Des. Maryam Tamim

بسمة ألا يتهور أو يفقد أعصابه مع خليل حتى لا يخسر ما كسبه خلال العامين الماضيين .

هدر في الحارس بقوة وهو يأمره بفتح البوابة لكن الحارس رفض وأخبره أن خليل ليس موجود واستعرض صدره .. فرمقه سيد بنظرة مخيفة واستعرض صدره هو الأخر يحاول إخافته .. بلغة يفهمونها فيما بينهم .
حين أصر الحرس على أن خليل ليس موجودا طلب أن يقابل شربات .. وبعد بعض من التردد تكلم الحارس في الإنتركم يبلغهم برغبة سيد .. بعدها فُتحت البوابة ودخل سيد.. ولم يغفل عن ذلك الشعور الخانق الذي انتابه بمجرد أن دلف من بوابة فيلا خليل صبرة .

في الداخل تحركت شربات تعدل من ثيابها أمام المرآة والبنطال الملتصق بتفاصيلها المتكتلة وتلك

Des. Maryam Tamim

البلوزة القصيرة جدا ذات فتحة الصدر الكبيرة ..
وألقت نظرة سريعة على لون شعرها الجديد
وقصته العصرية وتأكدت أن العدسات اللاصقة
ذات اللون الفيروزي تضفي عليها كما اعتقدت
مظهرا أقل عمرا .. وخرجت متبخترة ..

في الممر فتح خليل باب مكتبه وهمس لها بغيظ
"ماذا تفعلين يا امرأة .. لماذا ستقابلينه ؟؟!!"
حركت شربات كتفيها بلا مبالاة وقالت " ولمَ أنكر
نفسي منه أنا لا أخشاه مثلك .. كما أنه طلب أن
يقابلني "
قال خليل باستنكار بعدما جز على أسنانه
المعدنية" أنا لا أخشاه !!! "
أطلقت شربات ضحكة رقيعة ساخرة وقالت " لا
تخشاه !!.. كلما حضر تتحجج بعدم وجودك
وتختبئ كالفأر في ركن .. ولا تمشي بدون الحرس
أبدا .. ومنذ أن هربت تلك الفتاة شددت الحراسة

Des. Maryam Tamim

من حولك بكل جبن تحسبا لأن يأتي فيزهق روحك .. بدلا من أن تبحث عنها "

قال لها بقرف "ومن مسئول عن هرب الفتاة ؟ ألم تهرب من معاملتك السيئة لها ومعاملتها كخادمة؟!"

تخصرت شربات فترجرجت تكتلاتها في ملابسها الضيقة وردت تقارعه" البنت كانت مطيعة ولم تفتح فمها ما دمنا تركناها لتدرس .. وكانت توفر عليّ تدلل الخادمات ومشاكلهن .. لكنها هربت بسببك لأنها علمت بخطتك في تزويجها لشريكك المتصابي الذي يكبرها بأكثر من أربعين عاما .. لن تتوب أبدا عن الدناءة .. اتمنى أن يتهور ويخلصنا منك"

اشتغل الغضب في عينيه الصغيرتين الحادتين وأمسك ذراعها يلويه وهو يهددها " إياك أن تخبريه سأقطع رقبتك "

[1955]

خلصت ذراعها منه بعنف وقالت بقرف" حسنا يا جبان لن أخبره حتى لا يأكلك حيا وأنت لم يتبقى فيك إلا نفخة "

تركته وتحركت نحو السلم المؤدي للبهو فعلا صوته خلفها يقول "حسنا يا شريات سنتحاسب فيما بعد "

ثم استدرك في رعب وكتم فمه خوفا من أن يعلم سيد بوجوده .. فوصله ردها بليغا حين قذفته بضحكة مائعة ساخرة ..

ليتحرك بعدها إلى غرفته ومغلقا الباب جيدا ثم يتصل بالحرس أن يخبروه عندنا يخرج من البوابة.. ويشدد عليهم ألا يسمحوا له بالدخول للفيلا مهما حصل .

خرجت شريات إليه ووقفت متخصرة تمط شفتيها المطليتين كمنقار بطة .. فحدجها سيد بنظرة مستنكرة .. ولولا ذلك الإحساس بالقرف الذي

Des. Maryam Tamim

ينتابه لا شعوريا كلما رآها ربما لم يكن ليتعرف عليها بهذا المنظر الذي زادها قماءة .

قال لها ساخرا " بدأت الأموال التي تقتنصيها من ذلك البخيل تظهر عليك يا زوجة خليل "

ردت عليه ترفع حاجبا يتلاعب مع كلامها " ما هذا الأدب .. طيلة عمرك كنت متوحشا وتصر أن تناديني بـ (شريات) فقط "

ضحك ضحكة باردة خشنة ثم رد عليها بملامح جادة " أحاول هذه الأيام أن أكون مهذبا مع من هن فوق الستين .. حتى لو كُن لا تستحقين الأدب"

ضحكت ضحكة قميئة وقالت "وماذا كنا استفدنا من وقاحتك لنستفيد من أدبك الآن .. أم إنك تتواقح مع ما يدخل مزاجك فقط "

ما كان ينويه من عدم استخدام العنف تبخر وانفلتت أعصابه ليمسك بشعرها بقوة ..فأطلقت صرخة قصيرة ونظرت إليه بتحدي ممزوج باستمتاع غامض .. بينما هدر فيها بعينين تشتعلان

[1957]

بالغضب "كنت أحدث نفسي أن الرجل لا يضرب امرأة مهما كانت مستفزة.. لكن يبدو أنك ستكونين استثناء لهذه القاعدة .. اسمعيني جيدا .. الكلام القذر الذي ملأت به رأس زوجتي عن آية سماحة لو تكرر قسما بالله سأجعلك تندمين أن عرفتي يوما شخص أسمه سيد .. فكلانا يعلم جيدا من تشمله القذارة من رأسه حتى أخمص قدميه .. .. أكرر كلامي.. لو نطقت باسم آية سماحة حتى في سرك لن يخلصك مني أحد .. وإياك والتحدث مع بسمة مجددا .. هل فهمت "

لمعت عينيها بغموض وقالت وهي تلمس صدره "ها عدت خشنا وقحا عنيفا كما أنت دائما "
هب فيها بصوت أيقظ الطيور النائمة فوق اشجار الحديقة فأوقف قلبها من الرعب وهو يترك شعرها ويزيح يدها بعنف " أنزلي يدك يا شريات وإياك ولمسي مرة أخرى "

[1958]

طالعته برعب فشملها بنظرة متقززة وتركها ليغادر .. فدلكت شعرها المتألم ولحقته بصوتها تقول " لم تسألني عن الفتاة التي هربت "

رد بقرف دون أن يستدير إليها " لن أهدر وقتي معك .. أعلم أنك لن تمنحيني شيئا مفيدا عنها "

كسى وجهها ملامح غامضة وهي تراقب ضخامته المبتعدة.. ثم ضحكت ضحكة ساخرة مستمتعة.

بمجرد أن وصل لسيارته الواقفة خارج البوابة سمع بعض الهسهسة فتطلع لمصدرها ليجد فتاة صغيرة تميل للامتلاء تشير له من فوق سور الفيلا. . فرفع حاجبا متعجبا وسألها بخشونة "ماذا تريدين؟"

ردت باستخفاف " ماذا تعتقد؟ .. أريد الكلام معك طبعا .. هل تعتقد أني أجلس فوق السور اصطاد سمك مثلا !"

ضيق عينيه وتكتف يقول "اذكرك أنت ذات اللسان الطويل ... وردة "

[1959]

ردت باستخفاف " زهرة يا خفيف .. كيف تكون أخي ولا تعرف اسمي !!!"
ردد سيد باستنكار " خفيف !! (ثم تخصر وقال بحزم) بنت .. تأدبي .. كم أصبح عمرك ؟"

اعتدلت على السور ووضعت ساقا فوق الأخرى فظهرت ركبتيها السمينتين من تحت فستانها القصير وردت "بكبرياء ثمانية أعوام "
قال بامتعاض " ألا ترين أن فارق سبعة وعشرين عاما بيننا كافية لأن تدعيني يا (أبيه) وليس يا (خفيف).. يا (أبنة خليل وشربات) !"
حدجته بنظرة ممتعضة وردت بسخرية " أنت حقا تافه .. وتدقق على أمور ليست مهمة .. يا أبيه الخفيف ."
اتسعت عيناه ورد بحزم رغم أنها لمست قلبه "احفظي لسانك يا زهرة الفجل أنت .. واحترمي أخاك الكبير "

[1960]

ردت بامتعاض "جميل تذكر إذن ما كنت تناديني
به أخر مرة كنت فيها هنا منذ عامين "
سألها بتشكك " هل كنت أناديك بزهرة الفجل
وقتها أيضا ؟!"
نظرت زهرة إليه شذرا وأومأت بامتعاض .. فابتسم
سيد وقد رق قلبه لها.. فقال يشاكسها
" غريب !.. رغم أني لا أذكرك أصلا ! "

هدرت فيه موبخة فارتد للخلف متصنعا الدهشة
حين قالت " هل ستبهرنا الليل بطوله بظرافتك ؟..
خلصني هذه الجلسة على السور تؤلم مؤخرتي "

اتسعت عيناه وكتم ضحكة ملحة ثم اقترب من
السور يقول "إذن انزلي من على السور قبل أن تدق
عنقك يا زهرة اليقطين أنت " وقبل أن تعترض كان
يحملها من تحت إبطيها ليجلسها على مقدمة
سيارته .

[1961]

سوت فستانها القصير ثم سألته بفضول " ما هو اليقطين ؟ هل هو شيء جميل ؟؟."
تطلع إليها مستمتعا ثم رد بإغاظة " توصلي لتلك الإجابة بنفسك "
قالت بجدية " لا بأس سأبحث أنا عن هذا اليقطين المهم .." ثم كسى وجهها الحزن وأكملت " هل ستبحث عن رحمة؟ .. أم ستفعل مثلهم ؟ .. الكل هنا غير مهتم برحيلها.. والحقيقة أنا لا أستوعب .. فإن كانت أمي لم تهتم لأنها ليست ابنتها وأبي أيضا كعادته لم تهتز له شعرة ..فأخواتي البنات كل منهن في عالمها ولا تهتم .. اشعر بالقلق الشديد يا أبيه الخفيف .. "

سألها سيد بتأثر "هل عانت في بيت خليل ؟"
ردت زهرة بامتعاض" ومن لا يعاني عندنا .. لكن المسكينة تعذبت كثيرا أمي كانت تعاملها كخادمة وهي كانت مطيعة جدا ومتحملة رغم كل شيء من

Des. Maryam Tamim

أجل استكمال دراستها .. لكن حين علمت أن خليل ينوي تزويجها من الجد عطية شريكه هربت " جز سيد على أسنانه وشتم في سره ثم مال على زهرة وقال" هل تستطيعي التخمين أين من الممكن أن أجدها ؟ أنا رابطت أمام كليتها اليوم منذ الصباح لم ألمحها ؟"

حركت زهرة كتفيها وردت " لا أعرف يا أبيه الخفيف "

هدر بحزم " بنت! .. اسمي أبيه سيد " نظرت له بامتعاض وقالت " ألم أقل لك أنك تتمسك بأشياء تافهة .. حسنا يا أبيه سيد (الخفيف)"

أشهر قبضه أمامها .. فزمت شفتيها .. لينزلها بعد ذلك من فوق مقدمة السيارة ويطلب منها أن تدخل الفيلا وهو يوصيها أن تخبره إذا ما تذكرت أي شيء عن رحمة يمكن أن يستدل به عن مكانها .

[1963]

فأخرجت زهرة هاتفا من جيبا .. ليرفع سيد حاجبه باندهاش .. فقالت " سجل لي رقمك اذن لأحدثك "

تكتف ورد " سجليه أنت " ..
وأخبرها بالرقم
طلبت الرقم فرن في جيب سيد فقالت " وهذا رقمي .. خذ اكتب اسمك بجانب الرقم "
سألها بسخرية " ولماذا اكتب لك اسمي ألا تستطيعين كتابته بنفسك "
تنحنحت قليلا ثم ردت بمراوغة " لا أرى في الظلام " فشك في أنها لا تعرف الكتابة .. ليأخذ منها الهاتف ويكتب اسمه ..
قبل أن يركب سيارته نادى عليها فالتفتت إليه ليشير لها أن تقترب .. ثم مال بجزعه ينظر في عينيها يقول بحزم شديد " إياك ولبس فستان قصير كهذا مرة أخرى .. وإذا اضطررت لذلك فارتدي تلك البناطيل الخفيفة التي ترتديها الفتيات

[1964]

تحت ملابسهن .. هل تفهمين يا زهرة اليقطين ؟ ..
إذا وجدتك يوما بملابس قصيرة سأصنع منك
مروحة سقف "
وقفت أمامه تحدق فيه بكبرياء.. فزمجر ببعض
الحزم .. لتمط شفتيها وتقول وهي مغادرة " أعدك
.. أن أفكر في الأمر "
***
بعد أن غادر عمرو دخل أحمد ليسأل والدته " أين
بانة ؟ .. كنت أعتقد أنها هنا في المطبخ أو معك في
غرفتك "
ردت إلهام "إنها تستريح قليلا في غرفتك "
سألها بقلق" ما بها يا أمي أخبريني إنها ترفض
الذهاب للطبيب "
ابتسمت وربتت على صدره "لا تقلق يا حبيبي انها
الظروف الشهرية تبدو شديدة معها هذه المرة"

Des. Maryam Tamim

لاح عليه علامات الفهم أخيرا ثم قال بقلق" ألا يجب أن نعرضها على الطبيب مادامت متعبة إلى هذا الحد "

قالت إلهام مطمئنة " أخذت حبة مسكن قوية من أروى وبمجرد أن تنام قليلا ستتحسن.. يبدو أنها مشدودة الأعصاب لهذا آلامها شديدة "

أطرق برأسه في قلق وحزن .. بينما صبت إلهام كوبا من الاعشاب وناولته وهي تقول " اذهب إليها يا حبيبي هذا سيساعدها إن شاء الله وأنت عليك باقي المهمة "

رفع حاجبه بتسلي وسأل " كيف؟"

ضحكت بحرج وقالت " في هذه الأوقات تحتاج المرأة لكثير من الاحتواء والعاطفة والتدليل"

لمعت عيناه باهتمام ثم قال بشقاوة وهو يأخذ منها الكوب بحماس " حقا ! .. وأنا لن أرفض لك طلبا يا ست الحبايب يا غالية "

[1966]

ثم أسرع إلى غرفته بينما إلهام تكتم ضحكتها ثم رفعت عينيها للسماء تتمتم " يا رب "

دخل أحمد على بانة المتكومة على جنبها والتي استقامت تقول " آسفة أتعبتك يا أم... "
بترت عبارتها عندما وجدت أحمد الذي اقترب منها يقول بشقاوة " أمي تقول اشربي هذا .. وطلبت مني أن أقبّلك كثيرا حتى يضيع الوجع "
صمتت قليلا تنظر إليه ثم ..
انفجرت في البكاء ..
وضع الكوب وأسرع إليها يقول في هلع " بانة ماذا حدث !!.. أنا كنت أمزح "
ردت من بين دموعها وهي تشهق بتقطع "حسبتك تخاصمني " .
ثم عادت للبكاء مجددا .

[1967]

أحاط بكتفيها واحتضن رأسها في صدره وهو يشعر بالغرابة من هذا المزاج المتوتر وقال بصوت حنون
" لماذا يا بانة سأخاصمك؟!!"
تشبثت بملابسه وقالت وهي تدفن وجهها في صدره " لأني أعذبك كثيرا بدلا من أن أسعدك"

قبل أن يرد وضعت يدها على بطنها في موجة ألم أخرى ..فقال بقلق "تسطحي يا بانة واسترخي قليلا وكفي عن التشنج "
تكومت على جنبها توليه ظهرها في ألم وقد لاحظ منذ دخوله أنها خلعت العباءة التي حضرت بها وترتدي ملابس بيتية مريحة .. بنطالا قطنيا وبلوزة فضفاضة .. فلم يعرف هل عليه أن يشعر بالراحة أم بالإحباط لتبديلها المنامة السوداء المعذبة.
أضاء المصباح الجانبي وأطفأ ضوء الغرفة وهو يقول بصوت خافت "إهدئي يا بانة ولا تشدي على أعصابك "

[1968]

تحرك ليحضر غطاء خفيفا من الخزانة وعاد يفرده عليها حتى تسترخي دون خجل ثم استلقى خلفها على السرير يمسح على شعرها قليلا .

بعد دقائق مد كفه تحت الغطاء يضعه على بطنها فشعر بها تتشنج للحظة ثم عادت للاسترخاء مرة أخرى فأسعده ذلك كثيرا ..وأخذ يدلك بطنها برفق وهو يهمس" أنا لا أخاصمك يا بانة .. أنا غضبت قليلا وانتهى الأمر"

قالت وهي مغمضة العينين وتشهق شهقات متقطعة " بل أنا أسوأ زوجة وأسوأ حبيبة وأسوأ ابنة "

أطلق ضحكة خافته واحتضنها من الخلف ثم قال " ما شاء الله ! .. مزاج سوداوي بامتياز كفيل بحرق البشرية جمعاء "

مسح على شعرها يبعده عن جبينها ثم حاول أن يستفزها لتتخلى عن هذا المزاج" هل تعتقدي أن

[1969]

أسوأ الكوارث الإنسانية التي حدثت في التاريخ كانت بسبب امرأة مشحونة بالعواطف السلبية اثناء ظروفها الشهرية ؟"

ردت وهي مغمضة العينين وقد بدت على وشك النعاس " بل بسبب رجل قاسي مختل عقليا لا يعرف الإنسانية أصلا .. نحن نكتم مشاعرنا للداخل فتدمرنا وأنتم تخرجونها فتدمرون من حولكم . "

رنت ضحكته الخافتة بجوار أذنها فساعدتها أكثر على الاسترخاء وهي تحلق في رائحة عطره .. بينما همس أحمد بجوار أذنها " كان معكم بانة الخازن في برنامج (الرجل أصل الشرور والآثام على وجه البسيطة) " ..

لاحت ابتسامة ضعيفة على وجهها وارتعشت في خدر حين شعرت بشفتيه تطبعان قبلة متأنية على رقبتها ومتزامنة مع شعور آخر بالدفء سرى

[1970]

بداخلها للمساته الرقيقة على بطنها وذراعها وشعرها .. فاستسلمت بعد قليل للنوم العميق .
حين انتظمت أنفاسها واسترخت تماما تأكد أنها نامت أخير لكنه لم يقو على الحركة .. كيف والفرصة قد أتت أخيرا ليأنس ببعض من دفئها وتستنشق أنفه رائحتها المسكرة !!.
طبع قبلة أخرى أعمق على رقبتها ثم سحب الطوق المطاط الذي تعقد به شعرها برفق لتنسدل تدفقات العسل أمامه .. وشدد بعدها ذراعه حولها يلصق ظهرها بصدره ويدفن وجهه في خصلات شعرها ذائبا في رائحتها.

***

في الخن قال سيد وهو يغلق الهاتف " أحمد لا يرد "

رد عمرو " أخبرني أنه سيسهر معنا الليلة (ثم أكمل ما كان يقوله قبل قليل) إذن أنت بحثت في المدينة التي تربت فيها قبل أن تأتي إلى هنا؟ "

[1971]

رد سيد بوجوم " أجل هذا أول ما فعلته حين علمت أنها هربت .. ذهبت لعنوانها القديم ولم أتوصل لشيء .. شقة زوج والدتها باعها الورثة .. وتركت رقم هاتفي مع أكثر من شخص هناك إذا ما ظهرت "

لاح التعاطف على وجه وائل وتمتم " لدينا بانة أخرى .. لكن ترى هل ستصمد مثل بانتنا حتى نجدها أم لا "

فرك سيد قبضته في قلق .. على الرغم من أنه قد لا يشعر تجاهها حاليا بأي عاطفة سوى عاطفة انسانية بحتة هي ما تحركه للبحث عنها بالإضافة لشعور بالمسئولية الفطرية كونه أخاها الأكبر .. إلا أنه يعترف أنه يشعر بالقلق والشفقة عليها .

تمتم عمرو بتركيز وهو يكتب على هاتفه " دعنا نمارس عصفا ذهنيا ونسجل كل التخمينات عن

[1972]

مكانها ونقسم المهام .. ونبدأ من الغد وبإذن الله سنجدها "

تطلع إليه سيد ممتنا وبدأوا التفكير في أماكن قد تكون ذهبت إليها .

رن جرس هاتفه فوجد رقم زهرة التي بادرت بمجرد أن فتح الخط تسأل بعفوية " هل أنت أبيه سيد الخفيف ؟"

جز على أسنانه ورد " بل أبيه سيد العنيف الذي سيصنع منك مضربا للذباب "

سألته ببرود " حيرتني .. ستصنع مني مروحة سقف أم مضربا للذباب ؟"

قال بعصبية تكلمي" يا زهرة بما تريدين وكفى ظُرفا "

ردت بهدوء " أرأيت .. أنت تدقق على أشياء تافهة "

نظر سيد للسقف وتمتم " الصبر من عندك يا رب"

[1973]



علت الابتسامة وجهي صاحبيه بينما قال سيد بغيظ " لماذا اتصلت يا زهرة في هذا الوقت ؟"
ردت ببرود " لا تنفعل سأتكلم .. تذكرت أن لها صديقة تدعى هيام تعمل في مصنع قريب من هنا للتعبئة والتغليف وقد سمعتها في الفترة الأخيرة تتحدث معها عن العمل والمرتبات وأشياء أخرى لم أفهمها "
سألها سيد باهتمام " وهل تعرفين اسم أبا هيام تلك أو كنيتها "
ردت بحنق" هل تعتقد أني سأستطيع من خلال دقيقتين سمعت فيهما المكالمة بالصدفة وأنا أخبئ في غرفتها الشكولاتة التي اسرقها من البنات عن اسم وسن الفتاة التي تتحدث معها وعنوانها وما إلى ذلك ؟!!!"
تحكم سيد في ابتسامة ملحة ثم سألها بحزم "هل كنت تسرقين الشكولاتة وتخبئينها في غرفة المسكينة ؟!!!"

[1974]



ردت ببرود " أرأيت أنك تدقق على الأشياء التافهة ؟؟"

زفر وقال باستسلام " حسنا يا صاحبة اللسان الطويل الذي سيسعدني قصه .. هل هناك أشياء أخرى تذكرينها ؟"

صمتت قليلا ثم أجابت بلا .

فقال سيد ينهي المكالمة " شكرا لك زهرة على هذه المعلومة أتمنى أن توصلنا لشيء "

فقالت له بسرعة قبل أن يغلق الخط " هل ستخبرني إذن ما هو اليقطين ؟"

رد بتسلي قبل أن يغلق الخط " قلت لك عليك معرفة الإجابة بنفسك"

ثم تلاشت ابتسامته وهو يبحث في ذاكرته عن مصنع للتغليف والتعبئة قريبا من المنطقة .

***

بعد منتصف الليل فتحت بانة عينيها بإرهاق ثم بدأت تستوعب رائحته المسكرة .. قبل أن تنتبه

[1975]

لذراعه الثقيلة التي تحيط بخصرها ولدفء جسده خلفها .
اشتعلت وجنتاها وحاولت رفع ذراعه بهدوء حتى لا يستيقظ .
ثم تسللت من السرير بخفة واستدارت تتأمله وهو غارق في النوم بملامحه المنحوتة بوسامة .

ذهبت إلى الحمام ثم توجهت نحو الثلاجة في حالة جوع شديد وقامت بعمل عددا من الساندويتشات وافترشت الأرض في المطبخ تأكل بنهم واستمتاع..

بعد دقائق دخلت آية في حالة فوضوية ترتدي شورتا وبلوزة فضفاضة بفتحة رقبة واسعة تسقط على أحد كتفيها فتكشفه .
أما شعرها الملفوف فبدى مختلفا تماما .. أصبح بنيا مفرودا باستقامة أبرزت نعومته وطوله أكثر ..
كانت آية تمشي برتابة وبطء كالمصابين بمرض

[1976]

(السير أثناء النوم) مطرقة الرأس كشبح فتدلى شعرها ليغطي وجهها .

تأملتها بانة باندهاش وهي تدخل بهذا الشكل بينما فتحت آية الثلاجة وحدقت فيها طويلا بدون حركة .. ثم لاحظت فجأة قدما بشرية بجوار الثلاجة فشهقت وهي ترتد للخلف بعنف ليتكشف وجهها عن دموع سوداء تلطخ وجهها فشهقت بانة هي الأخرى مرتعبة من منظرها .
صاحت بانة " لما وجهك بهذا الشكل ؟!.. هل كنت تبكين؟ .. وهل تتركين مساحيق التجميل على وجهك حتى وقت متأخر ؟" .

مسحت آية دموعها السوداء من أثر الكحل فتلطخ وجهها أكثر وردت بغيظ " ماذا تفعلين هنا بهذه الجلسة البائسة ؟ ألم تشاهدي أكلا في حياتك لتجلسي بجوار الثلاجة بهذا المنظر ؟!! "

[1977]

جزت بانة على ضروسها بغيظ ثم قالت لها تلعب حاجبيها باستفزاز طفولي " كما تعرفين لقد أمّنت المأوى والمأكل .. فلماذا لا استمتع بهما كما يروق لي؟! "

رفعت آية شفتها بامتعاض ثم نظرت للطبق المملوء بالسندوتشات الموضوع على الأرض فانقضت عليه تقول باهتمام "ماذا تأكلين ؟"

مدت يدها وخطفت ساندويتشا وقضمت منه ثم تمتمت بامتعاض " لا بأس " وافترشت الأرض هي الأخرى تجلس في مواجهة بانة تستند للحائط وتأكل في صمت .

رفعت بانة حاجبها باستنكار وتعجبت من الهيئة التي تبدو عليها فتسلل إليها شعورا بالشفقة نحوها دون سبب .. فما لاحظته أنها كتومة منغلقة على ذاتها .. ليس لها صديق في هذا البيت تسر معه .. صحيح أنها تتدلل على الجميع .. وتحصل على ما تريد بجرأة .. فلا تنتظر أن يمنحها أحد ولكن تبادر

بالمطالبة بما تريد .. وفي المقابل لا يتأخر عليها أحد .. لكنها لا تشعر أنها ترتبط ارتباطا قويا بشخص معين في هذا البيت بالشكل الذي تتحدث إليه أو تستشيره .. رغم حبهم الأكيد لها .. فالحب شيء والاحتواء شيء آخر .. إحساسها يخبرها أن آية حاليا ضائعة تبحث عن ميناء لترسو عليه .

سألتها بانة بفضول " لماذا غيرت لون شعرك وفردتيه "

نظرت إليها آية ببرود ثم قالت بكبرياء " قررت أن أغير لونه كل فترة.. أشعر بالملل .. كما أني وجدت أن فرد شعري وهذا اللون يليقان بي أكثر (ثم أكملت بلهجة ذات مغزى) أنت تعلمين أن ليس كل ألوان الشعر تليق على صاحبتها حتى لو كان لون شعرها الحقيقي "

تحكمت بانة في ابتسامتها ثم تمتمت بتسلي " أنت حقا لازلت طفلة "

[1979]

حدجتها آية بنظرة صقيعية فأكملت بانة" هل تعلمين أنك شديدة الشبه بأحمد بشكل عجيب؟ "

لاح الاهتمام على وجه آية برغم أنها حاولت التظاهر بعكس ذلك .. بينما أكملت بانة" شخصيتك تشبهه كثيرا مع بعض الفروق ربما لاختلاف النوع أو ظروف النشأة لا أعلم لكني أراك تشبهينه جدا .. لكن كل منكما له طريقته في التعبير "

ردت آية بكبرياء "أعلم ذلك "
ابتسمت بانة " ثم سألتها لماذا كنت تبكين ؟"

ردت آية ببرود " هذا ليس من شأنك (ثم استطردت بعد قليل تسألها بتردد) كيف تأكدت أن أحمد يحبك ؟.. أقصد هل كونه قالها صراحة جعلك تصدقين؟ أم أنك استشعرت ذلك في تصرفاته؟ .. أم ماذا ؟"

[1980]

تفاجأت بانة بالسؤال لكنها شعرت بجديتها فتنهدت ولم تعرف بماذا تجيبها فقالت " أنا وضعي مختلف بعض الشيء وبالتالي لم يكن أبدا في تفكيري أمور الحب والغرام .. وأنا صغيرة كنت عاقلة جدا .. ربما لأني فقدت أمي في عمر العاشرة وبدأت أتولى مسئولية البيت كسيدة البيت فنضجت بسرعة .. أنا أؤمن أن تحمل المسئوليات يسرع في النضوج .. وبالتالي لم أمر بفترات مراهقة وحب وهذه الأمور.. ولم أضع لنفسي شكلا معينا لفارس الأحلام .. ولم أرسم قلوبا حمراء في مفكراتي .. ولم أتتبع نجما شهيرا في هيام وألصق صوره بحجرتي .. لم أمر بهذه المرحلة .. أو ربما هي طبيعتي لا أعرف "

ردت آية مدافعة " ما المشكلة في وضع شكل لفارس الأحلام ورسم قلوب حمراء في

[1981]

المفكرات؟!!.. من يفعلن ذلك لسن بالضرورة تافهات بالمناسبة ".

ضحكت بانة ثم أوضحت " ألم أقل لك أنك نسخة أحمد الأنثوية ..أنا لم أقصد أي استخفاف بتلك الأمور .. إنها مرحلة طبيعية لأي مراهق .. ما أقصده أني لم أمر بها.. وعندما أتيت إلى هنا لم يكن أبدا في تفكيري أمور الحب أو بمعنى أدق لم يكن لدي من الرفاهية النفسية للتفكير في هذا الأمر .. ففي وضع صعب كالذي عايشته البقاء على قيد الحياة والشعور بالأمان وتدبير قوت اليوم بيومه يكون أقصى طموحاتك .. وبالتالي حين قابلت أحمد أخذت وقتا طويلا لأفهم مشاعري نحوه وأحللها .. وحين كنت أراه يعاملني بطريقة مختلفة وخاصة جدا كنت أرتبك .. لكني لم أضع أبدا في خيالي أنه قد يحمل لي مشاعر خاصة وأنا بالهيئة التي كنت عليها فبالتأكيد لم أتخيل أبدا .. كل ما

[1982]

كنت قد توصلت إليه هي مشاعري تجاهه .. وحين اعترف لي استرجعت مواقف سابقة وربطها بهذا الاعتراف وفهمت كل شيء .. أقصد أن الأفعال صدقت الأقوال ."

صمتت آية تفكر ثم قالت تستفزها " أتفق معك فيما قلتيه .. عدا أنك لم تبحثي عن الحب فنيتك كانت واضحة منذ أن أتيت هنا في شكل رجل مائع "

علت ضحكت بانة ثم قالت " حيرتني معك هل جئت باحثة عن الحب ؟ أم عن المأوي؟! فالاثنان من الصعب التركيز فيهما في نفس الوقت "

انعقد لسان آية وحدجتها بنظرة باردة .. فسألتها بانة بإصرار " لماذا كنت تبكين؟ ولمَ هذا المنظر الذي تبدين عليه ؟.. على الرغم من تغييرك لمظهر شعرك المفروض أن تكوني سعيدة "

ردت آية ببرود " قلت إن هذا ليس من شأنك "

[1983]

ثم مدت يدها تأخذ سندوتشا آخر .. فضربت بانة على يدها وشدت الطبق إلى حضنها بينما زمجرت الأخرى باعتراض وصاحت فيها "ستأكلين كل هذا !!"

ردت بانة تغيظها " ألا تعلمين أن المشردين ومن ليس لهم مأوى يأكلون كثيرا حينما يوفر لهم الطعام "

ضيقت آية عينيها في غيظ وانقضت عليها لتأخذ سندوتشا فاستقامت الأخرى وقالت لتغيظها "بالمناسبة أمي هي من صنعت لي هذه السندوتشات لأنها تعلم أني لم آكل طوال اليوم "

هبت آية واقفة في غضب طفولي وهجمت على الطبق فحشرت بانة السندوتش الذي في يدها في فمها وخلصت الطبق من يد آية ثم خرجت من المطبخ وهي تقول بصوت مكتوم " افعلي لنفسك يا كسولة "

[1984]

حين خرجت بانة من المطبخ لاحظت أن غرفة أروى مضاءة فطرقت على الباب ودخلت فاستقبلتها أروى ضاحكة من منظرها وهي تأكل بنهم فتمتمت بانة ببؤس " استيقظت وأنا أشعر أن وحوشا تعوي في معدتي "

ضحكت أروى وهي مستلقية على السرير وقد بدى عليها بعض الإرهاق وردت" تزداد شهيتنا في تلك الفترة من الشهر فعلا .. أنا أيضا تنتابني حالت نهم "

رفعت بانة حاجبيها باندهاش وقالت ساخرة " هل تنتابك حالة نهم فعلا !.. كيف؟ .. بدلا من معلقتين تأكلين أربعة مثلا ! .. يا لك من شرهة وتحتاجين لعلاج ! (ثم أكملت بتوبيخ) أمنيتي يا أروى أن أراك تأكلين كالبشر .. أنا أشعر بجانبك أنني غول يأكل .. أحيانا لا أحب أن أتواجد معك على مائدة واحدة في حضور أحمد .. لأني أخشى أن

[1985]

يقارن بين أكل العصافير الذي تأكلينه وأكلي ويشعر أنه تزوج من خرتيت البحر " .

قهقهت أروى ثم قالت " لكني لا أراك تأكلين بكميات كبيرة .. أنت تأكلين كأي شخص عادي "

ردت بانة بغيظ " لكن بجانبك تشعريني بذلك "

ضحكت أروى مرة أخرى ثم قالت " لا تقلقي أنا متأكدة أن أحمد يحبك في كل حالاتك "
عند سيرة أحمد توقفت بانة عن الأكل وتنهدت فسألتها أروى" كيف حال تقلصاتك ؟"

رددت بانة "الحمد لله الأن أفضل "

[1986]

قالت أروى وهي تغمز بعينها " دخلت الغرفة لأطمئن عليك ولم أكن أعلم أن أحمد معك فرأيت مشهدا رومانسيا فانسحبت بهدوء "

تركت بانة الطبق بجانب السرير بوجه يكسوه الألم ثم قالت " أنا أتعذب يا أروى من أجله .. أشعر بذنب فظيع .. إنه يستحق كل السعادة .. وأنا غير قادرة على منحه ما يسعده "
ردت أروى بهدوء " بالتأكيد كان يعلم حين وعدك بأن الأمر سيكون صعبا عليه .. لكنه سعيد لوجودك في حياته أنا متأكدة من ذلك . "

تمتمت بانة بتأثر " وأنا أيضا .. سعيدة بوجودي معه ومعكم .. وأشعر أني عدت لطبيعتي .. لشخصيتي الحقيقية في بيت أبي ..وبت أتخلى عن التحفظ شيئا فشئيا .. فقط هذا الأمر يؤرقني ..

[1987]

كنت أظن قبل الزواج أنه أمرا بسيطا لكني تيقنت مؤخرا أنها تضحية كبيرة منه "

رفعت أروى حاجبها بمكر وسألت " وكيف تيقنت من ذلك؟ "

احمرت وجنتي بانة وفركت جبينها في حرج تقول " انفلتت أعصابه قليلا في أول ليلة لنا معا "

اتسعت عينا أروى بحماس ثم قالت بلهفة " ثم "

ردت بانة بإحساس بالذنب " بالطبع انهرت أنا وصدم المسكين .. وشعر بالذنب تجاهي .. وكان الأمر قاسيا على كلينا "

زمت أروى شفتيها بأسف ثم سألتها " أخبريني فيم تفكرين ؟"

[1988]

أطرقت بانة برأسها قليلا ثم أوضحت " قبل الزفاف كنت أحمل شعورين بداخلي .. الشعور الأول لاحظه أحمد قبل أن أدركه أنا .. وهو القلق أو الرهاب من التلامس مع الناس وخاصة مع الرجال .. وأعتقد أنه بدأ مع بداية أحداث الحرب"

فسألتها أروى بفضول" وكيف حاله معك الآن "

تنهدت بانة وقالت" ما زال موجودا لا أستطيع الإنكار .. لكني أشعر أن تلك الرهبة أو النفور من التلامس قد انكسر قليلا بشكل استثنائي مع أحمد"

ابتسمت أروى .. فأكملت بانة بحرج " لم أعد أشعر بالرعب من الفكرة .. أنت تعلمين أن أخيك له سحر خاص .. صحيح مازلت أشعر بالرهبة لكن الأمر ليس بالقدر الذي كنت أظنه قبل الزواج."
هتفت أروى بحماس " رائع "

[1989]

أسرعت بانة تقول " لا تتسرعي في حماسك يا أروى
الأمر ليس مبشرا بالخير للأسف "

تغيرت ملامح أروى للقلق فأكملت بانة " لا تنسي
الشعور الثاني .. يعذبني مؤخرا شعور غير منطقي
استفحل واستوحش بداخلي .. بالتحديد منذ أول
قبلة "
اتسعت عينا أروى بمفاجأة وقالت " قبلة !! .. لا
لا انتظري .. قبل الشعور الغير منطقي الذي
استوحش .. أخبريني عن .. القبلة "

تحكمت بانة في ابتسامة محرجة ثم تمتمت بخجل
" ليس هناك ما يمكن أن يقال "
حدجتها أروى باندهاش ثم هتفت بجزع " ليس
هناك ما يقال !!!... أكانت بهذا السوء !!! .. لا
..لا.. لا يا بانة أرجوك .. أنا انتظرت ثلاثين عاماً ..
لأحصل عليها من شخص معين فلا تصدميني بهذا

[1990]

الوصف المحبط.. وإلا سأتصل به حالا وألغي موافقتي ويكفيني أن أحبه من هذا البعد .. فإن كانت القبلة بهذا السوء فلم سأتزوجه إذن! "

غطت بانة فمها بحرج وقد اشتعلت وجنتيها وقالت " لم أقصد ما فهمتيه .. قصدت أن الشعور لا يمكن وصفه .. إنه من الروعة والسحر ما لن تستطيعي أن تصفيه بالكلمات .. لا تتعجلي ستجربينه قريبا إن شاء الله ."

وضعت أروى يدها على قلبها تهدئ من جنونه وتمتمت بأنفاس متقطعة " لا أصدق أن عمرو قد يقبلني يوما ما .. أخشى أن تصيبني نوبة قلبية بين ذراعيه "
غطت بانة فمها وقد علت ضحكتها بينما نفضت أروى رأسها بعنف تقاوم مشاعر المراهقة التي تحفزت بداخلها واستعادت رزانتها لتقول بجدية

[1991]



"إذن لنكمل .. ما هو الشعور الغريب المريب الذي بات يؤرقك مؤخرا .. تفضلي أحبطيني "

تنهدت تنهيدة قوية وألقت في وجه أروى شعورها المؤلم " أشعر بأني أرتكب خطيئة .. إذا ما فرطت في نفسي سأكون عديمة الأدب ووقحة ..حتى لو كان ذلك مع أحمد الذي هو حبيب روحي "
جحظت عينا أروى وهتفت بعدم استيعاب " بانة إنه زوجك يا مختلة !!"
أسرعت بانة بالرد وقد لاح العذاب على وجهها "أعرف يا أروى أعرف كل ما ستقولينه .. أنا أناقش نفسي كثيرا. وتناطحني الأفكار .. ولو سمعت هذا الكلام من فتاة أخرى كنت سأوبخها وأتهمها بالجنون .. لكنه بالفعل شعور مستوحش بداخلي يعذبني .."

[1992]



ساد الصمت قليلا وأروى تحدق فيها بصدمة ثم سألتها في محاولة لتحليل الأمر" هل الموضوع متعلق بزواجك بدون وجود أهلك ؟"
تنهدت بانة وردت " أعتقد .. لكن أحداث الحرب بكل تفاصيلها وبشاعتها التي تختزن كوشم صعب الإزالة بداخلي.. وصّلت مشاعري لهذا الشكل الغير منطقي .. فأنا لست قادرة على نسيان اللحظات الصعبة التي مررت بها يا أروى .. ولا القصص الكثيرة التي شاهدتها أو سمعت عنها .. ولا مشاعر الخوف من الانتهاك أو التعرض له في أي وقت .. ولست قادرة على نسيان نظرة اخوتي وهم يترجوني حتى أهرب قبل أن أتعرض للإهانة .. ولست قادرة على التعامل مع حقيقة أنهم فضلوا التضحية بحياتهم حتى لا أتعرض للاغتصاب .. ولست قادرة يا أروى على نسيان الأيام التي عشتها وحدي في الشارع .. وقتها لم أخف من جوع ولا عطش بقدر الخوف من هذا الأمر بالذات .... (مسحت بانة

[1993]

الدموع التي انسابت على وجنتيها وأكملت بعذاب)
سأخبرك سرا .. أنا لا زالت أرى كوابيسا أتعرض فيها
للاغتصاب .. لا أنكر أنها أقل بكثير من ذي قبل
لكنها لم تختفي وما زالت تزورني من وقت لآخر "
عم صمت مؤلم ثقيل .. ولم تجد أروى ما تقوله
سوى الشفقة عليها وعلى أحمد .. واعترفت
لنفسها أن الأمر يحتاج لوقت طويل للنسيان أو
لمساعدة نفسية فقالت بأسف " من الواضح فعلا
أن شعورك هذا بالرعب من التعرض للانتهاك ..
بالإضافة لزواجك بدون وجود أهلك يشعرك بأنك
تفعلين شيئا عيبا أو وقحا .. وأرى أنك قد تحتاجين
لمساعدة نفسية من متخصص ربما سرع ذلك من
فرص الشفاء "
أطرقت بانة برأسها وغمغمت " لم أحدد بعد ماذا
سأفعل .. ويحزنني أن يعرف أحمد بتفاصيل
المشاعر التي تعذبني .. أخشى أن أقتل الأمل
بداخله .. والله لا يستحق ذلك لا يستحق أبدا "

[1994]

تنهدت أروى في حزن وانعقد لسانها ولم تعرف بما تجيب .

فتحت أية الباب فجأة وتطلعت إليهما تقول " ما هذا التجمع بدوني فيم تتحدثان ؟"
ابتسمت لها أروى بينما أشاحت بانة بوجهها بعيدا تمسح بقايا دموع وتنفض عنها الكآبة .. أما آية فخطفت السندوتشات من جانب السرير بانتصار وبدأت في الأكل وهي ترفع حاجبيها لبانة بإغاظة ..فمطت الأخيرة شفتيها بامتعاض .

أشارت أروى لآية أن تقترب ثم مسدت على شعرها في هيئته الجديدة وقالت بإعجاب " شكلك مختلف .. كنت أحب شعرك الأسود بلفائفه كانت لك طلة متفردة وليست شائعة لكني أحببت هذا المظهر أيضا .. الحقيقة أروع مما توقعت ما شاء الله "

[1995]

تنهدت آية بخيلاء متعمدة وجلست على كرسي أروى الموضوع بجوار السرير وهي تضع ساقا فوق الأخرى مستمرة في الأكل .

بعد لحظات سألت بانة بمرح لنفض ذرات الكآبة من الهواء حولهم " وأنت يا عروس كيف تشعرين ؟"

ردت أروى بجدية " أنا صدقا مرتعبة .. ولم أتغلب على أعراض الصدمة بعد .. أن عمرو يحبني ويرغب في الزواج مني !!.. يحدثني .. وأسمع صوته .. وأراه !!.. أحيانا أشك أنني أهلوس "

صمتت قليلا ثم أكملت " ولا أريد أن أبدو متشائمة .. لكني .. لا أصدق أني قد أحظى بيوم واحد معه وحدنا "

أشفقت عليها بانة فتمتمت بحب " سيأتي هذا اليوم يا أروى إن شاء الله .. وستسعدين به ومعه .. وستعوضين كل ما مررت به .. أشعر أنك دفعت كل

[1996]

تعاستك مقدما .. لتحصلي على كل السعادة إن شاء الله في الأيام القادمة "

ابتسمت أروى برغم أن التشاؤم مازال يخيم على قلبها .. بينما توقفت آية عن الأكل وشردت قليلا ثم قالت " لم أتخيل يوما أنك عاشقة يا أروى .. كنتِ دائما أمامي صلبة ومتكيفة .. لكني لم أتخيل أنك تضمرين عشقا بداخلك .. ربما لأنك سجينة في هذا الكرسي منذ سنوات.. فتخيلت أن الفرصة لم تتاح لك لأن تقابلي رجلا وتحبينه .. لكني سعيدة لأجلك الآن .. وسعيدة أيضا لأني لم أعرف بالأمر من قبل .. كنت سأتألم من أجلك كثيرا لو كنتِ تتعذبين في الحب .. إنه شعور صعب .. يوجع القلب .. يحول أيامك ولياليك لجحيم متواصل .. تشعرين أنك ظل لظل من تحبين .. أسيرة لاحتلاله لكيانك .. لا أنت قادرة على الاقتراب .. ولا قادرة على الابتعاد .. حالك كله عذاب مستمر "

[1997]

اتسعت عينا أروى بصدمة وقد آلمها الوصف كثيرا
فقالت "متى كبرت لتعرفي هذا الشعور؟! "

حدجتها آية بغضب وهمت بالرد لكن بانة سبقتها تصيح في لهجة غاضبة تقلد صوت آية وتعبيرات وجهها فبدت قريبة جدا منها " أنا كبيرة يا أروى .. المشكلة فيكم أنتم .. لم تستوعبوا ذلك حتى الأن "

تطلعت آية إليها بصدمة بينما انفجرت أروى في الضحك وهي تمتم " يا إلهي أنت تقلدينها بالفعل "

تحكمت آية في ابتسامة ملحة بينما ابتسمت بانة تغيظها ثم استقامت وفردت شعرها ونكشته قليلا تلقيه كله إلى جانب واحد من رأسها .. وتطلعت بخيلاء إلى أروى وأعادت الجملة بصيغة أكثر إتقانا .

[1998]

انفجرت أروى في هيستيريا ضحك بينما أية تتحكم بصعوبة في نفسها ألا تضحك ثم قالت باستخفاف
" تزدادين ظُرفا مع الوقت هل تعلمين ذلك ؟"
شاكستها بانة بإغاظة" أمنت المأكل والمأوى فأصبح عندي وقتا كبيرا للاستظراف "

تنبيه على الهاتف جعل أروى تفتحه لتجد عمرو يرسل لها رابطا على الواتساب فاحمرت وجنتيها في خجل وسعادة .. لتبادر بانة بلهجة ذات مغزى " حان وقت النوم لنترك عصفوريّ الحب يغردان قليلا لبعضهما "
تحركت نحو الباب لكن آية لم تتحرك فحدجتها بانة بغيظ لتطالعها الأخرى ببرود .. فرفعت بانة عينيها للسماء بيأس وخرجت ..
ابتسمت أروى لكن أية لم تمكث كثيرا بل قامت مغادرة بعد دقيقة وهي تتمتم بعمت مساء .

[1999]

دخلت بانة الغرفة مجددا فوجدته على نفس الوضع الذي تركته عليه .. يبدو مستغرقا في النوم ومرهقا .
وقفت مترددة تتساءل هل تعود للاستلقاء بجانبه ؟ أم تنام على الأرض على المرتبة الرفيعة التي يستخدمها حين يبيت بجانب أروى ؟ أم ماذا؟

لكنها أشفقت عليه أن يستيقظ فيراها نائمة على الأرض فبالتأكيد ستكون فظة جدا ووقحة إن فعلت ذلك .. اقتربت من السرير بخفة وتسطحت على طرفه تتطلع للسقف وتسيطر على ضربات قلبها المتسارعة دون سبب ..

بعد قليل تقلبت على جانبها تتأمله .. وألحت عليها رغبة في لمس ملامحه .. واعترفت لنفسها أنه جذاب وأنيق حتى وهو نائم فتمتمت في سرها "السيد الأنيق وهو نائم" وسحبت هاتفها من

[2000]

جانب السرير وغيرت اسمه لهذا اللقب الجديد وهي تبتسم .

بعد دقائق فكرت أنه ليس من اللائق أيضا أن يجدها تنام عند طرف السرير مؤكد ستبدو فظة معه .. فاقتربت منه قليلا وهي تتمتم لنفسها "سأكون بالمنتصف لا بعيدة ولا قريبة ".. لكنها لم تدري أنها تقترب أكثر وأكثر ...إلا عندما تململ في نومه من حركتها الكثيرة .. فكتمت أنفاسها بترقب.. لتجده يمحو المسافة بينهما ويحكم ذراعه حولها ويشدها لتلتصق رأسها بصدره بينما استقرت ساقه فوقها بتملك وهو يغمغم بهمهمات غير واضح منها سوى اسمها .

جحظت عيناها في توتر وسرت رعشة في جسدها تتزامن مع شعورها بالالتصاق به .. بعدها هدأت قليلا ورائحته الذكورية تتغلغل في خلاياها تصيبها بالخدر وتنشر الدفء في كل كيانها ..

[2001]



فاستسلمت بانة لحضنه الآمن .. دون مقاومة
وغطت في نوم عميق مليئا بالأحلام والقلوب
الحمراء .

***

في أخر غرفة في الممر كانت آية تتطلع لنفسها
مجددا في المرآة .. اتخذت الكثير من الوضعيات
وصورت نفسها .. ثم طالعت الصور ورغبة حارقة
تلح عليها في أن يراها في شكلها الجديد ..

لا تفهم ما المشكلة في أن تبعث له بصورتها ! ..
حتى استجداء نظرات الاعجاب من عينيه
ممنوعا!!!..

ترددت كثيرا قبل أن تضغط على زر الارسال .. ثم
تراجعت ..
سيغضب منها .. سيغضب كثيرا .

[2002]



ألقت بالهاتف بجانبها بعصبية وارتمت على السرير
تحدق في السقف يجافيها النوم كالعادة ..
بعد قليل تنبيه على الهاتف جعلها تفتحه في لهفة
لتجد سيد قد كتب منشورا على الفيسبوك بجملة
غنائية لفيروز كتبها عنترة ابن شداد :

ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهلُ مني
وبيضُ الهندِ تقطَّر من دمي
فوددتُ تقبيل السيوفِ .. لأنها
لمعت كبارقِ ثغركِ المتبسمِ

كالعادة كانت أول من يبدي إعجابه بالمنشور بقلب
احمر كبير ... ثم أخرجت مفكرتها ودونتها بخط
كوفي مزخرف .. ثم كتبت تحتها بنفس الزخرفة
لفيروز أيضا :
بشتاقلك لا بقدر أشوفك ولا بقدر أحكيك
بندهلك خلف الطرقات وخلف الشبابيك

[2003]



بجرب إني إنسى .. تسرق النسيان
وبفتكر لاقيتك .. رجعلي الي كان
وتضيع مني كل ما لا قيتك ..

ثم أعادت المفكرة ودفنت رأسها تحت الوسائد الكثيرة علها تستطيع الاختباء من جحيم المشاعر والأفكار .

***

استمعت أروى بقلب محروم للمقطع الغنائي لأم كلثوم الذي أرسله عمرو:

من بريق الوجد في عينيك أشعلت حنيني
وعلى دربك أنى رحت أرسلت عيوني
الرؤى حولي غامت بين شكي ويقيني
والمنى ترقص في قلبي على لحن شجوني

كتبت له على الواتساب " أمازلت مستيقظا ؟"

[2004]

رد بسرعة " نمت قليلا ثم استيقظت .. هناك أميرة سمراء تلهو بأفكاري .. وأصارع نفسي بقوة لأقلل من حجم الذنوب التي تزداد فوق كاهلي "

أرسلت وجها يختبئ في كفيه خجلا ..

ثم كتبت :

"عمرو .. أ حقيقة أنت أم أهلوس !! "

رد عليها :

" أروى .. أ حقيقة أنتِ أم أهلوس !! "

ابتسمت وصمتا ثملان بالمشاعر ..

حين رُفع آذان الفجر كتب لها : " سأقوم للصلاة .. وأترقب يوما تكونين فيه بجواري أمام رب العالمين وأنت زوجتي يا أروى .. أطمع في ركعات كثيرة نصليها سويا ".

وضعت يدها على قلبها تهدئ جنونه ثم كتبت :

"عمرو.. إن كنت تعتقد أنك لا تعرف كيف تصيغ كلمات لتعبر عن مشاعرك .. فاعلم أنك لم تعد بحاجة لذلك بعد الآن .. فما قلته للتو هو أروع ما

[2005]

يمكن أن يقال في الحب .. بُحت بكل شيء بجملة واحدة "

صمت قليلا ثم كتب : " لا يا أروى .. مهما قلت أو اقتبست من الكتب والأغاني .. لن يعبر عما أشعر به تجاهك أبدا ... لكني أعدك أن تلك باتت مهمتي حتى آخر عمري ."

غلبتها الدموع فكتبت بتوسل: " عمرو .. ترفق بي .. أنا أبكي الآن ."

صمت قليلا فتوقعت أنه قد ذهب ليصلي .. تحركت تتحامل على دعامات السرير حتى وصلت لكرسيها وذهبت لتتوضأ ودموعها لم تتوقف حتى وهي تصلي .

حين عادت للسرير وجدته قد كتب :

" سأمتنع عن الرد بما يليق بجملتك لأنه حتى هذه اللحظة .. رد لا يليق .. في شوق لذلك اليوم البعيد الذي سيصبح فيه ردي لائقا .. هيا نامي ولا تستسلمي للأفكار .. تصبحين على خير"

[2006]

في صباح اليوم التالي :

فتحت بانة عينيها تحاول الاستيعاب .. لتكتشف أنها مازالت في حضنه بل وتلف ذراعها حول جذعه .

سحبت ذراعها بخفة وحاولت التحرر من ذراعه المحكمة حولها .. فرفعته برفق وتحركت تزحف على ظهرها نحو طرف السرير .

تحرك فجأة وأحكم ذراعه حولها مرة أخرى فأجفلت وأطلقت صرخة صغيرة من المفاجأة بينما أطلق هو ضحكة عابثة ثم قال بصوت أجش من أثر النوم " لماذا تتسحبين كالصوص"

ردت بتأتأة " أنا لم .. لم أتسحب أنا خفت أن أوقظك"

رد عليها " أمم فهمت .. وها قد علمتِ أني مستيقظ ماذا ستفعلين ؟"

ردت بارتباك " لا شيء .. سأطلب منك أن ترفع .. ذراعك .. عني .. لأقوم "

[2007]



رد ببرود " وأنا لن أوافق "
تحركت مقلتيها هنا وهناك بعيدا عنه ثم سألته ببراءة " لماذا ؟"
رد بهمس أجش " لأني أريدك في حضني للأبد"

نظرت للسقف تسيطر على قصف قلبها في صدرها ولم تفهم هل بسبب الخوف أم الحرج أم ماذا؟؟!!
..
صمت هو الآخر يتأملها من هذا القرب وأنفاسه تلفح بشرتها .. يمارس قدرا هائلا من السيطرة على أعصابه التي توشك على الانفلات ..

طوال الليل ..
مستسلم لشذا عطرها .. غارق في رائحتها ..
في ذلك الطيب الذي استفز رجولته من أول يوم التقاها ..
أخبرها في أحلامه عن كل شيء..

[2008]

عن حبه ..
عن أشواقه ..
عن حرمانه ..
عنها ...

واستجداها كمتسول .. فأغدقت عليه بما يرويه .

وحين استيقظ لم يعرف .. هل يبتئس لأنه لم يكن سوى حلما .. أم يفرح لأنها بين ذراعيه تتشبث به دون أن تعي ..

حين طال الصمت نظرت إليه فتلاقت النظرات .. ولمحت الاستجداء في عينيه قبل أن يخفيه بمجرد أن أدارت وجهها إليه ..

[2009]

قالت بتوسل "أرجوك يا أحمد أريد أن أنهض .. أمي ستحتاجني اليوم من أجل .. من أجل تلك العزومة لوالدة عمرو "

تملكه الحزن وتمتم في سره " لست بحاجة للتوسل لتبتعدي يا قلب أحمد.. فما أفعل باقترابك إذا لم تريديه"

رفع ذراعه عنها في استسلام صامت .. فنهضت تلملم شعرها الجميل في عقدة فوق رأسها بينما يرسمها هو بعينيه في استرخاء .

تركت السرير فسألها "كيف حال بطنك الآن؟ "

تمتمت بحرج " أنا أفضل الحمد لله "

قال بهدوء " أخبريني عن نوع المسكن القوي وسأحضره لك .. وأي مستلزمات أخرى "

ردت بحياء مخضبة بالحمرة " شكرا .. لن أحتاج إن شاء الله .. قد .. قد أستطيع الصلاة هذا المساء"

[2010]

أومأ برأسه وهو يشاهدها تتحرك نحو الباب وتقول
بارتباك " سأذهب لأرى أمي .. ألن تنهض؟"
رد وهو يوليها ظهره ويعود للغوص بين الوسائد
يغرق في رائحتها من جديد " سأنهض لأخذ حماما
بعد قليل "
توجهت نحو الباب لكنها عادت وهي تشعر
بالتقصير نحوه فقالت " هل أحضِّر لك الحمام؟ "

فتح عينيه يستوعب ثم استدار ينظر إليها بمسكنه
لم يستطيع إخفائها وأومأ برأسه بنعم .. فأطرقت
برأسها بخجل وخرجت بسرعة تغلق الباب وراءها .
ليضرب رأسه عدة مرات في الوسائد يحاول التغلب
على إحباطه ومشاعره المكبوتة .

***

إلحاح متواصل على الهاتف أيقظ آية .. فأجابت
بحشرجة" نعم ريان "
صمت قليلا ثم قال " هل كنت نائمة أنا آسف ؟"

[2011]



ردت وهي تتقلب على ظهرها " ليس عندي
محاضرات صباحية اليوم.. كم الساعة الان ؟"
رد بصوت بدا مهموما "العاشرة تقريبا "
فسألته بعينين مغمضتين " صوتك لا يبدو بخير "
رد عليها بحزن " روي مريض"
ردت وعينيها مازالت مغلقة " وتحتاجني لأذهب
معك للطبيب .. وأنا سأصدقك وأذهب معك
فأكتشف أنه لم يكن مريضا ولكنك كذبت
لتقابلني"

فرد عليها بجدية " وأضع لك شيء أصفر اللون في
كوب العصير وتستيقظين فتجدينني تحولت
لعادل أدهم "
جلست على السرير تفرك وجهها قليلا ثم قالت
وهي تتثاءب " لا تلائمك شخصية عادل أدهم "

فرد عليها ساخرا "جزاك الله خيرا والله "

[2012]

فأكملت بهدوء " بل ستشكي لي عذابك في الحب وأنت تشرب الخمر .. فتسكر وتهجم على شخصي المسكين "

قال ريان بحنق "إذن مصرة على نفس المصير "

ردت بهدوء " طبعا شرف الفتاة مثل عود الكبريت يشتعل مرة واحدة "

فسألها ساخرا " ثم ماذا يا ست إحسان ؟."

صمتت قليلا ثم ردت " أنا كنت أقصد زينب في فيلم الهاربة لشادية .. وليس احسان في فيلم موعد مع السعادة لفاتن "

قال باستخفاف " المصير واحد للبطلتين .. لكن لا بأس إن كان في النهاية سنرزق بطفل .. وإن كنت أفضل فيلم موعد مع السعادة لأني طبيب مثل

[2013]

عماد حمدي .. وأرغب في ابنة تشبهك وتقبلني وهي تقول كاك كاك كاك .. ما رأيك؟"

حركت رقبتها يمينا ويسارا تتمطى ثم سألته "وهل لديك خاتما مثل عماد حمدي حتى أريه لوالدتك فلا تصدقني وتطردني من قصركم ؟"

رد عليها بسرعة " أستطيع أن أشتري وحدا حالا عليه أسمي ..ورقمي القومي لا توجد مشكلة .. لكني لا أعرف لمَ كل هذا المشوار الطويل يا بنت الحلال .. أستطيع أن أحضر أهلي والمأذون وتصبحين زوجتي الليلة ..(ثم صمت قليلا واستدرك) لا لن أستطيع الليلة .. عندي مناوبة سهر بالمستشفى .. فلنؤجلها للغد وسأرشو كل زملائي ليأخذوا عني المناوبات القادمة لمدة أسبوع .. لحظة أرتب أمور الرشوة .. ماذا ستحتاج يا ريان ؟؟؟(وأخذ يفكر بصوت مسموع) سجائر .. مقاطع فيديو ساخنة ..

[2014]

قطعة حشيش .. دفتر ملاحظاتي وتدويناتي من المراجع ..صحيح بذلت فيه مجهودا خارقا لكن لا بأس أن أعيره من أجلك لبعض الكسالى الذين أعلم أنهم سيطلبونه في المقابل .. بعض المشاوير لدفع الفواتير المتأخرة أعرف شخصا مستفزا سيطلب مني هذا الطلب .. ها ما رأيك هل أحضر أبي وأمي والمأذون غدا .. السابعة مساء مناسب ؟ .. لن أستطيع قبل السابعة لأني أحتاج لأن أذهب للحلاق .. وأشتري ورد وأغلى طبق شكولاتة حتى أدخل عليك وأنا محمل بالهدايا فتتفاخري بي أمام أهلك .. ها اتفقنا ؟"

عم الصمت بينهما قليلا ثم انفجرت آية ضاحكة . فتمتم بصوت أجش " أشرقت الأنوار يا فندم .. صباحنا كاللبن الحليب بإذن الله "

تمتمت آية "أنت مجنون يا ريان هل تعلم ذلك؟"

رد بحنق " كله بسببك .. عامان وأنت تعذبينني لقد ابيض شعري في انتظار كلمة واحدة منك "

[2015]

ردت بتعاطف" أنا أخبرتك كثيرا أني لست مستعدة لأي علاقة عاطفية لفترة طويلة لا يعلمها إلا الله "
سألها فجأة " آية أرجو أن أكون شخصا ذا ثقة عندك وتصارحيني .. هل هناك رجلا في حياتك؟"
تجاهلت سؤاله بسؤال آخر " هل روي مريض فعلا ؟ "
رد عليها باستسلام قبل أن ينهي المكالمة "أجل مريض جدا . وأشعر بالقلق عليه.. التقط فيروس .. أتمنى أن يتحسن قريبا "

بعد قليل خرجت آية إلى الصالة تتدلل على أبيها كعادتها .. ووقفت أمامه متخصرة بخيلاء في وقفة عارضات الأزياء .. فتطلع إلى شعرها في هيئته الجديدة وقال " جميل يا بابا "
سألته بحماس " حقا يا حجوج ؟ "

Des. Maryam Tamim

رد بتأكيد " طبعا يويا تبدين مختلفة وناضجة..(ثم أكمل بلهجة متعجبة) لكني مازلت غير مستوعب للمبلغ الذي دفعتيه .. كثير جدا يويا " ردت أية بانفعال " صدقني يا أبي هذه الاسعار باتت عادية .. كما أن شعري طويل "

أطرق الحاج مستسلما في بؤس.. فضحكت آية واقتربت تحيط رقبته بذراعيها في دلال وطبعت قبلة على خده وهي تقول " وهل عندك أهم مني يا حجوج "
تأمل نظرة عينيها المستعطفة كقطة ماكرة ثم قال "ومن أهم منك يا محتالة !"
رنت ضحكتها في دلال .. فتدخلت إلهام بامتعاض صائحة "هذا الدلال سيفسدها يا ابراهيم .. ليس لدرجة أن تدفع كل هذا المبلغ من أجل شعرها (ثم وجهت الكلام لبانة تقول) والله يا بنيتي كنا نحضر الصبغة في البيت ونسهر نحن الفتيات ونصبغه

Des. Maryam Tamim

بأنفسنا .. والنتائج رائعة .. لا أفهم تقاليع هذا الجيل "

ابتسمت بانة في تعاطف فصرخت آية باعتراض "أمي .. ألم تخبريني أمس أني كالقمر حينما رأيتِ شعري ؟!!!!"

ردت إلهام معترفة " لا أنكر ومازلت عند رأيي لكن حينما علمت بالمبلغ الذي دفعتيه فارت الدماء في رأسي "

ردت آية بدلال " المهم أني كالقمر "

كتمت بانة ضحكتها تشاكسها .. فحدجتها آية بغيظ وصاحت بطفولية " أمي إنها تسخر مني "

ردت بانة ببراءة مصطنعة " ماذا فعلت أنا !!.. هل الضحك حرام عندكم ؟!!"

تكتفت آية وأولتها ظهرها .. فبدأت بانة بالغناء وهي تعد المائدة .

[2018]

في نفس الوقت خرج أحمد من الحمام يجفف شعره بالمنشفة فسمع بانة في الصالة تغني لتتسع عيناه ووقف يراقبها"

قمرة يا قمرة .. لا تطلعي ع الشجرة
والشجرة عالية .. وانتي بعديكي صغيرة
يا اااا قمرة .

قفزت آية من الغيظ واحمرت ثم أسرعت نحوها كالطلقة .. فصرخت بانة ضاحكة .. وجرت تختبئ خلف الحاج الذي كان يراقب المشهد سعيدا
تدخل الحاج يكتم ضحكته " إهدئي يا آية ماذا فعلت رامز ؟ "
صاحت في حنق " ألم ترى يا أبي .. إنها تسخر مني "

ضحك الحاج وفرد ذراعه يفصل بينهما
"إنها أختك الكبيرة ..وتمازحك "

[2019]

صاحت باستنكار " هذه كبيرة !!! ... إنها طفلة
أنظر يا أبي تغيظني .. تلعب حاجبيها "

راقب أحمد المشهد بقلب يقفز من السعادة .. لم
يرى بانة من قبل بهذا الانطلاق .. شيئا فشيئا ترمم
مشاعرها المهشمة .. وتستعيد طبيعتها التي
يعرف عنها القليل .. فما مرت به جعلها جادة
متحفظة تقتل العفوية بداخلها ... لكن حمدا لله
أن رآها أخيرا تتعامل دون خجل أو حواجز ..
لحظتها تأكد أن قراره كان صحيحا وفي مصلحتها ..
حين قرر الزواج منها بشروطها حتى يتيح لها
الفرصة للعيش وسط أهله الذين تحبهم أكثر من
أي شيء .. وها هي في ظرف اسبوعين من زواجهما
قد انطلقت دون تحفظ تشاكس دون حرج..
واثقة في نفسها وفي قدرها في قلوبهم .
إنه فخور ..
فخور بها ..

[2020]

وفخور بأنها حبيبته وزوجته ..
معجب بإيجابيتها وبثقتها في نفسها.. فتاة أخرى في مثل ظروفها وبما مرت به .. قد تستسلم للكآبة والبوس وتتقمص دور الشهيدة..

لو بيده.. لما ربطها بالزواج منه وهي غير مستعدة لذلك ..
لو كان هناك وسيلة أخرى لإخراجها من بيت غنيم لتأتي وتعيش في بيت عائلته دون أن يضرها ذلك كفتاة في مجتمع شرقي لفعل ذلك ..
لو لم تهرب منذ عام لما أضطر للضغط على أعصابها بالزواج منه .. فهو غير غافل عما تعانيه من صراعات داخلية .
تمتم في سره " لو أملك أن أمحو لك ذكرياتك المؤلمة يا بانة لفعلت .. حتى لو كان الثمن حياتي"

[2021]



أفاق من شروده عندما قفزت بانة فوق الأريكة حافية القدمين تهرب من آية التي توشك على عضها..

صاحت بانة من بين ضحكاتها وصراخها " هل الغناء عندكم حرام ؟؟!! كنت أغني يا .. قمرة اقصد يا آية "

هجمت عليها آية تزمجر .. فقفزت بانة من على الأريكة لاهثة لتختبئ خلف أحمد .. وتقبض على ملابسه من الخلف وهي تصرخ ضاحكة "أحمد "

تمتم في سره يتحكم في وقاره الذي يوشك أن يفقده بسببها "يا قلب أحمد وروحه ! "

وقفت آية متخصرة بتحفز تقول بغيرة " هل ستنصر زوجتك على أختك ؟!! "

حرك مقلتيه في تفكير وقد شعر بأنه في موقف صعب ثم نظر لأروى التي خرجت تشاهد الموقف وقال " لم أبدي إعجابي بمظهرك الجديد بعد "

[2022]

احمرت آية بخجل ثم سألت بتردد "هل تقول ذلك لتخلص زوجتك من يدي ؟"
شعر ببانة تترك ملابسه وقد استشعرت أنه يحاول ملاطفة آية .. فتحرك نحو الأخيرة وأحاط خصرها بذراعه وهو يتأملها بعينين لامعتين وقال "أنت فعلا رائعة في هذه الهيئة وهذا اللون عليك جميل جدا "
لاح التأثر عليها فسألته بخفوت متشكك "أتقول الصدق ؟.. هل أنا حقا جميلة ؟"

تفاجأ بسؤالها فسألها باندهاش" ألا تدركين أنك جميلة يا آية !! "
ردت بثقة مهزوزة " لست متأكدة "
تطلع في صدمة لأروى وبانة التي شعرت أن الحديث يتجه نحو الجدية فآثرت الابتعاد عن المشهد .. لإدراكها تحسس آية من وجودها بينما

رد أحمد بهدوء " بل أنت جميلة بالفعل يا يويا .. هذه حقيقة مؤكدة .. ولهذا أنا دائم القلق عليك "
ثم توجه بالحديث لأبيه الذي كان يطالع الجريدة
"أليس كذلك يا أبي ؟"
رفع الحاج وجهه وتطلع إليها بنظرة حانية وقال
"وهل هناك من هي أجمل من مدللة أبيها المحتالة"
ابتسمت آية ثم سألت بتردد " هل أنا جميلة من قبل تغير مظهري أم بعده؟"
رد بهدوء " في الحالتين أنت جميلة الملامح يا يويا .. لكني شخصيا أحب شعرك بالمظهر الجديد"
أطرقت تنظر في كفها في سعادة خجلة .. فحانت التفاتة منه لأروى وتبادلا نظرات صامتة مندهشان من ثقتها في نفسها المهزوزة وهي التي تتباهى بخيلاء طوال الوقت !.

Des. Maryam Tamim

أضاف أحمد بلهجة ذات مغزى " لكني أخبرك من وجهة نظر رجل .. أن من يلتفت لشكلك فقط فلا يستحق منك أي التفاتة"
تطلعت إليه باهتمام فأكمل " الرجل حينما يحب بصدق يرى حبيبته بقلبه قبل عينيه .. "
قالت بلهجة غامضة " لكن الرجال يبحثون عن الجمال في المقام الأول "

مد يده ليرفع خصلات ناعمة انسدلت على وجهها ورد بجدية " إن أراد مرافقة الفتاة فقط أو التفاخر بها ليداري في نفسه نقصا أو الزواج بغرضه الحسي البحت .. سيبحث عن الشكل أولا وبعض الأمور الأساسية الأخرى.. لكن إذا أحب فأؤكد لك أنه سيراها أجمل امرأة فالكون في أي هيئة وفي كل حالاتها .. لذا حين تتجملين .. كوني جميلة من أجلك أنت .. من أجل شعورك أنت بالرضا عن نفسك .. لا من أجل أن ترضي أحد."

[2025]

ردت آية بلهجة ساخرة " الحقيقة أن ما تقوله يتماشى مع النظرة المراهقة للحب بداخلي .. لكني أصبحت أعد نفسي لمواجهة حقائق الواقع القاسية حتى تكون الصدمة أخف "

نغزه قلبه دون سبب واضح فمازحها قائلا " أنظري حولك ..أروى مثلا ليست جميلة ومع هذا الشيخ أبا قردان قد جُن ومصر على الزواج منها.. وانظري إلى سحنته أعوذ بالله .. ومع هذا الوحيد الذي وافقت على الزواج به .. وأنظري إليّ مثال حي أمامك حين أحببت بانة نظرت إليها بقلبي .. أحببتها بشعر قصير كالرجال ووجه مليء بالبثور وحروق الشمس .. وملابس ذكورية .. وحين تزوجتها .. (وأدار وجهه ناحية بانة التي كانت تقف مستغرقة في الحديث مع أمه وقد رفعت نظراتها تتطلع إليه مخضبة بالحمرة .. فابتلع ريقه وأكمل) وجدتها بشعة "

[2026]

ابتسمت بانة في حياء فأشاح بعينه ليعود لأية ويكمل "ومع هذا أنا راضي بنصيبي "

ضحكت آية ثم قالت وهي تلعّب حاجبيها لبانة "سبحان الله نفس رأيي فيها "

بعد دقائق همت آية بالانسحاب إلى غرفتها تقول "سأستعد للذهاب للجامعة عندي محاضرة مهمة "

قالت أروى بإحباط "هل ستتأخرين ؟" ردت آية " سأحضر محاضرة واحدة فقط وسأترك باقي محاضرات اليوم لأعود لك يا عروس هل تريدين شيئا لأحضره معي ؟"

ردت أروى " أجل أريد بعض الأشياء في طريقك" بعد أن تركتهم قال أحمد لأروى" ماذا يحدث مع آية ؟!"

[2027]

ردت أروى بهدوء " لا أعلم.. لكنها ليست على ما يرام منذ مدة .. وأشعر أن كلينا مشغولان عنها بمشاكله "

قال أحمد " انتهي من موضوعك مع أمير موناكو ثم أركز معها "

ثم نظر لبانة ووالدته المستغرقتان في الحديث منذ مدة وسأل في فضول " وماذا يحدث هناك ؟"

ردت أروى ضاحكة " إنه اجتماع على مستوى الشيفات لتقرير قائمة طعام الليلة .. أمك التي كانت لا تدخل أحد معها المطبخ لم تعد تستغني عن زوجتك "

ابتسم وهو يتطلع لبانة وتمتم " إنها فعلا موهوبة في الطهي (ثم أكمل بامتعاض) وحين كانت عند آل غنيم علمها التوأمان بعض الأمور الاحترافية في المطبخ "

[2028]

ضحكت أروى وقالت " ولمَ أنت ممتعض هكذا؟"
رد عليها بقرف " لأني كلما تخيلت أن كامل هذا كان يقف يشرح لها ويدربها ويتطلع فيها تغلي الدماء في عروقي وتهمز لي شياطيني أن أذهب وأشوه وجه وأقتلع له عينيه "

ثم تحرك إليهما يقول "أمي لا ترهقيها فهي مازالت مجهدة "
تطلعت إليه بانة بامتنان بينما ردت إلهام بسرعة "لا تقلق يا بني أنا في العزومات أحضر أم شهد وابنتها لتساعداني أنسيت .. أنا وبانة فقط سنشرف عليهما "
رد أحمد وهو يتجول في وجه بانة "أنا سأنزل لأرتدي ملابسي عندي اجتماع مع عميل سلام "

Des. Maryam Tamim

ودعته بعينيها ثم عادت لإلهام تستكمل الحديث
"ألا ترين يا أمي أننا سنصنع الكثير من أطباق اللحوم والدواجن "
ردت إلهام معترفة" أعلم يا بنتي لكنها عادات وفي مسائل الزواج بالذات لن نستطيع أن نتبع أي تقليعة جديدة قد تؤخذ علينا .. هل عندكم يفعلون شيئا مختلفا "
ردت بانة بتفهم " لا نفس الشيء أعتقد "
ثم أكملت " إذن اتفقنا على الحادق أما الحلويات أتركيها عليّ "
ابتسمت إلهام وقالت " أكرمك الله بنيتي ورزقك بالذرية الصالحة "
ثم أغلقت فمها بسرعة في حرج فخجلت بانة منها.. متعجبة أن تشعر هذه المرأة الطيبة بالحرج ..بينما هي المفروض كأي حماة تقليدية .. أن تؤنبها وترميها بالهمز واللمز كأقل واجب ردا على ما تفعله في ابنها..

[2030]



فابتسمت لها بانة بألم ومالت تطبع على وجنتها
قبلة حانية وهي تتمتم " جزيت الجنة يا أمي "





الفصل الخامس والعشرين

فتح أحمد باب سيارته يركبها وهو يضع النظارة الشمسية على عينيه متعجبا أن هذا المستفز برقوق لا يستقبله وهو ذاهب إلى العمل ككل صباح بسحنته الباردة يطلب منه طلبا أو يوزع حضوره الصقيعي من حوله ..

تحرك بالسيارة مندهشا من نفسه أن يتحمل هذا الـ برقوق بكل هذا الصبر .. فلا يجد مبررا لذلك سوى أنه يشفق عليه ويعامله بمبدأ (ارحموا عزيز قوم ذل) .

ابتسم بسخرية وبدأ في التفكير في عزومة اليوم والخطوات الرسمية لارتباط أروى بعمرو.. مازال لا يستسيغ الفكرة وإن حاول إخفاء ذلك عن الجميع .. عليه أن يعترف أنه مرتبط بأروى ويخشى من فقدانها أو انشغالها عنه .. ويخاف عليها أن تتألم .. لن يتحمل ذلك أبدا .. ويرتعب من فكرة فقدان

Des. Maryam Tamim

عمرو أيضا.. فأي تجاوز ولو بسيط في حق أروى لن يتهاون فيه وبالتالي ستتأثر علاقته بعمرو .
قبل أن يصل لآخر الشارع لمحت عيناه تجمهرا لعدد من الناس ولمح برقوق في وسط المشهد فركن السيارة بسرعة .

صرخت امرأة عجوز تضع أنواعا من الخضار في أقفاص صغيرة أمامها وهي تحسبن وترفع نظرها للسماء تدعو على برقوق.. الذي دفع بقدمه قفص الطماطم لتملأ أرض الشارع .. بينما بعض الناس يحاولون التدخل لمنعه مع بعض الخوف الواضح عليهم من حالته العقلية ..أما برقوق فكان ينظر إليهم ببرود صقيعي واضعا يديه في جيبه .. ثم تحرك ناحية قفص آخر يهم بدفعه حتى أتاه صوت أحمد كالرعد هادرا باسمه .

Des. Maryam Tamim



توقف برقوق فجأة .. وأغمض عينيه يشتم من بين أسنانه أن أمسك به ابن سماحة في هذا الوضع .. ثم استدار إليه يمنحه نظرة باردة كالعادة .. فاقترب منه أحمد بعصبية وأمسك نفسه على أخر لحظة من لمسه وهدر فيه من بين أسنانه "ماذا تفعل !!!"

لم يرد برقوق بل تطلع إليه في حرج يحك ذقنه ..فرد أحد الواقفين " لقد بليتمونا به يا باشمهندس والله"

نظر أحمد لبرقوق شذرا بينما الأخير يصدِّر صدغه إليهم ببرود ..

بدأ الناس يلملمون الطماطم من على الأرض والعجوز تخبئ وجهها في طرف حجابها الأسود وتبكي بحرقة فهدر أحمد فيهم " أتركوها .. هو من عليه لملمتها "

ثم طالع برقوق بعينين تموجان بالغضب وهو يشير للأرض .

Des. Maryam Tamim

تسمر برقوق قليلا يتحاشى نظرات ابن سماحة وكأنه لم يسمع شيء فتكتف أحمد أمامه يطالعه في تحدي بنظرات تخترقه .. ليتحرك متململا .. وهو يكوم شفتيه في اتجاه واحد في امتعاض .. وأخذ يلملم الطماطم في قميصه ببطء مستفز .

قالت العجوز لأحمد من بين دموعها "والله يا بني لم أفعل له شيئا .. أنا على باب الله كما ترى .. وكنت أجلس بأول الشارع فضايقني وطلب مني الرحيل .. جئت إلى هنا في نهاية الشارع ..فلم يتركني في حالي .. واليوم جاءني يريد حزمة خس بنصف الثمن .. وعندما رفضت فعل ما رأيته " عادت العجوز تخبئ وجهها وتبكي فأشفق عليها أحمد وقال بهدوء " لن يتعرض لك مجددا يا حاجة .. وإن فعلها أخبريني .. أسألي أهل الشارع عن ابن سماحة سيدلونك "

Des. Maryam Tamim

ثم استدار لبرقوق الذي يتهادى ببرود في لملمة الطماطم بينما بدأ بعض الواقفين الضحك فحدجهم برقوق بنظرات متوعدة وخص العجوز بنظرة غل واضحة فأبعدت الأخيرة نظرها عنه بخوف ترتب أقفاصها .

بعد قليل كان برقوق يقف أمام أحمد يصعر له صدغه في وقفه مسترخية يديه في جيبه ويحدجه بنظرات وملامح ممتعضة بينما أحمد يوبخه بعنف .

قال أحمد وهو ينهي كلامه ويستعد لركوب سيارته "هذا آخر تحذير لك يا برقوق ..أترك الناس وشأنهم ولا تشاكس خلق الله .. صدقني لو اشتكى منك أحد مرة أخرى .. سأبعدك عن الحي تماما ولتذهب لحال سبيلك .. نحن لم نقصر معك لكنك مصر على اختلاق المشاكل .. افعل شيئا مفيدا يا برقوق فكر في شغل فراغك بأي عمل

Des. Maryam Tamim

بسيط .. فكر في نوع العمل وأنا سأوفره لك ...
وإياك أن يأتيني بسببك شكوى .. هيا إلى مكانك ولا تغادره "

مط برقوق شفتيه بعبوس طفولي وتحرك مطرق الرأس بقامته القصيرة النحيلة المائلة للإنحناء بينما زفر أحمد في عصبية وهو يعود لسيارته من جديد .

***

في المساء كان البيت كله متوتر على الرغم من أن كل منهم ينكر ذلك .. وذلك ترقبا لزيارة أم عمرو التي فُهم ضمنيا أن موافقتها لم تكن إلا بضغط من ابنها .

ارتدى أحمد بنطالا من الجينز وبلوزة رياضية بعد أن رفضت والدته بعصبية أن يقابلهم بملابس رياضية بسيطة يرتديها في المنزل .. على أساس أنهم ليسوا أغرابا وأن الأمر لا يحتاج للرسميات..

Des. Maryam Tamim

لكنه أشفق على توترها فاستسلم ونفذ على مضض
.
خرجت بانة للصالة تضع بعض الفضيات على المائدة فتفحصها بنظرات جريئة .. كانت ترتدي بنطالا من الجينز هي الأخرى وبلوزة قصيرة ..فتجسد قوامها الذي يميل للامتلاء بعض الشيء أمامه بأنوثة مذيبة لأعصابه .. فتمتم في سره "يبدو أنني سأتركها تبيت هنا الليلة ..وأبيت أنا في حوض مملوءا بماء مثلج في شقتنا حتى الصباح".

لمحته فالتمعت عيناها .. تتأمله بالجينز .. الذي لا يميل لارتدائه .. بل يتقيد دائما بالملابس الرسمية مفضلا الحُلّات الكاجوال ومحافظا على مظهره الأنيق .. بنفسية (النجم السنيمائي) كما قابلته أول مرة .. وإن كان قد انكسر ميله للمبالغة في التأنق بعد النضج الذي حل بشخصيته منذ فترة فأصبح

Des. Maryam Tamim

أنيقا دون مبالغة .. تمتمت بانة في سرها " السيد الأنيق دائما ".
تقدمت نحوه بابتسامة واعترفت لنفسها أنها اشتاقت إليه منذ أن رحل في الصباح ..بات يلح عليها شعور بافتقاد حضوره المشاكس حولها .. حتى حين عاد منذ ساعتين كانت مشغولة بالمطبخ وخمنت أن وجود أم شهد وأبنتها قد منعه من الدخول إليها .

استقبلها بابتسامته التي تحطم أسوارها فقالت تمازحه " هل تنازلت وارتديت الجينز اليوم .. هذا تجاوز في حق الوجاهة ."
اتسعت ابتسامته ورد عليها وهو يتجول بعينيه في وجهها " لم أجد مفرا .. أمي مصرة ..وسأكون أبلهاً وأنا أرتدي حله رسمية في مناسبة عشاء مع جاري الذي كنت ألعب معه في الشارع (عسكر وحرامية) "

Des. Maryam Tamim

رنت ضحكتها فتمتم بهمس مسموع " يا منجي من المهالك يا رب !"

قالت وهي تتطلع إليه " لا أستطيع التخيل أنك تجري في الشارع مثل الأولاد وتقع في الارض ويغطيك التراب وما إلى ذلك "

وضع يديه في جيبه ورد عليها بنباهة " كنت أخصص ملابس معينة للعب في الشارع أرتديها في كل مرة أخرج فيها حتى لا أهين ملابسي الباقية .. وعموما لم ألعب كثيرا بالشارع كان معظم تجمعنا ولعبنا بالنادي . وبما أن أربعتنا أعضاء فيه فكنا نتقابل هناك "

سألته بعينين تتلألأ فيهما النجوم "وكيف كان شكلك وأنت صغير ؟"

أمسك بذقنها بين أصابعه برقة وقال " أنت متخصصة في السؤال في أوقات غريبة وأماكن غريبة يا فتاة .. لقد قضينا اسبوعين كتماثيل الشمع في الشقة .. حتى الخروج من المنزل مثل

Des. Maryam Tamim

باقي العرسان لم ترغبي فيه ولم أحب الضغط عليك "

لاح الألم في عينيها وهمست" أعرف أني أظلمك معي يا أحمد.. أعطني مزيدا من الوقت .. صدقا أنا أجاهد نفسي "

تأملها قليلا ثم همس بعشق " إن كان وجودك في حياتي ظلما لي .. فاظلميني يا بانة إلى الأبد ."

تخضبت بالحمرة تطالعه بأنفاس متقطعة ولمح نظرة اعجاب في عينيها لمظهره بالبنطال الجينز فاقترب منها أكثر ليشملها بدفئه .. قبل أن تخرج أروى للصالة فجأة وهي تقول ساخرة " هل أستطيع تعطيل المشهد العاطفي قليلا .. "

جز أحمد على أسنانه وسألها في غيظ "ماذا تريدين ؟؟؟!!"

قالت ببراءة مصطنعة " لا شيء فقط افتح الباب واستلم من عامل التسليم "

Des. Maryam Tamim

عقد حاجبيه وهو يتحرك نحو الباب ويتمتم "هل طلبنا شيئا ؟"

أغلق الباب بعد دقائق وهو يحمل باقة كبيرة من زهور التيوليب البيضاء وطبقا من الكريستال مليء بالشيكولاتة ومغلفا بالسلوفان ..فنظر إلى الهدية وقد فطن للمرسل فقال "ما هذا القرف ؟!"

ردت أروى بسعادة طفولية " عمرو أرسلها " فسألها باستنكار وهو يطالع ما يحمله بامتعاض "ولماذا فخامته لم يحضرهم معه؟!! "
ردت بنفس الابتسامة الطفولية الولهة" إنه يلف حول نفسه منذ ساعتين .. ويهاتفني كل عشر دقائق يبرطم بأنه لن يحمل هذه الأشياء ويمشي بها في الحي أمام الناس ولن يدخل بها من الباب (ثم اتسعت ابتسامتها وأكملت) إنه متحرج من

Des. Maryam Tamim

حملها ..فاقترحت عليه أن يطلب من عامل التوصيل أن يوصلها قبله "

هتف متهكما " ما أروعه !!!"

خرجت آية تهتف بانبهار " واااو .. ما هذا الجمال ؟!! "

رد أحمد بغيظ " بل قولي ما هذا الابتذال والنمطية !!"

أكملت آية وهي تنظر للهدية بإعجاب" هل تعلمين يا أروى أن هذا الورد مستورد ؟.. أعتقد أنه بمبلغ ليس بالقليل ..كما أن هذه الشيكولاتة وهذا الطبق الكريستالي بمبلغ ليس بالقليل أيضا .. صدقا ذوقه رائع "

طحن أحمد ضروسه بغيظ ودفع بالباقة والسلة نحو أروى وأية .. وبمجرد أن أخرجت أروى البطاقة الملحقة خطفها بسرعة ليفتحها بفضول

Des. Maryam Tamim

بينما أروى تنفخ في غيظ .. ثم قرأ المكتوب
..واعادها لأروى بقرف ..
حدجته بانة بنظرة موبخة فرد عليها بهمس حانق
" لا أحب تمجيد أشياء عادية .. كما أنها ليست
زوجته بعد .. ذكريني ماذا أحضرت لك في أول زيارة
لآل غنيم؟"
زمت شفتيها ونظرت إليه نظرة خاوية فهرش في
رأسه وسألها بهمس محرج " لم أحضر شيء ؟!!"
أومأت برأسها وهي تكتم ضحكتها ..فسألها بهمس
وهو يشيح بوجهه بعيدا عن البنات" وماذا قالت
عني الخالة سوسو ؟!!"
اطبقت بانة على شفتيها دون رد .. فأطرق برأسه
وتمتم " ولماذا لم تنبهيني يا بانة؟!!"
فابتسمت وردت بنفس الهمس" خجلت أن
أتحدث معك وقتها في أمر كهذا .. خاصة وأنا أجده
سخيفا أن ندقق على هذه الأمور التافهة "

Des. Maryam Tamim

رد عليها بهمس حانق " لكنه يعيبني أمام من تعتبرينهم أهلك "
ابتسمت بإشراق وقالت بنفس الهمس " لا تقلق ..فأنت أرسلت إليها في صباح اليوم التالي باقة ورد وطبق من الفضة خلبا لبها "

رفع حاجبا وسأل بشك " أنا !!! "
فغمزت له بعينها.
تملكته رغبة حارقة في تقبيلها قبلة طويلة تقطع أنفاسها .. الأن ..
حالا .. وفورا ..
لكنه تنحنح يسيطر على أعصابه .. وتطلع للفتاتين اللتين مازالتا تتحدثان عن الهدية ..

خرجت إليهم إلهام وهتفت بعصبية " هلا وضعتم هذه الهدية على المنضدة بشكل أنيق بالله عليكم .. وكفى تحديقا فيها وكأنكما لم تشاهدا هدية في

Des. Maryam Tamim

حياتكما .. وأنت يا أروى هل هذا ما ستلبسينه ؟!!!
"

ردت أروى بهدوء " ما بها ملابسي يا أمي ؟"
كانت ترتدي فستانا باللون الليلكي الداكن يبرز نحولها مع أكمام تنتهي ببعض الانتفاخ عند الساعدين ثم تضيق حول رسغيها بأناقة كأكمام فساتين الأميرات .. وقد وضعت بعض الزينة الخفيفة وحجابا بسيطا .
قالت إلهام في حنق " هذا لبس يصلح للنادي!! .. ولماذا لا تلبسين أي مصوغات ذهبية .. من يراك يعتقد أنك لا تملكين ذهبا !!"
ردت أروى بهدوء "لا أحب أن أبدو مبالغة يا أمي فالمناسبة عادية "
تدخل أحمد يقول بدبلوماسية " أنا أتفق معها يا أمي .. وأرها ما شاء الله مبهرة "
فأشاحت إلهام بذراعها بعصبية وتركتهم وهي تبرطم .

Des. Maryam Tamim

نظرت إليهم أروى وتمتمت " وأنا سأذهب لأضع اللمسات الأخيرة تعالي معي يا آية من فضلك ساعديني "

في الطريق لغرفتها فتحت البطاقة بلهفة لتجد الجملة الغنائية :

يالشوقي واحتراقي في انتظار الموعد

أطرق أحمد في ضيق وشفقة من الحالة التي عليها والدته .. فتمتمت بانة وهي تهم باللحاق بها "إنها متوترة منذ بداية اليوم ..سأذهب إليها "

طالعها بنظرات ممتنة وهي تتحرك ثم لحقها بصوته يقول " هل ستقابلينهم بهذا البنطال يا بانة؟"

ردت بخجل " لا بالطبع سأرتدى فوقه رداء طويل"

ثم أسرعت إلى الداخل بوجنتين مشتعلتين.

Des. Maryam Tamim

دخلت بانة على إلهام التي تقف متخصرة متحفزة
فسألتها " لماذا أنت متوترة يا أمي "
صمتت إلهام قليلا وهي تعض على خدها من الداخل ثم قالت "بصوت خفيض حتى لا تسمع أم شهد وابنتها الواقفتان بالمطبخ " اخشى على أروى من عفاف .. أنا أعرفها منذ أن كنا صغارا .. وأعرف عقلها الصغير .. وأعلم كيف هي مهووسة بابنها .. وما يعصبني أني قد لا أستطيع اطلاق لساني للرد على أي كلمة لا تعجبني حتى لا افسد الموضوع .. وأدعو الله أن يلهمني الصبر وأن يربط لساني .. فقط من أجل أروى وعمرو "

ابتسمت بانة في اشفاق ثم قالت "إن شاء الله سيمر الأمر على خير .. وأنا أرى أروى قوية وعاقلة .. وما يهمنا أن عمرو متمسك بها ويريدها بشدة "

Des. Maryam Tamim

زفرت إلهام وتمتمت" اللهم إن كان به خيرا فسهله يا رب "
مالت بانة عليها وطبعت قبلة على خدها ثم سألتها لتثير حماسها" وهل ستقابلينها بهذه الملابس ؟!"

حدجتها إلهام بنظرة ماكرة لامعة ثم رفعت حاجبيها بخيلاء وقالت " بل حضرت عباءة من الحرير بها بعض التطريز الرقيق على الأكمام والصدر مستوردة .. ستفجر مقلتيها تفجيرا."
علت ضحكت بانة وهي تحتضنها في محبة وإلهام تبتسم وتربت عليها بحنان .

***

بعد ساعة كان الجميع حول منضدة الطعام يتظاهرون باللاشيء على الرغم من ملامح عفاف العابسة منذ أن دخلت .. تتعامل بجفاء ووجه مقلوب .. مما أشعر عمرو بالحرج على الرغم من

Des. Maryam Tamim

تأكيده عليها مرارا قبل الحضور ألا تفسد الأمر مادامت قد اعطته موافقتها .

حاول عمرو الذي كان يجلس بين أروى على يمينه وأمه على يساره .. التعامل ببساطة متخفيا خلف الوجه المتحفظ .. بينما ضغطت إلهام على أعصابها لتمارس دور المضيفة رغم شعورها بالكبت والغيظ بسبب وجه عفاف المقلوب .. وبدأت في وضع الطعام أمامها تحثها على الأكل وعفاف تتجاوب ببطء .

سأل الحاج بلهجة غامضة وكأنه أراد وضع النقاط على الحروف في حضور الجميع " هل الشقة التي اشتريتها تحتاج عمل كثير يا عمرو؟ "

رد عمرو بهدوء "بعض التعديلات البسيطة وخاصة غرفة النوم.. أنوي توسيعها مع الغرفة

Des. Maryam Tamim

المجاورة وأقيم جزء منها حمام صغير ملحق بالغرفة .. كما أن أحمد سيساعدني في تركيب بعض الدعامات بالحمام وبعض التغيرات الأخرى لتناسب أروى أكثر ".
رد الحاج برضا "هذا جيد "

تمتمت عفاف بمصمصة " بصراحة لم أرى داعيا لشراء شقة جديدة .. شقتي واسعة وجديدة نسبيا .. هي فقط تحكمات غريبة ."

ساد الصمت وامتقع وجه إلهام بشكل واضح فرد عمرو بهدوء رغم حرجه " يا أم عمرو أنا أخبرتك من قبل أن هذه كانت نيتي منذ فترة .. وقد فاتحت فيها أبي رحمه الله أني حين أتزوج سأستقل في شقة خاصة .. وكنا ننتظر إخلاء أي شقة في العمارة وعرضها للبيع لأكون قريبا منكم وقد جاءت الفرصة الحمد لله ".

Des. Maryam Tamim

ردت عفاف بحزن "ومات الشيخ هل ستتركني وحدي بالشقة ؟!"
رد عمرو وقد تحرج أكثر أن تختار هذا التوقيت بالذات لمناقشة هذا الأمر " يا أماه أنا معك بنفس العمارة وسأكون معك يوميا .. الأمر فقط أني أحب لزوجتي أن يكون لها مكانا مستقلا بها .. كل زوجة من حقها أن تشعر بهذا الشعور ".

سكتت عفاف بوجه واجم .. فتدخلت إلهام تحاول إغلاق الموضوع " كلي يا عفاف لم تتذوقي هذا الطبق إنه من بلد بانة .. هل تذوقت هذا الطبق يا عمرو؟ "
ردت عفاف بسرعة " مرمورة لا يحب الباذنجان".
تجمدت يد عمرو بالملعقة قبل أن تصل لفمه وقد شعر بأعراض ذبحة صدرية وشيكة .. وطعنة مؤلمة في صميم رجولته أمام أروى وأهلها.. بينما ساد صمت ذاهل بين باقي الحضور .

Des. Maryam Tamim

سرق أحمد المشهد لعدة ثوان حينما سعل بقوة يقاوم الاختناق .. وقد أشفق بشدة على صديقه .. فتطلعت إليه بانة بقلق من الجهة المقابلة للمنضدة بينما ربتت أروى التي تجلس بينه وبين عمرو على ظهره بحزم .

حدج عمرو أمه بنظره غاضبة قبل أن تفلت من أروى ضحكة كتمتها بسرعة في مهمة انقاذ سريعة بالاتفاق مع أحمد.. فاستدار عمرو لأروى بنظرة عاتبة وإن كان قد هدأ توتره قليلا بعد أن وجدها تستقبل الموقف بضحك .

تدخل أحمد يقول بتسلي لأروى التي تكتم ضحكتها بيدها " الآن اقتنعت بتوافقكما .. هل أفضحك وأخبرهم بالاسم الذي كنا نطلقه عليك ونحن صغار ؟".

Des. Maryam Tamim

ضحكت أروى ومدت كفها تغلق فمه فأزاله وهو يقول " أشك أن عمرو يتذكره .. فتخيلي حينما يعرف "

وضعت كفها تغلق فمه مجددا وقد انقشع التوتر وتصاعد بعضا من المرح في الأجواء فانطلقت آية تقول بإلحاح " قل يا أحمد قل "

رد عمرو بهدوء وشبح ابتسامة تلوح على وجهه "تقصد (البرادعي)؟؟؟ "

عبست أروى كالأطفال قبل أن ينفجر معظم الجالسين في الضحك بما فيهم أروى التي غطت وجهها بحرج ضاحكة .. بالطبع إلا شخص واحد كان مصر على الحفاظ بوجهه المقلوب .

فسر أحمد لبانة عبر المائدة "كان هناك مسلسل قديم به عبارة شهيرة لمجرم متخفي اسمه البرادعي ..وكنا نلقبها بهذا الاسم ..لأنها كانت برغم ملامحها

Des. Maryam Tamim

الرقيقة مخيفة و جبارة وحازمة خاصة في فترة المراهقة "

ردت بانة بلهجتها بعفوية " نعم اتذكر هذا المسلسل القديم "

غلظ أحمد صوته وردد العبارة بلهجة مخيفة "(أنا البرادعي يا رشدي) " .. ثم أطلق تلك الضحكة التي تحبها بانة .. فقبلته عيناها عبر المائدة بعشق .

تأمل عمرو بطارف عينه أروى وضحكتها تدغدغ شغاف قلبه ... وظل يدعو في سره أن ينتهي هذا اليوم بسلام دون المزيد من كلمات والدته المحرجة له .. والذي لم يعد متأكدا هل تتعمد إفساد الأمر أم أنها تتعامل بعفويتها المؤذية أحيانا وعقلها البسيط .

غير أن أمله كان زائفا .. فسرعان ما سألت والدته أروى فجأة " وهل ستتمكنين من الطبخ يا أروى أم

Des. Maryam Tamim

كيف ستدبرون أمركم؟.. أم تتوقعون أن أتولى أنا هذا الأمر بدلا منك ؟!"

رد عمرو بصوت خفيض " هل هذا الأمر مناسب للحديث عنه الأن يا أمي .. عموما سندبر حالنا أنا وأروى لا تقلقي علينا "

هذه المرة لم تستطع إلهام السكوت فردت بكبرياء "وأين أنا إذا اضطرت ابنتي للطبخ يا عفاف .. فتيات كثيرات في هذا الجيل يعتمدن على والدتهن في تلك الأمور في الفترة الأولى من الزواج .. وأنا سعيدة أنها لن تكون بعيدة المسافة عني حتى أستطيع أن أدللها كما أريد .. فما فائدتي في الحياة إن لم أدلل ابنتي .. حتى تذكرني بالخير حين أموت "

تمتمت أروى بتأثر" لا حرمني الله منك يا أمي"

ردت عفاف " أطال في عمرك يا إلهام لكن لا تؤخذيني نحن نكبر بالعمر سريعا والاعتماد علينا أمر غير واقعي ."

Des. Maryam Tamim

هزت آية ساقها تحت المنضدة بعصبية وغل.. تحاول التعقل وعدم التهور حتى لا تفسد الجلسة.. بينما تدخلت بانة لأول مرة في الحديث تقول بلباقة " لا تقلقي يا خالتي بهذا الشأن .. أطال الله في عمر أمنا .. وأنا موجودة وأساعد.. ولن تحتاج أروى لشيء بإذن الله"

ابتسمت لها أروى في امتنان بينما قالت عفاف لبانة بلهجة لطيفة " سلمت يداك بنيتي.. أعلم أنكم ما شاء الله .. تشتهرون بالمهارة في الطهي .. والحقيقة إن وجودكم شجع الكثير من شباب بلدنا الإقدام على الزواج منكن .. ما شاء الله جمال وكمال .. بالإضافة لأن طلباتكن ومهوركن بسيطة .. وترضين بأقل القليل رغبة في الستر"

عم صمت ذاهل .. ثم تباينت ردود الأفعال في الدقيقة التالية ..

Des. Maryam Tamim

فالتفت عمرو لوالدته متسع العينان ليهمس باستنكار " أمي !! ما هذا الكلام !! "

بينما أزاح أحمد كرسيه بحدة واقفا .. فكان الصرير الصادر عن احتكاك الكرسي بالسيراميك انعكاسا لضروسه التي يطحنها محاولا التحكم في رد فعله .. كرامة لعمرو وأروى فهتف بلهجة خطرة " سلمت يداك يا أمي "

ثم تطلع لبانة التي طمأنته بأنها بخير برغم الامتقاع الظاهر على وجهها .. فابتعد وخرج للشرفة .

في الوقت الذي حوقل فيه الحاج سماحة بنفاذ صبر وقد آثر الصمت منذ بداية الجلسة مراعاة لخاطر الشيخ وأبنه ...خاصة وأنه يتحرج أن يرد على امرأة .

أما إلهام فبمجرد أن قالت عفاف ما قالته " ضربت بكفها على المنضدة بعنف ..وقد طفح بها الكيل .. فأصدرت أساورها الذهبية صوت تحذيري فلحقتها

Des. Maryam Tamim

بانة التي تجلس بجوارها لتمسك بذراعها .. قبل أن تتهور وتمتمت في همس " إهدئي يا أمي أرجوك .. لا تسمحي لها باستفزازك "

الوحيدة التي لم تستطع الصمود أمام هذا الكلام المستفز وفاجأت الجميع بانفعالها كانت آية التي ردت على عفاف قائلة بسخرية " فعلا يا خالتي جمال وكمال وطلباتهن ومهورهن بسيطة وترضين بأقل القليل .. ويسهل حملهن وطيهن وتخزينهن .. ويحتوين على إشعال ذاتي وإضاءة في الظلام .. وهناك من يكون محظوظا فيحصل على نوع فريد منهن يصفق بمجرد النظر إليه ".

نظر الحاج لآية بابتسامة فغمزت له .. بينما ردت عفاف في حرج وهي تطالع وجوههم بالرغم من أنها لم تفهم ما الذي قالته وضايقهم" يبدو أنني قلت شيئا ضايقكم .. أنا لم أقصد أي إساءة "

Des. Maryam Tamim

تدخل عمرو يقول بحرج شديد وقد احمرت أذناه "أعتذر لو فهم كلام أمي بشكل سيء .. آسف يا بانة "

ثم دفع الطبق من أمامه بعصبية رغم محاولته التماسك واستقام وهو يقول بصوت مخنوق "سلمت يداك يا خالتي "

ردت إلهام بإشفاق " لم تأكل يا بني .. الطعام أمامك كما هو "

ابتسم في مرارة وكرر الشكر ثم توجه بنظرات معتذرة للحاج سماحة ذو الملامح المتجهمة وتحرك ناحية الأريكة الكبيرة في الصالة متحاشيا التطلع في وجه أروى التي كانت تراقب الجميع في وجوم ..

جلس عمرو على الأريكة متحاشيا حتى الخروج لأحمد في الشرفة .. وقد بدأ اليأس يسيطر عليه في إتمام الأمر بعد الطريقة التي تعاملت بها والدته.

[2060]

أما آية فأكملت كلامها وهي متكتفة " هل رأيت يا أبي لقد خُدعنا .. انظر لحجم المبالغ التي دفعناها لزواج أحمد من بانة .. كان من الممكن التوفير وتزويج أحمد بأربعة مرة واحدة من النوعية التي تتحدث عنها الخالة .. كنا حصلنا على المميزات مضروبة في أربعة بتكاليف أقل "..

ابتسم الحاج بينما تحركت عفاف تترك المائدة في جبن وهي تقول " سلمت يداك يا إلهام "
ردت إلهام ساخرة " لم تأكلي جيدا يا عفاف هل شغلك الكلام عن الأكل ؟"
ردت عفاف وقد عادت للوجه المقلوب " أكلت شكرا "
بمجرد أن تحركت استقام عمرو يقول في تهذيب على الرغم من التجهم البادي على وجهه " هيا يا أمي "
ردت إلهام تقول " إلى أين يا بني ؟"

Des. Maryam Tamim

قال عمرو " أعتقد أن أمي بحاجة للراحة فلا أريد أن أجهدها "
حملت عفاف حقيبتها في كبرياء لكن أروى تدخلت فجأة تقول بجدية " لكني أود الحديث مع خالتي عفاف أولا (ثم أكمت بصوت أكثر لباقة) بمفردنا إن لم يكن لديها مانع "

تمتم عمرو معترضا " ولكن .. "
فقاطعته أروى بحزم " أنا أريد ذلك فإن وافقت الخالة سأكون ممتنة "
ردت عفاف بترفع " لا مانع طبعا بنيتي "

أشارت أروى بيدها لتسبقها نحو غرفة الصالون فتحركت عفاف نحو الغرفة بتحدي .
نظر الجميع لأروى فابتسمت لهم ابتسامة مشجعة وتحركت بكرسيها .. ليهمس عمرو عند باب الغرفة بتوسل " ليس هناك داعيا يا أروى "

Des. Maryam Tamim

ابتسمت له أروى بشجاعة ودخلت الغرفة التي ظل بابها مفتوحا .. فوقف عمرو بقلق يدعو الله أن تترفق أمه في اختيار ألفاظها .. فإن كان الأمر قد يتعثر أو يفشل فلا داعي لأن يكون بجرح أروى .. واستعد للتدخل في أي لحظة منهيا الحوار بحزم إذا ما تجاوزت أمه حد اللباقة في الحديث .

بادرت أروى بالحديث بشجاعة " تفضلي يا خالتي اسأليني كل الأسئلة التي تدور بمخيلتك وأنا سأجيب بمنتهى الصراحة "

قالت عفاف ببعض اللطف " لا تؤخذيني يا بنيتي لكني أم.. وأحب ولدي .. وأتمنى أن ينعم بالسعادة حينما يتزوج "
ردت عليها أروى بتفهم " طبعا بالتأكيد وبالنسبة للرد على سؤالك لي بشأن الطهي .. فأنا كنت أساعد أمي في المطبخ قبل الحادث .. لكن بعده لم

Des. Maryam Tamim

أقم بأي محاولة .. لأنني لن أستطيع الوقوف أمام النار والتعامل معها حتى لو تم تصميم الموقد بمستوى الكرسي لن يكون الأمر آمنا.. لذا من الصعب التعامل مع النار وأنا على الكرسي.. أنا تكيفت مع الكثير من الأمور .. وأصبحت أتقنها لكل للأسف ليس من بينها الوقوف أمام النار أو التعامل مع الأشياء الساخنة مباشرة .

فكرت يوما أن استخدم الكرسي الذي يستخدمه مرضى الشلل .. حفظك الله فهو يستقيم واقفا بصاحبه المربوط به .. من كل ناحية لكني وجدته غير عملي وغير أمن لاستخدامه أمام النار ..

ماذا سنفعل في هذه الحالة ؟ ربما سنعتمد معظم الوقت على أمي بارك الله في عمرها .. وقد نلجأ لامرأة في المستقبل تطبخ لنا .. وقد يساعدني عمرو ويطبخ هو .. لا أعرف لكن هذا هو الوضع ."

ردت عفاف مستنكرة " أبني لا يعرف كيف يسلق بيضة ولن أحب أن أراه يتزوج ليخدم زوجته"

Des. Maryam Tamim

جز عمرو على أسنانه في الخارج يهم بالتدخل فأشار له الحاج ألا يفعل.. بينما تركت إلهام المكان وذهبت للداخل قبل أن ترتكب جريمة .

ردت أروى بثقة " إذن سنعتمد على أمي حتى أقرر إن كنت سأستعين بأحد يساعدني بهذا الأمر .. أو ربما يمن علي الله بالشفاء بعد حين "

ردت عفاف بسرعة " ولماذا تحملوا ميزانية البيت مصاريف خادمة "

تنهدت أروى وقالت " هذا هو الوضع يا خالتي للأسف "

سألتها عفاف ببعض التردد " هل صحيح ظهرك مكسور فقط أم أن هناك شلل يمنعك من .. من .."

Des. Maryam Tamim

احمر وجه عمرو واندفع للغرفة يقاطعها بحزم " أمي !!!!! "

تألمت أروى جدا .. وذبحها السؤال في صميم أنوثتها .. لكنها طلبت من عمرو بهدوء حازم " من فضلك يا عمرو اتركنا نكشف كل الأوراق مرة واحدة (ثم همست في حرج) هل من الممكن أن تخرج من الغرفة ؟"

عاد بظهره بوجه محتقن لخارج الغرفة وهو يزم شفتيه في وجوم بينما عادت أروى لتقول لعفاف بنفس الوجه اللامبالي الذي تتقنه" أنا أعاني من كسر بفقرات الظهر فقط .. وكان ربي رحيما بي فلم تتضرر الأعصاب .. وبالتالي ليس لدي أي شلل من أي نوع .. وأحس بكل ذرة من جسدي وأحرك قدماي وانزلها من على الكرسي (وحركت قدميها وانزلتها من على الكرسي وأعادتها مرة أخرى أمام عفاف ثم اكملت) وبالتالي لا توجد لدي أي مشاكل تمنعني من الزواج "

Des. Maryam Tamim

سألت عفاف " والانجاب ؟"
ردت أروى وقد توقعت السؤال " منذ فترة كنت في زيارة لطبيبة نسائية وأخبرتني أنه لا توجد أي مشكلة بالنسبة للإنجاب .. وأيضا طبيب العظام الذي يتابع حالتي أكد عدم وجود مشكلة .. وإن كان أبلغنا أن وقتها سيكون هناك احتياطات خاصة وتعامل خاص مع حالتي "
صمتت عفاف فأكملت أروى " أنا أعلم مدى حبك لعمرو وأطلب موافقتك على أن نكمل الباقي من عمرنا سويا .. وأعدك أن أسعده بكل ما لدي من قوة .. وأن استثمر مشاعري تجاهه فلا أجعله يندم أبدا على قراره بالزواج مني (ثم أدارت وجهها نحو الباب تطالع عمرو الواجم وأكملت) وأعلم أيضا أن عمرو يحبك جدا يا خالتي .. لذا سأتفهم إذا ما قرر عدم المضي في أمر ارتباطنا نزولا لرغبتك ما دمت لست مرتاحة لهذه الزيجة .. وأفهمه جيدا وأتفهم أولوياته ومبادئه وهدفه الذي يعيش من أجله ..

Des. Maryam Tamim

لذا فأنا لن آخذ أي قرار بشكل شخصي لأني أتفهم الوضع "

حدجها عمرو بنظرة عاتبة فعادت تنظر لعفاف التي تراقبهما بصدر يشتعل بالغيرة وأكملت" هل لديك أي أسئلة أخرى لي ؟"
تدخل عمرو يقول بحزم " يكفي هذا .. هيا يا أمي يبدو عليك الإجهاد "
تحركت عفاف بوجه واجم وسلمت على الجميع بفتور .. وإن خصت بانة ببعض نظرات الحسرة قبل أن تسبق عمرو لخارج الشقة .. بينما نظر عمرو لأروى نظرة لا يعلم إن كانت الأخيرة أو لا .. فمنحته ابتسامة مليحة مشجعة رغم الألم الذي يمزقها .. وتساءلت في سرها إن كان الحلم قد انتهى عند هذه اللقطة أو لا .

Des. Maryam Tamim

تحرك عمرو بتثاقل يودع الجميع ولاحظ أن أحمد يلتزم الشرفة ولم يخرج إليه.. فخرج وهو يتمتم في سره " رب لا تحرمني ممن تعلقت بها روحي .. وأفوض أمري إليك " .
شيعته بنظراتها وهو يغادر .. متحكمة في رغبة في التشبث بملابسه .. ثم ابتسمت وقالت بمرح زائف " ما رأيكم في خطبتي العصماء .. لا أذكر أين شاهدت هذا المشهد من قبل ."

ابتسم الحاج وردد " أنا فخورا بك يا أروى "
رفعت ذراعيها نحوه كطفلة صغيرة فانحني يحضنها ويربت عليها بحنان.. بينما هتفت آية في عصبية " اقسم بالله أني مارست تحكما خرافيا في نفسي حتى لا أتهور على هذه المرأة الوقحة وتقولون آية أفسدت الأمر"
ثم توجهت لأبيها تقول" أبي أريد أن أخرج قليلا .. سأموت يا أبي من الغيظ والعصبية "

Des. Maryam Tamim

رد الحاج " أين ستذهبين؟ الساعة السابعة مساء "

قالت " سأذهب لكريستين قليلا .. سأنفجر يا أبي اقسم بالله .. سأخذ توكتوك من أمام البيت "
قال الحاج باستسلام " حسنا أذهبي ولا تتأخري "
تحركت أروى تنظر لأحمد الذي مازال يلتزم الشرفة وحاولت تصنع المزاح فقالت " ماذا يفعل هذا بالشرفة هل يحب من جديد؟"
ربتت عليها بانة وقالت " اتركيه ولا تحملي همه سأذهب إليه أنا أعتقد أنك تريدين الاختلاء بغرفتك قليلا "
اتسعت ابتسامة أروى التي تداري آلامها وقالت " أعتقد أن الحلقة الجديدة من المسلسل قد ترجمت سأذهب لأشاهدها " وتركتهم وتحركت بكرسيها .. بينما تبادل الحاج وبانة النظرات المتألمة.

Des. Maryam Tamim

فقال الحاج بتماسك " اذهبي أنت لزوجك وسأذهب أنا لأطمئن على إلهام . "

***

بمجرد أن دخلت أروى لغرفتها سقط قناع (كل شيء على ما يرام) من على وجهها وتحركت بوجوم نحو الحمام .. واستقرت بجانب الباب تدفن وجهها في كفيها وتطلق العنان لدموع حبستها طوال الوقت ..

ليست متألمة من معاملة أم عمرو بقدر رعبها من أن تكون تلك هي النهاية .. وقد تعمدت أن تعطيه الفرصة للتراجع حينما ختمت حديثها مع أمه بتفهمها إن قرر عدم المضي في الارتباط نظرا لحبه الشديد لوالدته ..شفقة عليه من حجم الضغط الذي يقع تحته والطريقة التي تبتزه بها أمه عاطفيا مستغله حرصه الشديد على برها .

ليست متألمة ولكنها توشك على الموت ..

Des. Maryam Tamim

خاصة بعد أن علمت بمشاعره نحوها ..وبعد أن اعتادت على رفاهية الاستماع لصوته والتحدث معه ومشاكسته ..
وبعد أن أنبت الأمل بداخلها وعودا بالمزيد من الفرص لرؤيته .. لرسم تفاصيله بعينيها .. للارتواء من حضوره في الجوار .

أين قدرتها على التكيف إنها تحتاجها الآن وبشدة؟!! ..
أين إيجابيتها وقدرتها على التعامل مع الأوجاع ؟!
تحتاج لاستحضارها فورا ..
في مهمة انقاذ عاجلة ..
انقاذ من جريمة أمل تبرعم في نفس يائسة .

هل إذا توسلت إليه سيقبل أن يعودا عمرو القاضي و Mi Min ؟؟!!.

[2072]

هل سيتخلى عن مبادئه ويبقى على تواصل معها
دون رباط بينهما ؟!!.
كيف تقنعه بذلك ؟؟ ..
إن كان يحبها سيوافق ..
سيوافق على أن يظلا على اتصال ..
ستخبره أنها لن تطمع في أكثر من اتصال ..
وإن منعته المبادئ من أن يتواصلا عبر الهاتف
فسترضي بالعودة للتواصل معه بالكتابة ..
سترضى ..
ستتكيف وترضى بأقل ما سيسمح به هو ..

إنها المتكيفة دائما بامتياز !!.
وإنها ..
ذلك الكائن اليائس ..
المحتاج ..
العاشق إلى حد الوجع.

[2073]

هل تتعذب مثلي يا عمرو ؟؟؟ ..
هل ستشتاق إليّ كما أشتاقك ؟؟؟ ..
هل ستراني الأنثى الوحيدة في العالم كما أراك الرجل الوحيد على سطح هذا الكوكب ؟!!!.
ابتسمت من بين دموعها في سخرية مُرة وتمتمت" أفيقي يا أروى أنت في الواقع ولست في دراما كورية رومانسية "

***

دخلت بانة للشرفة واستشعرت قبل أن ترى وجهه تشنج عضلات جسده .. كان صامتا يدخن .. وخمنت أنها ليست السيجارة الأولى .

حين اقتربت كان واجما ولم يلتفت إليها فمسدت على ذراعه بحنان لينتبه لوجودها .. لكنه لم يقدر أكثر من رسم شبح ابتسامة على وجهه المرهق.
سألته بهدوء "هل سمعت الحديث بين أروى والخالة أم عمرو ؟"

[2074]

أومأ برأسه وتمتم بحشرجة " أجل .. شرفة غرفة الصالون تنقل كل الصوت إلى هنا "
لم تدري كيف تخفف عنه فتمتمت " أرى أن أروى كانت شجاعة وتصرفت تصرفا سليما "
ابتسم لها ابتسامة شاحبة دون رد .

آلمها الحزن البادي على وجهه فسألته بقلق وهي تقترب منه حتى كادت أن تلتصق به " ما الذي تفكر به ؟"
رد بهدوء " أشعر بالعجز وقلة الحيلة يا بانة .. أرى أختي تتعذب ولست قادر على فعل أي شيء".
مدت ذراعها تمسد على ظهره وتلتصق به أكثر ثم تمتمت بإشفاق" أعرف ما تتحدث عنه جيدا .. إن الشعور بالعجز على إسعاد من نحبهم أمرا مؤلما على النفس .. لكنك لست وحدك الذي تشعر بهذا الشعور . . ومادام الحل ليس بيدك فسلم الأمر لله "

Des. Maryam Tamim

رد بلهجة متألمة " ونعم بالله .. لكني أتألم لألمها ... ولا أعرف ماذا أفعل لأخفف عنها "
ابتسمت وقالت "ما بيدنا أن نفعله أن نواسيها .. أن نشجعها .. أن نضحكها .. كما أننا لا نعلم أين الخير .. وعسى أن تحبوا وعسى أن تكرهوا .. إن كانت من نصيبه فلن يعرقلهما أحد اطمئن "

تأملها قليلا ثم مد يده وشدها نحوه برفق لتقف أمامه واحتضنها من الخلف .
فهمست بخجل " أحمد نحن في الشرفة !!"
رد بهدوء "الشرفة مظلمة .. لا تقلقي "
غمرها دفئه ورائحه عطره فقالت بخفوت " ألم تعدني بالتوقف عن التدخين ؟"
رد وهو يسند ذقنه على رأسها ويحدق في الفراغ أمامه " أمرك"
ردت بغيظ " أحمد أنت تشعرني أني سيئة"
رفع ذقنه وسألها مندهشا " لماذا !!!"

Des. Maryam Tamim

ردت بغيظ " لأنك تعاملني جيدا .. وأنا غير قادرة على إسعادك "

ابتعد عنها وفرك جبينه بإرهاق ثم قال بهدوء وهو ينظر أرضا " بانة "

فاستدارت إليه ترد بنعم .

نظر إليها وقال " هل تعتقدي أني الآن في حالة تسمح بتحمل كرامتك المتورمة .. التي تفتق عنها مؤخرا احساس بالتقصير .. والذي أعرف جيدا أنه سينمو ويستطيل ممزوجا بميلك الفطري للتفزلك لينعكس بقدرة قادر ليشكل أزمة دولية بين البلدين الشقيقين !"

تحكمت في ابتسامتها ووقفت متخصرة بخيلاء تتصنع التأفف وتمتمت " قدري أن أتحمل فظاظتك "

Des. Maryam Tamim

ابتسم لها ابتسامة مستخفة ثم قال ساخرا وهو يعود للوقوف بجانب سور الشرفة " عاجزين عن الشكر والله ."

بعد قليل قالت بقلق " سأذهب لأطمئن على أروى"

كسى الألم ملامحه وقال " أجل اذهبي اليها .. لست قادرا على تحمل رؤيتها مكسورة القلب .. أشعر أني قد أرتكب جريمة ... أرغب في الذهاب لتلك المرأة وخنقتها والتمثيل بجثتها .. "

تحركت لتغادر فأكمل " لا تجعليها تبكي كثيرا يا بانة.. ولا يغركم هذا العرض المسرحي الذي قدمته منذ قليل .. لا أحد يعرفها أكثر مني إنها الآن منزوية في أحد الأركان تبكي وحدها "

مسدت على ذراعه وقالت بحنان" لا تقلق يا حبيبي سأذهب إليها حالا .. كنت فقط امنحها بعضا من الوقت وحدها"

[2078]

لو كان في مزاج يسمح لاستقبل كلمة (حبيبي) منها بقلب مبتهج لكن الهموم جاثمة على روحه بيد ثقيلة .

بعد قليل رن جرس الهاتف فرد أحمد" نعم وائل" سأله وائل بقلق" طمئني ماذا حدث ؟.. عمرو لا يرد على هاتفه وأشعر بالقلق "

تنهد أحمد في ألم ثم أخبره بتفاصيل الجلسة مما جعل وائل معقود اللسان مصدوما لا يجد ما يعلق به ..

بعد قليل سأله "وهل الأمر قد أغلق من جانبكم ؟"

تنهد أحمد يقول" لا أعرف يا وائل لم اتناقش مع أبي وأمي بعد ..وأعتقد أنهما أيضا ينتظران قرار عمرو النهائي "

فسأل وائل باهتمام " وأنت ما رأيك ؟"

رد أحمد ببساطة " بالطبع أتمنى أن يلتقيا سويا .. فأروى تحبه .. وأعلم أنها من التطرف في مشاعرها

Des. Maryam Tamim

بالقدر الذي لن تحب رجلا غيره أبدا .. فتاة تحبس بداخلها حب لشاب لأكثر من اثني عشر سنة هل من الممكن أن تنساه بسهولة؟.. وأنا بارتباطي المريض بها لن أطمئن عليها إلا معه .. خاصة بعدما تيقنت مؤخرا أن هذا الغبي يحبها.. بل إنه غارقا فيها منذ قرون سحيقة لكنه من الحمورية والغباء العاطفي والجلافة ما منعه من إدراك تلك الحقيقة .. مهدرا سنينا طويلة من عمريهما .. (وصمت قليلا يفكر ثم قال) أتعرف يا وائل .. كنت أود ألا تكون غارقة في حبه بهذا الشكل .. وقتها كنت سأعاقبه على حموريته هذه بأشد انواع التعذيب وحشية ..تتملكني رغبة في أن أضعه مثلا على كرسي كهربائي عالي الفولت ثم أقتلع أظافره بتلذذ وبعدها أقطع من لحمه شرائح صغيرة .. تكفيرا على هذه الجريمة العاطفية الغير مسبوقة ."

Des. Maryam Tamim

قهقه وائل أخيرا رغم الوجيعة ثم قال "أنا أيضا تأكدت من أنه يكن لها من والحب التقدير ما قد يذهلك .. وإذا أردت الانصاف أنا أرى أن كليهما غبيين أضاعا سنينا من عمريهما هدرا كل منهما يحمي الأخر بطريقة متطرفة .. (وصمت قليلا ثم قال بألم) أدعو الله أن ييسر لهما الأمر .. سأذهب للكنيسة أصلي لهما الليلة .. "

رد أحمد بتأثر "اللهم آمين "
عاد وائل للمرح مجددا وهتف " وأعدك يا كونت بمجرد أن يستجيب الله لدعواتنا ويجتمعان سويا أن نُخضع هذا الجلف لدراسة متفحصة متأنية لاستكشاف مناطق الخلل والحمورية التي أدت إلى هذه الكارثة في حق العشاق والمغرمين .. إنه يستحق لقب أغبى عاشق في التاريخ "
فعقب أحمد بغيظ " صدقني يا اكسلانس .. سنكتشف حينها أنه نوع فريد من الكائنات يتوجب

Des. Maryam Tamim

وضعه في متحف الكائنات ذات الطفرات الجينية المتحولة "

انفجر وائل في الضحك وهو يتخيل عمرو يخضع لجلسة تعذيب تضمه وأحمد وسيد

***

فتج باب الشقة وانزاح قليلا لتدخل والدته التي استدارت بمجرد أن أغلق الباب لتقول بانفعال " أنا لا أفهم لما تكبرون الأمور وكأني أجرمت .. آل سماحة تعاملوا معي ببرود وبعضا من الوقاحة .. وأنت عابس ولم تنطق منذ أن خرجنا من عندهم وكأنك قد فقدت أحدهم ..ما المشكلة أني أوضحت رأيي في شراء شقة جديدة ؟!! .. أليس هذا تبذيرا ما دمنا نملك شقة بالفعل .. والله لا يحب المبذرين .. إن دمي يغلي منذ أن علمت أنك وقّعت العقد واشتريتها .. "

تأملها عمرو بصدمة غير قادر على استيعاب الطريقة التي تفكر بها .. بينما استمرت عفاف في

Des. Maryam Tamim

الحديث دون توقف "وما المشكلة أني أبديت إعجابي بالبنات الوافدات؟!.. فإن كانوا أخذوا الكلام على كرامتهم فهذا يثبت كلامي أنهم يعلمون أن ابنتهم لا تساوي شيء بين البنات ..
والله لقد دخلت الحسرة قلبي حينما قابلت كنتهم .. إنها المرة الأولى التي أراها .. ما شاء الله عليها .. جمال تبارك الخالق .. وصحة ونشاط .. وتبدو نبيهة وتخاف على إلهام كثيرا .. وكما سمعت من هنا وهناك أنهن لسن متطلبات في الزواج .."

غمغم عمرو محاولا التحكم في أعصابه " لا حول ولا قوة إلا بالله ! "
فأكملت عفاف بلهجة ذات مغزى" ليست سمراء.. نحيلة.. بظهر مكسور.. ومع هذا يتشرطون !!."

قاطعها عمرو بذهول "كفى يا أمي .. كفى بالله عليك.. لم أعد قادرا على تحمل ما تتفوهين به في

Des. Maryam Tamim

حق أروى .. كفاك .. لا يسخر قوم من قوم يا أم عمرو ".

ردت عفاف بانفعال " أنا لا أسخر .. أليست هذه هي الحقيقة ؟! .. والاسئلة التي سألتها لأروى أي أم مكاني كانت ستقلق وتسأل نفس الاسئلة .. صحيح أنها كانت شجاعة وصريحة في الرد وصحيح أني كنت أشفق على حالها من قبل ..ومعجبة بإيجابيتها وكبريائها ولكن هذا لا يعني أن أضحي لها بأبني ."

انفلتت أعصاب عمرو وأصبح غير قادر على التحمل فهدر بانفعال " كفى يا أماااااه.. لن أتحمل مزيدا من كلام في حق أروى . "

جحظت عينا عفاف بذهول ورغرغت بالدموع فقالت " هل تصيح في وجهي يا عمرو !!! .. لم تفعلها أبدا من قبل !!.. لم تفعلها حتى وأنت مراهق .. هل جاء اليوم الذي تصيح فيه في وجهي يا بني ؟!! .. هل هذه وصية الشيخ لك ؟!"

Des. Maryam Tamim

رد عمرو بانفعال " وهل هذا حب لي ؟!!!! .. هل ما تفعلينه بي يتدرج تحت بند الحب ؟! .. ألست ولدك ومن الطبيعي أن تشعري بي ؟!.. ألم تلاحظي أن قلبي متعلق بها ؟! .. ألم تلاحظي أني لأول مرة أقدم على أمر الزواج دون تردد؟! ..

هل مناقشة أمر الشقة أمامهم يا أم عمرو بهذا الشكل الذي أظهرني رجلا تافها أمامهم.. حبا لي ؟!!.. هل الإصرار على إيصالهم معلومة انك رافضة لشراء شقة جديدة سيفيد بشيء ؟!..

هل المناقشة التي تلت ذلك أمامهم كانت شكلا يليق بي كرجل مسئول عن قراراته؟؟ .. وهي أصلا مناقشة مكررة تحدثنا فيها من قبل وأوضحت لك وجهة نظري .. أني أريد أن أشعر بالاستقلالية وأشعر ببيتي الخاص .. بالإضافة لأن عدم تقبلك لأروى يدفعني أكثر أن أفصل بينكما .. لتشعر كل واحدة منكما أنها ملكة في مكانها .. خاصة وأني لن

Des. Maryam Tamim

أبتعد عنك أنا في نفس المبنى معك (سحب نفسا طويلا في محاولة يائسة لتخفيف الألم الذي ينحر في صدره واكمل بنفس الانفعال) وهل عبوس وجهك أمام الناس كان حبا لي؟؟ وأنا أشعر أني أضغط على أمي فيما لا تطيق برغم انك قد سبق وأن أعطيتني مباركتك .. أعلم أن العروس لا تروق لك لكنك أعطيتني مباركتك فلمَ أبديت في وجههم صراحة عدم ترحيبك بالمصاهرة ؟؟!.. وهل حبك لي يعطيك الحق في إحراج الناس وجرحهم بالشكل الذي فعلتيه يا أمي؟! .. كان من الممكن الاستفسار عن موضوع الطهي بشكل أكثر لباقة ورأفة .. وليس علنا ومع أول زيارة .. كما أن الأمر كان مفهوما دون سؤال فلماذا تعمدت طعنهم في كبريائهم يا أم عمرو ؟؟!! (صمت قليلا يبتلع طعما مرا في حلقه وقال بتأثر) وهل حبك لي.. منعك من أن تكوني رحيمة بأروى وظروفها ..وتسأليها بشكل أكثر رفقا ورحمة .. تسأليها أسئلة تُصغِّرني أمامها وأمامهم

Des. Maryam Tamim

وكأني .. وكأني طفل صغير يرغب في لعبة وتأتي أمه لتتفحصها وتستفسر عنها لتقرر هل اختار اختيارا سليما أم عليها التدخل (سحب نفسا عميقا ثم أَضاف بصوت أهدأ وهو ينهت) عموما يا أمي سواء أروى تستطيع الطهي أو لا .. تستطيع الإنجاب أو لا .. وسواء..(بتر عبارته يقاوم الانفعال والتأثر وهو يسترجع حديث الصالون ..وصورة أروى تحرك قدميها أمام أمه لتثبت لها أنا ليست مشلولة .. ثم أكمل والألم أوشك يقضي عليه) وسواء كانت كاملة الانوثة أو لا .. مع كامل احترامي لك.. هذا شأني وحدي .. وأنا من سأتحمل تابعات هذا الاختيار .. لقد تفضلت مشكورة بتحذيري من مغبة الأقدام على هذه الزيجة .. ورأيك أحترمه وأوكد لك أنه لو كان باستطاعتي تنفيذه لفعلت .. فما أصعب على نفسي من أن أحزنك .. لكن صدقا .. هذا خارج تماما عن إرادتي"

Des. Maryam Tamim

تأملته ذاهلة ثم تمتمت" هذه الفتاة قلبت كيانك !!".

ابتسم لها في مرارة ورد بهدوء" ربما .. عموما أبشري يا أم عمرو .. فغالبا نجحتِ في إفساد المشروع.. فمن سيزوج ابنته لرجل صغرته أمه أمامهم .. ولن ألومهم الحقيقة .. وأبشري أيضا فلقد اتخذت قرارا مصيريا منذ أن استوعبت مشاعري تجاه أروى .. وهو (إن لم تكن أروى سماحة من نصيبي .. فلن أتزوج أبدا في حياتي) .. فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها وأنا بعدها لم أعد راغبا في النساء .. فإن كنتِ على استعداد لتقبل أروى كزوجة لي.. فكثفي الدعاء أن يتعامل آل سماحة معي بكرم وينسوا أحداث الليلة .. أو استعدي لعمر طويل يجمعنا أنا وانت فقط بين جدران هذه الشقة ."

حين غادر عمرو بعد قليل ليلحق بصلاة العشاء في المسجد أسرعت عفاف للهاتف وطلبت زوجة

Des. Maryam Tamim

أخيها لتهتف بانفعال " آل سماحة سرقوا مني إبني يا سلوى "

***

ترددت آية قليلا قبل أن تصعد بيت عائلة كريستين وفتحت هاتفها تنوي الاتصال به.. إنها في حالة نفسية سيئة وفي أشد الحاجة إليه .. لذا هذه المرة لن تقاوم ولن تتعقل ..

وأيضا لن تضغط عليه ..

تعلم أنه يحاول التملص منها .. وبات يتعمد نفض يدها من التعلق به ..

لكنها تحتاج لرؤيته الآن وبشده ..ولن يضر جميلة الجميلات خاصته أن تراه لدقائق .

هذا إن كان وقته سيسمح ولن يتهرب منها بحجج واهية كما بات يفعل معها منذ فترة ليست بالقصيرة .

Des. Maryam Tamim

رد عليها وقد بدى على صوته الإرهاق" كيف حالك يويا ؟"

ردت بصوت مرتجف وصوته الرخيم يتسلل إلى روحها " لست على ما يرام "

سأل بقلق " ما بك ؟"

قالت بنبرة متوسلة " ألا أستطيع أن أراك قليلا؟"

رد فورا "أين أنت ؟"

قالت " أنا ذاهبة لكرستين بالتحديد أنا تحت بيتها الآن .. وأحتاج لأن أتحدث معك قليلا "

قال بسرعة " أنا قادم .. لكن لا تنتظري بالشارع اصعدي عندها وسأخبرك حين أصل "

بعد قليل كانت والدة كريستين تضع أمامها بعضا من العصير والحلويات وآية تشكرها بلطف .

قالت كريستين مشفقة " وهل هذا معناه أن الموضوع قد أغلق تماما ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت آية بوجوم " لا أدري .. وبصراحة المرأة فظة وجارحة في كلامها ولن تسلم أروى من لسانها إذا ما تم ارتباطهم "

تنهدت كريستين بحزن فأضافت آية بصوت يخنقه البكاء " وأروى رغم أني أعرفها قوية الشخصية وعاقلة .. لكنها بشر ولديها جانب رقيق جدا ومرهف .. ويحزنني أن تتمنى إنسان ولا تستطيع العيش معه .. لقد عانت كثيرا جدا .. وتستحق أن تنال بعضا من السعادة .. وإذا أردنا أن نكون منصفين .. إنها تستحق أن تنال كل السعادة ".

صمتت قليلا ترشف قليلا من العصير لتبلع طعما مرا في حلقها ثم قالت بألم " أنت لا تعرفين يا كريستين كيف عانت وتألمت جسديا ونفسيا .. وكيف مر عليها شهورا ممددة على سرير غير قادرة

Des. Maryam Tamim

على الحركة .. وكيف كان جسدها يتقرح من طول الرقاد ".

سالت دمعة غادرة من عين آية فمسحتها بعنف قبل أن تكمل " كنت أدخل علي أمي أجدها تبكي وهي تدهن جسدها من قرح الفراش يا كريستين نتيجة لطول الرقاد .. ومع هذا كانت متجددة الروح صلبة .. لا تحب أن يشفق عليها ولا تطيق دور ملكة الدراما .. تحبس أوجاعها وآلامها بداخلها وتظهر لك وجها ساخرا ضاحكا .. إنها يا كريستين تستحي جدا أن تثقل على أحد حتى أقرب الأقربين ".

انهمرت دموع كريستين في تعاطف بينما أخذت آية تمسح دموعها التي تدفقت قبل أن ترد على اتصال سيد الذي أخبرها أنه تحت بيت عائلة كرستين .

تحركت آية بلهفة فقالت كريستين محذرة " آية لا تتمادي أنت تعرفين تقاربكما حساس جدا لعائلتك ولزوجته ."

Des. Maryam Tamim

عدلت آية من حجابها وقالت بغل " أعرف أني مكتوبا علي الشقاء .. أعرف "
ثم ودعتها بسرعة وأسرعت الخطى إليه في لهفة.

دخلت بعد دقائق السيارة فحدق فيها بقلق وهتف بصوت مبحوح" ماذا حدث هل أنت بخير ؟!!"

انفجرت آية في البكاء تدفن وجهها في كفيها كطفلة صغيرة تشتكي لمُعلمها . .فالتهى سيد عن تحفظه وحقيقة وجوده قريبا من حي سماحة .. وأطبق على ساعديها يبعد يديها عن وجهها وهو يهدر فيها بأعصاب منفلتة " آية أنطقي هل حدث لك شيء ؟؟"
رفعت وجهها الغارق بالبكاء بامتنان أن عادت نبرة صوته ببعض من دفء الماضي وقالت تطمئنه " لا تقلق أنا بخير أعصابي منهارة فقط بسبب عمرو وأروى "

Des. Maryam Tamim

هدأ قليلا .. لكن السبب الذي ذكرته أقلقه .. فاستدار يتحرك بالسيارة وقد أدرك أخيرا أنهما مازالا في الحي .. وسألها بعبوس " هل أفسدت الخالة عفاف الأمر ؟"

رفعت رأسها بعصبية تقول من بين دموعها" إنها امرأة وقحة ومستفزة .. تعتقد أنها أنجبت شخصا منزلا من السماء خالي من العيوب "..

تطلع لملامحها المنفعلة الغاضبة ثم مد يده يسحب منديلا ورقيا من أمامه وناولها .. وعاد يركز على الطريق بينما آية تحكي له بتأثر ما حدث .. وأنهت كلامها تقول بغل" أقسم بالله أمسكت أعصابي بمعجزة .. فأبسط رد على ما فعلته على طاولة الطعام أن أقذفها بطبق شوربة ساخن في وجهها المقلوب الذي صدرته في وجوهنا .. ولا أعرف كيف تحملت أروى بشجاعة وهدوء أسئلتها الفظة .. لو كنت مكانها لكنت سحبتها وألقيت بها خارج البيت ."

[2094]

ابتسم لعصبيتها وقال " ستكونين حماة شديدة ..
وزوجة غيورة يويا "
ابتسمت ابتسامة مرتعشة ثم تمتمت " إذا أحببته
سأغير عليه مؤكدا "
فسألها بشرود " من ؟"
قالت بلهجة غامضة " زوجي "
تطلع إليها وقد شعر بالاختناق ..

قد تكون كلمة ليس لها مدلول حاليا ..
وقد تكون كلمة لا تشير لشخص ما حاليا ..
وقد تكون كلمة عادية في حوار عادي ..
إلا أنها آلمته ..
أشعلت النار فيه ..

لم يعقب وأدار وجهه نحو النافذة يشغل نفسه عن
مشاعره المراهقة التي تضايقه حاليا .. ناهر نفسه

Des. Maryam Tamim

على هذا السخف الذي يشعر به بسبب كلمة ليس لها مدلول حاليا لتضايقه إلى هذا الحد !!!.

تخيلها مع شاب صغير السن مائع .. وما تخيله لم يعجبه .. بل ما تخيله أحرقه .
زفر في غيظ من نفسه .. من مراهقته .. من هذه اللعنة التي لا يعرف كيف يتخلص منها ..
وتذكر بسمة ..
تذكر أصابع كفه على وجهها ..
تذكر دموعها الصامتة ..
تذكر كل هذا حتى يقاوم مشاعر مراهقة لا زالت في محاولة مستميتة لإزهاق روحه .

بعد قليل سألها بلهجة حانية " هل هدأت الآن ؟"
تجولت بناظريها في وجهه باشتياق وودت أن تكذب بـ لا .. ليستمرا في التجول بالسيارة في الشوارع حتى الصباح بلا هدى .

[2096]

لكنها تتجنب مؤخرا فرض نفسها عليه خوفا من أن يقرر الابتعاد تماما كما يلمح مؤخرا فأومأت برأسها بنعم .

أوقف السيارة بجانب الرصيف .. فتطلعت حولها لتجد أنهم في أحد الشوارع الرئيسية وهو يترجل من السيارة ويدخل إلى سوبر ماركت ..

بعد أن غاب قليلا ظهر يحمل كيسا بيده وجلس مرة اخرى على مقعد القيادة .. وناولها واحدة من المثلجات.. فتلألأت النجوم في عينيها تتطلع بتأثر وقد استعادت بعضا من ماض مازالت هي سجينته .

أخذت المثلجات وبدأت في أكلها بينما هو يحرك السيارة مقاوما ذلك الشعور الملح منذ أن دخلت بهيئتها المنهارة وصوت نحيبها وعصبيتها الهادرة أن يلف ذراعه حولها ويضمها إلى صدره تختبئ فيه قليلا حتى تهدأ وتطمئن ...

Des. Maryam Tamim

إنه لشعور قاسي .. أن تتألم حبيبة روحه ولا يستطيع احتوائها كما عليه أن يفعل ...
فإن كانت الكلمات يحبسها قسرا في جوفه فلم لا يحتويها بين ضلوعه بصمت أبلغ من أي كلام؟! ..

تحرك بالسيارة وهو يجبر نفسه على الحديث حتى ينفض عنه أفكاره المراهقة .. فتكلم بضيق "كنت متأكد أن الخالة عفاف ستفسد الأمر .. فأنا أعرف لأي مدى هي مهووسة بابنها .. إنها من النوع الذي يحب بمشاعر جامحة دون أي تعقل .. وهذا التطرف في المشاعر يجعلها تتعامل بمبالغة في الحب ومبالغة في الكره .. إما أبيض أو أسود ..إما أخيار أو أشرار ..
وفيما يتعلق بزواج عمرو كانت تخطط أن تزوجه تلك الزوجة كاملة المعاني والصفات لأنها ترى أن ابنها يستحق هذا .. بالإضافة لأني اشعر أحيانا – ويسامحني الله إن كنت أظلمها - أن بها بعضا من

Des. Maryam Tamim

الغرور الغير معلن .. لكونها زوجة الشيخ القاضي رحمه الله .. قد يكون لطفولتها وعدم قدرتها على الإنجاب سوى عمرو دخلا في نظرتها هذه .. وطبعا بإصرار عمرو على أروى أشعرها بالحسرة وأفسد ما كانت تخطط له لأنها ترى أن ظروفها الصحية عيب كبير يقلل من قيمة أروى عندها كعروس لابنها الغالي."

تنهد قليلا بحزن وتتطلع فيها فوجدها هادئة تأكل المثلجات بصمت وهي تحدق في حجرها .. ولم يعرف أنها تتسمع لصوته وتراقب في خلسة تفاصيله دون أن يشعر ...
يده الكبيرة البيضاء التي تتحرك هنا وهناك بأصابعه الغليظة كأصابع المارد ...
ساقاه العضليان الضخمان ..
ملابسه .. واشياؤه الصغيرة المبعثرة حوله في فوضى محببة ..

Des. Maryam Tamim

عطره .. وآه من عطره ..
عطر برائحة الشموخ .. بعبق الرجولة الخالصة الطاغية حين تختلط بزهور الربيع في خلطة سحرية تحتلها كتعويذة أبدية .

قال سيد بحنان وهو يجبر نظره على التركيز في الطريق أمامه "هل أنت مشفقة على أروى إلى هذا الحد ؟"
رفعت إليه ناظريها وقالت وهي تزم شفتيها الملطختين بالمثلجات " بالطبع أشفق عليها فهي تستحق أن تعيش الباقي من عمرها بسعادة ."

ابتسم وأشاح بوجهه عن طلّتها الشهية الملطخة بالمثلجات ثم قال " ما فعلته أروى بجانب أنه شجاعة كبيرة منها فهو منتهى الحب لعمرو .. هي تحملت الموقف من أجله .. وحاربت حتى النهاية .. ومع هذا تركت له الباب مفتوحا قليلا .. إذا ما

Des. Maryam Tamim

أراد التراجع تحت ضغط من والدته دون أن يشعر بحرج منها ".

ردت بعصبية "لو كان يحبها لن يتراجع أبدا ".. رد عليها مطمئنا" لا تقلقي لا أعتقد أن عمرو سيتراجع في هذا الأمر.. وإن أُجبر على ذلك فلن يتزوج مطلقا ".

اتسعت عيناها وهتفت بتأثر " صدقا يا سيد؟؟ .. أم تطمئنني لأهدأ فقط ؟"

تطلع إليها بابتسامة حانية نشرت الدفء في أوصالها وقال وقد عاد للتركيز على الطريق " هذا ما أتوقعه .. عمرو شخصية صلبة .. لا يغرك هدوءه ورزانته .. ولا يغرك أنه لا يرفض لوالدته طلبا ..إنه يفعل ذلك بدافع الحب أولا وبدافع هدف يلزم نفسه به وهو بر الوالدين ثانيا .. لكن الأمر هذه المرة خارجا عن إرادته .. وما لمسته مؤخرا منه يؤكد لي أنه غارقا في حب أروى حتى النخاع ..

Des. Maryam Tamim

فتوقعي أنه سيصر على رغبته فإما أن ينجح أو تستخدم أمه الابتزاز العاطفي كعادتها .. هنا سيستسلم .. لكنه سيقلع عن فكرة الزواج إلى الأبد" ..

لمعت عيناها بانبهار مراهق وتمتمت بتأثر " من الجميل أن يُضرب رجلا عن الزواج لأنه لم يتزوج من الفتاة التي يحبها .. فإما حبيبته أو لا .. محظوظة هي إن أخلص لها بهذا الشكل ".

امتقع وجهه وركز على الطريق بعينين تفيضان بالوجع .. يبتلع غصة في حلقه مع جملتها الصادقة القاسية ..
لو كانت مدت يدها واجتثت أوردته لكان الألم أرحم مما شعر به ..
تمتم في سره بما ود لو يبوحه لها " و من منا لم يتخذ يوما قرارا خاطئا .. فيجد نفسه يتحمل

Des. Maryam Tamim

تابعات هذا القرار ؟!.. ياليتني أستطيع تصحيح الخطأ.. ولو كانت روحي هي القربان لفعلت .. لكنه أمر لست غارقا فيه وحدي .. وإنما يتعلق بإنسانة أخرى منحتني ثقتها .. منحتني ثقتها ومع هذا أمارس دور النذل الحقير بامتياز .. ليتني أستطيع تصحيح الخطأ ..لكن الأمر ما عاد بيدي يا حبيبة الروح .. قرارا واحدا اتخذته خاطئا أدفع مقابله سنين عمري عذابا ."

قاطعت شروده تسأله " فيم شردت ؟"

ابتسم لها ابتسامة مُرة يداري انفعالاته وتمتم بصوت متحشرج "لا شيء .. أنا قلق على عمرو .. وقلق على وائل أيضا إذا ما علم بالأمر.. إنه لن يتحمل المزيد من الأخبار السيئة .. لم يعد يحمل من القوة النفسية ما يواجه به الأمور المحبطة "(ثم أكمل باهتمام) لابد أن نعود لأن الوقت قد تأخر .. أنا سأطمئن على حال الشباب وأنت عليك

Des. Maryam Tamim

بأروى كوني بجانبها وهوني عليها وطمئنيني على الوضع ."

ردت ببؤس طفولي" لكني لا أعرف كيف أفعل هذا .. ماذا أخبرها ؟ كيف سأهون عليها .؟
رد بلهجة مشجعة " أخبرتك من قبل أن شعورك تجاه الأخرين لا يكفي لأن يدركونها وحدهم .. عليك التعبير عن هذا الشعور لهم .. أنت تصرفت بشكل جيد حين تدخلت للدفاع عن بانة ..
قاطعته آية بلهجة معترضة " لم يكن في نيتي أن أدافع عنها "
حدجها بنظرة ساخرة متشككة فأشاحت بناظريها عنه بكبرياء .. لتتسع ابتسامته ويكمل في تجاهل حتى لا ترتد وتحجم على المواصلة بعندها الفطري "مازال عليك بذل مجهود أكبر لإيصال مشاعرك لمن تحبيهم .. مثلا اليوم جئت منهارة غاضبة على حال أروى لكنك لم تقدمي لها أي دعم .. ولم تشعر

Des. Maryam Tamim

هي بتعاطفك وحنقك من أجلها .. انشغلت بمشاعرك وبحثت عن طريقة للتخفيف عن نفسك أولا .. وبالطبع أنا لست ضد هذا لكن تفضيل من نحبهم وإعطائهم الأولوية هو نوع من الدعم الغالي نقدمه لهم ."

أطرقت آية برأسها تقوس شفتيها للأسفل فأشفق عليها وقال مشجعا "أنا أرى نضجا ملحوظا في شخصيتك مؤخرا يا آية .. لكنك بحاجة لبذل جهد أكبر للوصول" ..

أشاحت بوجهها تبرطم " دائما آية أصل الشرور في هذا العالم "

علت ضحكته الرجولية ذات الصوت الرخيم فتسارعت ضربات قلبها في طرب ولاحت ابتسامة على شفتيها سعيدة بهذه اللحظات المختلسة معه ..

إنها خاتمة جميلة ليوم مرهق ..

Des. Maryam Tamim

استرقت النظرات فتكحلت عيناها برؤيته..
وغرقت في فيضان عطره وتسلطنت بصوته .. وها
هي الآن تنجح في إضحاكه.

قال بعد أن سيطر على ضحكته " لست أصل
الشرور يا آية .. من منا لم يبذل جهدا مع نفسه
ليتعامل مع نقاط ضعفه ويقويها ... كلنا واجهنا
ونواجه أنفسنا .. الإنسان الناجح في حالة مستمرة
من تطوير ذاته وتقوية نقاط ضعفه".
نظرت إليه بإعجاب وتمتمت " أحببت هذه
الجملة (الإنسان الناجح في حالة مستمرة من
تطوير ذاته وتقوية نقاط ضعفه)" .
قال بلهجة دافئة "إذن هل ستبذلين جهدا أكبر
لإيصال مشاعرك للأخرين بلغة يفهمونها ؟".

Des. Maryam Tamim

نفضت عنها بعضا من الكآبة وهتفت بمرح ممزوج بابتسامة تقطر عسلا .. رافعة يدها إلى رأسها تؤدي التحية العسكرية" تمام يا فندم "

ابتسم لها وتمتم في سره وهو يشيح بنظراته للنافذة بملامح معذبة " تمام يا روح سيد "

رن جرس هاتفه فحدق في الرقم الغريب ثم أجاب.. فأتاه صوت فتاة تتحدث بلهجة شعبية وقالت " هل أنت الاستاذ سيد؟ "
فسأل سيد " من معي ؟"
قالت بحرج " أنا هيام .. التي قابلتها اليوم وسألتني عن رحمة "
رد سيد باهتمام " نعم تفضلي .. هل وصلك أي معلومات عنها ؟ "
ردت هيام بحماس " لقد تقصيت من كل من يعرفونها وعلمت أنها تعمل الآن في محطة المترو "

Des. Maryam Tamim

تعجب سيد وسألها باندهاش" ماذا تعمل في محطة المترو ؟!!"

ردت هيام بتأكيد " بائعة متجولة يا استاذ .. اسمع أنا علمت من مصادري أنها تعمل حتى التاسعة مساء في محطات المترو .. وهم يبدأون من محطة (...) صباحا ثم يكون محطة تجمعهم آخر اليوم في محطة (..) "

سألها باهتمام " وهل عرفتِ أي معلومات أخرى.. أين تسكن أو مع من ؟"

ردت " لا والله يا استاذ "

شكرها سيد وأغلق الخط .. وهو شارد يحدد مكانه وأقرب محطة مترو .. فسألته آية باهتمام " ماذا هناك؟ "

لكنه كان شاردا يحلل الأمر في عقله وينظر في الساعة التي قاربت على التاسعة وتساءل هل عليه أن يعيد آية أولا أم يتفقد المترو ويبحث عن رحمة قبل ان تتجاوز الساعة التاسعة ؟ ..

Des. Maryam Tamim

رد عليها بذهن شارد وهو يتطلع يمينا ويسارا في الطريق " سأخبرك بعد قليل "

لاحت محطة مترو قادمة أمامه فحاول التأكد من اسم هذه المحطة .. لكنه لم يكن قادرا على الرؤية من بعيد فتمتم وهو يحني رأسه بداخل السيارة " يويا ما اسم محطة المترو هذه؟"

تعجبت آية ثم تطلعت إليه وسألت " ألا تراه واضحا ؟"

رد بعصبية " أجل يا آية لا أعلم أين وضعت نظارة القراءة "

تمتمت آية بدهشة" هل أصبحت ترتدي نظارة طبية ولم تخبرني ؟!!"

هتف بقلة صبر " أجل يا آية أصبحت أستخدم نظارة للقراءة مؤخرا لأن الضغط العالي أضر بعيني .. هلا تفضلت وأخبرتني باسم المحطة قبل الملف القادم حتى أحدد أين وجهتي ."

Des. Maryam Tamim

ردت عليه ببرود باسم المحطة فلاح الاهتمام على وجهه ..
راقبته وهو يدور بالسيارة للناحية المقابلة وأوقفها أمام المحطة وترجل بتعجل فهتفت " إلى أين؟!!!"
رد عليها في عجلة " سأخبرك بعد قليل .. دقائق وأعود .. وإياك ومغادرة السيارة "
تمتمت باندهاش" لن أغادرها فأنا بملابس لا تصلح إلا للحي .. ونحن في وسط العاصمة "
راقبته وهو يبتعد ويختفي في محطة المترو .. فأثار ذلك فضولها .
أما سيد فقطع تذكرة للدخول لرصيف القطارات وهو يدعو في سره أن يكتمل حظه الجيد بأن وجد اسم المحطة التي ذكرتها هيام قريبة منه .. وأخذ يدعو في سره أن يجدها .
***
حبست رحمة أنفاسها وباب المترو يفتح حيث تزاحمت السيدات للخروج بسرعة من بوابة العربة

Des. Maryam Tamim

التي تنغلق اتوماتيكيا.. فحاولت الاسراع حتى تدخل العربة المجاورة خلال ثلاث ثوان قبل أن ينغلق الباب ..

إن الأمر مرهق ويحتاج تركيز ..لقد احتاجت لأن تتدرب على هذه المهارة كثيرا .. بشكل يشعرها بالغضب من نفسها .. وكالعادة تتهم نفسها بالبطء في الفهم .. يكفيها من السخرية التي قابلتها من الفتيات اللاتي يعملن مثلها كبائعات متجولات بمحطات المترو ... كلهن يسخرن منها بشأن تأخرها وخجلها ..

لكنها وعدت نفسها أن تتخطى هذه المرحلة الصعبة بإذن الله .. فهذه ليست المرة الأولى التي تتأخر فيها عن اللحاق بالآخرين .. لكنها مثابرة ولديها من الاصرار ما سيجعلها تتقن هذه المهارات يوما ما ولن تيأس ..

حين دخلت العربة التالية قبل أن يغلق الباب تنفست الصعداء وهدأت من ضربات قلبها ..

Des. Maryam Tamim

بعدها حاولت إيجاد مجال لاختراق بين الزحام وهي تحمل ذلك السيخ الطويل الذي تتشابك عليه ما تبيعه من حاجيات للنساء .. محافظ جلدية .. ادوات زينة .. مشابك ودبابيس شعر .. وغيرها من الأدوات التي تحتاجها النساء .. قليلة التكلفة ... حاولت أن تجلي صوتها وتنادي على اشيائها بلحن رتيب ممطوط منغم للفت الانتباه كما علمنها الفتيات .. فخرج صوتها ضعيفا على استحياء .. جاهدت بإصرار للصياح .. في حالة ترقب وانتظار أن تنادي عليها إحدى الفتيات لطلب الشراء أو حتى المشاهدة فقط ..

ظلت تحاول من جديد أن يعلو صوتها.. مقاومة ذلك الشعور الفطري لديها بالخجل .. فهذه مهارة أخرى عليها التدرب لإتقانها ..

فجأة صاحت إحدى النساء باستنكار في رحمة "أنت .. هل أنت عمياء .. لقد أوشكت تلك النافورة التي تسحبينها على تمزيق ثيابي" ..

Des. Maryam Tamim

تمتمت رحمة بارتباك وقد شعرت أن قلبها يدق بعنف "أنا آسفة .. آسفة لم أقصد "
حدجتها المرأة بنظرة متعالية ثم هتفت " وماذا أفعل بأسفك لو كانت ملابسي قد مُزقت .. ألا ترين المترو مزدحم .. لماذا تنحشرين بيننا بهذا الشكل .. يكفينا الحر والزحام "

ارتبكت رحمة وتعرقت .. بينما تدخلت بعض الاخوات لتهدئة المرأة التي كانت منطلقة في التوبيخ .
اقتربت منها رحمة بإحساس بالذنب تحاول فحص كم الفستان الذي ترتديه المرأة لتطمئن أنه بخير .. فدفعتها المرأة في عنف وصاحت " ارفعي يدك القذرة عني ".
كادت رحمة أن تقع على بعض الجالسات اللاتي ساعدنها على النهوض .. بينما اندفعت فتاة أخرى زميلة رحمة بعصبية تهاجم المرأة بلسانها الذي

Des. Maryam Tamim

انطلق كلسان أفعى .. والتي دخلت منذ دقائق تحمل سيخا مشابها لما تحمله رحمة وشبكته على إحدى مواسير المترو بمهارة وبدأت بالدفاع عن صاحبتها ثم قالت بعد أن رمتها بقاموس من الشتائم " اتركينا نلملم أرزاقنا .. وإن كنت تتأففين هكذا من الزحام .. فلتركبي سيارة أجرة أو اشتري لنفسك سيارة وارحميها من عقدك النفسية ."
همت المرأة بالرد لكن الفتاة استمرت في القاء الشتائم بدفاع وحشي .. بينما رحمة تحاول تهدئتها ببعض من مشاعر الذنب أن كانت سبب المشكلة .

بعد قليل كانت الفتاة تسحب رحمة وحاجيتهم خارج عربة المترو ... وبمجرد أن استقرا خارجه وبخت الفتاة رحمة " أنت يا مصيبة تقفين تتأسفين للمرأة بكل هذا الخنوع "
قالت رحمة بارتباك " إنها تقول إني كدت أن أمزق لها كم الفستان "

Des. Maryam Tamim

ردت عليها الفتاة بامتعاض " أشك في ذلك.. إنها وسيلة فقط لتفريغ بعض العقد النفسية لديها على شخص أضعف "

جلست الفتاة فتمتمت رحمة وهي تجلس بجوارها " شكرا لك يا بشرى أنت تساعديني كثيرا وأعلم أني عذبتك معي آسفة جدا "

أخرجت بشرى سيجارة من جيبها وأشعلتها ونفثت الدخان من أنفها باحتراف ثم قالت لرحمة " اسمعي يا بنت الناس ولا ترهقيني.. إما أن ينمو لك أظافرا ولسانا .. أو تبحثين لنفسك على عمل أخر .. بهذه الطيبة ورهافة المشاعر لن تنجحي في أي مجال يتطلب احتكاكا بالناس .. فما بالك هنا .. تتعاملين مع كل الطبقات في وقت قصير .. ومضغوط تصارعين الوقت والحر والزحام وعقول الناس ونفسياتهم .. "

ردت رحمة بامتنان " أعلم أني أتعبك معي .. ولكن أنت تعرفين أني أحتاج لهذا العمل .. فكما تعلمين

Des. Maryam Tamim

تركت بيت أبي ولا يوجد لي مأوى وأنا اشكرك جدا على مساعدتك لي "

نفثت بشرى من أنفها الدخان وقالت والجدية تعلو وجهها الكالح " اسمعي .. أنا أساعدك لأنك تذكريني بنفسي يوما ما ... عندما هربت من جحيم زوج أمي أقحمه الله في جهنم .. وكنت مثلك أحلم باستكمال دراستي والعمل بعد ذلك في وظيفة محترمة .. وتوسعت أحلامي بجموح وقتها لأن أتزوج موظف محترم من الذين يرتدون الحُلات الرسمية في المكاتب .. لكني كنت أفتقد العزيمة والاصرار لتحقيق ما أحلم به .. وبقيت مجرد أحلام رُميت في صندوق القمامة تدريجيا واحدا تلو الآخر بفضل أولاد الحرام الذين قابلتهم في حياتي.. لهذا أنا أشجعك على المواصلة .. وألتمس فيك الإصرار على تحقيق النجاح فلا تخذليني "

Des. Maryam Tamim

ابتسمت رحمة ابتسامة دافئة وأومأت برأسها ثم اعتذرت مجددا ...فاستشاطت بشرى غضبا وزمجرت " يا فتاة قللي من اعتذاراتك هذه "..

جلس بالقرب منهما ثلاث فتيات بائعات مثلهما وبدأن الهمز واللمز على رحمة بسخرية بما أنها الفتاة الجديدة الخجولة المرتبكة .
فحدجتهم بشرى بنظرة خطرة مقترنة بزمجرة فضحكت إحداهن بميوعة وقالت ساخرة " لا تقتربن من طفلة بشرى يا بنات وإلا ستأكلكن " علت ضحكاتهن تهكما بينما بشرى تضيق عينيها وتتوعدهم ..
بعد قليل لمحت بشرى أمين شرطة من بعيد فتحمست وأخرجت مرآة وتطلعت لوجهها الكالح.. ثم استخدمت بعضا من الزينة التي تبيعها وعدلت ملابسها باهتمام ترفع نهديها وتبرزهم ثم

Des. Maryam Tamim

قالت لرحمة بعينين تلمعان بالشقاوة " سأضطر للمغادرة الآن "

هتفت رحمة في جزع " إذا خذيني معك "

ربتت بشرى على فخذها وقالت " ليس اليوم يا صغيرة .. أمامي مشوارا هاما مع الباشا عصام .. ادع لي أن يحنن الله قلبه عليّ "..

سألتها رحمة بارتباك " وكيف سأعود وحدي؟"

أشارت بشرى نحو الفتيات الجالسات وقالت "عودي معهن حين يهمن بالعودة "

نظرة إليها رحمة بوجل فقالت بشرى بصوت عال للفتيات " رحمة ستعود معكن للسكن ..وأقسم بالله لو مستها واحدة منكن .. لأقتلع شعرها بيدي .. وستنام الليلة صلعاء "

ثم أسرعت تجري في الاتجاه الذي اختفى فيه أمين الشرطة .

Des. Maryam Tamim

تطلعت رحمة بطارف عينيها للفتيات اللاتي يتهامسن ويضحكن ولم تعرف هل الهمس عنها أم عن شيء أخر ..
أطرقت تحاول تشجيع نفسها بأنها لابد أن تتحمل من أجل طموحها الدراسي .. فمنذ أن تركت بيت خليل وهي تحاول السيطرة على هذا الشعور بالرعب الذي يتملكها .. لقد كرهت الحياة عند خليل .. لكن رغبته في تزويجها من ذلك العجوز الذي يزوره كان أمرا لم تستطع تحمله .. فتوسطت صديقة مشتركة لها عند امرأة تشغل الفتيات في المترو وتقدم لهن مسكانا لمن ليس لها بيتا .. أو بمعنى أدق تقدم لهن غرفة .. يحتلها سبع فتيات وهي الثامنة .. كل منهم لها كومة بجانب الحائط .

مسحت رحمة دمعة ساخنة انسابت على وجنتها .. وأخذت تسترق السمع للفتيات بجانبها بوجل ..

Des. Maryam Tamim

في انتظار أن يقررن العودة للمنزل وقررت أنها ستسير ورائهن في صمت .
هتفت إحدى الفتيات تقول بإعجاب "انظري لهذا الضخم الأنيق .. لا يبدو من رواد المترو أبدا "

تكلمت الثانية بوله " يا إلهي أنظري لعضلات ذراعيه .. محظوظة من ستتزوجه"
ثم ألقت إحداهن تعليقا جريئا وقحا وانفجرن في الضحك الهامس .
رفعت رحمة عيناها تنظر للشخص الذي يتحدثون عنه .. تأملت جسده الضخم ووقفته التي توحي بالتوتر والبحث هنا وهناك ثم .. جحظت عيناها وتمتمت " أخي !!! "

قبل دقائق :
دخل سيد المترو يبحث هنا وهناك .. ركب عربة الرجال وتأمل البائعين المتجولين الذين يتناوبون

Des. Maryam Tamim

الدخول للعربة عند كل محطة .. لكنه لاحظ أن البائعات لا يدخلن عربات الرجال وتركيزهن على عربات السيدات .. فعاد مرة أخرى للمحطة التي ركب منها يبحث حوله وهو ينظر في ساعته في حيرة .. لا يعلم هل الوقت قد تأخر لأن يجدها أم لا ؟ وعليه أن يعود بآية للبيت بسرعة ..فوقف مشلولا يتطلع حوله غير قادر على اتخاذ القرار .

انتبه لبعض الفتيات البائعات يجلسن على المقاعد الرخامية .. ثم لمح كائنا ضئيلا منكمشا بجانبهن وفي نفس اللحظة رفعت هي عيناها اليه.
جحظت عينا رحمة من المفاجأة .. بينما شعر سيد ببعض الراحة أنه وجدها .. صحيح لا يتذكر تفاصيل ملامحها فقد قابلها مرة واحدة لكن قلبه يخبره أنها هي ... شعور غريب بالصلة غير محدد المصدر ..ربما هي رابطة الدم التي يتحدثون عنها ..

Des. Maryam Tamim

فهو شخصيا لم يختبر شعور رابطة الدم هذا من قبل .. لا مع أم ولا أب ولا جدة .. ولا أي إنسان.
غير أن انفعالاته التي عاشها خلال اليومين الماضيين وهو يبحث عنها قد تفجرت عند رؤيتها لأحاسيس مختلطة في مقدمتها الغضب والعصبية .. وتملكه ميلا للعنف تجاهها أن تهورت وغامرت هذه المغامرة المجهدة لمشاعره .. وتجاهلت وجوده وقررت الرحيل وحدها .. متجاهلا بتعمد ضميره الذي يوبخه بأنه قد أهملها هو الأخر وانشغل في حياته ولم يسأل عنها .

تحرك يختصر المسافة بينهما مدفوعا بطاقة من الغضب كفيلة بسحق جسدها الضئيل بضربة واحد من قبضته ..
اقترب منها فوقفت تحدق فيه بذهول غير مصدقة أنه سيد .. إنها لا تنسى وجها أبدا .. وهذا هو سيد أخيها من خليل الذي لجأت إليه منذ عامين ..

Des. Maryam Tamim

رأته آتيا نحوها يبدو عليه الغضب .. حتى أن الفتيات الجالسات شعرن بالخوف من الهيئة التي بدى عليها هذا الضخم وهو يندفع نحوهم فتخيلن أنه سمع كلامهن ووقاحتهن عنه منذ ثوان..
فانكمشن في رعب .. لكنه تخطاهن وعيناه الحمراوان تركزان على رحمة .. فانكمشن أكثر تراقبن المشهد في ارتجاف تتوقعن أن يمسك المارد بالفتاة الضئيلة ويحملها بسهولة في قبضته كدلاية مفاتيح ويلقيها أمام عجلات القطار.

أما رحمة فبمجرد أن اقترب منها سيد وهدر بصوته الجهوري "هل تعرفين ماذا سأفعل بك يا بنت خليل ؟؟!!!!"
وهم بالهجوم عليها بانفعال ..
ألقت بنفسها عليه تحيط ذراعيها النحيلين حول جذعه وهي تبكي ..

Des. Maryam Tamim

شهقت الفتيات من المفاجأة .. بينما تجمد سيد قليلا يحاول الاستيعاب وانزل ناظريه يحدق في رأسها الصغير المدفون في صدره العريض وازدادت ضربات قلبه بعنف يسيطر عليه شعور بالشفقة ورغبة غريبة في البكاء .

رفعت رحمة وجهها الغارق في الدموع إليه وهي مازالت تلف ذراعيها حول جزعه بقوة .. فتمتم بصوت مبحوح وهو يشرف عليها من عليّ " لماذا لم تخبريني قبل أن ترحلي ؟؟"

ردت بصوت باك " لم أعرف أين أجدك "
فقال " أعطيتك رقم هاتفي من قبل "
ردت " نسيته رغم أني أحمل ذاكرة قوية لكني نسيته "
قال بنفس البحة " كان من الممكن أن تسألي عن مكاني قبل أن تذهبي " .

Des. Maryam Tamim

ردت بخفوت وذراعاها مازالا يحيطان بجذعه " صدقني لم أعرف أين أجدك .. ولم تساعدني الفتيات في المنزل للحصول على معلومة عنك .. حتى زهرة لم تكن تعرف أين انت ظلت تخبرني عن مقهى كوكب الشرق وذهبت للمقهى الذي قابلتك فيه ووجدته باسم آخر وأبلغوني أنك لم تعد تأتي "
قال بصوت خفيض " هذا مقهى آخر يا غبية .. كوكب الشرق لا يبعد عن بيت خليل كثيرا إنه في نفس المنطقة لو سألت أي طفل يقود توكتوك في الحي عن أسم المقهى أو عن سيد صبرة كان سيدلك "
ارتعشت ملامحها بالبكاء وقالت " لم أكن أعرف صدقني .. كما أني خشيت أن أثقل على كاهلك"

لمعت عيناه بالدموع وقد اعتصرت الشفقة قلبه فرفع يده الكبيرة يمسح على شعرها المائل للحمرة والمعقود بعقده مهملة خلف رأسها وقال بتوبيخ

Des. Maryam Tamim

هادئ " تثقلين على كاهلي !! .. يبدو أنك لم تعرفي من هو أخاك .. لكنه خطئي أنا .. أنا الوحيد الملام .. أنا الذي قصرت في حقك .. يا رحمة "

ابتسمت له تتطلع إليه في إرتياح وكأنها غريق يمسك بمنقذه وسط الأمواج العاتية .

أكمل سيد في هدوء " من الآن فصاعدا .. لا تتحركي خطوة دون علمي .. أنت لا تعرفيني .. أنا أخ شديد .. أقرقش عظام الأخوات الصغيرات بتلذذ "

ضحكت من وسط دموعها وهي مازالت حاضنة لجذعه تسند بذقنها على صدره وتنظر إليه وسألت " لن أثقل عليك حقا ؟"

قبل أن يرد كانت رحمة قد أطلقت صرخة مرتعبة تاركة تشبثها بجذعه بفعل عاصفة هوجاء سحبتها من عقدت شعرها للخلف صارخة في عصبية " ما الذي تفعلينه يا حلوة !!!! "

Des. Maryam Tamim

تجمد سيد قليلا بفعل المفاجأة وهو يرى آية تسحب رحمة من شعرها في حالة هياج عصبي كطوفان هادر يقضى على الأخضر واليابس .
تطلع إلى آية بذهول فصاحت في وجهه " وأنت .. هل بت تلملم الفتيات من على الأرصفة ومحطات المترو!!! .. "
هدر فيها سيد وهو يرى رأس رحمة تتأرجح هنا وهناك وشعرها مازال في يد آية " أتركيها يا مجنونة "
تجمع الناس يشاهدون ما يحدث بينما صاحت آية بعصبية وقد احمر وجهها كحبة الطماطم وطلت الشياطين من عينيها " ألا يوجد حدا لعينيك الزائغة .. هل زوجتك تعلم بكل هذه التجاوزات في حقها .. أم تريدني أن أفقأ لك عينيك هذه حتى تحترم سنك يا سيد "
ضرب سيد بكفه في حزم على يد آية المتشبثة بشعر رحمة التي تتلوى من الألم .. فأحرق الألم

Des. Maryam Tamim

يدها وتركت شعر رحمة لتحدق فيه بصدمة ثم انفجرت تقول "هل تضربني يا سيد من أجل فتاة كهذه ؟!!"

شعر بالحرج من العيون التي وقفت تشاهد هذا المشهد الغريب لرجل ضبطته حبيبته مع فتاة أخرى في محطة المترو فهدر فيها بانفعال وصوته الجهوري يزيد من لفت الانتباه اكثر بينما امتدت ذراعه بحركة لا شعورية تسحب رحمة إلى صدره" اخرسي يا آية .. أخرسي وكفى فضائح .. وافهمي أولا "

تطلعت في ذهول لرحمة التي تنكمش تحت ذراع سيد .. وأمسكت لا شعوريا بيدها التي يحرقها الألم من ضربته .. ولم تستطع التحمل فانسحبت للخلف فجأة تبتعد في هرولة .

Des. Maryam Tamim

ارتبك سيد وطالع الواقفين يشاهدون المنظر فهدر فيهم بعنف ليتحركوا مرعوبين كل إلى وجهته .. ثم سحب رحمة بسرعة يقول " هيا بنا "
قالت رحمة بارتباك " سأخبر زميلتي أني سأذهب"
نظر إليها بعدم فهم وقد بدا ذهنه مشغولا على تلك المجنونة التي تركته منذ ثوان ..ثم قال بنفاذ صبر" أتركي لها خبرا واتصلي بها فيما بعد "

تطلعت رحمة للفتيات المراقبات للمشهد في حماس يحاولن فهم صلة هذا الضخم الوسيم المرعب بالفتاة الجديدة فقالت لهم بصوتها الرقيق بسرعة بينما سيد يشدها خلفه مسرعا " أبلغوا بشرى أني ذهبت مع أخي وسأتصل بها "

وتركتهم متحجرين من المفاجأة أن يكون هذا المارد هو أخاها .

Des. Maryam Tamim

خرج سيد من محطة المترو يتطلع حوله في قلق والهاتف على أذنه يتصل بالمجنونة التي لا ترد ويده الأخرى تسحب رحمة الذاهلة التي لا تفهم شيء ..

وقف يشتم من بين أسنانه بعصبية فارتبكت رحمة وسألته " من هذه الفتاة يا أخي ؟؟"
قال بعصبية "إنها قدري .. قدري البائس "

ضيق عينيه يحاول التركيز على الاشخاص في الشارع فأشارت له رحمة للرصيف المقابل تقول " ها هي الفتاة "
لمحها تقف بجانب سيارته فقطع الشارع إليها وهو يسحب رحمة خلفه .. لكن بمجرد أن رأته آية آتيا مع رحمة استشاطت غضبا وقالت وهي تهم بالمغادرة بعيدا " لا .. هذا كثير "

Des. Maryam Tamim

فتح سيد سيارته بضغطة على المفتاح في يده وقال لرحمة " اجلسي في سيارتي حتى احضر تلك المجنونة "

وجرى وراء آية التي تمشي كالقطار السريع في عصبية .. فهدر فيها بصوت أرعب المارين " قسما بالله يا أيه إن لم تقفي فورا.. لا أعرف ماذا سأفعل بك .. قفي مكانك "

تجمدت مكانها في رعب توليه ظهرها وهي تجز على أسنانها وتحرك ساقها بعصبية .. ترغب في أن تبكي في أن تصرخ ..

ألا تكفيه جميلة الجميلات ؟..

ألا تكفيه النار التي تكويها ؟ ..

ألن يرحمها قليلا ويكتفي بواحدة حتى يقلل من حصتها من نار الغيرة عليه ؟؟

اقترب منها يحاول السيطرة على غضبه .. وقال بصوت هادئ " انظري إليّ "

لم تتحرك آية .. فسحبها من ذراعها ببعض العنف وادارها لتقف عند الحائط وهو يقول بغيظ " حين أقول انظري إليّ يا آية تنفذي ".

وقفت صامته تهز ساقها بعصبية شديدة وهي تطرق برأسها وتمسك بيدها المتألمة بينما الدموع الساخنة تخون كبريائها وتسيل لا إراديا فترفع يديها لتمسحها ببعض العصبية رافضة النظر إليه.

لم يدري سيد أنه اقترب منها لا شعوريا أكثر مما يجب وقال بهمس " أريني يدك "
لم تتحرك فمد يده يرفع يدها على كفه الكبيرة يتفحص ظاهرها التي ظهر عليه بعض الاحمرار بينما سرت الرعشة في جسدها وهي تستقبل لمسته ..

Des. Maryam Tamim

ترك يدها متحكما في مارده الذي ينشط في وجودها
وقال موبخا بجدية " مجددا يا آية ؟!!.. تتحركين
قبل أن تفكري !"
حين لم ترد وقد عادت للتحديق في الأرض أكمل
موضحا "هذه الفتاة هي أختي "
رفعت إليه رأسها بنظرة غاضبة غير مصدقة ..فقال
بهدوء وقد استشعر للتو أنه قريب منها جدا يكاد
يخفيها بجسده كله عن العيون بينما رائحتها
تتسرب إليه كعطر حارق لأعصابه " إنها ابنة خليل
.. الفتاة التي هاجمتيها وافتعلت فضيحة ليس لها
أي معنى هي ابنة خليل .. هربت من البيت منذ
مدة وكنت أبحث عنها "

ابتلعت ريقها ونظرت للفتاة الواقفة من بعيد
بجانب السيارة .. ثم عادت تنظر إليه وهي تقول
بحرج " أختك !!!"
أومأ برأسه بنعم ..

Des. Maryam Tamim

فأطرقت محرجة وقد استشعرت تهورها فقالت بلهجة نادمة " لم أكن أعرف أنك تبحث عن أختك"

حدجها بنظرة عاتبة ثم قال بهدوء حازم " هيا لقد تأخر الوقت وسأُوبخ من أهلك .. ولي معك حديث في وقت أخر بشأن ما ذكرتيه عن اصطيادي لفتيات الشوارع وباقي هذا الكلام "

رفعت نظرها إليه فوجدته قد تحرك مبتعدا فغضبت من نفسها .. أنها أغضبته ..

كيف ستبرر له الأن ما تفوهت به ؟ ..
كيف ستشرح له أنه ليس بيدها وأنها تحترق كلما وجدته مع امرأة ؟ .. كيف تصف له ذلك الشعور الذي لا يفارقها ليلا ونهارا بنار الغيرة التي تنهش فيها كعرض مستمر لا يريد أن يتوقف أبدا ؟.

Des. Maryam Tamim

هرولت وراؤه تحاول اللحاق به .. وبمجرد أن اقتربت أسرعت لتتخذ المقعد الذي بجانبه وهي تقول لرحمة بعصبية "هذا مكاني "
تراجعت رحمة للمقعد الخلفي وقالت بارتباك " لم أكن أنوي الركوب بجانبه ".

تأخر سيد قليلا يشتري بعض الأشياء من كشك قريب بينما استدارت آية بمجرد أن ركبت السيارة تتطلع لرحمة بنظرة فاحصة ثم قالت بلهجة آمرة "أريني بطاقتك الشخصية "..
تطلعت إليها رحمة ببعض الرعب .. ثم أخرجت محفظة صغيرة وأعطتها البطاقة ..

بعد دقائق دخل سيد السيارة ولمح آية تتطلع لبطاقة رحمة فحدجها بنظرة عاتبة صارمة فأسرعت بإعطائها البطاقة بارتباك وقالت

Des. Maryam Tamim

بامتعاض" نحن في نفس العمر لكني أكبر منها بشهور لهذا عليها أن تحترمني ".

أعطى سيد الكيس لرحمة التي نظرت فيه لتجد عصائر وحلويات فتطلعت إليه بامتنان بينما رد هو علي آية بلهجة ذات معنى وهو يحرك السيارة "احترمي أنت من هم أكبر منك أولا قبل أن تطلبي الاحترام ممن هم أصغر "
آلمها توبيخه فاحمرت وهمست له تقول " هل ستوبخني أمامها "
حدجها بنظرة غاضبة وأشاح بوجهه بعيدا .. فأخذت تموء كالقطة بدلال تنادي على أسمه بهمس وهي تشعر بالحرج من وجود رحمة التي تتابعهم في محاولة لفهم نوع العلاقة التي تربطه بتلك المجنونة.. بينما الأخيرة لم تستطع أن تتحمل أنه غاضبا منها فأخذت تهمس باسمه بدلال وتشده من كم السترة بإصبعين .. أما هو

Des. Maryam Tamim

فيحاول التحكم في ملامحه وأعصابه التي يدغدغها اسمه المنطوق بهذا الهمس والدلع .

حدجها بنظرة حاول أن تكون جادة وحازمة وهو يقول "انفضي يدك عن السترة "
قوست فمها بعبوس طفولي فأشاح بوجهه وهو يتحكم في ابتسامة ملحة فصاحت فجأة بانتصار طفولي أجفل رحمة "لقد رأيتك تبتسم لا تنكر "

تحكم مرة أخرى في ملامحه وقال لها "صدقيني يا آية الأمر لن يمر هكذا ولابد أن نتحدث لاحقا "

اهدته ابتسامتها التي تقطر عسلا وغاصت في مقعدها وهي تتمتم براحة "المهم أنك ابتسمت "
***

Des. Maryam Tamim

في نفس الوقت في بيت سماحة وقف أحمد يسأل والديه بهدوء "ماذا قررتما ؟"
تطلع الحاج لإلهام التي بدت واجمة ثم قال "إن استطاع عمرو النجاة من ضغط والدته وأبدى إصراره على أروى فلنتوكل على الله "
أطرق أحمد برأسه يتنهد في راحة ويتمتم "إذن يبقى جانب عمرو الغبي "
رد الحاج بلهجة حاسمة " فلنعطيه مهلة يومين إن لم يفتح الأمر مجددا سنتفهم "
قال أحمد بثقة " عمرو لا يهرب من المواجهة إنه إنسان صريح ومباشر وأيا كان قراره أنا متأكد أنه سيبلغك به يا أبي ".
قالت إلهام بقلب ملتاع "اللهم لا راد لقضائك ولا معقب لحكمك "

Des. Maryam Tamim

رن هاتف أحمد فلمعت عيناه ونظر لأبويه فتحفز الجميع .. ثم تحرك نحو الشرفة وهو يقول بهدوء" نعم عمرو "

ساد الصمت لثانيتين ثم أتاه صوت عمرو يسأل بهدوء حذر " أنا أقف أسفل البيت .. هل لا يزال مرحبا بي في بيتكم أم أن طلبي قد رفض وسيفوضونك لتسليمي (استمارة ٦) مع عبارات من نوعية (سنظل أصدقاء يا عمرو) ..(وأنا منذ البداية كنت ضد المصاهرة بين الاصدقاء).. ؟"

قاطعه أحمد وهو يجز على أسنانه بغيظ " كفاك ثرثرة واصعد فورا يا غبي "

بعد دقائق دخل عمرو بأذنين حمراوين وقلب يرتجف من فرط الافعال التي مر به خلال هذا اليوم العصيب .. يقرأ الوجوه للتأكد من أن ما فهمه من رد أحمد كان صحيحا ..

Des. Maryam Tamim

كان ممتنا حين أعطاه الاذن بالصعود ليس فقط لعودة روحه لجسده بتجدد الأمل في الارتباط بأروى ولكن أيضا للثقة في شخصه وتجاهل ما صدر من والدته اليوم ..
بادر عمرو بشجاعة" أنا أعتذر مجددا بالنيابة عن أمي عن سوء التفاهم الذي حدث اليوم ".

قاطعته إلهام تقول باهتمام "هل أسخن لك الطعام يا ولدي ؟أنت لم تأكل شيئا "

اتسعت ابتسامته وإن كانت مازالت متوترة وقال "سأكون شاكرا يا خالتي .. أنا فعلا لم آكل شيء منذ الصباح (ثم تجول بنظراته بين أحمد الذي يقف هادئا يضع يديه في جيبه والحاج الذي يبدو عليه الترقب فقال) ألن نحدد الخطوات الرسمية القادمة ؟"

Des. Maryam Tamim

رد الحاج بهدوء" علي أن أعرف رد أروى النهائي أولا
فهي صاحبة الرأي الأول والأخير "
ثم أشار لأحمد لينا ديها

***

في غرفة أروى قبل قليل :
دخلت بانة تبحث عنها فلم تجدها بالغرفة ..
طرقت على باب الحمام تنادي عليها فمسحت
أروى دموعها وهي تقول "أدخلي يا بانة" .

كسى وجهها الألم وهي ترى وجه أروى المنتفخ من
البكاء وجفنيها المتورمين .. فبادرتها أروى تقول
ساخرة كعادتها" رأيتني وأنا أتقمص دور الشهيدة
وأنتحب ؟!!"
أشفقت عليها بانة لكنها دفعت كرسي أروى بحزم
إلى الغرفة مجددا وهي تقول" أبك كيفما تشائين ..
فمن منا لم يبك على حاله .. لكن إياك أن تبكي في

Des. Maryam Tamim

الحمام مجددا يا أروى هذا الأمر غير مستحب أبدا
."
ابتسمت أروى تقاوم تدافع الدموع من عينيها
وتمتمت ساخرة في حرج " أبدو كمراهقة بلهاء
أليس كذلك ؟!"
ردت بانة بصدق " بل أنت صاحبة قلب شجاع
ونفس أبية .. تحبين بتفاني وهذا يحتاج لشجاعة
فكم من جبناء يهربون من الحب ويقاومونه مثل
زوجة أخيك الماثلة أمامك الآن .. لكنك أحببت
بشجاعة وأخلصت لمن تحبين وأبديت استعدادا
للتضحية من أجل حبك .. ووقفت اليوم في وجه
هذه المرأة المتعالية بكبرياء ولم تمنحيها الفرصة
لأن ترى ضعفك .. تكلمت عما تتقنيه ومالا تتقنيه
بشجاعة وكبرياء .. فعلت ما يتوجب عليك فعله
كمحاولة أخيرة لإقناعها بك ولم تجبُني من
المواجهة بشجاعة .. أنا أخبرتك يا أروى من قبل
أنكِ مثلي الأعلى الذي أحترمه وأقدره ..

Des. Maryam Tamim

أما دموعك هذه فلا تستكثريها على نفسك .. هل تعتقدي أن الأقوياء لا يبكون حين يختلون بأنفسهم.؟!!"

سألتها أروى من بين دموعها مازحة بملامح جادة "هل أنا فعلا كل هذا الذي قلتيه ؟!! "

ابتسمت بانة لطريقتها الفريدة في خلط الجدية بالمزاح وأومأت برأسها بتأكيد .

فقالت أروى ساخرة من نفسها وهي تمسح دموعها " ما أروعني إذن!!"

اتسعت ابتسامة بانة وقالت توافقها بصدق "أجل ما أروعك يا أروى !"

ابتسمت أروى هذه المرة ابتسامة واسعة متعمدة في محاولة مستميتة للسيطرة على وحش الكآبة الذي تصارعه بداخلها في هذه اللحظة ..

Des. Maryam Tamim

لإدراكها جيدا أنها إن لم تقاومه بحزم وشدة فإن انتصاره عليها سيعني ببساطة .. أن تستسلم لفكرة

مغرية ..

مغرية جدا . .

ألا وهي ..

الانتحار ...

حيث التحرر من كل شيء ..

من الألم النفسي .. والجسدي..

من أوجاع القلب ورغباته ونداءاته ..

من الاحتياج العاطفي والجسدي ..

من كرسيها اللعين هذا ..

من ضجر جدران الغرفة منها ..

من الشوق إليه ..

من الأحلام المزيفة بالسير مجددا ..

من نداءات آلة الكمان المهملة في الخزانة ..

من نظرة الحسرة عليها في عين أمها ..

Des. Maryam Tamim

من نفسها ..
ابتسمت واستغفرت من الشيطان الرجيم تدعو في سرها برجاء " ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين "

طرق على الباب ثم دخل أحمد بهيئته المعتادة يديه في جيبه وإن بدت عضلات جسده أقل تشنجا.. ووقف يطالع أروى بهدوء يخفي وراءه كماً من المشاعر الهائلة بشأنها .. محاولا السيطرة على انفعالاته ورافضا بكبرياء ذكوري أن يبدو أمامها وأمام زوجته عاطفيا أبلهاً .

لكنه يعترف بذلك في قرارة نفسه ..أنه فيما يخص أروى بالذات فهو ينقلب إلى ذلك الصبي العاطفي الأبله .
دون كلام أشارت له أروى بيدها أن يقترب.. فاقترب في صمت يتأمل وجهها المنتفخ وجفونها المتورمة بشفقة أوجعت قلبه .. فأشارت له لأن ينحني ..

Des. Maryam Tamim

وهمست بجدية ساخرة " هل أبدو في حالة تستحق أن تتعطف علي بسيجارة أم علي أن أزيد قليلا من اللطم والنحيب حتى تمنحني واحدة؟".
رفع رأسه يتطلع لوجهها قليلا ويتفحصه ثم قبض كفيه ومدهما إليها مشيرا للعبة كانا يلعبانها صغار .. ثم سألها " ستختارين أي يد رقم واحد أم رقم اثنين ؟ "
وقفت بانة تراقبهم بفضول لا يخلو من التسلي .. تعشق أن تراهم سويا .. إنهما حقا ثنائي لا يُمل من مشاهدته... بينما دعكت أروى جفنها المتورم قليلا وهي تتفحص قبضتيه الممدودتين أمامها ثم قالت بنباهة "أختار رقم أثنين ".

لم يبد على ملامحه أي رد فعل سوى أنه مال عليها وهمس في أذنها "حسنا لقد فزت بعلبة سجائر كاملة "

Des. Maryam Tamim

شهقت أروى وهتفت بصوت مسموع في عدم تصديق" صدقا !!!"
اتسعت ابتسامة بانة رغم أنها لم تفهم عما يتهامسان ... بينما رد أحمد بكل جدية " بكل تأكيد"
هتفت أروى باندهاش ممزوج ببعض الفرح "هل أبدو في حالة كارثية ومريعة إلى الحد الذي يجعلك تشفق علي كل هذه الشفقة ؟!!"
مط شفتيه ببرود وأومأ برأسه ثم تحرك ناحية الباب .. بينما ضيقت أروى عينيها قليلا في ارتياب و صاحت "انتظر "..

وقف عند الباب فتحركت بكرسيها إليها وقالت "أخبرني ماذا لو كنت اخترت رقم واحد ؟"
حرك كتفيه بلا مبالاة وقال" أنت أخترت رقم اثنين "

Des. Maryam Tamim

قالت بإصرار" أريد أن أعرف يا أحمد فيبدو لي أن رقم واحد به شيء أكبر من رقم اثنين "

استفزها ببرود متعمد يقول "لكنك اخترت اثنين وانتهى الأمر"

صاحت بغيظ " أحمد !!!!"

فمال على أذنها وهمس " رقم واحد كان أن تخرجي لتقابلي أمير موناكو "

اتسعت عينيها بصدمة وهتفت " تقصد عمرو!! .. أين؟!!!!! "

رد بهدوء "في الصالة مع أبيك كانوا ينادونك ليسألوك عن رأيك النهائي بشأن الارتباط من طائر أبي قردان "

ازداد اتساع عيناها .. ثم رمشت بجفنيها المتورمين عدة مرات في محاولة فاشلة للإدراك .. بينما صفقت بانة بيديها بفرح .

Des. Maryam Tamim

هم أحمد بالمغادرة يقول" سأخبرهم إذن أنك لا تودين الخروج إليهم".
أطبقت أروى على ساعده بكلتا يديها بعنف لتمنعه من الخروج وهي مازالت غير مستوعبة لكنها هتفت ببؤس طفولي " سأختار رقم واحد " مط شفتيه ببرود يقول" بل اختارت رقم اثنين وانتهى الأمر "
رفعت إليه وجهها تطالعه في استرحام أوجعه وقالت "هل حقا عمرو في الخارج؟.. أنت لا تكذب عليّ.. ولا تلعب بأعصابي .. أليس كذلك ؟ .. لو كان مزاحا سأموت يا أحمد ".
تخلي عن البرود المتعمد وكسى وجهه بعضا من عاطفته الدافئة نحوها فمال يحتوي وجهها بين كفيه وقال بتأثر فشل أن يخفيه " أنا لا أمزح يا حبيبة أحمد .. إنه فعلا بالخارج يقف مترقبا ينتظر قرارك .. مرتعبا أن ترديه مكسور القلب".

Des. Maryam Tamim

ترقرقت الدموع في عينيها فقبل رأسها وتمتم "لا تبك إن شاء الله ستنالين ما تتمنين.. " .

تدخلت بانة تقول بسرعة "هلا تركتنا قليلا حتى تعدل من مظهرها فلا يصح أن نتركه ينتظر طويلا ."

انتبهت أروى فقالت بهلع " أجل اذهب إليه ولا تعطيه فرصة لأن يهرب "

اتسعت ابتسامته ورد " بكل سرور ما رأيك أهدده بالمطواة ؟".

فركت يديها قليلا بتوتر ثم ردت مازحة بملامح جادة" لا لا .. يكفي أن تربطه في الكرسي بحبل متين "

علت ضحكته مجلجلة فابتسمت له أروى وهي تمسح دموعها وتتحرك بالكرسي نحو التسريحة.. بينما منحته بانة ابتسامتها الفاتنة وقلبها يرقص طربا من صدى ضحكته التي اشتاقتها واستدارت

Des. Maryam Tamim

لأروى .. ولم تعرف أن ابتسامتها أضاءت له روحه في انشراح .

حاولت بانة وأروى إنقاذ ما يمكن إنقاذه في وجه الأخيرة المتورم المنتفخ وقد فشلت مكعبات الثلج وبودرة التجميل في اخفاء أثار البكاء فخرجت أروى إليهم وقد تأخرت بالفعل وهي تتمتم لنفسها بغيظ مكبوت" كان من الممكن تأجيل البكاء قليلا بدلا من هذا المنظر المريـع ".

حين تطلع إليها عمرو بعد أن خرجت أخيرا وقد بدأ يقلق من تأخرها لم يحتاج لكثير من الذكاء ليعرف أنها كانت تبكي وبحرقة ...فآلمه وجعها وأنين كرامتها المجروحة .
راقبها متخصرا وهي تشمخ بأنفها في كبرياء تداري حرجها من منظر وجهها المنتفخ المتورم وتتحاشى

Des. Maryam Tamim

النظر إليه .. بينما حدجتها إلهام بغيظ أن تخرج إليهم بهذا الشكل المزري.

سألها الحاج سماحة" أريد أن أسمع رأيك يا أروى في طلب عمرو فالقرار الأول والأخير لك يا بنيتي " ازداد احمرار وجهها وتنحنحت تجلي صوتها وتقول بهدوء مصطنع" ما دمتم موافقون فلا مانع عندي" .

اتسعت ابتسامة عمرو وهو يراها تتصنع الهدوء واللا مبالاة فلم يقدر على كبح لسانه ليرد ساخرا "جزاك الله خير آنسة أروى وأكثر من أمثالك "

نظرت إليه بطرف عينها ثم أشاحت بوجهها مرة أخرى سريعا لترد باستهجان" ما معنى أكثر من أمثالك هذه ؟..هل تنوي الزواج بأكثر من امرأة؟!!" احمرت أذناه وابتسم .. فتدخلت إلهام بنفاذ صبر تقول " كفى مزاحا يا أروى ودعينا نقرر الخطوات

Des. Maryam Tamim

القادمة .. فعمرو لم يأكل طيلة اليوم وسخنت الأكل مرتين حتى الآن ".

حدجته أروى بنظرة سريعة مرة أخرى في حرج قبل أن تشيح بنظرها بعيدا مجددا تقاوم الانفعالات القوية التي تموج بداخلها ... وتراقص نبضاتها .. بينما وجه الحاج الكلام لعمرو يسأله" ماذا تقترح بشأن الخطوات القادمة ؟"

رد عمرو بقلب يرقص فرحا "أقترح أن خير البر عاجله .. الخطبة تكون الخميس القادم والزفاف يكون بمجرد أن أنتهي من إعداد الشقة أي خلال ثلاث أشهر وإن شاء الله .. إن شاء الله .. سأبذل قصارى جهدي ليكون قبل ذلك" .

ردت إلهام باستنكار" الخميس القادم ! .. أي بعد أربعة أيام !!.. لا أعرف إن كنا سنقدر على إعداد اللازم أم لا ".

رد عمرو ببساطة "دعينا لا نتأخر يا خالتي يكفينا تأخير" .

Des. Maryam Tamim

فسألت إلهام "هل ستجدون قاعات أفراح شاغرة قبل الحفل بأربعة أيام ؟!"
تنحنح أحمد يقول بلهجة ذات مغزى" نحن لا نعلم بعد يا أمي كيف يرغبون هو وهي في إقامة حفل خطبتهم "
نظرت إلهام لعمرو متسائلة فرد بحرج وهو ينظر لأروى مستغيثا أن تفهم ما يتحرج من قوله "كيفما ترغب أروى سأنفذ ".
ردت أروى بهدوء" لا أريد قاعات أفراح "
التفتت إليها إلهام محبطة وقالت" لماذا يا بنيتي؟"
قالت أروى بجدية" من المفروض أن يفرح أكثر يا أمي أنا أم الناس ؟"
ردت إلهام "بالطبع أنت حبيبة أمك أنا أريدك سعيدة "
رفعت أروى عينيها لأمها بتأثر وقالت "وأنا أحلى حفل خطبة عندي أن يضم فقط من أحبهم وأشعر أني سأكون على سجيتي في وجودهم .. لذا

Des. Maryam Tamim

أفضل أن يتم هنا في البيت بجلسة لطيفة عائلية تضم الاصدقاء المقربين فقط مثل يوم ميلادي الذي أقمته عند رامز العام الماضي هذا ".
ثم استدارت تبتسم لبانة التي تقف بجوار أحمد فبادلتها الأخيرة الابتسام بشجن .. بينما تحرك أحمد يحيط ذراعه حول خصر بانة التي أجفلت لثوان ثم حاولت الاسترخاء .. وتبادلت معه نظرات الحنين لتلك الاوقات التي كان كل منها يحب الأخر دون أن يدري .

أما عمرو فتنفس الصعداء مما قالته أروى فقد وفرت عليه الحرج في طلب أن يقام حفل بسيط راقي بعيدا عن حفلات الصخب والرقص وخلافه التي لا تتماشى مع شخصيته ولا مبادئه .. وترك الأمر على أروى بثقة لم يعلم كيف تأصلت فيه أنها ستفهم ما يريد .. وما قالته ملأ وجدانه الذكوري بالفخر والغرور .

Des. Maryam Tamim

تدخل الحاج يقول " اتركيهم على راحتهم يا إلهام"
ردت باستسلام " كما تحبون المهم أن نفرح "
تحدث عمرو بحماس "ألن نقرأ الفاتحة إذن ؟"
مد الحاج يديه ليمسك بكف عمرو وبدآ بقراءة الفاتحة بينما أروى تحدق فيهم غير مصدقة وكأنها تريد تجميد المشهد لبعض الوقت كما تفعل مع مشاهد الدراما الرومانسية لتلتقط الانفاس ..
فرفعت عينيها لأحمد الذي كان يراقبها وبمجرد أن التقت أعينهما تبادلا الكثير من الكلمات الصامتة المغلفة بالأحاسيس السعيدة .

ولم تكن أروى الأكثر تأثرا بما يحدث في تلك اللحظة فكانت لا تزال في مرحلة الصدمة .. وإنما إلهام التي لا تعرف كيف تعبر عن فرحتها .. لا تصدق أن أروى أخيرا عروس .

اقترب منها الحاج فهو الوحيد الذي يعلم بفرط سعادتها رغم احباطها من عدم إقامة الحفل بقاعة أفراح وقال يشاكسها" أين الزغاريد يا إلهام ؟!!"

وكأنها كانت في انتظار الطلب ..
فرفعت إليه إلهام عينين طفوليتين تترقرق فيهما الدموع ثم أطلقت زغرودة عالية مدوية مدفوعة بقوة طوفان من السعادة المؤجلة لسنوات فملأت زغرودتها الشارع كله .
قال الحاج يسترضيها "ما رأيك أن أنزل لأوزع الشربات على الحي كله الآن؟ .. وغدا بإذن الله نذبح عجلين واحد نخرجه صدقة والثاني نوزعه على أهل الحي" .
مسحت عينيها بكم عباءتها وأومأت بفرحة فقال يشاكسها مجددا "ما هذا يا أم العروس هناك من بالحي من لم يسمع بالخبر بعد.. أريد زغاريدا مدوية بالشرفة ".

Des. Maryam Tamim

لمعت عيناها بحبور طفولي وأسرعت للشرفة في حماس ... وظلت تطلق زغاريدها المدوية واحدة بعد الأخرى حتى كادت أن تسقط مغشيا عليها ... من الفرح .

***

خرج وائل من الكنيسة أكثر راحة وسكينة بعد أن صلى من أجل عمرو وأروى ..

بمجرد أن خرج من الباب العملاق تردد قليلا ثم عاد ينظر مجددا في قاعة الكنيسة الفارغة أمامه ليتأكد أنه لا يوجد أحد في هذا الوقت من الليل ..لكنه برغم ذلك مازال يشعر أن هناك من يراقبه بالقاعة ! ..

سار عائدا للحي فالمسافة لم تكن بعيدة .. ليتطلع مجددا خلفه في ريبة .. فمازال ذلك الاحساس الغريب ينتابه بأن هناك أحدا يتتبعه .

Des. Maryam Tamim

رن هاتفه ففتح يقول "أهلا سيد ... هل تعرف شيئا عن عمرو؟.. لقد اتصلت به مرارا بعد أن علمت بما حدث .. ولم أتلق من هذا الـ (....) سوى رسالة مقتضبة أنه سيتصل بي بعد قليل ولم يحدث حتى الآن " ..

هتف سيد بصوت يملأه الفرح " إنه غارق في السعادة الآن يعيش دور العريس يا اكسلانس "

هتف وائل بمفاجأة "صدقا تقول يا سيد ! .. لقد كانت الأمور مُحبِطة منذ ساعتين "

رد سيد بمرح" ربك كريم يا اكسلانس .. أين أنت الآن ؟"

قال وائل بتأثر" كنت في الكنسية أصلي من أجلهما "

مازحه سيد يقول " دعواك مستجابة يا أبانا "

قهقه وائل بسعادة وأستطرد سيد "تعال بسرعة الحاج يوزع الشربات ويتقبل التهاني .. "

Des. Maryam Tamim

تمتم وائل بحماس "مسافة الطريق .. سلام "

أغلق الهاتف ورفع عينيه للسماء بامتنان ثم أحكم السترة الجلدية حوله والطاقية الصوفية على رأسه الحليقة وتطلع خلفه مجددا بارتياب.. ثم أسرع الخطى يقفز كالأطفال وهو يستنشق نسمة الليل الباردة بانتعاش ..

إنه يتلمس السعادة باستجداء .. فبرغم أنه فقد الأمل في انتظار حدثا سعيدا يخصه .. لكنه أصبح يستمد السعادة ممن يحبهم ..لقد فقد القدرة على إفراز هرمون السعادة ذاتيا .. فأصبح يتلمسه ويستجديه من رفقاء الدرب ..
فأي حدث سعيد لأحد المقربين يجري عليه كالطفل الصغير حين يرى الحلوى .. ويبالغ في إغراق نفسه في لحظات الفرح تلك لاعتقاده أنها سرعان ما ستتبخر من داخله .. وسيعود سريعا

Des. Maryam Tamim

لنفس الحياة الكئيبة المملة التي لا لون لها ولا طعم ولا رائحة .. حياة ليس لها هدف أو سبب حقيقي ليتمسك بها ..

لو بيده لاستسلم لمرضه واكتئابه منذ أعوام .. منذ أن مات اكلينيكيا بإجباره على الزواج كالنساء فسحق ذلك كرامته الذكورية .. وتلاها المحنة التي تعرضت لها مريم وفاجعة انتحارها وموت أبيه ..وهذا الكم من القسوة والانانية والدونية التي قابلها بالبشر .. كلها أمور لم تتحملها مشاعره الهشة التي انسحقت من أول محنة .

يعترف انه هذا الكائن المرهف المشاعر .. عاطفي النزعة بامتياز .. يتغذى على العاطفة ويستمد منها قوته ..
إنه ليس بطلا أسطوريا ولا يريد أن يكون .. ولا يملك نفسية المقاتلين كسيد أو بانة أو أروى .. جل

Des. Maryam Tamim

ما كان يتمناه امرأة يحبها وبيت بسيط بعيدا عن الرفاهيات بعيدا عن ضجيج المدن .. في أحضان الطبيعة .. في كوخ خشبي صغير على شاطئ البحر.. ابتسم حين تذكر أحلامه البريئة الساذجة التي رسمها مع مريم .. كانت تشبهه كثيرا شكلا وموضوعا .. بشقرة شعرها وزرقة عيناها مثله ورهافة حسها وهدوء شخصيتها كشخصيته .. كانا يتمازحان دائما فيما إن أنجبا أطفالا سيطلقون عليهم أسماء غربية تليق بهيئتهم التي من المؤكد أنها ستكون بملامح غربية صرفة .

تنهد وهو يتذكر سيرتها .. يبدو أن خبر خطبة عمرو وأروى أنعش روحه ببعض من البهجة .. فأسرع الخطى يشتاق للحظات سعادة يلملمها من قلوب رفقاءه .

***

Des. Maryam Tamim

تطلعت أروى إليه وهي مازالت تحت تأثير طوفان المشاعر المتناقضة التي عاشتها اليوم .. غير مصدقة أنه هنا ..

معها ..

أمامها مباشرة ..

يسحب الكرسي ليجلس بحرج واضح أمام منضدة الطعام بعد أن وضعت لهما إلهام الطعام مرة أخرى ... بينما نزل الحاج للشارع يوزع الشربات ويتلقى التهاني والمباركات.

تقدم أحمد نحوهم ببرود يغمغم "أنا جائع فعلا "

تطلع إليه عمرو بإرهاق فلم يعد لديه أي طاقة باقية اليوم لتحمل صبيانية أحمد وغيرته .

Des. Maryam Tamim

مد أحمد يده نحو الطعام لكنها تجمدت قبل أن تصل إليه حينما أطبقت بانة عليها بحزم تسحب ذراعه.

التفت إليها يقول مستنكرا "ماذا ! .. أنا جائع" .

قالت بانة من بين أسنانها "تعال سنأكل بالداخل"

رد ببرود "ولماذا نأكل بالداخل .. نأكل معهم هنا"

تحرجت بانة من الحديث أمامهم وقالت وهي تجز على أسنانها" هل صليت العشاء ؟"

رد أحمد "ليس بعد "

فقالت بحزم "إذن تعالى لتصلي أولا "

نظر لعمرو وقال "سأصلي معه بعد الأكل"

رد عمرو بإجهاد" صليت الحمد لله "

رمقه أحمد بغيظ فشدته بانة بحزم فذهب معها وهو يزمجر في اعتراض .

بمجرد أن أصبح بمفرده أخيرا مع أروى بادرها بالقول "لمَ تبدين بهذا الشكل؟ "

Des. Maryam Tamim

سألته مراوغه وهي تتحسس وجنتيها بحركة تلقائية "هل أبدو بشعة إلى هذه الدرجة ؟!!"

صمت قليلا ينظر إليها ثم رد بصوت مجهد يقاوم مشاعر جامحة ستفقده التزامه إذا ما طاوعها
"أنت بشعة دائما يا أروى "
اشاحت بنظرها تتمتم "فظ بامتياز "
ابتسم في إرهاق ثم سألها بقلق "هل كنت تبكين؟ .. لا تفعليها مجددا أرجوك حتى لو من أجلي ."

تطلعت إليه قليلا فتلاقت أعينهما .. غير أنها أشاحتها بسرعة عاجزة عن تحمل هذا الفيض من المشاعر الذي تجدد منذ قليل بعد أن وصلت لنقطة خطرة من الإحباط واليأس.. وتمتمت لنفسها " أنا لم أر أحدا من قبل يبدو وسيما بهذا الشكل بعد كل ما مررنا به اليوم من وقت عصيب"
سألها بشك "بماذا تغمغمين يا أروى أريد أن أسمع"

Des. Maryam Tamim

استدارت إليه تقول "كنت أقول من أوهمك أني كنت أبكي "
لاحت ابتسامة على شفتيه دغدغت مشاعرها ثم قال "صحيح أني غبي عاطفيا لكني لست أعمى .. وجهك يبدو تماما كسمكة الينفوخ ".

ياله من توقيت سخيف !!
سخيف جدا يا أروى ..
ما الذي تفعلينه الآن !!
هل هذا وقت تدفق الدموع !!..
بالتأكيد تبدين أمامه الآن كمراهقة في الثالثة عشر من عمرها !!
هذا ما دار برأسها عندما تدفقت الدموع من عينيها فجأة كالشلالات دون رابط يحكمها .
توتر عمرو وهتف بجزع "أروى ما بك ؟؟؟"..

Des. Maryam Tamim

بينما هي تحاول التحكم في هذا الانهيار السخيف الذي يحاصرها .

شعرت بالحرج الشديد ..
الأنثى المراهقة بداخلها التي كان حلمها الأثير أن تظهر أمامه في لحظة كهذه كأجمل نساء الدنيا تلطم على وجهها الآن ..
لحظتها شعرت أنها بحاجة لأحمد .. بحاجة لأن تختفي في صدره تتدارى من هذا المظهر المحرج ..
إنها تبدو مريعة فعلا كسمكة الينفوخ .

لكن ما قام به عمرو أدهشها حقا .. ومنحها قدرا من الأريحية التي يشعر بها الحبيب حين يثق في قيمته عند الآخر ..
فلم تتوقع منه أن يتحرك بملامح جزعة متخليا عن تحفظه وكبريائه الأثير .. ويسحب نصف علبة المناديل بسرعة ثم يجثو أمامها على ركبة واحدة

Des. Maryam Tamim

يناولها المناديل قائلا بصوت أجش قلق "أروى هل أنت بخير؟؟ .. لماذا تبكين ؟؟.. أنا لم أقصد أن أجرحك يا أروى كنت أمزح أقسم بالله ".. حين استمرت الدموع في التدفق من عينيها همس بقلق "أروى هل أنادي خالتي أو أحمد ؟"

حركت رأسها بلا وهي تأخذ من يديه كومة من المناديل كورتها ورفعتها نحو عينيها عل الدموع تحترم تلك اللحظة المهمة جدا التي تعشيها حاليا وتتوقف على التدفق .

أكمل عمرو بنفس الصوت الأجش" أنا .. أنا لم أقصد فعلا أنك بشعة وشبيهة الينفوخ يا أروى ..ظننتك ستفهمين (ثم اخفض صوته وقال)أنا أمازحك لأقاوم مشاعري التي تلح على بانفلات لم أعهده في نفسي سيودي بنا لكارثة وفضيحة وجبال من الذنوب لن يكفي عمري كله لمحوها".

Des. Maryam Tamim

ابتسمت بخجل من بين دموعها فمال برأسه قليلا يتأكد أنها ابتسمت بالفعل ونظر للممر المؤدي إلى الغرف في توتر ثم همس " هيا يا أروى توقفي عن البكاء كيف تبتسمين وتبكين في نفس الوقت! .. توقفي قبل أن يأتي أحدهم ويجدني جاثيا أمامك محدقا فيك هكذا كالأبله."

ردت بغيظ من بين أسنانها" هل تعتقد أني سعيدة بهذا المنظر المزري أمامك.. إنها تفعل ذلك وحدها ."

حدق فيها وسأل بغباء "من التي تفعل وحدها؟!! "

ردت بغيظ بسبب غباؤه "دموعي يا بني آدم دموعي "

أطلق عمرو ضحكة حاول قدر الإمكان أن تكون خافتة .. إلا أنها أصابت أروى بالرجفة ..ثم قال بلؤم "وهل سبب تلك الدموع عمرو القاضي؟ ".

Des. Maryam Tamim

شمخت بأنفها بكبرياء تقول بملامح جدية تحاول انقاذ بعض الفتات من كبريائها الذي انسحق أمامه

"بالطبع لا .. هل بت تهلوس هذه الأيام !! "

ابتسم لها ابتسامة حلوة فأشاحت بوجهها عنه تستغفر في غيظ من تعمده أن يطل عليها بوسامته في هذه اللحظة الحرجة من حياتها .

فسألها بإصرار وابتسامة متسلية على زاوية شفتيه

"إذن ما السبب الذي جعلك تبكين حين رحلت ؟"

أشاحت بنظرها تتطلع إلى السقف بعيدا عن وجهه الذي يتمثل أمامها بلحيته المغرية للمس وقالت

"كانت دموع الفرح ".

استند بساعده على ركبته المرفوعة عن الأرض وسألها بنظرة عابسة مستفهمة "دموع الفرح لأني رحلت !!"

Des. Maryam Tamim

فردت "بل دموع الفرح لأني سأعود لارتداء الجوارب القصيرة كما يحلو لي .. وسأتابع كل مسلسلات ووكي بكل حرية .. ولن يرسل لي أحد زهور التيوليب البيضاء التي أحبها .. ولن أُهدى باقتباسات من الأغاني تدغدغ مشاعري .. ولن يطل علي أحد بلؤم وغرور ذكوري بهذا الشكل "

أطلق ضحكة ثانية غير قادر على كبتها وهو يتطلع لحالتها وطريقتها في السخرية من نفسها وكبريائها هذا الذي تحميه بالمزاح .. بينما قلبه يضرب بعنف على جدران صدره راغبا بالقفز إلى حجرها .

لم يكن يعتقد من قبل بوجود الحظ في الحياة .. لكنه بات أكيدا الآن أنه أكثر المخلوقات حظا إن كانت أروى من نصيبه.. ليس كزوجة فقط بل كامرأة تحبه حبا كالذي أبصر بصيصا منه منذ أيام قليلة ..

وقد لا يجرؤ يوما - بوازع من كرامته الذكورية - أن يعترف لها بأنه لا يعلم بالضبط ما العمل الرائع

Des. Maryam Tamim

الذي فعله في حياته ليكرمه الله بمشاعرها تجاهه .. لكنه سيظل ممتنا لله عز وجل على هذا المنح العظيم .

أما أروى حين سمعت رنة ضحكته توقفت عن البكاء تحدق فيه بوجه تغرقه الدموع ثم صاحت موبخة "عمرو أمرك غريب والله تطلب مني أن أتوقف عن البكاء ثم تضحك تلك الضحكة التي لم أسمعها من سنوات طويلة .. دون أي مراعاة لمشاعر العانس بداخلي .. كيف لم تتغير ضحكتك؟! .. إنها نفس ذات الضحكة الصبيانية ذات الرنة التي تـ شـ به .... "

قطعت كلامها تضغط على شفتيها لتخرسهما ..محدقة فيه بوجه تخضب بالأحمر .. تستنكر في سرها ما تفوهت منذ قليل ؟!!!!

تمتمت في سرها "لماذا تعجلت في اطلاعه جانبك الوقح يا أروى .. أتتغزلين في ضحكته بوقاحة من

Des. Maryam Tamim

أول يوم يجلس فيه معك !!.. فضحتي نفسك يا بنت سماحة ".

تسمر عمرو يحدق فيها معقود اللسان وقد تعرق جبينه .. يشعر بشلل في أطرافه وغالبا لم يدرك أنه قد توقف عن التنفس .
لم يعرف كيف من المفروض أن يرد عليها ..
هل ينفجر ضاحكا لخفة ظلها وطريقتها الفريدة في التعامل مع المواقف؟ .
أم يترك العنان للدموع التي تختنق في حلقه ألما وشفقة عليها حين ذكرت كلمة (عانس) .. وباحت بمكنون مشاعرها في جملة قد تمر مرور الكرام لكنها وصلت إلى أعمق نقطه في قلبه ؟.

أم يعتذر لها لأنه يتحمل قدرا من المسئولية عن كونها لم تتزوج حتى الآن ؟.

أم يستعطفها أن تسامح غباؤه وتخلفه العاطفي ؟.

أم يخبرها أن كل شيء له أوان وأنه لا يجد عمرها كبير إلى هذه الدرجة ؟.

أم يخبرها كم هي ممتعة .. مغرية .. مهلكة أمامه الآن.. حتى بوجهها المنتفخ ؟.

أم يرد عليها ردا عمليا بليغا .. شاملا لكل ما سبق بأن يطلق سراح تلك المشاعر الذكورية العنيفة التي تفور في خلايا جسده لحظتها تصارع للخروج في رغبة جامحة لتولي مهمة الرد الكافي الوافي على ما قالته للتو.؟!!.

تنحنحت أروى في حرج وهي تراقبه وقد تسمر على وضعه بملامح غامضة فلم تجد ما تقوله .. وقد أدركت أنها أفسدت كل شيء بغباء ...

Des. Maryam Tamim

فضغطت على زر الكرسي ليتحرك للخلف قليلا مبتعدا عن التمثال المتخشب أمامها يجثو على ركبة واحدة ثم أدارت الكرسي للخلف مغادرة وهي تتمتم بصوت هارب منها " تصبح على خير"
امتدت يده فجأة تشل حركة الكرسي ووجدت نفسها تسحب للخلف ثم لف الكرسي بها لتواجهه مرة أخرى فغطت وجهها بكفيها في حرج .

زم شفتيه يتحكم في ابتسامة ملحة ثم قال بصوت مبحوح "أروى ارفعي يديك عن وجهك "
حركت رأسها بلا ..
فأشاح بوجه لثوان يحك لحيته مقاوما حمما سائلة في شراييينه ثم عاد يقول بصوت مبحوح " أروى دعينا نتحدث كالعقلاء "

رفعت وجهها فجأة لتقول " بالضبط .. اعتبر ما قلته منذ قليل نوعا من الهذيان "..

Des. Maryam Tamim

فجأة فتحت آية الباب ودخلت بحماس ثم تسمرت وهي ترى عمرو يجثو على ركبة واحدة أمام أروى والذي انتفض واقفا في حرج بمجرد أن دخلت ..فقالت بارتباك" هل أعود إلى الشارع وآتي بعد قليل أم ماذا ؟"

قال عمرو بعد أن تنحنح بحرج" كيف حالك يا آية ؟"
لمعت عيناها وردت بشقاوة "بل أنتما كيف حالكما .. لقد فوجئت حين وصلت للحي بالخبر السعيدة "

تحركت إلى أروى ثم شهقت تقول "ماذا حدث لوجهك؟!! "
حدجتها أروى بنظرة عتاب بينما وضعت آية يدها على فمها تخرسه ونظرت لعمرو نظرة خاطفة فقهقه عمرو غير قادر على التحمل .

Des. Maryam Tamim

قالت آية بارتباك" سأذهب لأبلغ أمي أني وصلت"

تحركت خطوتين ثم عادت مترددة لأروى ومالت إليها تحضنها بقوة وهي تغمغم بصوت هامس "مبارك لك يا أروى أنا سعيدة جدا من أجلك"

شعرت أروى بالاندهاش لموقف آية .. فلم تكن الأخيرة تعبر عن مشاعرها أبدا ..فاغرورقت عيناها بالدموع تأثرا بينما أشاحت آية بوجهها تداري دموعا هي الأخرى وانسحبت للداخل .

ابتلعت أروى ريقها وهي تترقب ما سيقوله عمرو الواقف أمامها يحك أرنبه أنفه بحرج ..
بعد لحظات قال" اسمعيني جيدا يا أروى وأرجو أن أستطيع صياغة ما أريد إيصاله لك "..

Des. Maryam Tamim

قاطعته وهي تشير لكرسي السفرة وتقول" ألن تجلس ؟"
رد عليها بحزم "لا دعيني أقول ما أريد من هنا "

أومأت برأسها بتفهم ثم قالت بملامح جادة "كما تحب .. لكن لا تطيل لأن رقبتي ستؤلمني .. أمامك ثلاثة دقائق من بداية الكلام ... هيا إبدا "

رفع عمرو يده إلى جبينه يغمض في استسلام وهو يضحك من جديد ..ثم وقف أمامها يضع يديه في جيبه باسترخاء وقال " لم أكن أعرف هذا عنك .. أنك تلجئين للمزاح حينما تتوترين ".

تحرك يستدير حول الطاولة ليجلس على الناحية الأخرى منها جاعلا المنضدة الكبيرة بينهما .. فغمغمت أروى لنفسها "أرعبت الشاب من أول ساعتين يا بنت سماحة "

Des. Maryam Tamim

هتف عمرو بحزم" أروى لا أحب الغمغمة قولي ما تريدين قوله دون برطمة جانبية "
ردت أروى بعصبية" لو لم أغمغم وتكلمت بما يدور في رأسي لن تجلس وبيني وبينك المنضدة .. ستترك البلد كلها من الصدمة ".

ضرب عمرو فجأة على المنضدة وقال بصوت خفيض صارم "أروى أخرسي .. أخرسي تماما ولا تتكلمي .. أنت مصرة على أن أفقد عقلي بسببك الليلة "
أجفلت أروى وزمت شفتيها في طاعة .. فحك جبينه يحاول التركيز أكثر فيما كان ينوي أن يقوله فلم يجد كلمة واحدة باقية في ذهنه فتمتم يقول" أصبحت غير قادر على جمع كلمتين مما أريد أن أقوله ".
ثم نظر إليها فتلاقت العيون وتلألأت النجوم المضيئة بينهما .

Des. Maryam Tamim

***

في نفس الوقت خرج أحمد من الحمام الملحق بغرفته يجفف وجهه وذراعيه ثم خرج منها ينادي بانة التي تركته يصلي وذهبت إلى أمه .. حين جاءت بانة إليه قال لها ساخرا" ألن تبقي معي لتتأكدي أنني لن أذهب إليهما !"

تحكمت في ابتسامة ملحة وقالت وهي تربت على ذراعه كأنه طفل" أنا أعرف أنك ممتاز وستتوقف عن إزعاج الأخرين "

ارتعش في استجابة للمستها وقال بلهجة صبيانية "لا .. أنا رغبتي في إزعاجهم لا تتوقف لذا عليك بالبقاء بجانبي حتى لا أتهور "

اشرقت ابتسامتها وهي ترسم تفاصيل وجهه بعينيها فسألها بهدوء " هل انتهت الظروف الشهرية؟"

احمر وجهها واشتعل في خجل ثم أومأت برأسها فقال بصوت أجش "إذن هل صليت العشاء ؟"

Des. Maryam Tamim

حركت رأسها بلا ..
فقال بنظرة حانية " هيا توضئي ولنصليها سويا ..
كيف لم نصل سويا حتى الآن يا بانة ؟!!"

تسارعت دقات قلبها في انفعال عاطفي ثم أومأت برأسها ودخلت أمامه للغرفة تغمغم" أنا كنت أنوي الصلاة قبل أن تناديني ".
تملكه شعور بالدفء سرى في أوصاله وهي تقف بجانبه على سجادة الصلاة بالرغم من الارتباك الغريب الذي أصابه .

بعد الانتهاء من الصلاة جلس في استرخاء على السجادة يتأمل وجهها المضيء يلفها الاسدال من رأسها حتى أخمص قدميها تسبح وبالرغم من ذلك بدت شديدة الجمال والفتنة .

أمرا آخر استوقفه ..

Des. Maryam Tamim



ذلك الاحساس بالرهبة الذي استشعره حينما وقف معها بين يدي الله .. شعور عظيم بالرهبة ممزوج بالسعادة ..

استقامت دون كلام تهم بالمغادرة فأمسك بيدها يرفع إليها وجهه يطالعها بنظرة استجداء صامتة اخترقت قلبها بألم كإبرة مسننة حارقة ..فتمتمت في سرها "ظالمة أنت يا بانة .. ظالمة لحبيب القلب .. أيستجدي منك ابن سماحة الوصال !!.. وهو لا يستحق سوى أن يأمر فيطاع .. أنت جبانة وتقاومين مشاعرك تجاهه .. لأنك لو واجهت نفسك بها ستستسلمين له .. بل ستغرقين فيه .. لكنك تخشين عذاباتك الأخرى .. تخشين تشوهاتك الداخلية التي تقنعك أن الاستسلام له عار لأهلك!"



قاطع أفكارها حين همس بمسكنة وإبهامه يدلك ظاهر كفها " بضع دقائق أخرى يا بانة "

بلعت غصة في حلقها وخلعت الإسدال لتلقيه على السرير ثم جلست بجانبه تطالعه بعينين تتحجر فيهما الدموع .. فمد يده يسوي شعرها العسلي الذي انتكش قليلا حين خلعت الأسدال.

حركة يده على شعرها استقبلتها أعصابها بقشعريرة لذيذة .. ورغبتان متناقضتان استوليتا عليها في نزال عنيف بات لا يبارحها.. قلبها الذي يتألم ويشعر بالذنب من ناحية .. وشعورها بقلة الحياء والعار إذا ما طاوعت قلبها وطاوعت رغبات ابن سماحة الذي هو زوجها المعذب معها .
فركت يديها ببعض التوتر الذي يتملكها حين تفكر في الأمر ثم تحركت فجأة متحدية ذلك الشعور الأخر واقتربت منه .

Des. Maryam Tamim

تفاجأ باقترابها وشعر ببعض الضيق أن يضغط عليها.. إنه يدرك جيدا صراعاتها الداخلية .. لكنه كان من الإجهاد العصبي ما جعله مستعدا لتسول القليل من اللحظات معها .

استقبل ذراعه اقترابها ليلتف حولها ويسحبها نحو صدره بصمت .. للحظة تشنجت عضلاتها لكنها استرخت بعد أن أرسلت رسالة لعقلها الواعي تفيد بأنه (لا داعي للتوتر إنه أحمد) .
شدد على ذراعه حولها باحتياج فألقت برأسها على صدره ...
ليهمس بأنفاس لاهبة "أجل يا بانة امنحيني بعضا من رائحتك عن قرب فأنا ألاحقها هنا وهناك كالمدمنين ".
قبضت على ملابسه في ألم وهتفت "أحمد أنا.."

Des. Maryam Tamim

أسرع يقاطعها بهمس "أشششش .. دعيني أخبرك بالقليل من مشاعري دون أن أخشى أن أشعرك بالذنب .. تحمليني قليلا يا بنت الخازن ".

غاصت بانة أكثر في صدره وكأنها تشكو نفسها المعذبة إليه .. فما كان منه إلا إن شدد من ذراعيه حولها أكثر وأكثر وهو يطبع قبلة بطيئة طويلة على مقدمة شعرها .. وأغمضا أعينهما .

قلوب حمراء .. وبالونات بألوان قوس قزح كانت تسبح حولهما في الغرفة ..
وشعور بالدفء يتزامن مع وقع أنفاسهما المنتظمة يتسلل إلى روحيهما .
تمتمت بانة في همس " قلبك يضرب بقوة "
رد بهدوء " إنه يتراقص من أجلك .. وأنت كيف يشعر قلبك ؟"

Des. Maryam Tamim

سكتت قليلا ثم رفعت رأسها تنظر إليه ثم سحبت يده ووضعتها فوق قلبها ..
تحسس أحمد ضربات قلبها التي ترتجف تحت يده ثم سألها " هذه الضربات العنيفة .. توتر أم ضيق أم ماذا ؟"
حدقت في وجهه قليلا وهي تستشعر يده الدافئة المستقرة على قلبها ثم شجعت نفسها على الرد بصوت هارب منها " يتراقص من أجل الكونت "

تسارعت انفاسه وقال " أحببت كلمة الكونت من فمك .. قوليها مجددا ".

فاشتعلت وجنتيها وأطرقت بخجل وهي تعيد الكلمة فرفع ذقنها برقة ولفحت أنفاسه المحترقة وجهها يحدق في عينيها ويغرق فيهما باستسلام .. لكن شفتيها كانتا أكثر سطوة عليه .. فحدق فيهما بحرمان .. ثم اقترب قليلا في صمت يسحب

Des. Maryam Tamim

أنفاسها الحارة إلى رئتيه .. محدقاً في عينيها بتساؤل متوسل صامت وكأنه يقول " هل لي أن اتذوق قليلا من الشهد ؟"

تردد قليلا في الحصول على ما يتشوق إليه خوفا عليها من جموحه واحتراقه وسألها محاولا استشعار مدى تقبلها " لمَ أصبح قلبك أكثر عنفا الآن ؟"

فهمت ما يريد ..

بأنوثتها استقبلت كل شيء .. وأشفقت عليه فردت بنصف الحقيقة واحتفظت بالنصف الآخر..

النصف الذي ينهشها .. فلينهشها وحدها ولا يعذبه .. لتقول "يتراقص من أجل الكونت "

مال برأسه أكثر يستقبل لحظة المنح بامتنان ..لكن صوت جرس الهاتف أجفل بانة فابتعدت عنه في حياء وإحساس بارتكاب فعل فاضح تقاومه بداخلها بصرامة ..

[2187]

أما القلوب الحمراء فتلاشت والبالونات انفجرت في الهواء ...

جز أحمد على أسنانه وأغلق الهاتف في وجه المتصل وقد استيقظت وحوشه ... لكن الهاتف عاود بإصرار ففتح الخط يرد متحفزا "نعم .. ماذا تريد !!!"

أبعد سيد الهاتف عن أذنه باستنكار للحظة ثم أعاده يقول "ما هذا الرد العصبي ؟!! (ثم أكمل في خبث وقد خمن أن عصبية أحمد بسبب غيرته من عمرو) نريد عمرو وهو لا يرد على هاتفه "

اتسعت عينا أحمد بجزع واستدار ينظر لبانة ويتمتم "عمرو .. نسيته !!!"

كتمت بانة ضحكة ألحت للظهور فحدجها أحمد بغيظ ثم قال لسيد "اغلق الأن سأعاود الاتصال بك "

Des. Maryam Tamim

أسرع سيد يقول قبل أن يغلق أحمد الخط" اسمع .. كنت أريد أن أقول لعمرو أن يصعد هو وأروى لسطح البيت .. أنا ووائل حضرنا لهما مفاجأة "

استقام أحمد متجها نحو الباب لكنه توقف ورفع حاجبا مستنكرا يقول "مفاجأة .. أي مفاجأة؟!! ".

***

سحب عمرو نفسا طويلا إلى صدره يهدئ من دقات قلبه القاصفة فيه .. ثم قال بهدوء لأروى عبر منضدة الطعام مفسرا ما يريد أن يقوله منذ بداية الجلسة وشقاوتها تسرق الكلمات منه " أريد أن أقول إياك أن تتحرجي مني أو تشعري أني قد أفهمك بشكل خاطئ .. أنا لم أتعرف عليك اليوم يا أروى أنا أعرفك منذ أن كنت تتعلمين الكلام .. أيضا يجب أن تعلمي أمرا .. وهو أني استقبل كل ما تقولينه وأفهمه جيدا وافنده بعقلي وقلبي .. وكل حرف تنطقين به .. كل نظره تنظريها إليّ .. كل

Des. Maryam Tamim

شيء يا أروى أستقبله .. لكني للأسف غير قادر على التعبير بالكلمات حاليا.. خاصة وأن ما تمنحينه لي وكل ما يصدر منك مبهرا ورائعا ..
هذا بالإضافة لأمر هام قد تجدينه سخيفا وقاسيا مني لكني لست مستعدا للتنازل عنه ألا وهو حرصي على التزامي الديني ... لا تنس أنك لست زوجتي حتى الآن وبالتالي هناك حدود لابد أن تكون بيننا حتى لا ننزلق بضغط من مشاعرنا ونندم بعدها اشد الندم حين تثقل على كاهلنا الذنوب.. فعلينا أن نتق الله أنا وأنت حتى يبارك الله لنا في حياتنا معا إن شاء الله .. وكما تعلمين حتى النعم التي يمنحها لنا الله فيها اختبار هل نرضخ فيها لأهوائنا أم نبتغي فيها مرضاته ؟.."
رفعت أروى سبابتها تطلب الإذن بالسؤال كتلميذ.. فأشاح بوجهه يتحكم في رغبة ملحة للانفجار في الضحك ثم تمتم "ستقتلينني بنوبة قلبية والله.. تفضلي يا آنسة أروى الميكرفون معك"

Des. Maryam Tamim

قالت بجدية " لو كان ما قلته للتو لأنك اكتشفت أني أملك لسانا جريئا .. قليلا .. فدعني أوضح لك أمرا .. هذه ليست أنا عموما في حياتي الطبيعية اقسم بالله ..أنا تفاجأت بنفسي مثلك .. وأعدك أن أحاول تحليل الأمر لكنه على ما يبدو أنه يخصك وأنك تستفزه بداخلي دون أن أدري فلم يحدث ذلك معي أن .. . "

قاطعها عمرو بهدوء حازم " أروى ... أروى سأعيد لك ما قلته .. أنا أعرف من هي أروى سماحة جيدا فلستِ مطالبة بتفسير أي شيء أمامي .. أنا أخبرتك ذلك حتى تعلمي أني قد لا أقدر على الرد على ما استقبله منك لأسباب معينة تقيدني فلا تشعري وقتها أني لا أبادلك المشاعر أو أني أبخل عليك بالكلام .. إن شاء الله يجمعنا في بيت واحد وأعدك أنني سأعوضك على هذا "

تخضب وجهها بالحمرة وتنفست الصعداء أن المسافات بينهما تضيق.. فقالت ببعض الشقاوة

Des. Maryam Tamim

وهي تستند بمرفقيها على المنضدة "ولماذا تعتبر أن الرد على ما تستقبله مني سيكون ضد التزامك ألم تقل لي قبل ذلك أن التباسط بيننا في الحديث لا يجوز إلا برباط رسمي .. ها نحن سنعلن خطبتنا أخر الاسبوع ".

ضغط على شفتيه قليلا ثم قال محاولا توضيح الأمر وقد أحمرت أذناه "لأن الرد على ما استقبلته منك اليوم.. منذ أن جئت مع أمي حتى الآن سيحتاج مني أن أقنع الحاج بأن يحضر المأذون فورا وتزفين إلى الليلة زوجة حتى أستطيع التعبير بصراحة "

اندفعت تهم بقول شيء .. غير أنها وضعت يدها على فمها بسرعة تخرسه وهي تحدق فيه برعب.. فاتسعت عيناه لحركتها.. لكنها غمغمت في لهجة مطمئنة "لا بأس .. لا بأس تم السيطرة على الكلام قبل أن يخرج الرد ".

Des. Maryam Tamim

دفن عمرو رأسه بين يديه في محاولة للملمة أعصابه التي لم يعد يسيطر عليها .. مقاوما شعورا ذكوريا فضوليا وقحا يلح لمعرفة ما الذي أحجمت عن قوله ..وأدرك أن الصمود أمام أروى سيكون صعبا وسيكون اختبارا قاسيا له .

رفع رأسه ليجدها تطالعه بعينين بريئتين وملامح طفولية فضرب مجددا بيده على المنضدة يقول من بين أسنانه "ميمين "
فردت بابتسامة مليحة" نعم عمرو القاضي"

أشاح عمرو بوجهه يضحك ثم قال" أخرسي ولا أريد أن أسمع صوتك حتى يوم الزفاف ".

غطت فمها بيدها في طاعة عسكرية فضحك بوجه أحمر مشتعل مغمغما "يا وليك يا عمرو يا وليك "

Des. Maryam Tamim

خرج أحمد فجأة من الممر المؤدي للغرف يقول بلهجة متحفزة" ماذا تفعلان ؟؟!!"
استعاد عمرو ملامحه الجادة مرة أخرى بينما ردت أروى ببراءة" لا نفعل شيئا كنا نتكلم "

نظر أحمد للطعام الذي لم يمس ثم سأل باستفزاز "تتكلمان عن ماذا .. ولماذا لم تتناولا الطعام ؟"
رد عليه عمرو ببرود "وما دخلك أنت خطيب وخطيبته يتحدثان !"
رد أحمد بلهجة خطرة محذرة " عليك أن تدرك أمرا مهما يا سيادة الخطيب .. ألا وهو أنني سأظل اتدخل في كل شيء حتى تكون زوجتك شرعا (ثم استدار لأروى وقال) هيا يا أروى "

رفعت إليه أروى نظرات متسائلة بعد أن وجهتها لعمرو أولا الذي بادر بالسؤال "إلى أين ؟!!!"

Des. Maryam Tamim

حدجه أحمد بنظره باردة ولم يرد ثم انحنى فجأة ورفع أروى بين ذراعيه فأطلقت تلك الصرخة القصيرة المتفاجئة التي تطلقها كلما رفعها أحمد فجأة قبل أن تكتمها في حرج .
تلك الصرخة التي لا تتعدي جزءا من الثانية لكنها تسرق أنفاس عمرو وتستفزه .. فوقف يتابع أحمد في عدم فهم وهو يفتح باب الشقة ويخرج بينما أروى تسأله موبخة عن وجهتيهما .

نظرت بانة لعمرو في حرج من فظاظة أحمد معه وقالت مفسرة "إنهما سيصعدان للسطح لأن وائل وسيد طلبا منا الصعود إنهم يحضران لمفاجأة "

ابتسم يداري غيظه وشعور تعرف عليه مؤخرا اسمه (الغيرة على أروى) وتحرك يحمل كرسيها ويلحق بهما ..

Des. Maryam Tamim

قبل أن تلحقهم بانة ترددت قليلا ثم توجهت لغرفة آية وطرقت على الباب تقول" كلنا على السطح فيبدو أن هناك مفاجأة ".

***

في الوقت التي صعد فيه الجميع للسطح كانت إلهام تستقبل رحمة التي بادرتها بابتسامة وجلة ..فتطلعت إليها إلهام بقلب مشفق .. وقد حكى لها سيد ما حدث .. وطلب منها أن تطعمها لأنه لم يقدر أن يذهب بها إلى بسمة قبل أن يهنئ العروسين ...

قالت لها إلهام مشجعة " تعال يا بنتي .. ما شاء الله أنت جميلة وصغيرة "

دخلت رحمة بارتباك واضح .. فكل ما فهمته أن طلب منها سيد أن تصعد للسيدة إلهام حتى ينتهي من بعض الأمور بالشارع .

وكالعادة أصرت إلهام أن تسخن لها بعض الطعام ولم تستطيع رحمة التهرب كثيرا ليس فقط لأنها

Des. Maryam Tamim

كانت جائعة جدا .. ولكن من أجل تلك السيدة التي تشع حنانا أموميا لا يقاوم .

على سطح البيت كان سيد ووائل على السطح المقابل .. سطح المقهى .. منحنيان يتعاملان مع شيء ما على الأرض في الظلام فانتظر الجميع في ترقب .
عمرو يستند على السور يديه في جيبه وهو وأروى يتبادلان النظرات المختلسة ويتشاركان في الاحمرار .. هي بوجنتيها وهو بأذنيه .. بينما آية تتشبث بالسور تتأمل كل تفاصيل سيد متمنية أن تكون الإضاءة أقوى ..

فجأة دوت أصوات انفجارات مدوية واضيئت السماء بالألعاب النارية .. بينما سيد ووائل ينحنيان ليشعلا المزيد من الصواريخ المضيئة ثم يبتعدان

Des. Maryam Tamim

بسرعة عنها قبل أن تنفجر مندفعة للسماء
فيضحكان كطفلين لا يحملان أي هم.

صرخت أروى بسعادة وهي ترى الانفجارات تتلألأ في السماء .. وراقب عمرو ملامحها في سكينة فإن كان الجميع مشغولون بالاحتفالات المضيئة في السماء فهو مشغول باحتفالات التي تحدث بداخله ساعتها ... بالألعاب نارية ومفرقعات العيد .
إنها الاحتفالات الحقيقية ..
الانفجارات بمعاناها المزَلزِل والمبهج والمضيء..
نجوم تتلألأ في وسط ظلمة مشاعره..
كبريق يظمأ الساري له ..
دويٌّ يوقظه من ثبات أطال فيه ..
وبهجة ألمت به وقد كان غافلا عن وجودها ..

زم أحمد شفتيه كصبي محبط وهو يطالع نظرات عمرو لأروى .. فأدارت أنامل رقيقة على ذقنه

Des. Maryam Tamim

وجهه بعيدا عن الخطيبين ليطالع اشراق ابتسامتها المتعاطفة .. فهمس لها بشقاوة " وجدت الحل"

سألته بانة بعينين تتلألأ فيهما الألعاب النارية "وما هو ؟"

رد وهو يتأملها "ما دمت تبذلين كل هذا المجهود من أجل أن تبعديني عنهما.. فسأستغل الفرصة وأهددك وأبتزك بإزعاجهما لأحصل على ما أريد".

ردت بدفء برغم الألم البادي في عينيها "أنت لا تحتاج للابتزاز لتحصل على ما تريد .. فأنت تعلم أن من حقك الحصول عليه متى شئت .. لكنك متيقن أنك لن تشبع بالفتات وإلا لكنت حصلت عليه في ليلة زفافنا ".

توهجت عيناه وانعقد لسانه يتأملها في صمت.. مشفقا عليها من العذاب البادي على ملامحها .. ثم تحرك يلف ذراعه حول خصرها ويشدها إليه بحزم وهو يرمقها بنظرة متوحشة وقال مازحا "إذن لقد

Des. Maryam Tamim

اكتشفتَ حقيقتي .. أني لست بهذا السمو الذي أدعيه ولكني طماعا .. أنتظر حصولي على الفريسة كاملة لألتهمها وحدي ".

احمرت بانة في حياء ثم قالت بصدق " صدقني أنا أبذل جهدا مع نفسي .. فأنا أيضا سيؤلمني جدا أن أعطيك الفتات مني فلا هذا الذي أريده ولا هذا الذي تستحقه أنت ".
قبل رأسها برقة وقال " لا تضغطي على نفسك يا بانة .. فأنا كصياد متوحش طمعي سيعطيني الصبر لانتظار الفريسة ".
طالعته بانة بنظرات ممتنة .. وهي تتساءل في سرها " كيف يمكن أن يختلط طعم السعادة في فم الانسان بالوجع!! "

على الناحية الأخرى من السطح انتهت آية من تصوير المفرقعات بهاتفها ولم تلحظ أنها أصبحت

Des. Maryam Tamim

تركز عدسة الهاتف على المارد الماثل أمامها الذي يلهو بالصواريخ كطفل ضخم.. يقهقه بخشونة ويجري بصبيانية خلف وائل بصاروخ يرغب في إلقائه عليه لينفجر فيه .
ابتسمت تتمتم في سرها " طفل خطير يرغب في تفجير صاحبه بمنتهى الشقاوة ".

هدأ سيد من هسترته في اللعب مع وائل الذي جلس على الأرض في إعياء جسدي بعد هذا الفاصل من المزاح الصبياني الخطر ..واختلس النظر لوقفتها المائلة على السور وكأنها تود أن تطير من عليه ..
يلاحظها منذ البداية حتى لو لم ينظر إليها بملء عينيه .. وأذنه شديدة الحساسية لصوتها التقطت صوت صرخات الفرح الصادرة منها وميزتها بسهولة ..
وللحظة ..

Des. Maryam Tamim

لثانية ..
تخيل نفسه يفجر تلك الألعاب النارية في السماء لها وحدها كي تلهو بها وتفرح .
فهو الوحيد الذي يستشعر كيف شاخت روحها مؤخرا ..لكنه أصبح عاجز عن مساعدتها .. ممنوعا من الاقتراب منها .. بأمر من نفسه شخصيا ..
وبرغم كل الجهود التي يفعلها لا يزال غير قادر على الخلاص من مشاعره تجاهها ..
إنه يغرق نفسه عمدا في عمله وفي ألحانه ..ولا يحدثها إلا كل فترة .. وحين ترسل له على الواتساب يرد باقتضاب وتحفظ .. يتحجج كثيرا بالعمل ..
ويبدو أنها استشعرت تحفظه فلم تعد تلح كثيرا ..
فتمر أياما يقضيها وهو يحدق في الهاتف ينتظر منها مكالمة أو رسالة ... لهذا لم يستطع الصمود اليوم أمامها وهي تطلب مقابلته بصوت باك .

Des. Maryam Tamim

أحيانا يتمنى أن يملك عجلة الزمن .. ويعود للوراء عامين .. يمنع نفسه من اتخاذ قرار الزواج .. ويبقى هكذا طول العمر .. يحبها في صمت ويراقبها وهي تكبر .

فياليتنا نملك ممحاة سحرية تمحو بعضا من ماضينا .

راقب أحمد وهو يأمرهم جميعا بالمغادرة .. فغادرت آية ومنحته التفاته أخيرة قبل أن تنزل.. فأطرق برأسه .. يشجع نفسه على نفض ذلك الشعور بالشوق الذي يعذبه .. وتحكم في ذلك الشعور بأنه لم يروي شوقه إليها بعد ..

قطع افكاره صوت الهاتف فرد ليجد إلهام تطلب رؤيته ..فاستدار لوائل ليجده شاردا يتطلع في الظلام للسطح المجاور .

سأله وهو يهم بالرحيل " ألن تنزل؟ "

رد عليه وائل دون أن يستدير إليه " سألحقك "

Des. Maryam Tamim

تردد سيد قليلا يحاول استكشاف ما الذي يحدق فيه وائل وسأله "هل أنت بخير ؟"
رد وائل بذهن مشغول" أجل "
فقال سيد "أنا مضطر أن أذهب لأخذ رحمة من عند أمي وأعود بها للمنزل "
لم يرد عليه وائل الذي يحدق في الظلام سوى بإيماءة صامتة .. فتركه سيد وغادر .

***

في بيت سماحة وقفا الحاج وإلهام على سلم البيت بينما الأخيرة تتحدث بصوت هامس موبخ حتى لا يسمعها الباقين بالداخل " حسابك معي عسيرا يا سيد .. لم تتصل بالمسكينة طول عامين !.. تركتها في بيت خليل وأنت تعرف من هو خليل !!"

اطرق سيد في حرج وحاول التبرير فقال " أنت تعلمين أني كنت في هذا الوقت مشغولا بمشاكلي

Des. Maryam Tamim

مع خليل وبعدها انفصلت عنه وانشغلت بالتلحين"

قالت إلهام بعصبية سبقتها هسهسة أساورها " لا تبرر يا سيد .. أنت قصرت في حق المسكينة .. ماذا لو لم تعثر عليها بسرعة؟.. ماذا لو نهشتها كلاب الطرق .. ليست كل الفتيات قادرات على حماية أنفسهن "

اطرق سيد برأسه وشعور بالذنب يخنقه .. بينما الحاج يحاول تهدئة إلهام التي بدأ يعلو صوتها في عصبية وقال " هذا ليس وقته يا إلهام دعيه يأخذها الآن ووبخيه في وقت آخر "

ردت إلهام بعصبية " أوبخه !! .. قلبي غاضبا عليه"

تطلعت رحمة من زاوية الباب للحوار الذي يدور على السلم وتعجبت أن ترى سيد بضخامته يقف مطرق الرأس في حرج أمام تلك الخالة بقامتها القصيرة المائلة للنحافة وهي توبخه بانفعال

Des. Maryam Tamim

..خرجت باندفاع ووقفت أمام إلهام ظهرها لسيد
تقول " ليس له ذنب يا خالتي .. لم يكن يعرفني
حتى يهتم بي .. هو بالكاد رآني ساعة واحدة "

حدجتها إلهام بنظرة أمومية موبخة فأطبقت
رحمة شفتيها في خرس ورفعت رأسها لسيد الذي
هتف بتأثر " لا تغضبي عليّ يا أمي أنا أعترف أني
أخطأت ..وأعدك أني سأعوضها عن تقصيري "
تدخل الحاج يقول " سامحيه يا إلهام "
قالت بحزم لسيد " سنتحدث لاحقا يا سيد .. وإن
كانت ليس لها مكانا في بيتك فبيت الحاج سماحة
مفتوح "
مال قليلا يقبل رأسها وهو يتمتم دائما " مفتوح
بكرمك يا أم المساكين "
نفضت رأسها عنه بعصبية وقالت لرحمة " اتصلي
بي يوميا وطمئنيني عليك بنيتي "

Des. Maryam Tamim

ابتسمت رحمة وأومأت بطاعة وعينين دامعتين .
فقال سيد ببعض الغيظ لرحمة " هيا أمامي .. إنها غاضبة مني بسببك "
حدجته إلهام بنظرة خطرة فاستدرك يشير بيده أمام رحمة ويقول بأدب مزيف " أقصد تفضلي يا آنسة رحمة (ثم قال لإلهام يسترضيها) هل هذا جيد يا أمي ؟"
ضحكت رحمة وسلمت على الحاج والخالة إلهام ونزلت بينما خطف سيد قبلة سريعة على يد إلهام فتصنعت التأفف ثم نزل وهو يضحك ضحكة خشنة .
فتطلع الحاج لزوجته يقول بمشاكسة وعينان تشتعلان " ضئيلة الجحم لكن جبروت "
***
حدق وائل في الظلام يتأكد مجددا أنه لم يلمح أحدا في السطح المجاور ..

Des. Maryam Tamim

فما لمحه منذ قليل بعد أن هدأ من نوبة الضحك
كان غريبا حقا .. ولابد أن يتأكد منه ..
إنه لمحها فعلا تتحرك فوق السطح في الظلام ..
هل عادت !..
لا يصدق ! ..عادت إليه !!..

انتظر كثيرا لكنه لم يجد شيء .. فنزل محبطا الي الشارع .. وبعد قليل كان يفتح باب شقته .

استفاقت ماجدة من جلستها في الصالة بمجرد دخوله .. فسألها ببرود " لماذا تنامين على الأريكة ؟"
ردت بهدوء" غفوت وأنا أشاهد التلفاز "
تمتم بصوت مسموع " لن تتخلي عن تلك العادة أبدا "
سألته "هل أحضر لك العشاء ؟"

Des. Maryam Tamim

فرد وهو يتجه نحو غرفته " لا شكرا ليس لدي شهية للطعام "
أغلقت التلفاز الذي لم تكن تعلم ماذا كان يعرض من الأساس ..وتوجهت لغرفتها التي تتشارك فيها مع البنات .

بمجرد أن دخل وائل غرفته وتسطح على السرير بإرهاق وإعياء ..
فوجئ بها من جديد ..
في ركن الغرفة تحدق فيه ..
تهديه ابتسامة اشتاق إليها ..
استقام بسرعة يهتف بفرح
" مريم !!! "

Des. Maryam Tamim

الفصل السادس والعشرين

في يوم خطبة عمرو وأروى لم تتوقف الزغاريد من أول النهار على الرغم من أن الخطبة كانت عائلية كما تمناها الاثنان .

حضر الحفل البسيط الخالة أنجيل ووائل وكريستين وأمير وسيد بدون بسمة كالعادة لكنه أحضر رحمة .. والسيد غنيم والخالة سوسو .. فكان حفلا بسيطا غلب عليه الطابع العائلي والحميمية ...

أم عمرو على الرغم من أنها لم تتفاعل بالشكل الذي يليق بأم العريس إلا أنها كانت هادئة صامتة معظم الوقت ... مما قلل من التوتر الذي قد يحدث في وجودها .

وقفت الخالة سوسو في الممر المؤدي للغرف مع بانة توبخها " لا أفهم كيف تكونين عروسا

Des. Maryam Tamim

ويطلبون منك أن تصنعي أصناف الحلويات للحفل !! ..لمَ لم تشترونه جاهزا أو حتى كنت طلبته من مطعمنا؟!! ."

تكلمت بانة مفسرة " لم يطلب مني أحد يا خالتي .. أنا من تطوعت لصنعها .. أردت أن أفعلها بنفسي هدية لأروى .. وأنا سعيدة بذلك "

قالت سوسو وهي تربت عليها " المهم هل أنت سعيدة ؟"

اتسعت ابتسامة بانة وأومأت برأسها فقالت الخالة " ألم تنتهي من عمل تلك الحلويات .. ما هذا المنظر يا بانة .. عليك أن تهتمي بمظهرك جيدا وتجعلي زوجك فخورا بك دائما .. الرجال يشعرون بأعينهم "

لملمت بانة الملابس البيتية التي ترتديها في حرج وتمتمت " أنا فقط أساعد أروى الآن لتستعد وبعدها سأبدل ملابسي أعدك"

Des. Maryam Tamim

قالت سوسو " مادامت هناك Makeup Artist مع أروى تزين وجهها فعليها تساعدك أنت أيضا "
ردت بانة " أنا أحب وضع زينة وجهي بطريقتي الخاصة "
مطت سوسو شفتيها بعدم اقتناع ثم نظرت حولها بنظرة فاحصة وقالت " الأثاث والديكور على مستوى عال .. حين رأيت المنطقة توقعت غير ذلك بصراحة لكني تعجبت حين دخلت .. "
ابتسمت بانة وقالت "عليك أن تزوريني بشقتي قريبا يا خالتي .. سيعجبك ذوقي في اختيار الاثاث وإتقان أحمد في الصنع"
اقترب منهم غنيم بابتسامة حانية بينما ردت سوسو " إن شاء الله "
سألها غنيم "هل أمورك جيدة يا ابنتي ؟.. إذا احتجت لشيء لا تترددي .. أريد أن تشعريني أني في مقام والدك "

Des. Maryam Tamim

تمتمت بانة بعبارات الشكر في حرج فقالت سوسو
" هيا لنتركها يا غنيم حتى تبدل ثياب الخدم التي
ترتديه هذا "
تبادل كلا من بانة والعم غنيم النظرات والضحكات
المكتومة ثم تحرك غنيم وزوجته للجلوس في
الصالون مع أنجيل وعفاف .
***
وقف سيد يشاكس إلهام التي مازالت غاضبة منه
وهو يلاحقها بضخامته هنا وهناك ليجبرها أن
تتحدث إليه بينما هي مشغولة ومشدودة الأعصاب
.. فبدأ في بعثرة ما ترتبه على المنضدة فضربته على
يده بتوبيخ .. ليطلق ضحكته العالية في تسلي ثم
يسحب رحمة من رقبتها ببعض الخشونة يقول "
أخبري أمي أني أعاملك جيدا "
اتسعت عينا إلهام تنظر ليده التي تقبض على ياقة
قميص الفتاة كمن يمسك لصا .. بينما غطت رحمة
فمها بكفها تكتم ضحكتها ... فاستدرك سيد وترك

Des. Maryam Tamim

ملابسها وأخد يدلك أمام إلهام على كتف ورقبة أخته .

تكلمت رحمة تقول وهي تضحك " أجل يا خالتي يعاملني جيدا .. أيقظني أمس الثالثة صباحا لأحضر له الطعام ... ثم أيقظني اليوم صباحا مكتشفا أن القميص الذي يريد أن يحضر به المناسبة الليلة ليس نظيفا.. وتحجج بأنه لن يستطيع أن يرتدي قميصا آخر لأقف وأغسله على يدي ثم أخذ يشرف علي وأنا أقوم بكيه بالرغم من أن بسمة ترسلهم لمحل الكي .. لكنه أصر أن أقوم بذلك بنفسي "

جز سيد على أسنانه وحدجها بنظرة متوعدة ورد" كنت أريد أن أشعرك أنك في بيتك .. ولمَ لم تخبريها أني من اشتريت لك هذا الفستان الذي ترتدينه ويجعلك فاتنة "

تخضبت وجنتي رحمة بالحياء ومسدت على جانبي الفستان في سعادة .. فاطمأن قلب إلهام لسير العلاقة بينهما .. فلو إدعى غير ذلك لشكت ..

Des. Maryam Tamim

فحمدت الله أن الأمر بينهما لم يكن معقدا .. وإنما غلبتهما فطرتهما ورابطة الدم بينهما. .فسألته بفضول " لماذا لم تحضر بسمة معك ؟ "

ارتبك لكنه قال صادقا " إنها عند أهلها بالبلدة" سألته باستنكار " هل تركت البيت بعد يومين من وصول أختك ؟ .. ألا يعجبها وجود رحمة ؟!!!" أسرع بالتوضيح " لا يا أمي .. إن والدتها مريضة واضطرت للذهاب بعد يوم واحد من حضور رحمة ولم تتعمد الذهاب لأي سبب أليس كذلك يا رحمة "

ردت رحمة تؤيده " كانت عادية معي يا أمي واستقبلتني جيدا "

أومأت إلهام برأسها ثم قالت لرحمة " لو قصر معك في أي شيء .. اعطيني اتصالا واحدا "

Des. Maryam Tamim

تكتفت رحمة ترفع رأسها نحو سيد بإغاظة ..
فوضع كفه الضخم على كتفها الهش ببعض العنف
وقال ببعض الخشونة " رحمة أختي الحبيبة "
توجعت المسكينة فقالت إلهام" اتركينا بمفردنا
قليلا يا رحمة أريد الحديث معه"
فابتسمت الفتاة وابتعدت بينما بادر سيد مدافعا
"أعاملها جيدا اقسم بالله يا أمي "

ردت إلهام بلهجة دافئة "أعلم أنك تملك قلبا يشع بالعاطفة .. ولا أشك في حسن معاملتك لها .. كنت فقط أضعها أمام عينيك لتراها ووثقت أن قلبك لن يضل الطريق إليها ... خاصة وأنك جربت مشاعر الوحدة والاحتياج للعائلة "

تأمل سيد رحمة من بعيد بقامتها النحيلة وشعرها المائل للحمرة ...فتملكته الشفقة نحوها.. وشعور مشابه لشعوره تجاه أروى ..فتمتم " ضميري

Des. Maryam Tamim

يؤنبني بشأنها لا أنكر .. وأعدك يا أمي أن أكون لها أخا تفخر به ويعوضها عما أقترفه خليل واقترفته أنا في حقها "

ربتت عليه وسألته بقلق " ماذا قالت الطبيبة أخر مرة بشأن موضوع الانجاب ؟"

حك رأسه وقد وتره العودة للحديث عن بسمة فرد بهدوء " قالت لا يوجد ما يمنع الإنجاب .. وننتظر إرادة الله "

تطلعت إليه بشك ثم قالت" لماذا اشعر أنك لست مهتما بالأمر أو متلهفا ؟"

رد سيد بحرج " لا أعرف يا أمي صدقا .. لكن الامر لا يشغل تفكيري .. ربما علاقتي مع خليل أثرت على رغبتي في انجاب الابناء "

ضربت إلهام على صدرها بجزع ثم قالت " ما الذي تقوله يا سيد !!.. الشعور بالأبوة يا حبيبي أمرا غريزيا .. لا تنظر لخليل أنه مريض نفسي بالتأكيد

Des. Maryam Tamim

.. أنظر لمشاعرك تجاه رحمة كيف كانت وماذا صارت خلال أربعة ايام .. أستطيع أن أرى دفء نظراتك نحوها ولولا استشعاري ذلك لما اطمأننت عليها معك "

أطرق سيد برأسه دون أن يعقب.. فتمتمت وهي تنظر لعمرو بحلته الأنيقة يقف هادئا في ترقب "أتمنى أن يطمئن قلبي أيضا على أروى "

رد سيد بلهجة جادة " أنا أقدر تخوفك يا أمي لكن صدقيني لا يوجد من يؤتمن على أروى أكثر من عمرو "

حركت إلهام عيناها نحو غرفة الصالون تتأمل عفاف الواجمة بجوار أنجيل وتمتمت "لكني أخشى عليها من عفاف "

طمأنها سيد بلهجة واثقة " حبه لها سيحميها إن شاء الله "

Des. Maryam Tamim

رفعت إليه أنظارها تريد التأكد فسألت " هل أنت متأكد أنه يحبها .. أنا لا أحب أن تصبح ابنتي حالة انسانية يشفق عليها أحد بالزواج من أجل الحصول على ثواب .."

قهقه بصوت عال ثم مال يغمز لها ويقول "من الذي يشفق عليها ! .. بل أنتم من تشفقون عليه بالموافقة على هذا الزواج .. إنه غارق في حب ابنتك يا أمي .. لقد طيرت برجا من عقل المسكين"

تهللت أساريرها وقالت " حقاً يا سيد !.. إذن لمَ تأخر كل هذا الوقت في طلبها للزواج ؟!!"

تنحنح سيد ورد بمراوغة " كل شيء قسمة ونصيب .. واعتقد انه كان يخاف عليها من أمه نظرا لظروفها .. حتى استبد به العشق فاستسلم "

تمتمت إلهام تحدث نفسها " سبحان الله .. أنت تريد وأنا أريد ويفعل الله ما يريد "

Des. Maryam Tamim

***

داری عمرو ارتباكه وراء جديته يدعو أن تمر الليلة على خير دون أي منغصات .. لا ينكر أن وجود والدته يربكه فهي من الشخصيات التي لا يمكن التنبؤ بأفعالها ..

ولا ينكر أيضا أن عدم فرحتها يؤلمه ويشعره بالتقصير .. لكنه يقاوم هذا الشعور بعقله الراجح .. مستعينا بضميره أنه في هذا الأمر لا يظلمها .. فمن حقه اختيار الزوجة التي يتمناها .. لكن قلبه يشفق عليها أن لا تشعر بالفرحة مثله .

تطلع حوله ينتظر خروج أروى التي تأخرت ولم تخرج حتى الآن .. وقد أمطرها بوابل من الرسائل على الواتساب .

ردت عليه تقول" صبرا يا عمرو"

رد بغيظ " تأخرت كثيرا وأنا لا أحب التأخير "

ردت " وأنا أيضا لا أحب التأخير لكن الفتاة التي تساعدني في زينة وجهي لم تنتهي بعد"

Des. Maryam Tamim

سألها " لماذا تؤخرك؟!! لا اعتقد أنك تحتاجين كل هذا الوقت لتتزيني.. ومتأكد أنك لست مولعة بتلك الأمور للدرجة التي تجعلك تتأخرين هكذا "

صمت قليلا .. وخشي أن يكون قد تكلم بفظاظة فربما أحبت المبالغة اليوم بالذات والظهور بمظهر مختلف .. برغم انه لا يعتقد أنها تميل إلى مثل هذا الشكل فكتب " أقصد أنك جميلة بدون زينة "

ثم عاد وكتب " أقصد افعلي ما يسعدك في مناسبة كهذه "
ردت عليه بعد أن أرسلت له (وجه يختبئ في كفين حرجا) " كل ما في الأمر أني أصبت مجددا بتلك الحالة التي باتت تنتابني مؤخرا من البكاء لا إراديا فأفسدت كل شيء ..والمسكينة أعادته من جديد .. وتحاول منذ مدة السيطرة على الوضع الكارثي "

Des. Maryam Tamim



آلمه قلبه فكتب " لا أعرف ماذا أفعل في تلك المواقف هل أخبرك عن مشاعري لتشعري أني بجانبك وأني لا يهمني كيف تبدين .. أم أحجم عن ذلك ولا أزيد عليك أم ماذا "

كتبت " امممم .. من الممكن أن تقول لي شيء مضحك "

كتب " وهل تعتقدي أني شخص يبرع في إلقاء النكات ؟!! .. لقد لجأت للشخص الخطأ للأسف "

ارسلت إليه شكل (وجه يقهقه) .. فابتسم وكتب" أنا أيضا متوتر جدا يا أروى .. فلست وحدك من يشعر بذلك "

أروى :" (وجه يغمز) متوتر لماذا ؟"

أحمرت أذناه وكتب " لأني منتظر سمكة الينفوخ أن تخرج إليّ .. وأخشى من منظرها "

أروى :" (وجه يقهقه) كدت أنتهي "

Des. Maryam Tamim

شعر أحمد بتوتره فرق قلبه لصاحبه وذهب إليه يحيط كتفيه بذراعه وشاكسه " يا بني هل تعتقد أنك إذا ارتديت سترة أنيقة كالتي تلبسها الآن ستكون أوسم مني؟! .. أو حتى ستغير من مظهر طائر أبا قردان الذي تبدو عليه ؟!! هيهات "
ابتسم عمرو بتوتر فسأله أحمد " لمَ أنت متوتر؟"

وضع عمرو يديه في جيبه ورد بصدق " أتمنى أن تنتهي الليلة بسلام .. والحقيقة والدتي توترني برغم أني مشفق عليها "
تكلم أحمد مطمئنا " لا تقلق ستمُر الليلة على خير .. أنا أكيد من ذلك .. وابتلينا بك صهرا وانتهى الأمر "
أبتسم عمرو بمحبة ثم سأله بقلق " هل توترت أروى مجددا ؟"
أومأ أحمد برأسه بالإيجاب وقال بامتعاض "الحقيقة لو كانت لا يأتيها طلبات زواج كنت

Des. Maryam Tamim

تفهمت .. لكن حتى الأن لا أجد فيك ما يستحق هذا الشعور بالروعة .. لدرجة أني أفكر جديا في عرضها على طبيب أمراض عقلية ".

اتسعت ابتسامة عمرو وغلبه التأثر فعانقه ثم قال بجانب أذنه " بت تنسى أني أحفظك كخطوط يدي .. لا تقلق عليها فإن لم تكفي محبتي لك في أن أحافظ عليها وأسعدها .. فمشاعري تجاهها تكفي وتفيض " ..

تحكم أحمد في شعور مماثل بالتأثر وتمتم " وأنت أصبحت عاطفيا مقرفا "

ضحك عمرو رغم توتره وقال وهو مازال يحضن صاحبه " أنا سعيد أن قدري وصاحبي وزوجتي وذريتي ان شاء الله من آل سماحة .. عموما لا تقلق عليها واطمئن "

رد أحمد بمزاح " يا بني أنا قلق عليك أنت.. فأنت لا تعرف أروى مثلي "

Des. Maryam Tamim

ضحك عمرو .. بينما اقترب وائل وسيد فبادره الأول يقول متهكما" هل نحضر لكما كأسين عصير وشمسية .. لمَ لا تلبسه خاتم الخطبة وننتهي من هذا الأمر !"

شعر عمرو بانحسار توتره بعض الشيء بتجمع اصدقائه حوله بينما شاكسه سيد وهو يتحسس حلته بحقد " دائما ما تختار الحلات التي تجعلك وسيما يا (....) " فانفجر الجميع في الضحك .

بعد دقائق قال عمرو فجأة" افتقد أبي في مناسبة كهذه.. كنت أتمنى أن يكون موجودا معي الليلة"

رد سيد بتأثر " بالمناسبة شيخ عبد الرحمن كان عادة ما يسأل عن أروى بالذات "

تطلع إليه عمرو وكأنه قد أدرك ذلك للتو " فعلا .. كان يسأل عن أروى كلما حضر إلى هنا (ثم قال بعد فترة من الصمت) وكان يسألني عنها من وقت لآخر

Des. Maryam Tamim

.. هي بالذات .. لكني كنت أعتقد أن سؤاله بسبب الحادث "

تمتم أحمد " سبحان الله وكأن قلبه كان يشعر "

رد وائل بتأثر " لو الأرواح تراقب أحبائها أو تشعر بهم فهو بالتأكيد سعيدا من أجلك الآن "

تكلم عمرو وهو شارد" أخبرني أنه سيكون سعيدا إذا ما أقدمت على الزواج وأنا متأكد مائة بالمائة من قراري .. لأنه كان يعلم بترددي في هذا الموضوع .. والحمد لله أن عروسي يعرفها من قبل ..فذلك يهون علي احساسي بالندم أنه لم يرى زوجتي .. فشيء جميل أن يعر..."

بتر عمرو عبارته وصمت فجأة يحدق في الأرض.. فلاح الاهتمام على وجه أصحابه .. وانتابهم القلق حين رفع إليهم وجهه يطالعهم بعينين متسعتين .

Des. Maryam Tamim

سأله سيد بقلق" ما بك ؟؟ لمَ تبدو شاحبا هكذا .. هل أنت بخير ؟؟؟"

حدق في أحمد فأمسك به الأخير يحاول الفهم لكن عمرو تركهم ذاهلين .. واندفع نحو غرفة الصالون فتبعه أصحابه في قلق وفضول .

قاطع عمرو الحديث الدائر عندما سأل الحاج في لهفة " هل كانت هناك رؤية قديمة بينك وبين أبي رحمه الله ؟"

عقد الحاج سماحة حاجبيه وسأله "أي رؤية تقصد؟"

فقال عمرو مفسرا وقد ازدادت ضربات قلبه" رؤية عن نسب بين العائلتين "

ضربت إلهام كفيها ببعض وصاحت " أجل .. ذلك الحلم القديم الذي حلمت به يا ابراهيم "

Des. Maryam Tamim

تسمر الحاج قليلا ثم اتسعت ابتسامته وسأل عمرو "من أخبرك بهذا الأمر ؟"

قالت إلهام بحماس لأم عمرو "أتذكريه يا عفاف ذلك الحلم الذي فسره الشيخ بأن سيكون بيننا علاقة مصاهرة ؟"

مطت عفاف شفتيها في انكار بارد .. بينما تدخلت أنجيل تقول" أنا أذكره كان أحمد في عمر شهور وعفاف على وشك ولادة عمرو "

فأكملت الهام تقول" وقد فسر الشيخ الحلم وقتها يبشرنا بعلاقة مصاهرة بيننا فاعتقدنا أن عفاف تحمل بأنثى .. وحين أنجبت عمرو .. نسينا الحلم بعد ذلك "

سأل الحاج عمرو الذي يبدو مصدوما" من أخبرك يا عمرو بهذا الحلم؟ نحن قد نسيناه تماما"

رد عمرو "أخبرني به الشيخ عبد الرحمن قبل أن يموت بأيام "

تعجب الحاج وسأله "ماذا قال لك بالضبط؟"

Des. Maryam Tamim

تكلم عمرو بصوت متأثر " رأي قبل أيام من وفاته رؤية بشأن زوجتي المستقبلية .. وحين طلبت منه أن يخبرني بها رفض وقال أنه يريدني أن أكون مقتنعا وألا أختار ما يسعده هو .. وخشي أن انفذ له ما يريده دون اقتناع مني مؤمنا أن النصيب غالب ولا داعي لاستعجاله مع شخص متردد في مسألة الزواج مثلي .. لكن بعد إلحاحي عليه لأن يخرجني من حيرتي أو يطمئن قلبي عن هويتها طلب مني اذا ما عزمت على الزواج من فتاة من معارفنا أن أسأل والدها عما اذا كان هناك رؤية قديمة بشأن مصاهرة بين العائلتين (سكت قليلا فعم صمت متأثر ثم أكمل) وقال لي اذا تحققت رؤياي .. فأعلم أني سعيد وأن ما تمنيته قد تحقق "
اختنق عمرو بالبكاء فتركهم فجأة وخرج من باب الشقة .. ليقف على السلم يلملم مشاعره .. ولم يدر أنه قد طلب أروى على الهاتف فردت عليه تقول "حالا سأخرج .. لقد انتهيت "

Des. Maryam Tamim

تراجع عن إخبارها بتلك الرؤية على الرغم من الرغبة الحارقة التي تلح عليه بمشاركتها أمرا جميلا مؤثرا كهذا .. لكنه خشي من تأثرها والضغط على أعصابها فأجل الأمر وقال لها بحشرجة" من الجيد لأني كدت أن أغير رأيي وأغادر "

ردت وهي تتصنع الهلع" لا أرجوك .. سأخرج حالا قبل أن تغير رأيك "

رنت ضحكت عمرو الصبيانية رغم حالته بينما أحمد يراقبه عبر الباب المفتوح بارتياح أن اطمأن على أعز شخصين على قلبه ..

***

دخلت رحمة المطبخ تطلب من المرأة التي تساعد العائلة كوب ماء لسيد .. فهدرت آية بشراسة من خلفها لتنتفض رحمة بإجفال " ماذا تريدين ؟!!"

بسملت رحمة وشربت كوب الماء الذي طلبته وتمتمت" أرعبتني ".

Des. Maryam Tamim

تفحصتها آية متكتفة من رأسها لأخمص قدميها ثم قالت " تبدين مختلفة .. فستان أنيق وحذاء جديد .. وشعرك مصفف بعناية.. وفوق كل هذا تبدين سعيدة "

حركت رحمة عيناها يمينا ويسارا تحاول فهم المعنى ثم قالت ببعض التردد " هل هناك مشكلة في ذلك ؟؟"

مطت آية شفتيها وردت " ليس هناك مشكلة .. أخبريني هل ستعيشين مع سيد ؟"

ابتسمت رحمة بسعادة وأومأت بحماس ...

فامتعضت آية وسألتها بغيرة " وهل هو من أشترى لك هذا الفستان ؟"

ردت رحمة بحماس "أجل والحذاء وجعلني أذهب لمصفف الشعر أيضا"

Des. Maryam Tamim

ردت عليها آية بمرارة" إنه يجيد الاعتناء بالصغيرات وبمجرد أن يكبرن .. يصبحن عبئا عليه .. فيتخلص منهن "

رمشت رحمة بعدم فهم.. فسألتها آية" لمن الماء؟!"
ردت رحمة " لسيد يريد أن يأخذ دواءه يشعر بارتفاع الضغط"

آلمها قلبها فتحركت نحو الثلاجة ثم أخرجت زجاجة مثلجة وقالت " سيد يشرب الماء مثلج ولا يحب الشرب من الأكواب يحب أن يشرب من الزجاجة نفسها "
فأومأت رحمة وكأنها تحفظ الدرس ..لتسألها آية " هل تدرسين ؟"
ردت رحمة بحماس " أجل أدرس بالجامعة في أول سنة "

Des. Maryam Tamim

رفعت آية حاجبا وردت باستنكار" كيف تكونين بأول سنة ؟.. أنت توشكين على إتمام الواحدة والعشرين مثلي ؟!"

أطرقت رحمة برأسها وردت بحرج " أتعثر في الدراسة كثيرا (ثم رفعت رأسها مجدد وقالت بعينين لامعتين) لكني مثابرة وأصل في النهاية حتى لو تأخرت.. مكثت في الثانوي العام ثلاث سنوات .. لكن في النهاية حصلت على مجموع يؤهلني لكلية جيدة"

عقدت آية حاجبيها تحاول تقييمها ثم قالت بحزم " سآخذ أنا الماء لسيد أريد التحدث معه "

أومأت رحمة ببساطة وراقبتها حتى خرجت للممر ووقفت أمام سيد فتمتمت رحمة في سرها "هناك شيء ما يدور بين أخي وتلك النارية "

لاحظها آتية من بعيد ..

Des. Maryam Tamim

وكيف لا يلاحظها وعيناه تبحثان عنها منذ أن حضر ..

وهل يستغنى عن نور شمسها التي تدفئ روحه !.

حتى وهو غاضبا مما فعلته في محطة المترو ..

وحتى لو اتصلت به مرارا تصالحه ... وهو يتعزز ..

وحتى وهو يعترف بما قالته الصغيرة أنه يملك عينان زائغتان نحو النساء .. لكنه أحجم عن العلاقات النسائية الحقيقية بعد زواجه من بسمة ..

ولم يخن بسمة أبدا مع أي امرأة .. إلا هي !

وكيف يكون حبه لها خيانة ..

وهي الأولى والأخيرة ..

مالكة القلب مهما حاول نزعها منه ومهما أمتلك من النساء .

لكن كلامها جرح كبرياءه ورجولته رغم اعترافه بتلك الذنوب .. وأحبطه أن يكون هذا هو رأي صغيرته فيه .

انتحى بجذعه جانبا يتعمد تجاهلها .. فدنا عطرها قبل دنوها وقالت تشاكسه " نبيع الماء للعطشى .. هل من مشتري؟!"

مد يده وشد الزجاجة من يدها بخشونة دون أن ينظر إليها وألقى بحبة دواء في جوفه وتبعها بالماء .

تأملته يرتدي قميصا وبنطالا يظهران رجولة وخشونة قامته الضخمة .. فمنذ أن دخل بعالم الفن وهو يهتم بمظهره كثيرا ..

وهذا يحرقها ..

تكره أن تنظر إليه الفتيات ..

تكره ذلك إلى حد الرغبة في اقتناء مسدس عامر بالرصاص وتفريغه في أعينهم كلهم ... حتى أخته ! .

أما جميلة الجميلات زوجته المصون فستتركها له حتى لا تحرق قلبه عليها.. ومن يعرف المعنى الحقيقي لاحتراق القلب أكثر منها كآية!.. فلولا ذلك لكانت قتلت بسمة تلك ومثلت بجثتها منذ وقت بعيد .

Des. Maryam Tamim

سألته ببعض الحزن "هل ستظل تخاصمني كثيرا؟؟"

رد دون أن ينظر إليها وهو يتحسر على الوقت الثمين الذي يمر دون أن يبهج روحه برؤياها "حتى تتعلمين احترام الكبار "

ردت بغيظ " اصبحت تدقق معي كثيرا يا سيد "

رد ببرود " لأنك مازلت تتصرفين دون تفكير"

قالت ببعض التوسل المغلف بالدلال وهي تمسك بطرف كمه بإصبعين " آسفة ".

فاستدار يقول بكرامة مجروحة " أنا لا ألملم الفتيات من على الأرصفة يا آية .. وحتى لو كنت فلا أسمح لك بانتقادي .. فليس لديك أي حق في أن تنتقديني حتى لو كنت أفعل ذلك "

أطرقت برأسها أرضا تتألم من الحقيقة العارية ..

نعم لا تملك أي حق فيه ..

ومن تكون ليمنحها بعضا منه !!..

[2236]



إنها مجرد طفلة عطف عليها وحماها من نفسها ومن المحيطين حين كان أهلها مشغولين بمصابهم الأليم .
طفلة حاول أن يرد لآل سماحة الدين فيها .

وحين تمسكت بقالب تلك الطفلة لأطول فترة ممكنة لتحظى باهتمامه .. ها هو يلومها كونها تتصرف بطفولية .
أما هو فآلمه قلبه وأغمض عينيه يشتم في سره .. إنه ليس قادرا حتى على اقتناص هذه الفرصة لوضع حواجز قوية بينهما .. من السهل افتعال مشكلة أو أتخاذ كلامها له كحجة لوضع حدود فاصلة ...
لكنه غير قادر .. غير قادر على ذلك .. فلتفعل صغيرته ما تريد وتعبث كما تشاء .. ولتتدلل عليه كما تشتهي .

بعد فترة من الصمت قال بهدوء " عموما انتهى الأمر وعديني أنك ستفكرين قبل أن تتصرفي .. ولن تتعاملي بعصبية مع الأمور .. أنا أخبرك هذا من واقع التجربة .. إن هذا الامر يفقدك الكثير .. ويوقعك في الإخطاء .. وأعلمي يا أية أن هناك أخطاء نظل ندفع ثمنها عمرنا كله .. فتريثي وأنت تخطين خطواتك وانتبهي جيدا لردود أفعالك "

رفعت إليه رأسها تمنحه ابتسامتها التي تقطر عسلا وردت في راحة " أعدك أن أفعل "

ارتجف قلبه لابتسامتها التي تشعره أنه حي ويتنفس .
لمعت عيناها وقالت بشقاوة أتعبت قلبه " أريني نظارتك أريد أن أراك ترتديها " .

Des. Maryam Tamim

ابتسم بحرج وأخرج نظارة طبية بإطارات سوداء ولبسها ووضع يديه بجيب بنطاله يستعرض نفسه أمامها من كل الزوايا..

أتسعت ابتسامتها ثم اشاحت بنظرها وقد احمر وجهها وقلبها يقفز في صدرها ككرة مطاط من تلك الخاطرة التي قفزت إلى ذهنها فجأة .
ليست خاطرة بل رغبة حارقة ..
رغبة حارقة في لف ذراعيها حول عنقه وتقبيله .

انتبه الاثنان لصوت أحمد ينادي بحزم عليها فارتبكا رغم أنهما وسط الجميع ... وتركته لتذهب لأحمد بتساؤل .. فتحرك لداخل الممر بعيدا عن العيون ثم طالعها بنظرة خطرة قائلا " لماذا تقفين هكذا مع سيد ؟!! "
ردت باستنكار " وما المشكلة ؟"

Des. Maryam Tamim

رد عليها بعصبية " المشكلة أنك تختصين سيد بهذه الوقفة وهذا أمر غير مقبول .. وأنا نبهتك مرارا وتكرار .. أن تتوقفي على اختصاص سيد بأي سلوك يضر بشكلك كآنسة ناضجة .. لم تعودي طفلة يا آية "

تكتفت بكبرياء وقالت " لا أفهم ما الذي سيضر بشكلي كآنسة ناضجة كما تقول بالوقوف مع سيد .. الذي هو أصلا واحد منا .. كما لا أفهم سيضر بشكلي أمام من ؟ .. نحن في محيط العائلة تقريبا"

جز على أسنانه يقاوم رغبة ملحة في جرها من شعرها وقال بتهديد " هذه آخر مرة أحذرك يا آية والمرة القادمة تأكدي أني سأقطع صلتك بسيد تماما هل تفهمين؟ "

غلى الدم في عروقها في عصبية وأوشكت على الدخول في نوبة هياج لكنها للحظة تذكرت أروى ..

Des. Maryam Tamim

وتذكرت أهمية هذا اليوم بالنسبة لها .. وتذكرت كلمة مازحة قالها سيد من قبل ولم تمر عليها مرور الكرام حين قال " آية متعهدة إفساد الحفلات " . فأخذت نفسا عميقا وآثرت إنهاء الأمر عند هذا الحد وتمتمت بغيظ " سأعود لأروى "

شاهدها أحمد وهي تتحرك نحو غرفة أروى بتشنج وعصبية وجز على أسنانه وهو يحاول التحكم في أعصابه حتى يمر اليوم على خير .

***

بعد دقائق تحرك كرسيها وظهرت تشع بهاء وألقا أمام عيني عمرو .. الذي حدق فيها لثوان وهي تقترب مع بانة وآية بإطلالتها الملكية .. ثم أشاح بوجهه يستجمع أعصابه..

استشعر أصحابه بارتباكه فآثروا سرقة المشهد المركز على العروسين لإعطائه مهلة لالتقاط

Des. Maryam Tamim

أنفاسه.. فربت وائل على كتفه متعاطفا وهو يبتسم له في تشجيع .. بينما تحرك أحمد نحو أروى مدفوعا بعاطفته تجاهها وقاصدا إعطاء فرصه لصاحبه .. ليعترض طريقها ويميل بجذعه إليها قائلا" إلى أين تذهب الحلوة دون أخذ الإذن مني؟! " .

طالعته بعينين لامعتين بالدموع ورفعت إليه ذراعيها كطفلة فانحنى أمامها يحضنها بدفء وكلاهما يرتجف من التأثر . .

همس في أذنها "تبدين مذهلة يا أرورا فترفقي بهذا الغبي الذي سيتوقف قلبه بسببك " ..

طالعت عمرو عبر كتف أخيها والذي أشاح بوجهه مجددا حين التقت أعينهما يحك أرنبه أنفه بينما وائل يبتسم ويربت عليه .. ثم نظرت لأحمد بوجه ترتعش ملامحه فأكمل أخيها وهو يغمز لها

Des. Maryam Tamim

"سيخبرك أمير موناكو أخر السهرة بقصة قديمة
تتماشى مع مزاجك الرومانسي لن تتوقعيها "

أما سيد فاستخدم سلاحه الذي يجيد به استفزازه
ليخرجه من ضغط مشاعره فأطلق صفير أعجاب
وانبهار بأروى .. متمتما بعبارات انبهار وغزل ..
وبالرغم من إدراك عمرو لما قصده الثلاثة وامتنانه
لهم إلا أنه لم يستطع التحكم في غيرته فحدج سيد
بنظرة خطرة قائلا " من دعاك أصلا لهذه الحفلة ..
وصلت تهنئتك هيا غادرنا وأنت سليم "
اطلق سيد ضحكة عالية متوحشة وانقض عليه
يحضنه ويبارك له .. تشجع عمرو بعدها وتحرك
نحوها بحمائية بعد أن نجحت خطة سيد .

طالعها بارتباك ثم أشار لها بأن تتحرك أمامه نحو
الكرسيين المخصصين لهما .. وشعر بالغيرة مجددا
وأحمد يحملها بين ذراعيه بقوامها الممشوق المائل

Des. Maryam Tamim

للنحافة لتجلس على الكرسي المخصص للعروس
..
كانت مبهرة بذلك الفستان الذي ترتديه من الدانتيل الأبيض .. بحزام أرجواني عريض من الساتان يلتف حول خصرها النحيف .. وحجاب بنفس لون الحزام .. بينما زينت ورود بارزة ذيل الفستان وأساوره تمتزج ألوان وريقاتها بين الأرجواني والفيروزي ..
جلس بالكرسي المجاور لها يفتح أزرار حلته وأذناه حمراوان وقد بدأ يتعرق .. يخطف النظرات لها ثم يكسرها .. كمن يحدق في هالة من النور وسط ظلمة ..أما أروى فغمغمت وهي تشيح بوجهها عنه قليلا " حُلة مهلكة للأعصاب دون أي مراعاة للمشاعر ولا النفسيات !!"

استفزته بغمغمتها فقال يقاوم حرجه " عدنا للغمغمة مجددا !!"

[2244]

ردت عليه ببرود متعمد " كل أنسان حر في غمغماته يا باشمهندس عمرو "

لاحت الابتسامة على وجهه وقد بدأت عيناه تعتادان على بهاءها فقال " أعدك لن يستمر ذلك لفترة طويلة لأنه من ضمن أساليبي للانتقام منك آنسة أروى .. هو التغلغل في كل ما يخصك حتى نفسك"

لمعت عيناها وردت بمشاكسة " تتوعدني اذن يا باشمهندس "

رد وهو يشيح بوجهه ويداري ابتسامته " هل كنت تعتقدين أن اللعب مع عمرو القاضي يمر مرور الكرام (ثم غمغم لنفسه) لن تجدي من يخلصك مني "

هتفت بانتصار "من يغمغم لنفسه الآن !! "

تطلع إلي زينة وجهها الرقيقة وابتسم في حرج .

Des. Maryam Tamim

***

بحث أحمد عن بانة التي لم يستطع التواصل معها طيلة اليوم .. منذ الصباح وهي بالمطبخ تعد حلويات العرس وقد شعر بالغيظ أن أصرت على إعداد حلويات الحفل بدلا من شرائها .. كباقي أصناف مأدبة الحفل المنتقاة من أفضل المطاعم .. ولإشفاقه عليها انفعل عليها.. وتبادلا الصوت العالي .. فتدخل الحاج لطرده من المطبخ ومنعه من الاقتراب من الممر المؤدي للغرف والذي يضم المطبخ والحمام الكبير... حتى لا يوتر أهل البيت وهم مشدودي الأعصاب أصلا ..

وبمجرد أن انتهت من إعداد الحلويات .. انضمت لأروى هي وآية تساعدانها في الاستعداد .. وقد لمحها منذ دقائق تخرج وراء أروى ثم اختفت بمجرد أن مال على أروى يهنئها .

Des. Maryam Tamim

دخل غرفته القديمة في شقة العائلة فوجد ملابس تخصها على السرير .. وسمع صوت الماء بالحمام .. فلمعت عيناه ودخل يغلق الباب وراؤه .. ثم مد يده ليقطع زر من أزرار قميصه الثمين .

خرجت بانة من الحمام ترتدي قميصا داخليا شفافا يصل بالكاد عند منتصف فخذيها ... فانفجرت قنبلة في قلبه حين رآها .. قنبلة أيقظت حمما سائلة في شراييينه بفركة إصبعين .

شهقت بانة من المفاجأة والتصقت بالدولاب تسيطر على ضربات قلبها وارتجافها.. فتردد وأحتار كيف يتعامل ؟ ..
فالتصرف الأمثل والأمتع عنده كأحمد سماحة الهجوم والضغط .. لكنه معها يحجمه ذلك العشق الذي يملأ قلبه لها .. فتتوارى غرائزه

Des. Maryam Tamim



واحتياجاته الجسدية بحزم خلف جدار قلبه المشفق عليها ..

فقرر التصرف بطبيعية لا هجوم ولا انسحاب ..وأن يعطيها فرصة لأن تعتاد على وجوده.. حتى لو كان المقابل احتراق أعصابه وتفتته لشظايا أمام قوامها المهلك وجمال وجهها المضيء .

قال بهدوء وكأنه قد رآها بهذه الهيئة آلاف المرات " زر القميص قد خلع .. هل من الممكن أن تخيطيه "

ردت بانة بصوت هارب منها " سأكمل ارتداء ملابسي وأخيطه لك "

رفع عينيه يتأملها ولم يقدر إلا أن يطالعها بنظرة مشتعلة ترسم تفاصيلها بجرأة ثم قال وهو يجلس على السرير موليا ظهره لها" سأنتظرك"

وقبض قبضتيه بجانبه بقوة حتى كادت أن تتكسر أصابعه..



سحبت بانة ملابسها من على السرير بسرعة ترتديها بارتجاف .. والشعوران المتناطحان بداخلها ينشطان مجددا ..

شعور أنثوي ، مسكر ، خَجِل .. يتغلف بالغنج والنعومة بسبب نظرة الاعجاب التي رأتها في عينيه .. يصاحبه خفقات قلب ناعمة متوترة في خدر..

وشعور آخر بقلة الحياء والرخص وارتكاب ذنب تجاه أهلها .. يصاحبه ضربات مذعورة متوترة من قلبها .

اختلس النظر إليها عدة مرات يطالع تفاصيلها المهلكة لأعصابه وراقب ارتجافها بشفقة .. وحين لم تستطع التعامل مع سحاب الفستان خاصة مع ارتعاش يديها ..وجدته يقف خلفها ويديه تتعامل مع السحاب بلطف يتناقض مع ما يدور بداخله من انفجارات حارقة .

Des. Maryam Tamim

خنجر حاد اخترق قلبه يدميه حين دفنت بانة وجهها في كفيها ترتجف دون إرادة منها في حرج من فكرة أنه يرى ظهرها العاري إلا من القميص الداخلي الشفاف ..فانتفض من الغضب متمتما بجفاء وهو يغادر الغرفة " أكملي ما تفعلينه دون ارتجاف يا بانة .. وكأني سآكلك.. لقد قررت أن أرتدي قميصا آخر .. "

استدارت بسرعة تهتف "أحمد انتظر "

لكنه خرج صافعا الباب بعنف.. فانهارت على السرير تبكي لا تعلم ماذا تفعل مع نفسها ومعه.

إن الشعور بالازدواجية ..

ازدواجية المشاعر .. من أصعب واقسى المشاعر.. أن تقف حائر بين شعورين متناقضين كلاهما يشدك بقوة ناحيته ..فتنشطر ذاتيا بين الفكرة وعكسها .. الشعور وعكسه .. انه لأمر مرهق عصبيا وذهنيا ..

وهي – كبانة - عالقة فيه منذ أن أحبته ..

Des. Maryam Tamim

ليتحول أحمد لشعلة نار تنير حياتها وتدفئها وتحميها ممن حولها من ناحية .. وللهيب يكويها بلا رحمة من ناحية أخرى .
لكن مشاعرها تجاهه تدفعها إليه دفعا ..ولها الغلبة دائما حتى لو استسلمت لجلد الذات فيما بعد ..

***

اقتربت رحمة منه بقلق وهو يجلس بجوار وائل على الأريكة وضحكاته العالية تملأ المكان .. وحين لمحها صدرت إشارة عفوية من يده وهو غارق في الحديث مع وائل يشجعها أن تقترب بدون حرج ..
ثم طالعها باهتمام يسأل " ما بك ؟"
أعطته الهاتف في قلق من رد فعله وقالت " إنها زهرة .. لا أعرف أين هي .. يبدو أنها تائهة في أحد شوارع الحى "
لاحت ملامح الخطر على وجهه وخطف منها الهاتف وهو يستقيم بينما الآخرين بدو متحفزين فقال بترقب " ماذا حدث يا زهرة أين أنت ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت زهرة "احاول الوصول لكن يبدو أنني دخلت في شارع خطأ "
سأل بسرعة " الوصول لأين ؟"
ردت ببرود " إليكم .. ألستم في حفل الآن .. رحمة أخبرتني صباحا " .
جز على أسنانه وسألها وهو يتحرك ويفرك رأسه بعصبية " ما اسم الشارع ؟"
سكتت قليلا ثم ردت" لا يوجد أسماء للشوارع "
رد بإصرار" إن كنت بالحي فلكل شارع اسم مكتوب على أوله وآخره يا زهرة "
قالت بمراوغة " أنا في نصف الشارع ولا أرى أية أسماء "
لحقه وائل ليسأله هل يذهب معه فأشار له سيد بلا وقال لزهرة وهو ينزل على السلم بقلة صبر "

تحركي لأوله أو لآخره يا زهرة وأخبريني باسمه أم انك لا تعرفين القراءة ؟"

Des. Maryam Tamim

صاحت فيه بعصبية " عدت للتركيز على الأشياء التافهة مجددا .. أنا متعبة من السير لوقت طويل ولن أمشي خطوة واحدة إضافية .. فتعال "

وقف سيد عند البوابة يحاول تحديد وجهته وهو يتميز من الغيظ فهدر فيها " ولماذا آتي إليك ؟ .. هل أخبرتني قبل أن تخرجي .. وقبل أن تأتي دون دعوة "
ردت صارخة " ألست أكبر مني بسبعة وعشرين عاما .. عليك التصرف "

أراد سيد أن يحفر بأظافره في الحائط من غيظه فربت أمير على كتفه بابتسامته الهادئة وقد لحق به .. ليقول سيد " كيف سأجدك يا غبية إن كنت لا أعرف هل أنت بالحي أصلا أم لا "

Des. Maryam Tamim

ردت بهدوء " أنا خرجت من بيتنا ومشيت مشيت مشيت ثم استدرت لليمين .. لا لا اليسار .. اممم لا أذكر يمينا أم يسارا .. ثم وجدت هذا المكتب الكبير ذو الأبواب الضخمة .. بالمناسبة لا يعجبني هذا البناء .. تشعر أنك ستدخل مقبرة و.."

أبعد سيد الهاتف عن أذنه يفرك جبينه بإرهاق .. ولاحظ أن أمير يكتم ضحكته فتمتم له بصوت مرهق " غالبا سأحتاج لحقنة ضغط .. الحبة لن تتحمل هذا معي " .

أعاد الهاتف على أذنه مرة أخرى وقاطعها يقول" يا زهرة الفجل اسألي أي شخص في الشارع عن اسمه خلصيني "

سكتت قليلا ثم قالت " بصراحة أنا عالقة في الشارع على أوله مجموعة من الشباب غير مريحين ويرمقونني بنظرات مريبة .. ونهاية الشارع رأيت كلبا "

Des. Maryam Tamim

تحرك سيد بقلق وقد ارتفعت نسبة الادرنالين في دمه وتبعه أمير ..وقال بجدية " صفي لي يا زهرة الشارع بالضبط وماهي أسماء المحلات فيه (ثم شتم في سره واستدرك) اقصد صفي لي أنواع المحلات وأي علامة مميزة بالشارع"

***

تحركت آية التي أنزوت منذ بداية الحفل حتى لا تفسده من أجل أروى ..لتجلس على إحدى كراسي منضدة السفرة الموجودة بالصالة الكبيرة .. في أبعد نقطة عن الجميع تراقب المشهد من بعيد .. تتحكم في ذلك الشعور الملح بداخلها في حضوره لافتعال أي شيء يلفت انتباهه حتى لو كان هذا الشيء مزعجاً !.. لكنها اقتربت من رحمة تسألها بقلق "أين ذهب ؟!!"

ردت رحمة " ذهب ليحضر زهرة الصغيرة .. المجنونة دعت نفسها للحفل وتاهت في الطريق " فسألتها آية باستنكار " من زهرة ؟!!"

Des. Maryam Tamim

فردت رحمة " أختنا من خليل "
زفرة آية وتمتمت لنفسها " المزيد من الإناث حوله
يخرجون من بين الشقوق ويزعجونني !"
***
بعد دقائق كان سيد يدخل الشارع هو وأمير ..
فلمحها تجلس على صخرة كبيرة بفستان قصير
فوق ركبتيها تحمل حقيبة نسائية صغيرة الحجم
لامعة تناسب السهرات وتضع في ضفيرتها عددا من
دبابيس الشعر بشكل غير متناسق وعقدا كبيرا
حول رقبتها يصل حتى صرتها تقريبا .

بمجرد أن أطمأن على سلامتها وقف أمامها متخصرا
يطالعها بنظرة خطرة .. لكنها تجاهلته واستقامت
تعلق الحقيبة اللامعة على مرفقها وتقول ببرود "
تأخرت كثيرا .. لا أعرف لمَ كل هذا الوقت لتعرف
الشارع "

Des. Maryam Tamim

كتم أمير ضحكته فنظر إليه سيد وهو يتحكم في ملامحه ليبدو جادا ثم عاد إليها قائلا " أخر مرة قلت ماذا سأصنع منك "

ردت ببرود " مروحة ومضرب للذباب "

فرد عليها متصنعا الحزم " ضيفي عليهما مطرقة حتى أضرب رأسك بالحائط "

ردت بامتعاض" بصراحة أنت تضيع الوقت كثيرا .. وأنا جائعة "

جحظت عيناه فتدخل أمير يحني جذعه امامها ويقول "ما اسمك ؟ يا حلوة "

أحمرت وجنتيها ولمست ضفيرتها المزدحمة بدبابيس الشعر بحركة أنثوية عفوية وردت "زهرة "

فقال ملاطفا " أهلا زهرة .. أنا أمير هل لنا أن نتحرك؟ "

زفر سيد في حنق ثم لاحظ مجموعة من المراهقين يقفون على أول الشارع فحدجهم بنظرة متحفزة

Des. Maryam Tamim

فانكمش الفتيان بقلق ليكمل طريقه وأوقف توكتوك .
قالت زهرة بتوبيخ هامس " كيف سأجلس أنا وأنت وأمير في هذا المكان الضيق ؟!!"
فرد سيد ببرود "المكان سيساعنا لا تقلقي "

قالت بهمس مسموع " سألتصق بأمير هكذا "
كتم الرجلان ضحكاتهم فحملها سيد وأجلسها على حجره في التوكتوك وهو يتأفف .. فتأففت هي الأخرى بامتعاض وهي تشعر برأسها محشورة في سقف التوكتوك...
***
ارتدت حجابها على عجل ولم تنتظر حتى أن تضع زينة وجهها .. وخرجت تبحث عنه بقلق .. فلم تجده .. وحين سألت الشباب بحرج أخبرها وائل أنه صعد منذ قليل للسطح .. وطلب منهم بفظاظة أن يتركوه بمفرده .

Des. Maryam Tamim

تحركت للصعود بخفه ووجل لتفهم ماذا يفعل فلمحت دخان سيجارته يتراقص أمامه هو يطالع الأسطح الهادئة في الظلام .

بادرها بالقول " ماذا تريدين ؟"

تكلمت تحاول المزاح" كيف عرفت بوجودي فأنا لم أصدر صوتا "

رد بسخرية مُرة" إن كنتِ نسيت حاسة الشم عندي فأنا لن أنسى رائحتك .. وقد باتت إدماني "

تكلمت بصوت معذب " أحمد لا تغضب مني أرجوك .. أحمد أنا آسفة .. آسفة جدا "

استدار إليها منفجرا وهو يتحكم في صوته الا يعلو حتى لا تصبح فضيحة " قلنا لا تعتذري يا بانة .. لا تعتذري .. لمَ تصرين على التصرف كرهينة عندي "!!

ثم ضرب برميلا بلاستيكيا ضخما بساقه في عنف فأحدث دويا كسر سكون الليل حولهما .. فأجفلت ثم تمتمت بالحمد حين تأكدت أنها ساقه السليمة

Des. Maryam Tamim

فردت بصوت معذب " أنا آسفة لما أسببه لك من عذاب .. وأتألم من أجلك "
رد بكبرياء مجروح " لست في حاجة لذلك فأنا لا أعاني .. فهذه ليست المرة الأولى التي أرى فيها امرأة عارية فلا تشعري بأي ذنب تجاهي.. وإن كنتُ في حاجة ملحة لامرأة أنا أعرف طريقهن جيدا"
ندم على الجملة الأخيرة واستغفر في سره وهو يستدير مجددا ليوليها ظهره .. بينما بلعت بانة غصة مسننة في حلقها وردت بكرامة مطعونة وهي تقترب منه "أعرف أنك تحاول ادعاء أن كل شيء على ما يرام .. لكن من فضلك ابتعد عن ذكر قصصك القديمة أو التلويح بقصص ممكنة قادمة .. فأنا لن أقبل بهذه ولا أحب سماع تلك "

استدار إليها يقول بفحيح مرعب " وأنت توقفي عن الاعتذارات المتكررة وكأنني أعذبك .. وتوقفي عن إرهاق نفسك مع أمي بمبالغة .. وكأنك تدفعين

Des. Maryam Tamim



ضربية .. أو تعملين بقوت يومك لتثبتي لأمي جدارتك وتثبتي لي أنني أحضرت إليهم كنة لا تعوض "

تطلعت إليه مصدومة وهتف " أنا يا أحمد !! أتعني أني اتصنع محبتي لهم !!"

نغزه قلبه أن يرى هذا الألم في عينيها لكنه كان يتفتت من الغضب .. فآثر إنهاء الموضوع .. وتحرك يتخطاها قائلاً " لنتحدث فيما بعد فلابد أن أنزل إلى أروى "

لحقت به على السلم بسرعة .. ومدت ذراعيها واحتضنته من الخلف بقوة تلصق خدها بظهره فقفز قلبه يدق بعنف وهو يسمعها تتمتم" أنا أحبك .. أحبك جدا يا أحمد .. وهذا الحب يعذبني .. أتمزق بين مشاعري لك وأمور أخرى أعرف أنها ليست منطقية لكنها تعذبني"





انتفضت رجولته لكلامها ولجسدها الملتصق به ووجهها الذي تدفنه في ظهره .. وتأججت ناره من جديد ..فمد يده يفك ذراعيها ويستدير إليها .. لكنه كبح جماح نفسه على آخر لحظة واكتفى بضم وجهها بين كفيه .. مقربا جبينها من جبينه حتى كاد أن يلتصق به ..

حدق في عينيها بنظرات مشتعلة بالعشق والرغبة والحرمان وتمتم في همس حار " وأنا أعشقك يا قلب أحمد .. بل إن كلمات الحب والعشق لم تعد معبرة عما أشعر به تجاهك .. أنا أتألم يا بانة صدقيني .. وأبذل مجهودا جبارا حتى لا أثقل عليك بما اشتهيه منك وفيك.. لكن يقتلني أن تشعري بهذا الرعب كلما اقتربت منك .. أهون علي أن تقاوميني .. توبخيني .. ترفضيني .. على أن ترتعبي مني وتستسلمي صاغرة .. جرح كبريائي كرجل أصبح أهون عليّ من جرح قلبي في حبك يا قلب أحمد"



أمسكت بساعديه تطالع النجوم التي تضيء في عينيه وسحبت كل أنفاسه العطرة إلى رئتيها ثم تكلمت بهمس " أنا أشعر أني في بيتي ومع أمي .. ولا أبذل مجهودا مقصودا ليداري شعوري بالذنب .. أفعل ذلك بحب لك ولهم .. وأحببت أن أصنع الحلوى بيدي في يوم كهذا .. لأني أحبكم جميعا وأرغب أن أفعل شيئا مميزا يعبر عن هذا الحب ".

رد في همس مثلها" أنا لم أقصد أنك تفتعلين ذلك أنا فقط أشفقت عليك من المجهود وآلمني قلبي لذلك .. لكن ما دمت تحبين ما تفعلين فعلا وتستمتعين به فلا بأس.. لكن سيظل قلبي يشفق عليك من التعب ".
قالت بحياء" وأنا لا أرتعب من اقترابك .. هذا ليس صحيحا .. أنا أشعر بالتوتر .. بالتوتر الشديد وضغط من مشاعر متناقضة "

Des. Maryam Tamim

سألها يتوسل الصدق " هل من بينها النفور مني يا بانة "

همست بتأكيد" أبدا يا قلب بانة .. صدقا"

تحركت مقلتاه تتجولان في وجهها ثم همس بتردد" هل استطيع أن اعانقك قليلا؟ .. قليلا جدا .. ما دمت لا تنفرين مني "

ثم أبعد يديه عن وجهها وطالعها ينتظر الرد بترقب .. فارتمت عليه بإلحاح من قلبها تحيط ذراعيها حول عنقه .. ليضمها بعنف راغبا في سحقها بين ضلوعه حتى يصيرا جسدا واحدا فلا يشتاق أحدهما للآخر بعدها .

تأوه مشتاقا وهو يسحب جرعات من رائحتها إلى قلبه .. فجرت الدموع من عينيها وتشبثت به أكثر وهي تهمس" ليتني آخذ عنك كل آلامك .. ما أنا سبب فيه وما لست كذلك "

همس إليها" روحي فداك يا بنت الخازن .. يا قلب ابن سماحة وعشقه الأبدي "

Des. Maryam Tamim

اخترق صوت وائل المشهد آتيا من أسفل يناديه بصوته عال" أحمد سيلبسان الخواتم وأروى تبحث عنك في قلق "

جز على أسنانه حتى كاد أن يفتتها ثم أجلى صوته ليرد "سآتي حالا يا وائل"

كانت بانة قد سحبت ذراعيها في خجل بمجرد أن سمعت صوت وائل .. فتركها على مضض وهو يشتم في سره ويتساءل .. لماذا لا يهنأ بلحظة كاملة معها دون مقاطعة !!

***

بعد قليل كان سيد وأمير وزهرة يصعدون على سلم بيت سماحة فقال سيد موبخا" ألم أحذرك من ارتداء الملابس القصيرة !!"

نظرت إلى أمير بحرج فتخطاهم ليسبقهم على السلم لتقول لسيد بهمس مغتاظ "أحرجتني أمامه"

Des. Maryam Tamim

نظر لخيال أمير الذي ابتعد باندهاش ثم قال بغيظ
"أحرجتك !!.. بل سأكسر ساقيك حالا"

وقفت تواجهه على درجة أعلى من السلم وضربت كفيها الصغيرين ببعض بتعجب وقالت" من الواضح أنك لا تعرف شيئا عن النساء "

جحظت عيناه وهتف باستنكار وكأنها شتمته
"أنا؟؟؟!!!"
أكملت زهرة وهي ترفع الفستان قليلا " البنات يلبسن بنطالات بنفس لون البشرة فتبدو كساقيها أنظر "
رفع سيد حاجبا ووضع النظارة المعلقة على صدره على عينيه .. ثم قال مستنكرا" وهل المعنى في عدم إظهار ساقيك هو الخوف من تأثير الغلاف الجوي عليهما فتغطونها ببنطال بنفس لون البشرة !! "

Des. Maryam Tamim

رمشت قليلا ثم قالت وهي تسبقه على السلم " لا أفهم شيئا مما تقول .. عموما من الجيد أنك خدعت وحسبتها ساقاي "

فرك سيد جبينه بأصابعه بإنهاك وغمغم لنفسه " كيف سأطلب من العريس أن يترك حفله ليعطيني حقنة الضغط !"

***

تأملها أحمد بإعجاب تخرج إلى الحفل بعد أن انتهت من وضع اللمسات الاخيرة لزينتها ترتدي فستانا أنيقا بين الأسود والرمادي أبرز جمال قوامها بنعومة مع زينة وجه بسيطة وحجاب أبسط. التماع عيناه أشعرها بالثقة .. وكأن رأيه هو .. فوق رأي الجميع .. فتعجبت من ذلك الشعور الغير منطقي لكنها أحبته .

أحاط ذراعه بخصرها والتقت أعينهما في استعادة للحظة دفء جمعتهما منذ قليل .. ثم سألها بعد

Des. Maryam Tamim

قليل هامسا " هل القميص الداخلي الذي ترتدينه من اختيار الخالة سوسو أيضا ؟"

أطبقت على شفتيها عاجزة عن الرد وقد احمرت كحبة طماطم .. فقال ببساطة مستمرا في اقتحام ناعم وماكر لصدفة الخجل الصلبة التي تحيط بها
"أريد أن اتأكد أن تخميني صحيحا ".
سألت بهمس" هل كان مبتذلا ؟"

على الرغم من أن كلمة مبتذل حدثته عن الكثير مما يدور في نفسيتها .. إلا أنه لم يملك إلا أن يقهقه عاليا .. مما زاد من احمرارها فضربته بغيظ على صدره هامسة " توقف عن الضحك الناس ينظرون إلينا"
رد عليها وهو يشدد من ذراعه ليقربها منه أكثر" دعيهم ينظرون .. ألا يحق للرجل التحدث مع زوجته ! (ثم مال على أذنها يقول بهمس حار)

Des. Maryam Tamim

الحقيقة لا أعرف قمصانا داخلية ليست مبتذلة ..
لكن إن كانت للكلمة معنى ليس لطيفا عندك ..
فدعيني أصف لك القميص بكلمات أخرى تليق به"
همس في أذنها لثوان بكلمات صريحة في وصفه
عليها فأسرعت تغلق فمه بيدها قائلة " كفى ..
أحب كلمة مبتذل "
اطلق ضحكة مكتومة من تحت كفها .. فرفعت
كفها عنه في غيظ ..
ليسألها بإصرار " لم تخبريني هل هو من اختيار
الخالة سوسو ؟"
ردت بحنق وهي تشيح بوجهها عنه " أجل هي من
اشترت كل ملابسي لأني كنت مشغولة هل ارتحت
الآن "
قال أحمد بتسلي " اممم .. من الواضح أن هذه
السيدة جزء من المخطط الدولي لتدميري .. على
أية حال لنا حديث آخر بشأن اختيارات الخالة
سوسو .. وسيتم معاينة الأدلة وفحصها جيدا"

Des. Maryam Tamim

زفرت في عصبية فسألها "لماذا أنت غاضبة الآن؟"
ردت بانفعال هامسة " لأنك قليل الحياء يا أحمد "

انفجر ضاحكا غير قادر على تحمل رؤيتها وقد تحول وجهها لحبة طماطم .. فأبعدت ذراعه الملفوفة حول خصرها ببعض العصبية بينما العيون تراقبهما منذ أن أطلق ضحكته فتمتمت " ستفضحنا أقسم بالله "

حانت لحظة ارتداء خواتم الخطبة وتقديم العريس هديته للعروس ..فحاول عمرو قدر الامكان التحكم في ارتباكه وهو يمسك بخاتم الخطبة يضعه في بنصرها الخمري الرفيع الذي يعجب به كثيرا ..
ثم فتح علبة أخرى وأخرج سوارا ذهبيا أنيقا وخاتما عبارة عن وردة يتوسطها فص من العقيق الأحمر .. حاول إلباسها السوار ببعض الصعوبة وظهر ارتباكه

Des. Maryam Tamim

في إغلاق القفل .. فانقض أحمد عليه يبعد يده .. ويغلق السوار وهو يقول متهكما "حتى السوار لا تعرف كيف تغلقه ! "
اندفعت عفاف ترد " ما المشكلة أنه لا يعرف كيف يغلق السوار .. إنه لم يغلق سوارا من قبل"

تجاهلها أحمد دون رد .. فقد وعد نفسه ألا تستفزه هذه المرأة .. بينما تدخلت الخالة أنجيل تقول" يمزح معه يا عفاف .. دعي الشباب يمازحون بعضهم "
شكر عمرو تدخل أحمد فلا يحب أن يسلط الضوء عليه بهذا الشكل الذي يشعره بالحرج الشديد ..

طالع أحمد السوار قليلا ليجده منقوش عليه بخط كوفي عبارة قرأها ساخرا ثم سأله " ستعرف كيف تلبسها الخاتم الآخر أم أساعدك "

Des. Maryam Tamim

ابتسم عمرو .. فخطف أحمد الخاتم الأخر يلبسه لأروى التي تكتم الضحك .. بينما زفرت إلهام بعصبية من تدخل أحمد في المشهد .. لكن أحمد استمر في استفزازه فطبع قبلة رقيقة على يد أروى وقال بتأثر" مبارك حبيبتي ".
ثم نظر لعمرو وهمس بإغاظة " فعلت ما تحترق لفعله ولا تقدر" ..

ابتسم عمرو واحمرت أذناه وطالعها بنظرة عشق خاطفة .. قبل أن يكسرها .. بينما تدخلت بانة لتسحب أحمد من ذراعه بعيدا عن مشهد العروسين وهي تقول من بين أسنانها " ماذا افعل معك ؟!!"
رد هامسا وهو يتحرك معها " أنت السبب يا بانة تخليت عني .. لأني قليل الحياء ".

Des. Maryam Tamim

تحكمت في ضحكة ملحة وردت بحزم " ابق هنا يا أحمد بعيدا عنهم من فضلك "
فقال ببراءة وهو يلف ذراعه حول خصرها من جديد " أمسكي بي إذن ولا تفلتيني "
فأشاحت بوجهها بعيدا تداري ضحكتها .
قال عمرو لأروى بصوت خفيض " أتمنى أن تكون الهدية قد أعجبتك فأنت أصريت أن أختارها بنفسي .. وكنت متحيرا جدا "
طالعته بتأثر بعد أن ألقت نظرة أخرى على يدها ولاحظت أن السوار محفورا عليه عبارة مرسومة بحروف الخط العربي (من أجل عينيك عشقت الهوى) .. فقالت بإعجاب " رائعة .. أنت تملك ذوقا أنيقا يا عمرو يظهر في اختيارك للحلات والآن هذه الهدية الرائعة "
وكأن احمد يسترق السمع إليهما من بعيد فقال متهكما " الحقيقة لا أجد أي شيء مميز في الهدية".

Des. Maryam Tamim

لكزته بانة بغيظ .. فرد عليها بصوت مسموع "
لابد أن نكون صرحاء معه حتى يفهم قدره جيدا يا
بانة .. انظري لهديتي لك كيف تعبت فيها
وصممتها وطلبت من وائل صناعتها (واشار
لهديته التي ترتديها على فستانها وفي يدها) وانظري
لتلك الهدية العادية الخالية من الابتكار"

رنت ضحكة عمرو ذات الصوت الصبياني عاليا على
غير عادته وهو ينظر لأحمد بنظرات تشع بالثقة
والسعادة لم يجهلها اصدقاؤه .. بينما امتقع وجه
عفاف غضبا وهمت بالدفاع عن ابنها إلا أن الخالة
انجيل اسرعت بالقول" ساعديني يا عفاف أن أنتقل
لغرفة الصالون فالشباب صوتهم عال .. تعالي
نتحدث قليلا فلم أرك منذ مدة .. لقد لبسا خواتم
الخطبة حمدا لله "
تحركت عفاف على مضض تغادر الصالة الكبيرة
تساعد الخالة انجيل على الحركة .. بينما رد عمرو

Des. Maryam Tamim

على أحمد بابتسامة سعيدة " تركنا لك الابداعات يا كونت "

رد عليه أحمد بتهكم" بالطبع يا عم أمين فمخيلتك ضحلة يا مسكين "

راقبتهم أروى بسعادة .. يعجبها أن يكون حبيبها صديقا لأخيها .. وتأملت عمرو بقامته العضلية الممشوقة في تلك الحلة الأنيقة إلى حد معذب .. بينما تدخلت إلهام بعصبية وقالت " سيد .. إخرِس أحمد حتى آخر الحفل "

لمعت عينا سيد وهب ينفذ بكل سرور بينما صاح أحمد باستنكار" تضحين بابنك .. فلذة كبدك يا إلهام .. من أجل أبا قردان هذا "

هجم عليه سيد من الخلف يكمم فمه بيده بينما أحمد يقاوم بشراسة للفكاك من يد هذا الهولاكو في عراك صبياني .

فتدخلت بانة بإشفاق وكأنه صغيرها لتقول " أتركه يا سيد وسيكف عن الشقاوة ".

Des. Maryam Tamim

نظر سيد لأحمد الذي تبادل معه نظرة متسلية سعيدة بدفاعها عنه وقال لأحمد غامزا " حسنا نعطيه فرصة عله يتوب على المشاكسة ويرحمنا"

ثم عاد لمكانه وشاكس عمرو متهكما " أنظروا لضحكته التي كسرت وجهه الخشبي .. والتي لا أذكر متى رأيتها آخر مرة "

رد عليه أحمد " حين كنا بالصف السادس الابتدائي مثلا "

رد عليهما عمرو بابتسامة ثم اختلس نظرة لأروى التي تخضب وجهها بالأحمر .

قال سيد ساخرا " اعتقد أنه منذ موقف دبابيس الشعر تخشب وجهه .. أنا سعيد أن تأثيري يصل إلى هذا الحد على بعض الناس .. المسكين يحاول أن يتخلص من عقدته بسببي "

Des. Maryam Tamim

ثم انفجر في الضحك حتى مال بجذعه على وائل الجالس بجانبه وشاركه باقي الشباب بالضحك حتى عمرو .

بعدها نظر عمرو لوائل نظرة معينة فأخرج الأخير من جيب سترته الداخلي علبة مخملية .. أخرى مستطيلة الشكل وأعطاها إياه فاحمرت أذناه وأعطاها لأروى يقول "افتحيها وحدك بعد أن ينتهي الحفل "
تطلعت أروى باهتمام فهتف سيد باعتراض" ما هذا ؟.. لماذا لا نراها !!"
انقض أحمد بفضول وخطف العلبة المخملية من يد أروى فاعترضت كلا من بانة وأروى بينما زفرت إلهام بتشنج تحوقل .
وقف عمرو يجز على اسنانه في غيظ حين فتح أحمد العلبة وأخرج منها ما جعل سيد يسقط أرضا من الضحك حتى دمعت عيناه .

Des. Maryam Tamim

نظر أحمد لما تحتويه العلبة وقرأ العبارة المحفورة عليها واعادها لأروى التي تحجرت مقلتاها حين شاهدت دبوس شعر طويل من النوع الذي تضعه اليابانيات والكوريات في شعورهن في الماضي .. وكان مصنوعا من الذهب الخالص بطول كف اليد .. ينتهي عند طرفه العلوي بثلاثة من وريقات الورد الكبيرة بأطراف من الذهب ومطعمين من الداخل بأحجار كريمة حمراء مختلفة الاحجام يتدلى منها سلسال صغير جدا وكأنه جناح فراشة أو وريقات وردة .

انهمرت دموعها بصمت .. فنظر عمرو لأحمد عاتبا أن أضطرها أن تظهر بهذا المنظر أمام الباقين.

استدرك أحمد الأمر معلقا بمزاح " غير مصدقة بالطبع هدية مجنونة كهذه "

نظرت أروى للدبوس لتجد مرسوم عليه بالكلمات على طول الدبوس الذهبي

Des. Maryam Tamim

هذا فؤادي فامتلك أمره
عذبه إن أحببت أو فاعدلي

غطت أروى فمها بكفها تطالع عمرو فتمتم بحرج"
أنا اقترحت الفكرة وبحثت على الانترنت على
اشكال للتصاميم ووائل صممها بهذا الاتقان"

نظرت لوائل ممتنة فبادلها النظرة بابتسامة
هادئة.. ثم عادت لعمرو وتمتمت " أنا عاجزة عن
الشكر "
فتنحنح عمرو في حرج ولم يجد ما يرد به.

بعد قليل سأل أحمد وائل بفضول" من رسم لك
تصميم الكلمات التي حفرتها على السوار والدبوس
؟ "
فنظر وائل لآية المنزوية على كرسي السفرة كما هي
ورد " عسلية أبيه "

[2279]

رفع أحمد حاجبا متعجبا وتمتم" آية !!"

فردت عليه آية بكبرياء" لمَ تفاجأت .. ألم أتعلم الخطوط العربية مثلكم؟.. أم أني لست من آل سماحة ؟"
رد أحمد مفسرا" ظننتك نسيتِ تلك الخطوط "

قال وائل وهو يفتح هاتفه ويريه بعض الصور " لقد طلبت منها المساعدة وذهلت من التصاميم التي قدمتها لي واخترت منها التصميم المناسب لمساحة الدبوس "
أخذ أحمد منه الهاتف يتطلع للصور بينما طالع سيد حبيبة روحه بإعجاب وفخر فتخضبت وجنتيها في خجل رغم ادعائها الكبرياء .

قالت بانة بإعجاب وهي تنظر مع أحمد للهاتف "جميل فعلا"

Des. Maryam Tamim

بينما طالع أحمد التصاميم في صمت ثم أعاد لوائل الهاتف وهو يطلب منه أن يرسلها إلى هاتفه وأشار لآية بالاقتراب .

حين دنت منه في ترقب أحاط كتيفيها بذراعه بحركة فاجأتها وقال بجدية " هل تعلمين أن تلك التصاميم إبداعا يستحق الإشادة "

اتسعت عيناها وسألت " صدقا؟!! "

أومأ برأسه بثقة ورد" تعرفين أني لا أجامل .. هذه التصاميم تتحدث عن موهبة كبيرة "

اتسعت ابتسامتها واختلست نظرة جانبية لسيد الجالس يراقبهم بفخر .. فأكمل أحمد " أنا أذكر أنك كنت موهوبة في الرسم وأنت صغيرة هل مازلت ترسمين ؟"

ردت آية بوجه مشتعل من الانفعال " قليلا"

فقال أحمد " أحب أن أرى ما تفعلين " ..

Des. Maryam Tamim

فأومأت برأسها وتحركت عائدة لنقطة الانزواء فلحقتها بانة تستفزها هامسة " قلنا شبيهة أحمد "

ردت الأخرى باستخفاف " أحييك على الاكتشاف العظيم "

بعد قليل شاكس سيد عمرو مجددا وقال " حسنا يبدو أنك مصر على فك كل عقدك الليلة .. لكنك نسيت العلكة يا لص العلكة؟"

علا الضحك بينما استقام عمرو بثقة يطالعه بنظرة متحدية متسلية .. ثم أخرج من كل جيوب حلته الأنيقة علكات كثيرة ملأ بها قبضته فأنفجر سيد في هيستريا ضحك مجددا وهو يرى عمرو يغيظه ويرمي العلكات في حجر أروى وهي بدورها تضحك .

بعد الانتهاء من الطعام وتقديم أصناف الحلويات التي صنعتها بانة على المائدة .. فوجئ الجميع بكعكة كبيرة تخرج بها بانة من المطبخ على شكل

Des. Maryam Tamim

قلب أبيض كبير بلون فستان أروى موضوعا على صينية بنفس اللون الأبيض ومتوجة بتموجات عرضية بيضاء مشابهة لقماش فستانها المصنوع من الدانتيل .. ويتوسط هذا القلب ورود أرجوانية الوريقات مطعمة باللونين الأبيض والفيروزي مشابهة للوردات البارزة في فستان أروى ..

جاهدت أروى في أن تتحكم في تلك الرغبة التي باتت أثيرة لديها مؤخرا للبكاء حين طالعت الكعكة ولم تجد كلمات شكر لبانة .. التي وقفت بحركة لا إرادية ملتصقة بأحمد في حرج .. فرفعت أروى إليها ذراعيها تحضنها ممتنة لطاقة الحب تلك ..

بينما تشاركت كلا من إلهام وسوسو الشعور بالزهو ببانة أمام الحضور .. مما أزاد الحسرة في قلب عفاف الملتزمة الصمت الكئيب رغم محاولات الخالة انجيل إلقاء النكات وإنعاش الأجواء .

ولم تكن الكعكة وحدها ما أثنى عليها الجميع بل كل الحلويات التي صنعتها بانة ..

Des. Maryam Tamim

أحاط أحمد ذراعه بخصرها وهو يطالعها بخليط من المشاعر .. فخر وامتنان وعشق وشفقة أن قامت بهذا المجهود وحدها.. فالتفتت إليه سعيدة .. فكلمات المديح منهم لم تكن تساوي نظرة سعادة وفخر واحدة من التي يطالعها بها أحمد في تلك اللحظة .. فتأكد لها أن عذاباتها ستستمر طالما أنه يأسر قلبها لهذه الدرجة .. شعور آخر أضيف مؤخرا لحزمة المشاعر التي تقتات عليها .. وهي الرغبة في أن تلتصق به كلما اقتربت منه واشتمت رائحته الذكورية العطرة .. وهذا الشعور الجديد ساهم في تأجيج عقدة (قلة الحياء) بداخلها !.

أخرجها أحمد من تأملاتها حين مال عليها يقول بملامح صبيانية "لا أحب تلك المكسرات فوق الحلوى ولا تلك الاشياء اللامعة فوق الكعكة .. ماذا سآكل الآن ! "

Des. Maryam Tamim

ابتسمت وهمست كأنها تحدث صغيرها " هناك طبقا بدون تلك الإضافات لك وحدك"
تلألأت النجوم في عينيه وهو يرسم ملامحها وتركها لتحضر طبقه.. بينما عمرو يوبخ أروى "لا أصدق يا أروى كمية الطعام التي تأكلينها إنها لا تكفي لإطعام طفل في السادسة "

نظرت إليه بنظرة بريئة مصطنعة بينما أكمل "وهذه ليست المرة الأولى التي ألحظ فيها ذلك .. في فرح أحمد كنت تلعبين بطبق الحلوى تختارين قطع الشيكولاتة فقط من الطبق وعند فتح الموائد قضيت الوقت تلعبين بالطعام أمامك كطفلة "

حاولت أروى المزاح" فقالت هل تركز على طبقي وأنا اكل !!"

Des. Maryam Tamim

رد عليها ببساطة "وأركز على كل لمحة وتفصيلة فيك "

تعلقت نظراتهما لثوان .. فأكمل بجدية" اهتمي بصحتك أرجوك"

قطع عليهم اللحظة بانة حين سلمت لأروى شيئا ضخما ملفوفا لاحظه الجميع بفضول .

بينما جحظت عينا أحمد وردد بذهول "أروى .. هل ستفعلينها !! "

ابتسمت له في توتر واستمر فضول الباقين حتى هتف سيد بانفعال "قلبي لن يحتمل هذا "

تحرج عمرو أن يسأل ولم يقدر على تفسير كينونة هذا الشيء إلا عندما فتحته لتخرج حقيبة سوداء بالية ومتآكلة من الجانب فتعرف عليه .

إنها آلة الكمان ..

Des. Maryam Tamim

أروى ستعزف !
بعد كل هذه السنين!
اليوم بالذات !!
هل سيتحمل قلبه الليلة كل هذه السعادة ؟!

تأملها كيف تمسك الكمان بشوق وتأثر كأنها تقابل رفيقة قديمة بعد طول اشتياق .. رفيقة أصيبت بالخرس .. في لحظة يأس .. وعادت لتشدو في لحظة أمل وليدة .
استعد الشباب للجلوس بينما استمر كبار السن في جلستهم في غرفة الصالون .
جلس أحمد على الأريكة يحمل طبق الحلوى بينما فضلت بانة الجلوس على ذراع الأريكة الملاصق له تشرف عليه من عليّ وهو يأكل الحلوى باستمتاع .
سألته فجأة " هل أنت وأخواتك تتقنون الخطوط العربية فعلا ؟"

Des. Maryam Tamim

وضع الطبق على المنضدة الصغيرة أمامه ورد" أجل أبي يصر أن نتعلمها ونحن صغار.. إنها سمة للسماحية ..وإن شاء الله سأعلم أولادي أيضا نقش الخطوط العربية بنفسي كعلامة مميزة للعائلة" ردت بعفوية "عليك بتعليم أمهم أولا .. أنا أحب تعلم الأشياء الجديدة "

التمعت عيناه بينما تخضبت هي بالحمرة وقد أدركت ما قالته فخجلت بشدة .. فأمسك بيدها حتى لا تهرب وطبع قبلة بطيئة ملتهبة في باطن كفها وهو يهمس بحشرجة " كلي ملك لأم الأولاد .. سأعلمها كل ما تريده "

حملت زهرة طبقا كبيرا مملوءا بالحلويات وانحشرت بين وائل وسيد فارضة نفسها بينهما على الأريكة الصغيرة فحدجها سيد بغيظ بعد أن رفع نظراته لرحمة التي تجلس تطالعهم من بعيد وقد كتمت ضحكتها وأشارت أنها يئست منها.

Des. Maryam Tamim

سألها سيد" لماذا تحشرين نفسك هنا ؟"
ردت ببرود" لآكل الحلوى واستمع للموسيقى (ثم تأففت وقالت لوائل) هل من الممكن أن تفسح قليلا ؟"
قال وائل ببرود مماثل " لا يوجد مساحة أفسح فيها"
قالت زهرة " أنا محشورة الآن بينكما .. ومن غير اللائق أن تلتصق بآنسة مثلي "

لملم وائل ضحكته ورد " هذا مكاني يا آنسة زهرة وأنت من انحشرت بيننا .. من لحق بالمكان أولا له الحق فيه " .

انفعلت زهرة ترد " أنت لم تتحرك من مكانك طوال الحفل .. حتى الجدة السمينة تحركت من الصالون إلى هنا ثم عادت مجددا أما أنت فلم تترك

Des. Maryam Tamim

مكانك للحظة .. ألا تمتلك أي لباقة في إعطاء الفرصة للأخرين للجلوس مثلك .. "

قهقه وائل بتسلي ثم رد من بين ضحكاته وهو يلعب لها حاجباه " لا .. لا أمتلك أية لباقة .. وهذا مكاني ولن اتنازل عنه"

تمتمت زهرة بغيظ " لا أصدق هذه الفظاظة من رجل كبير مثلك "

فرد عليها ببرود " وأنا لا أصدق هذا اللسان الطويل من طفلة مثلك "

صاحت تقول " أنا لست طفلة .. "

بترت عبارتها عندما سحب سيد من يدها الطبق بعصبية .. وبعد ثانية كان يحملها بخشونة من تحت إبطيها ووضعها على كرسي من كراسي السفرة وضعه إلي يمينه .. ثم أعاد إليها الطبق وقال وهو يرفع سبابته محذرا " كلمة أخرى ستنطقينها حتى

Des. Maryam Tamim

نهاية اليوم يا زهرة .. لا أعرف ماذا سأصنع منك هذه المرة "
فزفرة بقوة وهي تعدل من العقد الكبير حول رقبتها ثم حشرت الطعام في فمها بغيظ .

قهقه وائل مجددا من وجهها المكفهر من الغيظ يداري ذلك الشعور الصقيعي بالوحدة .. ويتطلع حوله في كل مكان يبحث عنها .. فهي لم تظهر اليوم ولا أمس .

صوت أول نغمة من قوس الكمان كان بمثابة النقطة الموصلة بين الواقع والعالم الموازي .. عالم الغناء الذي تطفو فيه الأرواح خارج الأجساد لمعانقة ومؤانسة الأحبة عبر المسافات .. والأزمنة.
ومع كل حركة للقوس على الآلة كان عزفا على أوتار قلب عمرو ..

Des. Maryam Tamim

لأول مرة يراها تعزف وهي بهذا القرب .. تذكر كيف كان يتسلل إلى قاعة الموسيقى حين يعلم أنها هناك ليراقبها من خلف زجاج الباب ..وكيف كان يحضر الحفلات المدرسية التي لا تستهويه .. فقط ليراها وهي تعزف .. يتذكرها بمريول المدرسة والحذاء الاسود والجورب الأبيض..
تذكر أيضا أنه حضر بعضا من حفلاتها في مراكز الشباب مع أحمد وسيد بدعوى حمايتها بينما عزف كمانها كان يتسلل إليه يدغدغ روحه دون أن يدري .

الليلة ستعزف أروى من أجله ..
من أجله هو ..

بدأت أروى بالعزف وسط صمت مهيب .. وتطلع كل من له حبيبا لحبيبه .. أحمد تطلع لبانة الجالسة على ذراع الأريكة .. سيد اختلس النظرات

Des. Maryam Tamim

لآية المنزوية في حالة غريبة من السكون تتوسد ذراعيها وقد بادلته النظرات .. فالوقت يمر ولحظة الفراق وشيكة وهو لم يشبع منها في الجوار ..ولم يغفل عما فعله أحمد في أول الحفل ..وله كل الحق .. بل إنه يخجل منه أن أعطاه الثقة وكبّره ومنحه وقتا للتصرف مع مشاعره لكنه لم يستطع الخروج من ورطته حتى الآن ..

يحاول التماسك هذه المرة ..
يحاول أن ينشغل عن وجودها ..
يتحدث .. يضحك .. يشاكس ..
بل ويفكر في المغادرة ..
لأول مرة تكون هي في الجوار ويود الفرار .. الفرار من كل شيء .

ووائل يبحث عن مريم .. يستجديها للظهور ..
يتوسل إليها أن تظهر لمؤانسة وحدته ..

[2293]



أما أروى .. فبرغم ارتباكها اللحظي لكنها سرعان ما اختفى التوتر بينها وبين كمانها فليس بين الأحباب غربة لتتطلع لعمرو وهي تعزف وكأنها تهمس له (أنا أعزف من أجلك أنت) ... وقد أخترقه هذا الهمس كشهاب من نور يضئ سماء كيانه .

لم يستطع سيد الصمود أمام الألحان فقال لأروى" سامحيني لست قادرا على الانصات دون تفاعل "

فابتسمت له تشجعه على الغناء .. فأجلى صوته وغنى ما تعزفه كمانها :

لو تعرفو .. بنحبكم .. ونعزكم كدة قد إية
لا تقدروا ..حتى التراب الي بنمشيلكم عليه
الحب له أحوال كتير .. وحبكم أقوى بكتير
لأن دة الحب الكبير..
الي ما فيهش ازاي وليه ..
لو تعرفوا ..



شعر عمرو بالامتنان لسيد لتطوعه بغناء ما تعزفه أروى .. فبالرغم من أن عزفها يدغدغ روحه لكنه لم يكن يعرف أنه لحن لأغنية معروفة فهو ليس متبحرا في هذا المجال مثلهما ..
وفي الوقت نفسه شعر ببعض الغيرة من سيد كونه يستطيع مجاراة عزف أروى بغنائه .

دندنت بانة بصوت خفيض فاستدار أحمد يرفع نظراته إليها يراقبها وشبك أصابعه بأصابعها وتبعها بضغطة خفيفة على كفها يحثها على المواصلة فبدأت الغناء بهمس خجل مع سيد .

يا زينة الدنيا لنا يا أغلى من الروح والعيون
بنقولكم من قلبنا .. لو كنا ورد انتوا الغصون

استمرت أروى بالعزف وهي توجه نظرات خجلة لعمرو الجامد الملامح يخبئ انفعالاته لكن لم تكن

Des. Maryam Tamim

أذناه فقط التي تفضحانه فعيناه كانتا تقولا كلاما صامتا لأروى.

ظهرت مريم من جديد تقف بجور باب الشرفة مبتسمة شعرها طويل حتى خصرها .. ترتدي فستان باللون الأصفر يصل بالكاد لركبتيها .. فالتمعت عينا وائل .. وضربه قلبه في صدره بقوة مبتسما لها خلسة .. فهو يعلم جيدا إن لاحظوا وجودها سيقتلونها كما قتلوها مرتين من قبل .. مرة حين فعلوا ما فعلوه فانتحرت .. والمرة الأخرى حين قتلوها عندما ظهرت له هو فقط فأدخلوه المصحة النفسية .. هذه المرة لن يسمح لهم بملاحظتها .

لو كنا ليل انتوا الصباح..
لو كنا طير أنتو الجناح ..
وانتم عوضنا عن الي راح..

[2296]

وعن الي مش ممكن يكون .

لاحظ سيد تمتمت بانة بينما أحمد يعلق نظراته عليها وعيناهما تتعانقان فأخفض صوته رويدا حتى يظهر صوت بانة الهامس بالغناء.. لتصمت فجأة في حرج ومالت تخبئ وجهها في كتف أحمد.
هتف سيد بصبيانية " لا تفسدي الجلسة .. هيا يا بانة لديك صوت جميل "

قالت أروى مندفعة " بالمناسبة هذا الحفل على شرفي أنا والكل عليه أن يلبي طلباتي هيا يا فتاة "

نظرت بانة لأحمد فأرسل لها نظرة مشجعة ..بينما طلب سيد من أروى ضبط طبقة الغناء بما يتوافق مع صوت بانة.. فأكملت بانة بخفوت خجل تعانق عيني أحمد كأنها تغني له .

انتم لنا كل الحياة .. والدنيا والناس والوجود .

[2297]



يا حب ما بنعرف مداه ..علشان مالوش أبدا حدود
ومهما هنقول أو نعيد ..
هنبقى مش بنقول جديد ..
دة حبكم ما عليه مزيد
واضح ما يحتجش لشهود

ارتجف قلب أحمد واحنى رأسه يقبل باطن كفها بقبلة طويلة يصب مشاعره في كفها .. بينما أكمل سيد يغني عذابه الخاص .. ولم ينجح هذه المرة في إشاحة وجهه عن شمسه الصغيرة التي تردد كلمات الأغنية بشفتيها معه .. بينما وائل مشغول كليا بمريم التي تشاغله عند الشرفة .

ما توصوناش على حبكم لأنه دايما في قلبنا
وقد ما بيهمكم أكتر كمان بيهمنا
بنحس بيكم في الغياب
ونخطي بيكم ع العذاب
ولو قفلوا بينا الف باب..

[2298]



برضوا الهوا بيضمنا

مسح سيد بطرف اصبعه دمعه بزاوية عينيه بينما آية لم تدري أصلا أنها تبكي إلا بعد أن انتهت الاغنية ..

استمرت السهرة بين الشباب أورى تعزف وسيد يغني .. وبانة تشترك على استحياء برغم إشادة الجميع بصوتها مما استفز آية التي غارت بشدة .. وتساءلت آية في سرها لمَ تعاندها الاقدار مع سيد بالذات ؟..

لا توافق بالعمر.. ولا تشاركه ذكريات طفولته وشبابه .. ولا تحمل صوتا جميلا لتشاركه الغناء ولا شيء ..

تلهث دائما للحاق به.. بخطواتها الصغيرة خلف خطواته الضخمة.

Des. Maryam Tamim

تذكرت تلك اللوحة التي رسمتها منذ أعوام كانت لآثار قدم ذكورية كبيرة مطبوعة بطول اللوحة تتبعها أثار قدم طفلة صغيرة .. فتبدو القدم الصغيرة كأنها تحاول السير بأقصى اتساع لها للحاق بالقدم الكبيرة .. وبرغم هذا فالمسافة بين الأثرين واسعة .!

في أخر السهرة تفرق الجميع كل إلى وجهته ووقف عمرو قليلا أمام الباب مع أروى وقد سبقته والدته لأسفل بعد أن تمتمت بعبارات المباركة بفتور .. همست أروى " أريني خاتمك .. خلع عمرو الخاتم الفضي وأعطاه لها فنظرت للخاتم بالداخل ثم قالت بإحباط أين اسمي ؟ .. لمَ اسمي ليس على خاتمك ؟!!"

ابتسم ورد هامسا " انظري للخاتم جيدا "

Des. Maryam Tamim

عقدت أروى حاجبيها تفحص الخاتم.. ثم اكتشفت أن اسمها محفور على سطح الخاتم من الخارج برسمة مموجة حسبتها نقشا في أول الأمر لكنها اكتشفت أنه رسم بالحروف لأسمها ..
تطلعت لخاتمها الذهبي فوجدته بنفس طريقة منقوش عليها اسمه من الخارج .
ابتسم عمرو واستعاد خاتمه وهو يقول مودعا "سأتصل بك بعد قليل .. لا أريد أن أترك أمي واقفة بالشارع "

في الداخل وقفت آية بالشرفة تراقبه وهو يشاكس تلك الصغيرة زهرة وتحقد على تلك الأخرى رحمة أنها تستطيع العودة معه إلى بيته ..
وتمنت أن تكون مكانها .. تمنت أن تعود معه آخر الليل .
أن تشاركه التفاصيل الصغيرة التافهه .. وهو يأكل وهو يرتدي ملابسه .. وهو نائم ..

[2301]

تلك المحظوظة رحمة يضمها سقف واحد معه .. تشعر به في الغرفة المجاورة .. تسمع خطواته في الممر .. تستطيع أن تقابله صدفة في المطبخ .

تلك المحظوظة رحمة عندما ستهاتفه لن يتحجج لها.. ولن يخبرها أنه مشغول .. ولن يخبرها أنها كبرت على التعلق به وعليها أن تمشي باقي طريقها وحدها .

حين دخلت لغرفتها بحثت في خزانتها عن تلك اللوحة القديمة لوحة آثار الأقدام .. تأملتها قليلا.. ثم أحضرت قلم الفحم .. ورسمت بالكلمات على شكل آثار قدم صغيرة العبارة التالية :

وأعود لطاولتي .. لا شيء معي إلا كلمات .

بعد شهر :

[2302]

هل ستأتي لحظة للتحرر بعد قليل؟
هل ستستطيع أن تسرق بعض اللحظات لتحقق فيها متعة كانت تنشدها ؟

تطلعت آية بقلق لساعة يدها .. وسألت شاهي زميلتها بالكلية " هل مازال امامنا وقتا طويلا للوصول ؟"
ردت شاهي من المقعد الامامي" قاربنا على الوصول .. لمَ أنت قلقلة هكذا .. لا تخبريني أنك لم تأتي إلى هنا من قبل !"
ردت آية بعد أن حدجتها بنظرة خطرة أن تكلمت أمام رامي "جئت مع العائلة أكثر من مرة لكني لا أذكر الوقت الذي يأخذه الطريق"
رد رامي زميل الكلية من مقعد القيادة يقول "وما الذي جعلك فجأة توافقين هذا العام لحضور الحفل؟ لقد ألحينا عليك السنوات الماضية لكنك كنت تتحججين "

Des. Maryam Tamim

ردت أية تداري نظرتها المرتبكة" ربما لأنه لم يتبق سوي شهر ونتخرج "

نظر إليها رامي عبر المرآة الامامية وقال "اعدك انك ستقضين وقتا ممتعا"

ابتسمت آية في توتر وعادت تنظر لساعتها من جديد .

لقد قررت في لحظة متهورة.. أن تذهب معهم لتلك القرية السياحية الساحلية التي تبعد عن العاصمة بحوالي ساعتين .. لحضور حفل من الحفلات التي يقيمها زملاء الجامعة كل أسبوع تقريبا .. لكن هذا الحفل هو الاضخم هذا العام ويحضره أبناء الذوات وأبناء المشاهير وأبناء الطبقة المخملية.

وما تسمعه عن تلك الحفلات كان يشعرها بالحسرة على شبابها الذي لا تقدر على أن تعيشه مثل باقي الشباب .. الحفل كما يصفوه يميزه الانطلاق والرقص والأغاني.. كما تريد وتحب وتتمنى .

Des. Maryam Tamim

وبعد طول تفكير قررت أن تفعلها.
تفعلها ولو لمرة واحدة ..
تنطلق ..
تكسر ذلك السور المقام حولها.
وتخرج للنور ..
للهواء الطلق ..
تفرد جناحيها دون قيود .. بلا ممنوعات .

لهذا رتبت كل شيء .. خرجت من البيت مبكرا تدعي الذهاب للجامعة وقابلت رامي وشاهي وندى التي تغط في نوم عميق بجانبها.. وهيثم الذي يجلس بجوار النافذة ملاصقا لندي يلعب في هاتفه طوال الوقت .. وهاهم في الطريق .

ونويت الاتصال بوالدتها عند الظهيرة تدعي أي حجة وتخبرها أنها ستأتي عند المساء .
هكذا مغامرة ليوم واحد ..

[2305]



برررت لنفسها أن كذبة واحدة لن تضر ..
فهي لم تعد صغيرة والقالب الذي يحددون إقامتها فيه .. بات ضيقا الى حد التعذيب..
ما المشكلة اذا حضرت حفلا مع أصحابها؟! .. أين المشكلة اذا تحررت قليلا من القيود؟!..

يوما واحدا... ستكون فيه كما تحلم دائما .. ترقص وتغني .. ترتدي ما تحب دون التقيد بالحجاب كباقي زميلاتها ..ترى نفسها جميلة في عيون الأخرين.. ففي اعتقادها الحجاب ليس فيصلا بين فتاة محترمة وأخرى غير محترمة ..
فكثيرا ما رأت تناقضا بين الملبس والسلوك !.
هكذا حدثت نفسها ..
وهكذا اقتنعت .. وعزمت على التنفيذ .

وعلى الرغم من توترها .. تشعر بالحماس والسعادة.. وتمر عليها الدقائق بثقل تريد الوصول سريعا.

بعد قليل كان رامي يركن السيارة في حديقة فيلا ضخمة .. نزلت بحماس تدغدغها نسمة البحر القريبة وقلبها يدق بعنف .

وفي بهو الفيلا بدا الجو هادئا.. مما أثار الوسواس في نفس آية ..

هل يضحكون عليها ولا توجد حفلات؟!!.. قبل أن تستدير إليهم سمعت صوت موسيقى قادم من بعيد .. وتبعت الشباب الذين يتحركون بالفيلا بسلاسة .. ومع اقتراب صوت الموسيقى دلفت إلى ساحة كبيرة مكشوفة بها مسبح كبير مزدحم بالشباب من الجنسين وسط ضحكات وكثير من رزاز الماء .

Des. Maryam Tamim

سحرتها الصورة من أول وهلة .. وحقدت على هؤلاء المحظوظين بتلك الحياة.. لا أب .. ولا أخ .. ولا أحد يضيق عليهم الخناق.. أو يحاسبهم .. يخطئون ويتعلمون ..
أو لا يتعلمون .. المهم أنهم سعداء ! .

بادرتها شاهي بتهكم " ألن ترتدي ثوب السباحة وتنزلي معهم "
ردت آية وقد بدت فكرة التحرر مغرية "لم أحضر ملابس السباحة .. أنتم قلتم حفل وموسيقى وما إلى ذلك"
أطلقت شاهي ضحكة ثم قالت " الموسيقى والرقص بعد الغداء .. سأذهب لأبحث لنا عن غرفة شاغرة لنبدل ملابسنا (وغمزت بعينها تقول) معي ثوب سباحة إضافي سأحضره لك "

Des. Maryam Tamim

تسارعت ضربات قلبها وهي ترى شاهي تبتعد فعادت تحدق في المسبح الكبير بتأمل .. هناك من يسبحون وحدهم في ملكوت خاص .. ومن يسبحون في مجموعات يتبادلون اللعب والضحكات .. بالإضافة لبعض الثنائيات الذين يتعاملون مع بعضهم البعض ببعض الجرأة التي لم تعجبها ..
فبرغم نظرتها الحالمة لفكرة التواجد مع الحبيب في مسبح .. لكن ليس بهذا الشكل الفج والوقح أمام الناس ..

بعد قليل كانت تحدق في ثوب سباحة على السرير أمامها باستنكار في الغرفة التي وضعت فيها شاهي أغراضهما .. وسألت بغباء " ما هذا؟"

ردت شاهي ببساطة " هذا ثوب سباحة "

Des. Maryam Tamim

قالت آية " أعلم أنه ثوب سباحة.. من قال أني قد أرتدي ثوب سباحة من قطعتين "

أطلقت شاهي ضحكة لا مبالية وردت " حسنا سأبحث لك عن واحد من قطعة واحدة"

استنكرت آية أن تلبس ثوب سباحة عاري أمام الأغراب واقشعر بدنها من الفكرة .. واندهشت لهذا الشعور بالاستنكار .. فقد كانت تتمنى الأمر سابقا أما الآن فالفكرة تثير اشمئزازها .! .. فتنهدت وقالت لشاهي" لا تتعبي نفسك فلن أرتدي أي ثوب سباحة ولن أشارك .. أنا جئت فقط على سبيل التغيير "

ردت شاهي بلا مبالاة " خسارة أنت تملكين جسدا فاتنا وشخصية جذابة .. وإذا ما نزلت بثوب السباحة ستلفتين الانظار إليك يا غبية .. عموما كما تحبين "

Des. Maryam Tamim



هل حقا تحب لفت الانظار اليها ؟!
لا تنكر أن بعض نظرات الإعجاب من الآخرين أمر جيد .. إنه شعور آدمي يشعرنا بالثقة .. يشعرنا بالسعادة ..
لكنها بدأت تشك في نوع لفت الانتباه الذي تريده !

تعمقت في مشاعرها بارتباك لبعض الوقت ثم حسمت أمرها .. لن تتطرف لهذه الدرجة .. صحيح رغبت في فك بعض القيود لكن فكرة التعري لم تعد فكرة جاذبة او ممتعة.. بل إن الفكرة تجرح كبريائها قليلا ... أو كثيرا.. لا وقت لديها لتحليل مشاعرها الآن .

قالت شاهي وهي تلف جسدها بوشاح رقيق فوق ثوب السباحة ذو القطعة الواحدة التي انتهت من ارتدائه " ألم تبدلي ملابسك بعد ؟"



ردت آية بذهن مشغول بالتأملات "اذهبي أنت وسألحق بك بعد قليل "

راقبت شاهي وهي تغادر أمامها بقدها النحيف وجسدها الظاهر بكل تفاصيله .. فاقشعر بدنها من تقليد الفكرة ...وتعجبت من ذلك الشعور الصادم بداخلها .. وهي التي كانت حتى ليلة أمس على استعداد للتطرف الى أقصى درجة إذا ما أعطيت الفرصة للتحرر والانطلاق !!..

عادت تنفض عنها التأملات المتزاحمة في رأسها من جديد وتمتمت بصوت مسموع " ركزي يا آية لا وقت للتأملات .. أنت ستكونين معتدلة لا إفراط ولا تفريط فلتلبسي ما احضرتيه"

خرجت بعد قليل من الحمام ترتدي بنطالا من الجينز الازرق يلمع من الجانبين وممزق من عند

Des. Maryam Tamim

الركبتين والفخذين بفتحات تكشف عن بشرتها البيضاء وبلوزة بدون أكمام تظهر ذراعيها الابيضين برسومات لامعة عند الرقبة والصدر..

تطلعت لنفسها بإعجاب خاصة وهي تفرد شعرها الذي يصل الى آخر ظهرها بلونه الجديد المفرود دون التفاف حول نفسه.

أربكها لمعة سلسالها الصغير حول رقبتها الذي اشتراه لها والدها الحاج سماحة في عيد ميلادها الماضي ولم تفهم السبب في ذلك الشعور بالارتباك .. فعادت تنظر لهيئتها بإعجاب أثير بذاتها وتعجبت من أرجوحة الثقة التي باتت تتأرجح فيها مؤخرا .. فتارة تشعر أنها تحلق في سماء الثقة التامة .. وتارة تنزل إلى أرض انعدام الثقة..

Des. Maryam Tamim

قطعت شاهي تأملاتها حين دلفت للغرفة تبحث عن غرض من أغراضها وطالعتها بنظرة اعجاب قائلة " تبدين مذهلة يا فتاة ! .. إنك بدون الحجاب وتلك الملابس التي تداري مفاتنك تبدين مذهلة .. ستسرقين المشهد اليوم.. لن يصدق احد حين يراك بهذا البنطال الذي يحدد تفاصيلك .. وشعرك رائع كيف وصل لهذا الطول؟!"

ابتسمت آية بفتور ولم تشعر بالسعادة التي تنشدها فتساءلت من جديد هل هي الآن فوق الارجوحة في ارض انعدام الثقة ؟!

حين لم ترد سألتها شاهي بعد ضحكة متسلية " هل عقدت الصدمة لسانك ؟"

عقدت آية حاجبيها في استفهام وسألتها " صدمة من ماذا ؟"

ردت شاهي وهي تطالعها متكتفة " من منظرك هذا.. بالطبع لم تري نفسك بهذا الجمال من قبل

Des. Maryam Tamim

(ثم أكملت بلهجة ممتعضة) وأنت تتخفين خلف أطنان من الملابس" .

غلى الدم في عروق آية فصاحت باندفاع " من التي لم ترى نفسها بهذا الجمال من قبل !!!.. أنظري للبنطال يا حلوة .. إنه ليس جديدا بل ارتديته مرارا في البيت وفي مناسبات خاصة مغلقة على النساء .. هل تعتقدين لأني ألبس ببعض الاحتشام أني لا أدلل نفسي .. ولا أمارس أنوثتي !! .. ولا اعرف الماركات العالمية .. ولا أتابع خطوط الموضة لأني ألبس باحتشام !! ..انظري إليّ عزيزتي جيدا .. وقيمي ملابسي وماركاتها " ..
ضحكت شاهي بتسلية وقالت" لماذا اندفعت هكذا أنا اعتقدت أنك تلبسين هذه الملابس لأول مرة ..هيا لنخرج إليهم "
ترددت آية بعض الشيء وقالت " سألحق بك بعد قليل

Des. Maryam Tamim

الفصل السابع والعشرين

قطعت آية تأملاتها حين دلفت شاهي للغرفة تبحث عن غرض من أغراضها وطالعتها بنظرة اعجاب وهتفت" تبدين مذهلة يا فتاة ! .. إنك بدون الحجاب وتلك الملابس التي تداري مفاتنك تبدين مذهلة .. ستسرقين المشهد اليوم.. لن يصدق احد حين يراك بهذا البنطال الذي يحدد تفاصيلك .. وشعرك رائع كيف وصل لهذا الطول؟!"

ابتسمت آية بفتور ولم تشعر بالسعادة التي تنشدها وتساءلت من جديد هل هي الآن على الارجوحة في أرض انعدام الثقة ؟!

حين لم ترد سألتها شاهي بعد ضحك متسلية " هل عقدت الصدمة لسانك ؟"

عقدت آية حاجبيها في استفهام وسألتها " صدمة من ماذا ؟"

[2316]

ردت شاهي وهي تطالعها متكتفة " من منظرك هذا.. بالطبع لم تري نفسك بهذا الجمال من قبل (ثم اكملت ببعض الامتعاض) وانت تتخفين خلف أطنان من الملابس" .

غلى الدم في عروق آية فقالت باندفاع " من التي لم ترى نفسها بهذا الجمال من قبل !!!.. أنظري للبنطال يا حلوة .. إنه ليس جديدا بل ارتديته مرارا بالبيت وفي مناسبات خاصة مغلقة على النساء .. هل تعتقدين لأني ألبس ببعض الاحتشام أني لا أدلل نفسي .. ولا أمارس أنوثتي !! .. ولا اعرف الماركات العالمية .. ولا أتابع خطوط الموضة لأني ألبس باحتشام !! ..انظري الي عزيزتي جيدا .. وقيمي ملابسي وماركاتها " ..

ضحكت شاهي بتسلية وقالت" لماذا اندفعت هكذا أنا اعتقدت أنك تلبسين هذه الملابس لأول مرة ..هيا لنخرج إليهم "

Des. Maryam Tamim

ترددت آية قليلا وقالت " سألحق بك بعد قليل "

دخلت آية لساحة المسبح بعد قليل وحين رأتها شاهي رفعت حاجبا مندهشا وسألتها" ماذا حدث للملابس التي كنت ترتدينها ولماذا ارتديت ملابسك وحجابك مرة أخرى !! "
ردت آية تدعي اللامبالاة " غيرت رأيي ..لم يعجبني الموضوع "
أطلقت شاهي ضحكة متسلية وقالت " كما تريدين" .

قضيت آية معظم الوقت تشاهد من بعيد .. تتحدث مع الزملاء في أمور عادية .. ضحكوا كثيرا وألقوا النكات.. وحكوا النوادر وتفكهوا ..وكان الأمر مسليا جدا .. لكن ذهنها كان مشغولا بتحليل ما حدث .. في محاولة لفهم سبب إحجامها عن تنفيذ الفكرة التي كانت لوقت طويل شيئا مبهرا

Des. Maryam Tamim



وملحا .. لكن عندما حانت لحظة التنفيذ لم تقدر
..

بل خافت ..
خافت من الله .
واندهشت لذلك الشعور ..
بل ارتجت في داخلها .. حين أدركت أنها غافلة عن
بعض البديهيات !!.
لكن هذا الادراك لم يكن حسما لتساؤلاتها بل
مفجرا لمزيد من التساؤلات .
***
قبل بعض ساعات :
استيقظت بانة في موعد مغادرة أحمد صباحا حتى
تعد له الافطار .. تحاول بقدر الامكان أن تبذل
قصارى جهدها للتقليل من تقصيرها نحوه ..
خاصة وأنه بات عصبيا أكثر في الفترة الماضية ..
وقليل الصبر .. ينفعل لأتفه الأسباب .



وبرغم أنه يعاملها جيدا .. وبرغم أنها لا تعرف تفاصيلا كثيرة عن حياة الرجال الخاصة لكنها متأكدة أن عصبيته بسبب ذلك الأمر ..لقد مر أكثر من شهر على زوجهما ولم يتغير شيء .

دخلت إلى المطبخ تعد الفطور وهي تشعر بالنعاس فقد نامت ليلة أمس بعد الفجر .. بعد أن سهرت أمام مواقع التواصل على هاتفها تبحث عن أي من معارفها .. كعادتها منذ أيام .. بحثت بأسماء العائلات التي تعرفها و بأسماء الاصدقاء علها تجد من يخبرها أي شيء عن الوطن .
تذكرت محادثاتها أمس مع إحدى جاراتها في شارعهم .. وجدتها من خلال البحث وتعرفت عليها من الصورة فبعثت إليها تحدثها على الماسنجر .

بانة: السلام عليكم فاطمة .

فاطمة : من .

[2320]

بانة : أنا بانة عبد الله الخازن كنا نسكن في شارع واحد قبل الحرب أتذكريني؟ ..

فاطمة : أجل .. أذكرك أختي كيف حالك ؟

بانة : أنا بخير ... أنا أعرف أنك ببرلين حاليا لكني أود أن أسئلك إن كنت تعرفين أيا من معارفنا ما زالوا في الوطن .

فاطمة : لا للأسف .. أنا وأهلي سافرنا إلى برلين .. وانقطعت الصلات .. وأنا شخصيا لا أعرف أحدا في الوطن لكني سأسأل أبي وأخوتي .. لمَ تسألين ؟

بانة : أهلي مفقودين ولا أعرف هل هم أحياء أم أموات .

فاطمة : أنا آسفة .. أتمنى أن تعثري عليهم .. لا تفقدي الأمل يا بانة .. وأنا سأسأل إخوتي إذا ما كانوا على تواصل بأي من أصاحبهم بالوطن وسأخبرك إن شاء الله .

Des. Maryam Tamim

خرجت من شرودها على صوت خطوات لأحمد .. يبدو مرهقا هو الآخر .. تشعر به كل ليلة يتحرك في الشقة كثيرا .. وأحيانا يتوقف عند باب غرفتها لبعض دقائق .. ثم يبتعد.. أرادت عدة مرات أن تخرج إليه لكنها مازالت تحت وطأة عذاباتها .

سألت بدفء" ألن تأكل ؟"

رد بإرهاق " لا سأكل بالورشة "

قالت وهي تبحث في الخزانة عن علبة بلاستيكية

"سأصنع لك سندوتشات "

ابتسم في إرهاق .. بينما تساءلت ألن يقبّلها على خدها كما بات يفعل قبل أن يغادر صباحا ؟!.

لا تنكر أنها تنتظر تلك الثانية التي يقترب فيها منها بعطر رجولته وذلك الشعور المدغدغ الذي يتلو ذلك .

Des. Maryam Tamim



تحرك نحو الباب فشعرت بالإحباط حينما لم يفعل .. لكنه تلكأ قليلا وعاد يقول ببعض الحماس
" أتعرفين ماذا أتخيل أحيانا؟"
سألته بفضول " ماذا؟"
فرد عليها وهو يقترب منها " أتخيل أنك في بلدك.. "

خفق قلبها فأكمل " وأنني أنا من يزور بلدكم"
ابتسمت وقالت" فكرت كثيرا في هذا الأمر .. عن ماذا لو قابلتك في بلدنا "
سألها بهدوء " أخبريني عن يومك العادي كيف كان "

سرت رعشة في جسدها وهي تستعيد ذكريات الوطن حتى أنها استعادة رائحة الاشياء هناك
وردت " كنت استيقظ مبكرا لأقوم ببعض الترتيبات بالمنزل قبل الذهاب للكلية .. وأحيانا أطبخ طعام الغداء "
سألها بتعجب " طعام الغداء صباحا "

Des. Maryam Tamim



ففلتت منها ضحكة متوترة وأوضحت " كنت أطبخ في الصباح في الأيام التي أتأخر في الكلية فيها .. لأني حين أعود لا أجد الوقت الكافي للطهي".

ابتسم في إعجاب وسألها " كم كانت تبعد كليتك عن البيت ؟"

ردت ورائحة الذكريات تداعب أنفها " ليس كثيرا لقد كان بيتنا في العاصمة وكان قريبا من الكلية لدرجة أني في بعض الأوقات كنت أتمشى من وإلى الكلية ".

رد عليها "رائع.. ربما لو كنت ببلدكم لكنت قابلتك في الشارع "

ابتسمت للفكرة بفرح ثم قالت ساخرة" كنت سأجدك واقفا بجانب سيارتك .. تصارع ذباب وجهك وتضربها بعنف "

لمعت عيناه واقترب منها أكثر يقول" ثم ؟"

احمر وجهها وأكملت " كنت ستصيح بغلاظة أن ابتعد عن وجهك "

Des. Maryam Tamim

فسألها وهو يرسم تفاصيلها بعينيه بدقة متناهية "كيف كنت سأقولها ؟"

علت ضحكتها بحرج وازداد احمرار وجهها فارتجف قلبه بسعادة .. بينما تنحنحت هي وأطرقت برأسها قليلا ثم أنزلت خصله طويلة جدا من شعرها على وجهها تقلد هيئته وقت أن قابلها أول مرة .. فرفع حاجبا وهتف مستنكرا" لم تكن بهذا الطول يا كاذبة ! "

رفعت إليه عينان تموجان بالغضب وقالت بحاجب مرفوع محاولة تقليد صوته ولهجته "ابتعدي من هنا" .

قهقه عاليا فارتجف قلبها في سعادة أن استطاعت إضحاكه .. ثم تسارعت أنفاسها وهي تستشعر عطره الذكوري ويده التي سحبتها من خصرها لتقترب ثم قال بخفوت وهو يحدق في شفتيها بجوع " ثم ماذا؟"

Des. Maryam Tamim

تأملت وجهه وقلبها يقيم مظاهرة في صدرها وردت "لا أعرف "

قال" كنت بمجرد أن رفعت وجهي نحوك سأغير لهجتي ستكون أكثر لطفا "

سألته بغباء " لماذا ؟"

رد بنظرة ماكرة" لأني سأجدك جميلة جدا"

ضيقت عيناها وسألت باستنكار " هل كنت ستغازلني ؟!!"

رد بابتسامة واسعة يقول بحرارة " بالتأكيد"

فقالت بتحدي وهي تسند بكفيها على صدره بعد أن سحبها أكثر ناحيته " وأنا كنت سأريك عقابك كيف تغازل بنت من بلدنا "

رنت ضحكته ثم قال بتسلي "مهما فعلت بانة الخازن .. كنت لن أتركك .. وسأتعرف عليك واجعلك تحبينني بالأمر "

ابتسمت وسألت " وبعد أن أحبك ؟"

Des. Maryam Tamim

أجابها هامسا وقد وصل لما كان ينشده منذ بداية الحديث" كنا سنصير عاشقين.. وربما تقابلنا في السر وخطفت منك قبلة .. ما رأيك أن نختلس قبلة عشاق الآن وكأننا هناك ؟"

اندفعت تصيح بغضب "أحمد بنات بلدي لسن يختلسن القبلات مع العشاق .. ولا يقابلنهم في السر من وراء أهاليهن "

علت الصدمة وجهه فتركها بهدوء واستعاد جمود ملامحه .. أما هي فشعرت بسخافة ما نطقت به فهتفت تناديه لكنه لم يرد وتوجه نحو الباب .

عادت تناديه مرة أخرى " أحمد لم أقصد "

فتمتم " لم يحدث شيء .. سلام "

جرت إليه تمسك بذراعه متوسلة .. فنفض ذراعه منها بعنف وصاح بغلاظة " قلت انتهى الموضوع يا بانة "

Des. Maryam Tamim

ثم خرج وصفع الباب .. بينما تسمرت واقفة تشعر بسخافتها وهمست لنفسها " انت حقا لديك كرامة متورمة يا بانة "

***

بعد الغداء علت موسيقى غربية عالية تضج ببهو الفيلا الضخمة وشباب على جهاز الـ DJ يملؤون الحفل صخبا .. وأمتلأ البهو بالراقصين على انغام الموسيقى .. كان العدد كبيرا والجنون واضحا .. في البداية تحمست آية فالموسيقى وجسدها عاشقان .. لكنها وقفت تتأمل العالم الجديد بهدوء وتردد دون مشاركة .

اقتربت منها شاهي تصيح وسط الصخب العالي " ما بك اليوم؟!! .. تخيلت أنك ستقتلين نفسك مرحا ورقصا "

ردت آية " لا شيء .. أعجبتني المشاهدة أكثر "

غمزت لها شاهي تقول " عرفت طلبك انتظري"

Des. Maryam Tamim

لم تفهم آية لكنها راقبتها وهي تتحرك نحو الشاب الواقف على الـ DJ.. ثم تغيرت الموسيقى فجأة لموسيقى شرقية راقصة .. بينما قالت شاهي للجميع " لدينا موهبة أسمع عنها الكثير في الرقص الشرقي وعندي فضول شديد لأشاهدها .. آية سماحة "

تفاجأت آية بما حدث بينما تحمس الشباب ..فاقتربت شاهي منها مندهشة من تسمرها وقالت بتوبيخ " هيا يا أية .. الكل ينتظرك لا تبخلي علينا "

علت الصيحات والصفير وبعض النداءات تشجعها .

تكتفت آية بثقة ورفعت حاجبا تطالع شاهي بهدوء .. فشعرت الأخيرة بالحرج من العيون المترقبة ..وأوقف شاب الـ DJ الموسيقى لمراقبة المشهد فعم الصمت في ترقب .. لتبدأ بعض الهمهمات المعترضة بتململ ..

Des. Maryam Tamim

تكلمت آية بامتعاض " ماذا تفعلين يا شاهي ؟"
ردت شاهي بحرج " ألم تخبريني أنك تحبين الرقص .. وأنك أتيت من أجل الموسيقى والرقص .. أنا أعطيك الفرصة "
ردت آية ببرود " وهل حبي للرقص معناه أنني سأرقص أمام الجميع !!! "

صدمت آية بما تفوه به لسانها والذي هو مغايرا لما كانت تتمناه دوما.. لكنها لم تجد الفرصة ولا المساحة للتأمل حين ردت شاهي بحرج أمام الأعين المسلطة على الفتاتين " ندي أخبرتني أنك راقصة رائعة وأنك رقصتي في ليلة حنة أختها فتملكني الفضول أن اشاهدك ترقصين ووجدت الفرصة مناسبة .. لا أفهم لماذا غضبت "
حدجت آية ندى الواقفة بعيدا بنظرة عاتبة فلاح على الأخرى الحرج .

Des. Maryam Tamim

ردت آية بنفس الثقة " عزيزتي.. حتى ولو كنت كما قلت أحب الرقص.. فأنا أمارسه في الجلسات النسائية المغلقة للمتعة وقضاء وقت لطيف .. لكن لا عقيدتي ولا كبريائي يسمحون لي بتقبل عرضك السخيف هذا .. عموما شكرا لمحاولتك لمساعدتي في قضاء وقت ممتع "

تكلمت شاهي بعصبية " أرى أنك تضخمين الأمور بما لا يتناسب مع المناسبة والصحبة.. عموما كما تريدين "

ردت آية ببرود " جميل أنك أدركت أني أميل إلى تضخيم الأمور .. لذا عليك المرة القادمة سؤالي قبل التصرف في أمر يخصني "

احتقن وجه شاهي .. وبدأت الموسيقى في العودة من جديد وتفرق البعض للعودة للرقص ..بينما اقترب أحد الشباب .. والذي بدا مشوشا قليلا تحت تأثير نوع من المخدر .. وأمسك آية من ذراعها يقول بعيون معجبة " لماذا تتمنعين ..

Des. Maryam Tamim

دعينا نرى الموهبة .. أنا أيضا سمعت بذلك ولدي فضول لأشاهد "

تحركت آية بحركة مفاجئة كان نتيجتها أن أصبحت خلف الشاب تلوي له ذراعه الذي كان ممسكا بها للخلف .. فجحظت عيناه وبدى على وجهه الألم بينما صاحت هي بلهجة غاضبة سرقت الانظار من جديد " إياك أن تلمسني مرة أخرى .. وفضولك تذهب به للجحيم .. "

تدخل رامي بثقة يفض الاشتباك " أتركيه يا آية لن يكررها .. وأنتم لا تضخمون الأمور يا شباب نحن هنا لقضاء وقت ممتع وكل شخص له مطلق الحرية أن يقضيه بالشكل الذي يريده "

تركت آية ذراع الشاب الذي دلكه متألما فأخذه رامي وابتعد .. بينما حدقت شاهي في آية باستنكار وغمغمت بقرف " ردود أفعالك كلها عصبية وغير لائقة وتضخمين الأمور .. لسنا هنا في حي شعبي "

Des. Maryam Tamim

ردت آية بتهكم " آسفة لجرح مشاعركم المرهفة بردود أفعالي .. لكن كما أشرت .. أنا من حي شعبي وتربينا على ألا نسمح لأي شخص أن يتجاوز معنا الحدود .. فلا تستفزوني حتى لا تجدوا ردودا غير لائقة تابعة للحي الشعبي "

حدجتها شاهي بقرف وابتعدت ليقترب من آية مجموعة صغيرة من زملائها المقربين من الجنسين .. وعلى وجوههم علامات الفرح والانتصار من رد آية على شاهي وبدأوا في التصفيق والتهليل حولها مرددين عبارة من الأفلام المصرية تقال للفتوة في الحي الشعبي " اسمالله عليه اسمالله عليه " فأطلقت آية ضحكة أنثوية متسلية .

***

خرجت بانة من سيارة الأجرة تتطلع لبوابة الورشة مستحضرة ذكريات ومشاعر تتعلق بهذا المكان الذي كان فاصلا في رحلتها في هذا البلد..

Des. Maryam Tamim

دخلت البوابة بثقة تتطلع حولها في هذا الوقت من النهار .. لم يتغير شيء نفس الأجواء نفس الانطباعات .. نفس الرائحة ..

حيت بعض العاملين المارين الذين عرفتهم فتباينت الوجوه في استقبالها منهم المهلل.. ومنهم المحرج.. ومنهم من أخذ يتطلع إليها بفضول فلم تزور الورشة منذ تلك الليلة التي خطفها حموءة .. وانتشر الخبر بينهم بعدها عن كون رامز فتاة .. لكنها المرة الأولى التي تأتي إلى هنا كفتاة وكزوجة لأحمد .

حين اقتربت من مكتبه سمعته يضحك فشعرت بالراحة أن ما حدث هذا الصباح لم يؤثر على مزاجه .. فذلك هو السبب الأساسي الذي أتت من أجله .. لقد حاولت الصمود حتى عودته لتصالحه فلم تقدر .. خاصة بعد أن أرسلت إليه رسالة على الواتساب ولم يشاهدها .. فخافت أن يكون شاعرا

Des. Maryam Tamim

بالضيق أو يصارع ذباب وجهه .. وأشفقت على العمال أن يمارس عليهم عصبيته كالعادة .. لذا قررت أن تزوره بنفسها في الورشة .. خاصة وأنها لم تخرج برفقته منذ أن تزوجا .. بالإضافة لأن لديها موضوع مهم بات يلح عليها مؤخرا وترغب في مناقشته معه .

سارت باتجاه باب مكتبه المفتوح فتفاجأت بخيال امرأة تجلس معه .. فارتبكت وانتحت جانبا بعيدا عن مجال الرؤية بحركة عفوية لتسترق السمع بفضول أنثوي مباغت.. وشعور بالضيق بدأ يسيطر عليها .

سمعت المرأة تقول بلهجة مشبعة بالميوعة استفزت الأنثى بداخلها " رائع يا أحمد .. إذن ستجهز التصاميم وبالتأكيد لنا جلسة أخرى.. أنت تعرف أنني لا أمل من الحديث معك "

جحظت عينا بانة وتسارعت ضربات قلبها وهمست بشك " رشا !!"

Des. Maryam Tamim

سمعت أحمد يقول بلهجة عملية " بالتأكيد لنا أكثر من جلسة لأن المقترح يحتاج لمناقشات كثيرة حتى نصل للتصور الأفضل .. سأحتاج لبعض الوقت لتجهيز التصاميم لكننا متفقون على ....."

بتر عبارته وسمعته يقول بسرعة " أعتذر .. لحظة واحدة "

هاجمت الوساوس عقلها فتمتمت لنفسها برعب " لمَ سكت .. هل يقبّلها !! "...

أخرجت رأسها من وراء الحائط بفضول فوجدته يقف خارج المكتب يتلفت يمينا ويسارا قبل أن يلحظها وتتقابل الأعين .. فاتسعت عيناه يهتف باندهاش " بانة !!.. ماذا تفعلين هنا ؟.. ظننت أن أنفي تخرف"

حدجته بنظرة باردة وهي تقترب منه ثم تجاوزته ودخلت المكتب تشمخ بأنفها نادمة في سرها أنها لم تتأنق أكثر من ذلك حين قررت المجيء إليه

Des. Maryam Tamim

اليوم فقالت تتصنع البراءة " هل أنت مشغول يا أحمد "

رفعت رشا ناظريها من الأوراق التي أمامها وتفاجأت ببانة .. بينما قالت الأخيرة لأحمد الذي يطالعها بحاجب مرفوع " ألن تعرفنا ببعض؟"

تنحنح يداري ابتسامة ملحة وقال بلهجة متسلية "هذه بانة الخازن زوجتي يا رشا"

طالعتها رشا بنظرة مقيمة استفزت بانة بينما أكمل أحمد ببساطة " وهذه رشا الدسوقي يا بانة زميلة دراسة قديما وعميلة حالية "

ردت رشا مصححة باستفزاز وقد شاب ملاحها بعض الانزعاج " وصديقة حالية أيضا "

وضعت بانة يديها في جيب فستانها الطويل وتحدثت بلهجة بلدها " أمر غريب.. لا أذكر أنه

Des. Maryam Tamim

حدثني عنك من قبل عندما أخبرني عن أصدقائه..
عموما أهلا وسهلا بك"
كتم أحمد ضحكة لحوحة يطالع بانة بهدوء واضعا يديه بجيبه ..بينما اكملت بانة " حبيبي أنا لن أعطلكما .. سأنتظر بورشتك الخاصة "
وتحركت نحو الغرفة الملحقة بالمكتب والدم يغلي في رأسها .
استقامت رشا ببعض العصبية ترفع حقيبتها على كتفيها وتلملم أوراق وصور من مجلات من على المنضدة الصغيرة أمامها وتمتمت " أنا مضطرة للرحيل عندي موعد آخر "
تفحصت بانة تفاصيلها .. بنطالا من الجينز ضيق إلى حد مستفز يحدد ساقين رفيعين كخلة الأسنان وبلوزة بنصف كم تصل بالكاد لخصرها وشعرها الأسود متوسط الطول ورائحة عطرها التي تسبقها .

Des. Maryam Tamim



أوصل أحمد رشا للخارج فوقفت بانة تتفتت من الغيظ .. وحين عاد بعد دقائق لم يغفل عن تشنجها وملامح وجهها المكفهرة .. وأشعره ذلك بالسعادة.

إنها تغار .. تغار عليه ..

شعور كهذا ينعش قلبه الذي كاد أن يختنق .

صاحت بوجه مكفهر "منذ متى ؟"

رد بهدوء ويديه في جبيه " ماذا تقصدين ؟"

صاحت بعصبية " أنت تعرف ..فلا تستفزني أرجوك "

رد ببرود متعمد وهو يغلق باب الغرفة ويستند عليه يراقبها بتسلي " لا أعرف ما الذي تقصدينه يا بانة "

عضت على شفتها بغيظ ثم قالت " منذ متى ورشا تزورك ؟ .. منذ متي وأنت تراها؟ .. لم تخبرني من قبل أنك تقابلها .. قلت أن الموضوع بينكما انتهى "



رد بهدوء " منذ اليوم .. لم أرى رشا منذ أكثر من سنة واليوم فوجئت بها أمامي .. لديها فكرة لمشروع تعرضه عليّ "

ردت بانة باستهجان " سبحان الله .. صدفة غريبة أن تأتي اليوم بالذات .. وأن أراها بنفسي !!"

سألها فجأة " أتغارين يا بانة "

ردت باستنكار " أغار !.. ممن ؟! .. كل ما في الأمر أن كرامتي لا تسمح يا باشمهندس لأي تسلي من جانبك "

كشر أحمد وسألها بجدية " هل تثقين بي ؟"

سكتت ولم ترد والغيظ يفتتها ..فعلا صوته وأعاد السؤال بلهجة خطرة " هل تثقين بي يا بانة .. أجيبي "

ردت بصوت هارب منها " أجل " ..

فسألها بهدوء" إذن لمَ كل هذا الانفعال ؟! "

صمتت قليلا تتزاحم في صدرها المشاعر .. ثم ردت بخفوت " لأني حتى وأنا أثق بك .. أكره أن ترى

Des. Maryam Tamim

عيناك أي امرأة جميلة .. وأخشى أن تقع تحت وطأت احتياجاتك "

اقترب وقال وهو يرسم تفاصيلها بعينيه " إذن قوليها "

ردت بتساؤل " ماذا "

قال بخفوت " أنك تغارين علي"

قالت " أنت تعرف "

اقترب أكثر ورد " كلا .. لا أعرف "

تأججت المشاعر بداخلها فاندفعت وأمسكت بتلابيبه تقول بهمس حار " بل تعرف أني أغار عليك يا ابن سماحة .. أغار عليك حتى لو أجبرني كبريائي على الانكار "

أستقبل أنفاسها في صدره بلهفة وسألها بهمس " وماذا أيضا ؟"

ردت "وأرتعب من شبح نفاذ صبرك ومن الملل من انتظاري " .

قال بحشرجة "وماذا أيضا ؟"

Des. Maryam Tamim



ردت " أخشى أن يخونني قلبك ويحب أخرى"

وضع يديه على خصرها ليلصقها به في هدوء وهو يقول محدقا في عينيها " كيف يخونك وأنت تملكينه يا بلهاء ؟"

ردت بتأثر " أخشى أن يُنزع مني صك ملكيته لسوء المعاملة "

قال ويداه تستكشفان قوامها بحرمان " ومن يملك حق تقرير مصيره والقلب وصاحبه ملك يديك يا قلب ابن سماحة "

ثم انقض على شفتيها مهاجما يروي شوقا مضنيا غير قادر على الصمود أكثر.. فاستشعر تشنجها لثانيتين قبل أن تلح عليها مشاعرها لتترك مقدمة قميصه وترفع نفسها على أطراف أصابعها لتعقد ذراعيها حول عنقه بقوة عشق يريد أن يتحرر من داخلها .

عشق ابن سماحة ..



فلتف ذراعه حولها بقوة وتملك.. وتعمق في قبلته وكأنه ينشد ما هو أبعد من شفتيها .. ينشد الوصول لروحها .. بينما يده الأخرى تتجول بنزق على ساقها تبحث عن طرف فستانها الطويل بإلحاح ...
بعد قليل أطلق صراح شفتيها يعطيها فرصة للتنفس ... ثم رفعها من خصرها يجلسها على منضدة صغيرة خلفها وعاود مهاجمة شفتيها من جديد مستغلا لحظة استسلام نادرة منها .. وهو يطلق زمجرة عصبية لعدم استطاعته الوصول لطرف فستانها .
لم تفهم بانة اسم ذلك الشعور الذي تعيشه.. لكنه أقرب للطفو فوق السحاب .. واندهشت أن تكتشف طرقا أخرى للبوح بالمشاعر غير الكلام .. وكأنه اخترع لغة جديدة أسرع في الوصول لقلبها وحواسها .. وما أخبرها به في تلك الثواني كان جميلا ومبهرا .

Des. Maryam Tamim

فك حجابها وأبعده ليطبع القبل بعشوائية على رقبتها ثم اطلق زمجرة انتصار حين وصل لطرف ثوبها ليرفعه بنفاذ صبر ويترك ليده حريه التجول تحته .. بعد أن عاد يطبع قبلات أقل جنونا على شفتيها وهو ينطق بحروف أسمها ..

غير أن طرقا على باب المكتب من الخارج وصوت أحد العاملين ينادي عليه بإلحاح .. جعله يطلق أنينا محبطا وهو يطلق سراح شفتيها ثم يشتم بهمس .
كانت بانة أول من استطاع السيطرة على نفسها فمدت يدها تبعد يده بلطف من تحت ثوبها .. فأحاط ذراعيه حول جذعها بقوة يدفن رأسه في حضنها في محاولة لاستعادة السيطرة على أعصابه من جديد .. غير أن العامل كان لحوحا وغبيا جعله يطلق زمجرة غاضبة وشتيمة مكتومة في صدرها .. فأجلت بانة صوتها ترد على العامل بصوت هارب

Des. Maryam Tamim

منها.. فأخبرها أن الشاحنة وصلت بالأخشاب ويسأل إن كان الباشمهندس يرغب في المعاينة قبل الاستلام .. فحرك أحمد رأسه إيماءة خفيفة مدفونة في صدرها لترد بانة على العامل بالإيجاب .. ثم تطلعت لهيئة أحمد بإشفاق وهي تمسد على ظهره بحنان .

بعد دقائق استقام ليمسك بوجهها يتطلع إليها وهو ما زال يلهث .. وقد لاحظ آثار هجومه على شفتيها ورقبتها .. فسوى بعض الشعيرات المنكوشة وقرب جبينه من جبينها يحدق في عينيها وقال " سأنتهي من معاينة الأخشاب بسرعة ونخرج لنتناول الغداء سويا "
أومأت برأسها في صمت فأجبر ساقيه على التحرك بمشقة .. ليتركها ترتدي حجابها وتستعد .
***

Des. Maryam Tamim

تطلع إليها وائل وابتسامة سعيدة تعلو وجهه وهي تعبث في محتويات الخن بشقاوة ثم استدارت إليه لترفع نفسها وتجلس على منضدة جانبيه وقد انحسر ثوبها الأصفر القصير المرقط بزهرات بيضاء صغيرة ليكشف عن ركبتيها .

ربت وائل على الأريكة بجانبه يقول بهمس حذر " لما تجلسين عندك تعالي إلى جواري يا مريم "

رفعت مريم كتفيها تتمنع بدلال وقالت وهي تتطلع حولها " احب هذا المكان "

رد عليها " إنه مكان تجمعنا أنا والأصدقاء .. جددناه منذ سنوات قليلة .. أتذكرينه لقد كان سطح مقهى كوكب الشرق القديم .. الذي كنا أنا وأنت نتقابل أحيانا فيه "

ابتسمت ورفعت شعرها الطويل الذي يصل حتى نهاية خصرها وقالت" أجل أذكر تلك الأيام .. وأذكر شقاوتك "

Des. Maryam Tamim

قهقه وائل ثم كتم ضحكته خوفا من أن يكتشف أحد وجودها ثم قال " اقتربي .. سأصنع من شعرك الطويل هذا ضفيرة طويلة .. ما دام يضايقك "
ردت مريم ببعض الغيظ " أجل يعصبني هذا الشعر "
قال لها بعيون ماكرة " اقتربي وانا سأتعامل معه"

وقع خطوات على السلم جعل وائل يغلق فمه ويعدل جلسته بينما اختفت مريم من أمامه .

دخل سيد ملقيا السلام وألقى بجسده على الأريكة بيأس فسأله وائل باهتمام " ما بك ؟"
زفر سيد وقال بإجهاد " لم أنم جيدا "
سأله وائل بقلق " تكلم يا سيد هل سأسحب الكلام من فمك !"
لم يكن سيد راغبا في التحدث عن مشاكله مع وائل فهو يعلم أنه لم يعد يتحمل أي ضغوط عصبية

Des. Maryam Tamim

لكنه كان مرهقا جدا فقال " تشاجرنا أنا وبسمة أمس "

سأل وائل ببرود " والسبب؟ "

أجاب سيد بحنق " السبب أنها أصبحت حساسة وعصبية "

سأل وائل في ملل " والسبب ؟"

صاح سيد في غيظ "لم تذكر السبب "

رد وائل بتوبيخ " لكنك تعرف .. وتراوغ ولا تواجه متصنعا الغباء "

قال سيد بصوت مجهد " كيف سأفعلها يا وائل .. هل سأدخل عليها أخبرها أنها طالق لأني أحب أمرأه أخرى !.. وأني أخطأت بقرار الزواج منها.. وامنحها خطاب شكر على الأيام التي قضيتها معها وأنا أرسلها لأهلها !!".

Des. Maryam Tamim

قال وائل بعد قليل من التفكير " دعها تراك مع آية .. أو تجد أمرا يخص آية.. وحين تثور وتواجهك أخبرها بكل شيء بكل صراحة "

تألم سيد من الفكرة ورد بلهجة مشفقة " هذا قاس جدا .. كيف أفعل ذلك !"

قال وائل بسخرية " وهل ما تفعله بنفسك ليس قاسيا !.. وخيانتك لها حتى لو فكريا بسيطة !"

سحب سيد نفسا عميقا ممزوجا بالألم وقال " أعلم أني أظلمها .. لكن أرى أنه أهون من أن أطلقها "

رد وائل بامتعاض" هي من عليها أن تحدد أيهما أهون .. هناك امرأة تتحمل الخيانة على ألا تعيش مطلقة .. وهناك أخرى تفضل لقب مطلقة وألا تهان كرامتها ".

حدق فيه سيد متحكما في لسانه حتى لا يبوح بما يلح عليه .. لكنه لم يقدر خاصة وأن غيظه من

Des. Maryam Tamim

وائل يتملك منه لرفضه الذهاب لطبيب نفسي .. وقد ألحوا عليه كثيرا في الفترة الماضية معربين عن قلقهم على حالته لتعاطيه المهدئات بكثرة .. لكن وائل كان يقابل إلحاحهم بالرفض التام للفكرة.

تكلم سيد بلهجة ذات معنى " من الجيد أنك تشفق على بسمة وحالها معي .. لكني أرى أنها ليست وحدها من تعاني .. هناك نساء أخريات يعشن مهملات على هامش الحياة في بيوت ازواجهن "

هتف وائل بعصبية " ماذا تقصد ؟"

تراجع سيد بقلق من أن ينفعل كالمرة السابقة فتمتم " لم أقصد شيء "

رد وائل بعصبية " بل تقصد.. ألن نغلق الحديث؟!"

فلتت أعصاب سيد فقال بغيظ " كما أتقبل نصيحتك تقبل نصيحتي يا وائل انا اشفق على زوجتك "

Des. Maryam Tamim

انفجر وائل يقول غاضبا " ليس لك شأن بماجدة .. لمَ بت تذكرها كثيرا ! "
ضيق سيد عينيه وسأله " هل هذه غيرة أم شعور بالذنب تجاهها ؟"
سكت وائل لثانيتين ثم رد بفحيح مرعب " لا هذا ولا ذاك .. هي ليست في حساباتي أصلا "

قال سيد بهدوء " لماذا إذن تنصحني بإطلاق سراح بسمة وأنت لا تفعل "
انفجر وائل بهياج قائلا " وكيف سأفعل يا غبي أنت تعرف أن الكنيسة لا تسمح بالطلاق .. "
عقد سيد حاجبيه يحاول فهم دواخله التي تبدوا معقدة أحيانا " هل تعني أنه لو كان الطلاق مسموحا لكنت طلقتها ؟".
رد وائل بثقة "بكل تأكيد ".

Des. Maryam Tamim

شعر سيد بالإحباط من رده فسأله " ألا توجد أي وسيلة للطلاق .. ارفع قضية بالمحكمة "
زفر وائل بيأس " لن يفيدنا بشيء .. اذا سمحت لنا المحكمة بالانفصال .. لن يستطيع أحد منا الزواج في الكنسية مرة أخرى .. لأنها لم تمنحنا الطلاق أصلا حتى تعترف بالزواج الجديد .. وكما تعرف ليس في بلدنا ما يسمى بالزواج المدني الزواج لدينا كنسي فقط .. وبالتالي ما الاستفادة التي سنستفيدها من الطلاق عن طريق المحكمة؟ .. لا شيء .. إذا اشفاقك عليها بطلب أن أطلقها لن يفيدها بشيء لا الكنيسة ستقبل بطلاقنا ولا طلاقها عن طريق المحكمة سيعطيها الحق بالزواج من رجل آخر .. (تنهد وأكمل بلهجة غامضة) صدقني ليس بيدي ما أقدمه لها .. خاصة وأنها غبية ولا تتحرك لطلب الطلاق "

Des. Maryam Tamim

ضيق سيد عينيه ولاح على وجهه الغباء وسأل " كيف ؟.. لم أفهم ؟ .. ألم تقل أنه غير مسموح به؟!!"

رد وائل بغيظ " هناك بعض الحالات المحددة التي تمنح فيها الكنسية الطلاق .. ومن بينها أن يثبت أحد الزوجين على الآخر ارتكابه جريمة الزنا ..وأنا منحتها هذه الفرصة بدلا من المرة اثنين وثلاثة .. لكنها كلوح الثلج .. غبية .. بلهاء لم تقم بأي محاولة من جانبها لإطلاق سراح نفسها "

سأل سيد بشك " لا تخبرني بأنك كنت تتعمد خيانتها لتترك لها فرصة لإمساك دليل لإدانتك وطلب الطلاق؟!!!!!! "

اشاح وائل بوجهه ورد بامتعاض " للأسف نعم "

اتسعت عينا سيد في مفاجأة وقال " حسبتك لا تعبأ بها "

رد وائل بلهجة ساخرة " مازلت محتفظا ببعض الانسانية في قلبي على الأرجح "

Des. Maryam Tamim

قال سيد بحماس " إذن عليك باستخدام هذا الشعور بالإنسانية بشكل أخر يفيدها "
هب وائل بانفعال يقول بلهجة محذرة " سيد !"
رفع سيد يديه مستسلما ينهي الموضوع " أعتذر .. أعتذر "

***

ما الذي حدث ؟
وما هذا اليوم الغريب ؟
كيف يمكن أن تذهب بحال وتعود بحال أخر ؟
إنها لم تعد تفهم شيئا .
حتى هذا الصباح كانت متحمسة للتحرر من كل شيء .. مقتنعة أن بضع ساعات مسروقة لن يضير ولن يعلم بها أحد.. مستعدة للانطلاق .

ما الذي ألجمها ؟ .. أو قيدها ؟!.
أجل .. كانت مقيدة بقيود خفية ..

Des. Maryam Tamim

لكنها كانت قابلة للكسر بسهولة.. لماذا أبقت عليها ولم تكسرها ؟؟؟.

أفاقت من شرودها حين شعرت أن السيارة قد توقفت في وسط الطريق .. وقد بدى على رامي التوتر ..

نظرت للساعة لقد قاربت على السادسة مساء .. عليها أن تكون في البيت قبل الثامنة وإلا لحدثت كارثة .

سألت رامي عبر النافذة الذي يقف في الشارع في تفكير " ماذا هناك؟ لماذا توقفنا ؟"

قال رامي بأسف " نفذ البنزين "

هتفت آية باستنكار " نعم !!.. ألا تراقب بنزين سيارتك لتعرف متى ستحتاج لبنزين ؟!"

نظرة رامي بغيظ لهيثم الذي يقف محرجا بجانبه ثم قال " أبلغت هذا البغل أن يملأه بنزين ونسى "

أطرق هيثم برأسه في حرج وتمتم بالأسف.

Des. Maryam Tamim

ردت ندى بارتباك " وماذا سنفعل على أن أعود بسرعة قبل أن تشعر عمتي بغيابي .. ستخبر أبي في البلدة وستكون مجزرة "

تكلمت شاهي ببرود وقد فقدت ضحكة الصباح المتسلية " لا تضخمون الأمور .. سنتصل بأحد يحضر لنا البنزين ..وننتظر .. لدينا بالسيارة ما يكفي من الماء والوجبات الخفيفة .. من الممكن أن نشاهد فيلما أو نستمع للموسيقى أنا شخصيا .. سأحاول أن أنام قليلا "

سألت آية رامي بقلق" كم سيستغرق احضار البنزين "

فرد " ساعة على اقل تقدير .. نحن عالقون في المنتصف ولا أعرف من سيسعفنا "

صاحت آية بعصبية وقد بدأت تشعر بالرعب من فكرة تأخرها واكتشاف أمرها " ما هذا السخف؟ ..

Des. Maryam Tamim

هل سنمكث هنا ساعة على الاقل؟.. سنتأخر على منازلنا ".

لم يرد رامي لكنه قد بدأ في القيام ببعض الاتصالات بينما هتفت ندى بارتباك وقد أوشكت على البكاء " سترك يا رب .. عمتي إذا تأخرت عن موعدي ستقتلني حتما"

ترجلت شاهي من السيارة وقالت بلهجة مستفزة " اسمعا .. لا أحب النكد ولا الولولة .. إن كنتما تخافا من تأخر الوقت لما جئتما من الأساس .. ما دمت أنت وهي لا تتحليا بالشجاعة فلم يكن عليكما المغامرة .. "

ترجلت آية من السيارة هي الأخرى تنتفض من العصبية وهبت فيها وهي تصفع الباب " بل اسمعي أنت يا حلوة .. أنا في أسوأ حالاتي العصبية الأن .. وعندما أكون في هذه الحالة أفعل أمورا كارثية .. فلا تجعلي إحدى هذه الكوارث تشملك "

Des. Maryam Tamim

ثم استدارت تمسك هاتفها بارتعاش تقدح زناد فكرها ..
ما الحل ؟.. وماذا تفعل؟ .. ماذا لو تأخر البنزين؟
ما المبرر الذي ستقوله في حال تأخرها ؟
لمن تلجأ ؟.

ارتدت شاهي للخلف قليلا تطالع آية من رأسها لأخمص قدميها ثم صاحت باستنكار" كيف تتحدثين معي بهذه الطريقة .. ألا تعلمين من أنا ؟!! "

وكأن آية بحاجة لمبرر لتنفس فيه عن التوتر الذي تشعر به فاستدارت ترد بشراسة وهي تضرب بكفها على غطاء السيارة "أنا أعرف من أنا .. وهذا يكفي " اتسعت عينا شاهي في عدم تصديق .. بينما تمتمت آية لنفسها " نؤمن جانب أمي أولا .. استرها يا رب "

Des. Maryam Tamim

تدخل رامي يقول بحزم " كفى يا شاهي ولا تستفزيهما.. وفكري معي من الممكن أن يساعدنا .. طلبت أثنين من الشباب ولم يردوا .. من الواضح أن اصوات الحفل صاخبة ولا يسمعون هواتفهم" ردت شاهي باستفزاز" ولما أنت جاد إلى هذا الحد.. ليست المرة الأولى التي نتعطل في الطريق .. حدث معنا ذلك أكثر من مرة وكنا نتسلى إلى أن نجد من يساعدنا "

رد رامي بهدوء" الفتاتان واقعتان في مشكلة يا شاهي تخلي عن هذا البرود قليلا "

اتسعت عيناها وردت باستنكار "أنا باردة يا رامي!! "

تنحنح رامي.. وهدر في هيثم الذي يلعب لعبة الكترونية على هاتفه حتى وهو واقف بينهم غير مبال بما يحدث .. وطلب منه أن يفكر معه في اسماء مرشحة للاتصال "

Des. Maryam Tamim

بينما طلبت آية بأيد مرتعشة والدتها وهي تبتعد عنهم قليلا .. وبادرتها تقول متصنعة الهدوء "أمي هل أبي أو أحمد بالبيت؟"

ردت إلهام" لا يا حبيبة أمك.. أبيك مازال بالخارج وأحمد اتصل منذ قليل سيتأخر مع بانة .. لمَ تسألين ؟"

ردت آية وقد استطاعت التنفس قليلا " لا شيء أنا سأتأخر قليلا حاولي أن تغطي علي في حالة لو وصل أحد منهم قبلي "

سألت إلهام " لماذا ستتأخرين يا آية ؟"

ردت آية " حدث ظرف طارئ لأحدى الزميلات .. سأخبرك التفاصيل عندما أعود "

سألت إلهام بقلق " هل أنت بخير يا آية؟ تبدين متوترة "

ردت آية بسرعة" لا لا .. أنا بخير ربما بسبب زميلتي "

سألت إلهام بقلق مجددا " ما بها ؟ .. ماذا حدث؟"

Des. Maryam Tamim

تدخلت شاهي بغل تعلي صوتها بالقرب من آية" لا تقلقي يا خالتي .. ستصل بمجرد أن نعثر على بنزين "

استدارت آية بوجه منفعل تحدق في شاهي بنظرة خطرة محذرة ثم قالت تنهي المكالمة بسرعة " علي أن أذهب الآن يا أمي وسأخبرك حينما أعود لا تقلقلي.. لا تقلقي "

ثم استدارت بوجه محتقن تتفتت من الغضب إلى شاهي وانقضت عليها فارتدت الأخيرة للخلف في رعب واضح .. لتقول آية بلهجة خطرة" هل تعلمين بما يلقبونني ؟! .. بالمجنونة .. لذا أنا أحذرك للمرة الأخيرة .. أغلقي فمك هذا الذي يقذف بكرات الثلج ..فلا أريد أن اسمع صوتك الرفيع الذي يشبه زقزقة البرص "

كتم الجميع ضحكاتهم خاصة مع تعبيرات وجه شاهي الشاحب كالموتى.. فتدخل رامي بدبلوماسية

Des. Maryam Tamim

يقول " لن نضيع الوقت في العصبية يا بنات ..
تعالي يا شاهي انتظري بالسيارة ... من فضلك "
ابتعدت آية تفكر من جديد .. ماذا تفعل ؟ خاصة
وأن رامي وهيثم لم يصلوا لأي شخص قادر على
التطوع بالمجيء .. وتم الاتفاق على أن يذهب هيثم
للبحث عن بنزين .
المشكلة أنها في صراع مع الوقت غير قادرة على
المغامرة بالانتظار لمعرفة متى سيأتي البنزين ..
وكأول شخص يمكن أن تلجأ إليه فكرت في سيد ..
لكنها تراجعت في رعب .. هذا الأمر لن يمر على
خير معه .. ولا تعرف ماذا يمكن أن يفعل بها ..
يكفي أن تفكر في أنه سيخاصمها لتتردد .. فكرت في
أمير وحين اتصلت به وجدته خارج العاصمة هو
الأخر في مؤتمر . . فكرت في عمرو لكنها تراجعت
فلا تعلم بردود فعله .. أتصلت بريان عدة مرات لم
يرد فخمنت أنه ربما في غرفة العمليات ..
عادت من جديد للتفكير في ماردها ..

Des. Maryam Tamim

الوحيد الذي سيخرجها من الورطة حتى لو كان سيقسو عليها قليلا ستتحمل .. لكنها مرتعبة حتى لو تظاهرت بغير ذلك .

***

قال وائل بملل " مادام الوضع سيبقى على ما هو عليه بينك وبين زوجتك فلم الانفعال إذن ؟"

قال سيد بضيق " على أن أنتبه لها أكثر .. وأن أحاول احتوائها .. ليس لها ذنبا أني أخطأت في زواجي منها .. أنا من علي تحمل كل الذنب .. بجملة ذنوبي التي ليس لها أولا من آخر .. أنا فقط أبحث عن طريقة تخرج آية من تفكيري .. ومن قلبي .. أحيانا تراودني نفسي اللجوء للمخدرات "

حدجه وائل بنظرة موبخة وقال " لم تفعلها وأنت أصغر وفي ظروف أصعب ستفعلها الآن وتدمر نفسك .. !! "

Des. Maryam Tamim

رد سيد مطمئنا " أنا أفضفض معك و اطلعك عما يدور بداخلي ولم أقل أني أنوي .. أنا فقط احاول البحث عن مخرج من أوجاعي "

رن هاتف سيد وبمجرد أن لمح الاسم .. كتم صوته وتركه على المنضدة .. يشيح بوجهه في محاولة للسيطرة على أعصابه المتلهفة للرد ..

ويفكر في أرسال رسالة مقتضبة أنه مشغول وسيحدثها لاحقا .. المهم ألا تلمحه وهو خارج من الخن .

لم يحتاج وائل لأن يسأل ليعرف هوية المتصل واشفق على صاحبه وهو يراه يختلس النظرات المعذبة للهاتف المضيء ويشيحها بسرعة لا هو قادر على النظر للهاتف الملح ولا قادر عن الاشاحة بوجه عنه بثقة .. يقبض قبضتيه بقوة حتى ظهرت عظام يده.

حين عاود الهاتف للإلحاح قال وائل بإشفاق وكأنه يمنحه العذر ليرد " إنها تلح ربما هناك أمرا جديا "

Des. Maryam Tamim

فلم يقدر سيد إلا على الرد عليها بسرعة بصوت تغلفه الانفعالات التي تموج بصدره .. مطرقا برأسه ويحك جبينه بحرج بعد أن وعد نفسه بالجدية هذه المرة في الابتعاد .. ومن أول اختبار فلتت أعصابه من جديد .. لكن ملامحه سرعان ما تغيرت للاحتقان والجزع .. بل إنه هب واقفا في تحفز بشكل أجفل وائل وأرعبه .

***

راقبها أحمد وهي منكمشة تتطلع من نافذة السيارة تتحاشى النظر إليه في حياء .. يسترجع تلك اللحظات الحميمية بينهما مرارا وتكرارا في عقله تدغدغ مشاعره .. بينما مذاق شفتيها الشهي إلى حد العذاب مازال عالقا بفمه .. ولم يدري هل يشعر بالسعادة لما اقتنصه منها.. أم يشفق عليها لما تبدو عليه من توتر وحرج ..

Des. Maryam Tamim

تكلم بهدوء يحاول إخراجها من دائرة مشاعرها التي تكاد تجهز عليها " لم تخبريني لمَ أتيت للورشة اليوم بالذات ؟"

استدارت وقد نفضت عنها الشعور بالازدواجية الذي لا ينفك يفسد عليها كل اللحظات السعيدة .. لتتطلع إليه بغيظ وترد ساخرة " أقدار ! "

انفجر ضاحكا بانتشاء مدغدغا ما بقي من أعصابها بتلك الضحكة التي تحطم أسوارها .. فأشاحت بوجهها المحتقن عنه تتساءل في غيظ "هل مقدرا عليها أن يشعرها ابن سماحة دائما بحزمة من المشاعر المتناقضة في نفس اللحظة؟..

مازال مشهد وجود رشا بمكتبه يغيظها .. وذلك الشعور بالراحة الذي ينتابها كلما ركبت سيارته وانطلقا سويا على الطريق يتملكها .. وتلك السعادة التي تدغدغها بسبب ضحكته المهلكة هذه ..

Des. Maryam Tamim

وتلك المشاعر الـ ..غريبة .. الـ .. مربكة .. الـ .. الحارقة دون ألم .. الـ .. معذبه بتلذذ .. الـ .. التي لا تدري كينونتها .. تحتل مخيلتها ..

وبالطبع ذلك الشعور بارتكاب فعل فاضح الذي لا يعتقها ! .
سحبها مجددا من دائرة مشاعرها حين قال بلهجة متسلية " أفكر في أن أدعو رشا لنقل مكتبها ليكون معي بالورشة .. حتى تزوريني كل يوم.. وتغارين .. وتمسكين بتلابيبي بعنف.. وتسمحين لجيوشي بالاقتراب من قلعتك الحصينة "

على الرغم من طريقته المغوية التي نطق بها جملته الأخيرة إلا أن الغيظ كان اقوى بداخلها فهتفت بوجه محتقن تضرب بكفها على تابلوه السيارة " أحمد أنا لن أسمح بأي مزاح في موضوع رشا "

Des. Maryam Tamim

طالعها بنظرات معجبة بكبريائها .. تمتزج بتسلي ذكوري .. وتكلم بشقاوة هامسا وهو يحرك عينيه بينها وبين الطريق أمامه " ماذا ستفعلين .. هل ستمسكين بتلابيبي وتنظرين في عيني بتحدي كما فعلتِ.. فتستفزي جيوشي لتتأهب لاقتحام حصونك ؟! "

كسى وجها الغباء وقالت " لم أفهم ! "

فابتسم ورد بهمس مغوي " أحب حين تمسكين بتلابيبي وتتحديني بنظراتك .. دائما ما تثيرني المرأة القوية المعتزة بنفسها .. تستفز رجولتي للنزال معها لفرض سيطرتي عليها "

ردت بانة وقد شعرت بالغيظ " ما شاء الله !.. الشعور بالفخر الذكوري لديك تعدى كل المراحل وأصبح لا يرضى إلا بأنثى قوية تسيطر عليها لتختال فخرا "

Des. Maryam Tamim

حاول كتم ضحكته لكنه لم يقدر فانفجر ضاحكا وهو يمد ذراعه خلف ظهرها يسحبها نحوه ويضمها إلى صدره .. فتحكمت في ابتسامة ملحة وأفلتت من ذراعه لتعود لمقعدها ثم صاحت بغيظ " أحمد كف عن الضحك .. وعن الحديث عن القلاع والجيوش والتفاخر الذكوري المستفز ..ووضح لي بالضبط ماذا تريد رشا وعلام تنويان " رد عليها ببساطة وهو يحرك عينيه بينها وبين الطريق " لقد أتت إلي اليوم ببعض الافكار عن تنفيذ لوحات خشبية لمعرضها تحتوي على آيات قرآنية وبعض الحكم أو العبارات الشهيرة .. لكنها تريد أن تقدم تصاميما غير تقليدية .. وقدمت بعض التصاميم التي جمعتها لتوضح فكرتها .. فاقترحت عليها أن تستخدم الخطوط العربية بطريقة الرسم بالكلمات .. وفكرت في استغلال وتنمية موهبة آية وتشجيعها على هذا الاتجاه .. فما رأيته من محاولات أطلعتني عليها ينم على

Des. Maryam Tamim

موهبة قوية جدا .. هي فقط تحتاج للتوجيه والممارسة لتثقل الموهبة لديها .. فاقترحت على رشا أن اجهز لها بعض التصاميم فإن أعجبتها سنتوكل على الله "

تمتمت بانة بعصبية فاجأته " مزيدا من الحيرة بسببك .. مزيدا من الحيرة بسببك يا ابن سماحة "

ضيق أحمد عينيه في تساؤل فأكملت بانة بغيظ " كيف من المفروض أن أشعر الآن .. بالغيظ من احتمالية لقاءك بهذه الـ رشا .. أم بالفرح من أجل آية واهتمامك بها "

ركن السيارة بهدوء بجانب الرصيف أمام أحد المطاعم الراقية بوسط العاصمة ثم مال بجذعه نحوها يفرد ذراعها على ظهر مقعدها وقال بهمس حار " أمازلت تشكين في حبي لك ؟ .. ماذا أفعل أكثر من ذلك حتى تتأكدي من أني أصبحت رغما عني ملكك يا بنت الخازن "

Des. Maryam Tamim

تسارعت ضربات قلبها بالتزامن مع اقترابه .. كل شيء فيه مغوي .. كل تفاصيله باتت تشعرها بذلك الشعور الحارق دون ألم.. فقالت وهي أسيرة لعينيه " لا أشك بك أبدا يا كونت .. فثقتي فيك مطلقة .. لكني لا أعرف كيف أخمد تلك النار التي تنشب في صدري كلما لمحت امرأة حولك "

تسارعت أنفاسه وهو يحدق في شفتيها مستعيدا طعم الشهد في فمه ثم مسد بكفه على فخذها برقة وهو يقول بهمس " ما رأيك أن نعود لشقتنا الآن ونناقش هناك تلك القضية الهامة باستفاضة "

لمسته أحالت الطقس حولها ليصبح استوائيا حارقا .. وأججت نارا جديدة عليها لم تختبرها من قبل .. أشعلتها قُبلته التي لم تهدأ بعد .. وارتعبت ..

Des. Maryam Tamim

ارتعبت من كل شيء .. من كل المشاعر التي تحكم عليها الدائرة ..

فتحركت تقول فجأة بارتباك " أنا جائعة جدا " وفتحت باب السيارة وترجلت منها تسبقه تدخل المطعم هاربة منه .. ومن نفسها .

***

هدر سيد في الهاتف بصوته الجهوري فهربت الدماء من عروقها وهو يضرب على المقود بعنف" ماذا تعني بألا أذهب إليك !!.. أنا على الطريق الآن"

دعكت آية جبينها تقول بإعياء " قلت لك لقد تصرفوا في بنزين .. وسنتحرك الآن فلا داعي لأن تأتي إلى ما دام الموضوع قد حل .. أنا أتصلت بك لأني لم أكن أعرف متى سنحصل على البنزين "

رد عليها بانفعال " وهل تعتقدين أني سأستطيع الجلوس في المنزل واتابعك عبر الهاتف وأنت خارج

Des. Maryam Tamim

العاصمة في سيارة مع شابين على الطريق وقد حل الليل !!.. "

حاولت السيطرة على شعورها بالرعب وقالت " يا سيد أنا أخبرتك أننا خمسة.. شابين وثلاثة فتيات .. ومادام البنزين قد توفر فلا داعي لأن أرهقك بالقيادة لتقابلني على الطريق "

انفجر كالقنبلة يقول " ترهقيني !! .. ترهقيني يا آية !! .. هل تعتقدي أن تأثير فعلتك هذه علي سيكون مجرد إرهاق ستمنعينه حين تمنعيني من القيادة إلي حيث تكوني الآن !!"

قالت محاولة انهاء المكالمة حتى لا تبكي على الهاتف " سأغلق الأن لأننا سنتحرك بالسيارة " هدر فيها محذرا " إياك ... إياك أن تغلقي الهاتف" وضعت يدها على فمها تكتم بكائها .. لا تحب أن تغضبه .. تتمنى الموت على أن تفعل ذلك ..

[2373]

تقدم منها رامي ينظر إليها بإشفاق .. ليجدها جالسة القرفصاء تتحدث في الهاتف وتكتم دموعها .. فانحنى إليها يقول بلهجة مواسية " هيا يا آية سنتحرك .. ولا تقلقي سأحاول أن نصل في اسرع وقت "

استقامت آية بينما هدر سيد في الهاتف فكاد أن يصيبها بالصمم وهو يقول " من هذا ؟؟؟ .. من هذا ولماذا يتحدث بهذه الطريقة الحميمية معك؟؟"

قالت آية بخفوت وهي تركب السيارة " سيد أرجوك .. أرجوك دعنا نتحدث حين نلتقي " قال وهو يحك جبينه في نوبة ضغط عالي " أبقي على الهاتف قلت وإياك أن تزيحيه عن أذنك "

Des. Maryam Tamim

بعد ساعة كانت سيارة سيد تقف أمام سيارة رامي والأول يترجل من سيارته بلهفة .. فترجلت آية هي الأخرى من السيارة تقابله غير قادرة على اطالة النظر في وجه الذي يبدو غاضبا بشكل لم تره من قبل ..

اندفع نحوها بلهفة .. وأحاط وجهها بكفيه يتفحصها برعب ثم مرر يديه بطول ذراعيها حتى امسك بكفيها المثلجتين في حركة لم تتعدى الثانيتين لكنها أجفلتها .. فحدقت بذهول في وجهه الأحمر وعروق رقبته المنتفخة يرتدي النظارة الطبية وعيناه حمراوان بلون الدم تتفحصانها من رأسها إلى أخمص قدميها .. فخمنت أنه يعاني من نوبة ضغط عالي ..

خلع سترته الجلدية وألبسها إياها بخشونة وهو يجز على أسنانه .. يصارع ماردة المرتعب من أن تكون قد تأذت .. ويتوسل لضمة واحدة .. واحدة

Des. Maryam Tamim

فقط ليطمئن أنها بخير ويمحي ذلك الخوف المطل من عينيها والذي تحاول أن تداريه بكبرياء.

نظر إلى السيارة الأخرى بنظرة تقييمية يحدد أبعاد الموقف .. وإلى رامي الذي ترجل يتفحصه هو الآخر باهتمام .. فحدجه بنظرة مخيفة .. وسحبها من ذراعها بخشونة وهي مستسلمة له .

فتح باب السيارة يلقيها في داخلها فقالت مشفقة
"سيد اهدأ أنا بخير "
وكأنها نزعت فتيل القنبلة فانفجر هادرا وهو يضرب فوق سقف سيارته بقوة " لا .. تنطقي .. بكلمة واحدة .. يا أية .. ولا تقولي اهدأ "
اندفع رامي نحوهما يقول " ماذا تفعل ؟! "
فاستقبله سيد بسرعة يمسك برقبته بيد واحدة
فصرخت الفتيات وسيد يقول بهدوء خطر " إياك أن تقترب منها مجددا "

Des. Maryam Tamim

تدخلت أية بسرعة ترفع رأسها نحو رامي الذي رغم رعبه من ذلك الضخم يقف بشجاعة أمام سيد
وقالت" لا تقلق يا رامي هذا قريبي "
وأمسكت بذراع سيد تسحب يده عن رقبة رامي .

بعد فترة كانت سيارة سيد تنهب الطريق نهبا في صمت.. فلم يقل شيئا لمدة طويلة.. يحاول لملمت مشاعره .. ويركز على إيصالها للبيت قبل أن يعلموا بفعلتها .. ويحاسب نفسه متسائلا هل تغطيته لتهورها قديما هو من دفعها لأن تقوم بهذا الجنون؟!.
اختلست النظرات إليه ولاحظت أنه يمسك بصدغه وجبينه بألم .. فقالت بخفوت " هل أخذت دواءك؟ "
صمت ولم يرد ونوبة الضغط العالي تشتد برأسه .. فأشاحت بنظرها .. ليتكلم بصوت مبحوح " أريد تفصيل لكل ثانية مرت عليك من أول ركوبك

Des. Maryam Tamim

السيارة معهم صباحا حتى قابلتك .. ولو شعرت في لحظة واحدة أنك اختزلت لمحة ستندمين يا آية أشد الندم . "

***

بعد ساعة :

فتح أحمد باب الشقة بعنف فدخلت بانة تجز على أسنانها ثم استدارت إليه تفك حجابها بعصبية وألقت به على الكرسي وهي تقول " لم أتخيل يوما أن تكون رجعيا وتنظر للمرأة بدونية "

ألقى بمفاتيحه على المنضدة بعصبية وفتح ازرار سترته يقف يطالعها متخصرا يحاول أن يتحكم في أعصابه وقال" أنا يا بانة !"

صاحت بعصبية " وكيف تفسر رد فعلك على رغبتي في العمل بغير ذلك ؟!!"

رد يجز على اسنانه " أفسرها كرد فعل لأي زوج لا يريد لزوجته أن تعمل "

هتفت بعصبية " لماذا ؟؟؟"
صاح فيها " هل سأعيد ما قلته في المطعم والسيارة مجدداً !!.. لأني لا أرى سببا يجعلك تلجئين للعمل .. هل قصرت معك في شيء؟ .. أخبريني عن كل احتياجاتك وسأوفرها لك"
ردت بلهجة معذبة "أحتاج لأن أشعر أني مستقلة .. أني قادرة على تحمل مسئولية نفسي .. ولست مجرد امرأة تطبخ وتغسل وتمسح "
ردد بذهول " مجرد امرأة تطبخ وتمسح .. هل هذا ملخص رؤيتك لحياتك معي !!.. "

شعرت بالندم على ما تفوهت به واعترفت لنفسها أنها باتت عصبية ومندفعة مؤخرا فقالت في حرج " لم أقصد هذا المعنى "

اتسعت عيناه في عدم تصديق وقال " ماذا قصدت إذن ؟؟.. هل أمي مثلا خادمة في بيت أبي ؟؟!! ..

Des. Maryam Tamim

كما أني لم أطلب منك أن تطبخي وتمسحي .. وإن كان ذلك يشعرك بالدونية فسيكون عندك غدا خادمة .. هل هذا كاف يا بانة ؟"

تمتمت بحرج تلعن نفسها .. فتأمل تخبطها قليلا ثم قال " أتعلمين أين تكمن المشكلة ؟.. المشكلة أنك لم تشعري حتى الآن أنك أصبحت زوجة .. وأشك أن لديك النية الحقيقية لذلك.. كل ما يحدث معك ينم عن هذا .. امتناعك عني .. رغبتك في العمل والاستقلالية .. وإلا لما شعرت بهذا الشعور أن حياتك هنا للمساعدة في أعمال المنزل.. "

شعرت بانة بالضيق وهتفت " لماذا تلوي ذراع الحقيقة لتثبت وجهة نظرك فقط !! .. هل كل السيدات اللاتي يعملن يفكرن كما تقول؟"

Des. Maryam Tamim

سحب نفسا عميقا ثم قال بنفاذ صبر " يا بانة أنا لست ضد عمل المرأة اطلاقا .. أن أحترم المرأة العاملة وربة البيت .. فلا تقوّليني مالم أقل .. أنا أتحدث عنك .. عن بانة الخازن .. زوجتي "

هتفت بغيظ " إذن أخبرني عن سبب مقنع لرفضك أن أعمل ؟"
ضرب بكفه على الحائط وقد خرجت كل شياطينه " لأني أحبك .. لأني أريد أن أدللك وأن أكون لك الظهر والسند .. لأني مازلت حتى الآن غير قادر على نسيان ما مررت به هنا .. وحدك .. والأعمال المرهقة التي عملت بها .. لماذا تبحثين عن الشقاء ؟ .. لماذا تستعجلين الخروج للشارع ؟.. قد تأتي هذه الخطوة لاحقا .. وإن كنت لا أفضلها .. ولكن بعد أن تستقري وأن تستريحي وبعد أن أتأكد أنك لا تفعلينها كنوع من الاستقلالية عني "

Des. Maryam Tamim

أطرقت برأسها ترتب أفكارها ومشاعرها وتلك الدوامة التي باتت تحكم حلقاتها حولها .. فاستطرد أحمد يقول ببعض المرارة " أتعلمين كيف أشعر الآن .. أشعر أني أطلب منك أن تكوني ربان على مركبي لتشاركيني القيادة وأنت مصرة على التزام دور المسافرة التي ستغادر بعد قليل"

***

تمتم سيد ذاهلا بعد أن قصت عليه آية احداث اليوم.. ولم يرحمها بالطبع من الاسئلة المدققة لكل تفاصيل الحفل .. ليقيّم حجم الفعلة الشنيعة التي فعلتها " لا أصدق !! .. مهما تخيلت مدى تهورك وجرأتك واندفاعك .. لا أصدق أنك أقدمت على أمر كهذا ..وعرضت نفسك للخطر بهذا الشكل .. وخنتِ ثقة أهلك فيك !"

أطبقت على شفتيها تحمد ربها أنها لم تخبره بأمر لباس البحر ورغبتها في التحرر من ملابسها وما إلى ذلك فمهما أخبرته بعدها أنها أحجمت عن التنفيذ

Des. Maryam Tamim

على آخر لحظة سيغضب منها بشدة وقد يحتقرها.

هدر فيها بعنف " اعطيني مبررا واحدا لما فعلتيه يا آية "

صاحت تقول " أردت الشعور بلذة المغامرة .. أردت التجربة .. أردت رؤية حفلا حقيقيا من هذا النوع .. أحسست أني لابد أن أتحرك وحدي دون خوف وأقيس مدى شجاعتي "

قاطعها باستنكار " شجاعتك !! .. هل تسمين ما فعلتيه شجاعة !! .. إنه جنون يا آية ..جنون .. كنت بدأت أتلمس فيك نضجا في الفترة الماضية .. خيبت أملي"

شعرت بالوجع يمزق صدرها .. فتمتمت باكية " كنت دائما تحتوي جموحي هذا .. وتروي فضولي .. هذه المرة خيبت أملك !"

جز على أسنانه وصاح بغيظ " ألم أقل لك أنك مجنونة .. كيف تقارنين هذه المرة بالمرات

Des. Maryam Tamim

السابقة !!.. شتان بين الحالتين .. من قبل كان فضولا مقننا وكنت أقف خلفك أخط لك الخطوط المسوح بها والغير مسموح بها .. أما هذه المرة..." قاطعته تكمل له العبارة بمرارة " هذه المرة لم تكن موجودا.. والمرات القادمة لن تكون .. هذا هو الفارق الوحيد .. لكن هذا لا يعني أني سأقف مشلولة الارادة .. سأتحرك وحدي .. سأتحرك وحدي يا سيد ولن أتلفت لأتأكد أن كنت خلفي أم لا .. سأظل أتهور وأتهور حتى أعتاد التحرك بدونك .. كالطفل الصغير الذي يتعلم العوم .. ويلقون به في الماء مرة واحدة دون معلم ..تتحرك ذراعيه بعشوائية وتخبط .. يشهق ..يبتلع الماء .. يختنق قليلا .. يسعل .. بعدها يهدأ .. ويتوازن " حدق فيها قليلا يوزع نظراته بينها وبين الطريق ويحاول الاستيعاب وسط الدوار الذي يسيطر.. بينما صدره يعلو ويهبط من الانفعال ثم هتف باستنكار "وماذا إن مات غريقا ؟!! "

Des. Maryam Tamim

ردت ساخرة "قدره أن معلمه تخلى عنه "
لم يدري هل بسبب طعنتها المسمومة توا في عمق قلبه.. أم بسبب الغضب الذي يتأجج بداخله..
لكنه أوقف السيارة إلى جانب الطريق فجأة واستدار يصرخ فيها بوجه محتقن وعينان دمويتان
" هل أنت مجنونة !! .. خبريني يا آية هل أنت مجنونة!! .. تلقين بنفسك في التهلكة.. في مغامرة غير محسوبة العواقب .. لتثبتي لنفسك أنك شجاعة .. وأنك لم تعودي بحاجة لأحد .. ..(ونقر بإصبعيه السبابة والوسطى على جانب رأسها) إن كان هذا هو رؤيتك عن النضوج فاسمحي لي .. فأنت مجرد طفلة مختلة أيتها الفارسة المغوارة ".
لم تدري لمَ انفجرت باكية فجأة بنشيج عالي تدفن وجهها في كفيها ..
هل لأنها المرة الأولى التي يغضب منها كل هذا الغضب؟ ..

Des. Maryam Tamim

أم لأنها المرة الأولى التي يجرحها بهذه القسوة دون مراعاة لحالتها النفسية التي تعيشها منذ مدة؟

أم لأنها أشفقت من منظره وخافت أن تسوء حالة ضغطه ؟..
أم لأنها رغبت أن تمتص غضبه بأن تلف ذراعيها حول رقبته تحضن رأسه الكبير في صدرها ليهدأ ويسامحها ؟..
أم لأن هذا اليوم الطويل المستنزف لأعصابها لا يريد أن ينتهي ؟.

أما هو فتألم قلبه وهو يراها تختبئ في كفيها وتبكي بحرقة .. فشتم من بين أسنانه يقاوم شفقته عليها لا يريد أن يضعف أمامها.. فما فعلته اليوم خطير .. خطير جدا ويحتاج لوقفة حازمة معها ..
تأمل جسدها الضئيل الغارق في سُترته .. وتمنى أن يكون سترة جلدية كهذه .. يحاوطها .. يدفئها ..

Des. Maryam Tamim

يحميها .. يلمسها .. وتعلق فيه رائحتها .. دون أن يلام ويتهم بالدونية والخسة .

دموعها المنهمرة وشهقاتها العالية وعاطفته نحوها تحالفوا ضد مخططه للصمود ..
فاقترب منها .. قليلا .. رغم أنه يود لو كان ذلك الاقتراب .. كثيرا .. ومال بجزعه نحوها وذراعه العضلية تلتف حول كرسيها بتشبث .. وكأنه يخشى أن تتهور ذراعه بالاستسلام لرغبة أثيرة في ضمها .. وتكلم بخفوت "لماذا تبكين الآن ؟.. لتثبتين لي أنك طفلة مختلة بالفعل.. ألم تتشدقي بالشجاعة والجموح؟ .. أين صورة الفارسة المغوارة التي رسمتها منذ قليل؟ "

رفعت إليها وجهها الأبيض مرقطا بالبقع الحمراء من أثر البكاء وقالت مستنكرة "هل تسخر مني!!"

Des. Maryam Tamim

رفع كفه دون أن يدري يهم بمسح دموعها لكنها تجمدت مفرودة أمام وجهها بإدراك متأخر .. لينزلها بسرعة دون أن يلمسها.. يقبض عليها بقوة.. متجولا بناظريه في وجهها بعذاب من هذا القرب الذي لا يتعدى شبرين .. ولون العسل أمامه مختلطا باللون الأحمر في عينيها.. وقال بصوت متأثر "ما فعلته اليوم كان تهورا غير محسوبا ... هناك فارق شاسع بين الشجاعة و التهور .. الشجاعة هي التفكير قبل الاقدام على الشيء.. والتهور هو الاقدام على شيء قبل التفكير في عواقبه .. لو تركنا العنان لرغباتنا الملحة التي نشتهيها دون دراسة عواقب الأمور .. لن نتأذى وحدنا ولكن سنؤذي معنا من نحمل لهم المحبة في قلوبنا ".

حدقت فيه برموش مبللة منتشيه بأنفاسه الدافئة قرب وجهها ..

Des. Maryam Tamim

ها قد عاد دافئا حنونا يرمقها بتلك النظرة الخاصة .. الخاصة جدا التي يخصها بها وحدها ...بينما تطلع هو في شفتيها بانفلات أعصاب لثانية .. قبل أن ينتفض ليعتدل في مقعده ويحبس مارده بقوة .. ويشغل السيارة وهو يقول بسرعة " سرقنا الوقت علينا الإسراع قبل أن يكتشفوا أمرك "

***

ضرب أحمد بقوة في الكيس الرملي المعلق أمامه .. بضربة ثانية .. وثالثة .. وعاشرة ..ينهت من فرط الإجهاد .. الجسدي والمعنوي ..يلمع ذراعاه العاريان بالعرق ..

منذ أن عاد إلى الشقة مع بانة تركها ليصعد فوق السطح ينفس بعضا من إحباطه في هذا الكيس الرملي الماثل أمامه ..

توقف بعد قليل يجفف عرقه بمنشفة .. شاعرا بالاختناق .. يريد أن يتكلم مع أحد بشأن علاقته

Des. Maryam Tamim

ببانة .. لكن هذا الأمر بالذات لن يستطيع أن يناقشه مع أصدقائه ..

ماذا سيخبرهم ؟
أنه يكتوي كل ليلة بنار شوقه إليها .. يتلوى في مضجعه .. في وصلة عذاب لا تنتهي قبل بداية الساعات الأولى من النهار؟
أنه تحول إلى مدمن منذ أن دخلت حياته .. مدمنا للتطلع في وجهها .. لرسم تفاصيلها بدقة .. لرائحتها التي يستجديها من بين الأشياء .. مدمنا لكل ما يخص .. بانة بنت الخازن .. سارقة قلبه .
أنه أحيانا تتغلب عليه وحوشه فيهب عازما أن يقتحم غرفتها في لحظة إلحاح من كرامته الذكورية .. تنتهي قبل أن تلمس يده لمقبض بابها .. ليسرع إلى لتلك اللوحة المرسومة .. منقذته .. التي تذكره بهيئتها البائسة يوم أن انفلتت أعصابه.

Des. Maryam Tamim

ولا يعلم كيف من الممكن أن يقضي الليلة في غرفته المقابلة لغرفتها .. هكذا ببساطة بعد اللحظات الحميمية التي جمعتهما اليوم في الورشة .. وطعم شهد شفتيها مازال عالقا بفمه وملمس بشرتها الناعمة لم تنساه يده بعد .. أما رائحتها فمازال يترنح منتشيا منها حتى هذه اللحظة .

لكن هناك سؤالا يلح عليه منذ فترة .. ولا يعرف كيف يجد له إجابة .. فهو بعقليته المنطقية التحليلية لا يؤمن بالصدف أبدا .. ولا يرتاح لترك اسئلة دون أجوبة واضحة .. لكنه لا يعرف أين يجد الإجابة .

مد يده إلى هاتفه وطلب والده .. فهو الوحيد الذي يستطيع أن يبوح له بمشاعره في هذا الأمر الخاص دون حرج .. فحتى لو لم يجد عنده إجابه لسؤاله .. يكفي أن يشعر بمن يتعاطف معه.

رد عليه الحاج بصوته الهادئ فسأله أحمد " هل انتهيت من جلستك مع الحاج رضوان ؟"

- "أجل ".

- "متي ستكون في البيت "

- "سأتحرك بعد قليل ..هل هناك شيء ؟"

- "لا شيء ".

- " ما بك ؟ صوتك غريب ".

- "أحتاج للتحدث معك قليلا ؟"

- "أخبرني".

- "الآن ؟" .

- "أجل الآن .. أنا أنتظر أن ينتهي الحاج رضوان من مكالمة دولية طويلة ".

سحب أحمد نفسا عميقا وقال " أنا لدي سؤالا ملحا يؤرقني منذ مدة يا أبي .. وهو لماذا ؟.. لماذا يحدث لي هذا مع بانة ؟..

هل هذا اختبار لحبي لها ؟ .. أم اختبار لنضوجي بعد فترة طويلة من الرعونة والحمق ؟ أم اختباراً

Des. Maryam Tamim

لجديتي في الالتزام وعدم الضعف أمام شهواتي سواء مع بانة أو بالبحث عن بدائل ؟.. لماذا يا أبي "
ساد الصمت بينهما فأضاف أحمد بعد قليل " إن لم يكن لديك إجابة .. فأخبرني هل أنا أتصرف بطريقة صحيحة معها؟ أم هناك أمور علي أن أفعلها لمساعدتها لتخطي عقدتها ؟ "
رد الحاج سماحة بهدوء " اسمع يا أحمد .. أنت تبلي بلاء حسنا معها وأنا فخور بك وفي تعاملك مع الموقف.. فنحن رجال ونعلم جيدا أن ما تفعله يحتاج لقوة تحكم في الأعصاب وشخصية تتحلى بالشهامة والرقي .. أما عن سؤالك لماذا ؟ (وصمت الحاج قليلا ثم استطرد) فأنا أرى أن الإجابة تشمل جميع ما سبق "
قال أحمد بحنق " لكن يا أبي ألا يكفي كل ما فعلته حتى الآن كدليل على حبي لها والتزامي الديني ونضوجي الشخصي "

Des. Maryam Tamim

صمت الحاج قليلا ثم قال " لا يا ولدي لم يكفي بعد لسداد الدين ؟"
قطب أحمد جبينه وسأل باستفهام" أي دين ؟؟"..
فأجاب الحاج بهدوء " دينك القديم يا أحمد ..
دينك من ارتكاب كبيرة الزنا يا بني" .
سرت القشعريرة في جسده وتسارعت ضربات قلبه في توتر .. لم يفكر في هذا الأمر من قبل فقال " ولكني تبت عما فعلت يا أبي .. والله وحده يعلم أني نادم أشد الندم على ذلك .."
رد الحاج بهدوء " الله سبحانه وتعالى مطلع على قلبك ويعلم ذلك .. وما أراه أنه يطهرك من الذنب يا ولدي .. فاصبر قليلا وأكثر من الاستغفار "

أطرق أحمد برأسه يستوعب وهو يشعر بالخزي من نفسه ثم تمتم " أنا مندهش أن يبقى الأمر عالقا فوق كتفي بعد كل هذه السنوات "

Des. Maryam Tamim

رد الحاج " احمد ربك أنه يطهرك في الدنيا .. وأصبر قليلا وستنال ما تتمنى .. لكن هذا لا يمنع أن زوجتك قد تكون بحاجة لاستشارة نفسية "

فرك أحمد جبينه بإنهاك يستند على سور السطح يطالع الشارع من هذه المسافة العالية وقال لأبيه " لا أدري يا أبي كيف ستستقبل بانة هذا الأمر فهي متوترة جدا في الأيام الأخيرة "

جاء صوت الحاج يقول " بالتأكيد هي تشعر بالتقصير تجاهك وتريد أن ترضيك .. كلنا نستشعر أنها تحبك ومتعلقة بك "

تجمد الدم في عروقه وهو يلمح آية آتية من أول الشارع .. ونظر في ساعته ليجدها التاسعة مساء.. فاستشاط غضبا وهو يراقبها وهي تقترب بخطوات منهكة بطيئة .

وحاول الاسراع في أنهاء المكالمة مع والده مع وعد لاستكمال الحديث حين يصل للبيت .

Des. Maryam Tamim

***

استقبلتها والدتها بقلق وهتفت " أين كنت؟ ..
الوقت تأخر وأحمد في شقته منذ ساعة "
ردت آية وهي متجهة نحو غرفتها " ها أنا وصلت أخيرا"
لحقت بها إلهام تقول " ما بك؟ هل كنت تبكين ؟ وماذا حدث لصديقتك ؟"
ردت آية بإجهاد" اعطيني فرصة يا أمي آخذ حماما وأستريح .. فاليوم كان صعبا جدا "
اشفقت عليها إلهام فردت" سأحضر لك شيئا تأكلينه حبيبة أمك .. تبدين وكأنك على وشك الإغماء "
لم ترد آية واسرعت إلى غرفتها . وبمجرد أن دخلت .. خلعت سترته التي تمنحها كثيرا من الدفء .. وتحسستها ..
تشعر بالإنهاك ..
تشعر بأن كل خلية في جسدها تئن وجعا وألما..

Des. Maryam Tamim



ما هذا اليوم العجيب ؟..
كيف بدأ وكيف انتهى ؟..
تشعر وكأنها كقطعة من القماش ألقيت في غسالة الملابس .. وتعرضت لطوفان الماء.. وحرقة الصابون .. وكبس آلة العصر ! ..
ولا تدري كيف سيكون شكلها حين تخرج وتجف!!..

إنها مستنزفة.. مجهدة .. لا ترغب حاليا في تحليل أي شيء .. ترغب فقط في حمام ساخن ثم تنسدل تحت الأغطية .. مع سُترته .. وتنام .
تحسست جلد السترة مجددا .. وتذكرت حواره معها .. وتلك اللحظات التي جمعتهما في سيارته .. في مكان خال .. بعيدا عن الأعين .. وودت لو لم تكن في عجلة للعودة للمنزل لتحظى ببعض اللحظات المسروقة الاضافية معه.

لقد اشتاقته .. اشتاقته إلى حد الوجع .. شهرا كاملا
منذ حفل الخطبة ولم تره ..
تذكرت رائحة انفاسه الدافئة قرب وجهها ودفنت
وجهها في السترة تشمم رائحته وتبكي بحرقة ...
وتتساءل .. متى ستكون المرة القادمة ..
بعد شهر أيضا أم أكثر؟ .

دخل أحمد مندفعا من باب شقة العائلة يكسو
وجهه الغضب واقتحم غرفتها دون استئذان ..
فأجفلت ورفعت إليه وجها منتفخا من البكاء ..
تطالعه بنظرات مرتعبة .. فانقبض قلبه وتحفز ..
منشغلا بمنظرها ولم يلحظ السترة الجلدية التي
وضعتها خلفها على السرير بحركة مختلسة من
يدها .
سألها بفحيح مرعب " أين كنت ؟؟؟"
مسحت دموعها بسرعة وقالت بصوت خافت
مرتبك " كنت بالكلية "

Des. Maryam Tamim

تطلع لهيئتها المريبة وقال" الكلية حتى الان !"
ردت بسرعة بتلك الكذبة التي تحيكها منذ الصباح
" إحدى صديقاتي تعرضت لمشكلة صحية "
سألها بلهجة غامضة " هل ماتت ؟"
فقالت بعينين شاردتين " من هي ؟"
رد باندهاش " صديقتك .. هل ماتت ؟ "
ردت بسرعة " لا أصبحت أفضل الحمد لله "
قال بارتياب " إذن لم وجهك بهذا الشكل؟ لم كنت تبكين ؟"
ردت بهدوء تهرب بنظراتها من مواجهة نظراته
"قلت لك كانت لديها مشكلة صحية "

تطلع لوجهها ولهدوئها وكأنها منهكة القوى.. وكأنها عائدة مهزومة من معركة .. لم تصرخ ولم تغضب كعادتها في وجهه .. ولم تتبجح بعبارات ممطوطة .. فسقط قلبه في قدميه يتساءل عن حجم المصيبة التي عادت منها للتو .

Des. Maryam Tamim

اقترب منها كالفهد الذي يقترب من فريسته وسألها مجددا وهو يغرز أصابعه في لحم ذراعها " أين كنت يا آية انطقي "

قالت بعصبية" قلت لك في الكلية "

حدق فيها مجددا والشك بداخله يزداد .. ثم بدأ يتشمم رائحة حولها .. فقرب أنفه منها قليلا يتشمم ملابسها.. عاقدا حاجبيه بتركيز يقول " ما خلطة الروائح هذه التي تحملينها في ملابسك ؟!!!"

تجمد الدم في عروقها وابتلعت ريقها وهي تتساءل أيستطيع فعلا أن يكتشف أي شيء من رائحتها؟!!! راقبت ملامحه وهو يضيق حاجبيه بانزعاج ثم اتسعت عيناها حين جحظت عيناه .. لكنها لم تستطع النطق لتسأله ماذا حدث.

شدد من قبضته على ذراعها وقال بذهول "رائحة دخان عالقة بك .. دخان سيجارة حشيش!!"

Des. Maryam Tamim

اتسعت عيناها في صدمة تحدق فيه.. بينما تسارع عقلها يحاول التفسير وهمست في سرها "هل السيجارة التي كان يدخنها هيثم في السيارة كانت حشيش ؟!! ..كيف لم ألحظ رائحتها الغريبة؟"

سقط قلبه بين قدميه وتملك الخوف منه عليها أكثر من الغضب .. غير مستوعب احتمالية أن تدخن آية الحشيش !!.. فأمسك بذقنها بعنف .. وقرب أنفه منها يشم رائحة أنفاسها .. لكن سرعان ما أطمئن من خلو أنفاسها من الرائحة .. فعاد يتشمم ملابسها مجددا وهذا الخليط من الروائح المزعجة العالقة بها التي ستحتاج منه وقتا لتمييز كل منها على حدة .. لكنه هدر فيها " انطقي يا أية من أين رائحة الحشيش العالقة بملابسك ؟ "

Des. Maryam Tamim

انخرس لسانها وارتجفت مقلتاها.. تحاول البحث عن تبرير .. غير أن إنهاكها لم يسعفها .. لكن علامات الهلع على وجهه أوقفت قلبها حين هتف مصدوما" ورائحة سيد .. رائحة سيد عالقة بك أيضا !!"

تسارعت أنفاسها وقد أصابها البله .. فهدر بصوت مرعب ملأ أركان الغرفة" أنطقي يا أية .. أين كنت ؟ .. وما هذه الروائح ؟ .. ولم رائحة سيد عالقة بك؟"

قالت بصوت هارب منها " قابلني سيد بالقرب من الحي هذا كل ما في الأمر ؟"

هم بقول شيء حين لاحظ سترة سيد الجلدية يلوح كمها من ورائها على السرير .. فاتسعت عيناه وأمسك بالسترة يرفعها أمامها قائلا " هذه سترة سيد .. هذه رائحة سيد (ثم تشمم السترة) وليس

Des. Maryam Tamim

بها رائحة الحشيش .. إذن أنت كنت عالقة بمكان واتصلت به ليأتي إليك .. أليس كذلك .. (ثم هدر بقوة وأصابعه تخترق عظام مرفقها)أنطقي يا آية" صاحت بعصبية " قلت لك قابلته بالقرب من الحي .. ورآني أشعر بالبرد فأعطاني سترته .. أما عن الرائحة فربما أحد الزملاء كان يدخن بجانبي ما دخلي أنا"

هتف باستنكار " يدخن الحشيش في الجامعة ؟!!"

دخلت إلهام بجزع تقول" ماذا يحدث يا أحمد ؟" لم يرد على والدته ووقف يحدق في أخته .. ويحلل التفاصيل في رأسه .. ثم رفع قبضته أمامها بالسترة وقال بلهجة لم تفهمها "هذا الموضوع لابد أن يوضع له حدا حالا .. انتظريني سأعود إليك بعد قليل "

Des. Maryam Tamim

وتحرك غاضبا يتخطى إلهام التي يكسو وجهها القلق والتي سألت آية برعب " ماذا فعلت هذه المرة يويا !!"

***

وقف يتطلع إلى هاتفه يتنظر أن تطمئنه أن الأمر انتهى على خير ولم يلحظ أحد تأخيرها .. لكنها لم ترسل له أي شيء حتى الآن .. وتمنى أن تساعد الحقنة التي أخذها منذ قليل في تخفيف أعراض الضغط العالي الشديدة التي يعاني منها منذ أن اتصلت به .

تحرك في الخن متوترا .. يتساءل هل عليه أن يتصل بها؟ أم يتصل بأحمد يحاول استشعار الموقف من بعيد؟ .

حتى الآن مازال الغضب يسيطر عليه ... الغضب منها .. من جنونها ..

Des. Maryam Tamim

والغضب من نفسه .. أن يكون مشلولا عالقا في المنتصف غير قادر على التقدم نحوها ليحميها من تهورها ويراقب خطواتها التي أصبحت أكثر ارتباكا من أعوام مضت .. وقد ظن وقتها أنها ستكون أقصى جموحها .. وغير قادر على الابتعاد عنها ..

الأمر صعب .. صعب ..
ولا يقدر عليه وحده ..
المارد استوحش بداخله وأنهك قواه ..
إلى متى سيظل عالقاً هكذا في عرض البحر.. لا تعرف سفنه إلى أي ميناء ترسو؟! ..
لقد تعب ..
تعب.. من كل شيء.. وأصبح في حاجة ماسة للراحة ..
من حياته .. وقلقه .. ومشاعره تجاهها ..
واحساسه بالذنب تجاه بسمة.. وندمه على قرار

Des. Maryam Tamim

أراد به خيرا للجميع فأصبح لعنة تعذبه عذابا مستمرا ..

انتبه للخطوات المتسارعة على السلم والتي تضرب درجاته بغضب . .. قبل أن يرى أحمد الذي اقتحم عليه الخن بملامح توحي بأن القادم ليس مبشرا بالخير ..

فسقط قلبه في قدميه .. هل اكتشف أمرها ؟.. هل آذاها ؟ .
تقدم نحوه ولم يخف عليه توتره .. وألقى بالسترة في وجهه بعنف .. فتحكم سيد في أعصابه وألقى بالسترة بينما بادره أحمد يقول "أين كنتما ؟"
تصنع الهدوء ورد" قابلتها بالقرب من الحي "
فقال أحمد بلهجة ساخرة " أمم قابلتها بالقرب من الحي .. ووجدتها تشعر بالبرد فأشفقت عليها من الثلاث دقائق الفاصلة بينها وبين البيت ..

Des. Maryam Tamim

فأعطيتها سترتك وتركتها تكمل طريقها .. لأني رأيتها من فوق سطح البيت تدخل الشارع وحدها .. أليس كذلك !".

رد سيد بهدوء يحاول امتصاص غضبه " قابلتها وأنا في طريقي للصيدلية واعطيتها السترة وذهبت لأخذ حقنة الضغط ."

انقض أحمد يمسك بتلابيبه ويقول من بين أسنانه محدقا في عينيه " أنطق أين كنتما ؟"..

ألحت على سيد عقد الذنب فسأله "هل تشك بي ؟"

هدر أحمد بصوت مخيف " أنطق يا سيد.. أين كانت وماذا فعلت هذه المرة ؟.. على أن أعرف حجم المصيبة .. إن رائحة الحشيش عالقة بملابسها "

Des. Maryam Tamim

أغمض سيد عينيه بقوة وزم شفتيه غير قادر على استيعاب ما اقدمت عليه حتى الآن.. ولا حجم الأذى الذي كان من الممكن أن يلحق بها لولا ستر الله . .. بينما ألح أحمد في سؤاله بلهجة تخلط بين الأمر والرجاء " أخبرني يا سيد ماذا فعلت بنفسها ؟"

أخذ سيد نفسا عميقا وقد استشعر قلقه على أخته فقال مطمئنا " لا تقلق لم يصبها أي أذى لكني لن أستطيع البوح بأكثر من ذلك .. اطمئن الوضع كله تحت السيطرة"

قبضة موجعة انفجرت في فك سيد فجأة كانت رد أحمد عليه .. قبل أن يهدر فيه بقوة " أي وضع تقصد؟؟!! .. أي وضع؟! .. وضعك أنت بهذا الحال الذي بت فيه ..تتعذب ليل نهار؟! . أم وضع أية الذي بات لا يحتمل السكوت عليه.؟!."

Des. Maryam Tamim

مسح سيد بعض الدماء من زاوية فمه بينما ابتعد احمد عنه خطوتين ثم قال بلهجة قاطعة حازمة " اسمع .. منذ هذه اللحظة .. تقطع أي صلة بآية .. هل تسمعني .. علاقتك بآية تنتهي تماما .. لا اتصالات .. ولا أحاديث.. ولا تبادل لأغاني .. ولا حتى تحية الصباح ... واذا مررت بها في الشارع فلا تلق حتى السلام ".

سقط قلب سيد في قدميه غير قادر على تصور أمر كهذا .. بينما أكمل أحمد " أنا أعطيتك وقتا طويلا لتتخلص من ورطة مشاعرك .. مراعيا كل ظروفك .. ومحترما لمقامك عندي كأخ كبير .. واستندت في هذا لثقتي الكبيرة فيك والتي أتمنى ألا تهتز أبدا .. لكن المدة طالت عن الحد.. ولن اسمح بمزيد من المط والتطويل في هذه العلاقة..

آية لم تعد صغيرة .. فإن كان الأمر مقبولا من قبل كونها صبية .. والناس يرونكما سويا منذ أن كنت تحملها فوق كتفك وهي طفلة.. ويعلمون أنك

Des. Maryam Tamim

تربية بيت سماحة .. لكنها الآن أصبحت شابة .. ولم يعد هذا مقبولا أبدا ".
شحب وجه سيد وتكلم بصعوبة يقول " هل هذا معناه أني لم يعد لي مكانا بينكم ؟!! "
آلمه قلبه لكنه رد مؤكدا " أنت تعلم أن مكانك في وسطنا ليس فيه مساومة يا سيد .. أنا اتحدث بشأن آية .. آية وحدها .. فحتى لو جلست معك على مائدة واحدة .. لا اريد أن تتبادل معها حرفا واحدا .. كأنها قطعة جماد أمامك.. ولن أتهاون في تنفيذ هذا القرار يا سيد.. حتى لو اضطررت لخسارتك وقطع علاقتي بك "

تحرك أحمد منهيا الحديث لكنه فوجئ بسيد يمسك بذراعه ويقول بلهجة متوسلة فاجأته " أحمد .. أنا أعلم أني بت صغيرا أمامك .. وأنك راعيتني في هذا الأمر على حساب كرامتك .. وأني .. كالعادة .. أخيب ظن الجميع فيّ .. وأقودهم على ما

Des. Maryam Tamim

يبدو دون أن أدري لأن يسقطوني من حياتهم عمدا .. لكن امنحني فرصة أخرى ولا تكن قاسيا علي بهذا الشكل .. امنحني وقتا إضافيا أتهيأ لهذا الأمر .. صدقني .. صدقني يا أحمد نحن لم نعد نتحدث ولا نتبادل الرسائل ولا المكالمات ... صدقني منذ أن اعترفت لك هنا بالخن ووعدتك وأنا أبذل جهودا مضنية للانسحاب تدريجيا .. فعلت ما أقدر عليه ومازلت .. لكن ما تقوله صعب.. صعب صدقني .. وما ذنبها هي بما اقترفت يداي من أخطاء ! " .

تكلم أحمد بصوت هارب منه يقاطعه " كفى يا سيد .. توقف ولا تكمل .. وأنظر لنفسك ولحالك وكيف أصبحت .. أنظر لنفسك وأنت تمشي مختالا بعرض كتفيك في الشارع والناس يفسحون لك الطريق خوفا أو احتراما.. وانظر لك الآن وأنت تتشبث بساعدي بتوسل من أجلها .. أنظر لقلبك كيف يخوض المعارك ببسالة رغم أنك لا تعلم إن

Des. Maryam Tamim

كنت ستخرج منها سليما أم لا .. وأنظر إليه كيف يصبح فيما يخصها "

حدق فيه سيد بذهول لكنه شدد في التمسك بذراعه وقال بصوت هاربا منه " ما تطلبه صعب .. صعب جدا .. فترفق بي في قرارك .. كيف ستمر من أمامي فأتجاهلها .. كيف أعاملها كجماد وهي الحياة نفسها .. "

هدر أحمد فيه مقاطعا بحزم فارتجت الجدران بصوته " سيد !! .. إياك وتجاوز الحديث معي بشأن آية .. هذا تحذير أخير لك .. اذهب وحل وثاقك مع زوجتك أولا .. ثم تعال حدثني عن مشاعرك تجاه أختي .. وقتها قد استطيع الانصات باحثا في طلبك أنا وأبي للارتباط بها .. غير ذلك فلن أتهاون في هذا الشأن معك بعد الآن (صمت لثانية ثم أكمل بنبرة أهدأ قليلا مشفقا رغم عنه على صاحبه .. يستشعر الألم الذي تصرخ به ملامحه) وبالرغم من أني لست مطالبا لتبرير قراراتي بشأن ما

Des. Maryam Tamim

يخصني أنا وأختي أمامك .. لكني سأخبرك كرامة لمكانتك عندي أني أفعل ذلك لمصلحة الجميع .. آية تستند عليك وتتحرك بتهور معتمدة على وجودك في أي لحظة لتنقذها وتفلت بعدها من العقاب .. كما حدث اليوم .. لذا عليها أن تدرك أنك لن تكون موجودا بعد الأن .. لن تكون موجودا بالمعنى الحرفي للجملة .. وأنها ستتحمل أخطاءها كاملة ..

كما أن علاقتكما باتت تسيئ لسمعتها في الحي .. فكما قلت لك من قبل لم تعودا أمام الناس طفلة وشاب .. اصبحتما رجلا وامرأة .. أخبرني كيف ستكون سمعتها حين يتقدم لها عريسا ويسأل عنها .. أترضى أن يتحدث عنها الناس بالباطل ؟ .. أترضى أن تكون سمعة الحاج سماحة علكة تلوكها الأفواه .. أنت تعرف كم يحترف الناس سوء الظن.. فكيف تقدم لهم ما يشعل مخيلتهم بكل هذا الاستهتار ..كما أن وضعك بات معيبا في حياتها

Des. Maryam Tamim

فأخبرني بماذا ستقدمك لزوج المستقبل .. بأي صفة سيصنف وجودك في حياتها ؟

بالإضافة لأني لا أراك صغيرا .. فأنا وأهلي ممتنين لما قدمته لآية من حماية ودعم في وقت حرج شاءت الأقدار أن ننشغل بمصابنا بعد ذلك الحادث الذي غير مجرى حياتنا جميعا ولم نلتفت إليها .. فكنت أنت نعم الابن ..ونعم الصديق .. ونعم الأخ .. لكن كما قلت لك الأمر معيبا شاذا من البداية وبات لا يمكن الاستمرار فيه لحظة واحدة ... كما أن هذا القرار لمصلحتك أنت أيضا .. أنت جربت أن تتحكم في مشاعرك لكنها طوال الوقت تظهر أمامك .. أنا أراقبك لا تحسبني غافلا .. كلما قطعت شوطا لا بأس به تتجسد أمامك فجأة من العدم فتذهب كل جهودك أدراج الرياح فتعود في لحظة إلى نقطة الصفر .. فدعني أنا أمارس نيابة عنك هذا الدور القاسي الذي لا تقوى على القيام به

Des. Maryam Tamim

.. ولا تنس أن هذا القرار في مصلحة زوجتك أيضا والتي لا أتصور أبدا أنها لم تكتشف بعد أنك لست بكليتك معها .. وأخيرا .. هذا القرار في مصلحتي أنا .. لأصحح ما قصرت فيه نحوها.. لأستعيد دوري في حياتها الذي تنازلت عنه لك برعونة .. منشغلا بذاتي أبكي حظي كالنساء "

إنها لحظة الوصول لحائط سد ..
فلا تستطيع المواصلة..
أو التحايل ..
أو التبرير ..
أو الالتفاف يمينا أو يسارا تبحث عن مخرج ..
فتقف عاجزا مشلولا مجبرا على الاستسلام ..
هذا ما أدركه سيد بعد أن أنهى أحمد كلامه ..
بينما استجمع الأخير رباطة جأشه متجاهلا رغم تألمه ملامح صاحبه التي تشبه من حكم عليهم بعقوبة الاعدام ..

Des. Maryam Tamim

الاعدام باقتلاع القلب حيا من أوردته ..
وتحرك مغادرا وهو كاره أن اضطر للقيام بهذا الدور القاسي ليصحح مسار أعوج منعته أمورا كثيرة للتدخل المبكر لتصحيحه .

بينما تجمد سيد في مكانه مصدوما معقود اللسان .

***

بعد قليل كان أحمد يقتحم غرفة آية مرة أخرى التي لم تكن وحدها هذه المرة فإلهام تحايلها لتأكل بينما بانة وأروى يراقبانها بعدم فهم لما يحدث فآية لم تفصح عما حدث .

رفعت إليه آية وجها مترقبا فقال بلهجة قاطعة حازمة وهو يشير إليها بسبابته محذرا " من هذه اللحظة .. انتهت علاقتك بسيد صبرة .. لا تكلميه ولا يكلمك .. ولا محادثات ولا تبادل لأغان .. ولا تلق عليه التحية حتى .. ما دمت لا تعرفين حدودك في التعامل .. فأنا من سيضع لك تلك

Des. Maryam Tamim

الحدود .. فحتى لو كان جالسا معنا في مكان واحد لسانك لا يخاطب لسانه حتى بالتحية .. واذا أردت اختبار جديتي في هذا الأمر .. جربي وستندمين "
طالعته بذهول غير مستوعبة ما يتفوه به من هراء فصاحت بعصبية " ما هذا السخف الذي تهذي به ؟!! .. لا أعرف لمَ تنفعل من علاقتي مع سيد بالذات .. حتى مجرد حديث جانبي معه أمام الجميع لا يعجبك .. (ثم شمخت بأنفها بكبرياء زائف وأكملت) لا يحق لك التدخل في حياتي ومعاملاتي .. لست معدومة الأب .. وحين يأتي أبي سا .. "
ضرب بقبضته بقوة على الباب يقاطعها هادرا بعنف أجفل الجميع " هذه المرة لن تحتمين بأبي .. وستنفذين يا آية حتى لو اضطرت لاستخدام القوة معك .. (هم بالتحرك ثم أضاف) ولا تحرجي نفسك مع سيد لأني اتفقت معه على ذلك

Des. Maryam Tamim

فعيب أن تصغري نفسك بالاتصال به ولا يرد عليك"

انتفضت تقول بذهول " سيد وافق على ذلك ؟!! .. وافق على انهاء علاقتي به تماما .. لا أصدقك !! .. أنت كاذب .. كاذب "

هدر فيها محذرا وهو يضرب بقبضته مجددا على الباب " آية !! .. التزمي حدودك .. أنا أحذرك للمرة الأخيرة "

تحرك مغادرا فلحقت به بانة تحاول تهدئته بينما وبخت إلهام آية" ما هذا يا آية .. كيف تتحدثين بهذا الطريقة مع أخيك الكبير"

تمتمت أروى بغباء " أنا لا أفهم شيئا أريد أن أفهم ماذا حدث ؟.. ما الذي حدث لكل هذا يا آية ؟!!"

لم ترد آية بل سقطت جالسة على سريرها تحدق أمامها في ذهول غير مستوعبة أن سيد وافق على ما يتفوه به أحمد من هراء .

Des. Maryam Tamim

لحقت إلهام بأحمد في الصالة تقول مستفهمة " ماذا تعني أن آية وسيد لا يتكلمان بعد الآن .. ماذا حدث ؟.. هل تنوي التفريق بين أولادي؟!! "

تحكم أحمد في الغليان الذي يضج برأسه وقال " أمي إن كنت تعتبرين سيد ابنك فهو ليس أخاها .. والناس ألسنتها لا ترحم .. وابنتك لم تعد طفلة بل باتت شابة يأتيها الخاطبين "

ردت إلهام بانفعال " من يتجرأ على نطق كلمة واحدة في حق بنت سماحة "

رد وهو يجز على أسنانه " كما نطلب من الناس احترامنا .. علينا نحن أيضا ألا نقدم لهم الفرصة لأطلاق العنان لمخيلاتهم .. فلا تجعلي حبك لسيد يا أمي يعميك عن الأصول والواجب فأنت الأصل فيها ..(وأكمل بلهجة أقل خشونة مشفقا عليها) أنا أعرف مدى حبك لسيد ولا احاول

Des. Maryam Tamim

إبعاده بأي طريقة لكني أضع حدودا فاصلة واضحة كان لابد أن توضع من قبل "

أطرقت إلهام برأسها تقيم الأمر ليتحرك أحمد مغادرا .. فارتبكت بانة لا تعرف هل تلحق به أم تبقى مع إلهام وآية لكن إلهام أخرجتها من حيرتها حين قالت " الحقي بزوجك بسرعة وسأذهب أنا لآية لأفهم أي مصيبة ارتكبت .. أحمد لا يبدو طبيعيا"

***

بعد ساعة كان أحمد يجلس واجما في شقته يحاول تركيب التفاصيل التي جمعها ليفهم حجم تلك الورطة التي أوقعت نفسها فيها .

متحاشيا عن عمد صورة نظرات سيد المتوسلة له أن يترفق به ..فزفر في عنف وتمتم لنفسه " لا أفهم لمَ لم يطلق زوجته حتى الآن مادام يتعذب بهذا القدر !"

Des. Maryam Tamim

وأخذ يفكر كيف سيتعامل معها في الأيام القادمة عليه أن يستعيدها إليه بأي طريقة .. إنها متهورة وغشيمة .. ولن ترضخ بسهولة لقراره بمنعها من التعامل مع سيد .. كما أنه لن يهدأ له بالا حتى يستوعب بالضبط تفاصيل ما حدث الليلة ..

اقتربت منه بانة .. فرفع إليها رأسه بنظرات مهمومة .. فتحركت ببطء وهو يراقبها تتقدم نحوه بتلك المنامة المضحكة التي اشترتها متوهمة أنها منامة ستجعله ينفر منها.. بدلا من منامات الخالة سوسو المذيبة للأعصاب .
قال ساخرا بمرارة " من أوحى لك يا بانة بفكرة أن منامة مثل هذه من المفترض أن تقلل من توتري في وجودك! .".

طالعت المنامة القطنية البيضاء بنصف كم وبنطال طويل مرسوم عليها بقرات بيضاء مرقطة

Des. Maryam Tamim

بالأسود تأكل حشائش خضراء في فمها وقالت وهي سعيدة بجذب انتباهه بعيدا عن همومه " إنها تحتوي على مزرعة بقر ألا ترى أمامك "
ابتسم رغم ثقل روحه وقال " وأنت اعتقدت أن هذا الشكل لن يكون جاذبا لي .. وربما تقززت من رؤيتها عليك !"
فأومأت برأسها بثقة .. فاستطرد أحمد " بانة .. أنت لا تعرفين شيئا عن التفكير الذكوري أبدا.. ولو كنت استمريت في أداء دور الذكر.. كنت ستجلبين لنا العار نحن معشر الرجال .. فمن فضلك لا تحشري أنفك فيما يخص الرجال ولا تفكري بالنيابة عنهم مرة أخرى واستشيريني "

زفرت بانة وقالت مشاكسة " تعبت ولا أعرف كيف أتصرف معك .. عموما هل أفهم من كلامك أنك أحببت بقراتي الصغيرات اللاتي أربيهن في منامتي البشعة "

Des. Maryam Tamim

اتسعت ابتسامته ومد يد وسحبها إليه لتستقر على حجره.. فتخضبت بالحمرة ليحكم ذراعه حولها ويقول بلهجة حارة وعينان متوهجتان " أنا أحبك وأحب بقراتك تلك واحدة واحدة "

استشعر انحسار توترها قليلا بين ذراعيه بينما تكلمت بانة ببعض الدلال خرج منها دون أن تدري

" أتعبتني معك .. ماذا أرتدي أمامك .. خمارا "

همس ورائحتها بدأت تتسلل إلى رئتيه فتخفف عنه عصبيته " حتى لو ارتديت خيمة رائحتك تكفي وحدها لإشعالي كل مرة "

اطرقت تضغط على شفتيها في حياء .. فشعر بتلاحق أنفاسها.. ليضمها أكثر إليه بحنان فتهمس باعتراض " أحمد " .

رد عليها وهو مغمض العينين يسند ذقنه على رأسها " دعيني استمتع بدفء بقراتك قليلا لأفكر

Des. Maryam Tamim



ماذا سأفعل مع تلك المتهورة التي لن تهدأ قبل أن تدخلني السجن "

أما آية فكانت تتجول في الغرفة ..وحيدة كالقطة الحبيسة ..
حاولت الاتصال بسيد لكن هاتفه كان مغلق ..
ما يقوله أحمد لا يمكن أبدا أن يكون صحيحا ..
سيد لن يتخلى عنها ..
حتى لو أراد أن ينفض يد منها كما شعرت كثيرا فلن يكون ذلك بتلك القسوة أبدا ..
سيد ليس قاسيا ..
ليس خائنا ..
لم تستطيع الاحتمال .. عليها أن تتأكد منه بنفسها..
فتحركت تضع الاسدال عليها وفي خلال ثوان كانت تنطلق من بوابة البيت مخترقة المقهى الذي يضج بالزبائن والذين تعلقت أنظارهم عليها فاغرين



أفواههم باندهاش .. وهي تنطلق نحو السلم العلوي حيث يكون سيد .

***

بعد فترة طويلة من الصمت الذاهل .. استقام من جلسته ..ولملم أشياء تخصه من الخن ببطء وعشوائية..
ولاعة سجائره .. مفاتيحه .. هاتفه .. وذلك الكوب الخزفي الذي أهدته إياه يوما في عيد ميلاده ولم يدري أحد أبدا أنه منها ..
حدق في الكوب قليلا بعينين ذاهلتين .. يطالع الصورة التي رسمتها بنفسها عليه وهي في الخامسة عشرة.. رسمت طفلة ترتدي فستانا أحمر يصل حتى ركبتيها وخصلات شعرها ذات اللفائف تتطاير من حولها .. ترفع رأسها وتمد ذراعا صغيرا لتأخذ بالونا من يد رجل عملاق بطول مبالغ فيه جدا .. وتذكر كم ضحكا سويا يومها على تلك الرسمة .

Des. Maryam Tamim

استدار يبحث عن (لا شيء) آخر هنا وهناك ..ليتأكد أنه لم ينس شيئا .. وكأنه مغادر لفترة طويلة ..

لمح كومه من نوتات ورقية لألحانه فضم ما في يده إلى صدره بزنده الأيسر ناحية قلبه .. ثم قبض على أوراق النوتات .. تلاها بعض الاسطوانات ودواوين الشعر.. بعشوائية .. وكومها فوق ذراعه هي الأخرى ..

على صدره ..

ناحية قلبه ..

وكأنه يسد فجوة في تلك البقعة من جسده .. بينما انفرطت باقي أوراق النوتات من يده المرتعشة تملأ أرض الخن .

ودون أن يعبأ .. داس بقدمه الكبيرة على الأوراق واتجه ناحية الباب .. ليعود مرة أخرى بعدم تركيز يحدق في .. الـ لا شيء .. يجاهد باستماتة لتحمل ذلك الوجع الحارق في قلبه ..

Des. Maryam Tamim



ما كان يخشاه قد حدث ..ومنعوها عنه .
ضربوا بكل قسوة حجابا بينه وبين صغيرته ..
أصدروا فرمانا بحجب ضوء الشمس عنه ..
لكن هذا لمصلحة الجميع ..
عليه أن يقتنع بذلك ..
أو لا يقتنع .. لا فارق !..
فرأيه فيما يخصها ليس له أي اعتبار .

أستعاد كلمات أحمد منذ قليل في رأسه علها تخفف ما يشعر به ...
لكن الشعور كان موجعا بحرقة ..
قاتلا ..
حدث نفسه يشجعها " قال من أجل مصلحتها يا سيد .. هذا من أجل صغيرتك .. أتريد أن تؤذيها بذلك الحب الذي تحمله بين جنباتك ! .. عليك التنفيذ بجدية هذه المرة من أجلها (صمت قليلا ثم تمتم) ومن أجل بسمة أيضا (ليمازح نفسه





بارتجاف بعد قليل) اثنين سعداء مقابل واحد ..
هدف يستحق التحمل من أجله يا ابو السيد "

تجمد فجأ وظهره للباب حين سمع حفيف اسدالها
فكذب أذنيه ..
إنه بالتأكيد يهلوس !!..
لن تبلغ بها الجرأة لأن تخترق المقهى وهو يضج
بالزبائن ... وتصعد إليه !.

بعد ثوان جحظت عيناه حين دنا عطرها ..
فاستدار يحدق فيها برعب وسقط قلبه أرضا ..
فطالعته بوجه مرقط بالأحمر من أثر البكاء بهذه
الهيئة الغريبة يحضن بذراعه أشياء بينما الأرض
مفروشة بالنوتات الموسيقية ..
همس سيد بحشرجة " هل جننت يا أية ؟!!.. هل
وصل بك التهور لأن تخترقي المقهى وسط الزبائن
وتصعدي إلى هنا علنا .. دون أي اعتبارات !! "

Des. Maryam Tamim

قالت بصدمة وكأنها لم تسمع منه شيئا " هل ما يقوله أحمد صحيحا؟ .. هل اتفقتما على قطع أي صلة بيني وبينك وكأننا لم نعرف بعض من قبل؟"

وضع ما يحضنه على المنضدة بجانبه ببطء.. ووقف يقبض على كفيه بقوة بجانبه .. يطالعها ويرسم تفاصيل وجهها للمرة الأخيرة مقاوما رغبة حارقة في الانقضاض عليها وسحقها بين ضلوعه وخطفها إلى أبعد نقطة على الأرض.. وأجبر نفسه على الكلام بهدوء يتناقض مع ما يشعر به " أجل ". رددت رافعة نظرات ذاهلة نحوه " هكذا ببساطة !!!.. هو قرر وأنت وافقت !!.. "

حاول أن يبحث عن كلمات تخفف ذلك الألم المهيمن على ملامحها ويكويه .. بينما أنزلت آية عينيها المصدومتين أرضا تحاول استيعاب الموقف وتقييمه .. وأدركت أنها تتشارك الوجع مع تلك

Des. Maryam Tamim

النوتات الموسيقية الملقاة بإهمال على الأرض..
فرفعت قبضتها تضرب بحركة رتيبة بطيئة على قلبها الذي يئن لتخفف الألم ...ثم رفعت عيناها إليه مجددا بنفس الحركة الرتيبة على قلبها تردد بمرارة " أنا لم أرقى حتى لمقام قطة ضالة عثرت عليها في الشارع!!"..

شدد على قبضتيه بجانبه أكتر فكاد يكسر أصابعه وأشاح بوجهه يتحاشى النظر إليها .. متمتما في سره " ليس بيدي .. أقسم ليس بيدي يا صغيرتي (ثم سحب نفسا عميقا وقال دون أن ينظر إليها) هذا لمصلحتك يا آية .. صدقيني كله لمصلحتك "

أنزلت قبضتها وهتفت باستنكار " مصلحتي !! .. أن تقطع الصلة بيني وبينك تماما هذا لمصلحتي!!"
عاودت التحديق في النوتات الملقاة على الأرض مجددا ..

Des. Maryam Tamim

تستوعب ..
تقيّم ..
تربط التفاصيل ..
تحلل ردود الأفعال ..
وتداري الوجع ..
المرارة..
جرح الكرامة ..
الشعور بالخيانة والتخلي.. والفقد .

ثم شمخت بأنفها مجددا وقالت بهدوء مستفز " علم وينفذ "
استدار إليها ليتأكد مما سمعه .. فطالعته بكبرياء وابتسمت ابتسامة باردة .. تتناقض مع معالم وجهها المرقطة بالأحمر من أثر بكاء حار سابق وقالت" قررت أن ألتزم بما اتفقتما عليه .. ليس لقناعتي بما ترونه في صالحي .. فهذا أمر أعتدت عليه منكم .. أن تقرروا وأنفذ .. ترسموا الحدود

Des. Maryam Tamim

وألتزم .. ولكن لأن شخصا ما قال لي يوما (من لم يتمسك بك بجدية يا يويا لا يستحق منك التفاتة)..

وتحركت مغادرة .. ثم وقفت فجأة واستدارت تضيف بابتسامة غريبة عليه منها " بالمناسبة .. اطمئن.. فالقطة الضالة لن تعبث في حياتك بعد الآن "

***

دخلت من البوابة تتمنى أن يدهسها قطار فيسحقها وتستريح من وجع الروح الذي يفتتها .. وتحركت تعدو على السلم كمن تهرب من الأشباح .. ففتح أحمد باب شقته يرفع نظره إليها في ذهول وهو يقول " أين كنت ؟"

منحته ابتسامة باردة مصاحبة لمقلتين شاردتين وقالت " كنت عند سيد في الخن أبلغه بقراري فيما اتفقتما عليه "

Des. Maryam Tamim

ثم تركته مواصلة صعودها نحو شقة العائلة ..
ليجن جنونه وتخرج شياطينه كلها تسبقه على السلم ليلحقوا بها ..
بعد ثوان خلعت اسدالها وألقت به على السرير
وهي تراه يدخل وراءها الغرفة ..
فاستعدت ..
ليس للمواجهة .. إن المواجهات تزعجهم كثيرا ..
ولكن للوقوف أمام القطار .. ليدهسها .. وتستريح .. وتريح الجميع منها ..

في لمح البصر كان يقف أمامها طويلا ..مخيفا ..
لكنها لم تشعر بالخوف .. فالخوف يأتينا حين نملك ما نخشى على فقدانه .. لكنها لم تعد تخشى أن تفقد أي شيء .. فكله سرابا عالقا في يدها .

قال بحشرجة مخيفة " أنت تصرين على إحالتي لشخص همجي "

Des. Maryam Tamim

رسمت الابتسامة الباردة اللامبالية وفتحت ذراعيها تقول " خذ راحتك ومارس ذكوريتك بأريحية "
رفع يده ولطمها على وجهها بعنف فحرقتها كسوط من النار لتجد نفسها ترتطم بالسجادة بقوة ضربته وطنين أذنيها لا يسعفانها لسماع نصف ما يتمتم به من شتائم ..
أمسك بشعرها في قسوة بالغة لم يعهدها في نفسه من قبل .. غير قادر على التوقف .. إنها مصرة على استفزازه بغباء منقطع النظير .. فرفع رأسها إليه لتطالعه بنفس تلك الابتسامة الباردة المستفزة ..
تقدم نفسها وجبة دسمة لشياطينه التي تتلاعب به في تلك اللحظة.. بينما دموعها الحبيسة في عينيها و الكدمة الزرقاء التي بدأت تتشكل أمامه على خدها الأبيض كادتا أن تكبحا جماحه ..
لكن آية كانت مصره على الانتحار فقالت بنظرة شامتة " أتريد أن تعرف أين كنت اليوم .. كنت في مدينة (....) في فيلا أحد أصدقانا .. كان الحفل

Des. Maryam Tamim

صاخبا .. وأخذت معي ملابس غير محتشمة أنوي ارتدائها هناك ..كان الحفل يحتوي على كل ما تتخيل من المحترم والغير محترم .. والسيارة تعطلت بنا في طريق العودة فاتصلت بسيد "
بيده الأخرى صفعها مجددا على وجهها مجددا فأفلتت من يده الممسكة بشعرها لتقع على الأرض تسعل وتبصق قليلا من الدماء .. بينما انطلقت صرخات من خلفه .. لتدخل بانة تتبعها إلهام التي أرتمت على ابنتها بجزع بينما ألقت بانة بنفسها عليه تحيط بجذعه لتمعنه من التقدم نحوها لكنه كان كالجدار يجعلها تتقهقر للخلف وهو يهدر بصوت مخيف " وماذا فعلت أنت .. أخبريني بالضبط ماذا فعلت!!!"
سألته ببرود وقد سالت دموع صامته تغرق وجهها برغم أنها لم تكن تبكي " وما الفرق ؟؟.. هل تريد تحديد نوع العقاب .. لا تشغل بالك بما فعلت ..

Des. Maryam Tamim

عاقبني بأقصى عقوباتك .. فالأمر أولا وأخيرا مس ذكوريتك العظيمة فلابد أن تثأر لها "

أطلق أحمد زمجرة مقاوما الرغبة في إلقائها من النافذة.. فتدخلت أروى صارخة باسمه تدفع نحوه كرسيها وتقبض على ملابسه لتساعد بانة التي تحاول جاهدة لتلجيمه .. بينما ألقت إلهام بجسدها علي آية تحميها وهي تبكي بحرقة وتتمتم من بين دموعها "أخرسي يا أية أخرسي "
نفض أحمد عنه بانة ودفعها بقوة لترتطم بطاولة الزينة وخلص ملابسه من يد أروى مندفعا بقوة غضبه نحوها ليركلها بقدمه .. لكن قدمه علقت في الهواء حين أمسكتها أمه بقوة أمومتها لتشل حركته تطالعه بنظرة استرحام قائلة بتوسل " أستحلفك بالله يا ولدي لا تفعلها قلبي لن يحتمل .. أخبرني ماذا فعلت وسأضربها أنا بيدي أمامك "

Des. Maryam Tamim

وكأن دلوا من الماء البارد قد ألقي عليه ليهدأ غضبه بعض الشيء فشعر بالشفقة والخزي .. الشفقة على والدته والخزي من نفسه أن اضطر أمه لأن تتوسله ... فاندفع إلى الناحية الأخرى من الغرفة يزمجر كالثور الهائج يضرب الحائط بقدمه عدت مرات في غيظ .. وكأنه يحاول تفريغ شحنه الغضب بداخله حتى لا يؤذي أحد.. متجاهلا تلك النظرة المتحدية التي تطالعه بها تلك الصغيرة المستفزة من خلف ذراع أمه .. ولم يوقفه سوى صرخات بانة وأروى وهما تمنعانه من إيذاء قدمه المصابة .

توقف بعد ثوان وهو ينهت محاولا أن يلملم أعصابه ثم قال لأية من بين أنفاسه المتسارعة " أنا سأريك يا أية كيف يكون القهر الذكوري .. سأريك كيف يمكنني أن أحيل نهارك لسواد حالك .. سأطلعك كيف يتعامل الهمج مع أخواتهم ..

Des. Maryam Tamim

سأجعلك تدركين كيف تتشدقين بكلمات لا تعلمين معناها الدقيق .. وما فعلته اليوم لن أسكت عنه .. فلنا حديث آخر فيما بعد "

صرخت أروى تقول بانفعال " ماذا فعلت يا أحمد أخبرنا لا أحد منا يفهم ماذا فعلت لكل هذا"

فجأة دخل الحاج يقول بصرامة " ماذا يحدث "

ساد الوجوم فوقف يطالعهم في جزع .. بانة وأروى وجوههم يكسوها الهلع بينما أحمد ينهت من فرط الغضب .. أما ما خلع قلبه هو هيئة إلهام المتكومة على الأرض تداري آية التي يعلو خدها كدمة وتغرق الدموع وجهها .

نظرت آية لأبيها وتغيرت نظرتها من التحدي للخوف .. لم يكن خوفا من العقاب البدني .. فلن

Des. Maryam Tamim

يكون أبدا أسوأ مما قد يفعله أحمد بها .. لكنه خوفا من أن تُغضِب شخصا يهمك .. بالضبط كإحساسها مع سيد حين تخطئ ..

اندفع الحاج نحو صغيرته بقلب ملتاع من منظرها يسأل إلهام " ماذا فعلت؟ "

بينما اختبأت آية منه في كفيها تخجل من مواجهته .. ولأول مرة منذ أن بدأ هذا اليوم العجيب تشعر بالخزي مما فعلته صباحا .. بينما ردت إلهام من بين دموعها " لا أحد منا يفهم ماذا فعلت "

اندفع الحاج نحو أحمد يقول" أخبرني ماذا حدث؟؟؟"

حدق أحمد فيه لثوان ثم مرر نظراته بين أبيه وأخته التي تخبئ وجهها في كفيها . فهدر الحاج بصرامة " تكلم يا أحمد "

Des. Maryam Tamim

رد أحمد من بين أنفاسه اللاهثة " حذرتها أكثر من مرة ألا تتعدى حدودها معي في الحديث وألا تستفزني.. لكنها مصرة على استفزازي "

رفعت آية وجهها تنظر إليه بذهول بعد أن كانت مرتعبة من اللحظة القادمة حين يخبره أحمد بكل تشفي فيها ما اقترفته اليوم .. بينما عقد الحاج حاجبيه يقول باستنكار وهو يشير إليها " تصرفت بهذه الوحشية معها لأنها تطاولت عليك في الحديث!!"

طحن أحمد أسنانه واختلس النظر إليها مرة اخرى قبل أن يجيب بنعم ..فأمسكه الحاج من تلابيبه يدفعه خارج الغرفة قائلا بصرامة " أخرج .. أخرج من هذه الشقة ولا تخطوها مجددا .. (وظل يدفعه بقوة بينما أحمد يطالعه بملامح جامدة) هيا أنزل إلى شقتك وإياك .. إياك أن أراك في هذه

Des. Maryam Tamim

الشقة مجددا .. فلم يخلق بعد من يمد يده على بناتي .. "

دفعه دفعة أخيرة نحو باب الغرفة وكأنه يدفع جدارا صلبا .. بينما الكل يراقب المشهد بترقب خاصة آية التي استمرت في التحديق فيه ذاهلة ..أن يطرد ويوبخ من أبيه بسببها .. ولم تفهم لمَ لم يخبره بما فعلت؟!! ..

وقف أحمد على باب الغرفة يجز على أسنانه .. وقد لجم وحوشه احتراما لوالده لكنه لم يقدر على أكثر من ذلك .. فضرب بيده على الباب يقول بصوت عال" سأنزل يا أبي.. سأطيع أمرك وأنزل .. لكن آية لن تخرج من البيت حتى أقرر أنا .. وهذه المرة لن اسكت لو لم ينفذ ما قلت "

Des. Maryam Tamim

ثم اندفع خارجا وهو يعرج بقدمه .. بينما جرت بانة خلفه لتلحقه .

Des. Maryam Tamim

الفصل الثامن والعشرين

رن هاتف أروى فحاولت الاعتدال بصعوبة من استلقائها على السرير .. ثم بحثت عن أي وشاح تداري به نفسها .

إنها مكالمة فيديو بالصوت والصورة من عمرو وخشيت أن يغلق بسرعة ..

نظرت لبلوزتها ذات الحمالات الرفيعة ثم استلقت على جانبها على الوسادة وأمسكت طرف الملاءة ووضعتها كالوشاح فوق رأسها يداري شعرها ونصفها العلوي كالخيمة تغلقها بيديها من عند الرقبة ولا يظهر الا وجهها ثم تنحنحت وفتحت المكالمة.

طالعها عمرو لثانية ثم هتف " سلام قولا من رب رحيم !.. ما هذا المنظر!"

ضحكت وردت " صباح الخير "

Des. Maryam Tamim

رد بدفء" صباح الخيرات كلها يا مليحة ..ماذا تفعلين تحت الملاءة آنسة أروى ؟

تطلعت إليه بشوق تود لو تلمس ملامحه على شاشة الهاتف .. إنه مشغول منذ مدة في تجهيز الشقة يحاول التسريع في الانتهاء منها غير قادر على الصبر .. كما أنه لا يزورها بل يكتفي بالمكالمات الهاتفية .

ردت أروى "خشيت أن أفقد اتصالك فاختبأت تحتها لأفتح المكالمة .. ولا أعلم أين بلوزتي .. وقد لا استطيع مهاتفتك إلا بعد ساعات لأنك مشغول جدا "

تنحنح يقاوم مشاعر ذكورية.. تضع له تصورات لما يمكن أن تداريه الملاءة وقال معترفا " أنا أدرك أني أقسو عليك .. لكني أبذل مجهودا كبيرا حتى نكون سويا في أسرع وقت ممكن ... تحمليني يا أروى فقط هذه الفترة"

Des. Maryam Tamim

تمتمت تداري شوقا يضنيها فلم تعد تكتفي بمجرد مكالمات عبر الهاتف " لا لا .. لم أقصد شيء .. لا توجد مشكلة .. أنا فقط اشرح لك السبب.. وأرجو ألا تقسو على نفسك يا عمرو تبدو مجهدا جدا " قالتها وهي تتأمل مظهره العضلي وهو يرتدي فانلة قطنية سوداء ويبدو أنه يستعد لارتداء ملابسه للذهاب للعمل .

رد عمرو بصدق "حاليا أتمنى أن يطول اليوم لأكثر من أربعة وعشرون ساعة حتى استطيع انجاز كل شيء بشكل أسرع ليأتي اليوم الذي نكون سويا فيه أنا وأنت فقط يا مليحة".

ابتسمت في خجل فتغيرت لهجته ليقول من بين أسنانه بغيظ " ولأتخلص من جنون أخيك .. انه يتعمد تعذيبي .. صدقيني .. يوميا نسهر سويا في الشقة ليعمل بنفسه على تلك الدعامات التي سيثبتها بالحوائط في الحمام وغيرها من التغييرات

Des. Maryam Tamim

اللازمة لتكون أكثر راحة لك .. ولا أعرف كيف أشرح لك كيف يستعبدني ويذلني ويتلذذ في تعذيبي .. إنه يصرف العمال ويتعامل معي كصبي ورشة يساعده .. رغم أن الفنيين موجودين لكنه يتلذذ في تعذيبي .. لم أدرك حجم اختلاله العقلي إلا الآن "
ضحكت أروى فأدخلت السعادة إلى قلبه ليكمل "
صدقيني لابد من احتجازه في مصحة نفسية في عنبر الخطرين "
ضحكت مجددا ثم تأملته خجلة من أن تخبره كم اشتاقته أو تخبره أنها على استعاد لتأخير موعد الزفاف قليلا مقابل أن تراه وجها لوجه ولو نصف ساعة .
أما هو فلم يكن بحال أفضل منها فتأملها أيضا بتلك الخصلة السوداء التي تلوح من جانب وجهها وتمتم في سره " ستقتلينني أقسم بالله .. أين أذهب منك يا أروى .. (ثم تنحنح وسأل) ولماذا اتصلت بي بمكالمة مرئية يا آنسة اروى ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت مراوغة "أنت من اتصلت لست أنا "
منحها ابتسامة تحبها ثم قال " لأني وجدت اتصالا
جاءني بعد الفجر وأنا أغط في نوم عميق أنني
تلقيت اتصالا مرئيا منك آنسة أروى .. فتوقعت
أنك ترغبين في أن أرى شيئا لكن لم أحسب أنك
ترغبين في أن أراك متدثرة بالملاءة بهذا الشكل
المخيف الذي أرعبني.. ألا تتقين الله في أولاد الناس
"!
اصدرت ضحكة مكتومة رقيقة مائعة لم تتحملها
أعصابه فقال يغير الموضوع "كيف الحال عندكم"
كسى وجهها الجدية وردت " أمي توسطت أمس
عند أبي ليسمح لأحمد بدخول الشقة.. واشعر أن
أبي لم يكن عازما على منعه لوقت طويل من
الدخول وأن الأمر كان مجرد لحظة انفعال "

سألها باهتمام "وأية ؟"

Des. Maryam Tamim

تنهدت وقالت " مازالت منزوية في غرفتها خاصة بعد أن منعها أحمد من الخروج من البيت .. أحاول تمضية الوقت معها وجرها للحديث لأعرف دواخلها لكنها كالعادة منغلقة على ذاتها بشكل معقد "

زفر ينفض عن صدره الألم وهو يتذكر حال سيد وتمتم "أتمنى من الله أن ييسر الامور "

قالت تغير الموضوع "أحببت الأغنية التي أرسلتها أمس .. كانت رائعة .. "

قال بصوت متأثر بمشاعره لم يستطع أن يداريه "نبذل قصارى جهدنا لإسعادك قبل اعتقالك آنسة أروى "

رنت ضحكتها فقال عمرو بخشونة لينهي المكالمة "تأخرت على العمل سنتحدث لاحقا ".

أغلق الهاتف وفرك جبينه يقول لنفسه " ما هذا الانفلات يا عمرو الذي لم يحدث لك من قبل ..

Des. Maryam Tamim

بنت سماحة ستقضي على رصيد حسناتك قبل أن يأتي موعد الزفاف ".

بعد قليل كان يخرج من غرفته فاستقبلته والدته كالعادة كطفل في الثالثة عليه أن يجري عليها لتمطره بالقبلات .. فاقترب منها وقبل رأسها لتبادره بالقول " أنظر لوجهك وللوزن الذي خسرته خلال شهر ونصف فقط من الخطبة .. ألا يوجد لديهم رحمة ؟!.. لمَ يستعجلون ؟؟ هل ادركوا فجأة أن ابنتهم عانس ويستعجلون زواجها؟!"
تألم قلب عمرو على والدته وعلى رأيها في أروى فانحني يلثم يدها يقول بصوت متأثر" أنا آسف يا أمي .. أنا آسف أن كسرت فرحتك بزواجي .. صدقيني سعيت سنوات طويلة للزواج من الزوجة التي تتمنيها وابعدت أروى قسرا عن مخيلتي .. لكني فشلت أن أقدم على خطوة الزواج بهذه الثقة هذه إلا معها .. واصبحت الفتاة التي تلقبينها بالعانس

Des. Maryam Tamim

خطيبتي .. لكني سأظل أتألم كلما نظرت في عينيك ووجدت ذلك الألم الذي يسكن فيه .. ولا أعرف ماذا أفعل يا أم عمرو "

تراجعت عفاف قليلا حين شاهدت ملامحه المتألمة فقالت مشفقة" أنا اشفق عليك من هذا الاجهاد"

رد عمرو بهدوء بعد أن لثم يدها مرة أخرى" لم يفرض عليّ أحد منهم أي شيء والحاج سماحة تركني أنا أحدد المهلة التي أريدها لكني متلهف يا أمي .. أريدها الآن.. حالا معي ."

اشفقت عفاف عليه رغم الغيرة التي تحرق صدرها أن يغرق ابنها بهذا الشكل المخيف في بنت إلهام .. فزفرت النار من صدرها وقالت "أتمنى أن يسعدك الله يا بني .. وحاول ألا تجهد نفسك شفقة بي .. أتألم حين أراك مجهدا وتفقد الوزن "

Des. Maryam Tamim

قال يحاول تغيير الموضوع "أنا أشتهي لصينية بطاطس.. هل يمكن أن تطبخيها على الغداء "

ردت عفاف بسرعة "بالتأكيد يا حبيبي "
فلثم عمرو يدها مرة أخرى وودعها وهو يداري ذلك الألم الذي يشعر به تجاهها ويفسد فرحته وأخذ يتمتم بورد الاستغفار اليومي في طريقه للعمل .

***

تحرك وائل من سريره بإجهاد .. لا يشعر بأنه بخير منذ مدة .. لكنه غير راغب في زيارة الطبيب مجددا ..

بحث عن مريم في الغرفة فوجدها تقف في الزاوية تبتسم وتلملم طرف فستانها الاصفر القصير ذو الفراشات البيضاء الصغيرة الذي يتناسب لونه مع شُقرتها .. ليشير إليها لتأتي إلى جانبه .. فأطاعت بهدوء تجلس بجواره قائلة "صباح الخير"

Des. Maryam Tamim

رد الصباح وقال" لا تبتعدي عني .. إبق بجواري يا مريم أنا اشعر بالبرد "

لمح التعاطف في عينيها وسمعها تقول" تبدو مجهدا وحزينا يا وائل "

تنهد متألما " أنا قلق على سيد "

سألته " كيف حاله الآن ؟"

رد بحزن " إنه صامت.. يحاول التماسك لكني اشعر بألمه .."

ردت مريم " على الرغم من تعاطفي معه لكني أرى أن أحمد كان على صواب "

رد عليها بحنق" لا أفهم لمَ الحياة معقدة إلى هذا الحد ؟!.. لمَ المشاعر تدخلنا في متاهات لا آخر لها ؟! .. لمَ لا تكون الحكايات بسيطة .. شخصان تحابا .. وتزوجا .. ولم تفرقهما الحواجز.. نقطة أخر السطر "

مسدت على ذراعه وقالت مشفقة " هكذا الحياة كلها شقاء لا يتحملها إلا ذوي الانفاس الطويلة "

Des. Maryam Tamim

في خارج الغرفة وقفت ماجدة تسند جبينها على باب غرفته ..

لقد عادت مريم ..

وعاد هو من جديد للهلوسة ..

ولا تعرف كيف التصرف ؟..

ولمن تلجأ ؟.. وكيف سيكون رد فعله إذا ما واجهوه .. لا تريده أن يتألم .. لا تريد .. خاصة وأنه أكثر سعادة منذ أن بدأ في تلك الهلوسة .. أصبحت الابتسامة تزور وجهه أحيانا ..

تحيرت ..

هل تتركه سعيدا في عالمه ؟..

أم تخرجه منه عنوة لعالم الواقع بوجهه القبيح وأنفاسه الجاثمة على الصدور ؟.

تكلمت انجيل الصغيرة فجأة من خلفها " ماذا تفعلين يا أمي ؟!!"

[2453]

انتفضت ماجدة تقول" لا شيء كنت أنوي أن اوقظ والدك .. هيا اغتسلي واستعدي للإفطار" ثم طرقت على الباب وقالت من خلفه " الافطار جاهز يا وائل .. "

بمجرد أن عادت للمطبخ .. وصلتها رسالة على هاتفها لتفتحها فوجدتها من سامي الذي كتب "شوقي إليك يقتلني يا ماجي .. أخبريني ماذا أفعل؟!.. "

زفرت ماجدة في ملل ومسحت الرسالة .. ثم وقفت تطالع حاسوبها المحمول باهتمام .. بانتظار حضور الجميع للإفطار .

***

تأمل رحمة التي تلعب بالماء كطفلة صغيرة وتشاكس زهرة .. بعد أن سحبتها للبحر دون إرادتها لفك عبوسها .. بينما تقف زهرة متكتفة تنفخ كل دقيقة في غيظ.. ولاحت ابتسامة صغيرة على زاوية فمه لم تصل لعينيه .

يعترف أن وجود الفتاتين معه في هذه الرحلة شغله لبعض الوقت عن الاختناق من دخان مشاعره المحترقة الذي يخيم على صدره..
رسالة واتساب على هاتفه طالعها ليجد وائل يطمئن عليه :

- كيف حالك اليوم ؟
- بخير الحمد لله ؟
- بخير فعلا أم تقول ذلك لتطمئنني فقط ؟"
- أنا بخير يا وائل لا تقلق .. للأسف مازلت أتنفس .. ولولا أن صداع الضغط العالي لا يُحتمل .. كنت لم ألجأ للحقنة وانتهيت وأرحت العالم من أمثالي "
- (وجه غاضب) وأين المحاضرات الخاصة بالأمل في الحياة التي تتحفني بها لسنوات طويلة!"
- "اعذرني يا وائل .. أنا اهذي حاليا من الوجع .. إنه أشبه باقتلاع قلبك من صدرك وأنت حي ..

Des. Maryam Tamim

أشبه بعملية بتر لعضو من جسدك دون تخدير .. والأفظع أنك ستصبح بعدها مشوها للأبد ."

- " لا أعرف ماذا أقول .. ولمَ الواقع بهذا الوجه القبيح "

بعد قليل كتب سيد "اذهب الآن عمرو يتصل "

رن هاتفه فرد على عمرو الذي بادره بالقول "كيف حالك يا هولاكو ألم تعد بعد؟"

رد سيد بهدوء وهو يستقيم ليتحرك بعيدا باتجاه البحر حتى لا تسمعه بسمة الجالسة بجواره " أنا بخير الحمد لله ومازلنا هنا .. قررت أن أمد الاجازة أيام أخرى "

قال عمرو بصدق" أنا قلق عليك ..متى ستعود ؟"

رد سيد بنفس الهدوء الذي يشبه هدوء ما بعد العاصفة " أنا بخير لا تقلق يا عمرو .. ليست المرة

Des. Maryam Tamim

الأولى .. تعودت .. (وتحولت لهجته للسخرية) بل أني أصبحت محترفا في التعامل مع الأمور الموجعة .. ولن يكون ما حدث أقوى من وجع تخلي أمي وأبي عني .. لذا لن يضير إلقاء المزيد من الحطب في نار الجحيم ."

رد عليه عمرو بلهجة مشفقة" لا تدري لعله خير"

اطرق سيد برأسه قليلا يحرك الرمال بقدمه ثم سأله بهمس متأجج كالجمر" كيف حالها ؟.. ألم تخبرك أروى عنها ؟"

رد عمرو" إنها بخير لا تقلق .. هادئة ومستكينة "

أومأ سيد في صمت وفرك جبينه وهو يتمتم " الحمد لله .. الحمد لله "

سأله عمرو " متى ستعود ؟.. أريد تحديد موعد عقد القران والزفاف.. ألا يكفي أنك لم تكن بجانبي وأنا أجهز الشقة ؟"

رد سيد وقد ألح عليه شعوره بالتقصير "سامحني أنت تعلم أن الأمر كان خارجا عن إرادتي "

Des. Maryam Tamim

قال عمرو بإصرار" سأسامحك حين تخبرني متي ستعود لأحدد أنا أموري "
رد سيد" لا تنتظر يا عمرو وحدد مواعيدك وسأحاول التواجد بإذن الله تعالى"
قال عمرو باستسلام " حسنا سأحدد وأخبرك .. ويا وليك لو لم تأتي"
أغلق المكالمة مع عمرو وأخذ يشاهد الفتاتين أمامه رحمة ترش زهرة بالماء والاخرى مازلت عابسة .. تقف في الماء الذي يصل حتى ركبتيها لا تتحرك وكأنها تمثال الماء .

اسبوعان ..
أسبوعان منذ تلك الليلة المشئومة التي انتُزعت شمسه من بين ضلوعه .. فانطفأت الجذوة الوحيدة القابعة خارج مدينته يستمد منها بصيصا من النور وبعضا من الدفء ..
انطفأت الجذوة .. فانطفأت الحياة معها .

Des. Maryam Tamim

لكنه يحاول التماسك ..
فكما أخبر صديقه.. لم تكن أول الأوجاع ولا الخيبات ..
شاهد زهرة تخرج غاضبة من البحر نحو الكراسي المنصوبة فوق الرمال فنظر لرحمة التي أشارت له بأنها يئست منها .
اقترب منها سيد رافعا حاجبا يقول بلهجة موبخة " هل ستظلين بهذا العبوس .. ؟"
تكتفت وقالت بغل " قلت لا تتكلم معي انتهى الأمر بيننا "
ردد باستنكار "انتهى الأمر بيننا!! (ثم استطرد بحزم) تأدبي يا زهرة الفجل وقصي لسانك هذا (ثم استدار يتحدث لبسمة) من أحضرها معنا ؟ من ؟"
ابتسمت بسمة ابتسامة شاحبة وردت " أنت "

Des. Maryam Tamim

عاد بنظراته مجددا لزهرة وقال " اذا لقد أخطأت وعليّ أن أصحح هذا الخطأ هيا سأعيدك إلى خليل "

رفعت زهرة رأسها عاليا تنظر لرأسه البعيدة وقالت "إذا كنت أحضرتني إلى هنا كي أتسلى وأمرح.. فعليك ألا تدقق على أمور تافهة كعادتك لتفقدني المتعة "

حدجها بغيظ وقال "هل سنعود لنفس الحديث من جديد ؟؟؟!!.. أنتِ بالفعل ضيعتِ بضعة أيام من المتعة التي تتحدثين عنها بسبب عِندك يا زهرة "

استقامت .. وصعدت فوق الكرسي لتتحدث معه ببعض التكافؤ في القامات وصاحت بتوبيخ " سنتحدث مرارا وتكرارا ما دمت تعشق النكد يا أبيه الخفيف "

Des. Maryam Tamim

اتسعت عيناه ينظر لبسمة ورحمة المتسليتين بلسانها الطويل .. بينما أكملت زهرة متخصرة " ما المشكلة في أن أرتدي لباسا قصيرا للبحر؟ "

رد عليها ببرود" هذا ليس قصير انه بدون الجزء السفلي أصلا "
زفرت زهرة من الغيظ وقالت بوجه محتقن " انهم ساقاي التي أريد أن أظهرهما ما دخلك أنت ؟"

رد بغيظ مماثل " دخلي أني أخيك .. ولا أسمح لأختي بإظهار ساقيها .."
فتدخلت رحمة "هذا الشورت اللاصق تحت لباس البحر جميل يا زهرة لا أفهم لمَ تكرهينه "

نظرت زهرة للشورت الملتصق بفخذيها حتى ركبتيها وقالت كأنها تتعذب "لا يوجد أي علاقة بين لون الشورت السخيف هذا وما أرتديه ..أبدو

Des. Maryam Tamim

كالحمقاء فيه .. وهذا الأبيه ليس عنده أي ذوق في اختيار ما يناسب الآنسات "

ارتجف قلبه وهو يستمع للسانها الطويل .. .. وذكرته بها.. حين كانت بنفس العمر كانت قزمة .. طويلة اللسان.. حلوة .. مُسكرة ..استحقت لقب سكاكر العيد الملونة عن جدارة ..

رد من بين أسنانه بغيظ " حسنا آنسة زهرة .. أعدك أن أشتري لك شورتا آخر بلون يتناسب مع ما ترتدينه .. حتى لا تبدين حمقاء أمام معجبيك يا نجمة الجماهير ".
تكتفت تشيح بوجهها لتقول ببرود " إذن لن أنزل البحر اليوم حتى يأتيني هذا الشورت "
زمجر من الغيظ وهجم عليها يرفعها فجأة بذراع واحد ليلقيها على ظهره متجها نحو البحر .. بينما زهرة تطلق صرخات رعب واعتراض .

Des. Maryam Tamim

دخل بها البحر قليلا وألقاها بخشونة فيه .. ووقف متخصرا يراقبها وهو يضحك..
تغطس .. تطفو .. تشهق .. تغطس .
فجأة هب يلتقطها من الماء بجزع .. فتشبثت به بقوة تشهق .. وتلف ذراعاها الصغيران حول رقبته برعب .
ولم يدري أنه هو نفسه كان يحيطها بذراعيه بقوة .. وهي تسعل على كتفه .
حين هدأت قليلا تبادل النظرات مع رحمة وبسمة اللتان اصبحتا تقفان الى جواره في الماء بعد مشاهدة ما حدث ثم قال لزهرة وهو يبعد شعرها الملتصق عن وجهها " ألم تخبرينا طوال الطريق عن بطولاتك في السباحة وتدريبات السباحة التي حصلت عليها .. وصورت لنا أننا مسافرين مع رانيا علواني ."
دفنت وجهها في رقبته دون أن تنطق حرفا وهي تتشبث به أكثر وجسدها يرتجف بشكل مثير

Des. Maryam Tamim

للشفقة بين ذراعيه ..فنظر للفتاتين باندهاش وقد أدركوا للتو أنها ادعت بطولات وهمية في السباحة .. وأن تلك الأيام التي ضيعتها دون أن تلعب في الماء متحججة بحجة لباس البحر الغير متناسق الألوان كان لتداري خجلها من الاعتراف بخوفها من الماء .. فشعر بالضيق والشفقة على أخته التي نشأت وتربت بعيدا عنه ولا يعرف عنها إلا القليل ..لكنه لا يعرف كيف يضمها تحت جناحه .. شربات تتحين كل فرصة من وجود زهرة معه لتحاول الاتصال به أو التواجد أمامه .. وهو يمقت هذه المرأة يمقتها .. لقد استطاع تخليصها من يدهم بضع أيام فقط لتلهو قليلا معهم .

بعد قليل أخذها ودخل بها في عمق الماء وهي رافضة أن تفك عقدة ذراعيها حول رقبته .. و حاول التعامل معها بحرص كشخص يتعامل مع الماء لأول مرة .. تارة يشاكسها فتصرخ وتارة يلقيها فوق

Des. Maryam Tamim

ظهره فتتشبث بقوة برقبته .. فيسبح بيها قليلا وهو غارقا في أفكاره.

من على الشاطئ جلست رحمة تراقب سيد الذي يشاكس زهرة ويهددها بإلقائها في الماء .. وكيف يتعامل مع زهرة بحنان يتنافى مع هيئته الضخمة وخشونة ملامحه ..
على صوت صرخات زهرة وضحكة سيد الخشنة تأملت بسمة الواجمة منذ أن حضروا إلى هذا المنتجع من عشرة أيام .. بعد تلك الليلة التي لن تنساها التي دخل فيها عليهم قرب الفجر.. بهيئة مريعة .. وبخطوات بطيئة .. منكسرة .. شاردة .. ولم يرد على أحد منهم .. بل تحرك في صمت نحو الغرفة الصغيرة آخر الممر التي تستخدمها بسمة لتخزين الأشياء والكراكيب .. وأغلق عليه الباب من الداخل.. وسط ذهولهما ..

Des. Maryam Tamim

حتى بسمة بعد أن حاولت كثيرا أن تطرق على الباب وتحدثه ولم يرد .. دخلت واغلقت باب غرفتها عليها .. أما هي فنامت على احدى المقاعد في مواجهة باب تلك الغرفة.. تنتظر خروجه في قلق .. ولم يفتح الباب إلا في اليوم التالي ليطلب ممرض الصيدلية ليعطيه حقنة الضغط .. وظل بعدها خمسة أيام راقدا دون حركة في سريره .. يحدق في الفراغ ولا يرد على أحد .. لا بسمة.. ولا هي .. ولا حتى صاحبه وائل الذي حضر لزيارته .

وحين جاءت الصغيرة زهرة متسللة كعادتها من بيت خليل دون أن يشعر بها أحد من أهل البيت .. شاكسته وشاكسها وعصبته وأغاظها .. واضطرته للخروج من حالة الشرود التي كان مستسلما لها .. ثم قرر أخذهم إلى ذلك المنتجع خارج العاصمة لتهدئة أعصابه.. خاصة وأن علاقته ببسمة ليست على ما يرام مؤخرا .. بل أنها ليست على ما يرام منذ أن جاءت لتعيش معهم .. هناك صمت غريب

Des. Maryam Tamim

بينهما .. ولولا أنها جربت حنانه الفطري بنفسها على من حوله لما صدقت ذلك التشنج الخفي الذي يعامل به بسمة ..

تشعر وكأنه يتصنع الملاطفة .. وكأنه يجامل شخصا.. أو يتعمد التعامل باهتمام مع شخص ما ليراعي حدود الذوق واللباقة ..

الأمر بينهما غريب فعلا ولم تفهم أبعاده حتى الآن.

***

دخلت أروى عليها لتجدها تجلس على السرير تحتضن ركبتيها إلى صدرها .. بينما شعرها الطويل مستلقي على جانب رأسها في سكون كصاحبته التي تحدق أمامها بشرود .

فقالت متصنعة المرح" أنت يا أستاذة .. ألن تساعدي العروس في أي شيء .. اعتبريني مثل أختك ؟!"

رفعت آية رأسها ببطء .. وطالعتها بابتسامة مكتئبة.. وهي تخفي بعض أوراق الرسم للناحية

Des. Maryam Tamim

الأخرى من السرير .. ثم قالت بوهن " هل حددتم موعد الزفاف ؟"

ردت أروى بعينين لامعتين وبعض الحمرة على وجنتيها " ليس بعد .. لكن عمرو أخبرني أنه سيتكلم مع أبي أن يكون خلال عشرة أيام أو أسبوعين "

ابتسمت آية وقالت بحبور " هذا خبر جميل .. ماذا كنت تريدين أن أساعدك فيه؟ .. أنا أرى أن الشقيقات من الوطن العربي يساعدوك "

ابتسمت أروى وقالت بحب " الحقيقة أن بانة تعبت جدا معي ومع أمي .. أنت تعرفين الوقت ضيق .. وأنا لن أستطيع قضاء المشاوير معهم .. المهم (وأخفضت صوتها قليلا) كنت أريد أن أشتري قميص نوم لليلة الزفاف .. أمي اشترت لي الكثير .. لكني لا أشعر أن واحدا منهم يناسب تلك الليلة .. فهلا ساعدتني في البحث على الانترنت ..

Des. Maryam Tamim

أنت تعرفين سيكون صعبا أن ألف المحال مثل باقي العرائس".

تألم قلب آية ودب بعض الحماس في صوتها لتقول " ومن لديه الطاقة للبحث في المحال وكل شيء معروض على الانترنت .. سأبحث لك في جميع الموديلات والماركات الشهيرة فقط أعطيني تصوراتك لهذا القميص ".

طالعتها أروى تشعر بالراحة أن استطاعت دب بعض الحماس فيها .. بعد الأيام التي قضتها مستلقية في حالة من الخرس .. لم يفلح الحاج ولا والدتها في إخراجها من فتورها .. حتى بدأت تخرج من غرفتها منذ بضعة أيام .. لكنها لم تستعد طبيعتها بعد .. ولا تعتقد أنها ستعود إلى طبيعتها قريبا .. ما حدث تلك الليلة كان صعبا وقاسيا على الجميع .. وأحمد أخبرها بشكل سري عن رحلتها

Des. Maryam Tamim

المتهورة .. لكنها تشعر أن الأمر أكبر من ذلك .. وخاصة بعد إصرار أحمد أن تقطع صلتها تماما بسيد .. فلو كان الأمر يتعلق فقط بكونها تعتمد على سيد لماذا يصر أحمد على قطع العلاقة بينهما بهذا الشكل العجيب والغير مبرر؟؟!! .. تشعر أن أحمد لم يخبرها بالقصة كاملة .. وعمرو يراوغ تشعر بذلك جيدا حين سألته عن تفاصيل الموضوع ..

كما أنها تشعر أن حالة آية لا تقف عند حد تعلقها بشخص عزيز عليها .. لكن المشكلة أن تلك العنيدة صعبة البوح قليلة التعبير عن مشاعرها ..

تحركت آية تلملم أوراق الرسم والأقلام ولفت اللوحة التي كانت ترسمها منذ قليل .

حيث رسمت بالكلمات على شكل قلب متآكل من الجانب الجملة الغنائية :

وما أنا بالمصدق فيكَ قولا

[2470]

ووضعتها في ذلك الجارور المجاور لسريرها والذي يحتوي على كثير من الأسرار .
وقالت لها وهي تفتح هاتفها لتبحث على الانترنت " اعطني مواصفات القميص "

***

دخل أحمد يديه في جيبه يبحث عن بانة المشغولة هذه الايام مع والدته وأروى .. ولا يعرف هل عليه أن يستريح قليلا لأنها مختفية عن ناظريه أم عليه أن يبتئس لذلك الشوق الذي يضنيه ..

اقترب من والدته التي تقف ساهمة وسط الصالة تفكر .. ثم تكتب في ورقة تمسكها.. فاقترب من

خلفها يقول بجانب اذنها ببطء شديد وفحيح مرعب " مـاذا تفعلـــين يــا إلهـام "
انتفضت إلهام تبسمل وتحوقل ثم قالت بغيظ " ألن تكبر على تلك التصرفات الصبيانية " .
سألها بفضول " ما هذه القائمة التي في يدك "
ردت بذهن مشغول " أدون الأشياء التي تحتاجها أروى قبل الزفاف اشعر أن عمرو سيفاجئنا بموعد قريب ..
مط أحمد شفتيه بغير رضا.. فأمسكت إلهام بذراعه تقول " أحيانا أخشى أن يغير عمرو رأيه بسبب والدته "
زفر ورد بغيظ " لن يغير رأيه يا أم أحمد اطمئني إنه لاصق كالغراء بارد كلوح الثلج .. سمج إلى حد ال....."
قاطعته إلهام تقول " أنا أتحدث بجدية .. (ثم اخفضت صوتها) أنه لا يأتي إلا نادرا وإذا أتى يقف معها على الباب ولا يدخل .. كما أني توقعت لأنه

Des. Maryam Tamim

ملتزم أن يطلب أن يعقد القرآن فورا .. لكني فوجئت أنه ملتزم بخطبة عادية ... وأخشى أن يكون يجرب فقط وليس جادا بشكل كافي "

شعر أحمد بقلق والدته فاشفق عليها فأجاب " لا تقلقي يا أم أحمد .. أنه لا ينام سوى سويعات حتى ينتهي في الشقة رغم أن مهلة الثلاث اشهر التي وعد بها لم يمر منها سوى شهر ونصف .. وأنا اتكفل بالواجب في تعذيبه .. اقصد .. في مساعدته في تجهيز الشقة بشكل يتناسب مع ظروف أروى"
فقالت إلهام بإصرار " ولمَ لم يعقد عليها بدلا من الخطبة ؟"
مط أحمد شفتيه وتمتم من بين أسنانه " ماذا سأقول لتلك المرأة المسكينة التي تظنه شيخا بينما هو يفقد أعصابه كلما رأي ابنتها (أجلى صوته يقول)طائر أبا قردان هذا لا يعرف سوى الأبيض أو الأسود يا أمي .. إما زواج أو لا زواج .. لا يستطيع أن

Des. Maryam Tamim

يتكيف في منطقة وسطى مثل بعض الناس ..
عموما لا تقلقي غالبا سيتحدث مع أبي خلال
اليومين القادمين لتحديد موعدا للزفاف "
ابتهجت إلهام لهذا الخبر .. فسألها عن آية لترد
بإشفاق " مازالت منزوية في غرفتها .. ألن تصالحها
يا أحمد؟ "
كسى وجهه الجدية ورد " ثقي في يا أمي ابنتك
تطاولت علي في الكلام بالكثير فأفقدتني أعصابي ..
عموما أتركي الأمر لي كما تركه أبي ولا تقلقي .. "
سكتت إلهام غير مقتنعة تشعر بالألم ..بينما تحرك
أحمد يبحث عن بانة التي وجدها بالمطبخ ..
فاقترب منها مبادرا بلهجة معترضة" هذا الأمر لا
يمكن السكوت عليه وسيتم اللجوء للتحكيم
الدولي وإلا فهي الحرب "..

طالعته بابتسامة مشرقة سرقت أنفاسه .. فرسم
تفاصيلها بعينيه في ذلك الرداء الرياضي الأسود

Des. Maryam Tamim

بخطين أبيضين على جانبي هذا القوام المعذِب
وهي تقول " لمَ ستلجأ للتحكيم الدولي .. ماذا
حدث ؟"
رد بغيظ " حدثت تحرشات حدودية من جانب
دولتكم الرشيدة على دولتنا الموقرة .. كنا اتفقنا
على ترسيم الحدود بيننا وألا يتم الإغارة من دولة
على الأخرى ..واحترام سيادة واستقلالية كل طرف
.. لكن ما حدث اليوم يعتبر تحرشا واضحا وصريحا
.. وربما قاد الدولة المتحرش بها (وأشار لنفسه)
بالهجوم على الدولة المتحرشة (وأشار إليها)
واقتحام الحدود الدولية"
علت ضحكتها و ردت " حسنا دولتنا الموقرة
ستقدم اعتذارا رسميا لدولتكم "
رد عليها بلهجة ذات مغزى " وأنا سأقدم احتجاجا
شديد اللهجة للأمم المتحدة .. وسأخطر
المخابرات في بلدي لتفشل مخطط بلدكم للقضاء
على شاب وسيم ليس له مثيل مثلي "

Des. Maryam Tamim

علت ضحكتها من جديد فارتجف قلبه بينما قالت بانة " أخبرني أولا عن الجريمة التي ارتكبناها في حق دولتكم الموقرة ؟ "
اقترب منها يقول بصوت خافت " هل تعتقدي أن أعصابي قد تتحمل رؤية شيئا قاتلا كهذا "

وأخرج من جيبه قطعة من ملابسها الداخلية.. فهربت الدماء من وجهها وأطبقت على ساعده بسرعة تنوى اختطافها منه بحرج .. فأفلت يده منها.. وأعاد القطعة لجيبه..
لتتمتم بحرج " أين .. أين وجدته ؟؟؟؟؟ "
رد بحاجب مرفوع " وجدته.. وانتهى الأمر "
قالت بصوت هارب منها " لا أعرف كيف وقع في يدك !! "
ولم تحتمل فدفنت وجهها في كفيها بحرج شديد.

Des. Maryam Tamim

ابتسم لمنظرها ومال عليها ليهمس بحرارة
"أخبريني أولا هل له توأم ؟"

رفعت وجهها إليه بملامح تنم على صعوبة في
الفهم لمعنى سؤاله " نعم ؟!!.. من لديه توأم؟!!"

قال وهو يخرج القطعة مرة أخرى من جيبه ..
فحاولت خطفها .. لكنه أفلت منها مجددا يرجع
للخلف قليلا ورد بتسلي " هذه الأشياء تأتي توائم
أي مصاحبة لقطعة ثانية مشابهة لها في الشكل..
والموديل .. والفكرة الأساسية التي تطرحها للنقاش
.. (أكمل ببطء وهو يراقب تدرج علامات
الاستيعاب على وجهها حتى وصلت لجحوظ في
العينين واقتراب وشيك من الإغماء) فهل .. لديه
توأم .. أم .. إنه .. وحيد .. مثلي "
حدقت فيه متسعة العينين لثوان ثم هتفت
بتوبيخ "أحمد !"

Des. Maryam Tamim

رد في حنق " فيم أخطأ أحمد الآن ؟!!! .. لقد عقدنا المعاهدات .. ورسّمنا الحدود بين البلدين .. واتفقنا على أن تحترم كل دولة حدود الدولة الأخرى فإذا بي أجد هذه القطعة أمامي (ونظر للقطعة المكورة في قبضة يده بملامح معذبة) .. إنها استفزازات من جانبكم تستدعي إعلان الحرب .. فهل أنت على استعداد لاستقبال جيوش دولتنا .. لدولتكم المذيبة للأعصاب بأسلحتها الفتاكة هذه "

شعرت بانة باشتعال وجهها وأعصابها تريد أن تضحك وتبكي في نفس الوقت ..اقتربت تحاول الامساك بالقطعة .. فرفعها عاليا وأحاط بخصرها بالذراع الآخر مستغلا فرصة اقترابها.. لتقول وقد أوشكت على البكاء " أحمد أعطيني إياه ولا تحرجني أكثر من ذلك ".

فهمس " أريد تعويضا "

[2478]

طالعته بعدم فهم فأكمل بحرارة " أريد تعويضا من دولتكم الموقرة على ما اتلفتموه من أعصاب دولتنا بهذا السلاح القاتل ".

همست باعتراض تحاول فك ذراعه من حولها "أحمد نحن بشقة العائلة "..

حررها فجأة وتحرك يغلق باب المطبخ ثم اقترب مجددا يشدها إليه فالتصقت بصدره العضلي ولفحتها أنفاسه وهو يهمس أمام شفتيها " أنا أعلم أين نحن بالضبط .. لكني لن أستطيع أن أطلب ما أريد في شقتنا .. فلم أعد أضمن نفسي "

تمتمت بكلام غير مفهوم وهي أسيرة لعينيه ودفئه .. فأحكم ذراعيه حولها يلصقها به أكثر فأكثر .. ويحني رأسه ليدفن وجهه في رقبتها يتشممها بعشق ..

[2479]

تلك الرائحة التي عذبته أيام طويلة ولم يصدق أنها أبدا لذكر .. حين استشعر استكانتها في حضنه وكفها المفرود على صدره دون تشنج رفع وجهه إليها يرسم تفاصيلها بتمعن.. ثم مال ليطبق على شفتيها بشوق مصحوب بأنين متوجع خافت ألهب مشاعرها .. فاستقبلت الشكوى التي أطلقها بين شفتيها .. وتألمت لما باحت به شكواه من شوق وعذاب..

لكنها مازالت غير قادرة على المنح .. غير قادرة على التصرف معه أو مع دائرة مشاعرها المحكمة حولها بقوة .

إنها نفس اللحظة تتكرر من جديد ..

يلجمها ..

يأسرها ..

يدغدغ مشاعرها ..

يشعل النار في كل خلية فيها ..

[2480]

ثم يمد لها يده يدعوها للقفز معه من طائرة محلقة في السماء .. يطمئنها أن تثق به وأنه لن يفلتها .. ويعدها بمغامرة لن تنساها للطفو فوق السحاب ..

لكنها ترتعب ..

تجبن ..

وتتقهقر للخلف ..

فتستسلم للفرار .

بعد قليل أطلق سراح شفتيها وتبادلا الانفاس العالية.. ثم ألصق جبينه بجبينها يضم وجهها بين كفيه .. محدقا في عينيها من هذه المسافة الصغيرة جدا يلملم أعصابه .. لا يعرف هل يصبرِّ نفسه بما يناله منها كلما وصل لأقصى مدى من طاقة احتماله أم يعذب نفسه بذلك الفتات الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ! .

Des. Maryam Tamim

شعرا بتحركات في الممر فأطلق سرحها واستعد للمغادرة .. لتقول بهمس وقد تخضبت بالحمرة " ألن تعطيني ما يخصني ؟".

ربت على جيبه المستقر فيه القطعة وقال بحاجب مرفوع " تم التحفظ على الدليل .. لحين استعادت ما سرقتيه مني .. قلب أحمد سماحة ..أيتها السارقة"

***

بعد عدة أيام :

فتحت أروى الباب وتحركت بكرسيها لتجده ماثلا أمامها بجزعه الطويل وملابس العمل الرسمية التي تزيده حُلّاتها أناقة .

Des. Maryam Tamim

بينما لمعت عيناه يتأمل طلتها الملكية وسطوة حضورها حتى في ذلك الاسدال القطني البسيط الذي ترتديه .

قال بخفوت " كيف حالك؟ "
تمتمت في سرها " اشتقت لك إلى حد الجنون (ثم أجلت صوتها لترد) بخير الحمد لله .. هل ستدخل أم ستظل على الباب ككل مرة ؟"
ابتسم يقول " عندي التزامات ليس لها أول من آخر تريد أن تنجز قبل الزواج "
قالت مشفقة "ألا يساعدك أحد؟"
رد عليها " وائل يساعدني على قدر حالته الصحية وسيد كما تعلمين مازال خارج العاصمة وإن كان قد أرسل لي بعض صبيانه ليساعدوني .. أما أحمد فيساعدني في الشقة وانتهى أمس من معظم قطع الأثاث .. عليك أن تريها يا أروى كل قطعة رغم بساطتها وعدم تكلفها رائعة .. رغم أني شاهدت

Des. Maryam Tamim

الكثير من الأعمال الخشبية التي صممها خلال معرفتي به لكن هذه المرة أشعر أن بها شيئا مميزا لا أعرف ما هو ".

قالت وهي ترسم تفاصيله بعينيها "إنه الحب .. الحب وحده يحول أي شيء جامد صامت لشيء مميز يتحدث عن نفسه "
تأملها مجددا ثم اجبر نفسه على كسر نظراته وقال بحرج وهو يخرج من جيبه قالب شكولاتة " مررت لأعطيك هذه " .

أخذت ثانيتين غير قادرة على تحريك نظرها عن وجهه ثم طالعت قالب الشكولاتة وهتفت بابتهاج كالأطفال" إنها مستوردة .."
أخذتها من يده فلم يقدر على منع نفسه من لمس ظاهر يدها بإبهامه لثانية ثم أبعدها بسرعة فأطرقت أروى برأسها قليلا سعيدة بلمسته.

Des. Maryam Tamim

فجأة خرج أحمد من خلف أروى يقول "هل أحضر كأسين من الليمون !"

اعتدل عمرو في وقفته وقال من بين أسنانه "وشمسية من فضلك ولا نريد ازعاجا "

رد عليه أحمد " اخرس .. هذا بيت محترم .. وهذه اللقاءات على السلم لا تريحني أبدا.. ولا أقبل بها " زفر عمرو ونظر في ساعته وقال" باقي أيام وكل ما فعلته معي سيرد لك .. مضطر أن أمشي يا أروى (حدق فيها لثانيتين قبل أن ينزل على السلم ثم استدار يشير على أحمد ويضيف) بالمناسبة اعرضوه على طبيب نفسي .. اعتقد أن احتجازه في مصحة نفسية سيكون في مصلحة الجميع "

***

Des. Maryam Tamim

قالت آية على الهاتف " لا أعرف يا كريستين متى سيُفرج عني أنا سأنفجر من الغيظ .. لكني كنت في حالة سيئة الفترة الماضية .."

- اتصلت بك أكثر من مرة كان هاتفك مغلقا.
- لم أكن على استعداد للحديث مع أحد .
- وكيف تشعرين الأن ؟
- (تنهدت آية) أشعر كمن فقد عاموده الفقري .. ويمشي خاويا يترنح غير قادر على الاستقامة .

- اقشعر بدني يا آية.. ما هذا التعبير !! .. أنت لديك أب ولديك أخ الحمد لله .. حتى لو كنت مختلفة مع أخيك لا أتوقع أن يتخلى عنك أحمد إذا كنت بحاجة إليه ."

- "صدقيني يا كرستين الأمر معه لم يكن بهذا المعنى ... أنا لم أشعر أبدا أني يتيمة .. ربما شعرت بالوحدة .. ربما شعرت أنهم لا

Des. Maryam Tamim

يفهمونني .. لكني لم أشعر أبدا أن أبي قد يتخلى عني .. ربما توقعت هذا من أحمد أحيانا.. لكن ما فعله تلك الليلة عندما لم يخبر أبي عني أربكني ولم أفهمه حتى الآن .. عموما لست أفتقر للحماية حتى يمنحها لي سيد .. الشعور مختلف تماما "

- وماذا بعد ؟

- (تنهدت في حزن آية) لا تشغلي بالك .

- إذن هذه النهاية مع سيد !.. لم أصدق أبدا أنهم من الممكن أن يجبروك على قرار بشأنه وكنت أخشى من تهورك .. هل تعقلت فجأة يا فتاة !!.

- لم أتعقل .. الأمر لم يعد قرارهم بعدم التعامل مع سيد ..الأمر أصبح أن سيد لا يريد أن يتعامل معي .. (اختنقت بالبكاء) تخلي عني يا كريستين .. هكذا ببساطة .. نفض يدي من يده

Des. Maryam Tamim

وتركني وذهب ولم يلتفت حتى خلفه .. دون حتى وداع .. دون مواساة .. دون مبررات زائفة يخبرني بها وأدرك أنها كذلك لكني أصدقها لأخفف عني الألم .. دون أي شيء ."

(تنهدت) اسمعي أنت تعرفين أني ضد علاقتك مع سيد لأنه متزوج لكني صدقا لا أصدق أن سيد حتى لو كان يبغضك ينهي الأمر بينكما بهذه القسوة .. هناك أمرا ما غير مفهوما ."

أجهشت آية بالبكاء متمتمة" أيا كان التفسير .. لقد ذهب وانتهى الأمر .. وأنا لن أكون أبدا كالقطة الضالة التي تفسد عليه حياته . "

قالت كريستين بشفقة " لا تبك يا آية ارجوك .. .. ماذا عن ريان هل اتصل بك ؟"
مسحت آية دموعها وقالت " يبدو أنه أتصل كثيرا بعد تلك الليلة .. وعندما وجد هاتفي مغلقا جعل

Des. Maryam Tamim

منة تتصل بالبيت وأخبرتها أمي أني مريضة .. وحين فتحت الهاتف اتصل أكثر من مرة وأرسل لي رسائل .. لكني لست مستعدة للحديث مع أحد"

ردت كريستين بشفقة " تماسكي يا آية أرجوك ولا تنهاري هكذا ."
قالت وهي تمسح دموعها " سأتماسك لأني لن أسمح لأحد أن يهزم آية سماحة مهما كان ."
بعد قليل دخلت آية إلى الشرفة بخطوات بطيئة تخلو من دلال كانت تحترفه .. لكنها انحنت لتطبع قبلة مفاجئة على خد أبيها الذي كان يطالع الجريدة .. فابتسم في حنان يطالعها من وراء نظارة القراءة المثبتة أعلى أنفه وسألها " كيف حالك بابا؟"
ابتسمت ابتسامة فاترة وسألته " متى سيفك حبسي يا أبي أريد أن أذهب للكلية .. الامتحانات على الأبواب "

Des. Maryam Tamim

رد عليها من خلف النظارة " تكلمي مع أحمد في هذا الأمر "

هتفت بحنق " أبي ! "

فرد عليها بنظرة ماكرة " إذن أخبريني ما تخفياه عني أنتما الإثنين "

ارتبكت وتكلمت مدعية عدم الفهم " ماذا تقصد؟ .. لا نخفي شيئا "

استمر في التحديق فيها من فوق نظارة القراءة لثوان ثم قال " هل تعتقدين أني صدقت أنه انفلتت أعصابه بهذا الشكل لمجرد أنك تطاولت عليه في الحديث .. !!"

انتفضت من مكانها تقول بحنق " أنت تسلمني له لقمة سائغة بهذا الشكل يا أبي ".

رد عليها بابتسامة ماكرة " إما أن تخبريني المصيبة التي أوقعت نفسك فيها وأكسر كلمته وأفك حبسك أو تذهبي وتتعاملي معه وتخلصي نفسك بنفسك "

ضربت على الأرض بقدمها بغيظ وصاحت " اووووففف .. هذا البيت أصبح لا يطاق والتحكمات الذكورية الدكتاتورية متفشية في العائلة " .

تحركت تخرج من الشرفة متجاوزة إلهام التي دخلت وقالت لزوجها " لماذا تتركهما للمواجهة يا إبراهيم .. كان من الممكن أن تسمح له بدخول الشقة مقابل أن يترك آية تخرج لكليتها " .
رد الحاج " أريد أن أرى كيف سيتعامل معها في مشكلة كهذه .. لم أقتنع أبدا أنه ضربها بتلك الطريقة لأنها تطاولت عليه في الحديث .. إنها طويلة اللسان دوما ويتحملها .. أنا متأكد أنها فعلت مصيبة تلك الليلة "
سألته مستفهمة " إذن لماذا طردته من الشقة ما دمت لم تقتنع بما قال "
زفر وقال " أولا كان هذا رد فعل أولي للمنظر المؤلم الذي كانت عليه كلما اتخيل المنظر تتملكني رغبة

Des. Maryam Tamim

في ضربه .. بالإضافة لأني أردت أبعده عن مواجهتها حتى يهدأ .. لكن ما أسعدني أنه لم يخبرني عما فعلت .. لم يفرح بتصيد الأخطاء لها بتفاخر ذكوري زائف .. برغم أني كنت قاصدا أن أضغط عليه قليلا في موضوع الطرد لأرى لأي مدى هو عاقد النية على تحمل المسئولية .. هذا أشعرني أنه قد نضج .. الآن أريد أن أتابعه كيف سيتعامل معها .. (صمت قليلا بنظرات شاردة ثم أضاف) أخيرا يا إلهام شعرت أنه يتقاسم المسئولية معي دون أن أطلبها منه .. لقد انتظرت طويلا أن يخرج رأسه المدفونة في ذاته ويتطلع لمن حوله .. الآن سأموت وأنا أشعر بالراحة "

ربتت إلهام على ذراعه قليلا وقالت بجزع " بعيد الشعر عنك يا إبراهيم اللهم اجعل يومي قبل يومك "

ابتسم لها بدفء متمتما " لا تكفي عن الدعاء لهم يا إلهام فالدعاء يغير المقادير "

[2492]

***

حين خرجت آية إلى الصالة تبرطم " هذا البيت أصبح لا يطاق والتحكمات الذكورية الدكتاتورية متفشية فيه"

جاءها صوت أحمد من خلفها فجأة وهو يقول " تعالي "

استدارت لتواجهه وقد شعرت بالتوتر لكنها تظاهرت باللامبالاة فهذه هي المرة الأولى التي تراه بعد تلك الليلة المشئومة فهتفت بعصبية " ماذا تريد؟؟؟ "

رد ساخرا " أريد أن أمنحك نفحة من الدكتاتورية الذكورية.. ألست تعيشين مقهورة تعالي لأمارس بعضا من تفوقي الذكوري عليك ".

على الرغم من ضربات قلبها التي تقصف في صدرها توترا لكنها اقتربت متكتفة تقول" هل تعتقد أني أخاف منك ! "

Des. Maryam Tamim

حرك مقلتيه يمينا ويسارا متظاهرا بالتفكير ثم قال
" لا اعتقد ذلك.. لأنك لوكنت تخافين لما كنت
استفزيتيني تلك الليلة "
ردت باستفزاز " إذن هذا تحذير حتى أخاف؟"
أومأ برأسه في استفزاز مماثل .. فسألت بسخرية
"متى ستسمح لي سيدي الدوق بالذهاب للكلية ؟"

رد عليها ببرود " أنا كونت فقط .. الدوقية سآخذها
عندما أكون أكبر عمرا .."
جزت على أسنانها بغيظ .. فأكمل " أما متى
سأتركك تذهبين للكلية ؟ ..فهذا يعتمد على مدى
تعاونك معي ومجهودك في انهاء المهمة التي
سأوكلها لك "
اتسعت عيناها وسألت باستنكار" مهمة ؟.. أي
مهمة ؟؟!!"
مط شفتيه ورد "أريد أن تصممي لنا بعض
التصميمات بطريقة الرسم بالكلمات "

Des. Maryam Tamim

سألته باندهاش" لماذا ؟!"
قال " لأن هناك عميل يريد هذه التصميمات ولو نجحنا في الحصول على العقد سيكون مربحا لي ولك "
رمشت قليلا تحاول الاستيعاب ثم ردت ببرود صقيعي "وأنا لست مهتمة بعرضك"

تكلم بثقة" إذن ستضطرين لإعادة العام الدراسي.. لأني لن أسمح لك بالخروج إلا إذا نفذت المهمة " صاحت " هل أنت مستمتع لهذه الدرجة بممارسة الحقوق التي كفلها لك مجتمعك الذكوري؟ .. تارة تضربني وتارة تمنعني عن الدراسة "

سألها فجأة متجاهلا استفزازها" هل تستطيعين أن تصارعيني يا آية ؟"
سألت بغباء بينما بانة وأروى تقفان وتشاهدان المشهد من بعيد "لم أفهم !!"

Des. Maryam Tamim

حرك كتفيه ببساطة وهو يقف أمامها وقفة مسترخية واضعا يديه في جيبه وقال موضحا " أنا استند مثلا كذكر ديكتاتور في نظرك على قوتي البدنية فإن كنتُ كذلك.. إذن من حقي أمارس تفوقي هذا عليك .. إلا إذا كان لديك طريقة للتغلب علي .. ما رأيك ؟"

هتفت وقد نجح في استفزازها " ليس بالضرورة أن يكون الرجل أقوى بدنيا "
رد عليها " اذن اثبتي لي .. صارعيني واصرعيني.. ثم اخرجي من الباب كما تريدين"

ابتسمت في برود وتحركت تهم بالمغادرة ثم استدارت فجأة بحركة مفاجأة من قدمها التي طارت في الهواء لتركله .. لكنه كان متوقعا .. فتفادى حركتها بالتحرك قليلا ..ثم رفع لها حاجبا يستفزها .. فتقدمت نحوه بعينين تطلقان شررا تهاجمه

Des. Maryam Tamim

بقدمها .. وهو يتفاداها كل مرة بنفس هيئته المسترخية .. ويديه في جيبه .. مما استفزها أكثر .. دارت على عقبيها لتسدد له ضربة في وجهه فانحنى وقد كادت أن تصيبه ..

بعدها أخرج أحمد يديه من جيبه .. ووقف بتحدي واضعا قبضتيه أمامه في وضع استعداد للقتال .. خرج الحاج والحاجة أيضا لمتابعة هذا المشهد الغريب.. آية متحفزة غاضبة تزمجر .. وأحمد هادئ يتفادها ..

بعد قليل سدد لها ضربة خفيفة في وجهها قاصدا استفزازها أكثر .. لتخرج كم الغل المختزن بداخلها .. استشاطت غضبا فسددت له ضربة بقدمها تفاداها بذراعه .. فأتبعتها بحركة أصابت ذراعه .. ليرد بضربة في نفس المكان على ذراعها فأغاظها أنه يسدد لها ضربات خفيفة وكأنها طفلة .. فتحركت بسرعه نحو أسهل هدف ..ركبته المصابة .. سددت لها ضربة جعلته يتوجع ..ويجلس على

Des. Maryam Tamim

الكرسي .. فانطلقت بانة كالسهم إليه تطالع ركبته التي يمسكها ويجز على أسنانه بألم .. بينما أمسك الحاج ذراع إلهام عن التدخل وفضل أن يراقبوا المشهد من بعيد .

اكفهر وجه بانة وصرخت في آية التي وقفت متجمدة " ألا يوجد لديك أي نوع من التمييز أبدا "
لكزها أحمد خلسة ألا تتدخل.. وقال من بين توجعه " الأمر بسيط أحتاج المسكن الذي يرش يا بانة بالله عليك"
أغلقت بانة فمها في غيظ .. وأسرعت لتحضر المخدر .. بينما تحركت آية بتردد نحوه وقالت بجمود " لم أقصد "
قال لها بصوت خفيض " هل لاحظت ما حدث ؟"
سألت " ماذا تقصد؟

Des. Maryam Tamim

قال أحمد وهو يمسد على ركبته ويجز على أسنانه من الألم " حين حاولت أن تجاريني في القوة لم تقدري .. ولن تقدري إلا إذا خرجت من الشكل والهيئة النمطية للنساء .. لكنك استخدمت ذكائك مرتين.. أول مرة حين أوهمتني بعدم اهتمامك بما أقول.. ثم استدرت فجأة لتسددي لي ضربة مباغتة .. والثانية حين قررت أن تهاجمي نقطة ضعفي .. هذه هي الفرصة للتغلب على أي خصم يا آية .. لم تكوني بحاجة لقوة بدنية قد تختلف من شخص لآخر حتى بين الرجال وبعضهم .. احتجت لقوة ذكاء منحها لنا الله رجالا ونساء على حد سواء " اقتربت بانة وقد أعجبها الحديث .. برغم شعورها بالألم لتألمه.. وبدأت في رش المخدر على ركبته الممددة أمامه على المنضدة الصغيرة .

تألم قليلا من ملامسة المخدر مع عظام ركبته .. .. ثم أكمل " أما تعليقا على مهاجمة ركبتي .. فلو كنت

Des. Maryam Tamim

تصرفتِ وندمتِ كما يلوح على وجهك الآن إذن أنت تحتاجين لتدريب نفسك على التفكير قبل التصرف .. التفكير في العواقب يا آية .. التفكير قبل الندم ".

ذكرها هذا الحديث بشخص ما فهتفت باستفزاز " وما الغرض من هذا العرض بالضبط .. إثبات أنك كرجل متفوق عني بدنيا وتشفق على.. لهذا مدحت ذكائي .. أم الغرض إعطائي محاضرة عن النضج؟"

جزت بانة على أسنانها بغيظ.. فتدخلت أروى تقول " يا بنت .. قصد أن يخبرك أن لكل منا نقاط قوته التي يستطيع أن يرتكز عليها ليكون قويا مع أي خصم ..والأمر ليس بالضرورة يتطلب تفوقا بدنيا .. "

أكمل أحمد يؤكد على كلام أروى" كما أني لا أقصد أن أثبت لك أي الجانبين أكثر تفوقا .. ولن أدعي أمامك المثالية أني لا أراني كذكر أقوى وأكثر تفوقا "

Des. Maryam Tamim

سمع زمجرة خفيفة من بانة فأكمل مبتسما بعد أن رد عليها بحركة محبة عفوية لمس فيها خدها بكفه لجزء من الثانية دون أن ينظر إليها موليا كل الاهتمام لآية وأكمل " لكن في رأيي هذا الأمر سيظل قضية جدلية بين الرجال والنساء إلى يوم الدين .. ما أردت أن أقوله.. افتحي زاوية الرؤية .. وانظري للأمور بشكل أوسع .. وافهمي كيف يرى الأخرون الأمر حتى لو لم توافقيهم على هذه الرؤية .. وابحثي عن بدائل يا آية .. ولا تركزي ناظريك على زاوية ضيقة تستفزك (أن الرجال يمارسون ضغوطا وعنجهية على النساء).. النساء أيضا لديهن ما يستطعن به الضغط على الرجال .. إذا ما استخدمن ذكاءهم "

وقفت شاردة أمامه ففضل عدم الضغط من أول مقارعة فقال منهيا الحديث " بالمناسبة هذا ليس تقليلا من شأنك يا آية .. وليس لأنك الأصغر بل لأني أنا الأكثر خبرة ..

[2501]

أتعلمين .. سأبوح لك بسر لم أذكره من قبل أمام أي أحد حتى بانة .. وبالمناسبة .. وضعي تحت هذه الجملة خط .. عدم ذكره راجع لكرامتي الذكورية وأنا أعترف بذلك .. هذا السر هو أني اكتشفت أني عشت عمرا طويلا أفكر بصبيانية وبمراهقة ..حاصرا نفسي وإمكانياتي في زاوية ضيقة الرؤية.. وحين وضعت يدي على المشكلة سارعت في حلها .. والفضل يرجع في ذلك لبانة "

تخضبت وجنتي بانة بالخجل ودبت الحرارة فيهما بينما حدجتها آية بنظرة ممتعضة فأكل أحمد "

بانة الخازن هي ما واجهتني بنفسي .. وضعتني أمام المرآة لأرى شكلي .. أني لم أعد صبيا وعليّ أن اتصرف.. وافكر ..واستقبل ..وارسل .. بنضوج .. ما اقصده أنا تأخرت في نضوجي فلا تتأخري أنت وتندمين مثلي "

حدقت فيه بعينين شاردتين فقال " أريد أن أرى تصاميم مقترحة .. أريني ما لديك من إبداع "

Des. Maryam Tamim

بعد قليل تفرق الجميع بينما بانة تجلس على المنضدة الصغيرة أمامه تحني جذعها وتدلك ركبته العارية.. فتأملها قليلا .. ثم مد يد يرفع خصلة شاردة من على وجهها.. لتطالعه بابتسامة دافئة وقالت " أحببت ما فعلته معها .. وذلك النزال الذي حدث بينكما .. إنها مكبوتة بمشاعر سلبية متراكمة .. كونتها في فترة المراهقة دون فلترة أولا بأول ..وربما بسبب عدم استطاعتها التعبير وعدم وجود منصت حقيقي .. تركزت بداخلها المشاعر دون أن تطلقها إلى الخارج .. (وصمتت بشرود قليلا ثم أكملت) أتعلم .. أبي كان يفعل ذلك معي رغم أني لم أكن بجموح آية .. كان يناقشني كثيرا .. ويستمع لي بإنصات دون ملل ثم يغربل ما يسمعه مني.. وينقح ..ويفند لي أولا بأول .. "

اخذ أحمد نفسا عميقا ملأ به صدره وقال " أنا أجتهد يا بانة بقدر استطاعتي .. وتذكرت

Des. Maryam Tamim



ملاحظتك التي قلتيها من قبل بأنها تشبهني فحاولت أن استرجع مشاعري وضغوطي في تلك الفترة .. وتوقعت أنها ستحب التعبير عما بداخلها بالحركة .. لذا أردت بدعوتي لها للمصارعة أن تخرج بعضا من مشاعرها السلبية تجاهي .. وأرجو أن أكون وفقت في المساعدة عن تنفيس بعض الهواء الساخن من البالون حتى لا ينفجر ويسبب كوارث "

تأملته بإعجاب ثم همست بوجه مشتعل " هل أخبرتك من قبل أني أحبك ؟"

اشتعلت عيناه ورد بنفس الهمس " لا لم يحدث "

ردت بمشاكسة " كاذب "

رد بهمس " صدقيني لا أذكر "

غطت فمها بيدها في حرج وهمست " أحبك .."

فأحنى رأسه يقرب أذنه منها يقول" لم أسمع "

ضحكت بخفوت وقالت " أحبك يا كونت "

Des. Maryam Tamim

رفع وجهه إليها يأكلها بعينيه ثم همس بحرارة "لا يكفي أريد هدية"

نظرته أوحت لها بمضمون الهدية فاستقامت بارتباك ليمسك بيدها ويقول بإصرار هامس " لن تذهبي قبل أن أخد هدية منك "

قالت هامسة بتوبيخ وهي تنظر حولها "ماذا تقصد يا أحمد ..أتركني قد يرانا أحد !!"

تشبث برسغها في إصرار وقال " أريد الهدية الآن وإلا سأشتكيك لأمي "

جحظت عيناها وردت باستنكار هامس " أنت طفل "

ابتسم وقال بمكر " ولأني طفل سأشتكي لأمي أنك لا تريدين إعطائي هدية".

وهم بالحديث بصوت عال مناديا على والدته ..

فأسرعت بوضع يدها على فمه قائلة بغيظ والحرارة تشع من وجهها " أحمد توقف عن اللهو"

Des. Maryam Tamim

شدد قبضته على رسغها الممسك به وقال بإصرار "
لن أتركك قبل أن أخذ هديتي أو أشتكي لأمي .. أيهما
تختاري"
نظرة إليه بانة وقد توهج وجهها اكثر وسألت
بهمس" ماذا تريد ؟"
صدر لها صدغه .. فأطبقت على شفتيها في حرج
ثم اقتربت باستسلام .. لكنها ابتعدت فجأة وقالت
بنظرة مرتابة " بدون مقالب ماكرة "
حرك رأسه مطمئنا بلا .. فاقتربت .. ثم عادت
وابتعدت من جديد تتأكد وسألته " صدقا ؟"
جز على أسنانه وأومأ بنعم .. فطبعت قبلة خاطفة
على خده وفرت بسرعة إلى الداخل .
***
أطفأ سيجارته المنتهية ووضعها بجوار مثيلاتها
بجانبه في الشرفة يحدق في زرقة البحر الماثلة
أمامه وأشعل سيجارة أخرى بعدها .. وهو يتعجب

Des. Maryam Tamim

من أنها تحتل أفكاره أكثر حين يكون وحيدا أو في مكان جديد ..

فقد بات يقبض على نفسه متلبسا كل لحظة .. أنه يفكر فيها دون أن يدري .. اليوم حيث كان يلهو عن عذابه الخاص باللعب في الماء مع رحمة وزهرة وتدريب الأخيرة على السباحة .. ظل يفكر فيها طوال الوقت وتمنى أن تكون معهن لتكتمل اللحظة .

وعلى الرغم من أن خصامها له هو الحل الأمثل لامتثالها للقرار .. لأنها لن ترضخ بسهولة لما اتفقوا عليه.. إلا أن شعوره بأنها تخاصمه .. وبأنه خانها وتخلى عنها .. شعورا يذبحه ذبحا.

أخرجه من شروده حركة بجانبه ليجد بسمة تقف مستندة لباب الشرفة متكتفة وحين نظر إليها تذكر تلك الليلة المشئومة حين أغلق على نفسه باب الغرفة الصغيرة .. وجلس في زاويتها خلف بعض

Des. Maryam Tamim

الكراكيب .. في تلك البقعة المظلمة حتى لا يرى نفسه وهو يبكي.

أجل .. بكى ليلتها كطفل صغير ..
وهو الذي لم يبك على أحد يوما لا أم ولا أب ولا أي أحد ..
بكى وهو يستعيد آخر حديث لهما ..
بكى وهي يسترجع تلك النظرات المتألمة في عينيها .
وبكى وهو يتفقد ذلك الفراغ الكبير في صدره .
بعد وقت طويل وتفكير أطول.. خرج عازما على مواجهة بسمة بكل شيء .. عازما أن يلقي في وجهها الحقيقة العارية بدون أي تجميل .. وعليها أن تقرر فلم يعد قادرا على تحمل احساسه بالذنب أكثر من ذلك .. لكنه حين أقترب من غرفتها سمع نشيجها المكتوم المتألم .. ففر هاربا عائدا إلى نفس البقعة المظلمة خلف الكراكيب .. يمارس عادته الأثيرة في جلد الذات .

Des. Maryam Tamim



افاقته من شروده حين بادرته بسمة بالقول " هل ستظل على هذه الحالة كثيرا ؟!! "

رد بهدوء " أي حالة؟ "

قالت باستنكار " أي حالة !! صمتك .. شرودك.. برودك .. محرقة سجائرك " .

رد بدون حياة " أخبريني يا بسمة ماذا تريدين وسأفعل إن شاء الله .. حجزت لكم تذاكر السيرك سنذهب في المساء .. استعدوا "

قالت بعذاب " أنا أريدك أنت يا سيد ؟"

أغمض عينيه بقوة متحاشيا مواجهة عينيها ثم قال بنفس الاستسلام " أخبريني ماذا يسعدك وسأفعل "

ردت بهمس معذب " هناك أمور لا تُطلب فطلبها إهانة.. "

رد عليها " وهناك أمور لا تُمنح بإرادتنا .. وإنما رغما عنا "

سألته بألم " لماذا تزوجتني يا سيد؟ "



رد متحاشيا النظر إليها " لأنك أعجبتني جمالا وخلقا ونسبا "
سألته بهدوء " وفيم قصرت في حقك ؟"
أغمض عينيه متألما وقد تيقن أن ما يخشى الخوض فيه قد اقترب فرد " لم تقصري معي أبدا .. زوجة متفانية .. جميلة .. من أصل طيب "
قالت بسخرية " ولم يكفي هذا لأن تحبني ؟!!"
سألم مراوغاً " ماذا تقصدين بهذا الكلام ؟"
ردت بعصبية " اقصد ما سمعته "

رد غير قادر على قول الحقيقة ليس جبنا وإنما شفقة عليها " أنت زوجتي وبالتأكيد أحبك "
سألته بهدوء " وهي ."
تسارعت ضربات قلبه وسأل " من ؟"
ردت " أنت تعرف "
أصر على الإنكار "لا أعرف "
نطقت اسمها " آية سماحة "

Des. Maryam Tamim



استقام فجأة يحاول الفرار من الألم الظاهر في عينيها فترك الشرفة إلى الغرفة وهو يهتف "
ستعودين مجددا لهذا الحديث ؟؟؟ .. ألم يكفيك هاتفي الذي بت تفتشين فيه مؤخرا لتتأكدي أني لا أتحدث إليها .. يكفي يا بسمة.. لا تدخلي إلى هذه النار بقدميك"
صاحت " هذه النار دخلت فيها بالفعل منذ أن تزوجتك .. في بداية الأمر كنت لا استوعب سبب ذلك الحاجز الغير مرئي بيننا .. أنت حنون وكريم معي وطيب القلب .. وبرغم انشغالك عني كنت أتحمل.. لكن دوما كان هناك حاجزا تضعه بيننا "
رد محاولا أبعادها عن التأكد من شكوكها حتى لا تتألم " أنت تفلسفين الأمور أكثر من اللازم "
صرخت فيه " رد علي وواجهني "
قال بعصبية مماثلة " لا تجرحي نفسك بنفسك يا بنت الأصول "
سألته بغل " أتنكر أنك تحبها ؟"



راوغ وحاول الهرب قائلا بعصبية " اغلقي هذا الموضوع يا بسمة "
سألت بإصرار صائحة "اذا كنت تحبها ..لمَ تزوجتني ؟"
هدر فيها محذرا لتغلق الموضوع " بسمة !!"

صاحت هي الأخرى " لا تنكر يا سيد .. لا تنكر .. الأمر لا يحتاج لأي ذكاء لأعرف .. ولا يحتاج للبحث في هاتفك "
قال في محاولة يائسة أخيرة لعدم تأكيد شكوكها رفقا بها " شربات ملأت رأسك بالأوهام "

ردت بعذاب " بل أنت يا سيد .. أنت من ضربت بسكاكينك في ظهري كل ليلة حين تنام في سريري وتنادي وتهذي باسم أمرأه أخرى أثناء نومك.. "
حدق فيها بذهول مصدوما فأكملت " أجل هذه هي الحقيقة .. ربما لأنك لم تتشارك الغرفة من

Des. Maryam Tamim

قبل مع أحد ..فلم تعلم.. أو ربما يحدث منذ أن تزوجتني .. لكنك تنادي باسمها وأنت نائم .. آية آية .. آية .. أول الأمر لم أكن اعرف من هي.. وحين تعرفت على آل سماحة لأول مرة تخيلت أن أروى هي من تدعى آية .. حتى صعقت حين علمت من هي آية وكم عمرها ! .. كانت وقتها في التاسعة عشر! (صمتت قليلا تحدق في الأرض ثم اكملت) وسكتت.. سكتت و لم أعرف كيف أفسر هذا.. أو ماذا افعل .. وصبرت.. لكن الأمر يزداد معك .. وبعدما كان يحدث من وقت لآخر .. اصبح يحدث يوميا تقريبا .. كل ليلة تتفوه باسمها وأنت ترى كوابيسك المستمرة المزعجة طوال الليل .. حين أخبرت أمي قللت من أهمية الأمر وأبلغتني أن هذا قد يحدث مع بعض الرجال .. وربما كنتَ متأثرا بها.. ومع الوقت ومع مجهودي معك ستنساها وتحبني .. وها أنا ذا أنتظر.. وأعمل بوصفات أمي.. لكنها لم تنجح بعد ثلاث سنوات من المحاولة"

Des. Maryam Tamim



صمت ذاهلا يتحاشى ذلك العذاب الذي يلوح على وجهها .. ثم تحرك مغادراً .. فجرت وراؤه لتمسك بملابسه وتقول بلوعة " قف وواجهني "

هتف بغضب " ماذا تريدين ؟؟؟ .. تريدين الحقيقة؟؟؟.. تصرين على جرح نفسك؟؟؟ كما تشائين "

صمت قليلا .. ثم تكلم بصوت يرتجف بالمشاعر وهو يطلق تلك العبارة لأول مرة ..

علنا ..

لتخرج من صدره ساخنة .. متألمة ..

فتتحرر وتطفو ..

تطفو إلى السماء..

" أنا أحبها .. أنا .. أحب آية سماحة "

ارتجف كل كيانه حين سمع نفسه ينطقها أخيرا
..بينما حدقت فيه بسمة ذاهلة .

إن توقع الأمر .. أو تخمينه .. أو حتى التيقن منه..
ليس كالبوح به في وجهك أبدا ..

سألته بصوت مبحوح " ولماذا تزوجتني ؟؟؟"
تطلع لذهولها وقال محاولا تخفيف ولو قدر
بسيط من ذلك العذاب البادي على وجهها والذي
يضاف لعذاباته " صدقيني.. حين تزوجتك كنت
في حالة أنكار .. لم أتخيل أن يحدث هذا معي .. لقد
كانت مراهقة .. زواجي منك كان محاولة لخروجي
من دائرة مشاعري ".

رددت بهمس ذاهل " زواجك مني كان محاولة
لخروجك من دائرة مشاعرك !!"

Des. Maryam Tamim

ضربت فجأة على صدره بقبضتيها ببطء وصمت وهي تبكي وتستوعب الجملة الأخيرة .. ثم أخذت تتسارع ضربتها على صدره في انهيار وقد أوشكت على تمزيق ملابسه ..

لم يتحرك ..
كان يطالعها بعذاب ولم يتحرك .. لكنه قال "إذا أردت قتلي فافعليها من فضلك .. وخلصيني مما اقترفته في حق الجميع "
صرخت بلوعة ثم سقطت عند قدميه فلم تعد ساقيها قادرة على حملها .. تدفن وجهها في كفيها وتبكي بحرقة .
جلس على السرير خلفه ورفعها قليلا فسندت على ركبتيه تطالعه بوجه غارق في الدموع وهو يقول بصدق " اقسم لك أنه حدث دون إرادة مني .. ولم أكن اخدعك حين قررت أن أتزوجك .. أنا كنت غبيا وفي حالة إنكار .. إن كان لديك وصفة لأنساها

Des. Maryam Tamim

دليني عليها .. إن كان مرضا قابلا للشفاء أخبريني أين الدواء .." .

لطمته فجأة على وجهه بغيظ صارخة " أخرس "

فأغمض عينيه يبتلع الإهانة ويتحكم في قبضتيه حتى لا يثور غاضبا في وجهها .. بينما أمسكت بسمة بملابسه من جديد.. ودفنت وجهها في صدره متمتمة بصوت مكتوم " أخرس يا سيد.. أخرس".

بعد قليل تحركت وجلست أمامه على الأرض تستند على الخزانة.. وتمتمت بهذيان بوجه تغرقه دموع صامتة " أنا تحديت الكل من اجلك .. لم يكن أهلي راضين أن أتزوج من خارج بلدتنا وابتعد.. لكني كنت مستعدة لأن أذهب إلى أخر العالم معك "

Des. Maryam Tamim

رد بخفوت غير قادر على تحمل أن يكون سببا لذلك الألم المطل من ملامحها" كفى يا بسمة كفى".

أكملت بنفس الهذيان " تصورتك الفارس الذي سيخرج بي من البلدة إلى العاصمة الكبيرة المليئة بالأضواء "

-" كفى يا بسمة "

- " أطعتك في كل شيء ولم أحاول أن أثقل عليك .. ولم أشتكي من وحدتي "

- "ارجوك "

- " والآن ماذا سأقول لأهلي ولأهل بلدتي؟ ..تزوجت رجلا يحب امرأة أخرى ؟؟!!!"

- "كفى يا بسمة "

- "تزوجت رجلا أراد نسيان أخرى بي.. وفشلت في تحقيق المهمة التي تم اختياري من أجلها ؟"

- " بسمة "

Des. Maryam Tamim

- أم أقل لهم أن جمالي الذي كنتم تختالون به في البلدة ..و تتعززون على هذا وعلى ذاك .. لم ينفعني مع الرجل الوحيد الذي أردته ولم يكن قويا ليزيح حبها من قلبه "

_ "كفى يا بسمة بالله عليك "

- هل جربت شعور امرأة مطعونة في أنوثتها وكبريائها ؟؟ .. (وأكملت ساخرة من الفكرة) وكيف لك أن تجرب مثل هذا الشعور ؟!.. فأنت رجل .. والرجال لا يخطئون .. جميع أخطاؤهم لا تعيبهم .. لا تعلق بأثوابهم .. كلها أخطاء مهما كبرت .. فهي في نظر الجميع قابلة للإزالة ... أما نحن النساء ..(وابتعلت دموعها وأكملت) أما نحن النساء فخطأ واحدا غير مقصود .. يعْلق بثوبك للأبد .. وتُعلّق لك المشانق وتُنصب لك المحاكمات "

Des. Maryam Tamim

- قال ببعض الانفعال كأن الشياطين تعذبه " كفى يا بسمة قلت "

- "ما المفروض أن أفعل الآن؟؟!! .. أعود لأهلي مطلقة .. حتى تحظى أنت بحب هذه المتعجرفة؟!"

رد بسرعة" آية لا تعرف شيء يا بسمة .. ولن تعرف أبدا .. ولا تكن لي إلا مشاعر الاعتزاز (وأكمل في سره) أو كانت " .

ردت بسخرية " إذن أنا علي إما تقبل هذه الحقيقة والعيش معك منكسرة الروح مطعونة الكرامة والأنوثة أو أُرَد لأهلي خائبة مطلقة كبضاعة معطوبة "

أطرق برأسه وقد لمعت الدموع في عينيه شاعرا بالذنب فتمتم بخفوت " آنا أسف.. أسف يا بسمة"

Des. Maryam Tamim

صاحت بعصبية " وماذا سأفعل بكلمة آسف؟؟!!!!.. هل سأعلقها على صدري وأنا أواجه أهل البلدة الشامتين؟؟!! .. هل ستشعرني بالسعادة حين أعلق عليها خيباتي ؟؟!!"

أطرق ولم يعقب يبتلع غصة مسننة في حلقه يمسح دمعة فرت من زاوية عينه فأكملت بهدوء بعد فترة من الصمت " هل تعلم شكل المطلقة في بلدنا كيف يكون؟؟ إن كان عندكم في العاصمة تنظرون إليها كالبضاعة المستعملة .. أو علبة الطعام المفتوحة من قبل .. فتخيل كيف يكون في مدينة صغيرة كبلدتي ؟!!

ان كانت النساء هنا تتوجس من اقتراب المطلقة من حياتهن.. وكأنها عاهرة على استعداد لخطف أي رجل في الجوار .. بينما يطمع فيها الرجال باعتبار أن ختم الشمع الأحمر قد أزيل من على الظرف وأنتهى الأمر.. فلن يضير لو أُعيد فتحه وقراءة ما فيه كنوع من التسلي الذي لا يكلف شيء.. وكأن

Des. Maryam Tamim

ذلك الختم بالشمع الأحمر هو المعضلة الوحيدة في علاقته بها وهو العلامة الوحيدة على شرفها وشرف أهلها .. فتخيل كيف يكون في مدينة صغيرة كبلدتي ؟!"

لم يقدر سيد على التحمل .. فلتقتله أفضل من ذلك العذاب .. لم يعد لديه مكانا يستقبل فيه المزيد من الأسباب لجلد الذات .. فانتفض هاربا إلى خارج الغرفة وهو يهدر بعنف " قلت كفى لن اسمع شيء أخر "
استقامت هي الأخرى وخرجت وراؤه تصيح " لم تخبرني كيف سأتصرف الآن يا سيد؟ ..ما المطلوب مني ؟ هل تتوقع أن أتركك تذهب إليها وأعود أنا لأهلي .. وتنزل كلمة (النهاية) على المشهد!!!"

استدار يقول بانفعال " أنا لم أطلب منك شيء .. ولم أكن أنوي إخبارك .. ولا أنتظر منك شيء .. أنا

Des. Maryam Tamim

أعترف بأخطائي كلها .. وأعترف بعجزي عن تصحيح تلك الأخطاء. .. واعترف أني عاجز عن إيجاد حل .. وأعترف أني ظلمتك يا بسمة .. فافعلي ما ترينه مناسبا لك .. الأمر كله بيديك الآن .. (وقال ببطء يضغط على كل حرف) أنا إنسان .. منتهي .. أنت تقررين .. وأنا سأنفذ "

قالت بتحدي تفاجأ به " وإن قررت الاستمرار معك ؟"

رد في يأس يشعر أن الدائرة قد أحكمت عليه من جديد " اذا قررت الاستمرار معي.. فسألتزم بذلك .. تكفيرا عن أخطائي "

سألته مستفهمة " وتبقى على صلة بها ؟!!"

رد باستسلام " لا .. لن ابقى على صلة بها .. وسأحاول التكفير عن ذنبي تجاهك بأن أعاملك بما يرضي الله .. اخبريني بما سيسعدك وسأفعله ..

[2523]

وأي تعويض تريديه يكفر عما بدر مني أخبريني به مهما كان وسأقدمه لك .. الأمر الوحيد الذي لن استطيع أن أعدك به هو هذا (واشار لقلبه) ليس بخلا مني عليك .. وليس لأنك لا تستحقينه يا بسمة صدقا أقول ..فلو لم أصاب بتلك البلوى لكنت وقعت في هواك أنت بسهولة .. ولكنه ببساطة ليس بيدي"

تحرك ساحبا مفاتيحه من على المنضدة بجوار الباب وقال " سأنتظر قرارك (ثم استدار فجأة يقول وقد تغيرت ملامحه للخطورة) وأحذرك من أي احتكاك بها من أي نوع .. آية سماحة خط أحمر لا تتجاوزيه أبدا "

خرج وأغلق الباب خلفه بهدوء .. بينما جلست بسمة القرفصاء تبكي .. ورحمة تقف ذاهلة على باب غرفتها مما سمعت .

***

Des. Maryam Tamim

في اليوم المتفق عليه لعقد القران .. استيقظ عمرو ليجد والدته مريضة .. فأحضر لها الطبيب الذي أخبره أنها وعكة صحية بسيطة وستحتاج للراحة .. مما أشعر عمرو بالارتباك والاحباط فمن المفترض أن يتم عقد القران بعد صلاة الظهر في بيت الحاج سماحة .. ولم يدري ساعتها ماذا يفعل؟.

هل سيترك والدته ويذهب لعقد قرانه ؟ أم يبلغ الحاج بالتأجيل أم ماذا؟ .. اتصل بوائل وأحمد يطلعهما عما حدث .. فساد التوتر .. لكن أحمد أخبره عن لسان الحاج أنه سيؤجل الموعد حتى صلاة المغرب ليطمئن على والدته .. لكن الأمر كان محرجا جدا خاصة مع المهنئين الذين جاءوا منذ الصباح لبيت الحاج سماحة .

اتصل عمرو بأروى قلقا عليها فبادرته بتلك اللهجة المازحة التي تخفي خلفها ما تريد إخفاؤه " هل هذه

Des. Maryam Tamim

شهامة يا باشمهندس !.. لا تأتي لعقد القرآن ..
تخيل سمعتي بين الناس الآن .. (صمتت قليلا
تفكر ثم قالت ساخرة) انتظر .. انتظر .. هل هذا
هو انتقامك مني؟ .. هل خططت لذلك ؟..
تخدعني باسم الحب .. ثم تتركني يوم عقد
القرآن."
قال عمرو بتوتر " كفى مزاحا يا أروى أنا متوتر جدا
"
اشفقت عليه فقالت بجدية " لماذا ؟ ألم يخبرك
أبي بالتأجيل حتى صلاة المغرب ؟"
رد بحنق" أعلم جيدا مدى الحرج الذي أوقعتكم
فيه .. كما أني اخشى أن تسوء حالة والدتي ولا أقدر
على المجيء "
انقبض قلبها من الفكرة لكنها قاومت الشعور
مازحة " وهل تحسبني سأسكت وقتها ..
سأجعلهم يوصلوني إليك وبصحبتي المأذون .. ولن

Des. Maryam Tamim

أتركك إلا وقسيمتي في جيبي .. هل تتوقع من عانس مثلي أن تضيع فرصة كهذه"
هتف بتوتر " كفي عن لفظ كلمة عانس هذه يا أروى تضايقني " .
قالت مشفقة " حسنا اهدأ إن ربك لكريم "

رد "ونعم بالله "
ثم قال منهيا المكالمة " أرجوك لا تتوتري يا أروى.. أنا أعلم أنك تخفين ذلك خلف قناع اللامبالاة هذا.. لكنك تنهارين في النهاية .. واعلمي أنك بإذن الله.. بإذن الله ستبيتين الليلة زوجتي على سنة الله ورسوله .. حتى لو اضطررت لإحضار المأذون بعد منتصف الليل .. ووقفت أعقد عليك في الشارع .. عليّ أن أذهب الآن ... سلام " .
أغلقت أروى الهاتف فسقط قناع اللامبالاة وقالت لبانة التي تقف بجوارها مواسية " لهذه الدرجة أمه

Des. Maryam Tamim

كارهة لزواجه مني ! .. أشفق على عمرو المسكين مشدود من الجانبين ."

عند المغرب حضر عمرو أخيرا .. بحلة أنيقة كعادته .. لكنه كان متوترا .. وشاعرا بالحرج من الجميع .. فأخذ يستغفر ربه كثيرا في سره ويحوقل حتى يهدأ .. لقد ترك والدته مع زوجة خاله التي تبرعت أخيرا بالمجيء بعد أن أدعت ادعاءات واهية تمنعها من الحضور مبكرا عن ذلك.. فتركها مع والدته مع وعده بعدم التأخير.. أما خاله فحضر منذ قليل يتصنع المجاملة لكن عمرو كان يشعر بأنه ليس سعيدا هو الأخر ..
كما أن عدم وجود سيد الذي اعتذر صباحا عن الحضور.. والذي لم يعد للعاصمة حتى الأن يشعره بالحزن .. لم يتوقع أبدا أن يكون في هذا اليوم بدون أحد منهم .. يكفي أنه يفتقد والده الشيخ عبد الرحمن بشدة.

[2528]

وقف أحمد متوترا هو الآخر يرجو لهذا اليوم أن ينتهي .. فكرة أن تصبح أروى خاصة بشخص معين .. فكرة سمجة و سخيفة في نظره .. لكنه تمنى أن يتم هذا القران على خير دون المزيد من التوتر فوالدته المسكينة كانت شديدة العصبية صباحا حين علمت بمرض أم عمرو..

و يفتقد سيد .. يفتقده بشده بل إنه يشعر أن له أخا أكبر كان من المفروض أن يكون موجودا .. كما يشعر بالقلق من ناحية آية فهذه هي المرة الأولى بعد ما يقرب من شهر ستتواجد مع سيد في حالة إذا قرر المجيء ..

اقتربت منه بانة ومنحته ابتسامة فاتنة تمسد على ذراعه وتشجعه ثم سألته " هل سيأتي سيد؟"

زفر ورد " لا أعرف .. لكن تخميني يقول أنه سيأتي "

سألته" وماذا تتمنى أنت .. يأتي أو لا يأتي ؟ "

Des. Maryam Tamim

رد بوجوم" أنا متحير.. لا اتخيل المناسبة بدونه ولا أريد احتكاكه بآية.. "
سألته مستفهمة " لماذا أشعر أن الأمر أكبر من مجرد وضع النقاط على الحروف لأن وضعهما معا بات غير لائق بعد أن كبرت؟"

رد مراوغا " لا تشغلي بالك بالأمر "
مسدت على كتفه وقالت " إن شاء الله تمر الليلة على خير سأذهب لأطمئن على أمي وعلى أروى التي تدعي اللامبالاة كالعادة "
***
عند بوابة البيت وقف قليلا وأخذ نفس عميقا يقبض قبضتيه بجانبه بقوة .
صعد سلم البيت الذي استقبله قديما .. والذي كان ولا يزال بيته الحقيقي .. جدرانه الصلبة هذه كانت تمنحه الامان .. ودرجات السلم التي ارتقى عليها منذ أن حضر إلى هذا البيت لترتفع قامته من طفل

Des. Maryam Tamim

مشرد مرشح بقوة للضياع والتحول للإجرام ..
لرجل محترم قطع أشواطا لا بأس بها من تجاربه في الحياة .. وأهل هذا البيت منحوه مالم يمنحه أقرب المقربين له .

دخل البيت لا يعرف كيف يخفق قلبه فرحا ..
وشوقا .. ووجلا .. واضطرابا في نفس اللحظة
ووعد نفسه ..
لن يبحث عنها ..
لن يختلس النظرات إليها ..
لن يتأملها ..
لن يتلمس نورها ودفئها في المكان ..
سيحضر المناسبة ويفر بعدها.. كالهارب من شبح .. شبح روحه التي تخاصمه.
استقبله عمرو بابتسامة متفاجئا .. فبادره سيد يقول" أخبرني وائل في الصباح بما حدث مع والدتك .. فشعرت أني لابد أن أكون موجودا..

Des. Maryam Tamim

وقدت السيارة أربع ساعات إلى هنا.. أوصلتهم للبيت وأتيت فورا حتى لم أغير ملابسي .. "

رد عليه عمرو ساخرا ليتحكم في تأثره بمجيئه " شاكرين هذه اللفتة الكريمة يا هولاكو .. عموما من الجيد أنك حضرت .. وإلا كان حسابك معي عسيرا "

رد سيد وليس لديه نيه للمزاح " لست في مزاج لمشاكساتك (ثم استدار يتمتم) أين أمي؟".

فالتقت عيناه بعيني أحمد الذي وقف يتأمل هيئته متألما .. فقد بعض الوزن منذ آخر مرة .. ولم تخف عليه نظرة الانكسار والألم التي بعينيه .. فتحرك أحمد نحوه يضرب على كتفه بمشاكسة ويقول" اشتقنا لك يا هولاكو "
ابتسم سيد وربت على كتفه بمحبة يبارك له .. .. وحاول كل منهما التعامل وكأن كل شيء عادي .

Des. Maryam Tamim

لكنه لم يكن عاديا أبدا ..
هناك ثقلا في الصدور وحزن في العيون .

فطالعهم وائل باكتئاب.. ونظر لمريم الواقفة عند الشرفة يشكو لها بصمت فردت عليه تشجعه وتهون عليه .

أخيرا عقد القران .. وذيل عمرو القسيمة بتوقيعه وهو يداري ارتجافه .. تحرك أحمد نحو أروى التي ترتدي عباءة بيضاء ببعض الخرزات اللؤلؤية البارزة .. يقدم لها القسيمة لتوقع .. فنظرت إليه ذاهلة العينين ولسان حالها يقول (ما المطلوب مني !)
فشجعها أخيها بابتسامة حانية فوقعت رغم ذهولها بعد أن اختلست النظر تطالع عمرو لتتأكد من أنه هو العريس حتى أنها نظرت لأسم الزوج في القسيمة وكأنها تريد أن تتأكد .

Des. Maryam Tamim

بعدها أمسك الحاج سماحة بكف عمرو وبدآ يرددان وراء المأذون عبارات عقد القران .. وعينا عمرو لا تهدأ على أن تطالع أروى كل دقيقة .
وكيف لا يطالعها وقد أصبحت زوجته..
أخيراً..
أروى حلاله وزوجته ..

لكن السباق لم ينتهي بعد يا عمرو .. سينتهي حين يغلق عليكما بابا واحدا .

بمجرد أن انتهى المأذون من إجراءات الزواج وعلت الزغاريد نظرت أروى لعمرو فوجدته يتلقى التهاني ثم نظرت لأحمد فانحنى يغرقها في حضن كبير مؤثر وهو يتمتم " مبارك لكما يا حبيبة أحمد ".
فهمست بقليل من الذهول" هل حقا أصبحت زوجة عمرو القاضي؟ "

Des. Maryam Tamim

شدد أحمد في حضنها وتمتم بارتجاف " أجل بكل أسف "

قبّل رأسها ثم تحرك مبتعدا يختلي بنفسه.

بعد قليل جلس سيد في صمت بجوار منضدة السفرة .. مطرق الرأس يحاول الصمود الوقت المتبقي ليفر هاربا ..يمسك بعلبة سجائره الفارغة يفتتها ويطويها شاردا ..

لم تخرج .. ولم يراها .. ولم يلمحها حتى ..

اقتربت إلهام فوقف أدبا ..ليظهر فارق الطول والحجم بينهما فقبل رأسها وهي تقول " ما بك يا ولدي؟ .. أأنت مريض أم تخاصم أحمد ؟"

رد بهدوء وهو يلعب بورق علبة السجائر " ولم أخاصم أحمد يا أمي ".

Des. Maryam Tamim

قالت إلهام مفسرة " من أجل ما فعله مع آية ..
اسمع يا بني .. أحمد يخشى أن يسئ الناس الظن
أنت تعرف .. لقد كبرت الفتاة الآن بسم الله ما شاء
الله وأصبحت عروس ".
ارتجف قلبه من الجملة الأخيرة.. لكنه قال" أنا
طبعا متفهم ذلك يا أمي.. وأؤيده في ذلك .. لا تقلقي
بشأني أنا مرهق من القيادة لأربع ساعات لألحق
بالحدث "
سألته فجأة" كيف حال بسمة ؟"
أسرع بالقول فلم يكن لديه من الطاقة النفسية
للحديث عنها أنا جائع جدا يا أمي "
قالت باهتمام " حالا يا حبيب أمك اجهز لك
طبقا"
***
نظر عمرو لأروى بارتباك .. وأذنين حمراوين ..
أخيرا يستطيع النظر والتحديق والتخيل والتخمين
.. دون الشعور بالذنب ..

Des. Maryam Tamim

إنه كالخروج من عنق الزجاجة إلى الفضاء الفسيح .
تمنى لو كانا بمفردهما .. وتساءل في نفسه متى سيغادر هذا العدد من الحاضرين ..ألم ينتهي الحدث وعقد القران ؟؟"
علقت إحدى الجارات ببعض الوقاحة " ألن تحيي العروس يا عريس !"

ابتسم لها ابتسامة فاترة ودفع بكرسي أروى بلطف لخارج غرفة الصالون المليئة بالمهنئين إلى الصالة الواسعة يبحث عن أي ركن بعيد ..وقال لها هامسا "مبارك يا عروس "
تمتمت بعينين متسعتين "مازلت لا أصدق أشعر أني أهلوس "
اتسعت ابتسامته لتملأ وجهه وهو يقول " أنا أيضا.. (ثم تمتم من بين أسنانه) ألن يغادر هؤلاء البشر لقد انتهى عقد القران " .

Des. Maryam Tamim

كتمت ضحكتها فنظر إليها هذه المرة بملء عينيه يتأملها بحرية .. مستجيبا لتلك المشاعر التي تدغدغ أعصابه .

بعد قليل جاءه اتصالا من زوجة خاله تدعي ببرود أن عليها المغادرة لأمر هام ولابد أن يرافق أحد والدته .. فشعر بالضيق وبحث عن خاله يطلب منه أن يجلس مع أخته قليلا .. فمنحه خاله ابتسامة بلاستيكية من وراء لحيته الطويلة وحدج أروى بنظرة باردة قبل أن يتمتم بالمباركة ويغادر.

ما هذا الوضع المربك ؟..

وما هذه الضغوط التي يواجهها ؟.

تأملته أروى بشفقة .. وشجعته للذهاب لوالدته خاصة وأنهم لن يستطيعوا الحديث بمفردهما بسبب هذا العدد الكبير من المدعوين .. فأتصل بوالدته يطمئن عليها ثم قرر أن يجلس مع أروى قليلا ..مرددا في سره أن أروى أصبحت زوجته .

Des. Maryam Tamim

***

جلس سيد بجانب وائل .. وهو لايزال يقطع ورق علبة السجائر بشرود ..ولا يسمع شيئا من ثرثرة صاحبه ..غير راغب في مجالسة وفود المباركين والأكل معهم ..وإنما اكتفى بالوقوف فقط بجانب الحاج وأحمد لبعض الوقت يرحب بالضيوف باعتباره أحد أبناء الحاج ..
حين سأل عليها بانة منذ قليل متحرجا أخبرته أنها بخير.. لكنها تفضل البقاء في غرفتها لأنها لا تحب الزحام .

فتساءل ترى ماذا تفعل الآن ؟..
هل تبكي ؟..
هل تشتاق إليه ولو لمحة من اشتياقه لها ؟.
والسؤال الأهم .. كم ستبقى متأثرة به ؟ وبانفصاله عنها ؟..
شهر ..

Des. Maryam Tamim

سنة ..

سنتين ..

بعدها ستتعود على أنه لم يعد موجودا بالجوار ..

وربما وجدت معلما آخر .. أو حبيبا آخر ..

ينسي صغيرته .. ذلك الرجل العجوز الذي أحبها ..

وراقب تفاصيلها بشوق وهي تكبر وتتفتح أمام عينيه ..

أحبها وهي بلوته وورطته ومأزقه الكبير ..

رجلا رغم علاقاته الكثيرة بالنساء لم يحب غيرها ولن يحب ..

هذه المرة عليه أن يعترف دون إنكار .. أنه لن يحب غيرها .. لن يحب سوى آيته الصغيرة .

لم يستطع المكوث أكثر .. يشعر بانفلات أعصابه الوشيك .. يرغب في الصياح .. الزمجرة.. تحطيم الأشياء ..

Des. Maryam Tamim

يرغب في الصراخ في هذا الجمع من الحضور " إنها حبيبتي .. وسأحطم وجه من يعترض على ذلك " وعلى الرغم من أنه لا يجد لها أي تجاوب مع منشوراته على الفيسبوك منذ تلك الليلة .. مما يدل على أنها لم تعد تتابعه.. لكنه كان يشعر أنه بهذه المنشورات يتحدث معها .. ويبث لها أشواقه.. حتى لو لم تراها.

فأخرج هاتفه وكتب الجملة الغنائية :

حجبوها عن الرياح
لأني قلت يا ريح .. بلغيها السلامَ
لو رضوا بالحجاب هان ولكن
منعوها يوم الرحيل الكلامَ
فتنفست ثم قلت لطيفي
آه لو زرت طيفها إلماما
خصها بالسلام سرا وإلا

[2541]

منعوها لشقوتي أن تناما

كتبها واستقام فجأة يغادر .. فتفاجأ وائل وقام يلحق به .

***

في آخر الممر كانت تقف تختلس النظرات إليه كاللصوص ..

هل فقد وزنا أم يهيأ لها من هذه الزاوية البعيدة ..

غير مصدقة أن جاء اليوم الذي تراه ولا تجري عليه

ولا تشاكسه ولا تقبله بعينيها ..

ولا ترسم حول ضخامته.. قلوبا حمراء..

وقُبَل حمراء..

وورودا حمراء..

رأته ينتفض فجأة واقفا فاختبأت ..

وبعد دقائق أختفى .

أين أختفى ؟!! ..

[2542]

هل رحل !! .. هكذا بسرعة !! دون أن تأخذ ما يكفيها من النظرات المختلسة !!.

رحل دون أن يسأل .. ولو من باب المجاملة أو الفضول عن القطة الضالة التي عرفها يوما !!.

جرت إلى الصالة تبحث عنه متجاهلة كلمات التهنئة ممن قابلها من الحاضرين بأن "العقبى لها" تحسست بيدها مقعده الفارغ بعده.. كحياتها .

ولملت بكلتا يديها بلهفه أوراق علبة سجائره التي مزقها بيديه .. كقلبها الصغير . ..
وعادت لغرفتها ..
عادت لتفتح كفها ..وتطالع كنزها الصغير باشتياق ..
لم تعرف أنه لم يتخلى عن تلك العادة .. عادة صنع أشكالا بطي الورق ..

[2543]

لقد صنع من علبة سجائره .. كما كان يفعل معها وهي صغيرة عصافير من الورق .

فتحت كفيها تتأمل العصافير وتتساءل أ مازال يذكر أنها تحب تلك العصافير التي يصنعها ؟؟؟.

أ مازال يذكر أنه كان يصنع لها العصافير من الورق كلما رآها غاضبة حانقة تشعر بالقيود حولها ويخبرها أن تطير معها في خيالها .

انحنت تتشمم رائحته العالقة بالعصافير الورقية الصغيرة كفراشات ..

فانهمرت دموعها ..متسائلة هل صنعها لأنه مازال يذكر ...

يذكرها ؟!..

***

[2544]

وقف عمرو في نفس المكان على باب الشقة .. لقد قل عدد الضيوف لكن مازال هناك بقية ..
حتى الطعام لم يجدا الخصوصية للأكل والبيت يعج بالضيوف فرفضا الطعام .. والآن يستعد للمغادرة ليطمئن على والدته .
قالت مودعة " سلم لي على والدتك وسأتصل بها صباحا لأطمئن عليها أو لو وجدتها مستيقظة اتصل بي لأكلمها "
أومأ برأسه ثم قال " لا أود الرحيل وتركك .. ما رأيك أن أخبر عمي الحاج بأن آخذك الآن معي الى بيتنا "
تخضبت بالحمرة تشعر ببعض التغير في لهجته معها منذ عقد القران .. لم يعد متحفظا لكنه مازال يتحرج وتحمر أذناه .. فردت" لم تفرش شقتنا بعد أمي ستذهب مع بانة وآية وبعض النسوة لفرشها غدا صباحا "
قال بهمس "غرفتي موجودة وتحت أمر أميرة العلكة "

Des. Maryam Tamim

اتسعت ابتسامتها وتمتمت" إنها المرة الأولى التي تناديني بهذا اللقب .. "

قال بخفوت وهو يدقق في ملامحها سعيدا بتلك الحرية التي حصل عليها أخيرا من ذلك القيد الذي عذبه رغم قصر المدة " سأمطرك بالألقاب من الأن فصاعدا يا أميرة العلكة (وأكمل ببعض الشقاوة التي فاجأتها) ها .. هل أخبر عمي بالفكرة ؟"

خبأت فمها بكفيها تضحك ثم قالت " هانت باقي ثلاثة ايام .. هل ستلتقي بالشباب الليلة ؟"

رد عليها" على حسب وضع والدتي .. وأفكر في دعوتهم لبيتنا ونقضي سهرتنا هناك .. حتى أكون بجانبها .. إنهم ينتظرونني لنسهر الليلة للاحتفال "

تأملته مجددا فأضاف بحشرجة " لا أريد أن أذهب بدونك يا أروتي "

دغدغتها كلمة (أروتي) فكتمت تلك الضحكة التي تلحقها قبل أن تنفلت من شفتيها فتتحول لصوت قصير مائع لا يتعدى جزء من الثانية لكنها تفعل به

Des. Maryam Tamim

الأفاعيل ..فقال بسرعة وقد اشتد احمرار أذناه " سأذهب قبل أن أتسبب في فضيحة .. فأنا غير مسيطر على أعصابي منذ أن وقعت على قسيمة زوجنا وأعلن المأذون أمام الجميع أننا أصبحنا زوج وزوجة "

تحرك ينزل على السلم .. وهي تراقب تفاصيل جذعه الرشيقة.. ثم فوجئت به يصعد الدرجات مجددا ويختلس النظر لباب الشقة قبل أن يمد يديه ليحتضن رأسها ..ويطبع على جبينها قبلة خاطفة .. ثم تراجع للخلف وهو يتطلع فيها محرجها ..واختفى بسرعة من أمامها .

بينما غطت أروى وجهها بكفيها تستعيد ملمس شفتيه ولحيته على جبينها .. وذلك العطر الذي تعشقه .

***

بعد يومين :

Des. Maryam Tamim

في يوم الحنة أصرت إلهام على إقامة حفلة نسائية كبيرة بالبيت .. خاصة وأن أروى وعمرو قد رفضا إقامة أي حفل للزفاف فلا عمرو يرتاح لتلك الحفلات .. ولا أروى وجدت لها معنى خاصة بحالتها على الكرسي ..

لكن أروى لم تستطيع رفض إقامة ليلة الحنة .. حتى لا تحبط والدتها أكثر من ذلك .. والتي وقفت بعباءة ثمينة مزهوة بين النساء في فخر أُمومي فطري وفي سعادة انتظرتها كثيرا أن تتزوج بكريتها أروى ..

ومَن غير إلهام يعرف حسرة أم على شباب ابنتها الذي دُفن بغمضة عين ! .. لتصبر سنينا طويلة محتسبة ألمها ووجع قلبها عليها عند الله..

وقفت إلهام يومها بكامل مصوغاتها الثمينة ومارست دور صاحبة الحفل بين النساء بجدارة .. وهي تكاد تقفز من السعادة.. رغم قلقها من عفاف

Des. Maryam Tamim

.. لكن مشاعرها المبتهجة ساعتها كانت طاغية على أي قلق مستقبلي ..

قامت معظم الفتيات بالمجاملة بوصلات من رقص مستغلين خصوصية الحفل بأنه مقتصر على النساء ..

لكن راقصة الحفل المتوقعة والمرشحة بقوة لم تكن في مزاج لتستغل هذه الفرصة التي لن تتكرر في أن تخرج كل طاقاتها في الرقص وتعرض مواهبها الدفينة .. فجلست بجوار كريستين وهي ترسم ضحكة بلاستيكية ..بعد أن راودتها نفسها كثيرا ألا تخرج من غرفتها .. لكنها لم تستطع أن تفعلها حتى لا تجرح أروى ..

حاولت معها الخالة أنجيل أن تقدم لهم وصلة رقص مذكرة إياها عندما كانت صغيرة كيف كانت ترقص كالمحترفات .. تقف فوق الطاولة بصغر حجمها وتبهرهم بصولات رقص أكبر من عمرها ..

Des. Maryam Tamim

لتبتسم آية لتلك الذكريات البعيدة حين كانت الأمور اكثر سهولة وسعادة .. لكنها رفضت تلبية دعوة الخالة انجيل وتعللت ببعض المغص ..

قالت لها كريسين مندهشة " ألم تخبريني من مدة أنك تنتظرين هذه الليلة بفارغ الصبر لتنفجري فيها في الرقص "
ردت آية بهدوء " لا أشعر بالرغبة الآن يا كريستين دعيني وشأني "
قالت كريستين بقلق " ألن تتجاوزي تلك المحنة؟.. أنت قلت أن لا أحد يكسر آية سماحة "

رددت آية بعبارة مشهورة " لو أعرف كلمة أعمق من كلمة (انطفأت) لقلتها ! .. أنا لم أشعر من قبل بانطفاء روحي مثلما اشعر بها الآن "

Des. Maryam Tamim

تمزق قلب كريستين ففردت ذراعها على كتفيها تضمها مواسية بينما مسحت آية ببعض العنف دمعة فرت هاربة من عينيها .

***

في الخن وقف عمرو مطرق الرأس بأذنين حمراوين بينما سيد يضحك بخشونة رغم وجعه .. فحدجه عمرو بغيظ بينما ضربه وائل على كتفه ليتوقف عن الضحك .

قال له عمرو بحنق " ندمت على الكلام أمامك "

كتم سيد ضحكاته غير قادر على السيطرة على نوبة ضحك .. رغم أن طعم الضحكات في فمه أصبح مرا كالعلقم ...وقال لعمرو" أعد مرة أخرى ما قلت ."

نظر إليه عمرو بغيظ وهم بالمغادرة فأمسك سيد بذراعه يحاول السيطرة على موجة ضحك أخرى

Des. Maryam Tamim

ثم رفع رأسه من جلسته يسأله وهو يكتم المزيد من الضحك " تخشى ألا تستطيع فعلها .. كيف؟.. "

اقترب وائل منه ووضع يده على كتفه وقال بهدوء " عمرو .. نحن نعلم جيدا أنك لست ذلك الجاهل الذي تخشى منه .. بل إنك لديك من الثقافة والمعلومات عن هذا الأمر ما يدحض تماما هذا الشعور الذي تشعر به الآن .. وأنا شخصيا كنت أحترم التزامك واجتهادك دائما ألا تنزلق مثلنا لتجارب خارج إطار الحلال .. وتمنيت أن أكون مثلك .. ومشاعر الارتباك التي تتحدث عنها منطقية جدا لأنها أمرا جديدا عليك ومهما لنا كذكور أن نثبت كفاءتنا في هذا الجانب .. لكن ما يزيد من مشاعر الضغط عندك على ما أعتقد هو حبك القوي لها .. فأنت تريد أن لا تخطئ ولو خطأ بسيطا أمامها وأن تثبت أنك فتى احلامها من أول ليلة .."

[2552]

أطرق عمرو برأسه واضعا يديه في جيبه بحرج كولد صغير فمن يملك سواهم ليتكلم معهم بشأن توتره .. فأكمل وائل مشجعا " رأيي أن تقاوم تلك الوساوس بداخلك.. ولا تجعل حبك لها يؤثر سلبا عليك .. اجعله داعما لك في موقف متوتر كهذا وتذكر أنها تحبك في أي هيئة ستظهر فيها " شرد سيد الجالس على الاريكة في كلام وائل وعلق في سره " تحبه بكافة عيوبه قبل مميزاته وتتحمل اللوم من أجله " .

أكمل وائل يقول لعمرو " أترك الأمر لمشاعرك وستقودك وستتحدث بدلا منك .. أنا أؤكد لك ذلك"

دخل أحمد عليهم فجأة فلاحظ ارتباكهم وتفرقهم وادعاء كل واحد منهم انشغاله بأمر يخصه.. فرفع

Des. Maryam Tamim

حاجبا يسألهم بريبة ولم يخفى عليه إذني عمرو الحمراوان " ماذا يحدث بالضبط ؟"

تنحنح عمرو يلهو بهاتفه .. ليتدخل وائل قائلا "لا شيء كنت اسأله عن تفاصيل يوم غد لنرتب أمورنا ومواعيدنا "

تطلع إليهم أحمد بريبة .. ثم اقترب من عمرو وألقى إليه بخشونة شيئا اسطوانيا في حجم الذراع ملفوفا بورق الهدايا.. فأمسك بها عمرو يتطلع إليه بتساؤل ..ليرد أحمد مفسرا بلهجة ممتعضة " هدية زواجك "

رفع عمرو حاجبا مشككا .. وأخذ يقلب في الشكل الاسطواني باستفهام .. فأضاف أحمد بخفوت" لا تفتحها هنا افتحها حين تكون بمفردك "

فازداد شك عمرو وعاد يتطلع للهدية من جديد يحاول تخمينها .

Des. Maryam Tamim

حين لاحظ أحمد ملامحه سأله بغيظ " ما بك لمَ تنظر إلي هكذا ؟.. ألا يوجد لديك أي ذوق لتشكرني !"
رد عمرو بتوجس " بت اشك في نواياك تجاهي يا كونت .. فمنذ أن ارتبطت أنا بأروى وقواك العقلية ليست على ما يرام أبدا ".

نظر إليه أحمد ممتعضا فتحرك عمرو يمسك بذرعه وهو يقول للباقين " سنعود بعد دقائق "

بعد قليل كان أحمد وعمرو يقفان عند سيارة أحمد الواقفة في الساحة الواسعة الملاصقة للمقهى والتي تستخدم لمبيت السيارات .
قال أحمد بحنق " ماذا تريد مني الآن ؟"
فقال عمرو وهو يفك غلاف الهدية ويقف أمامه يمنعه من الفرار " ابق هنا وأنا أفتحها فلم أعد أثق

Des. Maryam Tamim

في قواك العقلية منذ تلك الحُلة التي مزقتها ..
انتظر معي حتى تنفجر القنبلة فينا سويا "
لاح شبح ابتسامة على فم أحمد بينما أخرج عمرو لوحة كرتونية ملفوفة .. فضيق عينيه يحاول تخمين ماذا يمكن أن تحتوي اللوحة وراقب أحمد تغير ملامحه من الفضول .. للتركيز .. للتحديق .. للذهول .
تطلع عمرو للوحة أمامه معقود اللسان .. غير قادر على التعبير .. وهو يطالع صورة بالرصاص لوجه أروى .. كل تفاصيل وجهها البهية لاحت أمامه في إبداع ..
وشعرها .. لم يرى شعرها منذ زمن طويل حوالي خمسة عشرة سنة .. تأمل شعرها أسود طويل كالليل .. ووجهها يشع بهاء كالبدر .. فتمتم بصوت متأثر " لا أعرف كيف أعبر .. رائعة .. مذهلة .. هي كلمات لا تليق "

Des. Maryam Tamim

ابتسم أحمد يقاوم قلقا وشعورا بفراق وشيك بينه وبين أروى آت لا محالة .. عقله غير قادر على استيعاب أن أروى ستترك البيت وأن هناك شخصا آخر سيكون له الأولوية عندها .

أفاق عمرو من ذهوله ليقول ببعض الحماس "أريد أن تكتب لي شيئا بخط عربي جميل .. على اللوحة "

لاح الاهتمام على وجه أحمد فصمت عمرو قليلا ثم قال بتأثر " أكتب تحتها (من أجل عينيك عشقت الهوى) ".

مط أحمد شفتيه بغير رضا وقال " أتغازلها أمامي!"

قهقه عمرو وربت على كتفه قائلاً " إنها زوجتي يا بني آدم !"

تحكم أحمد في ابتسامة ملحة وشعر بغبائه فلم يعتاد الأمر بعد.. وتحرك يحضر من السيارة قلم رصاص وفرد اللوحة على مقدمة السيارة وبدأ

Des. Maryam Tamim

برسم العبارة بخط كوفي .. بينما يحدق عمرو في اللوحة من جديد غير غافل عن تلك القشعريرة التي انتابته حين نطق بعفوية (زوجتي) وتساءل هل هي بهذا الجمال بالفعل دون حجاب ؟ ..

لقد مضى يومان منذ أن عقد قرانهما .. لم يستطع أن يقابلها بعد تلك الليلة .. فمن ناحية مرض والدته الذي احتاج بعض التحاليل للاطمئنان عليها ومن ناحية استكمال باقي تجهيزات الشقة .. فكان يصارع الوقت .. يجري في كل اتجاه ولا يعرف.. لو لم يكن أصدقاؤه معه كيف كان سينجز ما تم إنجازه في هذا الوقت القصير .. هذا بالإضافة لمفاجأة شهر العسل الذي سيفاجئها بها فهذا الموضوع بالذات اخذ منه وقتا طويلا في الترتيبات ..أما الاتصالات بينهما فكانت قصيرة سريعة هي مشغولة بالتحضيرات وهو أيضا .. وحين كان يعود لسريره كل ليلة ..في وقت متأخر.. منهك القوى..

Des. Maryam Tamim

كان ينام على صورتها في مخيلته يصبر نفسه بأنها قد هانت .

تمتم عمرو في سره وهو ينظر لساعته " هانت يا أروتي هانت "

***

جلست أروى بملل بين النسوة فلم تكن على علاقة قوية بإحداهن .. فسنوات الحبس الطوال في الكرسي المتحرك أبعدتها عن الكثيرات .. وحاولت تجاهل بعض النظرات المشفقة عليها بجلستها على الكرسي وبعض أصوات المصمصة التي تخترق أذناها كلما أدارت وجهها ..

أما آية فبالرغم من حالتها إلا أنها لم تكف عن تسجيل وقائع الليلة والتقاط الصور لأروى التي ارتدت فستانا من الشيفون حتى ركبتيها بكشكشات واسعة مموجة طوليا باللون البنفسجي بتنورة تلف بحزم على خصرها الرشيق لتنتهي ببعض الاتساع

Des. Maryam Tamim

عند ركبتيها .. ونصف الفستان العلوي .. بدون أكمام وحزام عريض من نفس اللون يتدلى من الجهة اليسرى له تموجات طولية معلقة على أعلى الحزام العريض .. يظهر قوامها الطويل النحيف وخمريتها بقوة .. بينما تركت شعرها الأسود الذي يشبه شعر الخيل مفرودا ببهاء على ظهرها .. وحذاء بلون الكشمير أكد طلتها البارسية بامتياز . أما بانة فلأول مرة ترتدي ثيابا متبرجة أمام الأغراب .. وقد أرادت أن تخرج إليهم كما هي لولا أن إلهام أخبرتها أن تكون على راحتها ففهمت أن شكلها سيكون مستهجنا في حفل مقتصرا على النساء .. بينما حدجتها آية بامتعاض حين شاهدتها قبل بداية الحفل وتمتمت موبخة " أتريدين أن تشمتي فيك أولئك الشمطاوات اللاتي سيحضرن .. وقد تسمعين بعض كلمات الشفقة من لسانهن السام لا تتركي لأحد فرصة ليتطلع عما بداخلك من مناطق

Des. Maryam Tamim

.. أنهكها الوجع.. ومن ناحية أخرى دعي أحمد وأمي يشعران بالفخر أمام الجميع في وجودك "

شعرت بانة بأنها تتألم لكنها تعرف أنها لن تبوح لها بشيء فقالت ببعض المزاح " حسنا لم أكن أعرف أن الأمر مهما إلى هذا الحد .. هلا ساعدتيني أن ارتدي شيء مناسب لكنه بدون تكلف فأنا أمقت التكلف "

بعد قليل كانت تقف ببنطال من الجينز يبرز قوامها المائل للامتلاء برشاقة مع بلوزه قصيرة بأكمام مخرمة بفتحات واسعة من عند الأكمام تكشف عن ذراعيها الأبيضين .. تلتف حول جزعها بنعومة تحدد خصرها الرشيق .. أما شعرها فرفعته فوق رأسها كذيل حصان عسلي بسيط ..وأخذت تساعد إلهام هنا وهناك بمحبة وقد اسرت العيون بطلتها وكلمات آية تتردد في رأسها " فأبسط ما

Des. Maryam Tamim



يمكن تقديمه لمن نحبهم أن نجعلهم فخورين بنا
"

دخلت ماجدة بوجه واجم تداري ارتباكها وتعدل من بنطالها الجينز وبلوزتها البسيطة لحفل الحناء .. تبحث عن حماتها التي احتاجت غرضا مهما من المنزل واتصلت بها لتحضره .. رحبت بها إلهام بمحبة واشارت لها عن مكان أنجيل التي تتوسط النساء تشاكس من تشاكس.. وتلقي بالنكات هنا وهناك .. تضحك ضحكات عالية تترجرج لها بطنها العالية المتصدرة للمشهد .
اقتربت كتمثال واجم بينما كان الجميع منتبها لشيء تقوله أنجيل وسرعان ما خمنت أنه تعليقا وقحا جريئا ألقته في وجه أروى فانفجرن النساء في الضحك بما فيهم أروى التي أخفت وجهها في كفيها فانسدل شعرها للأمام بنعومة تثير إعجاب الحاضرات .

[2562]

حين لمحت أنجيل كنتها نادتها لتقترب فدخلت ماجدة تعطيها الغرض وهمت بالرحيل إلا أن أروى صاحت بفرح طفولي " ماجدة .. مر زمن طويل لم أراك يا فتاة "

لاحت بقايا ابتسامة على وجه ماجدة التي تقدمت منها بارتباك تتمتم بالمباركة بتحفظ .. فشدتها أروى إليها تحتضنها بمحبة ألجمت ماجدة .. وأصرت أروى عليها أن تجلس قليلا .. وبعد إلحاح من أروى وحجج واهية من ماجدة تدخلت أنجيل بحزم لتجلس ماجدة بجوار أروى قليلا تتحدث بينما أصرت عليها أروى أن تتبادلان أرقام الهواتف فقد مضى وقتا طويلا .. منذ زواجها من وائل انقطعت ماجدة عن ود الجميع .

بعد قليل رن هاتف أروى فأسرعت للرد على عمرو وهي تحرك كرسيها نحو الممر تطلب بعض الخصوصية وأوقفت الكرسي هناك ليبادرها بلهجة منفعلة " أحب هذا الفستان.. أحبه جدا "

Des. Maryam Tamim

سألت بدهشة " أي فستان ؟"
قال لهجة معجبة "الذي ترتدينه الآن .. إنه يشبه فساتين النجمات "
تطلعت حولها باندهاش وسألت بغباء" كيف عرفت بما ارتدي "
رد بلهجة سعيدة " آية أهدتني أجمل هدية .. أرسلت لي صورك في الحفل على الواتساب "
تمتمت أروى بخجل وهي ترفع بعض الخصلات "تلك المجنونة ! "
فاكمل عمرو بلهجة منبهرة أسعدتها " كنت أتساءل منذ قليل كيف سيكون شكلك دون حجاب خاصة وأن أحمد قد أهداني لوحة بديعة لوجهك .. لكني مهما تخيلت كيف سيكون شكلك لن أتخيل هذا الجمال يا أروى .. أشعر أن قلبي سيتوقف أقسم بالله .. أنا أقف الآن في الشارع في منتصف الطريق غير قادر على الحركة أحدق في صورك كالأبله "

Des. Maryam Tamim

ضحكت أروى بدلال فقال عمرو بشقاوة "
احتفظي بهذا الفستان القصير أريد أن أراك به على الطبيعة "
قالت هامسة " تعال لتراه على الطبيعة "
رد بصوت أجش " كنت أتمنى جدا أن آتي حالا لكن بيتكم يعج بالنساء فسأتحرج جدا (ثم صمت قليلا وأكمل بلهجة قلقة) أخشى يا أروى أن أتصورك إحداهن بهاتفها بهذا الرداء العاري .. الرائع .. المبهر.. الذي يجعلني معقود اللسان في وصفه "
قالت سعيدة بلهجته المتأثرة بهيئتها " لا تقلق آية تمارس دور حارسي الخاص مستغلة مزاجها العكر في بخ عصبيتها على الحاضرات .. أشعر أنها ستحضر عصا وتجلسهن بالترتيب الأبجدي .. أمي تقول وكأن أحمد يجلس في وسطنا "

قال منهيا المكالمة " أحب شعرك يا أروى أحبه جدا ..هل تعلمين أني أحب الشعر الأسود الطويل

Des. Maryam Tamim

تماما.. تماما.. كشعرك أتعتقدين أني أحببت الشعر الأسود بسببك ؟"

قبل أن تجيبه جاءها صوت إحداهن تتحدث للأخرى في نهاية الممر ولا تشعران بوجودها "

صدقا أشعر بالشفقة على الشيخ عمرو .. الشاب الملتزم بعد كل هذا الصبر يتزوج قعيدة على كرسي !"

ردت الأخرى وقد ميزت صوتها بأنها الخالة أم عادل جارتهم " ربما يود فعل الخير أمثاله يطلبون الآخرة لا يطلبون الدنيا بالتأكيد اراد ستر الفتاة ليرحمها من العنوسة يا أم حنان "

قالت أروى تنهي المكالمة " على أن أذهب يا عمرو ينادونني "

فقال " سنتحدث لاحقا .. أعتقد أني سأمضي الليل ساهرا معك على الهاتف منتظرا أن يأتي صباح ذلك اليوم الذي ستكونين فيه معي يا أروتي "

Des. Maryam Tamim

أنهت أروى المكالمة وهي تركز في حديث المرأتين ببعض الضيق ..

قالت أم عادل " بصراحة من كانت تليق به هي تلك الصغيرة المجنونة آية .. شقية ومجنونة رغم أنها اليوم عصبية لكن شقاوتها وجمالها وموهبتها في الرقص كانوا سيعوضون الشيخ عن حياته حتى الآن بدون زواج "

ضحكت أم حنان بميوعة وقالت " كانت ستفك عقد الشيخ بشقاوتها .. ماذا سيفعل المسكين بامرأة على كرسي .. يقضي عمره يخدمها "

ردت أم عادل تقول بنباهة " أو أن يكون من نصيبه فتاة غريبة مثل زوجة أحمد .. انظري إليها بسم الله ما شاء الله قوامها يذيب عقل أي رجل وبياض بشرتها وشعرها العسلي مبهرين .. من كان يصدق أن الشاب الغريب الخجول يمكن أن يتحول لفتاة مبهرة بهذا الشكل .. من حقه ابن سماحة أن يعشقها .. امرأة بهذا الجمال لابد أن تعشق "

Des. Maryam Tamim

سألتها أم حنان " ألا يوجد حفيد على الطريق "
ردت أم عادل " كلما أسأل إلهام ترد ردودا مقتضبة .. بإذن الله ..ان شاء الله (واكملت بلهجة واثقة) لكني متأكدة أنه هناك طفلا في الطريق .. انظري لتورد وجنتيها .. بالتأكيد سيعلنون قريبا وستقولين نظرة أم عادل كانت في محلها "
قالت أم حنان " بصراحة أم عمرو لها كل الحق أن ترفض هذه الزيجة أنا لو عندي ولد ما كنت لأوافق أبدا "
فقالت أم عادل ببعض الحماس " هل أم عمرو لا توافق فعلا ؟"
ردت أم حنان بثقة " طبعا متأكدة .. علاقتي قوية بزوجة خال الشيخ وأخبرتني أن عفاف لا تطيقها لكنه أصر عليها دون أي اعتبارات لمشاعر أمه الرافضة "
أصدرت أم عادل صوتا مستهجننا من شفتيها قبل أن تقول " لا إله إلا الله .. هل جن الشيخ ليغضب

Des. Maryam Tamim

أمه لقد أكد الرسول الكريم على طاعة الأم .. هل تعتقدي أن إلهام وابنتها لهما أي دور في التأثير على الشيخ .. لا تؤاخذيني كلامك هذا يأخذنا لتفسير آخر لهذا الزيجة الغير متكافئة فربما لجأت إلهام ببعض السحر لتفك عقدة ابنتها "

لم تستطع أروى أن تكمل التصنت .. وتحركت بأنفاس لاهثة متوترة نحو غرفتها في صمت .

***

بعد ساعات :

كيف فعلتها ؟؟!!

كيف استسلمت وفعلتها؟؟!!

كانت عازمة على ألا تثقل عليه بظروفها ..

ولم تحاول أبدا فرض مشاعرها القوية عليه ..

وتقر وتعترف أنه يستحق أجمل فتاة في الدنيا ..

يستحق أن يعوض عن ما فاته .. عن التزامه .

كان عليها ان تقول لا ..



كان عليها أن تتماسك قليلا وتبعده عنها ..

لو كانت أصرت على الرفض لربما اضطر الآن للقبول بعروس بمواصفات استثنائية .. فهي تعلم كم ستختارها أمه مبهرة بالتأكيد لأنها تحبه تحبه مثلها حبا جنونيا .. ولن ترضى له باقل من ذلك .

ما الذي سيكسبه من زواجه منها ؟!!

ها هي أمه تتمنى الموت على أن يتزوجها منها..

تتحسر على شباب ابنها ..

وهذا هو ما يدور بخلد الناس في الشارع ..

الكل يرى أن عمرو يستحق أفضل .. أن عمرو يستحق فتاة ليست بقعيدة ..

تحركت بكرسيها في الغرفة ذهابا وإيابا وقد أوشك الفجر على الانبلاج.. لم تهدأ أبدا من التفكير .. منذ أن انسحبت من الحفل متعللة برغبتها في بعض



الراحة لتغلق على نفسها من الداخل وهي لم تتوقف عن التفكير.. تشعر بآلام قوية في صدرها ورغبة ملحة للبكاء ..

حتى أنها لم تنتبه لاتصالات عمرو ورسائله الذي لم يستمر في الإلحاح في طلبها معتقدا أنها نامت ..وانتابتها حالة من الذهول والتوتر ورغبة تلح عليها أن تصحح هذا الخطأ ..
تلح بضرورة أن تطلق صراحه ..
أتعذبه لأنها تحبه !
أتعذبه لأنه يحبها !!
كانت تشك أن يتم الأمر بينهما .. أن يغلق عليهما بابا واحدا..
يجب أن تسرع في تصحيح هذا الخطأ ..

سمعت تحركات بالصالة فخرجت بكرسيها لتجد والدها يستعد للخروج لصلاة الفجر .. شاهدته

يدخل غرفة الصالون يتحدث مع والدتها ...
فحركت كرسيها إليهما .. وهي تردد نفس العبارات
في ذهنها مرارا وتكرارا .

عليها أن تلحق النهار قبل أن يأتي ..
عليها أن تطلق سراحه ..
كان احساسها في محله .. لن تكون زوجة عمرو أبدا
لن يغلق عليهما بابا واحدا

دخلت عليهما فجأة فاتسعت أعينهم .. فقد كانت
لا تزال بفستان الحنة ..
ضربت إلهام على صدرها وقد استشعرت القلق "
لماذا لم تغيري ملابسك يا حبيبة أمك؟؟ !!! هل
أنت بخير؟"
هتفت أروى بصدمة " أنا غيرت رأيي"
ردت إلهام بذهول مستفهمة "غيرت رأيك في ماذا يا
أروى ؟"

[2572]

قالت أروى "لن أتزوج لن أذهب معه "
فرك الحاج جبينه وقال" أروى.. لقد تزوجت بالفعل... أنت الآن زوجة عمرو"
ردت صارخة " إذن أريد الطلاق.. أريد الطلاق"
أمسكت إلهام بقلبها وتحركت بصعوبة لخارج الغرفة تشعر أنها على وشك الإغماء .. وأشارت لآية التي وقفت بملامح فزعة بعد أن أخرجتها صرخة أروى من غرفتها " اتصلي بأخيك بسرعة ".

بعد قليل كان أحمد يقف يطالعها ذاهلا بينما أروى تصيح فيهم " لمَ هذا الذهول الذي يعلوا وجوهكم .. كان من المفروض أن تمنعوني حين وافقت .. كان من المفروض أن تمنعوني"
أقترب أحمد منها بوجه لم يخلو من أثر النوم بعد ممزوجا بالجزع من حالتها وحاول احتضانها بينما هي تتمتم " كيف وافقت يا أحمد كيف؟!!!..

Des. Maryam Tamim

أتتركني أظلم صاحبك ؟!! .. ألأنك تحبني تفعل ذلك به ؟!!"

قال أحمد بلهجة هادئة يحاول تهدئتها "حبيبتي إنه زوجك وأنت تحبينه "

هتفت" هل لأني أحبه تتركوني أظلمه ؟!!"

حاول أحمد المزاح " ما دمت تريدين الانفصال .. فهذا يوم السعد بالنسبة لي "

فقالت بجدية دون التفات لمزاحه " إذن اخبره أن يطلقني .. غيرت رأيي يا أحمد.. لن أذهب معه .. لن افعل"

نظر أحمد لوالده الذي لم يجد بدا من الصياح في وجهها بحزم" ما هذا الكلام يا أروى؟!! .. هل نمزح !! .. هل قرار الزواج أو الطلاق لعبة؟!!" .

هتفت إلهام من الصالة صارخة فيهم لا أحد يذكر كلمة الطلاق بالله عليكم .. ارحموني !"

Des. Maryam Tamim

صرخت أروى باكية من الصالون " قلت لا أريد الزواج منه .. كيف توافق علي ظلمه يا أبي وهو ابن صديقك "

خرج أحمد للصالة وأتصل بعمرو الذي كان خارجا من المسجد بعد صلاة الفجر واندهش من اتصال أحمد في هذا الوقت.. وبمجرد أن رد قال أحمد بلهجة متوترة " تعال بسرعة .. أروى في حالة انهيار وتريد الطلاق "

أخذت بانة تمسد على ظهرها وتلملم لها شعرها وتهدهدها وهي تقول " إهدئي يا أروى واستغفري الله اليوم عرسك وسنفرح كلنا "

ردت أروى" أريد الطلاق يا بانة.. عليه أن يطيع والدته ويتزوج من تحب .. ولا يقضي حياته مع امرأة قعيدة مثلي .. كيف أظلمه هكذا !.. كيف أحبه وأظلمه .. هذا ليس حبا هذه أنانية "

Des. Maryam Tamim

دخلت آية فجأة إلى الغرفة وأبعدت ذراع بانة ببعض الخشونة وجلست القرفصاء أمام أروى بينما بانة قد اخترقت جملة أروى في ذهنها (كيف أحبه وأظلمه .. هذا ليس حبا هذه أنانية) فأصابتها في عمق قلبها .. ووقفت تتطلع لأحمد ذي الملامح المتشنجة المتألمة على أخته "

قالت آية بحزم " اسمعيني يا أروى.. ما دمت تحبينه ويحبك .. لا تدعي أي ظروف تمنعكما على ألا تكونا سويا .. كفاك يا أروى سنينا تهدريها من عمريكما ..! "

ردت أروى " كيف ؟.. من يحب لا يظلم "

ردت عليها " صدقيني أي عذاب يهون إلا أن تفترقي عمن تحبين .. صدقيني الشعور أشبه بفصل اللحم عن العظام "

بعد قليل فتح أحمد بوابة البيت الموصدة من الداخل لعمرو .. الذي كسى الرعب ملامحه ..

Des. Maryam Tamim

يسأله بأنفاس لاهثة من الركض منذ أن نطق أحمد بكلمة (الطلاق) " ماذا حدث ؟.. من ضايقها؟"

تمتم أحمد بلا أعرف.. بينما سبقه عمرو راكضا على السلم .. ثم لجم نفسه بقوة قبل اقتحام الشقة متناسيا حرمة البيت .
دخل أحمد أمامه يخبرهم بوجود عمرو .. وبعد دقيقة كان يدخل ليجد إلهام تجلس تسند رأسها بكفها في ولولة صامتة .. بينما بادره الحاج سماحة يقول" ادخل لزوجتك .. أنا سأنزل لألحق بالصلاة.. وحين أعود لا أريد أن أسمع لعب الأطفال هذا"

دخل عمرو غرفة الصالون فبادرته بالقول مندفعة " أنا لا أريدك ..هل تسمع .. هذا الخطأ لابد أن يتم تصحيحه الآن "

Des. Maryam Tamim

استدار يقول بصوت هارب منه" أريد أن أتكلم معها وحدنا من فضلكم "
هم أحمد بالاعتراض .. لكن إلهام هبت تقول بلهجة حازمة" سنتركك مع زوجتك يا ولدي"

واندفعت تغلق الباب على الأثنين وهي تنظر بحزم وتهديد صامت لأحمد .. الذي أمسكت بانة بذراعه هي الأخرى .. لتقول إلهام بلهجة متوعدة "إياك" وتركته يعلو وجهه الامتعاض واختفت بالداخل .. بينما نظر هو للباب الموصد .. فقالت بانة وهي تسحبه" تعال معي هداك الله "
فتحرك مطرق الرأس كولد صغير محبط .. انشغلت عنه صاحبته .

في الصالون .. وقف أمامها متخصرا غير قادر على السيطرة على ارتجافه .. يطالع في رعب نظرة الهذيان التي تتطلع إليه بها .. محاولا استحضار

Des. Maryam Tamim

الكلمات في ذهنه .. لكنه كان خاويا تماما كصحراء .. عاجزا عن إيجاد ما يناسب من الكلام بينما أضافت أروى "هذا الأمر لابد أن ينتهي الآن وفورا .. لن أتحمل نظرات الاتهام بأنك ستضيع حياتك معي .. أريد الطلاق .."

اندفع نحوها فجأة .. وبمجرد أن انتهت من نطق آخر حرف من جملتها كان قد مال بجذعه يخرسها بشفتيه .. بقبلة مرتبكة .
شهقت أروى وهي تشعر بشفتيه تطبقان على شفتيها.. بينما لحيته الأنيقة وعطره الرجولي يدغدغانها.. فقبضت على ملابسه بقوة ..في حركة يصعب تصنيفها هل هي اعتراض أم تشبث به .
عندما حرر شفتيها وظل محدقا في عينيها ووجهها لثوان .. فتطلعت إليه مشدوهة مخروسة .. لتتفاجأ أكثر حين مد ذراعيه تحت ركبتيها وخلف ظهرها .. ثم وجدت نفسها ارتفعت في الهواء

Des. Maryam Tamim

فأطلقت تلك الصرخة المتفاجئة القصيرة قبل أن تخرسها بسرعة .. بينما ذراعاها التفا حول عنقه بعفوية غير مستوعبة ما يحدث .

جلس عمرو على الأريكة وأجلسها على حجره بأنفاس ساخنة .. يستوعب بإدراك متأخر لهيئتها لأول مرة منذ أن دخل ..فتأمل ذلك الفستان البنفسجي الذي تمنى أن يراها به أمس في الحقيقة.. ومسح بنظرة ذكورية فاحصة وسريعة عليها .. من رأسها حتى أخمص قدميها .. حافية القدمين عارية الذراعين بخمريتها اللامعة ..فأزاح بكفه شعرها الذي رآه يوما في منامه إلى الوراء عن جبينها ليظهر عيناها اللتان تحدقان فيه باتساع .. وهي تتمتم باسمه لاهثة مذهولة .. وقلبها يضرب في عظام صدرها الرقيقة كالطبول .

Des. Maryam Tamim

فلم تحتمل أعصابه وهو يلمسها لأول مرة ..
فحضن صدغها بكفه ومال ينقض مجددا على شفتيها .. ليس لإخراسها هذه المرة إنما للبوح ...
البوح بما ينعقد به لسانه ..
البوح بشكل أعمق وأكثر سخونة .. مستشعرا ارتجافها الرقيق بين يديه .

بعد قليل أطلق سراح شفتيها لاهثا أحمر الأذنين..
يجاهد مجددا لفك عقدة لسانه التي انعقدت أكثر بتلك المشاعر التي يختبرها لحظتها ..
بينما رفعت أروى يدها تتلمس لحيته التي تحبها وهمست مشدوهة وهي تحدق في عينيه اللتان تلمعان بالدموع " عمرو .. هل تبكي ! "
ورفعت أصابعها الرفيعة تمسح دمعة من زاوية عينيه .
تكلم أخيرا بهمس متحشرج " إياك أن تفعليها مرة أخرى .. إياك يا أروى.. إياك .. مهما حدث بيننا لا

Des. Maryam Tamim

تطلبيها أبدا ... خانقيني .. خاصميني .. افعلي ما تريدينه بي .. لكن إياك أن تنطقيها مجددا ..(ثم أكمل بلهجة عاتبة) هل هنت عليك؟! بهذه السهولة "

لمست لحيته تقول بهمس " لا أتحمل أن أكون سببا في معاناتك "

أعاد كلامه بإصرار عاتبا" هل هنت عليك يا أروى!!"

ألقت بنفسها عليه تحيط عنقه بذراعيها .. فشدد ذراعيه حول جزعها بقوة.. يتحسس ذلك الجسد الرقيق في شعور يتذوقه لأول مرة مما أعاد إليه عقدة لسانه .

طرقات نزقة على الباب وصوت أحمد يقول "هل ستحولان صالون بيتنا لغرفة نوم .. ما هذه الوقاحة !!"

أبعدت أروى ذراعيها عنه بسرعة في خجل .. فتحرك في تململ يطحن أسنانه بغيظ .. ورفعها

Des. Maryam Tamim

ليعيدها لكرسيها في نفس اللحظة التي اقتحم فيها أحمد الغرفة .. بعد أن أعطاهما مساحة بسيطة من الوقت .. وبمجرد أن لاحظ أحمد أنه يعيدها للكرسي هتف ساخرا ولم يخف عليه احمرار وخجل أروى ولا عينا عمرو المبللتين من أثر الدموع " ما شاء الله ! .. لم أرى في حياتي مثل وقاحتكم "

لملم عمرو شتات نفسه محاولا أن يخرج من دائرة مشاعره اللحوحة... فاقترب من أحمد يضع يده على كتفه ويحدجه بنظرة متسلية قائلا بشماتة " انتهى عصرك يا بني .. والآن أنا الملك وبعد (ونظر في ساعته) وبعد حوالي اثني عشر ساعة من الآن بإذن الله (وأشار لصدره بثقة) أنا من سيضع القواعد ."

ثم ربت على كتف صاحبه و نفض غبارا خفيا عن نفسه في حركة استعراضية استفزازية ..بينما الثاني يرمقه بغيظ .

Des. Maryam Tamim

تدخلت إلهام تتفحص الوجوه بلهفة تحاول فهم إلامَ وصل الأمر.. وبرغم من وجوههم المسترخية أخبرتها .. إلا أنها أرادت التأكد.. فسألت أروى"

كيف حالك يا حبيبة أمك الآن "

تخضبت أروى بالحمرة برغم استمرار تحيرها ونظرت لعمرو الذي رد بالنيابة عنها بلهجة قاطعة "أروى ستتوقف عن الجنون يا خالتي وكل شيء كما هو بإذن الله "

وضعت إلهام يدها على قلبها تتنهد في راحة متمتمة " أسعدكما الله وجمع بينكما على خير وابعد عنكما عين كل حاقد وحاسد "

***

ردت بانة بلهفة على فاطمة تكتب

- وعليكم السلام فاطمة كيف حالك

- الحمد لله بخير وأنت بانة

- أنا بخير الحمد لله

- أردت إخبارك أنني سألت أبي وإخوتي وللأسف لا يعرفون شيئا عن أهلك وتواصلهم مع الاخوان في الوطن ليس بانتظام لأن وصلات الانترنت ضعيفة وتتركز حاليا على العاصمة فقط لكن أعدك اذا ما وصلتنا أي أخبار أن ابلغك فورا

- شكرا عزيزتي جزاك الله خيرا

بلعت بانة الاحباط لكنها لم تستطع السيطرة على رغبتها في البكاء فأشاحت بوجهها تتطلع إلى الطريق من نافذة السيارة .. وفرت دمعة من عينها مسحتها بسرعة قبل أن يلاحظها أحمد الجالس في مقعد القيادة وتمتمت" ألن ينتهي هذا الكابوس .. ساعدني يا الله برحمتك التي وسعت كل شيء ساعدني كي استقر واتخلص من عذابي "

Des. Maryam Tamim

قطع أحمد شرودها يقول بغيظ "لا أفهم لم أصر أن يوصلها بنفسه صباحا لصالون التجميل هي وآية ؟!!"

لم ترد بانة على الفور بسبب شرودها ثم استدارت إليه لتقول بتهكم" أمره غريب فعلا ! كيف يصر على توصيل عروسه لصالون التجميل !! .. إنه عريسها يا بني آدم"

رد بانفعال "وانا أخيها من فينا أقرب لها لا أفهم !"

زفرت بانة في غيظ من صبيانيته وقالت بشقفة "من الجيد أنه افسح لها مجالا في جدوله المزدحم اليوم ليوصلها فكما رأيت هي بحاجة لدعم نفسي "

مط شفتيه بغير رضا وبرطم" لا أفهم حقا أين الإعجاز في طائر أبا قردان هذا .. إنها عاقلة حكيمة هادئة .. لكن بمجرد أن ارتبط بها أظهرها بشخصية مغايرة تماما .. تفاجئني أحيانا ... أروى

Des. Maryam Tamim



التي تغلبت على أي انكسار بسبب حالتها..
تصاب بهذا الانهيار بسبب مجموعة من النسوة
الثرثارات التافهات ومن أجل من .. من أجل أبي
قردان ملتحي .!"

استشعرت توتره وإنه غير قادر على التخلي عن
أروى فقالت مطمئنة " لا أحد يستطيع أن يأخذ
مكانتك عندها يا أحمد .. الناس ليسوا
بمسمياتهم في حياتنا إنهم بما يقدموه ويعنوه
لنا"
صمت ولم يرد .. يعترف أنه يشعر بالوحشة لها
من الآن .
وقادته هذه الجملة لأن يفكر في آية ويعترف أنه
مازال يصعب إيجاد طريقة سهلة للتعامل معها ..
لكنه عازم على الاستمرار وتذكر مناقشته معها
منذ أيام.



منذ عدة أيام :

ألقت آية بعض التصاميم المقترحة على المنضدة وكأنها تلقيها في وجهه وهتفت" هذه عشرة تصاميم .. هل سيفرج عني ؟"

تجاوز عن طريقتها المستفزة في لحظة تعجب فيها من نفسه أن أصبح قادرا على ترويض وحوشه .. ونظر للتصاميم قليلا..
ولم يدر أنها كانت متوترة تترقب تقييمه لها ولم تعرف هي الأخرى لمَ ؟ رغم زعمها لنفسها أنها غير مهتمة.. لا به ولا بموضوع التصاميم .
ألقى أحمد التصاميم إليها مرة أخرى بنفس طريقتها وقال بلهجة متسلطة " أعيدي رسمهم من جديد ".
ردت بعصبية وقد شعرت بالإحباط " ما الذي تقصده بإعادة التصاميم ؟ .. هل تعلم كم المجهود الذي بذلته فيهم .؟"

[2588]

رد ببرود " المجهود واضح بالفعل لا أنكر ..
وواضح أنك اضطررت للعودة للاطلاع على
تصاميم وتقنيات في رسم الحروف أكتر وأحدث
.. وهذا واضح من الإضافات التي أضفتها
لتصاميمك هذه المرة "
قاطعته تحاول إنهاء الحديث فقالت " واضح أن
الموضوع لم يكن لا تصاميم ولا إيمان بموهبتي
ولا تلك الشعارات .. وإنما طريقة جديدة
لتعذيبي.. (وهمت بالمغادرة وهي تقول) عموما
شكرا "

لحقها بصوته يقول " انت لم تسأليني حتى عن
سبب الرفض يا آية"
جزت على أسنانها وردت " ولمَ أسئلك إن كانت
لم تعجبك من الأساس "
قال بثقة " أنت افترضت افتراضات .. وما
افترضتيه أوجعك .. لو كنت سألتني ببساطة لمَ

Des. Maryam Tamim

لم تعجبني كنت وصلتِ للسبب الحقيقي دون افتراضات من رأسك ليس لها أساسا من الصحة .. عموما رأيي أنها تصاميم مبهرة لكنها تفتقر للروح "

لاح عليها الاهتمام فسألته" ماذا تقصد "

فحص التصاميم مرة أخرى وقال " اهتممت بالزخارف ولم تهتمي بالروح .. لم تغمسيها بعواطفك .. الحب يحول الأشياء الجامدة لتبدو وكأنها تتكلم .. حين أنظر لتلك اللوحات أجد أن الوحيدة التي تحدثت معي هي تلك اللوحة البسيطة (واشار لأكثرهم بساطة) أنظري إليها أنها تتكلم . تتكلم بوجع"

نظرت آية إلى اللوحة بذهول لقد خطتها بالفعل وهي شاردة في آلامها .

أعطاها التصاميم وقال بهدوء " خُطيها من جديد بعينين اثنين هذه المرة وليست عين واحدة ..

Des. Maryam Tamim

عين الابتكار وعين مشاعرك .. اصنعي منها إبداعا
وليس مجرد زخرفا براقا دون روح "

أعادته بانة من شروده حين سألته باهتمام" فيم شردت؟ "
فانتبه لأنه قد ركن السيارة بالفعل أمام ذلك المول التجاري الكبير الذي يضم صالون التجميل الشهير الذي توجد به أروى منذ الصباح تستعد ..
فقال وهو يشاهدها تلملم أكياسا بها فستانها وأشيائها الخاصة التي سترتديها في مركز التجميل استعدادا للزفاف " تذكرت الحلم الذي حلمته ليلة أمس "
لاح الاهتمام على وجهها وسألت " اللهم اجعله خيرا .. بمن حلمت ؟"
رد " بك "
شعرت بالفضول فسألته " حلمت بي .. قص لي الحلم "

[2591]

قال وهو يحدق فيها " عيب يا بانة عيب ما فعلتيه معي بالحلم ليلة أمس .. من أين أتتك هذه الوقاحة والجرأة .. عيب أن تفعلي مثل هذه الـ.. (جحظت عيناها واحمرت فلملمت أكياسها تخرج بسرعة وهي تغمغم بكلمات غير مفهومة فأكمل الحديث بخفوت محبطا بعد أن ابتعدت) عيب أن تفعلي مثل هذه الأمور مع زوجك حلالك"

فرك جبينه بإرهاق .. وأغمض عينيه يسيطر على مشاعره ثم اخذ نفسا عميقا .. ليفتح كفيه بعدها على الجانبين في وضع تمارين اليوجا وتمتم لنفسه يهدئ من انفعالاته " تحكم بنفسك يا كونت .. أنت أقوى من الشهوات .. استحضر الجانب الأفلاطوني الكامن في شخصيتك "

فتح عينيه فجأة يقول بغيظ وهو يضرب على المقود " أي جانب أفلاطوني ستستحضره يا أحمد وأنت لا تملكه من الأساس !! .. ولا تعترف أصلا

Des. Maryam Tamim

بالحب العذري .. الحب عندك مرتبط بالغريزة .. مرتبطا ارتباطا وثيقا بالوقاحة يا ابن سماحة .. فلا تتشدق بالهراء عن الأفلاطونية مجددا !! "

بعد ساعتين :

دخل أحمد ووقف يطالعها بفستانها الابيض يقاوم ذلك الشعور المهين لكرامته بالعاطفية والتأثر واقترب من كرسيها يتأمل هالتها النورانية البيضاء ..

أشارت له بيدها ليقترب اكثر.. ثم رفعت ذراعيها النحيلين نحوه كطفلة .. فمال عليها وغمرها في حضن أخوي ..واسع .. رحب.. من المحبة الخالية من أي مصلحة سوى ذلك الشعور بالضعف الجميل تجاه انسان تحبه .

بادرته بالسؤال الملح جدا في ذهنها.. وتأبى كرامتها أن تسأله للآخرين .. وحده أحمد من تسأله

Des. Maryam Tamim

بأريحية وتثق في الإجابة فهمست في أذنه " كيف أبدو "

غلبته عاطفته فهمس بصوت يقاوم البكاء بصعوبة " مذهلة إلى حد الإبهار "

فشددت على ذراعيها حوله بارتجاف متمتمة "شكرا "

تنحنح يكبح دموعه خاصة في وجوده وسط الإناث .. ومد يديه إليها فنظرت إليه بتساؤل ليقول " تعالي قفي.. وسأسندك ليراك أول مرة بفستانك المبهر هذا واقفة.. أريد أن أراه مصعوقا ببهائك "

أنزلت حذاءها الابيض تتحامل على ساعديه فأمسكها من خصرها ليستقيم جذعها .. ووقف خلفها ... تاركا لها ساعداه لتتحامل عليهما ليقول لآية الواقفة عند الباب تنتظر الإشارة " ادخليه "

دلف عمرو بتوتر وحرج ووقف مسمرا أمامها وهو يراها واقفة تستند على ساعدي أخيها .. تبدو أمامه

Des. Maryam Tamim

كهالة من النور الأبيض .. والنقاء .. والملكية .. فستانها برغم بساطته مبهر .. يشع بياضا .. يلف جذعها بنعومة .. ويحدد رشاقتها وقدها الفرنسي الطابع .. نصفها العلوي بدا اقرب لمثلث مقلوب من قماش الدانتيل المخرم برسوم مفرغة على الكتفين حتى بداية صدرها ثم .. قماش الستان الابيض ليلتف حول جذعها حتى خصرها النحيف .. ليستمر التفاف الساتان بنعومته على قوامها فينسدل بأناقة باريسية يلف وركيها .. ثم يزداد اتساعا في رحلته إلى الارض لينتهي طرف الفستان عند مقدمة حذائها ..

وبرغم طغيان الساتان على فستانها إلا أن الدانتيل كان حضوره مؤثرا .. فانسدل بطبقة رقيقة فوق الستان .. ثم شكل جزءا اضافيا كتنورة اضافية مفتوحة .. مثبتة من بداية خصرها من الخلف حتى الارض ..

وكأن الفستان يتحدث عنها.. يعبر عن أروى ..

[2595]

صلابة ناعمة يمثلها الساتان .. مغلفة بطبقة الدانتيل الفخم كرومانسيتها .. ليحدد اللون الابيض عنوانا لها لشخصيتها ..
اما ذراعاها فكانا مختبئان بقماش الليكرا الأبيض .. تنتهي بقفازات من الدانتيل المخرم المفرغ برسومات كالحنة البيضاء .. بأصابع مكشوفة .. وحجابا ملائكيا بسيطا دون تكلف أو بهرجة ليكمل صورتها الملائكية الملوكية .

ارتجف قلب عمرو.. فضم قبضته .. بحركة عفوية يضعها على فمه واشاح بوجهه لدقيقة ليسيطر على انفعالاته.. ثم أخذ نفسا طويلا ..
وتقدم نحو هالة النور الابيض أمامه بثقه .. يتمتم بعبارات في سره ترقيها من عينه وعين الجميع ..
حين وصل إليها أمسك برأسها برقة وطبع قبلة عميقة شغوفة على جبينها ... أخبرتها كيف تبدو في عينيه .. بدلا من لسانه المعقود.. بينما أشاح احمد

Des. Maryam Tamim

بوجهه بعيدا.. فوجد بانة تمنحه ابتسامة عذبة فخورة به .
بعد أن عادت لكرسيها وجدوا صعوبة في التفريق بين أروى وإلهام التي تشبثت بها في حضن أمومي باكية في انهيار تتمتم " يا فرحة قلب أمك يا أروى .. الحمد لله أن جبر بخاطرنا وأعطانا ولم يحرمنا " .

تحرك عمرو بعد قليل بجانب كرسيها ثم أخذ المبادرة يقول " اسمحي لي أروى هانم بدفع الكرسي"
ولم يعطيها الفرصة للإجابة وهو يدفع كرسيها أمامه .. بينما لملم أحمد مشاعره .. باحثا عن مالكة قلبه التي تشاهده من بعيد .. مشفقة .. عاشقة .. متحيرة .. معذبة.

Des. Maryam Tamim

اقترب منها يطالع فستان الاورجانزا البسيط الذي ترتديه بإكسسوارات بسيطة تعكس شخصيتها .. ولمس خصرها ليطبع قبلة على خدها.. فابتسمت له بحنان و تأبطت ذراعه بتشبث رقيق .. ليلحقا بالمجموعة .. بينما عيناه تراقبان آية قلقا من أي تهور من جانبها ..لكنها كانت ملتصقة بكريستين صامتة خامدة الوهج على غير عادة .

تحرك عمرو معها نحو الخارج وسط الزغاريد والتهليل وفلاشات الصور سواء من آية أو مصور الحدث .. وكانت السيارات تنتظر العروسين أمام المكان في حضور الجميع للتهنئة.

في نفس الوقت وقف سيد من بعيد يقبض قبضتيه بجانبه يتظاهر بالجمود بينما عيناه وقلبه وروحه يتفحصوا الجميع للبحث عنها بلهفة.. غير قادر

Des. Maryam Tamim

على الصبر لحظة واحدة .. يقاوم رغبة حارقة في تفريق الجموع بعنف للبحث عنها وسطهم ..

بعد خروج أروى وعمرو من المول والذي لم يدقق فيهما كثيرا خرجت مع كريستين .. ورآها..

رآها صامتة هادئة هيئتها تبدو مختلفة فلم ترتدي هذه المرة اللامع والمبهرج والمشع .. وإنما لبست البساطة .. وكأنه لم يعد لديها رغبة للفت الانتباه .. أوجعه قلبه لمنظرها خامدة الوهج .. منطفئة .. فهمس في سره " لمَ العبوس يا روح سيد !.. تخطيني ودوسي عليّ بقدمك .. إمضي في حياتك سعيدة .. فإن كان مقدرا لي ألا أرى سعادة أبدا .. فأتمنى أن تأخذي نصيبي كله منها .. فمن غيرك يستحق أن يحيا بسعادة يا روح الفؤاد "
أشاح بوجهه وتمتم من جديد " تماسك يا سيد .. تماسك من أجلها .. ومن أجل الجميع"

Des. Maryam Tamim

وتذكر حديثه صباح اليوم مع بسمة وقرارها الذي اخبرته به.

قبل عدة ساعات :

سألته بسمة بوجوم وهو يرتدي حلته " هل ستحضر الزفاف ؟"

رد عليها دون أن يستدير " مؤكد سأحضر .. كيف أفوت حضور زفاف عمرو وأروى "

أطرقت برأسها في حزن فقال" هل ترغبين في الذهاب معي ؟"

تطلعت إليه بصدمة " هل حقا ما تقول!! "

رد متصنعا الهدوء " طبعا .. اذا اردت "

قالت " ظننتك سترفض ككل مرة "

Des. Maryam Tamim

لم يرد ..
ماذا يخبرها ؟.
أيخبرها بأنه يرحب بها هذه المرة حتى يحتمي فيها من صغيرته ! ..
لإنه متوتر من لقاءها.
بل مرتعب ..
متشوق لرؤيتها ولو من بعيد .. ويخشى أن تفلت أعصابه فيتهور ويخطفها ..
أو يحضنها ..
أو يقبل يديها أمام الناس لتصفح عنه.

قالت بسمة " لا أريد .. لست مستعدة لجرح كرامتي "
اخذ نفسا عميقا وسألها بترقب " هل اتخذت قرارك ؟"
فركت كفيها وقالت " انت وعدتني انك لن تجرح كرامتي إن بقيت "

Des. Maryam Tamim

شعر بالإحباط الشديد .. كان يأمل أن تطلب الطلاق .. فيعتقها وتعتقه من هذا العذاب .. فتكلم بصدق مداريا إحباطه " كرامتك من كرامتي يا بسمة . ."

قالت " وهي ؟"

حدجها بنظرة خطرة وقال " لا أريد أن نذكر سيرتها بيننا .. أنا لم أعد التقي بها ولا أحادثها .. فاغلقي هذا الموضوع من فضلك "

قالت بمسكنة " هل حقا القرار بيدي ؟"

رد وقد آلمه قلبه أن يكون السبب " أجل يا بسمة القرار بيدك ".

قالت " و ستضحي بها .. من أجلي !"

أراد أن يقول (على أن أقدم نفسي قربانا للتكفير عن ذنبي في حقك) لكنه قال" أنت تستحقين ذلك .. وما اقترفته في حقك يلزمني بذلك "

Des. Maryam Tamim

أخذت نفسا عميقا وقالت " إذن .. كل منا سيوفي بالتزامه تجاه الآخر .. وأنا أثق في شهامتك ورجولتك (وأضافت لنفسها بهمس) " لكني لا أثق في قلبك "

عاد من شروده حين سأله وائل " هل ما أفهمه صحيحا ؟ .. أنك ستضحي بآية من أجل ذنبك تجاه بسمة !! "

أخذ نفسا عميقا وأختلس نظرة أخرى نحوها وقال " لا مفر"

قال وائل بغيظ " أنت مجنون "

رد سيد بوجوم " أفضل من أن أكون نذلا"

استمر وائل في تعنيفه " بسمة حكمت عليك بالإعدام .. وأنت صدقت على الحكم "

رد بيأس " ليس هناك فرق .. تعددت الأسباب والموت واحد"

Des. Maryam Tamim

زفر وائل بغيظ.. ونظر لمريم يشتكي لها فأرسلت له نظرة مشفقة .

بينما اختلس سيد النظر لآيته مرة أخرى من بعيد واكمل جملته يحدث نفسه " خاصة إذا خاصمتك الحياة "

***

نظرت أروى للسيارة التي ستزفهم .. سيارة مكشوفة مزينة بالورود .. فصاحت بفرح طفولي " إنها مكشوفة "

فابتسم ومال عليها يهمس" أحمد أخبرني أنها أمنيتك"

رفعت إليه عينان تعشقانه خاصة وأنه يتلذذ بتعذيبها بحلاته التي يختارها .. وغمغمت بخفوت لم يسمعه " لم أرى في حياتي عريسا أحلى من العروس .. إنه كالعادة لا يراعي الظروف أبدا "

Des. Maryam Tamim

صاح يقول " غمغمة من جديد ! .. هذه المرة سأعرف .. وسأعرف المرات السابقة أيضا .. صبرا يا أروى صبرا (ثم تغيرت لهجته للعملية) سنذهب لنسلم على أمي "

أومأت أروى وتحركت بالكرسي نحو السيارة التي تجلس فيها والدته مع خاله وزوجته فخرجت إليهم عفاف بوجه جامد .. وقبّلت أروى ببرود ..ثم أقترب منها عمرو ولثم يديها عدت مرات ورأسها وقال بمحبة " أطال الله في عمرك يا أم عمرو "

فاغرورقت عينا عفاف بالدموع ومسدت على لحيته وصدره وبدأت تبكي .. فاشفق عليها وحضنها .

ركب الجميع السيارات وطالعت آية سيد من المقعد الخلفي لسيارة أمير وهو يتحرك بسيارته خلف الركب ومعه وائل والخالة انجيل .. قبل أن

Des. Maryam Tamim

تهدأ السيارتان بعد قليل ويترجل أمير ليعطي شيئا لوالدته ويعود لمقعد القيادة بجوار كريستين .
فكانت ملامح سيد واجمة جامدة .. يسند ذراعه على نافذة سيارته .. ولم تعرف أنه يتابعها من مرآة السيارة ..لتتحرك السيارات بعدها في سرب طويل تجوب شوارع العاصمة رقصا وعزفا بالأبواق ..

في آخر الليل وعند نهاية الرحلة البسيطة دخلت السيارات لشارع سماحة .. لتفاجأ بفرقة موسيقية تزفهم بالطبول عند اول الشارع .. مما أضطر السيارات للتوقف خارج الشارع مؤقتا .. والترجل لحضور الزفة عدا .. سيارة العروسين المكشوفة التي دخلت الشارع ببطء ووقوف متكرر .

زفر عمرو وقال بعصبية من بين أسنانه "سيد ووائل سأقتلهما "

Des. Maryam Tamim

ردت أروى تتطلع للزفة والطبول وقالت " جميلة جدا يا عمرو "

رد بغيظ " لا أحب المفاجآت"

اقترب منه وائل يقول " هل ستنزل لتحي الناس في الشارع يا عريس "

قال عمرو " قلت لكم لا أحب الزفات "

رد وائل مازحاً " إنها زفة بالطبول يا شيخ.. وكل الفرقة من الرجال اقسم بالله .. لا يوجد انحلال ولا توجد منكرات.."

تحكم عمرو في ابتسامة ملحة ورد " أنا لست شيخا كم مرة سأكررها ! .. كما أن المسألة ليست منكرات.. أنت تعرف يا وائل لاحب تلك الأمور .. ويتملكني الحرج "

قال وائل باقتضاب" حسنا كما تريد يا عريسنا لن يطيل الأمر .. أنا وسيد أردنا التحية لا أكثر "

Des. Maryam Tamim

فهتفت أروى تقول بإعجاب طفولي "أنا أحببتها يا وائل هل سترقصون "
رد وائل" بالطبع سأجر سيد الكئيب هذا إلى الساحة حالا (ثم استدرك بلهجة ساخرة) بعد اذن الشيخ طبعا "
ولعب حاجبيه بإغاظة لعمرو الذي يتحكم في ملامحه حتى لا يضحك .
قالت له أورى" كنت فظا معه "

صمت عمرو قليلا .. ثم فتح باب السيارة وترجل منها يخترق جموع المهنئين حتى الساحة .. يقف يديه في جيبه مبتسما .. وهو يرى وائل وسيد يتبادلون رقص الشوارع .. رغم حلاتهم الفاخرة وقلوبهم الحزينة .
بينما وقف أحمد يديه في جيب بنطاله يراقب الجميع من بعيد بصمت في فمه علكة يعذبها تحت أسنانه .. وبانة تتأبط ذراعه بمواساة ..

Des. Maryam Tamim

وحين ترجل عمرو من السيارة قالت له بانة " أروى تناديك "

فنظر لأروى التي كانت تلوح له بملامح صبيانيه تحاول إضحاكه .. فأشاح بوجهه دون رد يتحكم في مشاعره المتأثرة .

عند وقت متأخر تفرق الجميع وجلست أروى على كرسيها في الشارع تودع عائلتها ..

إنها تلك اللحظة التي تختلط فيها الدموع..
بالابتسامات..
مشاعر الترقب بالأمنيات ..
السعادة بالخوف ..

اقترب الحاج يسلم على عمرو وقال بتأثر "ابنتي أمانة في رقبتك إلى يوم الدين يا ولدي "

Des. Maryam Tamim

قبل عمرو كتفه باحترام وقال " في الحفظ والصون يا عمي الحاج "..

ثم نظر الحاج متأثرا لأروى والتي رفعت إليه ذراعيها بحركتها الطفولية .. فمال عليها يحضنها بقوة وقبل رأسها بمحبة ..

بعدها اندفعت آية تبكي بشدة.. مما أدهش الجميع بما فيهم أروى التي سمعتها تقول بجوار أذنها وذراعيها ترتعشان حولها " ربما كنت لا أتكلم معك كثيرا .. لأني لم أرغب أن أشغلك بجنوني وشطحاتي .. لكني أريد أن أخبرك أني أحبك كثيرا واحترمك جدا .. ولا أعرف كيف سيكون البيت بدونك .. لكن أريدك أن تسعدي .. عيشي يا أروى واسعدي مع من تحبين .. فقد أخذت كل نصيبك من الحزن مسبقا ".

Des. Maryam Tamim

وقفت إلهام تطالع عفاف التي تقف تنظر للعروسين بوجوم فقالت بلهجة ذات معنى " أنا سأودعها أنا وبانة في شقتها ونحن نوصلها"

رفع عمرو حاجبه مندهشا.. ولم يفهم السبب لكنه ابتسم في صمت فقالت إلهام" هيا يا بانة نصعد لنساعدها "

اتسعت عيني بانة التي لم تتوقع أن تصعد لشقة العروسين في هذا التوقيت .. وشعرت بالحرج لكنها أومأت بطاعة.. بينما نظرت أروى لأحمد الواقف من بعيد يطالعها وهتفت " أحمد ألن تسلم علي " أشاح بوجهه عنها يحاول التحكم في رغبة ملحة في البكاء ولم يرد .. فنظرت إليه بشفقة ونادت "أحمد ! "

تحرك مبتعدا .. دون أن يرد فتدخلت عفاف تعلق " لمَ كل هذا التأثر لن نخطفها؟ "

Des. Maryam Tamim

ردت عليها إلهام " أولادي مرتبطون ببعضهم جدا..
وأروى عند أخيها في غلاوة عينيه "

انحنى عمرو ليحمل أروى .. معترفا في نفسه أنه تروق له كثيرا فكرة حملها.. فتدخلت عفاف تقول باستنكار " أروى تستطيع أن تدخل العمارة .. وتصعد إلى الشقة دون حملها يا عمرو .. رفقا بظهرك يا بني"
تحرج عمرو .. وزارته أعراض الذبحة الصدرية من جديد.. يحاول توسيع طاقة التحمل لديه لكنه أصبح مشدودا مؤخرا من جهة أخرى .. من أجل أروى .. ومتحرجا من أهلها ..

تدخلت أروى تقول " خالتي لديها حق .. لا تحملني يا عمرو أحب أن أسير بالكرسي "

Des. Maryam Tamim

حاول عمرو إثناءها .. لكنها أصرت وتحركت تسبقه نحو المصعد بشموخ .. فتبعها ليجد أمه تدخل معهما المصعد .. فقالت إلهام وهي تهرول للحاق بهم ممسكة بيد بانة التي تشعر بالحرج وتتمتم " أمي أنا أشعر بالحرج"

فقالت إلهام هامسة وهي تهرول للحاق بالمصعد قبل أن يغلق أبوابه " وأنا أيضا سأموت من الحرج.. لكني لن أترك عفاف تنفرد بابنتي من أول ليلة وتجثم على صدرها ".

حشرت إلهام نفسها في المصعد تلصق كتفها بكتف عفاف بينما أطرقت بانة بوجهها في حرج وقد احمرت وجنتيها .. فبدا الوضع غريبا.

رفعت أروى وجهها لعمرو الذي يقبض على ظهر كرسيها بغيظ.. والتقت الأعين وانتبهت لحالته ..

Des. Maryam Tamim

فكتمت ضحكتها .. ليحدجها بنظرة وعيد صامتة .. وبدلا من أن يدخل شقته لأول مرة حاملا زوجته دخلها مع أمه وحماته .. التي تسحب بانة المحرجة خلفها .

قالت أروى " أمي ستساعدني يا عمرو بعد اذنك "

رد بحرج " طبعا.. بالتأكيد"

دخلت أروى ومعها أمها وبانة ووقفت عفاف تمسد على صدر ابنها.. وكأنه ذاهبا للتطوع في الجيش وهي تبكي .. بينما ذهن العريس مشغولا بتخمين نوع المساعدة التي قد تطلبها منهما وجز على أسنانه حين خمن أن تكون طلبت منهما مساعدتها في تبديل الفستان .

انتبه لدموع والدته فقال مشفقا " ما بك يا أم عمرو أنا معك بنفس المبنى "

Des. Maryam Tamim

تمتمت" لن تبيت في نفس البيت مجددا يا حبيبي" ربت عليها يقول " من قال هذا .. قد أصعد إليك أنا وأروى في أي وقت .. ونبيت عندك ".

بعد قليل خرجت إلهام وبانة .. وربتت الأولى على صدره تبارك له وتدعو لهما بالخير.. ثم حدجت عفاف بنظرة غيظ أن مازالت موجودة وقالت" مبروك علينا المصاهرة يا عفاف .. لابد أن الشيخ عبد الرحمن سعيد في قبره الآن فقد كان يتمنى أروى لعمرو "

تمتمت عفاف ترد التهنئة.. فسألتها إلهام "هل ستأتين معنا؟"

فردت عفاف ببرود " سأودع إبني أولا "

فكتمت إلهام غيظها وقالت لعمرو" وضعت لكم بالمطبخ الطعام يا حبيبي (ثم اشارت له لأن يقترب وقالت هامسة بحرج) إنها مرتبكة قليلا

Des. Maryam Tamim

كأي عروس.. أنت تعرف .. لكن أروى كما تعلم تتحمل كثيرا ثم تنهار فجأة .. فأصبر عليها يا بني"
أحمرت أذناه .. وأومأ برأسه قائلا بحرج " لا تقلقي على أروى يا خالتي "
حدجت عفاف بنظرة أخيرة وخرجت بينما وقف عمرو متحرجا من والدته الجالسة على الكرسي في صمت .. يتلهف للدخول لأروى .. لأن يتحرر من كل شيء كان يقف بينهما ..
كل شيء مع أروى .. زوجته .
قالت والدته بتلكؤ " هل أضع لك الطعام الذي أحضروه على السفرة يا عمرو (وأكملت بمصمصة) المفروض أن يجهزوه على منضدة السفرة قبل ذهابهم .. ألا يعرفون أن العروس لن تقدر على فعل ذلك ! "
رد عمرو متحكما في أعصابه " لا تقلقي يا أمي (وهم أن يقول سأحضره أنا لكنه خشى من أن تأخذ المعنى بطريقة سلبية فقال) لا أعرف إن كنا

Des. Maryam Tamim

سنأكل أم لا عموما إذا احتجنا للطعام سأجعل أروى تحضره "
قالت عفاف بجزع " إياك أن تهمل في طعامك يا عمرو أنت لم تأكل طيلة النهار يا حبيبي "

طمأنها باستسلام وأومأ بطاعة ثم قال بلباقة " تعبت معي يا أمي اليوم .. أطال الله في عمرك . لا أريد أن أثقل عليك أكثر .. عليك أن تستريحي"
فقالت بمسكنة " هل ستتركني أصعد وحدي إلى الشقة ! ألن توصلني .. "
تفاجأ عمرو بما قالت وقال مشفقا " من قال ذلك .. أنا أحملك فوق رأسي حتى باب شقتك يا أم عمرو .."
ثم لثم يديها فابتهجت كالأطفال .

هم بالذهاب لأروى ليخبرها .. لكنه تراجع خشية أن تتسمر قدميه أمامها لا يقدر على التحرك ..

Des. Maryam Tamim

فنادى من عند باب الشقة يقول " سأوصل أمي يا أروى ".

بعد دقائق عند باب شقتها أخذت أم عمرو تمطره بالقبلات وتتمنى له السعادة فقال عمرو" أنا بالفعل سعيد .. سعيد جدا يا أماه .. لا أصدق أن جاء اليوم الذي سأكون فيه مع أروى "
رغم عدم فهم عفاف لسبب هذا التعلق ببنت إلهام .. إلا أن فرحته الظاهرة في عينيه جعلتها تربت على كتفه بحنان .. بينما عمرو يفتح لها باب شقتها لتدخل مودعه .

***

دخلت بانة الشقة تشعر بالقلق على أحمد الذي وجدته منذ دقائق ينتظر تحت بيت سماحة .. بعد أن تركهم وتمشى في الحي شاردا حتى استقر تحت البيت ينتظر عودتها.. وبمجرد ان لمحها سألها

Des. Maryam Tamim

"هل هي بخير .. إنها قلقة أستطيع ملاحظة ذلك بسهولة "
ردت مطمئنة " بخير لا تقلق"
فسألها فجأة " هل البنات يخفن كثيرا أول يوم ؟"

أطرقت برأسها بحرج فشعر أنه جرحها فقال يوضح "أقصد الشعور العام "

ردت " لا يا قلب بانة .. إن كانت تحبه لن تخاف أبدا .. ربما تكون متوترة .. مترقبة .. محرجة .. لكن ليس خائفة أبدا "
فقال يطمئن نفسه " ممتاز.. وأنا أثق في أبا قردان .. لن أنكر أنه جلف لكني أصبحت متيقنا من أنها قطعة من قلبه "
أخذ نفسا عميقا يهدئ من قلقه على أخته وقال بمرح " هيا يا بانتي.. فأنا أرغب في النوم لمدة ثلاثة أيام "

Des. Maryam Tamim

أغلق الباب ورائه فتقدمت بانة في الصالة ومدت يديها تتخلص من حجابها وتفك شعرها ..شاعرة بالحر والاختناق ..

فجأة شعرت بأحمد يلمس خصرها .. وفي أقل من ثانية كان يحضنها من الخلف ويغمرها بدفئه..

هدر قلبها بعنف .. وبدأ ذلك الشعور الرائع بالذوبان والتلاشي يحتل كيانها وسمعته يقول بلهجة متوسلة " دقيقتان يا بانة .. فقط لدقيقتين اقبليني لاجئ على باب قلعتك الحصينة وامنحيني بعض الفتات لأسد به شوقي إليك "

همست بعذاب ليتوقف عن هذا الكلام الذي يمزق قلبها " لا تتوسل يا أحمد فلم تُخلق بعد من تتوسل لها !".

تمتم بأنفاس تلفح رقبتها "بل خُلقت.. وكبُرت .. وجاءت من بلدها تبحث عني لتسرق قلبي .. وتساعدني على التكفير عن ذنوبي "

Des. Maryam Tamim

أغرق وجهه في رقبتها وشعرها يتشممها بعشق واحتياج.. بينما يده تستكشف تفاصيلها بجرأة .. وبعد ثوان كان يطبع قبلة ملتهبة عميقة على رقبتها وهو يحتضنها بقوة كادت أن تكسر عظامها ..لينسحب بعدها فجأة قائلا " سأبيت اليوم في شقة العائلة .. فلا اثق بنفسي الليلة "

انسحب وتركها تترنح في سُكر .. وما أن استدارت.. كان قد اختفى يغلق الباب خلفه .

***

أمسك بمقبض باب الغرفة بارتباك وحرج وبعض الغيظ .. وحين دلف للغرفة تأكد من توقعه .. لقد سعادتاها في تغيير الفستان..

كانت تتطلع إليه من كرسيها .. ترتدي رداء أبيض ناعم .. فارتبك أن يدقق فيها وتحرج .. وأدار

Des. Maryam Tamim

وجهه ينشغل بلا شيء .. ثم جلس ليخلع حذائه في صمت ..

بادرته أروى تقول " هل تضايقت لأني جعلتهما يساعدني في تبديل الفستان؟"

ادار وجهه ينظر إليها بنظرة عتاب .. وهو يفك ربطة العنق وسترة الحلة .. فوجدها ترمقه بملامح طفولية مستعطفة تقوس فمها لأسفل وتحرك قبضتيها بجانب عينيها وكأنها تدعكهما من الجانب .. فابتسم واقترب منها واضعا يديه في جيبه يرسمها بعينيه .. وقلبه يقصف في صدره بعنف .. شاعرا بالتوتر الشديد ..فتذكر كلمات وائل له أن يترك لمشاعره مهمة قيادة الحدث ..

كانت ترتدي روبا أبيض من قماش التُل الناعم بأكمام قصيرة مكشكشة من عند الكتف منطلقة كجناحين صغيرين فوق كتفيها .. ملفوف باهتمام مبالغ فيه حول جسدها وكأنه يستر ما تحته بتعمد ويظهر رشاقة خصرها منسدلا حتى الأرض يخفي

Des. Maryam Tamim



حتى قدميها .. مطعما بلمسات طولية على
استحياء من اللون الوردي .. فبلع ريقة بصعوبة
وقال بمزاح وهو يقف أمامها طويلا .. رشيقا ..
متخصرا .. عاتبا" لماذا طلبت منهم أروى هانم أن
يساعدوك في تبديل الفستان ؟"
مسحت عليه بعينيها شاعرة بأنها على وشك
الإغماء .. فتأملت هيئته الممشوقة المهلكة ..
وقالت" اشفقت عليك من مساعدتي في تبديله "

حدجها بغيظ وقال وهو يفك أزرار القميص
ويخلعه " شكرا لشفقتك أروى هانم.. ومن
فضلك لا تشفقي عليّ مرة أخرى (ثم أكمل بلهجة
مرتعشة متأثرة) أنا كنت انتظر هذه اللحظة
واحبطيني يا هانم "
شعرت بالارتباك وأطرقت تغمغم وهي تفرك يديها
فأكملت كلامها " وخجلت "
سألها " بماذا تغمغمين أروى هانم "



نظرت إليه مرة أخرى فشاهدت جذعه العضلي العاري وهو يحدق فيها وقد اشتد حمرة أذنيه..
فأطرقت برأسها تضغط على شفتيها في حرج تتابع قدميه الحافيتين على السجادة تتحركان نحوها ..
لينزل عمرو أمام كرسيها على ركبته يرفع ذقنها برفق ويقول بصوت أجش " أريد أن أسمع ماذا قلت يا أروى .. لم يعد مسموحا بالغمغمة الفردية منذ هذه اللحظة "
ردت "قلت لأني خجلت "

وأنزلت عينيها والحرارة تشع من وجهها وهي تشاهد جذعه العاري أمامها من هذا القرب بينما عطره المعذب سيتسبب حتما في توقف قلبها ..

مد عمرو يده يوقف يديها اللتان تفركان في حجرها فارتعشت للمسته .. غير مصدقة أنها ستبيت الليلة في حضنه ..

[2624]

كم من الوقت مضى على هذه الأمنية ؟ اثني عشر سنة تقريبا .

قال بصوت خافت " يداك باردتان كالثلج.. لمَ كل هذا التوتر "
صمتت ولم ترد فأمسك بكفيها بين يديه الدافئين يفركهما قليلا .. ثم انحنى يقبلهما وهو يملأ عينيه ببهائها من هذه المسافة القريبة .. ثم مد يده يمسد على شعرها بإعجاب شديد هامسا باسمها بصوت أجش .. رفعت عيناها إليه .. وبمجرد أن التقت نظراتهما سحبها نحو صدره يضمها بعنف وهو يتمتم في همس حار متوجع " أخيرا يا أروى .. أخيييرا .. مازلت لا أصدق أن مَن الله عليّ بكِ " .. اغمضت عيناها تغرق باستسلام في ذلك الحضن الرجولي الدافئ بشوق متألم مكتوم وهي تحيط ذراعيها بجذعه ..

Des. Maryam Tamim

فقال هامسا " لماذا ترتعشين إلى هذا الحد ؟ هل أنت خائفة مني ؟"

همست " لست خائفة منك بل عليك"

حررها من حضنه ونظر إليها نظرة متوجسة من رأسها حتى أخمص قدميها وقال مازحا" لماذا .. هل تتحولين ليلا لسمكة ينفوخ حقيقية ؟!"

ابتسمت وقالت " أخشى أن أسقط مغشيا عليّ من فرط السعادة .. وأفسد لك الليلة كما افسدت بتحرجي منك أمنيتك في مساعدتي على تبديل الفستان "

اتسعت ابتسامته .. فأصدر قلبها توجع خافت

بينما استقام عمرو وقال " سأذهب لأتوضأ ونصلي معا عندها ستتحقق أول وأهم أمنياتي"

قالت بخفوت وهي تطالعه بنجوم تتلألأ في عينيها "أنا توضأت ومستعدة "

تحرك خطوتين بظهره.. ثم عاد وطبع قبلة على جبينها .. وتحرك إلى الدولاب يبحث عن ملابس..

Des. Maryam Tamim

فوجد أمامه منامة حريرية بلون نبيتي فامسكها بإصبعين بقرف وسألها متوجسا "هل أنت من أحضر لي هذا الشيء الناعم ؟"
ابتسمت وحركت رأسها بلا فقال" إذن هي أمي "

ثم كور المنامة وألقاها بعيدا .. وعاد للدولاب ثم توقف يسألها برعب " هل من ضمن أمنياتك أن أرتدي شيئا ناعما باستفزاز كهذه المنامة ؟"
رنت ضحكتها وحركت رأسها بلا..
فامسك بقلبه يتمتم بالحمد لله وتركها واختفى في الحمام .

***

في بيت سماحة دخلت بانة شقة العائلة وسألت إلهام التي تجلس في الصالة بقلق "هل أحمد هنا؟"
ردت الأخرى بذهن شارد "في غرفته "
سألتها بانة "ما بك يا أمي؟ "

Des. Maryam Tamim

ردت " قلبي قلق على أروى .. ألم تريها كيف كانت ترتعش حبيبة أمها "
قالت بانة مطمئنة "لا تقلقي يا أمي أروى تحب عمرو وبالتأكيد سعيدة الآن ".
تمتمت إلهام بقلق " اخشى أن تصيبها نوبة الانهيار الذي حدثت صباحا وتراودني نفسي على أن اذهب إليها الآن لأطمئن عليها وآخذها في حضني.
ابتسمت بانة في شققة وقالت " لا تقلقي يا أمي ستكون بخير .. هل نام أبي ؟"
ردت بغيظ " بمجرد أن دخل .. أخذ حماما ونام في السرير كأنه لم يرى النوم من قبل .. لا أفهم لم دماء الرجال باردة إلى هذا الحد .. والثاني أيضا بالداخل منذ مدة وغالبا نام هو الآخر .. نحن فقط من نحمل الهم .. ونأكل أنفسنا من القلق"
ابتسمت بانة مشفقة وقالت "وأين آية ؟"

Des. Maryam Tamim

أجابت " إنها بغرفتها منذ أن انتهى العرس ..
تحججت بالمغص ونامت هي الأخرى على ما أظن"
قالت بانة بشفقة " حاولي أنت أيضا النوم يا أمي ..
سأذهب لأرى أحمد "

دخلت تبحث عنه في غرفته فلم تجده فاندهشت ثم فكرت في غرفة أروى .. فتسللت إليها تفتح الباب بهدوء فلم تجده هناك أيضا .. لكنها قبل ان تغلق الباب لمحت اغراضه الصغيرة .. مفاتيحه .. هاتفه وخلافه.. فبحثت في الغرفة لتجده يفترش الأرض بجانب سرير أروى .. على مرتبة صغيرة .. مستغرقا في النوم كما تبدو ملامحه المرتخية.
تمزق قلبها على هيئته تلك .. وتحركت تغلق الباب وتخلع اسدالها.. مقتربة منه تشجع نفسها على عدم الارتباك واستلقت لتنام بجانبه ..كان موليا ظهره لها ..فاقتربت أكثر لتكون في دائرة دفئه ..

Des. Maryam Tamim

فسمعته يتمتم باسمها من بين نومه ثم استدار يسحبها في حضنه ويستسلم للنوم من جديد.

***

وضع عمرو يده على رأسها بعد أن فرغا من الصلاة يردد بصوت مسموع " اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه "

ثم قبل جبينها وفك ذلك الوشاح الطويل الذي يغطيها وألقى به بجانبه .

قالت أروى بجدية "انتظر أنا لم أردد الدعاء أنا الأخرى "

ابتسم يقول تفضلي " أروى هانم "

فوضعت يديها على رأسه كما فعل معها ورددت " اللهم إني اسألك خيره وخير ما جُبل عليه واعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه" .

Des. Maryam Tamim

رنت ضحكته الصبيانية التي تعذبها وقال بنظرة ماكرة وهو يقرب وجهه من وجهها ويسند بمرفقيه على ذراعي كرسيها " هذا ليس كل ما فعلته ".
فركت يديها في توتر وقالت" أنا أفعل ما يعجبني"
رد وهو يحدق في شفتيها " انتهى عصر الدلال يا أروى هانم وسيبدأ انتقام عمرو منك بعد قليل "

ثم استقام يفتح حاسوبه المحمول فوق المنضدة وهو يقول " هناك أغنية أريد أن اسمعها الآن معك ".
تطلعت إليه تتفحصه في ملابسه البيتية المريحة ودققت في شكل أصابع قدمه التي تراها لأول مرة .. وغمرتها السعادة ..
غمرتها إلى حد الرعب من أن تغرق فيها ..
وخشيت أن ترتكب شيء أحمق كالذي فعلته في الصباح .. فكلما تذكرت ما فعلت وبخت نفسها على هذا الجنون.

Des. Maryam Tamim

قالت بتردد" عمرو أريد أن أقول .. أنني إذا حدث وسقطت مغشيا عليّ.. أو تخشبت ... أو أيا ما حدث .. فلا تحزن .. فإن الكثير من العرائس يحدث معهن مثل هذه الامور" .

انفجر ضاحكا في حرج ثم نظر إليها يقول" لم اسمع من قبل عن عرائس يتخشبن أو يسقطن مغشيا عليهم في ليلة زفافهن " .
ردت بلهجة عملية " أنا سمعت فوجب التنويه "

فقال بعد أن هدأت ضحكته " شكرا للتنويه أروى هانم "
صدح صوت أم كلثوم في الغرفة يعزف على أوتار القلوب "

من أجل عينيك عشقت الهوى
بعد زمان كنت فيه الخلي
واصبحت عيني بعد الكرى

[2632]



تقول للتسهيد لا ترحلي

ازدادت ضربات قلبها وهو يتقدم نحوها ببطء ..
بينما شعر هو باقتراب لحظة انتهاء سنوات طويلة
من الصوم .. وحان موعد الافطار الشهي على
مأدبة مبهرة مع (ست نساء الدنيا) في عينه .

حين اقترب شددت من إغلاق فتحت الروب
بارتباك .. فنزل على ركبته أمامها يسألها بنظرة
جريئة متفحصة " لمَ تحكمين من اغلاق هذا
الشيء الناعم الذي تلبسينه؟"
فقالت مصححة" الروب "
فردد وراءها "هذا الروب .. هل هناك مشكلة ؟"
حركت رأسها بلا متكررة .
فقال بشقاوة وهو يبعد يديها " إن كان هناك
مشكلة أستطيع المساعدة في حلها "
فقالت بارتباك بسرعة " لا توجد مشاكل شكرا"

[2633]



فقال بإصرار " إذن انزلي يدك"
أنزلت يدها ببطء .. فتطلع إليها قليلا .. لتتوسع فتحة الروب مجددا .
قبضت على الروب مرة أخرى بسرعة ..وهي تحدق فيه بعينين متسعتين .
فكتم ضحكته وقال متسليا وقد شعر بالحمم تتدفق في شراييينه "دعيني أرى أين المشكلة يا أروى"
قالت بسرعة" ثوان من فضلك "
ثم أشارت بحزم بيدها ليبتعد.. فعاد بجذعه للخلف قليلا لتضغط على أحد أزرار الكرسي .. فيستدير ويهم بالابتعاد ..
أسرع عمرو بإمساك ظهر كرسيها يوقفه وهو يقول " إلى أين أروى هانم ؟"
ردت بصوت هارب منها" سأبدل ثيابي "
سألها متفاجئا " لماذا ؟؟!!! .. ما الذي يوجد تحت هذا الروب وتريدين تبديله ؟"

Des. Maryam Tamim

حركت مقلتيها يمينا ..يسارا ..يمينا.. ثم قالت "
لأنني أدركت الآن .. أنني ارتدي ثوبا سيئا جدا ..
يجعلني مثل سمكة الينفوخ الحقيقية "

انفجر ضاحكا .. فظهرت أسنانه البيضاء كلها بينما
توترت أروى تقول في سرها " كفى تعذيبا يا من
كنت عاقد الحاجبين "
فقال لها يتصنع المفاجأة " حقا ! "
فأومأت برأسها مؤكدة .
فتقدم برأسه نحوها يقول بصوت أجش" دعيني
أرى وأحكم بنفسي "
فصرخت تقول "عمرو أريد أن أخبرك أمرا مهما"
فاستقام يتأملها يبتعد قليلا في محاولة للتحكم في
أعصابه التي توشك على الانقضاض عليها وقد
استشعر توترها .. فقال مستمتعا" تفضلي أروى
هانم"

Des. Maryam Tamim

قالت بصوت هارب منها " نسينا أن نشتري أنبوب أكسجين "

رفع حاجبيه باندهاش ثم تكلم بعدم استيعاب "نعم؟!!"

قالت بصوت مفقود " أنبوب اكسجين "

فسألها بتوجس "لمَ ؟"

تمتمت بهدوء " لأي طوارئ .. إغماءات.. نوبات تشنج .. نوبات تخشب ".

انفجر ضاحكا فتوجع قلبها مرة أخرى ..ليقترب منها بعد ثواني يسند على ذراعي كرسيها ويحدق في عينيها التي يود أن يقبلهما وقال " هل سنقضي طيلة الليل نضحك ؟"

ردت عليه وأنفاسه تتسلل إلي رئتيها " ما به الضحك ؟.. جميل الضحك .. وخاصة حين أراك تضحك .. وحين أكون أنا السبب في إضحاكك فأشعر وكأني أخذت جائزة عالمية في .. "

Des. Maryam Tamim

هجم على شفتيها يخرسها..
يخرس أروى بنت سماحة .. التي تقول كلاما يعقد لسانه ويفجر براكينا خاملة بداخله.

بعد قليل أطلق سراح شفتيها يلفحها بأنفاس ملتهبة فهمست وهي تنهت وتتطلع إليه بعينين ذاهلتين " أنا أتحدث بجدية .. قد أحتاج لأنبوبة أكسجين فعلا فلن أتحمل كل هذا الإغراق في المنح دفعة واحدة.. ولن تتحمل أعصابي أن تلمسني .. و...ألمسك"

همس وهو يتحسس وجهها بيده راغبا في استكشاف ملمسه " لا أعلم من منا ستتوقف أنفاسه منبهرا يا أروتي.. لكني متأكد أني سأمنحك من رئتاي كل الاكسجين الذي قد تحتاجينه يا أميرة البنات .. فدعينا نغرق سويا(ثم نظر لفتحة الروب التي ارتخت وكشفت عن الكثير وأكمل) ولكن دعينا

Des. Maryam Tamim

نحل مشكلة الروب الناعم هذا الذي يسبب لك القلق ".

ومد يده يتعامل مع الروب رغم ارتباكه وضربات قلبه التي تدق كالطبول في صدره .. بينما أروى تهمس باعتراض.. لكنه فتحه وأبعده عن ذرعيها ليسقط على جانبي الكرسي .

بعدها توقف عن التنفس .. وهي ماثلة أمامه بقميص نوم من الدانتيل الأبيض المطعم برتوش وردية رقيقة بفتحة صدر واسعة .. واسعة جدا .

تكلم بأنفاس هاربة " كنت على حق "

فسألت ببراءة" هل أشبه سمكة الينفوخ ؟!"

مد يده خلف رأسها يثبتها وهو يميل ويغرق في شهد شفتيها من جديد .. ثم حررها بعد ثوان ليرد بأنفاس ملتهبة وهو يرفع ذراعيها لتلفها فوق عنقه

" كان لديك حق.. سنحتاج لأنبوب أكسجين..

Des. Maryam Tamim

فأنا من سينهار.. ويتخشب غير قادر.. على
استيعاب أن يُمنح كائنا جميلا مثلك يا أروى "

قالها وهو يرفعها بين ذراعيه ووقف يحدق فيها
بملىء عينيه ..
شعرها ..
وجهها ..
ذراعاها المكشوفان أمامه لأول مرة..
قوامها الفرنسي الرشيق.. وتمتم متأوها " آه يا
أروى كيف سيتحمل قلبي المسكين كل ذا الجمال!"
عقدت ذراعيها حول رقبته بأقصى قوتها فشدد هو
الأخر حول جذعها وعظامها اللينة يغرق فيها ..
شاعرا بأنه يشرف على الجنون ..وتحرك يضعها
على السرير برفق .. واحتضن صدغها بكفه ليطبق
على شفتيها بقبلة عنيفة غير قادر على التحكم
بجنونه ..

Des. Maryam Tamim

حين حرر شفتيها كانت أروى تشهق بأنفاس متقطعة من الانفعال تحاول التعامل مع هذا الكم الهائل من السعادة وقالت" عمرو ترفق بي لن يتحمل قلبي كل هذه السعادة "

رد عليها وهو يتفحص قميص نومها باهتمام" ومن يترفق بي أنا يا أروى "

لمست لحيته تتحسسها بحرية لأول مرة بينما هو يفكر في سره كيف يخرجها من هذا الثوب المعذب دون أن يمزقه فقالت أروى " تلح علي كرامتي ألا أقول ذلك .. لكن قلبي مصر "

ترك التفكير في قميصها لحظة لينتبه لما ستقوله وإن كانت يديه لم تتوقف على تحسس ذراعها فهمست أروى بحراره " واثق الخطوة يمشي ملكا .. ظالم الحسن .. شهي الكبرياء .. عبق السحر كأنفاس الرُبى .. ساهم الدرب كأحلام المساء "

Des. Maryam Tamim



انفرط عقد أعصابه وتفرقت حباته دون قيد
فانقض عليها يروي شوقا مضنيا عذب كليهما سنينا
طويلة .

برغم المخاوف والارتباك والخجل ..
قد تحين اللحظة الكاملة لترتوي القلوب حتى
الثمالة ..
تغرق فيمن تحب ..
تتشبث به إلى حد الوجع وتسقيه من روحك .

في لحظة بوح تبوح بكل شيء .. فلم تعد تمنعك
الحواجز ولا المسافات ولا سوء الفهم .

ولحظة بوح أخرى تشطرك إلى نصفين ..
تزلزل كيانك..



فتتمنى أن تموت في لحظتها غير قادر على احتمال الوجع ..
وهو بالضبط ما حدث في نفس الليلة بين آية وسيد ..
قبل ساعات :
ودعت آية أروى بالدموع وتحركت مبتعدة عائدة للبيت عيناها تبحثان عنه .. حتى وجدته يسير وحده مبتعدا .. بخطوات متأنية وكأنه شارد .
سار ببطء أمامها يديه في جيبه في ذلك الشارع الهادئ وقلبه يخبره أنها تتبعه .. وصوت حذاءها ذو الكعب العالي.. وهي تعرج كالعادة في نهاية كل مناسبة بعد أن تتوجع قدماها منه تلتقطه أذنه .

دندن سيد في سره وتمنى أن تخترق أفكاره وتسمعه "

خليك فاكرني ..
يالي بجمالك وبعيونك .. دول آسرني

[2642]



خليك فاكرني ..
وإن حس قلبك .. يوم بقلبي .. ابقى زورني
دنتا في عينا ..
كل الي ليا..
فرحة شبابي ..
والدنيا دية ..

تتبعت خطواته يتحرك أمامها وتذكرت لوحة آثار الأقدام التي رسمتها من قبل .. عازمة بثقة على ما قررت أن تفعله ..
ولم تدري أنه يغني لها بخفوت :

أول ما شفتك
لمست قلبي بنظرة واحدة نسيت جراحه
لقيتك إنت .. أجمل حكاية حب
نسيتني الي راحوا .



بعد دقائق شعر سيد بالاحباط أن انتهى الطريق بسرعة.. فانحرف يمينا إلى تلك الساحة الواسعة التي ركن فيها سيارته وأكمل الدندنة يودعها :

ما تغيبش عني ..
وخلي قلبك لو نديت يجيني تاني
دحنا الي بينا .. في الحب كله
وعمري مر معاك ثواني

فجأة جاءه صوتها من خلفه يخرس دندنته .. فاتسعت عيناه باندهاش وهي تقول " بالمناسبة .. أنت كاذب .. أنت كاذب وهم كاذبون.."
هم بالاستدارة فهتفت بحزم " لا تستدير من فضلك .. دعني ألقي ما في جوفي وأغادر بكرامة".

عقد حاجبيه في حيرة يحاول الاستيعاب واقفا بجانب سيارته بينما حدقت آية في ضخامته

Des. Maryam Tamim

وقالت بلهجة موبخة " أردت أن أخبرك أنكم كاذبون.. تدعون معرفتكم بكل الامور .. تتشدقون بآراء وكأنها خطت كقوانين للكون .. وهي في النهاية ليست سوى رأي خاص بشخص فرضه على جماعة"

أخذت آية نفسنا عميقا تسيطر على ارتجافها .. لقد حانت اللحظة .. لقد حانت ..

وأكملت " سأخبرك عن القطة الضالة التي عرفتها يوما .. وأنت في الحقيقة لم تعرفها أبدا .. وسأعطيك سببا منطقيا للتخلي عنها .. في حالة إذا ما ألح عليك ضميرك يوما..

أتذكر ذلك اليوم البعيد من حوالي سبع سنوات ؟.. كان يوم ميلادك.. وكان عمري وقتها ثلاثة عشر عاما .. هذا اليوم أذكر تفاصيه جيدا .. كان يوم آخر عملية جراحية أجريت لأروى وكنا متأملين أن تعود للسير بعدها مجددا .. والعملية فشلت وخيم

Des. Maryam Tamim

الاحباط على الجميع ودخل احمد في حالة هياج .. فأخذتني الى حديقة المستشفى لتبعدني عن الأجواء الحزينة ..

واشتريت لك ساعتها من البائع قطعة جاهزة من الكيك وأصريت ان اضع فيها عود ثقاب واشعله واحتفل بعيد ميلادك .. ثم اعطيتك هدية

أتذكرها؟.. (ابتلعت ريقها ثم أكملت بلهجة ساخرة) بالطبع لن تذكر تفاصيلا ليست مهمة. .

أعطيتك لوحة رسمتها لك وكتبت فيها كلمة (وإني أُحِبُكَ).

يومها صدمت من حجم الرعب وحجم الصدمة التي علت وجهك.. بدلا من أن أجد حتى ابتسامة تفهم .. أو حتى ضحكة تسلي ..

صدقني أنا اضع نفسي الأن موضعك.. فأجد أن رد فعل كابتسامة تفهم أو ضحكة تسلي أو حتى سخرية .. سيكون منطقيا.. لكني صدمت وارتعبت .. وشعرت أني ارتكبت خطيئة بشعة"..

Des. Maryam Tamim

قبض سيد على كفيه بقوة ولم يستطع أن يستدير ليواجهها وقد تذكر ذلك اليوم بتفاصيله .. بينما مسحت آية حبات العرق من فوق جبينها بيد مرتعشة وأكملت " يومها وبختني بشدة فتملكني ذلك الشعور القاتل باحتقار الذات.. خاصة مع التزامن و الجو الأسري وقتها .. أنهم في وادي وأنا في واد اخر..

واحتقرت نفسي ..

وقلبي ..

الذي تهور فباح ..

فأقيم عليه الحد .

قلبي الذي حُرم من رؤيتك ثلاثة أيام كاملة .. وقتها كان عقابا كبيرا ..خاصة وأنا لا أعرف إن كان خصاما للأبد أم ماذا؟! ..

ولم أعرف ..

Des. Maryam Tamim

هل تلك الكلمة البسيطة التي لا تعبر عن بعض مما شعرت به نحوك وقتها .. وذلك الاعتراف العفوي الذي كان يؤرقني فلم يحتمل قلبي الأخضر فباح به ..هل كان منحلا الى هذا الحد!!"

ضخت الدماء بقوة في رأس سيد .. غير قادر على استيعاب حجم الألم ينضح به صوتها .. بينما بدأت الدموع تنحدر من عيني آية وأكملت " هل هي جريمة كبيرة أن أحبك ؟!!!..

لا أحد منكم شعر بي وقتها.. لا أحد منكم تنبه لأني قضيت الثلاث أيام تلك دون طعام .. دون أن يدخل جوفي لقمة واحدة .. حتى أمي .. أم المساكين كما تدعونها .. كانت منشغلة محبطة من فشل عملية أروى ولم تلحظ ..

لم تلحظني ..

لم يلحظني أحد ..

Des. Maryam Tamim

وكنت بدونك مرتعبة ولم أفهم بالضبط أي جريمة
فعلت وماذا ينتظرني من العقاب .. مرتعبة أن
تخرج من حياتي للأبد ".

لمعت عيناه بالدموع يحدق في الأرض بعينين
متسعتين بينما سمع صوتها المتألم يقول
"وانتظرتك على سلم البيت.. أراقب المارين عبر
البوابة .. انتظر قدومك للمقهى لأعتذر لك
لأتأسف على جريمة لم أدري ما هي ..
لكني أردت الاعتذار بشدة ..
الاعتذار أني اغضبتك .. أني خذلتك ..
وحين ظهرت أخيرا ..
حين ظهرت أخيرا .. وقفت عند البوابة كالمارد
تحجب الضوء بقامتك الضخمة عني .. فأظلمت
ملامحك .. واظلمت دنيتي .. وألقيت عليّ خطبة
عصماء غير مقنعة وأكدت لي بثقة العارفين.. أن
مشاعري نحوك مؤقتة وسيتغير رأيي بعد ذلك ..

Des. Maryam Tamim

ووبختني بأني أنثى .. ولا يصح للأنثى أن تبادر بالبوح عن مشاعرها .. فهذا في عرفكم جريمة نكراء ..
وأخبرتني .. (وتوقفت قليلا تقاوم الارتعاش ثم أكملت)
أخبرتني أنك كأخ كبير لي !!!!..
فكان ذلك دوري.. لأن أصدم ..
وصدمت ..
نعم صدمت ..
ولم افهم.. كيف تكون أخي؟؟!!!! ..
لم أفهم..
ولم أفهم .. كيف أحاسيسي الأنثوية تجاهك تكون أخوية ؟؟؟!!!!
لم أفهم ..

بعدها أخبرتني أني إذا أعدت هذا الكلام الفارغ مرة أخرى أو فكرت فيه ستخاصمني للأبد..

Des. Maryam Tamim

ووعدتك..
وعدتك .. لكني نفذت نصف الوعد فقط .."

ارتعش سيد وقد شعر بأنه غير قادر على التحمل وتمنى لو يصرخ فيها ليخرسها لكن صوته كان محبوسا و شعر أنها بحاجة للبوح رغم أنه لم يفهم سبب استرجاع هذا الموقف البعيد الآن بينما أكملت آية بعد نفس عميق تشجع نفسها على المواصلة " يومها سألت أمي عن صديقة في مثل عمري ثلاثة عشر سنة تحب صديق أخيها الكبير فضحكت ..
ضحكت أمي.. رغم همومها .. على هذا الخبر فلم أدري وقتها .. أعليّ أن أفرح لأني أضحكتها؟ .. أم أتألم أن تكون مشاعري هذه تجاهك مضحكة؟!
وسألت أبي أيضا.. عن نفس الصديقة الوهمية التي تحب صديق أخيها فألقى على محاضرة شبيهة بمحاضرتك ..

Des. Maryam Tamim

فاستسلمت ..
استسلمت وانتظرت أن تتلاشى تلك المشاعر التي تضحككم وتستفزكم ..من قلبي.
انتظرت..
قاومت ..
وبخت نفسي ..
احتقرتها..
حتى أنني حاولت البحث عن مشاعر أخرى أو شاب آخر ليحتل مكانتك في قلبي.
فما كنت تسميه فضولا .. كان بحثا مضنيا لاهثا عن من يتبادل معك المكانة في قلبي..

وانتظرت نبوءتكم العظيمة بأن مشاعري ستتلاشى مع الوقت .. أن تتحقق ..
والرؤى الواثقة لـ (ملخصات الحياة الجاهزة) التي تتوارثونها تتكشف أمامي ..
انتظرت كثيرا ..

[2652]

واحتقرت نفسي كثيرا..
وتعذبت كثيرا ..
واكتويت بنار الغيرة ..
ونار مشاعري ..
وأشواقي كثيرا ..
وجلدت ذاتي من أجلكم كثيرا..
وبذلت مجهودا مضنيا.. حتى لا تنفلت مني لمحة واحدة.. تخبرك .. عني .. عن كل شيء "

تحركت الدموع أكثر لتملأ مقلتيه .. وقد أنحنى بجذعه للأمام غير قادر على تحمل صاعقة ما يستشعر بأنه آت .

بينما اشاحت آية بوجهها تعض على شفتها العليا وتتحكم في رغبة في الصراخ .. في البكاء .. في التشبث بظهره أو لف ذراعيها حوله مستغلة سكونه وانصاته وقالت " هل جربت مع جميلة

Des. Maryam Tamim

الجميلات خاصتك نار الغيرة؟ .. نار الشوق؟ .. نار اللوعة؟."

سقطت دمعة من عين سيد لم تراها آية التي أكملت " هل جربت احتراق الروح يا سيد ؟ أنا جربته .. جربته وأنا أراك بعيني تزف عريسا متأنقا كأوسم رجل رأيته في حياتي تزف لامرأة أكبر وأحلى مني.."

نزلت دمعته الثانية وانحني بجذعه أكثر يحاول الاستيعاب شاعرا بالشلل في أطرافه .

"هل جربت الشعور بالخيانة ؟..
أنا جربته وأنا أفكر كل ليلة.. أن جميلة الجميلات .. تنام في حضنك..
هل جربت أن يكون كل همك منصبا على أن تكبر بسرعة .. حتى تراني امرأة وليس طفلة؟..

Des. Maryam Tamim

هل جربت تلك المشاعر ؟؟؟؟
أنا جربتها..
كلها ..
وتعذبت بها..
كلها ..
واحترقت روحي بها..
كلها ..

منتظرة أن تتحقق رؤياكم العظيمة في الحياة.
منتظرة محاضرتكم العظيمة عن المشاعر المراهقة
التي سأستيقظ فأجدني قد تحررت منها..
انتظرت ..
ومللت من الانتظار.."

وعلّت صوتها بتحدي وأكملت ساخرة " لكن مادام
ما أرتعب منه دوما ومنعني من إعادة البوح لك بما
أشعر خوفا من أن تبتعد عني قد حدث ..

[2655]

وابتعدت ..
هكذا .. بسهولة وبساطة ..
فدعني أخبرك بما أحبسه في صدري منذ عمر
العاشرة تقريبا حتى الآن ..
ربما البوح يحررني من تلك اللعنة المعذبة ..
الحارقة .. ويعطيك أسبابا منطقية للتخلص من
ذنب القطة الضالة التي أزعجتك كثيرا..
دعني أخبرك ..
أنك كاذب وكلكم كاذبون ..
وما أخبرتموني به لم يتحقق بل زاد أضعاف
الأضعاف.. وتراكم بداخلي حتى فقدت عقلي..
وأعصابي .

أنت كاذب وكلكم كاذبون ..
فأنا أحبك.. يا سيد صبرة .."

Des. Maryam Tamim

قالتها بارتعاش تحررها أخيرا من صدرها حارة تتبخر نحو السماء .. بينما سقط قلب سيد في قدميه ومال للأمام يسند بذراعيه على السيارة أمامه وقد انهمرت دموعه ذاهلا غير مستوعب أو مصدق .. فاقدا للنطق والحركة ..

سحبت آية نفسا عميقا ثم قالت بمزاح زائف تداري كرامتها المجروحة خاصة حينما لم يستدير .. أو حتي يعطيها أي مواساة أو شفقة.. وكأنه يتصرف بالضبط مع قطة ضالة " ها قد اعترفت لك اعترافي الكبير.. الذي كنت (وشددت على الحروف ساخرة) بمراهقتي التي لم اتخلص منها حتى الآن .. أحضره لأن أخبرك به .. وأريك كيف كبرت ولم تتغير مشاعري ..
أتعلم ..سمعت يوما قصيدة مغناة وأردت أن تكون اعترافي لك بالحب .. لكني لا أعرف الغناء .. فذهبت للقصيدة الأصلية وتدربت عليها كثيرا ..

Des. Maryam Tamim

ووعدت نفسي بأني حين أبلغ الواحدة والعشرين
حتى أكون ناضجة في نظرك .. سألقيها أمامك ..
تدربت مرارا وتكرارا عليها حتى بت أرددها وأنا نائمة
..(وأكملت بمرارة) لكنك سبقتني وتزوجت قبل
أن أتم الواحدة والعشرين .. (ثم تغيرت نبرتها
لتتصنع المرح تتمتم ساخرة)
وما دمنا في هذه اللحظة التي ابوح فيها بكل شيء ..
كما أتفقنا لأتحرر .. ولأعطيك سببا لمقاطعتي دون
أحساس بالذنب ..فاسمح لي أن أمارس بعضا من
مراهقة متبقية وألقي عليك تلك القصيدة التي بت
أحفظها كإسمي "
صمتت آية قليلا .. في الوقت الذي بدأت الدماء
تنزف من أنف سيد .. لتكمل آية قائلة بصوت
مرتعش :
متى ستعرف كم أهواك يا رجلا ..
أبيع من أجله الدنيا وما فيها .
يا من تحديت في حبي له مدنا بحالها

Des. Maryam Tamim

وسأمضي في تحديها .

لو تطلب البحر في عينيك أسكبه
أو تطلب الشمس في كفيك أرميها
أنا أحبك فوق الغيم أسكبها
وللعصافير والأشجار أحكيها

أنا أحبك فوق الماء انقشها
وللعناقيد والاقداح اسقيها
أنا أحبك يا سيفا أسال دمي
يا قصة لا أدري ما أسميها

أنا أحبك حاول أن تساعدني
فإن من بدأ المأساة ينهيها
وأن من فتح الأبواب يغلقها
وأن من أشعل النيران يطفيها.

[2659]

يامن يدخن في صمت ويتركني
في البحر أرفع مرساتي وألقيها
ألا تراني ببحر الحب غارقة
والموج يمضغ آمالي ويرميها
انزل قليلا عن الأهداب يا رجلا
ما زال يقتل أحلامي ويحييها

كفاك تلعب دور العاشقين معي
وتنتقي كلمات لست تعنيها
كم اخترعت مكاتيبا سترسلها
وأسعدتني ورودا سوف تهديها
وكم ذهبت لوعد لا وجود له
وكم حلمت بأثواب سأشريها
وكم تمنيت لو للرقص تطلبني
وحيرتني ذراعي أين ألقيها

Des. Maryam Tamim



ارجع إلى فإن الأرض واقفة
كأنما فرت من ثوانيها

ارجع إلى فبعدك لا عقد أعلقه
ولا لمست عطوري في أوانيها

لمن جمالي لمن
شال الحريـر لمن
ضفائري منذ أعوام أربيها

ارجع كما أنت صحوا كنت أم مطرا
فما حياتي أنا إن لم تكن فيها

Des. Maryam Tamim

الفصل التاسع والعشرين

سحبت آية نفسا عميقا وقالت بمزاح زائف تداري كرامتها المجروحة خاصة حينما لم يستدير .. أو حتي يعطيها أي مواساة ..أي شفقة.. وكأنه يتصرف بالضبط مع قطة ضالة " ها قد اعترفت لك اعترافي الكبير.. الذي كنتُ (وشددت على الحروف ساخرة) بمراهقتي التي لم اتخلص منها حتى الآن .. أحضره لأن أخبرك به .. وأريك كيف كبرت ولم تتغير مشاعري ..

أتعلم .. سمعت يوما قصيدة مغناة واردت أن تكون اعترافي لك بمشاعري .. لكني لا أعرف الغناء .. فذهبت للقصيدة الأصلية وتدربت عليها كثيرا .. ووعدت نفسي .. أني حين أبلغ الواحدة والعشرين أي عندما أكون ناضجة في نظرك .. سألقيها أمامك ..

Des. Maryam Tamim

تدربتُ مرارا وتكرارا عليها.. حتى بت أرددها وأنا نائمة ..لكنك سبقتني وتزوجت قبل أن أتم الواحدة والعشرين .. (تصنعت بعض المرح وقالت ساخرة) وما دمنا في هذه اللحظة التي ابوح فيها بكل شيء .. كما أتفقنا لأتحرر .. ولأعطيك سببا لمقاطعتي دون أي احساس بالذنب ..فاسمح لي أن أمارس بعضا من مراهقة متبقية .. وألقي عليك تلك القصيدة التي بت أحفظها كإسمي.. حتى يكون آخر البوح فيفرغ صدري من هذه المشاعر المسمومة التي أسجنها سنيناً أكبر من سنوات عمري الفعلية "

صمتت آية قليلا .. بينما الدماء تنزف من أنف سيد .. ثم قالت بصوت مرتعش :

متى ستعرف كم أهواك يا رجلا

أبيع من أجله الدنيا وما فيها

يا من تحديت في حبي له مدنا بحالها

[2663]

وسأمضي في تحديها

حين انتهت من إلقائها كاملة زفرت زفرة حارة تعلن عن انتهاء المهمة .. مهمة الاعتراف بكل شيء ..

وبرغم الألم وجرح الكرامة.. شمخت بأنفها لتقول ساخرة " ها قد اعترفت آية بالاعتراف الكبير .. لكني هذه المرة لست مرتعبة من أن تخاصمني .. لأني أنا من قررت الابتعاد .. أنا من قررت القيام بعملية الاستئصال .. (واستمرت تقول بشجاعة مزيفة) أنا من أعطيك الفرصة للتحرر مني .. للتخلص مني .. بعد هذا الاعتراف .. لذا اعتبره اعترافا ينقذ طرفين .. (واشاحت بوجهها لثوان للتحكم في نوبة بكاء جديدة ملحة ثم عادت تنظر إلى ظهره المنحني أمامها يستند على سيارته ثم أكملت) يبقى شيء أخير عليّ أن أفعله ..ألا وهو التخلص من كل مفكراتي ولوحاتي التي ملأتها بمشاعري تجاهك .. وأن أتخلص من أشياءك

Des. Maryam Tamim

الصغيرة التي كنت ألملمها من بعدك (وصدر منها ضحكة عصبية ثم قالت بلهجة ساخرة) أنت تعرف المراهقات يقدسن الأشياء التافهة .. وقد يصل الجنون إلى حد لملمة أعقاب السجائر (ضحكت بعصبية مرة أخرى ثم أكملت) أفكر في أن أحرقهم جميعا حتى أنتهي تماما من هذه المرحلة في حياتي وانطلق نحو المستقبل .."

تحركت خطوتين وقد يئست من سماع أي كلمة تعاطف أو مواساة أو حتى اعتذارا لبقا .. وأضافت مودعة بصوت سيطر عليه البكاء " شكرا يا معلمي ويا أستاذي .. شكرا على كل شيء .. صدقا أقولها .. وأعتذر أن عطلتك ..(ثم أضافت ساخرة) إلى لقاء قد يجمعنا صدفة ويشيح كل منا وجهه عن الآخر ".

تحركت مسرعة نحو البيت .. غير عابئة بقدميها اللتين تئنان في الحذاء الذي يطقطق تحتها في

Des. Maryam Tamim

عصبية .. تقاوم ذلك الشعور الملح بالعودة إليه .. ولف ذراعيها حول ظهره وحضنه..

كحضن أول وأخير ..

أغلقت بوابة البيت .. ثم شهقت كمن يطلب الهواء .. وانزوت في إحدى زوايا الحوش المظلم نسبيا بجانب البوابة .. وخلعت حذائها العالي الذي يطيل من قامتها .. وتكورت كالطفلة التي بداخلها على الأرض الباردة.. تحضن ركبتيها وتخبئ وجهها فيهما .. وبقيت على هذا الحال حتى سمعت بحركة أحمد في خارج البوابة وتبعها صوت بانة .. فقامت تمسح دموعها وحملت حذائها وحقيبتها الصغيرة وصعدت .

أما هناك .. في تلك الساحة التي تملأوها السيارات تحرك سيد بصعوبة بالغة وقد غامت الرؤية أمامه يتحامل على السيارة واستدار خلفها إلى ذلك الجزء بينها وبين الحائط ونزل على ركبتيه .. يضرب

Des. Maryam Tamim

بقبضته على صدره .. ليوقف ذلك الألم الذي يقتله ..

ذلك الجرح النازف التي اكتشف للتو أنه أكبر مما توقع أو تخيل .

يضرب ..

ويضرب ..

ويضرب على صدره .. عل الألم يتوقف ..

بعد قليل خرج وائل من الخن يبحث عنه.. بعد أن اتفقا على المقابلة هناك .. فتساءل هل عاد إلى منزله ؟ .. لمَ لم يتصل يخبره إذن ؟.. هاتفه يرن دون رد منذ مدة!..

شعر وائل بالقلق .. فذهب يبحث عند سيارته فوجدها في مكانها .. فسأل مريم التي تتبعه " إذن أين هو يا مريم؟!.."

ردت " اتصل به مجددا"

Des. Maryam Tamim

رن الهاتف مرة أخرى .. لكن هذه المرة علا رنين قريب ... فتلفت حوله وتتبع الصوت نحو سيارة سيد ..ولوهلة أعتقد أنه بداخل السيارة يعاني من نوبة ضغط .. لكنه اندهش حين وجد السيارة فارغة .. وصعق حين شاهد سيد محشور بين السيارة والحائط .. يجلس على ركبتيه منحنيا بجذعه للأمام يسند بيد بينما الأخرى يضرب بها على صدره برتابة..

اندفع وائل إليه في جزع يهتف باسمه .. لكن الآخر كان في حالة غريبة.. فأمسك به يسند رأسه ويمسح بكمه الدماء النازفة من أنفه متمتما " تماسك يا صاحبي ..تماسك "

قالت مريم " اتصل بعمرو بسرعة "

رد عليها باستهجان " هل اتصل بالعريس في ليلة فرحه !!.. هذا إن كان هاتفه مفتوحا .. كما إنه سيحتاج للطوارئ بهذا المنظر "

Des. Maryam Tamim

غمغم سيد بصعوبة " دعني يا وائل .. اتركني ملقى في الشارع وامض إلى حال سبيلك .. فمن ولد على قارعة الطريق حتما سيموت عليها "

قال وائل وهو ينهت ويحاول تحريكه بصعوبة شديدة " اخرس ..ما هذا الهراء .. (ونظر لمريم يقول) ساعديني في جره "

ردت مريم باستنكار " كيف أحركه وأنا وهم في خيالك! "

***

تسلل عطرها إلى وجدانه فأراد أن يسبح فيه بأحلامه .. لكن عقله نبهه - بكل فظاظة - لأن يستفيق ليتأكد هل هي فعلا بجانبه .. وفي أحضانه كما يحلم أم لا ؟.

فتح أحمد عينيه ينظر إليها منكمشة في حضنه .. وعدم انتظام أنفاسها أخبره أنها مستيقظة..

Des. Maryam Tamim

وتسارعها فجأة بتوتر أخبره أنها أدركت أنه استيقظ فقال بصوت رخيم من أثر النوم " ألم نتفق على احترام واستقلالية كل دولة وعدم التعدي على أراضيها .. ماذا تسمين ما تفعليه الآن؟ .. وكيف سيكون رد دولتنا الموقرة على هذا الاعتداء السافر !! "

احمرت واشاحت بنظرها في حياء تغمغم " دولتكم من بدأت بالتعدي "

هتف أحمد باستنكار " لم يحدث !"

ردت بغيظ " وماذا تسمي ما كنت تفعله في شقتنا منذ قليل ؟"

أعتدل وأسند بمرفقه على الوسادة وقال بلهجة ماكرة " ماذا فعلت بالضبط أخبريني؟ "

Des. Maryam Tamim

احمر وجهها أكثر وأشاحت بنظرها عنه من جديد تبعد خصلة من شعرها العسلي إلى خلف أذنها وردت " أنت تعرف "

رد بإصرار وشبح ابتسامة متسلية على زاوية فمه" لا أعرف ومن فضلك حين تتهمين الدول الأخرى باتهامات لابد أن تكون مفصلة "

نظرت لسقف الغرفة وتمتمت " أرى أن دولتكم تتميز بالفظاظة "

مال عليها يمسح بكفه على تفاصيلها هامسا بحرارة بجانب شفتيها " ودولتكم .. استفزت دولتنا بالتحرش على الحدود مجددا ولابد من رد رادع من قبلنا "

وهجم على شفتيها .. يتذوق من شهدهما بشوق مضني .. فرفعت كفها بتردد ثم طاوعت أنوثتها و مسدت على رقبته ومؤخرة رأسه بدفء فتعمق في قبلته ..

[2671]

من جديد يروق لها ما يبوح به .. وتصغى إليه باهتمام .. وتركز في تفاصيله بفضول .

ومن جديد شبح جلد الذات يتفنن في تعذيبها .. ولكنها .. تحاول .. وتقاوم .

انتفض أحمد فجأة يطلق سراح شفتيها ويسند بجبينه على كتفها بأنفاس لاهثة فلم تفهم هل فعلت شيئا سخيفا مجددا !.. فهمت بالدفاع عن نفسها أنها تحاول لكنها لازالت ممزقة .

لكنه همس في كتفها بصوت عذّبها " اتركي الغرفة يا بانة فورا .. أنا أعصابي متهالكة اليوم لهذا لم أبيت في شقتنا .. ووجودنا هنا لن يوقفني عن أي تصرفات متهورة إن كنت تتخيلي ذلك .. حتى تلك المنح الصغيرة منك باتت تعذبني فكوني معي أكثر حزما .. واخرجي من هنا فورا"

صوت إلهام جاء خافتا من خلف الباب يقول " بانة .. هل أنت هنا ؟.. بانة هل أنت مستيقظة ؟"

Des. Maryam Tamim

اعتدل أحمد على ظهره يطلق سراحها وغطى عيناه بكفه في يأس بينما أجلت بانة صوتها لترد على إلهام" أنا مستيقظة يا أمي سآتي حالاً ".

وقفت مترددة في تركه والدموع تتدفق في عينها وللحظة ودت لو تختفي من حياة أحمد للأبد ..

انتبهت لأن هاتفه يرن بالحاح وبمجرد أن توقف رن للمرة الثالثة .. فقال أحمد وهو مازال مغمض العينين "ناوليني الهاتف لأرى ماذا يريد وائل "

سألته باندهاش وهي تمسح دموعها " هل تخصص نغمة لوائل ؟"

رد وقد لاح على وجهه الألم حين شاهد بقايا الدموع على وجهها " نعم ..منذ أن مرض وأنا أخصص له نغمة خاصة حتى اذا ما احتاجني فجأة أميز اتصاله .. (ثم أكمل ببعض التوسل) اذهبي لأمي الآن أرجوك "

Des. Maryam Tamim

***

خرجت تمسح بقايا دموع .. تسيطر على رغبة قوية في الهرب إلى أي مكان بعيدا عن أحمد حتى تريحه من عذابه ..

انتبهت للأصوات الآتية من المطبخ فدخلت على إلهام تقول في دهشة " ماذا تفعلين يا أمي !"

ردت إلهام بانشغال " قررت ما دمت لا أستطيع النوم أجهز لهما (الصباحية)"

ردت بانة "ألم نجهزها يا أمي وبقية التسوية للصباح "

ردت إلهام " قررت أن أزيد عليهم حمام محشو ... لمَ لم نفكر في الحمام المحشو أيضا؟"

همت بانة بأن تخبرها أن كمية الطعام أكثر من اللازم لكنها آثرت الصمت وخصوصا مع هيئة

Des. Maryam Tamim

إلهام المتوترة وبدأت تساعدها في صمت وذهنها مشغول بأحمد .

قطعت إلهام شرودها تقول بتوتر وهي تضع يدها على قلبها تهدئ من روعه " قلبي مشغول على أروى .. أخشى أن تتوتر أو تنفعل أو تقوم عفاف بشيء يحرق دمها وهي عروس في ليلة زفافها .. حتى أنني جربت الاتصال بها وبعمرو لكن هواتفهم مغلقة "

هتفت بانة باندهاش " جربتي الاتصال بهم يا أمي الآن!!"

أطرقت إلهام في حرج وقالت كطفلة مذنبة " كنت أريد أن أطمئن عليها .. أردت أن أسمع صوتها وتخبرني أنها بخير وأن كل شيء على ما يرام"

أشفقت بانة عليها وبدأت في مساعدتها حين لمحا أحمد يخرج مسرعا من غرفة أروى نحو باب الشقة فهرولت إلهام وراءه بجزع ولحقتها بانة لتقول

Des. Maryam Tamim

الأولى " ماذا هناك يا أحمد .. هل حدث شيء لأروى ؟!!"

تجمد أحمد للحظة ثم قال وهو يحاول البحث عن تبرير " ما بها أروى ؟"

قالت إلهام" أنا أسألك .. قلبي ينغزني يا أحمد لا أعرف لمَ؟ "

قال أحمد بسرعة وهو يرتدي حذاءه " ليس هناك شيئا يا أمي وائل وسيد بالخن وقررت الانضمام لهما"

تركها وخرج على عجل و إلهام تفكر في الأمر ثم قالت " قلبي ينغزني يا أولاد .. استرها يا رب"

بينما يزداد عذاب بانة وهي تظن أنه خرج هاربا من جحيمها .

***

Des. Maryam Tamim

في لحظة ما.. قد تدرك أن هناك أمور في الحياة مازلت لم تجربها .. وعوالم لم تخطوها بعد بقدمك .. وحين ترزق وقتها بلحظة كاملة فأنت حتما من المحظوظين في هذا الكون.

قبّل عمرو رقبتها وكتفها العاري بشغف محموم لم يهدأ بعد وأبعد شعرها الحريري الذي فرض نفسه بينهما طوال الوقت من على وجهها ثم مد ذراعه يفتح الضوء الجانبي الذي أصرت على إغلاقه .. بعدها أرخى رأسه على الوسادة بجانبها في حالة من السعادة والامتلاء .. لكن الحرج .. ما يزال مسيطرا على الأجواء رغم كل شيء .

تأملها بأذنين حمراوين وهي تتطلع للسقف في حالة هدوء تتحاشى النظر إليه وتشد عليها الملاءة حتى ذقنها فسألها بهمس " هل أنت بخير؟ "

تحركت مقلتيها نحوه بنظرة خاطفة ثم عادت تحدق في السقف من جديد وهي تومئ برأسها بنعم

.

سألها بنفس الهدوء " كيف وجدته ؟"

اختلست نظرة إليه مجددا واشاحت تغمغم "وقح"

رنت ضحكته الصبيانية التي تعشقها وكأنه قد تبقى فيها أعصاب لتتحمل ما تفعله بها ضحكته فسمعته يقول بلؤم " أنا أم هذا الأمر ؟"

غمغمت وهي تحكم الملاءة حولها وتتحكم في ابتسامة خجلة " كلاكما "

رنت ضحكته من جديد ثم مال عليها يقبل جانب عينها وهمس " ومن يرى جمالك ولا يفقد عقله (وشدد على الحروف) يا حليلة عمرو القاضي ".

Des. Maryam Tamim

تخضبت بالحمرة توزع نظراتها بينه وبين السقف من جديد ثم أخرجت ذراعها الخمري من تحت الملاءة تشير بعيدا لشيء ما على طرف السرير دون أن تنظر إلى عمرو .. فتظاهر بالغباء قائلاً " ماذا ؟.. لم أقبّلك هنا "

ومال يطبع قبلة متأنية على ذراعها العاري .. فدفنته تحت الملاءة مرة أخرى.. وقالت بهمس خجل " عمرو ناولني الملابس "

تحرك يرتدي ملابسه وهو يقول" ألم يكن ذلك القميص الناعم يسبب لك مشكلة "

همست بغيظ "عمرو أنت تستغل ظروفي "

رد عليها ببرود يستفزها "انتقامي قد بدأ أروى هانم .. ويسعدني أن تكوني بهذه الهيئة .. ولا تستطيعين الحركة "

قالها وخرج من الغرفة .

Des. Maryam Tamim

راقبت جذعه العاري قبل أن يختفي من أمامها .. ثم شهقت أخيرا تسحب نفسا عميقا ثم تطلق نفسا كان مكتوما إلى صدرها.. بعدها غطت رأسها بالملاءة وبدأت تحرك ذراعيها في الهواء بسعادة تكتم صوت حماسها .. بعد دقيقة أخرجت رأسها من تحت الملاءة وقد انتكش شعرها الجميل حول وجهها وهي تتمتم لنفسها "وأنتِ أيضا وقحة يا أروى "

غطت وجهها بكفيها .. وهي تعيد في رأسها تفاصيل كل شيء من جديد .. رائحته .. لمساته .. أنفاسه الحارة العطرة .. همساته في أذنها والتي برغم قلتها كانت مؤثرة جدا وتضربها في مقتل .. فما أدركته عنه مؤخرا أنه قد يكون عاجزا عن التعبير معظم الوقت ويحتاج لأنثى ذكية مثلها تستطيع قراءة لغة الجسد بمهارة لاستيعاب ما بين السطور لتفهمه ..

إلا أنه حين يتكلم ..

Des. Maryam Tamim

حين يبوح ..

يقول كلمات قليلة العدد كثيرة المعاني .. فياضة الأحاسيس .. كضوعة عطر مركز معتق .. قطرة منه تقلب كيانها كله .

حركت ذراعيها في الهواء مجددا ثم توجعت بعد أن آلمها ظهرها ..فتذكرت سؤاله الذي تكرر مع كل حركة له معها منذ قليل ..هل ظهرها بخير؟.

بعد قليل دخل يحمل كوبا من العصير فوجدها تلف حول نصفها العلوي الملاءة كوشاح كبير بينما الجزء السفلي يوضح أنها قد ارتدت قميصها بالفعل .. وكانت تحاول الحركة من السرير نحو كرسيها .. فوضع العصير بسرعة ولحقها يقول" إلى أين ؟"

ردت "إلى الحمام "

فنظر للملاءة على نصفها العلوي وسألها باندهاش "لماذا تلفين نفسك بالملاءة بهذا الشكل ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت بحياء "لأن القميص غير مريح "

قال بتسلي" قلنا هذا القميص لا يريحك وخلصتك منه .. لما أعدت ارتدائه!! .. هيا أشربي هذا العصير أولا "

***

وقف أحمد في توتر في رواق المستشفى يسأل وائل بقلق " هل أنت متأكد أنه لم يحدث شيء ؟.. لقد كان بخير ليلة أمس !! "

رد عليه وائل بعصبية "هل تعتقد أني أعرف أمرا واخفيه عنك؟!! .. كما قلت لك بحثت عنه فوجدته بجانب سيارته في حالة سيئة فأعطيته الحقنة واتصلت بك " .

ربت أحمد على كتف وائل باعتذار غير منطوق وتمتم" أسأل الله ان تكون العواقب سلمية (ثم اكمل بقلة صبر) لماذا تأخر الطبيب بالداخل؟؟!!"

Des. Maryam Tamim

أخرج وائل من جيبه علبة المهدئ وقذف بواحدة في فمه وهو يتمتم" إن شاء الله "

ثم جلس على الأريكة قدماه غير قادرة على حمله.. بينما يرى مريم تجلس بجانبه وتحتضن ذراعه مربتة على ظهره بمواساة .. وتذكر تلك الدقائق قبل أن يصل أحمد للمساعدة في حمله والانطلاق به الى المستشفى ..

قبل سويعات :

قال سيد بعينين حمراوين وهو يفترش الأرض ويمسك بصدره " اخبرني يا وائل لماذا ؟.. لماذا يحدث هذا معي أنا بالذات ؟؟"

رد وائل وهو يحاول الاتصال بأحمد الذي لا يرد " ما الذي حدث اخبرني" ؟

رد بأنفاس متقطعة يعاني من صعوبة في التنفس " لمَ حظي عثر؟ .. لمَ قرار واحد .. واحد .. واحد يا

Des. Maryam Tamim

وائل أخذته يوما وأنا أظن وقتها أني أحمي الجميع مني .. من مشاعري التي أنكرتها على نفسي .. أن يتحول لسوط يجلدني بلا رحمة .. أين العدل ؟ (ونظر نحو السماء) أين الرحمة أين العدل ؟"

تكلم وائل في الهاتف " أحمد تعال .. سيد يحتاج للنقل للمستشفى فورا وأنا غير قادر على حمله وحدي "

بعد أن أغلق وجده يهذي وهو يحدق في الأرض " ما الذي فعلته بها !!.. ما الذي فعلته بها !! .. لقد احرقت قلبها بيدي !! .. أحرقت قلب صغيرتي بيدي وأنا غافل كل هذه السنين !!"

هتف وائل يحاول الاستيعاب وهو يدعك له صدره الذي يمسكه متألماً " من يا سيد ؟ ..عمن تتحدث ؟.. هل تتحدث عن آية ؟؟؟"

نظر إليه يردد بذهول " بل ما الذي فعلته بهما ؟.. كيف اظلمهما بهذا الشكل !! ..ظلمت اثنتين .. أنا

Des. Maryam Tamim

جلاد يا وائل ولست ضحية .. أنا جلاد وكنت احسبني ضحية اكتشفت أني جلادا .."

خروج الطبيب من الغرفة أخرجه من شروده وأخفى مريم المتعلقة بذراعه من جانبه.. بينما قال الطبيب بملامح قلقة " الضغط عالي جدا .. من الجيد أن حقنتموه بالحقنة وإلا لكان الأمر أسوأ .. قمنا بالإسعافات الاولوية وسنضعه تحت الملاحظة ونتمنى ألا تكون تلك النوبة قد سببت أي آثار جانبية"

سأله أحمد بقلق " ماذا تعني بآثار جانبية؟؟؟"

رد الطبيب بلهجة عملية "هذا ما سنعرفه خلال الساعات القادمة"

***

Des. Maryam Tamim

مع إشراقة شمس صغيرة وليدة كان يقف متوترا عند باب الحمام الداخلي المغلق بالغرفة يهتف " هل أنت بخير يا أروى؟ "

جاء صوتها من الداخل " بخير هذه رابع مرة تسألني خلال عشر دقائق "

قال بقلق واضح " أروى أنا غير متحمل لفكرة وجودك في الحمام وحدك .. لست معتادا على ذلك .. دعيني أساعدك أرجوك "

ردت صارخة " إياك يا عمرو أنت وعدتني .. وأنا وثقت في وعدك ولم أوصد الباب من الداخل حتى لا تقلق "

ضرب بقبضته بخفوت على الباب في قلق بينما انتقلت أروى في الداخل بصعوبة تتحامل على ذراعيها من حوض الاستحمام لكرسيها وهي تنهت .. لم تتعود بعد على الدعامات الجديدة ولا القياسات الجديدة لهذا الحمام.. وارتطمت مرتين

Des. Maryam Tamim

في ذراعها .. وبالرغم من أن أحمد قد غطى الأرضية وحوض الاستحمام بطبقة مانعة للانزلاق والجدران بدعامات تتحامل عليها للحركة إلا أنها تشعر بالقلق من أن تنزلق .. فأسوأ كوابيسها أن تنزلق يوما وتدق عنقها .. أو تخونها ذراعاها فيجدونها عارية في أرض الحمام..

إنها لا تخشى الانزلاق في حد ذاته .. بل تخشى أن يجدونها عارية يوما غير قادرة على الحركة ..

لكن كبريائها لا يسمح لها بأن تكون مثيرة للشفقة وتطلب المساعدة ممن حولها.. ويحثها على التمسك بأبسط قواعد الإنسانية في أن تحظى ببعض الخصوصية عند دخول الحمام .

جاءها صوته من خلف الباب للمرة (التي تعبت من عدها) ينادي باسمها بتوسل فهتفت تطمئنه "انتهيت وسا .. "

قبل أن تنهي جملتها كان عمرو يقتحم الحمام

Des. Maryam Tamim

فصاحت باعتراض " أنت وعدتني !!"

فرد ببرود " وأنت قلت انتهيت"

في أقل من ثانية وجدت نفسها محمولة بين ذراعيه فقالت معترضة "عمرو مازلت لم انتهي من كل شيء"

رد وهو يتحرك ليدخل الغرفة " انهي ما تريدين في الغرفة "

قالت "لم اجفف الحمام و .. عمرو لا تضايقني من فضلك "

وضعها على السرير وقال بحزم " أروى يكفيني اليوم هذه الجرعة من القلق .. لا توتريني ودعيني أعتاد على فكرة استقلاليتك هذه أولا (ثم نظر لشعرها المبلل وأمسك بالفوطة يجففه وهو يتمتم بخفوت معجب) إذن هذا شكل شعرك وهو مبلل .. لم يسبق لي أن جففت شعر فتاة من قبل "

Des. Maryam Tamim

تخضبت بالحمرة فأزاح بعض الشعيرات الرطبة من على جبينها .. ثم تأمل وجهها المليح وهو يتمتم بخفوت " أحب رائحتك .. وأحب ذلك الشعور المدغدغ الذي تفعله بي .. وأحب كل تفصيلة فيك .. ما رأيته ومالم أره بعد "

توقف عن تجفيف شعرها ليحضن صدغها بكفه ويمرر بإبهامه على شفتيها .. فهاجمتهما الذكريات المشتعلة التي جمعت بينهما في أول الليل وسرت قشعريرة لذيذة في جسديها ..

تواصلت العيون .. والأرواح .. قبل أن يميل عمرو على شفتيها بقبلة محمومة .. فغرزت أصابعها في شعره الرطب الذي لم يجف بعد ليميل عليها أكثر حتى تمددت على السرير .. مع قبلة أكثر عمقا وأطول زمنا .. لتفلت من بين شفتيه بعد قليل تقول بهمس أمام عينيه المشتعلتين "ظهري يؤلمني "

Des. Maryam Tamim

فتحرك يساعد ظهرها على اتخاذ وضع أكثر راحة ثم خيم فوقها يقول بأنفاس متسارعة" أين كنا؟ "

مسدت على لحيته تتأمل عيناه وحاجباه الكثيفان .. ليقّبِل باطن كفها الذي يلمس وجهه فلم تستطع الصمود دون بوح أكثر من ذلك .. فهمست بتأثر " يا الله .. لا أصدق أني أستطيع لمسك .. أستطيع لمسك (وبدأت تمسح بكفها على وجهه ورقبته وصدره) .. لو أعلم أني قد أمضي وقتا بين ذراعيك تلفحني أنفاسك فآخذها إلى رئتاي وتشعلني لمساتك فأدفئ بها قلبي الذي تجمد من الشوق إليك .. لما تألمت يوما وانتظرت.. حتى ولو خمسون عاماً لانتظرت .. فأنت يا عمرو لا أحد قبلك ولن يكون بعدك رجلا في حياتي .. أنت كل حياتي التي تمنيتها "

اشتعلت عيناه وأطبق على شفتيها بقبلة عنيفة .. يبدو أن عليه أن يعتاد على كلامها الذي يفجر

Des. Maryam Tamim

بداخله البراكين الخامدة .. يشعل رجولته ويكثف مشاعره بشكل جنوني متلاحق في جزء من الثانية ..

أطلق سراح شفتاها وتكلم بحرارة وقد تدفقت الحمم السائلة في شراييينه " إن استمريت في قول ذلك الكلام الذي يذهب العقل فلا تلومين إلا نفسك بعدها (ونظر للمنامة التي ارتدتها وتمتم) واعلمي أن من ضمن انتقامي منك أن تصبح مهمتي من الآن فصاعدا وضع الخطط لإخراجك من مناماتك "

انفجرت ضاحكة بدلال وشاركها الضحك وهو يوزع القبل العشوائية على رقبتها الخمرية ..وتلك الشامة الصغيرة البنية عند عظمة الترقوة التي اكتشفها أمس .. إلى أن تكهربت الأجواء حين رن جرس الباب .

رفع رأسه عنها يسألها بملامح مصدومة " هل سمعت جرس الباب؟!!! "

Des. Maryam Tamim

فأومأت برأسها بنعم لينزاح عنها ينظر لساعة الحائط التي تشير إلى السابعة صباحا .. قالت أروى مرتبكة "ساعدني أن أعتدل يا عمرو وأعطيني الروب ".

***

عند الباب أطبقت إلهام على ساعد بانة التي تلصق وجهها بالحائط بحرج تحمل أكياسا لطعام الصباحية وتتمتم " أنا سأنتظر هنا يا أمي وأنت أدخلي لها .. يكفي أني طاوعتك بالحضور "

قالت إلهام بتوتر " وأنا سأموت من الحرج فرافقي أمك ولا تكوني جبانة "

قالت بانة بهمس " يا أمي الساعة لم تصل للسابعة صباحا بعد ولا أتوقع أن من عاداتكم زيارة العروسين في هذا التوقيت ! "

Des. Maryam Tamim

ردت إلهام وهي تنظر لساعتها "بل أصبحت السابعة بالضبط ولن أتحمل ألا أطمئن على ابنتي أكثر من ذلك .. لا يريدان إزعاجا فليفتحا هاتفيهما "

فتح عمرو الباب بعد أن عدل ملابسه وسوى شعره غير مصدق أن والدته قد تزورهما في هذا الوقت .. لكنه اندهش حين وجد الخالة إلهام أمامه فتحرج واحمرت أذناه ..

هتفت إلهام وهي تفرك كفيها في حرج " صباحية مباركة يا عريس .. سامحني يا بني .. قلبي لم يهدأ وأردت الاطمئنان على أروى وأنتما تغلقان هاتفيكما "

أشفق عليها فقبل رأسها يدعوها للدخول وهم بإغلاق الباب فصاحت بارتباك " انتظر "

تجمد عمرو فخرجت إلهام تسحب بانة الملتصقة بالحائط والتي تحمل أكياس الطعام متحرجة من

Des. Maryam Tamim

أن تنظر في وجه عمرو فأطرقت برأسها أرضا تغمغم بوجه كحبة الطماطم وصوت هارب منها " مبارك يا عمرو .. احضرنا طعام الصباحية "

ابتسم وأدخلهما وتحرك ليقف في الشرفة حتى يرفع عنهما وعن نفسه الحرج .

دخلت إلهام على ابنتها وارتمت عليها تحضنها لتخرس وحش القلق بداخلها مرددة بصوت باك " يا حبيبة قلب أمك .. عروس كالبدر ما شاء الله"..

فاغرورقت عينا أروى بالدموع هي الأخرى وكأنها تفرج عن شحنة توتر سابقة ثم طمأنتها فسألتها إلهام بفضول أمومي " ها طمئني قلبي يا أروى "

تبادلت النظرات مع بانة ثم ردت مراوغة " أنا بخير يا أمي "

Des. Maryam Tamim

قالت إلهام بإصرار" أنا لا أسأل عنك يا أروى أنا أسأل عن الأمر الآخر فتوقفي عن المزاح يا ابنة رحمي وتكلمي "

أومأت أروى مبتسمة في حرج فأطلقت إلهام زغرودة مفاجئة جعلت أروى تدفن وجهها في كفيها ضاحكة بينما ارتعبت بانة وجحظت عيناها في صدمة .. أما عمرو فاحمرت أذناه في الشرفة وسعل وهو يضحك متفحصا الشارع الهادئ للتأكد من عدم ملاحظة أحد لما حدث في شقة العريس.

بعد قليل خرجت إلهام لتضع الطعام على المائدة بينما احتضنت بانة أروى بمحبة وتمتمت " مبارك حبيبتي .. تبدين سعيدة ما شاء الله "

قالت أروى بحماس طفلة " لا أصدق يا بانة إنه أشبه بالحلم .. التواصل مع الحبيب أشبه بزيارة الجنة "

Des. Maryam Tamim

سألت بانة في حياء " هل كان هو – كرجل - سعيدا بهذا الأمر ؟"

فهمت أروى لم تسأل هذا السؤال فردت بصدق " جدا يا بانة جدا .. وكأنه وصل لحالة من الاكتمال"

مزق الألم قلب بانة وتمتمت في سرها " عليك بحسم اختيارك يا بانة إما أحمد والمستقبل أو أهلك والماضي "

***

تطلع أحمد للجسد الضخم الفاقد للحركة .. يخترق أنبوب رفيع ذراعه وقناع مثبت فوق فمه وأنفه يمده بالأكسجين .. يستمع بألم لصوت أنفاسه العالية داخل القناع ليتأكد أن صاحبه لا يزال موجود .. يشعر بالشفقة عليه .. ويتساءل في لحظة تردد هل أخطأ في حقه؟؟.

Des. Maryam Tamim

لكن عقله المتحكم في مقاليد الأمور أكد له أنه لم يخطئ حين قرر حسم الأمور ووضع النقاط فوق الحروف .. ويوبخه بأنه يتحمل جزء من المسئولية لما آل إليه الوضع لأنه لم يتدخل بهذا الشكل الحاسم مسبقا .

لكنه لم يقدر على محو ذلك الألم الذي يعتصر قلبه على صاحبه .. ذلك المجنون .. الذي لا يعرف ماذا حدث له؟!

في خارج الغرفة تطلع وائل لهاتف سيد فوجد مكالمات فائتة كثيرة من بسمة .. فقام بالاتصال بها .. لتبادره بسمة تصيح " سيد.. أين أنت يا سيد ؟؟"

أجلى وائل صوته وقال" أنا وائل موريس يا اختنا " ترددت بسمة قليلا ثم سألت بقلق " أين سيد؟؟"

Des. Maryam Tamim

رد عليها بهدوء "ارتفع ضغطه قليلا وهو الآن يخضع للعلاج في المستشفى"
صرخت بسمة "مستشفى !!.. أي مستشفى ؟ أرجوك اخبرني "
حاول وائل إقناعها أن الأمر بسيط.. لكنها كانت مصرة فأنهى المكالمة يقول " حسنا انتظري يا اختنا وسأرسل لك من يحضرك سلام"

بعد قليل نظر في ساعته فوجدها منتصف النهار ففتح هاتفه يطمئن على عمرو وبادره بالقول " صباحية مباركة ..يا عريسنا "

رد عمرو عليه الصباح بهدوء .. فقال وائل مازحا " نريد ان نطمئن على سبع الرجال"

تنحنح عمرو في حرج و تمتم " الحمد لله"

Des. Maryam Tamim

فرفع وائل حاجبه وسأله بإصرار " الحمد لله ..أم الحمد لله على كل شيء ؟"

قهقه عمرو فصاح وائل بسعادة " حسنا ما دمت ضحكت .. وبهذا الانتشاء .. إذن تمت المهمة بنجاح .. الحمد لله ان اطمأننت على إبني حبيبي سبع الرجال"

قال عمرو بجديد" هل هناك شيء ما يحدث معكم؟"
فرد وائل بمراوغة " لا شيء .. لم تسأل ؟ "

قال عمرو " لا أدري أشعر أن هناك شيء .. وصوتك زادني قلقا "

راوغه وائل حتى لا يقلقه " انفض عنك هذا الكلام واخبرني متى ستسافر؟ "

[2699]

رد عمرو" مساء اليوم "
سأله " وهل علمت زوجتكم المصون بالمفاجأة "

رد وقد اعجبته كلمة (زوجتكم المصون) " لا لم أخبرها سأتركها لآخر لحظة "
قال وائل متهكما " أصبحت رومانسيا يا عم أمين بدأت أحبك يا رجل "
ضحك عمرو ثم قال بعد قليل بقلق " أنا أخشى أن تعرف والدتي أني مسافر خارج الدولة وقد أفهمتها كما أخبرت أروى أننا ذاهبان لمنتجع محلي خارج العاصمة .. أنت تعلم ظروفها "

طمأنه وائل " لا تقلق عليها .. سأجعل أمي تطمئن عليها وربما أرسل إليها ماجدة والبنات إذا ما احتاجت لشيء .. المهم انتبه أنت لأروى واستمتعا "

Des. Maryam Tamim

***

دخلت بسمة تتأمل جسده الممدد على الفراش .. بينما ارتمت رحمة على يده تقبلها بدموع منهمرة فرفعها بوهن يمسد على شعرها المائل للحمرة ..

اقتربت بسمة تطبع قبلة على جبينه وقالت " ماذا حدث ؟"

ابتسم ابتسامة لم تلحظ مرارتها وقال بوهن " يبدو أنني نسيت دوائي .. لا تقلقي سأكون بخير "

هبت رحمة تقول بتهديد باكية " من هذه اللحظة أنا من سأتولى أمر دواءك هل فهمت !.. وأنت لا تعرفني كم أنا دقيقة إلى حد الملل .. "

رد بنظرة حنونة " ومن قال أني سأتحمل مللك .. سأرميك من النافذة فورا "

ارتمت على صدره تبكي وهي تتمتم باستنكار " أنت تمزح يا سيد في هذا الوضع.. تمزح !!"

Des. Maryam Tamim

مسد على رأسها بينما قالت بسمة ببعض الاحساس بالذنب " كان من الممكن أن يكون الأمر خطيرا لولا ستر الله "

ابتسم لها واغمض عينيه يتمتم في سره " ليته كان .. وانتهيت وأرحت الجميع من وجودي الغير مرغوب فيه "

***

في المساء دخلت أروى بكرسيها للطائرة وساعدها عمرو بحملها للجلوس في المقعد المخصص لها.. ثم استراح بجانبها .. فقالت باستغراب وهي تتطلع حولها " لماذا تحمل الطائرة أكثر من جنسية آسيوية ألسنا ذاهبان لمدينة (....) !"

استرخى عمرو في مقعده ورد ببرود "وهل أنا على علم بتفاصيل ركاب الطائرة ربما تكون تلك المدينة مقصدا للجنسيات الآسيوية "

Des. Maryam Tamim

نظرت إليه بشك وتطلعت مرة أخرى للطائرة وركابها وشكت في أن تكون طائرة متجهة لمدينة محلية .. لكن ورود اتصال من عفاف التي تتصل كل نصف ساعة تقريبا أشعرها بالتوتر ..

جاءتها رسالة من بانة على الواتساب تطمئن :

بانة : هل ركبت الطائرة ؟

أروى : أجل .. لكن هناك أمر مريب .. أشعر أن الطائرة متوجهة لمكان أبعد من مدينة محلية .. ألم يخبرك أحمد بشيء .؟

بانة :لا لم يخبرني .. أحمد لم يعد منذ ليلة أمس.

أروى : حتى الآن !.. هل تشاجرتما ؟ .

بانة : لم نتشاجر لكنه كما تعلمين محبطا مني وأمس كان الأمر صعبا عليه .

Des. Maryam Tamim

شعرت أروى بالشفقة على أخيها فأرسلت لها وجها حزينا لتسألها بانة :

بانة : هل تعتقدين أني لابد أن استشير طبيبا نفسيا؟.

أروى : لا أنكر أنك بحاجة لاستشارة نفسية وهذا لا يعيبك .. فأنت تدركين جيدا أن الحرب تركت بصماتها على نفسيتك .. والأذكياء فقط من يطلبون المساعدة .. لكن ماذا يفعل الطبيب النفسي إن كان المريض لا يريد؟!!.

بانة: ماذا تعنين ؟ .. أني لا أريد ؟؟؟ .. أنا أحب أحمد ..أحبه جدا .. وأرغب في أن أجعله سعيدا .

أروى : لا أشك في أنك تحبينه .. لكني أشعر أنك في هذا الجانب لا تريدين أن تتمي هذا الزواج .. ربما

Des. Maryam Tamim

تتمسكين ببانة القديمة التي ستعود لأهلها كما هي مغلفة بالسلوفان.

صمتت بانة قليلا ثم كتبت:

بانة : لا أنكر أن لديك حق في ذلك.

أروى : سأسألك سؤالا .. هل أنت الآن نفس بانة التي خرجت من بيتها وصعدت للطائرة وحدها منذ عدة سنوات ؟.

بانة : لا بالطبع.. أنا أضحيت شخص جديد وهناك أمور اختلفت بداخلي حتى عمري صار أكبر بأربع سنوات .

أروى : إذن كيف تتمسكين بخرافة أنك إذا ما قدر لك بمقابلة أهلك أنك ستقابلينهم كـ بانة القديمة !!

صمتت بانة قليلا ثم كتبت :

Des. Maryam Tamim

بانة : أنت على حق .. لكن الأمر ليس زرا سأضغط عليه فأتحول للشخصية الأخرى يا أروى .. أنا أضغط على نفسي كثيرا صدقيني.. لكني بحاجة لمزيد من الوقت .. وحالة أحمد تربكني وتشوش على أفكاري وتشعرني بالذنب الكبير .

أروى : أتمنى من الله أن يهديك لما فيه الخير لك ولأحمد .. ذلك النذل الذي أتصلت به ولم يرد .. حسابي معه عسيرا عندما أعود .

بانة : أتركينا من هذا الموضوع وأخبريني ماذا فعلت حماتك حين علمت بقرار سفركما ؟.

أروى : من الواضح أن لديها علم مسبق بهذا الموضوع ولهذا حضرت من الساعة الثانية عشرة ظهرا وظلت معنا حتى تركنا البيت في المساء .. وقالتها صراحة في وجهي .. (ستنفردين بإبني عشرة أيام كاملة فدعيني أشبع منه اليوم) .

Des. Maryam Tamim

بانة :لا أصدق !!.. بقيت معكم بالشقة في أول يوم زواج لكما من الظهر حتى السابعة مساء !!!.

أروى : للأسف نعم بل إني سمعتها تسأل عمرو هامسة دون أن يدركا أني قادمة.. هل استمتع فعلا بمعاشرتي أول ليلة أم أنه يضحي بهذا الجانب من أجلي .

بانة : (وجه مصعوق) لا أصدق !! .. وماذا كان رد عمرو ؟!!.

أروى : رأيت صدمة سؤالها على وجهه لكنه كان حازما معها في الرد .. وقال كلاما رائعا في حقي .. وطلب منها عدم الخوض في هذا الأمر مجددا .. الحقيقة أنا أشفقت عليه كثيرا واحترمته أكثر .. إنه يتحكم في صراحته المعتادة ليتعامل مع تدخلاتها بنوع من الدبلوماسية وبعض من الحزم رغم انزعاجه منها كشخص متحفظ ..وأخذ يلاطفها ويداعبها بعدها .. ورغم أنه كان محبطا جدا من

Des. Maryam Tamim

وجودها كل هذا الوقت وهو مازال عريسا..
ومحرجا مني بالطبع .. لكني حاولت في المقابل ألا أظهر له ضيقي حتى لا ينزعج أكثر .. إنها تشعرني بالطفلة المثيرة للشفقة.

بانة : هذه المرأة مهووسة فعلا !! ..

أروى : وضعها صعب جدا وتعلقها به زائد عن الحد .. ظلت تبكي وهي تودعه لمجرد أننا سنغيب ١٠ أيام كأنه سيهاجر.. الحقيقة أشفقت على عمرو إنه ممزق بين رغبته في الاستقلال .. وشفقته على حالة والدته .. وأشعر أنه مارس مجهودا جبارا مع نفسه ليكون متوازنا وليس ولد ملتصقا بأمه ... بعد كل هذا التدليل والالتصاق به.

جاء صوت عمرو وهو يحشر برأسه أمام الهاتف يسأل بفضول بعد أن أنهى مكالمته " مع من تتحدثين ؟؟"

كتبت أروى : سأذهب يبدو أن الطائرة ستتحرك .

Des. Maryam Tamim

بانة : في أمان الله .

ثم قالت لعمرو " أتحدث مع بانة .. هل والدتك بخير؟ "

لاحظت التوتر البادي على ملامحه وتمتم " إنها لم تتوقف عن البكاء بعد "

سألته وهي تشفق عليه أكثر من شفقتها على والدته " هل ستبيت عندها زوجة خالك ؟"

زفر يقول " زوجة خالي وخالي وقريبة لنا من طرف أبي.. أتمنى أن تتوقف عن البكاء .. إنها تسرق فرحتي .. "

مسدت على ذراعه بحنان" إن شاء الله ستكون بخير يا حبيبي "

أسند رأسه على ظهر المقعد يتأمل وجهها القريب منه وقال بهمس "أشعر أني سُرقت مني ساعات كنت أريد أن أقضيها معك .. (ثم أكمل بلهجة ذات

Des. Maryam Tamim

مغزى وهو يتطلع لشفتيها) أعتقد أن علي تعويض ما فاتني في تلك الساعات حين نصل للفندق بإذن الله"

ضربته على ذراعه بدلال وهي تتحكم في ابتسامة خجلة وهمست " عمرو كفى وقاحة .. "

رد بلؤم هامسا " أنا لم أقصد أي وقاحة .. قصدت أني أريد أن أنام جيدا لأني لم أنم طوال ليلة أمس بسبب جنية سمراء آية من الجمال زارت غرفتي "

احمرت خمريتها وهي تتأمله بخجل وتتذكر تلك اللحظات بينهما .. ثم انتبهت للإذاعة الداخلية من الطيار يرحب بالركاب ويطلب منهم ربط الاحزمة ويعلن عن أن الرحلة متجهة لمطار (سيئول) الدولي .

جحظت عينا أروى واعتدلت من استرخائها على ظهر المقعد تقول " هل قال سيئول !!.. سيول عاصمة كوريا .. هل سنذهب لكوريا يا عمرو !!"

Des. Maryam Tamim

أتسعت ابتسامته فأضاءت لحيته الأنيقة وأخذ يشير بسبابته محذرا ألا ترفع صوتها بينما كادت أروى أن تقفز من فوق مقعدها وألقت بنفسها عليه تحيطه بذراعيها بقوة بينما هو يهمس لها بحرج شديد " أروى تعقلي نحن أمام الناس .. أروى هل تبكين !!"

***

أمسكت بهاتفها كالعادة تبحث عن أي شيء جديد فيما يخص الوطن .. أخبار .. أحداث .. تدخلات دولية .. أو أشخاص قد يدلونها على أي خيط.

الأجواء باتت أفضل وانحسر الصراع إلى الأطراف الجنوبية فقط .. واستعادت الحكومة معظم المناطق من المتمردين .. بمساعدات دولية خارجية .. وألح عليها ذلك السؤال مجددا..

Des. Maryam Tamim



هل تعود بمفردها للوطن تسأل عن أهلها ؟..

أين ستبحث عنهم وما عرفته أن بلدة أبيها دمرت تماما ؟..

وإذا ما قررت العودة هل ستعود بمفردها ؟.. وتكرر القصة من جديد .. فتاة وحدها لا ملجأ لها ولا مأوى؟ ..

وحتى لو واتتها الشجاعة لفعل ذلك مدفوعة برغبتها المحمومة لسماع أي خبرعن أهلها .. ماذا ستفعل مع أحمد .. هل هذا ما يستحقه منها ؟

لفت انتباهها وهى تتجول في أروقة الفيسبوك منشورا لداعية دينية معروفة تتحدث عن حقوق الزوج ..

وبرغم من أن هناك نقاطا أثارتها تلك الداعية استفزت كبرياء الأنثى بداخلها إلا أنه استوقفها فقرة

تخص حقوق الزوج في الفراش وكانت بلهجة الداعية الكثير من التهديد والوعيد للمرأة التي تهجر زوجها في الفراش ... ولأن هذا الكلام ينكأ جرحها .. ناقشت المرأة بعقلانية محاولة إثبات أنه من الممكن أن تكون الزوجة لا تطيقه فكتبت لها :

بانة : يا شيختنا المرأة قالت أنه زوجها لا يصرف على بيته ويجلس بالبيت وهي تعول الأولاد فكيف يكون له حقوقا في الفراش وتعاقب إن لم تفعل ؟!

الداعية : يا أختاه كل سيحاسب على ما قصر فيه من أمانة في عنقه .. وهي ستحاسب على ذلك مثلما سيحاسب هو عما قصر فيه في حق بيته .

بانة : ماذا لو كانت نافرة منه .. من الطبيعي أن تكون كذلك إذا كان هذا هو الوضع في البيت!! .

الداعية : أمرنا الله بأن نطيع حق الزوج في هذا الجانب فإن لم تطيقه فليس أمامها إلا طريقين إما

Des. Maryam Tamim

أن تطلب الطلاق وهذا حقها .. أو تصبر وستجازى ..

بانة : لكن من الممكن أن يكون للمرأة عذر في رفضها لعلاقة الفراش .

الداعية : كما قلت لك هذا الأمر عظيم بإجماع الفقهاء فإن كانت لن تستطيع تلبية هذا الجانب بما يرضي الله فلتنفصل عنه حتى ترفع عنها الوزر ... إما الصبر والاحتساب عند الله أو الطلاق .

بانة : وإن كان لديها ما يمنعها من أن تطلب الطلاق .

الداعية : إن كانت مكرهة على العيش معه لأي سبب فبالتأكيد الله مطلع على ذلك وسيجزيها إن صبرت واحتسبت .. فلا تضيع أجرها بارتكاب ذنب كبير ينقص من أجرها الذي ستأخذه بتحملها العيش معه .

Des. Maryam Tamim



ودت بانة لو تكتب " لكنها ليست مكرهه على العيش معه وإنما تحبه لكنها شكرت الشيخة وانهت الحديث .

الأفكار تعصف بعقلها ودائرة المشاعر تطبق على أنفاسها من جديد..

"أنت لا تريدين يا بانة إتمام الزواج "

"أنت ترغبين في أن تظلي ملفوفة بالسلوفان إلى أن تقابلي أهلك يوما ما "

"هل أنت نفس بانة الخازن التي ركبت الطائرة إلى بلد أخرى ؟"

كلمات أروى تتردد في ذهنها بلا توقف .. ودائرة مشاعرها المزدوجة تطحن أعصابها كشقي الرحى .

هل من سبيل للراحة يا بانة.. هل من سبيل ؟





فتحت الهاتف واتصلت بشعلة النار التي تدفئها وتكويها في نفس الوقت.. بذلك الشخص الذي هو وطنا لها ..

ارتجفت من ذلك التعبير الذي قفز لذهنها فجأة وكأنه يدحض كل ما بداخلها من عقبات نفسية .

جاءها صوته مرهقاً فسألته " هل تعاقبني ؟"

اعتدل أحمد في وقفته في ممر المستشفى ورد باندهاش " ولمَ سأعاقبك يا بانة ؟!!"

ردت بانفعال وكأنها تحدث نفسها " لأني أعذبك .. لأنك لست سعيدا .. لأنك ظلمت نفسك بي وأنا ظلمتك معي "

تكلم بإرهاق " بانة .. أنا مرهق ولم أنم منذ يومين"

Des. Maryam Tamim

ردت ببكاء " بسببي أليس كذلك ؟.. بسببي لا تريد العودة للبيت "

سألها بقلق " ما بك يا بانة ؟! .. (وتطلع حوله ثم سأل بهمس) هل هي الظروف الشهرية مجددا ؟"

ردت باكية " أنا ضائعة متعبة ورأسي سينفجر من التفكير "

تملكته الشفقة نحوها فسأل " لمَ يا قلب أحمد ؟"

سألت بشك " هل مازلت قلبك فعلا ؟ "

رد بسرعة " وستظلين قلبي .. أنتِ اسمك موشوم على قلبي للأبد يا بانة" .

بدأت في البكاء فتمزق قلبه .. ليرد على سؤالها الذي سألته أول المكالمة" أنا مع سيد في المستشفى ولست هاربا من البيت بسببك "

[2717]

توقفت عن البكاء وسألته بقلق" ما به سيد ؟"

رد بأسف "ارتفع ضغطه ليلة أمس بعد حفل الزفاف .. ولولا أن وائل وجده واتصل بي لننقله للمستشفى لضاع منا "

قالت "بعيد الشر ما السبب ؟".

زفر ورد " لا أدري يا بانة .. وأتمنى ألا يكون ما أظنه صحيحا (واستدرك محذرا) إياك أن يعرف أحد بالأمر لا أمي ولا آية ولا أي مخلوق"

سألت في اندهاش " لمَ؟!!"

رد مراوغا " أمي ستقلق عليه جدا أنت تعرفين أنها تحبه .. كما أننا لم نخبر عمرو لا نريد أن نفسد عليه هو وأروى سفرهما" .

Des. Maryam Tamim

حين صمتت سألها" ماذا بك هل أشعرتك بالذنب؟ ... هل فلتت أعصابي فجرحتك؟ ".

تألمت لتهذيبه ورقت مشاعره نحوها فقالت " أروى تقول أني أنا من أريد عدم إتمام الزواج .. وأني أريد أن أبقى ملفوفة بالسلوفان حتى أقابل أهلي .."

صمتت قليلا وكأنها تنتظر رأيه فقال" وماذا تعتقدين أنت ؟"

أخذت نفسا عميقا فهذا ليس ما كانت تنتظره كانت تنتظر أن يخرجها من حيرتها فأجابت " أنا لست متأكدة إن كنت كذلك أم لا.. لكني لا أنكر أني متمسكة بأن أبقى بانة القديمة .. أخشى (وصمتت قليلا تبلع ريقها) أو أشعر.. أنهم قد لا يعرفونني"

أشفق قلبه عليها لكنه قال بتروي " لكنك بالتأكيد اختلفت عن بانة القديمة يا قلب أحمد "

Des. Maryam Tamim

حكت جبينها تتحرك في الغرفة بعصبية وهي تلتصق بالهاتف وكأنها تتشبث بأحمد نفسه وقالت" أجل لا أنكر ذلك (وصمتت قليلا ثم أضافت) لكن أمر الزواج أمر كبير "

رد بهدوء يواجهها " لكنه حدث يا بانة أنت متزوجة بالفعل .. شئت أم أبيت أنت زوجتي رسميا وفعليا .. لم تعودي بانة القديمة .. أصبحت بانة جديدة وسيفخرون بك .. كما أفخر أنا بك "

ردت باعتراض خجِل متخضب بالحمرة " رسميا ..نعم .. فعليا .. لا "

اطلق ضحكته التي تحطم أسوارها رغم كونها ضحكة مرهقة هذه المرة .. ثم وقف يسند يدا على خصره والأخرى على أذنه لينظر للسماء بيأس ويتمتم بتهكم مسموع " بانة الخازن .. متخصصة

Des. Maryam Tamim

في اختيار الأماكن الغير مناسبة في الأوقات الغير مناسبة لمناقشة موضوعات غاية في الاهمية "

أطرقت بخجل ولم تعقب على مزاحه فلم تكن في مزاج يسمح حتى بالمشاكسة .. فجاءها صوته يقول" وما هو الزواج يا بانة الخازن في رأيك ؟ .. علاقة الفراش هي ما تعني أنك تزوجتِ؟ .. اسمحي لي هذا ليس صحيحا .. أولا كل منا أفضى بسره للآخر .. كل منا استأمن الآخر على نفسه وحياته وعرضه .. انكشف حجابك أمامي يا بانة ورأيت منك ما لا يراه سوى الزوج .. شريك الحياة.. قبّلتِك .. تركت بصماتي على جسدك وتركتِ بصماتك الخجولة على جسدي ..وكان برضاك يا بنت الخازن .. ألا يحدث هذا بين الأزواج فقط ؟.. (وأضاف بحذر وهو متوجس أن تأتي النتيجة عكسية) أو مع الفتيات الرخيصات .. فكيف ترين نفسك ؟"

Des. Maryam Tamim



انعقد لسانها .. لم تفكر في الأمر بهذا الشكل .. وازدادت ضربات قلبه في توتر ينتظر رد الفعل .. مرتعب أن تتورم كرامتها كالعادة من كلمة (فتيات رخيصات) ويزداد الجرح تقرحا .. لكنه غامر وقرر أن يفتح الجرح المتقيح بشجاعة فقال موبخا بصوت عال أجفلها " لم أسمع الرد يا بانة"

همست بحياء " زوجتك "

ارتج قلبه من ذلك التصريح رغم بساطته وواقعيته.. لكنه تصريح أنعش قلبه المحتضر بقبلة حياة فقال بإصرار ضاغطا لتنظيف الجرح من تقيحاته " لم أسمع "

أجلت صوتها وقالت "زوجتك "

فأخفض صوته بتأثر وأكمل مهمته للتطهير هذه المرة لمنع انتقال العدوى إليه من جديد فقال " زوجة من يا بانة الخازن .. أريد أن أسمعها كاملة"

Des. Maryam Tamim

تمتمت بارتجاف " زوجة أحمد سماحة "

زفر نفسا متوجعا من صدره وقال بهمس حار لفحها عبر الهاتف " وقلب أحمد سماحة أيضا (ثم تغيرت لهجته فجأة بطريقة أجفلتها) اغلقي يا بانة .. أسمع صوت سيد يصيح.. سأحادثك فيما بعد "

***

قبل قليل في غرفة سيد بالمستشفى :

قال وائل بانفعال " قلت لك .. قلت لك الفتاة معجبة بك"

رد سيد بوهن وهو ينهت بعد أن نزع قناع الاكسجين الذي اضطروا لوضعه له مجددا بعد أن تعرض لاشتباه في ذبحة صدرية منذ قليل "

Des. Maryam Tamim

الأمر أقوى من مجرد إعجاب يا وائل .. ما سمعته في اعترافها كان مؤلما موجعا .. كيف لي أن أحرق قلبها الصغير بغبائي دون أن أشعر ... كيف فعلت ذلك لا أصدق .. !!"

نظر وائل باتجاه باب الغرفة بحركة عفوية وكأنه يتأكد أن الباب مغلق وبسمة ليست موجودة ثم قال " ماذا حدث بالضبط منذ سبع سنوات؟"
رد سيد بضعف شديد " الأمر كما قلته لك على لسانها .. كانت في الثالثة عشر وحين كتبت لي على تلك اللوحة اعتبرت الموضوع مراهقة .. وللحظة راق لي لا أنكر .. برغم أني وقتها لم أكن أشعر نحوها بشيء مربك كما حدث فيما بعد .. فنهرت نفسي بسبب شعوري هذا ..وكنت حازما معها وبختها .. أما اختفائي بعدها لثلاثة أيام كان صدفة بحتة لا أذكر ماذا حدث .. ربما مشكلة مع خليل لا أذكر ..وحين عدت أردت أن أغلق عليها فرصة

Des. Maryam Tamim

التخيلات فهددتها بالخصام في حالة ما كررتها (وخرج صوته مرتعشاً بتأثر) لم أكن أعرف أن مجرد خصامي لها كان مهما لهذا الحد .. تخيلت الأمر مراهقة أقسم بالله .. مراهقة وانتهت ..وبعدها نسيت الأمر تماما خاصة حين لم تذكره هي مرة أخرى نسيته .. لم اكن أعرف أنها تجيد التمثيل.. (أغمض عيناه يقاوم صدى صوتها المصاحب لطنين أذنه وقال بصوت معذب) وشعوري المربك نحوها بدأ بعدها بعامين أو ثلاث ..لم أكن أعلم أن صغيرتي تعاني .. أنها تتألم .. تتألم بسببي وأنا غبي غبي غبي"

بدأت أنفاسه تتسارع فوضع وائل قناع الاكسجين على أنفه وفمه وهو يقول " اهدأ وتنفس لا نريد مضاعفات .. لولا ستر الله لا أعرف أين كنت ستكون الآن"

أبعد سيد القناع وقال بتشنج " لماذا اسعفتني ؟ .. لماذا ؟! .. كنت أريد أن أموت.. ما السبب الذي

Des. Maryam Tamim

سأعيش من أجله الآن .. بعدما أحرقت قلب صغيرتي بكل غباء قديما .. والآن أفعلها مجددا"

رد وائل بغيظ" لهذا أريدك أن تعيد النظر في موضوع بسمة (وأخفض صوته) لابد أن تنفصل عنها يا سيد الأمر لم يعد قلبك وحده بل هناك قلب آخر متعلق بك ..ما تفعله من أجل صغيرتك هو أن تنفصل عن بسمة وتتزوج من آية "

حرك سيد رأسه (بلا) متكررة بعصبية وكأنه يقاوم نفسه التي تهوى الفكرة " ياريت .. ياريت ..لكني لن أستطيع .. يكفيني ظلما لبسمة .. ليس ذنبها .. ليس ذنبها"
وقف وائل متخصرا أمامه وقال بإنهاك " إذن ماذا ستفعل مع آية؟! .. هل ستترك قلبها يحترق ؟"
أشاح بوجهه بعيدا يقاوم دموعا تحرق عيناه ورد بلهجة معذبة "لا يجب أن تعرف آية أي شيء عن

Des. Maryam Tamim

مشاعري .. عليها أن تنساني .. تتخطاني .. تدوس بقدمها على حبيب غبي مثلي أراد يكف عن الجميع شر مشاعره فأحرق قلبه وقلب حبيبته .. (وصمت قليلا متسع العينين يحدق في اللا شيء وتمتم بهمس) يا الله ! .. آية تحبني !!.. آية تراني كما أراها !.. تشعر بي كما أشعر بها .. (انهمرت دموع صامتة من زاوية عينيه وقال لوائل).. ما ذنبها أن تحب شخص تعس الحظ مثلي ..أنا تعس الحظ .. أنا ملعون وتعس الحظ يا وائل.. عليها أن تبتعد عني فأنا أصيب الجميع .. بالتعاسة"

رد وائل باستهجان وقد آلمه قلبه فهو يعلم جيدا أي عذاب يشعر به صاحبه " بل أنت مجنون .. الآن أنتما اثنان على واحد .. اخبر زوجتك بالموضوع ربما انسحبت من نفسها"
ردد سيد بإصرار "لا لن أستطيع أن أعرضها لمزيد من الإهانة .. يكفي الذنب الذي أحمله تجاهها ..

Des. Maryam Tamim

يكفي كسرة نفسها .. أنا ظلمتها بغبائي .. ظلمت الجميع بغبائي" ..

رد وائل بانفعال "وبرغم هذا تتصرف بغباء مجددا .. تتصرف بغباء .. للمرة الثانية تأخذ قرارات عاطفية .. وهذا ليس حلا أبدا"
صرخ سيد بصوت لا يتناسب مع حالته " الحل أن تتركوني أموت .. أموت (وانتزع الخرطوم الرفيع المثبت في ذراعه بعنف ومال بجزعه نحو طرف السرير في حالة تشنج) أتركوني أرتاح .. أتركوني جميعا .. أتركوني"

هرع إليه وائل في رعب وضرب الجرس ليحضر الطبيب وقد بدأ سيد يمسك بصدره بينما دخل أحمد بجزع يجري نحوه ويمسك به مع وائل حتى لا يقع من على السرير وسيد مازال يهذي " أتركوني .. أتركوني" ..

Des. Maryam Tamim

فقال أحمد بعصبية وهو يحيط بجسد صاحبه يثبته " هناك أمرا تخفوه عني يا وائل "
رد وائل وهو يتجه ناحية الباب في توتر " لماذا لم يحضر الطبيب"
قبل أن يتم جملته كان الطيب يدخل الغرفة بسرعة وخلفه الممرضات وبسمة ورحمة

***

قالت آية باكية على الهاتف :

"لم يهتم يا كريستين .. لم يهتم بما قلته .. لم يرسل لي حتى رسالة .. أو يحدثني على الهاتف .. لم يقل أي شيء .. كيف يكون بهذه القسوة "

Des. Maryam Tamim

ردت كريستين بعقلانية " الموقف صعب يا آية .. ماذا تنتظرين منه؟! .. إنه متزوج .. أن يهرع إليك يأخذك بين ذراعيه .. بالتأكيد محرج "

قالت وهي تمسح دموعها " أنا لم أطلب سوى أن يشعرني أني كنت مهمة عنده في يوم من الأيام .. لم أطمع في أكثر من مواساة علها تطيب جرحي.

ردت كريستين " بالتأكيد يجد الموقف معقدا .. وربما لا يعلم كيف سيتعامل مع اعترافك هذا .. ماذا تنتظرين منه بالضبط يا آية .. إلا إذا كانت تعجبك فكرة أن تكوني زوجة ثانية !!"

ضحكت آية من بين دموعها بسخرية مُرة " أنا لم أطلب زواجا .. تخليت هذا الشرف منذ مدة للسنيورة .. حبيبته الجميلة .. لعله يسعد.. أنا

Des. Maryam Tamim



أردت بعض الاهتمام.. التعاطف .. كرامة للحظات جمعتنا في الماضي .. لا أصدق حتى الآن أنها لم تعني له شيئا ..و لا أطمع في أن تعني له كما تعني لي .. أنا أطمع في بعض الشعور بالتقدير الإنساني لأخرج من احساس القطة الضالة التي بت أشعر به .. "

سألتها كريسين متعاطفة " وبعدها يا آية ماذا ستفعلين؟ "

ردت بانهزام ليس من شيمها " بعدها لا شيء .. فلا أشعر أنه بعده شيء يستحق .. سأحاول أن أتلمس طريقي وحدي .. بدونه .. سأطلب حق اللجوء السياسي لبلد آخر .. وسأعيش بلا روح .. غريبة .. لاجئة بعد أن فقدته .. فقدت وطني فيه "

قالت كريستين بلوعة " يا فتاة عباراتك تقتلني إرحميني "



ضحكت آية بسخرية فسألتها كريسين " علام تضحكين ؟!!"

ردت بابتسامة مرة " تذكرت أني سخرت يوما من لاجئة حقيقية .. فيبدو أني أنال العقاب الآن "

قبل أن ترد عليها كريستين سمعت طرقا على باب غرفتها ثم أطلت بانة برأسها فقالت آية تنهي المكالمة " إذهبي الآن يا كريستين إنها تأتي على السيرة .. سلام"

أنهت المكالمة ووقفت متكتفة وقالت ساخرة " يا روائح الدولة العربية الشقيقة التي هبت على غرفتي في هذه الساعة من النهار ! "

لاحظت بانة وجهها وعينيها المنتفختين من أثر البكاء .. وشعرت بالقلق أكثر فهذا هو اليوم الثالث

Des. Maryam Tamim

الذي تنزوي فيه في غرفتها مدعية معاناتها من ضغط منخفض وقد حسب الجميع أنها مازالت معتكفة في غرفتها تنجز التصاميم التي تعمل بها مع أحمد .. لكن حدسها كان صحيحا إن هذه المجنونة تخبئ أمرا .

قالت بانة ببرود تستمتع باستفزازها كما كانت تتلذذ بذلك مع أحمد يوما ما " لا شيء أشعر بالملل بعد ذهاب أروى .."

هزت آية قدمها في عصبية وقالت " وأين زوجك؟.. إنه يهمل في تعذيبي منذ فرح أروى "

همت بأن تخبرها بموضوع سيد لكنها تراجعت بعد أن تذكرت تحذير أحمد فقالت وهي تعبث في لوحاتها المنتشرة بفوضوية في الغرفة وكثير من الأقلام "أحمد مشغول بعمل طارئ (وأكملت ببؤس) ولم أره منذ ثلاثة أيام ..وأرسل له ملابس

Des. Maryam Tamim

نظيفة كل يوم مع عامل بالورشة ويرفض بكل صلف أن أوصلها له "

قالت آية ساخرة " مشغول لهذه الدرجة !!.. عذبتِ الرجل فهرب منك .. اعترفي "

قالت بانة بتوجع " بالله عليك يكفيني وجعا أكاد أتمزق من الأم "

شعرت آية ببعض الشفقة فسألتها ببرود مصطنع " ماذا بك ؟؟ "

ردت بمكر " إن أخبرتك ماذا بي ستخبريني ماذا بك ؟؟ "

صمتت آية قليلا ثم رفعت حاجبا وردت " سأفكر"

ردت بانة ببرود مضاد وهي ترفع كتفاها " إذن حين تفكرين أخبريني " وغمزت بعينها .

Des. Maryam Tamim

ضيقت آية عينيها بغيظ فاستدركت بانة تقول ببعض الحماس" أريد أن تعلميني كيف أكتب الخطوط العربية .. أحمد وعدني أنه سيعلمني لكني أريد أن أفاجئه .. "

مطت آية شفتيها .. وقد أعجبها فكرة أن تكون ذات خبرة وتنقلها لأحد .. فقالت ببرود " وماذا سأحصل في المقابل "

ردت بانة بحماس "ماذا تريدين ؟"

ردت آية بهدوء " أريد المنامة الساتان الصفراء ذات الكتف الواحد"

جحظت عينا بانة وسألتها باندهاش " أين رأيتيها؟ .. أنا لم ألبسها أبدا .. وحتى لو لبستها بالتأكيد لن يكون أمامك "

جلست آية على مكتبها الصغير في ركن الغرفة ووضعت ساقا فوق الأخرى بما لا يتناسب أبدا مع

Des. Maryam Tamim

حالة الضعف التي تشعر بها من الداخل وردت " رأيتك وأنت تعرضينها على أروى هي وبعض الملابس الأخرى من دولابك "

رددت بانة باندهاش " لا أعرف حقا ما المبهر في تلك المنامات التي اختارتها الخالة سوسو .. (ثم استدركت) أقصد أني أراها بالتأكيد جميلة ورقيقة لكنها تلقى إعجابا كبيرا من كل من يراها "

وتذكرت أحمد وتعليقاته المعذبة عليها .

تمتمت آية بامتعاض " غريبة !.. أنتِ لا تقدرين أي كنز ثمين تملكين "

اخترقت الجملة قلب بانة فزفرت وقالت متجاهلة وقع الجملة عليها " أنا موافقة متى سنبدأ؟"

***

Des. Maryam Tamim

أحيانا يغلبك الحماس لدرجة أنك تنسى أنك على أرض الواقع.. وأن لحظة السعادة الكاملة قد لا تمر من أمامك كثيرا .. وإن مرت يوما قد لا تتكرر كثيرا .. وقد لا تأتيك تلك اللحظة أبدا .. لذا عليك بترويض نفسك بنضج على تقبل اللحظات المنقوصة بامتنان وتقدير والتغافل عمدا عما يعيبها .. وإلا لأصابك الإحباط في مقتل ..

تطلعت أروى لعمرو مشفقة وتأملت وجهه الخشبي الجامد منذ أن ركبا الطائرة عائدين للوطن بعد ثلاثة أيام فقط من الوصول !.. في رحلة عودة تستغرق وقتا طويلا .. دون حتى أن ينفذا ربع البرنامج السياحي الذي كان معدا لهما..

مسدت على ذراعه بدلال فربت على يديها دون أن ينظر نحوها يتمتم بورد التسبيح والأدعية قبل

Des. Maryam Tamim

إقلاع الطائرة .. فأحاطت بذراعه تحضنها ودفنت وجهها فيه تتذكر ما حدث صباح اليوم .

قبل ساعات :

دفن عمرو وجهه في شعرها وهو مخيم فوقها يهمس ببقايا جمر مازال مشتعلا في نهاية رحلة يبدآها كل مرة ليطفئا الجمر المشتعل في القلوب.. لكنه يظل مستعرا .. قد يهدأ قليلا لكنه لا ينطفئ أبدا .

همس عمرو يمس أذنها بشفتيه " يا أروى !.. يا أروى !"

همست وهي تحيط ذراعيها حول جذعه العاري بقوة وكأنها لم تشبع من قربه بعد " أحب حين تهمس باسمي في لحظاتنا الخاصة "

Des. Maryam Tamim

رد بهمس " أشعر أني أريد أن أقول كلاما كثيرا.. كثيرا جدا .. وأجدني غير قادر على التعبير كالعادة .. فما بالك وأنا معك أشعر بما أشعر .. وأرى ما أرى فتزداد عقدة لساني .. لكني أجد أن نطقي لأسمك وحده يعني الكثير مما أريد أن أقوله ومكتوما في صدري لا يجد الكلمات المناسبة "

شعر بها ترتجف من البكاء في صمت فانزاح عنها ينظر لوجهها قائلا بخفوت وهو يمسح دموعها الحارة بإبهامه " لمَ البكاء مجددا يا أروتي"

ردت تقاوم موجه أخرى من البكاء " أحيانا لا أصدق أنك بالفعل معي .. بجانبي .. في حضني "

تأملها لثوان ثم همس في إذنها برد وقح ليبدد شبح الكآبة .. فضربته على ذراعه وانفجرا معا ضاحكين..

Des. Maryam Tamim

قالت تمسح دموعها بعد أن تركها ليرتدي ملابسه " أنا أتحدث برومانسية وأنت ترد هذا ال رد ثم تحمر أذناك !!"

استدار إليها قائلا " كل منا يتحدث عن مشاعره أروى هانم (ثم سألها باهتمام) ماهي زيارات اليوم ؟"

ردت أروى كمرشدة سياحية وهي تعتدل بصعوبة وتثبت غطاء السرير حولها " حسنا يا زوجي العزيز.. انتهينا أمس من زيارة مدينة سيئول زرنا برج إن سئيول .. وزرنا منتزه سيئول الكبير .. وقصر جيونج بوك ..وقصر تشانغدوك .. والمتحف الحربي الكوري .. واليوم سنذهب لمدينة بوسان وسنختم زيارتنا لجزيرة جيجو .. كانت أمنيتي أن أراها يا عمرو شكرا لك "

Des. Maryam Tamim

تملكه ذلك الفخر الذكوري الذي بات مصاحبا له منذ أن دخلت أروى حياته .. كل نظرة .. كل همسة منها تشعره بأنه الرجل الأكثر حظا في هذا العالم ..وكل نظرة سعادة يلمحها في عينيها تملأه فخرا وانتشاء ..

وكيف لا يشعر بذلك وامرأته هي أميرة البنات ! .

أضافت أروى " لي أمنية أخرى يا عمرو .. أريد أن أشتري لاقطة الأحلام "

قال باندهاش " نعم .. تشتري ماذا !"

ردت بثقة " لاقطة الأحلام يا عمرو إنها .."

قاطعها " أعلم ماهي لست جاهلا .. أليست تلك الدائرة التي بداخلها خيوطا كخيوط العنكبوت ومعلقا بها خرز وريش .. الخاصة بالهنود الحمر!!"

Des. Maryam Tamim

أومأت برأسها .. فلاح الخطر على وجهه وهتف باستنكار "هل تؤمنين بتمائم الحظ يا أروى !!"

اسرعت بالقول وهي تحكم الملاءة حولها " قبل أن تسترسل في أفكارك أسمعني يا شيخ عمرو .. أنا بالطبع لا أؤمن بالتمائم وأدرك جيدا أن كل شيء بيد الله وحده لا شريك له .. أنا فقط رأيتها في أكثر من دراما كورية ومرتبطة في ذهني بتلك الاحداث .. وأريدها لمنظرها ومعناها الجميل لكني لا أؤمن إطلاقا بأي قدرات خاصة لها .. ستكون فقط كتحقيق لأمنية وكذكرى لهذه الرحلة الاستثنائية "

تطلع إليها يقلب الأمر في عقله فرمشت بعينيها عدة مرات تستعطفه كشخصية في فيلم كرتوني .. ثم ضمت قبضتيها إلى جانبي عينيها وكأنها تبكي

Des. Maryam Tamim

بمسكنة .. فلانت تعابير وجهه .. وأشاح به وقد أفلتت ضحكة لم يستطع التحكم فيها ..

رفعت أروى ذراعيها النحيلين تصرخ بانتصار ليستدير وقد أفلتت الملاءة .. فلملمتها بسرعة وهي ترى اشتعال عيناه مجددا وهو يقترب منها في صمت .. فانكمشت تقول بسرعة " عمرو .. سيفوتنا برنامج اليوم "

قبل أن يرد جاءت رسالة واتساب على هاتفه .. وبمجرد أن طالعها .. تغير كل شيء فجأة.. فقد أرسل إليه خاله يخبره أن والدته مريضة .. فاتصل عمرو بالوطن يطمئن على والدته التي أصرت على أنها ترى كوابيسا باستمرار بشأنه ولم تعد قادرة على النوم .. ولم ينفع معها ما أخبرها به بأن الأمر كله لله ..

بعدها تملكته الحيرة ما بين عقله وقلبه وأضطر لأن يتصل بطبيبها يسأل عن حالتها بالضبط والذي

Des. Maryam Tamim

أخبره أنها لم تتوقف عن البكاء منذ أن سافر وأنه أضطر لصرف بعض المهدئات لها ..

فأشفق قلبه عليها وقرر العودة وقطع الرحلة وهو يكرر اعتذارات شديدة متكررة لأروى .. أخجلتها ..

مما جعلها تبلع إحباطها وتخفيه في جوفها وتستعمل الوجه الذي تجيده (كل شيء على ما يرام) .. وقضيا النهار كله في تغيير مواعيد تذاكر السفر وإلغاء البرامج السياحية وضب الحقائب ..

شعرت به متحرجا أمامها .. محبطا أكثر منها.. رغم أنها لاحظت أنه لم يكن مستمتعا كثيرا بالمكان .. هي تستهويها الأمور الرومانسية كارتداء (الهانبوك) الزي التقليدي الكوري.. والتقاط الصور به .. وزيارة المعالم الشهيرة التي صورت فيها أشهر الدرامات التي شاهدتها .. وهو كان ينظر للمعالم

Des. Maryam Tamim

التاريخية من وجهة نظر علمية تاريخية ويناقش المرشد السياحي في تاريـخ المكان وخلافه..

همست باسمه بدلال وهي تدير وجهه الخشبي نحوها في مقعد الطائرة فرد معترضا " أروى نحن أمام الناس ! "

ردت بدلال هامس " أنت لم تنظر في وجهي منذ الصباح "

أطرق بنظراته أرضا وتمتم " أعلم أني صدمتك .. وكنت أتمنى أن أعيش معك حلمك لآخر لحظة وأنا أسعد بسعادتك .. لكني أؤمن أنه لن يبارك الله لي وأنا أترك أمي تتعاطى المهدئات حتى لو كنت مقتنعا تماما أنها مبالغة في مشاعرها لكنها أمي وعلي أن أتحملها ..(ولاح التأثر على صوته وأكمل هامسا) فسامحيني يا أروى ونبهيني إذا ما قصرت في حقها .. أنت لست مجرد زوجة أنت نصفي الضائع الذي

Des. Maryam Tamim

كنت أبحث عنه في متاهات لا تنتهي .. أنتِ أنا .. أراك في نفسي.. وأراني فيك "

قبّلت ذراعه بعشق وهمست " وأنا أحبك بجنون يا عمرو القاضي "

أحمرت أذناه بل أحمر وجهه كله وقد نفخت في الجمر فتأجج ليقول بحزم هامس " أروى توقفي "

ردت بتسلي وقد اكتشفت أن لديها أسلحة أنثوية تستطيع التأثير بها على مزاجه " أنت من عليه أن يتوقف يا عمرو هذا ظلم والله .. كيف تزداد وسامة مع الوقت لا أفهم !! .. الناس بدأوا ينتقدوننا سويا.. من هذه الفتاة القبيحة مع ذلك الشاب الوسيم! "

Des. Maryam Tamim

تحكم في ضحكة محرجة وأشهر قبضته في وجهها يهدد " أخرسي يا أروى ولا تنفخي في الجمر (ثم أضاف بلهجة ذات مغزى) تفلحين في الكلام والتحريض فقط .. لكن عند المواجهة تنكمشين كفأر مرتعب "

تخضب وجهها بحمرة الخجل وأخذت ترسمه بعينيها فقال بخشونة " قلنا انظري أمامك وفي بيتنا سنتحدث باستفاضة عن وسامتي التي تزعجك ! "

اشتعلت الحرارة في كل ذراتها فاعتدلت واسترخت على الكرسي لتخرج هاتفها وتسمع إحدى القصائد المغناة التي تعشقها .. فوضعت طرف سماعة الهاتف السلكية في أذنها ووضعت الأخرى في أذنه وقد عاد للشرود فانتبه عمرو لتقول له " هذه

Des. Maryam Tamim

القصيدة تمثلك أنت عندي .. طوال الوقت
أسمعها وكأني أهمس بها لك "

انتابه الفضول وارخى رأسه على ظهر المقعد يطالع وجهها يستمع للموسيقى .. وبمجرد أن بدأ الغناء شبك أصابعه في أصابعها وقبّل يدها بعشق وقد انتابته حالة (عقدة اللسان) التي تتملكه كلما تلقى منها اغداقا في المنح .

عيناك ليالٍ صيفية ..
وروئ وقصائد وردية
ورسائل حبٍ هاربة ..
من كتب الشوق المنسية .

من أنت ؟ ..

[2748]



زرعت بنقر خطاك الدرب ورودا جورية

من أنت ؟..

كالضوء مررت .. كخفق العطر

كهزج أغان شعبية .

ومضيت شراعا يحملني ..

كقصيدة شمس بحرية .

لوعود راحت ترسمها أحلام فتاة شرقية

من أنت ؟

وسحر في عينيك يزف العمر لي أغنية

لكأنك من قمر تأتي ..

من نجمة صبح وردية .

من أرض فيها شمس الحب ..

[2749]



تعانق وجه الحرية .

وأنا في العمر مسافرة ..

ومعي عيناك وأغنية .

***

دخل وائل إلى بيته فاستقبله التوأمتان ميري وأنجيل في لهفة كل منهما تحيط بجزعه .. فقبل رأسيهما وتمتم في إرهاق " أتركا بابا يستريح لم ينم منذ ثلاثة أيام ".

تحركت الفتاتان بعيدا بينما أغلقت ماجدة حاسوبها المحمول وخلعت نظارة القراءة وهمت بسؤاله إذا ما يرغب في الطعام لكنه بادرها بالقول بقلة صبر " مريم .. جهزي لي ملابس نظيفة أريد أن أستحم وأنام .. أنا متعب جدا "

وكأن دلوا من الماء المثلج قد ألقى فوق رأسها ..

Des. Maryam Tamim

فوقفت ماجدة متسمرة بينما تحرك هو نحو الغرفة ثم استدار يقول بعصبية " ألم تسمعيني يا مريم !"

تطلعت الفتاتان لبعضهما وهمت أنجيل بالتدخل فحدجتها أمها بنظرة محذرة .. ثم بلعت غصة مسننة في حلقها وردت " حالا .."

وقف وائل تحت الماء يتمتم بغيظ وقلبه موجوع " ذلك الغبي .. يتمسك بالشهامة في زمن لا يقدرها .. يحرق قلب الصغيرة لينقذ إنسانة لا تحبه .. لو كانت تحبه لفضلت الابتعاد حتى يسعد .. حبها له حب منفعة .. "

لف المنشفة حول خصره وخرج والماء تتساقط من شعره الأشقر .. فتطلعت إليه ماجدة مبهوتة

Des. Maryam Tamim

أن تراه عاريا .. لقد فقد وزنا لكن الطبيب طمأنها أن الفحوصات تشير لنتائج جيدة بالنسبة لحالته فبعد استئصال الورم وجلسات الكيماوي .. يبدي جسده رد فعل جيد في الاستجابة مما طمأنها ذلك كثيرا وأسعدها .

تحركت بسرعة تغادر الغرفة في خجل حين أنزل المنشفة وألقاها بعيدا في عصبية وبدا في ارتداء ملابسه .. صاح بصوت مخنوق " إلى أين أنت ذاهبة يا مريم !.. "

تسمرت واستدارت تنظر حولها لا تعلم ماذا تفعل هل يقصدها ؟.

نظر إليها يقول بضيق " لمَ أنت متسمرة هكذا ؟.. يكفيني ما يفعله أصدقائي الأغبياء "

نزف جرح قلبها لكنها ردت تطاوعه مشفقة من حالته" هل تريد أن أحضر لك الطعام "

Des. Maryam Tamim

رد وهو يستلقي على السرير يرتدي بنطالا بيتيا وعاري الجذع " لا أريد الطعام أريد أن أنام "

قالت بسرعة " حسنا سأتركك لتنام "

وهمت بالتحرك فقال يستوقفها " إلى أين تظنين أنك ذاهبة وتتركيني (وربت على السرير بجانبه) لمَ تقفين هكذا مريومة ! "

اقشعر جسدها ولم تدري ماذا تفعل .. فتقدمت نحوه بارتجاف .. تطالع جسده العاري في حرمان مُر ..ثم نزلت على ركبتيها بجوار السرير.. وتمنت لو ..

لو تتاح لها الفرصة لتمر بأصابعها في شُقرة شعره ..

تكلم وهو يحدق في السقف " لا أعرف لمَ الامور معقدة بهذا الشكل يا مريم ؟ .. لا أحب التعقيد .. أحب من أحبهم سعداء (مد يده وسحب كفها دون أن ينظر إليها وشبك أصابعها في أصابعه فشعرت

Des. Maryam Tamim

بالكهرباء تسري في جسدها وأكمل) سيد يرتكب غلطة عمره .. الغبي سيموت .. لم يجرب .. لم يجرب "

في خلال ثوان كان قد استسلم للنوم بينما ماجدة تغرق في دموع صامتة تنظر لأصابعه المشبكة في أصابعها ..

مالت قليلا وطبعت قبلة محرومة متأنية على ذراعه .. ثم تحركت بتلكؤ تغطيه وتخرج من الغرفة لا تجرؤ على الطمع بأكثر من ذلك منه .

استقبلها الفتاتان فبادرت ميري تسأل بتوجس " لمَ يناديك أبي باسم مريم ؟ولمَ تبكين؟ "

مسحت ماجدة دموعها تقول مراوغة " أبكي لأني ممتنة لله بعد أن طمأنني الطبيب منذ أيام أن جسمه يستجيب للعلاج "

Des. Maryam Tamim

هتفت أنجيل تصفق بسعادة " أبي لن يموت أليس كذلك يا أمي ؟"

ردت ماجدة وقد تدفقت الدموع مجددا وكانت تظنها قد نضبت " إن شاء الله حبيبتي سيظل في حياتنا بعمر طويل "

ألحت ميري في السؤال بإصرار " لمَ يناديك باسم مريم ؟"

لم تدري ماجدة بماذا ترد فقالت مراوغة " كان هذا اسما لي وأنا صغيرة .. كانت جدتي تصر على أن تناديني بهذا الاسم فانقسم الناس جزء يناديني بماجدة والآخر يناديني بمريم ... لقد تذكر شيئا قديما .. (وتصنعت المرح وهي تتركهم نحو ذلك الركن المفضل لها في المطبخ) هيا دعوني أنا لدي ما يشغلني "

عادت تجلس أمام حاسوبها المحمول تكتب كعادتها بينما مطت ميري شفتيها بعدم راحة

Des. Maryam Tamim

وتوجهت إلى غرفتها تمارس بعض تدريبات التايكوندو .. بينما أعادت أنجيل تشغيل الأغاني على هاتفها ووقفت ترقص في وصلة رقص تعبيري في صالة البيت بعد أن قالت لأمها " شغلت الأغنية التي تحبينها يا أمي " فاخترقت الأغنية قلب ماجدة كالسكين :

How do I get through one night without you
If I had to live without you
What kind a life would that be
Oh I need you in my arms, need you to hold
You are my world, my heart, my soul
If you ever leave
Baby you would take away
Everything good in my life
And tell me now

[2756]



How do I live without you?
I want to know
How do I breathe without you?
If you ever go

***

اخترق أحمد صالة المطار مسرعا نحوها فاستقبلته على كرسيها بذراعين طفوليين مرفوعين .. ليتبادلا أحضان صامتة لم تعجب عمرو .. الذي وقف يقبض على الظهر المعدني لكرسيها بغيظ وهو يسمعها تتمتم " يا حبيبي اشتقت لك "

تدخل عمرو يقول بامتعاض " أنا لا أهضم تلك العلاقة بينكما ولا أفهمها .. ولم يكن لي أختا لأفهم هذا الشعور فأرجو أن تراعيا ذلك أمامي "

استقام أحمد يتفحصه من رأسه إلى أخمص قدميه ثم اقترب منه يسوي له ملابسه ويمسد عليها وقال مازحا بلهجة حاقدة " أرى أنك سعيدا.. منتشيا .. مملوءا بالثقة ..مفرود العضلات .. ولا أعرف لمَ؟ "

تحكم عمرو في ضحكة ملحة وردد " قل أعوذ برب الفلق .. من شر ما خلق .. هيا لأننا سنسقط من التعب .. واريد أن أطمئن على والدتي "

بعد ساعة كانت أروى في شقتها الجديدة وإلهام في استقبالها رغم أن الوقت قد تجاوز الواحدة صباحاً وقد حاولت إخفاء غيظها من عفاف حتى لا يحزن عمرو لكنها كانت تحسبن عليها في سرها وهي تتمتم " لولا أني لا أريد النكد لابنتي لسمعتي مني ما في الخمر يا عفاف يا بنت حمدية .. ولن أقول سوى حسبي الله ونعم الوكيل " ..

Des. Maryam Tamim

أما عمرو فتركهم بمجرد وصوله ليصعد إلى والدته..
بينما أخذت إلهام تحضر المائدة قبل أن تغادر ..
فسأل أحمد أروى ولم يغفل عن السعادة التي تشع من عينيها مما أراح قلبه وأزاح عن كاهله هما ثقيلا خاصة بعد أن وجدها غير متأثرة بما فعلته تلك المرأة المهووسة " كيف حالك يا عروس "

تخضبت بالحمرة وتمتمت" الحمد لله ..يا حبيب العروس "

تخصر أمامها يطالعها ثم قال " أرى أنك تستأنسين برفقة طائر أبا قردان "

اتسعت ابتسامة أروى ولم تجيب فقال بقرف " منتهى الوقاحة أقسم بالله ..ما يحدث منتهى الوقاحة .. هيا يا إلهام كفى تنسيقا لسفرة أبي قردان .. هذا لا يفهم في مثل هذه الأمور مفارش

Des. Maryam Tamim

وأطقم خزف وشموع .. إن آخر استيعابه أن يأكل الطعام في (طِشت) الغسيل .. "

احتضنتها إلهام وسألتها إن كانت تريد شيئا آخر أو تريد المساعد في تبديل ملابسها .. فتكلم أحمد ممتعضا " لا أفهم لمَ أنت فرحة بها يا أمي!! .. أتشجعينها على الوقاحة .. ومع من ؟ .. مع أعز أصدقائي هل رأيت رجلا متألما أكثر مني ؟؟ "

ضربت إلهام على صدره بحرج وهي تضحك وقالت " هيا أمامي وكفاك أنت وقاحة "

رد باستنكار " أنا الوقح !! .. أنا يا إلهام !! .. انظري للشموع التي تنتظره .. ولكميات الطعام التي لن يأكلها سوى ثور يتم تسمينه "

Des. Maryam Tamim

علت ضحكتها ودفعته بخشونة لخارج الشقة ثم قالت لأروى وهي تغلق الباب " لا تجعلي هذه المرأة تحرق دمك كلما كنت باردة كلما حرق ذلك دمها"

فتمتمت أروى عمت مساء وارسلت لها قبلة في الهواء قبل أن تغلق إلهام الباب .

***

دخل شقته بإنهاك وقد تجاوزت الساعة الثانية بعد منتصف الليل .. لا يريد إلا حماما ساخنا وسرير يفرد عليه عضلاته المتقلصة من النوم على الكرسي في المستشفى لثلاث ليال ..فهذه أول ليلة سيبيت فيها سيد بمفرده بعد أن أصر على صرف الجميع حتى زوجته .

لكن أهم ما يحتاجه أن يستنشق رائحتها فيملأ بعطرها رئتيه ..

Des. Maryam Tamim

لقد تعمد أن يأتي متأخرا جدا حتى لا تكون في استقباله ..

وتعمد أن يخبرها على الهاتف أنه سيذهب لإحضار عمرو وأروى من المطار حتى تنام ولا تنتظره ..

لقد تعمد ألا يراها ..

لأنه يشتاق ليها ..

يشتاق إليها إلى حد الجنون ..

إلى حد الرغبة في ضرب كل وعوده لها بعرض الحائط واستنفار كل جيوشه والارتواء منها حتى الثمالة .

لكنه يصبّر نفسه بأمل ضعيف .. ربما قريب .. وربما زائف .

تحرك يلملم عطرها من المكان .. وذكر نفسه بأن عليه أن يبيت في حضن لوحته التي تذكره بمأساة أول ليلة حتى يردع ذلك الانفلات الذي يشعر به .

Des. Maryam Tamim

مر من أمام غرفتها وتقبض بقوة وهو يلصق جبينه ببابها لا يعلم إن كان عليه أن يرتاح لأنها نامت قبل أن يأتي أم يحزن .

ثم أجبر نفسه على الحركة متسائلا هل عليه المبيت في شقة العائلة اليوم من مبدأ السلامة ؟

في ظلام غرفتها إلا من ضوء جانبي خافت كانت تجلس على السرير بتوتر .. قلبها يقفز في صدرها كالكرة المطاط تحاول الاستعانة بتمارين التنفس للتغلب على توترها .

لقد اتخذت قرارها ..

تشجعت واتخذت قرارها ..

تقنية (استحضار ابن سماحة) دوما ترجح الكفة لصالحه لهذا اتخذت قرارها .

Des. Maryam Tamim

وشجعت نفسها .. أبعد كل ما مرت من صعاب بكل شجاعة ورباطة جأش ستجبُن من أمر كهذا .. تفعله كل إناث العالم؟ !..

نظرت لقميص النوم (المبتذل جدا) في نظرها والتي اختارته من مجموعة ملابس الخالة سوسو لها وشعرت بعدم الراحة ..

خطواته اقتربت عند بابها وتوقفت قليلا فوقفت هي ترتجف وتحبس أنفاسها .. وحين ابتعدت الخطوات وسمعته يدخل للحمام روضت نفسها من جديد ..

"حسنا يا بانة .. ما مشكلتك ؟.. مشكلتك هذا القميص السخيف .. وهذا الأمر الصعب الذي أنت مقدمة عليه .. وشوقك الكبير لهذا الرجل الموجود خارج هذا الباب .

Des. Maryam Tamim

إذن دعينا نخفف عنك هذا الضغط ونمحو البند رقم واحد ونتصرف بعملية .. أما البند رقم اثنان وثلاثة فمرتبطان ببعضهما" هكذا حدثت نفسها تشجعها ..واتجهت نحو الدولاب وقررت تغيير قميص النوم .

بعد قليل خرج أحمد من غرفته يرفع الهاتف على أذنه .. يرتدي بنطالا بيتيا مريحا وبلوزة قطنية .. حافي القدمين تفوح منه رائحة الصابون الذي يفضله ويقول بإرهاق" لم نريد أن نقلقك يا عمرو لهذا فضلنا أنا ووائل عدم إخبارك ولا أحد يعرف بالأمر سوانا .. هو بخير لا تقلق ... يحاولون تثبيت مستوى الضغط لهذا يحتجزونه حتى يتأكدون من ذلك ... لا أعلم صدقا يا عمرو ماذا حدث ليرتفع ضغطه بهذا الشكل القاتل ...وهو لا يريد أن يفصح ... ألم يخبرك وائل بالسبب أشعر أنه يعرف ..

Des. Maryam Tamim

عموما أنا أشك في أمر ما لكني لست متأكدا حتى الآن ".

رفع نظره يحدق في باب غرفتها قبل أن تخرج بثوان وقد استشعر اقتراب رائحة الصابون التي يعشقها .. وبمجرد أن خرجت إليه ابتسم في سعادة وقبّل بعينيه كل ذرة فيها من رأسها حتى أخمص قدميها يتأملها بمنامة من الساتان باللون البرونزي مكونة من بنطال يغطي الركبة بقليل وكيمونو قصير على ما يبدو يخبئ تحته بلوزة قصيرة بحمالات رفيعة كما خمن .

شعرها ينساب كشلالات من العسل حول كتفيها وهي تقف عند باب غرفتها تفرك في يديها بارتباك رغم الابتسامة التي تلوح على وجهها .

Des. Maryam Tamim

قال أحمد بحزم ينهي المكالمة فجأة " علي أن أذهب الآن يا عمرو سنتكلم لاحقا "

وقبل أن يسمع الرد كان يغلق الهاتف ويتأملها من جديد .

قال بابتسامة مرهقة وقد انعش قلبه رؤيتها " اشتقت إليك يا بنت الخازن "

ابتسمت رغم ارتجافها لا تعلم كيف تخبره بقرارها وتمتمت " أنا أيضا يا ابن سماحة .. كدت أُجن .. وأنت لم تسمح لي بأن آتيك بالملابس لأراك "

قال بتوجع " حقا اشتقت لي يا بانة ؟!"

أومأت برأسها بنعم ..

Des. Maryam Tamim

فقال بمسكنة وهو غير قادر على المقاومة رغم يقينه أنه في حالة انفلات أعصاب" إذن هلا منحت ابن سماحة حضنا ؟"

ابتسمت في ارتباك ثم تقدمت نحوه ببطء .. ثم رفعت ذراعيها لتتعلق برقبته فأحكم ذراعيه حولها يعتصرها بقوة وهو يكتم تأوها أوجعها .. وخلال ثوان كان يحني جذعه قليلا يحكم ذراعيه حول خصرها ويرفعها لأعلى فتعلقت أكثر برقبته وهي تطلق صرخة متفاجئة دغدغت أعصابه ولا إراديا فعلت ما كان ينشده .. لفت ساقيها حول خصره .

دفن رأسه في حضنها يصدر تأوها عاليا كأنه يتوجع .. فأحكمت ذراعيها حول رأسه أكثر ..

بعد قليل رفع رأسه لينظر إليها وهي مشرفة عليه من عليّ وقد تدفقت شلالات العسل حول وجهها

Des. Maryam Tamim

ووجهه وكأنها تخبئهما معا .. فسألها بهمس " لمَ يدق قلبك بهذا العنف.. هل عدت تخافين مني ؟"

حركت رأسها بلا ثم قالت تخفي انفعالاتها وتعيد جانبي شعرها إلى خلف أذنها وكأنها تفتح الستار ليسلط الضوء على ملامحه التي تعشق تفاصيلها " يرقص من أجل ابن سماحة "

دفن رأسه فيها مجددا وتوجع من جديد .

تمتمت باعتراض "أحمد كفى وأنزلني .. ركبتك .. أنا ثقيلة "

رفع وجهه يتطلع إليها وقال مازحا يبدد توتره " ليس طوال الوقت فأحيانا تكونين خفيفة الظل وليس ثقيلة فاستمري في المحاولة ولا تيأسي "

Des. Maryam Tamim

ضحكت فأسعدت قلبه بضحكتها ثم قالت" أقصد الوزن .. ثقيلة الوزن يا كونت وليس ثقيلة الظل"

رد عليها " لا بأس برفع بعض الأثقال لتكوين بعض العضلات "

ضربته على ذراعه وقالت " أنزلني يا أحمد ركبتك المصابة "

تحرك خطوتين وأسندها على منضدة ركنية مرتفعة في الممر وقال" إياك أن تفكي ساقيك من حولي "

أحمرت أكثر وتأملته فسأل " بماذا تدللون أسم أحمد عندكم ؟"

حركت مقلتيها قليلا ثم قالت " أممم .. لا أدري ربما حمودي "

رد باستنكار " نعم !!"

[2770]

ضحكت وأضافت " ربما أحمودي "

ردد وراءها باستنكار" أحمودي !!!"

سألته بابتسامة شهية " لا تحبهم؟"

تراجع ورد " ليس هذا ما اقصد لكن الكونت حمودي أو الكونت أحمودي ليس بينهما أي علاقة"

أفلتت منها ضحكة أنثوية مائعة لا تعرف من أين أتت .. كل ما تعرفه أنها خائرة القوى .. مخدرة الأعصاب وهي تشعر بحرارة جذعه العضلي على ساقيها ورائحته الرجولية تزداد تركيزا وضوعا في فراغ العالق بينهما .. أما هو فيعلم أن ضحكتها فعلت به الأفاعيل فهمس " دعينا نتفق على شيء يا قلب أحمد ".

Des. Maryam Tamim

تأملته باهتمام وهي ترسم ملامحه بعينيها فأكمل "
أنا سأبيت في شقة العائلة الليلة .. وأنتِ .. (
وصمت قليلا يتجول في وجهها بعينيه ثم قال)
ستعطيني قُبلة .. وستكونين حازمة معي إذا ما
طلبت أكثر من ذلك حتى لو توسلت إليك .. فأنا
خطر الليلة "

قالت هامسة وقد بدأت ترتجف " أريد أن أخبرك
شيئا "

رد ساخرا "قوليه الآن قبل القُبلة لأن بعدها ربما لا
أكون هنا قد أرمي نفسي من النافذة "

لم تستطع أن تقول شيء ..

وماذا تقول .. وهو يثبت لها في كل لحظة أنها
قاسية القلب ظالمة لحبيب قلبها .. تجعله يتوسل
.

Des. Maryam Tamim

لم تستطع سوى أن تطبق على شفتيه تقبله ببعض الارتباك .. لكنه لم يمنحها الفرصة للتراجع اقتنص شفتيها بعنف كقناص ماهر مثبتا مؤخرة رأسها بيده ..

يقبلها بجوع ..

يبوح لها ببعض عذاباته ..

بينما يده الأخرى تتجول بحرمان تحت منامتها ..

بعد قليل أطلق سراح شفتيها .. ودفن رأسه في حضنها يلجم أعصابه .. ثم تمتم من بين أنفاسه العالية" كل مرة تغريني الفتات فأتقبلها راضيا .. ثم أكتشف بعدها أنها لا تُسمن ولا تُغني من جوع .. بل تزيدني حرمانا وعذابا .."

Des. Maryam Tamim

همست بارتجاف وقد بدأت تشعر بالدوار ..
وببعض المشاعر القوية التي تطالبها بمزيد من القبلات والمزيد من لمساته التي تتجول في ظهرها .. والمزيد والمزيد منه " لقد اتخذت قراري "

طالعها بعدم فهم فأكملت بصوت هارب منها "اتخذت قراري بالسماح لك بدخول قلعتي الحصينة .. لكني سأحتاج المساعدة في فك القفل لإنه صدئ "

رد بوجه عابس " بانة .. اتفقنا أن تتحمليني وأتحملك .. فما قلته منذ قليل لم يكن بغرض الضغط عليك .. أنا احتجت للبوح إليك ببعض .."

أطبقت على شفتيه بحرارة تقبله مرة أخرى رغم ارتجافها ففاجأته .. وارتبك لا يدري ماذا يحدث.. ثم رفعت رأسها وهمست بخجل " ألست تفهم في لغة الجسد بم تخبرك هذه القبلة ؟"

[2774]

ابتلع ريقه غير مصدق وسألها " أخبريني أنت بم تقول "

ردت وهي تنظر في عينيه " تقول أني وجدت مفتاح قفل القلعة الحصينة لكني أجد صعوبة في فتحه وحدي "

سأل وهو مازال مصدوما " وماذا تقول أيضا؟"

ردت " تقول أني أوافق .. أوافق على أن أمنحك نفسي يا أحمد ".

شعر بارتعاشها بين يديه فقال " بانة هذا الأمر ليس فيه مزاحا.. إن رد فعلي سيكون كارثة إما أن أرتكب جريمة أو أموت أمامك إن كنت تمزحين .. أعيدي ما قلتيه حتى أتأكد أني لا أهلوس "

ازداد ارتعاشها ولم تقدر على النطق بكلمة فمالت توزع قبلات عشوائية على وجهه في جرأة لم تعرف

Des. Maryam Tamim

من أين أتتها .. فاقتنص شفتاها من وسط الطريق يقبلها كالمجنون ...

لم يعد هناك مجال للرجعة .. نزعت بانة فتيل القنبلة ..

وانفجرت ..

حملها نحو غرفتها ليضعها على السرير ويطلق سراح شفتيها .. فنظرت إليه بأنفاس عالية ببعض الخوف ممزوجا بخجل فطري ومشاعر داخلية لم تدري من أين ظهرت تدفعها دفعا لطلب المزيد منه ..

بخفة يد ساحر كان يبعد عنها الكيمونو القصير ليظهر تحته بلوزة بحمالات رفيعة تظهر بشرتها البيضاء .. فتأملها وهو يمرر كفه على كفيها وذراعيها .

Des. Maryam Tamim

فقالت ببراءة "أنا أسفة كنت أود أن أرتدي إحدى القمصان المبتذلة لكني لم أقدر عليها ف .. "

هاجم شفتيها يقبلها بعنف يخرسها ويداه تتعاملان مع منامتها لتتخلص منها قطعة تلو الأخرى بنفاذ صبر وكاد أن يمزق بعضا منها .. ثم أطلق سراح شفتيها يتمتم لاهثا " أخيرا يا بانة .. أخيرا .. جاءت اللحظة التي انتظرتها سنينا "

رفع بلوزته وخلعها ليلقيها أرضا وخيم فوقها فلفحتها أنفاسه ولم يغفل عن نظرة الخوف المطلة من عينيها ..

رسمها بعينيه ويديه .. يحدد تفاصيلها المتكشفة بكليتها أمامه .. لأول مرة ..

أخيرا ..

Des. Maryam Tamim



دون حواجز ..

دون عقبات ..

ودفن وجهه في رقبتها يدغدغها بقُبل محمومة وهي تحدق في السقف ترتعش مع كل لمسة أو حركة تتذوق تلك المشاعر لأول مرة بأحاسيس امرأة ناضجة ..

همس بجانب أذنها " لا تخافي يا قلب أحمد .. لا تخافي وثقي بي .. لن أؤذيك .. أنا حبيبك وزوجك ووطنك .. ولن أؤذيك أبدا "

بعدها بدآ في رحلة جنون دون هوادة ..

استحضر فيها كل جيوشه ..

وحضرت فيها كل أسلحتها رغم أنها لم تعرف بعد كيف تستخدمها ! ..

ودارت ملحمة عشق محروم يتحرر من الأسر أخيرا .

[2778]

هذه المرة حلقت معه نحو السماء .. ومدت إليه يدها رغم رعبها ليقفزا من الطائرة ..

هذه المرة تغلبت على رعبها ووثقت فيه وقفزت .. وخلال ثوان كانت تحلق معه في الفضاء الفسيح .. متحررة من كل شيء .. من كل القيود والحواجز .. من كل العذابات والعقبات ..

حلقت في فضاء واسع يقودها نحو عوالم لم تتخيل وجودها ويبوح لها بأسرار عن العشق لم تعتقد يوما فيها ..

قال لها ما لم يقله أبدا ..

وأخبرها بألف طريقة وطريقة كم يحبها .. كم يعشقها ..

وأخبرها كيف يكون الذوبان وكيف يكون التلاشي.

Des. Maryam Tamim

قبيل الفجر كانت ممددة بين ذراعيه مستكينة في نوم عميق.. أما هو فلم يقدر على النوم ..

كيف ينام وهو يراها بهذا الاستسلام بين ذراعيه ؟

كيف ينام وهذا الجسد المُهلك الذي أوشك أن يصبه بنوبة قلبية ممدد بجانبه ؟

أخذ يستعيد لحظاتهما معها مرارا وتكرارا غير مصدق أنه أخيرا امتلكها .. رسّم الحدود وأعلن عن ملكيته بفخر ذكوري منتشي .

وعليه أن يعترف بأنه لم يتخيل يوما أن تملكه امرأة ..

وأن يغرق فيها إلى هذا الحد ..

أن يستسلم لها بهذا اليأس ..

لكنه لم يكن استسلاما..

[2780]

وهي لم تكن مجرد امرأة ..

إنها ظله .. روحه .. قلبه .. قلب أحمد ..

لكنه نسي أمرا مهما في وسط حالة انتشاءه .

نسي أنها لم تكن فتاة عادية .. فلم تكن استثنائية في تفردها فقط ولكنها استثنائية في أوجاعها وآلامها ومخاوفها ..

وكما تمتع بالتفرد باستثنائيتها عليه ان يتحمل في المقابل أوجاعها .

فبعد التحليق في السماء .. ارتطما بسطح الأرض بقوة موجعة ..

وقف أحمد بعد قليل يضرب على باب الحمام بقوة ينادي عليها ولا يسمع سوى أصوات بكاء هستيري ..

Des. Maryam Tamim

لم يفهم ماذا حدث سوى أنها فتحت عينيها فجأة برعب وانتفضت من بين ذراعيه تلف نفسها بالملاءة .. لكن رؤيتها بعض قطرات الدماء على الملاءة أدخلتها في نوبة هيستيريا فجرت على الحمام الملحق بغرفتها ووقف هو يحاول أقناعها بفتح الباب .. تارة بالحزم وتارة بالتهديد بكسر الباب وتارة بالتوسل ..

جرى إلى المطبخ حافي القدمين واحضر آلة حادة وبدأ في التعامل مع الباب وهو يسمع نحيبها الذي يقتله ويمزقه إربا ..

كيف تُتَوِجه مَلِكاً ثم ترديه قتيلا في نفس اللحظة !

انفتح الباب واندفع للداخل وهاله أن يراها متكومة في حوض الاستحمام فصرخت في هيستيريا بمجرد أن رأته ودفنت وجهها بين قدميها فابتعد خوفا عليها .. ليقول من بعيد " بانة .. أنا أحمد .. بانة

Des. Maryam Tamim

أرجوك لا تمزقي نياط قلبي عليك .. ألم توافقي .. ألم تخبريني أنه قرارك .. بانة أرجوك أتوسل إليك لن أتحمل هذا .. لن أتحمل يا بانة .."

تحرك عند باب الحمام في توتر يمسك برأسه غير قادر على الاقتراب ..

بعدها أسرع للغرفة وأمسك بهاتفه واتصل بوالدته يقول " أمي أنجديني يا أمي " .

بعد دقائق دخلت إلهام على ملامحها الهلع وبقايا نوم فبادرها يقول بوجه شاحب كالأموات " ادخلي لبانة يا أمي .. أفعلي أي شيء لتهدأ أبلغيها (وخرج صوته متأثرا) أبلغيها أن أحمد يعتذر " .

قالت وهي تتحرك نحو الغرفة" ماذا فعلت ؟"

Des. Maryam Tamim

رد بسرعة" اقسم بالله يا أمي لم أجبرها.. أقسم بالله أتتني تقول أنها قررت أن تتم الزواج .. أقسم بالله كانت معي مستجيبة كأي عروس ليلة زفافها"

بعد دقيقة كانت إلهام تقترب منها بحذر وهي تناديها " بانة .. حبيبة قلبي " .

رفعت إليها بانة وجهها الشاحب المرتعب وأمسكت بطرف الملاءة تريها النقط الحمراء .. فاندفعت إليها إلهام تضمها وتبكي مثلها وتقول " اششش .. حبيبة قلبي .. مبروك .. أنت صرت امرأة ناضجة "..

زاد نحيب بانة وارتجافها فتألم قلب إلهام ..وجلست على حوض الاستحمام تسند رأسها

Des. Maryam Tamim

للحائط وبانة تدفن رأسها بين ذراعيها .. فأخذت إلهام تهدهدها بتهويدة كانت تغنيها لبناتها قديما ..

حين لمحت إلهام ابنها المتلهف عند الباب أشارت له ليبتعد من المشهد فتراجع أحمد حتى لا تراه .. ووقف في الغرفة مطرق الرأس وهو لا يزال في حالة صدمة .. يوبخ نفسه أن طاوعها وهو يعلم أنها متخبطة تجاهد لتلتمس طريقها ..

كان عليه أن يرفض .. أن يعطيها الفرصة لتتأكد من قرارها .. حالها يؤلمه يذبحه .

سمع إلهام تقول في تردد " أليس أحمد حبيبك .. زوجك .. على سنة الله ورسوله .. (صمتت قليلا تحاول استحضار كلاما قد يساعدها على تهدئتها) أتعلمين إذا كنتي ابنتي وحدث ما حدث وعشت في

Des. Maryam Tamim

بلد غريب ثم قابلتك بعد سنين وقدمت لي زوجك ووجدته رجلا تفخرين به لفرحت جدا .. (لا حظت توقف نشيجها إلا من بعض الشهقات المتقطعة فأكملت) صدقيني الأهل يفرحون لزواج بناتهم وفي حالة أهلك سيفرحون جدا أن يكتشفوا أنك عشت في كنف رجل يصون عرضك وكرامتك ويحميك .. سيفخرون بك عندما يعلمون أنك صمدت أمام ما قابلتيه بكل شجاعة وسيسعدون بك ويرتاح بالهم أن كل السنين التي باعدت بينك وبينهم لم تعيشيها كلها في عذاب بل عشت بعضا منها في حمى رجل يسعدك ويبعد عنك شر اللئام .. فلمَ تبخلين عليهم بالسعادة وتمنحينهم الفخر بك فقط وأنت بيدك أن تمنحيهم الاثنان .؟؟..

(صمتت قليلا ثم مالت عليها وقالت بخفوت) هل أذاك هذا الولد أخبرني وسترين ما أفعله به ؟"

Des. Maryam Tamim

حركت بانة رأسها بلا .. فسألتها مجددا " هل أجبرك ولم تكوني ترغبين؟ "

فحركت رأسها بلا فأقالت إلهام " ما رأيك أن تتحممي .. سأحممك أنا هيا .. "

لمحت إلهام منها بعض القبول فبدأت بإفراغ الماء ببطء على جسدها العاري بينما أحمد يتنفس الصعداء أن هدأت رغم قلقه من رد الفعل الهستيري هذا .. وعاد يوبخ نفسه من جديد .

سألتها إلهام في الداخل "هل تشعرين بالخجل ؟"

أومأت بانة برأسها في حياء.. فابتسمت إلهام وقالت " تقولين هذا وأنت بالتأكيد تعلمين بعض المعلومات الأساسية عن الزواج أما أنا فلم أكن

Des. Maryam Tamim

أعلم شيئا .. صدقيني .. كنت في السنة الأولى من الجامعة حين خطبت لإبراهيم .. كنا نحب بعضنا لكني لم أكن أعلم بالضبط كيف يتم الزواج .. في تلك الأيام لم تكن معظم الفتيات على دراية بتفاصيل الزواج .. وأنا كنت أكثرهم سذاجة فلم ندرس في المدرسة مثلا مثلكم بعض المعلومات الاساسية عن هذا الأمر .. وكنت بسذاجتي أتخيل أن الحمل يكون بالقبلات "

لاح شبح ابتسامة على وجه أحمد وهو يستمع من الخارج بينما استدارت بانة لإلهام تنظر إليها بشك وإلهام تصب الماء على جسدها وتؤكد لها " صدقيني كنت أتخيل ذلك فعلا .. المهم أن إبراهيم ألح مرة لأعطيه قبلة .. ولم أقدر على الصمود أمام إلحاحه .. فقبلني .. "

Des. Maryam Tamim

مط أحمد شفتيه في الخارج يقول في سره" قبّلها وهما مخطوبان ! ما هذه الوقاحة يا إلهام !!..
يقبلها الحاج وهما مخطوبان ويدعي أمامي التصوف والرهبنة !.. أنا لن أسمع بقية هذا القرف .. "

وتحرك يترك الغرفة بعد أن اطمئن على بانة .. بينما أكملت إلهام في الداخل " لكني بعدها أصابني القلق الشديد ونتيجة هذا القلق تأخرت ظروفي الشهرية فشككت أني حامل فعلا (لاح شبه ابتسامة على فم بانة وهي مستسلمة لها تماما لتحممها بينما أكملت إلهام) وقتها كان يعمل في الخليج وتركني وسافر فاتصلت به وبكيت وهددته بأني سأخبر أبي .. وأنه عليه أن يسترني قبل الفضيحة (ضحكت إلهام وهي تستعيد الذكريات واكملت) وقد حاول إبراهيم إفهامي أن القبلة لا تسبب الحمل لكني

Des. Maryam Tamim

كنت في حالة نفسية سيئة فاضطر للقدوم وطلب من أبي عقد القران حتى يريحني ثم أخذني بعدها لطبيبة نسائية لتؤكد لي أن القبلة وحدها لا تسبب الحمل ولكن بعد أن انتهت من محاضرتها طلبت منها أن تكشف علي لتتأكد أني لست حاملا (قهقهت إلهام ثم أكملت) كنت ساذجة جدا في هذه الأمور وأذكر أن أول يوم زواج اتصلت بأمي أخبرها أن ابراهيم قليل الحياء " .

ابتسمت بانة هذه المرة فسعدت إلهام وهي تلبسها روب الاستحمام وادخلتها الغرفة بعد أن طمأنتها أن أحمد غير موجود..

تركتها ترتدي ملابسها ثم فرشت ملاءة جديدة على السرير وأدخلتها تحت الأغطية وبدأت تمشط شعرها بأصابعها وهي تتمتم ببعض الآيات القرآنية فبدأت بانة في الاسترخاء وقالت بهمس " أمي ..

Des. Maryam Tamim

أخبري أحمد أني آسفة لم أقصد أن أفسد عليه الأمر "

ثم أجهشت بالبكاء فقالت إلهام تحاول تهدئتها" لا عليك .. إهدئي ونامي قليلا .. ما حدث قد حدث"

بعد قليل كانت إلهام تخرج من غرفتها لتجد أحمد يجلس في صمت كئيب في الصالة يدخن بشراهة ومطفأة السجائر مملوءة بأعقاب السجائر..
فوقفت إلى جواره لينتبه لوجودها ويسألها بلهفة" كيف هي يا أمي؟؟" .

ردت مطمئنة وقد آلمها قلبها على ابنها " إنها بخير .. يبدو أنها صدمت .. تركتها نائمة ولا تدخل عليها إلا إذا هي خرجت " .

قال أحمد مدافعا " كان برضائها يا أمي أقسم بالله"

Des. Maryam Tamim

ربتت على كتفه وقالت" أعلم يا بني ".

لاحظ حزنها فقال مازحا " إذن أين المباركة ألست عريس مثل طائر أبي قردان .. لن أطالبكم بالخزف والمفارش والشموع يكفي المباركة ونترك الباقي له "

أدرك أنه قلب المزاح لسخرية مرة دون أن يدري بينما ربتت عليه إلهام بشفقة وقالت " مبارك لك يا حبيب أمك "

شاكسها يقول " لماذا لم اسمع منك عبارات توبخها وتتوعدها بانة بنت الخازن تعذبينها كما تعذب ابنك "

ابتسمت وقالت" لأن قلبك متعلق بها .. لو كان غير ذلك لما خرجت من تحت يدي سليمة .. إلا الكونت .. ابني الذي أفخر به "

Des. Maryam Tamim

لثم يدها ثم قال بتأثر" جزيت الجنة يا أمي .. لا أعرف كيف يمكن أن تدار حياتنا بدونك .. أطال الله في عمرك "

ربتت عليه وقد اغرورقت عيناها بالدموع مشفقة على حظه المائل تدعو له بالهناء والسعادة.

مر الوقت بعدها بطيئا وازدادت أعقاب السجائر أمامه ينتظر استيقاظها .. أكثر من خمس ساعات مرت وهو يجلس بنفس الجلسة على الأريكة في الصالة .. يفكر ويرسم خيوطا بدخانه ..

يفكر في بانة ..

في سيد ..

في آية ..

في أروى وحماتها .

Des. Maryam Tamim

بينما تحركت بانة من السرير تحاول استيعاب ما حدث من أول الليلة الماضية واللحظات التي مرت بها معه بين ذراعيه .. وانتهت بالحالة التي انتابتها عند الفجر ..

لم تذكر ماذا حدث غير ذلك الكابوس الذي رأته بأن أهلها يخاصمونها .. وأنهم مربوطون بالحبال .. يعذبون من الأعداء بينما هي تقِّبل أحمد أمامهم غير عابئة بما يحدث لهم !.

شعرت بالشفقة على أحمد .. وبالغضب من نفسها .. لا تدري بالضبط ما حدث صباحا فتفاصيله مشوشة في ذهنها وتلمح مقتطفات منها كأنها كانت في حلم...

Des. Maryam Tamim

وبرغم عدم إلمامها بتفاصيل ما حدث لكنها مازالت منكمشة تشعر بالصدمة وتشفق عليه بعد أن كان يطير فرحا ليلة أمس بشكل لم يصدقه عقلها فصدمته فجأة هذه الصدمة .

ترددت في الخروج إليه .. تثق أنه ينتظرها بالخارج ..

تريد أن تطمئنه ولا ترغب في مواجهته بعد .. تحتاج لبعض الوقت ... لكنها عليها أن تعتذر له على قسوتها معه .. على إحباطه ...

تطلعت لنفسها في المرآة وتحيرت .. لم يتغير في مظهرها شيء .. هي بانة .. مثل أمس في نفس الوقت كانت بنفس الشكل .. لكن في داخلها تغير شيء ..

Des. Maryam Tamim

كيف تصف الشعور ؟.

تشعر وكأنها اكتشفت منطقة مجهولة في نفسها وتعرفت عليها لأول مرة واستكشفتها وتم تفعيلها في داخلها .. لم تشعر كما كانت تتخيل أن بانة سينتقص منها شيء شعرت أنها أضيف لها شيئا جديدا ..

تجاهلت تلك المشاعر مؤقتا وسط إلحاح من قلبها للاطمئنان على أحمد .. الذي قتلت فرحته ..

فدفنت وجهها في كفيها تحاول استجماع شجاعتها ثم استقامت واقتربت من باب غرفتها تفتحه فانتبه لصوت الباب وانتفض واقفا.. وفي خلال ثوان كان يقف عند بابها .. ففتحته قليلا جدا تقول "أحمد أنت هنا؟ "

رد بلهفة "أجل يا بانة.. هل أنت بخير ؟"

Des. Maryam Tamim

بدأت تبكي وتقول " أنا آسفة سامحني .. أفسدت عليك الأمر .. أنا سأعرض نفسي فوراً على طبيب نفسي "

قال بلهجة متوسلة " هلا فتحتي الباب قليلا يا بانة؟"

قالت باكية " لا أريد أن تقترب مني حاليا"

قال " لن اقترب أعدك .. دعيني أراك ولن أقترب منك .. لن أدخل حدود غرفتك .. دعيني أراك فقط لأطمئن عليك "

بتردد فتحت الباب ووقفت أمامه مطرقة الرأس في خجل ..فضغط على شفتيه يقاوم رغبة في سحقها بين ذراعيه.. تلك الغبية التي خلعت قلبه قلقا ورعبا عليها ..

قال يحاول أن يكون هادئا " سأجلس هنا خارج الغرفة "

Des. Maryam Tamim

وجلس مسندا ظهره للحائط الملاصق للباب بإرهاق واضح .. فجلست الناحية الاخرى تسند ظهرها على الحائط الملاصق من الداخل للباب أيضا ..

أدار وجهه جانبا ينظر إليها قائلا بهدوء" أنا لم أجبرك يا بانة "

قاطعته تقول بحياء " أعلم .. بل أنا من أفسدت الأمر"

سأل بحيرة " ماذا حدث أخبريني أنت كنت بين ذراعاي مثل أي عروس .. وأنا لست ساذجا لا أعرف إن كنت تتجاوبين معي وتشعرين بما أريد إيصاله إليك أم لا .. أنت كنت معي أمس برضائك .. بكلّيتك .. ماذا حدث إذن ؟"

ردت تفرك جبينها في إعياء " لا أذكر .. "

Des. Maryam Tamim

سألها بقلق " هل تذكرين لحظاتنا معا ؟"

اومأت بنعم وهي تدفن وجهها في كفيها

فسأل في حيرة " إذن ماذا حدث ؟"

ردت بحيرة مماثلة " لا أدري رأيت كابوسا
واستيقظت مرعوبة ولا أذكر باقي بالتفاصيل "

سألها بتردد " وكيف تشعرين نحوي الآن ؟"

صمتت قليلا تحاول التركيز ثم قالت " أشعر بأنني
محرجة .. وأني لا أريدك أن تقترب مني حاليا.. "

أغمض عينيه بيأس ثم قال " حسنا يا زوجتي
العزيزة .. صباحية مباركة .. ودعينا نعود لمربع
صفر مرة اخرى .. ونضع الحدود بين البلدين ..
نراعي حق الجوار وعدم التعدي على حدود الآخر ..
(صمت قليلا يقاوم الشعور بالإحباط الذي يجثم
على صدره وأكمل) ودعيني أخبرك قبل أن أدخل

Des. Maryam Tamim

لأنام .. أنك زوجتي يا بانة .. شرفي وعرضي .. ولي شرف أن تمنحيني نفسك أمس يا بنت الخازن ..

ودعيني أخبرك سرا لا يعرفه أحد.. حين تزوجنا ووجدت إرتعابك من التلامس وخجلك وذلك الخوف بعينيك جاءني هاجس بشع لكني روضت نفسي وتعايشت عليه .. (وتهدج صوته متأثرا) أنك تعرضت للاغتصاب (جحظت عينا بانة أمامه فأكمل) ولن أخبرك كيف هو الشعور وأنا اشك في أمر كهذا وماهي شكل الكوابيس التي تزورني كل ليلة تخصك في هذا الشأن .. وسألت نفسي ماذا لو كان تخميني صحيحا ؟ .. ووجدتني لا أتزحزح عن حبك قيد أنملة .. رغم وجعي وألمي وكوابيسي .. فأنت زوجتي التي أريدها أما لأولادي .. وصدقيني كنت يوميا أدعو في صلاتي ألا تكوني قد تعرضت لذلك فعلا.. ليس من أجل رجولتي ولكن من أجلك أنت .. وتلك القطرات على الملاءة التي افزعتك فجرا كانت قربان تحرري من تلك الكوابيس .. فلن

Des. Maryam Tamim

أخبرك بأن أمس كانت أسعد ليلة في حياتي ..
سأختزن ذكرى هذه الليلة ..وحين تقدرين على تخطي تلك الحواجز التي كلما هدمتُ واحد أقمتِ أنت آخر ..وقتها سأخبرك كيف كانت لي كرجل ليلة أمس وكيف رأيتك وشعرت بك .. لكني الآن سأقول لك شكرا على طمأنتي وتحريري من تلك الكوابيس .. أخيرا سأستطيع النوم .. "

***

في اليوم التالي :

قال وائل بعصبية " إذن هذا قرارك النهائي ؟"

رد سيد بهدوء " أجل لا مفر "

صاح وائل بغيظ " لا تقل لا مفر يوجد مفر"

رد سيد بلهجة يائسة " لقد أعطيتها وعدي وعلي أن أفي به"

Des. Maryam Tamim

قال وائل " وانتهى الأمر بالنسبة لآية سماحة ؟..
وكل ما قالته لك في حفل الزفاف كأنه لم يكن "

تقبض سيد بقوة يحاول الصمود وعدم التراجع
وأوما برأسه بنعم .

اقتحم أحمد غرفة المستشفى فجأة يقول " ماذا
فعلت آية سماحة؟؟؟؟؟؟ وما دخلها بما حدث
لسيد؟؟"

أجفل الاثنان .. وشحب وجه سيد في رعب وقال
"لم يحدث شيء .. من أين أتيت بهذا الكلام ؟"

وقف متخصرا يراقب انفعالاتهما وقال" سمعت
وائل يقول كل ما قالته آية في حفل الزفاف أريد أن
أعرف فورا ماذا حدث "

قال وائل متراجعا في حرج" لم يحدث شيء مما
تقول"

Des. Maryam Tamim

هدر فيه أحمد بعنف "هل ستكذب يا وائل ؟!! لقد سمعتك بأذني تقول ذلك "

رد سيد يحاول انقاذ الوضع" لا تأخذ على كلام وائل إنه يهذي أحيانا "

لم يقصد غير نوع من المزاح الخشن لكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لوائل الذي انفعل يرد باستنكار" وائل يهذي !! .. وائل يهذي !! .. إذن أخرجوا وائل الذي يهذي من حياتكم .. وارحموا أنفسكم من هذياني "

نظر إليه صاحبيه بصدمة فتحرك يترك الغرفة ..

استدار أحمد يقول لسيد " أخبرني ماذا حدث ولا تكذب .. لا تكذب يا سيد ماذا قالت لك آية في حفل الزفاف وكاد أن يقتلك .. أخبرني ولا تخفي شيئا وأعدك بشرفي سأتعامل بهدوء وحكمة "

Des. Maryam Tamim

رد سيد بإصرار" قلت لك لم يحدث شيء صدقني .. وائل لم يقصد المعنى الذي وصلك "

ضيق أحمد عيناه وقال " إذن ذُكر اسم آية سماحة فعلا "

ابتلع سيد ريقه بصعوبة ولم يسعفه عقله الذي كان في أسوأ حالاته بأي مبرر فقال بارتباك لم يغفل عن صاحبه " لم يقصد آية فقط تحدث على الجميع صدقني .. كان يذكرني بالحفل ويعلق تعليقات فكاهية . "

وقف أحمد بجانب سريره يتأمل حاله ولم ينطق لقد اصبح شبه متأكد أن آية لها دخلا بهذه الحالة التي عليها سيد .

Des. Maryam Tamim

وكأن سيد يقرأ أفكاره فأمسك بساعده بكلتا يديه يقول في شبه توسل " لا تتركها وحدها هي في أمس الحاجة لوجود الآخرين حولها وجودا حقيقيا"

نظر أحمد ليديه التي تمسك بساعده ثم قال" لا تقلق أنا أحاول مؤخرا أن أبني علاقتي بها شيئا فشيئا "

قال سيد "هذا رائع .. رائع جدا"

فقال أحمد " وأنت ماذا ستفعل ؟"

سحب سيد نفسا عميقا وقال مدعيا اللا شيء "أفكر في السفر"

ردد أحمد باستنكار " السفر !!"

أجاب سيد " أجل أحتاج للابتعاد قليلا .. أنا وبسمة ورحمة"

سأله أحمد بذهول " إلى أين؟"

Des. Maryam Tamim

رد سيد غير متأكد " مبدئيا ربما لمدينة أخرى وسأدرس إمكانية الخروج من البلد كلها "

قال أحمد بانفعال " وأنا .. ووائل وعمرو هل ستتركنا ؟؟ .. وحياتك كملحن وما وصلت إليه أخيرا بعد معاناه هل ستتركه؟!"

زفر سيد ثم قال " أنا قلت مبدئيا سأسافر لخارج العاصمة "

سأل باستنكار " لمَ كل هذا"

رد بانفعال " لأني غير قادر .. غير قادر يا أحمد.. اعتبرني مهووس اعتبرني مختل عقليا لكني مللت الوجع ..مللت الحرمان ..مللت حياتي"

صاح أحمد فيه " وهل حين تبعد سيتغير شيء؟"

قال سيد بيأس " ربما .. حين أبعد عن محيط التأثير .. أصبح أفضل "

Des. Maryam Tamim

فرك أحمد جبينه بعصبية وقال " اسمع .. أنا مضغوط هذه الايام من أكثر من جانب فلا تكون ضحيتي القادمة ..سأحطم أسنانك كلها .. هذا الموضوع سنتناقش فيه فيما بعد .. اضبط ضغطك أولا حتى نخرجك من هذا المستشفى .. وسنبحث بعدها سويا هذا الأمر "

***

بعد عدة ساعات :

لم يعد يستطيع التحمل ..

طرق على باب غرفتها طرقة سريعة ودخل دون انتظار الإذن.. فأجفلت كلا من آية وبانة اللتان كانتا تنحنيان على لوحة صغيرة تعلم فيها آية بانة رسم الخطوط .. فتعلقت الأربع عيون به باندهاش وترقب .

Des. Maryam Tamim

صفع الباب خلفه ووقف أمامهما متخصرا يشيح بطرفي سترته للخلف وظل صامتاً لبضع ثوان وهو ينظر لآية التي حدقت فيه ببعض القلق رغم أنها لم تخمن سبب هذا التحفز من جانبه .

حركت بانة أنظارها بينهما وقالت بتوجس " هل حدث شيئا يا أحمد ؟"

تجاهل السؤال ليوجه سؤالا أخرا لآية " ماذا فعلت بسيد ليلة زفاف أروى ؟"

شحب وجه آية وسقط قلبها بين قدميها لكنها أخفت ذلك وراء كبرياء زائف وردت بمراوغة" ماذا تعني لا أفهم؟ "

قال متحكما في أعصابه " أية أخبريني ماذا حدث بينكما .. ماذا قلت له ليلتها ؟.. هل لمتيه مثلا؟ ..

Des. Maryam Tamim

هل استعملت معه لسانك الحاد كالمبرد؟.. ماذا فعلتِ ها ؟

صمتت آية ولم ترد.. تحاول التحكم بلسانها الحاد الذي يتحدث عنه والذي يحرضها للرد بردود تتمحور حول فكرة واحدة ألا وهي " ليس من شأنك ! " لكنها ولأول مرة تلجم لسانها عن الاندفاع .. رفقا بوالديها .

تكلم مجددا يحاول التحلي بالصبر " أصدقيني القول يا آية وأخبريني .. أنا متأكد أنك قلت شيئا لسيد أريد أن أعرفه .. (وحاول أن يشجعها على الحديث) أخبريني بالأمر وأنا سأناقش معك بعقلانية .. "

سحبت نفسا عميقا ثم قالت بارتجاف " ليس هناك ما تستطيع فعله "

تقبض يتحكم في أعصابه ثم قال "ثقي بي يا آية .. ها أنا ذا أتحكم في أعصابي وأحاول ألا تنفلت مني

Des. Maryam Tamim

دعينا نتناقش .. ألم نتناقش مؤخرا في أكثر من موضوع .. هذه المرة دعينا نتحدث عن موضوع سيد .. دعينا نكشف كل الأوراق .. أخبريني أولا ماذا قلت له في يوم الزفاف "

قالت بهدوء تحاول تنميق جملها " هذا الأمر يخصني ولا أعتقد أنك حتى باستخدام القوة ستستطيع أن تجبرني على الحديث فيما يخصني "

ضرب على الباب بقوة يفرغ شحنة من غضب مكبوت وصاح بعنف " ماذا أفعل معك أخبريني؟؟؟ ماذا أفعل معك ؟؟؟ أنت مصرة أن أتعامل معك بالطرق الهمجية لأنك تجبُنين عن المناقشة "

Des. Maryam Tamim

صرخت بعصبية غير قادرة على التحكم أكثر من ذلك " أنا لست جبانة .. لكنك لن تجبرني على قول مالا أريد أن أقوله لك .. اسأل سيد إذا كنت تريد أن تعرف فهو بات لا يعصي لك أمر .. أأمره أن يخبرك سيخبرك بكل شيء الأمر بسيط"

ضرب أحمد على الباب ضربات متتالية وهو يردد" يا الله يا ولي الصابرين".

ثم توجه بالحديث لبانة الواقفة بينهما متحفزة تتمتم ببعض الادعية ألا يتكرر مشهد تلك الليلة المشئومة .. وقد اطمأنت قليلا حين ردت آية في البداية بهدوء لكن حين بدأت في الصراخ بعصبية وضرب أحمد على الباب سقط قلبها بين قدميها .

Des. Maryam Tamim

قال أحمد " أخبريني يا دكتورة التنمية البشرية كيف اتعامل مع هذه المخلوقة "

تمتمت بانة تقول " اهدأ يا أحمد اهدأ "

انفجرت آية صارخة تقول " لماذا تكرهني ؟ ها ؟.. أخبرني لماذا تكرهني يا أحمد ؟!!"

بهت كلا من بانة وأحمد فقال الأخير بعينين ذاهلتين " أكرهك ! أنا أكرهك يا آية ؟!"

ردت بانفعال وهي تتحرك في الغرفة أجل تكرهني .. عادة ما تحاول أن تبعدني عن سيد حتى في المواقف العادية .. العادية جدا .. إنك تسمح لأروى وبانة بالحديث معه في إطار أي جلسة عامة وتمنعني أنا رغم أني لا أتجاوز حدودي .. فلو كنت أتجازها دون أن أدري لما وافق أبي على ذلك .. إن كنت تحبني

Des. Maryam Tamim

وتهتم بأمري لما قررت أن تحافظ على كرامتك بألا يتحدث الناس عنك في الشارع بأن أختك تتحدث مع صاحبك الذي هو بالمناسبة ربيب عائلة سماحة الذي يقف معك أنت وأبي في أي مكان .. و(تهدج صوتها متأثرا) لو كنت تحبني قدرا قليلا لعلمت تأثير هذا القرار عليّ ... لو كنت تحبني لوثقت بي ."

رد أحمد بألم " إذن أنت تقولين أني أفعل ذلك لأني لا أحبك .. لأحافظ فقط على كرامتي الذكورية .. حسنا إن كان هذا رأيك في فلن أقول شيئا لكني سأثبت لك أني أثق بك .. وسأرى مدى نضجك الذي تتشدقين به .. حين أطلب منك أن تدعي سيد صبرة وشأنه "

تكتفت وردت ساخرة " أنتم من تصدرون الفرمانات وأنا أنفذ .. ما الجديد ؟"

Des. Maryam Tamim

قال أحمد ببعض الانهزام والمرارة " آية أنا لا أتحدث معك كأخيك هذه المرة .. لأنك تعتقدين أني لا احبك ولا أفعل لمصلحتك .. ولأني إذا ما تحدثت معك كأخيك الأكبر سننا فلن أمرر أسلوبك المستفز هذا معي .. واتهاماتك الباطلة لي مرور الكرام ..أنا هذه المرة أحدثك كصديق لسيد صبرة .. أحدثك بالنيابة عن صاحب عمري الذي أخشى أن أفقده بسببك .. الذي قد يأتي اليوم الذي لن يدخل فيه هذا البيت وسيحرق هذا قلب أمي وسيكون هذا بسببك .. أطلب منك أن ترحميه .. (اختنق صوته متأثرا) ارحميه يا آية"

ارتجف قلبها من لهجته الغربية بينما أكمل أحمد

" تريدين أن تعاملي كناضجة هانذا أطلب منك بكل صراحة وتوسل أن ترحميه .. امنحيه الفرصة لأن يتخلص من ورطته معك .. اعطيه الفرصة لأن

Des. Maryam Tamim

ينظر لزوجته نظرة عادلة.. إن كنت حقا تحترميه وتحملين له قدرا من المحبة .. إن كان شخصا كما تخبريني الآن مهما عندك وتهتمين بشأنه .. فابتعدي عن ناظريه يا بنت سماحة واتركيه لحال سبيله "

شعرت آية أن أحمد يتحدث بلغة غير العربية أو يتحدث عن شخص آخر لا تعرفه أو هي تهلوس فما يشير إليه أمرا لا يمكن تصديقه فقالت بخفوت " لا أفهم "

صاح أحمد بانفعال " ما الذي لا تفهميه يا آية ؟؟ الرجل جُن عقله بك .. وتزوج ليهرب من مشاعره تجاهك .. ولن يستطيع التراجع والانفصال عن زوجته التي ليس لها ذنب فأصبح مسجونا بين مشاعره وشهامته ..

Des. Maryam Tamim

الرجل الذي يرعب الشارع الذي يمشي فيه اصبح مكسورا أمامي بسبب مشاعره تجاهك .. الرجل يحاول ويحاول جاهدا مع نفسه .. لكن كلما حقق تقدما بسيطا تظهرين أمامه كعفريت العلبة فيعود للمربع صفر مرة أخرى .

فهلا تعاملت بنضج قليلا وبعضا من المسئولية وتركتيه في حاله "

شحب وجهها كالموتى شاعرة بأن روحها تخرج منها فأضاف أحمد بانفعال " لو كان يعز عليك سيد صبرة دعيه وشأنه آية .. أنا عريت صديقي أمامك الآن وخنته وأفشيت سره .. فما دمت طرفا في الموضوع عليك التكاتف معي لمساعدته على تخطي هذه المشاعر .. هو يشعر بالذنب تجاه زوجته لذا لن يستطيع تطليقها إلا إذا هي من طلبت الطلاق .. وأنت تربكينه كلما تشخصت

Des. Maryam Tamim

أمامه .. لا أطلب منك سوى بعضا من النضج والمسئولية والاختفاء من حياته"

الأرض تميد بها .. وروحها تسحب من قدميها وأصوات كثيرة تطن في أذنيها ..

أصوات وصور ..

واحداث ..

ردت بصوت تجاهد في خروجه " هل تقصد أن سيد .. سيد صبرة .. يراني كامرأة !! .. يحبني كامرأة .. سيد يح ... "

لم تستطيع استكمال العبارة وسقطت مغشيا عليها وسط صرختين جزعتين باسمها ..

Des. Maryam Tamim

الفصل الثلاثون

"السلام عليكم " قالها الطبيب وهو يجفف عرقه ويخترق شقة العائلة .

أشار له أحمد مهموما بالدخول فسأله مازحا" ترى هذه المرة المريض ذكر أم أنثى ؟ "
رد أحمد بذهن مشغول "اختي الصغيرة مغشيا عليها يا دكتور وباءت محاولتنا بالفشل لإفاقتها"

قال الطبيب بشك " هل أنت متأكد أنها أنثى ؟.."
انتبه أحمد من شروده لسؤال الطبيب فرفع حاجبا وهتف باستنكار " نعم ؟؟ .. ماذا تقصد ؟!!"

رد الطبيب ببشاشة " أقصد هل أنت متأكد أنها تحمل اثنان من كروموسوم X ام واحد X وواحد Y .. أنا فقط استعد لمفاجآتكم (واصدر ضحكة مستظرفة) "

[2818]

صمت أحمد عاقد الحاجبين يحاول الاستيعاب ثم جز على أسنانه بعد أن تذكره .. فحدجه بنظرة خطرة ليقول بلهجة شرسة " تفضل يا دكتور المريضة بالداخل " .

ارتبك الطبيب وكور منديله يجفف عرقه ودلف إلى الغرفة حيث كانت آية ملقاة على السرير وإلهام تبكي بجوارها .. والتي قالت بتوسل بمجرد أن لمحته " ابنتي يا دكتور .. ابنتي لا ترد علي"

جلس الطبيب وفتح حقيبته يخرج أدواته وهو يقول لإلهام بمودة " كيف حالك يا حاجة ترى هل ستطردينني من الغرفة مجددا ؟"
حدقت فيه إلهام بعدم فهم وتبادلت النظرات مع أحمد الذي أشار لها ألا تدقق مع ما يهذي به الطبيب..

Des. Maryam Tamim

بعد قليل كان الطبيب يعلق كيسا بلاستيكيا بداخله محلول على حامل معدني بجوار سرير آية ينتهي طرفه بخرطوم صغير إبرته مغروزة في ذراعها فسألته إلهام بقلق " هل أنت متأكد أنها مشكلة ضغط منخفض فقط يا دكتور .. ؟"

تكلم الطبيب وهو يجفف عرقه " الضغط منخفض جدا وحدث هبوط في الدورة الدموية .. واشك في انهيار عصبي .. هل تعرضت لضغط عصبي؟ "

حدقت فيه إلهام بعدم فهم بينما وقع قلب أحمد في قدميه .. يتساءل هل صدمت من نظرة سيد لها كامرأة ؟!!.. هل أخطأ حين أطلعها على سر صاحبه؟!."

أكمل الطبيب كلامه " هذا المحلول سيشعرها بالتحسن .. وسأكتب لها على أدوية ونوع من المهدئ الخفيف .. مع قياس للضغط كل ساعتين فإن كانت النتيجة مرضية سيكون كل يوم ..

Des. Maryam Tamim

وحاولوا إبعادها عن أي ضغط عصبي .. سأمر عليها في المساء وإذا حدث أي شيء أبلغوني فورا .. "

بدأت آية تستفيق لكنها غير قادرة على فتح عينيها .. وبدأت في البكاء الصامت ..
هتفت إلهام تقبل رأسها الممدد على الوسادة " لمَ البكاء يا حبيبة أمك.. أخبريني ماذا حدث"
فتحت آية عينيها ببطء وتطلعت حولها وانزعجت من امتلاء الغرفة بالناس .. تريد أن تبقى وحدها .. فليتركوها وشأنها .. فسحبت الملاءة وغطت وجهها بوهن تختبئ من الجميع ..

استقام الطبيب يهم بالمغادرة حينما لمح بانة منزوية في ركن الغرفة ترتدي اسدالها وتراقب في قلق فصاح بود وكأنه صديق قديم "كيف حالك يا آنسة .. تغيرت كثيرا عن آخر ما .. شـ .. اء .. الله.."

Des. Maryam Tamim

بتر عبارته حين اخترق جسد أحمد مجال الرؤية
أمامه بملامح خطرة يقول " نورت يا دكتور ..
تفضل أمامي لأريك الباب "
ارتبك الطبيب وبدأ في لملمة أدواته بسرعة ثم خرج
أمام أحمد وهو يجفف عرقه ..
***
"الرجل جُن عقله بك .. وتزوج ليهرب من مشاعره
تجاهك يا آية .. ولن يستطيع التراجع والانفصال
عن زوجته التي ليس لها ذنبا فأصبح مسجونا بين
مشاعره وشهامته .. "
"هل جربت احتراق الروح يا سيد ؟ أنا جربته ..
جربته وأنا أراك بعيني تزف عريسا متأنقا كأوسم
رجل رأيته تزف لإمرأة أكبر وأحلى مني.."

"الرجل الذي يرعب الشارع الذي يمشي فيه أصبح
مكسورا أمامي بسبب مشاعره تجاهك .. الرجل
يحاول ويحاول جاهدا مع نفسه .. وكلما حقق

Des. Maryam Tamim

تقدما بسيطا تظهرين أمامه كعفريت العلبة فيعود للمربع صفر مرة أخرى ."

"هل جربت الشعور بالخيانة يا سيد ؟ أنا جربته وأنا أفكر كل ليلة.. أن جميلة الجميلات .. تنام في حضنك.. "

"فهلا تعاملت بنضج قليلا وبعضا من المسئولية وتركتيه في حاله "

"هل جربت أن يكون كل همك منصبا على أن تكبر بسرعة .. حتى تراني امرأة وليس طفلة؟.."
"لو كان يعز عليك سيد صبرة دعيه وشأنه آية .. أنا عريت صديقي أمامك الآن وخنته وأفشيت سره .. فما دمت طرفا في الموضوع عليك التكاتف معي لمساعدته .. على تخطي هذه المشاعر .. "

[2823]

"هل جربت كل تلك المشاعر ؟؟؟؟
أنا جربتها.. كلها ..
وتعذبت بها.. كلها ..
واحترقت روحي بها.. كلها"

***

بعد مغادرة الطبيب وقف أحمد في منتصف الصالة لا يعرف ماذا يفعل .. يحاول تفسير رد فعلها الغير مفهوم .. فتطلعت إليه بانة تشعر به مرتبكا مشدودا يشعر بالذنب فسألته مشفقة "هل أنت بخير؟"

رد عليها باقتضاب وهو يتحرك مغادرا أنه بخير ثم علّى صوته " أنا سأخرج يا أمي .. لدي موعد هام بالورشة .. وسأتصل لأطمئن عليها .. وإن حدث شيء أبلغيني "

تطلعت إليه بانة بحزن وهو يغادر متجاهلا إياها .. منذ تلك الليلة وهو يتعامل معها بجفاء ويتحدث معها باقتضاب ..

[2824]

لحقت به عند الباب وامسكت بذراعه فتوجع باشتياق من لمستها .. مضى يومان على تلك الليلة التي أدخلته فيها الجنة ثم ألقت به في الجحيم بعدها .. فوقف موليا ظهره لها يسمعها تقول " هل ستظل تتجنبني كثيرا؟"

أدار رأسه وقال بكبرياء " وماذا تتوقعين من رجل أخبرته زوجته بعد أول لقاء حميمي بينهما ألا يقترب منها مجددا ؟!! "

قالت عاتبة " كنت أظنك تتفهم ظروفي .. وتفهم الصدمة التي حدثت لي لهذا انتابتني تلك الهيستيريا التي لا أذكر كل تفاصيلها .. حتى أمي إلهام تفهمت شعوري "

رد عليها بانفعال " أنا لا أتحدث عن صدمتك التي أوجعتني قبل أن توجعك .. فأنت لا تذكرين تفاصيلها أما أنا فاذكر التفاصيل والمشاعر التي انتابتني جيدا .. لكن هذا ليس ما قصدته .. طلبك بعد أن هدأت ألا أقترب منك جرح كرامتي يا بانة ..

Des. Maryam Tamim

فلو كنتِ صبرتِ لكنت علمتِ أني قررت ألا أكررها شفقة بك وبنفسي.. فالحلوى التي أشتاق إليها حين أذاقتيني منها اكتشفت أنها جمر كوى جوفي بعدما رأيتك تنهضين مفزوعة من حضني كمن اغتصبت "

نفض ذراعه عنها بحزم وأغلق باب الشقة خلفه فأطرقت برأسها تبلع غصة مسننة في حلقها بينما قلبها المعذب لا يعرف كيف يرتاح .

***

خرج من البوابة ليجد والده يخرج من سيارة أجرة فأسرع يحمل حقيبة السفر عنه بعد أن قبل كتفه وهو يقول " لمَ لم تخبرني يا أبي لآتي لاستقبالك بالمطار؟! ألم يكن موعد عودتك غدا "

رد الحاج وهو يربت على كتفه" انتهيت أنا والحاج رضوان من الصفقة مبكرا فلم أستطيع الانتظار

Des. Maryam Tamim

وقدمت موعد سفري .. أنت تعلم أني لا ارتاح خارج البلاد وطعامهم يصيبني بتلبك معوي"
وضع أحمد الحقيبة في حوش البيت ووقف مع أبيه أمام البوابة يفرد ذراعه على كتف والده وقال بشك " هل كنت مع الحاج رضوان فعلا ؟!! .. بت أشك بك من كثرت ذكر اسمه هذه الأيام .. فإن كان هناك أي شيء يدور من وراء إلهام .. أخبرني أنا ابنك .. فلذة كبدك الذي سيكون عليك سترا وغطاء "
تحكم الحاج في ابتسامة ملحة ووقف يتأمله ببرود يديه في جيب بنطاله كنسخة أكبر سناً من ابنه ..ثم قال بنظرة ذات مغزى" علمت أنك نلت المراد أخيرا .. كنت أعلم أن الأمر لن يأخذ منك كثيرا وستعرف كيف تتحكم بعقل الفتاة "

رفع أحمد عينيه للسماء وقال بيأس متهكما " يا إلهام ! .. لم تتحملي وأذعت الخبر دوليا (ثم نظر لأبيه متفحصا وقال وهو لا يزال يستند عليه

Des. Maryam Tamim

بذراعه) أتعلم .. لقد أدركت الآن أن هذا الحقد الدفين الذي بداخلك تجاهي هو ما يغلق الطرق في وجهي "

قهقه الحاج وشتمه.. فتحكم أحمد في ابتسامة ملحة وأكمل مشاكسته " رغم أني حقا لا افهم ما سر هذا الحقد .. كنت أظنه لأنني لعبت بذيلي قليلا في شبابي .. لكني اكتشفت من يومين فقط أنك لست هذا المتصوف الناسك الذي تدعيه"

رفع الحاج حاجبا مستنكرا وهتف " إخرس يا ولد .. الحمد لله الذي عافانا !!"

قال أحمد بغيظ " يا ابراهيم سرك انكشف .. (وأكمل باستنكار) قبّلت إلهام في فترة الخطبة!!.."

اتسعت عينا الحاج متفاجئاً وسأله " من اخبرك بهذا ؟!! .. (وهتف باستنكار) إلهام تحدثت معك في هذا الأمر ؟!!"

Des. Maryam Tamim

رد أحمد بلهجة متسلية " بل أبلغت بانة وسمعتهما .. تخيل بانة البريئة تأتي من بلدها لتسمع فضائحك"

رد الحاج مراوغا ببعض الحرج " كنا مخطوبين"

هتف أحمد باستنكار " لا يوجد عقدا شرعيا تتوفر فيه الشروط يا حاج !! "

قهقه الحاج ورفع ذراعه يلفه حول رقبة ابنه ويضغط عليها ببعض الخشونة قائلا" لا يوجد فينا ذلك الذي لم يخطئ .. أو لم يضعف يوما .. وخير الخطائين التوابون يا خفيف الظل "

شاكسه أحمد " لم تعد ذراعك قوية كالسابق يا حاج لقد نالت منك الشيخوخة "

ضغط الحاج على رقبته بشكل أقوى وأحمد يقف ملووحاَ في الشارع فقال له باختناق "لاحظ يا حاج أننا في الشارع وأن ما تفعله لا يتناسب لا مع سني ولا مع كبريائي ووقاري أمام أهل الحي .. كما أن أمي

Des. Maryam Tamim

لو علمت أننا نتشاكس في الشارع أمام الناس للطمت على وجهها لمدة اسبوع خوفا من عين الحسود "

قاطعهما صوتا باردا يقول بسماجة " ماذا تفعل به؟!! أنزل يدك عنه "

استدار الاثنان في ذهول لصاحب الصوت وقد ترك الحاج رقبة ابنه واستقام الأخير يعدل من هيئته ليعود لخيلائه .. ووقفا ينظران لبرقوق الذي يقف متخصرا يرمق الحاج بنظرة ممتعضة ..

سأله أحمد باندهاش " ماذا تريد يا برقوق "

حرك كتفيه ورد بهدوء " لا أريد شيئا .. هل تريد المساعدة ضد هذا الرجل؟ "

اتسعت عينا أحمد بغير استيعاب ثم ردد " هذا الرجل !! .. ألا تعرف الحاج سماحة والدي "

Des. Maryam Tamim

مط برقوق شفتيه وهو يتبادل نظرات بارده مع الحاج سماحة ومال باسترخاء في هيئته المتخصرة يقول" بالطبع أعرفه .. أنا أعرف كل شاردة وواردة في هذا الحي .. عموما إن كان يضايقك أخبرني وسأتصرف معه "

انعقد لسان أحمد مذهولا وتبادل النظرات مع والده ثم رد عليه بحزم " بل أنا من سيتصرف معك يا برقوق.. اذهب من أمامي الآن وانتظرني بمكانك وسآتيك بعد قليل "
قال برقوق ببرود " حسنا سأنتظرك .. وأنا أعني ما أقوله إذا تعرض لك هذا الرجل أخبرني"
وتحرك مبتعدا بمشية متهادية .. بينما جز الحاج على أسنانه وقال " تعامل مع هذا الرجل وأخرس لسانه وإلا سأدق عنقه بنفسي "
رد أحمد متحرجا " إن عقله ليس على ما يرام يا أبي .. وسأمنعه أن يتدخل فيما لا يعنيه "

Des. Maryam Tamim

رد عليه الحاج بنظرة ممتعضة " لا أقصد ما قاله الآن أقصد ما يتحدث به مع أهل الحي "
عقد أحمد حاجبيه في تساؤل وقال " ماذا يقول؟!"
رد الحاج بلهجة مستخفة " يدور في الحي و يقول أنك ابنه"
تفاجأ أحمد فأضاف الحاج وهو يربت على كتفه بنوع من التهديد " أخرس لسانه وإلا سأدق عنقه أنت تعلم أننا في حي بسيط وقد يسئ الناس فهم دعمك له رغم سماجته .. (ثم اضاف ساخرا) إن لم يكن من أجلي فمن أجل سمعة المرأة المسكينة التي أنجبتك"
جز أحمد على أسنانه يتوعد برقوق في سره بينما سأله الحاج وهو يهم بالدخول للبيت " كيف حال الجميع؟ "
عاد الوجوم لوجه أحمد ونكس رأسه مهموما وهو يقول باقتضاب " آية مريضة "
صاح الحاج بذعر " لماذا؟؟؟ ما بها ؟؟"

Des. Maryam Tamim

لم يجد أحمد مبررا يقوله لأبيه خاصة مع شعوره بالندم على أخباره آية بالأمر فقال " لا أدري ربما مضغوطة من الامتحانات النهائية "

***

بعد قليل دخل أحمد على برقوق في غرفته البسيطة في الحي فاستقبله الأخير بابتسامة سمجة أغاظت ابن سماحة أكثر فرفع قدم واحدة على المنضدة الصغيرة أمامه واستند علي فخذه بساعده وحدج برقوق الجالس على الأريكة في مواجهته بنظرة مرعبة جعلت الأخير يبلع ريقه في قلق أخفاه خلف قناع السماجة .

سأله أحمد بفحيح مرعب " بما تخبر الناس عني؟"
رد برقوق مندفعا " كل خير .. أنت حبيبي "

سأل أحمد بصرامة " ماذا تقول عن علاقتنا ؟(واكمل باستنكار) أني ابنك ؟؟؟"

[2833]

منحه برقوق ابتسامة بنية متسلية وعينان لامعتان وهو يهرش في ذقنه دون رد ..

فهدر أحمد وهو يهرش برسغه " قلنا لا تهرش أمامي ! .. (واضاف مهددا) إياك أن تحدث الناس بهذا الكلام مجددا ... فقد يلجأ البعض لتفسيرات مريضة "

سأل برقوق ببرود " مثل ماذا ؟!"

هدر أحمد بقوة فارتج صوته بجدران الغرفة " برقوق !! لا تدعي الغباء الآن أنت تفهم جيدا ما أقول "

قال برقوق وهو يهز كتفيه " إذن بماذا أخبر الناس عن علاقتي بك .. يتملكهم الفضول .. "

رد عليه أحمد ببرود " هذه مشكلتك ليست مشكلتي"

Des. Maryam Tamim

حرك برقوق مقلتيه يمينا ويسارا ثم قال متسائلاً "
أخي ؟"
رد أحمد من بين أسنانه بغيظ مكتوم" نفس
الشيء"
حرك مقلتيه مجددا يفكر ثم قال ببشاشة " أبي "

فاحمرت عينا أحمد من الغيظ أكثر وهدر " برقوق
حياتي لا تتحمل استظرافك .. إياك وهذا الحديث
مجددا (وتحرك للمغادرة وأضاف بلهجة مهددة)
وهذا أخر تحذير "

لحقه برقوق بالقول " ماذا عن .. قريبي؟!"
وقف أحمد موليه ظهره ونظر للسماء في يأس ثم
نفخ في غيظ ليرد دون أن يستدير إليه " اتفقنا .. (
وأكمل وهو يعبر الباب) .. وإياك وافتعال المشاكل
"
رد برقوق بحماس " عُلِم يا قريبي "

Des. Maryam Tamim

***

تطلعت أروى للنساء اللاتي ملأن غرفة الضيوف بشقتها محاولة رسم ابتسامة بلاستيكية على وجهها وهي تقرأ على وجوههم تعابير مختلفة ومتباينة .. فتلك السمينة ممتلئة الوجه مثلا تطالعها بشفقة وتعاطف زائدين عن الحد وهي تربت عليها من وقت لأخر محاولة إظهار مدى التعاطف مع حالتها فترسل إليها رسائل ضمنية منطوقة وغير منطوقة تحمل معان على شاكلة " أنت مسكينة كسيحة .. قلبي معك يا ابنتي .. لا تيأسي من رحمة الله "..

على عكس تلك التي تحمل طفلا على ذراعها تربت على ظهره بشكل مستمر رغم أنه نائم وتكثر من عبارات المصمصة.. بينما العجوز الممتعضة قصيرة القامة المتصدرة للمشهد والتي على ما يبدو من عائلة الشيخ عبد الرحمن.. تبدو في مزاج سوداوي وغالبا هي السبب في أنهن قد أتين في هذا

Des. Maryam Tamim

الوقت دون أي استئذان مسبق لأنها قررت أن تأتي لتقوم " بالواجب " على حسب ما ذكرت أكثر من مرة منذ حضورهن ..دون أن تنتظر للمساء في وجود عمرو لأنها تفضل النوم مبكرا.. فانصاع الجميع لرغبتها في الحضور دون موعد.. مما أغضب عمرو الذي عاد لعمله صباح اليوم بعد أن انتهت اجازة الزواج .. بينما الفتاة التي من المفترض أن تتواجد مع أروى أثناء النهار ستبدأ عملها بعد يومين فبدا عمرو قلقا وعصبيا على الهاتف رغم أنها حاولت إظهار ذلك الوجه الذي تتقنه بأن كل شيء على ما يرام .. أما باقي النسوة فكن لطيفات معها مرددين الكثير من عبارات المباركة والود .

لكن ما أثار حنق أروى رغم تصنعها البرود هي تلك الفتاة الغير مريحة سماح ابنة خال عمرو .. فلا تنكر أن الفتاه جميلة لها عينان خضراوان ووجه يملأه النمش حوله ذلك الحجاب الذي سرعان ما

Des. Maryam Tamim

خلعته بمجرد دخولها بعد أن تبادلت نظرات ذات مغزى بينها وبين والدتها الغير مريحة أيضا لاحظتها أروى بسهولة .. فتحولت الفتاة التي دخلت من الباب بحجاب مبالغ في طوله لفتاة شقراء ترتدي ملابس عصرية كثيرة الألوان واللمعان والذوق البشع من وجهة نظر أروى .. في استعراض واضح لجمالها وربما لصحتها أيضا ..ولم تغفل أروى عن نظرات الحسرة التي تطالع بها عفاف ابنة أخيها بالتوازي مع إصرار متعمد من زوجة الخال في الحديث بمبالغة عن خطيب ابنتها وحبه وهيامه بها .. وكيف أنه تذلل حتى يحصل عليها .. ومهارات ابنتها كربة منزل مستقبلية وغيرها من تصريحات التي تندرج كلها تحت عنوان " محظوظ من فاز بها ".

حاولت أروى تبادل الأحاديث معهم بلباقة ثم تحركت بكرسيها تحاول تجاهل تلك العيون

Des. Maryam Tamim

المحدقة فيها كمن يتابع استعراضا في السيرك ..
وتتحكم في التوتر الذي يتملكها منذ أن تفاجأت
بزيارتهن في غير وجود عمرو .

مهما حاولت أن تتجاهل نظراتهم .. فالشعور أن
تكون تحت المجهر خاصة وهي تملك إعاقة تمنعها
من أن تبدو أمامهم كشخص سليم .. هو شعور
قاسي ..
ورغبتها في أن تكون فخرا لعمرو أمام نساء عائلته ..
تؤلمها وهي بهذا الشكل ..

أين ثقتها في نفسها ؟ ..

لماذا تهتز هذه الثقة كلما تعلق الأمر بعمرو .. أليس
الحب يمنحك الثقة ؟؟

Des. Maryam Tamim

أم إن المبالغة في حب إنسان تجعلنا نشعر أنه يستحق الأفضل دائماً؟.

دخلت مطبخها .. وحمدت ربها أن ما تحتاجه من وسائل ضيافة ليس في الأرفف العلوية .. فوضعت بعضا من الكعك وقطع الحلوى في اطباق ووضعتها على حجرها وعادت تقدمها إليهم .. ثم عادت للمطبخ شاعرة بالاستياء أو ربما الشفقة على عفاف الجالسة بإحباط واضح على وجهها ..

فتحت باب الثلاجة وأمسكت دورق العصير وضغطت على تحكم الكرسي ببعض التوتر ليرتد الكرسي بسرعة للخلف ويصطدم بوحدة الادراج في حركة أجفلتها مما أوقع بعض الأكواب البلاستيكية من فوق وحدة الأدراج وأغرق حجرها وساقيها بالعصير رغم أنها تشبثت بالدورق حتى لا ينفلت منها .

Des. Maryam Tamim

نظرت أروى للفوضى .. ولملابسها التي تبللت بالعصير وحاولت التماسك والتحكم في غصة تخنقها بالبكاء .. وبدأت بالتعامل مع الامر بشجاعة تحاول الوصول لماسحة الأرض قبل أن تسمع صوتا ناعما غير مريحا يدلف إلى المطبخ يقول " ماذا يحدث؟ .. دعيني أساعدك "

رفعت وجهها المتعرق بعد أن كانت تحاول الانحناء بصعوبة لرفع بعض الفوضى من على الأرض لتجد تلك المدعوة سماح تطالعها بابتسامة شقراء سمجة .. وبادرت بالانحناء لململة الفوضى من الأرض .. فتكلمت أروى بحزم " أتركي كل شيء من فضلك ".

تجمدت سماح قليلا ثم تكلمت بصوتها الناعم " دعيني أساعدك يا أبلة ".

شعرت أروى بصعود الدم في رأسها ورددت في سرها " أبلة !! (ثم قالت بصرامة حين همت الفتاة

Des. Maryam Tamim

بالمساعدة) قلت أتركي كل شيء فأنا لا أحب من يدخل مطبخي .. تفضلي مع الضيفات وسآتي حالا ".

طالعتها الفتاة بنظرة مستخفة فقالت أروى بحزم " حين تتحدث (الأبلوات) يُطِعن الصغيرات "

فحدجتها سماح بغيظ وتركت المطبخ بوجه ممتقع ..

بعد قليل كانت أروى تخرج من المطبخ تحمل صينية العصير على حجرها ولم تستطع تغيير ملابسها .. فمسحت العصير عن قدميها ووضعت مفرش صغير تغطي المبلل عن ساقيها وهي تدعو الله ألا تطول الزيارة فساقيها يتجمدان بسهولة لقلة الحركة وعدم وصول الدماء إليهما بشكل طبيعي .

بمجرد خروجها للصالة أوقفت الكرسي قليلا بعد أن لاحظت وجه سماح ووالدتها الممتقع من بعيد وهمس الأخيرة ببعض الكلمات في أذن عفاف التي حدجت أروى بغيظ حين تلاقت أعينهما من هذا البعد ..

استغفرت أروى في سرها وبدأت بالتحرك بالكرسي حين رن جرس الباب مصاحبا لحركة المفتاح المتكررة دون فتحه وكأنه تنبيه قبل الدخول .. فقفزت سماح نحو الباب وكأنها صاحبة البيت لتنظر من العين السحرية ثم هتفت تتصنع المفاجأة " لقد حضر عمرو " .

وقفت أروى متسمرة في وسط الطريق تراقبها باندهاش وهي ترتدي ملابسها وحجابها بسرعة في هلع زائف لا يخلو من بعض الميوعة ثم تتوجه نحو الباب لتفتحه لعمرو الذي تفاجأ بوجودها

Des. Maryam Tamim

أمامه فكسر نظرته وهو يلقي السلام وهي ترد ببشاشة أشعرت أروى بالرغبة في ارتكاب جريمة قتل .

بمجرد أن رأى أروى تحمل صينية العصير على حجرها أسرع إليها مشفقا يطالعها بابتسامة في عينيه برغم وجهه المتحفظ في وجود الأغراب .. وأمسك بالصينية فرفضت أروى بإصرار ليسير بجانبها نحو الضيفات وهو يتنحنح قليلا قبل أن يلقي السلام ويتلقى التهاني والمباركات بوجه متحفظ وبعض الحرج..

بعد قليل تكلمت زوجة خاله تقول " مبارك يا حبيبي يا عمرو .. أنا أصريت أن آتي أنا وسماح رغم أن خطيبها كان سيزورنا اليوم على الغداء .. لكني اعتذرت له حتى نقدم لك التهاني "

Des. Maryam Tamim

تمتم عمرو بكلمات لبقة فأكملت المرأة " وأبلغ العروس أننا الآن عائلة واحدة .. فلا تشعر بالحرج من سماح إذا عرضت عليها المساعدة ولا تخرجها بعصبية من المطبخ فعفاف تعرف كيف أن سماح ماهرة في شئون البيت "

تمتمت عفاف بلهجة لم تخلو من الحسرة " ما شاء الله عليها ممتازة " .

أنزل عمرو نظراته لأروى على كرسيها فابتسمت له ابتسامة بلاستيكية خمن منها الموضوع .. فوضع يده على كتفها وتحدث بجلافة يتقنها " بالطبع أروى أصبحت من ضمن العائلة لذا عليكن التعود على طباعها فهي لا تحب التدخل فيما يخصها ..لذا أرجو مراعاة ذلك "

Des. Maryam Tamim

امتقع وجه زوجة خاله بينما حدجته أمه بنظرة غيظ لم تستطيع إخفاءها أمام الضيفات .

بعد قليل تنفست أروى الصعداء بعد أن غادرت الضيفات ومعهن والدته لحسن حظ أروى لأنها ستستضيف بعضا منهن في شقتها وإلا لربما ظلت بقية اليوم مع عمرو أو طلبت منه إيصالها لشقتها.

تحرك نحوها يقول " هل أنت بخير يا أروى ؟"
ابتسمت له في غيظ وسألت " من هذه المرأة الشابة التي قبلتك على خدك ؟"
فرفع حاجبا متفاجئا وقال " هذه عمتي "
رفعت إليه أنظارها بتساؤل ثم أنزلتها حين جلس على الأريكة أمام كرسيها يقول بابتسامة متسلية " إنها عمتي فعلا وهي ليست شابة كما تظنين .. إنها فوق الأربعين "

Des. Maryam Tamim

مطت أروى شفتيها فطالعها متفحصا فتكتفت
تقول " لم أكن أعلم أن عيناها خضراء "
عقد عمرو حاجباه وقال " حقا ! .. لم ألحظ أن
عمتي فاتن عيناها خضراء !"
ردت أروى بغيظ" اقصد سماح .. لم تخبرني أنها
جميلة وشقراء "
رد ببرود " حقا جميلة !.. لم ألحظ ذلك أيضا"

حدجته بنظرة مغتاظة فضحك وقال" ماذا حدث
يا أروتي؟"
أجابت بغيظ " ألم ترى تلك البشاشة السمجة التي
استقبلتك بها سماح الشقراء"
سألها بمكر " وهل ضايقك هذا "
جزت على أسنانها ثم قالت " ضايقني !! لقد
شعرت برغبة ملحة في الإطاحة بأكواب العصير
كوب بعد كوب في وجهها كلاعبي رياضة رمي الجُلّة
ثم ألحق بهم الصينية بنفس الطريقة"

Des. Maryam Tamim

أطلق ضحكته الصبيانية ثم مال يطبع قبلة على خدها وهو يهمس" ولمَ كل هذا يا حبيبة عمرو؟"
ضيقت عيناها وسألته " كم عمرها؟"
رد مراوغا " من ؟ عمتي ؟ (فأطلقت زمجرة غيظ ليرد بسرعة) أربعة وعشرون سنة تقريبا "
قالت بغيظ " تحفظ عمرها بسهولة"

حرك مقلتيه قليلا يفكر في اجابة مناسبة ثم رد "لأنها ابنة خالي .. عموما لم أتوقع أبدا أن تنجح في استفزازك بهذا الشكل "
قوست أروى شفتاها لأسفل فجأة كالأطفال وقالت ببؤس " لقد قالت لي يا (أبلة)"

فاتسعت عيناه لثوان يحدق في تعابير وجهها الطفولية الكوميدية ثم رنت ضحكته فازدادت وسامته المعذبة أمام عينيها .

Des. Maryam Tamim

سحبته أروى من ياقة قميصه بغيظ تقرب وجهها من وجهه فهدأت ضحكاته وهو يتطلع في عينيها ويمس شفتيها مسا خفيفا بشفتيه بينما هي تتمتم "أقول لك تدعوني بالأبلة وأنت تضحك "

رد بهمس ووهج الجمرات يزداد اشتعالا "وما المشكلة يا أبلة "

قالت وهي تأكل ملامحه بعينيها وأنفاسه ولحيته يفعلون بها الأفاعيل " لا يعجب الأبلة أن تنظر إليك تلك السمجة أبدا ..وستجن الأبلة بسبب وسامتك التي تزداد يوما بعد يوم "

رد أمام شفتيها بكلمات متقطعة تفصلها قبلات رقيقة على شفتيها " معك .. حق .. هذا .. أمر .. غير .. مقبول .. وعلي .. أن .. أتصرف فيه " ..

وبدأ بفتح أزرار قميصه فسألته بابتسامة خجلة "علام تنوي بالضبط ؟"

[2849]

رد وهو يسحب كفها لتلمس صدره العاري "سأقدم اعتذارات عاجلة حالا تليق بالأبلة "

تلمست صدره قليلا تشعر بارتجاف عضلاته تحت أصابعها وتسمع أنفاسه وقد بدأت تتسارع وتيرتها بينما أخرجها هو من كرسيها بمهارة بات يتقنها ليجلسها على حجره فأطلقت تلك الصرخة المبتورة التي تطلقها كلما تفاجأت فهمس مهددا أمام شفتيها " بتلك الصرخة المائعة ستجعلينه اعتذارا عنيفا يا أبلة "
همست بدلال " أصبحت شقيا ووقحا "

رد بأنفاس لاهثة ويده التي اندست بين ملابسها تلقي التحية على تفاصيلها " أنت لا تدركين الوضع يا أروى ..حقا أنت لا تدركين لأي مدى أنت توصليني للجنون .. تدخليني في عوالم سحرية تشعرني أني أول وآخر الذكور على هذا الكوكب.. "

Des. Maryam Tamim

تأملت انعكاس صورتها في سواد عينيه وردت وهي تتحسس صدره ورقبته " هذا أمر مفروغ منه فأنت كذلك بالفعل يا روح الأبلة "

انقض على شفتيها يطبق عليهما بعنف ويميل بها للخلف نحو الأريكة بعد أن نفخت في الجمر فازداد استعارا .. ثم قطع قبلته المحمومة ليسألها بأنفاس لاهثة "ظهرك ؟"

لم ترد ولكن بادرت هي بالهجوم على شفتيه محكمة ذراعيها حول عنقه فبدأ بالتخلص من ملابسه قبل أن يمددها على الأريكة دون أن يترك لها مجالا للتنفس إلا عندنا لمست يداه أثناء جولتها ملابسها المبللة ليطلق سراح شفتيها وينظر لملابسها بذهول وعلامات استفهام ..فاتسعت عيناها بحرج معقودة اللسان ..

Des. Maryam Tamim

فرك عمرو أصابعه يقول "ما هذا البلل اللزق ..
وكأن به سكر !!"
ضغطت على شفتيها ثم ردت بحرج " انسكب
العصير مني وأنا اقدمه للضيوف ولم أستطع تبديل
ملابسي ..أنت تعلم كنت بمفردي وسآخذ وقتا في
التبديل ..فوضعت المفرش على مؤقتا"

اعتصر الألم قلبه وقاوم شعور بالشفقة عليها وقال
"ولكن بهذا الشكل ستبردين يا أروى "

حاولت النهوض من استلقائها وهي تقول "ساعدني
أعود للكرسي سأبدل ملابسي بسرعة "
أعادها برفق لتستلقي على الأريكة وهو يسأل
بملامح غامضة " عصير ماذا ؟"

ردت بعدم فهم " برتقال .. عصير برتقال "

Des. Maryam Tamim

لمعت عيناه وبدأ في التخلص من ملابسها المبللة وهو يهمس بجانب رقبتها بأنفاس ملتهبة " أنا أعشق البرتقال " .
صدرت منها همهمات معترضة فهاجمها بشفتيه بعنف يخرس اعتراضها.. وحين أعطاها الفرصة لتتنفس هتفت موبخة" عمرو ماذا تفعل ؟!! دعني أغتسل وأبدل ملابسي أولا "

رد عليها قبل أن يهجم على شفتيها بعنف مرة أخرى وقد تحولت دماؤه لجمر سائل" علي الاطلاع بنفسي على حجم الضرر الذي ألحقه بك العصير .. لأحدد بالضبط شكل الاعتذار الذي يليق بالأبلة التي ستفقدني عقلي يوما ما "
***
مسحت على ذراعه العضلي فربت على يدها يقول مطمئنا " أنا بخير يا بسمة لا تقلقي "

Des. Maryam Tamim

نظرت إليه بعينيها الجميلتين تقول " الطبيب يقول إذا ما استقر ضغطك بهذا الشكل .. ستخرج قريبا"

ابتسم لها دون رد .. فقالت " عليك بالاستمرار في الراحة عندما تخرج ولا تجهد نفسك في العمل كثيرا "

رد عليها بهدوء " لا أستطيع يا بسمة .. فالكثير من الاعمال مؤجلة بسبب مكوثي هنا .. وحين أخرج ستكون فترة ضاغطة جدا "

همست باعتراض " ولكن ".

فسحبها من يدها وأجلسها بجانبه على السرير

يقول " لا تقلقي العمل لا يؤثر على صحتي (وأضاف بلهجة ذات مغزى) بل إنه يغرقني فيه فلا ألتفت لأي شيء آخر ".

Des. Maryam Tamim

امتقع وجهها فأضاف مشفقا " أعدك أن نذهب في رحلة ثلاثتنا بعد ذلك .. بل إني طلبت من أخيك أن يبحث لنا عن بيت نشتريه في بلدتكم لنقيم فيه الفترات التي ليس لدى عمل فيها ".

هتفت بسعادة " صدقاً .. صدقاً يا سيد سيكون لنا بيتا وستعيش فيه هناك بين أبي وأمي ! "

ابتسم وقال " إن شاء الله سنقسم حياتنا للعيش بين العاصمة وبلدكم .. حسب جدول أعمالي وجدول محاضرات رحمة "

استدارت بسمة لرحمة الجالسة بهدوء في أخر الغرفة وصاحت كالأطفال " ستعجبك بلدتنا يا رحمة المدن الصغيرة لها مميزات كثيرة عن العاصمة "

أعطتها رحمة ابتسامة مجاملة وردت " أعلم جيدا .. فقد عشت في مدينة صغيرة ".

Des. Maryam Tamim

عادت بسمة لسيد تعقد ذراعيها حول عنقه وتقول
" شكرا يا سيد شكرا "
ربت علي ظهرها بهدوء فقالت "بعد قليل سأذهب للبيت أغير ملابسي وأطبخ لك طعاماً تحبه فقد سمح الطبيب بذلك "
سألها بقلق" كيف ستذهبين وحدك ؟"
ردت " الاستاذ وائل كلف شخصا بسيارة تحت طلبي حين أريد التحرك من وإلى المستشفى (فأومأ برأسه بإجهاد فاستدارت لرحمة) ألن تأتي معي يا رحمة ؟"
ردت عليها بهدوء " سأجلس مع أخي قليلا"

بعد أن غادرت بسمة أراح سيد رأسه للخلف يغمض عينيه يشعر بالارتباك والحيرة ..
النزاع طاحن بين قلبه وضميره .. وصدى كلمات آية مازال يمزقه .. والحقيقة التي علمها مؤخرا يحاول أن يتعامل معها بتماسك رغم أنها تذبحه ..

Des. Maryam Tamim

لكنه يعلم جيدا أن الأوان قد فات .. وأن على الصغيرة ألا تعرف شيئا .. فلا معرفتها ستفيدها بشيء سوى المزيد من الآلام .. ولا بمعرفتها سيتغير الوضع بينهما .. فمازالت بسمة تحول بينهما ..

أما الشعور بالندم فيقتات عليه .. ينهشه نهشا ولا يجد سبيلا للراحة ..
وتساؤل يلح عليه بإصرار " لماذا يحدث معه ذلك؟
لم الحرمان عنوانا لحياته ؟..
لم عليه أن يعرف في هذا التوقيت بالذات أن صغيرته تحبه .. بل تعشقه .. وتتعذب بسببه ؟.

فتح عينيه حين شعر برحمة تحكم عليه الأغطية فسألها " لم تتعاملين ببرود مع بسمة ؟"

Des. Maryam Tamim

مطت شفتاها وقالت " مادامت لا تسعدك وتقف في طريق سعادتك فلن أستطيع مجاملتها وادعاء محبتي لها "

سألها مستفهما " ماذا تقصدين بإسعادي والوقوف في طريق سعادتي ؟"

تكتفت أمامه بعد أن رفعت خصلة مائلة للحمرة خلف أذنها وقالت " أنا أعرف كل شيء يا سيد (ابتلع ريقه وطالعها مترقبا فأكملت) حين دخلت بيتك لأول مرة لاحظت العلاقة بينكما .. أنت تتعامل معها كمن يجامل شخصا .. كمن يتصنع اللباقة مع ضيفا او شخصا غريبا عنه .. في البداية قلت ربما لم تتزوجا زواجا رومانسيا لكن الأمر لم يشبه حتى الزواج العادي .. على الرغم من تعاملك معها بلباقة أو بشعور بالذنب كما قلت .. وحين اقتربت منك أكثر .. وتعرفت على طريقتك في التعامل مع من يملكون قلبك .. ورأيتك وأنت تدللني وتشاكسني وتستفزني .. وكيف تفضل

Des. Maryam Tamim

إيقاظي في منتصف الليل شاعرا بالوحدة كطفل يحتاج للصحبة .. نسهر طوال الليل نخترع أكلات غريبة نأكل ونتسامر .. تسمع قصصي عن حياتي السابقة وتحكي لي قصصك المؤلمة .. علمت أن بسمة لم تنجح في إشعارك بالرفقة الدافئة الذي تنشدها .. حتى حين كانت تنضم إلى هسترتنا الليلية وتشاركنا حفلة السمر .. كنت أشعر باغترابك عنها ..رغم حنانك الفطري تجاه كل من هو ضعيف .. لكنه كان واضحا أنه رد فعل إنساني خالي من الشغف ".

تطلع إليها متفاجئا من قدرتها على قراءة الوضع بينه وبين بسمة .. بينما ابتلعت رحمة ريقها وأكملت " وفي المرات القليلة التي شاهدتك فيها مع تلك المجنونة آية .. كنت أرى جيدا ذلك الشغف الذي بعينيك تجاهها .. بنظرة أستطيع ملاحظة وتحليل ذلك بسهولة .. فربما كنت بطيئة

Des. Maryam Tamim

الفهم فيما يخص الكتب والدراسة لكني أستطيع فهم المشاعر جيدا .. وما رأيته منك كان سهلا أن أفهم من خلاله ماذا تفعل بك تلك الفتاة .. وكيف تتحول لطفل صغير أمامها .. وكيف تتسلل تحت جلدك في لحظة وتتحكم بكل ما فيك .. ببساطة فهمت أن قلبك في يدها .. وحزنت أن أراك عالقا في المنتصف بين الاثنتين .. وحين تواجهت أنت وبسمة في تلك الليلة تأكدت من احساسي بعد أن سمعت صوتكما العالي .. واشفقت على كليكما .. لكني كنت متفائلة أن هذه المصارحة ربما طريقك للخلاص .. وتفاجأت حين قررت بسمة الاستمرار معك مستغلة شهامتك واحساسك بالذنب .. فشعرت بالتمزق بين محبتي لك وتعاطفي معها "

مسد سيد على شعرها بحنان وقال " لدينا دكتورة في تحليل المشاعر إذن.. لكن أليس عليك التعاطف

Des. Maryam Tamim

مع انثى مثلك وإدانتي أنا.. فأنا المخطئ وأنا من عليه كل الذنب "

ردت بجدية " قلت لك أنا لا أنكر أني ممزقة بين تعاطفي معها كأنثى مثلي وبين حبي لك ورغبتي في أن تتخلص من عذابك .. لكني لا أستطيع أن أكون ضدك بعد أن عرفتك وفهمت ما حدث .. وأرى أن كل منا له قدره .. ومادام من آذاني لم يكن متعمدا فعلي أن أتقبل قدري .. كما لو كنت أسير في طريق فرماني شخصا بحجر فأصابني دون قصد منه وقتها سأفوض أمري لله .. وسأكف عن الانتقام ما دمت قد تأكدت أنه لم يتعمد ."

رد عليها سيد " لكن هذا الشخص عليه أن يتحمل جزء من ذنبه أن أصاب شخصاً آخر بالخطأ"

ردت " ومن منا لا يخطئ يا سيد فلا تحمل نفسك أكثر من طاقتها "

فتنهد بقوة يقول " لكن يظل يحمل ذلك الذنب في رقبته "

Des. Maryam Tamim

أطرقت برأسها في حزن عميق تتمتم" قلبي يؤلمني عليك فلا أستطيع أن أنظر للأمر بحياد .. كما يؤلمني على تلك النارية أيضا "

نظر إليها باهتمام وهم بسؤالها إن كانت سمعت أي شيء أيضا لكن رحمة بادرته بالقول " لا تقل أنك لا تعلم أنها تحبك !!.. إنها تأكلك بعينيها كلما رأتك .. تتحول لنمرة شرسة راغبة في مهاجمة أي أنثى تقترب منك حتى زهرة الصغيرة (ذبح الألم قلبه وازداد جرحه نزفا بينما أكملت رحمة) أنا أتعجب كيف سمحت لك بالزواج من غيرها ؟.. إلا إذا بدأت تحبك بعد زواجك .. فشخص عصبي شرس مثلها كبت مشاعره أمر معذب قليل إن أمرضه " .

غرز سيد أصابعه في شعره يغمض عيناه بآلام مبرحة وهو يقول " كفى يا رحمة كفى بالله عليك لا تغرزي اصابعك في جرحي "

[2862]

مسدت على كتفه ومالت تقبل رأسه قائلة" دع أمرك لله .. بابا محفوظ كان يقول لي عند كل أزمة (ما ضاقت إلا ما فرجت وكنت أحسبها ألا تفرج).. فصف نيتك لله "

تمتم بخفوت " يبدو أن زوج والدتك هذا كان رجلا ذا قامة كبيرة كأبي الحاج سماحة .. لم أقابل فتاة تحترم زوج والدتها كما تتكلمين عن محفوظ"

لمعت عيناها بالدموع وردت بتأثر " لم أعرف أبا سواه .. وحين قابلت خليل أدركت أكثر كيف كان الله بي رحيما "

تمتم سيد في حنق " يا خليل ! .. تنجب الأولاد .. ليربيهم رجال آخرين .. كيف تُترك دون عقاب لا أفهم ! "

***

"إنه يشعر بالذنب تجاه زوجته لذا لن يستطيع تطليقها إلا إذا هي من طلبت الطلاق .. وأنت

[2863]



تربكينه كلما تشخصت أمامه .. لا أطلب منك سوى بعضا من النضج والمسئولية والاختفاء من حياته. "

"أنا أحبك.. يا سيد صبرة .."

ما هذا العبث ! .

أهذه مزحة سخيفة ! .

كيف للضحكات أن يكون طعمها مرا .

كيف يزفون لها خبرا سعيدا بصفعة على وجهها

كيف يشعرونها بالسعادة والحزن في نفس اللحظة!.

يشعرونها بالراحة والوجع في نفس اللحظة !.

يشعرونها بالتقدير والاحتقار في نفس اللحظة !.

بالبداية والنهاية !.

بالحياة والموت !.

كله في نفس اللحظة !!..

[2864]



أهو أمر عادي في عالم الكبار وعليها أن تعتاده؟
أم يعاقبونها ؟!!..
أجل يعاقبونها لأنها أحبته ..
لكن ..
أليسوا كبارا ليفهموا أن القلب ليس عليه سلطان!.
أليسوا كبارا ليفهموا أنها لو خيرت لما اختارت أن تغرس قدميها في تلك المصيدة التي اطبقت عليها وأعاقتها للأبد!.
أليسوا كبارا ليدركوا أنها تعبت من اللهاث خلفه!..
تعبت من استجداء اهتمامه ..
من كبت مشاعرها .. وغيرتها .. وأشوقها .. وعذابها ..
أليسوا كبارا ليستوعبوا أنها لم تختار التعلق بقدميه وإنما قلبها من فعل !..
أليسوا كبارا على أن يعاقبوا قلبها على ذنب ليس له يد فيه .
أهذه هي الحياة !

[2865]





أهذا هو النضج !
لا ..
بل هي قسوة ..
أن تدرك أنك كنت طوال الوقت غبيا مخدوعا ولا تستحق لأن تعرف الحقيقة ..
هي قسوة ..

أن تدرك أنك ورطة .. مأزق .. عنوان خاطئ ..
حبيب غير مرغوب فيه في حياة أحدهم ..
هي قسوة..

سيد يحبها ؟ ..
يحبها كامرأة ! .. ينظر إليها كامرأة ! .. يشعر بها كامرأة ! ..
لدرجة أن يتنازل أحمد ويتوسل إليها !!! ..

أيجب أن تضحك أم تبكي ..

[2866]

تهلل أم تصرخ ..
تذهب إليه لترتمي في حضنه ..
أم..
تطلق عليه الرصاص . !

***

" لماذا؟؟؟؟؟ .. إن كان لديك تفسيرا آتني به فقد تعبت من هذا السؤال طيلة حياتي وتعبت من اللهاث وراء الإجابة التي لم أصل إليها بعد .. "

تطلع إليه عمرو يتأمل وجه المرهق في زي المرضى الذي يتناقض مع هيئته الضخمة مستندا لسور حديقة المستشفى..

لم يجلس لحظة واحدة منذ أن نزلوا لاستنشاق الهواء بعيدا عن جو الغرفة الخانق .. فسأله بهدوء
" لماذا ماذا ؟"

[2867]

رد سيد بارتباك لم يعهده به ونظرات مهزوزة " لمَ يحدث معي هذا أنا بالذات ؟ !!..
لمَ قدري أن أكون ابن خليل؟!! ..
لمَ أمي تركتني ورحلت ؟!!..
لمَ لم أجد أبا ولا أما في حياتي ولم أحظى بحياة عادية مثل ملايين البشر على هذا الكوكب ؟!!.. لم أنا تعس الحظ ؟!!..

ألديك إجابة .. كيف يُترك خليل يتمادى ويفلت بفعلته معي ومع هذا تزداد أمواله وبناته ..
وأنا ..
أنا أظل محروما .. وأخرج من حرمان لحرمان!! ..
حتى الفتاة التي أحببتها وأحبتني كل الظروف تحرمني منها .. هل هذا عدل ؟.. هل خلقني ليعذبني ؟ .. وبرغم هذا يمنعني من الانتحار !! وإلا أموت كافرا .. (علا صوته ليهدر بعنف وكأنه يهدده) تكلم يا عمرو !!"

[2868]

ابتلع عمرو طعما مرا في حلقه مقاوما ذلك الشعور الخانق الذي يقبض صدره حزنا على حال صاحبه ورد " استغفر الله العظيم .. هلا هدأت وحاسبت نفسك على ما تتفوه به ! "

رد عليه سيد ساخرا " ستضاف إلى مجمل ذنوبي .. أنا حتى صرت محروما من الجنة بعد مماتي أرأيت وضعا أسوأ من هذا "
رد عمرو بصرامة " لا تتهاون بالذنوب هكذا وتتشدق بها هنا وهناك .. حتى ولو كنت تحمل جبالا منها فوق ظهرك.. فربما تراجعت عن القيام بذنب صغير كان هو الفارق بينك وبين جهنم "

فرك سيد جبينه عاجز عن التفكير بينما وائل الجالس بعيدا قليلا عنهما يدخن سيجارته في حديقة المستشفى في صمت يستمع دون تعليق

Des. Maryam Tamim

ومريم تلتصق بذراعه وتربت على ظهره من حين لآخر مشجعة .

استكمل عمرو حديثه " تقول لماذا ؟ .. إذن سأسألك أنا أيضا لماذا ؟ ..

لماذا لا تغير نظرتك للأمور ..
لماذا لا تنظر الى نقاط القوة في حياتك..
أنظر لما أخذت أنت لا ما حرمت منه ..
انظر لاحتواء الناس لك وانت صغير ..
انظر لمكانتك عند آل سماحة وحدثني .. من وضع في قلوبهم محبتك دون سبب وجيه؟!!..

أنظر للخالة إلهام كيف تتعامل معك وكأنك خرجت من رحمها هي .. أحيانا حين أشاهدكما معنا أندهش من تلك العلاقة التي تربطكما ببعض..

Des. Maryam Tamim

أنظر للقلوب الدافئة من حولك يا سيد في زمن توحشت فيه الماديات وندرة فيه القلوب الدافئة والنوايا الصادقة ..

أنظر لنا نحن أصحابك .. واسأل نفسك كيف استفدت من وجودنا في حياتك .. أسأل نفسك وأنا متأكد أن الإجابة فيها الكثير .. (خشى أن يكون فظا فحاول الاستدراك) أنا لا أقصد بهذا الكلام عنا وعن وعلاقتنا أنها كنوع من المن عليك .. كل منا ساند الآخر .. كل منا استفاد من ارتباطنا هذا ما قصدته ..

صمت قليلا يحاول ترتيب أفكاره ثم أكمل لسيد الذي يركز نظراته أرضا في صمت " لماذا لم تقارن ما وصلت اليه وكيف أصبحت وما وصل إليه حموءة الذي بالمناسبة عاش بين أبوين و حرمت أنت منهم ..؟!! ..

Des. Maryam Tamim

لماذا لم تفكر في أن ابتعادك عن خليل رغم قسوته وحرمانك منه رحمة بك من أن تشب من كنفه متشبعا بأفكاره كنسخة قميئة منه.. وقتها لم تكن أبدا ستحظى لا بآل سماحة ولا بوائل ولا بعمرو إلى جوارك ..

لماذا لم ترى ذلك فضلا ورحمة ؟

انظر لحالك في عالم الموسيقى التي هي الحياة بالنسبة لك .. وأين وصلت فيها في عامين فقط بشكل بات يتحدث عنه الجميع .. وأجبني .. هل هذا يحدث مع غيرك في هذا المجال المليء بالمنافسة؟!.."

تطلع وائل لمريم في صمت يخاطرها بذهنه " لديه بعضا من المنطق هذا الفتى .. أنا أحبه "

Des. Maryam Tamim

مالت عليه في دلال تمنحه ابتسامة مائعة أعادت النبض إلى قلبه وقالت " أنا ايضا أحبه كثيرا هذا الـ عمرو "

عبس يقول " إياك والعبث إنه متزوج "

أطلقت ضحكة متسلية ثم قالت " وأنت أيضا متزوج ! "

ابتلع ريقه ورد متأثرا " لكني أحبك أنت والقلب ليس عليه سلطان "

تحركت مريم تلملم فستانها الاصفر القصير المرقط بالفراشات البيضاء وراقبها وهي تقف بعيدا بجوار الشجرة وترفع ذراعيها بشقاوة لا مبالية قائلة " إذن مادام القلب ليس عليه سلطان فمن الوارد أن أحب عمرو .. كما يحب سيد آية وهو متزوج من بسمة (ثم استدركت بلهجة ذات مغزى) ويحق لماجدة أيضا أن تحب غيرك .. أعتقد أنها أكثر من يحتاج لهذا الحب "

Des. Maryam Tamim

ابتلع شعورا غير مريح لم يدري لمَ.. هل بسبب ذكر سيرة ماجدة أم بسبب ما ذكرته عن حقها في أن تحب فتمتم باقتضاب " فلتفعل ما تريد"

انتبه مجددا لعمرو الذي استقام ليواجه سيد ويضيف " تتحدث عن خليل وتستنكر جبروته ! لمَ لم تقل أن الله يعطيه كل القوة والعمر لأن يتمادى وتكثر ذنوبه ..(أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُون.. صدق الله العظيم)

لم لم تنظر للأمر من هذه الزاوية ها ؟ فما أؤمن به أن هناك ثوابا مؤجل وهناك عقابا مؤجل ..

(وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ صدق الله العظيم ..)

كلمة(لماذا) اذا كثُرت ستُهلكنا يا سيد (واستدرك يقول) ولا أقصد ألا تبحث في الاسباب .. ولكن أن تكون هي غايتنا .. أن تعطلنا عن مسيرتنا في الحياة .. أن تتحول من وسيلة للوصول لفلسفة الحياة لغاية في حد ذاتها دون هدف واضح .. أن تتحول لحفرة تستقطب كل ما تمنيناه ولم يحدث .. وتربطنا بجانبها عن المضي في حياتنا لنحدق فيها وهي تكبر وتكبر أمامنا .. (صمت قليلا وملأ صدره بالهواء يغطي على الشعور بالألم تجاهه)

أتعلم ؟ .. أحيانا نتلذذ بالشعور بالشفقة على أنفسنا لدرجة أننا نتمسك بدور الضحية باستماته غير راغبين سوى بالتحديق في تلك الحفرة التي تكبر وتكبر .. فقط لنثبت لأنفسنا وللآخرين أننا كنا على حق .. أننا (ضحايا) ... (اعتدل في وقفته وحدق في الأرض صامتا لثوان ثم أضاف) اذا تركنا فرصة لكلمة (لماذا) فكل منا عنده ما يفتقده أو ما كان يتمناه من حياة أخرى فنحن بشر في النهاية ..

Des. Maryam Tamim

أنا مثلا .. لو أعطيت مجالاً لكلمة (لماذا) سأقول .. لماذا أمي ليست أقل هوساً وتعلقاً بي ؟ .. لماذا لم تتاح لي مثل الكثيرين فرص للحركة والانطلاق دون أي احساس بالذنب تجاه أمي .. ودون أن أخشى أن تمرض من قلقها علي؟ ..

لماذا لم أحقق حلمي بأن أصبح بطلا عالمياً في التايكوندو .. وأنت تعرف جيدا أني كنت مؤهلا لذلك وبقوة .. (ارتعش صوته يقول ببعض الحزن) أنا لن أنسى حسرتي حين اضطررت أن أترك التايكوندو وكل طموحاتي في هذه اللعبة لأن أمي أصيبت بجلطة كما تعلم حين أصبت إصابة بالغة في مباراة .. أنت تذكر جيدا كيف كان الأمر صعبا علي أن اعتذر عن تمثيل البلاد في الأولمبياد .. تخيل أن تكون مرشحا بقوة وتعتذر بنفسك وتغلق الباب أمام كل المحاولين لإقناعك ..تخيل مشاعرك أن يتصل وزير الرياضة بنفسه ليقنع أبي الذي حاول مع أمي كثيرا وأدعت الموافقة صاغرة ثم

Des. Maryam Tamim

مرضت دون إرادة منها فاعتذرتُ عن المشاركة في آخر لحظة رفقا بها وأعلنت الاعتزال تماما لأريحها .. تخيل هذا الشعور !!..

سأقول لماذا لم أحقق حلمي الكبير في أن أصبح طيارا؟!! .. أنسيت أحلامي وهوسي بأن أصبح طيارا يا سيد !! .. أنسيت كيف غيرت الكلية من الطيران للهندسة رغم اجتيازي لجميع اختبارات القبول بسبب أمي ومخاوفها !.. مازلت كلما سمعت صوت طائرة في السماء قلبي يرفرف لذلك الحلم القديم !..

سأقول لماذا ضاع من عمري وعمر أروى ما يقرب من عشر سنين كان من الممكن أن نكون نربي أولادنا الآن .. تخيل أن تحب فتاة هي لك اختصارا لكل النساء وتمحوها قسرا من إدراكك لمعرفتك أن وضعها الصحي سيحبط والدتك وتظل تحبها كالغبي وأنت لا تعي ذلك ..

Des. Maryam Tamim

تخيل لو لم تحرك أروى المياه الراكدة بداخلي ماذا سيكون شعوري عندما أصل في إدراك متأخر لمشاعري لأجد أروى تحمل اسم رجل آخر (دعك جبينه بتوتر وأكمل) كلما لاحت هذه الفكرة في ذهني لا أعرف كيف أصف لك شعوري .. شعور قاتل ..

سأقول لماذا علي أن اجرب الشعور بأني مقصر في حق والدتي والسبب في كسر نفسها وإحباطها لأني مارست أبسط حقوقي في الحياة وتزوجت الفتاة التي أحبها ؟!

سأقول لماذا علي أن أخوض معارك نفسية لإيجاد حلولا ابتكارية لأرضي والدتي بدون أن ينتقص هذا من رجولتي أمام زوجتي ..؟!

Des. Maryam Tamim

كل منا لديها أعدادا هائلة من (لماذا) يا صديقي ..
لكن كل هذا لا يجعلنا ننزلق نحو الكفر بالله
وبالقدر ..
اذا كرسنا طاقتنا في البحث عن الأسباب في اقدارنا
لقضينا عمرنا كله دون أن نفعل شيئا نكسب به
آخرتنا ودون أن نعيش ..(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ
شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ
نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا صدق الله العظيم)"

تكلم سيد ساخرا" وكأن إدراكي لما تقول سيمحو
الأوجاع من داخلي !!"

رد عمرو بهدوء " أنا لم أقل لا تشعر بالألم .. ولا
تتوجع .. وليس بيدي خلطة سحرية لك لأمحو بها
وجعك .. لكن إذا كان بسؤالك هذا تسألني
النصيحة .. فأنا أنصحك بأن تغير نظرتك للأمور

Des. Maryam Tamim

وترى حياتك من زاوية أخرى .. وأن تصبر
وتحتسب .. وما عند الله لا يضيع أبدا "

قال سيد بلهجة معذبة " لكني كنت أنتظر أن أنال
قدرا من السعادة بعد كل هذا الحرمان !!.. قدراً من
الراحة .. أن أرزق بامرأة تسعدني ".

رد عمرو بهدوء " في يقيني.. أرى أنك ضيعت عليك
جزاءك وراحة بالك بارتكابك الكبائر كالزنا"

أجفل سيد من هذا التصريح ثم سأله بعدم
استيعاب
" هل يعاقبني ؟؟؟"

رد عمرو بهدوء " هو كما تعتقد أنت "
سأله سيد بقلة صبر " ماذا تعني ؟!!"

Des. Maryam Tamim

رد عمرو مفسرا " إن كنت تثق في عذابه فستراه عقابا وإن كنت تثق في رحمته فستراه تطهيرا لذنوبك وستشعر بالامتنان لأنه يطهرك قبل أن تلقاه "..

حدق سيد قليلا في الأرض بنظرات زائغة يحاول استيعاب هذا التعقيد ثم تمتم " لكني توقفت عن تلك الأمور منذ مدة "

سأله عمرو " توقفت لابتغاء مرضاة الله بندم وتوبة أم لأسباب أخرى ؟ .. هذا الأمر ليس هينا يا سيد وعليك التوبة إن كنت تبتغي مرضاته .. وتذكر أني نصحتك مرارا في هذا الجانب "

رد سيد بانفعال يقاوم ذلك الشعور الغريب من عدم الراحة الذي نما بداخله " وكنت أنت الجيد

Des. Maryam Tamim

المستقيم لأنك ابن الشيخ ففعلت ما يليق بك..
وأنا ابن خليل ففعلت ما يليق بي "

صاح عمرو بانفعال مماثل " هذا كلام أنت نفسك لا تقتنع به ..فلا تهذي !!..أنا لا أملك أي ضمانة لدخولي الجنة لأن أبي شيخا ! .. ماذا سيفيدني الشيخ إذا ما ضللت عن الطريق !! .. يقولون في المثل (يخلق من ظهر العالم فاسد) وأنا أقول لك (ويخلق من ظهر الفاسد عالم) ..

ثم أكمل بلهجة أقل انفعالا " لو ما تقول صحيحا لمَ لم تشب كنسخة من خليل؟؟.. لمَ اجتهدت كثيرا وقومت نفسك ومنعت نفسك من الانزلاق ونجحت أن تكون نموذجا مشرفا لطفل كانت بدايته في الشارع .. فلا تقول ابن الشيخ وابن خليل .. !!

Des. Maryam Tamim

و لا تنكر أن صورة خليل كانت محفزا لك أن تصبح أفضل منه .. أن تتجنب ما وجدته فيه من عيوب وقصور .. أما ما انجرفت فيه من كبائر فكان لأنه لاقى هوى في نفسك .. فلا تهذى وتقول لأنك ابن فلان وأنا ابن فلان.. فلن يفيدني الشيخ ولن يضرك خليل في النهاية .. لكل منا طريقه وحده ..(وَكُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ. صدق الله العظيم) ..

مجدد سأقول لك غير نظرتك للأمور .. أنت مثلا ترى نفسك ضحية .. لكن لو سألتني عن رأيي فيك أنا أراك بطلا ينقصك فقط الالتزام الديني .. القناعات تغير زاوية الرؤية يا صديقي . "

تطلع وائل لمريم التي ترفع إبهامها ناحية عمرو معجبه ثم استدار لهما حين سأله سيد بهدوء " وهل إذا ما تطهرت سأنال ما أتمنى ؟"

Des. Maryam Tamim

رد عمرو يحرك كتفيه " إن كنت ستفعل من أجل نيل أمورا دنيوية قد تتحقق وقد لا تتحقق .. لأن الله قد يمنع عنا بعض الأمنيات لأن فيها ما سيؤذينا وهو بكل شيء عليم .. وإن كنت ستفعل من أجل آخرتك فثق أنك ستنال ما تريد وأكثر بإذن الله تعالى .."

سأله سيد بشرود " وكيف أقضي ديني هذا الذي تتحدث عنه ؟"

رد عمرو بهدوء " اعترف بالخطأ وتب إلى الله وألح في طلب الغفران .. وافعل ما يرضي الله .. جدد علاقتك مع الله يا سيد .. وادخل في حماة وأشكره أن بعث لك الحاج سماحة ينتشلك من الضياع .. أشكره أنك لست ممددا الآن في أرض خربة تحقن نفسك بمخدر .. أو تفر هاربا من أحكام بالسجن .. تيقن من عدل الله العادل في

Des. Maryam Tamim

الدنيا والآخرة .. فكلنا سنحاكم لا محالة .. فهل أنت جاهز للسؤال أمامه ؟"

أطرق سيد أرضا وزفر زفرة حارة متوجعة وتساءل " لكني ضعيف وهو عظيم كيف يعاقبني بالحرمان منها وهو يعلم علم اليقن أنها لي الحياة نفسها ! "

أعتصر الألم قلب عمرو وهو يتذكر التصريح الذي أخبره به سيد عند بداية الحديث باعتراف آية له بالحب .. ولا ينكر أنه تأثر بشكل غير مسبوق وأشفق على كليهما.. فتنهد وقال بلهجة مشفقة " أسمعني يا سيد .. أعترف أني لم أكن لأشعر بما تشعر به الآن أنت أو آية لو علمت هذا الخبر قبل أن أدرك مشاعري تجاه أروى .. أما الآن فأنا أدرك جيدا حجم الفاجعة التي ألمت بكما .. لكن رأيي في الموضوع لن يتغير بإدراكي لمشاعركما .. تطليقك لبسمة دون ذنب ظلما سيعلق في رقبتك إلى يوم

Des. Maryam Tamim

الدين .. وإذا أعانتك عليه آية فستحمل نصيبها من هذا الذنب هي الأخرى (فالظلم ظلمات يوم القيامة) .. وأمامك حلان إما أن تجمع بين زوجتين وأنت مدرك وعازم على العدل بينهما وستحاسب على هذا أيضا فلا تحسبه هينا.. هذا طبعا بفرض أنك ستتخطى عقبة آل سماحة أن يرضوا بأن تكون ابنتهم زوجة ثانية ..."

فرك سيد جبينه في وجع وإرهاق متيقنا أن إمكانية تنفيذ ذلك من رابع المستحيلات .

فأكمل عمرو بلهجة مشفقة " أو أن ترضى بقضاء الله .. وتصبر وتحتسب وأنت متيقن أن كل له أقداره.. وكل له اختباره ..فلا تدرى كم صرف الله عنك من أذى وانت ببصيرتك المحدودة تبكي عليه ...!"

Des. Maryam Tamim

مط وائل شفتيه ولم يعجبه ما يحاول عمرو إقناع سيد به رغم اقتناعه التام بكل ما قاله .. لكن قلبه غير قادر على تحمل فكرة أن يحب شخصين على قيد الحياة بعضهما ولا يستطيعا الاقتران .. وراودته نفسه كثيرا أن يذهب لآية ويخبرها بحقيقة مشاعر سيد .. لكنه لم يرغب في أن يزيد عدد القتلى بالمشرحة خاصة بتمسك بسمة بسيد .. فأشفق على الصغيرة من المزيد من الوجع .

بينما تحرك عمرو نحو صديقه الذي يفرك جبينه بيد مرتعشة يحاول التماسك وربت على كتفه يقول متعاطفا " يا صاحبي .. تأدب في بلائك و توجع بالحمد؛ فأنت في حضرة قضاء الله و قدره، وفي هذا المقام.. الصبر أوجب وأجزى "

Des. Maryam Tamim

رن هاتف وائل فرد يقول " نعم أحمد .. نحن هنا في حديقة المستشفى " ثم أشار لهم بوصول أحمد حتى يغلقوا الحديث .

بعد دقائق كان أحمد يقترب من ثلاثتهم ويتطلع في الوجوه بريبة .. حدسه يخبره أنه هناك أمرا يدور من خلف ظهره .. ويميل لفكرة ضلوع آية في القصة .. واخفاء الأمر عنه يستفزه .. حتى أنه كان قد قرر ألا يخبر سيد بمعرفة آية بأمره لكن إحساسه بأن هناك أمرا يدور من خلفه وأخته ضالعة فيه لا يشعره بالراحة .. كما أنه غير قادر على ترجمة حالة آية الحالية .

وحتى الآن لم يضع تخمينا منطقيا لما قالته آية لسيد .. هل كان يخبرهم سيد منذ قليل أن آية لامته وأشعرته بالذنب مثلا ؟ .. أم يخبرهم أن آية فتحت لسانها الناري عليه وأهانته ؟ .. أم أنها

Des. Maryam Tamim

تصرفت كالأطفال واستعطفته ويستشيرهم في الأمر.
المهم أن كل التكهنات تقول أن آية لها يدا فيما حدث لسيد وأنه غالبا قد أطلع صاحبيه على ذلك الأمر من وراء ظهره.

بادر بالقول " كيف حالك الآن يا سيد؟"
غمغم سيد بالحمد يشيح عنه بنظراته .

فقال ساخرا "طبعا اذا سألت عما تتحدثون فلن أجد اجابة صادقة .. ومن الواضح أن أختاي أصبحتا مادة للحديث من وراء ظهري"
رد عمرو بصرامة "واحدة منهما هي زوجتي يا أحمد فإن كنت تشك في أخلاق أصحابك فبالتأكيد لن أتشارك الحديث عن زوجتي معهم "

Des. Maryam Tamim

رد أحمد بسخرية " جميل إذن بقيت آية سماحة (ثم توجه لسيد يقول بتحدي لم يكن ينويه حتى دقيقة واحدة سابقة) بالمناسبة لقد أخبرت آية سماحة بكل شيء .. في محاولة مني للضغط عليها لتحل عن رأسك .. فلا تقلق من هذا الجانب".
شحب وجه سيد ونظر لصاحبيه يتأكد مما سمع ليسأله وائل الذي أقترب منهم " أخبرتها بماذا بالضبط ؟؟؟؟؟"
نظر أحمد في عيني سيد ورد " أخبرتها بمشاعر سيد تجاهها وأفهمتها سبب طلبي أن تبتعد عنه.. في محاولة لإبعادها عن صاحبي الذي يخبئ عني أمرا ولا يريد أن يطلعني عليه "

انفجرت قبضة سيد فجأة في وجه أحمد الذي اختل توازنه متفاجئا فأمسك به عمرو بينما غطى وائل عينيه بكفه وغمغم "الرحمة من عندك يا ربنا "

Des. Maryam Tamim

أمسك سيد بملابسه بملامح خطرة هادرا وقد انتفخت عروق رقبته " ماذا فعلت يا مجنون !!! .. ماذا فعلت بها ؟؟.. لماذا لم تسألني أولا ؟؟؟.. أليس من المفترض أن تأخذ رأي ذلك الـ ... (وتسارعت أنفاسه وأكمل بتأثر) ذلك المثير للشفقة الذي تطلب منها العون في مساعدته"

صمت قليلا يحدجه بنظرات خطرة ثم تحرك يغادر وهو يرمقه بنظرات مجروحة مشيرا له بسبابته يقول بلهجة خطرة " لن أنسى ما فعلته بها .. وبي يا ابن سماحة.. لن أنسى أنك كشفت سري .. لن أنسى هذا أبدا "

هدر أحمد يلحقه بصوته " افهم يا (...) .. أنا كنت أساعدك رغم أنك لم تفصح عن سبب ما أنت فيه .. سيد .. سيد "

Des. Maryam Tamim

تطلع أحمد فيهم محاولا الفهم يتفحص وائل المطرق برأسه أرضاً يفرك جبينه في ألم واضح بينما عمرو وجهه جامد متخشب يديه في جيب بنطاله فقال لهم مفسرا " كانت الطريقة الوحيدة لأبعاد آية عن طريقه .. لم أجد مفرا من ذلك .. عليها أن تنضج وتتحمل المسئولية و .. "

بتر عبارته عندما قاطعه وائل يغمغم في عصبية " أنت غبي يا أحمد غبي .. أنا تعبت منكم وتعبت من كل شيء .. تعبت من كل شيء .. من كل شيء " قالها وغادر .

نظر لعمرو يبحث عن تفسير فربت الأخير على كتفه بشفقة وقال " أخطأت في هذه الخطوة يا كونت للأسف .. سيد اكتشف في تلك الليلة أن آية تحبه إلى حد العذاب .. واعترفت له بسنوات مضتها تقاوم هذا الشعور ولم تفلح .. وكتمته في قلبها خشية من ردود الأفعال (وصمت قليلا يبتلع

Des. Maryam Tamim

غصة في حلقه ثم أكمل) وخشية أن يبتعد عنها ..
وقررت الاعتراف له لتتحرر من مشاعرها مادامت
ما كانت تخشى منه قد حدث واتخذ سيد قرارا
بالابتعاد .. (وأكمل متألما) لا أدري ماذا يحدث
لهما .. لعله خير "

***

وقفت آية متخصرة تهز قدمها بعصبية .. بينما
تحرك أحمد نحو الباب يقول " لمَ العصبية لا
أفهم ألم تعدل لك أروى شعرك كما تريدين "

تكتفت ولم ترد وحين فتح الباب تنبهت وعدلت
من فستانها الأحمر القصير ذو القلوب البيضاء
والحمالات الرفيعة وجرت إلى الباب ..
لكن الاحباط زاد من عصبيتها حينما دخل عمرو
يتبعه وائل وهما يسلمان على أحمد .

Des. Maryam Tamim

وقفت تشيح بوجهها فاقترب منها عمرو ومال عليها يطبع قبلة مفاجئة على خدها وهو يتمتم " عيد سعيد يا قطعة السكر "

زفرت في حنق ومسحت موضع قبلته وهي تمتم بشكرا دون أن تنظر إليه .. فرفع حاجبا وقال" ما هذا العيد الحزين ! .. ثم اخرج من جيبه الكثير من السكاكر والعلكة .. ومد كفيه بها .. فنظرت قليلا لكفه ثم اختارت السكاكر واحدة واحدة وفتحت حقيبتها الصغيرة ووضعت بهما السكاكر

فقال عمرو ببرود " والعلكة ؟!!"

ردت بحنق " لا أحب العلكات يا عمرو .. ثدقا أمرك غريب .. كل مرة تأتيني بثكاكر والعلكات وكل مرة أخبرك أني لا أحب العلكة .. لا أحب العلكة .. هل أعلقها على ثدري لتثتوعبها !!"

Des. Maryam Tamim

جحظت عيناه ومال يحدق في أسنانها بفضول وهو يغمغم " كم سن تبدلين حتى الآن ؟" فأطبقت على شفتيها بسرعة تداري موضع السنتان الأماميتان الفارغ والذي يزيد من إحباطها ويفسد منظرها في العيد .

فقال عمرو ببرود وإصرار "خذي ما أحضرته لك وكفي عن الفظاظة "

قالت بعصبية" قلت لا أحب العلكاااااات "

رد بغيظ " خذيها ووزعيها على من يحبها"

تدخلت إلهام بحزم " عيب يويا حين يقدم لك شخص شيئا تأخذيه بأدب وتشكريه حتى لو كنت لا تريدينه"
صاحت بغيظ " أووف .. حثنا شكرا "

[2895]

قال عمرو يستفزها" أعيدي لي القبلة التي مسحتيها "
تدخل وائل يقول " من الذي يمسح القبلات"

فأشار عمرو على آية ..ليقول وائل" إذن ستموت من القُبل الآن .. أمسكها يا عمرو .. كيف تقابلنا بهذا العبوس في العيد".

صرخت آية وأفلت من بين أيديهم تجرى في الصالة ووائل ذو الثالثة والعشرين عاما يجري وراءها فهتفت صارخة " لا يا أبيه لا أريد.. إياك أن تمثكني .. فثتاني ثيتكثر .. شعري ثيننتكش"

تطلع وائل بغيظ لعمرو ذو الثامنة عشر المتسمر في تحفظ وهتف " قلت امسكها يا عم أمين "

Des. Maryam Tamim

تنحنح عمرو في حرج وتحرك يحاول الإمساك بها .. إلى أن امسكها وائل من كتفيها وهو يتوعدها فتدخل أحمد فجأة يقول " مهمة انقاذ عاجلة للقطيطة "

فاختبأت آية بسرعة خلف ساقي أحمد الطولين وهي تلعب حاجبيها لوائل .. فقال بغيظ " حسنا لن تأكلي من الكعك الذي أرسلته أمي مالم آخذ قبلة العيد على خدي هذا "
فأخرجت له لسانها ..

بعد قليل دخل سيد من الباب مصدرا تلك الجلبة المصاحبة لدخوله فاختبأت بسرعة خلف الكرسي الكبير تجلس متكتفة في عبوس في ذلك المكان خافت الضوء الضيق ووجهها للحائط .. فسأل عنها بلهفه بعد هنأ الجميع بالعيد " أين القطيطة؟"

[2897]

أشارت إلهام للكرسي وقالت وهي تغمز " لا يوجد لدينا قطيطات.. لقد رحلت "

رد سيد بإحباط مصطنع " يا خسارة كنت قد أحضرت لها الشيكولاتة"

تكتفت آية التي تجلس القرفصاء خلف الكرسي وتمتمت بقرف " يضحك عليّ بقطع شيكولاتة !"

فأكمل سيد بلهجة ممطوطة منغمة " وأحضرت لها هدية للعيد أيضا "
ازدادت ضربات قلبها في ترقب فأكمل بنفس النغمة " أحضرت لها شيئا تحبه جدا"

Des. Maryam Tamim

تحركت مقلتيها العسليتين يمينا ويسارا تميل بأذنها أكثر لتتسمع بفضول " ما رأيك يا أمي في تلك الدمية الجميلة ؟"

ردت إلهام تكتم ضحكتها وهي تحضر المائدة بينما أروى تقف بجانبها تساعدها " دمية رائعة يا سيد "

برطمت آية في سرها بحقد وهي تتحكم في فضولها لرؤية الدمية " لن أتنازل .. ولن يفلت بفعلته "

أكمل سيد الحديث " إنها العروس الجديدة التي نزلت في الأسواق يا أمي .. أمم .. نسيت اسمها (اتسعت عينا آية بتركيز تستمع لما يقول) أرأيت كيف هي رشيقة ..رفيعة .. حتى معها ملابسها وأدوات الزينة (جحظت عينا آية وقفز قلبها كالكرة المطاط بينما أكمل سيد) اسمها بـ بب بـ"

قفزت آية صارخة من خلف الكرسي تصيح بانبهار" باربي "

Des. Maryam Tamim

وانقضت عليه تخطف منه الدمية بعينين تتفجر منهما قلوبا حمراء ..فأمسك بها يضحك ضحكة خشنة عابثة قائلا" أمسكت بك " .

أفلتت منه في حزم تحدجه بنظرة غيظ ثم صرخت في وجهه " لا تتحدث معي أنا أخاثمك "

لاح على سيد الذهول ثم تحرك وراءها وقد عادت تجلس خلف الكرسي مرة أخرى تطالع العروس وتستكشفها بعينين تتفجر منهما القلوب الحمراء.

قال سيد يقلد نطقها " لما الخثام يا يويا"
نظرت إليه بنظرات مخيفة وقالت موبخة " قلت ثتأتي في العيد منذ الثباح "

فرد عليها "ونحن في الثباح يويا أنظري للشمس في الخارج"

Des. Maryam Tamim

قالت صارخة في وجهه " انت تكذب ومن يكذب يذهب للنار.. الشمث أشرقت منذ وقت طوييييييل جدا .. أنا اثتيقظت قبل أن تشرق الشمث وشاهدتها .. وحين ذهبت لثلاة العيد لم تكن هناك"

جلس سيد بضخامته في الارض يطالعها بعينين لامعتين .. ثم نكس رأسه يتصنع الندم وهمس ببؤس " آسف يويا أني تأخرت لكن الشمس أشرقت ولم تبلغني أنها أشرقت.. الخطأ خطأها يويا لست أنا "

عقدت حاجباها السوداوان ولاح الغباء على وجهها تنظر له بعدم فهم ثم سألت " من ؟"

رد عليها بثقة " الشمس يويا .. لو كانت أبلغتني أنها أشرقت لكنت استيقظت فورا وجئت إليك "

Des. Maryam Tamim

تطلعت إليه آية في صمت قليلا ثم هتفت بصرامة "هل تتخف بعقلي !! أتحثبني طفلة !! أنا عمري ثبع ثنوات وأعلم جيدا أن الشمث لا تتكلم وأنها ليثت إنثان لتوقظك من النوم "

أحمر وجه سيد وهو يكتم رغبة ملحة جدا للانفجار في الضحك .. يأكلها بعينيه .. كمن ينظر لقطعة سكاكر عملاقة في مثل طولها الذي لم يصل بعد لمتر وهمس بعد نظرة التوبيخ التي حدجته بها " آسف يويا أعتذر "

حضنت العروس وقالت بعند " لا ينفع الاعتذار يا ثيد .. ضاع نثف العيد وأنت غير موجود .. أنا أخاثمك من الآن حتى يثبح عمري واحد وعشرين عاما"

Des. Maryam Tamim

انفجر سيد ضاحكا وارتد للخلف يسند رأسه على الحائط .. فوقفت آية أمامه بكبرياء وقالت بغيظ "أنت تضحك ولا يهمك أن أخاثمك حثنا كما تريد"

بعد ثوان اطلق سيد صفيرا معجبا يقول " واو .. أحب فستان العيد الجديد.. من اختار هذا الفستان الجميل ؟"

تخضبت بالحمرة رغم احتفاظها بزم شفتيها .. وأشاحت بوجهها ولم ترد .. فصاح سيد يعلي صوته" هل أنت من أخترت هذا الفستان الرائع ليويا يا أمي ؟"

ردت إلهام من المطبخ " بل هو من اختيار أروى .. والحمد لله أن رضيت باختيار أحد منا .. فقد تعبنا والله "

عاد ينظر إليها وهي تقف وقفة عارضة أزياء ممتعضة ..فقالت بكبرياء "دعني أمر ".

Des. Maryam Tamim

استعرض كتفيه يغلق ممر الخروج من وراء الكرسي وقال مازحا وهو يرفع لها اصبعه بتوسل "هل استطيع أن أسألك سؤالا واحدا يويا قبل أن تخاصميني كل هذه المدة الطويلة ؟!"

حركت نحوه مقلتيها العسليتين المبهرتين بتعالي تنتظر السؤال .. فسألها وهو يلملم شفتيه يتحكم في الضحك " أريد أن أعرف لما ستخاصميني حتى سن الواحدة والعشرين بالذات "

حدجته بنظرة باردة وقالت "لأن أمي قالت أن الفتاة يمكنها الزواج من أول ثن الواحدة والعشرين "

عقد سيد حاجبيه يحاول الاستيعاب ثم قال " أشكرك يويا أنك ستصالحني قبل زواجك حتى أحضر حفل زفافك "

Des. Maryam Tamim

رفعت كتفاها ترد ببساطة "بالطبع لابد أن أثالحك هل رأيت عروثا وعريثا متخاثمان في حفل زفافهما "
اتسعت عيناه لثوان ثم سألها متوجسا "ومن العروث ومن العريث يويا؟"

ردت " أنا وأنت "
حدق فيها لثانية ثم انفجر مجددا في الضحك وقد مال جذعه للأمام .. ليحمر وجهها الأبيض وقد أوشكت على البكاء فقالت "لا أرى ثببا للضحك يا ثيد ! "
هدأ من نوبة الضحك ثم قال لها "ومن قرر أننا سنتزوج ؟"
ردت بلهجة واثقة" أنا قررت أن أتزوجك وثألت أمي متى تثتطيع الفتاة الزواج قالت عندما تتم الواحدة والعشرون وتنتهي من الدراثة"

Des. Maryam Tamim

حدق فيها مخروسا لثوان يلملم الابتسامة ..ثم أطرق برأسه يخبئ وجهه في كفيه.. فنظرت إليه بوجه متخضب بالحمرة وقلبها يدق بسرعة وسألته ببراءة "هل أنت محرج ؟"

فأومأ برأسه وهو مازال يخبئ وجهه .. فلملمت ابتسامة معجبة به .. وحركت مقلتيها قليلا هنا وهناك تبحث عن رد يخفف عنه الحرج وقد صدقته .. ثم قالت "أنا أيضا أشعر بالحرج .. أعتقد أنه شعورا طبيعيا ".

فتح اصبعيه السبابة والوسطى من على عينيه لينظر إليها من بينهما .. ثم أزاح كفيه يقول بجدية " شكرا يويا على اختيارك لي عريسا ..لكن لدينا مشكلة "

سألت باهتمام" وماهي ؟"

Des. Maryam Tamim

أجاب" أني في الواحدة والعشرين من عمري أي أكبرك بأربعة عشر عاما يويا "

رفعت كتفيها وقالت " لا يهمني "

رد مفكرا "ما رأيك بعمرو هو أصغر قليلا "
نظرت لعمرو الذي يقف من بعيد على الحائط يمد قدميه أمامه ينظر مع أحمد ووائل إلى جهاز العاب الفيديو على التلفاز .. بينما أروى ترمقه بغيظ أن يرفع قدمه لتمر وهي تحمل صينية عليها بعض الكعك .. وهو يحدجها ببرود متحفظ ويخبرها أن المساحة تسمح لها بالمرور دون أن يزيح قدميه وقالت " لا أريد أن أتزوج عمرو .. وليس عندي مشكلة في فارق السن "

فقال لها "امم ماذا عن وائل "

Des. Maryam Tamim

ردت عليه بجدية " لا أنكر أن أبيه وائل وثيم واشقر ويشبه البطل في المثلثل الأجنبي .. لكنه أبيه .. كيف أتزوجه!!"..

ثم تخصرت تقول بشك "هل ترفض الزواج مني"

كتم ضحكته وأسرع يقول" أنا فقط أرى أنك حين تكبرين سأكون أنا عجوزا يويا هل ستتزوجين من عجوز وأنت شابة "
سألته باهتمام "كيف عجوز؟"

فرد "عجوز يويا بدون أسنان (نظرت لأسنانه بعينين متسعتين وفم مفتوح فأكمل سيد) بدون شعر تقريبا (نظرت لشعره) وجهي مجعد يويا (نظرت لوجهه الأبيض وذقنه الخشنة ذات الشعيرات البنية التي تحبها) وسوف أكون منحنيا

Des. Maryam Tamim

وأنا أمشي بجانبك في حفل الزفاف .. لذا يفضل أن تفكري في شخص أصغر سنا وتكبران معا بالعمر "

ساد الصمت وحدقت في عروستها قليلا وكأنها تستشيرها ثم رفعت إليه رأسها لتقول بثقة " سأكل كثيرا لأكبر بسرعة .. وحتى لو كنت عجوزا .. لا تقلق سأكون شابة قوية وسأمسك بيدك ونحن في حفل زفافنا .. لا تحمل هما أبدا "

أفاقت آية من ذكرياتها حين فُتح الباب بهدوء وأطلت بانة برأسها فأسرعت آية برفع الغطاء على رأسها تغطي وجهها تحت الملاءة غير راغبة في الحديث مع أحد.

دخلت بانة تحمل طبقا مليئا بالساندويتشات وجلست بجانبها بهدوء تقول " مكيف الهواء لديك رائع .. الأكثر برودة في كل أجهزة المنزل (

Des. Maryam Tamim

ونظرت إليها ترى أي تجاوب ثم أكملت) سأقول ما شاء الله حتى لا تقولي أني أحسده .. لكني كما تعلمين بشرتي حساسة لا تتحمل الحر يا يويا (ثم مالت تهمس باستفزاز) أنتِ تعلمين ذوات البشرة البيضاء لا يتحملن الجو الحار "

حين لم ترد سكتت بانة ووضعت الطبق بجانب السرير واسترخت بجانبها تبحث في هاتفها في مواقع التواصل الاجتماعي ..

فجأة تحركت آية بوهن تقول" هل ممكن أن تعطيني هاتفك قليلا أريد أن أرى شيئا على الفيسبوك "
ردت بانة "إذا أكلت سندوتشا سأعطيك هاتفي "

نظرت إليها آية بجمود فأكملت بانة بتعاطف " من أجل أمي ..إنها مهمومة ولا تفهم ماذا حدث "

Des. Maryam Tamim

سألتها بهدوء" بماذا أخبرهم أحمد؟"

ردت بانة" أخبرهم أنك ربما مضغوطة من الامتحانات "صمتت آية فأضافت بانة " أنا أعلم أنك قوية آية فلا تستسلمي بهذا الشكل كلي على الأقل من أجل والديك "
أمسكت الطبق فسحبت آية سندوتشا تقضمه وتلوكه بصعوبة في فمها كمن يلوك حجر..
فأعطتها بانة هاتفها لتشجعها على الاستمرار في الأكل وتحركت وهي تقول" سأحضر لك بعض العصير وأبشر أمي أنك أكلت "

بعد دقيقة كانت آية تفتح الفيسبوك من هاتف بانة
وذهبت لصفحة سيد وبحثت عن تلك المنشورات التي كانت تقرأها كفضفضة لتلك التي تسكن قلبه

Des. Maryam Tamim



.. بحثت كثيرا ولم تجد شيء سوى منشورات عادية جدا يتشاركها مع الاصدقاء .. عادت لهاتفها تفتح صفحته فوجدت تلك المنشورات.. قلبت فيها فلم تجد إلا هي فقط من تفاعلت معها .. هي فقط ..من ردت عليها بقلب أحمر كبير كعادتها ..

تذكرت حين سألها أن تعلمه كيف يكتب المنشورات ويقصرها على مجموعة من الاصدقاء دون غيرهم ليرونها ..

أكانت هي المقصودة ؟؟..
أكانت تلك هي رسائله لها ! ..
أكانت هي حبيبته التي يتعذب في حبها !..
أكانت هي سبب الحزن الكامن في عينيه دوما ولم تعلم له سبباً. !!.
أكان يتهرب منها مؤخرا ليقاوم مشاعره تجاهها!..

ازدادت نبضات قلبها فجأة تتساءل .. ترى كيف كان رد فعله بعد اعترافها له بمشاعرها ؟..
أيكون السبب في أنه لم يستدير إليها أن ذبحته باعترافها دون أن تشعر !!

مضغت الأحجار التي تلوكها في فمها بصعوبة وقد انهمرت دموعها تستعيد قراءة تلك المنشورات التي أرسلها لها وحدها .. ولم تكن تعرف حينها ... والآن تعيد قراءتها وهي تعرف أنها تلك الحبيبة.. حبيبة سيد .

***

في المساء :

تطلعت أروى لعمرو الجالس بجانبها يقرأ القرآن بصوت خافت مسموع وهي ممددة بجانبه على

Des. Maryam Tamim

الأريكة تتوسد ذراعيها وشعرها الأسود الحريري ينسدل على جزء من وجهها ..
تحب صوته وهو يقرأ القرآن .. وتلك السكينة التي في صوته تتسلل للمستمع .. وتذكرت أن والده رحمه الله كان يحب سماع ترتيله للقرآن ..
مسدت على ذراعه بحنان .. فرد على حركتها باحتضان كفها بدفء وهو مستمر في القراءة..
فتذكرت دخوله الواجم عليها منذ قليل مهموما وقد رفض أن يخبرها ماذا يحدث لولا أن أخبرته أنها قد علمت من أحمد الذي هاتفها قبل وصوله بقليل..
كان أحمد منفعلا مخنوقا على الهاتف .. واكتشفت أن والدتها لم تخبرها بمرض آية بحجة أنها عروس وفي شهر العسل حتى لا تقلقها .. وعلمت أيضا من أحمد موضوع سيد وموضوع آية ..والذي شدد عليها بألا يصل الخبر لوالديهما حتى لا يتعقد الموضوع أكثر من ذلك .. لكنها لم تتفاجأ بشأن

Des. Maryam Tamim

سيد فهو ليس ذلك الشخص الذي يستطيع إخفاء انفعالاته والتكتم عليها وقد شكت كثيرا في تعلقه واهتمامه بآية .. لكن ما تفاجأت به هي مشاعر آية .

تنهدت بألم فصدق عمرو وسألها بهدوء "هل ستنامين دون أكل ؟"

ردت عليه " ما دمت ترفض الأكل "

قال بضيق" يا أروى معدتي مشدودة من أحداث اليوم "

مسدت على ذراعه وتمتمت بلهجة نادمة " كان علي أن أراعيها وأكسب ثقتها أكثر من ذلك "

رد مشفقا " أنت انشغلت بمداواة جراحك منذ ذلك الحادث يا أروى لكي تتوازني دون أن يسبب لك مشاكل نفسية فلا تلومين نفسك كثيرا "

نكست رأسها وتمتمت " أحمد في حالة نفسية سيئة جدا .. إنه متألم ويشعر بالذنب تجاه آية ..

Des. Maryam Tamim

والحقيقة موقفه صعب .. فهو مضغوط من كل الجهات ممزق بين الجميع .. صوته على الهاتف كان مؤلما .. وحاولت إقناعه بالحضور قليلا لكنه رفض "

مسد على شعرها يقول " لعله خير .. لا أريدك أن تحملي الهم .. (صمت قليلا ثم قال) بالمناسبة أنا اتفقت مع مركز العلاج الطبيعي الجديد ..ورتبت معهم جدول الجلسات لتكون بعد مواعيد عملي (ثم أضاف بلهجة ذات مغزى) في مواعيد للنساء فقط وستتعاملين مع طبيبة وليس طبيب "

ابتسمت له ابتسامة صفراء ثم قالت " لكن طبيب العظام المعالج لن اغيره إنه أشهر طبيب في البلد كما أنه من يتابع حالتي من سنين طويلة ومطلع على تفاصيلها "

Des. Maryam Tamim

مط شفتيه بامتعاض.. فأمسكت بشفتيه الممطوطتين بأصابعها وقالت " وهناك أمرا آخر نريد أن نتناقش فيه "

تطلع إليها باهتمام فتركت شفتيه لتقول بجدية "طبيب العظام حين زرته آخر مرة ونحن مخطوبان سألته عن موضوع الحمل والانجاب .. فطمأنني بأن حالة ظهري لا تتعارض مع الانجاب .. لكنه أخبرني أني سأتوقف عن التمارين في حالة حدوث الحمل .. لذا علينا أن نقرر خطواتنا القادمة .. إما أن نسعى للأنجاب أولا ثم أتفرغ بعدها للتمارين والعلاجات الطبيعية أو العكس "

سكتت تنتظر رأيه فسألها " وماذا تريدين أنت؟"

ردت " الأمران عندي سيان كنت أتمنى لو أستطيع أن أفعلهما معا لكن أيهما أولا ليس عندي مشكلة فيه "

قال بهدوء " أنا أرى أن علاجك الطبيعي يأتي في المقام الأول .. بعدها نفكر في موضوع الإنجاب"

Des. Maryam Tamim

فتنهدت قليلا ثم قالت " لابد أن نضع عمري في الاعتبار ونحن نتخذ القرار فأنا لست في العشرين"
صمت قليلا يفكر ثم قال " دعينا نقطع شوطا في علاجك الطبيعي لعام أو اثنين .. ولو لم يمن علينا الله بشفائك .. نسعى في أمر الانجاب ثم نعود بعدها للعلاج الطبيعي بإذن الله تعالى"
مسدت على ذراعه وقالت بتفهم .. وقد أراحتها الفكرة " إذن أحتاج لأن أزور الطبيبة النسائية لترتيب الأمر "
أومأ برأسه موافقا وهو يعود للمصحف فسألته وهي تتثاءب "متى ستنام ؟"
فقال وهو يفتح المصحف " بعد أن أنتهي من هذا الجزء"
بعد قليل صدق وتمتم ببعض الأدعية واستدار إليها ليجدها غارقة في نوم عميق فابتسم وحملها برفق لتحكم ذراعيها حول عنقه وتدفن وجهها في

Des. Maryam Tamim

رقبته ..فطبع قبلة رقيقة على جانب رقبتها قبل أن يتحرك بها إلى الداخل .

***

دخل أحمد بوجه واجم يلقي السلام باقتضاب على أمه وأبيه وبانة التي تطلعت إليه ثم نكست رأسها في ألم تحاول التحكم في رغبة في البكاء بعد أن استشعرت حالته المزاجية وقد حسبت أنها السبب الرئيسي فيها ..

سأل عن آية فأخبرته أمه أنها أخذت حبة المهدئ ونامت .. فتطلع لبانة التي تجلس منكسة الرأس تتهرب من نظراته ولم يقدر على التحمل أكثر.. فتحرك نحوها ومد يده يشدها من يدها فجأة ويسحبها نحو باب الشقة وهو يتمتم لأبويه " بعد إذنكما " .

فتطلعت إلهام ذاهلة لزوجها الذي لاحت على شفتيه ابتسامة متسلية دون تعليق ..

Des. Maryam Tamim

جزت بانة على أسنانها ثم قالت بغيظ وهي مرتعبة أن تقع على السلم " أحمد ماذا تفعل .. سأقع على وجهي .. أنت أحرجتني أمام والديك"

توقف واستدار يصيح في وجهها بغضب " أششششش .. لا أريد أن أسمع منك حرفا واحدا .. أنا لا أعلم ماذا يمكن أن يصدر اليوم مني فلا تخرجي شياطيني كلها يا بانة " .

هتفت بغيظ "وهل حالتك هذه تجعلك تسحبني كالبهيمة ؟!"
زمجر بعنف ثم هدر بصوت عال أرعبها "أنت مصرة إذن لاستحضار همجيتي".
ثم حملها فجأة يلقيها على كتفه فصرخت بإجفال فتحرك نحو الشقة وهي تضرب على ظهره وتصيح " أحمد أنزلني .. أحمد ركبتك أنزلني وسأسير وحدي " لكنه لم يكن يستمع لشيء ..

Des. Maryam Tamim

بعد ثوان كان يلقي بها على سريرها بعنف ويخيم فوقها مثبتا ذراعيها يطالعها بأنفاس لاهثة.. ولم يغفل عن محاولتها تصنع الهدوء رغم التوتر البادي في مقلتيها .. تأمل وجهها قليلا ثم استقام عنها فجأة فتطلعت إليه تحاول الفهم ..

حملها مرة أخرى .. هذه المرة بين ذراعيه برفق أكثر ثم جلس على الكرسي الموجود بزاوية الغرفة يضعها على حجره .. فتطلعت إليه بأنفاس لاهثة تحاول الفهم .. ليتمتم وهو يدفن رأسه في حضنها " لا ترتعبي هكذا .. فلا أريد سوى حضنك " .
آلمها قلبها فشددت من احتضان رأسه تمسد على ظهره وهي تمتم بخفوت متألم " ماذا بك يا حبيبي .. هل كل ذلك بسببي .. ليتني أموت وأريحك مني"
رفع رأسه يقول ´أخرسي يا بانة وتوقفي عن هذا الكلام يكفيني ما أنا فيه "
سألته وهي تمسد على فكه " وهل يؤلمك سواي؟"

Des. Maryam Tamim

رد عليها بهمس متألم" أشعر وكأني ذبحتها بيدي يا بانة "

سألته بغباء " من ؟"

رد بصوت متأثر وهو يعود ليدفن رأسه في حضنها " آية ".

لم تفهم لكنها أخذت تمسد على ظهره برتابة وهو يهذي بصوت مكتوم في حضنها بكلمات غير مترابطة استطاعت أن تستشف منها فحوى الموضوع .

بعد ساعة كانت بانة لا تزال على حجره تسند برأسها على كتفه نائمة وهو يدفن وجهه في رقبتها ويشدد من ذراعيه حول جذعها غارقا في رائحتها لكنه لم يستطع النوم .. يفكر ويفكر وصورة آية وهو يخبرها بحب سيد لها تتشخص أمامه مرارا وتكرارا .. وصورتها حين أخبرها بعدم التعامل مع

Des. Maryam Tamim

سيد مجددا .. وهيئتها التي بدت عليها وهي تخبره بما فعلت في ذلك الحفل الذي ذهبت إليه ... كل هذا أخبره إلى أي مدى كانت تتألم للدرجة التي تجعلها ترغب في الموت .

تحرك يحمل بانة ووضعها في السرير بهدوء متعجبا كيف تتوتر كلما اقترب منها وفي نفس الوقت تنام بهذه الأريحية في حضنه باستسلام.. حتى حين وضعها في السرير تمتمت باسمه واعتدلت لتكمل النوم .. هذا ليس سلوك أنثى تشعر أنها في حضرة شخص قد يتحرش بها دون رغبتها أو يستغلها في علاقة جسدية ..

بعد قليل كان في شقة العائلة يفتح باب غرفة آية بهدوء حاملا تلك المرتبة والوسادة بعد أن أحضرهما من غرفة أروى وأفترش الأرض ينام بجوار سرير أخته الصغيرة .

Des. Maryam Tamim

***

بعد أيام :

صعد أحمد على السطح يبحث عنها بعد أن انتهى من استجواب والدته له التي تحاول أن تفهم سبب الحالة التي تعيشها آية وقد أخبرها بالمزيد من الأكاذيب الغير مقنعة قبل أن يصعد ليبحث عنها ..

كان السطح خاليا أمامه لأول وهلة قبل أن ينتبه لجلوسها فوق البيت الخشبي الموجود بمؤخرة السطوح يطل على الشوارع الخلفية ..

فوجئت بأحمد يصعد ليجلس بجوارها في ذلك المكان العالي وهو يتمتم من بين أسنانه بغيظ "لاحظي أن ركبتي لن تتحمل صعودا متكررا كهذا " طالعته في صمت دون أن ترد ثم عادت لشرودها .. فأخرج من الكيس الذي كان بيده أثنين من

Des. Maryam Tamim

المثلجات ومدة يده بواحدة فتطلعت إليه ليقول "
لا تريدين المثلجات ؟ .. حسنا سآكل الاثنين "

وفتح الاثنين معا وألصقهما ببعض وبدأ في لعقهما
ينظر أمامها في الفضاء الفسيح.

لاح شبح ابتسامة على وجهها وتذكرت كيف
يحاول كسب ودها في الأيام الماضية .. وفهمت أنه
يشعر بالذنب .
تمتمت بهدوء " بهذا الشكل ستثير غيرة الأشقاء
العرب "
رفع كتفيه بلا مبالاة يقول " لا يهم (ثم استدار
إليها يسألها بفضول) هل تغار عليّ منك فعلا ؟"

أومأت برأسها فلاح شبح ابتسامة راضية على فمه
.. وعاد للنظر أمامه يأكل المثلجات .. بينما هي
ظلت تحدق فيه طويلا .. ثم سألت بهدوء "كيف

Des. Maryam Tamim

حاله الآن ؟ (لاحظت وجهه الذي عاد للتجمد فقالت بمسكنة أوجعت قلبه) ألا يحق لي حتى السؤال عنه ؟؟"

وضع المثلجات على الكيس بجانبه وقال "اسمعي يا آية .. أنا أعلم أني كنت قاسيا وأنا أتصرف في الموضوع .. لكن أمر الفصل بينكما أنا لست نادما عليه بل أنا نادم أني لم أتدخل في وقت أبكر "

لاحظ التماع عيناها بالدموع فأضاف" سلمت بأنكما عاشقان معذبان وأن علاقتكما شابها التعقيد وعرقلتها العقبات منذ بدايتها .. ولو لم أجرب العشق لما استطعت أن أفهم ما تمران به .. فأنت تعلمين أني لست ذلك الرومانسي الحالم .. لكن بشأن علاقتكما كان لابد من وضع خطوط فاصلة بينكما .. ما زاد تعقيد الموقف أنك لوقت قريب كنت مازلت طفلة (واستدرك يقول) ربما

Des. Maryam Tamim

مشاعرك كانت ناضجة لكن عمرك كان صغيرا أما حين أصبحت كبيرة وجب وضع الحدود (همت بالحديث مندفعة فأكمل بإصرار يقول) لا أنكر أن الحدود تُشعر بالضيق في بعض الأحيان .. لكنها تفصل بين الأمور ..والمشاعر ..والسلوك .. وتمنع الالتباس .. وسوء الفهم .. لتظهر الأمور واضحة .. هذه هي فكرة الحدود في كل شيء (ثم أكمل بنبرة أكثر دفئا) قد تكوني يائسة لدرجة أن توافقي على أن تبقي في محيطه تجمعين الفتات .. وأنا جربت هذا الشعور .. إنه الاحتراق بذاته.. خاصة وأنه لا يوجد اسم مفهوم وواضح تندرج تحته علاقتكما .. ولا تقولي لي باسم العشق.. فالعشق لا يؤخذ كمبرر لمحو الحدود الواضحة والفاصلة بين الأمور وإلا لفسد كل شيء وانتفى كل ما اخترعت من أجله الحدود ..وقيسيها على كل شيء .. (صمت قليلا يبتلع ريقه) عليك بالابتعاد يا آية .. المرة الماضية طلبتها منك من أجله وهذه المرة أطلبها منك من

Des. Maryam Tamim

أجلكما ..(ثم عاد ينظر أمامه في الفضاء الواسع ويتمتم) إجابة سؤالك هو بخير .. وقد غادر المستشفى وعاد يستأنف عمله .. وعليك أيضا أن تستأنفي حياتك .. وتنهي امتحاناتك .. وتكوني قوية كما أعهدك "

تطلعت آية أمامها تشعر بالراحة قليلا كونه قد خرج من المستشفى .. فقد تألمت بشدة حين علمت أنه بسبب غباءها واعترافها له بهذا الشكل الموجع نقل للمستشفى .. واقتنعت أنها تصرفت بعدم نضوج ... ها هي كادت أن تقتله في لحظة عشق أناني منها ..
لكنها لا تعلم لمَ لم يتواصل معها منذ أن علم أنها تعلم بمشاعره أخيرا .. هل لا يريد أن يعترف أمامها أنها ورطة أو حبيبة غير مرغوب فيها ؟

Des. Maryam Tamim

تنهدت في حيرة لا تعلم كيف تتصرف .. وكيف تنهي هذا الكابوس بأقل خسائر ممكنة .

***

بعد عدة أسابيع :

خرجت آية من الجامعة هادئة كعادتها في الفترة الأخيرة تستمع بشرود لبعض من أصدقائها .. إلى أن انتبهت لبوق سيارة مُلِح .. فالتفت الجميع ..

حين لمحته يخرج من السيارة توقف قلبها عن الخفقان يقبّله بكلّيته ..

اشتاقت إليه ..

اشتاقت إليه .. مهما منعوها فلن تكف عن الاشتياق إلى كل تفصيله منه ..

فلم تزل الورود الحمراء والقلوب الحمراء تتفجر حوله حين تراه ..

وما الذي تغير يا آية .. ما الذي تغير !..

Des. Maryam Tamim

هو كما هو ..المارد .. رغم فقدانه لبعض الوزن .. يبدو متأنقا وكأنه آت من اجتماع هام .. يرتدي نظارته الطبية ذات الإطار الأسود التي تجعله وسيما إلى حد يشعل صدرها بالغيرة عليه.
أشاحت بوجهها تحاول التحكم في هجمة بكاء ملحة وسمعت إحدى زميلاتها تهتف بإعجاب " أووووه! اشتقنا لهذا العضلي الجذاب .. مر وقتا طويلا لم نراه يا آية .."

ودعتهم واقتربت قليلا في تردد.. لكنها توقفت في نصف المسافة غير قادرة على الهرولة نحوه ككل مرة ..وهمت أن تشير لسيارة أجرة هاربة من مواجهته .. ومن ذلك الألم الذي يعصف بها إلى حد العذاب .

رسمها سيد بعينيه بنظرة ذكورية مشتاقة لم يقدر على التحكم فيها ..

[2930]

وجهها الأبيض الملفوف بالحجاب ..
جرتي العسل في عينيها يستطيع أن يلحظهما من هذا البعد ..
ملابسها ذات الذوق الرفيع على قوامها القصير الذي يشعل الجمرات في دمه ..
وحذائها الرياضي الأبيض ..
لاحظ ترددها في منتصف المسافة .. وبرغم هذا سحب جرعة قوية من الهواء لصدره ..
إنه يتنفس أخيرا .. رغم أنه تنفس متألم ..

قاوم ارتجاف جسده وتقدم نحوها يضرب الأرض بقدميه الطويلتين في ثقة زائفة متقبضا إلى جانبيه..
حين وقف أمامها ازدادت صورتها عبر زجاج النظارة دفءً ونورا في صدره ..فأجلى صوت يقول بلهجة حاول أن تكون عملية " كيف حالك يويا؟ "

Des. Maryam Tamim

استمرت في الإشاحة بوجهها بعيدا لكن صوته الرخيم تسرب إلى جزيئاتها فأغمضت عينيها تقاوم ذلك الشعور الملح .. الملح جدا ..
في التعلق برقبته ..
في الاختباء في صدره ..
والالتصاق به للإبد ..

حين لم ترد أضاف " علينا أن نتحدث قليلا "
أدارت إليه وجهها تحبس الدموع في جرتي العسل وقالت بعصبية " لماذا ؟؟!! ورطتك الكبري لم تقترب منك .. ولم تسبب لك أي إزعاج فماذا تريد منها ؟!!".
ضغط على شفتيه واشاح بوجهه قليلا يتحمل الألم الذي يحرق صدره .. وهو يراها مجروحة إلى هذا الحد ..
ثم أعاد النظر إلى وجهها يحاول التماسك وقال بلهجة متوسلة "أرجوكِ "

[2932]

ابتسمت ابتسامة مُره وسألته بتهكم " هل أخذت رأي أحمد فلربما أمرك بشيء آخر ؟"

ضغط على شفتيه يتحكم في مشاعره وأعصابه .. ويملأ ناظريه منها ربما للمرة الأخيرة .. ثم تحرك في صمت يفتح باب السيارة لها منتظرا أن تركب .. فأشاحت بوجهها مجددا تهز ساقها بعصبية وتهمس في سرها " تماسكي يا آية لا تظهري أمامه مثيرة للشفقة "

بعد دقيقة استجمعت شجاعتها وشمخت بأنفها في كبرياء زائف وركبت .. فأغلق الباب بهدوء يسحب نفسا طويلا قبل أن يستدير أمام السيارة دون أن يرفع ناظريه عنها حتى استقر بجانبها وانطلق .

صمت كئيب ..

[2933]

مقفر ..
مرتبك ..
عم الأجواء ..
لا أصوات لأغاني..
ولا عزف بضحكات تقطر عسلا ترد عليها ضحكات خشنة عابثة .

تطلع إليها يتأملها تسند بذراعها على نافذة السيارة تتطلع للطريق في صمت بينما يدها الأخرى تكورها في حجرها كطفلة صغيره قلقة .. فلعن نفسه وتمنى لو لم تعرفه أبدا .. لقد أصابها بنحسه ككل من يعرفونه ..
أما هي فلم تكن تفكر سوى في حضوره في المحيط القريب بعد اشتياق مر .. تتسمع لوقع أنفاسه الخشنة في صدره مقاومة رغبة ملحة في توبيخه لاستمراره في التدخين .

Des. Maryam Tamim

على طريق يكاد يكون خاليا من المارة لم يستطع الاستمرار في القيادة فركن السيارة .. وفتح حزام الأمان يخرج قبل أن تنفلت أعصابه ويتراجع عما قرر المضي فيه بالاستسلام لقدره.. وقبل أن يخرج المارد المسجون في داخله من زنزانته الأبدية .. فاستدار حول السيارة ووقف يستند عليها بجوار نافذتها المفتوحة.

نهشتها الغيرة عليه مجددا وهي تتأمل هيئته الخشنة الأنيقة بينما أخرج سيد سيجارة في توتر لكنه وقف غير قادر حتى على إشعالها ..

ماذا يقول لها ؟..

بم يبدأ ؟..

كيف يبرر؟ ..

هل يواسيها ؟ ..

هل يطلب منها السماح ؟..

هل يضمها إلى صدره ؟..

Des. Maryam Tamim

هل يبكي بين كفيها كطفل صغير يخبرها أنه أخطأ خطأ لف به حبل المشنقة حول رقبته ؟ .

أغاظها سكوته .. إن الوقت يمر .. واللحظات المسروقة تتسرب من بين أيديهما .. فحاولت أن تلجم انفعالاتها المجنونة حتى لا تضغط على أعصابه .. فيمرض كالمرة السابقة .. فلم ولن تسامح نفسها عما سببته له من ألم .. لكنها لم تقدر على التحمل أكثر .. وبالرغم من شفقتها عليه خرج كلامها ساخرا مُرا " أعتذر عما بدر مني آخر مرة .. لم أعلم أني بلوى حلت فوق رأسك "

انفلتت أعصابه واستدار نحوها بسرعة ينحني إليها ويأخذ رأسها الصغير بين كفيه عبر نافذة السيارة والسيجارة الغير مشتعلة مازالت عالقة بسبابته ووسطاه ..

Des. Maryam Tamim

فأجفلت .. خاصة حين قرب وجهه منها ولفحتها أنفاسه تخترق رئتيها فتعيد لها أنفاسها الضائعة وهي تسمعه يقول بصوت متهدج " كفى يا آية .. كفى تقريعا وتعذيبا لي .. أنا أُعذب فوق طاقة احتمالي وذنبك سيظل عالقا في رقبتي إلى أن أموت وارتاح ".

صمت قليلا مأخوذا بلون العسل في عينيها وأكمل بلهجة نادمة " أنا أدركت أخيرا ماذا فعلت بك .. بل بكلينا .. ولا أريدك أن تسامحيني .. أريدك أن تلعني سيرتي حتى بعد أن أموت .. إلعني ذلك الرجل الذي حرق قلبك الأخضر دون أن يشعر .. وتخطيني يا آية .. (اختنق صوته ببكاء يأبى أن يتحرر وأكمل) تخطيني فأنا لا أستحق وغزة ألم واحدة تشعرين بها بسببي .. أنا ولدت وسأموت محروماً .. هذا قدري وعلى أن أتعلم أن أقبل به راضياً "

Des. Maryam Tamim

ارتعشت شفتاها وحاولت قول شيء فخرج كهمهمات لم يدرك منها سوى التحديق في شفتيها بحريق يشتعل في أعصابه .. فلجم مارده الذي يعربد في الزنزانة يحطم ويكسر .. وسحب كفيه ليستقيم ويعود لنفس وقفته مستندا بجوار نافذتها يحدق بعيدا ويحرك أصابعه بالسيجارة الغير مشتعلة بعصبية .

فتحت الباب وخرجت .. فاستدار يتأملها من رأسها حتى أخمص قدميها ..

تقف أمامه .. وقد سقط قناع الكبرياء الزائف عنها .. تفرك يديها كطفله خجولة .. تقاوم رغبة ملحة لاحتضانه ولو للحظة واحدة .. غير عابئة بأيا من كان .. ناسية كل شيء ..الماضي .. والحاضر .. والمستقبل .. فلتغرق في صدره .. وتضيع للأبد .. تتلاشى وتتلاحم مع هذا الرجل الذي تعشقه .. وقتها لن تفرقهما الظروف أو يقف بينهما أشخاص ..

[2938]

تكلمت بارتباك تحاول المزاح مشفقة على الإرهاق البادي عليه رغم تأنقه المهلك " هل طلبت مقابلتي بعد أربعين يوم مقاطعة.. "
قاطعها بسرعة يقول " ست وأربعون يوما!"

رفعت رأسها إليه تتأمله بنظرة أوجعته فأوضح " آخر مرة كانت من ست وأربعون يوما و (نظر في ساعته) واثني عشر ساعة تقريبا "

ارتعشت شفتيها تقاوم هجمة بكاء ملحة وقالت بصوت مرتعش "أتعد الأيام مثلي؟!!"

رد بسرعة بصوت هارب منه " وأعد الدقائق وربما الثواني يا آية"

Des. Maryam Tamim

أغمضت عينيها .. فتمسك بهيكل السيارة وراءه حتى لا يميل إليها ويقبل جفنيها المغمضين في ألم أمامه .

فتحت عينيها بعد ثوان وقالت " ألهذه الدرجة أنا ورطة كبيرة في حياتك ؟!!"

تماسك ليتكلم بما أصر على لقائها من أجله وقال " اسمعي يا آية .. أنا طلبت أن أراك اليوم لثلاث أسباب .. الأول أن أعتذر لك عما بدر مني في حقك .. وجرحك وآلمك وأحرق قلبك رغم أن الاعتذار لا يفيد .. وسأظل أتعذب بفعلتي هذه إلى آخر يوم في عمري ..

ثانيا لأشرح لك بالضبط ماذا حدث .. (أشاح بوجهه قليلا يشعر بالدوار رغم أنه قد أخذ كل أدويته تحسبا لأي انفعال .. فسحب نفس عميقا وعاد إليها يكمل) ذلك الموقف القديم الذي ذكرتيه .. أعترف أني ربما تصرفت بعدم حكمة وقتها .. الموقف أربكني وما كتبتيه أعجبني رغم أني

Des. Maryam Tamim

لم أكن أشعر تجاهك بشيء بعد على ما أذكر ..
وخشيت من تهورك واندفاعك أن تتحكم تلك
المشاعر فيك التي حسبتها وقتها مراهقة فتبوحي
بالأمر لشخص آخر ويعتقدون أني استغلك وقد
ائتمنوني عليك .. وحين غبت عنك ثلاثة أيام لم
يكن لأعقابك كما تخيلت وإنما صدفة .. بعدها
نسيت الأمر تماما .. ثم بدأت مشاعري في الارتباك
منذ أن كنتِ في السادسة عشر ..وبدأت نظرتي
نحوك تتغير تدريجيا وأنا أراقب اكتمال أنوثتك أمام
ناظري .. لم يعجبني نظرتي تلك ولا إحساسي
الذكوري بك .. وقاومت بشدة .. خاصة وأنا أكبرك
بأربعة عشر عاما ولم تكن خبراتي مع النساء قليلة
في ذلك الوقت (ارتبك وهو يتذكر كلمات عمرو
التي اخترقت صدره تلك الليلة عن ذنوبه خاصة مع
النساء ..فبلع غصة مسننة في حلقه وأكمل)
ظللت على هذا المنوال عامين أخبر نفسي أني
موهوم .. أني لدي حالة ارتباك في المشاعر نظرا

Des. Maryam Tamim

للحياة الغير سوية التي عشتها منذ طفولتي ..
وكنت كلما ازدادت مشاعري ارتباكا ازددت إنكارا لها
..."

قاطعته تقول بانفعال متألم " لأني طفلة ولم ترضي
غرورك الطفلة !!"

رد يدافع " ليس هذا هو السبب اقسم لك .. الأمر
كله كان مربكا غير قابل للتصديق.. ليس عيبا في
شخصك ولكن لغرابته .. ولأنه أفسد خططي
بالزواج من أروى ؟؟ فكما أخبرتك سابقا كنت أنوي
الزواج منها لأني فهمت ميل أمي إلهام لذلك
ووجدت أن الأمر سيكون رد لدين آل سماحة في
رقبتي .. لكن ارتباك مشاعري ناحيتك أفسد كل
شيء .. وشعرت بالذنب وأنا أحبط أمي .. ولم يكن
عمرو مرشحا أو أحد منا يتوقع أن يكون مقدرا
لأروى .. وكان صعبا علي حتى لو كنت قد اعترفت

Des. Maryam Tamim

لنفسي بمشاعري تجاهك .. أن أدخل البيت أطالبهم بالزواج من آية الصغيرة ذات الثمانية عشر عاما متخطيا أختها الأكبر والأنسب والتي لديها ظروف معينة والتي تتمناها أمي لي .. كل هذا كان يصعّب الأمر .. (صمت قليلا ثم قال بتوتر) وكنت أخشى أن تتأثر نظرتك لي لا أعلم هل ستُصدمين من نظرتي الذكورية لك أم ستتحكم فيك مشاعر مراهقة ستنسيها بمجرد أن تصبحين امرأة .. (وحدق في عينيها ثم قال) ولم أتوقع أبدا يا آية .. لم أتوقع ...(وارتجف صوته فصمت واشاح بوجهه بعيدا عن ملامحها التي تعذبه غير قادر على إتمام جملته) ".

فأكملت آية له وكأنها أرادت أن تنطق الكلمة مرة أخرى " لم تتوقع أني أحبك فعلا " .
فأومأ برأسه بنعم مستمرا في الإشاحة بوجهه بعيدا عنها يقاوم وغز الدموع في عينيه .. وقد اخترقته

Des. Maryam Tamim

كلمة (أحبك) منها كصدمة كهربية من جهاز الصدمات على قلب مات بالسكتة .

بعد صمت قصير لملم مشاعره ..وتنحنح يقول بصوت حاول أن يكون عاديا وكأنه يتحدث عن أحوال الطقس " ثم جاءت غلطتي الكبري وجريمتي في حقك وحقها وحق نفسي .. فاتخذت قرارا كنت أحسب أنه في مصلحة الجميع لأقطع أمل أمي في زواجي من أروى .. ولأرتب مشاعري التي ظننت اني شعرت بها لأني لا أملك بيتا حقيقيا وزوجة ترعاني حتى أني قررت أن أستقيم وأبتعد عن علاقاتي النسائية ..

فأسرعت بالزواج وأنا أتخيل أني أحميك مني .. من مشاعري .. من جنوني .. من زلاتي التي قد تحدث معك وترعبني (ابتلع طعما مرا في فمه وأكمل بيأس) لكني اكتشفت فاجعة ما فعلته بنفسي ..

وأضحيت لا أعلم ماذا أفعل بها وهي التي ليس لها ذنبا ..سوى أنها وثقت بي فأصابها ذلك النحس

Des. Maryam Tamim

الذي يلحقني .. ولم أدري كيف أصحح هذا الخطأ
.. خاصة حين اكتشفت بسمة كل شيء "
شحب وجهها وسألته بصوت مبحوح " وهل تعلم
بسمة ؟!"
نكس رأسه وأومأ بنعم مصحوبة بشعور بالذنب
يخنقه ثم قال بصوت خافت " واعترفت أمامها
بمشاعري تجاهك .. وخيرتها .. واختارت أن تبقى
معي .. رغم أني أبلغتها صراحة أني لن استطيع
التحكم بمشاعري أو توجيهها " .

جزت آية على أسنانها تحرقها الغيرة وهي تتمتم في
سرها " تحبك لهذا الدرجة جميلة الجميلات!!
(ثم قالت بتهكم) وهذا هو السبب الثالث لهذا
المنح العظيم بمقابلتك لي "

تجاوز عن طريقتها الساخرة متفهما وقال " لم أكن
أريدك أن تعلمي بمشاعري تجاهك .. لأجنبك هذا

Des. Maryam Tamim

الموقف المؤلم الذي نقف فيه الآن .. لم أكن أريد أن ينبت الأمل بداخلك وأجتثه بيدي وأنا أتعذب.. لكن للأسف عرفتِ .. لذا عليّ أن أقول .. انسيني يا آية وعيشي حياتك واسعدي .. اسعدي لتسعديني .. أخرجي طاقاتك المميزة التي بداخلك بذكاء .. وانسيني يا آية .. "

قاطعت حديثه تقول بعصبية " تكلم عن السبب الثالث يا سيد دون هذه المحاضرة المكررة فلست صغيرة .. والرد على ما قلته للتو لأطمئنك هو لا .. أنا لا أعلم بمشاعرك يا سيد أنا سمعت من طرف ثالث معلومة .. مجرد معلومة .. وأطمئنك بألا تخشى تبرعم الأمل بداخلي فأرضه أضحت بورا منذ أن أحترق قلبي .. عموما وصلت الرسالة .. التي مفادها أنا *مستمر مع بسمة لأن ليس لهذا ذنبا أنت انطلقي بدوني* .. علم وينفذ (وتحركت مبتعدة وهي تقول) ليس عليك إيصالي أستطيع استقلال سيارة أجرة ".

Des. Maryam Tamim

مد يده وأمسك بذراعها يوقفها.. فتسمرت توليه ظهرها مغمضة العينين وهي تشعر بكفه التي تحضن ذراعها ..

همس سيد وهو يحرك إبهامه دون أن يدري على ذراعها " ليس من حقي أن أخبرك بما أشعر به يا آية .. فأنا رغم كل شيء رجل متزوج وأنت رغم كل شيء لن تكوني لي (تهدج صوته وقال بتأثر) فدعي ما في القلب مسجونا فيه ولا تطلقيه يا حبة القلب "

تطلعت إليه من فوق كتفها فتلاقت النظرات تشفق عليه من العذاب البادي على وجهه أكثر من اشفاقها على نفسها .

لكن القرار ليس هينا فسألته بيأس هامس " وماذا لو قلت لك أني لن استسلم وأني سأحارب وأستخدم كل وسيلة لأحصل عليك؟"

ارتجف قلبه وهو يسمع صغيرته الشجاعة تعلن أنها ستحارب من أجله.. فهمس بحشرجة وهو

Des. Maryam Tamim

يحدق بعينيها من هذا القرب " لستِ في حاجة للحروب .. ولا للبحث عن وسائل معينة لتحصلي عليّ يويا .. فأنت تملكين أهم جزء مني .. تملكين قلبي .. تملكين قلب وعقل وكيان سيد صبرة .. لذا أنا هنا لأتوسل إليك ألا تستخدمي أيا مما تملكينه من سلطان عليّ فأبعد عن هذه المرأة التي وثقت بي وليس لها ذنبا .. وقتها سأكون ظالما.. نذلا ..وهما أسوأ صفتين عانيت منهما وأفضل الموت على أن أكون ظالما أو نذلا .. فهل ستعينيني علي نفسي الضعيفة ..؟"

استدارت إليه بكليتها تحدق فيه مبهوتة وقالت" تطلب مني أنا العون !!! أي قُوى أملك أنا ؟!!"

همس بدفء " افتحي كفيك"

تجولت في وجهه بناظريها لثوان.. ثم فتحت كفيها ملتصقين أمامه .. فتقبض يلزم ذراعيه جانبه بقوة

Des. Maryam Tamim

وهو يسحق السيجارة الغير مشتعلة في يده ليتحكم في رغبة ملحة للإنحناء و تقبيل كفيها الصغيرين أو دفن وجهه فيهما .. فابتلع ريقه يقول بنفس الهمس" انظري إلى كفيك .. سيد صبرة هنا .. فيهما (نظرت لكفيها المفتوحين قليلا ثم رفعت إليه رأسها مبهوتة فأضاف بصوت ممزوجا بمشاعره المعذبة) هذه هي الحقيقة المجردة بكل بساطة يويا "

عادت للتحديق في كفيها في ذهول تفكر ثم رفعت إليه ناظريها تقول بألم " أتعني أنك هنا لكن كفاي فارغان ؟.. أملكك لكن لن أحصل عليك ؟.. وكأني أملك شيكا بمبلغ خرافي لكنه ممنوعا من الصرف "!!!!

همس بمرارة " وهذه هي الحقيقة المجردة أيضا بكل تعقيد !! ".

وقف يلتهم وجهها بعينيه بينما أطرقت هي تفكر مجددا ..ثم أغلقت كفيها بعد قليل وسألته

Des. Maryam Tamim

بشجاعة " هل إن اختفيت من حياتك سيخفف هذا من عذاباتك؟"

استند على السيارة بجسده وقال وهو يطرق برأسه أرضا " سينزاح من على كاهلي على الأقل احساسي أني ظالم .. ولن أخسر احترامي لذاتي "

سألته بهدوء " وستقدر ؟"

رفع إليها رأسه وأجاب " عليّ أن أقدر وعليكِ أن تقدري.. في كل الأحوال الطريق مسدود أمامنا .. إنها الحقيقة"

تقبضت متألمة تحدق في الأرض بنظرات زائغة كأنها تبحث عن شيء مفقود .. تستحضر شجاعة لم تعرف من أين ستأتي بها .. لكن عليها أن تستحضرها لتساعده على الاستمرار بحياته .. ولو بقدر ضئيل من الراحة.. تذكرت أزمته الصحية الأخيرة .. وتذكرت أنها ورطته الكبيرة وتذكرت ما قاله أحمد ..فهمست لنفسها " عليك بالاستسلام

Des. Maryam Tamim

يا آية .. فكثيرا من الضغط عليه سيقتله حتماً ..
لقد اعترف لك بأنك صاحبة السلطان عليه ..
جاءك يطلب منك أنت القوة ! ..
أنت قوته يا آية فلا تقتلي المارد بيديك .. لا تقتليه .. يسألك التحرر من قيدك .. فحرريه .. واطلقيه فربما يستريح .. ربما ينال بعضا من السعادة ".

بعد قليل رفعت وجهها إليه تقول " بشرط " رد باستلام " لك ما تريدين".

ارتجف قلبها وهي تراه مستسلما لها فابتلعت ريقها وقالت " هي فقط .. سأسمح بذهابك لها هي فقط دون غيرها .. فإياك والعودة لعلاقاتك النسائية يكفيني في نار الغيرة طرفا واحدا "

Des. Maryam Tamim

أشاح بوجهه بعيدا عنها يقاوم وغز الدموع في عينيه .. يذبحه احتراقها بالغيرة.. صغيرة هي على هذا العذاب .. أقل ما تستحقه التدليل والهدهدة .. لا أن يطلب منها أن تدفع ثورا مثله أكبر منها حجما وعمرا ليصلب قامته ويكون رجلا حقيقياً ! ..
تطلع فيها مجددا وقال بجدية " أنا بالفعل ألتزم بذلك وأعدك ألا أفعل ".

أضافت بهدوء وهي تنظر للسيجارة الغير مشتعلة المحطمة بين أصابعه "هناك شرطا آخر .. أن تقلع عن التدخين تماما .. وتأخذ دواءك بانتظام .. ولا تنتكس صحيا مجددا "
أومأ بالطاعة غير قادر على الكلام ..
فأرادت أن تضيف " وتغير إطارات تلك النظارة التي تزيد من جاذبيتك إلى إطارات أقبح " لكنها تراجعت حتى لا تبدو أمامه تافهة كطفلة !.

Des. Maryam Tamim

عادت لتحدق في الأرض .. تبحث عن ذلك الشيء المفقود مجددا .. فإذا به يهبط أمامها فجأة على ركبته بحركة أجفلتها .. ليربط لها رباط حذاءها الأبيض الذي لاحظه للتو مفكوكاً..
راقبت رأسه الكبيرة أمامها ومدت يدا مرتعشة لتغرس أصابعها في شعره.. لكن يدها تصلبت في الهواء قبل أن تلمسه .. وتذكرت ما قاله أن لديها من القوة ما قد يضعفه ... فتمتمت في سرها "سأفعلها من أجلك .. ما دمت تريد مني ذلك "

رفع نظره إليها يتأملها لثوان وهي تشرف عليه من عليّ .. وقاوم رغبة في أن يدفن وجهه في حضنها ولو لدقيقة واحدة .. لكنه استجمع قواه واستقام مجددا يسند على السيارة .. واضعا يديه بجانبه..
فسألته مجددا" هل هذا حقا .. أفضل حل من أجل الجميع ؟"
فتمتم بيأس "نعم للأسف"

[2953]

أومأت برأسها في هدوء متفهمة وقالت " لك هذا إذن .. واسمح لي أن يكون الوداع من هنا .. من هذه اللحظة .. سأخذ سيارة أجرة .. "

نكس رأسه يضغط على شفتيه بقوة ويمنع ذلك الوخز الحارق الملح في عينيه مجددا .. وكلمة (الوداع) تهدده باقتلاع وشيك لروحه ..

تأملته بحرية للمرة الأخيرة .. وودت لو تحولت لسيجارة كالتي يسحقها في قبضته الآن .. فيدخنها للأبد .. يسحب جزيئاتها إلى صدره .. وينفثها إلى الفضاء الفسيح دخانا غير مرئيا يتتبعه أينما ذهب دون قيود ..

لكنها تذكرت أنه وعدها بالإقلاع عن التدخين!

فتمنت أن تكون بحجم عقلة الأصبع يضعها في جيبه أو يعلقها بميدالية مفاتيحه فلا تفترق عنه ابدا.

أو...

[2954]

تكون أكبر عمرا فلا يسقط حقها فيه لأنها فشلت
في أن تكبر بشكل أسرع !
أو..
أن يكون اسمها (بسمة) !!..

أما سيد فلايزال منكس الرأس يحدق أرضا يذكّر
نفسه أنه ثور ضخم في الخامسة والثلاثين من
عمره وليس مراهقاَ في السادسة عشر.. وراقب
حذائها الأبيض غير قادر على رفع رأسه ورؤيتها
وهي تبتعد ..
تحركت للخلف خطوتين .. ثم وقفت لثانية ..
وتحرك حذائها للأمام في اتجاهه ..
واقتربت منه بهدوء ..
ووقفت على أصابع قدميها لتطبع قبلة صغيرة على
فكه .. فاستشعرت خشونته تحت شفتيها
واستشعر هو طراوة شفتيها على وجهه ..
لتنهمر الدموع من عينيه ..

[2955]

دموع غالية ..
وهو يشاهد الحذاء الأبيض يبتعد بسرعة وكأنه يطير من على الأرض ...

وقف منكسا رأسه في حالة جمود ولم يعرف كم مر من الوقت .. وحين رفع رأسه كانت شمسه الصغيرة قد اختفت .

***

بعد أيام :

خرج وائل من غرفته في الصباح لا يجد مريم .. إن تلك المزعجة تذهب وتجئ كما يحلو لها ! ..
تحرك نحو المطبخ فوجد ماجدة منكبة على حاسوبها تكتب شيئا .. إن هذا الأمر بات يغيظه أيضا ويحدث من مدة ليست بالقصيرة ..فاقترب منها يقول "ماذا تفعلين ؟"
تفاجأت بوجوده فأغلقت الحاسوب فجأة تتمتم بلا شيء ..

[2956]

تطلع إليها قليلا ثم سأل " أين البنات ؟"
فردت " عند جدتهما منذ أن استيقظتا .. هل تريد الفطور ؟"
أومأ برأسه شاردا يتطلع حوله بتوتر كمن يبحث عن شيء .. أو شخص .. وراقبته وهو يجلس على المنضدة التي تتوسط المطبخ الكبير يمسك بالجريدة .. وقد أيقنت من نظرته الباردة لها أنها اليوم ماجدة .. وليست مريم .

بدأت في إعداد الفطور في صمت مقتضب تسترق النظر إليه من وقت لآخر .. لا تدري هل ما تفعله صحيحا بسكوتها عن حالته بشأن الهلاوس البصرية وتطور حالته مؤخرا بأن يدعوها بمريم في بعض الأحيان .. وإن كان على فترات قصيرة متباعدة .. أم عليها استشارة طبيب؟ ..
لكنها تخشى أن ينهار حين يواجه بموضوع الهلاوس وتتدهور حالته أمام البنات ..

Des. Maryam Tamim

كما أنها تراه سعيدا بخيالاته وهلوسته .. وهذا أمر في حد ذاته يستحق لأن تتحمل وجود شبح مريم من أجله ..

ابتسمت لنفسها ساخرة ..
شبح مريم يعيش معه كإنسان ..
وهي يتعامل معها كشبح في حياته ! ..

اختلست النظر إليه من جديد.. يبدو أنه لا يرى مريم اليوم وتمتمت في سرها" لو تعلمني ما تفعله لك مريم لفعلته لك حتى لا تحزن هكذا .. لكني حتى لو تعلمته فلن تقبله مني .. فأنا سأظل أذكرك بماض مؤلم سحق روحك .. فلتعش في الخيال إذن لو كان هذا الثمن مقابل أن تظل متواجدا في هذا البيت مع بناتك وأهلك ..
ومعي ..
فماذا ستفعل بالواقع ؟..

[2958]

وماذا ستفعل بي ؟..
سأظل أنا .. كما أنا ..
باسمي .. بلقب عائلتي ..
وبالماضي العالق بيننا ..
وبشكلي .. الذي لا يشبه مريم !..

بعد أن وضعت الطعام على المائدة حملت حاسوبها وتحركت تتركه وحده يكمل فطوره حتى لا ينزعج من وجودها .

راقبها تحمل الحاسوب وتخرج وتملكه الغيظ .. متسائلاً ما الذي تخبئه في هذا الحاسوب ؟؟ ولمن تكتب ؟
هل تتواصل مع أحد ؟ .
ظهرت مريم لتقطع تفكيره وهي تهتف بابتسامة شقية " ما بك .. لم أنت واجم هكذا؟ "

Des. Maryam Tamim

قال بغيظ " أين كنت؟ .. استيقظت ولم أجدك ؟
مطت شفتيها الجميلتين وردت " كنت في لا شيء..
أخبرني لم كنت واجما ؟"
رد بضيق" ماجدة .. ماجدة تكتب على حاسوبها
معظم الوقت بشكل سري يثير الشك "
جلست أمامه على المنضدة وفرشت فستانها
الأصفر حولها وردت بلامبالاة " إنها تفعل ذلك
منذ فترة طويلة ما الجديد ؟"
رد وهو يلوك الطعام بشرود " لديك حق .. لكن
كلامك عن حقها في الحب أصابني بالشك" .

سألت " لم؟ .. أليست إنسانة ومن حقها الشعور
بأنها محبوبة ؟!"
رد منفعلاً " لكنها متزوجة !!"
قالت ببرود " وأنت متزوج .. وسيد متزوج (
واكملت بهيام) وأنا معجبة بعمرو وهو متزوج"

Des. Maryam Tamim

صمت قليلا ثم قال بضيق " مادامت زوجتي فذلك خيانة .. كما أني قد أعطيتها أكثر من فرصة لتثبت عليّ جريمة الزنا وتتطلق وهي لم تفعل"
ردت مريم ببساطة" ربما لأنها لا تمتلك مكانا تذهب اليه .. أنت تعلم علاقتها بعائلتها .. وربما لا تريد أن تنفصل عن البنات ".

قال وائل بغضب " بالطبع لن أترك لها بناتي "
صاحت " أرأيت؟ .. ها هو سبب لتبقى معك بالإجبار "
رمى اللقمة من يده بعصبية في الطبق وقال " وأنا لن أسمح بهذا الوضع أبدا.. فلتذهب بعيدا وتحب كما تريد "
مطت شفتيها وقالت ببرود وهي تتفحص اظافرها
" لا تقلق وارد جدا أن يحدث ذلك"
سألها بتوجس " ماذا تقصدين ؟"

Des. Maryam Tamim

رفعت شعرها الأشقر تقول " قد تصل لنقطة لن تستطيع التحمل بعدها .. فتترك لك البنات وترحل .. لتبدأ حياة جديدة مع شخص جديد"

صمت قليلا يفكر ثم قال بضيق" هي لا تهمني بالطبع لكن ما ذنب البنات أن يحرموا من أمهم "
ردت " إذن دع البنات يرحلون معها"
رفع حاجبا وقال بعند صبياني " وما ذنب البنات أن يحرموا من أبيهم؟! .
ردت باستنكار " وما ذنبها هي أن تُحرم من انسانيتها"
شعر بالغيظ فقال " مريم أنت بِتِ تضايقينني هذه الأيام"
تخصرت وتحركت مغادرة وهي تقول " إذن لا تستدعيني مجددا"
عبس وائل كالأطفال وهتف بحنق " مريم! "

Des. Maryam Tamim

تكتفت واستدارت إليه.. فقال " هل ستتركيني وحدي مجددا؟!!"
ابتسمت واقتربت منه تتعلق في رقبته بميوعة وقالت " أنت طفل صغير ..عنيد ..مدلل " أمسك بخصرها وتمتم " وشقي ومنحرف "

فاطلقت ضحكة عالية ثم قالت " حسنا .. إليك الحل الذي سيريح الجميع " .
فتطلع إليها باهتمام .. لتقترب و تهمس أمام شفتيه بإغواء " أن ترحل معي من هذا العالم .. وتتركهم لحياتهم التي لا تعجبك .. أنت تشتاق للرحيل طيلة حياتك وتبقى من أجل أصدقائك وبناتك .. آن الأوان أن تقرر الرحيل معي .. أنا وأنت فقط .. وتترك لهم هذا العالم المادي القبيح الفاقد للمعنى "

***

ما الحل !

[2963]

لم تتوقع أبدا الأمر بهذا الشكل
هذا السيناريو لم تتوقعه أبدا ولا تعرف كيف تتصرف .
الأفكار تعصف بها والكوابيس لا ترحمها ..
إنها ممزقة ..
لكن التمزق هذه المرة غير كل المرات .

والشعور بالازدواجية هذه المرة مخيف مرعب
يكاد يعصف بها ..
لقد لجأت لحبات المهدئ لتستطيع النوم ..

تحركت بانة في هذا الوقت من الصباح نحو المطبخ تصنع قليلا من القهوة وشردت في أفكارها من جديد ..
لم تستطع أن تخبر أحمد بالأمر فيكفيه ما هو فيه من هموم ومسئوليات .. خاصة وهو يقضي معظم وقته في الفترة الأخيرة مع آية .. مستغلا رغبته في

Des. Maryam Tamim

الفرار منها منذ تلك الليلة التي حدث فيها ما حدث بينهما فأصبح يقضي وقته خارجا بل يقضيه مع آية بالذات ..

وهي ستجن من كل شيء ..

وتشعر بالشلل التام ..

ولا تعرف كيف تخبره بما تخفيه عنه منذ شهر تقريبا ..

بل إنها لم تحدد بعد هل تخبره أم تفاجئه أم ..

كلما تخيلت رد فعله حين يعرف .. تشعر بالرعب منه والخوف عليه .

إنها مرتبكة والحيرة تقتات عليها .

جاءها تنبيه على الهاتف فقرأت الرسالة " على أن أقابلك اليوم في نفس المكان .. لابد أن نضع النقاط على الحروف وتبلغيني بقرارك الأخير يا بانة مر أكثر من شهر ولم أسمع ردك "

Des. Maryam Tamim

زفرت في عصبية ولم ترد ثم رفعت القهوة من فوق النار وصبتها في الفنجان .. ووقفت شاردة من جديد تتطلع للهاتف .

فجأة لمحته وهو يتحرك أمامها ..
أمامها مباشرة .. كبيرا .. بشاربين كبيرين .. على الحائط .
قفزت صارخة .. وفي ثوان كانت تقف في وسط الصالة ..
انتابتها القشعريرة وبدأت تمسد على ذراعيها بالتناوب .. ثم تحركت في عصبية جيئة وذهابا كحيوان أضرم في ذيله النار .. تقوم بالقفز تارة وبالحجل تارة أخرى ..

جرت نحو باب الشقة ثم اكتشفت أن ما تلبسه لا يسمح لها بالخروج ..فنظرت لأرض الصالة في رعب ..

Des. Maryam Tamim

ربما أتى وراءها إلى الصالة .. ربما موجود هنا أو هناك وسيخرج إليها في هذه اللحظة .
ثم جحظت عناها في رعب وهي تتساءل هل هو من النوع الذي يطير !.

عند هذه الخاطرة قفزت فوق منضدة السفرة وفتحت هاتفها تتصل بأحمد .. سمعته يخرج منذ قليل .. ودعت ألا يكون قد ذهب للعمل .

رد أحمد على الهاتف فصرخت بانة " أحمد أين أنت ؟"
تملكه القلق وقفز واقفا يقول " أنا في شقة العائلة ما بك ؟؟"
ردت باكية في رعب " تعال يا أحمد بالله عليك بسرعة إنه في المطبخ "
شحب وجهه وتبادل النظرات مع والديه اللذان بدآ يحدقان فيه بترقب فتحرك مسرعا وهم والديه

Des. Maryam Tamim

باللحاق به وهو يسألها بجزع " بانة أنا آت حالا أخبريني من الذي بالمطبخ"
صرخت باكية" صرصور.. يا أحمد صرصور كبير جدا "
تجمد أحمد على السلم وقد شلت أطرافه لثوان ثم استدار لوالديه حين سمع إلهام تقول بهلع وهي تجري على السلم وراء أبيه" ماذا يحدث يا أحمد؟"
قال وهو يقاوم أعراض ذبحة صدرية " إهدئي يا أمي بانة وجدت صرصور بالمطبخ ".

تجمد الثلاثة يتبادلون النظرات ثم انفجر الحاج سماحة في الضحك بينما وضعت إلهام يدها على صدرها تحاول التنفس وهي تتمتم " سامحك الله يا بانة يا بنت زينب "
رمق أحمد والده الذي يضحك وقال " تضحك يا أبي .. أبشر .. لقد انقطع نسل عائلة سماحة إلى الأبد "

Des. Maryam Tamim

رد الحاج من بين ضحكاته وغمز " اذهب للصرصور .. وكن حنونا وأنت تقتله "

جاء صوت بانة صارخا عبر الهاتف "أحماااااااااااد "

تحرك أحمد مسرعا بينما إلهام مازالت تمسك بقلبها وهي تقول" ساعدني يا إبراهيم قدماي لا تحملاني"

أحاطها بذراعه يساعدها على الصعود وهو يقول بلهجة ذات مغزى " وأنت ألا يوجد لديك صرصور لنقتله معا"

***

دخل أحمد وجحظت عيناه يطالع منظرها على منضدة السفرة .. فأغلق الباب بهدوء ووقف فاغرا شفتيه مبهورا بشكل يثير الشفقة .

Des. Maryam Tamim

كانت فوق المنضدة تحضن ركبتيها ترتدي منامة حريرية من قطعتين مكونة من بلوزة قصيرة بحمالات رفيعة باللون السكري المنقوش بالورود الحمراء يكشف الكثير من بشرتها البيضاء وشورتا قصيرا جدا باللون الأحمر يكشف عن فخذيها الممتلئين.

صرخت بهيستيريا " أحمد بسرعة قد يذهب هنا أو هناك ولا نجده "

سألها بصوت مبحوح " أهذه مأدبة لما لذ وطاب!"

صاحت ولم تكن في حالة ذهنية تسمح لها بأن تلتقط ما يرمي إليه " أحمد لماذا تقف هكذا ؟.. لو ضاع منك لن أمكث في هذه الشقة لحظة واحدة حتى تجده "

استشعر الرعب الحقيقي في وجهها فحاول لملمة أعصابه وقال" إهدئي يا بانة إنه مجرد حشرة "

Des. Maryam Tamim

ردت بعصبية " أنت لم تراه .. إن لديه شاربان كبيران "

رد متهكما " حقا! "

فأومأت بوجهها الممتقع من الرعب .. فأكمل أحمد " و أنا لا أسمح بذلك أبدا .. كيف لصرصور ذكر بشاربين كبيرين أن يراك بهذه الهيئة .. لابد أن أنتقم لشرفي من ذلك الصرصور الذي اطلع على مالم اطلع عليه "..

تحرك نحو الداخل ثم عاد يقول" لا تتحركي من فوق المنضدة سأنتقم لشرفي وأعود"

عادت تحضن ركبتيها وهي تسمع أصوات جلبة بالطبخ ..

عاد إليها بعد قليل فسألته "هل قتلته؟"

Des. Maryam Tamim

أومأ برأسه وهو يرسم تفاصيلها بعينيه ويشعر بالحمم السائلة تتدفق في شراييينه فتمتم في سره " متى سيرضى الله عنك يا أحمد " .

تقدم نحوها بهدوء وهو يعي أنه في حالة انفلات أعصاب فتمتمت بعدم استيعاب " لا أفهم من أين دخل .. بهذا الشكل لابد أن أخرج كل الوحدات بالمطبخ .. قد يكون هناك المزيد (وأكملت باكية) لا لا استطيع تحمل هذه الفكرة أبدا "
مد يده في صمت لها لتنزل فأطاعته وهو يتأمل ساقيها الواحدة تلو الأخرى وهما تهبطان من فوق المنضدة لتستقر قدماها الحافيتان على السجادة وعادت صور تلك الليلة اليتيمة بينهما تغزو مخيلته من جديد ..

وهل نساها ! .. لقد أضحى يسترجعها مرارا وتكرارا في الليلة آلاف المرات ..

[2972]

وقفت أمامه بخجل تستمع لصوت أنفاسه المتسارعة وتستشعر رائحته التي بدأت تشعرها مؤخرا بمشاعر مخجلة وقحة .. ثم تنبهت لساعديه وهتفت بجزع وهي تطالع علامات هرش قوية على جلده " ماذا حدث لساعديك ؟ (وأمسكت بهما تنظر بقلق) ماذا حدث لمَ هرشت جلدك بهذا الشكل البشع " ..

استمر في التحديق فيها غير قادر على الهرب. ..وغير قادر على الانقضاض عليها وافتراسها .. وتساءل .. أهذا نوع من المشاعر المزدوجة التي تنتابها .. ثم تنبه لما قالته فنظر لساعديه يحاول التركيز ثم عاد للتحديق فيها ورسم تفاصيلها وهو يرد بهدوء " بعض الحكة البسيطة .. سأتناول دواء للحساسية"

اتسعت عيناها تقول " هل هذا بسبب الصرصور هل تتحسس من رؤيته ! "

[2973]

أومأ برأسه بهدوء ثم قال " اشمئز من رؤية الحشرات فتصيبني بالحكة ".

شعرت بالذنب فتحركت بسرعة وهي تقول " سآتيك بمرهم ليهدئها "
تمتم بصوت هارب منه باسمها متوسلا أن تبقى قليلا لكنها أسرعت من أمامه.

بعد دقائق عادت .. ولسعادته لم تبدل ملابسها وقد ظن أنها قد تفعل .
وقفت أمامه وهو جالس على الأريكة تضع بعضا من المرهم على ساعديه وشعرها العسلي يسقط أمام وجهه وسمعها تقول " هذا المرهم سيهدئ الحكة بإذن الله "
قاطعها يسألها بصوت هارب منه وهو يتحسس الخصل العسلية " هل عدت ترتدين تلك المنامات مجددا يا بانة؟ "

Des. Maryam Tamim

ابتلعت ريقها وردت بحياء " مكيف الهواء ليس قويا منذ يومين فاضطررت لأن أنام بملابس خفيفة .. أصلح لي مكيف الهواء من فضلك"
رد وهو يتفحص أدق تفاصيلها بنظرة جائعة " بل سألقي بكل أجهزة التكييف خارجا إن كان الأمر سيجعلني أرى نعم الله وبديع صنعه شاخصة أمامي حتى لو احترقت ذاتيا لعدم استطاعتي لمسها أو تذوقها .. حتى لا أكون مغتصبا " .

كلماته آلمتها ..
ضغطت على آخر ذرة تحمل متبقية لديها .. فنزلت فجأة بركبتيها على الأرض تجلس بين ساقيه وأمسكت بيده .. وانحنت تقبلها قبلة طويلة محمومة على ظاهر يده ففاجأته.. ثم رفعت إليه وجهها لتقول بهمس محترق" أعلم أني ابتلاءك في الدنيا وأني عذبتك وجرحتك .. وقد أجرحك في المستقبل .. لكن صدقني أنا تعبت من كل شيء ..

Des. Maryam Tamim

تعبت من التفكير .. تعبت من ازدواجية المشاعر ..
تعبت من الماضي الذي يلاحقني بلا رحمة
والحاضر الذي لا أستطيع أن أعيشه .. لكن
الحقيقة المؤكدة الوحيدة التي لا أتردد بشأنها
لحظة.. أني أحبك .. أحبك يا أحمد حبا يعذبني ..
حبا لو تعلمه علم اليقن لتألم قلبك شفقة عليّ "
صمتت تبتلع ريقها بينما قفز قلبه يضرب في صدره
فسحبها لتقترب منه أكثر وهي تكمل " وتلك الليلة
أنا وأنت نعلم أني منحت نفسي لك بإرادتي الحرة
وما حدث لي وقتها كان جزء كبيرا منه .. أني .. (
صمت قليلا بحرج .. وتطلعت حولها تستجمع
شجاعتها ثم رفعت شفتيها لتهمس في أذنه) أني
أحببت تلك اللحظات بيننا وشعرت بالسعادة ..
وأني .. تملكتني مشاعر لم أفهم معناها لكنها كانت
استثنائية " .

Des. Maryam Tamim

ابتعدت عن أذنه فحدق فيها بذهول غير قادر على التنفس .. يشعر بأنه يوشك على ارتكاب جريمة (قلة حياء) بشعة .. بينما أكملت هي بوجه أكثر احمرارا .. أشعره بشعور ثور أسباني يستفزه اللون الأحمر .. أحمر ملابسها وأحمر وجهها وأحمر شفتيها " هذا الشعور أشعرني بالذنب .. كيف أشعر بتلك السعادة معك وأنا لا أعلم أين أهلي حتى أني رأيت حلما أفزعني وأشعرني أني خنتهم " تقبض أمامها لا يعرف ماذا يفعل ليتحكم بنفسه أكثر حتى لا يفزعها .. وفكر بأن يجري ليلقي بنفسه من الشرفة.. ثم صرف عنه الفكرة مؤقتا وقال بصوت هارب منه " اعترف أني أذيتك بكلامي لكني كنت مطعونا في كرامتي كيف أن امرأتي لم تشعر بما أشعر "

همست تقول بصوت مبحوح " بل شعرت"

Des. Maryam Tamim

ثم غطت فمها بكفيها بسرعة تطالعه بحرج وقد أزداد احمرار وجهها ..
حدق أحمد فيها لثانية ثم رفع قبضته يداري بها فمه هو الآخر لكنه لم يكن يداري الخجل .. وإنما ينفخ أنفاسا ساخنة في قبضته وهو يتطلع حوله يمينا ويسارا لا يعرف أين يهرب أو ماذا يفعل ليتحكم في انفلات وشيك .. ثم عض شفته بعنف يتحكم في مشاعره الذكورية التي جمحت وقال " حسنا دعينا نكمل هذا الحديث وقت آخر يا بانة سأعد لثلاث وتتحركين إلى .."
قاطعته تقول " هناك أمرا أخر لم أقله بشأن مشاعري (واقتربت مجددا ترفع شفتيها نحو أذنه فمال برأسه متسع العينان يقابلها في منتصف الطريق باهتمام فهمست) أنا .. أنا أصبحت اشعر بمشاعر قليلة الحياء تجاهك .. وأحيانا أرى أحلاما أنا .. وأنت ذ .. "

Des. Maryam Tamim

ابعدت وجهها تتطلع في وجهه وهي تغطي فمها بكفيها وكأنها تعترف بذنب فظيع ..

حدق فيها قليلا ثم أشار لها لتقرب أذنها ثم همس فيها " بعد ما قلتيه الآن يا بانة .. بهذه الطريقة وفي هذه الهيئة .. أمامك حلان .. إما أن ألقي بنفسي من الشرفة أمامك حالا .. أو أن أساعدك في التخلص من تلك المشاعر قليلة الحياء التي تنتابك مؤخرا بشأني "
نظرت إليه بشك وسألت بأنفاس ساخنة " كيف بالضبط سأتخلص منها ؟"
سحبها فجأة يمسك برأسها بين يديه ويميل ليطبق على شفتيها بقبلة متجمرة عنيفة .

أطلق سراحها بعد قليل فشهقت تنظر إليه لتجد نفسها في ثانية محمولة بين ذراعيه وهو يستقيم فصرخت بإجفال .. فقال أحمد " سأؤدبها تلك

Des. Maryam Tamim

المشاعر المنحرفة الوضيعة التي تتحكم بزوجتي..
التي تشتاق لزوجها .. وتبخل عليه بهذه المعلومة
وقد ظن لفترة طويلة أنه مغتصب النساء "
ثم هجم مرة أخرى على شفتيها بعنف لم يستطيع
التحكم فيه فأحكمت ذراعيها حول رقبته دون أن
تعي..
تحرك نحو الداخل. . وفي غرفتها وضعها على
السرير وهو يرى أثر قبلته على شفتيها فقال وهو
يخيم فوقها يقبل رقبتها كالمهووس ويهمس في
اذنها نارا تخرج من صدره " تحملي همجية زوجك
اليوم يا قلب أحمد .. فكيف لمحروم أن يطلب منه
حين يرى الزاد أخيرا أن يتأدب ويتمهل في التهامه.."
شهقت بانة تتلوى بين ذراعيه حين اكتشفت أنهما
أصبحا عاريان فجأة بينما همس أحمد" أخبريني
بالتفصيل عن تلك المشاعر قليلة الحياء تجاهي
لأتعامل معها بحزم "

Des. Maryam Tamim

ابتسمت وغطت عيناها بكفها بحرج .. فوزع قبلات محموما على ذقنها ورقبتها ثم قال والحمم تخرج مع أنفاسه " أتوسل إليك يا بانة أن تخبريني ولو قدرا بسيطا من تلك المشاعر والأحلام فأنا اشتاق إليك إلى حد التوسل و أريد أن أشعر أنك ترغبين بي .. وأني لست .مغتصِب.."

قطع عبارته حين اندفعت تقبل رقبته بقبل رقيقة كنقر الفراشات فأغمض عينيه وتمتم متهكما " يا لها من مشاعر وقحة جدا "

وتعجب أن تشعره قبلاتها الخجلة كل هذه الأحاسيس ..فأطلق أنينا متوجعا وهو يشعر بها.. بامرأته ..

بزوجته .. بحلاله .. ترغب فيه كرجل ..

فاطبق على شفتيها يروي شوقا مضنيا وقد تآمرت معه هذه المرة .. مشاعرها تجاهه (قليلة الحياء) ..فاستسلمت بانة للطوفان الذي حملهما معا ليحلقا في السماء من جديد .

[2981]

بعد بعض الوقت:

تحسست قليلا صدره العضلي الملتصق بوجهها .. ورائحته الذكورية المحرضة على (قلة الحياء).. ثم تسللت بخفت من بين ذراعيه تحدق فيه وهو مستسلم للنوم وقد انتظرت وقتا طويلا لتتأكد أنه قد نام ..
ارتدت ملابسها وتحركت نحو الحمام الداخلي على أطراف أصابعها .. ثم جلست على حوض الاستحمام تدفن وجهها في كفيها وتبكي بكاء مكتوما حتى لا يشعر بها ويتألم ..

ها هي من جديد تبدأ معه الرحلة باحتياج وترتفع خلالها للسماء تحلق بسعادة .. وحين تعود للأرض .. تجد وحش الاحساس بالذنب ينتظرها ليعتقلها ويعذبها بجريمة السعادة معه دون وجه حق .

[2982]

أما في الغرفة فكان أحمد يفرك جبينه في ألم وهو يسمع بكاءها المكتوم في موجة احباط جديدة تلي عودتهما من التحليق في السماء .

في نفس الوقت وصل تنبيه على هاتفها الموضوع بجانب السرير فلمح الشاشة المضيئة قبل أن تنطفئ ليقفز باهتمام يفتح الهاتف ويطالع رسالة تقول " لم تردي عليّ يا بانة.. و لا أعلم ماذا أفعل .. علينا اتخاذ القرار بسرعة .. لن نستطيع تأجيل البت فيه أكثر من ذلك "
تطلع لأسم المرسل ولاح الخطر على وجهه وتساءل " كامل من ؟ .. كامل غنيم ؟؟؟!!!"

Des. Maryam Tamim

الفصل الحادي والثلاثين

أطلقت أروى ضحكتها بجوار أذن عمرو ثم صاحت " أنت فاشل يا عمرو فلا تحاول "

رد عليها ببرود " أنا ذكي جدا في التعلم وسترين"

ردت عليه وهي تحكم ذراعيها حول عنقه " ها قد رأيت .. مجرد استخدام المكنسة الكهربائية لا تتقنه .. أنت تنظف نفس السجادة منذ نصف ساعة ولم تتقن حتى أن توجهها للأركان ... قلت لك أتركني لأفعلها ولا تتدخل في عملي "

رد عليها بلهجة ذات مغزى "ربما أتلكأ حتى أظل أحملك فوق ظهري "

تخضبت بالحمرة وشددت من ذراعيها حول عنقه بينما هو يحملها على ظهره وذراعه اليسار يسندها من الخلف .. والذراع الأخر يمسك به يد المكنسة الكهربائية فتمتمت بحرج " يكفي هذا الحِمل على ظهرك.. انزلني "

Des. Maryam Tamim

رد متهكما "أي حِمل أروى هانم .. أنت في وزن فتاه في العاشرة "
قهقهت برقة وردت" ليس إلى هذه الدرجة (ثم عادت لتسأل بقلق) هل أنا نحيفة إلى هذه الدرجة المزعجة ؟"
فهم ما ترمي إليه فتحرك يضعها برفق على الأريكة ثم قال " أروى أنا اتحدث من أجل صحتك .. أنت لا تأكلين أكل امرأة ناضجة وهذا غير صحي "
ردت بإصرار" وأنا أتساءل بشأن أمر أخر "
لاحت ابتسامة خبيثة على جانب فمه ثم سأل بتسلي" لم أفهم "
ردت بحنق " عمرو لا تراوغ أنت تفهم ماذا أقصد "
قال بعند" لا أفهم ماذا تقصدين "
لاحت ابتسامة خجلة على شفتيها وقالت" أقصد أنا كأنثى معك"
حرك مقلتيه قليلا يدعي التفكير ثم قال " من الواضح أني كزوج لم أوصل إجابة هذا السؤال لك

Des. Maryam Tamim

جيدا .. لهذا تسألين.. عموما لا بأس .. سيسعدني جدا بذل المزيد والمزيد من الجهد والوقت والابداع للرد على سؤالك بشكل عملي أروى هانم .. (ثم مال عليها يقول بهمس) المهم خلصينا من هذه الظروف الشهرية التي ستزهق روحي قبل أن تنتهي " .

ضربت على صدره موبخة بهمس " قلت لك الأمر كله خمسة أيام مر منهم ثلاثة فقط وأنت لا تكف عن التململ كالأطفال "

رد بحنق طفولي" كثير يا أروى هذا كثير"

قهقهت برقة وهي تمسد على لحيته الأنيقة وجبينه تفك من عبوس الأطفال الذي على وجهه فقال بجدية " أنا أتحدث بجدية يا أروى .. سأعرضك على طبيب تغذية ليضع لك برنامجا غذائيا "

Des. Maryam Tamim

ردت قائلة " طبيب العظام حذرني من زيادة الوزن .. خاصة وأني أجلس طوال الوقت على الكرسي " قال عمرو" لكن ليس لهذه الدرجة يا أروى بالتأكيد بضع كيلو جرامات أخرى سيتحملها ظهرك.. خاصة وأنك تخضعين لعلاج طبيعي مكثف هذه الأيام .. أي أنك لست جالسة طوال الوقت دون مجهود .. عموما سأناقش أنا طبيبك بنفسي المرة القادمة لابد أن نذهب إليه قريبا "

قالت أروى مازحة ببعض الحرج " أعتقد أنه من ضمن أسباب عزوفي عن الأكل هو رغبتي أن أكون سهلة (الحمل والطي) بالنسبة للآخرين ".

آلمه قلبه بشدة لعبارتها .. فقرب وجهه منها يقبل بين عينيها بحنان ثم احتضن جانب وجهها بكفه ورد هامسا "أنا مستعد لأن أحملك فوق ظهري حتى آخر العمر يا أروى .. مهما كان وزنك (صمت

Des. Maryam Tamim

قليلا يفكر ثم قال) سأعقد معك اتفاقا كل كيلو جرام ستزيدينه من وزنك سأحمله وزنا في رفع الأثقال وهذا تحدي .. وسأبدأ في صالة الألعاب الرياضية منذ الغد ما رأيك ؟"؟

غامت عيناها تأثرا وألصقت جبينها بجبينه تحدق في عينيه وهي تهمس بكلمات أغنيتها المفضلة " ومضيت شراعا يحملني كقصيدة شمس بحرية" فقرب شفتيه منها ليقبلها لكنها وضعت إصبعها تمنعه ليهتف باستنكار طفولي " ماذا !! .. هل سأحرم من تقبيلك أيضا ".

ضحكت وقالت " أتركني لأسخن طعام الغداء في الميكروويف ولا تعطلني".
رجع برأسه للخلف قليلا عاقدا حاجبيه ثم قال" ألن نتناول الغداء عند والدتي اليوم؟".

Des. Maryam Tamim

ضيقت أروى عيناها بتساؤل فقال بحرج هامس
"لم أخبرك أمس ؟؟!!"
حركت رأسها بلا فقال "آسف نسيت "
رددت بلا بأس هادئة تداري شعورا بالتوتر بدأ يتسلل إليها .
***
قطرات الماء تتساقط من شعره وجسده بعد أن حصل على حمام سريع ليوقف فوران الدماء إلى رأسه ..
جلس بالصالة يحلل الأمر ويضع الاحتمالات التي كان أقواها ما يتعلق بالعودة لوطنها .. ينتظر خروجها من حمام غرفتها بعد أن تنتهي من وصلة البكاء .. وينتظر أن يهدأ قليلا .. يشعر بنفسه في حالة خطرة من الغضب .. ومنع نفسه أكثر من مرة من اقتحام الحمام عليها ..لكن جزء من إدراكه كان مستيقظا ينبهه أنه حتما سيؤذيها.

Des. Maryam Tamim

بعد قليل خرجت تبحث عنه وقد أجفلها عدم وجوده بالسرير .. وحين طالعت منظره في الصالة في حالة جمود يجلس على الكرسي يستند بمرفقيه على فخذيه وشعره منتكش ظنت أنه غاضب بسبب بكائها ..
فاقتربت منه في حرج لا تعرف ماذا تقول فلم تكن تريده أن يتألم .. فتحدثت موضحة " أحمد لا تظن أني لا أكون معك بكليتي.. صدقني هذا غير صحيح .. لكني حين استفيق تحاصرني تلك المشاعر التي تعلمها .. هلا تحملتني قليلا ".

رفع إليها عينين خطرتين تشتعلا بالغضب وحدق فيها قليلا .. ثم اشار بيده لهاتفها المحمول وهو يقول بفحيح مرعب " من كامل الذي يريد أن يعلم بقرارك ؟.. وماذا يقصد؟.. وكيف تتواصلين مع رجل غريب دون علمي أيتها الزوجة الفاضلة؟!!"

Des. Maryam Tamim

تجمدت الدماء في عروقها واتسعت عيناها من المفاجأة .. فلم تكن قد قررت بعد ماذا ستقول له بهذا الشأن .. وكيف ستصيغ الأمر فابتلعت ريقها بصعوبة تحاول البحث عن كلمات وخاصة مع الملامح المرعبة التي تلوح على وجهه .

هدر بعنف ارتجت له الجدران " من كامل يا بانة الذي يحدثك ؟؟؟!!!!"
حاولت كسب بعض الثواني لترتيب أفكارها وهي تعرض الامر فقالت مهاجمة " كيف تتطلع لهاتفي دون أن آذن لك !!".

رد بصوت مخيف وهو ينتفض واقفا " واطلع على أنفاسك قبل أن تدخل صدرك واتحكم فيها أيضا "
ردت بكبرياء " ما هذا الاسلوب ؟!!"
هدر يقول" سمه كما تشائين .. فلن يغير من الأمر شيء .. ولن يعطيك وقتا للمراوغة " .

Des. Maryam Tamim

ثم انقض عليها يغرز أصابعه في لحم ذراعها وقال من بين أسنانه وعيناه المشتعلتان من الغضب ترعبانها " تكلمي يا بانة مَن كامل .. هل هو كامل غنيم؟ .. تكلمي قبل أن أتصل بالرقم ويكون شكلي وشكلك سخيف ؟".

توجعت من قبضته وردت مستسلمة " نعم هو" سألها بفحيح مرعب " ماذا يريد منك وأي قرار يريده ؟؟؟؟؟"

حدقت في عينيه دون رد.. فركز في عينيها قليلا يحاول فهم الامر بالضبط.. ثم عقد حاجبيه قائلا بتساؤل " هل كنت تفكرين في تركي والسفر للبحث عن اهلك ؟؟؟".

صمتت تحدق فيه.. فهدر بعنف" انطقي يا بانة .. اقسم بالله أنا اقوم بمجهود جبار حتى لا أوذيك "

Des. Maryam Tamim

قالت متألمة " اترك ذراعي أولا أنت تؤلمني يا أحمد .. وسأحكي لك كل شيء "

قبل شهر :

دخلت بانة إلى حديقة فيلا العم غنيم .. فقابلها كامل بابتسامة دافئة وقال بلهجة فشل في أن تكون عادية " كيف حالك يا بانة مر وقت لم نراك "

ردت بلهجة عملية متعجلة " الحمد لله يا كامل .. أخبرني ماذا تريد وما هو الشيء العاجل الذي تريد مقابلتي بشأنه وأصريت ألا أخبر أحمد به قبل أن أعرفه "

قال كامل بعتاب " لم أنت متعجلة هكذا؟"

ردت بجدية " يتملكني القلق أريد أن اعرف الموضوع العاجل "

تطلع لوجهها الصبوح ثم قال " ألن نجلس حتى ؟ هل سنتكلم واقفين؟"

Des. Maryam Tamim

نظرت لمقاعد الحديقة بجوارها وردت " لا شكرا أخبرني ما الأمر حتى أدخل بعدها لأطمئن على خالتي سوسو وأعود مبكرا قبل عودة أحمد"
طحن أسنانه حين ذكرت اسم أحمد ثم قال بغيظ " حسنا كما تشائين .. أردت أن أخبرك أني قد وردني أخبارا بأن النازحين من بلدة والدك قد عادوا من الحدود .. كل من استطاع الفرار من المجزرة عاد الآن الى البلدة "

تسارعت ضربات قلبها وقالت بعينين متسعتين "وهل تعرف إن كان أحدا من أهلي معهم أم لا ؟"
رد بهدوء " ليس بعد.. أنت تعرفين أن هناك مشكلة كبيرة في التواصل مع المدن البعيدة عن العاصمة بعد أن دُمرت البنية التحتية وشبكات الاتصال بالكامل .. فأصبح وصول المعلومة الواحدة يحتاج لوقت طويل وكأننا في العصور القديمة .. هذا إن وجدت أحدا يذهب إلى هناك

Des. Maryam Tamim

ويأتينا بالمعلومة .. والذي وصلني أن عائلة الخازن بها أفراد قد عادوا للبلدة .. لكني لم اصل بعد مَن مِن العائلة بالضبط "

شعرت بأن الارض تميد بها فهتف كامل "بانة هل أنت بخير ؟؟"
استندت على الكرسي بجانبها فقال بشفقة "اجلسي يا بانة واستريحي "

جلست على الكرسي ودفنت وجهها في كفيها تحاول أن تستجمع شجاعتها ثم رفعت إليه وجها متوسلا تقول " ألا توجد طريقة للتواصل مع أحد منهم ؟"
تكلم كامل يقول" للأسف حاولت لكن الموضوع يتم بصعوبة .. حتى أني تواصلت مع سفارة بلدنا هنا .. لا يعلمون بالضبط اسماء العائدين .. أنت تعلمين الامور مازال يعمها الفوضى .. الحل أن

Des. Maryam Tamim

يسافر أحد للتأكد بالضبط مَن من عائلة الخازن على قيد الحياة .. فأنا أعلم أن أعمامك كثيرون .. فلا أعلم إن كنت تريدين القيام بأمر كهذا أم تفضلين الانتظار ".

ردت بسرعة " بالطبع أريد .. منذ أن هدأت الحرب واستطاعت الحكومة السيطرة على معظم أنحاء الدولة .. وأنا لي رغبة في العودة لكني لا أعلم كيف سأذهب "

سألها كامل " وهل سيوافق زوجك ؟".

جحظت عيناها ولاحت أمامها حقيقة وجود أحمد في حياتها .. ثم ظهرت أمامها سيناريوهات متعددة لرد فعله .. فأطرقت برأسها في صمت دون رد.

تدخل كامل يقول " سأتركك قليلا تفكرين ولو وصلت لأي معلومة جديدة سأخبرك بالتأكيد" .

Des. Maryam Tamim

هدر أحمد مستنكرا بعد أن فرغت من الحديث "وتتحدثين مع كامل هذا منذ شهر دون علمي ودون أن تفكري في إخباري عما وصلك من أخبار ؟!!"

ردت موضحة " كنت قلقة جدا من إخبارك يا أحمد"

ردد بعدم تصديق " شهر كامل تحتفظين بالمعلومة لنفسك !!!".

صاحت باكية " أنت كنت تعيش فترة صعبة وتتراكم عليك .. "

هدر مقاطعا باستنكار " وفضّلت مناقشة الموضوع مع كامل !!!"

قالت باستعطاف باك " أحمد دعني أشرح لك دون أن تنفعل"

هدر بعنف " أنفعل !!!.. أتعتقدين أن هذا الموضوع سيتوقف عند حد الانفعال ؟!!"

Des. Maryam Tamim



تحرك جيئة وذهابا في الغرفة يحاول التحكم في وحوشه .. ثم ركل بقدمه المنضدة الخشبية الجانبية بصرخة عصبية .. بعدها وقف متخصرا يطالعها بغضب وهو ينهت .

ضربات قلبها كادت من عنفها أن تخترق عظامها ليخرج قلبها يستعطفه حتى يهدأ ولا يسئ فهم الأمر .. وحاولت التحكم في رغبة في البكاء لتقول بصوت هارب منها " كامل كان يحاول المساعدة"

هتف باستنكار " المساعدة !! حسنا لا تقلقي سأقدم له شكرا يليق بمساعدته "

تكلمت بتوسل " أحمد أرجوك دعنا نتكلم كالعقلاء"

هدر كالمجنون " أي عقل تتحدثين عنه؟!!.. أي عقل !!.. وهل تركتِ لي ذرة عقل؟!!...(وفرك رأسه بأصابعه بشدة ثم قال) أنا لا أعلم ماذا أفعل



معك أكثر من ذلك ؟؟.. أخبريني ... ما الذي لم افعله معك؟ .. بماذا قصرت معك ؟".

صاحت فيه باكية " أحمد أرجوك افهمني .. أنا لم أخبرك لأني كنت أفكر كيف سأقولها لك .. وكيف سيكون رد فعلك".
رد ساخرا" والآن بماذا تتخيلين أن يكون رد فعلي؟ .. بعد أن أضيف لذلك الخبر .. إخفاء خبر هام كهذا لمدة (وضغط على الكلمة) شهر .. والتواصل مع رجل غريب دون علم زوجك .. بل ومقابلته يا بنت الاصول".

انفجرت في البكاء .. فأعصابها لم تتحمل المزيد من المقاومة ..
حالته النارية الغاضبة .. وإحساسها بأنها أخطأت في حقه .. وعذاباتها الخاصة ورأسها الذي أوشك على الانفجار من التفكير ..

[2999]

كل هذا كثير .
جلست على كعبيها ودفنت وجهها في كفيها .. بينما شعرها الندي يغطي وجهها .. فبدت أمامه بصورة مزقت قلبه ونشيجها العالي آلمه لكنه لم يكن في حالة تسمح بأن يحتويها بل ازدادت عصبيته وجن جنونه ..فصرخ باستنكار وهو يندفع نحوها ويقاوم شفقة قلبه عليها " أتبكين !! .. أتتوقعين أنك ستؤثرين علي عندما تبكين يا بانة !!!".

انكمشت في رعب من اندفاعه .. فتنبه عقله لما يوشك أن يفعله .. ليتحكم في أعصابه مجددا ويعود للخلف .. ينظر حوله يبحث عما ينفث فيه دخان غضبه فأمسك ما وجده أمامه يحطمه .. وهو يخور كثور هائج ..

ركل .. وحطم .... في حالة هياج وهو يردد بهيستريا " أتبكين ! .. أمازلت تبكين ! .. ألديك القدرة على

Des. Maryam Tamim

البكاء بعدما فعلت هذا من ورائي لمدة شهر وكأنك زوجة لذكر بط !!.. (واستمر في التحطيم وهي تحمي رأسها بذراعيها) كفى بكاء .. كفى بكاء .."

وقف أمامها ينهت بصوت عال.. ثم يركل من جديد .. متجاهلا الطرق العنيف على الباب وصوت والديه بالخارج.. ولم يتحرك لفتحه..

بعد دقائق كان الحاج سماحة يفتح الباب بالمفتاح الاضافي لديهم.. ثم انطلقت إلهام مسرعة إلى بانة التي تجلس القرفصاء تدفن وجهها في كفيها وهي تمتم بجزع " ماذا يحدث يا أولاد ؟ .. هل حسدناكم"

بينما أبيه يحاول دفعه خارج الشقة بالقوة حتى يهدأ .. وآية متسمرة لا تدري ماذا تفعل .

أفلت أحمد من والده ليتقدم نحوها في موجة غضب جديدة .. فاندفعت آية تقف أمام بانة التي مازالت على وضعها ودفعته بيديها لتمنعه من التهور .. بينما يقول أحمد بتوعد" لا تتحركي من مكانك.. ولا تخرجي من باب هذه الشقة .. وحتى الصعود لشقة العائلة ممنوع " .

أمسك الحاج به مجددا ودفعه للخارج وهو يهدر فيه بعنف ليتوقف عن الصراخ ويكف عن الفضائح .

فوقف على السلم قليلا ووالده يوبخه أن يهدأ ليصيح أحمد بصوت عالي " أعطني يا آية مفاتيحي وحافظة نقودي وهاتفي من عندك .. أنا سأخلصكم مني جميعا ومن جنوني ".

***

بعد حوالي ساعة كان أحمد يدخل مندفعا لحديقة فيلا غنيم ويطلب من أحد العاملين اخبار كامل

Des. Maryam Tamim

بوجوده مهددا باقتحام المطعم وضربه وسط الزبائن إن لم يأتي إليه ..فأسرع العامل البسيط يبلغ الرسالة متحاشيا ذلك الرجل العصبي الذي يصارع ذباب وجهه .

دخل كامل متحفزا ويبدو عليه تخمين سبب زيارة ابن سماحة .. الذي كان يقف متخصرا في شرود يحدق في الأرض .. لم ينبهه سوى لصوت كامل الذي سأل ببرود " أي خدمة ؟"
انتبه أحمد على الفور ورد ساخرا " أهلا .. جئت فقط لأقدم لك الشكر على مساعدة زوجتي من خلف ظهري " .

وعاجله بلكمة في أنفه الكبير جعلته يرتد للخلف قليلا قبل أن يزمجر ويرد على أحمد بلكمة استطاع أن يتفاداها وتبعها عدة محاولات من كامل نجح أحمد في تفاديها وهو ينظر إليه بتحدي وكامل يزداد

Des. Maryam Tamim

زمجرة .. إلى أن فشل أحمد في تفادي لكمة انفجرت بجانب عينه ليرتد ويرتطم جسده بسيارته .
لكنه استقام بسرعة ووقف أمامه وبدأ التناوش من جديد.. وأحمد يهدده بغضب "سأعلمك جيدا مالم تتعلمه في بلدك من احترام حرمات البيوت ".

زمجر كامل شاعرا بالإهانة " نحن أحرص على حرمات البيوت من أي أحد فاحفظ كلامك يا ابن سماحة "
ضربه أحمد أسفل خصره في موضع آلمه كثيرا وهو يقول " الأفعال أهم من الأقوال " .

انتفض كامل مطلقا زمجرة عالية أعقبها الهجوم بكل جسده على أحمد ليلف عنقه بذراعه الضخم يلويه بقوة .. فتحامل أحمد على الألم الرهيب .. فهو يعلم جيدا أن كامل أكثر منه قوة .. لكن هذا لم

Des. Maryam Tamim

يكن ليثنيه عن رغبته في الانتقام منه .. وحاول تسديد ضربات خلفيه موجعه له ليفرج عن رقبته ..ويتخلص من ذلك الألم الرهيب لكنه لم يفلح حتى فوجئ بكامل يُجبر على ترك رقبته فجأة فاستدار ليعاجله بلكمة لكنه تسمر حين وجد سيد صبرة يقبض على رقبة كامل بنفس الطريقة وعلى ملامحه الغضب الشديد ويحني ظهر كامل للخلف .

وقف أحمد يسترد أنفاسه قليلا ثم قال " أتركه يا سيد حسابه معي أنا "

رد عليه سيد وهو يشدد على ذراعه " أخبرني ماذا فعل ولا تشغل بالك .. لم أستعمل قبضتي منذ مدة .. وكنت أشعر أني أوشك على تغيير إسمي من سيد لسوسن إن لم أضرب أحدهم ".

Des. Maryam Tamim

زمجر كامل بقوة كخوار الثور ينفض سيد عنه بغضب وهو يهدر " من الذي ستضربه !! دعنا نرى من منا سيتحول لسوسن اليوم ".

وقف الأثنان يناظران بعضهما كدبين شرسين يتحركان على محيط دائرة .. كل منهما يبحث عن فرصة للانقضاض على الآخر .. بينما أحمد يحاول إثناء سيد عن ذلك " سيد أتركه لي فأنا اريد أن أخذ حقي منه بيدي ".

رد سيد وهو يحدق في عين كامل .. وكأن كل منهما يصارع الأخر بعينيه مستمرا في الحركة حول دائرة وهمية في الأرض " ما يخصك يخصني أنسيت شعارنا القديم أنت تفكر وأنا أضرب "

هدر فيهم كامل بغضب" بل أروني أنتما الاثنان مدى قوتكما.. ولا تمثلا عليّ دور الفرسان بألا يهاجمني سوى شخص واحد في المرة .. ادخلا عليّ سويا .. وسأجعل منكما الاختين سوسن "

Des. Maryam Tamim

هدر أحمد يهجم عليه" أنت حقا وقح وسأرسلك لبلدك في تابوت خشبي".

ابتلعت بسمة ريقها وهي تقف على بوابة فيلا غنيم من منظر الثلاثة المتحفزين أمامها .. ولم تجلس في السيارة تنتظر سيد كما طلب منها منذ قليل بعد أن تلقى مكالمة من الحاج سماحة .. كان منظر الثلاثة مخيفا وبدى أن هناك معركة طاحنة قادمة .. لكن قطع ذهولها رجل عجوز يدخل الفيلا على عجل يتبعه شخصا ضخما آخر نسخة طبق الأصل من الشخص الذي يتعارك مع سيد وأحمد سماحة.. فاتسعت عيناها تتابع باهتمام.

هدر العم غنيم في الشباب بقوة رغم صوته الضعيف .. لكن لم ينتبه أحد منهم لأول وهلة .. فاندفع شامل بحمائية يقف أمام كامل ويقول " نهدأ من فضلكم يا شباب وكل شيء يحل "..

Des. Maryam Tamim

انتبه الجميع للعم غنيم الذي أمرهم مرة أخرى بعدم الاشتباك .. ثم توجه لأحمد وسيد يقول "ما الأمر لمَ أتيتما تهجمان على ممتلكاتي .. أستطيع أن أقدم بلاغا للشرطة حالا "

رد أحمد بغضب "افعل ما تريد .. لكن انتظر لتحدد صيغة التهمة هل ستكون اقتحام منزلا والتسبب في عاهة لأبنك أم قتله"

رفع غنيم عصاه التي يتوكأ عليها وأشار بها نحو أحمد يقول " اخرس يا ولد .. وفهمني ماذا حدث"

رد أحمد بغضب " ابنك المحترم سمح لنفسه بالتواصل مع زوجتي دون علمي .. ويقابلها دون علمي .. ويتناقش معها ويخطط كيف ستصل لأهلها دون علمي "

رد كامل بصوت جهوري" لم أتعمد ذلك .. لكنها صاحبة الشأن كان عليّ إخبارها وهي من تقرر "

Des. Maryam Tamim

صاح غنيم في ابنه " هل أخبرتها ؟؟ ألم انهك عن إخبارها حتى نحصل على معلومات تفصيلية؟!!"

قال أحمد موجها الكلام للعم غنيم " أكنت تعرف بشأن الأخبار عن عائلتها يا عماه ولم تخبرني كما اتفقنا من قبل "

حاول غنيم السيطرة على غضبه واشاح بوجهه عن ابنه يقول لأحمد بهدوء " أردت أن أحصل على مزيد من التفاصيل أولا .. فما عندنا معلومة واحدة فقط .. ولم أحب أن أربك حياتكم دون فائدة"

رد أحمد ساخرا "ابنك قام بالواجب وتواصل مع زوجتي دون علمي .. وأعاشها شهرا كاملا في جحيم ترتعب من إخباري .. بل ويضغط عليها بكل وقاحة أن تسرع في القرار".

زمجر كامل وهم بالهجوم عليه وهو يردد "أنا لست وقحا " فامسك به شامل يمنعه بينما استعرض

Des. Maryam Tamim

سيد الصامت يراقب المشهد صدره أمام كامل بتهديد .
فهدر العم غنيم " كفى "
ثم رفع عصاه ووكز بها ابنه بحركة عنيفة في صدره وهو يقول " أنت تخرس ولا تجادل في الخطأ .. ما فعلته عيبا على رجولتك .. ولن أمرر لك كسر كلمتي ."

نفض كامل توأمه بعيدا عنه .. قبل أن يخرج مندفعا خارج الفيلا .. جاعلا بسمة التي تشاهدهم بقلب مرتجف تنكمش في رعب بجانب البوابة .. حتى ركب سيارته واختفى .. بينما تكلم شامل بحرج " اعتذر بالنيابة عنا جميعا لما بدر من كامل "
قال أحمد للعم غنيم " ألم نتفق يا عمي أن تخبرني بأي اخبار تصلك عن أهل بانة؟"

Des. Maryam Tamim

رد غنيم" قلت لك كنت منتظرا أن احصل على معلومات أكثر تفصيلا ومن عاد من عائلة الخازن فالعائلة كبيرة ".

سأله أحمد باهتمام "وهل وصلت لشيء ؟"

زفر غنيم واتكأ على عصاه ورد" للأسف لا .. جميع الاتصالات مقطوعة مع البلدة ولا يوجد حل سوى أن يسافر أحد "

بعد قليل كان أحمد يودع سيد عند السيارة بعد أن سأله " كيف أتيت إلى هنا؟"

فأخبره باقتضاب "أبي سماحة اتصل بي وأخبرني"

وقف أحمد يديه في جيب بنطاله ورد ساخرا " نأسف على إقحامك في مشاكلنا سيادة الموسيقار .. المرة القادمة حين يتصل بك أبي لتنقذني من أفعالي الطائشة تظاهر بالطاعة ثم تجاهل الأمر"

تطلع إليه سيد لدقيقة .. ثم اقترب منه وربت على فكه ببعض التهديد وهو يقول " اقتلاعي من عائلة

Des. Maryam Tamim

سماحة أمر ليس بيدك .. وإنما بيد الحاج والحاجة.. فلا تحسب نفسك مهما وتستطيع فعلها"

رد عليه أحمد يستفزه معترفا لنفسه أنه افتقده الفترة الماضية " ربما أكون غير مهم.. لكني لا أخاصم وأصدِّر فما ملويا كالنساء ".

ابتسم سيد بسخرية ومال على أذنه وألقى فيها شتيمة وقحة .. ثم تركه وتوجه نحو سيارته وبسمة بداخلها تراقب الحديث بينهما باهتمام .. بينما وقف أحمد يراقب مغادرة سيارة سيد وهو يفكر في أمر بانة.. وسؤال مرعب يلح عليه هل كانت تخطط للسفر دون علمه !!!

***

بعد ساعة كان أحمد يبحث عن بانة في شقتهما وحين لم يجدها استشاط غضبا وصعد لشقة

Des. Maryam Tamim



العائلة متوعدا .. فدخل يقول بغضب " ألم أمنعها من الخروج من باب الشقة .. كيف سمحتم لها بالصعود إلى هنا؟"

ضربت إلهام على صدرها تقول برعب " أتعني أن بانة ليست بالشقة ؟؟ لقد تركتها نائمة منذ قليل" قبل ساعتين :

ربتت إلهام على بانة المنهارة في البكاء واسندتها لتجلس على الأريكة تحاول تهدئتها فدفنت رأسها في حضن إلهام ..

بعد عدة محاولات من إلهام هدأت بانة وجلست شاردة تشهق بوجه مرقط بالأحمر من البكاء

فبادرت إلهام بالقول" ماذا حدث يا بنيتي ؟"

لم تدري بانة ماذا تقول وكيف ستخبرها خاصة وأنها تشعر بالحرج من كونها كانت تتواصل مع كامل .. لكنها لم تكن تقصد إهانة أحمد ..فصمتت ولم ترد لتقول إلهام بلهجة أمومية " اسمعي يا بانة .. أنت تعلمين أني أحبك وأني أعاملك كأروى وآية ..

وكنت أريد أن أتحدث معك في موضوع لكني كنت أؤجله كثيرا وأعطيك مزيدا من الوقت .. ربما تغلبت على نفسك خشية أن تفهمي كلامي أني أضغط عليك .. يا بنيتي العلاقة الحميمية بالنسبة للرجال أمر مهم جدا لهم .. وكون شاب كأحمد بكامل صحته يعيش معك تحت سقف واحد كل هذه الفترة ويتحكم بنفسه من أجلك صدقيني هذا أمر صعب .. ويجعل الرجل عصبيا غير مرتاح .. (وأكملت بنبرة أهدأ) أنا لا أريدك أن تشعري أني أضغط عليك .. لكن قلبي يؤلمني على إبني أن يعيش محروما من الفتاة التي يحبها .. كما أني أنصحك لأني أحبك وأخشى من فقدانك .. (ربتت على فخذها) استعيدي من الشيطان الرجيم يا بنتي وجربي الحديث مع طبيب نفسي ربما وجدت عنده الحل .. وهذا الكلام كنت سأقوله لأروى أو آية لو كانت إحداهما مكانك "

Des. Maryam Tamim

أومأت بانة برأسها بينما دخلت آية تنظر إليها متكتفة لا تدري ماذا تقول لكنها أخفت شعورها بالشفقة عليها وعلى أحمد رغم انها لم تفهم ماذا يحدث بينهما ..

تحركت إلهام تقول "سأعد لك كوبا من عصير الليمون "

بمجرد أن تركت إلهام المكان قالت بانة " آية أرجوك أبلغي أبي أن أحمد قد يذهب إلى كامل "

سألتها آية باستفهام "كامل من ؟"

ردت بانة وقد هاجمتها نوبة بكاء أخرى " كامل ابن العم غنيم .. سبب مشكلتنا أنني كنت أتواصل معه وأخشى أن يذهب ليضربه ".

جزت آية على أسنانها وقالت بعصبية " ألم أقل لك أنك مصدرا للبلايا ".

ثم تحركت مسرعة لتخبر والدها بينما دفنت بانة وجهها في كفيها وانفجرت في البكاء ..بينما التشتت

Des. Maryam Tamim

.. والانهيار .. وعدم التوازن ..وحوشا تنهشها دون هوادة .

***

طالعته وهو يقود السيارة بصمت أضحى ملازما له منذ مدة ليست بالقليلة .. حتى قبل أن يتواجها وقبل أن تخبره بقرارها بالاستمرار معه لكنه بات أكثر صمتا منذ أن خرج من المستشفى..

الوضع كله بعد خروجه من المستشفى أضحى مختلفا .. لقد سارع بشراء بيتا في بلدتها بل خرج من المستشفى عليه بعد أن تولى أهلها تأثيثه ببعض الضروريات .. ثم عاد للعاصمة منذ شهر تقريبا ليغرق نفسه في أعماله .. غيّر رقم هاتفه ولم يعد يبحث فيه كثيرا كالسابق..
خصص لها أوقاتا اسبوعية يخرج معها تارة تلف المحلات تشتري ما تحتاجه وتارة يتناولان الطعام

Des. Maryam Tamim

في أحد المطاعم حتى أنه أخذها ذات مرة لتجمع يضم بعض الفنانين يعرفهم بها كزوجته.

لكنها لا تشعر بالسعادة..
ولا تشعر به سعيدا أبدا..

على الرغم من أنه بطبيعته حنونا رقيق القلب مع الإناث عموما بما يتعارض مع هيئته .. وعلى الرغم من أنه يحاول ملاطفتها من حين لآخر وفتح بعض الاحاديث معها وسؤالها عن بعض الاشياء التي تخصها..

لكنها تشعر به فاتراً تجاهها .. متكلفا كمن يجاملها .. كمن يتصنع المرح في وجودها .. كمن يتصنع ابتسامة لا تمس قلبه أبدا..
كل هذا يحزنها .. يبكيها داخليا ..
لم تعد تشعر بأي شيء مما يهديه لها ..

[3017]

لم تعد تشعر بلذة الخروج للتجول في العاصمة كما كانت تحب ..

حتى علاقة الفراش والتي وصتها والدتها حين أخبرتها بما حدث بينهما .. وقد منعتها وتوسلتها وقتها ألا تفكر في مسألة الطلاق خشية من الفضيحة .. أن تركز على علاقة الفراش بحجة أن هذا الأمر مفتاح الرجال.. وأن عليها أن تتفنن فيه لتكسبه من جديد .. لكن هذا الشيء أصبح ثقيلا جدا عليها .. بل أصبحت تشعر بالإهانة في كل مرة يلتقيان .. رغم لطفه ومجاملته لها أثناء اللقاء.. لكنه كإنسان آلي فاقد للروح .. رغم انتظامه فيه أكثر من ذي قبل كمن يضع جدولا ويسير عليه..

وكأن تعرية الحقيقة لم يعطي مجالا لهما أكثر للادعاء والتظاهر .. فأصبحا غريبين يلتقيان في

Des. Maryam Tamim

الفراش لمتعة لحظية يتبعها شعور بالإهانة من جانبها وجرح في الروح..

تذكرت حين أخبرتها إحدى صديقاتها في البلدة حين اشتكت لها فتوره ناحيتها أول زواجهما أن أشارت عليها بشراء بدلة رقص !! .. واستنكرت الأمر جدا بل وشعرت بالإهانة أن تكون بسمة التي لهث وراءها شباب بلدتها والقرى والمجاورة وتقوم بأمر كهذا من أجل أن تميل قلب زوجها !!
كل هذا جعلها هذا الأسبوع ترفض لقاء الفراش مدعية أي عذر .. ولم يبدي هو أي اعتراض من جانبه .
وكالعادة حين تذهب في النوم ينسحب من جانبها لينام على الأريكة في غرفة المعيشة متخذا عدم رغبته في جرحها إذا ما تكلم وهو نائم بما قد يجرحها عذرا.

Des. Maryam Tamim

سألها سيد بلطف بات يغيظها " هل تفضلين المطعم الذي ذهبنا له آخر مرة أم نجرب واحدا جديدا ؟"
تجاهلت سؤاله وقالت ببرود " لا أفهم لمَ يتصل بك الحاج سماحة لتحل له مشكلة ابنه ..هل تعمل لديهم حارسا شخصيا" .

انقلب وجهه الهادئ فجأة ليهدر بصوت ارتج في جنبات السيارة " ماذا حدث لك يا بسمة ؟؟ لم تكوني أبدا بهذا الشكل !! .. وما هذا الجنون الذي تتشدقين به ؟؟ .. ألا تعلمين من هو الحاج سماحة وابنه بالنسبة لي !! .
ارتعب قلبها فانفجرت في البكاء ليأخذ نفسا عميقا يحاول التماسك والتحكم في غضبه ويستغفر الله ثم تكلم بصوت هادئ على قدر ما استطاع رغم أن في داخله يتمنى لو يستمر في الصراخ عله ينفس عن بعض الضغط الذي يضغطه على أعصابه " من

Des. Maryam Tamim

فضلك يا بسمة اتفقنا أن آل سماحة خط أحمر .. وأنت تعلمين ماذا يمثلون بالنسبة لي .. ولا أرى أن هذا يجرح كرامتك بأي شيء أن يطلب مني الرجل الذي رباني أن امنع الشخص الذي أعتبره أكثر من أخي من أن يتهور ويعرض نفسه للأذى .. كما أن كامل هذا وأخيه يفوقانه قوة خاصة مع مشكلة ركبته .. فأرجو ألا تتدخلي فيما يخص آل سماحة مرة أخرى" ".

مسحت دموعها واشاحت بوجهها للنافذة فسحب نفسا عميقا يذكر نفسه بالصبر ثم وضع سماعة الهاتف في أذنيه يستمع لأغنية من الأغاني التي تستمع إليها آية مؤخرا..

صحيح أنه لم يعد يتواصل معها أبدا منذ ذلك الوداع الذي عاد منه بلا روح .. ولم يعد يكتب إليها على الفيسبوك .. ولا يعرف عنها أخبارا سوى ما

Des. Maryam Tamim

يلملمه من هنا وهناك ويعتمد فيه على وائل وعمرو وأحيانا أروى..

لكنه يتابع ما تستمع إليه من أغاني على تطبيق الساوند كلاود .. كلما استمعت لأغنية يستمع إليها هو أيضا .. ويضع هو الأخر أغان على صفحته في التطبيق آملا أن تسمعها في المقابل .. محاولا التعامل مع ذلك الشعور الحارق في صدره .. ويشعره وكأنه معاقا فقد جزءا من جسده..

داعبت كلمات الأغنية التي نشرتها على صفحتها أمس أذنه ومزقت قلبه:

استشف الوجد في صوتك ..
آهات دفينة..
تتوارى بين أنفاسك ..
كي لا أستبينه
لست أدري أهو الحب ..

[3022]

الذي خِفت شجونه ؟!!
أم تخوفت من اللوم .. فآثرت السكينة!!

الألم ليس كأي ألم مر به من قبل وهو الذي اختبر الكثير منه .. ولا يعتقد أن كل من يقعون في الحب يشعرون بهذه الآلام المبرحة .. لكنه وعد نفسه بأن يتحمل .. آملا في الفرج .. عمرو قال له (ما ضاقت إلا فرجت) وأن ثقته في الله هي الطريق الوحيد نحو الخلاص .. وهو صدقا يريد الخلاص .. يريد الراحة التي هو أبعد ما يكون عنها.

ركز في الطريق أمامه وتذكر تلك الليلة التي دخل فيها المسجد بعد طول غياب.

منذ شهر:

عند آذان الفجر وقف أمام المسجد الكبير في حي سماحة يلتصق بسيارته مترددا .. إنها الليلة الأولى له في العاصمة بعد أن عاد من بلدة بسمة بعد قضاء فترة نقاهة فيها.. حاول خلالها الصلاة في

المنزل أكثر من مرة لكنه كان يشعر بالارتباك والرهبة.

فأجل الأمر رغم إلحاحه عليه حتى يعود للعاصمة وأراد أن تكون أول صلاة له في مسجد الحي ربما لأن أول صلاة صلاها في حياته كانت مع الحاج سماحة الذي حاول كثيرا في إلزامه بها لكنه بمجرد أن استقل بعيدا عن جلبابه تكاسل عنها.

لمحه عمرو في تلك الليلة فاقترب منه يسلم عليه بعد مدة لم يره وحين سأله عن سبب وقوفه لم يجيب لكنه ظل متسمرا يحدق في المصلين الذين يدخلون المسجد بعد رفع الأذان .. سأله عمرو متفاجئ" هل ستصلي معنا اليوم؟"

.

بلع ريقه ولم يرد ..

سحبه عمرو فاستجاب له .. لكنه توقف عند باب المسجد يقول لعمرو بتوتر "سأنتظر قليلا.."

Des. Maryam Tamim

فضيق عمرو عينيه في تساؤل ليقول سيد " اذهب وسألحق بك "
لكن صاحبه رد عليه بإصرار " بل سأبقى حتى تدخل معي ".
حين تشخصت هيئة الحاج سماحة أمامه من بعيد بدأ يشعر بالاطمئنان .. وحين اقترب منه وابتسم له تملكته رغبة غريبة في البكاء تحكم فيها بصعوبة.

ربت الحاج على كتفه بمحبة يقول " كيف حالك يا سيد أخيرا رأيناك بعد أن ذهبت بعيدا عند أصهارك .. اشتقت لك يا بني "

ابتسم سيد وقبل كتفه ولم يعلق.. كان غير قادرا على الحديث .. فقال الحاج وعلامات البشرى تنير وجهه" هل ستصلي الفجر بجانبي اليوم ؟"

Des. Maryam Tamim

أومأ سيد برأسه .. فلاحت علامات الفرح على وجه الحاج وسبقه للداخل..

بمجرد أن خطت قدماه للداخل سقط عنه ذلك التوتر الذي كان يربكه.. وتسللت إلى نفسه السكينة والهدوء .. شجعه عمرو وأرشده فوقف بجانب الحاج سماحة كتفه في كتف ذلك الرجل الذي رباه بينما أحمد كان يقف على الجانب الآخر من أبيه .. فتذكر وقت أن كان يصلي بجانب الحاج فكان الأخير أمامه ضخما عملاقا بالنسبة له كسيد المراهق .. أما الآن فيجد نفسه اطول وأضخم من الحاج الذي أوهنه العجز ..

لكنه لم يشعر بالتفوق .. بل شعر بالخزي من نفسه .. أن وصل لهذه الضخامة ولم يدخل المسجد إلا الآن.. بعد هذا الغياب الطويل ... الطويل جدا...

Des. Maryam Tamim

أين كان كل هذا الوقت !!
لمَ كان ضائعا؟ .. وما الذي كان يمنعه ؟
بل إن وهن الحاج سماحة اشعره أن الدنيا زائلة ..
وأن قوته هذه ستزول يوما فماذا فعلت للغد يا
سيد لآخرتك ؟
أول سجدة له بعد غيبة طويلة ناجى فيها ربه بما في
صدره طالبا منه الهداية والصبر معترفا بكل ذنوبه
..
ومنذ تلك الليلة انتظم في الصلاة..

وكلما مرت الأيام شعر بامتلاء ذلك الفراغ الأبدي في
تجويف روحه شيئا فشيئا... لكنه مازال يتألم وكأن
الألم أضحى جزءا منه.. ومازال يشتاق إليها وكأن
الحرمان كتب عليه للأبد..

عادت كلمات الأغنية تهمس له بوجعه:
فرشت لي درب الهوى بهجة ..

[3027]



كالنور .. في جنة صبح ندى.
وكنت إن أحسست بي شِقوة..
تبكي كطفل خائف مجهد..
وبعد ما أغريتني لم أجد..
إلا سرابا عالقا في يدي..
لم أجن منهُ غير طيفٍ ..
سرى وغاب عن عيني
ولم أَهتَدِ..

لاحظ شرود بسمة فوخزه الشعور بالذنب مجددا فربت على يدها برفق أغاظها منه واغاظها من نفسها ..
وسألت نفسها .. ماذا تريدين بالضبط يا بسمة ؟..
الأمر لن يعود أبدا كالسابق بل لم يكن أبدا هناك سابق .. هي تعلم أنه ليس بكليته معها منذ أن تزوجا .. ومؤخرا أصبح بلباقته ولطفه معها يعصبها وفي نفس الوقت غضبه منها يحزنها..

[3028]





حين انتهى مقطع الأغنية التالي:

لا تقل أين لياليا ..
وقد كانت عذابا
لا تسلني عن أمانينا..
وقد كانت سرابا
إنني أسدلت فوق الأمس.. سترا وحجابا
فتحمل مُر هجرانك .. واستبق العتابا

حاول تشتيت الصمت الذي يخيم على الأجواء والتغلب على ذلك الوجع الذي لقي صداه في صدره بسبب ما ترشقه الصغيرة في قلبه من سهام حارقة .. فقال ببعض المرح " تذكرت الآن مطعما رائعا لم آخذك إليه"

قبل أن تجيب رن هاتفه فأجاب " نعم أبي الحاج.. لا تقلق على أحمد كنت معه منذ قليل .. ماذا .. أين ذهبت بانة وماذا حدث !!"

[3029]

***

نظرت عفاف لابنها الذي لم يرفع عينيه عن زوجته منذ أن دخلا .. صحيح يأتي يلاطفها من وقت لآخر لكنها لا تشعر بالراحة وهو يولي جل انتباهه لزوجته ..

باتت تكتشف فيه جوانب لم تلحظها من قبل .. لم تراه أبدا مهتما بفتاة.. ولم يمر بمرحلة مراهقة كالشباب من قبل.. ولم يبدي أي اهتمام أمامها بأي أنثى حتى حين حاولت في السنين الأخيرة إقناعه بالزواج من سماح لم تشعر به مهتما بالفكرة .. وحين قررت عدم الضغط عليه متحسرة على ضياع ابنة أخيها التي تراها تناسبه جدا وبدأت في عرض بعض الفتيات الأخريات عليه لم يبدي اهتماما .. حتى أنها خشيت أن تؤثر نشأته الملتزمة المستقيمة على علاقته بزوجته المستقبلية .

لكن ما تراه منذ أن قرر الزواج من ابنة إلهام والذي لم تفهم حتى الآن لمَ ظهر فجأة دون سابق إنذار ..

Des. Maryam Tamim

فالفتاة يعرفها منذ أن ولدت ولم يظهر عليه أي اهتمام بها .. يشعرها أحيانا أن هناك أمرا غريبا .. وتستعيذ من الشيطان الرجيم حين تتذكر كلمات سلوى زوجة أخيها أن ربما قامت إلهام بسحر معين لتفك عنوسة ابنتها الكسيحة .. وتقاوم الاقتناع بتلك الفكرة رغم أن السحر مذكور في القرآن .

هذا الوله الذي في عينيه تجاه هذه الـ أروى يغيظها .. وبرودها ودلالها عليه يستفزها .. ربما لم تكن لتشعر بذلك لو لم يكن مهتما بها إلى هذا الحد المتطرف .. وكأنه لم يرى أنثى غيرها في حياته .. زفرت عفاف وهي تهمس في سرها أن كل الدلائل تؤيد كلام سلوى .

اقترب عمرو منها يقول بلطف " أتعبناك يا أمي لم نكن نريد أن نتعبك "

Des. Maryam Tamim

استدارت إليه تقول" ليس هناك تعب لقد طلبت وجبة سمك من المطعم وقمت أنا بعمل بعض الأرز بجانبه "

قبل يدها يقول" كنتِ طلبت الأرز مع السمك لترتاحي "..

ردت بتهكم " لو كانت زوجتك تستطيع الطهي لما اجهدت نفسي "

غامت عيناه بالحزن .. وربت على كتفها قائلا بلهجة محبطة لم يستطع إخفائها "هل تريدين أن اساعدك في شيء يا أم عمرو ؟".

شعرت بالندم أن اندفعت في حديثها فردت بسرعة " شكرا يا حبيبي .. سيكون الأكل جاهز بعد قليل"

على مائدة الطعام بعد قليل لاحظ عمرو أن أروى تلهو بالملعقة في طبقها كالعادة فقال هامسا بسخرية " كنا نتحدث أننا سنأكل مثل الناس الطبيعيين "

[3032]

ردت بحنق هامس" أنا آكل يا عمرو "
قال هامسا " السمكة أمامك لم تمس (وعقد حاجبيه قليلا ثم أكمل) لا تخبريني بأنك لا تأكلين السمك لقد أكلتيه في كوريا ".

زمت شفتيها كالأطفال ثم تكلمت بهمس محرج " هذا النوع كثير الشوك وأمي كانت تنزعه لي "

انعقد لسانه للحظة ثم همس باستنكار " لا تعرفين كيف تنزعين الشوك !!! (واخفي عينيه بكفه يتصنع الصدمة ثم أكمل بلهجة مسرحية مصدومة) تزوجت امرأة لا تعرف كيف تنزع الشوك من السمك!!"

زمت شفتيها كالأطفال ثم ردت" لا يوجد لدي صبر لذلك وحين أنتهي من المهمة أشعر بالشبع ولا آكل "

Des. Maryam Tamim

رفع حاجبه ثم قال بصوت خافت وقد بدأ في فتح السمكة واستخراج الشوك منها" تتدللين أروى هانم وهذا سيثقل دينك عندي "
فنظرت إليه بنظرة ذات مغزى كأنها تنفخ في الجمرات فتنحنح متحكما في ملامحه الوقورة ..

راقبته عفاف وهو يزيل الشوك من السمك لأروى فمصمصت شفتيها ثم قالت " لم تأكل يا مرمورة حتى الآن ".
نظر إليها عمرو بنظرة عتاب.. وإن كان أقل حرجا من ذي قبل بينما كتمت أروى ضحكتها فقال لوالدته " هيبتي أمامها يا أم عمرو .. كيف تدللينني أمام زوجتي " .
فتدخلت أروى تقول ضاحكة" أنا أيضا سأناديك بمرمورة "
فحشر عمرو السمك في فمها بغيظ وهو يرميها بنظرة متوعدة .

Des. Maryam Tamim

حين فرغوا من الطعام ودخل عمرو ليصلي حاولت أروى الانضمام إلى عفاف في المطبخ تجاذبها اطراف الحديث لكن الأخيرة كانت مصمتة تماما وترد باقتضاب .. فانسحبت مستسلمة نحو غرفة المعيشة مجددا .. لتلحق عفاف بابنها وانتظرته يختم الصلاة ثم سألته في لهفة " هل ذهبتم للطبيبة النسائية ؟".

زفر عمرو وقال " أمي نحن لم نتعدى ثلاثة أشهر متزوجين وهذه المرة الثالثة التي تسأليني فيها عن هذا الموضوع ".

ردت عفاف بعصبية " أنا أريد أن أطمئن على أنها تستطيع الإنجاب "

تغير وجه عمرو وقال بصرامة " أمي هل سنفتح هذه الحديث مجددا ؟!!"

Des. Maryam Tamim

غامت عيناها بالدموع وقالت " أنا مشتاقة لأن أحمل ابنك يا عمرو أنت تعرف أني أحب الأطفال وتمنيت أن يكون عندي الكثير منهم " .

اشفق عليها .. وتحير هل يخبرها أنهما قد قرر تأجيل هذا الأمر أم لا .. فحاول تفادي قلقها قائلا " لقد ذهبنا بالفعل والطبيبة أخبرتنا أن كل شيء طبيعي وعلى ما يرام .. أتركي الأمر يا أمي كل شيء مقدر ومكتوب .. ونحن مازلنا عروسين .. ولا نريد أن نستعجل الانجاب "

قالت بمسكنة " أتمنى أن أحمل أولادك قبل أن أموت "

قبل رأسها ودعي لها بطول العمر ثم جاءه اتصالا يخبره أنهم يبحثون عن بانة .. لينزل إليهم مسرعا ..

***

Des. Maryam Tamim

وقف أحمد متوترا أمام بوابة البيت يحاول الاتصال بها وهي لا ترد ولم يستطع التخمين أين ذهبت .. اتصل بآل غنيم فلم يراها أحد .. وهاتفها كثيرا دون رد..

شعر أن عضلة قلبه ستتوقف .. ولم يدري ماذا يفعل .. إنها لم تأخذ معها سوى هاتفها بينما أمه تقف خلفه صامتة في الشارع تقبض على قلبها في قلق وعمرو والحاج يتحدثان .
سأله وائل بتوتر "هل تشاجرتما؟".. فأومأ أحمد برأسه وهو يرفع الهاتف على أذنه يتصل بها مجددا .
ظهرت آية من خلف أمها تقول" لا أعتقد أنها قد غضبت مني حين قلت لها في لحظة غضب أنها سبب كل البلايا "
طحن أحمد ضروسه وحدجها بنظرة عتاب آلمتها .. رغم أنها مجرد نظرة لكنها تألمت أن أغضبته

Des. Maryam Tamim

وتعجبت من ذلك الشعور فهتفت بغيظ " نحن لسنا في روضة أطفال يا أحمد .. كيف تجعلها جملة كهذه تترك المنزل .. أنا أرى أنها عاقلة بما يكفي لأن تدرك أنها جملة عارضة في لحظة انفعال ."

تدخلت إلهام تقول وهي تضرب على صدرها بقلق "ربما أكون أنا السبب هذه المرة .. أين ذهبت ابنتي يا إبراهيم ؟.. تركتها نائمة في شقتها .. أين ذهبت المسكينة ؟"

اقترب برقوق يتهادى يديه في جيب بنطاله وقال" أنا رأيتها تخرج من البيت .. وسارت حتى آخر الشارع ثم أوقفت سيارة أجرة (ثم مط شفتيه وأكمل ممتعضا) حتى أنها لم تلق عليّ السلام وكأنها لم تقابلني يوما"

فسأله أحمد بلهفة "هل كانت تحمل أي شيء أو تتحدث مع أحد على الهاتف ؟"

Des. Maryam Tamim

فرد برقوق " لا.. فقط حقيبة يدها".

تحرك أحمد نحو سيارته منطلقا يبحث عنها .. فحاول عمرو اللحاق به حين لمح في الناحية المقابلة أروى تحرك كرسيها في الشارع فهرول إليها يقول بجزع " لمَ خرجت ؟ وكيف تنزلين الشارع يا أروى بدون مرافق!! "
ردت عليه بقلق " بالمصعد نزلت والحمد لله الجانب المنزلق الذي صببته بالأسمنت على السلمتين عند بوابة العمارة ممتاز جدا ساعدني على النزول .. هل علمتم أين بانة ؟".

جز على أسنانه وحدجها بنظرة خطرة فهتفت" هل ستترك كل شيء لتتشاجر معي الآن ؟!! أوصلني عند أمي واذهب مع أحمد "

Des. Maryam Tamim

طالعها بنظرة متوعدة ثم حملها ليصعد بها عند بيت عائلتها .. بينما ركن سيد سيارته بجانب المقهى ليخرج منها بسرعة.. لكنه لم يخرج منها وحده بل خرجت بسمة التي أصرت ألا يعيدها للبيت أولا وأن تذهب معه .. وهو لم يكن لديه طاقة للصبر خاصة مع رغبته في اللحاق بالمجموعة .

قال لها بلباقة " انتظريني في الخن .. أرشدها للمكان يا طأطأ "

ردت بسمة " سأسلم على خالتي إلهام أولا"

جز على أسنانه يشيح بوجهه بعيدا عنها وعن صغيرته التي تقف عند البوابة .. فهي أول من لمحه وقت أن اقترب بالسيارة .. تلك القزمة التي ترتدي بنطالا من الجينز وبلوزة طويلة باللون السكري حتى ركبتيها وحجابا بلون البنطال ..

راقبته بسمة يشيح بوجهه للناحية الاخرى ويتصل بهاتفه .. فلم تدري أعليها أن تحزن لأنها في حضرة

Des. Maryam Tamim

غريمتها أم تفرح لأنه يحتفظ بكلمته لها بألا يجرحها ..
تفرح !! ..
يا للعجب.. هل وصل بها الحال أن تفرح لأن زوجها أوفى بوعده لها بألا يجرح مشاعرها !!..
شعرت به مرتبكاً.. وشعرت بنفسها لأول مرة في حياتها ضئيلة لا تملأ الحيز المفروض عليها مِلئه ..
ما الذي فعلته لتكون سيئة الحظ هكذا؟.. لقد أضحت بسمة أخرى منذ أن حضرت للعاصمة فتذكرت المثل القائل (من خرج من داره قل مقداره).

بسمة الوديدي ..بعد حياة (السفيرة عزيزة) في بلدها .. تحولت للاشيء منذ أن تزوجت سيد وحضرت إلى العاصمة ..
أكانت تعتمد على جمالها فقط طيلة حياتها وعندما لم يهتم سيد بهذا الجمال بل واكتشفت بغرامه

Des. Maryam Tamim

بشابة تصغره في العمر بكثير .. أدركت أن ما كانت ترتكز عليه كأهم ما يميزها كبسمة لم يعد له قيمة فأصبحت (مجرد إنسان) !!.

أما آية فتحركت مسرعة للداخل بمجرد أن خرجت زوجته بصحبته .. لم تكن تهرب من المواجهة بل كانت تخشى من تهورها ..
تخشى أن تضعف ..
تخشى أن تخونها أعصابها فتجري عليه تتعلق برقبته تطلب عناقا يروي ذلك الشوق الذي يضنيها..
تخشى أن تذهب إليه لتطمئن على صحته وهي تراه ضعيفا واهنا ..
حين سمعت أمها تصر على أن تصعد بسمة للمنزل بدلا من أن تنتظره في الخن هربت إلى سطح البيت .. ووقفت تراقبه من فوق يرفع الهاتف على أذنه

Des. Maryam Tamim

فخمنت أنه يتصل بصبيانه في الحي يسألهم إن لمح أحدهم بانة ..
بعد قليل لمحته يرفع أنظاره نحو السطح وطالعها من ذلك البعد بنظرة طويلة .. فتوارت للخلف واختفت خشية أن تضعف .. وقضت الساعات التي تلت فوق البيت الخشبي تتطلع للشارع الخلفي وتتصل بأحمد كل فترة لتعرف الجديد.

***

دلفت إلى الغرفة المتهالكة فوجدت أعمامها الثمانية يتحلقون حول سرير.. بينما عمتها تمسد على شخص مستلقي على السرير ..اقتربت لتجد والدها .. فجرت إليه في فرح تهتف " أبي أبي "

فتح عينيه التي اغرورقت بالدموع حين رآها فنهض يضمها وهو يبكي.. فبكت هي الأخرى ليقول " اشتقت إليك ابنتي ..اشتقت إليك يا بانة كنت انتظرك "

Des. Maryam Tamim

ردت " وأنا كنت ابحث عنك يا أبي " .
أخفت رأسها في صدر أبيها وبكت .. بكت كثيرا ليأتي
صوت أحمد من خلفها يسحبها برفق ويقول" هيا
يا بانة لابد أن نعود ".

فصرخت" لا أريد .. أريد أن أبقى مع أبي يا أحمد ".
أطرق أحمد رأسه بحزن .. ثم أخرج من جيبه
اسورة ألبسها إياها ورحل ..
صرخت تجري وراؤه" أحمد .. أحمد .. أحمد "

" استيقظي يا أختاه استيقظي "
فتحت عيناها تنادي باسمه ثم تنبهت أنها كانت
تحلم ودموعها تغرق وجهها .

تكلمت المرأة التي أمامها " هل أنت بخير ؟ .. لقد
كنت تبكين أثناء غفوتك وتنادين على أحدهم ".

Des. Maryam Tamim

تنبهت بانة وتطلعت حولها تتساءل هل نامت في المسجد؟؟!!.
نظرت للشبابيك فلم تجد نور النهار فسألت المرأة بجزع " كم الساعة؟".
ردت المرأة "الثامنة والثلث ".

جحظت عيناها .. لقد نامت خمس ساعات
فأسرعت تخرج هاتفها من حقيبتها التي كانت تتوسدها أثناء النوم وارتعبت من عدد الاتصالات الفائتة التي لم ترد عليها وبالطبع النصيب الأكبر كان من أحمد ..
ازدادت ضربات قلبها في عنف .. ولم تعلم ماذا تفعل .. أحمد لن يتوانى عن قتلها هذه المرة .
من بين الاتصالات وجدت أن الحاج سماحة اتصل بها عدة مرات هو الآخر فاتصلت به أولا..

Des. Maryam Tamim

كان الحاج واقفا في الشارع منذ العصر وحوله الشباب الأربعة ومنهم أحمد الذي عاد لنقطة الصفر دون أن يجد شيئا .. في حالة عصبية سيئة أقلقت الجميع عليه .

حين رن هاتفه ووجد اسمها تجمد الدم في عروقه لا يعلم كيف ستكون المكالمة.. خاصة بعد أن أنتحى أحمد به جانبا منذ قليل وأطلعه على سبب الشجار بينهما.. فطلب منه ألا يخبر إلهام حتى لا تشعر بالقلق .
نظر إليهم فشحب وجه أحمد وأمسك بذراع وائل وتعلقت أنظار الجميع بالحاج وقد خمنوا هوية المتصل .. بينما رد الحاج متصنعا الهدوء " السلام عليكم أين أنت يا بانة ".
تكلمت بانة بارتباك " أبي لا تقلقوا أنا في مسجد (....) شعرت بحاجتي الماسة لزيارته وغفوت لا أدري كيف ولم أستيقظ إلا الآن .. حتى الهاتف كان

Des. Maryam Tamim

على الوضع الصامت .. هل أحمد بخير أنا أخشى الاتصال به ".

اشار لهم الحاج بيده يطمئنهم ثم قال "انتظري مكانك وسنأتي لنأخذك حالا ".

أغلق الخط ..وقبل أن يسأله أحمد عن مكانها متلهفا قال للشباب" أرى أن أذهب أنا وأحد الشباب لإحضارها .. وينتظرنا أحمد هنا " .

هدر أحمد باعتراض " بل أنا من سيعيدها يا أبي أرجوك أخبرني أين هي .. لن أتحمل الانتظار "

شعر الحاج بحالة ابنه فقال مشفقا عليه " حسنا سآتي معك وإياك والتهور.. الفتاة غفت في المسجد ولم تشعر بشيء ".

Des. Maryam Tamim

بعد حوالي نصف ساعة كان أحمد يقف بسيارته في منتصف الشارع أمام أحد اضخم مساجد العاصمة ليترجل في عجلة ويتجه نحو بانة التي كانت تقف على الرصيف ..

رأته يخرج من السيارة مندفعا يوقفها في وسط الشارع فعلمت أنه ليس في وعيه وتوقعت رد فعل قوي لحماقتها .. فوقفت منكمشة يضرب قلبها في صدرها بقوة.. لينقض أحمد عليها يقبض على ذراعها بعنف .. فلم تتكلم وهي تسمعه يقول من بين أسنانه بهيئة مخيفة لم تراه عليها من قبل " يبدو أن كلامي لم يعد له أهمية عندك وأنك تعتبرين نفسك لست متزوجة ".

همست في توسل " أحمد أرجوك .. سأشرح لك .. أنت تؤلم ذراعي ".

تدخل الحاج سماحة بسرعة يخلصها من يد ابنه ويحيط ذراعه حول كتفيها وقد استشعر الرعب البادي عليها .. فهدر أحمد في الشارع وقد جن

Des. Maryam Tamim

جنونه " دعني يا أبي .. دعني ولا تتدخل أرجوك .. إنها لا توليني أي اعتبار في حياتها ".

شدها الحاج من يدها ليخلصها من عصبيته وأجلسها في السيارة في المقعد المجاور للسائق ثم استدار يجلس هو أمام المقود وقال وهو يحرك السيارة بينما أحمد لا يفهم ماذا يحدث " سنتحدث في كل ما تقوله لاحقا حين تهدأ .. اتبعنا بسيارة أجرة أو سيرا على الاقدام إن أردت "

ثم تحرك بسرعة واحمد ينادي عليه باستنكار .. فاستدارت بانة تشاهد صورة أحمد الذي يصارع ذباب وجهه تبتعد وقالت من بين دموعها " أبي أخشى أن يتسبب في مشكلة " .
رد وهو يركز على الطريق " إبعادك عن ناظريه الآن حتى يهدأ هو أفضل حل "
***

Des. Maryam Tamim

صرخ سيد في الهاتف" قلت انزلي يا بسمة .. بانة وجدوها وعلينا أن نرحل "..
شعرت بالحرج واستقامت تمسك بحقيبتها وهي تتمتم " سأنزل يا سيد لا داعي للصراخ " .

قالت إلهام بحزم "قولي له أن يصعد أنا أريده "
تمتمت بسمة بارتباك " خالتي تريدك أن تصعد "

سمعته يستغفر ويحوقل في عصبية قبل أن يغلق الخط .. وشعرت بالاختناق .. منذ أن دخلت وهي تنتظر خروج آية تريد أن تتفحص غريمتها عن قرب هذه المرة.. لترى ما بها أفضل منها لكنها لم تظهر .. وتساءلت هل تتجاهلها آية ؟ .

بينما أروى تعاملت معها ببعض الرسمية لم تكن موجودة من قبل .

Des. Maryam Tamim

راودتها نفسها لأن تخبر الخالة إلهام عن وضعها مع سيد ودور آية في الموضوع لتهد المعبد فوق رأس الجميع لكنها خشيت من رد فعل سيد .. إنه مرعب حين يغضب .

نادى سيد من على السلم غير راغب في الصعود أكثر .. ورائحة البيت تتسلل إلى رئتيه لترد له روحه وكأنه يشم رائحة آية .
خرجت إليه إلهام تقول " طمئني عليك يا حبيبي بسمة تقول أنك كنت بالمستشفى .. هل إبراهيم كان يعرف .. كيف لا يخبرني أحد يا أولاد "

حدج سيد بسمة الواقفة خلفها عند باب الشقة بنظرة غاضبة ثم قال وهو يلثم يد إلهام " أنا بخير يا أمي لا تقلقي كان ارتفاعا مفاجئا في الضغط وانتهى على خير " .

Des. Maryam Tamim

ردت عليه إلهام " لكنها تقول أنك مكثت في المستشفى عدة أيام .. صدقني وقتها ظللت أقول لهم قلبي مقبوض ولم يخبرني أحد " .
رد سيد بلطف "كان أمرا بسيطا صدقيني يا أمي"
قالت إلهام " افتقدك يا سيد واشعر أنك لست على ما يرام يا بني .. تغيب أياما كثيرة دون أن أراك وتكتفي بمهاتفتي .. ".

قال بمحبة " وأنا اشتاق لجلستك يا غالية .. إدعي لي كثيرا يا أمي فأنا بحاجة لدعائك وأعدك أن أستضيفك أنت وأبي الحاج في بيتي قريبا ونجلس ونتحدث وتشبعين مني " .
رددت إلهام وهي تودعه " أدعو الله أن ييسر لك كل عسير .. ويسعدك يا سيد وينير طريقك يا ولدي "
***
ألقت بانة بنفسها في حضن إلهام باكية تقول " أقسم بالله يا أمي لا أدري كيف اتخذت قراري

Des. Maryam Tamim

بالذهاب للمسجد دون أخبار أحد .. كنت أريد أن أشعر بالراحة واشتقت للمسجد والصلاة فيه فوجدت نفسي أرتدي ملابسي وأضع نفسي في سيارة أجرة .. وهناك صليت وغفوت دون أن أشعر "

ضمتها إلهام بحنان تقول " الحمد لله اعتقدت أن كلامي ضايقك "
ردت بانة" انا أعلم أني عندك كأروى وآية وما قلتيه كنت محقة فيه تماما ".

صوت محاولة فتح الباب من الخارج لكنه كان مغلقا من الداخل ثم ضربات عنيفة عليه أخبرتهم أن أحمد قد وصل قبل أن يصيح " افتحوا الباب .. لابد أن أتحدث معها الآن وفورا " .

قالت إلهام "سيكسر الباب يا إبراهيم .. وإغلاقنا للباب سيزيد من عصبيته .. أخشى أن يحدث له

Des. Maryam Tamim

مكروها بسبب تلك العصبية .. قلبي عليك يا ولدي
صوته أصبح مبحوحا من الصراخ "
فتح الحاج الباب ووقف يسد الطريق قائلا " هل
ستدفعني لتدخل أم ماذا ؟".
قال أحمد وهو يضرب الحائط بقبضته " أريدها أن
تخرج حالا .. أريد زوجتي يا أبي حالا ..ولن أذهب
حتى آخذها معي .. الآن.. وفورا ".
هدر الحاج فيه " هل تهددني يا ولد !!".
ضرب أحمد مجددا بقبضته يصيح " لن أوذيها يا
أبي أعدك .. سأكون هادئا .. لو كنت أنوي أذيتها
كنت فعلتها منذ مدة وهي تعلم جيدا ماذا فعلت
من أجلها ولم تقدره أبدا ".
هم الحاج بالرد عندما خرجت بانة من جانبه تقول
بهدوء ووجه منتفخ من البكاء "سأذهب معه يا أبي
لا تقلق علي ".

Des. Maryam Tamim

رد أحمد ساخرا " جميل .. بدأت تدرك أخيرا أن لها زوجا عليها طاعته .. يبدو أن أسلوب الهمجية يؤتي بثماره معها ".

ابتعلت الإهانة مع ريقها ووقفت صامتة فشدها فجأة يكاد يخلع ذراعها بينما صاح الحاج وراءه" لا تترك للعصبية فرصة لتفقدك حكمتك يا أحمد .. وأنتِ يا بانة إذا أردت منا التدخل فقط نادي علينا "

تمتمت إلهام تقول بجزع " أخشى أن يؤذيها يا إبراهيم "

رد عليها بذهن مشغول " إن شاء الله لن يفعل .. أراه أهدأ قليلا وواعي لتصرفاته رغم صوته العالي .. ومع هذا سأنتظر أي إشارة للتدخل "

***

دفعها للداخل بعنف وأغلق الباب .. فوقفت تمسد ذراعها تنتظر الآتي وتشفق عليه من الحالة التي

Des. Maryam Tamim

يبدو عليها .. واقفا أمامها متخصرا ينكس رأسه يحاول التحكم في أعصابه..

بادرت بالقول توضح بصوت هارب منها وهي تفك حجابها وتلقيه على منضدة السفرة بجانبها " أنا أعرف أني تصرفت بشكل غير مسئول .. لكني أعتقد أن أعصابي مضغوطة منذ مدة ويصدر مني أفعالا ليست تشبهني .. (رفع ناظريه إليها يطالعها من نفس الوقفة فأكملت) شعرت أني بحاجة لتسكين بعض الأوجاع النفسية بداخلي ولم أدري إلا وأنا في سيارة أجرة أطلب من السائق الذهاب للمسجد .. وهناك غفوت ولم أدري إلا بعد عدة ساعات .. بالنسبة لموضوع كامل أنا قابلته مرة واحدة (استشعرت الخطر في عينيه فقالت بسرعة) كانت في حديقة فيلا العم غنيم أخبرني بالمعلومات التي وصلته وأخبرني أن الحل الأمثل أن يسافر أحد للتأكد من المعلومة .. بعدها تبادلنا بعض

Des. Maryam Tamim

المكالمات الهاتفية كلها تخص الموضوع ولم أخبرك وقتها لأن الأمور كانت تحكم خناقها حولك وخشيت من رد فعلك .. وأردت أن أعطي لنفسي فرصة لأخذ القرار .. (استمر في التحديق فيها منتظرا أن تكمل فقالت) كامل أخبرني أكثر من مرة ضرورة أن أخبرك بالأمر .. "

قاطعها يقول بسخرية " وبالطبع كان يعرض خدماته بالسفر معك " .

ردت بسرعة " لم نتطرق لهذا الأمر كان ينتظر مني قرار .. ماذا سأفعل .. لابد أن أذهب بنفسي يا أحمد .. لن أنتظر أن أرسل أحد بالنيابة عني ليتأكد إن كان أهلي موجودين أم لا "

انقض عليها يغرز أصابعه في لحم ذراعها ويقول بفحيح مرعب "وهل كان من ضمن سيناريوهاتك أن ترحلي بدون علمي ؟؟؟".

Des. Maryam Tamim

ردت متألمة تقول بمراوغة " أنا أشفقت عليك مما تعيشه ولم أريد أن أزيد عليك "
هدر فيها بصوت مبحوح من أثر صياح سابق " هل كان من ضمن اختياراتك أن تذهبي دون علمي يا بانة تاركة ورائك خطاب شكر لذلك الرجل الساذج الذي أحبك .. واثقة في أنه سيتحمل تلك الطعنة منك ؟"
ردت وقد عادت للبكاء " لوكنت ذلك الرجل الساذج .. ولو كان القرار سهلا لما أخذت كل هذا الوقت أبحث عن حل ".
قاطعها بإصرار هادرا " هل كان هروبك من ضمن الاختيارات التي كنت تفكرين فيها يا بانة؟"

أومأت برأسها غير قادرة على النطق ..
فصفعها بقوة..
وهدر ببحة " تتركيني وتهربي!! "

Des. Maryam Tamim

وضعت يدها على أثر يده الحارق على خدها
فدفعها بغيظ مكبوت من كتفيها فارتطمت
بالحائط بعنف متألمة وهو يقول " تتركيني يا بانة
هكذا ببساطة "
ثم اندفع نحوها كالطوفان من جديد فعلمت أنه
سيؤذيها فانكمشت في رعب .. لتفاجأ به يميل
بجذعه ويدفن رأسه في حضنها وهو يضرب الحائط
وراءها بكفه بقوة قائلا بغضب متألم مكتوم في
صدرها " إلى هذا الحد أنا حِليَة زائدة في حياتك يا
بانة ".
لفت ذراعيها حول رأسه تدفنه أكثر بين ضلوعها
وهي تتمتم بهمس باكي " ياليتك كنت كذلك ..
لكانت حياتي أسهل ".
ضرب على الحائط وقال بصوت مكتوم "أنا اصعِّب
حياتك يا بانة ؟"
مسدت على ظهره تتحسس عضلاته ومالت برأسها
عليه تهمس " بل أنت تسهلها لدرجة تقتلني

Des. Maryam Tamim

بمشاعر الذنب .. أنت تهون علي كل شيء فأتعذب
"

ضرب على الحائط وقال متألما " ولهذا استحق
منك أن تهجريني!! "
ردت بصوت متأثر " كان مجرد تفكير ساذج لم أكن
لأقدر على تنفيذه".

رفع رأسه التي كان يضغط بها على قلبها واستقام
يحيط وجهها بكفيه .. وبدون سابق إنذار أطبق
على شفتيها يخرسها وهو يدفعها بجسده كله
ليسحقها في الحائط بعنف .. وحين أطلق سراحها
قالت من بين أنفاسها اللاهثة" هل تعتقد أني
أستطيع أن أفعل بك أمرا كهذا ؟ "
انقض علي شفتيها مرة أخرى بشكل أعنف لم
تدري إن كان عقابا أم مواساة حارة لكنها أحاطت
ذراعيها حول جذعه ..

Des. Maryam Tamim

بعد قليل أطلق سراح شفتيها من جديد يلفحها بأنفاسه اللاهثة فواصلت بهمس " لهذا أنا أتوسل إليك أن تمنحني موافقتك على أن أذهب لأعرف مَن مِن عائلتي مازال على قيد الحياة .. سأفعلها وأعود يا أحمد صدقا"

فكرة رحيلها تخلع قلبه من صدره .. وما اختبره من مشاعر مرعبة اليوم وهو يتخيلها قد رحلت يشعره بالغيظ منها فقال بهمس صارم " أبدا لن أسمح لك أبدا أن تتركيني .. (ومال يطبع قُبَل محمومة على رقبتها ثم أكمل ووجهه في رقبتها) لن أسمح لك أن تعرضي نفسك للخطر ..أنت زوجتي .. شئت أم أبيت زوجتي (وبدأ في التعامل مع أزرار بلوزتها وهو يهمس) أتعتقدين أني سأتركك تذهبين للمجهول باحثة عن أهلك؟!!"

ألقى ببلوزتها بعيدا بعنف وبدأ يتعامل مع باقي ملابسها فهمست بتوسل وقد بدأت أعصابها ترتخي

Des. Maryam Tamim

بفعل لمساته التي تخدرها " أحمد ارجوك دعني أسافر" .

وزع بعض من قبلاته المحمومة الغاضبة على جذعها ثم وجدت نفسها تستلقي على الأريكة القريبة وقال وهو يتخلص مما يرتديه ".

ستترجينني يا بانة .. تأكدي أنك ستترجينني كثيرا .. فما فعلتيه اليوم قضى على باقي صبري معك"

ومال عليها يخبرها بالكثير مما عانى منه اليوم وما عاناه منها سابقا .. بالطريقة التي يتقن البوح بها وتحب سماعها منه .. فالتقيا في حديث متأجج .. غاضب عنيف من ناحيته متوسل معتذر من ناحيتها..

عنّفها وترجته ..

عاتبها وصالحته ..

أشعلها وأطفأته ..

أفضى إليها بالكثير ومنحته الأكثر ..

Des. Maryam Tamim

بعد بعض الوقت كانت تبكي كالعادة شاعرة بذلك الذنب الذي تقترفه باغتراف السعادة في أحضان ابن سماحة لكنها كانت تبكي هذه المرة بين ذراعيه .. فلم يسمح لها بالابتعاد مستلقيا بجانبها على الأريكة وهو يقول " ابك كما تشائين هنا على صدري فكما تشاركنا العشق منذ قليل سنتشارك أوجاعنا .. وحين تنتهين أبلغيني لأنام .. فأنا في حاجة ماسة للنوم بين ذراعيك "

رفعت إليه وجهها المنتفخ من البكاء وقالت هامسة " ألن تسمح لي بالسفر أبدا "
رد بهمس صارم " لا .. ولن أغلق عليك الباب أيضا يا بانة ولن أحبسك .. وسأرى مدى حبك لي"
انفجرت في البكاء في صدره وهي تضم جذعه إليها بقوة.. فشدد من ضمها هو الآخر مشفقا عليها لكنه لن يستطيع أن يسمح لها بالذهاب .. لن يستطيع ..

[3063]

***

بعد عدة أسابيع

جلست تحدق في كأس المثلجات بشرود وتتذكر أياما كان يأتي معها إلى هنا لتتناول المثلجات ويشرب هو قهوته مع سيجارة .. كانت تتلذذ بإضحاكه ومراقبة هيبته من ذلك القرب بقلب لين أخضر يرتجف من طوفان عشق لهذا الرجل .. وكان يطالعها بروح طفل صغير ضاحك يطل من عينيه ويسكن ذلك الجسد الضخم .. ليتها تتكرر تلك الأيام ولو مرة كل عام ..

حنت لتلك الجلسة فجاءت تتلمس ذكراه منذ الصباح.. أو ربما هي متوترة للمقابلة التي ستقوم بها عصر اليوم في إحدى المحطات الإذاعية .. على الاقل تحقق ولو حلما واحدا مما حلمت به يوما .. على الرغم من أنها تقضي وقتا كبيرا مؤخرا في العمل على اللوحات الديكورية في الورشة مع أحمد .. وعلى الرغم من ذلك الشوط الكبير الذي قطعته

Des. Maryam Tamim

معه في بناء وتقوية العلاقة بينهما .. وأنه كان يفضل أن تركز فقط على عملها في تلك الرسوم التي تصممها هي وينفذها هو بإتقان مبهر على الخشب .. ويقضيان وقتا كبيرا مأخوذان بعالم التصميم وقد ينسيا الوقت حولهما أحيانا مما يثير غيرة بانة التي كانت تفاجئهم كثيرا بالورشة دون موعد وخاصة بعد أن علمت بتردد رشا التي لا تطيقها هي الأخرى على الورشة .. إلا أنها أصرت على التقدم لامتحان الاذاعة لتصبح مذيعة بالراديو وبالتحديد في إذاعة الأغاني . . واليوم ستذهب للمقابلة وتجرب حظها ..

رن هاتفها وبرغم انقطاع الأمل لكنها مازالت تنظر لشاشته في ترقب ربما أخطأ يوما وهاتفها دون قصد ..

الأيام طويلة بدونه .. موجعة .. وقاتلة للروح .. ولا تدري أين كانت المشكلة في السابق وهي تلتقيه من

Des. Maryam Tamim

وقت لآخر ويتحدثا قليلا فقط لا غير .. من كانت تؤذي بلقائهما وهي الوحيدة المتضررة.. تقترب منه طالبة مداوة لجراحها عائدة بعدها بجروح جديدة ؟!.

ردت على الهاتف " نعم أحمد "
سألها بعصبية "أين الكونتيسة ؟"
ردت باستفزاز وان كان مشاكسا هذه المرة " الكونتيسة تأكل بعض المثلجات ".
رد بسخرية لاذعة " وهل الكونتيسة تعيش في حظيرة للبهائم ليس لها صاحب فلا تخبره قبل أن تتحرك لأي مكان ".
استدارت تنظر للشارع عبر الزجاج المجاور لمنضدتها وردت " الكونتيسة أخذت من صاحب الحظيرة الحاج سماحة إذنا .. لتمارس بعضا من حقوقها في التحرك في الشارع كأي فرد طبيعي يشتهي بعضا من المثلجات " .

[3066]

صمت قليلا ثم قال " إذن عليّ الحديث مع صاحب الحظيرة ليعدل القوانين ويكون إمضاء الكونت ابن صاحب الحظيرة أمرا حتميا للموافقة على عبور أيا من الكونتيسات لخارجها".

ردت وابتسامة صغيرة تحلي زاوية فمها الجميل " وأنا سأطالب السيد الدوق صاحب الحظيرة بعزل ولي العهد لسوء استخدام السلطة وتسفيه الإناث".

تكلم بلهجة ممطوطة يتصنع التفكير " امم .. سوء استخدام السلطة في تسفيه الاناث.. حسنا .. ما دمت بهذا الشكل سألغى المفاجأة التي كنت ارتبها لك اليوم بعد المقابلة الاذاعية " .

حركت عيناها بطفولية وسألته بفضول " ما المفاجأة ؟"

قال بغموض "سترينها بعد المقابلة .. اخبريني أين محل المثلجات لأمر عليك ".

Des. Maryam Tamim

سألته باندهاش" لماذا "
رد باستخفاف "لأذهب معك للمقابلة ".

شعرت بالفرح أنه يتذكر المقابلة والتي تحدد
تاريخها من شهر مضي لكنها تمتمت "لا داعي".

رد ببرود" أنا من يحدد وجود الداعي من عدمه
أعطيني العنوان وسأمر عليك لآخذك بالسيارة ".

أغلق معها الهاتف وخرج ليجد بانة في المطبخ
فقال بعجلة " لن أفطر علي أن ألحق بالمجنونة
لنذهب لتلك المقابلة في الإذاعة ".
ابتسمت له لكنه لم يغفل عن عيناها المتورمتان
من البكاء .

منذ تلك الليلة لم يتطرقا لموضوع سفرها ..
والعلاقة بينهما هادئة لم تتغير عن الوضع القديم

Des. Maryam Tamim



كل منهما في غرفته .. فهو يعلم جيدا أنه بقراره عدم سفرها يؤلمها .. لكنه غير قادر على تركها لترحل خصوصا مع ظروف بلدها.. ويحاول ترتيب أموره لتنفيذ فكرة متهورة بالسفر معها لكنه لم يخبرها بعد .. لديه الكثير من العقبات هنا في الوطن أولها أقناع والده بالأمر..

أما العلاقة الحميمة فمازالت كالسابق .. فقد آثر عدم الضغط على أعصابها وهو يعلم ما تعانيه لكنه يصبر ويصبر حتى يصل لنقطة لا يستطيع الصبر بعدها.. فلا يتركها إلا وقد أفضى بكل مكنونات قلبه المحروم .. ومازالت تبكي على صدره بعد كل لقاء بكاء حارقا يمزق قلبه وهو ما يجعله يتحمل البعد عنها لعدة أيام أو اسابيع حتى يفيض به الشوق من جديد فلا يجد مفرا من البوح لها بأشواقه من جديد .



طالع تلك المنامة ذات الشخصيات الكرتونية التي ترتديها وشعر أن الجمر يزداد اشتعالا وأنه سيضعف قريبا .. فاقترب يطبع قبلة على خدها وهو يلمس خصرها بأصابعه ويقول بمشاكسة حميمية " أريد قبلة " وصدّر لها خده فاحمرت وأطرقت برأسها كمراهقة خجول فأضاف " متهكما ألا توجد لديك بعضا من مشاعر قلة الحياء تعطيني بها قبلة صغيرة على خدي؟! " غطت فمها بقبضتها فقلدها وفعل مثلها وهو يسألها متهكما "لا يوجد ؟"

استطالت وطبعت قبلة سريعة على خده فاستدار يغرق قليلا في رائحتها ثم أغمض عينيه يقول بصوت مسموع " امسك نفسك يا كونت .. ولا تجعل تلك الوجبة الشهية التي أمامك تفقدك حياءك وتلتهمها بدون حياء (سمع وقع ضحكتها المكتومة الخجولة فأكمل) وتذكر أنك أخ كبير لأنثى مجنونة لديها مقابلة مهمة اليوم ولابد لك

Des. Maryam Tamim

من دعمها في هذه اللحظة كما قالت اختك الأخرى زوجة طائر أبا قردان فاترك ما تفكر به حاليا من قلة حياء والحق بالمجنونة بسرعة (ثم فتح عينيه وقال بسرعة وهو يغادر) السلام عليكم "

ردت السلام وهي تودعه .. وسقطت الابتسامة عنها ليعود الحزن الذي تداريه عنه حتى لا يتألم .. واتجهت تقرأ قليلا من القرآن علها تجد السكينة أو حتى فرصة النسيان .

***

قبل أن ينزل للشارع آتاه صوت سيد الجهوري يصيح بغضب فتعجب لكونه موجودا في هذا الوقت المبكر خاصة وأنه أصبح قليل الزيارات للمقهى ويتابعه من بعيد .. كما أنه مازال يعامله باقتضاب ولم يجتمع أربعتهم منذ مدة فإما سيد مع عمرو ووائل أو هو معهما .. وهذا الأمر يؤلمه ويشعره أن ما يخشاه قد حدث وفرقت آية بينهما .

Des. Maryam Tamim

أسرع على السلم ليخرج للشارع فوجد سيد آتيا عليه يقول بهدوء وبعض الندم" اذهب إليه "
فسأله " من؟"
فرد سيد " برقوق "
فسأل باستغراب " ماذا حدث "

قبل قليل :

استمع سيد لحكايات طأطأ عن برقوق وشكواه الكثيرة والتي آخرها مضايقة زبائن المقهى .. وقبل أن يتم حديثه كان برقوق يمر من أمام المقهى بمشية متهادية ملولة ليس لها هدف فاستوقفه سيد غاضبا بصوته الجهوري صائحاً "أنت".
استدار له برقوق متسائلا فأمسكه سيد بيد واحدة من ملابسه وقال " كم مرة أخبرك طأطأ بأن تبتعد عن زبائن المقهى؟.. وكم مرة أشرت لك باللين ألا تدخل المقهى ؟".

[3072]

ازدادت ضربات قلب برقوق لكنه تعمد البرود فهتف طأطأ " يتعمد الحضور اثناء المباريات وليته يشاهد بهدوء لابد من التشويش على الزبائن وأمس جمع بعض الاطفال أثناء بث مباريات الدوري الإنجليزي وسمح لهم بالجلوس على أرض المقهى للمشاهدة "

هدر سيد بعنف وهو يقبض على ملابسه بقوة "اسمع أنا لا أحب الاعوجاج .. (تحركت عينا برقوق بتوتر) ولن أسكت عليه ..(ضربات قلبه تضرب بجنون يسمع صوت سيد المرعب) تقترب من المقهى مجددا سأقطع ساقيك.. أنا أسكت على أفعالك في الحي كرامة لابن سماحة.. لكنك مُصر على أن اتدخل بنفسي لردعك"

بدأت عينا برقوق بالارتعاش بشكل عجيب.. ثم مال بجذعه وتقوس على نفسه فجأة يداري وجهه

Des. Maryam Tamim

بذراعيه وكأنه يتحاشى أن يصفعه سيد وصاح " إنها أملاكي .. هذه أملاكي ولن تأخذونها مني .."

بدى الاندهاش على وجه سيد وطأطأ فترك الأول ملابسه.. بينما برقوق ينتفض بشدة وهو يغطي وجهه ويصيح بصوت معذب " أتركوني يا كلاب .. أتركوني .. الذي استأجركم يكون إبني .. أنا لا أدعي ..(مال عليه سيد يربت على كتفه بحركة عفوية مأخوذا فرفع إليه برقوق عينان ذاهلتان وهو ينفض يده عنه ويصيح) أنا صاحب هذا المكان الذي تطردونني منه .. (تحرك ينسحب بظهره نحو غرفته) كلاب .. كلكم كلاب .. عبيدا للنقود .." لحق به سيد ووقف على باب غرفته فتقوقع برقوق يخفي وجهه بين ركبتيه ينتفض رعبا واستمر في الهذيان كأن الشياطين تلحق به " هذا مكاني .. كيف تطردونني من مكاني الذي بنيته بعرق جبيني .. أتركوني .. أتركوني .. آه .. آه .. آه ".

Des. Maryam Tamim

تحرك أحمد مسرعا وهو يشتم من بين أسنانه بعد أن أستمع لرواية سيد ولحقه الأخير وطأطأ وبعض أهالي الحي .

دخل بحذر فانتفض برقوق حين استشعر باقتراب أحدهم فصرخ مجددا من بين ركبتيه " أتركوني يا كلاب لا تلمسوني .. هذا ملكي .. أتركوني لا تضربوني ."

تكلم أحمد وهو يقترب بعد أن تمتم من بين أسنانه " هذا ما ينقصني فعلا (ثم قال بصوت مسموع لكنه هادئ) برقوق .. أنا أحمد سماحة .. برقوق هل تسمعني أنا أحمد سماحة قريبك .. (صمت برقوق دون أن يرفع رأسه فأكمل أحمد) هلا هدأت وأفهمتني ما المشكلة ؟"..

تكلم برقوق من بين قدميه " سيطردونني ويأخذون أملاكي "

Des. Maryam Tamim

رفع أحمد عيناه إلى السماء يشتكي إلى الله ثم قال بهدوء " من هم يا برقوق ؟.. أشر عليهم فعندي رغبة في قتل أحدهم هذه الأيام ".

رفع برقوق وجها متعرقا ثم لمح سيد خلف أحمد فأشار عليه برعب ليستدير أحمد لسيد ذي الملامح المشفقة المتعاطفة وضرب على كتفه يقول " لا تخشى هذا الرجل إنه صديقي.. أنسيت هو الذي أخرجك بعلاقاته من قسم الشرطة ؟.. أنسيت سيد صبرة يا رجل؟ (ثم همس بجانب سيد) الذي يلوي فمه كالنساء ".

حدجه سيد بنظرة خطرة تتعارض مع ملامح التعاطف التي كانت قبلها .. بينما نظر برقوق لسيد وأحمد بأنفاس لاهثة وكأنه يسترجع وعيه .. فتقدم منه أحمد مرة أخرى ورفع ساقه يسند على الأريكة ثم أسند مرفقه على فخذه متخذا وضع زعيم العصابة وسأله" جميل .. ركز معي ودعك من مس

Des. Maryam Tamim

الجنون هذا .. لماذا تزعجهم بالمقهى ألم انهك من أذية من حولك ؟"

قال برقوق بمسكنة نادرة " كنت أتابع الدوري الإنجليزي"

رد أحمد متفاجئا " الدوري الانجليزي بنفسه !!..

اممم .. ولم تلم الصبية حولك ؟"

رد برقوق " يريدون المشاهدة أيضا وهذه المباريات مشفرة "

فتمتم أحمد ساخرا " ما شاء الله !.. لديك قلب رحيم فتتصدق من جيب غيرك على صبية الحي بالمباريات المشفرة ".

تدخل سيد يقول " ما رأيك سأدخل لك وصلة من البث التليفزيوني الذي في المقهى هنا بشرط ألا تقترب من المقهى والزبائن".

اتسعت عينا برقوق وسأله " صدقاً ؟!"

Des. Maryam Tamim

أومأ سيد برأسه .. فتوجه برقوق بالقول لأحمد بلهجة سمجة تملكته من جديد" أريد تلفاز يا قريبي".

مط أحمد شفتيه بامتعاض وقال " حاضر .. سمعا وطاعا يا برقوق أفندي .. ولكن التزم حدود غرفتك ولا تحتك بأحد "

ثم استدار يربت على كتف سيد ويقول هامسا باستفزاز " اشتر له تلفازا .. ولا تشغلني بمشاكلك لست متفرغا لك ولفمك الملوي ".

وتحرك مغادرا بينما طحن سيد أسنانه بغيظ ونظر لبرقوق الذي عاد وانكمش من جديد متوجسا من سيد الشارد يفكر " هل ستبلي صغيرته بلاء حسنا اليوم في المقابلة ؟ فقد أخبره وائل بالموعد منذ مدة "

***

Des. Maryam Tamim



غصبت روحي على الهجران
وانت هواك بيجري في دمي
وفضلت أفكر في النسيان
لما بقى النسيان همي
لو خطر حبك في بالي
ولا زار طيفك خيالي
حاولت أهرب م الأفكار
الي تشعلل نار حبي
وفضلت وأنا بالي محتار
في الحب بين عقلي وقلبي.

تنهدت آية تنفس بعضا من الوجع الحارق من صدرها وهي تستمع لبعض المقاطع التي ينشرها سيد على صفحته .. فتتابعها وتستمع إليها خلسة دون أن يشعر بها .. وتتمنى أن يستمع هو أيضا لما تنشره على صفحتها على تطبيق الساوند كلاود ..

[3079]

رفعت حاجبيها فجأة باندهاش حين ظهر أمامها كلب بوليسي كبير يستند بقدميه الأماميتان على زجاج محل المثلجات من الخارج .. عند منضدتها بالضبط .. يحمل في فمه شريطا ينتهي بعلبة هدايا صغيرة ..

حدقت فيه لثوان ثم جحظت عيناها وتساءلت " أليس هذا روي ؟!"

خرجت مسرعة من المحل فتحرك نحوها الكلب ووقف أمامها ..فانحنت تربت عليه في حنان وقالت " هل أنت روي ؟.. أخبرني يا حلو .. أنت تشبه روي الذي رأيته في الصور "..

لكزها الكلب عدت مرات ثم ترك العلبة من فمه فالتقطتها باندهاش ونظرت حولها وهي تربت على الكلب "وقالت أين صاحبك ؟"

فنبح الكلب لتلتفت حولها .. ثم نظرت مجددا لعلبة الهدايا وفتحتها فاتسعت عيناها حين وجدت العلبة فارغة .. ثم أتاها صوت من خلفها يقول

Des. Maryam Tamim

مازحا "وهذه كانت الخدعة التي جعلتها تقع في هوى الدكتور الوسيم ".
وقفت آية تقول " لقد تعرفت على روي وحدي "

فاقترب يقول بمرح" ألا يذكرك هذا المشهد بفيلم؟"
ابتسمت وحركت عينيها العسليتن تحاول التذكر فابتلع ريقه يتأملها بشوق يضنيه .. أخيرا استطاع أن يراها ..
أخيرا ..
ردت من بين شفتيها الجميلتين "لا أذكر"
قال" فيلم You have got a mail لتوم هانكس وميج ريان ".
ابتسمت ابتسامة تقطر عسلا فأوقفت النبض عنده لثوان وهي تقول" معك حق .. لقد نسيت .. أخبرني ماذا تفعل هنا ؟"

Des. Maryam Tamim

رد وهو يرسم ملامحها بعينيه " جئت اقلد نهاية الفيلم مع روي.. ربما حظيت بنهاية سعيدة مع الفتاة التي أراسلها عبر الواتساب منذ مدة .. وتبخل علي باستقبال أي مكالمات مني ".

تنهدت وقالت بتعاطف " ريان أنا تكلمت معك بوضوح من قبل وأخبرتك أني لا أفكر في الارتباط حاليا ولا أعلم متى ولن استطيع تبادل المحادثات معك أو الاتصالات أو المقابلات دون هدف واضح "

سألها فجأة " هل هو السبب ؟"

سألت باندهاش "من؟"

رد بسرعة مداريا ألما شديدا في صدره منذ ذلك اليوم " ذلك الرجل الضخم العصبي صاحب أخيك الذي كاد أن يضرب الأطباء بسبب صديقه المريض؟".

Des. Maryam Tamim

طالعته بصدمة دون رد فأكمل " رأيتك تصعدين معه في ذلك اليوم حين أتيت لأراك وانت تخرجين من الجامعة (وتوتر صوته) إنها عادة باتت تلازمني ..أن أنتظرك من بعيد لأراك واطمئن عليك ما دمت لا تريدين أن تبادليني الاهتمام مدعيا أني جئت لأرى منة أختي التي هي في كلية أخرى في مكان آخر .. يومها وجدته يجبرك بحزم على دخول السيارة .. فتوترت ولحقت بكما بسيارتي .. وحاولت الاتصال بك مرارا لكنك لم تردي .. إلى أن ركن في الطريق الخالي وقبل أن اقترب وجدته ينحني من نافذة السيارة يحضن وجهك بين كفيه .. فركنت سيارتي في شارع جانبي وترجلت أراقب المشهد من بعيد .. مستعدا للتدخل لو كان بغير إرادتك.. لكني فهمت الأمر.. بالرغم من أن أذني لم تلتقط كل الحديث بينكما ..

Des. Maryam Tamim

بعدها تتبعت سيارة الأجرة التي ركبتيها حتى نزلتِ لذلك المكان الضخم الذي علمت من أسمه أنه تابعا لآل سماحة "

أطرقت آية برأسها وقد تذكرت تفاصيل تلك اللحظات الصعبة وما تلاها من ألم ظلت تتحكم فيه متقبضة وهي تدخل سيارة الأجرة ذلك اليوم .. ولم تدري أنها أخبرت السائق حين سألها عن وجهتها بأن أعطته عنوان الورشة .. لتجد نفسها تقتحم المكتب على أحمد الذي كان يتحدث مع احد الموظفين وقد تفاجأ بها .. ويبدو أن ملامحها قد أخبرته بكل شيء ليأمر الموظف بالانصراف فورا ويغلق الباب وراءه .. ثم يقترب منها ودون أي كلمة يأخذها بين ذراعيه ..

فبكت ...

بكت كثيرا ولمدة طويلة ..

بكت بحرقة قلب احترق ما كان متبقياً به .

Des. Maryam Tamim

وتركها أحمد تبكي وهو يمسد على رأسها .. وتذكُر أنه قبّل جبينها مواسيا .. وهمس ببعض الكلمات المشجعة وكأنه قد فهم .

لا تدري كم من الوقت مر وهي تبكي بحرقة في حضن أخيها .. وحين رفعت رأسها أخيرا .. خيل إليها رؤية بقايا دموع في عينيه .
نفضت عنها الذكريات لتقول" ريان أرجوك أنا لا أريد الحديث في هذا الأمر ".
فقال بلهجة رجاء " أنا من أرجوك يا آية دعيني أمر إلى حياتك .. وأحاول أن أنسيك ذلك الوجع الكبير الذي استشعره في قلبك".

قالت بتأثر " لا أريد إيلامك يا ريان .. فأنا أعرف أني لست قادرة على التواصل بأي شكل هذه الفترة ومازلت أحاول أن أتوازن ".

Des. Maryam Tamim

قال بتوسل" دعيني أجرب حظي يا أية أرجوك ..دعيني أقترب .. هذه المرة ستكون على مسئوليتي الشخصية .. وسأمضي لك إقرارا بذلك" .
اتسعت عيناها لما يقول ثم ابتسمت وأدارت وجهها عنه .. فرفع الكلب نفسه ووقف على قدميه الخلفيتين أمامها وكأنه يشاركهم الحديث ليقول ريان للكلب آمرا " روي قل أرجوكِ ".

فنزل الكلب على اقدامه الأربعة وطأطأ رأسه بطريقة كوميدية فانفجرت آية في الضحك تداري فمها بكفها ليهتف ريان بسعادة " أشرقت الأنوار يا فندم " .

ابتسمت آية بخجل فتكلم ريان مجددا " هذا روي من فيلم الشموع السوداء .. لكننا غيرنا قصة الفيلم ليكون بشكل عصري .. الكلب مع نجاة الصغيرة (

Des. Maryam Tamim

أشار على نفسه) التي ستساعد البطل الأعمى على الشفاء وتنسيه حب قديم (واشار عليها) "

ضحكت آية مجددا بتلك الابتسامة العسلية فأوجعه قلبه ليقول " أرأيت .. خمس دقائق معي جعلتك تضحكين ثلاث مرات ".
قبل أن تجيب صفع أحمد باب سيارته بعنف جعل الجميع يلتفتون إليه بما فيهم روي الذي بدا عليه التحفز وبعض الزمجرة .. فبادله أحمد نظرات مهددة خطرة فلاح التردد على روي قبل أن يتدخل ريان ويشير له بأن يجلس بأدب متقدما نحو أحمد ببشاشة أصدقاء قدامى ويمد يده بالسلام ..
طالع أحمد يده الممدودة لثانيتين قبل أن يضغط على نفسه ويتحلى ببعض اللباقة ويمد يده بسلام فاتر ممتعض قبل أن يقول " هل هناك شيء ؟ لمَ تقفون هكذا على قارعة الطريق؟ " .

Des. Maryam Tamim

تدخلت آية تقول ببعض الحرج وقد استشعرت جفاء أحمد مع ريان " ريان كان يمر من هنا وتقابلنا صدفة".

فقال ريان " أجل صدفة .. كنت اتمشى أنا وروي" .

مط أحمد شفتيه بامتعاض واضح ورد بإجابات مقتضبة على محاولة ريان اجتذاب أطراف الحديث قبل أن يسحب آية من يدها نحو السيارة ويودعه بعبارات أكثر اقتضابا .

فتنهد ريان وهو يقول لنفسه " أنا لو كنت أحاول الوصول لأميرة في القصر الملكي البريطاني لكان اسهل "

ثم نظر لموضع قلبه في صدره يقول " أنت السبب فيما أنا فيه أنت السبب .. هيا بنا يا روي "

وتحرك يركب سيارته وينطلق .

***

تحركت مجهدة والتقطت الهاتف من جانب السرير لترد بصوت أجش من أثر النوم على الرقم

Des. Maryam Tamim

الغير مسجل فيأتيها صوته يقول " حبيبتي مازالت نائمة .. اشتريت الرقم الجديد ولم أصبر ألا أسمع صوتك ولو دقيقة ".

نظرت في شاشة الهاتف لتتأكد أنه رقما جديدا ثم قالت " ماذا تريد يا سامي .. ألن ننتهي من هذا الأمر .. سأخبر العائلة .. أو سأقدم بلاغا في قسم الشرطة ".

قهقه بطريقة استفزتها ثم قال " لن تفعليها أنا أعرفك جيدا لا تحبين الفضائح مثل زوجك وستخشين على سمعته ".

جلست على السرير وردت بانفعال "لو كنت تحبني كما تقول لما آذيتني بكلامك وحصارك .. من يحب لا يفرض نفسه على من يحبه إن كان الآخر لا يريده".

Des. Maryam Tamim

رد عليها " أنت تريديني يا ماجي لكنك تتمسكين بمبادئ بالية عن الزوجة بنت الأصول التي تتفانى من أجل عائلتها .. تدفنين حياتك مع رجل ترك فراشك في أول اسبوع من زفافكم .. رجل .. ".
قاطعته بحزم " سامي .. أنا لن أسمح لك بالتجاوز والتطرق لحياتي الشخصية .. ".
قال" أجل يا ماجي أنفضي عنك ذلك الجليد الذي تتوارين خلفه وعودي ماجي التي أعرفها وأحببتها وأحبتني " .
صرخت بانفعال " من الذي أحبتك يا مجنون .. عد لعقلك ودعك مني وابحث عن فتاة تستحق مشاعرك .. وأرجو أن يكون لديك ذرة كرامة وتكف على الاتصال بي ".
ردد بيأس "من يحب ينسى كرامته .. وأنت تهدرين سنين عمرك مع رجل لا يستحقك .. نستطيع أن نثبت عليه جريمة الزنا أنا لدي أدلة كثيرة عن علاقاته الماضية جمعتها بعلاقاتي .. صحيح أنه

Des. Maryam Tamim



توقف منذ فترة عن ذلك لكن كل الأدلة جاهزة والكنيسة ...".

اغلقت الخط قبل أن يكمل وقامت بحظر الرقم ثم دفنت وجهها في كفيها تهدئ من انفعالها وتحاول أن تنفض ذكريات داهمتها بكلامه عن خيانته لها" متمتمة "متى أنتهي من هذا الكابوس متى ؟".

نهضت من السرير تشعر بالإرهاق .. فقد ظلت أمس أمام حاسوبها المحمول حتى ساعة متأخرة.. وتحركت نحو الحمام واغتسلت .. ثم خرجت تبحث عن التوأمتين فلم يكونا بالغرفة حين استيقظت .

كان البيت خالي .. لكن هناك حركة بالمطبخ .. ورائحة تعرفها وتميزها بسهولة تتسلل منه ..



أهو في مزاج جيد اليوم ليصنع بنفسه فطوره؟!..
منذ مدة لم يصنع الأومليت الياباني الذي يتفنن فيه..
أطلت برأسها من باب المطبخ بهدوء لا تريد إزعاجه .. إنه في لحظات سعادته واعتدال مزاجه كيمامة برية تنتظرها لتدخل من الشباك .. وحين تدخل .. تقترب منها بحذر حتى لا تجفلها فتفزع وتطير بعيدا ..
أتستطيع لمسها ؟..
تعلم جيدا أن اليمامة لن تسمح لها ..
لكنها على استعداد للجلوس كالعجوز على أريكة خشبية تراقب يمامتها السعيدة في صمت ..
أو للتربع كطفلة صغيرة تحدق فيها بانبهار ..
وتدعو في سرها ألا تتركها وتطير بسرعة ..

كان يصفر ويدندن بأغنية فرنسية ..

Des. Maryam Tamim

دندنته .. وجذعه الأشقر العاري فوق بنطال بيتي قصير .. وشعره الذي يلمع بانعكاس أشعة الشمس المتسللة عبر الشباك عليه .. كانوا كقبلة الحياة لقلبها المحروم ..

تساءلت .. أيراها الآن؟ .. يرى مريم ؟..

لهذا هو مبتهج اليوم على غير العادة ؟ ..

استدار نحو باب المطبخ .. فرجعت برأسها تختبئ وراء الحائط .. ليقول بصوت عالي " أراك .. هيا بسرعة الفطور سيبرد ".

ازداد خفقان قلبها بتوتر و تساءلت هل يراها كمريم اليوم؟.. قبل أن تجيب على أفكارها كان يقف أمامها فأجفلها لمعان زرقة عينيه.. بينما أمسك وائل بمرفقها برفق يدخلها المطبخ وهو يقول " أنا أنتظر استيقاظك منذ مدة "

قالت بتأتأة " أين البنات؟ " .

Des. Maryam Tamim

رد عليها بهدوء " ذهبتا لجدتهن وبعدها ستذهب ميري للتمرين أنت تعلمين أنها على وشك اختبار من سيمثل البلاد في الأولمبياد وهي تتمرن بقوة"

تساءلت كيف يكون واعيا لكل تلك التفاصيل بنفس تزامنها الطبيعي وفي الوقت نفسه يعيش مع وهم مريم !.
أجلسها على المنضدة في المطبخ وبدأ في التعامل مع الموقد ..
تأملت جزعه العضلي .. لقد فقد وزنا لكنه لم يفقد جاذبيته أبدا .. سيظل الرجل الذي يأسرها للأبد ..
قالت بارتباك " أنا لا أريد أن أفطر ".
رد بإصرار" لا تتدللي .. أعددت الفطور للبنات ولم أفطر معهما حتى تستيقظين يا ست مريم .. "

وكأن اليمامة قد نقرت قلبها .. فآلمها كمن رشقها بخنجر .. ككل مرة يناديها بهذا الاسم .. لكن التفاته

Des. Maryam Tamim

ناحيتها مانحا إياها ابتسامة وغمزة من عينيه نزل كالبلسم على الجرح وهو يضيف " أنا أعرف أنك تحبين طبق الأومليت الياباني من يدي .. أشعر أني لم أعده منذ مدة طويلة أليس كذلك؟"

أومأت برأسها في صمت فأكمل " غريب أن أتكاسل عن إعداده لك رغم معرفتي بأنك تحبينه من يدي (واستدار يقف أمامها مستندا على الخزانة يقول) لمَ لم تطلبي مني أن أعده لك ؟"

ابتعلت ريقها وردت بصوت هارب منها "لا أحب إرهاقك "
نظر إليها بنظرة عتاب وقال" وهل سأتعب من أعداد طبق أومليت !! "
وضع أمامها الطبق فتأملت لفائف الأومليت الصفراء المزينة باللونين الأخضر والبرتقالي فصاحت بانبهار " رائعة الشكل والرائحة ".

Des. Maryam Tamim

اقترب من المنضدة يقول " تنظرين للطبق بنفس ذات النظرة التي كنتِ تستقبلين بها الطبق كلما أعددته لك ونحن أصغر ".

طالعته بذهول .. لا تصدق ..
هل يذكر بالفعل أنها كانت تجلس في مطبخ الخالة أنجيل تنظر إليه بانبهار وهو يعد لها ذلك الطبق الذي قد تعلمه حين سافر خارج البلاد في عطلة صيف؟!!..
أيذكر آخر مرة صنعه لها ؟ .. كانت وقتها ترتدي مريلة المدرسة القصيرة وقد عرجت عليهم قبل ذهابها لمدرستها .. فأصر ألا تمشي قبل أن يعد لها الفطور .. ليصنع لها ذلك الطبق الذي تحبه ..
كانت في الخامسة عشر وهو في العشرين من العمر ..
وكان ..

Des. Maryam Tamim

وسيما .. أشقرا ..أكثر نحولا.. بعينين أكثر زرقة وأكثر صفاء من الآن ..

أيتذكرها فعلا ؟
أم يعتقدها مريم؟! ..
أم أنه قد أعد طبقا مثله لمريم ؟! ..وهل أحبته من يديه مثلها ؟!!.
ومن الذي لا يحبه ولا يحب ما تصنع يداه !!!..

ناداها " مريم "
فانقشعت سحابة الفرح التي كانت تخيم فوقها
وتأكدت أنه يراها الأخرى ..ثم مال عليها يقول
بإغواء أحرق أعصابها " لمَ لا تأكلين"
وأمسك الشوكة يرفع قطعة من الأومليت إلي فمها
..
ترددت قليلا لكنه أصر أن تفتح فمها ..فاستقبلت شفتيها طعامه .. ورائحة عطره تتسلل إلى وجدانها

Des. Maryam Tamim

تهديها رجفة مشتاق .. بينما الطعم الشهي الذي يذوب في فمها يعيد لها الذكريات ..
لم تستطع أن تمنع دمعاتها من التساقط فانهمرت دون إرادة منها .. رغم أنها عاهدت نفسها منذ سنين طويلة ألا يرى دموعها أبدا ..

سألها بهمس يتأملها عن قرب " هل أحببتِ طعمه؟"
أومأت برأسها وبدموعها بنعم خرساء فقطع قطعة أخرى من اللفائف ورفعها إلى فمها.

كادت أن تتوسله أن يعتقها .. أن يطلق سرحها من محيطه المذيب للأعصاب .. لكنه أشار بمقلتيه للشوكة آمرا .. ففتحت فمها باستسلام وطاعة ..وتدفقت الدموع الصامتة من جديد ..
سألها بملامح طفولية عابسة " أهو سيئ إلى هذه الدرجة ؟!!"

Des. Maryam Tamim

فغطت فمها وردت بهمس " بل رائع .. شكرا جدا"
سألها ببراءة "لمَ تبكين إذن وكأنك تتعذبين ؟!!"
فاضت الدموع مرة أخرى رغم محاولتها منعها وتمتمت " إنه رائع لدرجة أن أعصابي لا تتحمل روعته ".
منحها ابتسامة رضا.. فرفعت أصابعها قليلا ثم أنزلتها وتقبضت.. متمنية لو استطاعت أن تلمس ابتسامته ..وهمست في سرها " اخبرني ماذا فعلت هي أو ما فعلت أنت بنفسك لتستيقظ في هذا المزاج وتوزع ابتسامات تقطع الأنفاس على البشر من حولك ".
رفع يده يشير لجبينها ويقول " أمازالت تلك الندبة موجودة ؟!!"
تحسست الندبة على جبينها وسألته بذهول " أتذكرها !!"

Des. Maryam Tamim

رد بتعجب " طبعا مريومتي أذكرها جيدا .. كنت أعلمك ركوب الدراجة ووقعتِ .. وأمي وبختني يومها كثيرا "

ارتجف جسدها واخذت تفكر هل اختلطت ذكرياته معها بذكرياته مع مريم ؟!!!.."

تأمل الندبة في جبينها وقال " كانت كبيرة جدا وقتها "

جاهدت في إخراج صوتها وقالت وهي ترسم ملامحه " بعض الجروح تندمل لكنها تترك ندبة وبعضها يظل نازفا موجعا يئن طول العمر ويزعج صاحبه ".

عاد يتأملها مجدداً ومس بإصبعه أطراف شعرها البني وقال " متى قصصت شعرك ؟ أنا لا أذكر؟!! .. (وصمت قليلا يجعد جبينه كمن يحاول التذكر بصعوبة) لمَ لا أذكر يا مريم ؟!!"

Des. Maryam Tamim

تأملته معقودة اللسان وهو يستند بمرفقيه على المنضدة ويكمل استرجاعه للماضي " كان طويلا غجريا ذا تموجات طبيعية .. حين فردتيه أمامي لم أصدق طوله .. فدائما كنتِ تجدّلينه بتلك الجدائل القبيحة التي لم تظهر جماله أبدا .."

حدقت فيه برعب.. فضيق عيناه وهو يعصر ذاكرته ويضيف" أذكر أنك حين تخليت عن تلك الجدائل القبيحة .. كان كشلال بني رائع (وأضاف وقد لمعت زرقة عينيه) وكان أطول من ذلك القميص الأبيض الذي ارتديتيه يومها (وهمس بشقاوة) الذي كشف كل شيء "

حدقت فيه بنظرات ذاهلة .. عاجزة عن الكلام .. فذلك الشعور الذي يعتريها الآن .. مهما برعت في وصفه بكلمات لن يعبر أبدا عما تشعر به..
إن هذا فوق طاقة الاحتمال ..

Des. Maryam Tamim

كيف يتذكر تفاصيلها يوم زفافها وينديها باسم امرأة أخرى !!! ..

رن هاتفه فتحرك يلتقطه من على إحدى الخزائن ليجيب .. ثم تحرك بعدها بسرعة يتمتم " عليّ أن أنزل حالا فقد نسيت موعدا هاما .. بت انسى كثيرا هذه الايام .. سأتصل بك مريومتي " .

ظلت محدقة في بقايا طبق الأومليت أمامها بعينين ذاهلتين .. مسمّرة كالتمثال ..لتسمعه بعد دقائق يتمتم بعبارات الوداع من الصالة قبل أن تسمع باب الشقة يغلق وراءه ..

وعم صمت ..

مخيف ..

مربك ..

صاخب المشاعر ..

وموجع بشدة ..

[3102]

فقد نقرتها اليمامة هذه المرة نقرة مؤلمة أسالت دمها ..

***

" غيرت رأيي .. سأوجل الأمر لاختبارات أخرى.. "
حدق فيها أحمد مستندا على سيارته يعقد ذراعيه أمامه في داخل ساحة مجمع الأستوديوهات الكبير بينما أكملت بتوتر وهي تتحرك لتعود لمقعدها في السيارة " سأركز حاليا في التصميمات .. وبعد بعض الوقت سا..."
قطعت كلامها حين قبض أحمد حجابها من مؤخرة عنقها كما يمسك لصاً وأدارها إليه يحدق في عينيها ببرود فصاحت معترضة " أحمد أترك ملابسي .. نحن أمام الناس "
استمر في إمساكها من قفاها وقال بغيظ " ما دمنا أمام الناس فدعينا نظهر بمظهر حضاري ولا تستفزيني ..(ثم أكمل باستهجان) أتظنيني عاطلا

Des. Maryam Tamim

! .. لقد تركت كل ما لدي من أشغال لأحضر مع فخامة الكونتيسة في أول مقابلة عمل لها .. ثم تقرر بكل جبن عدم المشاركة !!"

نفضت يده بضيق وعدلت من ملابسها ثم صاحت في حنق " لست جبانة أنا فقط غير مستعدة بعد "
تكتف مستندا على سيارته وقال بهدوء " أنا أرى عكس ذلك"
همست بحنق طفولي " ماذا لو فشلت؟"
رفع عيناه للسماء في يأس ثم رد بامتعاض "ستنجحين إن شاء الله"
سألته بإصرار مغلف بنبرة طفولية لم تتخطاها بعد وهي تضرب الأرض بقدمها " ما الذي يجعلك متأكدا؟"
وضع يديه في جيب بنطاله ورد بهدوء " لأني أثق في قدرتك على استخدام ذكائك للحصول على ما تريدين "

Des. Maryam Tamim

ردت بمشاكسة " تعني أني مستغلة"
لوي فمه قليلا ثم رد " أنا قلت ذكية .. هل لديك
مشاكل في السمع؟ أم قصور في الفهم؟"
مطت شفتيها بعبوس طفولي ثم قالت " ماذا لو لم
أقدر على استخدام ذكائي هذه المرة؟"
رد بقلة صبر " هذا الأمر ليس بقرار مسبق عزيزتي
المجنونة تفعلينه أو لا تفعلينه .. إنه رد فعل
لحظي بديهي يخرج في المواقف "
صمتت وأطرقت برأسها في شرود .. ثم رفعت
رأسها بعد دقائق تقول " وماذا لو فشلت ؟"

حرك كتفيه ورد مطمئناً " ليست نهاية العالم ..
سنجرب مرة ثانية وثالثة حتى تصلين لما تريدين أو
تفقدين الشغف بالموضوع " .

Des. Maryam Tamim

نفخت قلقها في يديها بتوتر.. فأضاف " أنا فشلت في الالتحاق بفريق الناشئين مرتين رغم أني كنت بشهادة الجميع ماهراً"

أطرقت برأسها شاردة وهي تنفخ في يدها مرة أخرى ثم انتبهت لما قال فرفعت رأسها وقالت بصدمة " هذا مخالف لما أخبرتني به وأنا صغيرة!!"

ضيق عيناه وسألها " حقا ! "

رددت مؤكدة " حقا"

تنحنح وسألها في حرج " بماذا اخبرتك وقتها ؟"

رفعت حاجبا وقالت بلهجة ساخرة " انهم كانوا يتهافتون عليك وحدثت معركة بين ناديين من أجل ضمك للفريق ".

تنحنح وأشاح بوجهه قليلا يهرش في حاجبه وهو يسألها " أنا قلت لك ذلك؟" فأومأت بنعم .

تنحنح مجددا ورد ببساطة " حسنا الرواية الحقيقية هي ما أخبرك بها الأن".

Des. Maryam Tamim

تكتفت ونظرت إليه بملامح مصدومة فشعر بالحرج وضربها على مؤخرة رأسه وهو يقول " انظري أمامك وركزي في المقابلة ".

استمرت في التحديق فيه متكتفة فمد يده يخرج زجاجة مياه صغيرة وأشاح بوجه بعيدا يلقي بالماء في جوفه يداري حرجه فانفجرت في الضحك من منظره وهو محرج ويتصنع الشموخ.
تحكم في ضحكة تلح على زاوية فمه وراقبها تخفي فمها بكفيها في هستيريا ضحك تتمايل هنا وهناك فألقى الزجاجة في داخل السيارة وأحاط عنقها بذراعه من الخلف برفق وهو يجز على أسنانه وهو يتمتم بغيظ " مضحكة أليس كذلك ؟!"

راقبهما من بعيد جالساً في سيارته تنتابه مشاعر متباينة ..
سعيد ..

[3107]

سعيد جدا أنها تضحك .. وسعيد لعلاقتها التي تحسنت مع أخيها ..

غيور ..
غيور جدا أن شخصا غيره يضحكها حتى لو أخيها .. غيور أن يحرم من تواجده في محيطها في لحظة كهذه .

حزين ..
حزين أنه ليس بجانبها كما وعدها .. حزين أن يحرم من مجرد التواجد بالقرب منها ..

أيطلب الكثير ؟! ..
تمنى لو استطاع أن يخبرها أنه هنا يراقبها بعيد .. مختبئ كاللصوص .. وأنه لم يقدر على الانتظار .. ويعترف لها ولنفسه أنه ضعيف .. في كل ما يخصها هو ضعيف ..

Des. Maryam Tamim

هدأت موجة الضحك فسألت آية أخاها" وماذا كانت أسباب رفضك في المرتين ؟".

وضع يديه في جيبه ورد " عكس أسبابك .. لقد كنت واثقا بنفسي ثقة زائدة جعلتني مستعرضا .. مغرورا .. وحين نبهني أبي لموضع النقص تعاملت معه ونجحت في الالتحاق بالموسم التالي"

عادت للتحديق بشرود في الأرض فأكمل " أتذكرين حين طلبت منك رسم التصاميم أول مرة ولم تعجبني رغم أني أثنيت على دقة يدك والاساليب الصعبة التي استخدمتها في اللوحة ببراعة ؟ .. أتذكرين ماذا طلبت منك وقتها ؟.. طلبت أن تعيديها بأسلوب أكثر شغفا وأقل استعراضا " فأكملت له الجملة " كالمرأة التي ترتدي مصوغاتها كلها مرة واحدة " .

Des. Maryam Tamim

أشار برأسه في إعجاب من استيعابها الدرس وقال "
أجل هذا هو الذكاء .. حسن اختيار الزينة الذي
تليق بالمناسبة ونوع الملابس وما يليق
بشخصيتك مع عدم إهمال الذوق العام للأغلبية
الحاضرة "
تنهدت ثم سألته " وماذا تتوقع أنت بشأني؟"
رد ببساطة " أتوقع أن ستجتازين المقابلة
وستمارسين سحرك على الحضور .. وإلا لما كنت
جهزت لك مفاجأة مجنونة اليوم احتفالا بذلك"
سألته في حماس طفولي " أهي مفاجأة مجنونة
فعلا ؟"
رد بابتسامة غامضة " أجل مجنونة مثلك"
تخصرت ووقفت وقفتها الشهيرة كعارضة أزياء
تقول بدلال " إذن اعترفت أنا لدي سحر خاص "

تطلع حوله في حرج ثم ضربها على رأسها بغيظ
يقول " أقول سحر .. وليس وقاحة هناك فرق بين

Des. Maryam Tamim

الاثنين .. فانضبطي حتى لا أمارس عليك عنف ذكوري لن تحبيه " .
مطت شفتيها وقالت بامتعاض " أرأيت .. مازلت غير متحضر ".
رد بلهجة مستخفة " ومن قال أني كذلك.. أنا فقط أهذب هذا الكائن بداخلي " .
تمتمت بقرف " بدائية .. همجية !"

رد ببرود وبنظرة أكثر حنان نحوها عن ذي قبل " عزيزتي المجنونة ..إن مارستِ أنوثتك بوقاحة .. من المنطقي أن أمارس همجيتي ببدائية .. المسألة فعل ورد فعل ".
رفعت حاجبها بكبرياء رغم اقتناعها .. فسألها" متى عليك الدخول للاستعداد ؟"
نظرت في ساعتها ثم قالت " فورا "
فأشار لها بيده بحركة متعالية أن تذهب .. لتبتسم .. وتأخذ نفسا عميقا وتتمتم" توكلنا على الله "

Des. Maryam Tamim

تحركت نحو مبنى أحد الأستوديوهات الضخمة وقبل أن تدخل استدارت وقد خانتها عيناها تبحث في الساحة الواسعة بين الوجوه ربما .. ربما اكتشفت أن شخصا ما .. عرفته يوما .. ووعدها أنه سيتواجد في أول مقابلة عمل لها .. قد أوفى بوعده ..

ثم نظرت لأحمد وابتسمت ابتسامة مُرة فأشار لها بيده بصرامة أن تدخل .. ثم تنهد هو الأخر يتطلع حوله وهو يطحن ضروسه متمتما بغيظ " أكان لابد أن ينفذ طلبي بدقة ولا يتواصل معها حتى في هذه الظروف !! .. كان من الممكن أن يستثني اليوم من الوعد ويريها منظره البهي .. وكنت سأضربه لعدم التزامه بالوعد ونصبح متعادلين .. (ثم أكمل بقرف) لا يفلح سوي في تمثيل دور العاشق المعذب "

Des. Maryam Tamim

في السيارة من بعيد .. راقبها سيد وهي تدخل الاستوديو .. وانخلع قلبه وهو يراها تتطلع حولها تبحث عنه في الوجوه قبل أن تدخل ..فضرب على المقود في غضب ثم أخذ يحك جبينه ويستغفر .. هل يرسل لها رسالة نصية قصيرة يتمنى لها التوفيق ؟.
أم يدخل وراءها المبنى وكأنه قد حضر صدفة ؟.

فتح باب السيارة يهم بالتنفيذ .. لكنه تراجع أن يفعلها من وراء ظهر أحمد الواقف بعيدا .. لا يقبلها لا على نفسه ولا على صديقه .

ضرب على سطح السيارة بعنف ثم دخلها من جديد .. وفتح هاتفه وبحث على أغنية معينة على تطبيق الساوند كلاود .. وأرسله لها على الواتساب .

Des. Maryam Tamim

في قاعة مليئة بالمئات وقفت آية في إحدى الزوايا تشحن ذهنها بما ستقدمه وأقلقها وجود هذا العدد الكبير من المتقدمين .. وسيتم اختيار عشرة فقط كمذيعين جدد بعد مشوار طويل من التصفية والمنافسة .. فبدأت تحرك قدمها في عصبية عندما سمعت صوت رسالة جديدة على الواتساب.

فتحت آية الرسالة الآتية من رقم لا تعرفه .. لكن قلبها تعرف عليه قبل أن تتعرف عيناها على صور المرسل بجانب الرقم..

حاولت التحكم في هجمة بكاء من الفرح والألم داهمتها ووضعت سماعات الهاتف لتسمع الأغنية .. لكن الدموع لم تلتزم بأوامرها فتحركت نحو الحمام لتنزوي في أحد أركانه تسمعها وحدها .. أو تسمعها معه .. فقد كان يستمع للأغنية في سيارته في نفس الوقت على بعد أمتار.

Des. Maryam Tamim



أنا مش بعيد .. يا حبيبتي عنك ..
ده اللي بينا.. خطوتين..
ورغم شوقي .. وقربي منك ..
صعب تيجي .. العين في العين
يمكن قدامك مش طايلك ..
بس أنا في القلب أكيد شايلك
مهما أتعب وطريقي هايصعب
جايلك فى ميعادى .. أنا جايلك ..

كتمت آية صوت بكائها وهي تسمع الأغنية في تلك الزاوية في حمام السيدات ممتنة لهذا الشعور بأنه لم ينساها ..

أيوه شايفك وانتى لأ..
بس بكره هاتشوفينى ..
وتعرفى إننا ليا حق ..



وساعتها هاتعزريني

يمكن قدامك مش طايلك
بس أنا في القلب أكيد شايلك
مهما اتعب وطريقي هايصعب
جايلك في ميعادى أنا جايلك .

بعد قليل كانت تجلس بتوتر عند رئيس محطة الإذاعة شخصياً .. ولا تفهم بالضبط سبب وجودها .. فمجرد أن خرجت من الحمام وجدت من يبحث عنها .. وتعجبت أن دورها لم يأتي في الترقيم بعد .. لكن السكرتيرة الحسناء اصطحبتها إلى الناحية الأخرى من أستوديوهات الاختبارات ثم وجدت نفسها تدخل مكتب رئيس المحطة .

تطلعت ذاهلة للعجوز الذي ينفث سيجارا ضخما وهو يتطلع على ما يبدو لأوراقها.. وحالت تذكير

نفسها بكل قواعد المقابلات الشخصية التي بحثت عنها على الانترنت ..

رفع الرجل رأسه الصلعاء وقال بغموض " إذن أنت آية سماحة "

تنحنحت وأومأت برأسها ثم بلعت ريقها في توتر وقالت " هل هناك شيء خاطئ؟ "

تكلم الرجل العجوز وهو يضيق عينيه " لا أبدا أردت أن أرى بنفسي آية سماحة التي "توصي عليها الدولة كلها "

قالت بعدم فهم " نعم !! .. لا أفهم"

رد ساخرا " ألا تعرفين !! .. أمامي أربع توصيات لتعيينك .. أثنان من رجال الأعمال (عقدت آية حاجبيها وخمنت أنهما بالتأكيد من طرف والدها وأخيها) .. والثالث رجل له وزنه في تجارة الذهب (تمتمت في سرها بمحبة ..أبيه وائل حبيبي) .. وأخيرا المطربة الشهيرة (...) .. (جحظت عيناها

Des. Maryam Tamim

وتمتمت "يعرف مطربات .. ويتوسط لديهن .. ألم يعدني بـ ..) آنسة آية أنا أتحدث معك "
انتبهت لما يقول وردت" آسفة تفضل .. الحقيقة أنا لم يكن لدي أي فكرة عن هؤلاء الوسطاء .. ولا أحب أن يتم قبولي بسببهم.. لذا سأرفع عنكم وعن نفسي الحرج وسأغادر .. فبالتأكيد لن أشعر أني أستحق إذا قبلتموني ما دام الأمر به وساطة .. أنا آسفة على الإزعاج "
وتحركت مغادرة فناداها الرجل " آنسة آية أنا لم أسمح لك بالمغادرة بعد ..هل تعتقدي أني سأقبل بهذه الوساطة دون أن أخضعك للاختبار .. بل إني استدعيتك حتى أبلغك أنك سيكون لديك اختبارا أصعب من الاختبار العادي وإن نجحت فيه سأعينك فورا دون المرور بمرحلة التصفيات .. فهل أنت على قدر التحدي ؟"
أخذت نفسا عميقا ثم قالت بشموخ " أنا على قدر التحدي بإذن الله "

Des. Maryam Tamim

***

قالت أروى في الهاتف " هل اقتربت من الوصول"
رد عليها عمرو " عشرة دقائق وسأكون موجودا
بإذن الله .. "
سألته بقلق " ألن تقص علي تفاصيل ذلك الحلم
الذي أزعجك ؟"
رد عمرو " ليس من المستحب البوح بالأحلام الغير
جيدة عموما أنا نسيته "
ردت بجدية "لا لم تنساه وصوتك متأثر منذ أمس
.. أهو سيئ لهذه الدرجة ؟! "
قال يطمئنها " إنسيه ولا تشغلي بالك"
سألت بإصرار " هل هو يخصني أنا وأنت "
رد باقتضاب" يخص أكثر من شخص وإن شاء الله
تكون اضغاث أحلام بعد أن نكثف الدعاء
والاستغفار .. وكل شيء بقدر الله "

Des. Maryam Tamim

شعرت أن صوته أزداد تأثرا فقالت تغير الموضوع "
هل أخبرتك أن أحمد يخطط للذهاب لتركيا مع
بانة .. أخبرني بذلك حين زارني أمس"

رد باقتضاب " نعم أخبرني .. والحقيقة لا أعرف
سبب زياراته المتكررة بالذات وأنا غير موجود..
وكأنه يتعمد ذلك .. وتتحدثون بالساعات .. لا
أعرف من أين تجدون الطاقة لكل هذا الوقت من
الحديث .. كما أنه يعيث فسادا بأشيائي.. شاشتي
البلازمية الثمينة واسطوانات ألعابي"
قهقهت برقة ثم قالت " أنتما طفلان صغيران .. ما
المشكلة أن يزورني أحمد"
رد بحنق طفولي واضح في صوته " لا أعرف لا
أحب أن تهتمين برجل غيري "
قهقهت مرة أخرى ثم قالت " وتطلق على أحمد
مجنونا حين يغار منك !"

Des. Maryam Tamim

رد باستنكار " أنا زوجك يا بنت وهو أخيك (ثم استطرد يقول فجأة) أنا أمام الصيدلية هل تريدين شيئا ؟"

ردت " أجل أريد دهان ظهري من فضلك العلبة نفذت " .

جاء صوته يقول بقلق " أنا اسمعك هذه الأيام تتوجعين من ظهرك يا أروى خاصة أثناء النوم وأخشى أن تكوني تضغطين عليه بالتمارين .. وأشفق عليك حين توقظيني لأساعدك على التقلب في السرير "

ردت مطمئنة " لا تقلق .. لقد سألت طبيبة العلاج الطبيعي واخبرتني أن هذه أعرض طبيعية لتكون العضلات "

قال بقلق " علينا أيضا زيارة طبيب العظام للاطمئنان .. وأرى أنك بحاجة لجلسات تدليك لظهرك (ثم أكمل بلهجة متسلية) وأنا بارع في هذا الأمر"

Des. Maryam Tamim

انفجرت في الضحك فأتاها صوته ضاحكا يقول " أنا أتحدث بجدية يا بنت .. أنا مشهور بين أصدقائي الرياضيين بأني أقوم بتدليك ممتاز يفك العضلات فما رأيك أرتب لك جلسة تدليك ممتازة من جلساتي تنسيك كل آلامك "

قالت بخفوت خجل " عمرو أسكت .. لا أستطيع"

رد بإحباط " لماذا .. خذي فكرة على الأقل ستكونين زبونتي الأنثوية الوحيدة لهذا سأقدم لك تخفيضا ومميزات كثيرة "

قالت بحرج " شكرا لك لا أريد"

رن جرس الباب .. فسأل عمرو " من يرن على الباب؟ .. هل سيأتي أحمد اليوم أيضا؟"

ردت " أحمد مع آية لديها مقابلة بالإذاعة .. علية ستفتح الباب (ثم قالت بعد ثوان) إنها والدتك سأغلق الآن .. سلام ".

فتحت علية .. الفتاة التي ترافقها أثناء النهار .. الباب لتدخل عفاف وتنظر لها بامتعاض ثم

Des. Maryam Tamim

تطلعت لأروى وهي تحرك كرسيها تستقبلها بابتسامة حاولت أن تكون عادية وقالت" كيف حالك يا خالتي ؟"

لوت عفاف فمها وردت " وهل كنت تسألين عليّ من قبل ليهمك حالي الآن ؟!"

جزت أروى على أسنانها وردت " أنا اتصلت بك أكثر من مرة لم تردي"

هزت عفاف كتفيها وردت ببرود " ربما كنت نائمة أو مشغولة "

فتكلمت أروى " وحين استيقظت لم تردي لي مكالماتي"

قالت عفاف باستنكار " هل تحاسبينني يا ابنة إلهام ما شاء الله !! "

حاولت أروى التحكم في أعصابها تذكر نفسها بضرورة ضبط النفس وقالت " أنا لا أحاسبك لا سمح الله .. أنا أقول فقط أن أي شخص يجد اتصالات فاتته يردها "

Des. Maryam Tamim

قالت عفاف بانفعال " اسمعي أنا ليس لدي وقت لهذه المهاترات (وهدرت في علية الواقفة تراقبهما) أنت .. ألا ترين أني أحمل في يدي شيئاً؟ "
تقدمت منها الفتاة بارتباك تحمل عنها برطمانا كبيرا وتنظر لأروى بتردد لا تعرف أين تضعه فسألتها أروى " ما هذا يا خالتي ؟"
ردت بتفاخر" إنه خيار مخلل .. أنا ماهرة في صنعه وعمرو يحبه كثيرا (وقالت لعلية) ضعيه في المطبخ "
ردت أروى بدبلوماسية وإن أرادت أن تثبت لها أنها ليست فاشلة بهذا الشكل الذي تراها فيها " سلمت يداك .. تفضلي بالجلوس وسأصنع لك فنجاناً من القهوة فأنا ماهرة في صنعها"
وأرادت أن تضيف عبارة (واسألي عمرو) لكنها تراجعت حتى لا تخطئ في فهمها .

Des. Maryam Tamim

ردت عفاف ببرود " أنا لا أحب القهوة شكرا (ثم صاحت بعصبيه في الفتاة) أمازلت واقفة .. الحقي بي إلى المطبخ لنرى أين سنضع المخلل حتى لا يفسد " .

رفعت أروى حاجبا مستنكرا .. وحركت الكرسي وراءها .. لتجد عفاف تتمتم وهي تفتح وحدة خزانة سفلية بالمطبخ " لمَ هذه الأوعية غير مرتبة ؟! .. أليست هذه الفتاة هنا للمساعدة في ترتيب المنزل ؟.. وابني يدفع لها مبلغا كل شهر من راتبه .. ألا تستطيعين أن تتابعيها !"

شعرت أروى بالإهانة وحاولت التحكم في أعصابها وردت " أتركي أمر الخزائن لي يا خالتي وأنا سأتصرف فيه كما أريد .. لا تشغلي بالك بها "

قالت عفاف بقرف " الأمر ليس ما أريد وما تريدي .. الأمر ذوق عام وإحساس بالمسئولية .. ألم

Des. Maryam Tamim

تعلمك إلهام كيف تحافظين على المكان مرتبا ! ..
هذه الأمور لا تحتاج لقدمين ".
وكأنها صفعتها على وجهها .. فتكلمت أروى منفعلة
أن تتهم والدتها التي تتفاني في راحة الجميع بأنها أم
مقصرة لم تعلم ابنتها جيدا "من فضلك يا خالة
هذا الاسلوب لا أحبه ولا أقبله .. وارفض أن
يتدخل أحد فيما يخصني .. ورغم أني لست ملزمة
بالتبرير لكني سأوضح لك أن هذه الخزانة قد
طلبت من علية أن تقوم بإعادة ترتيبها أخر شيء
من أعمالها اليوم"
ردت عفاف باستنكار " أنا أتدخل كيفما أريد فهذا
بيت إبني وأنا أمه "
ردت عليها أروى ببرود حازم " وبيتي أنا أيضا وإذ
اردت الدقة .. أنا صاحبة هذا البيت .. سيدة البيت
هي صاحبته الحقيقية (وأكملت بلهجة ذات مغزى
) .. وكل منا عليه أن يلتزم بالبيت الذي يخصه
ويضع فيه القواعد التي يراها "

Des. Maryam Tamim

حدقت عفاف فيها بذهول ثم قالت بلهجة مستنكرة " كيف تتحدثين معي بهذه الطريقة !! .. هل هذه طريقة تربية إلهام لبناتها !!" .

لم تفهم أروى بالضبط مشكلة هذه المرأة مع والدتها بالذات .. لكن ذكرها لأمها يفقدها البرود المصطنع الذي تجيد التعامل به فردت بانفعال " من فضلك يا خالة عفاف أخرجي أمي تماما من الحديث بيننا .. أرجوك .. وهذه الطريقة التي لا تحبينها مني أنت أجبرتني عليها فأنا لا أريد .. "

قطعت حديثها لتجحظ عيناها حين رن هاتف عفاف التي فتحته ترد دون أي اهتمام لما تقوله أروى " نعم سلوى .. (وبدى القلق على ملامحها) .. إهدئي يا سلوى لا أفهم .. كفى بكاء وأخبريني" تحركت عفاف نحو الباب مغادرة دون أي التفات لأروى الجالسة على كرسيها مذهولة لا تصدق

Des. Maryam Tamim

مدى وقاحة هذه المرأة وصلفها .. وآخر ما سمعته قبل أن تغلق عفاف الباب وراءها صيحة جزعة منها تقول " ماذا ؟؟؟ فسخ الخطبة !!"

***

تحرك أحمد بالسيارة مغادرا مدينة الأستوديوهات وهو يقول " لا أفهم لمَ الغضب الآن؟ "
ردت بغيظ " ليس غضبا ولكني شعرت بالحرج (ثم استدارت إليه تقول بحنق) هل فعلتم ذلك لأنكم كنتم تشكون في اجتيازي للاختبار؟"

لم يرد وإنما شرد قليلا يحدق فيما يراه في انعكاس مرآة السيارة الجانبية وهو يخرج من البوابة الكبيرة .. فقد لمح سيارة سيد ترابط في إحدى الممرات الجانبية وهو ينعطف بالسيارة يمينا.. فجز على أسنانه وشتمه في سره .

صاحت آية " أحمد أنا أتحدث معك ! "

Des. Maryam Tamim

انتبه يقول " أه .. نعم .. لا لم نكن نشك في قدراتك .. فلا أحد منا يريد أن يحرج نفسه بالتوصية على شخص لا يستحق .. الأمر كله كان مجرد مساعدة من أجل إعطائك دفعة للأمام وسط هذا الكم الهائل من المتقدمين .. وبالطبع كلا منا كان يعتقد أنه الوحيد الذي يساعد .. وها أنت قد خضعت لاختبار أصعب من الباقين أي أن قرارهم سيكون بعيدا عن أي محسوبية ".

شردت قليلا تبحث في الوجوه عبر النافذة .. فسألها بلهجة ذات مغزى" هل اتصل بك أحد وأنت بالداخل ؟"

فردت بسرعة وهي تبحث عن هاتفها في حقيبتها " ذكرتني أعدل خاصية مانع المكالمات كنت قد ضبطها حين دخلت .. لا لم يتصل بي أحد كنت مانعة للاتصالات خوفا من أن تفاجئني أمي للاطمئنان عليّ وسط المقابلة " .

Des. Maryam Tamim

مط شفتيه بامتعاض .. وزفر بغيظ ..

بعد قليل كانت آية تصرخ من الفرح في الساحة الكبيرة مخصصة لسباق السيارات وهي ترى دراجة نارية ضخمة وخوذتين ..
اقتربت منه وهي تقفز من السعادة وطبعت قبلة على خذه تقول بحماس " هل سأركب وراءك الدراجة البخارية "
رد أحمد مبتسما بفخر أن أعجبتها الفكرة " طبعا وسنطير بها "
صفقت من السعادة وهي تقفز .. فتمتم" كنت أعرف أنك مجنونة وستحبين هذه التجربة "
قالت بسعادة " أحببتها جدا جدا.. كانت من أمنياتي "
ثم عبست فجأة بطفولية وقالت " ليتك كنت أخبرتني لآتي بحلة جلدية تليق بالدراجة النارية "

Des. Maryam Tamim

ثبت الخوذة على رأسها ببعض الخشونة يقول " ترغبين في ارتداء حلة جلدية كحلة Woman Cat ليتك تسمع ابنتك يا حاج ! "

عند البوابة اقترب أحد العاملين من سيارة سيد يقول بتهليل " سيد بك .. أحمد بك هنا ومعه ضيفة هل أجهز لك دراجة نارية أنت أيضا أم سيارة سباق ؟"
رد عليه سيد بخشونة وهو يشيح بيده " اششش لا تخبر أحد بأني أتيت .. أبتعد عن الطريق "..

وضغط على البنزين بخشونة ليستدير ويخرج من المكان مغادرا .. والغيرة والغيظ يمزقانه .. فقد كان من ضمن أمنياته أن يذهب معها في مشوار كهذا .. ويسمع صراخها من السعادة .. وربما كانت أبواب السماء تغدق عليه في المنح وحظي بحضن من ذراعيها اللينين حول عنقه .

Des. Maryam Tamim

بعد قليل كانت آية تجري وراء أحمد مصرة على أن يتصورا بجانب الدراجة النارية حتى تحتفظ بالذكرى بينما هو يراوغ معلنا عدم حبه للتصوير .. لكن في النهاية رضخ لها وتصورت معه صورا كثيرة بملامحه الممتعضة وهي تتفنن في اختيار الأوضاع الفردية والثنائية لهما .. فحمد ربه أن المكان خالي في هذا الوقت من النهار فعادة تبدأ السباقات بين الشباب أخر النهار أو ليلا وخاصة في ساعات متأخرة منه وتذكر أياما كثيرة جمعته بأصدقائه الثلاثة يتسابقون.. ويتشاجرون ويغيظون بعضهم البعض .. واشتاق لأوقات تجمع أربعتهم من جديد ..

انطلقا في ساحة السباق والتي كانت عبارة عن مدينة مخصصة لألعاب التسابق بسيارات السرعة والدرجات النارية ..

Des. Maryam Tamim

كانت آية تطير من السعادة تفتح ذراعيها خلف أحمد وهو يقود بسرعة كبيرة ..
يعجبها الطيران .. ويحررها ذلك الشعور بالانطلاق ..
استقبلت الهواء الذي يضرب بوجهها ينعشها ويجدد روحها .. بينما أغنية بعينها تتردد في أذنها ... تستحضرها مرارا وتكرارا ..
تستحضرها ربما لتكمل سعادة هذه اللحظة بداخلها..
أو لتتمسك بالوهم .. الذي قد نلجأ إليه أحيانا حين يكون أنين الروح لا يطاق ..ليسكن ذلك الألم الذي يئن في الصدور ..

أنا مش بعيد .. يا حبيبتي عنك ..
ده اللي بينا.. خطوتين..
ورغم شوقي .. وقربي منك ..
صعب تيجي .. العين في العين
يمكن قدامك مش طايلك ..

[3133]



بس أنا في القلب اكيد شايلك
مهما أتعب وطريقي هايصعب
جايلك في ميعادى .. أنا جايلك

***

آخر اليوم دخلت آية تتبختر حول بانة المتكتفة ممتعضة الوجه وهمست بجوارها " هل رأيت صوري أنا وأخي التي أرسلتها إليك ..من الجيد أنه لم يفكر بأخذك معنا ..(ومالت تهمس كالفحيح) الأمر مرعب جدا .. (ثم علت صوتها من جديد) أحمد يقول أنه يحتاج لقلب جسور مثل قلبي "

مطت بانة شفتيها بامتعاض ثم قالت تغيظها " أحمد يخاف عليّ بجنون .. ويبالغ في حمايتي .. لذا لن يفكر أن يصحبني لتلك الأماكن الخطرة "

تمتمت آية بغموض " أتمنى أنه يحظى بالسعادة في النهاية في مقابل كل هذا الخوف عليك "

[3134]

وتحركت نحو غرفتها تاركة بانة غارقة في أفكارها .. وفي شعورها بالذنب .

***

في غرفة الصالون المغلقة عليهما .. عم صمت .. ثقيل .. ومحير .

قد تمر عليك لحظة.. تتنازع في رأسك فكرتان أحلاهما مُر .. ذلك ما شعر به أحمد وهو يتطلع لوالده الغارق في التفكير وقد اشفق عليه .. مدركا أن سن والده لم يعد ليسمح بمزيد من القلق على أولاده ..

فتكلم يوضح " صدقني يا أبي ليس هناك مفرا من هذا القرار .. أنا أعلم أني أطلب منك الكثير لأنك ستكون قلقا من هذه الرحلة لكني لا أجد حلا آخر .. حياتي أنا وبانة كما تعلم في حالة شلل .. وإن كنت قبل أن أتزوجها لست قادرا على التخلي عنها بسبب مشاعري تجاهها فالأمر بات أكثر تعقيدا الآن وهي زوجتي .. لن أستطيع أن أتركها تذهب

Des. Maryam Tamim

للبحث عنهم وحدها ولن أتحمل أن أمنعها أكثر من ذلك.. قلبي يؤلمني بشدة عليها يا أبي .. وأريدها أن ترتاح .. صدقني نصف عذاباتي ستزول إذا ما وجدت بانة أهلها أو علمت عنهم أي خبر مؤكد ".

تمتم الحاج بهدوء" كنت منتظرا هذا الخبر منك منذ أن أخبرتني بما حدث (وصمت قليلا يحدق في الأرض بشرود ثم قال) أنت تعلم أن القرار صعب وسأكون قلقا عليكما "

قاطعه أحمد يقول " صدقني يا أبي أنا سألت على الحالة الأمنية في البلد ووجدت أن الأمر بات أكثر هدوءا .. وأن الحكومة قد سيطرت على المدن التي كانت في أيدي المتمردين .. وبلدتها عاد النازحون إليها ويعمرونها الآن "

سأله الحاج باستسلام " كم ستمكث ؟"

رد ومازال قلبه مشفقا على ملامح والده المهمومة " شهر على أكثر تقدير واتمنى أن يكون أقل إن شاء الله"

Des. Maryam Tamim

سأله مجدداً " وبم ستخبر والدتك ؟"
رد أحمد " سأخبرها أني ذاهب في سياحة واستجمام أنا وبانة .. فنحن لم نذهب لقضاء شهر عسل .. ولن أخبر سوي الشباب حتى البنات لن أخبرهم .. أروى لن تتحمل القلق عليّ كما تعلم ..فاتفقت أنا وعمرو على عدم إخبارها.. وآية أخشى في لحظة تهور أن تخبر أمي أو أروى (ظل الحاج صامتا فأضاف أحمد) لا تقلق عليّ يا أبي سأكون بخير أنا وزوجتي .."
فأطرق الحاج برأسه وتمتم مسلما أمره لله " لله الأمر من قبل ومن بعد ..أستودعك عند الله الذي لا تضيع ودائعه "
فاقترب أحمد وأحني رأسه يقبل يده باحترام.
***
دخل أحمد شقته مرهقا بعد يوم طويل .. فسمعها في المطبخ واستقبل رائحة الصابون المنعشة التي

Des. Maryam Tamim

تخصها .. فوقف على باب المطبخ يرسم تفاصيلها بعينيه ..

تطلعت إليه مبتسمة فتعجب في سره أنها مازالت تستحي منه .. وتساءل لمَ يختلط شعوره تجاه هذا الحياء ؟.. فبالطبع يمتعه هذا الشعور من وجهة نظر ذكورية خالصة ويأجج النار والرغبة بداخله .. لكن يختلط به شعور أخر يفسد عليه المتعة .. شعور بأنها لم تختاره بإرادتها وإنما فرضته الظروف عليها ..

يعلم أنها تحبه .. وأنها منحته مالم تكن ستقدر على منحه لرجل آخر .. يدرك هذا جيدا.. ويدرك أنها تخصه هو وحده بركن خاص .. خاص جدا في كيانها ..

لكنه طماع يريد أن تمنحه أكثر .. يريد أن يحررها من همومها وأوجاعها ..

Des. Maryam Tamim

قطعت عليه شروده تقول " عشر دقائق ويكون الطعام جاهزا .. لم أتوقع أنك ستطلب أن تأكل العشاء في شقتنا .. فأعددت طبقا سريعا ".
ابتسم ثم قال " سآخذ حماما ساخنا والحق بك"

بعد قليل كانت تضع اللمسات الأخيرة على منضدة السفرة الصغيرة .. ففاجأها من الخلف بحضن دافئ وشعره يقطر بالماء فاستدارت تغلق جهاز تكييف الهواء وهي تقول موبخة " مكيف الهواء يا أحمد ستلتقط بردا "
امسكت بالفوطة واستطالت لتجفف شعره بينما يداه تتجولان على قوامها بشقاوة فوبخته مرة أخرى " أحمد توقف .. وأحني رأسك قليلا "
رد بإعجاب " أنت طويلة يا بونبونتي فلمَ أحني رأسي ؟!"
ردت بحنق وهي تحاول الاستطالة أكثر " وأنت أطول "

Des. Maryam Tamim

جلس على الكرسي وأجلسها على حجره فقالت
تتحكم في ابتسامة ملحة " ماذا تفعل ؟!"
رد ببراءة " اعطيك الفرصة كاملة لتجفيف شعري
دون تذمر "
أمسكت بالخصلة الطويلة وقالت بغيظ " أحمد
لقد استطالت مجددا "
رد ببراءة " تستطيل وحدها " .
ضيقت عيناها في شك وقالت " من غير المنطقي
أن تستطيل الغُرّة دون بقية الشعر "
رد عليها بثقة " ليست غرة إنها مجرد خصلة
أرجعها للخلف .. تجعل شكلي كما أحب "
تأملت عينيه من هذا القرب وقالت " أتعلم فيم
فكرت أول مرة رأيتك فيها؟ .. أنك تشبه أنور
وجدي في الأفلام القديمة "
انفجر ضاحكا فابتهجت روحها فقبل باطن كفها
ويقول" لم أفكر في هذا التشبيه من قبل "

Des. Maryam Tamim

قالت بوعيد" سأقصها لك حتى لا تنظر إليك الفتيات "

رد بهمس حار " وماذا ستفعل الفتيات برجل يحب امرأته لدرجة الهوس "

ومال ليقبلها لكنها أفلتت منه واقفة تقول " تأكل أولا .. أنت لم تأكل طوال اليوم بسبب الاستاذة آية"

راقبها وهي تجلس على المقعد المجاور تلوي فمها وتقرب له الأطباق فقال متعجبا " هل تغارين من آية ؟! (مطت شفتيها بامتعاض فقال) كان الأولى أن تغاري من علاقتي بأروى " .

هزت كتفيها تقول " لا أعرف ربما لأني وأروى نتشابه في أمور عدة أما آية فلديها ما أفتقده أنا "

سأل بفضول وقد بدأ في تناول الطعام " مثل؟"

Des. Maryam Tamim

نظرت إليه قليلا ثم قالت بوجه محرج " الشقاوة والانطلاق والدلال "
انفجر ضاحكا وأشار بأصبعه يقول " الاعتراف سيد الأدلة".
قالت بغيظ " إياك أن تخبرها ستتسلى عليّ .. "
أمسك بيدها قائلا " لا تغاري سنخرج أنا وأنت في رحلة أيضا "
لمعت عيناها وسألت " أين بالضبط .. لا تقل سنركب دراجة نارية .. لا أحب تلك الأمور "

رد بهدوء " سأخبرك بعد الانتهاء من الطعام"
ابتسمت وتأملته بسعادة وهو يأكل ثم قالت " تبدو جائعا جدا .. جوعتك تلك السخيفة .. لمَ لم تأكلا بالخارج ؟"
قال ببساطة " أحب الطعام من يدك .. لم أتوقع أبدا أن أحب طعاما مثل طعام أمي .. ولم أكن أفهم أبي حين يقول أنه لا يأكل حين يكون خارج البلاد

Des. Maryam Tamim

لأنه لا يعترف بطعام إلا ما تصنعه أمي .. الآن فهمت شعوره "

مدت كفها لتحضن جانب وجهه وهمست " وأنا قلبي يرتجف من السعادة حين أصنع طعاما وأشاهدك تأكله .. منذ أول يوم أكلت مما طبخت في الخن .. لم أدري وقتها مسمى هذا الشعور لكنه كان جميلا يسري كدفء بداخلي .. كما لو أنك طفلي الذي إذا شبع أشعر بالراحة "

قبل باطن كفها وهمس " أتعلمين فيم كنت أفكر وأنا أتطلع إليك في المطبخ؟.. كنت أفكر في شيء لم يرد بخاطري من قبل .. أو لم أكن اشعر أني في حاجة إليه .. (وصمت قليلا يتأملها ثم أكمل) كنت أفكر أني أريد أن أرى أطفالي منك .. وأشعر بذلك الشعور بأنك تحملينهم في رحمك .. أن أزرع بذرة عائلة سماحة في أرض بنت الخازن ".

Des. Maryam Tamim

سرت القشعريرة في جسدها وهمست " لقد اقشعر بدني للفكرة .. أن أحمل جزء منك بداخلي لأمر مذهل"

صحح لها " جزءا منا .. جزءا منا أنا وأنت يا بانة" أمسكت بيده وقبّلتها هامسة " ما رأيك أن أذهب لطبيبة نسائية لنطمئن ".

رفع حاجبيه متفاجئا ثم تمتم ساخرا " كنت أشك في دراستك للصيدلة .. الحمد لله أن ظني كان في محله .. (وتطلع لوجهها المستنكر ثم أشار لها بيده فقربت رأسها قليلا ليهمس) .. بماذا ستخبرين الطبيبة بالله عليك .. أننا نفعل قلة الحياء مرة واحدة في الشهر وتدخلين بعدها في نوبة بكاء كل مرة "

أطرقت برأسها وتملكها إحساسها بالفشل الذي بات مسيطرا عليها منذ مدة .. فأشفق عليها وقال مازحا " إذا أردنا انجاب طفل علينا أن نكثف لديك مشاعر قلة الحياء"

Des. Maryam Tamim

شبكت اصابعها في أصابعه وقالت" إذن علي زيارة طبيبة نفسية .. فهلا ساعدتني في هذا الأمر"
رد بسرعة " أساعدك في قلة الحياء؟ .. وهل تسألين !! .. أتركي لي نفسك وسأعلمك ...."
وضعت يدها على فمه تقاطعه قائلة " أحمد أنا أريد ان تساعدني في زيارة طبيبة نفسية "

رفع كفها عن فمه ورد بغباء متعمد " وهل الطبيبة النفسية ستساعدك في مشاعر قلة الحياء؟!! "
تخضبت بالحمرة وضحكت ثم قالت " ألن تكف عن المزاح أبدا .. أنا أتكلم بجدية يا أحمد "

تطلع إليها قليلا ثم قال " بعد عودتنا من الرحلة التي أنوي القيام بها إن احتجتِ لطبيبة نفسية سنذهب سويا " .
سألته بفضول " أين سنذهب لم تخبرني؟ "..

Des. Maryam Tamim

رد ببساطة " إلى بلدك .. وبالتحديد إلى بلدة أبيك وأعمامك .. لنعرف الحقيقة كاملة " .

انتفضت من على الكرسي واقفة في صدمة تكتم بيدها صرخة وقفت في حلقها قبل أن تخرج من بين شفتيها تتطلع إليه بذهول .. ثم تكلمت مصدومة
" أنت لا تمزح يا أحمد أليس كذلك !!!! .. هل قلت سأذهب لبلدنا للبحث عن أهلي ؟!!!"
رد مصححا وهو يقف أمامها " سنذهب يا بانة سنذهب سويا "
حاولت الاستيعاب ..
النطق ..
الصراخ ..
الرقص .. التهليل ..

أي شيء يعبر عما تشعر به لحظتها لكنها لم تقدر..
لم تقدر سوى أن تلقي بنفسها عليه تحضنه بشدة

Des. Maryam Tamim

وهي ترتجف ..وتكلمت بكلمات حاولت بقدر المستطاع أن تكون مسموعة " دائما أنت أكرم مني في مشاعرك .. واجزل مني في عطاءك لي"

شدد من احتضانها وقال " هذا من أجل أن تتحرري من كوابيسك.. من أجلك أنت .. ومن أجلي أيضا حتى أتخلص من خاطرة مرعبة تتملكني وهي أني قد أعود يوما لأجدكِ قد رحلت تحت ضغط مشاعرك المشتاقة لأهلك ".

ابتعدت لتتطلع لوجهه ثم قالت" أهو شك في حبي لك ؟ .. حقك أن تشعر بذلك فأنا لم أقدم لك ما تستحقه حتى الآن ".
رد بهمس " بعد هذه الرحلة يا بانة أمور كثيرة في علاقتنا ستتضح .. وسأطالبك وقتها بإثبات حبك لي .. فلم تتاح لنا الفرصة بعد لتعرفي أي نوع من العاشقين أنا .. أو ربما لم أكن أعرف أنا عن نفسي

Des. Maryam Tamim

ذلك واكتشفته حين التقيتك .. أني لا أقبل بأنصاف الحلول معك .. ولا المساومات .. أؤمن بالمنح بتطرف وبالأخذ بتطرف .. وأكره الفرضيات والغموض بيننا .. وأعشقك بجنون يا بانة ولا يوقف جنوني هذا بك سوى خوفي عليك .. علينا أن ننتهي من هذه الرحلة أولا وبعدها سنبدأ حياة جديدة تماما أنا وأنت .. من جديد .. في نسختنا المعدلة .. أنا وقد اصبحت ناضجا وعاشقا .. وأنتِ وقد اختفت ندوب الحرب أو طمست بداخلك .. لتكوني معي بانة بكليتك وحقيقتك المجردة .. "

همست تكمل له العبارة وقد أغرقت الدموع وجهها تأثرا بالخبر وبكلماته " بانة زوجة أحمد وحبيبته .. العاشقة للكونت سماحة "

همس وهو يرسم ملامحها بعينيه " كرريها أحب أن اسمعها "

فعقدت ذراعيها حول رقبته ليضمها بقوة وهي تردد " بانة العاشقة للكونت سماحة "

Des. Maryam Tamim

فتمتم مازحا وهو يدفن وجهه في رقبتها " بانة التي تعشق قلة الحياء مع أحمد سماحة "
فدفنت وجهها في رقبته بضحكة خجلة مكتومة ..

***

بعد عدة أيام :

خرج أحمد من البوابة ليجد سيد واقفا متخصرا على وجهه علامات الذهول أمام غرفة برقوق .. فاقترب منه يحاول فهم ما يحدث .. ثم جحظت عيناه ووقف متخصرا هو الآخر بنفس هيئة سيد ليتحولا لتمثالين من الشمع لبضع دقائق.

ضيق أحمد عيناه وهو يرى غرفة برقوق مليئة بالصبية مفترشين الأرض يشاهدون على الشاشة الجديدة ما تستقبله القنوات الرياضية المشفرة والتي تعرض ما يعرض في المقهى للزبائن بعد أن قرر سيد مده بوصلة سلكية من المقهى واشترى له

Des. Maryam Tamim

أحمد شاشة عرض صغيرة.. فسأل أحمد " ماذا يحدث بالضبط؟"
ابتسم له سيد ابتسامة صفراء ورد " يجعل الصبية يشاهدون ما تعرضه القنوات المشفرة الرياضية من السلك الذي أمده له من مقهاي مقابل مبالغ رمزية يأخذها منهم " .
كتم أحمد ضحكته وربت على كتفه بإغاظة وتمتم " جعلك الله زخرا للشحاذين يا سدسد .. سأنتظرك بالخن ..وحين تنتهي من سلخه الحق بي "

خرج برقوق إليهم يديه في جيبه منتشيا وهو يقول " ما رأيكم في هذه الفكرة .. أحمد قريبي كان يريدني أن أعمل فبدأت بمشروع كما بدأت منذ خمسون عاما حين كنت وقتها مراهقا أعمل بالميناء" ..
رد أحمد متهكما " جميل .. سيد فخور بك جدا "

Des. Maryam Tamim

وتحرك منصرفا فلحقه سيد يتفتت من الغيظ بينما أخرج برقوق عملات معدنية من جيبه وأخذ يعدها في سعادة .
لحقه للخن وقال وهو يصعد خلفه " لماذا طلبت اجتماعنا الليلة وأصريت على ذلك .. أنت تعرف أني لم أعد أطيق سحنتك "
رد عليه أحمد بلهجة منغمة متسلية وهو يضع ذراعه على كتفه " اشتقت إليك يا سدسد "

حين شاهدهم وائل يدخلان عليهما بهذا الشكل صاح بفرح " هل تصالحتما ؟! "
نفض سيد ذراع أحمد بعنف فنظر الأخير لعمرو ووائل وقال " اشهدا على فظاظته معي .. فإن مِت في ذلك البلد الذي أنا ذاهب إليه سيبكي عليّ كثيرا كالنساء كما يلوي فمه مثلهم وسيتمنى أن يعيد الزمن للوراء ليصالحني ويقبل يدي .. ويطلب رضاي "

Des. Maryam Tamim

سأله سيد بقرف" إلى أين ستسافر ؟"
فرد ببساطة " سنبحث عن أهل بانة "
أمسك سيد في تلابيبه قائلا " ماذا .. لماذا؟؟؟"
رد أحمد ويديه في جيبه رغم إمساك سيد بتلابيبه
" ماذا؟ .. كما سمعت .. ولماذا؟.. لأن النازحين من بلدة بانة عادوا إلى أماكنهم بعد أن سيطرت الحكومة على البلدة من جديد وهي ترغب في البحث عن أهلها"
أطرق سيد برأسه أرضا يستوعب ثم نظر إليه مجددا يقول" متى ؟"
رد أحمد وهو يتوقع العاصفة القادمة " فجر غد أي بعد بضع ساعات ".
جحظت عينا سيد وهدر فيه بعنف بعد شتيمة وقحة " هل تخبرني قبلها ببعض ساعات يا ابن سماحة !! .. ألهذه الدرجة بت تعاملني معاملة الأغراب ؟؟؟"

Des. Maryam Tamim

رد أحمد بهدوء " الأمر ليس كما تتصوره يا سيد فلا تبدأ بهذا الفيلم العربي القديم "
استدار لصاحبيه الأخرين يقول" هل كنتما على علم وأنا الوحيد الذي لا يعلم"!!"
رد وائل بسرعة بلهجة متفاجئة هو الآخر " أنا لأول مرة أسمع هذا الكلام مثلك ".
تنحنح عمرو واستقام متسللا يغمغم " نسيت أن أروى طلبت شيئا ولم أشتريه سأعود بعد قليل انتظروني"
قبض عليه سيد قبل أن يغادر فالتفت إليه عمرو يقول " اسمع أنا في رقبتي الآن امرأتين .. أين ستذهبان من بعدي !! "
زمجر سيد وأمسكهما معا كل واحد بيد وهو يقول بغيظ " دائما سره معك وتتطلع على الأخبار وهي ساخنة "
تمتم عمرو بمسكنة " كانت باردة .. قال لي الأخبار باردة هذه المرة صدقني .. كما أنه هو الذي يخبرني

Des. Maryam Tamim

.. أنا لا أطلب منه .. فما ذنبي انه يفضلني عليك؟!!"

زمجر سيد بينما وائل انفجر في الضحك ..فضيق أحمد عيناه على نفس وقفته يقول لعمرو بامتعاض " تبيعني يا جبان وتتركه يأكلني على العشاء "

زمجر سيد وهتف" يبدو أن مستوى الظرف لديكما قد ارتفع بعد أن صرتما أصهارا .. ويبدو أيضا أنكما قد نسيتما ما كنت أفعله بكما قديما "

رد عمرو بمسكنة لئيمة " أنا لم أنسى هو غالبا نسي فعليك بتذكيره ".

وأزاح يده من على كتفه برفق وتحرك ليجلس في مكانه بينما تلكم وائل وهو مستمر في الضحك " غيّرك الزواج كثيرا يا عم أمين وأصبحت تمازح .. علينا تغيير لقب (عم أمين) ماذا تقترحوا يا شاب" تكلم أحمد وسيد في صوت واحد " العاشق الغبي"

Des. Maryam Tamim

فسادت هستيريا ضحك بين أربعتهم بددت كثيرا من الهموم والأحزان التي ألمت بهم في الفترة الماضية .

بعد قليل قال وائل بتأثر " افتقدكم كثيرا .. صدقا افتقدت لمتنا هذه .. أنتم لا تعلمون كم كنت متألما في فترة خصامكما "

رد أحمد وهو يحدج سيد بنظرة باردة " أنا لا ألوى فمي كالنساء ولا أخاصم فلست سببا لأي فرقة بيننا ".

فأشاح سيد بوجهه يتمتم من بين أسنانه " لكن فمك تستخدمه في فضح الأسرار ".

تكلم وائل بحزم " كفى فلنغلق هذا الموضوع أرجوكم .. ودعونا نقضي معا هذه الساعات المتبقية على سفر أحمد "

سأله سيد بلهجة لينة بعض الشيء " هل ستكون بخير .. هل الوضع الأمني هناك جيدا "

Des. Maryam Tamim

تنهد أحمد يقول "الاخبار متضاربة لكني سأغامر هذه المرة .. رغم أني أخبرت بانة أنني لو شعرت أن الوضع الأمني بالبلد على أرض الواقع ليس على ما يرام سنعود فورا ".

تنهد سيد وبدت عليه علامات القلق فضربه أحمد بمحبة سعيدا أن انقشع الجليد بينهما ..بينما صاح وائل وهو يشاهد عمرو منكبا كالعادة في هاتفه " يا بني ألم تتخلص من تلك العادة بعد .. لقد تزوجت وانتهى الأمر .. مع من تتحدث ؟"

تنحنح عمرو واحمرت أذناه .. فخطف منه أحمد هاتفه يقول " هل تخون أختي يا كلب !"

انقض عليه عمرو بغضب صائحا " أحمد هاتفي من فضلك هذا لا يصح "

فأمسك سيد به يكبله وهو يقول من وسط ضحكاته العالية " تأكد مما يخفيه أشعر أن علينا أن ننقذ أروى من هذا الماكر الملتحي "

Des. Maryam Tamim

حاول عمرو التملص من سيد بقوة وقد لاح الغضب على وجهه وهدر في أحمد " هذا لا يصح يا أحمد وصدقني لن أسامحك" ..
شعر أحمد بحرجه فقال "سأتأكد أولا أنها أروى ولن اقرأ شيئا "
فتح الهاتف لثانية ليرى الواتساب مفتوحا ولمح اسم أروى وتعبير يخرج لسانه لعمرو وعبارات تغيظه من نوعية (سوف أنام قبل أن تعود) فأغلقه وأعطاه الهاتف بامتعاض .

سأله وائل بفضول " مع من يتحدث ؟"
فرد أحمد متهكما "يتحدث مع (أروته) "
فانفجروا ضاحكين عدا عمرو الذي أحمرت أذناه وانقض على أحمد يتعارك معه بعراك صبياني تارة يحاول خنقه ويلف بذراعه حول رقبته بغل .. وتارة يحاول لي ذراعه بينما سيد يحاول فض الاشتباك ..فصاح وائل بصوت عال مستمتعا " من الواضح

Des. Maryam Tamim

أن السهرة ستكون ممتعة الليلة سأرسل لمريم أخبرها أني سأتأخر لأنها تقلق عليّ كثيرا إذا ما تأخرت ".

ساد الصمت فجأة ..
ولولا أن كل منهما حدق في الآخر لظن كل واحد منهم أنه سمع الاسم بالخطأ ..
نظر إليهم وائل بتوجس حين وجد الصمت المفاجئ فتوقف عن الكتابة على الهاتف وقال "ماذا حدث ؟"
فتصنعوا المرح واللاشئ وجلس كل واحد منهم في مكانه مرتبكا ليتنحنح سيد ويقول " ماذا كنت تقول منذ قليل لم أسمعك بسبب الأصوات العالية؟"
قال وائل وهو يكتب على هاتفه " كنت أقول أننا ما دمنا سنسهر سأرسل لمريم أخبرها بتأخيري..

Des. Maryam Tamim

سأخبرها أني سأوصل أحمد للمطار حتى لا تنتظر .. إنها تبقى ساهرة أحيانا في انتظاري"

تطلع الثلاثة لبعضهم في وجوم .. بينما قال أحمد بدبلوماسية " وكيف حال البنات وخالتي أنجيل والجميع ".

هز وائل كتفيه وقال لا جديد البنات بخير الحمد لله مريم فقط تتعب هذه الأيام مع ميري في حضور التمارين وعمرو يساعد ميري في التدريب ..إنها مرشحة بقوة للمشاركة في الاولمبياد (ولاح على ملامحه أنه تذكر شيئا فقال) بالمناسبة يا أحمد كم ستمكث إن أمير زفافه بعد شهر تقريبا وتم حجز الموعد في الكنسية وفي قاعة الأفراح إياك أن تطيل عن شهر "

صمت أحمد قليلا ثم قال وهو يحاول السيطرة على ارتجافه من وقع قلقه على صاحبه " لا تقلق لن أمكث أكثر من شهر بإذن الله .. هكذا وعدت

Des. Maryam Tamim

الحاج وأتمنى لو استطعت العودة قبل ذلك فإن لدي أعمال كثيرة ستتوقف بسبب سفري ".
ساد الوجوم من جديد وظل الثلاثة يتبادلون النظرات فأخرج وائل سيجارة ليهدر سيد بعصبية "إياك أن تشعلها أمامي .. سأقتلك وألفك في ورقة تبغ وأدخنك أنا " .
لعّب له وائل حاجبيه بإغاظة فزمجر سيد وقال بتهديد " أنا أتعذب .. فارحمني"
رفع أحمد حاجبا يسأل " ماذا يحدث؟ "
ليرد عمرو ساخرا " أقلع عن التدخين ولا يزال في مرحلة انسحاب النيكوتين من جسده "
فأضاف وائل متهكما وهو يستقيم ويتوجه ناحية الغرفة الداخلية " ولديه أعراض تشبه المجاذيب حاليا من هرش كالأجرب .. تدلي اللسان كالكلب .. وبعض أعراض الذُهان .. وأنا أضطر للانزواء في الشرفة الصغيرة التي لا تتعدى المتر الملحقة بالغرفة الداخلية لأدخن كالمتسولين بسببه"

Des. Maryam Tamim

سأله أحمد مشدوها" هل حقا توقفت عن التدخين؟؟"
رد سيد بحرج "أحاول "

بمجرد أن اختفى وائل في الداخل .. انقض سيد على هاتفه يبحث فيه بارتباك بينما هدر أحمد في عمرو بصوت خفيض" قف عند باب الغرفة وأخبرنا إذا ما أتى".
ففتح سيد الهاتف ووجد وائل يرسل رسائل نصية لرقم غير مسجل بأي أسم فقال بيد مرتعشة " الرقم غير مسجل ويراسله برسائل كثيرة منذ مدة" كتب سيد الرقم بسرعة ثم تكلم عمرو بخفوت ليخبرهم أنه قادم.. فوضع سيد الهاتف كما كان واحتفظ بالرقم ولم يقرر بعد ماذا سيفعل.

دخل وائل يقول بمرح " هيا ألن نغني اشتقت لغنائك يا سيد واشتقت للمتنا .. أنا سعيد .. صدقا

Des. Maryam Tamim

سعيد لا أعرف كيف أخبركم كم كنت أعاني وأنام بالحبوب المنومة في الفترة الصعبة التي مر بها سيد "

آلمه الجرح في صدره وهاجمت سيد الذكريات فجأة .. فاستدرك وائل يقول ببعض المرح" هيا نريد غناء .. أريد أن أجمد مشهد تجمعنا هذا في ذاكرتي "..

سأله سيد وهو يجاهد ذلك النزيف الذي بدأ يتسرب من جرحه مجددا " حسنا الحفل على شرفك ماذا تريد أن تسمع مني " .

صمت وائل قليلا ليفكر ثم قال " أريد أن أسمع رائعة عبد الوهاب من غير ليه" .

ابتسم سيد وقال " ما أروع اختياراتك دائما يا اكسلانس "

Des. Maryam Tamim

أجلى صوته وبدأ بالغناء ببحته المعتادة وقد بدأ كل منهما يتخيل حبيبته ويستعيد الذكريات.. تزامنا مع غناء سيد .

فوائل استعاد الصور القديمة كلها ..

استعاد مريم ..

استعاد لحظات الظلم والمرار ..

بحث حوله فرآها بجوار الشرفة الكبيرة تستمع معه وتبكي .

جايين الدنيا ما نعرف ليه؟ ..

ولا رايحين فين؟ ..

ولا عايزين ايه ؟..

مشاوير .. مرسومة لخطاوينا ..

نمشيها في غربة لياليا ..

يوم تفرحنا ..

ويوم تجرحنا..

واحنا ولا احنا عارفين ليه ؟..

وزي ما جينا جينا .. ومش بايدينا جينا..

[3163]

أحمد يرى بانة أمامه في أول لقاء ..
يراها في صورة رامز التي يعتبرها مضحكة الآن بعدما كانت توتره وقتها ..
استعرض أمامه .. حين استقامت من تحت الكراتين في الورشة يوم أن أكتشف وجودها هناك ليلا ..
تذكر وجهها الشامخ الذي يخبئ الرعب وهي تقف أمامه تعترف أنها تبيت في الورشة لأنها فقدت مسكنها وآلمه قلبه أكثر من ذلك الوقت ..
تذكر حين ترجلت من السيارة في نفس الليلة لتختفي في الظلام وتبكي في سرية ..
تذكر ذلك اليوم فوق سطح بيتهم حين كان يعلمها الملاكمة ويصيح في وجهها بقسوة وكيف كانت تحاول التماسك ..
تذكر يوم دخل شقتها وأكتشف حقيقتها ..
تذكر يوم أن وجدها مربوطة في كرسي في غرفة حموءة بذاك الشكل الذي يوجع قلبه .. فكلما

Des. Maryam Tamim

تذكره يغلي الدم في رأسه يرغب في تمزيق حموءة إربا لكنه يحكم عقله ليهدأ ويذكر نفسه أن حموءة كان سببا في عودتها إليه أيضا ..

تذكر ذلك اليوم الذي كانت منزوية فيه تحت الكوبري تستعيد ذكرياتها المؤلمة ..

تذكر أول مرة رآها واستنشق رائحتها عند آل غنيم بعد فراق صعب مؤلم..

تذكرها ليلة زفافهما وأول مرة يراها دون حجاب دون حواجز بكليتها كبانة ..

تذكرها ليلة أن أتم زواجه بها.. يتذكر كل لحظة في تلك الليلة ولمساتها الخجولة المرتجفة بين ذراعيه .. حتى لحظاتهما الحميمة بينهما بعد ذلك يتذكرها كلها..

ومرت من أمامه كلها ..

يتذكر ضحكاتها .. وبكائها .. ولفتاتها الكوميدية..

كل هذا مر بذهنه وهو يسمع سيد يغني .

Des. Maryam Tamim



زي ما رمشك خذ لياليا.. وحكم وأمر فيها وفيَ..
ولقيت بيتي بعد الغربة.. بقلبك دة وعيونك ديّة..
ولقيت روحي فأحضان قلبك ..
باحلم واصحى واعيش على حبك..
حتى في عز عذابي بحبك ..
عارف ليه؟ ..
من غير ليه ..
من غير ليه آه يا حبيبي..
بحبك .

اما سيد فالدموع الحبيسة بداخله يقاوم تدفقها بشده .. فلا يرغب أن يبدو مثيرا للشفقة .. ينفض كل الذكريات التي هاجمته المؤلمة منها والمفرحة ..

قاوم صورتها وهي صغيرة شهية كسكاكر العيد الملونة..

Des. Maryam Tamim

قاوم صورتها وهي تكبر ويُنحت جسدها بأنوثة
مغوية ومهلكة لأعصابه ..
براءتها ..
شقاوتها ..
صوت ضحكتها ..
تهورها وجموحها وجنونها ..
قوتها الداخلية التي كان هو أول ما أكتشفها ..
وتذكر صوتها المعذب وهي تعترف له بالحب ..
وكيف ينسى ؟ .. وهو يزوره مشهد اعترافها كل
ليلة وهو نائم كمن عليه لعنة ويعذب ..
وتذكر مشهد الوداع بينهما ..
وشعر بقبلتها الرقيقة كنقر فراشة على فكه .. ليرفع
أصابعه يتحسس موضعها وهو يغني ..

ياللي زماني رماني .. في بحر عنيك..
ونساني ..

[3167]



وقال لي انساني..
بحر عنيك يا حبيبي غريق ..
لكن فيه احلى ليالي زماني..
تهت وتاهت دنيتي مني..
بين افراحي .. وبين اشجاني.
دنيتي غنوة .. لأ ..
تنهيدة ..لأ ..
لأ شيء تاني ..
دنيتي حبك ..
حاجة حاسسها.. لامسها.. شايفها.
لكن ولا اوصاف توصفها..

أما عمرو الذي لم يتخلص بعد من تأثير الحلم الذي يحاول ألا يتشاءم منه .. ويكثف الاستغفار والتسبيح ..
فتذكر أروى ومواقفهما قديما وهم صغار .. تذكرها بأسنان مخلخلة وهما دون العاشرة .. تذكرها

Des. Maryam Tamim

بمريلة المدرسة ممشوقة القوام مفرودة الظهر
تمشي كعسكري في مراهقتها ..
فابتسم حينما تذكر ذلك ففتح الواتساب وكتب لها
" هل نمتِ ؟.. لقد تذكرت الآن أنك كنت تمشين
في الشارع كالعسكري " ..
وابتسم وهو يتخيل منظرها حين تقرأ هذا الكلام ..
تذكر الحادث وكيف شاهدها ملقاه على سرير في
المستشفى وقتا طويلا جدا ..
تذكر الجورب القصير والاسدال القصير الذي لم
يكن يعجبه ..
تذكر مقتطفات من حديثه مع ميمين ..
تذكر أول مكالمة بينهما كيف أرتجف لها قلبه كمن
لم يسمع صوت أنثى في حياته من قبل ..
تذكر.. لحظة ربطها لربطة العنق في ذلك اليوم
الذي تهور فيه وصعد إليها ..
تذكر يوم الشرفة .. إنه يحب تلك الذكري في بيت
غنيم .. ويستعيد لحظاتهما هناك دوما ..

Des. Maryam Tamim

وخصوصا لحظة أن اعترفت له بحبها بهذه الطريقة الرائعة ..

تذكر تلك الليلة يوم أن عاد إلى بيت أبيها مرتعبا أن يسمع منهم الرفض بعد ما فعلته أمه في أول لقاء رسمي ..

ليجدها بوجه منتفخ من البكاء .. وكيف تحكم في نفسه كثيرا ألا يضمها إلى صدره ..

تذكر ذلك الفجر الذي ذهب إليهم فيه مرعوبا وهي تطلب الطلاق ..

وتذكر أول قبلة بينهما ..

تذكرها في ليلة زفافهما وهي تستقبله واقفة وارتجف قلبه وهو يتمتم كم كانت كالملكة المتوجة ..

تذكرها ليلة زفافهما .. ليلة أن أفطر على مائدة الملكة بعد صيام دام كثيرا جدا ..

Des. Maryam Tamim

تذكر أوقاتهما كلها .. وكيف يشعر أن عليه أن يقضي العمر كله يشكر الله على نعمة أن تكون أروى حلاله ..

كل هذا رآه وهو يسمع سيد يغني بصوته المليء بالشجن .. حتى أنه قرر أن يطلب منها حين يعود أن تعزف له هذه الأغنية مرة أخرى على الكمان.

وأما بفكر اسقيك أكثر ما بتسقيني الحب ليالي..
مالقاش فرحه جت على بالي ..
إلا وحبك فرحها لي..

حبيبي .. آه يا حبيبي ..
كل مافيك يا حبيبي حبيبي..
شعرك ليلي ..
جبينك قمري ..
حبك رحلة عمري وقدري
ليلي حلي ..

[3171]



عمري حلي ..
وكل شيء بالكون حلي..
لكن هناك تنهيدة في القلب ..
اللي م الخوف ما خلي..

في آخر الليل ودع أحمد كلا من وائل وسيد وهو يشدد على الجميع ألا يعرف أحد بوجهته الحقيقية فلقد أخبر والدته والبنات أنه سيذهب إلى تركيا كشهر عسل مع بانة.. واختلق قصة عن وجوده في منتجع فوق جبل من الجبال قد لا توجد به الاتصالات فستكون اتصالاته بهم كل فترة ..

نزل عمرو على وعد بالعودة بعد ساعة لإيصاله للمطار بسيارته .. وذلك ليتركا سيد في مهمة عاجلة .. بعد أن انتحى أحمد بسيد يقول " حالته دخلت في مرحلة الخطر وأشعر بالقلق وأنا أسافر دون أن

Des. Maryam Tamim

أطمئن .. حاول أن تكتشف من الذي يراسله وائل ولابد من اقناعه بالذهاب لطبيب نفسي فورا "
كان سيد مطرق الرأس واجما فأومأ برأسه بصمت ليقول أحمد وهو يربت على ذراعه " أنا أترك آل سماحة في عهدتك .. لا تترك أبي أبدا أنا أشعر أن سفري هذا صعبا عليه لكنه لا يظهر لي ذلك "
طالعه سيد بنظرة ممتنة أنه لم يسقطه من حساباته في رعاية العائلة .. فقال أحمد وقد قرأ أفكاره " أنا أثق بك دوما وأنت تعرف ذلك "
ضربه سيد على كتفه بمحبة وقال "هيا حتى لا تتأخر على الطائرة .. وأعدك أني سأتولى موضوع وائل ولا تقلق على آل سماحة .. وطمئنني عليكم باستمرار ".
قال أحمد " لا إله إلا الله "
فرد سيد "محمد رسول الله "

Des. Maryam Tamim

بعد قليل ترك سيد وائل المنشغل بمتابعة نشرة رياضية .. وانتحى للشرفة الضيقة في الغرفة الصغيرة الملحقة بالخن.. وطلب الرقم.. رغم أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل .. وقد بدأ المقهى يودع آخر زبائنه .. ويقوم طأطأ بإعادة ترتيب المكان .. لكن سيد لم يقدر أن ينتظر للصباح كان عليه أن يعرف من الذي يراسله وائل .

رن الهاتف وتلاحقت أنفاسه بينما ضربات قلبه تهدر بطنين في أذنيه .. وجاءه صوتا نسائيا جعله يرتبك ويشعر بالصدمة لثوان فقال بصوت هارب منه " مساء الخير "

قالت بسرعة " هل وائل بخير يا سيد؟ لماذا تتصل في هذا الوقت المتأخر ؟؟!! "

جحظت عيناه وهتف بصدمة " ماجدة !!"

فقالت بهلع لم يعهده منها " نعم يا سيد .. هل حدث شيء لوائل ؟!!"

Des. Maryam Tamim

أسرع سيد يقول" لا إنه بخير (ثم فرك جبينه يحاول الاستيعاب وقال) لماذا يراسلك وائل ويدعوك بمريم .. ماذا يحدث بالضبط؟"

ساد الصمت لدقائق ثم عاد صوتها للنبرة الجليدية وقالت " وما شأنك أنت .. هل هذا سبب اتصالك بي في وقت كهذا !! "
قال سيد بصراحة وإن كان يحاول التحكم في نبرة صوته الجهوري حتى لا يعلو في الشارع الهادئ وقد يسمعه وائل من الداخل " يا ماجدة أرجوك أخبريني نحن قلقين عليه لقد قال لنا اليوم أنه سيتأخر عن مريم .. وأرسل لك الرسالة .. ماذا يحدث بالله عليك .. سنموت من القلق "
ردت بكبرياء " أجل أحيانا يفعل ذلك .. يراسلني أو يناديني بمريم .. فما المشكلة ؟"
شعر بالصدمة وردد " ما المشكلة !! .. انه يخلط بينك وبين إمراه ميتة ..وتقولي ما المشكلة !! ..

Des. Maryam Tamim

المشكلة أنه يحتاج للعرض على طبيبي نفسي فورا .. لقد عادت هلوساته من جديد " .

ردت منفعلة بطريقة فاجأته" هلا تركته في حاله من فضلك .. ولا تتدخل"..
هدر سيد بصوت لم يستطع التحكم فيه " هذا الموضوع لن أستطيع السكوت عليه .. وغدا سأبحث له عن أمهر طبيب نفسي .. لن نتركه يضيع منا.."
قالت بلهجة متوسلة " سيد من فضلك لا تتدخل في هذا الامر "
رد سيد باصرار " أسف يا أختاه هذا الأمر لن استطيع أن أنتظر فيه لحظة واحدة تصبحين على خير "
وأغلق الهاتف وهو لا يزال تحت تأثير الصدمة..
يتساءل لمَ فعلت ماجدة ذلك ؟ ..

Des. Maryam Tamim

كيف تتركه بهذه الحالة ؟ .. هل تقصد اقتناص لحظات إعجاب منه في هيئة مريم ؟ ..

***

وقفت بانة تنظر عبر الحائط الزجاجي الضخم في المطار على ظلام الليل الحالك بالخارج .. وتتملكها رغبة قوية في البكاء .. فاقترب منها أحمد وسأل " بما تفكرين ؟"

ظلت متسمرة تنظر أمامها وردت" في يوم مظلم حالك السواد .. وفي ساعة متأخرة كهذه من أربع سنوات دخلت إلى بلدكم لاجئة .. وحيدة .. أرتعش من الخوف .. خرجت وراء من أعرف أنهم من بلدي لكني لا أعرف عنهم أي شيء .. خرجت وراءهم أسير لا أعرف ماذا سأفعل وأين سأذهب .. ظللنا حتى الفجر في يوم قارص البرودة جالسين على الرصيف ننتظر حافلة جماعية كانت سفارتنا سترسلها لنا لكنها تأخرت ولم يكن مع معظمنا ما يكفي لاستقلال سيارة أجرة .. كما أننا لم نكن نعلم

وجهتنا .. وعند نسمات الفجر جاءت الحافلة
واقلتنا .. وبدأت رحلتي في هذا البلد "..
سألها " هل كانت رحلة معاناة فقط"
تطلعت إليه وقالت" بل كانت رحلة البحث عن
الكونت المتخفي خلف قناع العصبية "
شبك أصابعه مع أصابعها وسألها "وهل الآن
تشعرين بنفس ذلك الخوف الذي انتابك وقتها
الآن" .
حركت رأسها بلا وأجابت " لست خائفة أبدا وأنا
معك .. ربما خائفة عليك.. ولم أكن أريد أن
أعرضك لهذه المشقة .. لكني لست خائفة وأنا
حبيبة الكونت سماحة "
فتمتم " هيا ينادون على ركاب طائرتنا "
***
تنحنح سيد يقول وقد احتار كيف سيبدأ معه
الحديث خوفا من أي ردود أفعال غير متوقعة ..
لكن عليه إقناعه بالذهاب للطبيب النفسي ..

Des. Maryam Tamim

ويعرف أنها مهمة لن تكون سهلة " وائل أرى أنك بحاجة لزيارة طبيب نفسي .. أنا أراك تتناول المهدئات بكثرة في الفترة الأخيرة "

رد وائل وهو يحدق في الشاشة أمامه ويركز في لعبة فيديو يلعبها " لا تقلق أنا بخير "

قال بهدوء " بصراحة أنا قلق "

سأله " لماذا ؟"

رد بحذر " لأنك لست على ما يرام "

ترك متحكم الالعاب وقال " ماذا تعني بهذا الكلام؟" .

تنحنح سيد وقال" أتذكر ذلك اليوم .. يوم زفاف أحمد .. وقت أن سهرنا سويا أنا وأنت .. تطرقت لموضوع ماجدة وانفعلت أنت عليّ بشكل هستيري أوقف قلبي من القلق.. ثم أخذت مهدئا ونمت.. وحين استيقظت ووجدتني بجانبك لم تكن تذكر كل تفاصيل تلك الليلة " .

Des. Maryam Tamim

تفاجأ وائل لكنه قال ببرود " انتهى الموقف ولم أكررها .. (ثم أكمل بشك) أم كررتها ؟"

رد سيد يقول بهدوء" لم تكررها لكن المهدئات وحدها خطر .. وأنت تصرفها بعلاقاتك مع الصيادلة دون ورقة معتمدة من طبيب وهذا خطر"

رد وائل باستفزاز وقد بدأ يتعكر مزاجه " لكني بخير ولا أسير وأنا نائم .. ولم أرتكب جرائم لتنصحني بهذه النصيحة وعلى وجهك علامات القلق "

سأله سيد فجأة " هل عدت ترى مريم ؟؟"

لاح الارتباك على وجه وائل .. بل إنه تطلع وراء سيد ليتأكد أن مريم التي كانت تقف وراؤه في بداية الحديث قد اختفت ..

فاستدار سيد ينظر خلفه بتوجس وقد لاحظ حركة عينيه .. فسأله" هل تراها الآن ؟"

Des. Maryam Tamim

رد وائل بانفعال "هل تراني مجنونا ؟!!"
تمسك سيد بالهدوء ورد " لست مجنونا يا وائل
لكن اصرارك على الانكار سيؤذيك ويؤذي من
حولك "
صاح وائل بانفعال " أنا لا أؤذي احدا.. اتركوني
وشأني .. أرى ما أراه .. أعيش مع من أعيش.. أليس
من حقي أن أختار مع من أكون!!"
قال سيد " اذن أنت تراها بالفعل !!!"
صاح بانفعال" أجل أراها هل لديك مشكلة؟؟"
رد سيد " هذا أمر غير سليم " .

انتفض وائل واقفا وقد بدا أنه فاقدا للسيطرة فقال
" هذا شأن يخصني وحدي وأنا متحكم في الأمر
وواعي أنه وهم في خيالي .. لكنه يؤنس وحدتي
ويغير طعم العلقم في فمي لبعض من الوقت ..
ويدفعني للمواصلة .. كل منكم لديه ما ينفس فيه
إحباطه ويدفعه للمواصلة .. عمرو يقرأ القرآن

Des. Maryam Tamim

وأحمد يلعب الملاكمة وأنت تغني أو تعزف وأنا أرى مريم "

سأله بسرعة " مريم أم ماجدة ؟"

حدق فيه وقد بدت علامات عدم الاستيعاب على وجهه " ماذا تقصد ؟!!"

رد سيد بإصرار وقد شعر أنه لم يعد هناك سبيل للتراجع " اقصد مَن ترى أمامك ؟ .. وفي أي هيئة؟ .. صف لي مريم التي تراها .. هل هي بشعر أشقر أم بشعر بني كماجدة؟"

أمسك وائل بتلابيبه وصرخ فيه بوجه محتقن " ما شأنك أنت بماجدة ؟؟؟ .. وما شأنك أنت بلون شعرها ؟؟ .. أهذا هو العهد بيننا؟؟ .. منذ متى وفينا من يقلل من احترام من تخص الآخر؟؟"

تحكم سيد في هدوءه يحاول أن يفهم متاهاته " "وهل ماجدة تخصك ؟؟""

صاح منفعلا " وما شأنك أنت ؟؟؟"

Des. Maryam Tamim

ترك ملابسه ووقف يحدق في الأرض بعينين زائغتين ويفرك في جبينه بينما تمتم سيد " نفس المناقشة تعاد من جديد "

أتسعت عيناه وسأله بعدم فهم " أي مناقشة؟"

رد سيد " مناقشة ذلك اليوم الذي انفعلت علي فيه لأني دافعت عن ماجدة في حقها في الحياة .. وقتها غضبت مني لأني ذكرت سيرتها .. وشعرت أن الامر كان غضبا من اهتمامي بحالها"

صاح وائل فيه " وهل هذا سبب رغبتك في أن أذهب لطبيب نفسي ؟.. ماجدة وليس مريم؟"

رد سيد " بل لأنك واهم أنك تسيطر على كل شيء بينما أنت تراسل ماجدة على أنها مريم "

ارتعش عصب بشكل لا ارادي تحت عين وائل وقال " بماذا تهذي أنت؟؟!!!!"

Des. Maryam Tamim

رد سيد " ألم ترسل رسالة منذ قليل ؟؟ لمن أرسلتها وما الاسم الذي ذكرته لنا؟؟"
عقد وائل جبينه يحاول التركيز وهو يردد بصوت خفيض " أنا اسيطر على الأمر .. أنا لا أخلط .. أنا... "
قاطعة سيد وقال " والحقيقة أن زوجتك تثير حيرتي هي الأخرى.. لمَ تتحمل منك أن تدعوها بمريم ؟؟ هل تستغل تصورك لمريم لتنال منك مالم تكن تناله " .
قال وائل وهو يمسك بملابسه بعنف " أسكت .. أسكت .. ما تقوله غير صحيح .. (ثم ترك ملابس سيد وحاول التركيز) أنا عندما أرسلت الرسالة كانت لماجدة.."
سأله سيد وقد تحير منه من جديد " ولمَ قلت مريم؟"
بلع وائل ريقه ورد " ربما زلة لسان"

Des. Maryam Tamim

عاد سيد يقارعه " ومنذ متى وأنت تطمئن ماجدة على تأخرك !!!!"
تكلم وائل بانفعال وقد بدأت أنفاسه تتسارع " اصمت أريد أن أركز "
وسحب هاتفه يتفحصه وتحرك نحو الشرفة الصغيرة في الغرفة الملحقة .. يشعل سيجارة ويتفحص الهاتف ..
ماذا يحدث ؟
إنه أرسل لها رسائل كثيرة .. ومنذ مدة وهو يفعل ذلك ..
وأرسل لها بعض الكلمات الحميمية والمغازلة .

هل كان يدعوها بمريم فعلا ؟؟؟..
يا رب السموات !! ماذا فعل .. أو ماذا يفعل ؟؟
وكيف كان غير منتبها ؟؟؟
وكيف اختلط معه الواقع بالخيال في نفس الوقت؟؟.

Des. Maryam Tamim



إنه كان متأكدا أنه يتحكم في ظهور مريم في حياته
وواعيا لوجودها الغير موجود !! .

وماجدة ؟؟؟؟!!!!!!
لماذا لم تتكلم ؟؟؟ لماذا لم تخبره؟؟ .. لم تخبر
أمه .. لم تخبر أحد !!.
فرك جبينه ..
إنه مرهق.. مرهق ..
ومشتت ..
غير قادر على التركيز..
هل تستغله ماجدة ؟؟؟؟؟؟؟؟
هل تستلذ بأن تحوذ على اهتمامه على أنها
مريم.؟؟؟؟!!!! .

نفث دخان سيجارته يفرك جبينه.. وقد افترش
أرض الشرفة الضيقة في إنهاك غير قادر على ترتيب
أفكاره ويحاول جاهدا لذلك ..



وفي خارج الشرفة كان سيد في الخن يجلس واجما لا يعلم ماذا يفعل .. هل سيقتنع باللجوء لطبيب نفسي ؟؟ .. وماذا لو لم يقتنع كيف سيجبره على ذلك ؟؟.

وقع أقدم غريبة على سلم الخن جعله ينتبه وينظر في ساعته .. الساعة تجاوزت الثانية صباحا..

وأضواء المقهى مطفئة .. وطأطأ بالتأكيد مستلقي على إحدى الطاولات يتوسد ذراعيه مرهقا رغم أنه أخبره أكثر من مرة أن يرحل بمجرد أن ينتهي ولا ينتظره.

حين دخلت للخن تسمر سيد مكانه .. ثم هب واقفا وهو ينظر مجددا للساعة ليتأكد أنه لا يخرف وهتف " ماجدة !!!!"

وهم بمناداة وائل .. حين انفجر الوجه الجليدي متفتتا .. وتخرج من تحته الانفعالات التي تخبئها حين صاحت فيه " لا شأن لك بوائل .. أتركوه يعيش كما يحب "

Des. Maryam Tamim

رد عليها يقول باستنكار " كيف تسمحين بذلك يا ماجدة ؟؟ .. هل كنتِ تعلمين أنه عاد ليرى مريم؟؟ "

ردت بتحدي " أجل أعلم "

رد باستنكار " لماذا ؟؟؟ ... لماذا لم تخبري أحد إن كنتِ قد خفتِ أن ينفعل عليك كان من الممكن.." قاطعته بلهجة متأثرة " حين تدرك أنك كنت على وشك فقدان شخصا مهما في حياتك .. ويُمنح فرصة ثانية للحياة .. ويخبرك الطبيب أن جسده يستجيب للعلاج .. فسترضى بقدر من الهلاوس لن تضر أحد وستحمد ربك .. إنه سعيد .. وهذا أهم ما في الأمر .. أريت! .. كنا سنفقده فإذا بنا نُمنح فرصة ثانية لوجوده بجانب بناته وأن هناك لحظات من السعادة تمر به .. أتتوقع أني قد افرط فيها وأضع أبا بناتي في مصحة نفسية !! .. كيف سيكون وقع ذلك على البنتين وقد كبرتا واصبحتا تفهما كل شيء ؟؟!! .. وكيف سيكون وقع ذلك

Des. Maryam Tamim

على والدته وقد تقدم بها العمر وأكلها الحزن على ولدها سنينا طويلة ؟ .. وكيف سيكون وقع ذلك على وائل نفسه ؟ .. إنه لا يحب الطب النفسي ولا المصحات .. ماذا تتوقع منه أن يفعل .. ماذا لو ساءت حالته النفسية فوقع مرة أخرى فريسة للسرطان .. "

تسمر سيد أمامها وقد فقد النطق ..

من هذه المرأة التي أمامه؟؟؟؟ ..

أهذه هي ماجدة ؟؟ ..

الوجه الجليدي .. !!!

(العسكري الاخضر) كما كان يدعوها وائل متهكما .. !!

هل هذه هي الفتاة الخجولة التي عرفها منذ أعوام مضت كقريبة لوائل.؟!

أكتشف أنه لم يعرفها ..

ولا أحد يوما عرفها ..

حتى وائل نفسه لم يعرفها ..

وائل !!!!! ..
نظر لباب الغرفة المظلمة وراءها وتساءل ترى هل يسمع؟.. لماذا لم يخرج إليها؟
أرد اقتناص الفرصة فسألها " ولمَ عليك أن تتحملي كل هذا ؟!.. إنه يدعوك باسمها .. باسم مريم ؟"
تجاهلت سؤاله وقالت " أنا أرجوك يا سيد اتركه يشعر ببعض السعادة .. اتركه يعيش العالم الذي سُرق منه يوما.. دعه يعيشه ولو في الخيال"

رد سيد بانفعال "أنت تضرينه بهذا الشكل "
فردت تقول وقد بدأت تتحير " حسنا دعنا نسأل طبيبا نفسيا أولا ..قبل أن نواجهه فأنا أخشى أن تصيبه صدمة .. تصبح على خير .. علي ان أعود قبل أن يعود وائل من توصيل أحمد للمطار"
وقف سيد يحدق فيها مذهولا وراقبها وهي تختفي من أمامه تنزل السلم الخشبي مسرعة .
وحاول أن يستوعب حجم صدمات هذه الليلة ..

Des. Maryam Tamim

سلسلة من الصدمات بالنسبة له ..
بعد دقائق خرج وائل بوجه شاحب كالأموات ..
وقبل أن يسأله سيد هل سمع شيئا بادره وائل قائلا بصوت خفيض وجد صعوبة في رفعه " لا تقل حرفاً .. أنا لست قادر على قول شيء ..دعني وشأني الآن .. أرجوك "..
سأله سيد " وائل هل أنت بخير؟"
اشاح بيده ونزل السلم ببطء فشعر سيد بالقلق ونزل خلفه دون أن يشعره بذلك حتى أطمأن أنه قد دخل البناية التي يقع فيها بيته .. فقرر العودة للبيت هو الآخر يحاول أن يرتب أفكاره ويستوعب ما حدث في هذا اليوم الغريب ..
***
بعد حوالي ساعة ونصف كان سيد يقود سيارته في الشوارع الهادئة وقد اقترب من الوصول لبيته وهو يتحدث مع عمرو على الهاتف يخبره بتفاصيل ما حدث حين أتته مكالمة أخرى ليجد رقم أمير ..

Des. Maryam Tamim

فقال لعمرو بقلق" لحظة يا عمرو.. أمير يتصل انتظر قليلا على الخط"

رد على أمير ليأتيه صوت صراخ في الخلفية وأمير يقول مضطربا " سيد .. وائل لا يرد علينا .. ماجدة وجدته ملقى على أرض غرفته منذ قليل ولا ينطق .. تعالى بسرعة نحن في سيارة الاسعاف الآن ".

***

تطلع إليها أحمد وقد بدت متوترة رغم كل شيء .. تجلس بجانبه في مقعد الطائرة التي لم تغادر أرض الوطن بعد .. مد يده يحتضن كفها فاستدارت تمنحه ابتسامة .. ليقبِّل يدها بعشق..

مستعيدا ما حدث بينهما منذ ساعات حين عاد من الخن ليجدها قد جهزت كل شيء ولم يتبقى سوى أن تبدل ملابسها.. فدخل غرفته يرتب بعض الحاجيات لوضعها في الحقائب قبل إغلاقها ليتفاجأ بها تضمه من الخلف بقوة فتمتم ساخر "

Des. Maryam Tamim



هذا محرض على مشاعر قليلة الحياء لدي فهل أنت مستعدة لتحمل النتائج "

لم ترد وإنما شددت من احتضانه ففك ذراعيها من حوله واستدار يحتضن وجهها بين كفيه هامسا " اليوم تذكرتك منذ أن رأيتك أول مرة في ذلك اليوم الحار .. ومر عليّ شريط ذكرياتنا معا كلها .. (وصمت قليلا يرسم ملامحها بعينيه ثم قال) بانة أنا لا أعرف ماذا سيحدث غدا لكني أريد أن أقول لك قبل أن نغادر أرض هذه البلد التي شهدت قصة حبنا .. أني أحبك .. أحبك يا بانة الخازن .. أحبك حبا لم أتخيل أني قد أحمله لامرأة أبدا ..وسأظل أحبك حتى أخر نفس في صدري .. وستظلين المرأة التي ملكتها وملكتني " .

ردت بصوت متأثر " وأنت حبيبي .. وصديقي وفتى أحلامي .. ورَجُلي .. وزوجي الذي عذبته .. أنت سيدي .. وقلبك وطني يا أحمد ".

Des. Maryam Tamim



واستطالت لتقبل شفتيه بشغف حار وهي تحيط ذراعيها حول عنقه فلف ذراعيه حول خصرها بقوة ورفعها ليتحرك بظهره للسرير ويقعا للخلف معا وهو يخبرها بالكثير من مشاعر قلة الحياء لديه .

طلب الطيار في الإذاعة الداخلية للطائرة من المسافرين ارتداء الأحزمة والاستعداد فاستفاق أحمد من شروده ..

وتحركت بعد قليل الطائرة مغادرة أرض ذلك الوطن .. الذي استقبل بانة عبد الله الخازن .. لاجئة .. وحيدة ..

وودعها وهي تحتضن ذراع ذلك الرجل الذي منحها قلبه وطنا لها .

الفصل الثاني والثلاثون

هدر سيد بعنف وهو ينقض عليه " ما الذي تقوله يا هذا !!"

امتقع وجه الطبيب شاعرا بالإهانة بينما وقف عمرو حائلا بينهما بسرعة ودفع سيد يلصقه في الحائط ويوبخه بخفوت " اهدأ يا سيد ودعنا نفهم"

صاح سيد بارتباك " ألم تسمع بما تفوه به الآن؟!!"

تدخل أمير يقول بلهجة متأثرة " ماذا تعني أنه لا يستجيب للإفاقة ؟"

حدج الطبيب سيد بنظرة غاضبة ثم تكلم موضحاً " لقد أتانا المريض .... "

قاطعه سيد بانفعال " اسمه وائل .. وائل مجدي موريس فلا تحوله لمجرد مريض" !!

Des. Maryam Tamim

هدر صوت الحاج سماحة مقتربا منهم وقد حضر للتو" اخرس يا سيد ودع الطبيب يتكلم"
بلع سيد لسانه بينما قدم أمير اعتذارا صامتا للطبيب فأكمل " جاءنا المريض في حالة فقدان وعي وهبوط في الدورة الدموية فتم إسعافه .. ومن الواضح أنه قد ابتلع جرعة زائدة من المهدئات"
جحظت عينا أمير يسأله بصوت هارب منه " هل تقصد أنه حاول الانتحار !!"
رفعت ماجدة رأسها من بين كفيها.. من نفس جلستها الصامتة المشلولة منذ أن أحضروه للمستشفى تطالع الطبيب بعينين جاحظتين عند سماع كلمة (انتحار).
رد الطبيب بهدوء " لا أعتقد أنها محاولة للانتحار فكما أفاد المسعفين في التقرير أنهم وجدوا بجانبه أنواعا من المهدئات والمنومات بالإضافة إلى أن الكمية التي وجدناها في معدته لا توحي بذلك .. على الأغلب أنه خلط توليفة من أكثر من نوع من

Des. Maryam Tamim

الأدوية في رغبة عاجلة للسيطرة على انفعال حاد أو انهيار فتعارضت الأدوية مع بعضها وأدت إلى هبوط في الدورة الدموية"

قال عمرو " وكيف لا يستجيب للإفاقة رغم أنكم أسعفتموه ؟"!

رد الطبيب " من الممكن أن يكون المخ قد تعرض لنقص في الاكسجين قبل وصول المسعفين .. عموما هو حاليا تحت المراقبة الشديدة وسنقوم بمسح على المخ لنتأكد أنه لم يتضرر .. عن إذنكم ."

تحرك الطبيب تاركا الجميع في حالة وجوم فعادت ماجدة تدفن رأسها في يديها بخرس متخفية تحت ذلك القناع المتخشب.

بينما اندفع سيد مبتعدا غير قادر على استيعاب الأمر أو تحمل الفكرة .. شاعرا برغبة في التحطيم .. في التكسير .. في الصياح بعنف في كل المارين من

Des. Maryam Tamim

جانبه غير عابئين بأن صاحبه لم يستفيق .. أو لا يريد أن يستفيق..

بعد دقائق اقتربت آية التي كانت تركن السيارة في الخارج وقد سبقها الحاج إليهم .. وأعطت المفاتيح لوالدها وسألته وهي تتطلع في الوجوه الواجمة في رعب "كيف هو؟"
رد الحاج بلهجة حزينة " أسعفوه لكنه في غيبوبة ولم يستطيعوا إفاقته حتى الآن "

تغرغرت عيناها بالدموع ورددت " غيبوبة!.. أبيه وائل في غيبوبة!"
ثم تجولت بناظريها في الوجوه الواجمة أمامها ..فعمرو متشنج الملامح وقد أخرج سبحته يسبح ويحوقل .. وأمير يحك جبينه يقاوم رغبة في البكاء وبعض المعارف من شارع سماحة يشدون من أزره

Des. Maryam Tamim

.. بينما ماجدة جالسة تدفن رأسها في كفيها ورغم عدم بكاءها كان منظرها مثيرا للشفقة.
اقتربت من عمرو تسأله في خفوت باكي " أين سيد ؟"
رد بصوت حزين " لا أدري خرج غاضبا منذ قليل"
فخرجت تتلفت حولها وتبحث عنه في ساحة المستشفى .. حتى وجدته يجلس على أريكة رخامية خلف بعض الأشجار القصيرة مائلا بجذعه للأمام يستند بمرفقيه على فخذيه يحدق في اللا شيء.
اقتربت تتأمله .. ثم توقفت قليلا لتطيل الوقت وتملأ عينيها بصورته .. لتكمل بعدها السير نحوه في خطى بطيئة .. متأنية .. لتشبع منه..

لقد مضى وقتا طويلا ..
أطول من أي مرة .. وأوجع من أي مرة .. ومع هذا فكرنفال القلوب والقبلات والورود الحمراء لا يزال

Des. Maryam Tamim

يتفجر حوله حين تقع عيناها عليه بل أكثر من أي مرة..

توقفت أمامه.. وتوقف قلبها عن النبض حين رفع إليها وجهاً حزيناً مكفهراً من نوبة ضغط وشيكة ..ليجد شمسها تشرق عليه .. فتطلع إليها يقتبس من حضورها بعض من النور ليضيء مدينته التي أضحت تعيش في الظلام الحالك منذ أن حُجِبت عنه ..

لم يكن أكيدا لحظتها أهي حقيقة أم أن عقله استحضرها ليخفف عنه الألم .. لكنه كان مرحبا حتى بالخيال .. فتكلم متأثرا كطفل صغير" وائل لا يرد علينا يويا .. لقد قرر أن يتركني هو الآخر ويرحل "

اغرورقت عيناها بالدموع ولم تستطع أن تمنع نفسها من أن تمد كفها تحتضن جانب وجهه الخشن .. فسرت الكهرباء في أعصابه ممتناً لهذا المنح الكبير .. ليغلق عيناه يستشعر كفها على خده

Des. Maryam Tamim

بكل خلية في جسده .. متمنيا لو تكور هو بكلّيته بداخل كفها الصغير .. بينما همست آية بصوت باكي " حتى لو قرر الانسحاب عليك المواصلة في إقناعه بالبقاء .. فأحيانا نحتاج للشعور بأننا مهمين عند من نحبهم حتى لو كنا نعلم معزّتنا عندهم جيدا "

أومأ برأسه في طاعة وهو لا يزال مغمض العينين .. ثم أطبق بكفه على كفها متشبثا به يتمنى لو يلصقه بوجنته للأبد ..ولم يدري بنفسه إلا وهو يطبع قبلة رقيقة في باطن كفها سرقت الروح منها . .

فأيقنت بأنها ستفقد السيطرة على نفسها .. ستضعف وتستخدم تلك السلطة التي يدعي أنها تملكها عليه .. وقد تتوسل إليه لما هو أكثر من ذلك.. فأجبرت نفسها على سحب يدها من تحت كفه ولم يجرؤ على الاعتراض ..

فتح سيد عيناه يمنع نفسه من مد يده ليمسح دموعها محاولا إعادة السيطرة على أعصابه وقال

Des. Maryam Tamim

بخفوت " إياكِ والبكاء إن كنت تريدين مني أن أتحلى بالقوة.. فدموعك تضعفني يويا"

أومأت برأسها في طاعة ومسحت عنها الدموع ثم قالت وهي ترجع للخلف وتسحب روحه معها "سأرحل .. لابد أن أرحل .. لقد وعدتك ووعدت أحمد ألا أضعف .. وأن أكون ناضجة .. فأنا ما عدت طفلة أليس كذلك ؟".

قالتها واستدارت تهرول إلى داخل المستشفى تطبق على قبلته في كفها .. بينما فرك سيد وجهه بكفيه يمنع نفسه من اللحاق بها متمتما " بل أنت أقوى مني ومن أخيك يا حبة القلب .. فكلانا يحمِّلك فوق طاقتك .. مجبرا" ..

***

راقبها في صمت وهي تتطلع حولها وكأنها تتأكد من أنها فعلا في الوطن تهز قدمها في عصبية تستعجل أن ينهي ضابط الجوازات إجراءات الوصول .

Des. Maryam Tamim



الإجراءات الأمنية مشددة وخانقة كادت أن تفقده صبره وتفقدها حماسها ..
وكأن المواطنين العائدين عملاء والضيوف إرهابيون .
خطواتها على أرض المطار .. أرض الوطن .. كانت مرتبكة .. مترددة .. مشتاقة .. في الدقائق الأولى للخروج من بوابة الجوازات ..
ثم تسارعت وتيرتها من المشي إلى الهرولة .. جعلته يسرع الخطى خلفها ليلحق بها في صمت .. رغم أنين ركبته .. لكنه لم يكن يرغب أن يفسد عليها اللحظة..
لحظة العودة للأرض ..

خرجت بانة من باب المطار إلى بلدها ..
نظرت للشمس .. ربما تكون نفس الشمس في كل الدنيا لكنها ..
لكنها الآن شمس الوطن..

[3203]



تطلعت باشتياق للسماء والأرض .. ربما تكونا
نفسهما في كل الدنيا لكنهما ..
لكنهما الآن سماء وأرض الوطن .
سحبت قدرا كبيرا من الهواء إلى صدرها ربما نفس
الهواء في الدنيا..
لكنهما رائحة الوطن .

استدارت إليه تقول" أنا أعرف أن للأماكن رائحة
لكني لأول مرة أجد أن للأوطان رائحة أيضا "..

منحها ابتسامة متعاطفة فسحبت نفسا آخر
وسألته " ألا تشعر أن للهواء هنا رائحة مختلفة
؟"..
أومأ برأسه .. فقالت له وقد بدت كمن رُدت إليه
الروح " أنت أنفك حساس .. صف لي رائحة بلدي
"
رسم ملامحها بعينيه ورد بهدوء " كرائحتك "

[3204]

نظرت إليه بعدم فهم فرد مؤكدا" صدقيني ما أشمه في الهواء الآن نفس رائحتِك .. أنت تحملين وطنك في قلبك يا قلب أحمد فعلقت بك رائحته للأبد "

لمعت عيناها وقد أحبت تلك العبارة .. فتطلعت إليه بامتنان ثم تطلعت حولها وأمسكت بذراعه تقول بحماس " تعال نمشي في الشارع أريد أن أطمئن على كل مكان أحببته "

رد عليها " أولا علينا ان نصل للفندق لنضع تلك الحقيبة الثقيلة .. وأنام قليلا فأنا لم أنم منذ أول أمس كما أن سيارة الأجرة تنتظرنا".

ورفع يده يشير لأحدهما .. فتطلعت أمامها لتجد رجلا يحمل لافتة عليها أسم (أحمد سماحة)

فسألته "من أين يعرفك؟"

رد ببساطة وهو يجر الحقيبة " العم غنيم دبر كل شيء الفندق والمواصلات وكل شيء "

Des. Maryam Tamim

في السيارة بعد قليل كان يتطلع من النافذة تارة..
ويتطلع إليها وهي تخرج رأسها من نافذة السيارة
تارة أخرى .. وكأنها تود أن تُمنح جناحين لتحلِّق
بهما فوق بلدها تتفقد سلامة كل شيء ..
وأخذت تشير له على بعض الأماكن على جانبي
الطريق بفخر .. وتشرح له ما يحتاج للشرح .. لكنها
شهقت فجأة بصدمة .. فتطلع لما تنظر إليه
ليجدها تصرخ " هدموه .. هدموه الأغبياء ..
هدموه "
ثم انفجرت في البكاء فتوتر أحمد الذي أخذ يهدئها
بينما هي تدفن وجهها في كفيها وتبكي فسألها" أي
مبنى هذا؟"
رد السائق بالنيابة عنها" كان مجمعا ثقافيا"

رفعت إليه وجهها المبلل بدموع الحسرة وقالت
بلهجة بلدها " كان مجمعا ثقافيا يضم مكتبة بها
أمهات الكتب .. كتب تراثية نادرة .. وملحق به

Des. Maryam Tamim

متحفا يضم آثارا من حضارات مختلفة مرت على بلدنا (وعادت للنحيب) دمروه الأغبياء .. هدموا التاريـخ الجهلاء ".

ربت أحمد على ظهرها وأخد يتمتم ببعض عبارات التهدئة ثم قال" أتفقنا على أننا قد نقابل الكثير مما سيحزننا يا بانة في هذه الرحلة فأرجوك تماسكي"

نظر إليهما السائق عبر المرآة الأمامية وقال " أنتَ لست مواطنا .. إنما هي من أهل البلد هل أنتما متزوجان أم ماذا ؟"

حدجه أحمد بنظرة مخيفة وقصفه قائلا " وما دخلك أنت .. أنظر للطريق أمامك"

فانكمش السائق وبلع لسانه يتطلع للطريق أمامه في صمت.

***

خرج الطبيب يفرك جبينه بإنهاك يتبعه اثنين من مساعديه فتطلعت وجوه كلا من أمير وعمرو وماجدة وسيد إليه وهم المتبقين في انتظار نتيجة

الأشعة على المخ فتكلم عمرو يسأله في لهفة " طمئننا يا دكتور "
صمت الطبيب قليلا ثم أشار لمساعديه ليسبقوه وقال " حالة المخ جيدة جدا ولا يوجد في الأشعة ما يقلقنا وبالتالي لن نستطيع تحديد مدى تضرر المخ إلا بعد أن يستفيق .. وتلك هي المشكلة التي نواجهها حاليا .. إنه مستمر في غيبوبته .. و قمنا بكل ما نستطيع أن نقوم به في هذه الحالات (صمت قليلا يتطلع للوجوه المحدقة فيه ثم أكمل) .. إفاقته من الغيبوبة ليس بيدينا .. ما بيدنا هو أن نضعه تحت الملاحظة وندعو الله لأن يستفيق "

سأله أمير بصوت هارب منه " وهل هناك تقدير طبي للمدة التي قد يظل فيها في الغيبوبة "
رد الطبيب وهو يهم بالمغادرة " هذا الأمر غير خاضع لأي تكهنات هناك حالات استفاقت بعد أيام وهناك حالات استفاقت بعد سنين وهناك .. (

Des. Maryam Tamim

بتر عبارته وتمتم) نتمنى من الله خيرا .. سيكون تحت المراقبة وسأبلغكم بأي جديد " .

فرك سيد رأسه يحاول السيطرة على موجة هياج جديدة فلحقه عمرو يقول بوجوم" تعال لنلحق بصلاة الظهر يا سيد وندعو الله أن يمن عليه بالشفاء "
وسحبه من يده نحو مصلى المستشفى بينما اقترب أمير من ماجدة مشفقا وجلس بجانبها يربت على كتفها قائلا " سيكون بخير بإذن الله .. تعالي لأوصلك للبيت لنطمئن على أمي فالبنات أخبروني أنها ليست بخير .. وكريستين ووالدتها غير قادرات على منعها من الحضور ".

سمعها تقول بخفوت" اذهب أنت هي ستحتاجك أكثر مني .. كما أني لن أتحرك من هنا قبل أن أطمئن

Des. Maryam Tamim

عليه .. يكفي أني السبب دائما فيما يحدث له .. أنا السبب.. أنا السبب.."
ربت على كتفها وقال بتعاطف " لستِ السبب في أي شيء يا ماجدة .. عمرو حكي لي ما حدث .. وليتك أبلغتني بهلوساته التي عادت إليه لربما وجدنا حلا دون أن نصطدم معه .. "

رفعت له وجه بدموع متحجرة وهتفت " بل أنا سبب كل ما لحق به في حياته قديما وحديثا.. لو كنت قوية بشكل كاف لوقفت في وجه أمي قديما ورفضت الزواج منه .. لو لم أكن ساذجة وأتخيل أنه قد يحبني يوما ما لما أصبحت شوكة في خاصرته تؤرقه للأبد .. فرضوني عليه ولم أكن قوية لأحميه منهم برفضي هذا الزواج .. تحولت بسببهم لخنجر رشقوه في صدره فظل يحتضر به حتى الآن وأنا غير قادرة على فعل أي شيء "

Des. Maryam Tamim

ابتلع طعما مرا في حلقة ورد بمواساة " هذا الكلام غير صحيح يا ماجدة أنت لم تؤذيه أبدا .. وإنما كنت ضحية مثله .. كنتِ في التاسعة عشر من العمر وعمتي رحمها الله الكل كان يعلم بشخصيتها القوية .. ولا أعتقد أن أحد منهم كان يتوقع أن تتحول الأمور إلى هذا الشكل المأسوي .. (صمت قليلا ثم أكمل) ووائل نفسه رغم أنه أخي الكبير لكني أحمله جزءً كبيرا من مسئولية ما يحدث له في حياته .. لا أنكر أن ما تعرض له كان مريعا لكنه كان من الهشاشة النفسية ليستسلم .. ولم يرضى بقدره .. وقد ناقشته مرارا في أن كلها اقدار .. ومن يرضى بقدره سيجزى عليه ".

عم الصمت قليلا ولم تجد ما تقوله فتمتمت وهي منكسة الرأس " اذهب إلى الخالة أنجيل قبل أن تتهور وتخرج وحدها أنت تعرفها لا يقدر عليها أحد "

Des. Maryam Tamim

زفر أمير في استسلام وقال " سأذهب .. لكني لا أعرف ماذا سأخبرها عنه "

***

كانت تشده من يده في حماس تتطلع للسوق القديم حولها .. تتوقف عند بعض المحال تشرح له بعض الأشياء المختلفة عن بلده مستمتعة بدور المرشدة السياحية ..على الرغم من الحزن المترسب في قلبها .. فآلمه قلبه شفقة عليها .. وهو يراها بهذا الانطلاق الذي لم يرها عليه من قبل .. إنها كمن نفخت فيه الروح من جديد ..

فحين وصلا للفندق قبل بعض الوقت ووضعا الحقائب شعر أنها لن تتحمل الانتظار طلبا لبعض الراحة والتقاط الانفاس مثله .. رغم أن كليهما لم ينم منذ ليلتين .. فلم يجد مفرا من أن يبدلا ملابسهما ويعودا للشارع .. وبالمرة يذهبا للقاء أحد

Des. Maryam Tamim

أقربائها في السوق القديمة لسؤاله عما إذا كانت لديه معلومات عن العائلة .

عند محل كبير عمره من عمر أجيال مضت وقفت متوترة تسأل العامل عن صاحب المحل الذي غاب في الداخل ليخبر صاحبه عن الضيوف .. فسمعت ضحكة أحمد لتستدير وتتطلع إليه تسأله " لماذا تضحك ؟"

رد وهو يأكلها بعينيه " منذ أن وطأت قدمك هنا وأنت تتحدثين بلهجتك حتى معي .. ووجودي هنا في بلدك مع رؤيتك أنت بكينونتك فيها مع لهجتك فالأمر بالنسبة لي (وصمت واضعا يده على قلبه) .

سألته بقلق "هل شعرت أني غريبة عنك؟"

فسألها بابتسامة على وجهه" وهل شعرتِ بأني غريب عنك .. وأنا أقف هنا في السوق القديمة في بلدكم ؟"

Des. Maryam Tamim

تطلعت إليه قليلا وقد انتبهت لهذا الحدث .. إن فرحة رجوعها لوطنها شغلها قليلا عن هذا الحدث الفريد .. أن الكونت هنا في بلدها ! .. فتطلعت للمكان حوله .. ثم حدقت فيه .. ليطالعها بتوجس فمنحته ابتسامة مشرقة وأخرجت هاتفها تفتح الكاميرا .. فوضع كفه أمامها في حرج هامساً " بانة نحن أمام الناس !! "

ردت بلهجة ذات مغزي " هل تتصور مع آية فقط؟"

استمر في الرفض لكنها استطاعت اقتناص صورة جيدة له وسط عدة محاولات فاشلة ثم قالت بصوت خافت " رحماك يا ربي من هذا الرجل الذي يفرض حضوره بقوة في كل مشهد من حولي " اتسعت ابتسامته رغم إرهاق ملامحه البادي عليه فسألته " لم تخبرني كيف هو شعورك وأنا هنا في بلدي وأتحدث بلهجتي هل تشعرني فتاة أخرى "

Des. Maryam Tamim

فرد بلهجة متأثرة " بل أنها تكمل صورتك عندي .. تقربني من تفاصيلك أكثر .. كما أنك دوما حين تتكلمين بلهجتك أشعر برغبة حارقة في تقبيلك "

تخضب وجهها بالحمرة وازدادت ضربات قلبها قوة بينما مال برأسه إليها هامسا " وتنتابني مشاعر قليلة الحياء جامحة تجاهك " .

همست موبخة " أحمد نحن في وسط الشارع !! " رد باستنكار " ألا يستطيع الرجل التعبير عن مشاعره لزوجته همسا في بلدكم !! "

خروج رجل جامد الملامح يتطلع فيهما باستفهام جعل أحمد ينتبه ويعود للملامح الجادة بينما هتفت بانة بلهجة متأثرة " عمي حسين " .

Des. Maryam Tamim

تطلع إليها الرجل لثوان ثم صاح بلهجة متفاجئة " بانة .. بانة الخازن .. أنت حية بنيتي " .

اندفعت نحوه فربت على رأسها يتفحصها غير مصدق عينيه.. بينما مط أحمد شفتيه بامتعاض وهو يذكّر نفسه أن الرجل ابن عم والدها .. وأنه رجل عجوز.. لكن المعلومة لم تطفئ شيئا من النار في صدره فتقدم يسحبها للخلف قليلا ويمد يده بخشونة للرجل قائلا " أحمد سماحة زوجها وجئنا نسألك عن أية أخبار تخص والدها أو أخويها "

تطلع الرجل إلى بانة متفاجئا وقال " هل تزوجت؟"

أطرقت برأسها بحرج أشعل غضب أحمد منها فسحبها أكثر خلفه بتملك ورد ببعض الجلافة " ألم تسمعني وأنا أخبرك أني زوجها هل عندك مشكلة؟"

Des. Maryam Tamim

بدل الرجل لهجته المتفاجئة ليقول باستدراك"
أبدا يا بني لقد تفاجأت لا أكثر .. مبارك لكما (ونظر لبانة يقول) بالتأكيد هذا الخبر سيسعد أبا فراس جدا "
جحظت عيناها وسألته بصوت مرتعش " أبي !! .. هل أبي على قيد الحياة؟!"
رد الرجل بابتسامة "الحمد لله ..أطال الله في عمر استاذنا "
التفتت بانة لأحمد تتشبث بقصميه و رددت بعدم تصديق " أبي .. أبي عبد الله الخازن حي يا أحمد"
وسقطت بين ذراعيه مغشيا عليها .

***

دلفت إلى الغرفة خافتة الضوء تنظر من بعيد لجسده الممد على السرير .. تلوم نفسها ألف مرة أنها لم تخبر متخصص بشأن هلاوسه ..
أكان يتعين عليها استشارة طبيب نفسي ؟.. إن كل ما تمنته أن يكون سعيدا .. فهي تدرك جيدا أنه

Des. Maryam Tamim

عاش فاقدا للإحساس بطعم كل شيء .. حتى حين كان يخونها لم يكن سعيدا..
لم تعرف كيف علم سيد بالأمر ظنت أنها وحدها من تعلم بهلاوسه .. وحين اتصل بها تفاجأت بما يعلم ..
هل تكلم وائل عن مريم أمامه ؟
كلام سيد ليلتها على الهاتف أربكها .. بل أرعبها ..
هل كان سيواجهه كما قال.. ؟

بعد مكالمة سيد الهاتفية نظرت في الساعة وقد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل لكنها لم يهمها.. فأكثر ما كانت تخشاه أن يقابل وائل بعد عودته من توصيل أحمد للمطار كما أخبرها أنه سيفعل ..
فخرجت للشرفة تحاول التركيز على مبنى المقهى البعيد .. وخيل إليها أن أنواره مازالت مضاءة..
ولم تدري بنفسها إلا وهي ترتدي ملابس للخروج وتسحب مفاتيح البيت وتنزل إلى الشارع.. وحين

Des. Maryam Tamim

اقتربت من المقهى الفارغ وجدت طأطأ والذي كان يقلب في قنوات التلفاز .. وقد استقام متفاجئا حين وجدها أمامه..

سألته بوجهها الجامد" هل سيد صبرة في الخن؟"

أومأ برأسه باندهاش فصعدت إليه عازمة أن تثنيه عن مواجهة وائل بهلاوسه .. لكن حين أصر سيد على ذلك خافت أن ألا يتحمل الصدمة .. وأشفق قلبها عليه أن يواجه بتلك الحقيقة .. فوعدت سيد باستشارة طبيب نفسي أولا .

حين خرجت من الخن أدركت تهورها بهذه الزيارة في هذا الوقت المتأخر فأخذت تتلفت حولها.. ثم اسرعت للمبنى قبل أن يلمحها أحد .. فالناس لا ترحم.

لكنها فوجئت بوائل يفتح باب الشقة بعد وصولها بخمس دقائق فقط فحمدت ربها أنه لم يراها في الشارع في هذا الوقت وإلا لتعقد الموقف أكثر.

Des. Maryam Tamim

لم تخرج إليه بل بقيت في غرفة البنات لبعض الوقت.. لكن شيئا ما كان يشعرها بعدم الراحة .. وألح قلبها عليها أن تطمئن عليه .. فتسحبت تسترق السمع عبر باب غرفته فلم تسمع شيئا..

وقفت قليلا في تردد هل تدخل وتسأله إن كان يريد شيء أم تؤجل الاطمئنان عليه للصباح ؟ .. وبعد عشر دقائق من التردد فتحت الباب بهدوء .. وانخلع قلبها حين وجدته مستلقي على السجادة فاقدا للحركة .. لتطلق صرخة أيقظت الشارع كله ..

ما أصعب أن تعيش مع رجل يهدد دوما بالرحيل حتى لو كان تهديدا غير منطوق ! ..

ما أصعب أن تعيش مع شخص يقف على الحافة بين الحياة والموت .. فتكون معه كالسائر على خيط رفيع تخشى أن تثقل عليه فيسقط وترضى

Des. Maryam Tamim

بوجوده الباهت في حياتك .. مذكرا نفسك أن هذا أرحم بكثير من اختفاؤه للأبد.
سحبت ماجدة الكرسي إلى أقصى نقط في غرفة وائل بالمستشفى وكأنها حتى في غيبوبته لا ترغب في إزعاجه بوجودها الثقيل على قلبه .. وجلست في الظلام .. تراقب مؤشرات الشاشات أمامها .. التي تدعي أنه مازال حيا .

***

صاح أحمد بقلق " بانة أرجوك تماسكي وإلا سأحملك لأقرب مستشفى "..
حاولت التحكم في ارتعاشها ودموعها المنهمرة .. فلم تقدر .. فدفنت وجهها في صدره ..
فبمجرد أن سمعت أن والدها على قيد الحياة سقطت مغشيا عليها فتلقاها أحمد بين ذراعيه وحملها لداخل المحل يريحها على أريكة خشبية صغيرة استفاقت بعدها بدقائق ولم تتوقف عن

Des. Maryam Tamim



البكاء بينما تبرع عدد من المارين بإحضار بعض العصائر..

تدخلت امرأة فارعة الطول لتزيح أحمد ببعض الخشونة وانحشرت بجانبها على الأريكة الصغيرة تحمل في يدها الوصفة النسائية الشهيرة لتلك الحالات.. كوب ماء محلى بكمية هائلة من ملاعق السكر وأجبرت بانة على شربها .. ثم هدرت المرأة بلهجة البلد في المتحلقين حولهم " لمَ أنتم واقفون .. استفاقت الفتاة وانتهى الأمر شكرا للمساعدة "

تحرك الناس في تململ بينما قالت لبانة " هل هذا الفتى الوسيم زوجك ؟".

تنحنح أحمد بحرج .. بينما أومأت بانة من بين دموعها .. فربتت عليها المرأة قليلا وقالت " لا تبكي بنيتي (ثم وجهت كلامها للحاج حسين) هل هي قريبتك يا أبا حمزة ؟".



فأوما الرجل برأسه وقال " إنها ابنة الاستاذ الدكتور عبد الله الخازن يا أم حمزة "

ربتت المرأة عليها بحرارة أكثر وقالت " حبيبتي أنت من الخوازن إذن .. أهلا بك " .

سألت بانة الرجل بلهفة " وفراس ورامز؟"

أطرق أبو حمزة برأسه ولم يرد .. فقالت بانهيار " ماتا .. أليس كذلك (وأمسكت بملابس أحمد) ماتا يا أحمد ".

تكلم أبو حمزة بسرعة " لا توجد عنهما أخبارا مؤكدة بنيتي حتى الآن ".

فتدخل أحمد يسأله بهدوء" وأين عمي عبد الله الخازن الآن ؟".

رد الرجل " إنه في البلدة .. عاد مع من عاد من النازحين على الحدود منذ مدة" .

سألت بانة بلهفة " ألا نستطيع الاتصال به ؟" .

Des. Maryam Tamim

تنهد أبو حمزة ورد " للأسف أقرب شبكة هاتف للبلدة على بعد ثمانون كيلو مترا .. وأبا فراس طريح الفراش منذ مدة ".

صاحت تسأله " ماذا به .. هل أبي مريض؟؟؟ "

تكلم الرجل بلهجة حزينة " لا أعلم بالتفصيل لكن السن والرحلة المرهقة بالتأكيد كان لهما أثرا" .

أطرق أحمد برأسه لا يعلم أيفرح لأن والد زوجته على قيد الحياة.. أم يحزن على حالته وحالة بانة المنهارة فقال" غدا إن شاء الله سنتوجه للبلدة "

قالت بانة بسرعة "بل اليوم .. الآن"

تفاجأ أحمد وتبادل النظرات مع أبي حمزة ثم قال " النهار أوشك على الرحيل يا بانة ولا أفضل أن نسافر في الليل فما فهمته أن المسافة طويلة"

تدخل أبو حمزة يقول" أجل بنيتي أنا أيضا لا أحبذ السفر ليلا فالأمور ليست مستقرة بعد.. انتظرا للفجر.. وسأتصل ببعض معارفي في أقرب بلدة بها

Des. Maryam Tamim

هاتف ليذهبوا لأبي فراس ويزفوا له البشرى .. (ووجه الكلام لزوجته) أين الضيافة يا أم حمزة " انتفضت المرأة تقول " ستكون جاهزة فورا "

دفنت بانة وجهها في يديها مستسلمة بينما انتحى أحمد بالرجل يسأله" أين أستطيع شراء سلاح؟ "

تطلع إليه أبو حمزة في تساؤل فتكلم أحمد مفسرا " أريد سلاحا أدافع به عني وعن زوجتي فلم احضر مطواتي خوفا من إجراءات التفتيش في المطار " فحرك أبو حمزة رأسه متفهما وقال " لا تقلق سأدبر لك واحدا "

***

النفق طويل ولا ينتهى ..
والضوء أبيض ساطع ولا يستطيع التحديد أهو ضوء طبيعي أم صناعي.
لكنه ضوء قوي .. قوي ويزعج عينيه..

Des. Maryam Tamim

أما الغرف..
فالغرف كثيرة .. كغرف قصر كبير مضيء.. او كممر مستشفى كثير الغرف على الجانبين ..
لكن النفق ضيق المساحة ذو سقف منخفض يكاد يلمس رأسه.

هل يركب طائرة؟!! ..
إنه فوق السحاب !! هذا ما أدركه من بعض الفتحات التي على ما يبدو نوافذ صغيرة كطاقات نور.
سأل وائل نفسه أين هو بالضبط ؟؟؟
لا يهم فإن هذا المكان مريح .. ويعجبه .. بعيدا عن الجميع..
***
في اليوم التالي :
إن كان ما شاهدته بانة في العاصمة قد أبكاها فإن ما شاهداه بعد الخروج منها كان أشبه بالكابوس ..

Des. Maryam Tamim

فمن خلال الحافلة الكبيرة الغير مريحة التي يستقلانها في رحلة شاقة إلى بلدها والتي أصر أبو حمزة أن يتخذونها وسيلة لتوصيلهم لأنها الأكثر أمانا من سيارة خاصة قد يتعرضان فيها للخطر بمفردهم .. شاهدا عبر النوافذ كم الدمار الذي لحق بكل شيء ..

إنه لشيء مفجع أن ترى الدمار يحيط بك من كل جانب..

حسرة ما بعدها حين تحاصرك مشاهد الخراب هنا وهناك ..

فتتزاحم المعضلات في ذهنك وتتساءل بعدم استيعاب .. أهناك ما يستحق كل هذا ! ..

أهناك أمر مهما بلغت أهميته يستحق سفك الدماء .. وتشريد الأسر .. والإطاحة بالأحلام .. وتخريب عمار الأرض ؟؟..

Des. Maryam Tamim

"أجئنا إليها لندمرها أم لنعمرها يا أحمد " قالتها بانة بقلب مقهور ولهجة متحسرة .

شبك أصابعه بأصابعها وقال بلهجة هادئة رغم شعوره هو نفسه بالحسرة على ما يراه " بانة أرجوك لا تجعليني أتحامق باتخاذ قرار بالعودة .. فبهذه الحالة ستنهارين "

أومأت برأسها في طاعة فهمس" حاولي أن تنامي قليلا أنت لم تنامي منذ ثلاثة ليالي "

مسدت على ذراعه ورفعت وجهها إليه تقول " شكرا يا أحمد .. أعلم أنك تعبت جدا معي .. وأنك لم تنم أيضا .. وظللت طوال الليل بالشرفة تنتظر مثلي بزوغ الفجر .. أنا متحمسة لرؤية أبي لا أصدق أنه حي أشعر وكأني أحلم "

تكلم بصوت بدى عليه الإرهاق " وأنا سأطير من السعادة مثلك يا قلب أحمد لأنه حي ولأن الله قد جبر بقلبك وسترينه مجددا "

Des. Maryam Tamim

قالت بحماس " ستحبه جدا يا أحمد أنا أكيدة .. ليس لأنه أبي ولكنه أستاذا بالجامعة مشهود له بالرقي والثقافة وكان له تلامذته بالعشرات يودونه حتى بعد تخرجهم "

قال بهمس وهو يرسم ملامحها المرهقة " أنا أكيد من ذلك بونبونتي .. فمن علّم وربى فتاة مثل بانة الخازن التي عشقتها إلى حد الجنون .. بالتأكيد شخصية عظيمة "

بعد تسع ساعات مرهقة بدأت عند الفجر وانتهت والشمس في كبد السماء .. ترجلت بانة من الحافلة يتبعها أحمد الذي بدأ يعرج بقدمه بتوجع فسألته بقلق " هل ركبتك تضررت من الجلوس مدة طويلة ؟" .

أومأ برأسه وهو يقاوم الإحساس بالألم وأخذ يدلك ركبته ويثنيها ويفردها .. ثم سألها " هل تذكرين الطريق إلى بيت العائلة "

Des. Maryam Tamim

تطلعت حولها فلم تجد شيئا من آثر البلدة القديمة .. لم تجد حولها سوى صورة موجعة لحطام بلدة كانت عامرة بالبيوت المضاءة .. والمحال .. والزحام .. وضحكات الأطفال في الطرقات .. وصياح البائعين في الأسواق .. تنهدت وتذكرت أنها وعدته بأن تتماسك فقالت بتردد " سأحاول التذكر .. حتى ولو أصبحت حطاما فقلبي سيرشدني لأرض الخوازن "

***

هتف الفتى الصغير مقتحما الغرفة " لقد أتيا .. وجدت غريبين شاب وفتاة آتيان من أول الطريق يجران حقيبة سفر .. هما بالتأكيد .. رغم أني لا أعرف كيف تبدو بانة "..

ردت عليه امرأة عجوز " اسمها الخالة بانة يا آدم فهي أكبر منك في العمر(ثم تطلعت للرجل العجوز الممدد على السرير وصاحت) ماذا تفعل يا عبد الله؟؟!!! " .

Des. Maryam Tamim



بمجرد أن سمع الفتى الصغير يهتف باسم بانة ودقات قلبه انفجرت تضرب بقوة في عظام صدره الشائخة .. فحاول القيام بكل ما أوتي من قوة ورد وهو ينهت " أريد أن أقوم .. ساعديني يا شكران ".
دخل عليه اثنان من الرجال فقال أحدهما " ماذا تفعل يا أبا فراس؟ ".
رد مستمرا في المحاولة للقيام بصعوبة " أريد أن أقوم ساعدني يا حميد .. "
رد حميد " دعنا نخرج لاستقبال ابنتك أولا وستأتيك هنا لا داعي لإجهاد نفسك "
رد أبو فراس بحزم " لا .. أخرجوا له صقر يستقبلهما أولا ".
ضربت شكران على صدرها تقول بجزع " صقر !! هل تريد من صقر أن يستقبلهم ؟"

ونظرت لشاب ضخم الجثة قاسي الملامح وقد لمعت عيناه بتسلي رغم جمود ملامحه.. بينما رد

Des. Maryam Tamim

أبو فراس " نفذوا ما أمركم به .. صقر يستقبلهم أولا وبعد قليل يخرج إليهم حميد وشاكر.. واحملوني إلى النافذة ".

سأله حميد " لماذا ؟"

رد بوهن " أريد أن أراهما وهما آتيان من بعيد .. ولا ترهقوني بالحديث ".

أشار حميد لصقر برأسه فتحرك يحمل أبا فراس ويجلسه على مقعد بجوار النافذة في الغرفة الأرضية المطلة على الساحة الواسعة ..

فتطلع من النافذة بترقب يشعر أنه على وشك الإصابة بنوبة قلبية ..

منذ أن أتاه الخبر عند الفجر يبشره بأن بانة في الطريق لا يعرف كيف يصف شعوره ..

كيف يصف شعور أب سيقابل ابنته أخيرا بعد أن تركها تسافر إلى بلد غريب خوفا مما هو أفظع ولا يعلم ماذا حل بها ؟ ..

Des. Maryam Tamim



لا يعلم كيف يصف شعوره حين أخبروه أن من صعد على الطائرة ليلتها كانت بانة وحدها ..

كيف يصف شعوره وهو يبحث عن أولاده الثلاثة طيلة أربع سنوات .. لا يعلم هل فراس ورامز قد ماتا ودفنا ككلاب الطريق .. أم يعيشان في أحد السجون أم ماذا ؟..

ولا يعلم ماذا تفعل ابنته الشابة مع كلاب الطرق في بلد غريبة وكيف تتدبر أمرها ..

بعد المذبحة أصيب إصابة بالغة وحُمل مع الفارين إلى الحدود ليتجمعوا في ملاجئ للإيواء في البلدة المجاورة .. وحزنه على وطنه وبلدته وأبنائه الثلاثة عطل شفاؤه لثلاث سنوات ..
قد يستطيع التحمل بصعوبة وجع قلبه على الشابين لكن الفتاة .. ابنة قلبه .. كان القلق عليها



أبشع عذاب .. ولم يكن في يده إلا الدعاء لرب العباد .. فكان يقضي وقته وهو طريح الفراش يصلي ويصلي ويقرأ القرآن ويدعو رب الأكوان أن يحفظ ابنة قلبه من شر اللئام .. وأن يصله خبر عن فراس ورامز ..

حين عاد منذ شهور للبلدة أرسل كل معارفه ليجوبوا المستشفيات والسجون يسألوا عن ولديه .. وكلما اكتشفوا مقبرة جماعية أسرع بإرسال من يبحث عن أشلائهما فيها ..
لم يكن يتخيل في ابشع كوابيسه أن يأتي عليه يوم يبحث فيه عن فلذات كبده وسط أشلاء الجثث في المقابر الجماعية ..
لكن أخيرا جاء الفرج من رب العباد .. وأكبر همه ستصل بعد قليل ..مرتعبا أن يسمع منها ما لا يطيق أن يسمعه عما تعرضت له وحدها ..

Des. Maryam Tamim

"ترى ماذا فعلت بك الأيام يا ابنة قلبي بعيدا عن جناح أبيك؟" .

رآها تظهر من بعيد تشير إلى بيت العائلة .. وبالرغم من قلبه الذي كاد أن يحطم صدره ليخرج لاستقبالها لكنه حاول التركيز على من يصاحبها فهذا هو سبب رغبته في رؤيتهما معا قبل الدخول عليه .. وإرسال صقر بالذات لاستقبالهما أولا ..فركز في لغة جسد ذلك الشاب الأسمر العضلي يستقرئها .. ولم يفته ذلك العرج الخفيف في قدمه .. فأخذ يدقق في تفاصيل الشاب ويقيمه بتقييم أولي بنظرة رجل لرجل .. أو بنظرة أب لزوج ابنته .

في الخارج أشارت بانة للبيت رغم تهدم جزءً كبيرا منه ومن المبان التي حوله وقالت بصوت هارب منها "هذه هي أرض الخوازن.. (ونظرت لأحمد بأنفاس متسارعة) هذا هو بيتي يا أحمد بيت عائلتي .. وأنت هنا معي .. لا أصدق "

Des. Maryam Tamim

امسك بكتفيها وقال بهدوء " بانة تنفسي ..
تنفسي بانتظام حبيبتي "
حاولت التنفس بصعوبة ثم تحركت في حماس..
فأمسكها من مرفقها بحزم لتطالعه بتساؤل فقال
"ابق هنا بجانبي ولا تبتعدي عني .. سنسير معا ولا
تتركي يدي ".
سألته بعدم فهم" لماذا؟؟"
رد بهدوء " نحن لا نعلم من بالداخل وماذا
سيفعلون معنا وأنت تدخلين عليهم بزوجك ".
عقدت حاجبيها وقالت "ماذا تعنى؟؟"
فأجاب" لا أعني شيئا يا بانة لكني قلق فمن فضلك
نفذي ما أقوله ".

ظهر من بعيد رجل ضخم قاسي الملامح يتحرك
نحوهم ..فشدها بحركة حمائية لتقف خلفه لكن
بانة صرخت "عمي صقر .. إنه عمي يا أحمد أصغر
أشقاء أبي ".

Des. Maryam Tamim

أفلتت يدها منه وجرت إلى الشاب الذي يقارب عمر أحمد أو أكبر بسنوات قليلة فاستقبلها بين ذراعيه وقد لاحت ابتسامة بدت غريبة مع قسمات وجهه القاسية .. لتشتعل الغيرة في صدر أحمد غير مستوعب بعد أن يراها مع رجل غيره حتى لو كان عمها .. فاقترب منهما وسحبها يبعدها قليلا وهو يقول" أحمد سماحة "

طالعه صقر ببرود بينما صاحت بانة تتركهما " سأذهب لأبي لست قادرة على الانتظار أكثر من ذلك"

غير أن ما قاله صقر لأحمد جمدها في نص المسافة وهي تسمعه يتحدث ببرود " لابد أن افتشك قبل أن تدخل إلى دارنا" .

تفاجأ أحمد من لهجته العدائية وشعر بنية لاستفزازه فرد عليه بصرامة " ومن سيسمح لك بالتفتيش !!".

Des. Maryam Tamim

رد صقر " نحن هنا نفرض قوانيننا على كل الضيوف ".
نظر أحمد في عينيه بتحدي وقال" هذه قوانينكم أنتم لكنها لا تسري عليّ أنا وزوجتي ".
رد صقر " ومن قال أننا قد اعترفنا بأنها زوجتك؟" .
تحركت بانة مسرعة نحوهما لكن أحمد أمسك بتلابيب صقر قبل وصولها فزمجر الأخير بغضب بينما حالت هي بينهما تقف أمام أحمد وتقول بصدمة " ماذا تفعل يا عماه إنه زوجي .. زوجي على سنة الله رسوله "..
سحبها أحمد خلفه بينما تخصر صقر وقال " أرني ما يثبت زواجكما"
هدر أحمد فيه وقد جُنت وحوشه " لن أريك شيئا وسأخذ ابنتكم معي وسنعود من حيث أتينا "
أمسك صقر بذراع بانة الذي يمسك به أحمد وقال بصرامة " ومن سيسمح لك بأخذ ابنتنا معك "

Des. Maryam Tamim

في لمح البصر كانت مطواه أحمد مثبته عند رقبة صقر وهو يرد بلهجة خطرة " ستحتاج لأن تمشي على جثتي إذن لتصل إليها" .

غطت بانة فمها بكفيها في ذهول وذهنها الذي لم ينم منذ ثلاث أيام لم يسعفها لأي شيء غير أن تردد في صدمة "ماذا تفعل يا عماه!!"
ضغط أحمد على المطواة المغروزة في رقبة صقر وقال بفحيح مرعب " انزل يدك عن زوجتي "
ضيق صقر عيناه دون رد ودون أي تعبير فغرز أحمد المطواة أكثر في رقبته لتشهق بانة حين رأت خيطا رفيعا من الدماء يسيل على المطواة وأحمد يقول من بين أسنانه بلهجة خطرة " قلت انزل يدك عن زوجتي ".

بدون تعبير رفع صقر يده عن بانة الذاهلة مشلولة الحركة بينما علّى أحمد صوته ليصل لوالد زوجته

Des. Maryam Tamim

صائحا " كنت أتمنى أن أقابلك يا عماه لكني مضطر لأن آخذ زوجتي وأرحل ما دمنا نُقابل بهذا الشكل المهين" .
وشد بانة بعنف فتمتمت بخفوت ذاهل" ماذا يحدث يا أحمد ألن أرى أبي !!".

استدار إليها وألجمه ملامحها المصدومة وقد شعر أنها على وشك الإصابة بنوبة قلبية .. فانخلع قلبه شفقة عليها وحاول التحكم في مشاعر الغضب التي تفتته إلى شظايا من الداخل وقال بخفوت وهو يتلمس وجهها بكفه وكأنه يلمسها لآخر مرة " أنا أيضا لا أفهم فهناك أمر مريب وغير منطقي يحدث لكني لن أحرمك من رؤية والدك .. (وترك ذراعها) اذهبي إليه "
تمتمت ذاهلة " وأتركك ؟!!"

Des. Maryam Tamim

حدج صقر الواقف متخصرا من بعيد بغضب شديد ثم نظر إليها يقول " سأنتظرك هنا حتى ولو خيمت أمام بيتكم شهورا حتى تخرجي إليّ " ..

سألته ببراءة " ألا تحمل ما يثبت أننا متزوجان" ابتسم رغما عنه وضربها بخفة على رأسها يقول "يا حمقاء جواز سفرك مكتوب فيه أنك زوجة أحمد سماحة.. لكني لا أقبل لهجة التشكيك هذه فلستِ أنتِ من يُطلب منها تأكيدا على زواجها .. ما دمت قد قلتِ أن هذا زوجي عليهم أن يصدقوك دون تقديم أدلة.. هيا اذهبي لأبيك وافهمي منه لمَ هذا العداء قبل أن ندخل حتى من الباب .. وأنا مرابط هنا ولن أتحرك إلا وأنا جثة هامدة" .

اغرورقت عيناها بالدموع تتطلع إليه قليلا ثم حولت نظرها إلى عمها تحدجه بنظرة غاضبة .. ثم سحبت أحمد من يده بعصبية نحو البيت تقول

Des. Maryam Tamim

لعمها بكبرياء " سأدخل بيت جدي أنا وزوجي أو أرحل أنا وهو "
وتحركت تسحب أحمد الذي قفز قلبه من السعادة متخطية صقر الصامت نحو البيت قبل أن يخرج إليهم حميد وشاكر وقد صاح الأول في صقر موبخا " كفى يا صقر ليس هكذا ما نستقبل به ابنتنا وزوجها "
صاحت بانة بشموخ باك " هل ستطردنا أنت أيضا عمي حميد ؟"
فابتسم يمد يده لأحمد بملامح معتذرة يقول " لا تؤاخذ صقر إنه فظ قليلا لكنه لم يقصد الإهانة أنا حميد الخازن عم بانة "
مد أحمد يده للسلام على الرجلين بينما جرت بانة للداخل حين لمحت أبيها يطل من النافذة فاندفعت نحوه وتبعها الباقين .

Des. Maryam Tamim



تسمرت عند باب الغرفة بعد ثوان تطالعه غير مصدقة .. ففتح ذراعيه لها يهتف بلوعة أب على ابنته بعد أربع سنوات من الفراق تصارع المجهول " يا قلب أبيك يا بانة .. يا قلب أبيك "

دون أي كلمة جرت إليه لتنزل على ركبتيها أمام مقعده وترتمي في أحضانه .. فضمها بقوة وهو يردد " اللهم لك الحمد حتى ترضى.. ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا " .

نشيجها العالي وارتعاشها في حضن أبيها تبكي بحرقة مزقا قلب أحمد فلم يستطع أن يتحمل وتحرك مخترقا عددا من المتجمعين عند الغرفة لم يتعرف على معظمهم ليخرج لساحة البيت يملأ صدره المتخم بالمشاعر بالهواء .. لا يصدق حتى أنه أوصل بانة بالفعل لأبيها ..



بعد بعض الوقت ..
يبكي وتبكي ..
يتفحصها وتتفحصه ..
يضحك وتضحك ..
منفصلان عما حولهما ..
طالعت تتأمل تفاصيله وقالت من بين دموعها التي لا تريد أن تتوقف " لقد أصابك الشيب يا أبي .. كيف سأزوجك الآن كما كنت أخطط دوما "
اتسعت ابتسامته وقال وهو يمسد على رأسها " أمازلتِ تذكرين .. عموما إن كنتُ قد أصابني الشيب فانت بسم الله ما شاء الله ازددت جمالا أهو الزواج السبب ؟"
أطرقت بحرج وتمتمت بارتباك " عليّ أن أقص عليك ظروف زواجي يا أبي ".
قاطعها قائلا " سأسمع منك كل شيء حلوه ومره جميله وقبيحه.. لكن عليّ أن أقابل أولا ذلك الأسمر الذي انسحب للخارج وتركنا " .

[3244]

صاحت بغضب وكأنها تذكرت " ما الذي فعله عمي صقر.. هل شاهدت ما حدث معنا في الخارج؟!!!"
علا صوته الواهن يقول" آتوني بالضيف لم أرحب به (ثم استدار إليها بعينين لامعتين ورد) نعم شاهدت كل شيء "

ضيقت عيناها ثم هتفت بعدم تصديق " مازلت ماكرا يا أبي .. لقد كاد أحمد أن يقتله "

تنحنح أحمد يدخل متحرجا وشعر بمشاعر غريبة ..فلم يتوقع أن مقابلة والد الزوجة أمر له رهبة بهذا الشكل .. فعلاقته بالعم غنيم لم يكن فيها هذا الشعور بالرهبة الذي يشعر به الأن وكأنه في لحظة تقييمية .. يريد أن يعطي انطباعا جيدا عن نفسه ويريد أن تفتخر به بانة ...

Des. Maryam Tamim

ولم يتوقع أبدا أن يأتي عليه يوم يشعر فيه بالارتباك أمام أي شخص أو أن يهتم بأن يترك عنده انطباعا جيدا .

تحرك نحوه ومد يده وهو يستشعر فيه مزجا بين رائحة الحاج سماحة ورائحه بانة مختلطا برائحة هذا البلد فقال بلهجة دافئة " أحمد سماحة زوج ابنتك "

ابتسم له أبو فراس بدفء .. يتفحصه مليا بنظرة إعجاب حاول إخفائها ثم سلم عليه .. فمال أحمد على رأسه يقبلها باحترام ..

أشار له أبو فراس فجلس على المقعد المقابل لتهتف بانة الجالسة أرضا بجوار مقعد أبيها بحماس " هذا أحمد سماحة يا أبي "

فرد أبيها بلهجة مشاكسة " عرفنا أنه أحمد سماحة دعيني أتعرف عليه بنفسي "

تخضبت بالحمرة وتبادلت نظرات خجلة مع أحمد وكأنها تعرفه على حبيبها وليس زوجها .. بينما

Des. Maryam Tamim

ابتسم أحمد في حرج وشعر أنه بدأ يتعرق فقال أبو فراس " أخبرني عنك يا أحمد ".

استمر الحديث بينهما لبعض الوقت .. في البداية كان أحمد مرتبكا رغم أنه دارى ذلك ببراعة لكن مع الوقت بدأ يشعر بالألفة والراحة أكثر .. ويزداد إعجابه بوالد زوجته الذي لم يكن لديه شك أنه رجل مميز حتى من قبل أن يقابله .. وما أسعده أن بانة كانت تندفع كثيرا للرد بالنيابة عنه على أسئلة أبيها له .. فيوبخها أباها بلطف كل مرة .. ليجمع ثلاثتهما وقت دافئ بجوار النافذة .. أبو فراس وأحمد متقابلين بينما بانة تفترش الأرض بجوار مقعد أبيها متعلقة بذراعه كقطة ملتصقة بصاحبها .

حين جاء وقت العشاء تجمعت العائلة كلها حول منضدة ضخمة في الساحة .. وتعرف أحمد على باقي أفرد العائلة فعلم أن عبد الله كبير أخوته

Des. Maryam Tamim

الذكور وأن ثلاثة منهم فقط الموجودين أما الأربعة الباقين فواحد منهم في مدينة أخرى مع عائلته وثلاثة خرجوا من البلد مع عائلاتهم وقت الحرب ..

أما أكبرهم فهي العمة شكران الأخت الكبرى للذكور الثمانية امرأة مسنة فقدت هي وزوجها ابنهما الوحيد الذي استشهد وزوجته في القصف الذي تعرضت له البلدة من ثلاث سنوات ولم يبق سوى حفيدها آدم .. وأما حميد وشاكر لديهما أبناء من الشباب والبنات لم يحصد عددهم بعد لكنهم كثيرون .. ومنهم المتزوج ولديه أطفال..

تأملهم أحمد بنوع من البهجة بعد أن وجد أخيرا أثرا من آثار الحياة في وسط هذا الدمار .. وتأمل بانة المرابطة بجانب أبيها تأبى أن تتحرك من جانبه .. وقد أخرجوا له أريكة صغيرة يجلس عليها فطالعها بمزيج من الغيظ والغيرة .. رغم أنها بدت شخصا

Des. Maryam Tamim

آخر.. شخص مشحون بالطاقة رغم الحسرة عما حدث لأخويها ولبلدها .

نقر على ساقه أخرجته من شروده في أصناف من الطعام أمامه على المنضدة الضخمة ليجد أمامه أحد أطفال العائلة .. فتطلع إليه بتساؤل ليقول الطفل " أجلسني "

تلفت حوله يبحث عن كرسي إضافي بينما قال الطفل وهو يشير لحجر أحمد " بل هنا"

تنحنح أحمد بحرج وتبادل النظرات مع بانة بينما تدخل صقر يقول بخشونة للطفل " تعال هنا سأجلسك على حجري" .

رد الصبي بعند" لا .. بل أريد أن أجلس بجوار زوج الخالة بانة" .

ابتسم أحمد ورفع الطفل على حجره بينما تكلمت شكران من بين أسنانها المفقودة " أتركه يا صخر يجلس كما يريد وأرجو ألا يزعج أبننا أحمد منه ..

Des. Maryam Tamim

عموما هي بشرة خير .. سيأتيك مثله قريبا ان شاء الله "

ابتسم أحمد وتبادل النظرات مع بانة خاصة وهو لا يعرف كيف يتعامل مع الأطفال ثم سأله وهو يعطيه قطعة من الفطائر " ما اسمك؟"

فتكلم الطفل وهو يأكلها " آدم سهيل"

ربت أحمد على رأسه بينما قامت بانة لتقترب منه ووضعت بعض الطعام أمام أحمد تقول " هذه الأصناف لا تختلف كثيرا عن الطعام الذي أنت تحبه .. بينما هذا (ووضعت طبقا آخر) وهذا طبق أعتقد أنه يتناسب مع ذوقك ".

رفع وجهه إليها وقال بصوت مجهد " شكرا بانة الخازن نشكر كرم الضيافة .. عندي سؤال هل تتضمن ضيافتك خدمات من أنوع أخرى" .

تخضبت بالحمرة وقرصته في ذراعه موبخة.. قبل أن تعود لتلتصق بأبيها من جديد .

Des. Maryam Tamim

بعد العشاء انضمت بانة لأبيها في غرفته وشعر أحمد أنها تريد الاختلاء به .. وبالرغم من إحباطه وإجهاده إلا أنه قبل دعوة لجولة مع بعض ابناء العموم في البلدة .. بينما استمع عبد الله بقلب متألم حكاية بانة وما حدث لولديه وكيف تحكمت الاقدار في أن تسافر وحدها وما مرت به واضطرارها لتمثيل دور الذكر ولقائها بأحمد ..

وأخبرته بالرغم من خجلها كيف عذبت أحمد بزواجها منه وعن مشاعرها التي مزقتها كثيرة بالذنب تجاه عائلتها .

أخبرته بكل شيء .. وكأنها تفرغ من صدرها هما ثقيلا .. وكلما أخرجت ما في قلبها كلما شعرت أنها أخف ..

فاستمع والدها إليها في صمت كما عودها ..

وقيم وحلل ..

فرح وبكى ..

وشكر الله كثيرا رغم كل شيء .

Des. Maryam Tamim

بعد أن انتهت من حديث الذكريات تكلم أبو فراس " أعتقد أن مشاعرك المزدوجة بعد زواجك يا بانة كانت إحساسا بالذنب تجاهنا .. ولن يزورك هذا الاحساس إلا إذا شعرت أنك سعيدة مع هذا الرجل"..

اطرقت برأسها في حياء.. فمسد على شعرها الذي أخبرته منذ قليل أنها اضطرت لتعريته وقصه لتحمي نفسها وقال " أنا فخور بك يا ابنة الخوازن .. ولا أعتقد أن هناك على وجه الأرض أبا في مثل فخري .. ابنته غلبت رجالا بشوارب في رباطة الجأش والكبرياء .. اختارت الطريق الأصعب ..رغم أنه لن يلومها أحد لو اختارت الأسهل .. حافظت على نفسها وكرامتها وكرامة أبيها وعائلتها .. (صمت قليلا يفكر ثم أكمل) لقد استجاب ربي لدعائي فبعث لك ذلك الأسمر ليفعل معك من الشهامة والحب ما يثلج صدري ويخفف من همومي" .

[3252]

فسألته "هل أعجبك يا أبي؟"
مط عبد الله شفتيه ممتعضا ثم رد " لا أنكر أني شعرت بالغيرة والضيق أنه خطف ابنتي وتزوجها قبل أن أقابله .. لكنه (وغمز بعينه) أعجبني جدا "

دفنت بانة رأسها في حضنه بتأثر فقال أبو فراس بمكر وهو يبعدها عنه برفق " لكن هذا لا يعني أنه سيحصل عليك بسهولة .. فوالدك لا يزال على قيد الحياة .. وأنت هنا عند الخوازن لست هناك عند السماحية "
طالعته باندهاش وقبل أن يجيب طرق أحمد على الباب المفتوح فقال له " تعال يا ولد .. هل تعتقد أنك ستحصل على ابنتي بسهولة ؟".

نظر إليه أحمد بعدم فهم ثم تبادل النظرات المتسائلة مع بانة ليكمل أبو فراس " لابد أن أقيم

Des. Maryam Tamim

لكما حفلا بمناسبة عودة ابنتي .. فخري واعتزازي ..
واعرف الناس بزوج ابنتي وأعلن زواجها "
حدقت فيه بانة متفاجئة فأكمل " وذلك سيكون
يوم الخميس القادم .. وحتى هذا اليوم كل منكما
سينام في غرفة مستقلة .. وكأني سأزف ابنتي إليك
يوم الخميس ".
رفع أحمد حاجبا وردد باستنكار "نعم !! "
فنظرت له بانة .
رد أبو فراس بتحدي " هل لديك مانع ؟!! "
فنظرت له بانة .
رد أحمد باعتراض " طبعا لدي .. إنها زوجتي
بالفعل .. فلمَ أُحرم منها خمسة أيام كاملة..
فالناس يعلمون أنها متزوجة .. أو جاءت متزوجة
بالفعل "
فنظرت بانة لأحمد.

Des. Maryam Tamim

رد أبو فراس بغيظ " وأنا حُرمت من أن أسلّم ابنتي لزوجها .. أكثيرا علي هذه الفرحة !!" فنظرت له بانة .

صاح أحمد باستنكار " وما دخل ذلك في أن يبيت كل منا في غرفة مستقلة !! "

فنظرت له بانة .

رد أبا فراس يقارعه " كيف سأشعر بشعور الأب الذي يزوج ابنته وهي تنام معك في نفس الغرفة .. ألا تقدر مشاعري ؟"

فنظرت له بانة .

رد أحمد بحنق " ولماذا لا تقدر مشاعري أنا أيضا فأنا زوجها !! "

فنظرت له بانة.

صاح أبا فراس بصوت واهن " هل هذا اعتراض منك على ما اقول ؟؟؟!! "

فنظرت له بانة.

Des. Maryam Tamim

أطرق أحمد برأسه وتمم بخفوت من بين أسنانه "
من الواضح أن العائلة كلها لديها مشاكل مع الزواج
!! "
صاح أبو فراس " ماذا قلت يا ولد ؟!!"

رفع أحمد رأسه يقول باستسلام " قلت كما يقول
أبي الحاج سماحة .. لله الأمر من قبل ومن بعد ..
أين سأنام ؟"
رد أبو فراس بارتياح " جهزي له غرفة يا بانة ..
اسألي إحدى نساء البيت عن غرفتكم (ثم استدار
لأحمد يضغط على الحروف) أو التي ستكون بعد
يوم الخميس غرفتكم ".
طحن أحمد ضروسه وسأل بفضول " وأين ستنام (
وضغط على الحروف) زوجتي ؟"
اتسعت ابتسامة ماكرة على وجه أبا فراس ورد " في
حضن ابيها بالطبع (ثم تمتم بإعياء) هيا يا بانة

Des. Maryam Tamim

أسرعي وجهزي الغرفة هذا الولد اتعبني من الجدال ..."

مررت بانة النظرات بينهما قليلا ثم تحركت لتخرج من الغرفة فهم أحمد بالحاق بها ليقول أبو فراس بصرامة " أنت .. انتظر حتى تأتي هي فتذهب أنت .. قلت لا تختلي بها حتى يوم الخميس " ..

جز أحمد على أسنانه بينما صدرت ضحكة مكتومة من بانة وهي تمر من أمامه فحدجها بنظرة متوعدة قبل أن تخرج .. لتتغير لهجة أبو فراس للجدية قائلا بهدوء " اغلق الباب وتعال "

عقد أحمد حاجبيه ونفذ بنظرات متسائلة فتكلم الأول بلهجة جادة " بانة أخبرتني بكل شيء .. عن حياتها في بلدك .. وعنك وعما فعلته من أجلها.. وعن مشاعر الذنب التي عذبتك بها وعذبت نفسها أيضا .. وأنا فخور بابنتي رغم كل شيء لكني أريد أقول لك (ومد يده ليسلم على أحمد وأكمل) بارك

Des. Maryam Tamim

الله فيك يا ولدي وسترك فوق الأرض وتحت الأرض.. لقد كنت أصلي ليال كاملة ليحفظ الله ابنتي فاستجاب لي بظهورك في حياتها " ..
شعر أحمد بالمفاجأة والحرج .. فجلس بجانبه على السرير وقال " أنا لم أتزوج بانة لأفعل خيرا يا عماه أنا أحب ابنتك "
رد أبا فراس وهو يربت على ركبته " أعلم .. ولهذا أنا ممتن لك أن رضيت بأن تتزوجها بشروطها .. وتحملت ما تحملت منها بصبر يجعلني مطمئنا عليها معك " .
فسأله أحمد بحنق صبياني " هل ستتخلى إذن عن شرطك يا عماه"
رد أبو فراس بلهجة ماكرة " ثق بي .. أنا فهمت من بانة شكل العلاقة الزوجية التي جمعت بينكما لهذا دعني أتصرف في الأمر بطريقتي " .

Des. Maryam Tamim

اطرق أحمد برأسه .. فطرقت بانة ودخلت تقول "
الغرفة جاهزة يا أحمد "
تحرك نحو الباب وقال " ألن تأتي لتريني طريق
الغرفة "
رد أبو فراس بحزم" بل ستصف لك المكان وإذا
ضللت الطريق تستطيع أن تسأل أحد الشباب
بالخارج ".
تململ أحمد في الخروج .. ثم أمسك بطرف كمها
يهمس " ماذا لو نام والدك وأتيت إليّ خمس دقائق
فقط "
جاء صوت أبو فراس " تصبح على خير يا أحمد" .

كتمت بانة ضحكة متسلية .. ووصفت له طريق
الغرفة فحدجها بنظرة متوعدة قبل أن يغلق باب
الغرفة خلفه بغيظ .

Des. Maryam Tamim

جرت بانة كالأطفال تتكور بجانب والدها .. الذي تحرك لينام على جانبه بصعوبة يتوسد ذراعه فتوسدت ذراعها هي الأخرى وسألته " عمتي شكران تقول أنك بحاجة لعملية جراحية "
أومأ برأسه قائلا" أجل لقد حجزنا موعدها بعد ثلاثة اسابيع"
مسدت على شعره الأبيض تتأمله وقالت" لا أصدق حتى الآن .. أشعر أني بحلم لا أريد أن استيقظ منه "
ابتسم والدها بحنان فسألته بلهجة متألمة " ألا يوجد أي أخبار عن فراس ورامز؟!"
تنهد في ألم وقال " مازال البحث جاريا .. أتمنى من الله أن يمن علي برجوعهما سالمين "

صمتت قليلا ثم هبت فجأة تقول "نسيت أن أفرش فوطة نظيفة على وسادة أحمد ".

Des. Maryam Tamim

حدجها أباها بنظرة ماكرة فقالت " صدقني يا أبي إن لديه حساسيه أنف .. ولهذا أحمل معي فوطا تريحه أثناء النوم ابدلها كل يوم بواحدة نظيفة .. لديه حساسية شديدة من الغبار .. وخاصة في الأماكن الذي هو ليس معتادا على النوم فيها .. " ابتسم لها ابتسامة صفراء ثم قال " أعطيها لأحد الشباب يدخلها له .. وإياك أن تقتربي من الغرفة"

قالت بإحباط " أبي قد يغضب مني"

رد ببعض الصرامة الأبوية " نفذي يا بانة"

***

بعد ثلاثة أيام :

مستلقي في الغرفة يستمتع بالهدوء ويطلق صفيرا واضعا ساق فوق الأخرى ..فسمع ضحكتها المائعة

Des. Maryam Tamim

وانتبه لوجودها على الناحية الأخرى من الغرفة
ليعتدل ويقول " لمَ تضحكين يا مريومتي؟!"
ردت " لأنك تجلس باسترخاء يا وائل وكأنك لا
تحمل هموما .. فأنا سعيدة لذلك".
رد بابتسامة واسعة " وما الذي سيجعلني مهموما ..
فلا يوجد سوى أنا وأنت والفراغ حولنا .. صحيح
هناك بعض الأصوات تأتينا من خارج تلك الغرفة
العجيبة لكن لا بأس .. بالمناسبة أين نحن
بالضبط إن الغرفة ليس بها ولا نافذة ولا باب "
ردت " نحن في نقطة العبور"
ردد باندهاش " العبور !!! "
قالت ببساطة " أجل من الحياة إلى الموت "
شعر ببعض التردد وقال " هل تقصدين أني .. مت
؟"
استقامت وهي تقول " أنت على الحافة وسيتحقق
أخيرا ما تريد (واقتربت منه لتلتصق به ثم قالت

Des. Maryam Tamim

هامسة بإغواء) وستأتي معي .. أنا وأنت فقط يا حبيب مريم " .
نظر لعينيها الزرقاوين ورد بتأثر " أجل أنا وأنتِ فقط يا حبيبة وائل " .
همست بجوار شفتيه " ما كنت تتمناه منذ وقت طويل سيحدث يا روح مريم "
سأل بسعادة " وسأكون معك ؟ "..
ردت بثقة " طبعا معي أخيرا .. هل تشتاق لي؟"
تمتم بشقاوة " مشتاااق .. مشتاق جدا"
ومال على شفتيها ليقبلها فأفلتت منه بسرعة مطلقة ضحكة مائعة فضغط شفتيه وتخصر يطالعها بغيظ ثم قال " مريم تعالي إلى هنا"

لعّبت حاجبيها الجميلين وجلست واضعة ساق فوق أخرى وقد انحسر الفستان الأصفر عن ركبتيها .. فلمعت زرقة عيناه وقال بشقاوة " بالمناسبة ألم

Des. Maryam Tamim

تدركي بعد أننا في مكان مغلق .. أي أن هذا التمنع لن يفيدك "

مالت بجسدها للخلف مستندة بمرفقها على الأريكة بدلال ليسقط شعرها الاشقر خلفها واطلقت ضحكة متسلية ثم قالت بلهجة متأنية مغوية " جرب .. وأريني شطارتك"

***

تطلعت أروى لعمرو المتقبض الذي يقف بجانب السرير يمط شفتيه بعدم رضا .. بينما الطبيب العجوز يقوم بالكشف على ظهرها وتساعدها الممرضة بجانبه ..

بعد دقائق من الفحص الشامل جلس الطبيب أمام مكتبه بينما عمرو يغلق الستارة على سريرها ببعض العصبية .. وبعد أن انتهت من تسوية ملابسها وضعها على كرسيها والطبيب يقول " أنا متفائل بإذن الله .. أرى أن العضلات تترمم بالعلاج الجديد مع التمرينات المكثفة التي عدت لممارستها ..

سأكتب لك على بعض المقويات للعظم لأني أراك هزيلة قليلا " .
حدجها عمرو بنظر حادة فتحكمت في ابتسامتها ليقول عمرو للطبيب " هل سيتحمل ظهرها زيادة قليلة في الوزن يا دكتور "
رفع الطبيب وجهه عما كان يدونه وقال" طبعا .. لا تفرطي يا ابنتي في انخفاض الوزن.. أمامك حتى من ١٠ ل ٢٠ كيلو جرام تزيدينهم في أمان"
لاحت علامات الارتياح على وجه عمرو فقالت أروى" كنت أريد أن أسأل عن موضوع الانجاب".
تكلم الطبيب بلهجة عملية وقد عاد لتدوين ملاحظاته مرة أخرى " ليس هناك مشكلة كما قلت لك في مسألة الانجاب .. وإن كنت أفضل ما دمتِ قد قطعت شوطا لا بأس به أن تكمليه .. لكن إن حدث الحمل في أي وقت ليس هناك مشكلة سنوقف التمارين وستنفذين بعض الإرشادات

Des. Maryam Tamim

لتخفيف الأحمال عن ظهرك.. لكن بالطبع
ستعانين أكثر من أي امرأة سليمة "
تنحنح عمرو قليلا وسأله بلهجة جادة " في بعض
الاحيان تشعر بالضغط على فقرات ظهرها وحتى
الدهانات لا تؤتي بنتيجة جيدة فكنت أسأل عما إذا
كان التدليك سيريحها "
احمر وجه أروى .. وأطرقت برأسها تنظر في
حجرها وتتحكم في ابتسامة ملحة .. بينما رد
الطبيب " بالطبع جلسات التدليك ستريحها جدا
(وأمسك بورقة دعاية لأحد مراكز التدليك) هذا
المركز ممتاز وبه مدلكات من النساء تستطع أن
تواظب مع إحداهن " ..
أخذ عمرو الورقة مع باقي الأوراق العلاجية وشكره
.. وتحركت أروى تودع الطبيب بعد أن تمتمت
بعبارات غير مسموعة من الحرج ..

Des. Maryam Tamim

عند سيارته حملها عمرو لتجلس في المقعد الأمامي وطوى كرسيها .. ثم استقر في مقعده ليتحرك بالسيارة .. وأروى تحدق في ملامحه المجهدة والتي يبدو عليها علامات عدم النوم واضحة .. إنه مع وائل في المستشفى منذ خمسة أيام لم ينم.. يذهب لعمله صباحا ثم يذهب لوائل بعدها ليبيت معه .. ويحضر صباحا لأخذ حمام سريع ويبدل ملابسه ويذهب للعمل وأحيانا لا يوقظها .. واضطر في يومين منهم أو ثلاثة أن يمر على والدته قبل ذهابه لوائل ليطمئن عليها ويجلس معها .. لأنها تمر بحالة حزن بسبب فسخ خطبة ابنة خاله .. ولم تكتفي بالاتصالات الهاتفية منه للاطمئنان عليها . فانحسرت علاقته مع أروى على السهر على الهاتف يوميا حتى تسقط مستغرقة في النوم وتتركه على الخط .

واليوم أصرت على أن يصحبها للمستشفى لتسلم على ماجدة وتشد من أزرها قليلا .. وجلست

Des. Maryam Tamim

تتحدث معها بعض الوقت .. قبل أن يأخذها عمرو لموعدها مع الطبيب .

أوقف عمرو السيارة لثوان عند صندوق قمامة عمومي وسحب الورقة الدعائية لمركز التدليك وألقاها فيها من نافذة السيارة .. فانفجرت أروى في الضحك وأخذت تضربه على ذراعه وهو يتحكم في ابتسامته فقالت " كنت أعرف أن سبب سؤالك غير بريء"..

فرد بلهجة جادة " موعدنا بعد صلاة العشاء مع أول جلسة تدليك أروى هانم "

بعد بضع ساعات :

رفع عمرو رأسه عنها يبعد شعرها الذي ينزلق عادة بينهما وتطلع إليها وقد احمرت اذناه فضربته على كتفه تقول بهمس " لمَ الوقاحة إذن مادامت تحمر أذناك بعدها ".

Des. Maryam Tamim

لاحت ابتسامة شقية على جانب فمه وسألها "
كيف حال ضهرك بعد جلسة التدليك ؟"..

ابتسمت وضربته على كتفه مجددا.. ثم تأملت
ملامحه المجهدة والهالات السوداء تحت عينيه
وأشفقت عليه جدا .. فصففت شعره بأصابعها
بينما قال عمرو هامسا " أتعلمين يا أروى كلما
وقعت عيناي عليك حمدت الله أنك حلالي ..
فوالله لو كنت أخالطك قبل أن تصبحي لي لهلكت
وضاع ما اجتهدت في جمعه "
تحسست ملامحه فأكمل " وفي كل مرة تكونين
فيها بين ذراعاي أتساءل.. إن كان هذا هو الشعور
معك في لحظاتنا الخاصة فكيف هي الجنة إذن ؟!
"

همست بانبهار وقلبها يتراقص من فرط السعادة "
ألم أقل لك أنك لا تتحدث كثيرا عما تشعر به لكن
حين تبوح تقول كلمة بألف كلمة "

Des. Maryam Tamim

مال عليها ينهل بعضا من شهد شفتيها.. وكأنه لم يشبع منهما .. ثم تمتم بصوت متأثر "إن الشعور بفقدان شخص عزيز فجأة لأمر قاسي جدا يا أروتي "

قالت بإشفاق " أنت لم تنم جيدا منذ خمسة أيام .. نم الآن لتستطيع المواصلة في الاعتناء بصاحبك وربك كبير "

قبل بين عينيها وقال " أشعر وكأني إذا ما نمت سأخسر وقتا أستطيع فيه البقاء معك أكثر.. اشتقت إليك يا جنتي"

رسمت بعينيها ملامحه تتلمس صدره وكتفيه وهي تقول بخفوت " وأنا اشتقت إليك يا حياة أروى وقلبها .. ولا تعلم كيف مرت علي الخمسة ايام بدونك .. لكن عليك أن تنام يا حبيبي .. أنت تبدو مرهقا جدا "

دفن رأسه في حضنها وقال بصوت مكتوم " سأنام في حضنك إذن .. هل ظهرك بخير"

Des. Maryam Tamim

تلمست رقبته وظهره ثم قالت " إنه بخير لا تقلق ..(ثم أضافت بدلال) كما أن لدينا مدلِّك وقح سنستعين به في أي وقت "
رفع رأسه بعينين ناعستين وأطبق على شفتيها مجددا بقبلة لم يرد لها أن تنتهي .. لكنها حررت شفتيها منه .. وقالت بحزم " نم يا عمرو "
فدفن رأسه في حضنها مجددا وشدد من ذراعيه حولها باسترخاء ..

بعد دقائق قصيرة رن هاتفه بتلك النغمة المخصصة لوالدته .. فعضت أروى على شفتها بغيظ كتمته فلم يصل لملامحها ..بينما قبض عمرو بكفه على الفراش قليلا قبل أن يجاهد بصعوبة ليرفع جسده عنها ..تتملكه رغبة معذبة لعدم الانفصال عنها في لحظتها .
ثم جلس على السرير ورد بصوت منهك على الهاتف الذي ألح كثيرا " نعم أمي .. أجل وصلت إلى

Des. Maryam Tamim

البيت منذ قليل .. آسف أني لم استطع المرور عليك حين وصلت لكني مجهد كما تعلمين ولم أنم في بيتي منذ خمسة أيام (صمت قليلا يستمع وتقبض بقوة بيده الأخرى ثم قال) يا أمي بعيد الشر عليك .. أنا مجهد جدا كما قلت عموما لا تغضبي مني أنا أعتذر كان لزاما عليّ أن أتصل بك على الأقل .. لا لن استطيع الآن .. أعلم يا أمي أني أؤجل تعديل القنوات لك على التلفاز منذ دخول وائل للمستشفى لكن ألا تستطيعين أن تصبري يوما آخر .. برنامج أي برنامج العاجل هذا؟! .. لمَ الانفعال يا أماه؟؟؟؟... قلت لك وصلت مجهد أقسم بالله لا استطيع أن أفتح عيني .. (صمت قليلا يستمع ثم علا صوته فجأة يقول بغضب) ما دخل زوجتي في الأمر !! .. وحتى لو طلبت مني البقاء معها أليس من حقها أن تراني .. إنها لم ترني سوى صدفة خلال الخمس أيام الماضية وفي

Des. Maryam Tamim

المقابل زرتك خلالها ولم أقصر معك .. أمي .. أم ..
لا حول ولا قوة إلا بالله"
ألقى الهاتف بجانبه في عصبية ودفن وجهه في يديه لثوان موليا ظهره لأروى يحاول السيطرة على أعصابه .. فأشفقت عليه وودت لو تنفجر في هذه المرأة.. لكنها آثرت عدم إشعال غضبه أكثر .. فمسدت على ظهره العاري وقالت " أنت قلت بنفسك أن أعصابها منهارة منذ فسخ الخطبة.. فعليك أن تتحملها قليلا .. أعرف أنك مجهد لكن تذكر الثواب المضاعف الذي ستأخذه "

تمتم هامسا يحاول تمالك أعصابه " سأقوم حالا"

انتظر لبضع ثوان يشحن همته للقيام فزحفت نحوه وطبعت قبلة حارة في منتصف ظهره العاري .. فلاح شبح ابتسامة على شفتيه .. ثم قام مجهدا نحو الحمام .. ليعود بعد دقائق يلف جزعه

Des. Maryam Tamim

بمنشفة ووقف أمام الدولاب يرتدي ملابسه وهو يطالعها مستلقية على بطنها باسترخاء شعرها الحريري الطويل يفترش الوسائد بجانبها وقد انحسرت الملاءة تكشف عن معظم ظهرها المدهون بالزيت.. فانتفخت أوداجه برضا وتفاخر ذكوري بينما أتى صوتها ناعسا يقول " أنظر إلى نصف الكوب الممتلئ .. أن هذا الاتصال لم يأتيك وأنت تقوم بجلسة التدليك "

وأطلقت ضحكة خجلة صغيرة فتحرك نحوها بعد أن ارتدى ملابسه ليعيد لها قبلتها في نفس الموضع ببعض قبلات متتالية على ظهرها .. قبل أن يسحب نفسه سحبا ليغادر الغرفة .

***

في غرفة وائل بالمستشفى :

دخل سيد إليه بهدوء وتردد ..

فلم يدخل عليه منذ أن علم بغيبوبته .. والآن يحاول أن يشجع نفسه ..

جسده الفاقد للحركة والنطق ممدد على السرير بينما الخراطيم الرفيعة تدخل من أنفه .. أما فمه الدائم الضحك .. موصل بخرطوم أغلظ ليساعده على التنفس ..

بينما في رأس وائل وبالتحديد في الغرفة التي يخيل إليه أنه محبوسا فيها مع مريم :

جلس وائل يعقد شعرها الأشعر الطويل في ضفيرة .. وتمتم " أحب شعرك الطويل يا مريم"
ردت ببرود " بالمناسبة هناك أمر لم تلاحظه "
سألها بفضول " أي أمر ؟ "
ردت " لقد كان شعري قصيراً .. لم يكن يوما شعري طويل هكذا " .
ترك شعرها وضيق عينيه قائلا " ماذا تقصدين؟؟"
استدارت إليه وردت " كما سمعت كان شعري قصيرا .. أنسيت .. لم يكن يلمس حتى رقبتي ..

[3275]

وكنت وقتها تشبهني بالفتيات الأجنبيات .. ولهذا قررنا أن نسمي أولادنا حين ننجبهم بأسماء أجنبية"

فرك جبينه يحاول التذكر بمعاناة وتمتم " أنا اذكر أن شعرك كان طويلا مموجا بموجات طبيعية "

أمسك سيد بيد صاحبه الملقاة على السرير بلا حركة وضغط عليها بخشونة وكأنه يحثه على الاستيقاظ ..

فانتفض وائل فجأة من جلسته يمسك بيده بتوجع.

لتجري مريم نحوه تسأله بجزع " ماذا حدث يا وائل؟؟!!"

رد متألما " لا أدري يدي تؤلمني "

تكلم سيد من بين أسنانه بغيظ بجانب جسده الممدد على السرير " أنت يا (...)"

Des. Maryam Tamim

كتمت مريم صرختها بكفها حين سمعت اللفظ الوقح يأتي من خلف جدران الغرفة بينما جز وائل على أسنانه بغيظ .

أكمل سيد بتهديد " استيقظ .. استيقظ وعد إلينا وإلا.. لا أعلم ماذا سأفعل بك .. قد أقوم بتعذيبك حتى تستفيق "

استمع له وائل من خلف الجدران ثم تمتم بغيظ من بين أسنانه " دائما همجي .. وقح .. ذو لسان قذر "

سألته ببراءة " من هذا؟؟"

رد بامتعاض " ألم تتعرفي على صوته الجهوري"

حركت كتفيها وقالت " لا "

تنهد يقول " إنه سيد .. سيد صبرة"

ضربت بكفيها وعلامات التذكر تلوح على وجهها وردت " تذكرته ذلك الضخم العضلي الذي كان يرافقك "

Des. Maryam Tamim

رد بامتعاض " اجل هذا الهولاكو الفظ .. حتى وأنا مستريح يحاول إزعاجي "
سألته " كيف أصبح الآن؟"
رد " لقد اصبح موسيقار يلحن ألحانا لمطربين مشهورين وحياته تغيرت وأصبح من المشاهير(ثم أكمل بلهجة دافئة) إنه موهوب بالفعل وله صوت جميل لكنه لا يريد احتراف الغناء"

صفقت بيديها في سعادة وهتفت " جميل .. جميل جدا لابد أنه سعيد "
أطرق وائل برأسه وأجاب " بل إنه تعس.. حزين.. سيء الحظ .. لم يستطيع الزواج ممن يحب ويوجع قلبي كلما أراه .. وهذا سبب من أسباب رغبتي في الفرار .. فأنا أحمل وجعه وأوجاعهم كلها في صدري "
لاح الحزن على وجهها وسألته بملامح طفولية حزينة " أهو بائس إلى هذه الدرجة ؟"

[3278]

مط شفتيه بامتعاض وقال" بكل كتلة من البؤس .. أنا تعبت منه.. ومن حظه العثر لهذا أريد الرحيل من وجهه .."

قالت " لكن يا وائل ما دامت حياته بهذا البؤس الذي تصفه ألا تعتقد أنه قد يحزن على رحيلك بشدة وسيزيد هذا من أحزانه؟"

فأطرق وائل برأسه وقد انقبض صدره ..

لم يستطع سيد تحمل هيئة وائل الذي لا يستجيب له فانهمرت دموعه واقترب منه يمسك بذراعه ويقول بلهجة باكية متوسلة " وائل لا تتركني وحدي .. لا تتركني يا صاحبي .. لا تذهب يا اكسلانس .. هولاكو لن يتحمل فراق أحد منكم فأنتم عائلتي التي أعرفها " .

Des. Maryam Tamim

حدق وائل في الفراغ ذاهلا .. وبلع غصة باكية في حلقه .. بينما تكلمت مريم متعاطفة " إنه مسكين جدا يا وائل .. إنه يبكي "

عند ذلك التصور انفجر وائل فجأة في الضحك.. وقال متهكما وهو يضرب كفيه ببعضهما متعجبا" رجل طويل وعريض بعرض الباب يبكي كالنساء .. لو كنت مستيقظا الآن لفضحته وأقمت على شرفه حفلة تهكم من ألف ليلة وليلة "

مال سيد يمسد على ذراعه بتأثر ثم قبل كتفه بمحبة وهمس " سأنتظر استيقاظك يا اكسلانس لن أفقد الأمل ".

انتفض وائل من جلسته أمام مريم كالملسوع يمسح على كتفه بقرف .. فنظرت إليه باندهاش تقول " ماذا حدث !! "

Des. Maryam Tamim

لم يرد لكنه تكلم يوجه كلامه لسيد عبر الجدران وكأنه سيسمعه " ما هذا القرف يا بني !! .. قلت لك لا أحب الضخام .. لا أحب الضخام !!"

لاحت أمام مخيلة سيد حياتهما معا في صور متلاحقة سريعة كشريط سينما ..
ضحكاتهم ..
ومغامراتهم ..
دموعهم وصدماتهم ..
أحلامهم وخيباتهم ..
كان وائل دائما يسبقهم في المرحلة العمرية وسريعا ما يلحق به سيد .. وكان وهو صغير نسخة أكثر شقرة من أمير .. لكنه هادئ مثله .. كثير الضحك .. متواضعا ورقيق القلب .. وكان يحضر الدروس الدينية في الكنيسة بانتظام ..

Des. Maryam Tamim

تذكر بداية صداقتهما .. كان سيد في الثامنة من عمره .. وكان وقتها يدمن تعذيب حيوانات الشارع .. رغم أن الحاج سماحة قد ضمه تحت جناحه مع أولاده منذ عامين .. وبالرغم من ذلك الحنان الغامر والتدليل الذي أغدقته إلهام عليه .. إلا أن سيد الطفل أخذ وقتا طويلا ليفرغ ما في جوفه من سموم الشارع وقاذوراته .. وأخذت نفسيته وقتا ليس بالقليل للتهذيب والتصرف كالأطفال الأصحاء نفسيا ..

فكان من ضمن العادات السيئة التي اكتسبها من تمضية الأوقات على الأرصفة في سنين عمره الأولى هي تعذيب الحيوانات الضعيفة .. ولا يعلم لمَ كان يفعل ذلك .. ربما كان يفرغ ما بداخله من غل في المخلوقات الأضعف ..

تذكر تلك القطة الصغيرة التي عند ذكرها يقشعر بدنه الآن وهو يستعيد ماذا كان يفعل فيها .. غير مستوعب كيف طاوعه قلبه أن يفعل ذلك وقتها ..

Des. Maryam Tamim

وتذكر أنه تفاجأ بذلك الصبي الأشقر وائل ذو العاشرة من عمره يدفعه بقوة ليخلص القطة من بين يديه ويفك الحبل من حول عنقها الهش .. ثم راقبه في ذهول وهو يأخذها بين يديه بإشفاق .. وهو يوبخه " ماذا فعلت يا عديم الرحمة بتلك الضعيفة ؟!!"

كان يفترش الأرض من أثر الدفع المفاجئ لينظر باندهاش لجرأة هذا الصبي الأشقر ابن صاحب محلات الذهب في أن يهاجمه بهذا الشكل .. فلم يكن يتعامل معه وقتها من أطفال العائلات سوى أولاد سماحة .. أما الباقين يتحاشونه كطفل أجرب .. إما بتوجيه من آبائهم أو خوفا من خشونته وجسده الأضخم من عمره .

وتعجب أكثر حين وجد هذا الصبي الأشقر ذو الملابس المهندمة الثمينة يمسك بالقطة الجرباء الصغيرة بين كفيه بتعاطف ويمسد عليها بإشفاق .

Des. Maryam Tamim

لم يتخيله أبدا وهو يراقبه دوما كما يراقب باقي أطفال الحي أن يكون بهذه الرقة وهذا الحلم .. حسبه متكبرا مدللا .. وكيف لا يكون وهو يملك من المظهر والعائلة والمال ما يجعله كذلك .

تذكر كيف استدار له الصبي وائل يوبخه " عيب على ضخامتك أن تعذب كائنا ضعيفا .. أليس لديك قلب ترحم به تلك المسكينة "
نظر سيد للقطة كثيرا وآلمه قلبه لكنه قال بتحدي " إنها قطة شوارع جرباء " .
رد وائل باستنكار " أليست روح لها قلب ينبض .. ستعذب على هذا من الله " .
حدق سيد مجددا في القطة ورد " إنها ليست ذا قيمة عند كل الناس .. إنها قطة شارع ".

رد وائل باستنكار " أبي يقول كل المخلوقات على وجه الأرض لها قيمة .. أتعلم لو اخذتها وحممتها

Des. Maryam Tamim

وأطعمتها .. ستصبح ذات قيمة .. وستجزى على ما فعلته بها "

سأله سيد وقد بدأ يقشعر بدنه " وهل ستأخذها أنت إلى بيتكم النظيف .. وهل ستسمح لك والدتك بإدخالها البيت ؟"

استقام وائل ورد بثقة "بالطبع سآخذها "..

قال سيد بتحدي وقد استقام هو الآخر ينفض عن ملابسه تراب الشارع " لو أنقذت واحدة فهناك الآلاف " .

رد وائل بثقة " من ضمن ما قررت أن أعمل به حين أكبر أن أبني بيتا كبيرا واسعا وأضم فيه كل الحيوانات الضالة التي بالشارع .. لقد أخبرت أبي ووافق أن أنفذ ذلك حين أكبر .. ".

سأله سيد ببراءة" ألن تدير محلات الذهب كوالدك؟"

Des. Maryam Tamim

رد عليه وائل ببساطة " أبي أخبرني أني أستطيع أن أعمل أكثر من وظيفة إذا أردت "
سأله سيد بفضول " وماذا تريد أن تعمل أيضا؟ "
رد وائل وهو يعد على أصابعه " مدير لذلك الدار الذي يجمع الحيوانات الضالة أدير محلات والدي .. وشماسا بالكنسية .. وطبيبا .. (سكت قليلا يتذكر ثم قال) وبائع زهور .. وأنت ؟"
حرك سيد مقلتيه يمينا ويسارا ثم قال" لا أعرف "
أنفجر فجأة وائل في الضحك .. فزمجر سيد بغضب ليشير له وائل بالوداع ملعِّبا حاجبيه ..

فلحق به سيد يسأله بفضول "ماذا ستفعل بالقطة؟"
رد وائل " قلت لك سأنظفها وأطعمها وأربيها .. وستكون أول مشروعي لإنقاذ الحيوانات الضالة"

Des. Maryam Tamim

سأله سيد بحماس "وماذا لو لم ترضى والدتك ؟.. أمي إلهام لا تحب دخول الحيوانات المنزل حتى لو نظيفة "

سكت وائل مفكرا ثم قال" سأربيها إذن فوق السطح لكني سأحتاج لصنع بيت صغير ".

تتطوع سيد ورفع إصبعه يقول بحماس "أنا أعرف كيف أصنع بيتا .. فهل تأخذني معك لأشاهدك وأنت تعتني بالقطة ؟"

رد وائل بإعجاب " رائع سأعتمد عليك في صنع البيت وأعلمك كيف تعتني بها "

سأله سيد وهما يبتعدان " هل سأصبح شريكا لك في القطة ؟ "

مسح سيد عينيه بخشونة وهو يعود للحاضر ويقارن صورة ذلك الصبي بذلك الجسد الممدد أمامه بلا حركة ..

Des. Maryam Tamim

الألم يعتصر قلبه أن يفقد رفقة عمرها ثمانية وعشرون عاما .. فتنهد وربت على ذراع صاحبه مرة أخرى واعداً نفسه أن يكثف الدعاء له في صلاته ..ثم غادر الغرفة في صمت .

ألصقت مريم أذنها بالحائط ثم قالت " أعتقد أنه غادر .. أشفقت عليه كثيرا "

ابتلع وائل شعورا بالتأثر وهو يتخيل سيد الضخم يبكي بجانبه .. وهمس لنفسه " عليك أن تتمسك بقرارك يا وائل .. لم يعد هناك ما يفرح لتبقى من أجله "

ثم تحدث لمريم يقول " دعكِ منه وأخبريني مريومتي أين كنا ؟"

تمايلت بدلال وردت" كنت تتغزل في شعري "

Des. Maryam Tamim

قال وقد عادت له الحيرة " أجل مريومتي (وأخذ يفرك جبينه) هل أنت متأكدة أن شعرك كان قصيرا ؟!!!"

حدجته بنظرة باردة وتكلمت متكتفة" يبدو أنك قد نسيت شكلي !!"

قال بارتباك " أنا أذكرك يا مريم لكن ربما استطال شعرك فقد مر أربعة عشر سنة ".

ردت باستخفاف " أنسيت أني ميتة .. فاقدة للحياة كيف سيستطيل يا غبي .. كما أنه لو كان سيستطيل على مدى أربعة عشر عاما .. لصرت ألملمة ورائي بالأمتار .."

شعر بالارتباك فأكملت" ترى من في حياتك كنت تحب شعرها الطويل يا وائل ؟!! "

***

Des. Maryam Tamim



الفصل الثالث والثلاثون

دخلت بانة تقول " سأذهب للموقع يا أبي أحمد نسي المرهم .. كل مرة أخبره أن يأخذه معه ويتحرج أن يدهنه أمام الشباب .. "

نظر لها أبو فراس من خلال النظارة ذات العوينات الصغيرة المعلقة على أنفه وقال" مادام لم يأخذه فالموضوع ليس بهذا السوء "

ردت بإصرار " إن لديه حساسية من الحشرات ويبدو أن حشرة قرصته فيحك ساعديه منذ أمس يا أبي ألم تلاحظه أثناء العشاء .. ويترك المرهم بالبيت لأنه يتحرج من دهانه حتى لا يعطي صورة مدللة عنه"

رد عليها بامتعاض " حساسية أنف وحساسية من الحشرات ما هذا الزوج المتحسس؟!!"



Des. Maryam Tamim

ردت باعتراض " أبي !! .. ما ذنبه هو أن لديه حساسية !.. كما أنه لا يتعامل معها بتدلل (وتخضبت بالحمرة تقول) أذكر مرة قتل لي صرصورا لأنني كنت مرتعبة منه برغم أنه لديه حساسية وأخذ يحك بعدها بشدة "

رفع أبو فراس حاجبه وقال " وماذا ستفعلين أنت إن كان يرفض الدهان "

اسندت يدها على خصرها وقالت بحزم " عليه أن يضعه برضاه أو بغير رضاه ..لن أتركه بهذا الشكل "

مط أبو فراس شفتيه وقال " زوجة متحكمة بجدارة"

صاحت باعتراض طفولي " أبي !! "

رد باستنكار " الرجل أدرى بنفسه"

قالت بعند " بل أنا أدرى به منه"

قال باستسلام " أذهبي ولا أريد تأخيرا"

Des. Maryam Tamim

اشرقت ابتسامتها وتحركت نحو السرير حيث يستلقي ويطالع الجريدة وتمتمت " سأعطي عبدولتي قبلة أولا ".

تمتم بسعادة طفل صغير وهو يعطي لها خده "هذا هو الكلام المفيد "

قبلته على خده وتحسست الخصلات البيضاء في رأسه ثم عقدت ذراعيها حول عنقه فجأة تحتضنه وهي تتمتم بتأثر " لازلت غير مصدقة أني وجدتك يا أبي .. أحيانا أشعر أني أحلم "

ربت على ظهرها وقال هامسا بتأثر " وأنا استيقظ في الليلة عشرات المرات لأتأكد أنك حقيقة يا ابنة قلبي .. وأشعر أني مهما حمدت الله أنك سالمة آمنة لن يكفي "

رفعت رأسها تقول " لم أشبع منك يا أبي ماذا سأفعل الآن في حياتي .. كيف سأتركك وأرحل لا أتخيل "

Des. Maryam Tamim

ربت على خدها وقال " لا تفسدي فرحة رجوعك بالتفكير ودعي الأمر لله .. كما أنك ستزورينني بالتأكيد .. سأشترط على هذا المتحسس أن تزوريني باستمرار .. وأنا بمجرد أن أقف على قدماي سآتي لزيارتك يا ابنة قلبي "
احتضنته مجددا تقول " أطال الله في عمرك يا أبا فراس ورزقك الصحة "

حين غادرت تذكر أبو فراس أنه قد تفاجأ بأحمد حين أبدى استعداده لعمل الأبواب والشبابيك وكل الأعمال الخشبية الخاصة بمجمع الأديان الذى سيقام في البلدة .. وذلك حين كان يجول في البلدة مع أعمام بانة وأبنائهم وشاهد كيف يرممون ما يحتاج للترميم .. ويعيدون بناء ما يحتاج للبناء فمر أحمد معهم على مجمع الأديان الذي يتم إقامته وعرض عليهم تنفيذ أعمال الخشب الخاصة بالمجمع من شبابيك وأبواب بشغل الأرابيسك وكل

Des. Maryam Tamim

ما له علاقة بالديكورات الخشبية بالمسجد والكنيسة .. وكيف عاد أعمام بانة فخورين بصهرهم أمام أهل البلدة .. وكيف انه اصر على ذلك بل واتفق على تكوين فريق ممن يريدون تعلم المهنة للمساعدة في انجاز العمل في مدة أقصر .. وبالفعل كان في اليوم التالي في الموقع يقابل عددا من الشباب بل والصبية المتحمسين للبناء وللمشاركة .

وحين سأله عن السبب وجد فيه رغبة صادقة في المشاركة في ترميم الدمار الذي لحق بالبلدة كمشاركة وجدانية منه .. بالإضافة لما صرح به وأشعره بالفخر بزوج ابنته حين قال " أريد أن أشارك في عمل يشعر بانة بالفخر من زوجها .. يشعرها أن السنوات التي أمضتها في بلدي لها ذكرى تفتخر بها وليست ذكرى سيئة." لحظتها تيقن أن الله قد استجاب لدعائه حين رزق ابنته بزوج مثله ..

Des. Maryam Tamim

ولا يستطيع الإنكار أنه أحبه محبة صادقة منذ أن رآه .. بالرغم من ميله للعنجهية والعصبية لكنه أحبه كابنه .. ووثق فيه .. واطمأن على ابنته معه .. لكنه الفراق ..

فراق بانة ..

يحاول أن يحَكِّم حكمة السنين .. وثقافته ونضوجه في الامر .. وإيثار مصلحتها على رغبته في أن تظل ابنة قلبه بجواره .. ويحكم إيمانه بالأقدار ويستسلم لها ..

فتنهد يدعو الله في رقاده أن يمن عليه بالشفاء وأن يعيد له ولديه سالمين .. فكم تمنى لو سمع عنهم قبل أن يموت وتمتم بخفوت " يا جامع الناس في يوم لا ريب فيه اجمعني بأولادي قبل أن أموت "

***

اقتربت بانة تراقب جذعه الأسمر والفانلة السوداء ذات الحمالات التي تظهر عضلات ذراعيه اللامعين تحت أشعة الشمس .. يقود عددا من الشباب

Des. Maryam Tamim



والصبية ويعطي لهم الأوامر .. بلهجة صارمة تشوبها الفظاظة .. لكنها تلمح في عيونهم رغبة في التعلم واحتراما له وإلا لما كانوا تحملوا عصبيته .. فهي تعلمه جيدا لا يحب أن يكرر القول مرتين .. وليس لديه من الصبر ما يتحمل به المتعثرين .

اندفع آدم إليه يحتضن ساقه ويرفع إليه وجها مبتسما ليتفاجأ أحمد به .. فقد أصر الصغير مرافقتها حين علم أنها ذاهبة إليه .. حيث يبدي اهتماما غريبا بأحمد .. فخمن البعض ربما لأن أحمد قريب الشبه من والده سهيل ابن عمتها رحمه الله .. فلا يوجد تفسيرا منطقيا آخرا لأن يعطي آدم اهتماما به إلى هذا الحد العجيب .. خاصة وأن أحمد ليس من الشخصيات التي تجيد التعامل مع الأطفال أو لديه أي خبرة في ذلك.. وتعترف بانها تراقب بكثير من الاستمتاع حالة الارتباك النادرة التي تظهر عليه حينما يبدى هذا الصغير اهتماما به ..



ربت أحمد على رأس الصبي ثم التف ليرى مع من أتى فتفاجأ بها .. ثم أولاها ظهره متجاهلا فكتمت ضحكتها وهي تراه غاضبا منها لأنها لا تصعد لغرفته في الليل ولو لفترة قصيرة كما يطلب منها كل ليلة .. وحيت الحاضرين ثم قالت " أحمد أريدك قليلا "

لم يستجيب على الفور .. لكنه اضطر للالتفات بعد ثوان فنظرت له ببراءة الأطفال .. ليهمس لها ببعض الخشونة " ماذا تريدين ؟"

ردت بإغاظة والشقاوة تطل من عينيها " لم تتحدث معي على الإفطار " .

رد وهو يتحاشى النظر إليها كطفل عابس" من الجيد أنك لاحظت ذلك وسط شعبيتك الكبيرة بين عائلتك ومع نساء البلدة والتصاقك بوالدك ".

ابتسمت لهيئته الغاضبة وردت " ليس بيدي صدقني .. فأنا أعتبر حدثا فريدا الكل يحتفي

Des. Maryam Tamim

برجوعي .. كما أنهم يصدقون أني عروس بالفعل ومصرين أن يحضّروني للحفل كعروس بكر "

مسح على تفاصيلها بنظرة مشتاقة ثم سألها باهتمام " وكيف يحضّرونك ؟"
ابتسمت وقالت متجاهلة لسؤاله " لماذا لم تأخذ المرهم معك .. اعطني ساعداك لادهنهما ستمزق جلدك بالهرش. "
سألها " ماذا سترتدين في الحفل.. فستان عروس؟"
اشرقت ابتسامتها على روحه وقالت بدلال أشعل أعصابه " لن أرتدي فستان زفاف طبعا .. ولكني سأرتدي عباء مطرزة فالأمر أشبه بمأدبة كبيرة على شرفي لتعريفهم رسميا بزوجي "
ابتسم لابتسامتها وقال " لكن والدك يمنعك عني فهذا يعني أني سأتزوج للمرة الثانية .. هذا جيد بقي اثنتان "
ردت بعدم فهم " لم أفهم "

[3298]

فوضع يديه في جيبي بنطاله ورد متسليا " مثنى وثلاث ورباع " وراقب ما تلا ذلك في عينيها من تأجج نيران الغضب .. مع تورم كرامة أنثوية وميل للقتل .

شمخت بأنفها وقالت " لا بأس فلنتزوج مرتين أخريين .. ما رأيك في الذكرى العاشرة مثلا والذكري الخامسة والعشرين نقيم حفل زفاف جديد؟"

اقترب منها وشدها من يدها فجأة وهو يستدير للشباب المنكبين على العمل قائلا " سأعود بعد قليل"

ثم تحرك يسحبها بحزم فهمست معترضة " أحمد انتظر .. أحمد سأقع على وجهي.. الشباب يحدقون فينا !!"

في غرفة قريبة هي ما بقيت من بناء ضخم كبير يستخدمها العاملون في المشروع حاليا كمكان لتغيير الملابس ووضع متعلقاتهم الشخصية أثناء العمل

أدخلها وأغلق الباب الخشبي المركب حديثا للغرفة وألصقها بالحائط ببعض الخشونة ليسند يديه جانبها يحاصرها ثم قال والحمم تتأجج في عينيه " علي أن أشبع من المرة الأولى أولا قبل أن أفكر في الزواج منك للمرة الثانية والثالثة والرابعة " عطره الممتزج برائحته المرخية لأعصابها تسرب لأنفها فردت هامسة " ربما عليك نسيان بانة الأولى بكل ما فعلته بك وتتعرف على بانة الثانية " تسارعت أنفاسه وهو يرسم ملامحها التي يعشق تفاصيلها وهمس مقربا شفتيه من شفتيها " أنا عشقت بانة واحدة وانتهى الأمر .. بانة القديمة وبانة الجديدة وبانة المستقبلية .. بانة في هيئة الذكر وبانة في هيئة الأنثى الفاتنة المتأججة للحمم في شراييني .. وبانة العجوزة متجعدة الوجه متقدة العينان والروح في المستقبل "

واقترب يطبق على شفتيها بشوق لكنها انفلتت من تحت ذراعه وفتحت الباب وأسرعت تجري وهي

Des. Maryam Tamim

تطلق ضحكتها .. فجز على أسنانه غيظا وخرج وراءها .. ليجدها تقف بعيدا خلف الغرفة تداريها الأشجار عن موقع البناء تضحك بتسلي فتمتم بغيظ "أصبحت شقية يا بانة "

لعبت حاجبيها وأخرجت لسانها تغيظه وهي ترجع بظهرها وتقول " عليك أن تعتاد على ذلك من الآن فصاعدا " ..

ضيق عينيه متصنعا الامتعاض يداري خفقان قلبه بسعادة لرؤيتها بهذا الانطلاق .. يستكشف جوانبا جديدة من شخصيتها طمستها المحنة قبل أربع سنوات تتكشف تباعا منذ أن وطأت قدماها أرض الوطن فأخذته في رحله تعريفية بعنوان (كيف كانت بانة قبل أربع سنوات).. وها هي تشاكسه بشقاوة فتاة في العاشرة ..وخصلة عسلية تلمع تحت ضوء الشمس فرت من تحت حِجابها تشاركها إغاظته ..

Des. Maryam Tamim

تقدم بخطوات سريعة نحوها وقد تخلي عن التمسك بقناع الامتعاض لتظهر السعادة على وجهه تدريجيا ..يحاصرها فتهرب .. يأتيها يمينا فتجنح إلى اليسار .. يتوعدها فتقهقه بتسلي .

قال بغيظ " ستجعليننني أؤذي ركبتي "
رفعت كتفيها بثقة وردت " إذن دعني أذهب "
رد بعند " ليس قبل أن آخذ ما أريد "
تمايلت بدلال فانفلتت أعصابه أكثر وهي مستمرة في الضحك .. قرأ لغة جسدها فخمن أنها تخطط للهروب من ناحية اليسار .. وبمجرد أن همت بالتنفيذ قام بقفزة سريعة مباغتة ليلف ذراعيه حول خصرها ويستدير بحرك خاطفة يلصقها بجذع الشجرة وتوقف أماها يلهث فسرت رجفة لذيذة في أعصابها وهي تستنشق أنفاسه الرجولية المختلطة بعطره ..

Des. Maryam Tamim

تخجل من أن تبوح بأنها اشتاقت إليه وأنها تتلوى طول الليل تحاول النوم لكنها لا تفكر سوى فيه .. مترددة هل تذهب إليه أم إن هذا الأمر قد يزعج والدها .. ولم تفهم لم عمد لتفريقهما حتى يوم الاحتفال بعودتها وتعريف أهل البلدة به رغم أن قصة ابنة الخوازن التي عادت بعد غربة أربع سنوات تتأبط ذراع زوجها الوسيم الأسمر انتشرت في كل بيوت البلدة كالنار في الهشيم قبل أن يأتي عليهما مساء أول ليلة في دار الخوازن .. وبعد أن قرر أحمد المشاركة في بناء مجمع الأديان لم يبقى ولا حتى طفل صغير لم يعرف من هو وصهر أي عائلة .

غرس أصابعه في خصرها ودفن وجهه في عنقها يستنشق رائحتها التي إحتار في تحديد وقعها عليه هل تمنحه السكينة وتروض وحوشه أم تشعل الحمم السائلة في أعصابه وتثير الجنون والعربدة في مشاعره .. وأغتاظ من حجابها الذي يمنعه من

دفن أنفه في لحمها فود لو يمزق كل ما يقابله من قماش ليستنشق عبيرها دون قيود ..

بينما قبضت بانة على قميصه تستخدم بعض العبارات من تلك اللغة التي تعلمت منه بعض مفرداتها .. فأمسك بوجهها بين يديه لينقض على شفتيها يلتهمها باشتياق .. وكأنه حرم منها لسنين طويلة .. فارتجفت راغبة في المزيد منه .. لكنها كانت أكثر منه وعيا أنهما في مكان عام خلف الأشجار .. لتفلت من بين جمر شفتيه فسمعت منه زمجرة اعتراض قبل أن تهمس أمام وجه وهو يلصق جبينه بجبينها محدقا في عينيها من هذا القرب منتشيا بطاووسية بانعكاس صورته في مقلتيها " أحمد نحن في مكان عام " .

رد بأنفاسه الساخنة وهو يشدد من احتضان وجهها بين يديه بتملك " وهل تركت ذرة عقل

Des. Maryam Tamim

لأحمد ليستعين بها ؟.. انني أوشك على أن أدور ببلدتكم بطبلة صغيرة كالمجاذيب أخبرهم أني قد فاض بي ولم أعد أقوى على الانتظار "
تحدثت ببعض الغنج الذي استفز مشاعره الذكورية " كنت من قبل تتحمل وقتا أطول من ذلك .. لم يمر سوى ... "
قاطعها يقول بحرارة " لم أعد أستطيع المقاومة يا بانة .. أعصابي استهلكت .. وقلبي تملكتيه .. وعقلي سيطرتي عليه .. وحياتي كلها أصبحت لك .. وصرت لست قادرا على تحمل بُعدك .. أريدك بكليتك .. لم أعد قادرا على التحمل " .

طوقت جذعه بذراعيها فأحاطها هو الآخر لتدفن وجهها في عنقه ترتجف بين ذراعيه .. وتتلذذ باستكشاف مشاعر أنثوية بداخلها لأول مرة . .
فاحتضنها بقوة يهمس" انتظرتك كل ليلة يا قاسية القلب "

Des. Maryam Tamim

همست " لم أريد أن أغضب أبي ..(ورفعت وجهها المدفون في عنقه لتستقر بذقنها على صدره واكملت ببعض التردد) وأعتقد أنك ستتحمل أكثر من ثلاث أيام أخرى "

أبعدها ببعض الخشونة وقال بلهجة خطرة " ماذا تعنين بهذا الكلام ؟؟؟.. (ثم همس بإحباط) الظروف الشهرية ؟؟!! "

تحكمت في ابتسامة خجلة وردت ببعض الارتباك " لا ليست الظروف الشهرية .. ولكني أشعر بالحرج .. كيف سأفعل ذلك في بيت أبي يا أحمد تخيل أن أكون وأنت ... و .. وأبي وأعمامي بنفس البيت كيف سأحرر مشاعري في موقف كهذا "

مد كلتا يديه أمام وجهها وهو يجز على أسنانه بعنف يريد أن يخنقها وتمتم بغيظ " الحل أن أقتلك وأستريح "

فأغمضت عينيها بقوة تنكمش ملتصقة بجذع الشجرة متحاشية رد فعله لتتفاجأ به يمسك

Des. Maryam Tamim

بوجهها بين يديه ويلتهم شفتيها في قبله جامحة عنيفة لم تدري هل كانت انتقاما أم شكوى مُرة إليها أن ترفق بحاله " فقبضت في قميصه بعنف تستمع لشكواه باهتمام بالغ ..

" ماذا تفعلان ؟؟؟ "

سألها آدم ببراءة وهو يرمش بأهدابه الكثيفة ليفرج أحمد عن شفتيها بسرعة ويشيح بوجهه الناحية الأخرى يحاول لملمة مشاعره بينما كتمت بانة صرخة قصيرة تزيـح يدي أحمد من جانبي وجهها ونظرت لآدم بارتباك وتأتأت " نفعل .. نفعل .. "

فتنحنح أحمد وهو يعتدل ورد " الخالة بانة تعرضت لضيق تنفس وكنت أنفخ لها الهواء لتتنفس "

ضربته بانة بخفة على صدره بقبضتها كاتمة ضحكتها بوجه متخضب بالحمرة .

Des. Maryam Tamim

فجرى آدم فجأة يصيح بأعلى صوته " الخالة بانة تعرضت لضيق تنفس والعم سماحة ينفخ لها في فمها "

لطمت بانة على وجهها بجزع بينما هرول أحمد خلفه بسرعة والتقطه من الأرض بذراع واحدة يقول له " هذا سر يا أدم لا تخبر به أحدا أرجوك"

فرمش بأهدابه وسأله ببراءة " لماذا ؟"

نظر احمد لبانة التي اقتربت منهم تضغط على شفتيها التي كانت وليمته منذ قليل بنظرة غيظ ثم قال للصبي " لأن الخالة بانة لا تريد أن يعرف أحد أنها مريضة .. هل تعدني ألا تخبر أي شخص وعد رجل لرجل ؟" ومد يده له ليسلم عليه فمد آدم كفه الصغيرة له وأومأ برأسه يعده .

ليقول أحمد " ما دمت قد وعدتني وعد الرجال ما رأيك أن أعلمك كيف تصنع حصانا خشبيا ؟ "

Des. Maryam Tamim

تحمس آدم وتلألأت عيناه بالنجوم بينما التفت أحمد لبانة وهو يرجع بظهره حاملا آدم الصغير من خصره وتمتم من بين أسنانه " حسبي الله ونعم الوكيل.. لقد أضحيت وأنا في هذا العمر مراهقا يقبض عليّ بارتكاب فعل فاضح في الأماكن العامة"

.

أفلتت منها ضحكة متسلية قصيرة قبل أن تكتمها بقوة وتطالعه بملامح مخضبة بالحمرة فحدجها بنظرة انتقامية متوعدة

***

خرج عمرو من الحمام في عجلة فلم يعد لديه وقتا عليه أن يلحق باجتماع هام .. بعد أن جاء منذ دقائق من ليلته التي قضاها في المستشفى مع وائل ليبدل ملابسه ويتحمم سريعا .. لكنه تسمر وهو يرى أروى تنام على الأرض ترفع ساقيها على السرير وتقوم برفع جذعها نحو ساقيها فابتلع ريقه وسألها وهو يرتدي ملابسه " ماذا تفعلين ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت وهي تنهت مستمرة في دفع جذعها نحو السرير بنصف استقامة ثم تعود للاستلقاء مجددا

" طبيبة العلاج الطبيعي أوصت أن أقوم بتلك التمارين يوميا "

تفحص تفاصيلها بنظرات متوهجة ثم قال " لمَ أنت لئيمة يا أروى ؟"

رفعت وجهها المتعرق إليه وقالت باستنكار " أنا؟؟!! "

رد عليها " أخبرتك أن لدي موعدا هاما وتريني متعجلا .. فأخرج من الحمام لأجدك بملابسك الداخلية تقومين بهذه التمارين " .

قهقهت ثم قالت "هذا رداء رياضي وليس ملابس داخلية .. كما أني سأقوم بالتمارين سريعا وسأحتاجك لأن تعيدني للكرسي قبل أن تذهب لعملك لأني أكون خائرة القوى بعدها .. "

Des. Maryam Tamim

رد عليها وهو لا يزال يتفحصها رغم استمراره في ارتداء ملابسه " أليس ذلك الشورت وتلك القطعة الفوقية ملابس داخلية ؟"

عادت لتمارينها وقد تخضبت بالحمرة وردت " بل رداءً رياضيا "

اقترب منها ونزل إلى جانبها قائلا وهو يلتهم تفاصيلها عن قرب ويمد كفه ليستكشف ما تقع عليه عيناه " من منا الآن الذي يتواقح ثم يحمر خجلا !! "

تحكمت في ضحكة شقية وقالت " عمرو اتركني أنتهي بسرعة من التمرين قبل أن تذهب .. أمامي دقائق قليلة "

قال بأنفاس ملتهبة " ماذا فعلت ؟.. أنا اساعدك في تمارينك "

أبعدت يديه وقالت موبخة" أنت ترخي أعصابي"

رد بلهجة ذات مغزى " هذا جميل "

Des. Maryam Tamim

ردت بغيظ " ليس جميلا من أين سأستحضر القوة للقيام بالتمارين إذن "

رد ببساطة " أنا سأساعدك .. (وتأملها قليلا ليضيف) هل تعلمين أنك تناسبين لأن تكوني موديل لعرض الملابس ذات القطعتين كالذي ترتديه هذا .."

قهقهت برقه ثم سألته " ومن الجمهور ؟ "

فرد بعينين مشتعلتين " عرض حصري لعمرو القاضي موثق بعقد زواج"

شاكسته تقول "هذا عقد احتكاري إذن "

قال مؤكدا وهو يميل عليها " احتكاري واستبدادي .. فمن حكم فيما يملكه فما ظلم "

وأطبق على شفتيها .. فقبلته بشوق ثم همست بعد أن أعطاها فرصة للتنفس " انتظرتك أمس أن تتصل بي ثم غلبني النوم "

رد هامسا "آسف .. كنت أود الاتصال بك لكني انشغلت بالصلاة .. بعدها سقطت نائما على الكرسي بجوار وائل منهك القوى "

قالت وهي تتحسس لحيته " لماذا تصر على التواجد معه رغم أنه في غيبوبة ولا يشعر بكم "

رد بهمس " لأن ماجدة تصر على المبيت بجانبه فنقسم أنا وسيد وأمير الليالي فيما بيننا حتى لا تبقى وحدها في رواق المستشفى .. فهو لا يزال في غرفة العناية المشددة ولا يسمح بوضع سرير لمبيت مرافق "

سألته بقلق " أمازلت قلقا لهذا تستزيد في العبادة هذه الايام ؟"

أومأ برأسه .. فهمست" نسأل رب العرش العظيم اللطف بنا في قضائه وقدره "

رد بهدوء " ونعم بالله"

سألته "ألم تتأخر على اجتماعك ؟

Des. Maryam Tamim

تفاجأ بالوقت لينتفض واقفا فقالت بسرعة قبل أن يتركها " أعدني للكرسي"
ضيق عينيه وقال مشاكسا " ألم تتزلي بمفردك إلى الأرض لتتخذي تلك الوضعية المعذبة "
ردت " الآن عضلاتي منهكة"

أنحنى ليحملها ويجلسها على كرسيها ثم قال " اليوم أمير من سيبيت مع وائل .. ما رأيك أن نحضر لجلسة تدليك اليوم (وتفحصها بعينيه وتمتم) وترتدين هاتين القطعتين الداخليتين "
قهقهت وردت" قلنا ليست قطعا داخلية"
غمغم وهو يغادر مسرعا " أيا كان المسمى .. استعدي للجلسة .. السلام عليكم"
سارت بكرسيها خلفه تقول " أنت نسيت أن تحضر لي الدواء الذي طلبته منك أمس على الواتساب .. هل ستستطيع أن تطلبه لي من الصيدلية أم أتصل بهما في الهاتف .. إن دكتور

Des. Maryam Tamim

صمويل كبر في السن ويسمع أحيانا أسماء الادوية خطأ ونعذب فتى الصيدلية جيئة وذهابا "
قال وهو يفتح الباب " سأمر عليه الآن وأترك له أسماء الادوية "
قالت " أطلب منه أن يأتي بعد ساعة حتى أكون قد انتهيت من أخذ حمامي "
لكنه أغلق الباب خلفه مسرعا ..

بعد قليل كانت أروى بالحمام فرن جرس الباب فعجلت لتنتهي وهي تتمتم بغيظ " قلت يحضر بعد ساعة "
لكنها لم تسعفها حالتها للإسراع في فتح الباب وكادت أن تنزلق مرتين وحين وصلت للباب كان قد انصرف ..

***

بعد دقائق فتحت عفاف الباب تطالع فتى التوصيل في الصيدلية وتقول بعصبية " لمَ تلح بالضغط على

Des. Maryam Tamim

الجرس بهذا الشكل ؟ .. مرة واحدة وانتظرني لأفتح"
مد يده لها بكيس أدوية فقالت " أنا لم أطلب شيئا"
رد الفتى وهو يغادر " لقد طلبوها في الدور الثالث
وضغطت على الجرس كثيرا لم يفتح أحد "
فسألته " أين الفاتورة ؟"
رد متعجلا " لم يعطيني الدكتور صمويل أي فاتورة "

قالها واختفى داخل المصعد الذي أغلق أبوابه في الثانية التالية .. فنظرت بداخل الكيس وتمتمت " كل هذه أدوية يدفع ثمنها ابني .. حرام والله .. ما ذنبه المسكين .. ما ذنبه ! "
ألقت بالكيس على الأريكة .. ثم تحجرت فجأة لتعود إليه وتفتحه وتخرج منه علبة دواء معينة .. لتجحظ عيناها بصدمة وهي تضع كفها على فمها تكتم صرخة كادت أن تفلت منها

Des. Maryam Tamim

***

وجدت أنجيل الصغيرة رسالة على الماسنجر من صديقها مايكل يقول " كيف الحال عندك ؟" كتبت وهي تمسح دموعها التي سقطت وحدها بمجرد أن سألها عن والدها " لا جديد "

مايكل : ألم يستيقظ والدك بعد .

أنجيل : لا للأسف ..

مايكل : ووالدتك هل مازالت بجانبه ؟

أنجيل : أجل وتمنعنا من الذهاب إليه لكني لن أستطيع الذهاب .. لن استطيع أن أرى أبي حبيبي غائبا عن الوعي .

مايكل : كنت أود أن أقف بجانبك يا أنوش لكنك ترفضين لقائي .

Des. Maryam Tamim

أنجيل : قلت لك مايكل لن استطيع أن أفعلها .. قد ندبر لقاء في النادي بعد أن يستيقظ أبي بإذن الله .. وإياك عن تفعل ما فعلته أمس مجددا وإلا لن أتحدث معك ثانيا .

مايكل : أغضبت مني لأني عرضت عليك أن آتي إليك في البيت لأرى ماذا تحتاجين أنت وأختك!

أنجيل : قلت لك أننا تقريبا مقيمين هذه الأيام عند جدتي ولا نذهب لشقتنا إلا لإحضار بعض الملابس أو ما نحتاجه .

مايكل : كنت أود أن أراك على الحقيقة .

تخضبت بالحمرة وتفحصت صورته الوسيمة على الفيسبوك وكتبت " وأنا أيضا عندي فضول أن أراك على الحقيقة ."

مايكل : ألن ترسلي لي المزيد من الصور .

أنجيل : يكفي ما ارسلته لك .

Des. Maryam Tamim

مايكل : ألا يوجد عندك صورة برداء قصير أو ملابس البحر .. عندي فضول لأرى جسد حبيبتي..
مايكل : أنا أشتاق لك يا أنوش حتى وأنا لم أرى منك سوى صورتك ولا أعرف ماذا سأفعل حين أراك على الحقيقة فأنت رغم صغر سنك جميلة جدا .. لا أعرف حين تكبرين أكثر كيف ستصبحين ..
مايكل : سأذوب من الغيرة تأكدي من الآن ..
مايكل : أنوش ..
مايكل : أنجيل هل ما زلت معي ؟.
ترددت قليلا وازدادت خفقات قلبها الصغير ثم كتبت .
أنجيل : أنا موجودة ؟
مايكل : هل سترسلين لي مزيدا من الصور ؟
أنجيل: لا لن أستطيع .. وإياك أن تطلب مني مرة أخرى صورا غير محتشمة .. وإلا لن أتحدث معك مجددا.
مايكل : حبيبتي أنا أعتذر هل أنت غاضبة مني؟

Des. Maryam Tamim

مايكل: أنوش ؟ ..
مايكل : لأني أحبك لا أطيق أن أنتظر ..
مايكل : حسنا أنوش أنا أسف سامحيني لن أطلب منك هذا الطلب مرة أخرى سامحي مايكل حبيبك.

" ماذا تفعلين ؟؟"
قالتها ميري وهي تدخل عليها الغرفة فجأة فأجفلت أنجيل وأغلقت الحاسوب المحمول بسرعة وهي تمتم " لا شيء "
ضيقت ميري حاجبيها وسألتها بشك " ما بك لمَ ارتبكت حين دخلت ؟ "
ردت أنجيل ببساطة " لم أرتبك كنت أتحدث مع إحدى صديقات المدرسة "
قالت ميري " أنا ذاهبة للتمرين .. السائق ينتظر بالأسفل .. لا تتركي الجدة أنجيل وحدها"

Des. Maryam Tamim

حضنت أنجيل الصغيرة نفسها وأومأت برأسها
قبل أن تنظر ميري للابتوب نظرة سريعة وتغلق
باب الغرفة وراءها "
***
فتحت أروى الباب وهي تجر كرسيها للخلف قليلا
وشعرت بالمفاجأة حين وجدت أمامها عفاف
فتمتمت " أهلا خالتي"
ردت عفاف وهي تتأملها بنظرة غامضة " أهلا"
لم تريحها الملامح الغامضة التي تعلو وجه عفاف
فسألتها بارتباك" هل حدث شيء ؟"
ردت عليها باستخفاف " وهل لابد أن يحدث شيء
لأدخل شقة إبني !!"
تحرجت أروى وعادت بالكرسي للخلف قليلا
وقالت بينما أغلقت عفاف الباب " لا أقصد أهلا
وسهلا أنا فقط أطمئن عليك "
مطت عفاف شفتيها بامتعاض ولم ترد .. فبادرت
أروى بالسؤال " كيف حالك الآن ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت باقتضاب " نحمد الله"
سألتها أروى " وكيف حال سماح ؟ .. عمرو أخبرني أنها منهارة .. أشعر بالأسف عليها .. أخبريها ألا تحزن إنها صغيرة وجميلة .. وسيأتيها من يقدرها بإذن الله "
أطلقت عفاف ضحكة قصيرة ساخرة لم تفهم أروى معناها ثم سألت وهي تتفحص المكان حولها" أين علية ؟"
ردت أروى " مريضة ولم تأتي منذ أمس "
علقت عفاف ساخرة " لهذا الأكواب والأطباق على المنضدة كما هي .. هل يا ترى ستنتظر إبني أن يأتي متعب آخر اليوم ليحملهم وينظف المكان"

جزت أروى على أسنانها وردت وهي تحاول التحكم في أعصابها " حضّرت الإفطار لعمرو لكنه غادر متعجلا .. عموما أنا استعمل غسالة الاطباق .. وكنت أقوم ببعض التمارين أولا"

Des. Maryam Tamim

قالت عفاف " لم تكن لتأخذ منك خمس دقائق"

أخذت أروى نفسا عميقا وشمخت بأنفها تقول بهدوء " هذا ما أقرره أنا ؟"
عقدت عفاف حاجبيها وهتفت " ماذا تعنين ؟"
ردت ببرود " أعني أني أنا من يقرر في شقتي ماذا أفعل ومتى "
صاحت عفاف بعصبية " إنها شقة إبني أنا ".
ردت أروى ملتزمة بالهدوء " وزوجي .. أي شقتي أنا.. أنا الزوجة صاحبة المكان هنا "
قالت عفاف بغيظ " هل ستتواقحين؟؟"
ردت أروى ببرود متكتفة غير قادرة على السكوت فالأمر زاد عن الحد المحتمل " أنا لست وقحة .. ولا أعرف بالضبط ما مشكلتك معي ؟ .. أنا وعمرو متفاهمان والحمد لله وكل منا يبذل بقدر ما يستطيع ليسعد الأخر "

Des. Maryam Tamim

صاحت عفاف بغل " بل إبني من يبذل المجهود ويتعب .. ماذا تفعلين أنت له أخبريني؟ .. بحالتك هذه ماذا تقدمين له؟؟"

شعرت أروى بالغضب فردت " وماذا ينقصني عن باقي الزوجات لا أفهم ؟؟ .. هل قدماي هي ما تنقصني؟ .. هل لو كنت أسير و أتحرك في المنزل سأكون زوجة صالحة في نظرك؟؟؟.. (وصمتت قليلا تحلل كلامها ثم صاحت بغيظ)

هل الزوجة خادمة ؟؟؟ .. مهنتها الأساسية خادمة؟؟؟ .. هل نحن في عصر الإماء !!!

.. وما المشكلة أني أستعين بفتاة تساعدني .. أنت لديك واحدة .. وأمي تستعين بأم شهد ... فما المشكلة لا أعرف ؟؟؟ .. (ابتلعت ريقها لتكمل) .. وحتى لو كنت أسير على قدماي .. ما المشكلة أن أستعين بمن يساعدني ؟؟.. إن كانت ظروفنا المادية تسمح فلم لا أدلل نفسي .. فإن كان السبب الذي تزوج من أجله عمرو هو أن يجد من ينظف

Des. Maryam Tamim

ويرتب له ويهتم بشئونه .. فلم يكن بحاجة للزواج إذن فأنت ما شاء الله تغطين هذا الجانب بجدارة وتهتمين بأدق تفاصيله.."

ردت عفاف متهكمة " تلك الأمور التي تفرق بينك وبين الخادمة يستطيع أن يحصل عليها من أي أنثى .. فكلنا إناث .. بل إن هناك من هن أجمل منك بكثير .."

انفلتت أعصاب أروى ولم تقدر على ابتلاع الإهانة أكثر من ذلك لتصيح بقوة " أنا لا أسمح لك .. لا أسمح لك ابداً أن تختصري علاقتي بعمرو لعلاقة فراش .. أو تختصريني أنا كأروى لوعاء يفرغ فيه شهوته.. (وسكتت لثانيتين غير قادرة على استيعاب ما تقصده عفاف ثم صاحت فيها) ما هذا التصور البشع الذي تضعينني فيه!!"

صاحت عفاف بغضب " لا تعلي صوتك أمامي "

Des. Maryam Tamim

ردت عليها أروى بكبرياء وتحدي وبصوت أعلى " بل سأعلي صوتي .. سأعليه .. لست أنا تلك المرأة الخنوعة التي تعتقدينها .. أنا أروى سماحة وأعرف قدري ووضعي جيدا .. ولا يضعفني أو يجعلني أصبر على ما يصدر منك سوى حبي لعمرو .. بل عشقي له .. وقد أقبل أن أتخلى عن كرامتي أمامه ومعه .. لكني لن أقبل هذا من غيره مهما يكون.."

ضربت عفاف كفا بكف تتمتم مستنكرة " أين الباشمهندس المبجل ليري كيف تتواقح زوجته على والدته .. أهذا هو بر الوالدين الذي يتشدق به"

ردت أروى بغيظ " بالمناسبة أنت تتعاملين مع بر الوالدين بتسلط "

لاح الغضب على وجه عفاف لتصيح " ماذا تقولين انت ؟؟؟"

ردت أروى بإصرار " أقول لك مالا يستطيع أن يقوله لك عمرو حتى لا يحزنك .. أو يصدمك ..

Des. Maryam Tamim

أنت تذلينه ببر الوالدين هذا .. تحولينه إلى عبد عندك مستغلة حبه الشديد لك ورغبته في الفوز بالجنة .. تتحكمين في تفاصيل حياته بتدخل عجيب .. وهو لا يريد أن يجرحك ويصبر ويصبر.. ويخبرك مراروتكرارا ألا تقلقي بشأنه ولا تتدخلي في تفاصيل حياته فقد أصبح رجلا ومسئولا عن حياته ..لكنك ستقودينه يوما ما للانفجار .. ووقتها سيرتكب مالا يتحمله ضميره"

صاحت عفاف بتعالي " من أنت لتعرفي إبني أكثر مني؟؟؟"

ردت أروى بحزم فلم يعد هناك فرصة للتراجع " بالمناسبة ليس بالضرورة لأنك أمه أن تعرفيه كما يجب .. أحيانا خوفنا الشديد على من نحب أو عاطفتنا القوية تجاههم يعمينا عن فهم احتياجاتهم بالشكل الصحيح .. (ثم استطردت لتقول بلهجة ذات مغزى) أنا أرى أن الله قد مَن على عمرو برجاحة العقل بعد أن بذل مجهودا

Des. Maryam Tamim

مضنيا ليكون إنسانا متوازنا .. فلولا ذلك لأصبح مدلل أمه بهذه الطريقة التي تتعاملين معه بها .. ابنك ليس صغيرا وليس ساذجا كما توهمين نفسك .. ويملك من رجاحة العقل ما شاء الله ما يجعله فخرا لك ولوالده رحمه الله ولي كزوجة .. أتركيه أن يرعاك هو .. ولا تحملي همه .. فهو يعرف كيف يبصر الأمور .. وثقي أنه ..... "

قاطعتها عفاف صائحة " من أنت لتنصحيني !! .. وماذا رأيت من الحياة !!.. وماذا تعرفين كيف ضحيت من أجله وتعبت من أجله !!"

ردت أروى بكبرياء " أنا زوجته .. وما فعلتيه من أجله تفعله كل النساء لأبنائهن .. ولو فعلت أكثر مما تفعله النساء فذلك بدافع حبك له .. ولم تفعليه لتذليه وتطالبيه بأن يقيم لك تمثالا يتعبد فيه جيئة وذهابا .. ما فعلتيه من أجله وتظنين أنك ضحيت به لا تطلبي عليه أجرا .. وإلا كيف ستحصلين على أجرك في الآخرة عما بذلتيه من

Des. Maryam Tamim

أجل أولادك وأنت تطالبين به في الدنيا؟!! ..
أتضحين من أجله .. ثم تحولي حياته إلى جحيم إن
لم يقم لك تمثالا !! "
ظهر جنون الغضب على وجه عفاف لتصيح " ما
عمرك أنت لتعلميني الحياة ؟"
صاحت أروى تقارعها " عمري لا يفرق فهناك
شباب صغار يتحملون ظروفا أكثر من أعمارهم
بأضعاف والعكس صحيح .. فالعمر ليس بالضرورة
يعبر عن رجاحة العقل و... "

قاطعتها عفاف بذهول تصيح " رجاحة العقل
؟؟؟!!!... تقصدين أني مجنونة؟!!! .. أتشتمينني يا
ابنة إلهام؟!!"
صرخت أروى وقد فقدت قدرتها على التماسك "
نعم أنا ابنة إلهام .. ما بها إلهام؟؟!!! .. أنا يشرفني
أن أكون ابنة إلهام وإبراهيم سماحة "

Des. Maryam Tamim

رن جرس الباب مصاحبا لطرقات بشكل ملح ... فتحركت عفاف بسرعة لتفتح .. لكن قبل أن تصل للباب فُتح بالمفتاح .. لتفاجأ أروى بعمرو وأمها وأبيها يدخلون وعلامات الفزع على وجوههم

قبل دقيقتين :

ضرب عمرو على زر المصعد بعصبية وكأن زيادة الضغط عليه سيسرع في نزوله بشكل أسرع .. وهو يتذكر مكالمة الحاج سماحة له منذ أقل من ساعة يسأله عن سبب طلب والدته أن يحضر الحاج بشكل عاجل إلى شقة عمرو .. فتفاجأ عمرو بهذا وحاول الاتصال بأروى وبوالدته فلم يجد مجيبا مما اضطره لترك اجتماعه المهم والعودة للبيت بسرعة مرعوبا أن يكون مكروها قد أصاب أروى . بمجرد أن خرج من المصعد أمام شقته فوجئ بما لم يقدر على استيعابه للوهلة الأولى .. فالحاج وإلهام على باب الشقة يضغطون على الجرس

Des. Maryam Tamim

بإلحاح .. بينما صوت أروى تصرخ بهستيريا يتدفق منها كلمات لم يستوعب معظمها في رحلته الطويلة جدا من باب المصعد لباب شقته رغم أنها لم تأخذ أكثر من ثلاث ثوان ليفتح الباب بمفتاحه ويدخل مبهوتاً ليجد أروى وأمه يقفان أمام بعضهما بتحدي واضح .

قال عمرو بصوت مبحوح " ماذا حدث ؟ لمَ صوتك يعلو بهذا الشكل يا أروى ؟؟"
اندفعت عفاف تقول بعصبية " زوجتك المصونة التي تزوجتها لترفع صوتها على أمك وتتواقح عليها "
صرخت إلهام بعصبية مماثلة " ابنتي ليست وقحة فاحترمي نفسك يا عفاف أنا صامتة وأبتلع سخافاتك بمزاجي "
نظر عمرو لأروى ليفهم الأمر فوجدها تنظر إليه بنظرة تحدي والغضب يشتعل في عينيها .. بينما

Des. Maryam Tamim

تدخل الحاج يقول بلهجة غاضبة لعفاف " لا يصح هذا الكلام يا أم عمرو نحن في بيتكم "
صرخت عفاف بانفعال " هذا تقوله لابنتك فهي لم تتعلم الأصول جيدا على ما يبدو"
صرخت إلهام تشير بإصبعها في وجه عفاف " أنا ابنتي تعرف الأصول يا عفاف وأنت ... "

"كفى !!! .. كفى !! " (صرخ عمرو بصرامة .. ثم استدرك ليحل الموقف دون خسائر فتصنع الهدوء ليقول) فلنقف عند هذا الحد وإلا سنقول ما لن ينسى بسهولة .. صلوا على رسول الله ."

توجه لوالدته ليسألها بحزم" لمَ طلبتي من الحاج والحاجة الحضور دون علمي يا أمي ؟"
نظرت إليه بغيظ مكبوت وقالت " ليعرفا ماذا تفعل بنت الأصول من ورائك .. ولا أستبعد أن تكون أمها تعلم بكل شيء وتخطط معها "

Des. Maryam Tamim

صرخت إلهام مهددة " احفظي لسانك يا عفاف..
فوالله الذي لا إله إلا هو .. أنا أمسك لساني عنك
كرامة للشيخ .. ولهذا الشاب الذي هو خسارة
فيك"
تدخل الحاج بصرامة " كفى يا إلهام أمسكي أعصابك
ولا تزيدي الأمر تعقيدا"
قال عمرو بعدم صبر " ماذا هناك يا أمي أخبريني من
فضلك إن الأمر يزداد سوءا "

أخرجت عفاف من جيبها علبة الدواء ولم تستطع
أن تخفي علامات الانتصار على وجهها وهي تقول
"ابنتكم تتناول حبوب منع الحمل دون علم إبني ..
(تبادل عمرو وأروى النظرات الذاهلة المصدومة
بينما أكملت عفاف) تحرمني وتحرم إبني من
الإنجاب وتوهمه أنها تحاول وهي تمنعه من الفرح
."

Des. Maryam Tamim

ضربت إلهام على صدرها ونظرت لأروى فأكملت عفاف بانتصار وهي تخرج من جيبها الورقة المكتوب فيها أسماء الأدوية بخط اليد وأضافت " فتى الصيدلية لم يجد ردا على الباب .. فصعد ليعطيني الأدوية لأتفاجأ بحبوب منع الحمل من بينها.. وقبل أن يدعي أحد أنها جاءت بالخطأ فها هي الورقة المكتوب بها الادوية المطلوبة ومن بينها اسم حبوب منع الحمل"

صرخ عمرو مقاطعاً " كفى يا أمي.. كفى .. لماذا لم تتحدثي معي أولا؟.. بدلا من هذه الفضائح (ثم أكمل بغضب لم يستطع التحكم فيه) كيف تتواصلين معهم وتطلبين منهم الحضور دون علمي وفي عدم حضوري ؟!"

Des. Maryam Tamim

حدقت فيه عفاف بذهول ثم صاحت بغضب "
هل هذا ردك على ما حدث؟؟ تركت ما فعلت هي
وتحاسبني ؟؟"
رد عمرو بصرامة " نعم يا أمي أحاسبك أولا على
التدخل في أمر يخصني دون الرجوع إليّ"

رفعت إليه ناظريها تصيح بغضب واستنكار " كيف
تتكلم معي بهذه الطريقة؟؟؟"
شعر عمرو بانفلات أعصابه بفعل المفاجأة فحاول
أن يهدئ من نفسه قبل أن ينزلق نحو الخطأ ..
فأشار لوالدته بالصمت بحزم ثم استدار لحمويه
يقول بصوت يحاول أن يسيطر فيه على انفعالاته
" أنا أعتذر جدا .. ولا أعرف ماذا أقول لكما على
حضوركما بهذا الشكل .. أنا كلي خجل منكما.. الأمر
بين أمي وزوجتي سأحله أنا بإذن الله .. تفضلا
اجلسا وسأضيفكما حالا "

Des. Maryam Tamim

صرخت عفاف بعصبية " هل هذا ما قدرت عليه؟؟؟ .. بعد أن علمت أنها تصرخ في وجهي وتتواقح علي .. بل وتتعاطى حبوب منع الحمل من ورائنا "

استدار إليها يقبض على كفيه بعنف في محاولة أخيرة للسيطرة وقال بصوت حاول أن يكون هادئا " صلي على النبي يا أمي ودعينا نلملم هذا الموقف السخيف الذي وضعتني فيه وسأشرح لك كل شيء .. وسأفهم منكما ماذا حدث "

لاحت علامات الصدمة وعدم الاستيعاب على وجه عفاف وقالت بحسرة " كنت أعتقدك رجلا ستنصف أمك وتكون حازما مع زوجتك .. لا أن تكون مرتبكا أمامهما بهذا الشكل"

هدر الحاج يقول " أنت تصرين على خراب البيت يا أم عمرو .. والذي يحدث الآن لا أقبله ولن أسكت عليه "

Des. Maryam Tamim

بينما ضرب عمرو على منضدة السفرة أمامه هاتفا"
لم أنت مصرة على تصغيري أمامهم لا أفهم ؟؟؟ ..(
وضرب مجددا بشكل جنوني خلع قلب أروى عليه
وأدركت أنه قد وصل لمرحلة الغضب الأعمى الذي
لن يدرك فيه ماذا يفعل بينما أكمل عمرو وهو
يضرب على منضدة السفرة) اتصلت بالناس دون
الرجوع إلي ـ.. أهنتيهم في بيتي وأمامي .. وكل هذا
من أجل ماذا من أجل موضوع الحمل؟؟ .. أنا وهي
متفقان على ذلك وهي لا تفعل شيئا دون استشارتي
.. ولو ركزت قليلا لعلمت أن الورقة التي بيدك هذه
بخطي أنا .. هل نسيت خط يد ابنك يا أمي ؟؟؟ ..
ثم كيف ستعطيهم أروى ورقة بخط يدها ؟؟..
هل ذهبت إليهم بنفسها فآخرها طلب الدواء عبر
الهاتف وليس بورقة مكتوبة !! "
أشفق الحاج على موقف عمرو فحاول التدخل
فقال بهدوء " صلي على النبي يا عمرو واهدأ قليلا ..
نحن لسنا أغرابا "

Des. Maryam Tamim

فرك عمرو جبينه يحاول الحصول على بعض الهواء فخلع قلب أروى عليه بينما عفاف متسمرة تحدق فيه بصدمة وعمرو يخلع رابطة عنقه و يفتح ياقة قميصه طالبا المزيد من الهواء ثم اتبعها بخلع سترته والإطاحة بها على الكرسي بعصبية وهو يتمتم " عليه أفضل الصلاة والسلام تفضل يا عماه .. تفضلي يا خالتي لم انتما واقفين ؟"

تكلمت عفاف فجمدت المشهد وتوقفت كل المساعي لتخطي الأمر حين قالت بصدمة " ماذا يعني كلامك ؟ .. هل كذبت علي؟.. كذبت على أمك؟؟؟"

استدار إليها عمرو يرد " أنا لم أكذب عليك يا أمي أنا فقط أخبرتك نصف الحقيقة .. وأخفيت النصف الآخر .. وتعمدت عدم اخبارك به لأن هذا القرار يخصني أنا وزوجتي .. ولم أريد أن أحبطك فيما تتمنين "

Des. Maryam Tamim

قالت بإصرار " أنت كذبت عليّ!!!! .. لم تفعلها مطلقا يا عمرو "

عاد عمرو للغضب يقول " ما المشكلة أني أخطأت اعتبريني أني كذبت .. أنا لست ملاكا يا أمي "

تمتمت عفاف بحسرة " هل سيطرت عليك للدرجة التي علمتك الكذب فيها على أمك ؟؟؟ ومن أجلها تقف تهدر بصوتك في وجهي وتتواقح وتستعرض رجولتك أمامهم على أمك !! "

تمت الحاج ضاربا كفا بكف يطحن على ضروسه بعصبية " لا حول ولا قوة إلا بالله "

بينما اشتعل الغضب الأعمى مرة أخرى يحرق أعصاب عمرو فهدر بعنف وعاد للضرب على المائدة " بل أنت المصرة على أن تطعنيني في رجولتي (يضرب على المائدة) أنت مصرة يا أمي .. أنت مصرة "

Des. Maryam Tamim

تدفقت الدموع من عيني عفاف وصاحت مذهولة "أنت لم تعد إبني الذي أعرفه أنت .. أنت.... أنت"

.

احتقن وجهها وجحظت عيناها حتى خرجت من محجريها فتوقف قلب عمرو عن الخفقان ومد يده إليها بحركة لا شعورية قبل حتى أن يستوعب ماذا يحدث .. لتشهق عفاف شهقات متتابعة تتوسل للحصول على الاكسجين وقد أمسكت بصدرها .. فصرخت إلهام وجرت عليها بينما سقطت عفاف قبل أن يدركها عمرو وهو يصرخ برعب "أمي .. أمي ما بك ؟؟؟؟؟؟"

شرقت وغربت عينا عفاف وهي تمسك بصدرها بقوة قبل أن تفقد الوعي تماما ..

بينما عمرو يصيح بجزع " أمييييي .. أم عمرو ... ردي علي .. أمييييي "

***

Des. Maryam Tamim

دخل آدم لغرفة أبا فراس يجري عليه بفرح ويقول
" جدي عبد الله أنظر لهذا الحصان الخشبي
الجميل "
نظر عبد الله بإعجاب حقيقي للحصان المصنوع
من الخشب في يد الصبي .. بينما ظهر أحمد على
باب الغرفة يلقي السلام ثم حدج بانة الملتصقة
بأبيها كالعادة بنظرة غيظ .. ردتها إليه بنظرة شقية
.
قال أبو فراس " الجميع بانتظارك للغداء يا أحمد"
فتمتم أحمد " سأتحمم بسرعة وابدل ملابسي
وألحقكما .. ثم أعود للموقع مرة أخرى "
سألته بانة مندفعة " هل ستسهر الليلة في الموقع
مجددا ؟"
حدجها بنفس النظرة المتوعدة ثم رد " علينا أن
نكثف العمل لننتهي منه سريعا ... كما أني لن أجد
ما أفعله إن قررت البقاء بعد الغداء "

Des. Maryam Tamim

تكلم آدم الجالس على سرير أبا فراس " جدي .. هل أخبرك بسر ؟ .. إن الخالة بانة تعرضت لضيق تنفس لكن العم سماحة نفخ في فمها فأنقذها" .
جحظت عينا أحمد الذي كان يتبادل النظرات مع بانة ولم يدرك ما يتفوه به الصبي إلا متأخرا فنظر لعيني أبا فراس المتسعتين اللتان يحركهما باستنكار بينه وبين بانة .. فتنحنح أحمد يتمتم وقد تصبب بالعرق " سأذهب لأستحم "
واختفى من على باب الغرفة بسرعة .. بينما تأتأت بانة تقول بارتباك " وأنا سأساعدهم في إعداد الطعام"
وأسرعت مهرولة بسرعة وقد اشتعلت النار في وجنتيها.
فتحكم أبو فراس في ابتسامة ملحة بينما تكلم آدم بهمس "لكن هذا سر يا جدي لا تقل لأحد "
نظر إليه أبو فراس بنظرة موبخة " ما دام سرا لمَ أخبرتني به الآن ؟!"

Des. Maryam Tamim

احمر وجه آدم بحرج ووضع كفه على فمه يكتم ضحكة متسلية متمتما " آسف "

فقال أبو فراس بحزم رقيق " الرجل لا يفشي الأسرار التي أؤتمن عليها .. أليس كذلك؟ "

أومأ آدم برأسه بابتسامة خجلة فقبّله أبو فراس على جينه ثم قال " هيا اذهب لتغتسل ولتستعد للغداء"

فجرى آدم يتركه بينما أمسك أبا فراس بالحصان الخشبي يتفحصه من جديد بإعجاب .

***

هل أخطأ ؟..

هل انفعل ؟..

أكان عليه أن يمسك أعصابه أكثر من ذلك ويتحمل الموقف المهين الذي وضعته والدته فيه؟..

بالطبع كان عليه أن يتحكم في أعصابه أكثر ..

أمه أخطأت لا جدال في ذلك ..

Des. Maryam Tamim

أحرجته .. بل كسرته وطعنته في رجولته .. وقصرت قامته أمام أهل زوجته لكن كان عليه أن يكون أكثر حكمة في التعامل مع الأمر .. لا يعرف كيف لكن كان لزاما عليه ذلك ..

هو السبب ..
هو من سبب لها ذلك .. بعدم حكمته.. بعدم تحكمه في أعصابه ..
أخذ يستغفر كثيرا .. ويدعو الله كثيرا .. ويلوم نفسه كثيرا.. وهو يجلس على الأريكة يفرك رأسه بكفيه حتى كاد أن يقتلع شعره وهو ينتظر الطبيب ليخرج ..
متمنيا أن تكون العواقب سلمية .. فلن يسامح نفسه إذا ما حدث لأمه مكروه لن يسامح نفسه أبدا ..

Des. Maryam Tamim

بعد قليل انتفض واقفا حين وجد الطيب يخرج من غرفة الطوارئ .. ولم يستطع حتى أن ينطق أو يسأل فبادر الحاج سماحة يسأل الطبيب بهدوء وقد استشعر حالة عمرو " طمئننا على الحاجة يا دكتور "

تكلم الطبيب" الحاجة أصيبت بجلطة في القلب "

تمتم عمرو وقد شعر أن قلبه تعتصره قبضة جليدية " جلطة !!"

رد الطبيب " نعم .. وقمنا بالإسعافات الأولية وحددنا حجم الجلطة وهي بسيطة الحمد لله .. نخضعها للمتابعة حاليا حتى نتمكن من إذابة الجلطة .. لهذا سنستضيفها لعدة أيام ونتابع حالتها .. أهم شيء عدم إرهاقها بالحديث أو الضغط عليها نفسيا وإن شاء الله ستكون بخير "

تمتم عمرو ببعض الراحة " الحمد لله .. الحمد لله .. هل استطيع أن أراها؟"

[3345]

رد الطبيب " بالطبع لكن أرجو عدم إرهاقها كما قلت "

تحرك الطبيب مغادرا بينما ربت الحاج على كتف عمرو بهدوء يداري استيائه مما حدث برمته وتمنى لها الشفاء ..

دخل عمرو عليها يتأمل جسدها الممدد على السرير وقلبه ينزف ألما على هيئتها وهي مغمضة العينين تتنفس عبر قناع الاكسجين ..فالتقط يدها ولثمها بندم يهمس " سامحيني يا أمي .. سامحيني يا غالية "..

فتحت جفنيها بصعوبة ثم اعادت إغلاقهما بإعياء واكتفت بأن ضغطت على يده التي بين يديها بضعف شديد .

أما في الخارج فكان الحاج سماحة يخرج من المستشفى رافعا هاتفه على أذنه يقول بصوت

Des. Maryam Tamim

مهموم ثقيل" سيد تعالى إلى المستشفى المركزي والدة عمرو مريضة ".
ثم أنهى المكالمة ليتبعها بأخرى " إلهام .. لا تقلقي هي بخير .. أصيبت بجلطة في القلب وقاموا بإسعافها وان شاء الله ستكون بخير .. اسمعيني يا إلهام وكفى ولولة .. اجمعي ملابس أروى وسأمر عليكما بعد قليل .. (ثم هدر فجأة بقوة جعلت المارين بالشارع يتطلعون فيه) اسمعي ما أقوله فورا .. سأمر بعد ساعة ولا أريد أي اعتراض ".
ثم أغلق الخط ليدخل سيارته ويصفع الباب بغضب .

***

بعد ثلاثة أيام :
إقامة الأعراس وسط الحطام أمراً يوحي بالصمود .. ويعزز الاحساس بالأمل في النفوس ..

Des. Maryam Tamim

يحمل رسائل ضمنية تحت عنوان " صامدون "
..فترفع من قيمة واحترام الإنسان الذي يقللها
المتسببون في الدمار ..
والحفل الذي أقيم بدار الخوازن كان بهذه النكهة..
نكهة(صامدون وسنعيد بناءها من جديد).

تأمل أحمد التجمعات الكبيرة التي لم يتخيل أن تستوعبها ساحة دار الخوازن رغم اتساعها .. وتأمل الأنوار المضيئة المعلقة تزين أسوار الساحة كأفرع زينة تتدلي من الأسوار التي تحيط بالدار والمنطقة التابعة لدار الخوازن في الساحة الخلفية .. حتى عواميد الكهرباء كانت مزينة بالأنوار الصغيرة المضيئة كنجوم متلألئة ..وقد جهز الخوازن الولائم لأهل البلدة.. يعرفونهم على صهرهم الآتي من بلد أخرى .. والذي شرفهم بتطوعه لتنفيذ الأعمال الخشبية لمجمع الأديان مشيرين بانبهار للشبابيك التي تم تركيبها بالفعل للمجمع المصممة

Des. Maryam Tamim

بطريقة الأرابيسك المتقن .. ووقف أكابر الخوازن وقد حضر بعضهم من المدن الأخرى إلى هذه المأدبة.. وقفوا في استقبال الضيوف والترحيب بهم وقد شاركهم أحمد الترحيب بالضيوف .

بينما بانة الجالسة في الناحية المخصصة للنساء تتأمل تفاصيله ووسامته ورقيه في التعامل .. ولم يخف عليها المجهود الذي يقوم به لإعطاء انطباع جيد رغم ما تستشعره من الإرهاق البادي عليه فهو ليس ذلك الشخص الاجتماعي أبدا وإنما تقتصر تعاملاته على علاقات العمل فقط دون غيرها حيث تشعره التجمعات الكبيرة بالانزعاج ..

راقبت والدها المستلقي على أريكة في الساحة بهيئة أوجعت قلبها .. أن يستقبل ضيوفه مستلقي بهذا الشكل .. لكنها عادت ونهرت نفسها أن تكون جشعة .. ألا يكفي أنها عثرت على والدها حي واطمأنت عليه؟! .

Des. Maryam Tamim

لم تتحدث مع أحمد طوال العزومة فقد كان مشغولا تماما مع الرجال .. لكنها كانت فخورة به .. وسعيدة .. سعيدة جدا .. رغم كل شيء انتصرت الفرحة بداخلها على الأحزان والذكريات السيئة حتى ولو كان انتصارا لحظيا مؤقتا .

وتخضبت بالحمرة وهي تتذكر أنها قضيت اليومين الماضيين تنقل بعض حاجياتها لذلك البيت الصغير الذي استأجره أحمد .. حيث تفاجأ الجميع أنه يصر على استئجار مكانا مستقلا ليسكنوا فيه الأيام المتبقية لهم هنا ..

المتبقية لهم ؟؟!!! ..
كلما فكرت في تلك الخاطرة وأنها ستضطر العودة مع أحمد ينخلع قلبها .. لكنها نفضت تلك الخاطرة حتى لا تفسد عليها الفرحة .. وعادت بأفكارها لذلك البيت الصغير الذي يبعد بضع أمتار فقط من

Des. Maryam Tamim

دار وأراضي الخوازن .. وهو بيت ضيق صغير من طابقين عبارة عن صالة ومطبخ وحمام بالدور الأرضي وسلم داخلي خشبي لغرفة نوم وحيدة واسعة ملحقة بحمام صغير بالدور العلوي .. وحوله أرض فضاء ..

البيت أحبته .. فبرغم صغر مساحته لكنه كان دافئا .. كما أن منظره فريدا وهو يقع وسط أرض فضاء واسعة تعطي له تفردا وتميزا كعلاقتهما تماما .. انتهت السهرة في وقت متأخر وودع أحمد آخر الضيوف ليتنفس الصعداء بعد كل هذا القدر من المجاملات التي لا تتحملها أعصابه رغم شعوره بالدفء وسط أهل بلدة بانة الطيبين .. وأدرك أمرا لم يفكر فيه من قبل .. أن البشر هم البشر مهما اختلفت عاداتهم ولهجاتهم ولغاتهم ..

تحرك منهكا مع شاكر وحميد .. وصقر الممتعض دائما الصموت إلى الأبد .. الذي يبادله النظرات

Des. Maryam Tamim

النارية .. فعلى ما يبدو أن كل منهما لا يميل للآخر .. وذهب لغرفة أبا فراس ليحييه ثم يأخذ بانة .. لكنه حين أقترب تسمر بجوار الباب المفتوح يسمع نشيجها العالي كطفلة ملتصقة بأبيها ترفض الذهاب في أول يوم لها في الروضة.. وسمعها تتمتم " أنا أحبك يا أبي ولم أشبع منك بعد .. وقلبي يؤلمني على وضعك الصحي ولا أعرف كيف سأتركك وأسافر مع أحمد .. لكنه لا يستحق مني أن أتركه ليذهب وحده يكفي ما فعله من أجلي .. ".

لم يستطيع تحمل سماع المزيد من لوعتها وانقسامها .. فتراجع محبطا لساحة البيت .. وفكر أن يتركها الليلة مع والدها ويذهب للبيت الجديد .. لكنه وجده تصرفا غير لائق فجلس في ساحة البيت ينتظرها وهو يتمتم " أحضرتك لتعثري على أهلك ولما عثرتِ عليهم بات الأمر أكثر تعقيدا من ذي قبل يا بانة .. ولا أعلم هل عليّ أن أفرح أم أحزن "

Des. Maryam Tamim

بعد قليل اقتربت منه .. فتتطلع إلى وجهها المنتفخ من أثر البكاء الذي أفسد زينة وجهها وهمس في سره بإحباط" ألهذه الدرجة تعانين يا قلب أحمد .. ليتني أستطيع أن أخبرك بما أنوي فعله حتى يرتاح قلبك بأني لن أجبرك على مغادرة هذه الأرض ولن أضعك في موضع اختيار .. لكني لا أريد شفقتك إذا ما رأيت انهياري وأنا راحل .. دعينا نمضي الثلاث أسابيع القادمة التي هي أقصى ما وعدت به أبي بالغياب .. وأنا أذوب فيك .. وتذوبين فيّ .. فيتخذ كل منا الآخر وطنا خارج تصنيف الجغرافيا والتاريخ (واستقام يقول بخفوت) إذا أردتِ البقاء الليلة لا بأس معي "

ضيقت حاجبيها وسألته بشك " حقا ؟! أستطيع البقاء بجانب والدي الليلة أيضا ؟"
حرك كفتيه يدعي عدم الاهتمام رغم الرغبة التي تلح عليه لضرب رأسه في الحائط وقال" بالتأكيد

Des. Maryam Tamim

يمكنك العودة للداخل .. كنت سأذهب وحدي حين تأخرت لكني انتظرتك لتخرجي إليّ لأخبرك ".

مطت شفتيها وقالت بتسلي " شكرا أحمد أنك ستعطيني الفرصة لأبيت وقتا أطول بجوار والدي"
تلفت حوله يبحث عن اللاشئ ويخبئ رغبته في خنقها ودفنها في النقطة التي تقف فوقها ثم تمتم وهو يتحرك مغادرا " تصبحين على خير "

وقفت تكتم ضحكتها وتشاهد قوامه العضلي ومشيته الطاووسية واضعا يديه في جيب بنطاله .. وهي غير مصدقة وكأنها في حلم .. أن الكونت سماحة في بلدها .. وفي بلدتها يتوجه الآن لبيت صغير يخصهما ! .
هرولت لتلحق به .. وحين وصلت إليه تأبطت ذراعه تطالعه بابتسامة شقية .. فتحولت نبضات قلبه بعد أن كانت تموت بسبب الإحباط والغيظ

Des. Maryam Tamim

لخفقان راقص مجنون .. لكنه تحكم في ملامحه ليبدو عاديا .. غير راغب في أن يصيح بانتصار مثلا .. أو أن يقفز ويهلل كالأطفال .. وتحرك معها بهدوء وهي تتعلق بذراعه بشقاوة متجاوزين عمها صقر الذي كان يجلس بعيدا خارج ساحة البيت يدخن ويحدق في اللا مكان .. فتبادلت معه بانة التحية فلاحت على وجهه ابتسامة خافته لا تظهر إلا لها .. ليعود وجهه للتجهم مجددا ويتبادل مع أحمد نظرات تحدي ممزوجة ببعض الامتعاض ..فسألها أحمد بفضول " لمَ يجلس وحيدا دائما.. وهل كان بهذه العدائية طوال عمره"

ردت بانه وهما يبتعدان عن صقر "أنا لا أعرف عنه الكثير فكما قلت لك عشت في العاصمة مع أبي.. وهو وعمي شاكر وعمي حميد كانوا يعملون بتجارة البن كل ما علمته من النسوة مؤخرا أن زوجته وأطفاله الثلاثة قد استشهدوا بالمذبحة "

Des. Maryam Tamim

تفاجأ أحمد وجحظت عيناه فحانت منها التفاتة سريعة لصقر الذي عاد لشروده وقال لها " هل كان لديه زوجة وأولاد ؟؟؟"

ردت بانة مؤكدة " أنا أذكر أني حضرت حفل زفافه .. كنت صغيرة السن وهو أيضا تزوج صغير أعتقد على سن العشرين من فتاة كانت تربطه بها قصة حب كبيرة .. (ثم تنهدت وأخرجت نفسا متألما من صدرها وقالت) حين سمعت بالفاجعة التي ألمت به اشفقت عليه كثيرا"

شعر أحمد بالشفقة عليه وآلمه قلبه.. لقد أضحى يتعثر في قصة مأسوية كلما تحرك خطوة في هذا البلد .. فياليت الأمر يقف عند حد الدمار والحياة التي ستبدأ من المربع صفر فيعاد الترميم والبناء .. لكن النفوس التي دمرتها الحرب .. والقلوب التي وشمها الألم كيف سيعاد ترميمها ؟!.

وأيقن أن هذه الزيارة قد أضافت له الكثير .. إن كان قد نضج في أخر عامين وتغير .. فإن ما شاهده

Des. Maryam Tamim

خلال أسبوع واحد فقط في هذا البلد يجعله يشعر أنه كان مدللا مرفها كعذراء في بيت أبيها..
وأدرك جيدا لمَ وبخته بانة يوما لأنه حين فشل في تحقيق حلم صغير مراهق أوقف حياته كلها بسببه.. بينما الناس هنا رأوا صنوفا من الآلام والفقد والأوجاع ومع هذا تستمر حياتهم ولا تتوقف .
بعد قليل كان يقف في شرفة الغرفة العلوية يتطلع لليل الأسود المترامي الأطراف أمامه الذي يبعث في النفس رجفة وينتظر خروج بانة التي طال مكوثها في الحمام ..
متهما نفسه بالجبن لما يشعر به من خوف حين تحين لحظة المغادرة ..
يعيد حساباته للمرة المليون ويصل لنفس النتيجة الحتمية .. عليه المغادرة بدونها .. عليه إعفائها من مذبحة أخرى ستتعرض لها بطلبه منها اختيار البقاء أو العودة معه ..

Des. Maryam Tamim

ولن يتحمل أن يعلم أنها فضّلت التخلي عنه.. ولن يتحمل أن يجبرها بسيف الحياء والمسئولية تجاهه كزوجة أن تعود معه وتترك والدها طريح الفراش والذي سيخضع لعملية معقدة بعد أسابيع وتترك الأرض التي ردت إليها روحها بمجرد أن خطتها بقدميها ..

عليه أن يكون أقوى من ذلك ..

أن يضع مصلحتها أمام عينيه .. ومصلحتها هي أن تكون هنا مع أبيها .. فليضحي من أجل سعادتها .. قد تتألم لفراقه .. لكن لن يكون حالها أبد كحالها إذا ما غادرت معه .. يعلم جيدا أنها ستغادر معه كجثة هامدة ..

أيجعلها تمر بتجربة الإجبار على ترك الوطن مرة أخرى؟؟؟

أبدا لن يكون .. حتى لو أضطره لإخراج قلبه من صدر وتمزيقه إربا..

Des. Maryam Tamim

شعر بالقلق لتأخرها في الحمام فطرق على الباب ينادي عليها فردت ... ليسألها إن كانت بخير فلم ترد .. هم بفتح الباب لكنها سبقته وأطلت برأسها فقط في وضع مائل.. فأمال رأسه هو الآخر ينظر إليها قائلا " هل ستنامين في الحمام؟؟؟ "

ازداد احمرار وجهها فأطلق ضحكة عالية .. تلك الضحكة التي تحطم أسوارها فضيقت عينيها ليقول من بين ضحكاته " لا أصدق !. أنك تعيشين بالفعل دور العروس العذراء"
حدجته بنظرة مغتاظة فأكمل وقد هدأت ضحكاته متأملا شعرها العسلي الذي يميل إلى جانب واحد مسترسلا بنعومة بينما هي مازالت لا تخرج إلا رأسها " لا أعرف إن كان علي أن أفرح لأني عريس جديد أم أشعر بالإهانة لأنك تعتبرين نفسك عذراء بعد كل الأوقات التي جمعتنا سويا من قبل"

Des. Maryam Tamim

حين لم تجيب مد يده لها فتطلعت لكفه الممدود قليلا ثم أخرجت ذراعها من خلف الجدار لتعطيه يدها.. فسحبها برفق إليه لتخرج من خلف الحائط وترسمها عيناه ..

تكورت شفتاه بإعجاب بالروب الذي ترتديه باللون الحليبي كبشرتها من الدانتيل طويل جدا وكثير التموجات الطولية التي تتدلي بنعومة على قدها الممشوق المائل للامتلاء .. وشريط من الساتان بنفس اللون مربوط عند أسفل نهديها مباشرة بعقدة حازمة تبزر جمال وامتلاء نصفها العلوي .. بفتحة واسعة من عند الكتفين وأكمام طويلة من الدانتيل المفرغ على شكل ورود رقيقة تبرز جمال بشرتها عبر الفراغات ..

حين استطاع النطق سألها بفضول " من أين أتيت بهذا القميص فلا توجد محلات قريبة لشراء مثل هذه الملابس ؟؟؟".

Des. Maryam Tamim

تحدثت ببعض الخجل " عمتي شكران أهدتني القماش .. إنه من ضمن الحاجيات التي استطاعت إنقاذها وأخذها معها للمخيم .. (طالع تورد وجنتيها الذي بدأ يستفز ذكوريته بينما أكملت بانة بحماس) يقولون أنها الوحيدة التي كانت تحمل حقيبة كبيرة وثقيلة .. وكان زوجها يجرها معها مرغما رغم ثقلها .. وفشلت وقتها كل المحاولات معها لتخفيف من وزن الحقيبة لطول الرحلة لكنها رفضت .. وبعد ذلك اكتشفوا أن معظم ما بالحقيبة كان أشياء قديمة تحتفظ بها وتسميها "عطايا الأجداد" (واغرورقت عيناها بالدموع وأكملت بصوت متأثر) حين فتحت أمامي الحقيبة يا أحمد التي كانت تدللها وتحافظ على ما بداخلها كأنها تحمل فيها الكنوز النفيسة .. ووجدت الحقيبة مملوءة بنفحات من الماضي .. ولاعة جدي ..فنجان خزفي صغير كان لجدة جدتي .. وريقات صغيرة لرسومات ابن عمي سهيل وهو

Des. Maryam Tamim

بالروضة ويبدو فيها أسمه قد خُط بأنامله الصغيرة بشكل متعرج مثير للضحك إذا رأيتها في حياته .. ومثير للبكاء حين تراه الآن .. وأشياء أخرى كثيرة سرقت أنفاسي .. وأخرجت عمتي ثوب من قماش هذا القميص وأخبرتني أنه يخص جدتها .. تخيل.. قطعة قماش الدانتيل هذه .. تنتظرني كل هذه السنوات.. وتسافر عبر الحدود وتعود .. وأسافر أنا وأعود .. لنلتقي هنا في هذا المكان.. لأرتديها من أجلك !! "

انهمرت دموعها فأخذها أحمد بين أحضانه يهدهدها ويمسح على شعرها وقد تأثر هو الأخر وأنعقد لسانه .. ثم تكلم بعد قليل يسألها بفضول "ومن قام بتفصيله ؟"

تطلعت إليه وإبهامه يمسح دموعها وردت " إحدى زوجات أعمامي بارعة في التفصيل ..فقامت بتخييطه على يدها من أوله لآخره لعدم توافر ماكينة آلية " .

Des. Maryam Tamim

ابتعد قليلا يطالع الرداء بإعجاب ثم قال " مبهر جدا وكأنه مصنوع في إحدى دور الأزياء العالمية" مسحت بقايا دموع وتمتمت" لقد أحببته فعلا وتأثرت به جدا "

تحرك نحو الدولاب ليبحث بداخله وهو يسأل" أين هاتفي؟"

فسألته متعجبة" لماذا ؟.. "

أخرج الهاتف المركون في الدولاب لعدم وجود شبكة تغطية وفتح الكاميرا وصورها أكثر من صورة فسألته مندهشة " أحمد أخشى أن يقع الهاتف في يد أحد "

لكنه رد بثقة " لا تقلقي بمجرد أن يلتقط شبكة انترنت سأرفع الصور على حسابي السري عبر الانترنت ثم أمسحها .. "

ثم شغل إحدى الأغاني من الهاتف وتقدم نحوها وسحب الشريط المعقود حول جذعها فطالعته

Des. Maryam Tamim

بحياء.. ليتمتم بهدوء" أريد أن أرى ما تحت الروب الرائع هذا .. "

سقط الروب بمجرد أن سحب الشريط ليقع بنعومة من علي كتفيها.. فأبعده أحمد ليستكشف ذلك القميص الذي يشبه الروب كثيرا .. لكنه بحمالات رفيعة وفتحه صدر مستديرة واسعة مكشكشة بكشكشات طولية حول مقدمة جذعها .. فبدت حليبية اللون عسلية الشعر برداء طويل ناعم أملس يلامس الأرض كلوحة رومانية قديمة تمزج بين الحليب والعسل مبهرة الجمال .. وقفت بانة أمامه ببعض الاضطراب والخجل تفرك كفيها .. فاقترب منها وأخذها بين ذراعيه بنعومة يتمايل معها راقصا على أنغام الأغنية.. وهمس بأنفاس ساخنة ألهبت رقبتها " استمعي لهذه الأغنية .. فأنا أحملها على هاتفي منذ أول يوم تزوجتك فيه هي وأغنية أخرى .. هذه الأغنية وعدت نفسي أن أهديها لك لتعبر عن مشاعري

Des. Maryam Tamim



تجاهك يوم أن توافقين على إتمام الزواج مني بكامل إرادتك الحرة .. من وحي قلبك .. وها قد حانت الآن اللحظة المناسبة"

طالعته تتأمل ملامحة الوسيمة ورائحة عطره تتخللها ببطء وسألته بهدوء " والأغنية الأخرى؟ "

رد بغموض " الأغنية الأخرى لم يحين وقتها بعد"..

انسابت كلمات الأغنية تدغدغ قلبيهما .. فرسم ملامحها بعينيه تزامننا مع غناء كاظم ليدفن أنفه يستنشق رائحتها يخزنها في ذاكرته فلربما اشتاق إليها يوما ولم يجدها .

وين أكون؟!!

إن ما كنت بحضنك إنتى .. وين أكون ؟!!

بين إيديك !

على صدرك !

ولا شعرك والعيون !



من السبت للسبت .. أريدك ..
أنا مو بس موت.. أحبك ..
أنا لإخر نفس بيا.. أبقى أحبك.. وبجنون..

مدت ذراعيها حول عنقه بينما أحمد يتحكم في رغبة للبكاء في حضنها .. فلم يسيطر عليه وقتها سوى لحظة الفراق الوشيكة.. ليذكر نفسه أنه سيذبح قلبه بيديه بعد ثلاثة أسابيع قربانا لحبيبته
حتى تخرج من حيرتها ..
حتى تظل في أرضها ..
حتى يعطيها فرصة غير مباشرة للرجوع إليه بكامل إرادتها هذه المرة .. إن أرادت ذلك ..

طبع قبل محمومة مشتاقة إلى حد الوجع على عنقها وأكتافها العارية

Des. Maryam Tamim



تاخدى قلبى فدا عمرك
قلادة خليه على صدرك
سواره أو خاتم بصبعك
وين ما تحبى يكون

رفعت رأسها وتأملت ملامحه ثم استطالت لتطبع قبلات رقيقة على شفتيه .. في محاولة لتذكر بعض مفردات اللغة التي يتحدث بها إليها .. لتنتصر أنوثتها على حيائها فتطبق علي شفتيه مدفوعة بمشاعر امرأة نضجت مشاعرها بين يديه .. فاستمع لبوحها المتعثر الذي مازال في مهده يتلمس خطاه لكنه بالرغم من ذلك كان يشعل نيرانه .. يأججها ..
يصهر الحمم في شراييينه مع كل خطوة متعثرة تخطوها .. ومع كل بوح أنثوي مستحي تلهب أعصابه ..

فتساءل ماذا لو أصبحت يوما ما تلميذة نجيبة ترسل ما استقبلته وتعلمته من استاذها ؟.. وقتها ستُذهب عقله بالتأكيد.

يوما ما ؟؟!! ..

صدمته العبارة ..

صدمته وأرعبته .. فانقض على شفتيها بقبلة محمومة محرومة تزداد عمقا بازدياد الوجع ..

أنا طفلك ..أنا راجلك..
أنا بعضك.. أنا كلك ..
غير حبك .. غير حضنك ..
ما إلي بها الدنيا دار..
أنا بالحب أكون أو لا أكون..

أفرج عن شفتيها فشهقت تطلب الهوا وتطلب المزيد منه .. ولم تدر متى انزلق قميصها وتخلى عنها بنعومة ليستقر على الأرض بينما حملها أحمد

Des. Maryam Tamim

بين ذراعيه .. وأراحها على السرير يتأمل تفاصيلها الماثلة أمامه متمنيا لو استطاع الاحتفاظ بصورتها تلك في ذاكرته ليرسمها يوما ما ..

يوما ما قد لا تكون هي في الجوار .. ولا في الحي .. ولا في العاصمة .. ولا في البلد كلها .
مال عليها يقبل تفاصيلها ويضع رايات تثبت أحقيته في كل جزء منها .. ملكية خاصة بابن سماحة ..
ومع كل ثانية تمر بها تزيد من ذوبانها .. عطره الرجولي يذهب عقلها .. لمساته تحررها من الواقع ..
لتبدأ الرحلة التي باتت تتحمس لها وتشتاقها مرارا وتكرارا .. رحلة التحليق في السماء بصحبته ..

انزاح عنها قليلا بأنفاس لاهثة فأبدت ما يفيد الاعتراض .. لتتسع ابتسامته سعادة لرغبتها فيه ..

Des. Maryam Tamim

فما أروع أن ترغب به امرأته ..ما أروع أن ترغب فيه بانة .. متخطية كل الحواجز التي أُقيمت بينهما في السابق .
تخلص مما يرتديه ونزل إليها يروي شوقا أضناه من قبل وسيضنيه مستقبلا .. متمنيا لو تزهق روحه قبل أن يعود لأرض الواقع .. لو أن يضيع فيها ..فيمتزجان سويا لا تفرقهما أرض ولا أزمنة.

أنا بالحب أكون أو لا أكون

بعد عدة ساعات :

كان يعلم وهو مقدم على الارتباط بها أنه سيفارقها يوما ما ..
فظروفها لم تكن مثل أي فتاة أخرى ..
قصتها لم تكن مثل أي فتاة ..
هي بكليتها كبانة ليست كأي فتاة أخرى .

لكن مهما كان حجم الألم المتوقع لم يجده يعبر عن ذرة واحدة من الشعور الموجع الذي يتملكه منذ أن حسم قراره أنه راحل من دونها بعد ثلاثة أسابيع ..

تطلع لتململها بين ذراعيه بينما غاصت هي أكثر في حضنه فأحكم حولها الملاءة .. دون أن تفارق ذهنه تفاصيل ليلة أمس .. لأول مرة كانت متحررة من عقدها .. مسلمة راياتها بإرادتها .. تركته يقودها دون اعتراض .. دون خوف .. على الرغم من ذلك الخجل الشديد الذي تأكد ليلة أمس أنه جزء من شخصيتها .. وليس صفة مستحدثة فيها نتيجة لما مرت به ..

لكن أكثر ما أسعده أنها لم تبكي .. حين حطت بقدميها على الأرض لم تبكي ..وقد ظل مستيقظا ليتأكد أنها لم تبكي .. بل نامت في استرخاء بين

Des. Maryam Tamim

ذراعيه .. فظل يشاهد تحقق إحدى أمانيه العزيزة .. وهي ألا تبكي بعد اللحظات الحميمة التي تجمعهما .. وقد تحققت تلك الأمنية ليلة أمس..

تطلع لشروق الشمس أمامه الذي يلوح في الأفق البعيد عبر الشرفة الزجاجية .. بينما تململت بانة مصدرة أنّة رقيقة فانحنى يقبل حنجرتها .. رمشت بعينيها عدة مرات فراقب ملامحها وهي تستفيق .. وترمش بعينيها .. ثم تفتحها لتتطلع حولها وهمست بصوت أجش " أين أنا ؟"

رد عليها ببساطة "على حجري .. "

رفعت بانة رأسها لتجد نفسها ملفوفة بالملاءة .. مستلقية على حجره بينما هو يجلس على كرسي أمام الشرفة الزجاجية.. فسألته بدهشة " ماذا تفعل على الكرسي ؟ "

رد ببساطة "أشاهد شروق الشمس "

Des. Maryam Tamim

فسألته هامسة " وما أفعل أنا هنا معك على الكرسي ؟"
رد " تنامين في حضني"
لملمت الملاءة بحرج وأدارت وجهها نحو زجاج الشرفة وسألت " هل أشرقت الشمس؟"
رد عليها وهو يدغدغ رقبتها بأنفه " أجل منذ قليل"
أحكمت الملاءة حولها وحاولت القيام فسألها "إلى أين ؟ "
ردت بحمرة تزين وجنتيها" أحتاج الحمام" .

أفلتها لتنزل قدميها على الأرض تتشبث بالملاءة حولها وتستقيم تنظر إليه بحياء يدغدغ رجولته .. فشاكسها يشد عنها الملاءة فصرخت وقفزت بعيدا.. وقد احمرت أكثر ليطلق ورائها ضحكة عابثة .
بعد قليل خرجت إليه تجفف شعرها فطالعها وهو مستلقي على السرير عاري الجزع .. وقد لبست

Des. Maryam Tamim

فستانا قصيرا حتى ركبتيها كثير الألوان بدون أكمام وبفتحة على شكل رقم سبعة كبيرة.. ويضيق الفستان عند خصرها يحدده بحزم ..
فاشتعلت الحمم السائل في شراييينه وهو يتأمل إطلالتها بهذا الفستان التي تشبه فيه ممثلات السينما ومسح بعينيه على ذراعيها وساقيها بينما رائحة صابونها كالعادة تثير الجنون بداخله ..

سألها وهي مازالت تجفف شعرها " هل أحببت ليلة أمس ؟"
أشاحت بوجهها بعيدا عنه تداري ابتسامة خجولة انتعشت لها طاووسيته .. فقال بلهجة ناعسة من أثر عدم نومه .. " وأنا أنظر لشروق الشمس وأتذكر ليلة أمس والمكان والزمان حاولت تذكر أن أغنية لفيروز تصف الحالة كلها لكني فشلت".

Des. Maryam Tamim

نظرت إليه باهتمام فوضح " أغنية بها غرفة صغيرة وسلم مثل سلم هذا البيت "
ضيقت بانة حاجبيها قليلا ثم اتسعت ابتسامتها وغنت بخفوت تتمايل بخفة أشعلت الجنون بداخله

ليل وأوضة منسية وسلم داير مندار
عليت فينا العلية ... ودارت .. بالسهرة .. الدار

توقفت على الغناء وهي تطالع الشقاوة التي ظهرت في عينيه ثم قالت "لمَ هذه الأغنية بالذات"

ظهرت ابتسامة عابثة على شفتيه ورد ببساطة "لأنها مناسبة لحالتنا ".

عضت على شفتها بغيظ وهتفت متخصرة أمامه " أحمد أنت تحول الأغاني لمعاني قليلة الحياء !!"

[3375]

انفجر ضاحكا ثم قال من بين ضحكاته " كل انسان له مطلق الحرية في فهم الكلمات بالطريقة التي يريدها بونبونتي .. أكملي الغناء "

تخضبت بالحمرة وردت بعند " لا .. لقد أفسدت عليّ روح الأغنية" .

مط شفتيه بتسلي واعتدل جالسا يقول" إذن تحملي غنائي"
وبدأ في غناء الأغنية :
ليل وأوضة منسية وسلم داير من دار..
عليت فينا العلية ودارت بالسهرة الدار..

طالعته وعلى وجهها ابتسامة عاشقة رغم أنها شاكسته تقول "صوتك بشع يا أحمد "
فرفع إليها حاجبيه بإغاظة مستمرا في الغناء:

Des. Maryam Tamim



والعلية مشتاقة عا حب وهم جديد
فيها طاقة والطاقة مفتوحة للتنهيد
واضوية البيوت تنوس ..
فانوس يسهر فانوس
وانت بقلبي محروس بزهر الحرقة والنار

فاندمجت معه في الغناء دون أن تشعر تصحح له المقامات واللحن وقلبها يخفق بجنون ..

يا ريت الدنيي بتزغر ..
وبتوقف الأيام..
هالأوضة وحدا بتسهر ..
وبيوت الأرض تنام..
تحت قناديل الياسمين انت .. و
انا مخبايين..
نحكي قصص حلوين..
ولا مين يدرى شو صار..

[3377]



أنزل ساقيه من على السرير وشدها نحوه يمسك بخصرها بحزم فاقتربت تشرف عليه من عِليّ تمشط شعره بأصابعها.. بينما شعرها الندي يرطب عيناه المشتعلتان ورائحها المنعشة تمنح رئتيه المزيد من الأكسجين .. فتمتم معها بهمس وهي تغني بحلاوة :

يا أوضة زغيرة زغيرة
فيها الحب تلاقيت
أوسع من دنية كبيرة
وأغلى من ميت بيت
تعبانة وبدي حاكيك
حاكيني الله يخليك
نقلني عا شبابيك الليل
وعسطوح الدار

Des. Maryam Tamim

لف ذراعيه حول خصرها ودفن وجهه في جذعها يضمها بقوة ويستنشق عبيرها لآخر نفس يستطيع سحبه .. فتأخذه دوامة الأفكار من جديد ..
ويحسبها من جديد ربما وجد حلا آخر غير أن يتركها فجأة ويترك لها الخيار ..
لكن نفس تلك الأسباب تلوح أمام عينيه مجددا ليستسلم لنفس النتيجة ..

رفعت رأسه تقول " ما بك أشعر أنك قلق .."
تأملها بعينيه وتملكته تلك الرغبة التي يقاومها برجولة .. الرغبة في البكاء في حضنها وتوسلها كطفل صغير أن تعود معه .. لكنه تمتم بصوت أجش " كنت أتمنى أن أحبك بدرجة أقل .. فأكون أنانيا وأحصل عليك بدرجة أكبر ".

تلمست ذقنه الخشنة وقالت "لا أفهم "..

Des. Maryam Tamim

طالعها قليلا ثم سحبها واستلقى للخلف لتتمدد فوقه.. فهمست معترضة "أحمد عليك الإفطار والنوم .. أنت لم تنم طوال الليل ووجهك مرهق" استكشفها بيديه وهو يقول " أولا أنا لابد أن أذهب لموقع مجمع الأديان لأنني أريد الانتهاء منه بسرعة لكن لا بأس أن أنام ساعتين قبل الذهاب "

مطت شفتيها بامتعاض ثم قالت" وثانيا ؟"
اشتعلت عيناه واستدار ليلقيها بجانبه على السرير ويخيم فوقها وهمس " ثانيا حان الآن موعد إفطاري "..
ودفن وجهه في رقبها يقبلها بقُبلات حارقة
فتمتمت باعتراض أنثوي مائع لم تتعمده " أحمد ذقنك خشنة .. أحمد ذقنك تدغدغني "
رفع وجهه وغمز بعينيه " دعينا نجرب قلة الحياء بذقني الخشنة بونبونتي "
وانقض يرتشف من شهد شفتيها قبل أن تعترض

Des. Maryam Tamim

***

بعد يومين :

حاول الاتصال بها لكن هاتفها مغلق ..

بمجرد أن أطمئن على والدته يحاول الاتصال بها..

توقع أنها ستتصل به لتطمئن على والدته لكنه حين استعاد ما جرى تذكر أنها كانت على تواصل مع والدها على الهاتف .. لكن بعد أن تركه الحاج وأرسل سيد .. لم يتلقى منها أي اتصال ..

بالتأكيد هي غاضبة ..

غاضبة بشدة فما حدث كان غاية في السخف .. كما أن انفعالها على والدته رغم أنه يرفضه لكنه يعلم جيدا أنها لن تصل لهذه الدرجة إلا لسبب وجيه ..

ويعلم أن والدته قد بالغت هذه المرة جدا..

وأهانتها هي وعائلتها..

ويعلم أن والدته قد صغّرته وطعنته في كبريائه ورجولته أمامهم .

ويعلم أن القادم ليس جيدا.

Des. Maryam Tamim

شاعرا أنه سيوضع في محل اختيار قاسي قريبا..
الحلم الذي رآه يتحقق بشأنه وبشأن وائل ..
ويدعو الله ألا يتحقق فيما يخص أحمد أيضا..

لم يجد بدا سوى الاتصال بالخالة إلهام التي ردت عليه بصوت مهموم آلمه أن يكون هو وأمه السبب فيه..
سألته إلهام بلهجة صادقة "هل عفاف بخير يا ولدي ؟"
تمتم بصوت مرهق من عدم النوم " بخير يا خالتي لا تقلقي.. إن شاء الله ستمر الأزمة على خير .."
قالت إلهام مشفقة " صوتك مرهق يا ولدي مادامت أفضل اذهب ونم قليلا ".
تمتم بخفوت " الحمد لله على كل شيء .. هل أروى في بيت سماحة ؟".
ردت باقتضاب" أجل ".

Des. Maryam Tamim

سألها بقلق " هاتفها مغلق منذ فترة هل هي بخير؟"

تكلمت تطمئنه "بخير الحمد لله"

قال بتردد " أريد التحدث إليها" .

قالت إلهام بتردد " دع النفوس تهدأ أولا يا عمرو"

سألها مستفهماً " بمَ أخبرتها أمي قبل أن نحضر أهو موضوع الحمل أيضا "

ردت بحزن " لاحقا يا عمرو نتحدث ".

قال بإصرار " بل أريد أن أعرف الأن كل شيء".

مرت دقائق يستمع فيها لتفاصيل ما حدث وما قالته عفاف لأروى شاعرا بالحرج .. وقلبه يعتصره الألم .. وكلما أفاضت إلهام في الحديث كلما شعر أن القادم ليس جيدا .. فقال ببعض العصبية " أريد أن أتحدث معها" .

جاء صوت أروى من بعيد وسمعها بوضوح تقول "أخبريه أني لا أريد الحديث .. وبلغيه أني أريد الطلاق "

Des. Maryam Tamim

تجمد الدم في عروقه وهو يسمع الكلمة مجددا
بينما صاحت إلهام بجزع " ما الذي تقولينه يا أروى
؟!!!!"
صاح عمرو بغضب " أعطيني أروى يا خالتي "
ردت إلهام بقلق " لاحقا يا عمرو"
قال بإصرار " من فضلك يا خالتي" .
سمع صوت أروى تصرخ " قلت لن أتحدث إليه ..
لن أتحدث .. فليرسل لي ورقة طلاقي ويتركني في
حالي "
تمتم عمرو بصوت هارب منه " أنا آت حالا "..
***
تحاول السيطرة على انفعالاتها .. فمن الصعب أن
تنقلب حياتك فجأة .. تُظلِم فجأة ..
هل اذا وصفت الأمر بأنه أشبه بذلك اليوم الذي
استيقظت فيه في تلك المستشفى وعلمت أنها قد
لا تستطيع السير مجددا تعد مبالغة ؟!.

Des. Maryam Tamim

وكيف يكون الوصف إذن أن تعلم أنها ستُخلع من ضلعه .. وبإرادتها الحرة ستخلع نفسها من ضلعه .. فلن تتحمل أن تراه في ذلك الموقف مجددا ..

إن أمه تمقتها .. تكرهها كرها شديدا .. وهو يشعر بالعجز .. أمه تطعنه في رجولته طعنة بعد طعنة .. وهي كأروى ترى الانكسار في عينيه أمامها وأمام أهلها.. وتراه غير قادر على التفريـج عن انفعالاته .. بسبب هذا الابتزاز العاطفي الذي تمارسه عليه الخالة عفاف ..

المشكلة أن حماتها اختارت طريقة مؤثرة للتأثير في الموقف .. فعمرو ليس ضعيف الشخصية هي تعلم ذلك جيدا .. لكن ما فعلته بتأثرها إلى الحد الذي تصاب بجلطة هذا أمر مؤلم جدا لها شخصيا .. فما بال عمرو .. والذي تعلم جيدا كيف يحب والدته وكيف يسعى لبرها ..

Des. Maryam Tamim

بهذا الوضع الحياة لن تسير للأمام بل إن ما حدث قد تسبب في شرخ عميق في الوجدان صعب التئامه بسهولة ..

إنها كأروى لا يهمها جرح كرامتها بقدر إشفاقها على عمرو لجرح رجولته .. ولا تريد أن تضعه يوما ما في اختيار بينها وبين والدته..

هيئته المصدومة ووالدته ترقد بين ذراعيه يحاول إفاقتها ذبحتها .. ولم تستطع أن تمحو صورته الملتاعة على والدته أبدا من ذهنها ..

تابعت دقيقة بدقيقة والدها في رحلته مع عمرو الى المستشفى حتى اسعفوها وطمأنوهم عليها ..

وحين أمر والدها أن تحضر حقيبتها لم تتردد .. فذلك هو التصرف المنطقي ..

إنها ليست جبانة ولا تهرب من المواجهة .. لكنها تواجه امرأة مهووسة بابنها .. كلما تأزم الأمر تمرض .. لهذا لا تريد أن تضع عمرو في اختيار بين أمرين أحلاهما مر بينها وبين والدته .

Des. Maryam Tamim



إنه لأمر قاسي على النفس .. أن تكون قويا قادرا على مواجهة أيا من كان .. فتُرزق بمن يؤذيك ثم يحملك مسئولية انهياره إذا ما تفوهت بأي اعتراض ..

ولهذا فعليها أن تقوم بهذه الخطوة .. فلن تضع عمرو في موقف صعب كهذا مجددا .. لن تحرضه على أن ينفعل أو يغضب والدته مجددا ويخسر ما يسعى له بشده وألا وهو الالتزام ببر الوالدين .

سيتألم لفراقها كما ستتألم .. تعلم ذلك .

لكن وجع الفراق أرحم من وجع ندم قد تشعر به أو يشعر هو به إذا ما ماتت تلك المرأة غاضبة عليه ..

عليها أن تنزع نفسها من بين ضلوعه بنفسها ..

عليها أن تكون قوية ..

وألا تنهار ولا تصرخ ولا تبكي .. وألا تخبرهم بأنها تموت ببطء..

سحبت أروى نفسا عميقا .. وتساءلت أين أحمد؟.. ليته كان موجودا .. تحتاج لأن تبكي على

Des. Maryam Tamim

صدره.. تحتاجه لأن يدعمها .. أن يخبرها أنها تفعل الصواب .
لكن سرعان ما تراجعت في أمنيتها .. فمن الجيد أنه ليس هنا وإلا لتعقد الأمر أكثر .
فليأتي ليجد الأمر قد حُل .. وانتهى .. وخلعت نفسها من ضلع عمرو .

دخلت آية فقطعت أفكارها لتسمعها تقول "هل أنت بخير ؟.. هل أنت واثقة مما تقولينه؟ .. هذا الأمر ليس بالهيِّن يا أروى "
تأملتها أروى وردت بمرارة "لا مفر .. فمن أجل عمرو يهون كل شيء .. أعرف أن الاختيار بيني وبين أمه وشيك وأنه لا سبيل لحل وسط فلا هي ستحبني بين يوم وليلة ولن تهدأ وتتركني في حالي .. خاصة بعد المواجهة التي حدثت بيننا .. علي أن أعفيه من موقف كهذا يشعره بالتقصير تجاه من

Des. Maryam Tamim

يحب .. إن هذا الشعور يقتله أنا على يقين بذلك ..."

تمتمت آية بمرارة وهي تجلس بجانبها " يبدو أننا كلما ازدادنا عشقا لمن نحب.. كلما بالغنا في التضحية من أجله .. ويبدو أيضا أن الوجع والعشق أصبحا وجهان لعملة واحدة "

مسدت أروى على ظهرها وسألتها "أمازلت تمرين بوقت صعب ؟"

ابتسمت آية بمرارة وردت بخفوت" الوجع يزيد لا يقل يا أروى.. (ثم تصنعت المرح لتقول) لكني صامدة"

فردت أروى متهكمة كعادتها " إذن جهزي لنا كميات كبيرة من المناديل لنتشارك الوجع سويا"

قالت آية بتردد " مازلت غير مرتاحة لما تنوين فعله .. عموما أبي يريدك في غرفة المعيشة "

***

بعد ساعة :

[3389]

يحاول السيطرة على ارتعاش يديه وهو يضغط على جرس الباب .. لا يدري هل يرتجف بالغضب منها .. أم يرتجف من الخوف من مواجهتها .. أم يرتعب من القادم والذي يستشعر دنوه ..

فتح الحاج سماحة الباب .. وبنظرة واحدة قرأ عمرو الغضب في عينيه .. وكيف لا يغضب وابنته أهينت أمام عينيه .. وظهر هو أمامهم بمظهر مدلل أمه .

ألقى السلام بخفوت .. وتقدم نحو غرفة الصالون ليجدها تنتظره بشموخ على كرسيها ترتدي ملابس بيتية تظهر قدها الفرنسي النحيف بينما شعرها مرفوعا فوق رأسها بعقده مهملة فوضوية زادت من بساطة مظهرها الذي يعشقه ..

أمسموح له أن يُفصح في لحظة معقدة كهذه أنه اشتاق لها ؟!! ..

Des. Maryam Tamim

رغم أن الثلاث أيام الماضية مروا عليه ولم يفكر سوى بوالدته التي كانت بين الحياة والموت لكنه حين اطمئن عليها اكتشف أنه اشتاق لأروى كمن لم يتنفس منذ مدة وتضررت رئتيه ..

أمسموح له أن يطلب منها قبل أن تطالب بإعدامه .. أن يدفن رأسه في حضنها قليلا فهو متعب .. ومنهك .. ولم ينم ولم يأكل منذ ثلاثة أيام؟!..

ضم قبضتيه بقوة على مشاعره وقال بخفوت للحاج سماحة "هل من الممكن أن أتحدث معها وحدنا؟"
رفعت إليه عينين غاضبتين وردت " ليس هناك ما يقال .. الأمر قد حسم "
كسر نظرته بعيدا عنها ليقاوم مشاعر هادرة أبسطها رغبة في تحطيم كل شيء ثم الارتماء تحت

Des. Maryam Tamim

قدميها متوسلا .. وقال بهدوء ظاهري.. لكنه حاد كنصل خنجر "ومن حسم الأمر ؟"
ردت بثقة كاذبة " أنا"
استمرت نظرته الغاضبة العازفة عن التحديق فيها صامتة.. بينما وقف الحاج يراقبهما لا يعرف أي جهة يتخذ .. لكنه يرى أن ما قررته أروى رغم صعوبته لا مفر منه فالأمر أضحى معقد جدا للأسف .
أما إلهام فالرعب كان باديا عليها .. وحاولت التدخل فقالت " استعينوا بالله يا أولاد ودعونا نهزم الشيطان (وبدأت بالمبادرة حتى تغلق على أروى الطريق فيم تنويه) أتركها عندنا فترة يا حبيبي حتى يمن الله على والدتك بالشفاء.. فبالتأكيد ستكون مشغولا عنها بوجودك إلى جانب والدتك .. ركز مع والدتك وصحتها ودع أروى تريح أعصابها "
تدخلت أروى تقول بحزم " أنا لن أتراجع"

Des. Maryam Tamim

سألها بغضب دون أن تتلاقى الأعين" ماذا تريدين يا أروى بالضبط ؟"

ردت بثقة " أريد الطلاق .. وحالا .. قبل أن تخرج من هذا الباب ألق علي اليمين واذهب إلى حال سبيلك "

جُرح كرامته يئن ..

وشعوره بالخوض في هذا الحديث أمام الحاج والحاجة يحرجه ويلجمه من التصرف بأي طريقة مناسبة ..

فرد بهدوء حازم " وأنا أرفض "

صاحت بعند" ستطلقني "

هدر بصوت عال " لن يحدث .. وستعودين للبيت رغما عنك "

أفرج الحاج عن غضبه ليرد عليه بصوت عال" ابنتي لن تعود مادامت لا تريد .. ولا تعلي صوتك هنا .. أنا صامت منذ مدة أترك لكما مجالا لحل الأمور فيما بينكما .. لكني لن أصمت بعد الآن "

Des. Maryam Tamim

تطلع إليه عمرو متحكما في انفعاله يشد قبضتيه بجانبه بعنف حتى ابيضت مفاصله ليقول بصوت حاول أن يكون هادئا " هل توافقها على هذا الجنون الذي تريده ؟!! هل توافق على طلاق ابنتك ؟؟!!"

رد الحاج بتحدي " مادامت ترغب في ذلك فأنا أوافق ..ولست أنا الأب الذي يدفن ابنته وهي على قيد الحياة خوفا من لقب مطلقة .. ابنتي لها بيت أبيها ستعيش فيه ملكة ولا أن تشعر بالإهانة لحظة واحدة .."

ولولت إلهام باكية " أي طلاق تتحدثون عنه ... ابنتي لم تكمل ستة أشهر متزوجة إنها عروس .. عروس يا إبراهيم .."

بينما تطلعت أروى إلى عمرو تشعر أنه على وشك الإصابة بذبحة صدرية .. وآلمها ألا ينظر نحوها وهو يحدثها.. لكنها تمسكت بالكرسي بشجاعة فتدخلت آية تربت على كتف والدتها تهدئها .

Des. Maryam Tamim

فقال عمرو بتحدي رجل مطعون في رجولته "وإن رفضت ؟"

هدر الحاج بعنف "ستوافق .. شئت أم أبيت ستوافق مادامت ابنتي تريد ذلك "

تحركت آية تهدئ من أبيها وقالت بغيظ من بين أسنانها " اذهب الآن يا عمرو فمناقشة أمر كهذا والنفوس مشحونة أمر غير صائب "

لم يلتفت إليها فقد كان الجنون يتراقص في عينيه وقال للحاج بتحدي " لن تستطيع إجباري ولو مزقتني إربا.. لن تستطيع"

تحركت آية نحوه وشدته من ذراعه بقوة تقول " اذهب من هنا يا عمرو أرجوك".

بينما هدر الحاج بصوت أرتجت له جدران البيت "هل تتحداني يا عمرو !!".

فصرخت أروى كمن يريد أن ينحر قلبه بحركة حاسمة عنيفة وينهي الأمر " طلقني يا عمرو".

Des. Maryam Tamim

خلص ذراعه من يد آية بسرعة وعاد لباب الغرفة بعد أن كانت قد سحبته خطوتين للوراء وضرب على الباب بغضب يتأجج ويفور وهو يهدر بصوت أعلى من صوت الحاج " لن أطلقك (وضرب مرة أخرى على الباب) لن أطلقك يا أروى .. ولن يجبرني أحد مهما كان على القيام بهذا "

نظرت لصدره الذي يعلو ويهبط بسرعة وتمسكت بكرسيها جيدا .. تشعر بالامتنان لأنها لا تستطيع الحركة .. وإلا لخانتها قدماها جريا إليه لتدفن رأسها في حضنه باكية من حاله وحالها المعذبين .. بينما قال هو بكبرياء وبنفس النظرة المتحاشية للتحديق في عينيها حتى لا يرتمي تحت كرسيها متوسلا " افعليها أنت إن استطعت .. أمامك المحكمة .. ارفعي قضية خُلع .. أصبحت سهلة الآن .. وأعدك إن فعلتها يا أروى سأعيد إليك كل مستحقاتك التي ستفقدينها بطلبك للخلع مني "

Des. Maryam Tamim



حدقت فيه بعجز فأكمل بأنفاس لاهثة " الأمر بيدك أروى هانم فافعليها إن شئت " .
ثم نظر للحاج سماحة يقول بهدوء وبعض الحرج " أنا آسف أن علا صوتي .. لكن تنفيذ طلبكم ليس عندي بل في يد ابنتكم .. استودعكم الله".

وتحرك يقبض قبضتيه بقوة ليغادر .. تاركا قلبه راكعا متوسلا عند قدميها .

***

خرجت ماجدة من المصعد تجر قدميها .. إن وائل ما زال على حالته.. واليأس يسيطر عليها .. وتشعر أنها وحيدة .. وحيدة تماما ..
على الرغم من أن الخالة أنجيل بمثابة أما لها .. وكانت تقف في وجه وائل كثيرا لصالحها .. لكنها لن تستطيع أن تبوح لها بما يعتلج في صدرها .. يكفيها ما هي فيه .. صامدة .. واقفة على قدميها .. فمنذ

Des. Maryam Tamim

ما حدث لوائل وهي رغم سنها الكبير ومرضها تأبى أن ترقد.

لا أحد يعلم مثلها كيف تتلقى الخالة أنجيل الصدمات واقفة .. فما حدث لوائل قديما كان في قلبها كأم كطعنة خنجر .. أن ترى ابنها ملتاعا حزينا .. يجبر على زواج لم يكن يريده .. ثم الاحداث التي تلت ذلك من انتحار مريم .. ثم صدمة وائل وانهياره ودخوله مصحة نفسية .. لن تتحمل أم أبدا أن ترى ابنها في هذه الحالة .. وقد تزامن ذلك مع موت أبي وائل فكانت أنجيل وحدها ولم تعتمد سوى على إخوتها الذكور .. فوقفت في وجه أخت زوجها (أم ماجدة) وفضحت صنيعها أمام العائلتين وحملتها دم مريم .. وبالرغم من ذلك لم تكن أبدا تأخذها بذنب والدتها..

تعلمت منها ماجدة الصمود ..

تعلمت منها كيف تكون المرأة حجر أساس البيت..

[3398]

وتعلمت منها أن تتلقى الصفعات دون أن تنهار أو ترقد .. ولولا دعمها لما استطاعت التحمل رغم أن الخالة أنجيل لا تعرف تفاصيل حياتها مع وائل لكنها كانت تعلم الخطوط الرئيسية .. وكثيرا ما وبخته ونصحته وعنفته لكن حالته النفسية وشبح انهياره العصبي كان دائما يحول دون أن تتمادى بأكثر من ذلك .

وضعت المفتاح في الباب منهكة القوى بعد عشرة أيام قضتها ليلا ونهارا على كرسي بالمستشفى .. كل ما تريده أن تبدل ملابسها وتستحم وتحاول أن تقنع نفسها بالنوم ولو لساعتين ثم تعود للمستشفى .. تتبادل الجلوس معه هي وأمير وسيد وعمرو ..

"مساء الخير ماجدة "

أجفلت من الصوت ثم جحظت عينيها وهتفت

"ما الذي تفعله هنا يا سامي؟!! "

[3399]

رد وابتسامة تلوح على زاوية فمه " جئت لأبارك لنا أننا قريبا سنلتقي" .

هتفت باستنكار " سامي .. ألن تكف عن هذا الجنون ؟؟؟ .. كيف تجرؤ على الحضور لبيتي .. وتقف أمام الشقة بهذه الطريقة !!.. ماذا لو رآك أحد من الجيران ؟!!"

رد سامي بحرارة " جئت لأنني اشتقت لك ماجدة ولنحتفل بموته القريب .. فوقتها لن نحتاج لإقناع الكنيسة بشيء .. ستكونين حرة يا ماجدة .. وسنحقق حلما طال انتظاره حبيبتي ".

كلامه استفزها وأسقط القناع الجليدي عن وجهها لتصيح بانفعال " اسمع.. هذا السخف الذي تقوله تحشره في فمك مرة أخرى وتذهب به من هنا .. وإلا سأصرخ ليتجمع الناس وستكون فضيحتك علنية "

Des. Maryam Tamim

رد باستنكار " لماذا تتعاملين معي بهذه الطريقة القاسية .. ألأني أحبك وأريدك .. "

صفعته على وجهه بانفعال امرأة مجروحة منهكة خائبة الرجاء في كل شيء حولها لتخرسه ..فتأجج الغضب في عينيه وأمسكها من مرفقها يقول بغيظ هامس "ماذا فعلت ؟!!!"

ردت بشموخ " فعلت ما تستحقه منذ مدة" ونزعت مرفقها من يده .

فلاحت في عينيه الصدمة .. بل خيل إليها أنها رأت الدموع في عينيه .. وتمتم بتأثر " كيف تفعلين هذا بحبنا يا ماجي؟!!"

صاحت بانفعال " تكلم عن نفسك أنت .. أنا لم احمل لك أي مشاعر أبدا من قبل .. نحن تربينا سويا.. جمعتنا نفس الظروف .. أننا فقراء العائلة لا أكثر من ذلك .. ربما هذا ما أوهمك أني قد أحمل لك مشاعر .. ليس لأننا تشاركنا الشعور بالنقص والآلام يعني أننا قد نحمل مشاعر لبعضنا"

Des. Maryam Tamim

أمسك بساعدها فجأة وأقترب يلصق جبينه بجبينها ويقول بهمس مغوي " لا تقولي هذا يا حبيبتي .. أنا فعلت ما فعلت في حياتي من أجل الرجوع إليك وتحقيق حلم الانتقام من الجميع .. أنت كنت ملهمتي في الغربة لأصل لما وصلت إليه .. من أجلك فعلت كل شيء من أجلك أنتِ يا ماجي .. وكل ما أملكه الآن من أموال من أجلك أنت يا حبيبتي "

أجفلت من حركته وارتبكت لثوان قبل أن تدفعه بعنف بكلتا يديها في صدره العضلي بعيدا عنها وقالت بعنف " إياك أن تقترب مني ثانية .. وإذ رأيتك هنا سأصرخ وأفضحك .. إياك أن تعتقد أني بمفردي .. صرخة واحدة مني يتجمع أهل الشارع كلهم .. وأمير وأصدقاء وائل أنت لا تعرف ماذا يمكن أن يفعلوا بك ".

Des. Maryam Tamim

ضرب على زر المصعد بعنف ثم قال بانفعال مهددا
" هذا الكلام ستندمين عليه .. وستأتيني راكعة..
أعدك أنك ستأتيني راكعة يا ماجدة .."

دخلت الشقة وأغلقت الباب لاهثة ثم جلست
القرفصاء تنكمش على نفسها تبكي بارتجاف .

ماذا يخطط هذا المجنون ؟.. يبدو كمجنون
بالفعل.
لمن تلجأ ؟..
هل ستفضح نفسها ؟..
كيف سيكون منظرها إذا أخبرت أحدا أن هناك من
يتعقبها ويضايقها ؟..
وتعجبت أن فكرت في أصحاب وائل .. ألم تكن
تكره صحبتهم له من قبل ؟..

Des. Maryam Tamim

ربما لأنها تشعر بالغيرة منهم .. لأن وائل يوليهم اهتماما وحبا حقيقيا هي لم تنل منه ولا حتى الفتات..

ربما لأنهم قادرون على التأثير عليه ليبقى متمسكا بالحياة أما هي ففشلت في أن تجعله يفعلها من أجلها..

ألم يكونوا لها بمثابة المشجب الذي تلقي عليه قدرها البائس؟.. خاصة مع شعورها بالنقص أمامهم فبالتأكيد هم يعرفون نوع العلاقة التي تجمعهما كزوج وزوجة .. وربما هي مادة للتفكه بينه وبين أصدقائه .

لكن من الواضح أنها تثق فيهم وفي ولائهم لوائل وإلا لما ظهروا في ذهنها بمجرد أن استشعرت الخطر وفكرت بمن ستستنجد .

جرت إليها ميري في هلع وتبعتها أنجيل الصغيرة فقالت الأولى بجزع " ما بك يا أمي هل أنت بخير؟ لمَ تجلسين بهذا الشكل وتبكين؟؟!! "

Des. Maryam Tamim

بينما صرخت أنجيل الصغيرة برعب "هل حدث شيئا لأبي؟؟"
مسحت ماجدة دموعها المنهمرة بسرعة وأحتضنتهما بين ذراعيها وتمتمت " لا شيء حبيباتي أنا بخير.. مرهقة فقط .. وأبيكما مازال في الغيبوبة .. وعلينا أن نكثف الصلاة من أجله"

سألت ميري بتأثر " ألن نزوره ؟.. نريد أن نراه يا أمي "

قالت أنجيل بسرعة" لا لا .. لن استطيع رؤيته في هذه الحالة أشعر أني سأموت زوريه وحدك "

احتضنتهم وقالت " لا أحب أن ترونه في هذه الحالة .. لكن أعدكم لو لم يستفيق سريعا سآخذكما إليه .. لم تركتما الجدة وحدها ؟"
ردت ميري " تزورها الجدة إلهام فجئنا لنحضر بعض الحاجيات من الشقة "

Des. Maryam Tamim

ربتت ماجدة عليهما .. ومسحت دموعها لتعود للوجه الجليدي والصمت من جديد .

***

الواحدة بعد منتصف الليل :

استمع الحاج سماحة لصوت سيد عبر الهاتف يقول " صدقني يا أبي الانفجار في مدينة أخرى بعيدة عن بلدة بانة .. أنا سألت أكثر من شخص وجميعهم أكدوا لي ذلك .. حتى أن عمرو فتح الخريطة على الهاتف أمامي وأراني كيف أن المنطقتين بعيدتين عن بعضهما بآلاف الكيلو مترات "

تطلع الحاج لشاشة التلفاز أمامه المثبتة على نشرة الأخبار منذ أن علم بالانفجار الضخم الذي حدث في إحدى المدن في بلد بانة .. ثم تمتم " لله الأمر من قبل ومن بعد "

تكلم سيد " لا تقلق يا أبي إنهما بخير بإذن الله .. إذا احتجت شيئا هاتفني فورا سأظل مستيقظا طوال

Des. Maryam Tamim

الليل .. وسأكون عندك صباحا في الورشة بإذن الله
"

قال الحاج بهدوء " لا داعي لأن تحضر كل يوم للورشة يا سيد وتترك مشاغلك .. إذا احتجت شيئا سأطلبه يا بني .. هل الحاجة أم عمرو بخير ؟"

تنهد سيد بحزن ورد " تتحسن ببطء .. لكن عمرو حالته سيئة جدا يا أبي .. لا يتكلم كثيرا .. يقسم الوقت بين عمله والمبيت مع والدته بالمستشفى .. أنا أقلق عليه جدا صمته يثير الشفقة ..ليته يحطم .. يدمر .. يصرخ . يبكي .. ولا أعلم هل عليّ أن أحترمه أم أضربه .. "

ابتلع الحاج غصة مسننة في حلقه وقال " نسأل رب العرش العظيم أن يلطف بنا في قضائه وقدره فهو اللطيف الخبير .. لا تتركه يا سيد سيحتاج لمن يشد به قامته ".

Des. Maryam Tamim

قال سيد ساخرا بمرارة " لا تقلق يا أبي أفكر أن استأجر غرفة بالمستشفى لأتابع حالة وائل وأم عمرو فكلاهما في نفس المستشفى حتى أني بت أميز بعض الأطباء وتخصصاتهم من كثرة ترددي على تلك المستشفى " .

ابتسم الحاج وودعه ليغلق الهاتف ويشرد في شاشة التلفاز التي تتحرك فيها الصور المفجعة أمامه دون صوت لنتائج الانفجار ..

منذ أن علم بالخبر وأعصابه لم تعد قادرة على تحمل القلق على أحمد ..

أحيانا يلوم نفسه على السماح له بالسفر خاصة مع عدم وجود شبكة هاتف في بعض المناطق خارج العاصمة ..ثم تعود رجاحة عقله توبخه أن الأمر كان حتميا فهو يعلم مدى تعلق ابنه بالفتاة..

وتتدخل قوة إيمانه تنهره على عدم الثقة في الله وفي القدر .. ليعود مجددا يمزقه القلق ..

قلق أب على ابنه ..
تقلبت إلهام في سريرها ونظرت إليه لتجده جالسا على المقعد الوثير أمامه المصحف الكبير مفتوحا ونظارة القراءة معلقة على أنفه.. فقالت بصوت أجش من أثر النوم " ألم تنم بعد يا إبراهيم .. ما بك لمَ تحدق في نشرة الأخبار منذ العصر " تمتم بهدوء " لا شيء يا إلهام يجافيني النوم .. سأكمل قراءة القرآن حتى يأتيني .. " .

أولته ظهرها وانتظمت أنفاسها من جديد .. فأشفق عليها .. يعلم أن ما يحدث مع أروى لا يتحمله قلبها الضعيف .. ويعلم أنها تلجم جموحها وعصبيتها من أجله .. فتبلع لسانها عن الرد لأنها تعلم أنه لا يحب المرأة العصبية سليطة اللسان وهي كذلك.. لكنها تبلع لسانها كرامة له .

Des. Maryam Tamim

تأمل قامتها القصيرة الضئيلة بين الأغطية وابتسم .. إن أحمد وآية قد ورثوا منها العصبية .. وكلما تحكمت في لسانها وعصبيتها في المواقف الصعبة كلما ازداد لها حبا وإكبارا لأنه يعلم أنها تفعل ذلك حتى لا تغضبه .

تنهد في إرهاق يشعر بانقباض صدره .. لا يعلم هل نال منه العجز لهذه الدرجة فلم يعد يتحمل المشاكل والهموم ؟..أم أن هموم الأبناء أصعب حملا وأشد أنواع الهموم ثقلا على النفس؟ .. فهو يشفق على حال أبناءه الثلاثة وما يلم بهم ..

تذكر نصيحة الشيخ عبد الرحمن رحمه الله له " ادع لأبنائك باستمرار يا إبراهيم فكما قال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم (لا يرد القضاء إلا الدعاء) .. "

فرفع يده للسماء يسأل الله أن يرفع البلاء عن أبنائه ومن شملتهم شفقة قلبه .. ثم عاد ليقرأ القرآن من جديد .

Des. Maryam Tamim

***

عند اذان الفجر :

قالت آية عبر الهاتف " ريان تعال بسرعة .. أبي مريض وطبيبه لا يرد على الهاتف ولا أعلم هل علينا أن ننقله للمستشفى أم لا "

- أنا قادم حالا .. ماهي الأعراض ؟.

- يمسك صدره ويتألم بشده .

- أنا ركبت سيارتي وقادم لا تقلقي .

أغلقت الهاتف تشعر بالتوتر بينما تسمع أمها تولول مرعوبة بجانب أبيها الذي يتألم بشدة .. اقتربت أروى بكرسيها وقالت" الطبيب ما زال لا يرد.. هل اتصلت بسيد ؟"

ردت آية " اتصلت به ولم يرد فاتصلت بدكتور ريان ليأتي بسرعة ويخبرنا إذا كنا بحاجة لنقله للمستشفى أم لا ".

Des. Maryam Tamim

رن هاتف آية فردت بسرعة توبخه " لمَ لم ترد فورا يا سيد "
قال بقلق " كنت أصلي الفجر ماذا هناك يا آية انطقي ؟"
تحركت أروى للصالة تشعر بالقلق على والدها .. إنها تبذل مجهودا جبارا لأن تبدو عادية أمام والديها.. وتتعمد ألا تحبس نفسها في غرفتها حتى لا تزيد من همومهم .. لكنها توقعت أن تمرض أمها لا أبيها .. فالحسرة في عيني أمها تعذبها .. لذا قررت أن تصمد وتبتلع وجعها وألا تحملهم المزيد من الهموم .

بعد نصف ساعة كان سيد يترجل من سيارته مسرعا نحو بيت سماحة وقد بدأ النور يتسلل بخفة ليمحو الظلام .. لكنه تسمر أمامه حين اصطدم بهيئة ذلك الطبيب المستفز فهم بالانقضاض عليه.

Des. Maryam Tamim

ابتلع ريان ريقه وهو يرى ذلك الضخم أمامه .. ذلك البغيض الذي يعذب قلب آية .. واستشعر الخطر لكنه تماسك وهو يسمعه يصيح بغضب " أنت .. ماذا تفعل هنا ؟؟؟"

رد ريان متهكماً " جئت لأجمع القمامة .. لمَ جئت أنت ؟ "

حدق فيه سيد وشعر برغبة ملحة في دق مسمار بالحائط وتعليقه عليه من ياقة سترته .. فأكمل ريان وهو يرفع رأسه إليه " هل جئت لاصطياد الأطباء؟ .. أتمارس هواية قنص الأطباء والتهامهم على الغداء "

قال سيد وهو يتحكم في غيظه " هل أتيت أنت لتستخف دمك هنا ؟ "

رد عليه ريان " أجل .. قيل لي أن خفة الدم هنا في هذا الشارع ممتعة خاصة حين تكون في ساعة مبكرة من اليوم .. تطرد الأرواح الشريرة الغاضبة "

Des. Maryam Tamim

مد سيد يده وأمسك بياقة قميصه فبادره ريان يقول " ماذا تعتقد أني أفعل هنا بالله عليك أمسك حقيبة في يدي وأدخل الشارع مهرولا في هذه الساعة .. هل ستستجوبني ونترك الحاج مريضا ؟! "

تنبه سيد ليترك ياقته فورا .. فتعجب ريان من هذا التغير المفاجئ في الملامح .. من ملامح أبا الغضب لملامح السيدة ملعقة .. ليدفعه سيد بخشونة لداخل البوابة يقول " هل ستظل تحدق في ؟ .. عجِّل بسرعة .. لو كنت أعلم أنك الطبيب الذي أحضروه لكنت أحضرت واحدا بمعرفتي "

استدار إليه ريان وهو يصعد السلم يطالعه بملامح مندهشة .. بينما لكزه سيد بخشونة يتخطاه ليصعد أمامه فالتصق ريان في الحائط وهو يسمع

Des. Maryam Tamim

سيد يتمتم" سأسبقك لأنبه نساء البيت بوجودك ."

دلك ريان كتفه متألما وتمتم في سره " ماذا تحب آية في هذا الهولاكو ؟!".

بعد قليل قال ريان للحاج وهو يغلق حقيبته " هذه الحقنة ستريحك إن شاء الله .. هل قمت بتحليل الكوليسترول مؤخرا "
فتمتم الحاج بإعياء بلا ..

تطلعت آية إلى ريان متعجبة من هيئته الجادة التي كان عليها منذ أن بدأ بالكشف على أبيها .. فظهر مختلفا تماما عن ريان كثير المزاح الذي عرفته بينما تكلمت إلهام " هل سيكون بخير يا دكتور ؟"

Des. Maryam Tamim

رد ريان وهو منهمك في كتابة شيء ما في دفتره "لا تقلقي يا حاجة هو بخير مجرد ارتفاع في الضغط .. سنحتاج لبعض التحاليل لنطمئن على صحته لكن الأمر بسيط إن شاء الله ".

قالت إلهام" وهل هناك طعاما معينا سيأكله .. إياك أن تخبرني بأن السمن البلدي هو السبب طول عمرنا نستخدمه يا بني وكانت صحتنا حديد"
اتسعت ابتسامة ريان وتخلى عن هيئة الطبيب ليرد " الحقيقة اختلف فقهاء الطب من هذه الناحية يا حاجة فمنهم من يقول أن تعرض السمن للتسخين يؤكسد السمن البلدي ويفقده فائدته .. ومنهم من يبرئها من رفع نسبة الكوليسترول في الدم براءة الذئب من دم ابن يعقوب .."

فسألته إلهام بحيرة " وما رأيك أنت يا دكتور ؟"

Des. Maryam Tamim

اتسعت ابتسامة ريان يقول " السن له عامل يا حاجة .. أدام الله عليه بالصحة .. عليه أن يلتزم بالأكل الخفيف .. عموما بعد التحاليل سنتحدث فيما يجوز أو لا يجوز له في الطعام .. حاليا سيأكل المسلوق فقط .. (واكمل بابتسامة عريضة) وسأكل أنا بالسمن البلدي " .

اتسعت ابتسامة كل من إلهام وآية وأروى بينما طحن سيد الواقف عند باب الغرفة ضروسه فتمتمت إلهام " يا حبيبي أهلا وسهلا بك .. آية أخبرتني أنك أخو منة صديقتها "
رد وهو يلملم أغراضه " أجل أنا ذلك الشخص .. على أية حال أنا كتبت الأدوية والتحاليل المطلوبة .. وأرجو من الحاج أن يرتاح تماما في السرير .. ويبتعد عن الضغط العصبي (واختلس نظرة سريعة نحو سيد الذي يقف على باب الغرفة بملامح أبي الغضب وأكمل) وأن يبتعد عن العبوسين

Des. Maryam Tamim

الغاضبين مثيري الفزع في النفوس .. ويجلس في مكان به أكسجين ويبتعد عن الأشخاص الذين يسحبون الهواء من الغرفة ويطبقون على النفس "

.

لاحت ضحكة مكتومة من آية فاختلس النظر إليها اثنان .. شخص غاضب يرغب في دق مسمارا وتعليقها هي الأخرى من ذلك الإسدال الذي تغرق فيه كالعادة على حائط بعيد عن هذا المستفز المستظرف .. وشخص اتسعت ابتسامته وأكمل كلامه وهو يتحاشى النظر إليها " ويجالس الأشخاص فاتحي الشهية على الحياة ".

ضرب سيد قبضته في كفه وقال بتحفز " شكرا يا .. دكتور .. سأريك طريق الباب "

هتفت إلهام تقول" لا يصح يا سيد إنه ليس غريبا (واستدارت لريان تقول) أحضرناك في وقت مبكر يا ولدي .. بالتأكيد لم تفطر بعد "

Des. Maryam Tamim

تكلم ريان ببؤس" لا لم أفطر (ونظر في ساعته) لكني قد ألحق عم زعلوكة على عربة الفول إذا أسرعت "

صاحت إلهام تقول " والله لن تذهب قبل أن تفطر"

أطرق ريان برأسه وقال بمسكنة " موافق .. ما دمتِ قد اقسمتِ يا حاجة " .

ابتسمت أروى وكتمت آية صوت ضحكة كادت أن تفلت منها فابتسم ريان منتشيا بينما هتف سيد باستنكار " أمي هل هذا وقت الضيافة !!"

تحركت إلهام نحو الباب تزيحه برفق وهي تقول " انتظر أنت أيضا لتفطر يا سيد (ثم استدارت لريان تقول) هل تحب الطعمية أيضا ".

أجابها ريان بحماس " والباذنجان وكل أنواع الطعام "

Des. Maryam Tamim

ابتسمت بحنو وتحركت تقول لسيد الجاحظ العينين " ابتعد يا سيد لمَ تسد الباب بهذه الطريقة !".

انزاح سيد قليلا فخرجت إلهام وتبعتها أروى ثم ريان الذي أسرع بالمرور وكأن سيد سينقض عليه .. ثم أطرق سيد برأسه واضعا يديه في جيبه فتحركت آية ببطء وكأنها تستمتع بكل خطوة في حضوره .. ومرت من جانب طوله ورأسه المنكسة بجوار الباب تستمع لصوت أنفاسه متمنية لو تلمسه لثانية واحدة لكنها قبضت يدها بقوة بينما أغمض هو عينيه حين مرت من أمامه ليسيطر على انفعالاته .. وظل واقفا بعدها لبعض دقائق على نفس الهيئة.. غير قادر على الحركة .

قال الحاج بصوت واهن " ما بك يا سيد لمَ تقف هكذا ؟"

Des. Maryam Tamim

رفع سيد رأسه وأسرع إليه يدخل الغرفة ويعدل الأغطية على الحاج متمتما " لا شيء يا أبي حفظك الله لنا من كل شر يا أبا أحمد .. لا تحمل هما اليوم أو غدا ستجده يتصل بك ويطمئن قلبك .. ولا تقلق على المؤسسة سأتابعها أنا ".

ربت الحاج على ذراعه فانحنى سيد يقبل رأسه .

حين خرج بعد قليل وجد أروى تنتظره في الممر فابتسم لها بشفقة متألما على حالها فبادرته بالقول " كيف حاله ؟ "
استند على الحائط وقال بحزن " حاله سيئ جدا يا أروى كيف طاوعك قلبك ".

قالت بلوعة " على أن أكون أنا الطرف الأقوى فلا أريده أن يضطر للاختيار بيننا .. فلن أقبل أن

Des. Maryam Tamim

يفضّلني على والدته ولن أتحمل جرح أن يختار والدته ويتركني ".
حوقل سيد ولم يجد كلاما مناسبا لوضع صعب كهذا لكنه سألها بلهفة " هل حقا ستقيمين دعوى لطلب الخلع منه ؟!!"
ابتسمت وردت " إن هذا اللئيم يدرك جيدا أني لن أقدر على فعلها فكلانا يترك المهمة للآخر"
سألها بقلق " والحل؟"
ردت تقول " الصبر هو الحل.. دعنا نتركها للأيام فبعض الأمور يظل حسمها ضربا من الخيال"

على منضدة السفرة وضعت إلهام أطباق الفول والطعمية والباذنجان المخلل أمام ريان فتفجرت القلوب الحمراء في عينيه لتقول " يبدو أنك تحب الأكل الشعبي يا دكتور"
قطع ريان الرغيف في حماس وتمتم" جدا جدا وهذا سبب من أسباب مشاكلي مع والدتي (ثم

Des. Maryam Tamim

قطع كلامه ينظر حوله وأكمل) هل سآكل بمفردي ؟"

ردت آية " شكرا لا رغبة لي في الأكل "

بينما تكلمت إلهام قائلة " ألا تحب والدتك الأكل الشعبي ؟"

قال ريان وقد بدأ في الأكل بتلذذ كعاشق يقبل حبيبته بعد طول اشتياق " أمي جلفدان هانم سليلة الباشوات إذا ما علمت أني اقف يوميا أمام عربة الفول أفطر ستصاب بذبحة صدرية مع ارتشاح في المخ "

ضحكت إلهام وقالت " لهذه الدرجة .. (واكملت بلهجة ذات مغزي) هل تشاركك زوجتك حبك للأكلات الشعبية ؟"

رد ريان بحماس وهو يفتح يديه الخالية من المحابس أمامها " لست متزوجا (ثم أكمل بلهجة ذات معزى) ولست خاطبا .. وأبحث عن عروس لأكمل نصف ديني ".

Des. Maryam Tamim

تهللت أسارير إلهام ونظرت إليه بنظرة تقييمية معجبة وقالت " كيف تترك الفتيات شابا وسيما مثلك دون زواج هل لديهم مشاكل في النظر؟"

قهقه ريان في سعادة وقال " جبر الله بقلبك يا حاجة وأسعدك "

هتفت إلهام بحماس " عندي زيتون مخلل هل تحب الزيتون ؟"

هلل ريان يقول" أنا أعشقه "

فأسرعت إلهام نحو المطبخ .. بينما اقتربت آية منه وقالت ضاحكة " بدوت كطبيب حقيقي وأنت جاد اليوم "

طالع ريان اطلالتها المشرقة عليه من جلسته وود لو أن يخبرها أنه لأول مرة يعرف أن إسدالات الصلاة تكون بهذا السحر على الفتيات لكنه تكلم

Des. Maryam Tamim

ليقول مازحا " واتقن الطهي وأقدس الحياة الزوجية ".
وضعت كفها على فمها تكتم ضحكة أذابت عظامه لكنها ابتلعتها حين ضرب سيد على المنضدة بيده يقول بلهجة خطرة " أروى تنادي عليك "
تكلم ريان يقول ببرود " غريبة لم أسمع أحد ينادي" .

حدجه سيد بنظرة خطرة ليخرس ثم عاد لآية التي جزت على أسنانها بعصبية وتحركت نحو الداخل فعاد ينظر لريان الذي يطالعه بتحدي رغم أنه يدرك أن المنافسة معه ليست متكافئة ليس فقط لأن هذا الهولاكو يفوقه قوة ولكن لأن قلب تلك القصيرة المغفلة في يد آكل لحوم البشر هذا .

Des. Maryam Tamim

صوت بسبسة أتى من الممر ليقطع الصمت الصاخب بين الرجلين فرفع سيد رأسه ليجدها تقف في الممر تشير له بعصبية لأن يقترب .. فترك ريان الذي لم يكن غافلا عما يحدث وقد أسرع بحشو المزيد من الطعام في فمه ليبتلع به آلام قلبه .. بينما دنا سيد منها يود لو أن يطول الطريق حتى يجد المبرر ليملأ ناظريه من صورتها .. قابضا كفيه بقوة بجانبه يقبِّلها بعينيه بشوق .. لكن للأسف انتهت المسافة بينهما سريعا وسينتهي اللقاء المختلس هذا بشكل أسرع ..

أكلها بعينيه رغم غيظه منها وأطربه صوتها الذي كان يؤنس وحدته عبر الهاتف يوما وهي تقول بغيظ مكبوت رافعة أنظارها إليه " هل من الممكن أن أعرف ما هذا الذي فعلته؟"

رد عليها يجز على أسنانه "ماذا فعلت؟"

ردت بحنق " لقد أحرجتني أمامه كيف تسمح لنفسك أن تعاملني بهذا الشكل؟"

Des. Maryam Tamim

طالعها ببرود ورد متألما " أكبرتِ يا آية.. وجاء اليوم الذي تسأليني فيه باستنكار كيف أسمح لنفسي؟؟!!" .

طعنتها جملته فتطلعت إليه وهي تستنشق أكبر قدر من رائحته التي تعشقها وتسحبها إلى رئتيها وقالت " أحرجتني أمامه يا سيد" .

رد بغيظ " توقفي إذن عن توزيـع ابتساماتك وضحكاتك على الأغراب إن لم ترغبي في أن احرجك "

ردت بتحدي رغم سعادتها أن تستشعر غيرته " وإن لم أفعل؟!"

ضيق عينيه يقول" سأخبر الحاج والحاجة أنك تتساهلين في الحديث مع الأغراب".

ردت وهي تتلذذ بإغاظته" ألم تلاحظ أن ريان أعجب أمي وأنها الآن تشعر بالحماس وتمطره بالأسئلة للتعرف عليه "

Des. Maryam Tamim

داري عذابه وغيرته ورد ببرود " والمعنى؟"
ردت بتسلي وهي تلتهم تفاصيل وجهه " أي أن شكوتك لن تفيد بشيء "
رفع قبضته يقول بغيظ " إذن سأمنعك أنا بنفسي "

تخصرت وقلبها يقفز في صدرها احتفالا بالغيرة المشتعلة في عينيه بعد شهور عجاف من البعد .. وقالت" لم يعد لك عليّ سلطان فأنت بدون صفة في حياتي "
شدد على قبضته أكثر وقال بلهجة خطرة" ربما أنا بدون صفة في حياتك .. لكنك بالتأكيد لن تحبي أن تتسببي في أن أبيت في قسم الشرطة وييت هذا المستظرف على سرير في قسم الكسور بالمستشفى "..

Des. Maryam Tamim

صمتت غير قادرة على المتابعة في التلذذ بهذا الشعور المبهر بغيرته .. لا يصدق قلبها الصغير أن هذا المارد .. يمكن أن يغير من رجل أخر!! .. كيف يكون بهذا الغباء !! .. ألا يعلم أنها واقعة تحت تعويذة سحرية فلا ترى عيناها سواه رجلا؟!!.

بينما ابتلع سيد ريقه وتنحنح منسحبا فجأة وقد استشعر أنه يوشك أن تنفلت أعصابه ويغرق في عسل عينيها ..

ومن بعيد وقفت إلهام ساهمة وهي تطالع وقفتهما معا .

لقد قرأت العيون فانقبض قلبها .

***

دخل أحمد ساحة بيت الخوازن ممتنا لتلك المصادفة أنها ليست في البيت وإنما تشارك في تحضير عرس أحد أبناء عمومتها ..

Des. Maryam Tamim

كان نهارا غريبا بدأه حين خرج صباحا مع شاكر وحميد الي البلدة المجاورة ليلتقط شبكة هاتف ويقوم بالاتصال بوالده .. فلم يتصل به منذ ثلاثة أيام لانشغاله بالعمل في مجمع الأديان وبالاحتفال الذي أقامه الخوازن على شرفه وبنقل ما يخصه للبيت الجديد الذي استأجره .. لكنه استشعر أن صوت والده كان مختلفا رغم ادعائه أن كل الأمور على ما يرام ..

فاتصل بسيد ليبادره الأخير بالصراخ والتوبيخ أنه لم يتصل بأبيه لمدة ٣ أيام .. وأن والده قد ارتعب حين سمع بانفجار في مدينة أخرى.. وبالضغط على سيد أخبره بكل شيء فنزلت الأخبار فوق رأسه كالصاعقة ..فلم يدري بنفسه إلا وهو يجري على أقرب مكتب طيران ليشتري تذكرة للعودة للوطن فورا ..

صحيح أنه كان ينوي العودة بعد عشرين يوم ربما هي أيامه الأخيرة مع بانة .. لكن ما سمعه من أخبار

Des. Maryam Tamim

لم يقدر أن يبقى بعدها ساعة واحدة إضافية .. فما كان ينوي أن يقوم به بعد عشرون يوم لابد أن يقوم به الآن وفورا .

فعاد ليجهز حقيبته .. ومر في طريقه على مبنى مجمع الأديان الذي أوشكت أعمال الخشب فيه على الانتهاء .. فقد اجتهد هو وفريق العمل للانتهاء منه سريعا .. قاصدا أن يتفرغ لبانة في الأيام المتبقية له معها .. ولم يدري أن تلك الأيام أقصر بكثير مما كان يظن .. ودعهم في المشروع وأخبرهم بأن عليه العودة لوعكة صحية ألمت بوالده وأعطاهم النصائح الأخيرة راضيا على المستوى الذي خرجت به الأعمال الخشبية هناك.

دخل أحمد على أبي فراس وقلبه يضرب في صدره بقوة وهو يدرك أن لحظة الرحيل قد حانت ..فجحظت عينا أبو فراس وهو يرى أحمد يدخل

Des. Maryam Tamim

عليه يحمل حقيبة سفر وملامحه شاحبة كالأموات.

ابتلع أحمد ريقه وقال بصوت مبحوح "أنا ذاهب "

اتسعت عينا أبو فراس وتمتم " ماذا تعني؟؟ .. إلي أين ؟؟"

رد أحمد " لابد أن أعود لبلدي فورا"

سأله أبو فراس بقلق " ماذا حدث؟؟؟"

رد أحمد بحزن " اليوم علمت أن أبي مريض .. وأن أختي وصديقي على وشك الطلاق .. (صمت قليلا يبتلع ريقه بصعوبة وأكمل بصوت مرتعش) وأن صديقي في غيبوبة منذ رحيلي "

حوقل أبو فراس بأسى ثم قال بالتياع "وهل بانة تعرف ذلك ؟؟؟"

رد أحمد بهدوء ظاهري يداري ارتجافه " لا.. ولا أريدها أن تعرف "

Des. Maryam Tamim

جحظت عينا أبا فراس ورد بصوت مبحوح " ماذا تعني بهذا الكلام !! "

رد أحمد بصوت هارب منه " أعني ما قلته "

هتف أبو فراس باستنكار " هل ستسافر دون أن تخبرها !؟!"

غمغم أحمد " أجل"

هتف الآخر باستنكار " لماذا؟"

سحب أحمد نفسا متألما يداري به انفعالاته وقال "هذا ما كنت انويه منذ أيام .. أن أسافر بعد عشرين يوم هي المهلة التي وعدت أبي أني لن أزيد عنها .. دون أن أخبر بانة "

هتف أبا فراس منفعلا " ما هذا الذي تقوله ؟!! لماذا؟؟!!"

صاح أحمد بانفعال " لأرحمها من عذاب الاختيار بيني وبينكم " .

هدر أبا فراس بسرعة " ومن قال أني سأترك لها مجالا للاختيار .. مكان الزوجة مع زوجها" .

Des. Maryam Tamim

رد أحمد بشموخ " وأنا لا أريد مجرد زوجة .. وأعلم أن بانة لو سافرت معي بالإجبار فستسافر معي جثة بلا روح .. ستترك قلبها وعقلها هنا بينكم .. أنا أعلم أن الاختيار صعبا وأن التضحية كبيرة .. ولا أريد أن اعرضها لهذا التمزق .. "

صمت أبو فراس قليلا يستوعب المفاجأة ثم قال" من الممكن أن تتفق معها أنك ستسافر وهي تلحق بك بعد أن تطمئن عليّ إن كان هذا ما تعنيه "

رد أحمد بإصرار " لا .. أنا أعرفها كما تعرفها أنت بالضبط لديها روح المسئولية عالي.. وقد تأتي إليّ فيما بعد لاعتبارات أنها زوجة وأنها تشعر بالامتنان لي ولأسرتي وما إلى ذلك.. وليس هذا ما أريده منها .. فأنا وهي قصة لن تكون نمطية أبدا .. وإن لم يكن ما يجمعنا حب حقيقي قوي فلا داعي لأن نعذب أنفسنا "

Des. Maryam Tamim

سأله أبو فراس باستنكار " ماذا تقصد ؟؟ هل ستتركها هكذا دون وداع ؟؟؟.. دون أي شيء؟؟؟؟".

رد أحمد بصوت مرتجف " أجل .. فأنا أفعل ذلك متعمدا لأعطي لها الفرصة أن تتهمني بأني رجل غير مسئول .. وجرحتها .. وتغلق صفحتي وتنهي عذابها بالتشتت بين بلدين .. أما لو كنت أمثل لها ما تمثله هي لي ستسامحني وستأتي إلي .. ببساطة أنا أرفع عنها الحرج أن تظل معي كمجرد زوج رزقها الله به .. آن الأوان لأن تسعى هي إليّ .. لكني هذه المرة سأزيل كل الأسباب المنطقية من أمامها لأن تختارني وسأرى إن كان ما تبقى بعد غياب المنطق سيدلها على طريقي أم أنها ستكتشف أني لم أكن في حياتها سوى أنسان ممتنة له وتعتز به فقط ".

صاح أبو فراس متألما " أنت مجنون وتغامر "

Des. Maryam Tamim

قال أحمد بإصرار " لم يبقى لدي سوى المغامرة ..فأنا أمقت اللون الرمادي .. إما أبيض أو أسود .. وحان الوقت لأن أختبر حبها لي (ابتلع ريقه وأكمل بلهجة ذات مغزى) ولا أظنك أيضا على استعداد للتخلي عنها قريبا "

صاح أبو فراس مدافعا " هذه مشكلتي أنا.. المهم سعادتها هي"

أطرق أحمد برأسه قليلا ثم رفعها ليقول بصوت يرتجف " لقد انتهت رحلتي معها .. وأعدتها إلى اسرتها كما وعدتها.. أعدتها مرفوعة الرأس .. وتعمدت أن أشارك في مجمع الاديان لتبقى ذكرى زوج بانة الخازن ترفع رأسها في البلدة .. وانتهت مهمتي عند هذا الحد ".

سأله أبا فراس ولم يخرج من الذهول بعد " وماذا سأقول للناس ؟".

رد أحمد متصنعا الهدوء " قل لهم الحقيقة .. أن أبي مريض واضطررت للذهاب وبانة ستلحق بي

Des. Maryam Tamim

بعد أن تطمئن عليك (وغلبه التأثر ليكمل بارتجاف) وإذا قررت بانة الانفصال .. (ابتلع ريقه وهو يفكر بكلمة الانفصال) أخبرهم أنها لم تستطيع ان تترك بلدها من أجلي ".

حدق فيه أبو فراس لا يعلم أهو مجنون أم عاشق إلى حد التضحية بينما أكمل أحمد بتوسل والألم يعتصر قلبه وقلب أبا فراس " أرجوك يا عماه .. لا تضغط عليها بالرجوع .. أتركها تقرر وحدها بكامل إرادتها .. وإياك وإثارة روح المسئولية لديها .. إنها قد تضحي بنفسها من أجل الأخرين .. وإياك أن تخبرها أنك شعرت بأني كنت متأثرا بتركها .. فلا أريدها شفقة .. أريدها أن تأتي إليّ حبا وعشقا لا شفقة .. أريدها تأتيني رغم أني جرحتها وآلمتها وتركتها بشكل مهين .. أريد أن ينتصر قلبها على عقلها.. أعلم أني قد أبدو مجنونا أمامك .. لكن بانة لن تكون سعيدة إلا أذا جاءت باختيارها إليّ .. كل ما

Des. Maryam Tamim

أفعله هذا لأجردها من كل ما يمكن أن تبقى معي من أجله لنرى إذا ما كان الحب الذي في قلبها لي كاف لأن تبتلع إهانتي لها وتأتي إليّ.. أم أن عدم وجودي في حياتها سهل التعامل معه "

انعقد لسان أبا فراس يحدق فيه محاولا تقييم الأمر .. فأخرج أحمد خطابا وقال" هذا الظرف لها"

.

سأله أبا فراس" هل دبرت وسيلة نقل للمطار .. أنت أمامك رحلة سفر لأكثر من عشر ساعات لتصل للمطار ".

رد أحمد" لقد حجزت تذكرة للحافلة أحتاج فقط من يقلني لموقف الحافلة .. وأرجو ألا تعطيها هذا الخطاب إلا بعد اثني عشر ساعة من الآن حين أكون في السماء متجها لأرض الوطن "

تمتم أبا فراس باستسلام " سأطلب من صقر أن يقلك لموقع الحافلة".

Des. Maryam Tamim

وحدق فيه قليلا ثم نظر للظرف الثقيل في يده.. لا يعرف ماذا يقول .. فمال أحمد بسرعة يقبل رأسه وهو يتمتم " أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه .. أتمنى أن يتم شفاءك على خير " .

وحمل حقيبته مغادر بسرعة وعينا أبا فراس المصدومة تشيعه شاعرا بأن قلبه في قبضة جليدية .

بعد قليل كانت السيارة تبتعد بأحمد وهو يتطلع للمرآة الجانبية ويداري وجهه المتأثر عن صقر الذي يختلس النظر إليه في وجوم بينما الصبي آدم يصرخ بالتياع وقد أفلت من قبضة شاكر الذي يحاول السيطرة عليه وجري خلف سيارة أحمد بعد أن سمع الكبار يتحدثون عن سفر العم سماحة.

***

Des. Maryam Tamim

دخل سيد للورشة بسيارته وترجل منها يسأل عن وصول شحنة الخشب فأخبروه أنها لم تصل بعد .. فقال للعم عبد الحليم المشرف على العمال" إذن سأراجع دفاتر الحسابات والطلبيات ومواعيد التسليم .. وأريد أن أمر لتفقد سير العمل"

تمتم عبد الحليم بلهجة ذات مغزى " كل ذلك تم وبقي فقط مراجعة الحسابات " .
رفع سيد حاجبه باندهاش وسأله " ماذا تقصد من أنجز العمل ؟ فأنا عطلت أعمالي من أجل هذا "

رد عبد الحليم ونظرة الإعجاب تطل من عينيه " انجزته الصغيرة "
سأله سيد بعدم فهم " من تقصد؟؟؟!!"
لاحت ابتسامة على وجه الرجل العجوز ليقول "الأستاذة آية هنا منذ ساعات وانجزت كل العمل

Des. Maryam Tamim

الورقي إلا الحسابات فقد قالت بصراحة أنها ليست ضليعة فيه .. والآن تتفقد سير العمل "
تدلى فم سيد ببلاهة ثم ابتلع ريقه وقد تضخم قلبه حتى كاد أن ينفجر وقال "هل آية هنا ؟"
ابتسم الرجل وتمتم بنعم .
سأله سيد بفضول " وكيف انجزت الأعمال الورقية ؟
رفع له الرجل إبهامه بإعجاب .
اتسعت عينا سيد وتمتم بغير تصديق " القزمة !!"

اتسعت ابتسامة الرجل ليقول" عليك أن تراها وهي تتعامل مع الأوراق وتسأل بنباهة وتقارن الطلبيات والمعروض وتتفقد سير العمل .. جزئية واحدة اخبرتني أنها لن تستطيع أن تنجزها هي الأمور الحسابية وأنها ستأخذها للبيت لتراجعها مع الحاج "

Des. Maryam Tamim

لاحت ابتسامة فخر على وجه سيد .. ثم سأله
"وأين هي الآن"
رد عبد الحليم" تمارس دور أخيها"
عقد سيد حاجبيه وسأله "ماذا تعني ؟"
رد الرجل العجوز بتسلي" تعذب العمال "
انفجر سيد ضاحكا في ضحكة عالية قبل أن يلحق بقلبه الذي أسرع يبحث عنها .

بعد دقائق دخل سيد يتطلع إليها وهي تتفقد سير العمل وتبدي بعض الملاحظات الخاصة بالتصميم بحزم وجدية.. فابتسم بحنان ليقول العم عبد الحليم بإعجاب " سماحية أبا عن جد .. يبدو أن كل ما خزنته في عقلها عن سير العمل تستحضره الآن كما أن الفترة الماضية كانت تتردد هنا بانتظام مع الباشمهندس أحمد "
استدارت آية إليهما متفاجئة فأشاح سيد بنظره من التحديق فيها ..وفي بنطالها الجينز وحذائها

Des. Maryam Tamim

الرياضي المريح وحجابها الذي يبرز لون العسل في عينيها بقوة .. فازدادت ضربات قلبها في سعادة .. حياها بهدوء يقول أمام العم عبد الحليم " كيف حالك آية ؟"

ردت وقد تخضبت بالحمرة "الحمد لله "

شعر سيد أن وجوده معها هنا وحدهما في الورشة سيضعفه فقال لعبد الحليم " سأكون في ساحة الورشة في انتظار شحنة الأخشاب لأتسلمها .. أطلب لي كوبا من الشاي".

وتحرك متثاقلا ومتمنيا لو استغل الفرصة لتجاذب بعض أطراف الحديث العادي معها .. بينما شعرت آية بالإحباط لمغادرته بعد دقيقتين قضتهما في سعادة أنه هنا معها .. فتمتمت بخفوت للعم عبد الحليم " وأنا في مكتب أحمد سأراجع بعض الأوراق قبل أن أغادر ".

Des. Maryam Tamim

بعد قليل كانت تتطلع إليه عبر النافذة .. يستند بعيدا على سيارته ويضع سماعات الهاتف على أذنه فخمنت أنه يستمع لبعض الموسيقى ..

فركت كفيها قليلا وفتحت هاتفها تبحث على أغنية معينة على تطبيق الساوند كلاود ووضعت السماعات على أذنها تسمعها ولم تنسى أن تنشرها على صفحتها على التطبيق .
عند السيارة جاء لسيد إشعارا أن آية قد نشرت أغنية على صفحتها فتملكه الفضول كالعادة ليعرف إلام تستمع فشغل الأغنية ليصدح صوت فيروز "

بناديلك يا حبيبي .. ما بتسمعلي ندا
و لا التلات القريبة بترجعلي الصدا
كأنك ما حدا ضايع بهالمدى
حبيبي يا حبيبي ما لي غيرك حدا

Des. Maryam Tamim

ضحك سيد ضحكة ساخرة وتمتم بغيظ
"تناديني!!"
ثم بحث على تطبيق الساوند كلاود على أغنية
ونشرها على صفحته ليصل لآية إشعارا بذلك
فاستمعت للأغنية وقد جحظت عيناها :

بتنادينى تانى ليه ؟ ..
انتى عايزة منى إيه؟
ما انتى خلاص حبيتى غيرى
روحى ل اللى حبتيه ..

ضربت كفيها ببعضهما باستنكار وهتفت في عصبية
" ماذا ؟.. هل فقد عقله!! .. حسنا يا سيد .. حسنا
أيها الغليظ السخيف .."
ونشرت على صفحتها أغنية أخرى استمع إليها
سيد فضربته في مقتل .

حب ايه اللي انت جاي تقول عليه

Des. Maryam Tamim



انت عارف قَبلة معنى الحب ايه؟
لما تتكلم عليه !!

انت ما بينك وبين الحب دنيا
دنيا ما تطولها ولا حتى فخيالك
اما نفس الحب عندي حاجه تانية
حاجه أغلى من حياتي ومن جمالك

أطرق سيد برأسه قليلا ثم نشر أغنية أخرى ليرد عليها فتلقتها آية بلهفة ..

على حبك عندي ١٠٠ إثبات
شوقي مثلا .. بان في عيني ساعات
وبخاف .. وبغير .. خد من ده كتير
وان سيرتك جت بنطق بالخير
وطبعك أخدت منه حاجات

وأخبارك مَعَ التَّفَاصِيلِ..
أَحُبَّ أَسَمْعَهَا بالتفصيل
مَادَامَ أَتَفَتَّحَتْ السِّيَرَةُ أَخَدَّ..
وَأَدِي لِنَصَّ اللَّيْلُ

وفِي حُبَكِ كُلَّ يَوْمَ فِي جَديدِ ..
وَلَوْ تُوحِشُنِّي وَاُنْتُ بَعيدَ
دِهُ الأحساس بنتلاقى
ما فيش حاجَةَ إسمها مَوَاعِيدَ
لو أقولك الكلام هيطول..
حس انت شوف بعينك دول
في كلام عادي يتقال للناس..
وكلام يتقال أجمل إحساس
بيوصل للقلوب على طول..

أمسكت آية بقلبها وتوقفت عن إرسال المزيد من الأغنيات .. فلم تفعل سوى أن ظلت تستمع للأغنية الأخيرة مرارا وتكرارا ..

[3447]

حتى بعد أن قررت العودة وجدته منتظرا في سيارته
بعد أن انتهى من استلام شحنة الخشب .. فمرت
من أمامه وركبت سيارة والدها وخرجت من
الورشة وهي تراه يتحرك خلفها مباشرة ..
فشغلت الأغنية الأخيرة وهي تنظر لسيارته في
المرآة الأمامية مرارا ولم تدري أنه يستمع لنفس
الأغنية في سيارته أيضا.. وسار خلفها بسيارته قلقا
وهو يراها تقود السيارة وحدها .. ولم يطمئن إلا
بعد أن وصلت للبيت وركنتها ..

فتحرك مغادرا عائدا إلى حيث كان ..
إلى مكان لا تشرق فيه شمسه الصغيرة
***
في نفس الوقت الذي كان يربط أحمد حزام مقعده
كانت بانة تفتح خطاب أحمد ذاهلة متحجرة لم
تستوعب بعد .. لتجد خطابا وهاتفه .
فتحت الخطاب بيد مرتعشة لتقرأ :

Des. Maryam Tamim



يبدو أن الرحلة انتهت يا بنت الخازن ...
ولم أدرك ذلك سوى الآن ..لأنها انتهت في لمح البصر
فالربان أوصل المسافرة إلى دارها ..

انتهت ولم أشبع من شوقي إليك إلا الفتات ..

لكنها نهاية متوقعة .. وشاخصة في أذهاننا أنا وأنت طيلة رحلتنا ..
لذا علينا أن نستحضر أحمد وبانة الواقعيين لنواجه مصائرنا بشجاعة ..

أنا أدرك جيدا ماذا يمثل لك وطنك .. وأهلك ..
لذا لم أرد أن أضعك في عذاب الاختيار .. فآثرت أن أنسحب من حياتك بشجاعة تعلمتها منك ..

وآثرت أن أعطيك الفرصة لأن تقرري أنت مصيرنا
..
فهو الآن بيدك يا بانة ..
أتذكرين الأغنية الثانية التي قلت لك أني جهزتها على هاتفي .. استمعي إليها الآن .. فكنت أعدها للحظة الوداع ..

إن أردت الانفصال أخبريني عن طريق السفارة وسأنفذ لك ما تطلبينه ..

وأعلمي أني لم أكن .. ولن أكون غاضبا منك .. فأنا أعلم جيدا أولوياتك ..
واعلمي أنك قلبي ..
قلب أحمد ..

أمسكت بانة الهاتف بيد ترتجف بشكل مثير للشفقة وضغطت على الأغنية الوحيدة التي

Des. Maryam Tamim



وجدتها بينما الطائرة تنطلق عائدة بأحمد إلى وطنه

..

تاركا قلبه في وطن آخر .

علمني حبك..
أن أحزن...
وأنا محتاج منذ عصور ..
لامرأة تجعلني أحزن
لامرأة أبكي فوق ذراعيها ..
مثل العصفور
لامرأة تجمع أجزائي ..
كشظايا البلور المكسور

علمني حبك سيدتي أسوأ عادات
علمني أفتح فنجاني ..
في الليلة آلاف المرات
وأجرب طب العطارين ..

[3451]



وأطرق باب العرافات

علمني أخرج من بيتي..
لأمشط أرصفة الطرقات
و أطارد وجهك في الأمطار ..
وفي أضواء السيارات
وألملم من عينيك ملايين النجمات
يا امرأة دوخت الدنيا..
يا وجعي ..
يا وجع النايات
أدخلني حبكِ يا سيدتي مدن الأحزان
وأنا من قبلكِ لم أدخل مدن الأحزان
لم أعرف أبداً أن الدمع هو الإنسان
أن الإنسان بلا حزن ذكرى إنسان
علمني حبكِ أن أتصرف كالصبيان
أن أرسم وجهك ..
بالطبشور على الحيطان

[3452]





يا امرأة قلبت تاريخي
إني مذبوح فيكِ..
من الشريان إلى الشريان
علمني حبك كيف الحب ..
يغير خارطة الأزمان
علمني أني حين أحب ..
تكف الأرض عن الدوران

Des. Maryam Tamim



الفصل الرابع والثلاثون

إنه ذلك الشعور بالخواء .. بالفراغ .. بالعودة دون أطرافه .

أو .. دون قلبه ..

هل يجرؤ على الاعتراف بأنه بكي ؟!..

بكى وهو يغادر بيت الخوازن .. وظل يشيح بوجهه طيلة الطريق حتى لا يرى صقر أن عيناه اغرورقت بالدموع كالنساء .. يمسح دمعات تنفلت لتخرج أخرى تعانده .

وأنه لم ينظر في وجه صقر ولم يسلم حتى عليه فقد كان قلبه متورما .. متألما كمن سحق تحت عجلات قطار سريع .. وأكتفي بأن ربت على كتفه سريعا دون أن ينظر ناحيته وحمل حقيبته مغادرا

Des. Maryam Tamim

وهو يتمتم " لن أوصيك عليها .. أتركها في أمانتك .. السلام عليكم "

ليصعد للحافلة دون أن يجرؤ على النظر من النافذة حتى لا تنفضح مشاعره التي لم يستطع وقتها التحكم فيها أمام صقر .

لكن حين استقبله سيد في المطار كان قد عاد لارتداء وجهه الجامد المتخشب من الألم ..

فسأله سيد باندهاش " أين بانة ؟ "

لم يرد.. لكنه تحرك بسرعة خارجا من المطار فلحق به سيد يمسك بذراعه ويكرر السؤال ليرد عليه أحمد وهو مستمر في الاسراع كأنه يهرب من انفعالات تركها خلفه ببلدها " أريد أن أصل للبيت بسرعة " .

Des. Maryam Tamim

اتسعت عينا سيد وأدرك من الهيئة التي يبدو عليها صاحبه أن الأمر مفجع .. فصاح يقول وقد تجاوزا باب المطار " انطق يا بني آدم أين زوجتك؟؟؟؟"

التفت أحمد إليه بعصبية ليرد" هل ستوصلني للبيت أم أطلب سيارة أجرة ؟؟؟"

تحرك سيد نحو سيارته يفتح له حقيبتها بينما أحمد يلقي بحقيبة سفره فيها ليجلس بجوار مقعد السائق بإنهاك ..

ظل سيد طوال الطريق صامتا يراقب جموده .. وحين تكلم أحمد سأله عن والده فرد سيد بتوبيخ "الحاج أصبح بخير .. ولو كنت اتصلت بي قبل أن تقرر العودة بدلا من أن تخبرني برسالة قصيرة .. لكنت أخبرتك "

Des. Maryam Tamim

تمتم أحمد بارتياح " الحمد لله (ثم أستطرد) أحك لي ما حدث بالضبط مع أروى وعمرو .. ومع وائل ".

عند بيت سماحة بعد ساعتين أخرج أحمد حقيبة سفره بوجوم بعد ما سمعه من تفاصيل من سيد .. وقبل أن يدخل بوابة البيت سأله سيد بغيظ " لم تخبرني أين بانة؟"

رد عليه باقتضاب " تركتها وحضرت مسرعا"

شعر سيد ببعض الرجفة في قلبه وسأله " ومتى ستعود ؟؟"

رد أحمد بهدوء " لا أعرف .. وربما لن تعود .. لقد فتحت لها باب القفص وتركت لها حرية الاختيار "

اعتصر الألم قلب سيد وشعر بالرغبة في ضربه لكن الحالة المأسوية البادي عليها صاحبه ألجمته ..

Des. Maryam Tamim

فربت على كتفه وقال " اذهب لتستريح يا كونت وسنتحدث لاحقا "

لكن قبل أن يدخل البوابة قال سيد " بالمناسبة (ليلتف إليه أحمد فأكمل سيد ساخرا وهو يشير بإيماءة من رأسه نحو غرفة برقوق) منذ أن سافرت وهو متقوقع بالغرفة.. لا يخرج ولا يتكلم وغالبا لا يأكل كما يقول طأطأ .. وتوقف عن استقبال الصبية في غرفته .. والحمد لله الحي سلم من مشاكساته"

رفع أحمد حاجبا مندهشا ثم أشاح بيده بلاحقا ودخل البوابة . . لكنه تسمر حين سمع صوته السمج يصيح من بعيد " قريبي .. أحمد قريبي .. اشتقت لك .. "

نظر أحمد لسيد الذي يكتم ضحكته وقال من بين أسنانه " كان من الممكن أن تستحضر سيرة أي

Des. Maryam Tamim

شخص آخر في هذه اللحظة بدلا منه (ثم استدار ليقول لبرقوق) كيف حالك يا برقوق ؟"
هتف برقوق بفرح حقيقي " كيف حالك أنت .. هل استمتعت في تركيا .. أنا كنت أدعي لك طوال الوقت صدقني " .
أومأ أحمد برأسه يقول " وصلت الدعوات لا تقلق .. وصلت جدا .. شكرا لمجهودك يا برقوق (ثم استدار لسيد يقول قبل أن يصعد) غالبا أنا سبب النحس الذي أصاب الجميع " .

بعد قليل كان أحمد يقبل رأس والده الجالس على مقعد وثير في غرفته ويتمتم بالحمد على سلامته
بينما وقفت إلهام تقبض على صدرها مذهولة .. فانحنى نحو أروى ليحتضنها لكنها أشارت بيدها ألا

Des. Maryam Tamim

يفعل فتجمد مكانه يحدق في عينيها لتقول بهمس
" لا أريد أن أبكي "
فأمسك برأسها يقبّل جبينها بقبلة طويلة ..
فأشاحت بنظراتها بسرعة حتى لا تواجهه وتبكي
فابتعد عنها .
خرجت آية من غرفتها مبتسمة حين رأته ثم
تلفتت حولها تقول " أين السنيورة ؟ .. لم تصعد
لتسلم علينا أولا؟ "
قرصتها أروى لتصمت فتجولت آية بنظرها بين
الأعين تحاول الفهم .
تكلمت إلهام بصدمة " لم أفهم!!!! .. كنت في
بلدها ؟!! .. بلد بانة ولم تكن في تركيا !!!.. ذهبت
لبلدها ولم تخبرني ؟!!... ثم تركتها عند أبيها !!! (
واكملت باستنكار) وتركتها بخطاب دون وداع!!! ..
ما هذا السخف الذي تقوله !!!!."

Des. Maryam Tamim

نظر إليه والده عاتبا أن ألقى في وجهها كل الحقيقة دفعة واحدة بمجرد أن دخل وسألته عنها .. بينما صاحت الهام بصدمة " أين ابنتي يا أحمد؟؟؟ .. أين تركتها وحدها؟؟؟"

أعتصر الألم قلبه وندم على تهوره بإخبارها بشكل مفاجئ .. فاقترب منها يحاول احتضانها بينما الدموع تقف على حدود عيناها متحجرة وهي ترفع وجهها له تتطلع إليه بصدمة قائلة بخفوت وهي ترتجف " ماذا فعلت بالفتاة .. أين تركت ابنتي ؟؟"

لم يكن أحمد في حالة تسمح له بتحمل المزيد من الألم .. فهو يخفي ما يخفيه .. ويتحمل ما يتحمله .. ليظهر متماسكا فقال بهدوء " كما أخبرتك يا أمي .. ذهبنا لبلدها لأننا علمنا أن جزء من عائلتها قد عاد للبلدة .. وهناك قابلنا والدها .. وحين وجدتها غير مستعدة للعودة معي أطلقت سراحها وأتيت ".

Des. Maryam Tamim



جحظت عيناها أكثر وقالت بصدمة " طلقتها !!"
ضربته الكلمة بخنجر في صدره لكنه دارى ألمه
ليقول بهدوء" لم أطلقها لكني تركت لها حرية
الاختيار دون أي تأثير مني إما أن تأتي إليّ بنفسها ..
أو تطلب الانفصال عن طريق السفارة"

تبادل كل من أروى وآية النظرات المصدومة بينما
حدقت إلهام في الأرض لتستوعب الأمر .. ثم
رفعت وجهها تقول " وهل تعتقد بعد أن تركتها
ورحلت فجأة دون وداع ستأتي إليك مرة أخرى؟"

رد أحمد بعصبية " لا أدري يا أمي .. لكني فضّلت ألا
أمزقها بالعذاب بيني وبين أبيها"
نظرت إليه قليلا تحاول استيعاب ما يقول ثم
استدارت لزوجها تقول بعصبية " وأنت كنت

Des. Maryam Tamim

تعلم؟!! .. كنت تعلم يا إبراهيم أنهما ذاهبان للخطر ووافقت!! .. كنت تعلم طيلة الوقت أن أولادي في خطر ووافقت!! .. لهذا لم تتحمل الأخبار حين علمت بأمر الانفجار في بلدها ..(صمتت قليلا تحدق فيه بغيظ ثم أكملت) وافقت يا ابراهيم أن يترك ابنتي في مكان كهذا !!"

رد الحاج" إهدئي يا إلهام .. أنا مثلك متألم على فراق الفتاة لكن هناك واقع علينا أن نعترف به"

تطلعت إليهم جميعا .. ثم انسحبت بهدوء وشرود وهي ممسكة بقلبها .. فخرجت إلى الصالة ونظرت حولها تائهة .. فلم تجد مكانا تنزوي فيه وحدها .. فتحركت للاتجاه المعاكس بنفس الهيئة بينما عيون أولادها تراقبها حتى وصلت لغرفة أحمد ..

Des. Maryam Tamim

فدخلت بهدوء وأغلقت الباب .. ليسمعوا بعد ذلك صوت المفتاح يغلق الباب .

***

هتف عمرو باستنكار " لم أفهم يا أمي !"
ردت عفاف بصوت واهن " أنت تفهم جيدا ما أقوله .. أنت تحبها لا أعترض .. لكني كما ترى صحتي لم تعد مثل السابق وأمنيتي الوحيدة أن أرى أحفادي قبل أن أموت .. وزوجتك كما تقول تحتاج وقتا للعلاج فيما يخص ظهرها.. ورفضت رفضا شديدا حين قلت لك لتحمل أولا وأخبرتني بكل وقاحة أن هذا أمرا يخصكما وحدكما .. (وابتلعت ريقها تأخذ نفسا صعبا وأكملت) فإن كنت تحب أمك وتريد أن تسعدها افعل ما سيريحني في قبري ..

Des. Maryam Tamim

وتزوج من سماح .. فهي فتاة ممتازة ستريحك أنا أعلم .. وستظل بنت إلهام على ذمتك "

تكلم عمرو باستنكار " أتطلبين مني أن أتزوج على زوجتي !! (صمت قليلا معقود اللسان ثم أضاف) أنا مذهول يا أمي صدقا مذهول ؟!!"

ردت بأنفاس سريعة " ها أنت لا تريد إسعادي .. لا تريد التضحية من أجلي .. أنا لم أطلب منك أن تطلقها .. أنا أطلب منك أن تحقق أمنيتي في أن تتزوج من أبنة اخي .. أنا أحلم بهذا الأمر طيلة عمري.. أُعددتها بنفسي لأن تكون زوجتك .. علمتها كل شيء أردت أن أعلمه لابنتي وأنا أرسم أحلاما بأنها زوجتك المستقبلية .. وصدمتني حين رفضت الزواج منها .. حاولت كثيرا التعامل مع هذا الأمر لكني فشلت .. إنها أمنيتي الوحيدة قبل أن أموت .. "

Des. Maryam Tamim

صاح عمرو باستنكار " وهل أنا دمية تُزوجيني دون رأيي .. وتتمنين بالنيابة عني أمنيات وتخططين لتنفيذها دون استشارتي !! .. أنا أنسان يا أمي .. ولي مشاعر .. ولي أمنياتي الخاصة.. وما أفضله ومالا أفضله مع الزوجة التي أرغب في أن تكون نصفي الآخر.. ولست خروفا للتناسل"

صاحت بوهن " أنت لم تكن أبدا تخالفني كان ذوقك من ذوقي "

رد بلهجة آسفة " وهذا كان خطئي الكبير .. أن بالغت في تنفيذ طلباتك على حساب رغباتي .. أو ربما لم تكن معظمها أمور تستحق الجدال فيها فلم أجد غضاضة أن أفعل ما تحبينه لتسعدي .. وما أردته بشده تخليت عنه من أجلك .. أردت إسعادك يا أمي دوما لكن هذه المرة الأمر صعب لن استطيع الابتعاد عن أروى ولن أطلقها "

Des. Maryam Tamim

قالت عفاف باستنكار " أنا لم أقل انك ستطلقها .. الشرع يتيح لك أكثر من زوجة "

هتف باستنكار مماثل " وأنا لست راغبا في الزواج بأخرى وأروى لن ترضى بشريكة لها في زوجها "

مطت شفتيها وردت " هذا شأنها .. إن كانت تحبك ستضحي .. وأنت .. إن كنت تحبني ستسعدني قبل أن أموت " .

باغتها قائلا " وانتِ ستضحين من أجل من يا أمي؟؟"

ردت بانفعال " هل تعني أني لم أضحي من أجلك؟؟؟"

بدأت تتسارع أنفاسها فاعتصر الألم قلبه وندم على اندفاعه فقال بهدوء " لم أقل ذلك .. لكن ما تطلبينه صعبا .. يشق عليّ فعله ".

Des. Maryam Tamim

طالعته بغيظ غير مصدقة هذا التمسك بها .. كلما فعل ذلك تشتعل النيران في صدرها ..فأشاحت بوجهها شاعرة بالظلم أن تربي وتعلم أكثر من ثلاثين سنة لتأتي امرأة أخرى في غمضة عين تأخذ نفس مكانتها في قلبه .. إن لم يكن أكثر من ذلك "

عادت إليه تقول بقهر " هل تريد مني أن أتوسل إليك لتسعد قلبي؟ .. ألا أستحق منك أن تضحي من أجل أن تحقق لي أمنية واحدة قبل أن أموت؟! .. أن أراك زوجاً لسماح .. وأرى أحفادي منها .. إنها أمنيتي منذ أن كنتما صغارا .."

حدق فيها عمرو متألما أن يرى والدته تتوسل إليه بهذا الشكل المفجع .. وهو عاجز تماما عن التنفيذ ..

هل أخطأ حين رفض الزواج من سماح قديما ؟

Des. Maryam Tamim

أكان عليه أن يضحي في هذا الجانب أيضاً ويتزوج من ستسعد والدته ووقتها لم يكن ليعرف بمشاعر أروى ؟ .

لكن كيف ؟؟ ..

لو فعلها وقتها لكرر قصة ماجدة ووائل .. أو سيد وبسمة ..

لو فعلها وأكتشف بعدها مشاعره التي خبأها في منطقة ما مجهولة بداخله لندم أشد الندم .. خاصة وأن سماح قريبته أي أن الطلاق سيكون موجعا للعائلة كلها .

لو فعلها لتعذبت أروى ..

لو فعلها وتزوجت أروى بغيره ليكتشف بعدها مشاعره لمات حزنا وقهرا .

لقد كان على صواب وألهمه الله بالتصرف الصحيح برفض سماح من البداية ..

[3469]

لكنها والدته .. هي حِمله الثقيل .. فتذكر وصية والده .. وأدرك ما كان يوصيه به .

نظمت عفاف أنفاسها ثم أكملت " أخي مريض .. ولا ينام منذ أن فسخت خطبة إبنته من قلقه أن يموت قبل أن يزوجها ويطمئن عليها .. ألا نستحق أنا وخالك التضحية من أجلنا؟! .. الفتاة ممتازة جمالا وخلقا وربة بيت رائعة .. هل تعتقد أني سأختار لك غير فتاة استثنائية .. "

تسارعت أنفاسها فقال منهيا الموضوع " نتحدث لاحقا يا أمي في هذا الأمر .. لابد أن تستريحي "

هتفت باستنكار " متى سنتحدث إذن ؟ .. حين أموت ؟؟ أو أخي يموت؟؟ .. ألم يؤثر فيك ما قلته عما تمنيته ولم يتحقق .. ألم يؤثر فيك ما أخبرتك به عن حالة خالك ؟؟" .

Des. Maryam Tamim

زفر يقول بقلة صبر " يا أمي ألم نغلق قصة سماح قبل أن أتزوج أروى بمدة طويلة .. ووقتها كنت تبحثين لي عن فتاة غيرها لأتزوجها"

تجمعت الدموع في عينيها وصاحت بصوت خرج مبحوحا " هذه المرة رفضك سيعني موتي يا عمرو .. موتي وأنا غاضبة عليك.. (ارتعشت مقلتيها وأكملت بالتياع) ما هذه القسوة التي بت تتصرف بها معي؟؟!! .. ما هذا الكم من العند من أين أتى ؟؟!! .. هل علمتك القسوة على أمك "

تقبض عمرو يحوقل ويستغفر كثيرا ثم قال بانفعال مكبوت " أنت مصرة على إجباري على مالا أطيق .. أنت مصرة على اتعاسي .. مصرة على شقائي يا أمي "!!

رددت بخيبة أمل " كنت أعلم أنك أصبحت شخصا آخر يفضل نفسه على إسعاد أمه "..

Des. Maryam Tamim

قفز عمرو من مكانه وصاح باستنكار " وهل إسعادك يكون بتعاستي؟!!!.. لمَ لا تستوعبين يا أماه .. لمَ أصبحنا نتحدث بلغتين مختلفتين وكل منا لا يفهم ما يقوله الآخر؟؟ .. قلت لك لن أستطيع أن أفعلها .. قلت لك لن أطلق زوجتي .. قلت لك لا أريد غيرها زوجة "

صرخت عفاف بصوت مبحوح ضعيف " كان يوما أسود يوم أن دخلت حياتك .. يوما أسود يوم أن حولتك لذلك الابن قاسي القلب .. (اسرع إليها بجزع يحاول تهدئتها لكنها ظلت تولول) كان يوما أسود .. حسبي الله ونعم الوكيل .. حسبي الله ونعم الوكيل .. سأموت مقهورة .. سأ... "

فجأة أغمضت عينيها وفقدت النطق فصرخ عمرو بلوعة قلب " أمي أمي .. ردي عليّ"

Des. Maryam Tamim

واسرع يضغط برعب وإلحاح على زر استدعاء الطبيب

***

بعد يومين :

قال أحمد للحاج وهو يقف على باب الشقة "أريدك أن تمارس سحرك عليها يبدو أنك فقدت سحرك مؤخرا يا إبراهيم إنها تحبس نفسها في الغرفة منذ يومين وحتى تهديداتك لم تفلح معها " مط الحاج شفتيه بامتعاض يضع يديه في جيب بنطاله البيتي دون رد .. فتحرك أحمد نحوه وترك أروى بكرسيها على السلم بينما آية قد سبقتهما إلى شقته بعد أن قرروا الجلوس فيها لبعض الوقت ليتيحوا الفرصة لوالدهم أن يحاول التحدث مع والدتهم التي حبست نفسها في الغرفة ترفض الحديث مع الجميع فقال له أحمد وهو يفرد ذراعه

Des. Maryam Tamim

على كتفيه هامسا "هل أنت متأكد يا إبراهيم أنها كانت قبلة واحدة قبل الزواج .."

رفع الحاج حاجبيه استنكارا فأكمل أحمد" أنظر ماذا يحدث لأولادك .. يحدثني قلبي أن بلاياك أكثر من ذلك يا ابراهيم ونحاسب كلنا عليها "

رد الحاج " اخرس ! أستغفر الله العظيم .. وهل تعتقد أن كل البلايا عقابا .. المؤمن مصاب"

ربت أحمد على كتفه وقال مستمر في المزاح لشفقته على والديه " كوني أترك لك الشقة بأكملها فهذا لأني أريدك أن تصالحها لكن إياك أن تستغل هذه الخلوة لأغراضك الدنيئة .. أنا أحذرك فأنت في سن حرج بل ان ما يحدث مع المرأة المسكينة سببه أنك أصبحت في هذا السن " ..

Des. Maryam Tamim

ابتسم الحاج ثم ضربه على مؤخرة رأسه .. شاعرا بالامتنان .. يريد أن يسجد لله شكرا كلما نظر في وجه ابنه.. عصاه التي يتوكأ عليها .. بعد أن عاد سالما إلى حضنه .

لمح أحمد التأثر في عيني والده لكنه استمر ممازحا وهو يغادر " سأصعد كل خمس دقائق لأتفقد الوضع وأتأكد من أنك حسن السلوك يا إبراهيم." واغلق الباب خلفه ليسقط قناع المزاح بسرعة ويحمل أروى لينزل بها إلى شقته .

***

قال الحاج وهو يطرق الباب " افتحي يا إلهام وكفى صبيانية .. عيب أن اتحدث معك ولا تردي عليّ (وأكمل بلهجة موبخة) كيف تكونين قدوة لبناتك وتتركين زوجك يحادثك ليومين دون رد!!"..

Des. Maryam Tamim

لم تتحرك إلهام من رقدتها في السرير تضع يدها على رأسها المعصوبة بمنديل .. بينما شعرها الأسود مفرودا بجانبها على الوسادة .

ضرب الحاج على الباب بانفعال يهدر" افتحي يا إلهام لم نعد صغارا على عنادك هذا "

أدارت رأسها نحو الباب تصرخ فجأة " قلت لك لا تتحدث معي .. واتركوني وحدي .. اتركوني"

قال بإصرار " افتحي وسنتحدث بالعقل يا إلهام فالأولاد ليسوا هنا "

لم ترد ... فضرب على الباب بعصبية ثم أخذ يسعل بشدة ..فعقدت حاجبيها باهتمام ترهف السمع لثوان .. ثم رفعت رأسها تنظر نحو الباب المغلق تنتظر أن ينتهي من موجة السعال وقد بدأ القلق يتسلل إليها .. لتهب فجأة تفتح الباب فوجدته

Des. Maryam Tamim

يستند على الحائط يحاول تنظيم أنفاسه
..فأسرعت إليه تهتف بجزع" ما بك يا إبراهيم !"
هدأت موجة السعال بصعوبة فأمسكت بيده
ليستند على كتفيها نحو غرفتهما ويستريح على
السرير
فجلست بجانبه تسأله وهي تتفحص أصناف
الأدوية أمامها "هل أخذت أدويتك ؟"
رد بهدوء " لا أعرف"
قالت بتوبيخ" كيف لا تعرف !"
رد ساخرا " لأن زوجتي تهمل مواعيد أدويتي "
نظرت إليه بشك .. فلاحت ابتسامة ماكرة على
وجهه لتلقي شريط الدواء بعصبية وتقول " أنت
كنت تمثل يا ابراهيم .. من منا يتصرف بصبيانية
الآن ؟"

Des. Maryam Tamim

اتسعت ابتسامته .. فزمجرت في غيظ وهمت بالقيام وهي تقول" كان خطئي أن صدقتك" لف ذراعه حول خصرها ليسحب جسدها الضئيل ويتحكم به لتبقى جالسة على السرير بينما هي تقاوم في غيظ وشراسة فقال "إهدئي يا إلهام ماذا حدث لك !! .. (لكنها استمرت في المقاومة فأضاف).. اهدئي يا إلهام لست بعافيتي يا امرأة"

توقفت فجأة عن العصبية ودفنت وجهها بين كفيها وأجهشت بالبكاء ..

بكاء حار من قلب أم يحترق من الألم .

سحبها إلى حضنه يتمتم" لا حول ولا قوة إلا بالله .. ما بك يا أم أحمد سيأتي الفرج قريبا بإذن الله"..

Des. Maryam Tamim

رفعت إليه وجهها المغرق بالدموع تقول "لمَ يحدث كل هذا لأولادي يا إبراهيم ؟.. لمَ عليّ أن أتوجع بأوجاعي وأوجاعهم في نفس الوقت ؟.. أشعر أن قلبي ترهل من كثرة الأوجاع .. أشعر به وقد أصبح كخِرقة بالية.. والله لم يبرأ حتى الآن من حادثة أحمد وأروى .. مازلت اقاوم تلك الأوجاع في صدري .. كلما رأيت أحمد يتوجع من ركبته أو أرى أروى بحالتها تلك أموت .. أموت ألف مرة في اللحظة الواحدة .. (أطرقت برأسها تبكي قليلا ثم أكملت حديثها الباكي) كم تمنيت لو أفديهم .. كم تمنيت أن آخذ ما حدث لأروى في ظهري أنا وهي تبقى سليمة تتحرك وتمشي وتحب وتتزوج وتنجب ولا تكون مكسورة العين أمام امرأة كعفاف (واستدارت تواجهه وتسأل حائرة) اخبرني

Des. Maryam Tamim

يا إبراهيم هل كان علينا أن نرفض الزيجة من أولها رغم أن عمرو رجل في زمن قلت فيه الرجال ؟!.. هل كان علينا أن نرفض زواج أحمد من بانة رغم أنه يعشقها و أنها نعم الكنة وأن ظروفها كانت تحتم الاستعجال بالزواج ؟!.. أخبرني أنا حائرة ولا أعرف "

قبّل رأسها مواسيا وقد شعر بالآلام تعود إليه مرة أخرى .. فتمتم وهو يدفن رأسها في صدره من جديد "إنها أقدار يا إلهام .. بالنسبة لبانة فعلنا معها ما يرضي الله ويرضي ضمائرنا فلم نكن لنتركها وحدها خاصة وأن قلب ابنك معلق بها .. ولم نكن نرضى لها بأن تبقى على علاقة بابننا دون زواج .. وابنك كان سيرتكب حماقات تحت وطأة مشاعره .. ولم أرغب في أن يعود مجددا للانزلاق بعدما

Des. Maryam Tamim

استقام ونضج .. فعلنا ما يرضي الله يا أم أحمد والتدبير من عند الله ".

همهمت في صدره " قلبي يحرقني على البنت يا ابراهيم وكأنها إحدى بناتي .. لا أصدق أنها قد لا تعود .. ولا أتخيل أنها ستعيش في مكان ليس آمنا"

ربت على ظهرها وقال متفهما " أعلم بما تشعرين به يا إلهام فأنا أيضا أشعر وكأنها إحدى بناتي لكننا لابد أن نحكم العقل .. أنا فخور بأحمد وبم فعل .. وأعلم جيدا حجم مصابه ويملأني فخرا أن يقف صامدا رغم أوجاعه .."

همهمت في صدره "وجعي عليك يا بني وعلى قدرك "

أكمل الحاج "أما أروى فأنا أحتسب مصابنا فيها عند الله عز وجل ولن أمل من الدعاء لها بالشفاء ولن أمل في الطلب والرجاء .. اصبري معي يا إلهام

Des. Maryam Tamim

ولا تقنطي من رحمة الله ..فما هو مقدر لن نفر منه .. ولو اختبأنا في باطن الأرض أو قاع المحيط .. ما أصابك ما يكن ليخطئك فليس أمامنا إلا الاحتساب عند الله ولنقبل أقدارنا بالحمد .."

رفعت وجهها تسأله برعب" هل تعتقد أنها النهاية بينها وبين عمرو .. والله البنت تموت كل دقيقة ولا تظهر ذلك .. والله لولا أنها في المستشفى لكنت أخذت بشعر عفاف وقطعتها إربا بسكين المطبخ .. (ولمعت عيناها بالانتقام وأضافت) أقسم بالله كلما رأيت السكين الكبير في المطبخ لامعا أمامي يغريني شيطاني أن اذهب إليها وأقطعها به .. "

قهقه الحاج بضحكة واهنة خشنة وقال " استغفري ربك يا مجنونة ستقضي باقي عمرك في السجن .. وستفرقين بين البنت وزوجها للأبد "

ارتعشت مقلتيها وقالت" أتسخر مني !"

[3482]

وانفجرت في البكاء مجددا تدفن وجهها في صدره فضحك من جديد وهو يغمرها أكثر بحنانه .

رفعت وجهها المغرق بالدموع فجأة تقول بجدية "سأخبرك أمرا وأرجو أن تكون حكيما كعادتك ولا تغضب وتخبرني فيم قصرت أنا "

تطلع إليها وقد شعر أنها ستلقي خبرا من العيار الثقيل فانهيارها هكذا رغم قوة تحملها يشعره أنها وصلت لحائط مسدود .. بينما ضغطت هي على شفتيها بتردد فقال بقلة صبر" تكلمي يا إلهام "

اتسعت عيناها لا تعرف بم تنطق ثم قالت بصوت مبحوح " أعتقد أن هناك أمر ما يدور بين سيد وآية "

راقبت ملامحه التي تخشبت فقالت بسرعة " أنا لا أعرف بالضبط لكني منذ مدة كان عندي تساؤلات

Des. Maryam Tamim

كثيرة لم أعلم إجاباتها .. سيد واسراعه بزواجه فجأة .. كلامه المبطن لي دائما يعتذر على عدم تلبيته لما كنت أتمنى بالزواج من أروى .. حديثه الغامض لي بأنه يملك سببا قهريا يمنعه لأن يسعدني في هذا الأمر وكنت دوما أراوغ وأدعي عدم الفهم ..

حين تزوج لم أجده سعيدا كباقي الأزواج على الأقل تلك الفرحة الفطرية فرحة البدايات فما حدث كان العكس تماما رأيته أكثر حزنا وأكثر وحده.. و شعرت به يتجنب الحضور للبيت .. يراوغ كثيرا حين أدعوه للطعام .. ويفضل التواصل معي على الهاتف .. وكلما رأيته مع زوجته شعرت أنه هناك أمر ما بينهما غير مريح .. حتى حين زرناه أنا وأنت يوم أن استضافنا عنده شعرت بالبيت باردا .. رغم أنه كان يدعي أمامي أن كل شيء على ما يرام ..

Des. Maryam Tamim

وهذه الفتاة بسمة .. شعرت أن في عينيها كلاما محبوسا تريد أن تخبرني به لكنها مترددة ..
وتخيلت أن الفتاة مغرورة بجمالها ولم تسعى للحصول على قلبه حتى أني حاولت بموقعي كأم أن انبهها أن تحاول ملئ قلبه وحياته أكثر من ذلك لكنها أخبرتني أنها حاولت لكنه في عالم آخر يعيش بمفرده تماما ..
(ابتلعت ريقها بصعوبة وأكملت) وما حدث مؤخرا لآية وتلك المواجهة الصعبة التي لم أنساها بعد بينها وبين أحمد .. والأمور التي تلت ذلك .. وكسرة الروح والقلب التي ألمحها في عيني ابنتي كلها كانت أمورا غير مفهومة حتى عدة أيام مضت حين حضر ذلك الطبيب الوسيم إلى هنا وظهرت أمامي أمور مريبة .. "
سألها الحاج بصرامة " ماذا حدث بالضبط؟"

Des. Maryam Tamim

ابتعلت ريقها وردت بحيرة " الحالة التي رأيت فيها سيد كانت غريبة .. أعلم أنه كان يتعامل كأخ كبير خاصة في عدم وجود أحمد وأنه لم يحب ان أرحب بذلك الطبيب وأستضيفه لكني شعرت بأن الأمر أكثر من مجرد امتعاض .. شعرت أنه على وشك أن يضرب الطبيب.. بعدها رأيت سيد وآية يتهامسان عند أول الممر وما رأيته صدمني يا ابراهيم صدمني فعلا (سحبت نفسا عميقا تهدئ من انفعالها وأكملت) كان غاضبا يتوعدها وكانت هي عصبية في بداية الحديث لكنها سرعان ما تخضبت بالحمرة .. وشعرت بتلذذها بإغضابه.. فعلى ما يبدو حاولت استفزازه أكثر..

ما رأيته في العيون صدمني يا ابراهيم.. كيف لم ألحظ ذلك من قبل !!.. إن ما بينهما كان بين شاب وفتاة .. (ابتلعت ريقها بصعوبة وأكملت) قلبي

Des. Maryam Tamim

وقتها توقف وشعرت بشلل في أطرافي ولم أفهم ولم استوعب ماذا يحدث .. ولم استطع إلا أن أواجهه .. لم اقدر على أن أصمت أنت تعرفني حارة الدماء إلى حد التهور" .

قبل أيام :

راقبت إلهام ما حدث في ممر الغرف وضربات قلبها تضرب في صدرها بعنف .. وراقبت انسحاب سيد فجأة من أمام آية منكسا برأسه مهموما وخرج إلى الشرفة ساهما .. بينما انسحبت آية إلى غرفتها .. قوقعتها التي باتت تلتصق بها في الفترة الأخيرة .. ولم تفهم شيء ..أو بمعنى أصح ما فهمته كان مرعبا ..

راقبت الغليان الذي لاح في عيني سيد وهي تضيِّف الطبيب وتتجاذب معه أطراف الحديث .. وحين

Des. Maryam Tamim

استأذن الطبيب للمغادرة رافقه سيد ببعض الجلافة ولم تغفل عن الالتفاتة التي صدرت من كليهما بحثا عن آية بعد إلقاء تحية صامتة على أروى التي خرجت إلى الصالة قبلها بدقائق .

خرجت وراء سيد ولم تستطع التحمل فنادت عليه ليترك الطبيب بعد أن حدجه بنظرة خطرة ويعود إليها .

وقفت إلهام بقامتها القصيرة ترفع رأسها إليه وسألته مباشرة" هل هناك ما يحدث بينك وبين آية؟"

اتسعت عيناه من المفاجأة وابتلع ريقه بصعوبة محدقا فيها دون رد .. بينما اقتربت أروى تشاهد عن بعد وقد بدأت تتوتر من سؤال والدتها المفاجئ .

Des. Maryam Tamim

سألته إلهام بإصرار" سألتك يا سيد .. هل هناك ما يحدث بينك وبين آية ؟"

رد بصوت متحشرج ممزوج بخلطة مشاعر لم يدرك منها وقتها سوى الحرج والخجل والألم والرهبة والوجع " ماذا تقصدين يا أماه ؟!"

ردت محدقة فيه تراقب انفعالاته " أقصد هل هناك مشاعر خاصة بينكما لا أعلمها؟"

لم يدري بما يرد .. أينكر أم يخبرها بالحقيقة ؟.. فاكتفى بأن يقول " أنا تأخرت ولدي اجتماع هام" وهم بالمغادرة فقالت بصرامة " أنا سألتك سؤالا ولم تجبني .. وإياك والكذب ".

لمح بطارف عينه أروى الواقفة من بعيد وأطرق برأسه لا يعرف بم يرد بينما ضربات قلبه تكاد تصم أذنيه فتمتم بصوت هارب منه " لا أعلم كيف

Des. Maryam Tamim

أصف الأمر .. هل أقول لم يكن أبدا لكنه موجود ..
أم أقول كان ولم يعد قائما ؟!"

صفعة على وجهه ..
صفعة غاضبة ..متفاجئة .. مذهولة .. مصدومة ..
غير مستوعبة .. مستنكرة كانت ردها ..
فشهقت أروى وهتفت بجزع " أمي !"
بينما تقبض سيد وأغمض عيناه لثانية ثم تحرك
مخروسا منكس الرأس ينزل السلم برجولة منكسرة
.. فصاحت فيه " لم أسمح لك بالمغادرة .. ولم
انتهي من الحديث بعد ! "
تسمر لثانية ثم تحرك صاعدا إليها ووقف مطرقا
برأسه أحمر الوجه بأنفاس متسارعة .. فأمسكت
إلهام بملابسه تقول بصوت باكي" أخبرني ماذا
يحدث؟ .. أخبرني أنك لم تخن البيت الذي أكلت

Des. Maryam Tamim

فيه .. ولم تحرق قلبي على ابنتي .. أخبرني أن ما فهمته خطأ .. أخبرني أنك لا تخون زوجتك ولا تخوننا .. تكلم يا سيد بالله عليك ".

خرجت أروى من الشقة بسرعة لتنضم إليهما تحاول جاهدة إغلاق الباب وراءها وقالت هامسة "أرجوكما لا أريد لآية أن تسمع .. يكفيها ما مرت به "

التفتت إليها إلهام تقول بصوت مبحوح "أتعرفين الأمر أنت أيضا ؟!! .. (وأكملت ذاهلة) ومن أيضا يعرف؟ .. أحمد؟ .. عمرو؟ .. إبراهيم؟ .. الجميع إلا أنا !!"

قالت أروى " إهدئي يا أمي الأمر ليس كما تظنين وسيد لم يخن كما قلت "

Des. Maryam Tamim

عادت إلهام تنظر إليه مصدومة وقالت " هل آية التي حاولت أن تنصب شباكها عليك وأنت متزوج!!.. هل حاولت إغواءك وأنت متزوج !! أخبرني وسأقطِّعها بيدي هاتين ".

تكلم بخفوت" آية لم تفعل أي شيء يا أماه .. أنا المذنب الوحيد .. وأنا من يستحق عقابك فافعلي معي ما يحلو لك .. فلم تعد للحياة معنى ولا قيمة عندي .. باتت أياما أعيشها بفتور وانقطع أملي بكل شيء .. لكن قبل أي شيء تأكدي أن كل ما صدر مني كان تحت ضغط مشاعري وقد حاولت كثيرا .. كثيرا جدا التحكم بها .. لكني فشلت ".

صاحت إلهام بعصبية " لا أفهم شيئا مما تقول " أشاح بوجهه لا يعرف كيف يشرح لها الوضع وماذا يقول .. يشعر بأنه طفل في العاشرة قُبض عليه وهو يسرق قطعة حلوى ..

[3492]

ردت أروى تقول " يا أمي اختصار الموضوع سيد يحمل مشاعر قوية تجاه آية (حدقت إلهام فيه فأكملت أروى) وأنكر هذه المشاعر في البداية وأراد أن يبتعد تماما على أي ارتباك أو ضعف من جانبه قد يحدث .. فلجأ للزواج بسرعة متوقعا أن تنتهي مشاعره .. نظرا لفرق العمر بينهما خاصة وأن آية كانت وقتها ما زالت في الثامنة عشر .. "

فسألت إلهام" وبعد الزواج ؟"

صمتت أروى فرد سيد بخفوت " لم يتغير الوضع بل ازداد قوة وأسقط في يدي ولم أدري ماذا أفعل"

سألته "وهل أبلغت آية بمشاعرك ؟"

رد بألم" وهل تتوقعي مني أن أفعل يا أمي أمرا كهذا بالطبع لم أخبرها .. (وأطرق برأسه) لكنها باتت تعلم بتلك الحقيقة من عدة شهور .."

سألته " وماذا كان رد فعلها ؟"

[3493]

أطرق برأسه متألما فردت أروى" صُدمت يا أمي لأنها تحبه منذ سنوات طويلة هي الأخرى وتداري عن الجميع".

التفتت إليها إلهام ذاهلة تمسك بقلبها .. فأكدت أروى" ابنتك تحب سيد يا أمي .. وتألمت وحدها طويلا ونحن معتقدين أنها مجرد طفلة ولم نعلم أن مشاعرها كانت أكبر من عمرها .."

نظرت إلهام لسيد تقول " وماذا بعد ذلك؟ "

رد عليها بصوت متأثر " لا يوجد شيء بعد ذلك .. أحمد منعنا من التواصل والتزمنا بالأمر .. احتراما لبسمة "

أمسكت برأسها بكلتا يديها تحاول الاستيعاب ثم قالت " زوجتك تعرف أليس كذلك .. أشعر أن هناك ما يطفئها وما تريد أن تخبرني به ".

Des. Maryam Tamim

قال بخزي " تعرف وواجهتني وحاولت المراوغة لكني في النهاية اعترفت ".

جحظت عيناها ثم قالت"يا ويلي وماذا حدث؟؟؟"

رد بأسف " خيرتها واختارت البقاء معي مع وعد أني سأحافظ عليها وأني لن أجرحها .. "

هتفت أروى باستنكار "علمت أنك تحب أخرى ووافقت على البقاء معك !! .. انتما ليس بينكما أطفالا لتقبل وضع كهذا "

ردت عليها إلهام بتوبيخ "وهل الطلاق سهل على أي امرأة !!!!!"

تغيرت ملامح أروى المتخفية خلف قناع (كل شيء على ما يرام) ولاح الألم على وجهها .. فقالت أمها باستدراك " أمر صعب يا بنيتي فلا تستهيني به خصوصا مع فتاة من بلدة صغيرة "

Des. Maryam Tamim



رد سيد متألما" أنا أعترف أني ظلمتها .. وحاولت كثيرا يا أمي كبت مشاعري والتعامل مع ورطتي بصمت .. لكن قلبي لم استطع التحكم فيه ..وحاولت بقدر الإمكان ألا تنفلت مني أفعالي لكني بالفعل عالقا يا أمي ولا أعرف ماذا أفعل وليس بيدي سوى أن أحافظ لها على كرامتها وأن أبقى معها مادامت متمسكة بي .. وسأظل أكفر عن خطئي في حقها طوال حياتي .. ولهذا أفكر بجدية في السفر بعيدا خارج البلاد ".

ابتلعت إلهام ريقها وقالت " السفر !! لأين ولماذا؟"

رد سيد بعدم اهتمام " لأي مكان لا أعلم .. دولة عربية أو أجنبية .. وسآخدها معي هي ورحمة وأتمنى أن أستطيع استقطاع زهرة أيضا من بين



يدي شريات وخليل.. ونسافر لأي مكان .. أما لماذا ؟ (أطرق برأسه قليلا ثم أكمل) لأني غير قادر يا أمي على الاستمرار في هذا الوضع .. وأتعذب وآية أيضا تتعذب .. وعليها أن تنساني وتمضي في حياتها ".

امسكت إلهام بقلبها مجددا.. فمال يقبل رأسها وقال بخفوت " سامحيني يا أمي .. أشعر أني صغيرا أمامك .. ولكني لا أملك من أمري شيئا صدقيني .. لا أعرف متى وكيف وقعت في تلك الورطة .. وكلما كبتها كلما عاندتني مشاعري وازدادت وفاضت .."

تمتمت وهي مازالت تحت تأثير الصدمة "مشاعرك لآية !!!"

فقال متوسلا " سامحيني يا أمي .. أقسم بالله دون إرادة مني .. أقسم بالله .. أيريد المرء أن يعيش تعيسا مثلي .. هأنذا أتلقى عقابي مع بسمة .. أنا فقط أنتظر لأطمئن على وائل .. ثم بعدها سأسافر

Des. Maryam Tamim

وأخلص الجميع مني .. سامحيني فوالله لو لم تسامحيني لانتهى أمري " .

عادت إلهام بذكرياتها تنظر لزوجها الذي بدا وجهه جامدا بعدما حكت له ما حدث فسألته" لا أراك متفاجئا بالخبر هل كنت تعرف ؟".

سحب نفسا متألما ورد " كنت أشك منذ أن لاحظت كيف ينظر إليها حين وقفت أمامه ترقص في فرح أحمد .. نظرة عيناه لها لم أخطئها من ذلك البعد .. وجسده الذي كان يغطي به قامتها ليسد مجال الرؤية أمام الجالسين غيرة عليها كان واضحا.. بعدها ظللت أراقبه فترة لأتأكد أنه لا يتجاوز معها في التصرف أو الحديث وتحدثت معها بشكل عابر أن تلتزم في التعامل معه لأنه متزوج وأنه قد يكون ربيب هذا البيت لكن الناس لن

يتفهموا ذلك .. ولم أريد وقتها أن أزيد حتى لا ألفت انتباهها للأمر اعتقادا مني أنها لا تحمل له سوى مشاعر أخوية .. لكني لم أعلم سوى الآن منك أنها أيضا تحمل له نفس المشاعر . .وقد آلمني هذا كثيرا .. علينا أن نعترف أننا أخطأنا حين اعتمدنا على ثقتنا في سيد وفرق العمر بينهما ولم ندرك سوى في وقت متأخر أنهما أصبحا شابا وفتاة .. "

ردت بدهشة " حتى وقت قريب كنت اعتبرهما شابا وطفلة يا ابراهيم "

رد بجدية " هذا خطأنا أننا غفلنا على أنها كبرت"

بدأت إلهام في الولولة تقول وهي تضرب رأسها " أنا السبب أنا السبب ؟

قال باستنكار " لمَ تقولين هذا يا إلهام!! "

رفعت وجهها إليه ترد " قصرت في رعاية ابنتي وانشغلت بكليتي مع أروى.. كان مصابي فيها أليما

Des. Maryam Tamim

.. واعتقدت أن آية بما أنها سليمة ستدبر أمرها .. وتمنيت لسيد أن يتزوج أروى .. طمعي وجشعي جعلني أنسج أمنيات حول زواجهما .. حتى اضطر الولد للزواج من أخرى في لحظة متهورة حتى يقطع أملي في زواجه من أروى .. ذنب بسمة في رقبتي أنا ليس في رقبة سيد .. أنا لا استحق أن أكون أما .. أنا السبب فيما يعاني منه أولادي .. بسببي ثلاث أشخاص يعانون".

ربت على ظهرها يقول " لا تشقي على نفسك يا إلهام أنت والله نعم الأم .. والكل يعرف مدى تفانيك من أجل أولادك .. وكل أم مهما كانت مثالية تخطئ أحيانا .. والحقيقة أنا اشاركك المسئولية فيم حدث "

Des. Maryam Tamim

سألته " وماذا سنفعل الآن يا ابراهيم الولد يريد أن يسافر .. والبنت التي كنت أحسبها مازالت طفلة تتعذب منذ سنوات وأنا أمها لم أدري بوجعها .. وبسمة التي ظلمت بسببي.."

تنهد قائلا " ربما سفره وابتعاده لبعض الوقت يكون الحل فتنساه آية .. ويعطيه الفرصة لأن يحب زوجته"

قالت ببؤس "هل سنتركه هو الآخر يسافر كما تركنا بانة ؟!!"

رد عليها بهدوء " يعلم الله أني أحب هذا الولد كأحمد .. ويحزنني فراقه .. لكننا لابد أن نحكم العقل والمنطق (راقب البؤس الذي لاح على وجهها فأضاف) عموما هو أخبرك أنه ينتظر استفاقة وائل فلا نملك إلا الدعاء لرب العالمين أن

Des. Maryam Tamim

يرحمهم ويرحمنا جميعا .. ويدبرها من عنده فالأمر كله بيده عاجله وآجله "

شردت قليلا ثم سألته ببقايا دموع على وجهها " منذ أن علمت بالأمر ورأيته كيف كان أمامي متألما مكسورا .. وتذكرت الأيام التي انزوت فيها آية لغرفتها تتوجع دون أن ادري وأنا أسأل نفسي ماذا لو لم يكن متزوج وطلب آية للزواج ؟ .. أو ماذا لو طلبت زوجته الطلاق .. هل سنوافق "

سألها بهدوء "وكيف وجدت الإجابة ؟"

شردت قليلا ثم قالت " في أول الأمر رفضت الفكرة نظرا لفارق العمر .. ولأنه سبق له الزواج .. لكني بعد دوامة من الأفكار .. لم أجد مشكلة في فارق العمر .. فليس كل الزيجات تفشل بسبب فارق العمر الكبير .. وها هي عفاف والشيخ عبد الرحمن رحمه الله كمثال .. إن الارتباط النفسي بين سيد

Des. Maryam Tamim

وآية كان غريبا منذ طفولتها .. أنا أذكر مواقفهما جيدا ..(ثم تطلعت إليه تسأله باهتمام) وأنت ماذا كنت ستقول؟ ."

صمت قليلا ثم قال" أتريدين الصدق ؟.. أنا مقتنع بأن آية لا يناسبها سوى زوج بفارق عمر كبير حتى يحتوي طيشها وجموحها .. وبصراحة أراه مناسبا جدا من عدة نواحي .. لكنه النصيب .. ولا نملك سوى أن نسلم أمرنا لله ".

أمسكت بقلبها تقول بألم " وكيف سأتحمل أنا هذه الأوجاع الجديدة التي أضيفت على أوجاعي .. اللهم لا اعتراض .. اللهم لا اعتراض "

شعر الحاج بأنها ستبدأ في وصلة بكاء جديدة فقرر أن يكتفي بهذا القدر من الموضوعات المؤلمة وقال بابتسامة ماكرة " وجدت أخيرا ما سيشفع لي

بالزواج مرة أخرى ... إنها هذه الشعيرات الفضية التي أراها أمامي الآن"

أمسكت بخصلات شعرها عاقدة حاجبيها فوق عينيها الحمراوين من أثر البكاء تتفحصها باهتمام وهي تمتم "أين؟ .. أين؟"

رد بثقة وهو يشير لبعض الخصلات "هنا وهنا "

كشرت عن أنيابها لتقول بشراسة " هل تهددني بشعراتي البيضاء يا أبا أحمد !! .. أنظر لرأسك الذي يشبه حقل القطن ".

قهقه عاليا حتى سعل ثم ضمها لصدره يقول بلهجة ذات مغزى " لا يغرنك هذا الشيب الأبيض فإن دل فيدل على خبرة كبيرة في تدليل ذوات الشعر الفضي".

Des. Maryam Tamim

نطقت إلهام اسمه باعتراض خجل جعله يقهقه ثانية فقالت وهي تخلص نفسها من بين ذراعيه " إبراهيم أنت لست على ما يرام !!"

صاح معترضا " ماذا تقصدين !! أنا بصحة جيدة والحمد لله وكنت افكر في الزواج من أخرى منذ قليل "

قهقهت تداري فمها بيدها ثم ضربته على صدره تقول " لم اقصد ما تقصده .. قصدت وعكتك الصحية ".

قال وهو يتطلع إليها بنظرة حانية " أمازلت تغارين علي كأيام شبابنا ... يا الله كنت مجنونة في غيرتك "

ردت وهي تتأمل ملامحه وتجاعيد وجهه التي تحفظ كل خط فيها كاسمها " وهل هناك رجلا يستحق الغيرة عليه سواك يا أبا أحمد "

Des. Maryam Tamim

ضمها إلى صدره يقبل رأسها .. فتمتمت وهي تستمتع بدفئه " لمَ لا تكون الحياة سهلة وبسيطة دون أوجاع ..أو أحزان ..ولمَ أولادي يعانون بهذا الشكل ؟"

تمتم وهو يمسد على ظهرها " وعلام سنؤجر إن لم نتوجع ونكابد .. كما أننا أفضل حالا من غيرنا صدقيني .. يكفي أن لدينا بيتا نغلق أبوابه علينا آمنين .. يكفي أن أولادك أمام عينيك تملئين عينيك بهم .. لقد حكى لي أحمد فواجع رآها وسمع بها في رحلته .. وأنت بالتأكيد تسمعين من هنا وهناك قصصا موجعة كثيرة .. كل هذا يجعلنا نحمد الله ونصبر ونطلب منه العوض .. ما علينا سوى أن نثق في الله "

تمتمت بخفوت "ونعم بالله"

***

Des. Maryam Tamim

في شقة أحمد قالت آية وهي ترفع علبة البيتزا الفارغة وبعض الأكواب " لا تعتمدا على هذا الكسل وتجعلاني أخدمكما .. ألا يكفي أني أطعمتكما أمس حين رفضت أمي الخروج من الغرفة .. "

رد أحمد ممتعضا " وهل تلك المعكرونة التي طبختيها أمس تعد طبخا "

ابتسمت أروى تقول "اعترف أنك تفاجأت بأنها كانت لذيذة "

مط شفتيه بامتعاض .. فقالت آية بامتعاض مماثل وهي تأخذ الأشياء بعيدا " ادعي أن ينجح أباك في مصالحة أمك وإلا فاستعد لأن تطبخ لنفسك من الآن فصاعدا ".

بعد دقائق قالت أروى بتردد " ألن تطمئن عليه؟"

رد أحمد بعند وقد فهم من تعني بسؤالها " لن أقابله أو أتحدث معه حتى أعلم إلام ينوي وكيف

Des. Maryam Tamim

سيحل الأمر .. أمس حين زرت وائل بالمستشفى لم أمر عليه رغم أني أعلم أنه في الطابق التالي "

قالت بتوسل " أحمد لا تضغط عليه أنت أدرى بحاله وما هو فيه "

ضغط على جبينه وقال بوهن " سيد يطمئنني عليه وعلى أحواله لا تقلقي .. لكني في حالة نفسية سيئة واشعر أني إذا ما رأيته سأؤذيه "

سألت بتردد " وكيف حاله؟"

رد بنزق " أنت تعرفين يا أروى فلا داعي للسؤال".

أطرقت برأسها في حزن .. إنها تتألم من الفراق كل ليلة .. فإن كان النهار تتعمد أن تقضيه بين أهلها أو في التمارين الرياضية في البيت .. فالليل ينفرد بها وحدها .. يكويها بألم الوحشة والاشتياق والافتقاد وعذاب الفراق .. وتشتاق لسماع صوته .. لكنها

Des. Maryam Tamim

تغلق هاتفها .. وتعرف أنه يتصل يوميا بوالدتها ليطمئن عليها .. "

حملها أحمد فجأة من كرسيها يضحك فأخذت تقاومه وتضربه على كتفه صائحة " قلت لك لا تضمني ولا أريد أن أبكي فلا تكن غليظا .."

هدأت ضحكاته الممزوجة بالألم وتركها جالسة على حجره دون أن يضمها .. فأمسكت بذراعه بقوه وتحاملت عليه وأنزلت ساقيها .. ثم شددت من ضغطها على ساعده بذراع يرتعش .. فراقبها أحمد باهتمام ثم نظر متفاجئا لآية التي وقفت تشاهد دون أن يبدو عليها الاندهاش .. بينما استمرت أروى تستند عليه بقوة واستقامت نصف استقامة ليحيطها أحمد المقطوع الأنفاس بذراعه دون أن يلمسها .. فقط ليكون ذراعه مستعدا

Des. Maryam Tamim

لالتقاطها إذا ما سقطت .. فحركت أروى ساقيها خطوة وقد بدأت تتعرق من المجهود .. ثم أبدلت يديها الممسكة بساعد أحمد لتعطي ظهرها لكرسيها وجلست أخيرا تنهت ..

هتف أحمد بسعادة " أروى !!.. هل رأيتها يا آية"

ردت آية " رأيتها واحتفلنا بأول خطوة من عدة أيام "

قالت أروى " لا تنشر الخبر .. إنه بعض التحسن ليس إلا.. لكن الطريق ما زال طويلا أمامي وأنا مستمرة بالتمارين "

قبّل جبينها بسعادة وقال " أخبريني بجدول تمارينك وسأوصلك " .

ردت أروى وقد لاحت ذكرى رحلاتها مع عمرو من وإلى مركز التدريب أمامها " لن أحتاج للتمارين في المركز لفترة .. هذه الأيام أتمرن في البيت .. وهناك

Des. Maryam Tamim

جهاز سيشتريه لي أبي لأتمرن عليه .. وأتواصل مع مدربتي على الواتساب .. وسنرى كيف سيكون التحسن ".

رد يشاكسها " أرأيت .. إصراري على احتضانك .. جعلنا نرى أفضل مشهد ".

قالت آية برود " أنت لم تعرض عليّ احتضاني مثلها "

تفاجأ أحمد ورد ممازحا" عزيزتي المجنونة أنت لا تستحي في طلب ما تريدين .. ومع هذا تعال"

ظن أنها تمزح لكنها ولدهشته اقتربت وجلست على حجره وهي تحيط عنقه بذراعيها فاحتضنها .. ليتفاجأ هو وأروى بأنها بدأت في بكاء مكبوت صامت .. فتبادلا الاستغراب وأخذ يمسد على ظهرها قائلا بهدوء " هل حدث شيء؟"

Des. Maryam Tamim

حركت رأسها المسند على كتفه بلا..
فسألها بقلق " لم تبكين إذن؟"
همست من بين نشيجها " أنا أتألم .. أتألم جدا ..
ألا يمكن أن نعود كما كنا .. أتحدث إليه فقط ..
أسمع صوته كلما احتاج لسماع صوته .. أمازحه ..
أغيظه .. أغضبه .. أتحدث إليه .. والله لن أفعل
غير ذلك .. ولم افعل يوما غير ذلك "
هم بالانفعال فأشارت له أروى أن يتريث بها
فتماسك وقال بهدوء " ألم نتفق أن هذا من أجله
وأننا لابد أن نرضى بما قسمه الله .. أنا فخورا بك
يويا فأنت تتعاملين مع الأمر بنضج".
ردت من بين دموعها " لكن هذا النضج يؤلم ..
الصبيانية تجعلك تحصل على ما تريد".

Des. Maryam Tamim

رد مشفقا " أتفقنا أن هذا لمصلحته أليس كذلك؟"

رفعت وجهها ومسحت دموعها فساعد في مسح الدموع بإبهامه وهو يقول متهكما" يا الله تتحولين لخنزير صغير بهذا الوجه الوردي حين تبكين".

مسحت عيناها وهي تبتسم وقالت بحرج " انفعلت قليلا وبدوت بلهاء أليس كذلك ؟".

رد ساخرا رغم شفقته عليها " تعودنا على هذا عزيزتي المجنونة (وحاول تشتيت انتباهها فقال) ما رأيك أنت تشغلي لنا أغنية لنسمعها على ذوقك؟"

أومأت برأسها واستقامت تبحث عن هاتفها فتبادل النظرات المتألمة مع أروى بينما صدح صوت الغناء ليزيد من أوجاعهم .. فصاح أحمد " الرحمة .. ألا

Des. Maryam Tamim



يوجد في قلبك قدرا من الرحمة بأخيك المفجوع !!
"

قالت أروى بإصرار " أريد أن أسمعها .. للأسف
كماني في شقتي لم أحضره .. أتركيها يويا"

حبك وجع بعدو معي..
حبك حلم هربان
من قلب قلبي انسرق ..
وبكيت ع غيابه
مطرح ما كنا نحترق ..
صار الجمر بردان
والعطر عنده وفا ..
اكتر من صحابه

زفر أحمد مستسلما واستلقي على الأريكة بعد أن أشعل سيجارة فقالت أروى " هل عدت للتدخين مجددا يا أحمد ؟؟؟"

[3514]

لم يرد عليها وإنما نفث الدخان ينظر إلى سقف الغرفة يذكر نفسه أن البكاء سيقلل من هيبته أمام أختيه .

وحدي بدونك ما قدرت..
ما اصعب الحرمان
تركو الندم عندي عيونك وغابو
مجروح قلبي وصرخ ..
عم يندهك ندمان
محروق طعم الهنا ..
بغياب أحبابه

بدأت آية في الرقص التعبيري وقد فردت شعرها الطويل ودارت حول عقبيها تحرك ذراعيها وتتمايل يساعدها شعرها في الرقصة فاستدار أحمد يشاهدها وذهنه مشغولا بذكرياته مع بانة ..

Des. Maryam Tamim

تفاصيلها .. ضحكاتها .. عاداتها حين تغضب حين ترتبك .. هي بكليتها .. التي لا تفارق ذهنه لحظة واحدة .

انت لمين؟... انت إلي..
قلبي إلك منو إلي
إنت ملاك... قلبي هواك
يالي بحلاك .. عمري حِلي

كانت صورة سيد تلوح أمامها .. وكأنها ترقص رقصا معذبا أمامه .. تستجديه تستعطفه .. وقد بدأت الدموع تسيل على وجنتيها .. تتمنى لحظة واحدة معه .. لحظة آمنة تجمعهما وحدهما .. دون خوف من الناس .. ودون خوف من ضميريهما .. لحظة واحدة ينسيان من هما وأين ومتى .. ويضيعان في الفراغ ..
وينك على ليلي تعا..

[3516]



بعدو القمر سهران
تإلمحك جايي أنا ..
عيوني سهر دابو
شوف الدني .. كل الدني
ما في قلب عشقان
إلا ما جرح من الهوى ..
اسم الهوا صابو

حتى عطر عمرو الرجولي كان بأنف أروى والكلمات تخترق قلبها كظُفر ينبش بالجرح الذي مازال ينزف في صمت .. واشتاقت لأن تلمسه .. اشتاقت إليه كثيرا .. ويحترق قلبها قلقا عليه .. ترى كيف يقضي لياليه ؟ ..

انت حبيبي وبالقلب
غيرك ما في انسان
مكتوب عمري إلو والعمر عحسابو

[3517]



صارت حياتي انا .. قصة قلب تعبان
وحدو الحنين الي بقي من كل اصحابو
انت لمين انت إلي
قلبي إلك منو إلي
انت ملاك .. قلبي هواك ..
يالي بحلاك عمري حلي

انتهت الأغنية فصاح أحمد آمرا" إياك وتشغيل أغنية أخرى سأسقط صريعا أمامكما "..

ابتسمت وأشفقت عليه فأضاف " ترقصين ببراعة يويا وكأنك محترفة "
ردت "لولا أنه حرام لكنت راقصة كبيرة "
ابتسم ورد " وأنا لولا التقوى لكنت زير نساء عالمي"
علت ضحكاتهم ثم قالت أروى " ويقول الإمام علي لولا التقوى لكنت أدهى العرب ".

Des. Maryam Tamim

رد أحمد" نعم هي التقوى ومخافة الله هي ما تمنعنا على فعل الكثير من الأمور التي نتمناها.. فنلتزم بها من أجل الطاعة "

رن هاتف آية فردت ليأتيها صوت يقول "الأستاذة آية سماحة "

- نعم أنا

- أنا خالد شكري من إذاعة نغم .. لديك مقابلة غدا صباحا.

تسمرت ذاهلة فاستقام أحمد يقول" ماذا يحدث" وسحب الهاتف من يدها يقول بهجوم " من معي ؟"

رد الصوت " أنا خالد شكري وأتحدث مع الأستاذة آية من إذاعة نغم لديها مقابلة غدا العاشرة صباحا "

تمتم أحمد بمفاجأة" حسنا هل من الممكن أن تخبرنا عن سبب المقابلة؟"

رد الصوت" هي مرشحة لأن تكون مساعدة للأستاذ فادي ورد في تقديم برنامجه الصباحي"
ردد أحمد باندهاش "مرشحة لأن تكون مساعدة لفادي ورد في برنامجه الصباحي !.. عموما نحن عاجزين عن الشكر يا أستاذ خالد وستكون في الموعد إن شاء الله ..شكرا جزيلا"
بعد أن أنهى المكالمة أمسكت آية بملابسه تقول بذهول " هل أنت متأكد مما سمعته هل قال فادي ورد .. فادي ورد المذيع المشهور!! يا إلهي .. لا أصدق !!"
لفت ذراعيها حول عنقه تحتضنه في سعادة وبدأت بالقفز فقالت أروى بحبور " مبارك يويا إن شاء الله ستُقبلين .. ونسمع صوتك في الراديو قريبا "
بينما تمتم أحمد " كفى يا مجنونة .. هيا لنزف الخبر لوالديك .. هيا فقد تركت إبراهيم لوحده مع أمي لمدة طويلة ولا يعجبني ذلك ".
***

Des. Maryam Tamim

في اليوم التالي :

دخلت آية تداري توترها بعد انتظار دام لساعتين في منطقة الاستقبال التابعة لاستوديو الفنون الذي تبث منه إذاعة نغم.. وقد كادت أن تأكل بعضها من العصبية لانتظارها الكثير من الوقت .. لكنها أخذت تذكر نفسها بالفرصة الكبيرة في أن تعمل مع مذيع مشهور كفادي ورد .. فمقابلته كانت في حد ذاتها شيء عظيم .. حتى تعطفت عليها فتاة الاستقبال أخيرا تدعوها للدخول ..

بعد دقائق كانت تقف متسمرة تحدق في عدد من الرجال المتحلقين حول منضدة صغيرة في مكتب صغير يناقشون أمرا ما بشأن أحد البرامج .. كانوا خمسة رجال اثنان من الشباب وثلاثة فوق الأربعين حاولت تخمين من منهم فادي ورد ..فلم تراه أبدا من قبل ..

Des. Maryam Tamim

استبعدت الشابين لأنها تعرف أن فادي لابد أن يكون فوق الأربعين إنه مذيع قديم وشهير ومن غير المنطقي أن يكون هو أحد الشابين ..

حدقت في الثلاث رجال واستبعدت الرجل البدين الأصلع الذي يجلس صامتا كالمومياء ورجحت أنه أحد الرجلين الباقين وراهنت على واحد منهما بشعر يميل للشقرة ذكرها بوائل فاعتصر الألم قلبها ..

بعد قليل تحرك أربعة من الرجال مغادرين وبقي واحدا فاستدارت تحدق في خروجهم من الباب وهي تشاهد الرجلين الذين خمنت أنه أحد منهما يغادران.. ليأتي صوته الإذاعي من خلفها ميزته أذنها بسرعة يقول "أية سماحة أليس كذلك؟"

استدارت إليه بعينين متسعتين تتأمل هيئته المائلة باسترخاء على كرسيه خلف المكتب ..أصلع الرأس

Des. Maryam Tamim

.. بدين ..وإن لم يخلو من بعض الجاذبية الذكورية

.

فهمست لنفسها بصدمة " هل هذا فادي ورد ذا الصوت الساحر والشهرة الكبيرة صاحب أحلى ضحكة ذكورية سمعتها بعد ضحكة سيد !! .. إذا كان هذا فادي ورد فكيف يكون اسم حنتيرة !!"

تكلم بصوته الاذاعي المميز "هل انتهت صدمتك أم تحتاجين وقتا أطول للتحديق في شكلي وتقارنيه بالشكل الذي رسمتيه في مخيلتك؟"

انتبهت لما تفعل فبلعت ريقها بصعوبة ومدت يدها تقول " آية سماحة .. ولي الشرف بمقابلتك "

مط شفتيه بامتعاض ورد بعبوس طفولي بعد أن مد يده لسلام سريع " أتقولين تشرفت الآن بعد

Des. Maryam Tamim

هذه النظرة المصدومة التي جرحت مشاعر النجم بداخلي "

اتسعت ابتسامة آية ليقول بجدية " أنا سمعت التسجيلات التي قمت بعملها .. وأفكار البرامج التي قدمتيها في الاختبار .. وعلمت أنك تميلين لتقديم البرامج الحوارية الطويلة والسياسية منها لكني رأيتك ستكونين مناسبة جدا لبرنامجي الصباحي عن الأغاني والحوارات الخفيفة خاصة بعد ما رأيت في سيرتك الذاتية حبك للأغاني والطرب .. لذا سأقوم ببعض الاختبارات لك وإن نجحت ستتدربين لمدة ثلاثة أشهر بعدها تشاركيني في البرنامج الصباحي " حدقت فيه بعينيها العسليتين غير مصدقة وقالت " هل حقا ستتخذني مساعدة لك في برنامجك اذا نجحت في اختباراتك "

Des. Maryam Tamim

رد بثقة " إن شاء الله .. فأنا أقدم البرنامج وحدي منذ مدة طويلة ومللت وأحتاج لتغيير نمط البرنامج .. وقد كنت على وشك إنهائه والاختفاء قليلا للعودة بفكرة جديدة ".

اندفعت تقول بحماس " كيف تنهيه انه البرنامج الأشهر في الإذاعات كلها .. كان ملازما لي طوال فترة دراستي في الجامعة لأنه يبث في الثامنة صباحا وكنت أسمعه في طريقي للجامعة على راديو هاتفي "

رد بجدية "كل شيء مهما ذاعت شهرته له نهاية هذه حقيقة علينا أن نتعامل معها .. الأمر أني أقوم بمحاولة أخيرة لكسر الملل واستعادة الشغف في تقديم البرنامج وإن لم تنجح سأنهيه "

ثم استقام وتحرك نحو مكتبته الصغيرة .. فحدقت في هيئته التي تتنافى مع اسمه وصوته والصورة التي

Des. Maryam Tamim

رسمتها في ذهنها لسنوات فجاء صوته يقول " كفى تحديقا في يا آنسة فهذا يجرح مشاعر النجم بداخلي كما قلت .. ووقتها سأشكوك لزوجتي وستندمين (ثم استدار إليها وقال) تعرفين من تكون زوجتي أليس كذلك ؟!"

رمشت آية وحركت رأسها بلا فقهقه بضحكته التي كانت تطيح بعقلها عبر الأثير ثم قال " أنت فعلا صغيرة جدا ".

ردت مدافعة " أنا متابعة للوسط الفني كله وتستطيع أن تختبرني فيه لكني لم اسمع عن زوجتك من قبل.. حتى صورك حاولت البحث عنها على الانترنت فلم أجد.. يبدو أنك مقل في التجمعات الفنية والحفلات وما إلى ذلك ".

Des. Maryam Tamim

تمتم بغيظ يحدث نفسه " هل تتعمد تلك المرأة التعتيم على ارتباطها بي !! .. (ثم علا صوته يقول) إذا عملت معي ستقابلينها حتما فهي زائرة شبه مقيمة هنا لتفقد الوضع والإطباق على أنفاسي .. (ولدهشتها غير وجهة الحديث فجأة ليسألها) كيف ترين نفسك بعد خمس سنوات ؟"

ارتبكت من تغييره لدفة الحديث وقالت " مذيعة شهيرة في برنامج شهير " .

ضيق عيناه وسأل بمكر " وأنا ؟"

ارتبكت قليلا ثم ردت " وأنت بعد ٥ سنوات سيكون لديك شغف جديد ببرنامج جديد يليق بكبير مذيعي الشرق الأوسط ".

قهقه ضاحكا بنفس ذات الضحكة الرائعة ثم قال " أتمنى أن تنجحي في الاختبارات فأنت تعجبينني

بحماسك الذي أفتقده هذه الأيام .. (وعاد لتغيير دفة الحديث مجددا يقول) لمَ لم تفكري في التقديم التليفزيوني؟.. لديك مقومات شكلية تؤهلك للظهور على الشاشة ؟"

حاولت إيجاد سببا منمقا غير الحقيقة على شاكلة (أهلي من سلالة باشوات ويجدون ظهوري بالتلفاز عارا على العائلة) لكن عقلها كان فارغا بفعل التوتر فردت بصدق" أبي يرفض أن أظهر على التلفاز .. إنه محافظ بعض الشيء "

فرد مندهشا" لمَ .. هناك مذيعات كثيرات يرتدين الحجاب على الشاشة الأمر لم يعد كما كان من عدة سنوات!! "

حركت كتفيها وردت " لا أعرف لكني لن أمل من إقناعه "

Des. Maryam Tamim

قال متجاهلا ردها بشكل أثار دهشتها " هيا علينا الذهاب الاستوديو .. وستخضعين لاختبارات قاسية فأنت لم تعرفيني في الاستوديو بعد (وعدل ياقة القميص الثمين تحت سترته وقال بخيلاء) أنا فادي ورد "

وتحرك أمامها تاركا إياها ترمش غير مستوعبة .. ثم لحقت به بسرعة وهي تخمن أن به مسا من الجنون متمتمة لنفسها " مرحبا بك آية سماحة في عالم الواقع .. فاستعدي لمزيد من فصول الرواية المملة التي تحمل عنوان (الحقيقة العارية) "

***

بعد ثلاث أسابيع :

قالت إلهام وهي تمسك باب الشقة " أهلا بك يا أم عادل تفضلي "

Des. Maryam Tamim

قالت أم عادل باستعجال " لا لن ادخل كنت اشتري بعض الأغراض وقابلت أم سماح في السوق (ونظرت داخل الشقة بفضول ثم أكملت) وما قالته كان غريبا جدا .. هل حقا أم عمرو اشترطت عليه أن يتزوج من سماح ابنة خاله ؟!!"

ازدادت ضربات قلب إلهام وصاحت باستنكار " ما هذا الكلام الذي تقولينه يا أم عادل؟!!"
قالت أم عادل بثقة وحماس غير مبرر " أقول لك ما هو منتشر في الحي كله منذ ليلة أمس .. أن أم عمرو أجبرت ابنها على الزواج من ابنة خاله .. والا ستموت غاضبة عليه وأن اليوم سيقرأون الفاتحة .. (وأخفضت صوتها قليلا وإن كان مسموعا وأكملت) وتأكدت من ذلك بنفسي من صابرين الفتاة التي تساعد أم عمرو وترافقها في البيت ..

Des. Maryam Tamim

قالت أن اليوم عندهم مأدبة كبيرة بالبيت بمناسبة خروج أم عمرو من المستشفى وأن هناك تحضيرات خاصة وعددا من الضيوف "

أمسكت أروى بكرسيها بقوة حتى لا تصرخ ..

وللحظة اهتزت ثقتها به وتساءلت هل سيفعلها فعلا ؟؟ .

فعلى الرغم من توقعها لأمر كهذا منذ فراقهما الذي زاد عن الشهر ..دون أي حديث بينهما سوى اتصالاته اليومية بوالدتها ليطمئن عليها لأنها مازالت تغلق هاتفها .. لكن التوقع يختلف تماما عن الواقع .

انسحبت للخلف نحو غرفتها في صمت .

تشجع نفسها على الصمود ..

ممتنعة عن الانهيار ..

رافضة البكاء لأنها تعلم أنها لو بكت ستنهار انهيارا كليا لا رجعة فيه ..

لن تبكي ..

لن تبكي عن ضعف وقهر ..

لن تبكي من أجل والدتها التي تقتلها الحسرة عليها..

ومن أجل والدها الذي استعاد عافيته من أيام قلائل ليعود لعمله ..

ومن أجل أحمد الذي يزداد نحولا وتدخينا وعصبية وتحيطه الهموم من كل جانب ويقف صامدا هو الآخر .

ومن أجله هو .. عمرو القاضي.. عشقها الأبدي وشوقها الذي يضنيها .. فهي تعلم أن صمودها داعما له ومقويا لعزيمته فلو انهارت سيرتكب الحماقات وسيخسر نفسه .

ويعود السؤال ليلح عليها من جديد ..

[3532]

هل سيفعلها ؟؟..
ثقتها فيه تقول لا .. لكن قلبها خائف مرتعب ..

على باب الشقة سيطرت إلهام على أعصابها وردت بشموخ " بالتأكيد هذا كلام سلوى ولا غيرها صاحب هذه الإشاعة البغيضة".

سألت إم عادل بفضول " وتلك المأدبة لماذا ابنتك ليست حاضرة فيها إذن إن كان الأمر مجرد شائعة ."

طحنت إلهام ضروسها وصاحت بعصبية" أمه كانت مريضة وكان يلازمها في المستشفى ولم تخرج سوى من أيام قلائل .. ولهذا ابنتي عندي حتى لا تبقى وحدها .. والآن هي تعاني من بعض الانفلوانزا ألزمتها الفراش وستعود لبيتها قريبا بإذن الله ..

Des. Maryam Tamim

لكن لو أن ما قلتيه صحيحا فلن تعود .. فأنت تعرفين أن الحاج لا يقبل ما يمس بناته "

قالت أم عادل " لا تؤخذيني يا أم أحمد فإن كان ما يقال صحيحا أن الأستاذة أروى تمنعها حالتها أن تنجب فمن حق الرجل الزواج إنه وحيد والديه و .. "

صاحت فيها إلهام بانفلات أعصاب " هل وصل بكن الوقاحة لإطلاق الشائعات على ابنتي .. أخبريني من تجرأت وقالت هذا الكلام حتى أقطع لسانها .. "

قالت أم عادل في رعب " لست أنا يا أم أحمد إهدئي .. أنت تعرفين كلام النسوة لا يتركن موضوعا إلا بالحديث فيه والإضافة عليه .. بالمناسبة هل طلق الباشمهندس زوجته الوافدة ؟"

***

Des. Maryam Tamim

في المساء :

دخل عمرو شقته يسلم على أثرها في المكان .. وأراد أن يصلي المغرب في الشقة .. في غرفتهما بالتحديد .. يقتسم هو وغرفته الباردة بعضا من المؤانسة .. قبل أن يصعد لشقة والده ..

بعد أن فرغ من الصلاة .. افترش السجادة يسبح بسبحة والده ويتجول بناظريه في أرجاء الغرفة .. يتذكرها في كل بقعة فيها وفي البيت ..

إنه يأتي هنا كل يوم ليجلس قليلا يتشارك مع الغرفة الوحدة والبرودة .. وبعض الليالي يترك تلك الأريكة التي بات يتخذها في غرفة والدته سريرا منذ أن خرجت من المستشفى مصرة أن يبيت معها في نفس الغرفة .. ليأتي هنا يصلي أو يقرأ القرآن .. ويلملم بقايا عطرها من المكان ..

[3535]

إن والدته تزداد تشبثا به حتى أضحى ينام معها في نفس الغرفة ويحمد الله أنها تتركه يذهب لعمله صباحا .. لدرجة أنه قد استشار طبيبا نفسيا.. فأكد له أنها تعاني من بعض المشاكل النفسية والتي رجح الطبيب أنها نتيجة لتربيتها كيتيمة متنقلة هي وأخيها الأصغر بين بيوت الأقرباء قبل أن تتزوج الشيخ عبد الرحمن وتأتي للعاصمة معه ثم اضطرارها لاستئصال الرحم .

لذا لا يجد أمامه إلا الانتظار ..

لكن الانتظار طويل ومؤلم ..

ينتظر أن تتحسن حالة والدته الصحية وتتحرك بنشاط في البيت .. أن تستعيد والدته توازنها النفسي حتى يستطيع التحدث معها في أمر أروى .. رغم أنه لم يجد حلا حتى تلك اللحظة .

Des. Maryam Tamim

فكر في الاستقلال في شقة بعيدا عن المبنى والحي لكن الأمر سيشكل صعوبة له في أن يراعي والدته يوميا .. ولأروى أن تكون بعيدة عن أهلها في حالتها هذه .

فلم يجد حلا سوى الصبر ..

الصبر .. كلمة حسبها من قبل سهلة ولم يدري إلا الآن أنها نار حارقة تضنيه بالشوق والوحشة .. يتلهف على أي خبر عنها كالمجنون .. يلجأ للخالة إلهام ولسيد ولآية .. ليلملم أخبارها..

يعذبه خصامها له .. يشقيه بُعدها عنه .. لكنه غير قادر على الحديث .. تمزقه الأفكار كيف يتواصل معها وماذا يقول ..

هل تتفهم حالته ؟؟..

Des. Maryam Tamim

هل مازالت متفهمة أن لسانه يصبح معقودا حين تغلبه المشاعر فلا يعرف كيف يعبر وماذا يقول .. وكيف ينتابه الخرس ..

ويؤلمه صمت أحمد .. لقد عاد من أكثر من ثلاثة أسابيع لكنه يتجنبه .. كان يتوقع أن ينزل من الطائرة عليه يطيح به أرضاً ويسدد له لكمات ليس لها عدد ..

لكن أحمد خالف توقعاته ولم يتواصل معه منذ عودته بل إنه كان يحضر يوما بعد يوم ليزور وائل الغارق في غيبوبته في نفس المستشفى ويتجاهل المرور عليه ..

لكنه يعلم من سيد أنه يطمئن على حاله وحال والدته باستمرار ..

زفر نفسا حارقا من صدره وهو يتمتم " يا أروى!"

(يا أروى !)

[3538]

إنه التعبير الوحيد القادر على لفظه .. الكلمة الوحيدة التي تخرج من فمه وكأنه يودع فيها كل شكواه وكل أوجاعه..
كل الاشتياق وكل الوحشة ..
كل العشق والاحتياج ..

(يا أروى!)

تحرك نحو السرير وأخذ بتلك اللوحة وفردها .. اللوحة التي أهداها له أحمد يوما .. اللوحة التي مازال كلما رآها يحبس أنفاسه .. اللوحة التي تبرز تفاصيل وجهها وشعرها ..
أخرج قلما وكتب على جانب اللوحة " يا أروى " لتظهر اللوحة أمامه وقد امتلأت معظم المساحة البيضاء فيها باسمها مكتوبا بخط يده (يا أروى).

Des. Maryam Tamim

كلما زار الشقة .. كلما تألم .. كلما غلبه الاشتياق يخرج اللوحة ويكتب اسمها وكأنه يبعث لها برسالة ... وكأنه يناديها لتأتي .

رن هاتفه ففتحه يقول بالنبرة الكئيبة التي باتت تلازمه " نعم سيد "

هدر سيد بعنف حتى كاد أن يصيبه الصمم " أنت (...)"

تفاجأ عمرو فحوقل ثم سأله " ما سبب بذاءة اللسان هذه يا بابن صبرة"

صاح سيد فيه " ما هذا الذي اسمعه ؟؟!!"

زفر يقول وهو يجمع حاجياته يستعد لمغادرة الشقة " ما الذي سمعته ؟.. هل لديك أخبار أسوأ مما نحن فيه؟.. اللهم لا اعتراض "

Des. Maryam Tamim

سأله سيد بصرامة " هل صحيح ستخطب ابنة خالك اليوم؟ ".

رفع عمرو حاجبيه ورد " ما هذا الهراء!!"

قال سيد بانفعال " هذا ما يعرفه الحي كله منذ أمس .. طأطأ أخبرني الآن أن الخبر منتشر بين الناس .. وهناك من يضيف أنه بسبب أن أروى لا تنجب .. وهناك اشاعات أخرى أنك قد طلقتها بالفعل "

غلى الدم في عروقه ورد باستنكار " أنا لا أفهم يا سيد ما الذي تتكلم عنه .. ومن أطلق هذا الكلام في الحي "

سأله سيد " لمَ خالك وبعض أفراد أسرتك يزورونكم اليوم ؟.. لقد رأيتهم وأنا أمر بالسيارة منذ قليل يدخلون المبنى "

Des. Maryam Tamim

هتف عمرو بمفاجأة " من ؟!! .. لا أعلم !! .. أنا في شقتي لم أصعد لأمي بعد !!"

قال سيد بغيظ " إذن ما قيل كان إشاعة "

رد عمرو مستنكرا " بالطبع يا سيد هل كان عندك شك !!"

سأله سيد مفكرا " من أطلقها إذن وخاصة مع توقيت الزيارة اليوم؟!!"

ركل عمرو كرسي السفرة بعنف وهو يتمتم بغيظ "هذا كثير .. كثير".

قال سيد " اهدأ وفكر يا عمرو يبدو أن هناك ما يحاك من وراء ظهرك"

حك جبينه بإنهاك وتمتم " حسنا أنا سأرى ماذا يحدث .. وحاول أن تعرف لي مصدر تلك الإشاعات يا سيد "

Des. Maryam Tamim

رد سيد وهو ينهي المكالمة " سأحاول لا تقلق.. سلام"

أغلق عمرو الهاتف وخرج من شقته يغلق الباب بعنف والأدرينالين يتدفق في شراييينه .. صاعدا للشقة العلوية ..

***

أغلق سيد الهاتف واتصل ببعض معارفه يطلب منهم تقصي مصدر الشائعات ثم وقف يفكر من من الممكن أن يفيده ..

لمح برقوق من بعيد يقف وأمامه مجموعة من النسوة يبدو من هيئتهم ومن ملامحهن المألوفة له أنهن من البائعات في السوق فاقترب منه وهو يخمن ما يمكن أن يربطه بتلك النسوة الآتيات كل هذه المسافة إليه .. فالسوق بعيد نسيبا حيث

Des. Maryam Tamim

الشوارع الخلفية للحي في المناطق القديمة الفقيرة منه .

حين اقترب وجد أن برقوق يناولهن عملات معدنية كثيرة ثم تبادلوا التحية وانصرفت النساء .. فرفع سيد حاجبه وسأله "ماذا تفعل ؟"..

اتسعت ابتسامة برقوق البنية ورد بسماجة" أورد لهم الفكة التي آخذها من الصبية وهم يحتاجون الفكة في معاملاتهم فيأتون ليفكوا مني العملات الورقية".

أمال سيد برأسه قليلا لينظر لداخل الغرفة التي استعادت نشاطها بعد أن أظلمت أثناء سفر أحمد ليجد الصبية يفترشون الأرض يشاهدون ما يبثه تلفاز القهوة من مباريات.. فمط شفتيه بامتعاض وغمغم لنفسه وهو يطحن ضروسه ويطبق على

Des. Maryam Tamim

قبضته بقوة " يجمد العملات المعدنية التي يكسبها من الوصلة التي أدفع أنا ثمن الاشتراك الشهري فيها !!!.. الحل الوحيد أمامي هو قتل ابن سماحة"

ضيق برقوق حاجبيه وسأله "هل تقول شيئا؟"
رد سيد " لا (ثم هرش في أنفه ليكمل) هل تعرف بالشائعة الخاصة ببنت سماحة".
مط برقوق شفتيه وسأله ببرود " تقصد زواج ابن الشيخ من قريبته؟ ".

نظر له سيد وقال بلهجة خطرة " هل لديك معلومات عمن سربها ؟"
وضع برقوق يديه في جيبه ومال بجسده ببعض الزهو ليقول بلهجة العارف الواثق " بالطبع ..

Des. Maryam Tamim

الشائعات بدأت من ثلاث أشخاص .. السيدة أم العروس المرشحة للزواج أخبرت بعض النسوة في السوق أن ابن الشيخ ينوي الزواج من ابنتها وحاولت أن تبرر الزواج بأنه شيخ والشيوخ يميلون لتعدد الزوجات .. وأنها مؤمنة بالله ولا تريد أن تخالف شرع الله .. فمادام مقتدرا ويريدها فما المانع .. وأنه كان يريدها في الأساس لكن والدها كان يرفض ولهذا لجأ للزواج من بيت سماحة شفقة على حالها وبعد إلحاح كبير على والدها وافق أخيرا"

رفع سيد زاوية شفته العلوية استهجانا ثم قال بلهجة آمرة "أكمل"

هرش برقوق في ذقنه ثم قال بنفس اللهجة الواثقة " ثم هذه المرأة الفضولية أم عادل حينما سمعت هذا في السوق من النسوة لم تترك صابرين الفتاة

Des. Maryam Tamim

التي تعمل عند زوجة الشيخ الا وعرفت منها بعض المعلومات وأنت تعرف أم عادل ذات فم كبير"

سأله سيد " ومن أطلق إشاعة أن بنت سماحة لا تنجب؟"

رفع برقوق كتفيه ورد " هذه لا أعرف .. أنا سمعتها مثلكم لكن لم أعرف مصدرها .. (وأكمل بحماس) إن كانت معلومة مهمة أستطيع أن أبحث ..."

قاطعه سيد حين جز على أسنانه وغمغم لنفسه "استطيع أن أغير مبدئي وأضرب النساء ما المشكلة !"

فسأله برقوق " ماذا قلت ؟"

رد سيد بصوت عالي وهو يشيح بيده " لا شيء .. لا شيء "

Des. Maryam Tamim

وابتعد وهو يجز على أسنانه ويفتح هاتفه ليتصل بعمرو وحين لم يرد كتب له رسالة على الواتساب يخبره بما سمع .

***

قبل دقائق :

فوجئ عمرو بوجود خاله عاطف وأسرته وعمته مفيدة التي لها مكانة كبيرة في العائلة .. وهي أكبر اخوتها بعد وفاة الشيخ وبعض من أبناء عمومته المتواجدين بالعاصمة .. ولاحظ أن سماح تستقبله بحالة من الحماس وأنها تكثر من زينتها بشكل ملفت ..

ألقى السلام وشعر أن هناك شيئا ما يدبر غير مريح فتكلم يقول "ما هذه المفاجأة !.. أسعدتمونا بالحضور .. لو كنت أعلم بحضوركم لكنت حصلت على إجازة لاستقبالكم بنفسي "

Des. Maryam Tamim

ردت عفاف بارتباك " حضروا فجأة للتهنئة بخروجي من المستشفى"

تمتمت العمة مفيدة بعبوس " هل سننتظر كثيرا لتجهيز الغداء الذي اصبح عشاء؟ .. لا أريد أن أتأخر يا عفاف أنا أحب النوم مبكرا ولولا أنك ألحيت عليّ للحضور ما كنت حضرت "

نظر عمرو لوالدته بنظرة غاضبة فلاح عليها الارتباك وتمتمت " حالا (وعلت صوتها)هيا يا صابرين ".

فقامت سماح بكل نشاط تقول " سأساعدها أنا"

نظرت لها عفاف بحنان لتقول " بارك الله لك يا بنيتي".

تلكم عمرو بلهجة خطرة " سماح من فضلك اجلسي أريد أن أتحدث مع الجميع ".

Des. Maryam Tamim

تجمدت سماح ونظرت لوالدتها بقلق ثم عادت لتجلس فقال عمرو للجميع " هناك أمرا أريد أن أعلم مصدره .. من أفتى بأني سوف أتزوج ثانية؟" نظرت له عفاف بتحدي فأكمل " منذ أمس وهناك اشاعة بذلك في الحي "

اندهشت عفاف وقالت" الحي ؟ !! ومن أخبر الناس بأمر كهذا ؟؟؟".

ونظرت لسلوى التي دارت حرجها وتصنعت الانشغال بأي شيء .. بينما ردت العمة مفيدة" وما المشكلة أن يعرف أهل الحي؟ أي زواج لابد أن يتم اشهاره أم ستتزوج من ابنة خالك في السر؟!!! "

لاحت نظرة خطرة في عيني عمرو وصاح " من قال هذا الكلام ؟؟!!.. من قال أني أفكر في الزواج ثانية ؟!! "

Des. Maryam Tamim

ارتبكت عفاف لكنها تحكمت في ملامحها وقالت بتحدي "أنا؟!"

طحن عمرو ضروسه يبحث عن رد فعل مناسب ويتحكم في موجة غضب تجتاحه.. وقد صعد الدم إلى رأسه .. فتكلمت العمة مفيدة تقول بعصبية " لا أفهم ماذا يحدث .. لكن مادامت زوجتك لديها مشاكل في الانجاب فالله حلل لك أن تتزوج مرة أخرى "

رد عليها عمرو بغضب بارد " هذا إن كنت أفكر في الزواج مرة أخرى "

نظرت العمة مفيدة باستنكار" لا تفكر !! .. إذا لمَ نحن هنا يا عفاف؟!!.. ولم أصريت أن أحضر وقلتِ أنك تريدين مناقشة أمر زواج عمرو بسبب حالة زوجته وأن وجودي مهما ".

Des. Maryam Tamim

طحن عمرو على ضروسه ينظر لأمه متقبضا
يحاول استحضار كل أدوات ضبط النفس
بينما قالت عفاف بشموخ وهي تنظر لابنها " بيني
وبينك العائلة .. أيرضيكم وأنا في سني هذا ..
وحالتي الصحية هذه .. أن يحرمني ابني من أن أرى
حفيدي لأنه مدله في حب زوجته "
تكلم عمه صادق بدبلوماسية " أرى أننا ليس لنا
الحق في التدخل في هذا الموضوع فهذا شأن لهما".
أطرق عمرو برأسه مفكرا لثوان ويديه في جيب
بنطاله ثم رفعها يقول بصرامة موجها الحديث
للجميع " اسمعوني جيدا .. أنا عمرو القاضي متزوج
من سيدة فاضلة من بيت سماحة .. ولا أفكر في
الزواج من امرأة أخرى حتى لو قدر الله لنا الفراق ..
وليس من شأن أحد إن كنت أحب زوجتي أو لا
أحبها .. فهذا أمر يخصني وحدي .. (ثم تحولت

Des. Maryam Tamim

لهجته للهجة خطرة) ومن أطلق هذه الإشاعة في الحي سأحاسبه بنفسي "

قاطعته مفيدة بحدة " مادامت زوجتك لن تنجب فعليك أن تفكر في اسم والدك واستمرارية عائلة القاضي .."

رد عمرو بجلافة " كنتِ أخبرتِ هذه النصيحة لأخيك رحمه الله حين ظل ثمانية وعشرون عاما صابرا على زوجته الأولى التي لم تنجب .. عموما هذا شأني وحدي ولست مجبرا على تحقيق أمنياتكم "

هدرت فيه العمة " هل هذه لهجة تتكلم بها معي يا ولد!! .. أنا مغادرة "

وأمسكت بعصاها تتوكأ عليها منحنية فقام أخاها الأصغر صادق يسندها.. ليتقدم منها عمرو نادما ويقبل رأسها .. فأشاحت بيدها عنه بعصبية

Des. Maryam Tamim

..فقال عمرو بلهجة لينة خافتة " لا تغضبي يا عمتي لكني مضغوط هذه الأيام .. عموما زوجتي ليس لديها مشاكل في الانجاب والحمد لله .. الموضوع كله أننا نؤجله قليلا حتى تهتم بعلاجها أولا .. وأنا لم أكن أريد أن أتحدث أو أبرر إن كانت زوجتي عاقر أم لا فهذا أيضا شأني وحدي ولا أسمح لأحد أن يتكلم فيما يخصني أنا وزوجتي خاصة في عدم وجودها".

سألته باستنكار" لمَ هي ليست موجودة إذن ! ".. رد متألما " لأن أمي أهانتها هي وعائلتها أمامي .. وتتهمني حين أدافع عن زوجتي بأني ابن عاق لا أبرها .. (ونظر لأمه نظرة حزينة ثم أكمل) وصغّرتني أمام عائلة زوجتي كما تصغِّرني أمامكم الآن حين تقرر زواجي دون موافقتي ووضعي أمام الأمر الواقع .. وكأني طفل في الخامسة من عمره"

Des. Maryam Tamim

حدجت العمة مفيدة عفاف بنظرة موبخة .. فلاح الحرج وبعض الخوف على ملامح الاخيرة فقالت مفيدة بإصرار" أنا مغادرة.. فلن أتحملك يا عفاف ولن أتحمل هوسك بابنك .. كلمتك كثيرا في هذا الأمر .."

استقامت عفاف واقتربت منها وقد لاح عليها بعض الوجل والتبجيل للعمة مفيدة وقالت "انتظري يا حاجة ".

اشاحت العمة مفيدة بيدها في عصبية وقالت بقرف" تعبت منك ومن طيشك .. وحذرت الشيخ رحمه الله أن تدليله الزائد لك سيفسدك "

ردت عفاف بحنق" أنت لا ترين كيف هو مدلها في حبها ".

هدر عمرو بعنف أجفل الجميع" أمي !! .. ما هذا الذي تتحدثين عنه أمام الناس !! "

Des. Maryam Tamim

استندت العمة مفيدة منحنية على عصاها تقول لعفاف متهكمة "وماذا كان يفعل معك الشيخ إذن!!.. ألم يكن مدلها في حبك ودللك إلى حد أن أصبحت غير مسئولة .. هل عندك عقل راجح حين تأتين بنا هنا لتجبري رجلا بطول الحائط أن يتزوج على زوجته التي لم تكمل عاما على ذمته!!.. "

شحب وجه عفاف وتحولت أمام العمة مفيدة لطفلة وهي تقول بهمس معترض "حاجّة مفيدة !" قصفتها العمة بقلة صبر تقول " كفي عن الغيرة يا عفاف هذا آخر ما سأقوله لك .. واتق الله فيما منحه الله لك من نعم .. وأعلمي أن عبد الرحمن حتما لم يكن ليرضى بهذا أبدا " .

انسحب باقي أفراد عائلة القاضي مغمغمين بعبارات متحرجة بينما عفاف تحاول اثنائهم عن المغادرة

Des. Maryam Tamim

قبل تناول الطعام .. لكنهم أصروا على الرحيل بينما عمرو ينظر في الرسالة التي وصلته من سيد فجحظت عيناه وطحن ضروسه .

واستدار ليجد خاله يقول بحرج " هيا بنا نحن أيضا يا سلوى يكفينا إهانة"

رد عليه عمرو متهكما " أخيرا سمعنا لك صوتا يا خالي !!"

رد عاطف بوجه محتقن" هل سيطالني لسانك أنا أيضا يا عمرو .. يكفينا هذا الحرج الذي وضعتنا فيه "

رد عمرو بصرامة " أي حرج تتحدث عنه !!.. بل قل فضائح .. لقد تركت أختك وزوجتك يخططان وقلت بعدهم آمين"

صاح عاطف " أتهينني في بيتك يا ابن عفاف !!"

Des. Maryam Tamim

رد عمرو بحدة " بل أنت من قبلت الإهانة حين تركتهما تتحدثان عن زواجي من ابنتك دون أن أتحدث أنا معك في هذا الأمر"

وقف عاطف معقود اللسان بينما صاحت سلوى "هل هذا احترامِك ومعزتِك لنا يا عفاف .. جِئت بنا لنهان في بيتك "

استدار إليها عمرو يقول "اتركي أمي في حالها .. ولا تقلقي .. فهي لا تحتاج لشكوتك إنها تقوم بعقابي وتعذيبي دون أي سبب .. وأخشى أن أفقد عقلي بسبب ما تفعله بي وأترك لها البلد كلها وأهاجر "

احتقن وجه عفاف وجحظت عيناها لتجلس على المقعد المجاور فقدميها لم تعد تحملانها وهي تردد بذهول خافت " يهاجر !! "

Des. Maryam Tamim

بينما صاحت سلوى " هل هذا أسلوب تتحدث به عن والدتك .. هل هذا بر الوالدين يا ابن الشيخ .. اتق الله "

هدر عمرو بانفعال" بل اتق الله أنت .. واعلمي اني أحترم وجود خالي .. واحترم صلة الرحم حتى هذه اللحظة "

صاح عاطف بذهول " هل هذا احترامك لي .. هل هذه هي صلة الرحم ..!!"

رد عليه عمرو يقارعه " وهل حين نشرت زوجتك اشاعة في السوق أنني طلبت يد ابنتك للزواج وانت رفضت .. ولهذا تزوجت من بيت سماحة شفقة على حال ابنتهم.. وأنني عاودت وطلبتها منك وأنت تفضلت عليّ بالموافقة كل هذا كان احتراما لي ولك وحرصا على صلة الرحم بيننا!! .. أيعجبك أن تقول عني أني أرغب في الزواج من اثنتين لأني ملتزما ..

Des. Maryam Tamim

أيرضيك أن أبدو أمام الناس بهذا الرخص فيتلخص التزامي في أني أرى في الالتزام مبررا لتعدد الزوجات" .

نظرت عفاف لسلوى متفاجئة فتأتأت الأخيرة تقول" لم .. لم.. يحدث "

هدر عمرو بجنون " لا تستفزيني .. استطيع أن أحضر النسوة من السوق للشهادة".

انفجرت فجأة سماح الصامتة طول الوقت في البكاء .. وتحركت نحو باب الشقة هاربة بينما نادت عليها والدتها بجزع . . فأغمض عمرو عينيه قليلا يستعيد هدوءه بينما همت سلوى باللحاق بابنتها لكن عمرو سبقها ليخرج وراءها .. وحين لم يلحق بها في المصعد نزل على السلم بسرعة ..

Des. Maryam Tamim

عند سيارة أبيها وقفت تغطي وجهها وتبكي فاقترب قليلا وقال بجمود " سماح علينا أن نتحدث قليلا ."

اجفلت لوجوده ومسحت عينيها ونظرت له بعيونها الخضراء بكبرياء زائف فقال بلهجة جادة " أنا لم أقصد اهانتك ولا أحب اهانة أحد .. أنت ليس بك عيبا واحدا .. لكنها قسمة ونصيب .. ونصيبك لم يأتي بعد .. فلا تتعجلي عليه حتى لا تقعي في الاخطاء .. ولا تنظري للأمور بعيون والديك وخاصة حين يكونان بهذه السذاجة .. "

نظرت إليه في صمت.. فأكمل " أنت تستحقين رجلا أفضل مني .. وسأدعو لك أن تجدينه في القريب العاجل .. وإياك أن تتزوجي إلا رجلا

Des. Maryam Tamim

مستعدا لتخطي الصعاب من أجلك .. إن لم يفعل ذلك فبيت ابيك أولى بك . "

صاحت سلوى بعصبية من خلفه "هيا يا سماح نخرج من هذا الحي .. اشعر بالاختناق "

بينما استدار عاطف صامتا كعادته يصعد لسيارته وتحرك بها وهو يستمع لصراخ زوجته العصبي دون رد . . فزفر عمرو بإجهاد وصعد مسرعا يدعو أن تكون والدته بخير .

***

بعد دقائق دخل عمرو ونظر لوالدته بتوجس فوجدها تجلس على مقعدها ساهمة بوجه مقلوب وساق تهتز في عصبية .. وتعجب من شعوره بالراحة أن وجدها بهذه الحالة فهي أفضل من أن تمرض ..

Des. Maryam Tamim

رفعت وجهها إليه بغيظ لكنه نادي على صابرين فجاءت مرتعبة .. لينظر إليها بنظرة خطرة ثم قال بهدوء مرعب " من أخبر أم عادل بأن لدينا مأدبة اليوم وسببها؟"

نظرت صابرين لعفاف بحرج وعادت تنظر لعمرو ثم أطرقت برأسها أرضا فقال عمرو بصرامة " كم حسابها يا أمي؟"

تكلمت صابرين بتوسل " لم أقصد .. المرأة سألتني ووجدت نفسي أنطق دون وعي .. سامحني يا باشمهندس .. لن أكررها .. أعتذر لن أكررها .. أنت تعرف ظروفي ".

نظرت إليها عفاف بصدمة وخيبة أمل .. ولم تقوي على قول شيء .. فقد كانت مجهدة .. متعبة ..

Des. Maryam Tamim

مرهقة المشاعر .. متألمة القلب .. مكسورة النفس ..

رد عمرو بنفس التجهم" سأمنحك فرصة واحدة أخرى .. إذا علمت أنك خنت أمانة وأسرار البيت الذي تعملين فيه لن أستطيع أن أثق فيك مرة أخرى .. غادري الآن وتعالي غدا في موعدك "

حركت صابرين نظراتها بينه وبين عفاف ثم أخذت حقيبتها وغادرت وهي تمتم بالشكر والامتنان .
مرت فترة من الصمت قبل أن تقطعه عفاف بلهجة خائبة الرجاء " يبدو أنك قد حسمت أمرك ولن تتزوج بسماح ".
رد بهدوء " أنا أمري محسوم يا أمي من أول لحظة .. أنت من لا تريدين رؤية الحقيقة ".

Des. Maryam Tamim

قالت بحزن " إذن فضلتها علي أمك "
صاح بعصبية " أين التفضيل يا أمي ؟!! أين التفضيل ؟!! .. أنت أمي .. وهي زوجتي "
ردت بحدة " لكنك تعصي أمك من أجلها .. تعصيني وأنت تعرف أنك ترتكب ذنبا .. ولم يهمك صحتي .. لم يهمك أن أموت .. قلت لك أمنيتي وحققها لي .. قلت لك أخي مريض ويخشى أن يموت لم يهمك".
قال محاولا السيطرة على انفعالاته " يا أمي أنت ستظلين أمي وحذائك فوق رأسي .. لو تطلبين مني عيناي سأعطيها لك وربي يشهد على ما أقول .. لكن كرامتي يا أمي أمام زوجتي .. وأمام الناس .. أنت تكسريني .. وتصغرين صورتي كرجل .. وتجعلين مني أضحوكة أمام الجميع "
هتفت باستنكار " أنا ؟؟؟!!"

Des. Maryam Tamim

رد بصبر " أجل يا أم عمرو .. لا تريدين أن تعترفي بأني صرت رجلا .. بأني أصبحت في الرابعة والثلاثين ولم أعد طفلا"

قالت متهكمة " ولأنك في هذا العمر لم يعد يهمك رضائي من عدمه.. ولم تخشى أن يتكرر ما حدث ذلك اليوم وأسقط فاقدة للنطق هذه المرة .. كيف ستعيش وأنت السبب في موتي "

رد بحزم " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .. وانت تطلبين مني ما أنا عاجز عن تنفيذه .. بعيدا عن أني لست بحاجة لزوجة أخرى ولا أفضل تعدد الزوجات .. ولا يوجد سببا جوهريا لأن استخدم تلك الرخصة التي منحها الله للرجل في حالات معينة .. فأنت من تطلبين مني أن أعصي الله.. تطلبين مني أن أظلم إنسانة ليس لها ذنبا .. اتزوجها لأرضيك وانا لا أميل لها ولا أريدها ولا أراها غير

أخت أصغر .. وأظلم امرأة هي زوجتي بالفعل (وود أن يقول أنا رجل ممتلئ بزوجتي بكل جزء من كياني ولا يوجد عندي مساحة لأخرى لكنه فضل عدم إثارة غيرتها أكثر فأكمل يقول) الزواج مسئولية وسأحاسب أمام الله على زوجاتي (فمن كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل).. صدق رسول الله .. وما تطلبينه فوق طاقتي .. وإن كان كلامي ليس مقنعا يمكنك سؤال شيوخ الدين ان كنت أعصيك في عدم الزواج ممن تريدين أم لا .. (وقال بلهجة مؤكدة وهو يضغط على كل حرف) وأنا متزوج بالفعل يا أمي .. أنا متزوج من أروى سماحة ".

ردت عفاف بحقد " وأنا لا أحبها"

آلمه قلبه وشعر بالتعاسة فأطرق برأسه قليلا فتأملت عفاف ملامحه .. وندمت على انفلات

Des. Maryam Tamim

لسانها والمجاهرة بعدم حبها لأروى .. وآلمها قلبها وهي ترى وجهه يزداد تخشبا..

تكلم عمرو بحزن " أعرف أنك لا تحبينها ولا أجد ما أقوله (وأكمل بلهجة متألمة لم يستطع إخفائها) ولا أعلم كيف أحل الأمر .. أنت تتحاملين على أروى يا أمي .. وتستعجلين أمر الانجاب والأمر كله بيد الله .. أنا وأروى كنا قد قررنا أن نواصل علاجها الطبيعي لمدة خاصة وأن ظهرها يستجيب للعلاج الجديد .. واذا لم يمن الله عليها بالشفاء العاجل سنفكر في الإنجاب ثم نعود للتمرين من جديد ... لكنك تصرين أن أموت كمدا إما فراقها أو فراقك .. عموما سأقول لك ما قلته قبل زواجي من أروى إن لم تكن أروى فلا حاجة لي في الزواج .. ولا حاجة لي في النساء بعدها .. فتحملي ذنبي أمام رب العالمين "

Des. Maryam Tamim

نظرت إليه عفاف تهز في ساقها بعصبية والدموع محبوسة في عينيها .. تتسأل أي سلطان تملكه هذه الفتاه عليه .. ليتمسك بها بهذه الاستماتة ..فقالت مقهورة وهي تستقيم على قدميها ببعض الإجهاد "ألم أقل لك أنك تغيرت .. ولم تعد ابني الذي أعرفه ".

تركته ودخلت غرفتها.. فرفع عمرو رأسه للسماء وفركها بكفيه بخشونة يطلب من الله الصبر والمدد ثم ذهب خلفها ليجدها مستلقيه على السرير .. فأولته ظهرها تداري دموعها ليستلقي بجانبها يحتضنها فقالت وهي تبكي كطفلة صغيرة " أتركني لأموت حتى تحل مشاكلك وتعود لحياتك مع بنت إلهام .. فأنت لم تعد حتى تخف من أن أموت "

Des. Maryam Tamim

تمتم وهو يشدد من احتضانها " بعيد الشر عنك يا أم عمرو .. قراري هذا هو ما يرضي الله أما تابعات القرار سأتحملها مهما كانت .. فلا خير فيما يغضب الله .. وأعتذر إن كنت قد انفعلت .. لكني أعيش حاليا أسوأ أيام حياتي .. واخشى من انفلات اعصابي المتكرر الذي لم أعهده في نفسي من قبل .. "

ازداد نشيجها تبكي بحرقة .. فأخذ يقبل رأسها عدة مرات ويربت عليها حتى هدأت ونامت أخيرا.

فاستقام يبدل ملابسه واستلقى على الأريكة مرهقا أن يقوم بالبحث عن شيء يأكله .. فلم يفعل سوى التطلع لهاتفه.. فلربما أخطأت واتصلت به .. أو فتحت هاتفها ليتصل بها .. وحين لم يجد شيئا من هذا .. غطى عيناه بذراعه وأخرج نفسا حارقا من صدره يتمتم " يا أروى "

***

Des. Maryam Tamim

في وقت متأخر من نفس الليلة دخل أحمد على عائلته يلقي السلام واضعا يديه في جيبه باسترخاء وسأل بلؤم " لم أنتن ساهرات حتى الآن يا نساء بيت سماحة ؟"

ردت إلهام تدعي اللا مبالاة " لا شيء محدد يجافيني النوم .. وآية وأروى قررا مشاهدة الفيلم معي "

حدق في الشاشة وقال "لم أكن أعرف أنك تحبين أفلام الرعب هذه الأيام يا إلهام "

حدقت بدورها في الشاشة لتتأكد فهي لم تكن تعي ماذا يعرض بالضبط وهي تصبِّر نفسها ويأكلها القلق لتعرف ما حدث في بيت القاضي .. ثم تمتمت لأحمد الذي يتبادل نظرات صامتة مع أروى التي تدعي هي الأخرى أن كل شيء على ما يرام غافلة عن أنها تبدو كالأموات" هل كنت عند وائل ؟"

Des. Maryam Tamim

فأومأ برأسه بنعم .. ثم أشفق عليها ليقول " أدخلي نامي قريرة العين يا إلهام فصهرك طائر أبي قردان حسم الأمر تماما أمام عائلته وأوضح لهم أنه متزوج ولا ينوي الزواج بأخرى .. وواجه زوجة خاله بما فعلت .. (ونظر نحو أروى التي ازدادت شحوبا وأكمل) ثم أخبر والدته إما أروى أو لا حاجة له في النساء وحمّلها ذنبه إلى يوم الدين .. (وأضاف متهكما) والحمد لله أمه لم تمت حتى الآن "

حركت أروى كرسيها نحو غرفتها بسرعة فأسرع أحمد خلفها بينما قوست إلهام فمها كالأطفال تقاوم البكاء تتمتم بتأثر وآية تربت عليها " حسبي الله ونعم والوكيل فيك يا عفاف "

أما الحاج الذي كان يدعي النوم في غرفته استرق السمع حين وصل أحمد ثم عاد لسريره يتمتم بالحمد والشكر لله..

[3572]

دخل أحمد ينظر إليها فاستدارت إليه بكرسيها تقول مازحة بوجه جاد كعادتها وهي ترفع إليه ذراعيها " حان الآن وقت البكاء على كتف الكونت .. لكن إياك أن يغريك الأمر فتبكي على كتفي أنت الآخر فلا مناديل تكفي لكلينا "

وبكت ..

بكت كثيرا ..

بكت بحرقة على كتف أخيها دموع لا تعلم هويتها. دموع فرح .. أم حرقة قلب .. أم اشتياق .. أم شكرا لله على حب رجل لها لا يتزحزح .. حتى وإن فرقت بينهما الأيام ..

***

Des. Maryam Tamim

بعد أسبوع :

تمطى وائل بانتعاش وهو يقول " مريومتي .. ها أنا أصبحت وسيما من جديد عمرو قلم لي أظافري وشعري وذقني " .

ردت عليه بدلال " أنت وسيم دائما يا وائل "

سحبها إليه يقول بشقاوة " وازدت وسامة الآن فماذا ستمنحينني في المقابل ؟ .."

ابتعدت عنه ضاحكة وقالت " هل غادر صاحبك؟"

رد عليها " لا أعلم لكني أتوقع أن شكلي الآن نظيفا ووسيما فهو ماهر في هذه الامور وعادة ما كان يدللني بهذه الطريقة وأنا في أيام المرض .

تمتمت بهيام" يبدو أنه يحبك "

رد بثقة " وأنا أحبه "

[3574]

قال عمرو وهو ينتهي من تنظيف ذراعه بمنشفة مبللة حين دخلت ماجدة الغرفة" ها قد أصبح العريس جاهزا ما رأيك في وسامته ؟.. "

هتفت مريم مهللة "إنه مازال موجودا"
فمط وائل شفتيه بامتعاض وهو يراها تلصق أذنها بجدار الغرفة.

بينما لاح شبح ابتسامة غير مكتملة على وجه ماجدة باتت تصدر منها في الأيام الأخيرة بعدما رأت ذلك التفاني من ثلاثتهم في رعاية صاحبهم فقد اقتسموا معها ومع أمير أيام المبيت.. ووضع جدول فيما بينهم لمرافقته وكلهم أمل أن تنتهي غيبوبته سريعا .. فاعترفت لنفسها أنها كانت طوال الوقت تغار منهم لأنهم الشيء الوحيد الذي كان

Des. Maryam Tamim

يربطه بالحياة.. لا أسرته .. ولا بناته .. ولا هي ..
فقط هم من مِن أجلهم تمسك بتوازنه النفسي
على قدر ما استطاع .
تكلمت ماجدة تقول بارتباك خافت " شكرا يا
باشمهندس لقد أتعبناك ".
قال عمرو بحرج " لا تحرجيني بهذا القول يا أختاه
فلم أفعل ما يستحق الشكر ".

رفع وائل حاجبا وقال ساخرا يقلدها " شكرا يا
باشمهندس لقد أتعبناك !!.. ما هذا الترقق في
الحديث مع الرجال ؟!!.. وما دخلها أصلا كيف
يدللني أصحابي"
سألت مريم" ما بك يا وائل؟"
قال بحنق" لمَ لا تنتظر في البيت مثل أمي والبنات
وتترك رعايتي للرجال لا أفهم ؟!!!"

[3576]

هتفت مريم مدافعة " أهذا جزاء المرأة !!.. إنها لم تتركك منذ وجودك هنا .. اشعر بها تتحرك حولك بصمت .. الجميع كانوا يتحدثون معك إلا هي .."
مط شفتيه ورد" لكنها باتت تتبادل الحديث مع عمرو وسيد .. وتكثر من الحديث مع الأطباء"
ردت مريم باستنكار " وما المشكلة ؟!!"
قال بحنق" لا توجد مشكلة .. لكن وجودها يوترني .. يضايقني .. أريدها أن تبقى في البيت "

دخل سيد يلقي السلام بذلك الصخب الذي يصاحبه ثم قال " اذهبي أنت للراحة يا أم ميري سنقضي نحن اليوم معه (ونظر لعمرو وتكلم بلهجة ذات مغزى) فأحمد أيضا سيأتي بعد قليل فقد أصريت عليه أن يأتي وسنجلس مع وائل نحن الثلاثة ونعيد الأيام الخوالي "

Des. Maryam Tamim

ابتسم وائل في فرح وقال " أخيرا الثلاثة مجتمعين .. لا أعرف لم لم يجتمعوا ولا مرة واحدة معي .. اشتقت لتجمعهم يا مريم "

ابتسمت مريم واسترقت السمع من جديد فقال عمرو يداري سعادته بموافقة أحمد على الحضور أخيرا في وجوده "سأذهب لأصلي وسأعود بعد قليل .."

بعد أن تركهم أمسكت ماجدة حقيبتها ووقفت خجلة مترددة .. وتحركت نحو الباب مغادرة.. ثم عادت تقول بحرج " سيد أريد أن أتحدث معك في أمر خاص "

عقد سيد حاجبيه ورد" طبعا هل تحتاجين شيئا ؟"

وقفت على باب الغرفة وأطرقت برأسها في ارتباك فاندهش سيد أن يجد تعبيرا مفهوما على وجهها

Des. Maryam Tamim

الجليدي أخيرا .. وازدادت دهشته أن يرى ذلك الخجل والتردد يلوح على وجهها فذكره بها قبل خمسة عشر عاما .. الفتاة الخجولة المرتبكة المرتعبة دوما دون سبب .. قبل أن تتحول لتلك المرأة المتخشبة الملامح بعد أن تزوجت من وائل.

هتف وائل باستنكار " خاااص .. تريد أن تخبره بأمر خاص !!"

واستقام يتسمع باهتمام لكن الصوت كان بعيدا .. بعيدا جدا .. فلم يتبين ما يقولونه .. فصاح بانزعاج "ماذا تريد منه ؟!! .. وما هو هذا الشيء الخاص الذي تريده من سيد بالذات؟؟!! .. لقد باتت تأخذ راحتها في الحديث مع الرجال بكل أريحية "

قال سيد مشجعا " تكلمي يا ماجدة هل تحتاجين لشيء لا تترددي .. تمتمت بكلمات غير مفهومة قصدت بها الشكر ثم أخرجت من حقيبتها علبة

Des. Maryam Tamim

مخملية صغيرة وقالت" كانت في غرفة وائل وجدتها وأنا أنظف الغرفة واحتفظت بها منذ أن وجدتها .. معتقدة أنها .. (أعتصر الألم قلبها وأكملت) أنها محبسين زواج ... يخصان وائل .. و .. (وصمتت قليلا لم تستطع نطق اسمها لم يعد لديها طاقة تحمل وستنهار وتبكي .. فابتلعت البكاء وقالت) لكني كنت اتفحصها صدفة منذ أيام واكتشفت أنهما يخصاك "

رفع سيد حاجبا وسألها وهو يأخذ العلبة منها" أنا!!"

فتح العلبة فوجد محبسي زواج عاديين فتطلع بتجويفهما الداخلي فلم يجد أي حفر عليهما بأي اسم .. فنظر لماجدة باستفهام فقالت له" مكتوبا فوق الخاتم وليس تحته "

Des. Maryam Tamim

ركز سيد مجدد في الخاتمين وبالتحديد في تلك الرسوم التي حسبها نقشا ليجد مكتوبا بالخط العربي بنفس الطريقة التي كتبت بها آية ونقشها وائل على محابس عمرو وأروى .. وجد المحبس الكبير منقوشا عليه اسمها .. (آية) .. والصغير عليه (سيد) ..

ازدادت ضربات قلبه .. وارتعشت يداه وهو يقرب المحبسين مجددا من ناظريه ليتأكد من الاسمين .. وأخرج نظارته ووضعها على عينيه ليتأكد.. ولم يدر أن ماجدة قد غمغمت بكلمات غير مفهومة واختفت من أمامه ..

أخذ وائل يجز على أسنانه بعصبية ويتمتم " أين اختفوا؟ .. ماذا تقول له ماجدة كل هذا الوقت ؟.. هل تحكي له قصة حياتها؟ .. إنها لم تحكي جملتين طويلتين دفعة واحدة من قبل ؟. "

[3581]

بينما سيد مسمرا يقاوم فرار دمعات من عينيه وهو لا يصدق أن وائل قد صنع المحبسين واحتفظ بهما على أمل أن يهديهما له يوما ما فتمتم بخفوت" يا إلهي لقد كان لديه أملا فينا رغم كل شيء ".

اقتراب أحمد جعله ينتبه للمكان والزمان.. ولانصراف ماجدة .. فوضع العلبة في جيبه بارتباك ليسأله أحمد " ما بك لمَ وجهك أحمر هل أخذت دواءك ؟"

تنحنح سيد وهرش في أرنبة أنفه ثم اشاح بوجهه يمسح طارف عينه وهو يغمغم بلا شيء لكن أحمد كان محدقا في عمرو الذي يقترب وهو ينظر إليه.. فتلاقت أنظارهما بعد أكثر من شهر..

Des. Maryam Tamim

اقترب عمرو منه أكثر وكلاهما ازدادت ضربات قلبيهما .. بينما وقف سيد يراقبهما بتوجس .. حتى اقترب عمرو من أحمد وقد أدرك الآتي جيدا .. عند توقف قدمه أمام صاحبه كانت قبضة أحمد تنفجر في وجهه .. فارتد للخلف مرتطما بالحائط خلفه .. بينما هدر سيد" ما الذي تفعله ؟!".. هل أحضرتك لتتشاجر معه .. أم لنسعد وائل بتجمعنا حوله "

لم يرد أحمد واستمر يحدق بجمود في عمرو الذي اعتدل ومسح الدماء من زاوية فمه يقول " وعليكم السلام والرحمة يا صاحبي.. اشتقت لك يا رجل !" فرد أحمد وهو يهم بدخول الغرفة " لا تؤاخذني كنت أنتظرك لتحدد موقفك أولا لأحدد أنا موقفي تجاهك هل سأقتلك أم سأكتفي بضربك ..(وأكمل بامتعاض) عموما أنا أيضا .. اشتقت لك .. بكل

Des. Maryam Tamim

أسف (وأشار للحيته) وهذِّب لحيتك هذه التي أضحت كالمِكنسة .."

تركه ودخل فمسح عمرو زاوية فمه مرة أخرى وهو يحوقل ليربت سيد على كتفه ويدفعه لداخل الغرفة ببعض الخشونة قائلا" آن الأوان لطرح مشاكلنا جانبا وألا نتصرف كالصبية الصغار"

هتف عمرو بحنق صبياني" هل تخبرني أنا هذا الكلام !!"

ربت سيد على كتفه يسترضيه قائلا " غاضبا بسبب أخته يا رجل.. لو كنت أنا مكانه لعلقتك كالذبيحة على باب الحي "

جحظت عينا عمرو وقال وهو يدفعه في صدره بتحدي" من تعلقه كالذبيحة !! ..(واستعرض

Des. Maryam Tamim

صدره أمامه رغم فارق الطول والعرض يقول) هيا أريني كيف ستعلقني .."

فجأة مال عليه سيد ممسكا بوجهه بين كفيه وتمتم " أنت حبيبي يا عم أمين "

وطبع قبلة متوحشة عالية الصوت على خده ..

فدفعه عمرو بقوة يمسح خده بقرف .. بينما ضحكة سيد الخشنة ترج الجدران.. فقال أحمد وهو يجلس بخيلاء على الكرسي الصغير بجانب سرير وائل الموصل بالكثير من الاجهزة والخراطيم المختلفة الحجم" ما كل هذه الرومانسية "

رد سيد من بين ضحكاته " الرجل محروم منذ أكثر من شهر فأطيب خاطره بأي شيء "

قهقه وائل بقوة وقال" يبدو أن أحدا منهم يخاصم الآخر .. أحيانا حين كنت أراقبهم لا أصدق أبدا أعمارنا ولا أتخيل عدد السنين التي نحملها فوق

Des. Maryam Tamim

أكتافنا.. فنحن نتصرف فيما بيننا كما نتصرف طيلة عمرنا بنفس التنافس والصبيانية والارتباط الشديد..رغم اختلافنا .."

جاءه صوت عمرو يقول "هل تعتقد أن بانة ستعود ؟"

لاح الألم في صوت أحمد يرد عليه " لا أدري يا عمرو .. لكن كلما مر الوقت كلما ضعف أملي في عودتها ".

جحظت عينا وائل وقال بدهشة " هل سمعت ما سمعته يا مريم؟؟.. يقول (عودة بانة) .. هل عاد من غيرها؟!!!!.. هل عاد من غيرها الغبي؟!!"

اقتربت منه مريم تقول مهدئة" اهدأ يا وائل لتفهم أولا.. ولا تضيع عليك فرصة تجمعهم .. فلا نعلم أين ستكون حين يتجمعون المرة القادمة"

[3586]

قال لها باندهاش "ماذا تعنين؟"
ردت " أعني اننا في نقطة العبور كما قلت لك.. وقد تغادر في أي وقت .. سيخونك جسدك في يوم من الأيام .. فجسدك ليس كأصدقائك .. وليس كماجدة وأمير والخالة أنجيل والبنات.. إن الأجساد لا تتحمل الرقاد الكثير .. (واقتربت منه تقول بإغواء) وهذا يعني أنه قريبا جدا سنتحرر أنا وأنت ."
لم يستجب لإغوائها هذا المرة .. بل شرد في كلامها وشعر بالخوف ..
أين سيذهب؟ ولمن ؟.. ومن سيقابل؟ ..
تملكته الرهبة وتساءل .. هل أعد شيئا لما بعد الموت !!
في الغرفة قال أحمد معترضا " يا سيد لا تغني أغاني كئيبة بالله عليك أعصابي لن تتحمل .. لمَ يتآمر الكون على ذبحي بدم بارد !! "

[3587]

رد سيد بثقة" صاحبكم الاكسلانس يحب الأغاني الحزينة ونحن متجمعين على شرفه .."

بعد قليل كان يجلي صوته ويغني بخفوت مراعيا وجوده بالمستشفى ..

بينما صفق وائل بكلتا يديه يقول لمريم" اسمعي يا مريم .. ستكون سهرة ممتعة ".

نسيت النوم واحلامه
نسيت لياليه وايامه
بعيد عنك ..... حياتي عذاب
متبعدنيش بعيد عنك
مليش غير الدموع أحباب
معاها بعيش بعيد عنك
غلبني الشوق وغلبّني
وليل البعد دوبني
ومهما البعد حيرني
ومهما السهد سهرني

[3588]



لاطول بعدك يغيرني
ولا الايام بتبعدني .. بعيد عنك

أدخل سيد يده في جيبه يتحسس العلبة المخملية ويقاوم دمعات تريد أن تفر من طارف عينيه .. يشعر أنه سيمرض قريبا .. وربما انتهت حياته واستراح .. فلم يعد قادرا على التحمل أكثر .. الأيام تمر ولا تنسيه بل تزيده عذابا ..

يتمنى أن يستفيق وائل سريعا حتى يسافر .. لا يعرف كيف سيفعلها لكن لا مفر من ذلك ..أحيانا يضعف ويود أن يتصل بها .. بأي حجة يتصل بها .. يتحدث معها .. بل إن أفكارا مراهقة تأتيه أن يتصل بها من رقم جديد ولا يقول شيئا .. فقط يسمع صوتها .. بات يوقظ رحمة في جوف الليل ليتحدثا في أي شيء حتى الصباح .. حتى لا تغلبه مشاعره فيتصل بآيته .. يشتكي لها وجعا لم يخبرها من قبل بتفاصيله .

[3589]

مازالت تزوره في احلامه لكنها كالعادة ليست أحلام وردیه بل كوابيسا .. كل ليلة كابوس جديد .. ينتهي بالفراق .. وكأن الفراق ملازما لهما .. حتى في الأحلام .. !

لا نوم ولا دمع فى عينيا ..
ما خلاش الفراق فيا
نسيت النوم واحلامه ..
نسيت لياليه و ايامه
وبين الليل و آلامه ..
و بين الخوف و اوهامه
بخاف عليك .. و بخاف تنساني
والشوق اليك .. على طول صحاني

أما أحمد فمهما كان يتوقع كيف سيكون حاله وهو يأخذ قراره بالرحيل لم يكن يتخيل ولو نقطة من بحر عذاباته .. فالواقع أكثر عذابا وألماً ..
هل تنوي العودة ؟.. أم ستختار أبيها ووطنها ؟..

[3590]

همس لنفسه " أهنت عليك يا بانة !!.. اعطيني ولو اتصالا واحد يصبرني .. يخبرني أنك ستعودين .. خذي ما شئت من الوقت لكن امنحيني أملا في العودة يا بنت الخازن "

ليتها تعرف كيف يمر عليه نهاره ..

وكيف ينفرد به ليله ..

وكيف يدور يلملم رائحتها من الشقة ..

ويلمس حاجياتها .. ويتذكر كل تفاصيلها .. وكل لحظاتهما سويا ..

افتكر لي لحظة حلوة عشنا فيها للهوا

افتكر لي مرة غنوة يوم سمعناها سوا

خد من عمري عمري كله

الا ثواني اشوفك فيها

م الشوق اه م الشوق وعمايله..

ياما باداريها ياما .. ياما باحكيها ياما

باخاف عليك .. وباخاف تنساني ..

و الشوق اليك على طول صحاني

[3591]

الشوق يعتصر قلب عمرو .. فمن العذاب أن يمر من أمام بيتها ولا يستطيع أن يصعد ليرى زوجته .. حاول مرارا أن يبادر بالذهاب إليها لكنه لا يقوى على النظر في عينيها فيجدها غاضبة أو حزينة بسببه .. ويخشى أن تصده مجددا ..

ما أقسى الشعور بأنك بين شقي الرحى ..

يدعو الله كثيرا أن يلم شملهما من جديد .. فلم يعد أمامه سوى الدعاء .. والاستمرار في الاتصال بهاتفها ربما فتحته .. ربما أعطته الفرصة لأن يراها ولو لثوان ..

وتساءل .. هل يتوسل لأحمد ليمنحه فرصة للقاءها؟..

هل يتوسل له أن يراها لخمس دقائق ؟..

أم إن خطوة كهذه ستأزم الوضع أكثر مما هو متأزم ؟..

لا يريد لأروى أن تنهار .. فهو يعرف أنها صامدة حتى الآن .. ويدعوا الله ألا تضعف وتسوء حالتها ..

Des. Maryam Tamim



لذا عليه أن يبقى مكانه ولا يفرض عليها وجوده..
يكفيهما عذاب الشوق الذي يعلم جيدا أنه يعذب كليهما .

كنت باشتاق لك و انا و انت هنا ..
بيني و بينك خطوتين ..
شوف بقينا ازاي.. يا حبيبي ..
انا فين .. يا حبيبى و انت فين ..
والعمل ؟ ايه العمل ؟ ..
ما تقول لي اعمل ايه؟
والامل انت الامل ؟..
تحرمني منك ليه !
عيون كانت بتحسدني على حبي ..
ودلوقتي
بتبكي عليا من غلبي ..

Des. Maryam Tamim

رسالة على هاتفه فتحها عمرو بسرعة لتجحظ عيناه وترتعش يده ..
فاستقام واقفا فجأة فسأله أحمد بإجفال " هل حدث شيء ؟!! "
فهمهم بصوت متحشرج " لا شيء سأذهب للحمام" .
خرج يحدق في الهاتف من جديد ليجد رسالة على الماسنجر .. من Mimin..

Mimin: انيو هاسيو ..كيف حالك عمرو القاضي؟
(وجه يفجر قلوبا حمراء)

غطى فمه بيده يحاول السيطرة على ارتجاف جسده .. وحاول الكتابة لكن ارتعاش يده منعه ..
فنظر حوله يريد أن يبتعد عن الجميع .

بعد دقيقة كان في الحمام يقاوم ارتعاش يديه ويكتب بصعوبة :

[3594]

عمرو القاضي : الحمد لله ميمين .. كيف حالك أنت طمئنيني عليك ؟.

Mimin : الحمد لله .. أين أنت؟

عمرو القاضي : مجتمعين عند وائل بالمستشفى .. وأنت ماذا تفعلين ؟.

Mimin: انا لا أفعل شئيا قمت بالكثير من التمارين اليوم واشعر بأني منهكة .. واشعر بالوحدة .. فهل ستسليني يا صديقي الوسيم ذا اللحية التي استطالت كما أخبروني ؟..

آلمه قلبه .. آلمه بشدة .. فضرب رأسه في الحائط عدة مرات .. لو توافق سيكون عندها في لمح البصر .

عمرو القاضي : بالطبع أنا صديقك وزوجك وحبيبك وكل الصفات التي أشعر بها ولا أعرف كيف أعبر عنها .

[3595]

بعد فترة من الصمت كانت طويلة جدا ينتظر ردها .

Mimin : لم استرد عافيتي النفسية بعد يا عمرو لكني اشتقت لك فلم أجد إلا ميمين لأتحدث إليك من خلالها .. فهلا تحملتني كميمين قليلا .

عمرو القاضي : اتحملك بأي صورة .. بأي شكل يا حياة عمرو وروحه .. حتى تصفحين عن عمرو الذي لا يعرف فيم قصّر وفيم أخطأ .. لكني مستعد لأن أعتذر لك إن كان هذا سيرضيك..

Mimin : لم تفعل شئيا خاطئا يا عمرو لكني آثرت أن أجنبك عذاب الاختيار .

عمرو القاضي : أنا لا أعرف كيف أحلها يا أروى صدقيني .. أنا بين شقي رحى تسحقني سحقا .. إن كان لديك حلا أبلغيني .

Mimin: أنا أيضا لا أعرف.. ولا أريد أن أكون سببا في خسارتك لوالدتك.

عمرو القاضي : لا تتركيني يا أروى .. لا تتركيني أرجوك .. تحملي معي قليلا .. أنا لا أريد أن أزيد جرعة الضغط على أمي .. أعطيها فرصة لأن تتأكد من أني جاد فيما أقول .. ودعينا نتواصل بأي طريقة .. بأي طريقة توافقين عليها أنا مستعد"..

Mimin: لا تقلق .. أنا لم أعد استطيع التحمل دون التواصل معك أكثر من ذلك.. ولولا خوفي من حالة والدتك الصحية لكنت عدت منذ مدة ".

عمرو القاضي : سامحيني يا أروى لم أكن أتوقع أبدا أن أكون صغيرا أمامك بهذا الشكل يوما ما .

Mimin: سارنجهيه

عمرو القاضي : وأنا أيضا أحبك يا جنتي وجحيمي.

في غرفة وائل :

[3597]



بكى وائل .. بكى بحرقة قلب .. بكى متألما حزينا معذب الفؤاد وهو يسمع سيد يعيد ويزيد في نفس المقطع المبكي ..

وفين انت ..

يا نور عيني ..

يا روح قلبي فين؟

فين اشكي لك فين ؟..

عندي حاجات و كلام و حاجات

فين دمعك يا عين؟ ..

بيريحني بكايا ساعات؟

اقتربت مريم منه تقول" لمَ تبكي يا وائل؟"

انتبه لدموعه ومسحها يغمغم" الأغنية مبكية وحزينة .. "

فردت " لكني معك هنا أنسيت ؟ .. ألم تكن تبكيني من قبل فلمَ تبكي الآن؟!!! "

[3598]

ابتسم في حرج ورد " لا أعرف لكن الألم في قلبي عميق وغائر ولا أستطيع أن أبصر كنهه"

مطت شفتيها بعدم فهم ثم سألته" لم تقل لي لمَ تضايقت حين تكلمت ماجدة مع سيد ؟.. وماذا يمكن في رأيك أن يجمع بينهما؟ .. (وهمست بلهجة ماكرة) هل تشك فيهما ؟"

رد وائل بثقة " مطلقا .. لا اشك في سيد .. ولا اشك فيها أبدا "

سألت " إذن لمَ تضايقت؟"

بحث عن رد منطقي ثم قال " لأنه ليس هناك مبررا لأن تتجاذب أطراف الحديث مع الرجال فلتترك أمير يتصرف .. لا يعجبني أصلا وجودها هنا .. قلت لك تربكني "

Des. Maryam Tamim

سألته وهي تضيق عيناها " أتغار عليها؟ "

هتف باستنكار "ماذا !!! .. أنا !!"

تكتفت تطالعه بشك وقالت" وما المشكلة أليست زوجتك ؟"

قال بسرعة " أنا أحبك أنت يا مريم"

مطت شفتيها تقول " غريب !.. لكنك لم تعلق حين أخبرتك أكثر من مرة أني معجبة بعمرو واكتفيت فقط بالامتعاض .. بينما تشعر بالغيظ لأنها تتبادل بضع كلمات مع عمرو وسيد ".

ضايقه كلامها ..

أربكه ..

أدخله دوامة الحيرة التي لا يحبها .. فقال بعصبية " ما الذي تقصدينه .. أنا أحبك أنت .. ولم أخن هذا الحب أبدا "

Des. Maryam Tamim



اطلقت ضحكة ساخرة ثم قالت " كل هذه التجارب مع النساء في حياتك ولم تخنني !! "

رد بارتباك " أنا أقصد أن قلبي لم يخونك"

ردت تحرك كتفيها بلامبالاة "لكني مِت "

قال بانفعال " أنا احببتك .. وبسبب حبي هذا عاندت أسرتي .. ورقد أبي .. واشتعلت الفتنة بين عائلتين .. وجرحت انسانة ليس لها ذنبا بزواجي منها ..ثم مات أبي حسرة على ما فعلت .. وأنتِ.. (وشعر بالتوتر) أنت انتحرتِ"

ردت ببساطة " ولهذا قررت أن تبقى على حبي إلى الأبد ؟"

صاح باندهاش "قررت !!!! .. ما معنى قررت؟ ..وهل الحب قرارا!!! "

قالت " قررت أن تثبت لنفسك أنك على حق ..
وأنه حب العمر .. لهذا استحق كل الخسائر التي
حدثت بسببه .. أليس كذلك ؟.."
صمت يمسك برأسه متألما.. يحاول التركيز فيم
تقول ..
لا يعجبه ما تقول ..
لا يعجبه ..
رأسه تطن بدوامة الأفكار مجددا ..

أكملت مريم دون رحمة " لكن السؤال الذي
يحيرني .. كيف جاء التوأم إلى هذه الحياة ما دمت
تقول أنك تفانيت في حبي .. فوائل الذي أعرفه (
وأكمل بلهجة ذات مغزى) أو الذي كنت أعرفه ..
لم يكن ليؤذي عصفورا .. أم أنك حاولت أذيتها
بمعاشرتها أول يوم "

[3602]

شعر بالارتباك ..

ما الذي تقوله ؟؟ .

إنه لم يؤذي أحد .. لم يؤذها ..

تمتم بهمس " لم أؤذي (جوجو).. أقصد .. ماجدة.."

وضغط على رأسه من الألم..

أكملت مريم "لو كنت لا تريد أن تخونني لامتنعت عنها من الليلة الأولى .. كما تفعل طوال أربعة عشر عاما.. فلمَ عاشرتها أول الأمر ثم انقطعت عنها بعد ذلك بهذه القسوة ؟!! "

هدر فيها بانفعال " ماذا تريدين أن تقولي لا افهم؟؟؟؟

[3603]

صاحت فيه بتحدي " أنا اسألك ما دمت تقول أنك تحبني .. ومخلصا لي .. فلم عاشرتها أول الأمر ثم هجرتها ؟".

سمع سيد يقول بعد أن توقف عن الغناء " إياك أن توافق يا أحمد على طلاق عمرو وأروى .. إياك .. ستكون القطيعة بيني وبينك ".

رد أحمد بصوت حزين " وهل سأحب أن أعذبهما وأتعذب معهما .. لكن الوضع قد يفرض ذلك إن لم نجد حلا مرضيا لجميع الأطراف .. فلن نستطيع الابقاء عليها في بيتنا دون أن نعلن للناس الموقف صراحة ".

قال سيد محذرا " إياك يا أحمد .. وقتها سينتهي عمرو .. إلا الطلاق".

Des. Maryam Tamim

صعق وائل بما سمع فارتج قلبه في صدره وازدادت
ضرباته وهتف متألما "هل سيطلق عمرو أروى ..
سينفصلان !!! ...
سيطلقها يا مريم !!..
سيطلقها يا مريم !! ..
يا الله ! ..
يا رب السموات ..
لمَ كل هذا الشقاء .. حتى عمرو وأروى!! ..
المساكين .. المساكين ."

علا صوت صفير الأجهزة التي تحيط بوائل فجأة ..
لينتبه صاحبيه .. ويقفزا من مقعديهما في رعب ..
بعدها لم يدريا ماذا حدث ..
فالصفير يزداد .. بينما تلك الشاشة التي تشير
لضربات القلب قد استقامت وتخلت عن تعرجاتها

Des. Maryam Tamim

كما تخلى صاحبهما عن التمسك بما تبقى من الأمل

..

الأطباء يقتحموا الغرفة ..

وسيد يصاب بهستيريا الرغبة في تحطيم رؤوس

الاطباء عند التوتر ..

وأحمد يحاول السيطرة عليه ..

ثم يخرجا من الغرفة بأوامر من الأطباء..

صدر وائل عاري ..

ارتباك بين الأطباء .. وصوت جهاز الصدمات

يسيطر على المشهد ...

واحد ..

اثنان ..

ثلاثة..

وصدمة كهربية ..

Des. Maryam Tamim

عمرو يأتي متهاديا بثمالة من أول الممر .. لتتحجر عيناه فجأة من منظر صاحبيه أمام الغرفة ..

فيرتعب ويسرع إليهما ..

واحد ..

اثنان ..

ثلاثة ..

وصدمة كهربية ..

الطبيب يصرخ في مساعديه .. وسيد يصرخ بينما صاحبيه يحتجزانه بقوة في خارج الغرفة " إياك يا وائل .. إياك يا ابن مجدي موريس .. إياك يا صاحبي "

واحد ..

اثنان ..

ثلاثة ..

وصدمة كهربية ..

[3607]

فيعود القلب للخفقان ..

وتعود الاشارات المتعرجة من جديد برتابة ..
فيزفر الجميع الصعداء ..
بينما أصحابه الثلاثة في أرض الممر يسجدون لله
شكرا على قلب صاحبهم الذي عاد يدق من جديد.
***
بعد يومين :
استيقظ عمرو من نومه على الأريكة في غرفة
والدته ليلقي عليها الصباح ويدللها قليلا لتتخلى عن
الوجه المقلوب .. ويستعد للذهاب لعمله وهو
يشعر بالإرهاق .. يقضي ليله على الأريكة وأحيانا
ينزل لشقته ليصلي ويتحدث مع أروى لبعض
الوقت .. ويقنع نفسه بأن يرضى بمجرد سماع
صوتها ..

Des. Maryam Tamim

في المصعد تفحص هاتفه ليجد أروى قد أرسلت له رابطا إلكترونيا .. فضغط عليه بفضول ليصدح فجأة صوت أغنية راقصة أجفلت جميع مع كانوا معه في المصعد .. واحرجته أمام الفتيات المراهقات اللاتي كن يقفن خلفه يرتدين زي المرحلة الثانوية .. فأسرع ليغلق الهاتف وهو يتنحنح في حرج ويزيد من جمود وجهه ومن عقدة حاجبيه .. بينما صوت الهمسات من خلفه والضحكات الصغيرة المكتومة .. لم يغفل عنها .

خرج من المصعد بأذنين حمراوين ووجه متجهم يحاول تذكر أين سيارته.. وحين استقر فيها اتصل بأروى لترد عليه ناعسة فصاح يقول " ألم تجدي سوى هذه الأغنية لترسليها إلي .. نبهيني قبلها بأي جملة تخبرني أنها أغنية .. ".

[3609]

ردت عليه بصوت ناعس مخدر أجج الجمر الذي بات يميته ويحييه في جحيم اشواقه " ماذا حدث؟!"

صاح بغيظ " أتتسألين بمنتهى البرود ماذا حدث؟!!.. لقد ضغطت على الرابط بفضول وأنا في المصعد ليصدح الصوت أمام الفتيات الصغيرات .. هيبتي ضاعت بسببك .. ولحيتي اصبحت مزيفة أمامهم " .

قهقهت بنعومة ألهبت أعصابه وقالت " أهذا يعني أن عليّ أن أحترس من فتيات الثانوية في المبنى أيضا .. حسنا لقد غيرت رأيي .. لا تهذب لحيتك يا عمرو .. دعها مشعثه كما هي حتى لا تعاكسك الفتيات .. "

Des. Maryam Tamim

رد وهو يركز على الطريق أمامه " تضحكين بمنتهى البساطة .. هيبتي في البناية ضاعت بسببك أروى هانم "

فهمهمت ببضع كلمات بنعاس ليقول " قومي يا كسولة"

ردت " سأقوم .. سأقوم .. إنني لا أفعل شيئا هذه الأيام سوى التمارين والنوم .. أنام كثيرا .. "

رد بلهجة حانية " ربما لأنك تشقين على نفسك بالتمارين أحمد أخبرني أنك تتدربين كثيرا وأخشى أن تؤذي نفسك ".

ردت بتثاؤب" لا تقلق أنا أتابع مع طبيبة العلاج الطبيعي بل إنها زارتني أكثر من مرة هنا في البيت " .

قال هامسا " سأتركك تنامين وقتا أطول يا جنة عمرو .. ابلغيني حين تستيقظين " .

Des. Maryam Tamim



قبل أن يغلق كانت أروى قد استسلمت للنوم من جديد بينما شغل عمرو الرابط ليأتيه صوت أغنية راقصة خمن انها باللهجة الكورية .. تغنيها فتاة بصوت رفيع ولم يفهم منها شيئا غير أنها تعيد وتكرر كلمة (كيومي) فرفع حاجبه واتصل بسيد.

قبل دقائق :

هتفت بسمة بصدمة " نسافر !! "

رد سيد بهدوء بنعم..

سألته باندهاش " لمَ .. ما الداعي .. وهل ستترك ما وصلت إليه من شهرة لتسافر وتترك كل شيء"

قال بصوت مجهد " أستطيع أن أتواصل مع بعض المطربين عبر الانترنت .. وإن كان هذا سيحجم من شهرتي قليلا لا أدري لكني بحاجة للسفر والابتعاد يا بسمة .. في أرض غير الأرض (وود أن يقول أرض



لا تمشي عليها آية لكنه أكمل) أنا وأنت ورحمة
وسأحاول أن آخذ زهرة معنا "
فكرت قليلا ثم قالت" ولمَ كل هذا؟"
رد بعصبية" لنبدأ أنا وأنت من جديد أحتاج
للابتعاد عن هنا "
صاحت باستنكار " وما ذنبي أنا أن أترك أهلي
وأبتعد .. خارج البلاد لأرض لا أعرفها ".
تدخلت رحمة بدبلوماسية تقول" أنا أيضا أشعر
ببعض الرهبة يا بسمة .. لكن ما دام هذا سيريحه
فلنشجعه عليه".
قالت بسمة بعصبية " وماذا لو لم يريحه .. لن
نستفيد وقتها بشيء سوى الاغتراب "
قالت رحمة بغيظ " يا بسمة دعينا نبتعد ونبدأ
حياة جديدة لم تعاندين لا أفهم "

Des. Maryam Tamim

تكتفت بسمة وقالت " لأني لست ملزمة بأن أغترب عن أهلي ولا أراهم لسنوات .. أنت لن تشعري بشعوري فليس لك أهل سوى سيد لكني سأحرم من أهلي وهم على قيد الحياة".

لاح الألم على وجه رحمة وابتلعت غصة في حلقها فندمت بسمة على تهورها .. ولعنت نفسها أن باتت سليطة اللسان بشكل لم تعهده في نفسها من قبل فتمتمت بحرج " آسفة لم أقصد ".

تكلم سيد بحزم " اسبقيني للسيارة يا رحمة وسألحق بك بعد قليل " .

خرجت رحمة ليقول سيد " ماذا تريدين يا بسمة؟"

رن جرس الهاتف فأشار لها لتصمت ورد " نعم عمرو؟"

Des. Maryam Tamim

فسأله عمرو بجدية " هل تعرف أغنية أسمها كيومي ".

رفع سيد حاجبا مستنكرا وقال " نعم !! أغنية ماذا؟!!"

رد عمرو بثقة" كيومي يا سيد "

سأله سيد بتهكم " بأي لغة هذه الأغنية يا روح سيد ! "

رد عمرو ببرود " بالكورية على ما أعتقد"

جز سيد على أسنانه ورد " اذهب يا عمرو .. اذهب بالله عليك الآن .. فالرد الحاضر في ذهني لن أستطيع أن أتفوه به حاليا ".

واغلق الخط متمتما باستنكار " كي يو مي!! لقد جن الشيخ ! "

Des. Maryam Tamim

وعاد لبسمة التي كانت تقف تشيح بوجهها شاردة ويبدو عليها التحفز تهز ساقها بعصبية فكرر سؤاله " ماذا تريدين يا بسمة ؟".

ردت ببرود" لا أريد أن أترك أهلي وأسافر .. لن أستطيع .. وليس لي ذنبا فيم أنت فيه لتجبرني على ذلك ".

حك سيد جبينه وتقبض يذكر نفسه بذنبه تجاهها ليطفئ نار الغيظ منها التي تشتعل في صدره . .

وقال وهو يلتقط هاتفه ومفاتيحه مغادرا" عموما كما قلت لك أنا منتظر استفاقة وائل فلن أستطيع أن أفعلها وهو في هذه الحالة .. لذا أمامك فرصة للتفكير "

سألته بعند" وإن رفضت ؟"

هرش حاجبه وهو يطحن ضروسه ثم تصنع الهدوء ليقول " لن أجبرك على شيء ولن أسافر ما

Des. Maryam Tamim

دمت لا تريدين .. عليّ أن أغادر الآن .. سأوصل رحمة للجامعة ثم عندي أكثر من موعد إذا ما احتجت شيء أتصلي بي أو ارسلي رسالة السلام عليكم".

اغلق الباب خلفه فوقفت تحدق في الفراغ .. تشعر أنها باتت غريبة عن بسمة التي تعرفها .. لم تعد بسمة القديمة ..

ولا تعرف بسمة الجديدة التي يصدر منها ردود أفعال لا تشبهها ..

تشعر بالضياع ..

بالفراغ ...

بالخواء ..

ترفض اقترابه ..

وتنزعج من ابتعاده ..

Des. Maryam Tamim

حدقت في الفراغ وسألت نفسها نفس السؤال للمرة الألف " وماذا بعد يا بسمة ؟" .

في المصعد ضرب سيد بقبضته مرآة المصعد بعنف وهو يشتم ويلعن نفسه وحياته .. فتشققت المرآة أمامه وسالت الدماء من قبضته .
فخرج من المصعد يمسك بيده التي تنزف لتأتيه رسالة ففتحها بلهفة ليجد عمرو قد كتب" ساعدني في إيجاد معنى هذه الأغنية يا سيد أو قل لي اسم أغنية لأرسلها لأروى بالله عليك"
فشتم من بين أسنانه بوقاحة ثم ألقى الهاتف في جبيه بعصبية وهو يخبر حارس المبنى بأنه سيدفع ثمن مرآة المصعد التي انكسرت ..

***

Des. Maryam Tamim

في آخر اليوم ركن عمرو سيارته أمام المبنى الذي تقع فيه شقته في شارع سماحة .. وعاد لمشاهدة الأغنية الكرتونية التي تدعى كيومي مجددا وهو يبتسم .. فلم يهدأ حتى بحث عنها على الانترنت ووجدها مصورة ومترجمة بالعربية .. فظهرت أسنانه البيضاء وسط لحيته المشعثة متبسما وهو يشاهد الأغنية .. ثم انتبه أنه مازال في السيارة فاستعاد وقاره وجديته ليخرج منها ويتصل بأروى ويقول " هل أستطيع أن أراك لخمس دقائق فقط .. لم أعد أحتمل " .

ردت بنعومة " أين أنت الآن ؟"

رد بسرعة وهو يسرع الخطى نحو بيتها وقلبه يتراقص في صدره كمراهق على وشك أن يقابل حبيبته " سأكون تحت بيتكم خلال دقائق "

ردت بدلال "لا بأس "

[3619]

فأغلق الهاتف وأسرع نحو بيت سماحة وقلبه يسبقه.

حين فتحت الباب بعد قليل .. تسمر يحدق فيها .. يمرر ناظريه على كل تفاصيلها بشوق .. بينما ارتعشت الدموع في عيني أروى وهمست غير قادرة على التمنع أكثر " اشتقت إليك يا عاقد الحاجبين ."

حين ظل متسمرا ينظر إليها قالت" أدخل لا أحد في البيت سوى أمي وهي تأخذ قيلولتها ".

مال بجذعه ليسحب كرسيها خارج الشقة وجلس على درجة السلم وكرسيها أمامه وهمس" إذن نحن عاشقان يتسللان من وراء أهليهما ليلتقيا سرا" تحسست لحيته المشعثة فأغمض عينيه لثوان ليستشعر لمستها بكل ذرة من كيانه ثم فتحها

Des. Maryam Tamim

عندما أحاطت كفيها بوجهه وألصقت جبينها بجبينه فاختلطت أنفاسهما وتلاقت العيون وقد تراقصت فيها الدموع..

في الشارع تحرك أحمد يدخل من البوابة التي وجدها مفتوحة على غير عادة لتلتقط أذنه صوت همهمات على السلم.. فتسحب بهدوء يحاول أن يخمن ماذا يحدث ثم فوجئ بعمرو وأروى فجحظت عيناه باستنكار لكنه عاد ينزل بخفة وهو يبرطم بهمس" وقاحة .. اقسم بالله وقاحة وقلة حياء .. يلصق جبينه بجبينها ويتهامسان .. ولا أعرف من منهما يحيط الأخر بذراعيه .. لولا رأفتي بحال أروى لكنت اشبعته ضربا أمام عينيها .. منتهى القرف !!" .

Des. Maryam Tamim

وفتح هاتفه كعادة أصبح يفعلها كل ربع ساعة يتفحصه فربما أتاه اتصالا دوليا يريح قلبه .. وحين لم يجد شيئا أسرع إلى سيارته ينطلق بها هائما على وجهه كذئب وحيد .

همس عمرو " يقتلني الشوق إليك يا جنة عمرو وأشعر أني على وشك الموت بدونك "

همهمت وهي تطوق ذراعيها حول عنقه وتغرق نفسها في حضنه " بعيد الشر عنك .. يا عمري .. بعيد الشر عنك " .

تأوه بألم .. بشوق .. بوجع .. وهو يضمها .. ويغرق فيها .. وفي نعومتها وعطرها وملمسها وكل ما يخصها ...

دفن وجهه في رقبتها فشددت من احتضانه .. ليسمح ليده أن تتجول بشوق على تفاصيلها .. ثم ابتعد عنها فجأة متأملا إياها من رأسها لأخمص

Des. Maryam Tamim

قدميها فنظرت إليه بتساؤل ليقول بعدم تصديق "
هل ازداد وزنك يا أروى !!!!"
تحكمت في ابتسامة ملحة وفردت ذراعيها تقول
بخيلاء "قليلا "
حدق فيها بذهول هاتفا باستنكار" قليلا !! "
مطت شفتيها بتسلي وقلبها يتراقص من الجنون
الذي اشتعل في عينيه ثم قالت " أنا بت آكل أكثر
قليلا هذه الأيام .. ربما بسبب التمارين أصبح
عندي عضلات ".
ردد باستنكار " عضلات !! (وضغط على ذراعيها
ليكمل) لم أعرف من قبل أن العضلات لينة
وناعمة بهذا الشكل !!"
ضحكت فانتفض واقفا يقول بغيظ " أنت لئيمة يا
أروى .. لئيمة .. هل هذا انتقامك مني .. أهكذا
قررت أن تعذبيني ! " .

Des. Maryam Tamim

قهقهت وقالت من بين ضحكاتها وهي ترفع وجهها إليه " أخفض صوتك ستفضح لقاءنا السري على السلم ".

عادت عيناه ترسم قوامها .. تستكشف بعض التغيرات الواضحة فيه فخبت ضحكتها وأخذت تتأمله بوجع شوقها إليه .. لينتبه لنظراتها ويختفي المرح بينهما وتحتل الوجوه الألم ..

تمتم بهمس " ذهبت للحاج سماحة اليوم .. واعتذرت له إن كان صدر مني في لحظة انفعال ما لا يليق .. وما أثلج صدري أن وجدته متفهما لوضعي .. واستأذنته أن أمر عليك وأن يصبر علي قليلا حتى يدبر الله الأمر من عنده "

قالت بهمس" سأنتظرك حتى لو اضطررت لانتظارك طيلة عمري "

Des. Maryam Tamim

فسألها بهمس هو الآخر " هل سأرك في زفاف أمير وكريستين ؟"

أجابت" أشعر بالكسل "

قال بترجي" تعالي من أجلي .. فبضع دقائق أخرى أراك فيها ستقلل حتما من معاناتي".

غمغمت وهي تتأمل تفاصيله ونحوله الواضح "إن شاء الله "

***

بعد ثلاثة ايام :

مسد أمير على ذراعه يقول بصوت باك" كنت أحلم بهذا اليوم في وجودك .. حتى أني كنت أتخيلك بحُله فاخرة تقف تتلقى المباركات وبيدك ذلك السيجار الفاخر الذي تحبه ..بينما أنا بتحرجي الذي

Des. Maryam Tamim



تعلمه أقف بجانبك واتمنى لو تنشق الأرض وتخفيني من الحرج .
لكني اليوم مضطرا لأن أفعلها بدونك .. ولن تكون موجوداً لتقف بجانبي وتطمئني .. أخوالك وأصدقاءك الثلاثة بجانبي أنا أعلم لكنهم أبدا لن يملؤوا مقعدك الخالي .
سأفعلها بدونك اليوم فكما تعلم لقد اتفقنا مع الكنسية على الموعد فحدد أيمن أخو كريستين مواعيد سفره وفقا لموعد زفافنا والامر بات معقدا عندما اقترب الموعد فلم نريد أن نحرم أخيها من حضور زفاف أخته ولن نستطيع الانتظار لعامين على الأقل حتى يستطيع أخيها الحضور ..
فأصدرت أنجيل فرمانا عسكريا بأن يتم الزفاف في موعده ..



سنقوم بالمراسم الكنسية ونذهب لبيتنا .. فقد ألغيت الحجز مع قاعة الافراح في الفندق الذي اتفقنا عليه ..(وأسرع يقول) ولا تعترض على إلغاء الحفل فمن منا سيكون لديه القدرة على الفرح بدونك .. (انهمرت دموعه وانحنى يقبل كتفه وأكمل) الاحتفال ليس له معنى بدونك يا أخي ..

أتعلم يا وائل .. يوم أن مات أبي وكنت وقتها في التاسعة من عمري لم أشعر بفداحة الأمر .. فكنت أنت دوما بالنسبة لي الأب الوحيد الذي أعرفه .. ربما تشعر أنت بتقصيرك تجاه بناتك لكني اقول لك أنك كنت دوما الساق الطويلة التي اتشبث بها لأصلب عودي ..

فتخيل كيف يكون شعوري إذا ما قررت أنت الرحيل...

Des. Maryam Tamim

لم اخبرك بهذا من قبل لأن مرضك السابق لم يكن بيدك فلم أريد أن أثقل عليك بما أتمنى .. لكني الأن مازلت أحمل نفس الأمل الذي تحمله أمك أنجيل وهي تؤكد لنا أنك ستستفيق .. وستعود إلينا .. فأنجيل تحارب يأسك بأملها ..فلا تخذلها ولا تخذلني ولا تخذل كل القلوب التي تحبك ..

(وتصنع المرح ليقول) سأسامحك هذه المرة على غيابك في مناسبة كهذه .. لكني لن أسامحك يا وائل على الغياب في المناسبات القادمة ..

أنا ذاهب للكنيسة الآن لإتمام زواجي بكريستين .. أراك على خير يا أخي وأبي وصديقي الوحيد "

انهمرت الدموع من عيني أمير فاقتربت كريستين بفستان عرسها الأبيض المنفوش تسحب أمير

Des. Maryam Tamim

وتعدل له حلة العرس وهي تقول " كفاك بكاء يا عريس .. أنا من علي البكاء لا أنت "

مسح دموعا رجولية حارة وابتسم لها لتوجه الحديث لوائل " هيا استيقظ يا أبيه .. حتى أجد من أشكو له افعال أخيه المغيظ هذا الذي يرفض أن يرتدي ربطة العنق في ليلة عرسه "

أعطاها أمير ذراعه فتأبطته وهي تتأمل وجهه الأشقر وغادرا الغرفة بابتسامة ..

ولم يلحظا .. تلك الدمعة الساخنة التي سالت من طارف عين وائل .

***

عند بيت سماحة خرج أحمد من البوابة حاملاً أروى .. بينما الحاج يحمل كرسيها وتعاركه آية لتحمله عنه ليتفاجؤوا بعمرو الذي ينتظرهم في الشارع .. وقد اسرع ليأخذ الكرسي من الحاج

Des. Maryam Tamim

ليضعها أحمد عليه أمام البوابة فتبادلت الابتسامات المختلسة بينها وبين عمرو..

مط أحمد شفتيه بامتعاض يقول لعمرو بلهجة خطرة " هذه آخر مرة سأحملها.. فلتحملها أنت بعد ذلك.. فليس من العدل أن أحمل أنا وأزعج ركبتي لتأتي سيادتك وتأخذ الابتسامات المختلسة منها في النهاية " .

اتسعت ابتسامة عمرو فاغتاظ احمد يقول " ابتسامتك السمجة هذه تذكرني ببرقوق (ثم استدار للجميع يقول) من سيركب ومن سيمشي؟".

ردت إلهام بسرعة "بل كلنا سنمشي فالكنيسة ليست بعيدة والشارع ممهد بالنسبة لكرسي أروى"

قال أحمد ببرود " فلتمشوا كما تريدون أما أنا فسأذهب بالسيارة "

Des. Maryam Tamim

وتحرك نحو سيارته بينما تحرك عمرو بجانب كرسي أروى وهي ترفع نظرات مختلسة له من حين لآخر أما إلهام فتأبطت ذراع الحاج في مشية استعراضية أمام سكان الحي ولم تقاوم النظر في وجه أم عادل التي وقفت أمام بوابة المبنى الذي تقطن فيه تتفحص المشهد باهتمام .. فعدلت إلهام من عباءتها بخيلاء وألقت سلاما على المرأة يحمل في طياته رسائل مبطنة .. بينما اقتربت منها آية تقول بلهجة مسرحية " من فضلك يا خالة أصلحوا الأجزاء المتكسرة أمام بوابتكم فأختي سيتعثر كرسيها إذا ما مرت يوما من أمامكم مع زوجها .. (وضغطت على الكلمة الأخيرة ثم استطردت) اخشى أن يتبرع هو بإصلاحها من ماله الخاص.. فهو لا يتحمل عليها شيء".

Des. Maryam Tamim

ابتسمت أم عادل في بلاهة ولم تدري بم ترد وهي لا تزال تراقب ابتعاد عمرو وأروى .. فأشارت لها آية بالوداع لتسرع الخطى وتلحق بوالديها .. لتتبادلا هي وأمها الضحكات المكتومة المتشفية .. بينما حوقل الحاج وقال باستنكار " يا الله على عقول النساء !.. ليتني ركبت مع أحمد "

وأسرع الخطى يتركهما بحرج فقالت إلهام لأية بزهو " ابنة إلهام بحق "

لتتسع ابتسامة آية وهي تغمز لها ..

تمتمت إلهام بقلق " أخشى أن تخبر عفاف ويتأزم الوضع من جديد .. أريد الحي كله يعلم إلا هي "

قالت آية وهي تنظر خلفها نحو أم عادل التي مازالت تراقب المشهد " هل تريدين أن أهددها .. أستطيع إخراسها .. فهذا سهل " .

[3632]

قالت إلهام وقد عادت الهموم تجثم على صدرها من جديد " لو لم تتكلم هي سيتكلم آخرون (ورفعت وجهها للسماء تقول) اللهم اهديها عفاف بنت حمدية واجمع شمل أروى بنت إلهام وعمرو ابن عفاف ولا تشمت فينا عدوا ولا حبيبا يا الله "

سألتها آية باندهاش " ولماذا ذكرتهم بأسماء أمهاتهم "

ردت إلهام بثقة " هكذا تقبل الدعوة .. باسم الأم لا الأب "

فاطلقت آية ضحكتها بينما أمها تتأبط ذراعها وهي تراقب أروى وعمرو وتتمتم بالرقية الشرعية.

***

Des. Maryam Tamim

في الكنيسة مرت مراسم الزواج وتبادل العهود بهدوء وإن كان هناك بعض التحفظ في إعلان الفرحة بسبب حالة وائل أخو العريس ..

ووقف الأصدقاء الثلاثة دون رابعهم بجوار أمير بينما تقدم أخواله الصفوف .. أما أنجيل فجلست في المقدمة بكامل هيبتها تستند على عصاها وتتلقى المباركات والأمنيات لوائل بالشفاء العاجل بتماسك ..

بينما انزوت ماجدة بعيدا ولاح عليها الاضطراب بجانب التوأمتين اللتين قد سيطر عليهما الوجوم أيضا ..

بعد قليل اقتربت أروى بكرسيها من ماجدة وقالت" ما بك ؟"

فنظرت ماجدة للفتاتين وردت" فيما بعد .. سأخبرك فيم بعد.. فأنا أحتاج فعلا لمن أخبره"

Des. Maryam Tamim

شعرت أروى بالقلق عليها .. إنهما تتبادلان الاتصالات منذ تلك الليلة التي زارتها فيها ماجدة ليلة حنتها .. وازدادت الاتصالات بينهما بعد دخول وائل في غيبوبة .. حتى الفترة التي كانت تغلق فيها الهاتف كانت تستخدم هاتف آية لتطمئن عليها .. سألتها أروى " ألم تتحدثي مع وائل حتى الآن ؟"

حركت ماجدة رأسها بلا فقالت أروى بغيظ "ستقتليني يا فتاة قلت لك تحدثي معه .. فضفضي .. أخبريه بما يدور في رأسك .. فإن كان يسمعك كما يحدث في بعض حالات الغيبوبة لقلتِ له ما تريدين أن تقوليه .. وإن كان لا يسمعك ستشعرين بتحسن كبير بعدها صدقيني بعض الأمور حين نتحدث عنها ونخرجها من صدورنا نرها من زوايا أخرى ".

Des. Maryam Tamim

فركت ماجدة كفيها ثم سألتها وهي تشير برأسها ناحية عمرو "هل من جديد؟"

زفرت أروى وقالت "لا جديد يبقى الوضع على ما هو عليه "

سألتها" هل ستفعلين ما كنت تفكرين فيه ؟"

ردت " لا أعرف مترددة .. ولا أعرف هل هذا تصرفا سليما أم لا.. سأنتظر لأرى كيف ستتطور الأمور ".

اقتربت احدى المهنئات من ماجدة فنزل قناع الجليد على وجهها مرة أخرى لتقف متخشبة تسلم عليها في صمت .

على الناحية الأخرى من القاعة كانت إلهام تهدئ آية التي لم تتوقف عن البكاء منذ دخولها للقاعة ورؤية مقعد فارغ بجوار أنجيل الكبيرة تركته الأخيرة عمدا وكأنه مقعد وائل في مقدمة الصفوف .. بينما خلعت أنجيل الصغيرة سلسالها الذهبي

Des. Maryam Tamim

الذي يحمل صورة أبيها ووضعته على ظهر المقعد المزعوم.. فلم تتمالك آية دموعها .. بينما يختلس سيد النظرات إليها .. وود لو يسمح له بالاقتراب منها والاطمئنان عليها..

كان يشعر بالاختناق هو الآخر ولولا أن أمير سيحزن لما حضر .. فالحدث بدون صاحبه ليس له معنى .. صاحبه الذي لا يترك فرصة للفرح والسعادة دون أن يغترف منها حتى الثمالة .

بمجرد أن انتهت المراسم وقبل أن تنتهي التهاني قرر سيد الرحيل فأخبر صاحبيه أنه لن يستطيع التحمل أكثر وخرج من باب الكنيسة ليتفاجأ بآية تسير شاردة في حديقة الكنيسة ..فتقبض يجبر نفسه على التقدم للأمام نحو البوابة الخارجية

Des. Maryam Tamim

لكنه لمح رباط إحدى فردتي حذائها الرياضي مفكوكا يجرجر ورائها وتتعثر فيه أثناء شرودها ..

توقف لثوان يقبض على مشاعره ليراها تجلس بنفس الشرود على أريكة خشبية جانبية تولي ظهرها لمقدمة الكنيسة وتحدق في الشجيرات القصيرة أمامها.. فأجبر نفسه بقوة للتقدم في خط مستقيم نحو البوابة الخارجية .. لكنه عاد واستدار يسارا نحوها في هدوء .

تطلعت آية للشجيرات القصيرة أمامها في الظلام تقنع نفسها بضرورة امتنانها لوجود سيد على قيد الحياة يتنفس ويتحرك حتى لو لم تستطع الاقتراب منه فذلك أفضل من أن يكون في حالة وائل ..

ناهرة نفسها أن شعرت بالغيظ والغضب من بعض الفتيات اصدقاء كريستين اللاتي كن يتهامسن عن

Des. Maryam Tamim

الشباب الحاضرين واختصوه هو بجزء كبير من تنهداتهم أو ربما أذنها لم تعد تلتقط إلا ما يخصه .. فشعرت أنها سترتكب جريمة فآثرت التعقل الذي باتت تمارسه في الفترة الأخيرة رغم كرهها له وخرجت تستنشق بعض الهواء ..

خرجت آية من شرودها حين تفاجأت بذلك الجسد الضخم الذي أدرك قلبها هويته قبل عقلها يركع أمامها فجأة بصمت لتتوقف أنفاسها وينعقد لسانها في خرس .. وهي تشاهده يلتقط طرفي رباط حذائها ويعقده دون أن ينظر إليها .. فازدادت ضربات قلبها ومدت يدها دون أن تدري لتتحسس شعره بلهفة .. لكنها جمدتها في الهواء فوق شعره دون أن تلمسه .. مذكرة نفسها بذلك التعقل البغيض .. مشفقة عليه من أن تربكه وتتسبب في تشتته من جديد ..

[3639]

انتهى سيد من عقد رباط الحذاء ساحبا خلالها أكبر قدر من عطرها إلى رئتيه .. يلمس دفء حضورها بقلبه .. واستقام في صمت ليتركها دون أن ينظر نحوها .. ليعود لنفس النقطة ويجبر نفسه على الخروج بخطوات ثقيلة ساحبا مدنه القابعة في الظلام بعيدا عن شمسه الصغيرة ..

في داخل القاعة قال عمرو لأروى " أنا متفائل خير بإذن الله .. لقد جاءني أبي أمس في المنام وأعطاني البشارة "

سألته بفضول " أي بشارة؟ "

رد عليها بغموض " سأخبرك حين تحدث بإذن الله "

اقتربت إلهام منهم تقول" عليك بالذهاب الآن يا عمرو "

Des. Maryam Tamim

فتنحنح بحرج لتكمل إلهام " عليك بالمغادرة قبلنا وقبل الجميع .. فلن يكون منطقيا أن يراك الناس عائدا معنا ثم كل منكما يبيت بعيدا عن الآخر .. لذا عليك الانصراف الآن وكأن لديك موعدا هاما تريد الحاق به ".

أطرق عمرو برأسه وأومأ بالطاعة وهو يشعر بالحرج أن يوضع هو وزوجته في موقف هكذا فسلم على الجميع متعللا بموعد هام كما اقترحت إلهام .. ثم تبادل نظرات بائسة مع أروى قبل أن يغادر .. عائدا لبيته مطعون القلب والكبرياء .

***

بعد منتصف الليل :

تنبيه برسالة جديدة وصل على هاتف كلا من عمرو وأحمد في نفس الوقت ليفتح كل منهما الرسالة كل من موقعه .. ليجدا سيد قد غير أسم مجموعة

Des. Maryam Tamim

الواتساب التي تجمع الأصدقاء الأربعة لتكون باسم (البؤساء) بدلا من (شلة الخن) وقد كتب إليهم " من هذه اللحظة سأبث لكم كل أغاني الشقاء والتعاسة ما دمتم دائمي سؤالي عن الأغاني التي تعبر عن حالاتكم .. وبما أن أربعتنا نتشارك النحس نفسه هذه الأيام فيسعدني أن أرسل لكم أغنية تعبر عن الوضع الحالي .. ليلتكم كئيبة يا اخواني "

أرسل سيد إليهم الأغنية وجلس في الخن كعادته مع وائل بعد كل مناسبة .. لكنه كان وحيدا هذه المرة بدون شريكه .. لا يملك سوى أن يفكر في آية ويتنفس ببطء حتى لا تغادر بقايا عطرها صدره .

الأماكن كلها مشتاقة لك
والعيون اللي انرسم فيها خيالك
والحنين إلي سرى بروحي وجالك

Des. Maryam Tamim

ما هو بس أنا حبيبي
الأماكن .. كلها مشتاقة لك

كان أحمد مستلقيا على سرير بانة في شقته عاري الجذع يدخن في الظلام بصمت كئيب تعصف به الأفكار حين استلم رسالة سيد فشغل الأغنية يستمع إليها قليلا قبل أن يطفئ السيجارة وينقلب على بطنه.. يغوص في سريرها أكثر يستجدي رائحتها بين القماش وبقايا دفء ربما تركته صاحبته قبل أن تغادر..

كل شي حولي يذكرني بشي
حتى صوتي وضحكتي لك فيها شي
لو تغيب الدنيا عمرك ما تغيب
شوف حالي آه من تطري عليّ
الأماكن .. كلها مشتاقة لك

تلقى عمرو الرسالة في شقته .. وكان قد فرغ من قراءة القرآن وهم بالاتصال بأروى حين أتته الرسالة

Des. Maryam Tamim



.. فلم يقدر إلا أن يرسلها لها .. ردا على رسالتها الشقية من يومين .. وكتب لها " أنا أستمع إليها الآن فاسمعيها معي ".

المشاعر في غيابك .. ذاب فيها كل صوت
والليالي من عذابك .. عذبت فيني السكوت
وصرت خايف لا تجيني
لحظة يذبل فيها قلبي
وكل أوراقي تموت
آه لو تدري حبيبي
كيف أيامي بدونك
تسرق العمر وتفوت
الأمان وين الأمان
وأنا قلبي من رحلت
ما عرف طعم الأمان
ليه كل ما جيت اسأل هالمكان
اسمع الماضي يقول ..

[3644]



ما هو بس أنا حبيبي
الأماكن .. كلها مشتاقة لك

كلمات الأغنية طعنت قلب أروى في الصميم ..
واجهزت على دوامة الأفكار التي تطيح برأسها منذ
أن عادت تتحدث مع عمرو .. لتحزم أمرها..

برغم أنها مغامرة غير محسوبة العواقب لكنها
الحل الوحيد المنطقي في الوقت الراهن ..
فلم تعد تستطيع التحمل أكثر .. غير قادرة على
نسيان نظراته لها وهو يتركها في الكنيسة .. كانت
كلها استجداء وترجي رغم وجهه المتحفظ الذي
يخدع به الجميع إلا هي .. فحسمت أمرها
بشجاعة وتوجهت إلى غرفة أبيها تخبره بقرارها.

الأماكن إلي مريت أنت فيها
عايشه بروحي وأبيها
بس لكن ما لقيتك ..

[3645]

جيت قبل العطر يبرد
قبل حتى يذوب في صمت الكلام .. واحتريتك
كنت أظن الريح جابت .. عطرك يسلم عليّ
كنت أظن الشوق جابك .. تجلس بجنبي شوي
كنت أظن .. وكنت أظن
وخاب ظني
وما بقى بالعمر شي .. واحتريتك
الأماكن .. كلها مشتاقة لك

أخرج عمرو قلمه وبحث عن مكان في المساحة البيضاء في اللوحة لم يكتب فيه بعد وخط بأنامل متألمة مشتاقة " يا أروى "
وبحث عن الهاتف ليتصل بأروى بعد أن انتهت الأغنية .. لتنتبه حواسه فجأة لصوت باب الشقة يفتح .. كذب مسامعه لكنه أجفل حين سمع الباب يغلق بعد دقيقة فتساءل هل نزلت إليه والدته ؟

Des. Maryam Tamim

أم ؟!!!... ..

قفز واقفا يجري نحو باب الغرفة ومنها الي الصالة يعبر الممر الذي لم يلحظ أنه طويلا إلا في لحظتها ليراها أمامه..

هي ..

أروى أمامه ..

وحدها ..

هنا في بيتهما..

وقف متسمرا معقود اللسان يحدق فيها بعينين متسعتين وضربات قلبه تضرب في صدره بعنف وكأن قلبه يريد أن يقفز إلى حجرها ..

كانت ترتدي بنطالا من الجينز وبلوزة حتى ركبتيها وقد بادرت تقول بمرح "حملة تفتيشية من ميمين لتفقد الوضع الزوجي .. لمَ تقف هكذا ؟.. هل

Des. Maryam Tamim

جئت في وقت غير مناسب؟ ..وستخرج لي امرأة ملفوفة في ملاءة سريري وتخبرني أنك تزوجتها في السر.. بعد أن يئست من عودتي ؟ "

لم يضحك..

ولم يسمع ما تفكهت به ..

لكنه اندفع نحوها يحيط خصرها بذراعيه ويحملها فلف ساقيها حول خصره وذراعيها حول عنقه ليتسمر عمرو محدقا في وجهها .. يتأكد من عبير أنفاسها الذي يدخل صدره أنها هنا بالفعل ..

قالت بهمس وأنفاسها الدافئة تلفح وجهه " لم أعد استطيع تحمل الابتعاد عنك .. لم أعد أستطيع يا عمرو .. غلبني الشوق وكواني ..فاستأذنت أبي للعودة ووافق خاصة بعد أن رآنا الناس اليوم معا

Des. Maryam Tamim

..."

أطبق على شفتيها يخرسها بقبلة عنيفة محمومة بينما صوت هاتفها يرن .. فخلصت شفتيها منه و قالت وهي تنهت " عمرو هاتفي يرن .. إنه أبي بالتأكيد .. (أخذ يطبع قبلات سريعة مجنونة على رقبتها فأكملت) إنه تحت أمام المبني أوصلني بعد أن عَاند أحمد الغليظ ورفض إيصالي .. عمرو .. عمرو أبي يرن علي أن أطمئنه أني صعدت بخير وأنك بالشقة" ..

رفع وجهه إليها حين سمع باسمه لكنه ظل يحدق فيها غير مستوعب لما تقول..فضحكت تمسد على لحيته وقالت " عمرو أرجوك أبي سيقلق .. أنا اقنعته أنك بالتأكيد ساهرا في شقتنا "

همس بحشرجة يحاول الاستيعاب ببطء "ما به

Des. Maryam Tamim

الهاتف ؟"

ضحكت وأشارت برأسها للحقيبة على كرسيها .. فنزل بجذعه لأسفل وهو لا يزال يحملها لتمد ذراعها وتأخذ حقيبتها ثم استقام فأخرجت هاتفها وردت على والدها بأن كل شيء على ما يرام وأن عمرو معها ثم أنهت المكالمة تقول " شكرا يا أبي على كل شيء .. أطال الله في عمرك "

بعدها لم تدري ماذا حدث .. وكيف كانت في سريرها وهو مخيما فوقها .. يخبرها الكثير عن شوقه .. عن لوعته .. عن عذابه في فراقها .. ينهل من شهد شفتيها بجوع ..فأخبرته هي عن ليالي الوحدة .. والوجع .. والحرمان .. ليقبّل تفاصيلها ..متفقدا جميع ممتلكاته .. ويغمرها بين ذراعيه لا يعلم سواها أرض أو وطن أو عنوان..

[3650]

بعد بعض الوقت كان يختبئ كالطفل في تجويف رقبتها ..

فهمست تقول "عليك بالعودة لشقة الدور العلوي الآن "

رفع رأسه عنها بتساؤل لتقول " هذا شرطي للعودة .. سأبقى هنا دون أن تعلم والدتك بوجودي .. فلم أستعد بعد للعودة والمواجهة .. اتركها تسترد عافيتها في هدوء واتركني أنعم ببعض الهدوء بعيدا عن أي حروب نفسية"

Des. Maryam Tamim



الفصل الخامس والثلاثين

كان يختبئ كالطفل في تجويف رقبتها.. متخما بالمشاعر .. يشعر بالامتلاء .. يلامس الاكتمال .. ولم ينطق إلا بكلمة واحدة ظل يكررها بهمس منذ التقائهما .. كلمة اختصر فيها كل شيء ..

" يا أروى "

مسدت على عضلات رقبته وظهره مغمضة العينان ثملة بقربه .. وهمست وأصابعها تتخلل شعره " كنت على وشك الموت بدونك يا عَمري.. وكأنك لي الحياة وكأني أتنفسك ".

شدد من ذراعيه حولها فاقدا للنطق كعادته فأكملت بصوت متأثر " للحظة شعرت أنني .. أننا .. لن نرى بعضنا ثانية ".

رفع رأسه يسكتها" أششششش ".

لكنها فتحت عينيها وتأملته وأكملت" صمودي كان من أجلك أنت .. فكنت أعلم أن في انهياري نهايتك لكني في الحقيقة ... "

[3652]



أطبق على شفتيها يخرسها .. فهرب من رأسها كل ما كانت تود أن تقوله إلا وجوده ورائحته الرجولية ودفئه ..

حين ترك شفتيها نظر في عينيها يتأمل ملامحها في صمت فمسدت على لحيته المشعثة ليقول بخفوت وكأنه يخشى أن يخدش الصمت المُسكِر" تفاصيلك مختلفة أروتي لا أدري هل بسبب بعض الكيلو جرامات التي اكتسبتها أم ماذا .. لكن منحنياتك أكثر بروزا .. بها اختلافا لا أعرف كيف أصفه" .

عضت على شفتها السفلى وسألت بدلال " وهذا الاختلاف إيجابي أم سلبي؟ " .

ضحكة صبيانية عابثة سعيدة كانت رده قبل أن يعود ليدفن وجهه مجددا في تجويف رقبتها .. فضمته أكثر تحاول أن تشبع منه مشفقة عليه مما ستقوله لكنها مجبرة وهمست بعد قليل " عليك

Des. Maryam Tamim

بالعودة لشقة الدور العلوي الآن " .
رفع رأسه عنها بتساؤل فقالت " هذا شرطي للعودة .. سأبقى هنا دون أن تعلم والدتك بوجودي .. فلم أستعد بعد للعودة والمواجهة .. اتركها تسترد عافيتها واتركني أنعم ببعض الهدوء بعيدا عن أي حروب نفسية"
عقد حاجباه يقول " ماذا تعنين .. كيف ؟!"
ردت بهدوء " هذا حل مؤقت لنرى إلام ستؤول إليه الأمور .. أنا وأنت متمسكان ببعضنا ولن نستطيع تحمل الفراق للحظة واحدة أخرى وقد بلغنا ذروة تحملنا .. ووالدتك وصلها أنك لن تتزوج بأخرى .. لكن حالتها الصحية ليست جيدة بعد.. لذا لن نستطيع أن نخبرها صراحة أني عدت .. فلندعها تتأكد من أنك مصر في موضوع عدم زواجك ونعطيها وقت تسترد صحتها .. كما أنني (وصمتت قليلا ثم أكملت) لست مستعدة للمواجهة بعد أشعر أني مرهقة المشاعر " .

Des. Maryam Tamim

لم يقل شيئا وإنما ابتعد عنها يرتدي ملابسه وجلس على السرير يفكر وقد عادت ملامحه للجدية فمسدت على ذراعه تشجعه.. ليقول بحشرجة " هل تعلمين معنى هذا ؟ .. معناه أنك قد لا تريني أكثر من ساعة أو اثنين يوميا .. لأن أمي ملتصقة بي بشكل مرضي كما أخبرتك على الهاتف من قبل "

بلعت غصة مسننة في حلقها وقالت " أعلم ذلك .. لهذا اقول لك فكرة اخبارها أني عدت ليست جيدة حاليا ".

أطرق برأسه وقد لاح الهم من جديد على وجهه فقالت " ما رأيك أن نفكر في الإنجاب حاليا ثم .."

قاطعها منفعلا " لا ... "

قالت بهدوء " لا تعاند يا عمرو " .

رد بحزم " قلت لا.. يكفي الشعور المهين الذي سأشعره وأنا أتسلل لأقابلك ساعة أو ساعتين في

Des. Maryam Tamim

اليوم .. أنا رافض لمبدأ الانجاب من أجل أن تقبل أمي بزواجنا لن أقبل بهذا أبدا " .

شعرت أنه مازال مجروح الكرامة فقالت بإغواء " لا تنكر أن تجربة العشاق السريين على سلم بيتنا كانت مثيرة .. فدعنا نجرب لعبة مقابلات العشاق السرية هنا في شقتنا .. ".
تسللت الشقاوة لعينيه وهو يميل عليها هامسا أمام شفتيها " أحببت اللعبة خاصة حين تكون عشيقتي بهذا الإغواء المذهب للعقل والحارق للأعصاب "
لفحتها أنفاسه الساخنة التي اشتاقتها ولمحت اشتعال الرغبة في عينيه من جديد لكنها أفلتت من شفتيه تقول بحزم " هيا اصعد لوالدتك قبل أن تستشعر غيابك " .
نظر إليها بتعاسة فشجعته تقول وهي تستقيم بجذعها قليلا وتستدير لتنام على بطنها " هيا أريد أن أنام أشعر بالنعاس الشديد.."

Des. Maryam Tamim

اتسعت عيناه متفاجئا وهتف" أروى .. أنت استقمت بجذعك بسهولة "

لم تكن تنوي إخباره بتطور حالتها للأفضل في الفترة الماضية طامعة في أن تفاجئه يوما ما حين يكتمل شفاءها فقالت بغموض "أستطيع التقلب ورفع جذعي بسهولة الآن بفضل الله "

رفع شعرها الناعم من على وجهها بيده ومال يطبع قبلة على خدها هامسا " أدعي لك كل صلاة يا عمري أن يتم شفائك .. لكن لا تشقي على نفسك بالتمارين (وصمت قليلا يمشط شعرها بأصابعه ثم قال) وماذا سنفعل مع جدول تمارينك؟"

ردت " أنا أتمرن منذ مدة في البيت وتأتيني الطبيبة مرة أو مرتين في الاسبوع تباشرني .. أنا فقط سأحتاج جهاز المشي الذي اشتراه لي أبي من البيت وبعض حاجياتي "

قال بعتاب" لمَ لم تطلبينه مني أنا؟ .. حتى لو كنا متخاصمين "

Des. Maryam Tamim

ابتسمت وقبّلت باطن يده القريبة من وجهها ثم قالت " لم تكن مقصودة .. تدللت على الحاج قليلا .. هيا يا عمرو حتى لا تتأخر " .
تنهد بقوة واستقام يدخل الحمام .. وبعد دقائق خرج يرتدي ملابسه واقترب منها يطبع بعض قبلات على رقبتها فابتسمت وهي مغمضة العينين ليتأملها قليلا ويبتلع رغبة في البكاء تقف في حلقه مقاوما بصعوبة ثقل قدميه ثم يغادر ..

مع صوت إغلاق باب الشقة سقطت دمعة ساخنة من عين أروى وتحسست السرير والأغطية تتلمس بقايا دفئه متمنية لو بقي لدقائق قليلة أخرى .. فلم تشبع من قربه بعد.

***

بعد يومين :

Des. Maryam Tamim

دخلت آية الاستوديو تحي الجميع في هذا الوقت من الصباح وهي تشعر بالنعاس .. فعلى الرغم من امتنانها أن تحصل على فرصة ذهبية كهذه للتدرب على يد مذيع شهير كفادي ورد.. لكن توقيت البرنامج سخيف حيث يبث في الثامنة صباحا فيتطلب منها الأمر الخروج في الخامسة فجرا ليوصلها سائق خصصه الحاج لإيصالها بعد أن باءت كل محاولاتها لإقناعهم بأن تقود السيارة بنفسها بالفشل متعللين بالوقت المبكر جدا الذي تخرج فيه ووجود موقع البث بعيدا عن العاصمة.. حتى تكون موجودة قبل البث بساعتين على الأقل رغم أنها لم تشارك فادي بعد فهي مجرد متدربة أو مساعدة له حتى الآن وأمامها شهران على أقل تقدير ليقرروا بعدها هل سيتم الاستعانة بها أم لا .
لا تنكر أنها استفادت من التدريب على مدى أكثر من شهر ورأت كل شيء على الطبيعة واستفادت من خبرة فادي ورد الكبيرة .. فهو على الرغم من

Des. Maryam Tamim

تحملها لغرابة أطواره ونرجسيته ومزاجه الغير مستقر إلا أنه معلم جيد ..

شعرت بتوتر الأجواء فاقتربت من مخرج البرنامج تسأل بقلق " ماذا يحدث أين الاستاذ فادي يا استاذ سامح ؟ "

فرك جبينه بإرهاق يقول " فادي أصيب بأزمة كُلى منذ قليل ولا أعلم ماذا أفعل في البرنامج الذي سيبث بعد ساعتين .. "

توترت آية وسألت" هل يمكن أن نعتذر عنه اليوم؟"

رد موضحا" لا يوجد هذا الاختيار في عالم البث الإذاعي والتليفزيوني يا آية لابد أن نجد بديلا فورا "

شردت قليلا فسألها "هل أعددت ما طلبه فادي منك؟ "

أومأت برأسها بنعم فصرخ في فريق العمل بصوت عال" أين جِبالي ؟ .. أريد الاستاذ جبالي حالا

Des. Maryam Tamim

وأخبروني أولا بأول مَن مِن مذيعي المحطة يستطيع الحضور .. أيقظوا الجميع من النوم ."

شعرت آية بالتوتر وهي تراقب المخرج يبتعد وهو مستمر في الصراخ .. لكنها تحركت خلفه تحاول اقتراح بعض الأمور ..

قبل البث بنصف ساعة كانت آية تمط شفتيها وهي ترى احدى المذيعات الشهيرات تقرأ موضوع الحلقة وتحاول أن تناقش المخرج في بعض الأمور فاندفعت آية تقول " هذا هو خط سير الحلقة كما يريدها الأستاذ فادي يا أستاذة داليا "

نظرت إليها داليا بامتعاض وسألتها ببرود" من أنت ؟"

لترد آية بلهجة مستخفة " آية سماحة"

Des. Maryam Tamim

نظرت داليا للمخرج سامح تقول" من آية سماحة؟"

رد سامح مشغولا في الورق أمامه " إنها متدربة عند الاستاذ فادي "

هتفت داليا باستنكار وهي تنظر لآية من رأسها لأخمص قدميها" متدربة !! وتبلغيني بم أفعل .. ألا نعجبك أنا والمخرج !"

شعرت آية بالحرج والغيظ فجزت على أسنانها واقتربت تحدج المذيعة بنظرات نارية.. فتدخل سامح بحزم" آية من فضلك دعينا نكمل ليس لدينا وقتا ".

فأكملت داليا باستحقار " لا يوجد لدينا وقت للعب مع الأطفال "

زمجرت آية وقالت" أنا لا أسمح لك!! .. ولا تتوقعي مني لأنك مذيعة معروفة أن أقبل منك إهانتي .. "

Des. Maryam Tamim

صرخت داليا فجأة بهيستريا " اخرجوها حالا وإلا لن أذيع هذه الحلقة "

بدأ فريق العمل بالتجمع والتفريق بين الفتاتين بينما المخرج يفرك رأسه بعصبية فصاحت آية" أنا لم أفعل شيئا أنا أخبرك بالشكل الذي يرغب الأستاذ فادي في أن تسير عليه الحلقة والحقيقة كلامه منطقي"

صرخ سامح في الجميع بعصبية " كفى !! "

فساد الصمت ليقول بعدها "ارحموني.. بقي عشر دقائق"

انتبه الجميع حين دخل فادي ورد فجأة... يمسك بجانبه ويبدو الألم على ملامح وجهه الشاحبة مرتديا ملابس رياضية تختلف تماما عن الحُلات الأنيقة والقمصان الملونة تحت ستراته التي يرتديها في العادة .. وتكلم بمزاج عكر يقول بإعياء" كفوا عن الصراخ .. تكفيني آلامي (وتوجه بالكلام لداليا) شكرا داليا.. على تطوعك لإنقاذ الوضع .."

Des. Maryam Tamim

هتفت داليا تقول" لا شكر على واجب يا فادي هل تريد ان اشاركك البرنامج اليوم؟"
رد دون أن ينظر لها "لا شكرا سأتصرف أنا "

اقترب منه سامح يتفحصه ويقول" ما الذي أتى بك الآن بهذه الحالة؟"
فهمس فادي يقول من بين أسنانه " لم تجد سوى داليا لتقديم الحلقة ؟!! "
رد عليه سامح هامسا "هي الوحيدة من ردت في هذا الوقت من الصباح"
اقتربت داليا تقول بإلحاح" دعني اشاركك الحلقة لا تبدو بصحة جيدة "
رد عليها بلطف " شكرا داليا أنا بالفعل لدي مشارك في الحلقة (ثم أشار لآية بأصبعه آمرا أن تتبعه وهو يقول للفريق) جهزوا الميكروفون الآخر فآية ستشارك معي في تقديم الحلقة "

Des. Maryam Tamim

تسمرت آية في ذهول .. بينما جحظت عينا داليا وشعرت بالإهانة .. أما سامح ففرك رأسه بيديه ونظر في ساعته ثم أشار للفريق بالتنفيذ .

استمرت آية في الذهول حتى صرخ فادي من الداخل ينادي باسمها لتنتفض وتدخل غرفة الاستوديو.

في الداخل كان فادي يمسك بجانبه وهو يشير لها لتجلس حول منضدة البث الإذاعي بينما باقي الفريق يقفون خلف الحائط الزجاجي الذي يفصل بين غرفة المذيع وباقي فريق البرنامج وعلى رأسهم مهندس الصوت .
قالت آية بخفوت مرتعب "هل فعلا سأشاركك الحلقة بعد قليل ؟! .. أنا لم أنتهي من فترة التدريب بعد وأخشى أن أرتكب خطأ "

Des. Maryam Tamim

رد فادي بهدوء متألم " وماذا كنا نفعل لأكثر من شهر إذن !! .. لا تتوتري أمامنا أربع دقائق وستدخلين أنت بالمقدمة".
شهقت تقول "آنا !!"

ارتعبت حين تكلم المخرج في السماعة الداخلية في أذنيهما يعلن بدء فقرة الاعلانات ويعلن " أمامنا ثلاث دقائق "
ضربات قلبها تضرب في أذنيها بصخب وتشعر أن الروح تسحب منها.. فتركت المنضدة وفتحت هاتفها بأيد مرتعشة ووقفت تلصق جبينها للحائط في تلك الغرفة الضيقة .. بينما المعد يضع اللمسات الأخيرة للحلقة مع فادي ورد .
فجاءها صوته متحشرجا من أثر النوم يقول بلهفة" نعم آية "

Des. Maryam Tamim

لم ترد .. بل ظلت تتنفس بصوت عال .. فاستقام من نومته مرتعبا يقول " ما بك يا آية هل أنت بخير ؟!!"
همست " سأكون على الهواء بعد قليل يا سيد"

تفاجأ .. ثم ابتسم في سعادة .. ولم يميز وقتها أهو الخبر ما أسعده أم صوتها الهامس الذي يلمس قلبه برقة وينعشه بعد سبات طويل أم اسمه الذي اشتاق له منطوقا من شفتيها .. كم تمنى لو يصف كيف يكون اسمه بين شفتيها .. لكنه قال " رائع يويا رائع".
قالت بحنق طفولي " ليس رائعا .. ليس رائعا يا سيد أخشى أن أخطئ "
نغزه قلبه ألا يكون بجوار صغيرته في لحظة كهذه فقال بحنان " أنا أثق بك آية .. وأعلم أن بداخلك الكثير مما ستعطيه للشيء الذي تحبينه .. هذه

Des. Maryam Tamim

فرصة ذهبية عليك استغلالها جيدا .. (واندفع يقول بدون تفكير) أتريدين مني أن آتي؟"

قالت بسرعة " لا .. لا "
آلمه قلبه لكنها همست "وجودك سيربكني"
قال بصدمة " أنا؟! .. أربكك !!"
حفرت الحائط بجبينها الملصق به تهمس " أقصد أني سأترك كل شيء ولن أرى سواك ".

كلماتها سحبت روحه من جسده مرة واحدة .. فضغط على شفتيه بقوة لا يعرف بم يرد.. يسمع أنفاسها التي اشتاق لسماعها عبر الهاتف ..وتمنى لو يُرفع عنه القيد ويُسمح له بإخبارها بالكثير والكثير جدا .. أو حتى يخبرها كيف يشتاق إليها .. بينما صوت فادي يناديها بحزم جعلها تستفيق لتقول بارتباك" علي أن أذهب حالا يا سيد سلام "

Des. Maryam Tamim

أغلقت الخط فتسمر للحظة يستعيد صوتها ولحن أنفاسها مغمض العينين .. ثم اعتدل على الأريكة التي بات ينام عليها منذ فترة حتى لا يزعج بسمة بهلوساته الليلية خاصة بعد أن منعت نفسها عنه .. وأسرع يبحث في تطبيق الراديو على هاتفه عن إذاعة نغم بينما بسمة تراقبه من بعيد دون أن يدري .

في الاستوديو الإذاعي شعرت آية بشلل في لسانها حين أشار لها فادي ورد لتبدأ بالمقدمة .

فنظرت إليه بعينين جاحظتين ثم أصيبت بالفواق لينظر لها فادي شذرا ثم ضغط على جانبه وهو يقول بصوته الإذاعي المميز الذي يعشقه الآلاف بنغمة إذاعية محببة " صباح الاشراق .. وصباح الرضا .. يوم جديد .. طاقة جديدة .. نبدأ برنامجنا مقهى الصباح .. معكم فادي ورد .. ونبدأ بأغنية (آه من عينيها السود).. ثم نعود "

Des. Maryam Tamim

أغلق زر الميكروفون بينما الأغنية يسمعها المستمعون .. لينظر إليها فادي بتوبيخ فتشهق وينتابها الفواق لتدخل المساعدة بكوب من الماء لآية لكن فادي يقطع طريق الكوب ليأخذه بعنف ويلقي بحبة مسكن أخرى في فمه بغيظ ثم يتجرع كوب الماء ويقول للمساعدة " ولا ماء ولا طعام وقد أحبسها في الاستوديو وأطلب فدية من أهلها إن لم تنطق " .

حدقت فيه آية برعب وعلى ما يبدو أذهب الرعب الفواق ليعود فادي يقول أمام الميكروفون بلهجة إذاعية أدهشت آية أن يكون متألما ويتكلم بهذا الشكل العادي " اليوم معي شريكتي الجديدة آية سماحة تفضلي آية " .

اقتربت من الميكروفون تحاول أن تسيطر على ارتعاشها كما يفعل فادي وقالت بلهجة إذاعية أطربت قلب سيد الذي يستمع عبر الأثير " شكرا فادي .. يسعدني أن أنضم معكم في برنامج مقهى

Des. Maryam Tamim

الصباح .. اليوم موضوعنا عن الرضا .. ما هو الرضا .. وهل أنت راض عن حياتك ؟؟ سنستقبل رسائلكم على الخط الخاص بالبرنامج وعلى صفحتنا على الفيس بوك .. "

تدخل فادي يقول وأي اغنية نهديها للمستمعين على شرفك يا آية " .
ارتبكت من السؤال ولم تدري بما ترد لجزء من الثانية ناسية أن قائمة الأغاني المعدة مسبقا موجودة أمامها فأشار فادي على الورقة التي أمامها لتسرع بالنظر فيها ثم قالت "أختار أغنية (أنا والشوق) .."
تكلم فادي يقول في الميكروفون "إذن أنا والشوق اهداء لآية سماحة .. وأرسلوا لنا عن مفهومكم عن الرضا ".
أغلق الميكروفون ليقول لها " حاولي أن يظهر صوتك أكثر .. بالمناسبة لم أحب ما حدث مع داليا

Des. Maryam Tamim

.. لن تكسبي الناس بجانبك إذا ما استخدمتِ العصبية في مواجهة الأمور وستخسرين كثيرا ".

أومأت آية برأسها في حرج ليعود للميكروفون مرة أخرى .. بينما سيد يقف في الشرفة يستمع لأغنية أنا والشوق في سعادة بعد أن سمع صوتها لأول مرة في الراديو .. يريد أن يقفز من السعادة يصرخ من الفرح .. صغيرته التي كانت تنطق اسمه بالثاء يوما سمعها منذ قليل تتحدث عبر الأثير بصوت إذاعي جميل ..

بينما في حي سماحة إلهام تستمع للراديو مع الحاج ..بعد أن أرسلت آية رسالة واتساب للجميع تخبرهم .. فتعلو الابتسامة على وجه إلهام .. وهي ترقيها في سرها.

Des. Maryam Tamim

أثناء البث المباشر لاحت من وراء الزجاج زوجة فادي فجأة بزوابعها وعصبيتها فتوترت آية من حضورها وتذكرت أول لقاء بينها :

منذ شهر :

تفاجأت آية أثناء التدريب بدخول امرأة فواحة العطر غاية في الأناقة تميل للعصبية ..انتفض من أجلها كامل فريق العمل ليحييها باحترام .. لتدقق آية فيها قليلا ثم جحظت عيناها حين تعرفت عليها فشهقت بينما استقام فادي يقترب من المرأة يقول ساخرا" مضى يومان لم أنعم بحضورك المزعج أقصد الطاغي في مكان عملي حبيبتي .. "

قطعت آية طريق عاملة البوفيه تسحبها من ذراعها لتقول " فاتن أليست هذه المطربة ضحى؟" ردت فاتن بسرعة " أجل يا عسل "

Des. Maryam Tamim

سألتها آية وقد تعودت أن تسمع قصص وأخبار فريق العمل منها " من تكون لفادي ورد؟ "
تفاجأت فاتن لتقول " إنها زوجته .. ألا تعرفين أن فادي متزوج من المطربة ضحى !!"
ردت آية متفاجئة "لا "
فقالت فاتن موضحة " إنهما متزوجان منذ ما يقرب من خمسة عشرة سنة .. بعد قصة حب قوية " .
اتسعت عينا آية باندهاش تقول " حقا !!"

وتأملت آية ضحى من بعيد في دهشة .. إن ضحى مطربة كبيرة وشهيرة في عالم الغناء تغني منذ أن كانت طفلة ..لم تعلم أن هذه المتألقة ذات الشعبية الواسعة هي زوجة فادي ..
تطلعت آية لتفاصيلها .. إنها نحيفه القوام رشيقة .. أقصر بكثير مما تظهر عليه في التلفاز.. سمراء بملامح محببة.. وشعر قصير على الكتف مصففا

Des. Maryam Tamim

بعناية فائقة .. ترتدي الكثير من المصوغات الكبيرة الحجم ورغم هذا تبدو غاية في الأناقة .
قاطعت فاتن تأملاتها لتوكد بثقة " إن بينهما قصة حب قوية جدا .. رغم أنها أكبر منه بخمس سنوات "

شهقت آية وقالت متسعة العينين" لا تبدو أكبر منه أبدا هل تحاولين اقناعي أن هذه السيدة في أواخر الأربعين من عمرها مثلا ؟"
ردت فاتن مؤكدة "بل أتمت الخمسين هذا العام .. أنا رأيت جوازات سفرهما بنفسي في مكتب الإدارة حين كان الاستاذ فادي ذاهبا لمهرجان فطلب منهم المساعدة في الحصول على تأشيرة لضحى لتذهب معه .. يومها رأيت جواز السفر وتأكدت "
قالت آية بتأثر" هل يحبها لدرجة أن يتزوجها وهي أكبر منه في العمر!! .. حين رأيت كل ألبوماتها الغنائية في مكتبته تصورت أنه من أكبر معجبيها

Des. Maryam Tamim

حتى أني وجدت ألبومات قديمة لم أكن أعرف عنها شيء" .
ردت فاتن " بل قولي يحبها لدرجة ألا يفكر في الانفصال عنها أو الزواج بغيرها وهي لا تنجب "
شهقت آية تقول " أعلم أن ليس لديها أولاد لكن لم أكن أعلم أن لديها مشاكل في الانجاب" .

قالت فاتن " أنا أعلم عنهم كل شيء فأنا كما أخبرتك مقيمة في هذه الأستوديوهات منذ أن كنت طفلة كنت آتي مع أبي وورثت عنه مكانه في البوفيه "
وضعت آية يدها على قلبها تقول بتأثر" جميل هذا الحب بينهما "
فأكملت فاتن " احترسي فهي تغير عليه بجنون .. يا لطيف ! .. لا تعلمين ماذا تفعل مع معجباته.. مجنونة .. وسترينها كثيرا هنا .. إنها كثيرة التردد على الاستوديو (ثم قالت متعجلة) سأتركك يا عسل سلام "

Des. Maryam Tamim

فصاحت آية تلحقها بصوتها "أعدي لي قهوة باللبن".

فأشارت لها فاتن بإيماءة وهي تغادر بينما ناداها فادي لتقترب وتدقق في ملامح ضحى عن قرب فلم تتخيل يوما أنها قد تقف أمام مطربة شهيرة مثلها .. فقام فادي بتقديمهما لتنظر إليها ضحى بنظرة تقييمية بينما فادي يقول "هذه زوجتي يا آية جاءت لتطبق على أنفاسي .. أقصد لتتفقد الوضع الذي لا أعرف ما هو بالضبط بعد كل هذه السنوات معها ".

حدجته ضحى بنظرة عتاب ثم سألتها " كم عمرك؟"

ردت آية بحرج " واحد وعشرون" .

فلاحت الغيرة على وجه ضحى .. ونظرت لفادي نظرة ذات مغزى .. لتستدرك آية قائلة " أنا من أشد معجبيك يا أستاذة ضحى .. ولم أتخيل أني قد

Des. Maryam Tamim

أقابلك يوما .. أنا أحفظ معظم أغانيك ولي الشرف بمقابلة مطربة كبيرة مثلك " .
نظرت إليها ضحى بزهو بينما قالت آية بلهجة ذات مغزى " تبدين اصغر عمراً على الطبيعة" .

مشطت ضحى شعرها وردت بفخر طفولي" عادة ما تظلمني الكاميرا"
ابتسمت آية وقالت "تظلمك كثيرا "
فابتسمت ضحى بسعادة طفلة من هذا الإطراء .
عادت آية بذاكرتها لتجدها تقف خلف الزجاج تهز جسدها بعصبية وتتوعده على ما يبدو لأنه خرج من البيت في هذه الحالة .. موترة بوجودها باقي فريق العمل بينما فادي يمسك بجانبه ويتحدث في الميكروفون وهو ينظر لها عبر الزجاج ويقول متسليا " ومن أهم الأمور التي عليك الرضا بها .. الابتلاء في شريك العمر".

Des. Maryam Tamim

جزت ضحى على أسنانها ويبدو أنها كانت تهدد باقتحام الاستوديو على الهواء بينما فريق العمل يقفون أمام الباب يمنعونها وسامح المخرج يشد في شعره ..

لعّب فادي حاجبيه لضحى مستمرا في الحديث للمستمعين " فقد يبليك الله بشريك مجنون عصبي مختل عقلي.. فعليك وقتها بالرضا عزيزي المستمع والاحتساب عند الله " .

تدخلت آية مشاكسة وقد بدأت تتخلص من توترها لتقول أمام الميكروفون " وقد يكون هذا لأن شريكك يحبك بجنون ".

ضحك فادي ونظر لضحى نظرة عشق لم تخطئها آية ليقول ساخرا "ومن الحب ما قتل اسألوني أنا .. (لتتحول لهجته للجدية) وقد يجزيك الله بسبب ذلك الرضا بالمكتوب حبا كبيرا يعوضك عن كل ما افتقدته (وعادة لهجته للعبث مرة أخرى) أحب أن أسمع معكم أغنية إن شالله ما أعدمك "

[3679]



جحظت عينا مهندس الصوت واسرع يبحث عن الأغنية بسرعة فلم تكن مدرجة بقائمة الأغاني التي تم الاتفاق على إذاعتها بينها سامح يفرك في رأسه بقوة فأشفقت عليه آية .. إن فادي كثير المفاجآت في لحظات حرجة ..

زارت نوبة ألم ملامح فادي فأغمض عينيه متألما في صمت ثم فتحها لتلمع عيناه بتسلي مرة أخرى ويقول وهو ينظر لضحى التي تفتت من العصبية خلف الزجاج " وحتى نمنح لمهندس الصوت الفرصة لأن يجد الأغنية سأذكركم بكلماتها :

ان شاالله .. ان شالله ما اعدمك..
يا جميل .. يا جميل ان شالله ما اعدمك..

انت الحبيب .. وانت الطبيب
وانت القريب .. وانت الغريب
نظر لآية فأكملت :
ولو ان حبك شيء عجيب ..
ولا حد قادر يفهمك
ان شالله .. ان شالله ما اعدمك..
يا جميل .. يا جميل ان شاالله ما اعدمك..

أشار له مهندس الصوت بانتصار أنه وجد الأغنية فقالت آية " نسمع أغنية إن شالله ما اعدمك لمحمد قنديل ونعود " .

انفتح باب الاستوديو فجأة لتدخل ضحى كالطوفان تنظر لفادي بغيظ وتتفحصه بينما هو يضحك متألما .. حاولت أن تشده ليعود معها للمنزل.. لكنه حاول تهدئتها بأنه في وسط إذاعة البرنامج داعيا إياها بالمجنونة .. ثم يطمئنها بأنه سيتحمل

Des. Maryam Tamim

حتى ينتهي البرنامج فانفجرت في البكاء ليقوم فادي بتهدئتها رغم آلامه ..

شاهدتهما آية منبهرة بالعلاقة التي تجمعهما ومتعجبة من ضحى النجمة التي تبكي كطفلة صغيرة أمام زوجها والتي تختلف تماما عن شخصية الفنانة الكبيرة التي تمتلك ملايين القلوب بصوتها العذب فرفرفت الفراشات في معدتها .. بينما سيد يكتب لها رسالة على الواتساب مقاوما الرغبة الملحة في الاتصال بها بعد انتهاء الحلقة " رائعة أنت يويا .. مبارك لك يا سكاكر "

***

زفر وائل مهموما مثقلا بالحيرة فاقتربت منه مريم تقول " ألن تنتهي من هذا الحال .. لا أعلم ما بك ؟.. "

رد مهموما " أشعر بالخواء .. والارتباك .. هناك أسئلة كثيرة في رأسي بدون إجابات يا ماجدة"

[3682]

تكلمت مريم ببرود تصحح " أنا مريم"
قال " أنا قلت مريم "
ردت بإصرار" قلت ماجدة "
حدق فيها غير مستوعب فقالت" هل غضبت مني
لأني سألتك أسئلتي عن ماجدة ذلك اليوم "

رد بحيرة " لست غاضبا .. لكني لا أملك إجابات ..
أحاول وأحاول ولا أجد .. "
اقتربت منه تهمس بجوار شفتيه بإغواء " لكنك لن
تتوقف عن حبي أليس كذلك ؟".

دخلت الخالة أنجيل بجسدها الثقيل البدين تتوكأ
على قلبها قبل عصاها إلى غرفته بالمستشفى ..
يقولون عنها قوية .. صامدة ..
لكنهم لا يعرفون شيئا ..
لا يعرفون أنها تخشى أن تنام حتى لا تستيقظ على
خبر مفجع بشأنه .

[3683]

وبعد كل هذا الوقت في انتظار استفاقته أخيرا استجمعت شجاعتها وأتت إليه .. مادام قد أطال في غيبته عنها ..

تحير وائل في إجابة سؤال مريم ولأول مرة يتحير بشأن إجابة هذا السؤال .. وارتبك وتفاجأ بتلك الحيرة .. لكن مريم كررت السؤال بإلحاح" لن تتوقف عن حبي أليس كذلك يا وائل؟"

ازدادت ضربات قلبه وهو يحدق فيها يبحث عن إجابة حاسمة .

أما أمه التي استقرت بجانب سريره لم تجد ما تقوله وهي ترى فلذة كبدها ممدد فاقدا للوعي بهذا الشكل المفجع .. فنغزته برفق وكأنها توقظه من النوم وهمست بصوت باكي "وائل "

Des. Maryam Tamim

دفع وائل مريم فجأة لتقع على الأرض ذاهلة قائلا بارتباك "إنها أنجيل . أمي هنا ".
استقامت مريم تعدل من فستانها الأصفر وتزمجر بعصبية فقال متوترا" أششش لا تتحركي أقول لك أنجيل جاءت اختبئي "
نظرت حولها ثم صاحت باستنكار " اختبئ !! .. أين؟؟ .. ألا ترى أننا محبوسان ولا يوجد منفذ"

رد بغيظ هامس وهو يركز سمعه على أي صوت " اختفي كما تختفي أحيانا ولا أجدك .. لقد اختفيت عدة أيام بعد ذلك اليوم الذي علمت فيه أن أروى وعمرو سيتطلقان وتركتني أسبح في أحلام كثيرة من الماضي . "
تكتفت وردت ببرود " وائل .. أنا بالفعل مختبئة في رأسك.. أنسيت ".
رد عليها بهمس مغتاظ " أنا أعلم ذلك".

Des. Maryam Tamim

ضيقت عيناها وسألت " إذن لمَ أنت مرتعب؟!!"
رد بغيظ" أقول لك إنها أنجيل ألا تعرفيها ؟!..إنها
قادرة على الدخول حتى في رؤوسنا".

فجأة سمع صوت نشيج عالي فقد كانت أمه تسند جبينها على ذراعه مغمغمة من بين بكائها " إلى متى يا ربنا ؟.. إلى متى سأظل أتعذب بسبب هذا الولد .. إلى متى سأبقى مرتعبة من أن أسمع أنه قد أنهى حياته بنفسه .. لمَ أرى ذلك في أكبر أولادي ؟.. (علا نشيجها قليلا ثم عادت تغمغم) يا رب لقد رزقتني به بعد سبعة عشر سنة شوقا للإنجاب .. بعد أن كنا قد رضينا أنا ووالده بقضائك فرزقتنا به .. لم أنا مبتلاه فيه .. لقد سُرقت منه سنين شبابه دون أن يسعد بها .. يا ربنا .. لم أعد أقوى على التحمل فارحمني .. وإن كان علينا ذنباً فاغفره لنا "
.

Des. Maryam Tamim

بكى وائل بينما اقتربت ميري من جدتها تقول " يكفي هذا يا جدتي .. ستصابين بغيبوبة سكر .."

ففتح أمير باب الغرفة يقول " كفى يا أمي ..هيا "

مسحت الخالة أنجيل دموعها واستقامت بصعوبة تتعكز على عصاها وعلى ميري فساعدها أمير على الخروج لتقول ميري " هل أستطيع أن أبقى معه لدقائق ؟".

أومأ لها أمير برأسه وخرج هو وأمه وأغلق الباب.

شعر وائل برجفة حين علم بوجود ميري فسألته مريم بفضول " أين أنجيل الصغيرة أليست معها ؟"

فأشار لها بكتفيه بلا أعرف .

اقتربت ميري من سرير أبيها متماسكة حتى لا تبكي .. وطبعت قبلة على جبينه .. فارتعش وائل تأثرا

Des. Maryam Tamim

ثم سمعها تقول بتردد " أبي .. وعدتني أنك ستكون معي اذا ما اختاروني لأمثل البلد في المونديال .. ولقد تدربت أكثر بعشر أضعاف حتى أكون لائقة .. لأني أثق في أنك لن تخلف وعدك يا أبي .. أليس كذلك ".

فرك وائل جبينه يقاوم التأثر .. يشعر بتمزق في قلبه .. فاقتربت منه مريم ليبعدها بخشونة بينما قالت ميري بلهجة ساخرة " ابنتك رقيقة المشاعر أنجيل لم تأتي .. إنها تبكي كثيرا بسبب حالتك وترفض أن تراك بهذا الشكل .. (وتصنعت المرح) المجنونة أعطتني رسالة مكتوبة لك هل تصدق !! .. يبدو أنها قد فقدت عقلها بسبب تلك الأفلام الرومانسية التي تشاهدها.. لقد أعطتني تلك الهبلاء خطابا ووضعته داخل ظرف وطلبت مني أن أضعه بجانبك .. ولأني وعدتها فأنا مضطرة لأن أنفذ هذا الهراء .. سأضعه هنا تحت مرتبة السرير (ترددت قليلا ثم قالت) .. هل أقرأوه عليك ؟ ... لا

Des. Maryam Tamim

لا .. لو كانت تريد مني أن أقرأه عليك لطلبت مني صراحة .. سأضعه هنا تحت مرتبة السرير يا أبي أو .. (ترددت مرة أخرى تفكر في مكان ثم قالت) سأضعه في هذا الدولاب الصغير تحت متعلقاتك .. (وتحشرج صوتها وهي تقول) .. أتمنى أن تستيقظ قريبا يا أبي حتى تقرأه " .

اقتربت منه مجددا وطبعت قبله رقيقة على خده .. فسقطت دمعة ساخنة من عينها أحرقت جبينه قبل أن تخرج مسرعة تمسح دموعها.. وتتظاهر بالتماسك .. ليقول أمير "هيا يا أمي لقد تعبت اليوم "

فردت أمه " قبل أن أعود للبيت .. هناك شخص لابد أن أزوره بشكل عاجل ."

***

عادت آية إلى البيت قبيل الظهيرة تتراقص من السعادة .. لم تترك شخصاً لم تتصل به لتسأله إن كان قد سمعها في الراديو أم لا .. بعد تلك الرسائل

Des. Maryam Tamim

التي أرسلتها على الواتساب والفيسبوك ..
فاستقبلتها إلهام مرحبة .. لتحتضنها آية وتمطرها بالقبلات بينما إلهام تضحك ..

بعد قليل انتهزت إلهام الفرصة بأن مزاجها معتدل ودخلت عليها الغرفة تقول بتردد " يويا .. أريد أن أخبرك بموضوع .. واسمعيني حتى النهاية ولا تقاطعيني " .

توجست آية من اللهجة التي تتحدث بها والدتها فتركت اللوحات التي كانت ترسم عليها وانتبهت لتقول إلهام " هل تذكرين خالتك فائزة ؟".

حركت آية مقلتيها يمينا ويسارا ثم أومأت برأسها بنعم .. فسحبت إلهام نفساً عميقا وقالت " إن ابن أختها يبحث عن عروس ولقد أتصلت بي أمس وأخبرتني أنها ستأتي لزيارتنا ومعها ضيوف "

Des. Maryam Tamim

ردت آية بسرعة " آسفة لا أفكر في الزواج حاليا"
قالت أمها بصبر " الشاب ممتاز .. والدك يعرف والده وأخبرني أنهم عائلة كبيرة وأن سمعة الشاب طيبة .. "
قالت آية بحزم " لست مهتمة بالزواج يا أمي"
ردت إلهام بعصبية " لم أكمل كلامي فلا تقاطعيني"
.
تنهدت آية وتكتفت بينما أضافت إلهام " الشاب عائد من ألمانيا من وقت قصير بعد أن نال شهادة الدكتوراه رغم أنه مازال في الثلاثين من عمره .. وعائلته في مستوى مادي ممتاز أي أنه شابا لا يعيبه شيء فلمَ لا تقابلينه ثم تقررين؟ "

ردت آية ببرود " قلت لا أفكر في الزواج "
قالت إلهام بعصبية " اجلسي معه أولا .. ثم ارفضيه لكن رفض دون مقابلة أمر غير منطقي .. ربما ... "

Des. Maryam Tamim

قاطعتها آية تقول بإصرار " آسفة يا أمي لكني أرفض مقابلته "

صاحت إلهام" ستقابلينه لا مفر من ذلك .. إن فائزة اتصلت وأخبرتني بأنهم سيحضرون غدا ومن غير اللائق أن اتحجج لها بأي حجة لعدم مجيئهم حتى إن كنا غير موافقين .. قابليه وبعدها أبلغينا برأيك ".

قالت آية بإصرار " رأيي بأنه مرفوض "

ردت إلهام بغيظ " اقول لك الشاب وأمه وفائزة سيأتون لا نستطيع أن نرفض علينا أن نقابلهم ونرحب بهم في بيتنا وبعدها إذا ما تحدثوا في أمر الزواج نخبرهم برأينا ".

أشاحت آية بوجهها تقول " إذن قابلوهم أنتم" .

جزت إلهام على أسنانها ثم سحبت نفسا عميقا وقالت بهدوء " اسمعي يا أية وأنصتي جيدا .. أنا لا

Des. Maryam Tamim

أقبل بالاعوجاج .. لابد أن تفكري في مستقبلك وتساعدي نفسك على التغلب على تأثرك بسيد"

جحظت عينا آية بذهول وقالت " ماذا تقصدين ؟"

أجابت إلهام بجدية تداري قلبها المتألم " أعرف ما حدث بينك وبين سيد .. وهذه ليست نهاية الكون حبيبتي .. أنت مازلت صغيرة والحياة أمامك "

اضطربت آية وازادت ضربات قلبها تسألها" من أخبرك ؟؟؟"

ردت إلهام بجدية " لا يهم .. المهم كما يحاول هو الابتعاد بجدية حتى أنه قرر السفر عليك أنت أيضا الالتفات لمستقبلك وإعطاء نفسك الفرصة لأن تقابلي شبابا أخرين .. فالكون لم يقتصر على سيد فقط .. أنا لا أطلب منك أن تتزوجي شخصا لا تحبينه لكن لا تغلقي باب الخاطبين ".

Des. Maryam Tamim

لم تستوعب آية حرفا من بعد كلمة (السفر)
ووقفت ذاهلة تسترجع الكلمة في ذهنها ومعناها
وتحاول الاستيعاب ثم سألت أمها بذهول " من
قرر أن يسافر ؟"
قالت أمها " سيد قرر أن يسافر حتى لا يظلم
زوجته أكثر من ذلك "
ازدادت ضربات قلب آية بجنون ورددت بخفوت
"يسافر !!"
قالت إلهام" اسمعيني بنيتي .. إياك وبناء سعادتك
على هدم بيت آخر .. "
ردت آية بسرعة مدافعة " أنا لم أفعل .. ولم أطلب
منه شيئا .. وتقبلت قدري صامتة .. وابتلعت
وجعي وقهري وحرقة قلبي وأتظاهر بأن كل شيء
على ما يرم .. ألا يكفي هذا !!".

ردت إلهام " لكنك لا تساعدين نفسك على التغلب
على الأمر حبيبتي .. أنا أكررها لك .. لست مطالبة

Des. Maryam Tamim

بالارتباط بشاب لا تحبينه لكن لا تغلقي الأبواب أمام التعرف على شباب آخرين .. لا ترفضي الخاطبين قبل مقابلتهم " .

جلست آية تحاول الاستيعاب مجددا .. ودفنت رأسها بين كفيها تردد بخفوت " سيسافر .. سيد سيسافر .. قرر السفر ".
ارتجف قلب إلهام شفقة على صغيرتها فجلست بجوارها وأخذت برأسها في حضنها تربت عليها وتهدهدها وهي تقول " حسنا يا حبيبة أمك لن أضغط عليك .. نحن فقط مضطرون لمقابلة فائزة وضيوفها .. لكن ليس عليك أنت مقابلتهم .. وسأبلغهم بأي عذر.. رغم أن الأمر سيكون محرجا لي ولأبيك .. ألطف بنا يا رب "
لم ترد آية كانت متسعة العنين على صدر والدتها تحدق في الفراغ وتردد بهمس " سيسافر "
***

Des. Maryam Tamim

قالت عفاف وهي راقدة في سريرها " سامحيني على استقبالك في السرير يا أم وائل .. فلم تعد صحتي كالسابق ".

تكلمت أنجيل المستندة على عصاها جالسة على المقد الوثير " شفاك الله وعافاك يا عفاف .. ولهذا جئت لزيارتك " .

قالت عفاف بحرج " لم يكن هناك داع لأن تجهدي نفسك يا أبلة .. فأنا أعلم أي ظروف عصيبة تمرين بها .. وأدعو الله أن يشفي ابنك ويرده إليك بإذن الله ".

ردت أنجيل بلهجة موبخة " وما دمت تعرفين ظروفي يا عفاف ألم تتعظي منها .. "

قالت عفاف بلهجة بائسة " ماذا فعلت أنا يا أبلة ماذا فعلت ؟"

قالت أنجيل باستنكار " أتسأليني ماذا فعلت ؟؟.. أخبريني .. ما هذه الرقدة التي ترقدينها ولمَ؟ ..

Des. Maryam Tamim

أنظري لحالي ولسني ولما لدي من هموم وأنظري لنفسك وما تفعلين!! .."

أطرقت عفاف برأسها في حرج وشددت من الغطاء حولها بحركة دفاعية بينما أكملت أنجيل بلهجة موبخة " ألم تتعظي مما يحدث مع إبني؟ .. ألم تعاصري بنفسك ما حدث مع وائل وتابعات ذلك ؟.. هل ترغبين في رؤية ابنك في مصحة نفسية لا قدر الله .. هل ستحبين أن تعيشي باقي عمرك حزينة على شبابه الذي يتسرب من بين أصابعه وهو غير قادر على الشعور بالسعادة .. مرتعبة أن يأتوك بخبر مفجع يخصه .. مقهورة على حاله وكل ما يلم به ..

ألا تدركين حجم مصابي والأطباء يخبروننا أن نسبة استفاقة المرضى من الغيبوبة ضعيفة .. هل تدركين معنى أن يخبرك الأطباء أن جسده لن يتحمل مع مرور الوقت هذا الوضع وسيستسلم يوما ما .. "

[3697]

شددت عفاف من الغطاء متألمة لحال أنجيل وابنها وشاعرة بالحرج منها فهي تكبرها بحوالي ثلاثة عشرة عاما ومع هذا ترفض الرقاد رغم ما تعانيه بينما أستمرت أنجيل في كلامها " هل تدركين الشعور بأنك على استعداد لدفع كل ما تملكين من أموال راضية أن ينتهي بك الحال في كوخ خشبي صغير تحت كوبري قديم في مقابل أن يستيقظ ابنك من غيبوبته ويتحدث إليك .."

ساد الصمت لدقائق وكلتاهما تحدق في الأخرى فأكملت أنجيل بلهجة متأثرة " أتعلمين ما هو أصعب شيء .. أن يموت ابنك وأنت على قيد الحياة .. ألا يؤثر فيك كل هذا يا عفاف !!"

شعرت عفاف بالحرج فردت مدافعة " أبلة أنا .. أنا أشعر بالظلم .. أن أربيه وأعلمه وأعيش من أجله

Des. Maryam Tamim

وتأتي فتاة أخرى تحتل قلبه بمنتهى السهولة وتشاركني فيه " ..
ضربت أنجيل خشب السرير بعصاها فانتفضت عفاف مجفلة بينما قالت أنجيل بعصبية " أيهما أهم عندك؟ .. سعادتك أم سعادته .. إن سعادته مع هذه الفتاة لمَ تكسرين قلبه؟"

صاحت عفاف بقهر " أنا سأموت قريبا بينما هي ستحظى بوجوده سنينا طويلة" .
ضربت أنجيل على خشب السرير بعصاها مرة أخرى صائحة " وهل تعلمين من سيموت قبل من؟؟؟ .. انظري لوائل يا امرأة هل لديك فصام؟!!"
أسرعت عفاف بالقول " بعيد الشر عنه وعن وائل وعن أبنائنا جميعا .. (وصمتت قليلا ثم تكلمت بشرود) الأمر خارج عن إرادتي والله .. أحيانا تنتابني رغبة شديدة في ألا أسمح له حتى بالذهاب

Des. Maryam Tamim

للعمل .. أرغب في أن يظل أمامي وبجانبي أطعمه وأملأ عيني برؤياه دون أن أمِل .. ولا أتخيل كيف سيأتي علي اليوم وأموت وأتركه ".

ردت عليها أنجيل بلهجة ذات مغزى " احمدي ربك أنك لا تتمنين لو يستيقظ ويضحك ويعيش بسعادة حتى لو سيكون في آخر الأرض وأنت بعيده عنه ممتنة فقط لأنه على قيد الحياة"

قالت عفاف بغيظ تحاول التبرير " أنا لا أعرف متى وكيف استطاعت أن تستولي على قلبه .. أنا أمه وأعلم جيدا من نظرة عينه ماذا تعني هي بالنسبة له .. إنه على استعداد لأن يقبِّل قدميها الكسيحتين " اتسعت عينا أنجيل وقالت باستنكار " أمرك غريب والله .. أتعترفين بأنك تعلمين ماذا تعني أروى له ومع هذا تحرقين قلبه بكل قسوة أي أم أنت "!!!؟؟؟

Des. Maryam Tamim

صاحت عفاف منفعلة " لا توجد أم تحب ابنها مثلي "

ضربت أنجيل على خشب السرير بعصاها وردت بغيظ " كلنا نحب أبنائنا يا عفاف .. أفيقي من هذا الوهم .. كلنا نحب أبنائنا لكن الفارق في أولوياتنا .. هل سعادتهم تأتي أولا أم سعادتنا "

صدمت عفاف من كلامها وصمتت قليلا تفكر في عبارتها (سعادتهم تأتي أولا أم سعادتنا) لتقطع أنجيل الصمت بضربه أخرى موبخة من عصاها على السرير قائلة باستنكار " ولا أفهم لمَ تغارين من حبه لزوجته .. ألم تغترفي أنت من حب الشيخ الكثير والكثير .. أخبريني "

اغرورقت عينا عفاف بالدموع وتمتمت بحزن " وهل يعوض الشيخ عبد الرحمن .. لقد كان أبي وزوجي وحبيبي وقرة عيني .. عوضني به الله بعد أعوام من اليتم .. دللني رحمه الله كما لو كنت ابنته

Des. Maryam Tamim

.. وأحبني حبا لم أتخيل يوما أني قد أحصل عليه من مخلوق" .

أكملت أنجيل موبخة " ومع هذا لم تحمدي ربك على ما أعطاك .. هناك آلاف الزوجات يتزوجن ولا يجدن من أزواجهن ولو جزءا مما كان يفعله معك الشيخ (وأكملت وهي تنهت من المجهود) كما أني لا أفهمك.. ما علاقة حب أبنك لأروى بحبه لك .. أنت أمه وهي زوجته .. الشعوران مختلفان هل جننت ولديك خلطا في المشاعر وتغارين يا امرأة "!!

أوضحت عفاف بغل " لا أقصد ذلك .. أقصد أني سأموت قريبا وستشبع به هي كما تريد "

ردت أنجيل بخفوت باكي " وهل بعد كسرة القلب سعادة ؟!!.. أنظري لم حدث لوائل وأفيقي يا عفاف .. ليتني أملك آلة الزمن فأعود بالساعة أربعة عشرة سنة للوراء فأقف بحزم أكثر أمام مجدي رحمه الله وأمنعه من فرض أمر زواج وائل

Des. Maryam Tamim

من ماجدة .. ليتني كنت طردت تلك الأفعى التي لا أريد حتى أن أذكر أسمها على لساني أم ماجدة من بيتي .. حتى لو اضطررت لهجر مجدي وأخذ أولادي بعيدا اذا ما أصر على تلك الزيجة .. ليتني لم استهين بالأمر وأتخيل أن وائل يحب ماجدة منذ صغره لكنه عاند والده وجُرحت كرامته من فرض أمر الزواج عليه .. (تدفقت الدموع من عينها فأشفقت عليها عفاف لتكمل أنجيل) صدقيني أقول كلمة (يا ليتني) كل يوم على مدي اربعة عشر سنة لكن الوقت لم يطيب أي جراح .. إنه نفس الوقت الذي أريد أن استرجعه لأصحح خطأ ما حدث في الماضي .. ونفس الوقت الذي تراهنين عليه بأنك ذاهبة وأنه يملك عمرا طويلا من بعدك سيعيشه مع زوجته .. هذا إن بقيت زوجته ولم تتطلق منه كما سمعت"

ردت عفاف ساخرة " وأين ستجد ابنة إلهام عريسا آخر يرضى بحالها "

Des. Maryam Tamim

صاحت أنجيل باستنكار " ابنة إلهام !! أمازلت تغارين من إلهام !!!!.. أمازال ذلك التنافس القديم في بلدتكم مترسخا في قلبك؟!!"

شعرت عفاف بالحرج فهتفت صارخة " ليس في قلبي شيئا .. وهي لا تهمني البتة .. المهم أن تبتعد عن إبني .. وحيدي الذي لم أستطع أن أنجب غيره وهي ما شاء الله لديها ولد وبنتان "

حدقت فيها أنجيل بذهول تحاول استيعاب كلامها ثم قالت " وأنا أيضا مثلك ..تعذبت في إنجاب أولادي .. أنجبت بعد سبعة عشر عاما من الانتظار .. سبعة عشرة عاما اشتاق للإنجاب وأصلي لرب السماوات وأنا أشتاق لظفر طفل .. وأكرمني الله في سن الخامسة والثلاثين بوائل .. وشكرت النعمة ولم أجرؤ على طلب المزيد .. ليكرمني بأمير في سن التاسعة والأربعين .. وتعلمين كيف كانت صدمتنا

Des. Maryam Tamim

وفرحتنا أن أحمل مرة أخرى في هذا العمر ..لأفجع بعدها بحال وائل وما حدث له في عمر الشباب ..
ومع هذا لم أفعل ما تفعلينه أبدا "
أشاحت عفاف بوجهها وردت ببرود " أعلم بكل هذه التفاصيل يا أبلة ألم أكن وسطكم !".

ردت أنجيل " ومع هذا لم تتعظي .. وتعيشين دور المرأة المحرومة .. لمَ لم تشكري لأروى أنها لم تخير زوجها بينك وبينها وقررت الانسحاب !! ..(وتغير صوتها لتقول بتأثر) قلبي يؤلمني على هذا الولد .. صدقا قلبي يؤلمني عليه .. كل الآباء والأمهات يحملون هموم أبنائهم حتى الممات وهو المسكين يحملك هما فوق ظهره بمفرده .."
هتفت عفاف باستنكار " أنا هماً !! .. أنا أمه .."
حدقت فيها أنجيل قليلا وشعرت بتشويش في الرؤية ثم ردت بغيظ " أنت أمه لكنك لست إلها منزلا من السماء عليه أن يعبده ...هل أتيت به

Des. Maryam Tamim

لهذه الحياة لتذليه بهذا الفضل .. ملايين النساء ينجبن .. وملايين أخرى مهما عملن لم يستطعن إنجاب إصبع .. استيقظي يا عفاف .. الفضل كله لرب السماوات .. الفضل في إنجابك له لله .. الفضل في أنه سليما معافى لله .. الفضل في أنك وفقت في تربيته ويبرك ويتحملك حتى الآن لله .. الفضل في أنك تحملت من أجله كما تدعين لله .. (وأنهت كلامها تقول) أدعو الله ألا يفقد هذا الولد أعصابه يوما ويسافر تاركا البلد كلها لك .. فالضغط يولد الانفجار "

حدقت عفاف فيها باتساع عينيها تهمس في سرها " يسافر !! "

بينما استقامت أنجيل تتوكأ على عصاها بصعوبة وهي تقول بغيظ " أنا راحلة .. أشعر بأنني على وشك الإصابة بنوبة سكر.."

Des. Maryam Tamim

قفزت عفاف من السرير بسرعة تساعدها وتقول " ألم تقولي أن أمير سيمر عليك بعد ساعة .. لم تنتهي الساعة بعد " .

قالت لها أنجيل من بين أسنانها " أنا لن أتحملك أكثر من ذلك .. وأعلمي أني لن أدخل لك بيتا ولن تدخلي لي بيتا إن لم تعود أروى لبيتها ولزوجها "

ابتلعت عفاف ريقها وقالت بتأثر " أتقولين هذا بعد كل هذا العمر بيننا يا ابلة !! "

ردت أنجيل بحزم " تعلمين أني لا أطيق الظلم .. حين تعودين عفاف التي عرفتها يوما والتي عرفها الشيخ عبد الرحمن وأنا أكيدة أنه لم يكن ليرضى بما يحدث مع ولده المسكين .. حينها نتحدث .. "

تحركت بصعوبة فصاحت عفاف تقول " الحقي بها يا صابرين ولا تتركيها إلا في بيتها "

***

Des. Maryam Tamim

وقفت في غرفتها تتفتت من العصبية وهي تتصل بسيد الذي ابتسم حين رأى رقمها الذي يحفظه كتاريخ ميلاده ليهمس لنفسه " اتصالان في يوم واحد .. ما هذا اليوم الجميل ! (ثم رد على الهاتف) نعم آية "

قالت بهدوء رغم الحريق الذي يأكل قلبها " هل قررت السفر فعلا.. أنت وجميلة الجميلات ؟"

تفاجأ بسؤالها الذي لم يتوقعه فسألها" من أخبرك؟؟"

ردت بلهجة مستنكرة " هل المشكلة فيمن أخبرني أم فيم أخبروني به ! "

ابتلع ريقه وصمت يفرك في جبينه يود لو يصرخ ويخبرها أنه غير قادر على الابتعاد .. فراقبت آية أنفاسه العالية عبر الهاتف وتأكدت من صدق الحديث ليقول سيد بعد ثوان " أنا لن أقوم بهذه الخطوة الآن سأطمئن على وائل أولا " .

[3708]

صرخت فجأة " إذن لقد قررت السفر فعلا!! .."

ساد الصمت بينهما يحاول أن يتحكم فيما يتوسل قلبه بأن يخبرها .. بينما وقفت هي تفكر على الجانب الآخر من الهاتف وتهز في ساقها .. وحين لم تجد ردا قطعت الصمت لتقول بهدوء " جميل .. رائع ... أتمنى لك التوفيق يا سيد صبرة"
وأغلقت الخط ..

تفاجأ سيد بإغلاقها للخط فشتم وحاول الاتصال بها مجددا فلم ترد .. فاتصل بأحمد يقول " من أخبر آية؟ " .
رد عليه أحمد بصوت مرهق " أخبرها بماذا"
قال سيد من بين أسنانه " بأني أنوي السفر ".

Des. Maryam Tamim

صمت أحمد قليلا ثم قال " لا أعلم من أخبرها أنا كما تعلم خارج العاصمة لعدة أيام .. هل حدث شيء .. ؟"

قال سيد متألما " علمت بالأمر واتصلت بي لتتأكد ثم أغلقت الهاتف غاضبة .. أنا قلق عليها يا أحمد"

صاح أحمد بعصبية "ولمَ تتصل بك ؟؟!! ولم ترد عليها أنت ؟؟!! "

هدر سيد منفعلا " هل هذا كل ما يهمك ؟؟!! .. ولا يهمك أنها تتألم وقد تقدم على شيء مجنون يضرها؟"

أغلق أحمد الخط فجأة .. فشتم سيد مجددا وحاول الاتصال بها كثيرا لكنها لم ترد .

بينما اتصل أحمد بآية التي كانت تقف في وسط غرفتها تحدق في الهاتف ورقم سيد المستمر في الاتصال .. والدموع تنهمر من عينيها في صمت رغم أنها لم تكن تبكي ..

Des. Maryam Tamim

حين ظهر اسم أحمد على الهاتف ردت تقول بجفاء
" نعم " .
أتاها صوته صارخا " لمَ اتصلت بسيد ؟؟ "
ابتسمت بينما الدموع تغرق وجهها وقالت ساخرة
" هل اتصل بك ليخبرك بأني قد أتصلت به !! ..
عموما بلغه اعتذاري عن إزعاجه فلن أكررها "

هدر أحمد يقول " أبلغه بماذا !!!! .. هل عدنا
للضعف يا آية !! هل عدت للاتصال به "
ردت بجمود لا تقلق " سأقوم بما يتوجب عليّ
القيام به لمنع هذا الضعف مجددا .. سلام "
وأغلقت الخط ..
لمع الجنون في عين أحمد وهو ينظر للهاتف وقال
باستنكار " هل أغلقت الخط في وجهي !! .. (
وأكمل بلهجة متوعدة) ستندم على هذا"

Des. Maryam Tamim

بينما مسحت آية دموعها في كبرياء وخرجت لأمها تسألها " متى يحين موعد خالتي فائزة وضيوفها؟"

** *

في اليوم التالي :

دخلت مصعد المبني الذي تقع فيه شقتها تشعر بالتوتر .. لقد باتت تتحرك في خوف .. تذهب وتجئ في رعب بسبب ذلك المختل سامي الذي لا يكف عن إرسال رسائل تهديد لها تارة وغرام تارة أخرى .. ويخبرها أنه لابد أن يقابلها ليريها شيء .. لقد أصبحت تتجنب العودة مساء وتفضل الصباح خوفا من أن يظهر أمامها ذلك المجنون في جوف الليل ..

لا تعرف لمن تلجأ .. وتخاف من الفضيحة .. تخاف أن يسيئوا الظن بها .. وتخشى إذا ما لجأت للشرطة أن ينتشر الخبر وتعرفه البنات .. لا تريد أن تسيئ لسمعتهم .. خاصة أن ميري التي على وشك



أن تُختار ضمن الممثلين للبلاد في الأولمبياد وهذا حدث ليس بالهين .. فالفتاة تبذل مجهودا كبيرا من أجل أن يتم اختيارها معتقدة أنها بذلك ستفرح والدها .. ومن ناحية أخرى تخشى على صحة الخالة أنجيل ففيها ما يكفيها تلك المرأة الصامدة حتى الآن .. ولا تريد أن تورط أمير العريس الجديد في مشاكل مع هذا المجنون سامي خاصة وأن أمير مثل وائل يتجنب النزاعات والمشاكل ..

أما اصدقاء وائل فترددت كثيرا هل تخبرهم أم لا .. إنها تخشى أن تتسبب في مشكلة كبيرة .. تخشى أن يتهور سيد بضربه أو بقتله في لحظة انفعال فهي باتت تعلم أنهم لن يتهاونوا فيم يخص وائل وتخشى من تعقد الأمر ..

لمن تلجأ ؟..

ماذا تفعل ؟!..

فُتح باب المصعد لتجده ينتظرها بوقفة مسترخية بجانب باب الشقة .. فازدادت ضربات قلبها لكنها

لبست وجهها الجليدي لتقول بحدة " ماذا تريد ؟ ألن تكف عن ملاحقتي وعن إرسال تلك الرسائل!!"..

اقترب منها يهمس بأنفاس ساخنة " اشتقت لك .. اشتقت لك حبيبتي .. أسف أني غبت عنك لقد اضطررت للسفر خارج المدينة لحل مشكلة بالعمل وعدت لأحضر أوراقا وسأعود مرة أخرى لكني لن أتأخر "

ابتعدت عنه تداري ارتجافها وهي تقول" أنت لم تترك لي مجالا سوى أن أبلغ الشرطة "

علا صوته فجأة يقول بلهجة باستنكار" ماجدة .. ما بك؟.. هل ستبلغين الشرطة عني؟؟!!!"

قالت تداري شعورها بالخوف" أجل .. ليس أمامي سوى ذلك .. أنت لا تعلم إن أبلغت أصدقاء وائل ماذا سيفعلون بك .. صدقني ستقع جريمة بكل تأكيد"

Des. Maryam Tamim

أطرق برأسه في حزن يقول بلهجة متأثرة " وهل استحق هذا منك يا ماجدة؟؟!! .."

اتسعت عيناها وهي تتأمله .. إنه مجنون بالتأكيد لترد موضحة " سامي .. أنا لا أحبك .. ولم أحبك في يوم من الأيام .. وكل ما في رأسك هذا مجرد وهم .. وأكررها لك .. ليس لأننا تشاركنا نفس المعاناة ونحن صغارا يعني أن كان بيننا علاقة غرامية .. لم يحدث أبدا أن جمع بيني وبينك أي شيء يدل على أننا كنا نتبادل أي مشاعر أنت كنت فقط ابن خالي "

رد بصوت متأثر" لطالما أحببتك في صمت .. ولم أكن قادرا على البوح لأني كنت فقيرا معدما لكن الآن (وأخرج من جيبه حافظة نقوده فبدت معبأة بمبلغ كبير بشكل مبالغ ودفتر شيكات ليكمل) كل الأموال التي أملكها ملكك .. سأكتب لك أي مبلغ تطلبينه .. لك وحدك سيكون مهرك يا ماجدة

Des. Maryam Tamim

مهرك وستعيشين أنت معي في أحسن حال (وأخرج قلما وبدأ يكتب في دفتر الشيكات وسألها) كم تريدين أن يكون مهرك أخبريني ؟"

صاحت تقول " أي جنون هذا الذي تقوله .. أنا امرأة متزوجة يا مجنون !!.. وحتى لو كنت غير..... "

قاطعها بسرعة يقول وهو يقترب منها " سيموت قريبا وسنعيش سويا أنا وأنت .. أنا متفائل "

ضربته في صدره تبعده وهي تقول من بين أسنانها "اذهب من هنا فورا .. ومن هذه اللحظة لا تلومن إلا نفسك .. فأنت لم تترك لي مجالا .. ستندم على التعرض لي يا سامي .. أؤكد لك أنك ستندم ".

اقترب مجددا يخرج ظرفا من جيب سترته الداخلي ويقول بتهديد "أنت أيضا لم تتركي لي مجالا .. لم تشفع لي مشاعري عندك .. ولا حتى أموالي التي

Des. Maryam Tamim

وضعتها بين يديك .. (ومد يده بالظرف) أنظري لهذا .."

نظرت بشك للظرف المتوسط الحجم وقالت" لا أريد أن أرى شيئا واذهب من هنا ".

أمسك بمرفقها بعنف يقول بعينين مشتعلتين" أنت من تضطريني لأفعل هذا معك .. ما دمت قاسية القلب بهذا الشكل .. ما يوجد في هذا الظرف سيجعلك تتمنين رضائي .. وتذكري أني لم أكن أنوي أن أؤذيك به .. لكنك من اضطرتني لذلك سأعود يوم الجمعة صباحا من السفر وعلينا أن نلتقي "

دفعته ماجدة لكنه كان قويا ممسكا بمرفقها وهو يلوح بالظرف الذي لم تعرف عما يحتوي لكنها شعرت بالخطر فقالت وهي تنهت "سأصرخ وسينقلب المبنى كله" .

Des. Maryam Tamim

اتسعت ابتسامته وهو يقول " لا مانع عندي ..
لكن أليس من الحكمة أن تنتظري لتكتشفي ما في داخل الظرف أولا ".
دفعته بقوة تقول " لا أريد أن أرى شيئا فهو بالتأكيد قذر مثلك ".
أدخلت المفتاح في الباب وفتحت باب شقتها لتدخل بسرعة وتغلق الباب وهي ترتعش ..
تعترف أنها جبانة .. جبانة .. خافت أن ترى ما في الظرف رغم أنها لم تستطع التخمين عما يمكن أن يكون بداخله ..
لكن شعورها يخبرها أن مجرد فتحه هو بمثابة فتح أبواب الجحيم عليها .
ضربات سامي على الباب بعنف جعلها تصرخ بقوة"
قلت اذهب من هنا... اذهب فورا .. سأصرخ وأنادي كل من في المبنى ".

Des. Maryam Tamim

جاء صوته من وراء الباب " حسنا سأترك لك الظرف أمام الباب .. وأتمنى ألا يقع في يد أحد غيرك.. وإلا لا تلومين إلا نفسك .. (صمت قليلا فظننته قد رحل لكنه عاود الحديث) إن لم تتصلي بي خلال ساعة فاعلمي أن ما بداخل الظرف سيكون منتشرا في كل مكان على الانترنت .. مازال عندي أمل أنك ستتعقلين وتتصرفين كماجدة التي تحبني وأحبها .. وأعلمي أنني لم أفعل ذلك بك إلا لمصلحتنا نحن الاثنان "

سمعت هذه المرة صوت باب المصعد فجلست على أقرب كرسي تحضن نفسها وترتجف .. تحاول أن تجبر ذهنها المشوش على تحديد ماذا ستفعل ولمن ستلجأ ..
هل الخالة أنجيل ستستطيع أن تفعل شيئا؟
"يا الله لا تريد اثارة المشاكل خاصة والبنات في هذه الظروف النفسية السيئة .. "

Des. Maryam Tamim

ظلت للحظات غير قادرة على الوقوف تشعر بشلل في قدميها تريد أن تذهب لترى عم يحتوي الظرف لكنها لم تكن قادرة على القيام .

بعد دقائق سمعت صوت المصعد من جديد فتسارعت أنفاسها في اضطراب تتساءل هل عاد؟.. هل غير رأيه وسيأخذ الظرف وينشر ما فيه على شبكة الانترنت ؟!.
حركة المفتاح في الباب اجفلتها فقالت مرتعبة" من؟؟"
دخلت ميري وأنجيل الصغيرة وعلى وجهيهما علامات الاستفهام لتقول انجيل بدهشة "ما بك يا أمي هل أنت بخير؟.. إن وجهك شاحب جدا "

كانت نظرات ماجدة مركزة على الظرف الذي تحمله ميري والذي بدأت تتفحصه باهتمام

Des. Maryam Tamim

فاستقامت ماجدة بسرعة تخطف منها الظرف وقالت " لم أتيتما ؟"
ردت أنجيل " لنطمئن عليك لقد افتقدناك (وأسرعت تقول) نعرف أنك متعبة اذهبي إلى غرفتك وسأحضر لك بعض الطعام" .

لم تستجب ماجدة لما قالت أنجيل الصغيرة وتحركت بذهن مشغول مرتعب بيدها الظرف نحو غرفتها ..

في الغرفة فتحته بيد مرتعشة لتشهق بعدها وتضع يدها على فمها تكتم صرخة ملحة وقد جحظت عيناها ..بينما وقع منها الظرف وتبعثرت محتوياته على الأرض .
تسمرت مكانها قليلا في جمود ثم جلست على كعبيها لتتأكد مما ترى وهي تشعر بأنها على وشك الإصابة بنوبة قلبية .

Des. Maryam Tamim

بعد دقيقة كانت تندفع كالطلقة خارجة من غرفتها
تنادي على أنجيل التي تطلعت إليها مندهشة
لتقول ماجدة "لمن بعثت صورك ؟"
ارتبكت انجيل وتلعثمت تقول" ما .. ماذا تقصدين
.. لا أفهم "
صرخت ماجدة تقول بغضب مكبوت " لمن
أرسلت صورك ؟ .. مع من تقابلت؟ .. أين
ذهبت؟؟ .. من يملك صور لك ؟ .. أنطقي "

نظرت انجيل لميري الجاحظة العينين والتي تراقب
المشهد بتوتر وفركت يديها بارتباك تقول " لم ..
لم أرسل صوري لأحد ".
صرخت فيها ماجدة بهيستريا " انطقي يا أنجيل"
تدخلت ميري تقول بهدوء " إهدئي يا أمي .. لا أظن
أنها تقابل أحد .. تكلمي يا أنجيل قولي الحقيقة ..
أنا اشك أنك تتحدثين مع أحد على الانترنت "

Des. Maryam Tamim

انكمشت أنجيل في حرج وقالت بارتباك" إنه.. إنه صديقي مايكل"

سقط الظرف من يد ماجدة التي اندفعت نحوها تصرخ في هيستيريا وتضربها بكفوفها دون وعي " مَن مايكل ؟.. منذ متى ونحن نراسل الشباب ؟ .. ونرسل لهم صورنا ؟ .. منذ متى نصاحب الشباب ؟ "

وقعت أنجيل على الاريكة خلفها تحاول تحاشي كفوف أمها التي انهالت عليها في لحظة انهيار ورعب وغضب .. بينما ميري وقفت فاقدة للنطق وهي تنظر مذهولة للصور التي افترشت الأرض.

قالت انجيل " اهدئي يا أمي إنها مجرد ثلاث صور عادية "

أمسكت ميري صورة منهم تلطم على وجهها وتكتم صرخة وهي تتمتم " يا رب السماوات ! "

Des. Maryam Tamim

فتنبهت أنجيل بينما انحنت ماجدة وسط هسترتها وقبضت على بعض الصور تمدها إليها وتصيح بانفعال " هل هذه ثلاث صور .. أنظري جيدا ماذا فعلت .. واي وقح تراسلين"

وألقت الصور في وجهها لتطير في الهواء حول أنجيل وتستقر مجدد على الأرض .

هبطت انجيل على أربع تنظر للصور بذهول .. وهي تردد بصوت خافت " لم يحدث .. لم يحدث .. ما هذا؟ .. من فعل هذا؟ .. لم يحدث .."

كانت صورا لها عارية في أوضاع مخلة وقذرة ومعها بعض الرجال .

رفعت أنجيل وجهها لأمها ولأختها تقول بهمس ذاهل ومقلتين مرتعشتين " أنا أرسلت له ثلاث صور فقط .. صورا عادية لي ولا أعرف ما هذا"

Des. Maryam Tamim

انقضت عليها ماجدة في نوبة انهيار جديدة تضربها بكفوفها في أي منطقة تطالها من جسدها بهستيريا .. بينما أنجيل تنظر متجمدة ذاهلة دون أن ترمش للصور المبعثرة على الأرض وبصمات الكفوف والدموع على وجهها حتى تدخلت ميري أخيرا بعد أن تماسكت من وقع الصدمة .. تمسك بأمها التي استمرت في هسترتها تضرب أنجيل بضياع وقلة حيلة ممزوجة بالغضب وهي تردد " انفضحنا .. انفضحنا "

سحبتها ميري بقوة بعيدا عن أنجيل التي تحولت لتمثال شمع مكدوم الوجه وهي مازالت تحدق في الصور بينما قالت ميري وهي تبعد أمها" الصور مركبة يا أمي .. التركيب واضح جدا " .

بعد مجهود وقوة من ميري ابتعدت ماجدة عن أنجيل ورفعت وجهها المغرق بالدموع للسماء

Des. Maryam Tamim

تقول" أي ذنب اقترفت يا ربنا لأستحق كل هذا .. أي ذنب "
ثم دفنت وجهها في كفيها وانفجرت في البكاء .
***

نظر فادي ورد لآية المتجهمة الوجه منذ أن دخلت الاستوديو هذا الصباح وقال لها أثناء فترة الراحة بين فقرات البرنامج " لم تخبريني عن سبب هذا العبوس من أول اليوم"
ردت آية بعبوس " لا شيء أنا بخير"
تأمل عينيها المتورمتين التي حاولت أن تداريهما ببعض المساحيق وتكلم ساخرا " تبدين بخير فعلا .. عموما أنت انقذت نفسك من الطرد اليوم ..
فحين رأيتك بهذا العبوس .. كنت أنتظر منك تقصير في تقديم الحلقة.. أو أن يشعر المستمع بأي شيء غير طبيعي بك لكنك أتقنت إخفاء هذا

Des. Maryam Tamim

المزاج العكر أثناء تقديمك للحلقة .. ستنجحين إذا ما قررت أن تصبحي ممثلة " .
ردت آية ساخرة وهي تلملم الأوراق التي أمامها على المنضدة " لا تقلق أنا أتقن التمثيل جيدا "

تأملها والمخرج يقول في أذنيهما " باقي ثوان على العودة "
ليمط فادي شفتيه ويقول" ظننتك ستقولين .. لأنني تعلمت منك الجدية والالتزام بالعمل يا فادي".

لاح شبح ابتسامة على وجهها ونظرت إليه بامتنان تقول " بالطبع تعلمت منك يا أستاذ فادي فأنت أستاذي "
شعر بالشفقة عليها فشاكسها قائلا " يا الله ! .. حين تقلبن وجوهكن تصبحن جميعكن كوجه حيوان الأبسوم .."

[3727]

لاح شبه ابتسامة أخرى على زاوية فمها بينما قال المخرج " ثلاث ثوان "

فقال فادي بسرعة " ستقدمين أنت الخاتمة (وأكمل متهكما) هل تريدين أن نهديك أغنية (جرحوني وقفلوا الاجزخانات) في نهاية الحلقة؟"

ردت بسرعة والمخرج يشير أن تبدأ " بل يفضل أغنية (وبناقص عِند بعِند وبُعد ببُعد ونيجي على بعض خلاص) "

كتم فادي ضحكته بينما تلون صوتها فجأة ليصبح إذاعيا مشرقا لتقول في الميكروفون " وفي نهاية الحلقة نشكر كل من شاركنا تجربته مع التحدي .. الذي كان موضوع حلقتنا اليوم .. كانت قصصكم ملهمة وأسعدتنا .. وسننهي بالأغنية الأخيرة لدينا اليوم "

" أغنية شرين (كتر خيري) هي أغنيتنا الأخيرة لهذه الحلقة " قالها فادي يقاطعها .. فجحظت عيناها

Des. Maryam Tamim

ونظرت للأوراق أمامها ثم نظرت للمخرج الذي كان يضرب رأسه في الحائط الزجاجي بينما يبدو الارتباك جليا على مهندس الصوت لتنظر لفادي الذي أكمل ببرود أعصاب " وهي أغنية اختارتها آية خصيصا لنختم بها الحلقة (ومنح مهلة لمهندس الصوت ليجهز الأغنية فأضاف وهو ينظر لآية وأكمل) والتي تقول كلماتها .."

جزت على أسنانها ثم أكملت " فعلا فادي أحب أن أسمع هذه الأغنية فكلماتها معبرة جدا :

أنا مش مبيناله أنا ناوياله علي إيه
ساكتة و مستحلفاله مش قايلاله ساكتة ليه
خليه يشوف بعنيه
ايه اللي ناوية عليه
هخليه يخاف من خياله
لما اغيب يوم عن عنيه

Des. Maryam Tamim

أشار لهما مهندس الصوت بإبهامه لتقول " نهاية الحلقة .. سنستمع الآن للأغنية ..أشكر زميلي فادي ورد .. وتحياتي آية سماحة .. نهاركم سعيد"

في خارج مجمع الأستوديوهات كان سيد ينتظرها بعد أن فشل في أن يجعلها ترد على اتصالاته ويستمع للحلقة وقد أخذ يتمتم " علام يضحك هذا السخيف فادي ورد !!.."

كتر خيري اني قابلته واستحملته يا قلبي زمان
ييجي عليا واعديها ويسوق فيها معايا كمان
من كتر عمايله بقوله كفاية انا وانت بقينا خلاص
للناس سيرة على كل لسان

في الاستوديو استدارت آية لفادي الذي يكتم ضحكته فلملمت أوراقها في غيظ وحيت الجميع لتغادر بنفس العبوس .. بينما يقول المخرج ساخرا

Des. Maryam Tamim



لفادي " كدت أن أفرح حين اقتربت الحلقة على النهاية دون مقالبك يا فادي !"

هيجيني علشان يراضيني
هقول على عيني ما نستغناش
وهسيبه يجرب مرة عشان تاني مرة ما يعملهاش
وبناقص عند بعند وبعد ببعد
ونيجي على بعض خلاص
يا رجعنا يا ما رجعناش

هتف سيد مستنكرا " علام تنوي بنت سماحة بالضبط؟!"

خليه يدور عليا كل شويه وما يلاقينيش
خليه يتعب شويه ويحلم بيا وما يشوفنيش
مش هجري تاني وراه علشان غلبت معاه
وعن نفسي هعود نفسي من دلوقتي ما يوحشنيش



شاهدها تخرج من استوديو إذاعة نغم .. وتلاقت الأعين .. لكنها وجهت مسارها في خط مستقيم بعيدا عنه فأسرع يلحق بها .

ناداها سيد لكنها لم ترد وأسرعت بخطوات واسعة لكنه سرعان ما أدركها بساقيه الطويلين يقول بحزم " آية انتظري .. آية أنا لست صغيرا لأجري وراءك " .

استدارت إليه فجأة وصاحت كالعاصفة " ولأنك لست صغيرا فعليك ألا تتعامل مع الصغار أمثالي .. أيها الكبير " .

قال سيد بتوسل " استمعي لي أرجوك يا آية .. خطوة السفر هي الحل الأمثل لهذا العذاب الذي نعانيه "

سألته بسرعة " هل ستقدر يا سيد على فعلها ؟"

Des. Maryam Tamim

قبض كفيه بقوة على مشاعره وقال " اتفقنا أن الأمر بيننا مستحيل .. وأن طرقنا متوازية ولن تلتقي أبدا ".

تحركت للخلف وهي ترد بقهر " لكننا لم نتفق أن نبتعد كل منا في بلد"

واستدارت تبتعد وكأنها تهرب من نفسها لا منه ..فأسرع خلفها مجددا ممسكا بمرفقها فقاومته بقوة حتى خشي أن ينخلع ذراعها في يده .. بينما آية تهتف بشراسة" أبتعد عني يا سيد ".

هدر بقوة " إهدئي يا آية أرجوك إهدئي "

قاومته مجددا فأمسكها من مرفقيها ولم يدري إلا وهو يسند جبهته على مقدمة رأسها وكأنه يساعد في إيقافها لتهدأ فجأة ويسود الصمت لثوان إلا من أنفاسهما العالية .. فتمنت لو تدفن نفسها في صدره العريض المغري للجوء إليه أمامها .. وتمنى لو يحتويها بين ذراعيه ليطفئ نارا تنهش في صدره

Des. Maryam Tamim

لم تهدأ أبدا لكنه همس بصوت متألم " آية .. أنت لا تعرفين كيف أتعذب وكيف أعاني "

رائحته الرجولية كانت تعذبها وكادت أن تفقدها السيطرة على مشاعرها فدفعته فجأة بكلتا يديها في صدره وهي تصرخ فيه بانهيار " أجل لا أعرف .. لا أعرف شيئا يا سيد .. لا أعرف عن مشاعرك نحوي أي شيء ولا عن معاناتك أي شيء .. حتى كلمة (أحبك) لم اسمعها منك من قبل يا سيد"

حمد الله أن المكان شبه خالي في مدينة الأستوديوهات في هذا الوقت من الصباح فقال وهو يلملم مشاعره وأعصابه التي انفلتت وتلح للانفلات أكثر " تعرفين ما يمنعني عن إخبارك يا آية .. وقرار سفري هو لمصلحة الجميع حتى لا أتسبب في كارثة وشيكة .. أنا أشعر بنفسي "

قالت ساخرة وهي تبتعد مجددا " رائع ..بالتوفيق"

Des. Maryam Tamim

ابتعدت قبل أن تضعف فخرجت من بوابة المدينة لتجد السيارة تنتظرها يقودها ذلك العجوز الذي يوصلها كل يوم لتركب في عصبية وتقول " انطلق بسرعة يا عم صالح "

تحركت السيارة بينما سيد يقف عند بوابة مدينة الأستوديوهات يقبض قبضتيه بجانبه بقوة يراقب قلبه وهو يركض خلف سيارتها.

***

أمسكت الهاتف بأيد مرتعشة وأجلت صوتها لتقول بصوت مبحوح من صراخ لم تهدأ نوبته بعد " أنت قذر .. قذر يا سامي .. و سأبلغ الشرطة وما فعلته في حق ابنتي لن أتركه"

رد عليها بحدة " هل تتصلين بي لتهديدي أم للاتفاق على حل للموقف .. إن الصور معي لكن إذا لم يرق قلبك تجاهي .. بضغطة زر واحدة تنتشر الصور على الانترنت ومجموعات النادي الخاص بابنتك .. ومجموعات أختها التي تنتظر الترشيح

Des. Maryam Tamim

للأولمبياد .. وعمها أمير المعيد بالجامعة .. وتجار الذهب .. والأصدقاء والمعارف وكل من له حساب على مواقع التواصل من شارع سماحة "

ارتجفت وقاومت البكاء كما وعدت نفسها لكن ذهنها لا يسعفها للتفكير في حل بينما تغيرت لهجة سامي لتكون حارة مغوية وقال " أنا لا أحب أن أوذيك يا ماجدة ..أنت حياتي كلها .. لكن ضغط مشاعري نحوك يعذبني .. ولم أعد أقوى على الانتظار .. وائل ذاهب لا محالة فلمَ ننتظره؟ .. دعينا نستسلم لمشاعرنا حبيبتي .."

سحبت نفسا متألما و سألته بهدوء " ماذا تريد بالضبط ؟"

رد بلهفة" أنت .. أريدك أنت "

اقشعر جسدها لكنها ردت محاولة الحصول على بعض الوقت " ما دمت تقول أن المسألة مسألة وقت فعلينا أن ننتظر حتى يحين الوقت "

Des. Maryam Tamim

رد بعند " لا .. لم أعد أحتمل .. شوقي إليك سيقتلني يا ماجدة .. أريدك لي أنا فورا وبسرعة .. ولولا أني بالفعل على طريق السفر الآن ومرتبط بموعد هام لكنت عدت إليك حبيبتي لنروي أشواقنا " .

نظرت للسماء تستغيث في صمت بينما أكمل سامي " سأعود للعاصمة يوم الخميس .. وسأذهب إليك مباشرة .. "

قالت " الخميس سأكون مشغولة مع ميري لديها مقابلة هامة ولا أعرف متى ستنتهي (وأرادت كسب بعض الوقت فقالت) دعنا نتفق على موعد آخر "

رد بسرعة " إذن سآتيك الجمعة صباحا .. أنا أعرف أن البنات يقضين معظم الأيام عند جدتهما لذا سنكون أنا وأنت فقط في شقتك " .

Des. Maryam Tamim

سألته باندهاش " ولمَ تقابلني في شقتي ؟!!.. لمَ لا أقابلك في أي مكان آخر ؟"
رد بحدة " لا .. أريد لأول مقابلة لنا أن تكون في شقة وائل (جحظت عينا ماجدة .. بينما أكمل بلهجة ساخرة) وحتى لا تجدين مكانا للهرب مني"
ازدادت حدة أنفاسها مع مقاومتها للبكاء وسألته " وكيف سأحصل على ما لديك من صور ؟ "
رد بهدوء " ستكون هديتي لك يا حبيبة سامي وروحه حين أراك وسنمحوها سويا أمام عينيك من مكانها الرئيسي على شبكة الانترنت "
فركت ماجدة جبينها بيد مرتعشة فتغيرت لهجة سامي لتعود للتهديد " لكن اعلمي أن الصور ليست في حوزتي وحدي بل هناك من سينتظر مني الضوء الاخضر يوم الجمعة لحذفها .. وإن لم يتلقى مني أي أوامر خلال زمن معين سترفع هذه الصور فورا على الانترنت بضغطة زر .. أي أنك إذا ما فكرت في

Des. Maryam Tamim

خيانتي ستفضحين الفتاة الصغيرة التي ليس لها ذنب" .
صرخت ماجدة فيه " أجل ليس لها ذنب .. ليس لها ذنب أن أمها سيئة الحظ .. ليس لها ذنب "

عادت لهجة سامي للهدوء يقول " إهدئي حبيبتي إهدئي لم أقصد أن أضايقك .. أنت وأنا متفقان ولن يحدث ما يضر الفتاة يا ماجي .."

صمتت ماجدة تشعر أن جسدها كله ينتفض فأكمل سامي منهيا المحادثة " سأحلم بيوم الجمعة من الآن .. أحبك يا ماجي .. ولا تقلقي الصور في أمان .. إلى اللقاء يوم الجمعة يا حبيبتي "
جلست في الشرفة تدفن رأسها بين يديها تحاول التفكير في هذه الكارثة .. مستبعدة خيار ابلاغ الشرطة منعا للفضائح ..

Des. Maryam Tamim

أجفلت حين اقتربت ميري تقول " من فعل هذا يا أمي ؟ وماذا يريد؟ "

ردت بتماسك " لا تشغلي بالك أنت يا ميري واستعدي جيدا لمقابلة يوم الخميس وأنا سأحل الأمر لا تقلقي " .

قالت ميري " نستطيع إبلاغ الشرطة أو اللجوء لكابتن عمرو أو عمي سيد أو عمي أحمد ".

ردت ماجدة بوجوم " الأمر ليس بسيطا يا ميري .. بإبلاغ الشرطة قد ينفضح الأمر .. لكن دعيني أفكر كيف سنخرج من هذه الكارثة .. وإياك وإخبار أي شخص يا ميري حتى جدتك .. دعيني أفكر في الأمر أولا " .

صمتت ميري دون اقتناع وحدقت في والدتها تحاول استقراء أبعاد الموضوع .. فقالت ماجدة بوجوم " أين الهانم ؟"

ردت ميري بحزن مستلقية على سريرها لا تنطق"

Des. Maryam Tamim

تحركت ماجدة تخرج من الشرفة نحو غرفة الفتيات لتجد أنجيل مستلقية في صمت مولية ظهرها للباب .. فاحترق قلب ماجدة على ابنتها أن تتعرض في عمرها هذا لتلك الصدمة وأن ترى هذه المشاهد القذرة .. فابتلعت غضبها وعذابها ورعبها من القادم واستلقت بجوار أنجيل لتحضنها من الخلف في صمت .. فكل منهما لم تعرف بم تخبر الأخرى .

***

الثلاثاء :

أهي النهاية !

هل اتخذت بانة قرارها بالفعل ؟

رغم تفهمه لوضعها وظروفها لكنه غير قادر على تحمل الفكرة ..

غير قادر على استيعاب أنه فقدها للأبد ..

Des. Maryam Tamim

أنه سيكمل حياته دونها .. إن صمتها يقلقه ..
يعذبه .. يقتله في الليلة آلاف المرات .

أحيانا يلوم نفسه على الطريقة التي غادر بها وأحيانا أخرى ..
يتحكم عقله في زمام الأمر ليؤكد له أنه تصرف التصرف الصحيح ..
لكن منذ متى والقلب يعترف بالمنطق !.

زفر يخرج بعضا من اللهيب المتأجج في صدره وانعطف بالسيارة يدخل شارع سماحة بعد قيادة دامت ثلاث ساعات عائدا للبيت .. مرهق المشاعر ومجهد بينما صوت ام كلثوم يملأ الفراغ حوله وبداخله .

كنت بشتاقلك وأنا وأنت هنا
بيني وبينك خطوتين

[3742]



شوف بقينا ازاي أنا فين
يا حبيبي وأنت فين

ركن أحمد سيارته وأطفأ المحرك وانقطع صوت (ثومة) ليعذبه الخواء الذي بداخله من جديد.

بعد ثوان كان يخرج حقيبة السفر الصغيرة من السيارة بينما برقوق يهلل حوله ويرحب بعودته قائلا " اشتقت لك يا قريبي .. مؤكد أنك كنت عند أهل زوجتك .. ولكن لمَ لم تأتي معك لتؤكد لأهل الشارع أنك لم تطلقها؟! "
هدر أحمد فيه بغيظ " برقوق لمَ تتدخل فيما لا يعنيك ؟ "
هرش برقوق في ذقنه النابتة ورقبته .. فجز أحمد على أسنانه وضرب بعصبية على سطح السيارة يقول" قلت لا تهرش واذهب من أمامي وابتعد عن شياطيني الآن " .

[3743]

صمت برقوق وتراجع للخلف قليلا ثم عاد يقول بمرح " على ذكر الطلاق (واخفض صوته) هل تعلم أن سيد المخيف قد طلق زوجته ".

استدار إليه أحمد بحدة يقول " ماذا تقول أنت ؟ سيد من؟" .

أشار له برقوق على المقهى ثم أشار بيده ليرسم رجلا ضخما ذا عضلات ضخمة وقال " صاحبك الذي يؤلف الموسيقى" .

رفع أحمد حاجبه وسأله ببرود " ومن أين لك بهذه المعلومة الفذة؟ "

ابتسم برقوق بفخر ورد " تعرف أني أعرف أدق تفاصيل هذا الشارع .. والأمر منتشر بين الناس منذ مدة طويلة ".

فردد أحمد ساخرا " مدة طويلة ! ومن أخبركم بهذا الخبر الحصري؟ " .

Des. Maryam Tamim

نظر برقوق حوله ليتأكد أن أحدا لا يسمعهما ورد " ذلك المخيف كان يتشاجر في الهاتف منفعلا بجوار سيارته وسمعه الناس يقول (وحاول تغليظ صوته كصوت سيد) انتهى الأمر .. فدعنا نكون راقيين في اختلافنا كما كنا في اتفاقنا .. لا تهددني أنت لا تعرف ماذا لو فقدت أعصابي .. كما اتفقنا بالمعروف ننفصل بالمعروف فليس مقدرا لنا أن نكمل معا .. سيتصل بكم المحامي الخاص بي للاتفاق على كل المستحقات ".

هرش أحمد برأسه مفكرا وتأكد من إغلاق سيارته فأضاف برقوق " أليس صديقك كيف لا تعرف "

رد أحمد مجهدا وهو يتجه نحو البوابة " دعني الآن يا برقوق فلست في مزاج يسمح بتحمل سماجتك أنت وأهل الحي .."

ورفع الهاتف يتصل بسيد لكن الأخير لم يرد .. ليلحقه برقوق بصوته ينادي " قريبي "

Des. Maryam Tamim

رد أحمد بإرهاق وهو يفتح البوابة " ليس الآن يا برقوق صدقني سأوذيك ".

قال برقوق باستعطاف " طلبا صغيرا"

دخل أحمد البوابة ووقف يوليه ظهره منتظرا برقوق أن يكمل كلامه فقال الأخير " أريد قطعة من الكعكة " .

رفع أحمد حاجبا واستدار يسأله بعدم فهم" أي كعكة ؟!" .

اتسعت عينا برقوق ورد بدهشة " ألا تعلم هذا أيضا ؟!".

ضرب أحمد على البوابة الحديدية بقوة وقال بنفاذ صبر " برقوق .. صدقني أنا أمارس معك أقصى درجات ضبط النفس .. فإما أن تتكلم فورا أو تختفي من أمامي حتي لا أطعمك لشياطيني "

انتفض برقوق في ذعر ورد بسرعة " الكعك والحلويات التي أحضرها عريس الأستاذة آية "

Des. Maryam Tamim

جحظت عينا أحمد فقال برقوق بسرعة يشير لسيارة تركن على بعد أمتار من المقهى "أنا أحافظ على سيارة العريس حتى لا يقترب منها الأطفال (وأكمل بلهجة إعجاب) السيارة ثمينة يبدو أنهم عائلة ثرية " .

أخرج أحمد رأسه من البوابة ينظر للسيارة وهو يستمع لبرقوق ثم أشار له بالابتعاد .. واغلق البوابة بعصبية وهو يتمتم في سره " من الواضح أن هذا اليوم لن ينتهي .. ما هذا السخف؟! .."

صاح برقوق معترضا " والكعكة ! "

فتح أحمد باب شقته وألقى فيها الحقيبة ثم جاءه اتصالا من سيد ففتح الهاتف ليأتيه صوت سيد مجهدا يقول " اتصلت بي؟ "

سأله أحمد " هل طلقت زوجتك دون أن تخبرنا "

Des. Maryam Tamim

صمت سيد قليلا ثم قال " ليتني أقول نعم لكن الإجابة لا للأسف .. لمَ تسأل هذا السؤال الغريب؟"

رد أحمد وهو يغلق باب شقته ويصعد للدور العلوي" لأن هناك إشاعة في الشارع منذ مدة أنك طلقتها بناء عن مكالمة كنت تتعارك فيها مع أحد بجوار سيارتك ".

صمت سيد قليلا يسعل ثم رد بإعياء " تذكرت .. كنت أفسخ عقدي مع المطرب (...) إنه مغرور ولا يطاق وغالبا سأقتلع حنجرته قريبا إن لم نتفق على فسخ العقد بالتراضي" .

قال أحمد وذهنه مشغولا بما يحدث في شقة العائلة " أمم .. سنتحدث لاحقا إذا" .

قال سيد بسرعة بلهجة متوسلة "أحمد كنت أريد أن أسأل .."

Des. Maryam Tamim

قاطعه أحمد " فيما بعد يا سيد أنا عدت للتو ومجهد جدا ومشغول .. بالمناسبة هل أنت مريض؟" .

رد سيد بوجوم " أعاني من بعض الانفلوانزا"

فتح أحمد الباب وهو ينهي المحادثة في عجلة " ألف لا بأس عليك .. سنتحدث لاحقا .. سلام"

***

بعد ساعات :

قالت أروى على الهاتف " لا تغضبي يا أمي .. أنا أتفق مع أبي وأحمد أن فكرة ارتباط آية سابقة لأوانها عليها أن تتخطى التجربة السابقة أولا "

وضع عمرو ملعقة طعام في فمها فاتسعت عيناها مجفلة بينما تسمع أمها تقول " يا أروى من الممكن أن انشغالها بالخطبة والعريس ينسيها ما تعانيه .. أنا قلبي يؤلمني بسببها .. لمَ لا نعطيها فرصة لأن تتعرف أكثر على الشاب إنه رائع وعائلته محترمة

Des. Maryam Tamim

..وكان باديا عليه إعجابه بآية طول اللقاء .. لولا أخيك المحترم الذي عامل الناس بجفاء وعجرفة وأحرجني جدا أنا والحاج أمامهم "

ابتلعت الطعام وقالت " يا أمي أعلم أنك تريدين أن تخرجيها من معاناتها لكنها مغامرة ليست أكيدة النتائج .. كما أنك ستظلمين الشاب الرائع الذي تتحدثين عنه بأن يكون فأرا لتجربة إما تنجح أو تفشل "

وضع عمرو ملعقة أخرى في فمها فنظرت له موبخة بينما قالت إلهام " أنا لم أقصد ذلك يا حبيبتي فأنا لا أقبل بالظلم لأولاد الناس .. لكني أقول نتبادل الزيارات وربما خطبة طويلة بحجة أنها مازالت صغيرة ونرى كيف ستسير الأمور بينهما".

زفرت أروى مفكرة " لا أعلم يا أمي أنا أرى أن آية غير مستعدة لذلك رغم موافقتها على مقابلة العريس .. ماذا عن انطباعها بعد اللقاء؟؟" .

Des. Maryam Tamim

ملعقة أخرى في فمها جعلتها تزمجر بخفوت بينما ردت أمها " لا شيء .. لم تنطق بشيء طوال اللقاء سوى كلمات مقتضبة .. وبمجرد أن غادروا تركتنا دون كلمة ودخلت لغرفتها أما أخاك المحترم فيرفض الفكرة رفضا قاطعا "

سألتها أروى " وماذا عن رأي أبي؟ "

ردت إلهام " أبوك يبدو مترددا ويسمع كل الأطراف ويفكر .. تعلمين أنه من الصعب معرفة ما يدور في رأسه بسهولة ."

قالت أروى مطمئنة " حسنا يا أمي إهدئي وفكري أنت أيضا ولتنتظري قرار آية ".

صاحت إلهام بغيظ " أي قرار؟!.. أقول لك أحمد وقف أمامنا جميعا معترضا وهي لم تنطق بشيء".

قالت أروى " سأتحدث إليها وأرى فيم تفكر يا أماه لا تقلقي "

حشر عمرو في فمها معلقة طعام ممتلئة فصاحت بفم ممتلئ "عمرو !"

Des. Maryam Tamim

فقالت إلهام " هل مازالت عفاف لا تعرف بوجودك؟"
ردت بفم ممتلئ " أجل"
زفرت إلهام مهمومة " لا حول ولا قوة إلا بالله! .. سأتركك مع زوجك يا حبيبتي ونتحدث لا حقا .. سلام " .
أغلقت أروى الهاتف وقالت بحنق " ألن تكف عن الغلاظة .. "
قال وهو يركز في طعامه " كلي أولا ثم حدثيها كما تريدين " .
تأملته تحاول استقراء انطباعه عن الطعام فتكلم وكأنه يقرأ أفكارها " الطعام مختلف اليوم " .
سألته بتوجس " كيف مختلف .. أهو سيئ ؟"
رد نافيا " لا .. إنه لذيذ لكنه مختلف عن طريقة طهي خالتي إلهام المعتادة " .
تكلمت مراوغة " لا أعلم ربما طبخته أمي بطريقة جديدة .. المهم أنه أعجبك " .

Des. Maryam Tamim

أومأ برأسه وقال " جدا " .

تراقص قلبها فرحة أن تراه يقبل على أول طبق تطهيه بنفسها .. لقد تشجعت اليوم واستندت على ذلك العكاز الذي أشتراه لها أحمد واستندت عليه مجازفة غير صابرة أن تنتظر أن يتم شفاؤها تماما لتطبخ له من صنع يديها .. ولم تكن تعلم أنها ستشعر بتلك السعادة أبدا ..
تذكرت بانة التي تشتاق إليها جدا كيف كانت تصف إحساسها حين يأكل أحمد من صنع يديها بأنه شعور وكأنها تطعم طفلها ..
شكرت أروى ربها أن منحها فرصة أن تطهو لعمرو طبقا بسيطا .. وأن تشعر بذلك الشعور الرائع رغم عدم غرامها بالطعام .. وابتلعت غصة في حلقها أن تداري عنه أخبار تطور حالتها الرائع لطمعها في أن تفاجئه حين يتم شفائها بإذن الله ..ممتنة لذلك الأمل الذي نبت بداخلها منذ دخول عمرو حياتها .

Des. Maryam Tamim

قطع عمرو شرودها بملعقة أخرى في فمها فصاحت
تقول بفم ممتلئ " أنا آكل يا عمرو "
رد ببرود " لا أرى ذلك"
دلكت بقدمها من تحت المنضدة ساقه بشقاوة
فأبعدها وقال محذرا " أروى ! "
ردت بدلال" هل مازلت عند قرارك بأنك لن تقترب
مني ما دمنا نسرق الوقت دون علم والدتك"
ابتلع الطعام بصعوبة .. وأومأ برأسه بنعم.

فأكملت بلهجة مغوية شقية وهي تمسد على ذراعه
" لمَ تصعب الأمور يا عمري؟ فمنذ تلك الليلة التي
عدت فيها إليك وأخبرتك بقراري .. قررت أنت في
المقابل ألا تقربني حتى تسترد والدتك عافيتها
وتخبرها أني عدت ".
رد بحزن " كما قلت لك أنا مضطر لفعل ذلك ..
فأنا لا أراك سوى ساعة بعد خروجي من العمل
وساعتين بعد أن تنام أمي .. وأنت تعلمين إذا ما

Des. Maryam Tamim

تركت لنفسي العنان كيف سأقضي تلك الساعات معك " .

انفجرت ضاحكة فلملم ابتسامة ملحة على وجهه يتطلع إليها بغيظ ثم لف ذراعه حول رقبتها يخنقها بلطف بينما هي مستمرة في الضحك فتكلم من بين أسنانه " لا أرى سببا للضحك أروى هانم"

قالت تنظر إليه ضاحكة" وكيف ستقضي تلك الساعات إن تركت لنفسك العنان لا أعرف"

قرب وجهه من وجهها يتأملها بملء عينيه وتمتم أمام شفتيها " وقحة ".

تصنعت البراءة وردت " أسأل سؤالا بريئا "

راقب شفتيها وابتلع ريقه بصعوبة بينما أنفاسه الساخنة تلفحها .. فتأملت عينيه بصمت استمر لبضع ثوان.. كل منهما يرسم ملامح الآخر قبل أن تبادر هي بالهجوم على شفتيه ليستسلم لها مرحبا

Des. Maryam Tamim

.. فتجمعهما قبلة محمومة يحاول فيها كل منهما أن يروي شوقه من الآخر .
بعد دقائق أبعدها عمرو بحزم يغمغم بأنفاس متسارعة " يكفي هذا .. هيا أكملي طعامك"

قالت بصوت هارب منها " أنت تشق على نفسك يا عمرو"
رد عليها مهموما" لا استسيغ حياتنا بهذا الشكل يا أروى .. و لا أحب أن تختصر علاقتنا لعلاقة فراش فقط .. أشعر بالإهانة إذا ما تحولت حياتي معك لهذا الوضع ".
أرادت تقبيله مرة أخرى .. إعجابا بشخصه الذي لم يخذلها أبدا.. لكنها لم ترغب أن تثقل عليه فهي تعلم ما يعانيه جيدا .. فاكتفت بأن مسدت على ذراعه تعاطفا فهي الوحيدة التي تعرف كيف أن تنفيذ هذا القرار بالغ الصعوبة عليه .. ليستدير إليها يحشر قطعة كبيرة من اللحم في فمها ويقول

Des. Maryam Tamim

بلهجة خطرة " كلي يا أروى .. صحيح تحسنت شهيتك قليلا لكنها مازالت لا تناسب إلا فتاة صغيرة ".

***

في نفس الوقت في بيت سماحة :

وقف أحمد في غرفة آية يقول بلهجة قاطعة " لا أريد أن أسمع هذا السخف مرة أخرى .. وليس من التعقل أن نتهور في الدخول في علاقة وزواج وأنت لم تسيطري على مشاعرك بعد " .

وقفت آية متكتفة أمامه تحدق في الأرض وتهز ساقها بعصبية ثم رفعت إليه وجها أحمرا من العصبية لتقول بلهجة مزقت نياط قلبه " أنا لست قادرة على تحمل الفكرة يا أحمد .. لست قادرة حتى على التخيل أنه لن يكون في نفس البلد .. أنت

Des. Maryam Tamim

أكثر شخص يشعر بما أشعر به من حريق في قلبي .. أنت تعرف كيف أشعر أليس كذلك؟ "

ابتلع غصه مسننة في حلقه مشفقا عليها أن تواجه شعورا كهذا وهي في هذا العمر الصغير .. مدركا تماما بشاعة الإحساس الذي تشعر به .. لكنه يقف عاجزا عن اختراع حلا ينهي عذابها .. فاقترب منها وسحبها في صمت إليه لتتشبث بملابسه وتدفن وجهها في صدره تبكي بحرقة .. فتمتم وهو يشعر أن دموعها تكويه " لن أدعي أني أقوى منك أو أقل ألما .. فكما قلتِ أنا أكثر شخص يشعر بما تشعرين به .. لكني بت أؤمن أنه لا مفر من القدر وعلينا أن نستقبلها برضا يا صغيرة (ثم استدرك يقول بلهجة حاول أن تكون مرحة) ما رأيك أن نسافر أنا وأنت ؟" .

رفعت وجهها المبلل بالدموع تقول " نسافر أين؟"

Des. Maryam Tamim

صمت مفكرا " لا أدري لكني أرغب في الفرار من كل الهموم .. دعينا نفعلها أنا وأنت فقط (وأخفض صوته ليقول بلهجة درامية) نقفز من المركب ونترك الجميع ونرحل "

ابتسمت وسط دموعها وسألت " والبرنامج الإذاعي ؟"

وضع يديه في جيبه مفكرا ثم قال " دعينا نفكر في الأمر ونخطط في صمت ثم (وطرقع إصبعيه يقول) الهروب الكبير " .

ابتسمت فضمها لصدره مره أخرى يمسد على رأسها .. وهمس في سره " أتمنى من الله أن ينزع من قلبك سيد صبرة ويسعدك في القريب العاجل إن شاء الله "

***

بعد قليل استعد أحمد للخروج من البيت لكنه تفقد والدته الغاضبة منه أولا فاقترب منها في المطبخ وحضنها من الخلف فجأة .. فبسملت

Des. Maryam Tamim

إلهام ثم مطت شفتيها بعبوس فقال يشاكسها " يا إلهام ركزي كل جهودك معي أنا .. أنا من يريد الزواج .. أريده بشكل عاجل ولا يحتمل التأخير يا أم أحمد"

نغزها قلبها وهي تتذكر بانة .. ذلك الجرح الذي لم يبرأ بعد في قلبها وردت مواسية " ليس لدي مانع امنحني الضوء الأخضر وسأبحث لك على أحلى عروس تليق ببيت سماحة "

قال ببساطة " حسنا اتفقنا ولا تنسي طلبي أريد معاينة الجثة كاملة ".

ضربته على صدره موبخة .. فقبل يديها وقال وهو يتركها " عندي اجتماع مع أحد العملاء .. بالمناسبة هل أعطيت قطعة من الكعكة لبرقوق .. لا أريده أن يلح لأنه مغري جدا للضرب هذه الأيام وسيموت بين يدي" .

ردت بامتعاض" بل أرسلت له الكعكة كلها .. فلم يأكل منها أحد بفضل أحدهم .. الذي انقض على

Des. Maryam Tamim

الجلسة وألقى بفظاظته وعجرفته هنا وهناك فسد شهية الجميع عن الأكل" .
هرش أحمد مؤخرة رأسه في حرج وغمغم هاربا " تأخرت عن موعدي .. السلام عليكم "

حين أختفى من أمامها رفعت إلهام نظرها للسماء وقالت " اللهم أرزقنا بفرحة لم تكن في الحسبان واسعد أولادي رزقا وفيرا يا رب العالمين "
***
نظر برقوق بسعادة كبيرة للعلبة التي في يده تحمل كعكة كاملة جاءته من بيت سماحة .. فدخل المقهى بثقة متجها نحو ثلاجة المطبخ الكبير ليستقبله طأطأ بتوجس فقال برقوق بابتسامة عريضة " أريد أن أحتفظ بتلك الكعكة في الثلاجة عندكم حتى لا تفسد ".
سأله طأطأ بشك " من أين حصلت عليها؟"
رد برقوق بحدة " وما شأنك أنت ؟"

Des. Maryam Tamim

تخصر طأطأ يقول " ومن أخبرك أننا سنسمح لك بوضعها في ثلاجة المقهى ".
تكلم برقوق بحنق "سأشكوك لقريبي أحمد" .

دخل سيد فجأة يمسك منديلا في يده يقول وهو يسعل " حَضِّر لي مشروبا ساخنا يا طأطأ (ثم وجه كلامه لبرقوق الذي انكمش قليلا يلتصق بالحائط) ماذا تفعل هنا؟"
رد برقوق متوترا " أريد أن أضع الكعكة في الثلاجة "
عقد سيد حاجبيه وقال " ومن أين حصلت عليها؟"
رد يداري توتره " من بيت سماحة إنها كعكة العريس ".
ضيق سيد عيناه وسأل بعدم استيعاب " عريس ؟؟ أي عريس؟؟"
رد برقوق متحمسا " ألم تعرف ؟! .. عريس الأستاذة آية .. يا ربنا ! .. إنه ثري .. ووسيم لقد

Des. Maryam Tamim

رأيته بنفسي .. لكن قريبي أحمد لم يخبرني بعد متى حفل الخطبة .. حين يخبرني سأبلغكم بالتأكيد".

اندفع سيد كدبابة بشرية يخرج من المطبخ فالتصق برقوق في الحائط برعب قبل أن يدرك أن سيد قد غادر بالفعل فاستدار لطأطأ يقول " أرأيت .. سيد المخيف لا يمانع .. دعني أضعها في الثلاجة" .

خرج سيد من المقهى فلمح أحمد عند سيارته لينادي عليه بصوته الجهوري .

بادره أحمد حين اقترب منه يقول " أنا في عجلة من أمري نتحدث لاحقا .. تبدو مريضا هل مازلت تعاني من الانفلوانزا؟ ".

أمسك سيد بياقة قميصه فجأة وسأله بصوت متحشرج " هل استقبلتم خاطبا في بيتكم ؟"

Des. Maryam Tamim

نظر أحمد نظرة خطرة ليد سيد الممسكة بياقته ثم دفعها بخشونة ورد ببرود " هذا ليس من شأنك "

تكلم سيد بتوسل " أحمد أرجوك أخبرني الحقيقة"

تأمل أحمد حالته لكن شعوره بالشفقة على آية وما تعانيه جعله راغبا في التلذذ بالانتقام منه فرد بهدوء وهو يفتح باب سيارته " الحقيقة هي نعم .. والشاب ممتاز من عائلة كبيرة عائلة النجار سمعت عنها بالتأكيد .. معه شهادة الدكتوراه من ألمانيا وأبي وافق وأمي ستطير من السعادة"

جحظت عينا سيد وسأل برعب " و آية؟"
رد أحمد " آية وافقت .. وبقي أن نحدد موعد الخطبة " .

Des. Maryam Tamim

أمسك سيد في تلابيبه يهدر بقوة فلفت أنظار المارين في الشارع " هل أنت مجنون !! .. كيف تطاوعها على هذا الجنون ؟!!".
دفعه أحمد بقوة ليبعده ثم صاح محذرا " هذا الأمر لا يخصك يا سيد .. فلا تتجاوز حدودك "
صاح سيد بسرعة " بل يخصني .. يخصني" .

" بأي صفة ؟!!! "
قالها أحمد هادرا فكانت كسيف رشقه في صدر صاحبه أفقده النطق ثم أضاف محذرا " ابتعد عن آية تماما يا سيد .. هذه المرة سأقتلك بيدي وأنهي هذا الأمر للأبد .

***

الخميس :
إنه لشعور مثير ..
ممتع ..

[3765]

أن يراه في هذا السبات وجسده موصل بالخراطيم..
الشعور بالتشفي في صدره يسعده ..
يسعده أن يراه على هذا الحال فاقدا للحركة ..
يموت بالبطيء ..
لكنه فقد صبره وبات يتعجل موته بسرعة ..
يتعجل التخلص من وجوده في هذه الحياة .. وقتها سيشعر بلذة الانتصار ..
لذة الانتصار التي لم تحققها له الأموال التي كسبها ليتغلب على الشعور المُر بداخله .. وحده رحيل وائل من هذه الحياة هو من سيبرد النار المتأججة في صدره طوال عمره ..

نار أشعلها والده حين خسر أمواله قديما بمنتهى الرعونة وسوء التصرف ليتركهم ويموت بعدها حسرة على أخطائه وما اقترفت يداه..

Des. Maryam Tamim

نار غذتها سنوات الفقر التي تربى فيها.. بين أقدام عائلة فاحشة الثراء لا ترحم الضعيف ولا يقدرون المرء سوى بحجم أموالك ..
نار تأججت حين سُرقت منه ماجدة .. حب حياته لأنه لا يناسب طموحات عمته في الثراء ..
لذة الانتصار حين لن يمنعه شيء عن ماجدة .. حتى ماجدة نفسها ..

أقترب سامي من وائل يربت على خده المستسلم ببعض الخشونة ويقول بلهجة خطرة " لمَ تطيل علينا الأمر ؟.. متى ستموت ونستريح منك ؟.. لقد أطلت علينا المدة يا رجل ؟.. أسرع في موتك يا وائل نريد أن نفرح".
انقبض قلب وائل بينما هتفت مريم "من هذا ؟ أهو أحد أصدقائك ؟"

Des. Maryam Tamim

فأشار لها بلا لينحني سامي ويهمس له بمقلتين زائغتين" أنا وماجدة ننتظر موتك بفارغ الصبر .. ننتظر بشوق أن تموت لنفرح "

توتر وائل وأطرق السمع أكثر بينما مريم تلح في السؤال "من هذا ؟"

أكمل سامي " أربعة عشرة سنة .. أربعة عشر سنة أنت تفرق بيننا .. أربعة عشرة سنة ننتظر موتك .. يا ابن مجدي موريس (صمت قليلا يحدق في اللا شيء ثم أكمل بصوت متأثر) حبيبتي ماجي التي أخذتها مني .. حان الوقت لأستردها منك .. إنها لي وحدي.. وحدي أنا(وربت على صدره ليكمل بثقة بينما ازداد توتر وائل) وأنا من أستحقها عن جدارة .. أنا من نصبتها ملهمتي .. أنا من تغربت من أجلها وحققت المستحيل وعدت بأموال كثيرة أنا .. أنا من أحبها بصدق وظل مخلصا لها .. صابرا .. منتظرا "

Des. Maryam Tamim

شعر وائل بصداع شديد بينما مريم تلح " من هذا يا وائل الذي يحب ماجدة ؟"

أكمل سامي بهمس مزعج بجانب أذن وائل " أنا وحدي من استحقها .. أنا من عشقتها منذ أن كنا أطفالا .. لا تعرف كم من ذكريات تجمعنا سويا.. لا تعرف كم اغترفنا من العشق سويا .. وكم كُسِرت قلوبنا حين قرروا زواجها منك ".

صاحت مريم باستنكار "هل كانت ماجدة تحب هذا الشخص قبل الزواج بك؟!!"

أمسك وائل برأسه بقوة إن صوت هذا الشخص الذي لا يعرفه يلسع أذنه يطن بها كطنين النحل..

بينما أكمل سامي " أجل قرروا زواجها منك .. وهي أطاعت مجبرة رغم أنها لا تحبك ..(ليكمل بحقد وغل) لا تحبك .. تحبني أنا .. أنا حبيبها الأول والأخير .. أنا من تغرب سنين طويلة .. حفر في

Des. Maryam Tamim

الصخر.. أكل التراب .. وعاد أخيرا بالأموال (وازداد ارتعاش مقلتيه) الأموال التي فضلتك عني وجعلتك تحصل على ماجي بدلا مني (ومال عليه يقبض على شعر وائل ببعض الخشونة) الأموال التي بسببها طردتني أم ماجدة .. أنت لا تعرف كيف طردتني عمتي .. كيف تذللت لها وكيف استحقرتني .."

تمتم وائل يحاول التركيز " عمته !!"

فأكمل سامي " هل تصدق أني قبّلت قدمها حتى تعطيني مهلة عامين .. عامين فقط لأسافر فيها واتغرب ووعدتها أني سأكون غنيا كما تريد .. لكنها سبتني أنا وأبي ..وطردتني .. وحصلت أنت عليها دون مجهود يذكر .. لماذا؟ لأن أبيك أفضل من أبي .. أباك حافظ على ثروته أما أبي خسر كل ما ورث من أبيه كالأبله " .

صرخت مريم بقلة صبر " من هذا ؟؟"

Des. Maryam Tamim

غمغم وائل يحاول التركيز "غالبا سامي ابن عمي رؤوف "

هتفت مريم " هل كانت ماجدة على علاقة حب بابن خالها ؟؟؟"

نظر وائل إليها مجفلا يحاول الاستيعاب وهو يراها تقترب منه وتقول بفحيح " يبدو أنها كانت تخونك معه "

دفعها فجأة بعنف يقول " اخرسي ..ماجدة ليست خائنة .. "

تأمله سامي يتتبع اتجاهات الخراطيم الكثيرة الموصلة بجسده وفكرة معينة تتبلور في ذهنه ..

بينما ردت مريم ببرود " كلامه واضحا أنه على علاقة بها "

صرخ بتوتر " قلت لك ماجدة ليست خائنة .. ليست امرأة رخيصة هل تفهمين.. ماجدة ليست امرأة رخيصة "

Des. Maryam Tamim

مطت شفتيها بملل وقالت" إذن ما الذي يقوله هذا الشخص ؟ (واستطردت مفكرة) إن لم تكن خائنة فبالتأكيد تربطهما علاقة حب قوية .. ليس بالضرورة الخيانة جسدية لكن قلبها كان يحبه وحين عاد من السفر تجدد الحب والشوق من جديد "

ركز سامي نظراته على قناع الاكسجين وأبتسم باستمتاع .

بينما هتف وائل باستنكار " إنها زوجة .. وأم "

تكتفت تقول ببرود " إنها أُم أتفق معك في هذا .. لكن زوجة عندي تحفظ على هذا اللقب هل هي مجرد ورقة مكتوبة تعني أنها زوجة .. ثم إن القلب ليس عليه سلطان ومن الممكن أن تكون متزوجة وعاشقة لرجل أخر (وأكملت بلهجة ذات مغزى) ولا أقصد أنها تخطئ فالمشاعر تختلف عن الأفعال حتى لا تنفعل ".

[3772]

عاد للاضطراب وغمغم " لا استطيع أن أتصور أن
ماجدة خائنة أبدا إنها .. إنها .. "
وصمت غير قادر على إيجاد تعبير مناسب .

فسألت مريم "إنها ماذا؟"

تطلع إليها شاردا يغوص في أعماقه وكأنه يبحث عن
معنى لكن المعنى يصر أن يفر منه ويتوارى هنا
وهناك وهو يركض خلفه محاولا الإمساك به

بينما أقترب سامي من أذنه يقول بفحيح وهو يشد
شعره بقوة " منذ أن نقلت للمستشفى وأنا أموت
شوقا لرؤيتك ..لكن أصدقائك وأهلك يحيطون بك
من كل جانب ..ومع هذا لم أكن لأترك هذه
الفرصة الرائعة .. فرصة إمتاع نظري برقدتك هذه
ليس لك حولا ولا قوة .. كما كنت طيلة حياتك
ليس لك حولا ولا قوة"

[3773]

انفعل وائل يصرخ " أنا ؟؟؟"

بينما أكمل سامي بفحيح متشف " قريبا جدا ماجي ستكون ملكي .. ملكي أنا وحدي .. وسأسامحها على إنجابها منك وإن كنت أرجح أنك اغتصبتها وإلا لمَ هجرتها بعد ذلك طول هذه السنين ؟.. ألا تعلم أن الجميع يعرف كيف تعاملها وكأنها أريكة في بيتك ؟؟ .. لذا أنا أرجح أنك اغتصبتها لتنتقم منهم .. لم تكن لتسلمك نفسها طوعا أبدا .. يا .. (وشدد على الحروف) مغتصب "

صرخ وائل " أنا .. لا .. لا لم أغتصبها .. لا أنا .. أنا .... "

وأمسك برأسه متألما فقالت مريم "ما بك ؟"

كان يقاوم الصداع والطنين .. طنين شديد يؤلم أذنيه .. ولسعات نحل في رأسه ..

Des. Maryam Tamim

فأكمل سامي يشده من شعره بقوة أكبر" أخيرا سأحصل عليها وأتمتع بها وحدي .. يا الله ! لم أصدق نفسي حين رأيتها لأول مرة بعد غياب سنوات طوال .. لم أصدق نفسي كيف استدار جسدها وتشكلت منحنياتها .. طيلة عمرها فاتنة مغرية لكن حين تركتها في التاسعة عشرة وهاجرت لم تكن بهذه الفتنة التي هي عليها الآن.."

صرخ وائل في رأسه "أنت قذر وقح ..وقح"

أكمل سامي للجسد الغائب الوعي أمامه " أنا لا أصدق كيف استطعت أن تمنع نفسك عن هذه الفاتنة المغرية.. (شرد سامي يتخيل ماجدة) شعرها.. أتطلع لأن ألمسه واشتمّه وأغرق فيه .. قدها وآه من قدها ..آه .. مهلك .. من يراها لن يصدق أبدا أنها أم لفتاتين مراهقتين "

Des. Maryam Tamim

وضع وائل يديه على رأسه .. يحاول أن يمنع لسعات النحل المؤلمة وهو يصرخ "اخرس اخرس "

ترك سامي شعره فجأة ولمع الجنون في عينيه يقول " الوداع يا قريبي أنت زوجها السابق وأنا المحظوظ الذي يليك ".

صرخ وائل يبحث حوله عن مخرج من الغرفة الخانقة الضيقة " سأقتلك سأقتلك يا وقح يا قذر "

هتفت مريم " اهدأ يا وائل يبدو أنهما متفقان على الزواج من بعدك "

دفعها يقول " اخرسي "

أمسك سامي بغطاء الاكسجين ببرود ورفعه عنه وهو يهمس بفحيح مرعب " ليتك تموت الآن قبل أن يأتي غدا فتكون فرحتي مزدوجة .. فرحة التخلص من وجودك وفرحة الحصول على ماجدة"

[3776]

شعر وائل بالاختناق يحاول التنفس بصعوبة ..
بينما اتسعت ابتسامة سامي وأكمل بجوار أذنه "
غدا لقائي مع ماجدة .. غدا ستكون ملكي أنا "
وائل يختنق ..

" أنا انتظر الغد على أحر من الجمر .."

وائل يطلب الأكسجين ...

" غدا ستكون ماجدة ملكي .. فلن ننتظرك لأن
تموت .. فموتك آت لا محالة (وأكمل ساخرا)
لكني من أجل رابطة الدم تلك التي يتحدثون عنها
أساعدك أن تتخلص من حياتك بشكل أسرع .. "

بحث وائل عن الاكسجين.. وأخذ يدور في الغرفة
يشعر بالاختناق بين جدرانها ..
بحث عن شباك ..

[3777]

عن باب ..
عن مريم ..
اختفت مريم ..
فأخذ يضرب الجدران .. ولكن هذه المرة صوته لم يخرج..
يضرب من جديد .. ويصرخ دون صوت .. يريد الهواء يريد أن يتنفس .

"من أنت ؟"
قالها أحمد وهو يدخل الغرفة بيده كوبا من الشاي فوضع سامي قناع الاكسجين بسرعة على أنف وائل فشهق الأخير يسحب جرعات قوية من الاكسجين .. بينما تكلم سامي بأعصاب باردة" أنا سامي رؤوف ابن عمه ".

نظر إليه أحمد بشك وقال " كيف دخلت إلى هنا .. هذا ليس وقت الزيارات ؟".

[3778]

رفع سامي ياقة قميصه ورد بزهو " لا تقلق لي معارفي .. أنا مضطر للذهاب .. سلام " .

تحرك سامي بخطوات سريعة مغادرا بينما ظل أحمد يحدق فيه ممسكا بكوب الشاي .. شاعرا بعدم الراحة .. ثم دلف للغرفة يتأمل وائل الذي انتظمت أنفاسه من جديد.. ليضع كوب الشاي ويرفع الهاتف ويقول " أعطني مدير أمن المستشفى "

***

الخميس مساء :
مدت يدا مرتعشة تلمس ذراعه بخفة .. تتحسسه من أوله لآخره ..

لا تعلم لمَ هي هنا؟ ..
لم أصرت على المبيت معه الليلة ..

Des. Maryam Tamim

لمَ اختارت أن تأتي إليه قبل أن تفكر كيف ستخرج من مصيبتها وماذا ستفعل؟ .. هل جاءت لتؤكد لنفسها أنه مازال حيا ؟.. أم جاءت لتودعه ؟.. أم لتستجير به في لحظة يأس ؟..
فما ستفعله مع سامي لا تدري ما هو نتيجته .. وإلام سينتهي ؟ .
كلها أسئلة دون إجابات .. لكنها قررت أن تأخذ بنصيحة أروى وتبوح بما في صدرها ..

تنبه وائل فجأة في ارتباك يمسك بذراعه موضع لمساتها التي شعر بها وهي تمسد على ذراعه بحركة متكررة.. فسكن يسترق السمع بعد أن كان يدور في الغرفة المغلقة يضرب ويخربش في جدرانها بحثا عن مخرج منذ ساعات متجاهلا مريم التي كانت تلح عليه بكثير من الاسئلة منذ أن غادر سامي .
بعد لحظات اقتربت ماجدة منه تتشمم رائحته وتسحبها إلى قلبها ثم همست بعد فترة من التردد "

Des. Maryam Tamim

لا أدري ماذا أقول .. ومن أين أبدأ .. فأنت تعرف كل شيء .. لكنك في نفس الوقت لا تعرف شيء .. لا تعرف شيء عني .. عن ماجدة .. جوجو .. هل تذكر جوجو يا وائل؟ .. هل تذكرني؟ .. أم أن صورتي القديمة محوتها من ذاكرتك بعد ما فعلته أمي ..

تكلمت مريم تقول " هل جاءت ماجدة لتعترف لك بحبها لسامي ؟!! "

أشار لها بحدة أن تخرس واسترق السمع وهو مازال يمسك بذراعه التي تتحسسها ماجدة بحركة متكررة ..

بينما أكملت ماجدة "مر وقت طويل لم استطيع لمسك .. طويل جدا .."

تحسست بأصابع مرتعشة على ذراعه وصدره .. وقربت أنفها من رقبته تتشممه وهي تكمل بهمس جعله متسمرا متسع العينان" ومضى وقت لم أشتم رائحتك عن قرب .. كنت فقط أبحث عنها في ملابسك التي تلقيها خلفك.."

[3781]

هرشت مريم في رأسها وقالت " هذا ما كنت أخشاه .. أن يكون سبب إهمالك لها هو من جعلها تلجأ لسامي وتحبه "
قال وائل من بين أسنانه اخرسي يا مريم "

قالت ماجدة بعد فترة صمت تجمع شتات أفكارها بعد أن هرب منها كل ما تمنت أن تقوله " أكان هناك أمرا عليّ أن أفعله من أجلك ولم أفعله ؟.. لم أطالبك يوما بشيء .. لم أحاسبك على شيء.. عشت معك لأربي بناتي في صمت .. حاولت ألا أشعرك بوجودي لأني أعرف أن رؤيتي تذكرك بماض أليم .. فعلت الكثير يا وائل حتى أكون غير مرئية .. فعلت الكثير .. فهل هناك شيئا تبقى لم أفعله ؟.. أخبرني وسأفعل لك ما تريد (صمتت قليلا ثم أكملت بحشرجة) لو استطيع اعادتها للحياة لفعلتها منذ أعوام طويلة .. صدقني لو هي على قيد الحياة لتركتك تذهب إليها إن كان ذلك

Des. Maryam Tamim

سيسعدك .. لكنها لسوء حظك وحظي رحلت .. وبقيت أنا ..

و انتظرتك أن تبرأ من مصابك .. انتظرت أن تراني كإنسان ولم أطمع في أكثر من ذلك .. لم أطمع أن تراني زوجة ولا امرأة (وابتلعت طعما مرا كالعلقم وأكملت) ولا حبيبة ... وتمنيت كثيرا أن تدور عجلة الزمن للوراء وأن أعود جوجو الصغيرة التي كنت تدللها ..(أخذت نفسا عميقا وأكملت) خطيئتي ... خطيئتي الوحيدة أني أحببتك .. ووافقتهم على الزواج منك وأنا أعلم أنك تحبها .. لكني .. (صمتت تتحكم في ارتجافها وقالت) لكني لم أعرف رجلا غيرك يا وائل .. فأنا نشأت وتربيت على أني لك وأنك لي .. منذ نعومة أظافري وأنا أسمعهم يتحدثون عن زواجنا المستقبلي .. فتشكلت مشاعري باسمك .. وشموك بداخلي وشما لا يُمحى كما وشموني في قلبك خنجر لا يُقتلع .. أنا عشت عمري يا وائل لا أرى رجلا غيرك ..

[3783]

رسمتك على جدران بيتنا بالطباشير وأنا صغيرة .. وكتبت فيك أشعارا خجلت أن أطلعك عليها وأنا مراهقة .. لم أنظر يوما لشاب آخر .. ولم أتخيلني مع رجل سواك .. وكأني خلقت لك .. خلقت لوائل موريس ..كُتبت باسمك منذ أن جئت لهذه الدنيا .. وبرغم كل ما حدث .. وبرغم تلك السنين الضائعة من حياتنا .. لم أستطع أن أمحي تلك الحقيقة من قلبي أنني لك .. لم أستطع حتى أن أكرهك .. ليتي أكرهك يا وائل فلو كرهتك لصرت قوية .. لكني فشلت .. فشلت في كل شيء حتى في أن أكرهك فشلت "

ألصقت جبينها بكتفه وبكت بحرقة فبكى وائل ومريم وهما يتبادلان النظرات في صمت .

بعد قليل أكملت ماجدة " وها أنا أدفع ثمن هذا غاليا .. ثمن قبولي بالزواج منك ..لأني كنت

Des. Maryam Tamim

ضعيفة .. لم أكن ضعيفة أمام أمي كما يقولون .. ولكن ضعيفة تجاهك .. أنت نقطة ضعفي يا وائل .. لكني أقسم لك أني لم أعلم بما فعلته أمي بمريم.. أقسم لم أعلم شيئا ولم أدبر مع أمي أي شيء .. فلولا تركك للمنزل بعد تلك الأيام التي قضيتها معي لما كانت ستعرف أنك هجرتني وتنتقم .. خطيئتي .. جريمتي الوحيدة يا وائل .. هي أني أحببتك أكثر مما ينبغي ..أكثر من روحي .. وتخيلت بسذاجتي وقتها وأنا في التاسعة عشر من عمري أنك ربما لو عرفتني لأحببتني .. لكنك أهدرت كرامتي وأنوثتي تحت قدميك .."

انهارت مجددا في البكاء .. بينما صوت بكائها يعذبه .. يجلده .. يمزق قلبه بخناجر بعدد الأيام التي عذبها فيها .

رفعت ماجدة رأسها فجأة تقول" لمَ تهدد بالرحيل دوما ؟"

Des. Maryam Tamim

انفعل وائل يردد باستنكار " أنا كنت أهدد بالرحيل؟!.. أنا عقدتي كان سببها عدم استطاعتي الرحيل "

تدخلت مريم تقول ببرود " ليس بالضرورة أن يكون تهديدا منطوقا "

أشار لها بغيظ ألا تتدخل بينما أكملت ماجدة " إن لم أكن أستحق أن تبقى من أجلي .. فمن أجل بناتك .. (وابتلعت ريقها المر بصعوبة ثم أكملت بلهجة معذبة) صدقني لو يعرفن كيف يدبرن أمرهن بدوني لاختفيت من أمامك .. ولما اضطررت لرؤيتي التي تزعجك .. التي تؤلمك .. التي تذكرك بما فعلت امي .."

انفجرت في البكاء تدفن وجهها في صدره وتتشبث بملابسه فوضع وائل يده على صدره مأخوذا بكلامها مشدوها يبتلع ريقه بصعوبة ثم أخذ يربت على صدره وكأنه يربت عليها ولم تدري ماجدة أنه

Des. Maryam Tamim

يحرك أصابع ذراعه الأخر على السرير في حركة متزامنة مع هدهدته لها في رأسه "
رفعت ماجدة رأسها تقول " أتدري .. تمنيت كثيراً لو أني مت بدلا منها .. ليسعد قلبك يا وائل .. (وأمسكت بتلابيبه وهي تغمغم) أخبرني ماذا أفعل لتستفيق وتحيا سعيدا؟ .. أفديك بروحي لو كانت هي الثمن .. انهض يا وائل بناتك في حاجة إليك .. وأنا في حاجة لوجودك لأستمر وأصبر على هذه الحياة .. انهض وأنا راضية بوجودك الباهت في حياتي .. لأنك حياتي نفسها يا وائل ".

أمسك وائل بقلبه وتطلع لمريم التي انزوت في ركن الغرفة تبكي بحرقة.. وبدأ يشعر بسريان الدفء في جسده كله.. فتمدد مسترخيا.. حين قامت ماجدة بحشر نفسها بجواره على سرير المستشفى وضمته بقوة وهي تبكي .. فربت عليها في رأسه مستمتعا بدفئها مربتا على قلبه بحركة رتيبة في رأسه يبكي مع

Des. Maryam Tamim

بكائها .. ولم تدري كم بكت وهي تدفن وجهها في ذراعه .. ولم تدري أن ذراعه الآخر كان مستمرا في التربيت على السرير برتابة حتى هدأ نشيجها ونامت فلم ترى تلك الدموع التي انسابت من عينيه وطالت شعرها مواسية .

***

بعد منتصف الليل :

هدأت الحركة في الشارع لكنه لم يهدأ .. يلف ويدور في الخن لا يعلم ماذا يفعل ..

فمنذ أن علم بالخبر وهو راقد في السرير غير قادر على الحركة .. يلح في الاتصال بها لكنها لم ترد .. واليوم ترك البيت عصرا غير قادر على الرقاد رغم اعتراض رحمة وبسمة وحضر للمقهى يلف ويدور حول نفسه كأسد جريح .. لا يعرف مع من يتحدث فوائل غائب عن الوعي وعمرو يعلم بظروفه وأنه يسرق الدقائق ليقضيها مع أروى دون

Des. Maryam Tamim

علم والدته وأحمد يتجنب الاحتكاك به بعد ذلك اليوم حتى لا تنفلت أعصابه ويضربه ويضرب الجميع ..

لديه رغبة في أن يفرغ مشاعره المكبوتة في عراك طويل النفس ..

يصارع فيه ماردة الذي يعربد بداخله ..

ويصارع قلبه الذي يشقيه ..

ويصارع عقله الذي يثنيه . .

ويصارع تلك العراقيل التي تقف في طريقه ..

ويصارع نفسه ونحسه ووجوده في هذه الحياة ..

ثم ..

يموت نازفا وسط الطريق .

أمسك بالهاتف متجاهلا تلك الحمى التي تشعل جسده لا يعلم إن كانت بسبب مرضه أم بسبب ما يحترق به قلبه.. وفتح تطبيق الساوند كلاود بعد أن جاءه إشعارا ليجد آية قد نشرت على صفحتها

Des. Maryam Tamim



أغنية أججت النار في صدره بقوة وهو يستمع لصوت فيروز :

تنذكر ما تنعاد
و نشوفك بالاعياد
تعمر و تجيب ولاد ..بس انساني

تنذكر ما تنعاد ..
و يصيروا الاشيا بعاد..
في غيرك ناس جداد في شي تاني ..

شو هالحب اللي طالعلي فيه
شو هالقلب اللي بس نسمع فيه
بتبلش حب و ما بتكفيه

تنذكر ما تنعاد تترك أرض الأجداد
و تجرب غير بلاد لتنساني
شو هالعمر اللي مش باقي شي

[3790]

لولا الوقت الي ولا خلى شي
خلالي طريقي و رح أمشيه

كان عندي عيد ميلاد ذاكر وقتو بالكاد
تهرب متل الولاد شي تنساني
حتى عيدي بكره فكر فيه
لون الشمع اللي لازم أطفيه
بتمنى تنسى حبي و تعفيه

فرك سيد جبينه بارتباك يشعر أنه على وشك الجنون يرغب في اقتحام بيت سماحة واقتحام غرفتها وصفع تلك القزمة ثم اختطافها حتى لا تفكر مجددا في شخصا غيره .

فتح الهاتف وكتب لها رسالها على الواتساب يقول بتوسل " ردي يا آية لدقيقة واحدة .. واحدة فقط.."

[3791]

في غرفتها فتحت آية الرسالة ونغزها قلبها وأخذت تدور في الغرفة كقطة حائرة لا تعرف ماذا تفعل لتأتيها رساله أخرى منه يقول بتهديد " أنا في الخن وإن لم تردي لا أعرف ماذا سأفعل فأنا لست واعيا في هذه اللحظة "

نفخت آية بعذاب في كفيها تدور في الغرفة ثم حسمت أمرها وقررت أن ترد عليه .. أن تعتذر له .. وأن تسترضيه .. وقررت أيضا أن تتوسله ألا يسافر .. وتعرف أنه سيستجيب لتوسلاتها .

تمتمت وهي تفتح هاتفها لتتصل به" سأتوسل إليه ألا يسافر .. "

لكنه اتصل بها قبل أن تهاتفه فردت بلهفه " نعم سيد " .

جاءها صوته مجهدا متحشرجا ولسانه به بعض الثقل الذي أقلقها " هل قررت بهذه السهولة أن تمحي سيد من قلبك وتمضي في حياتك ؟"

سألته بقلق " هل أنت بخير ؟".

Des. Maryam Tamim

تحرك ينزل من الخن يخترق المقهى الفارغ بعد أن أصر على طأطأ أن يغادر منذ قليل .. ففتح باب المقهى يقول متجاهلا سؤالها " سألتك سؤالا هل قررت يا آية بهذه السهولة أن تمحي سيد من قلبك وتمضي في حياتك " .

ردت باكية " لو كان محوك بهذه السهولة لم أكن لأعاني بهذا الشكل .. "

قال واقفا في وسط الشارع الهادئ تماما ينظر لأعلى على باب شرفتها المغلق " أنا أعرف أنك تعانين.. ولأنك تعاني أردت أن أختفي من الوجود .. أختفي من حياتك حتى لا تعاني ".

همست " سيد"

فرد بأنفاس حارة " يا روح سيد"

ضرب قلبها في صدرها بقوة وهمست وهي ترتجف " روحك ؟! "

Des. Maryam Tamim

سعل قليلا ورد " نعم روحي يا آية .. روح سيد العالقة بين السماء والأرض .. لا رُدت إليه لتحييه ولا صعدت للسماء لتريحه فيستريح من الدنيا "

بكت تقول بقلق " لمَ تسعل هل أنت مريض؟ "
تمتم يقول " لا تبكي يا صغيرتي .. فقط أمهليني بعضا من الوقت لأختفي من دنياك .. أعرف أني أطلب منك ما ليس من حقي .. لكني لن أتحملها يا آية.. والله لن أتحمل أن أراك مع رجل آخر .. سأموت في كل الحالات .. لكني لا أريد أن أموت أمام ناظريك .. ولا أريد أن أحمّلك ذنب موتي .. امنحيني بعضا من الوقت لأموت بعيدا وحيدا دون أن تدري " .
سمعت صوت نباح الكلاب آتيا من الشارع ومن الهاتف في نفس الوقت فسألته "أين أنت بالضبط؟"
فرد" تحت شرفتك" .

Des. Maryam Tamim

قفزت من مكانها تخرج لشرفتها لتجده واقفا يستند
على الحائط يرفع وجهه إليها فقالت مشفقة "
اذهب لبيتك يا سيد واطمئن أنا لن أفعلها كنت
أزعجك فقط لأثنيك عن قرارك .. "
سألها وهو يرتجف " صدقا يا يويا؟"
ردت مطمئنة تتمنى لو تقدر على أن تنزل إليه " لن
أفعلها .. اذهب لبيتك يا سيد "
هتف باسمها " آية .."
ارتجفت لسماع اسمها منطوقا من بين شفتيه
وردت "نعم .. "

قال بصوت أجش " هل تذكرين تلك القصيدة التي
ألقيتيها عليّ تلك الليلة ؟".

بلعت طعما مرا في فمها وردت " أجل أذكرها "
فقال بهمس " أنا أيضا أحمل في قلبي قصيدة أتمنى
أن ألقيها عليك ولو مرة واحدة في عمري "

Des. Maryam Tamim



سألت بصدمة " لي أنا ؟"

رد بلهجة حارة معذبة " وهل هناك غيرك .. فأنت ورطتي الكبيرة ".

ابتسمت باكية فبدأ بإلقاء القصيدة فجأة :

أحبك جداً
وأعرف أن الطريق إلى المستحيل طويل
وأعرف أنك ست النساء
وليس لدي بديل
وأعرف أن زمان الحنين انتهى
ومات الكلام الجميل

لست النساء ماذا نقول
أحبك جدا ...

Des. Maryam Tamim

وضعت آية يدها على فمها مشدوهة تحاول التماسك بينما أكمل سيد :

أحبك جداً وأعرف أني أعيش بمنفى
وأنت بمنفى
وبيني وبينك
ريحٌ
وغيمٌ
وبرقٌ
ورعدٌ
وثلجٌ ونار

وأعرف أن الوصول لعينيك وهمٌ
وأعرف أن الوصول إليك
انتحار .

ويسعدني
أن أمزق نفسي لأجلك أيتها الغالية

[3797]

ولو خيروني
لكررت حبك للمرة الثانية

...

شعر سيد بالدوار فجلس على الأرض يمسك برأسه فارتعبت آية وحاولت أن تناديه في الهاتف لكنه لم يكن يسمعها واستمر في هذيانه :

يا من غزلت قميصك من ورقات الشجر
أيا من حميتك بالصبر من قطرات المطر
أحبك جداً

...

وأعرف أني أسافر في بحر عينيك
دون يقين
وأترك عقلي ورائي وأركض
أركض
أركض خلف جنوني

...

[3798]

أيا امرأة تمسك القلب بين يديها
سألتك بالله لا تتركيني
لا تتركيني
فماذا أكون أنا إذا لم تكوني
أحبك جداً
وجداً
وجداً
وأرفض من نار حبك أن أستقيلا
وهل يستطيع المتيم بالعشق أن يستقلا ...
وما همني
إن خرجت من الحب حيا
وما همني
إن خرجت قتيلا

جرت آية تخرج من الشقة بخفة تطير على السلم متجاوزة شقة أحمد .. وقبل أن تصل للبوابة اكتشفت أنها بالمنامة وعارية الرأس فترددت قليلا

[3799]

ثم طارت صاعدة من جديد .. لتقف متسمرة عند شقة أحمد ببعض التردد ثم طرقت على الباب . .

***

في تلك الاثناء دخل عمرو بهدوء شقة والدته كالعادة حزينا لفراق أروى التي لم تتوقف عن الشقاوة والدلال طيلة الساعتين التي تسلل فيها ليراها ..

واستعاد في ذهنه صورتها .. وكيف تذيبه برقتها ومزاحها .. وإغوائها المستمر له ليعدل عن قراره .. مما يزيد من صعوبة الأمر عليه لكنه مازال لا يستسيغ الوضع بينهما بهذا الشكل فيمنع نفسه عنها وكأنه يعاقب نفسه لا يدري لمَ ؟..

دخل غرفة والدته بهدوء وتلمس طريقه في الظلام حتى وصل للأريكة يرغب في نوم عميق متمنيا أن تزوره أروى فيه .

Des. Maryam Tamim

فجأة فتحت والدته الضوء الجانبي وقالت " انزل إليها " .
اتسعت عينا عمرو بمفاجأة وانعقد لسانه..
فاستدارت إليه عفاف تقول" هل تعتقد أنك تخدعني كل هذه الأيام ؟ "
ابتلع ريقه وقال " متى علمتِ ؟"
ردت بقرف " منذ أن هذبت لحيتك واستعدت شهيتك وردت الدماء في وجهك .. وسمعت ضحكتك " .
احمرت أذناه وشعر بالحرج فقالت وهي تحكم عليها الغطاء "انزل إليها ودعني أنام ".

سألها بتردد " هل أنت بخير يا أمي؟"
ردت ببؤس" مضطرة أن أكون بخير لتكون أنت بخير اغلق الباب بالمفتاح من الخارج " .

Des. Maryam Tamim

اقترب منها وطبع قبلة سريعة على رأسها يقول "أنا أحبك يا أم عمرو أحبك جدا " .

وأسرع يركض إلى شقة الدور الثالث بينما غطت عفاف وجهها بالغطاء تكتم بكائها.

بعد دقائق دخل عمرو على أروى ليجدها تبكي.. فقالت بسرعة وهي تمسح دموعها" ما الذي أعادك ؟"

قال مذهولا " لم تبكين؟"

مسحت دموعها تقول" لا شيء أنا فقط عاطفية هذه الأيام وأرغب في الالتصاق بك.. وأبكي كلما تركتني " .

تسمر في مكانه قليلا يحدق فيها ثم انفجر ضاحكا تلك الضحكة الصبيانية التي تحبها فتطلعت إليه تصيح" لم تضحك يا غليظ؟! ولم عدت مجددا؟؟"

[3802]

أقترب منها يقول" أضحك على قدري في النساء في حياتي .. وعدت لأن (ولمعت عيناه كصبي شقي " لأن أمي طردتني من الشقة".
شهقت أروى وقالت بفرح " حقا .. طُردت من نعيم الخالة عفاف ؟!!".

رد وهو يتأملها بنظرة مشتعلة " وأصبحت بلا بيت .. وبلا مأوي .. فهل تأويني عندك يا أروى هانم ولك ما تطلبين ".
مطت شفتيها وقالت بشقاوة " أحتاج لجلسة تدليك عاجلة ".
خيم فوقها يقول " وها قد حضرت الخدمة العاجلة"
ومال يلتهم شفتيها بعنف لبعض الوقت ثم قال وهو يخلع ملابسه " إياك أن تخبريني بأن لديك الظروف الشهرية سأقتلك شر قتلة ".

Des. Maryam Tamim

شردت قليلا تتمتم في سرها" الظروف الشهرية!!..
الظروف الشهرية !! متى كانت أخر مرة يا أروى
؟!!!!!!!!!!"
لكنه قطع شرودها حين باح لها بما كاد أن يفقده
عقله .. فذابت بين ذراعيه تروي شوقا مضنيا
ونسيا الزمان والمكان ..
لبعض الوقت ..

Des. Maryam Tamim

الفصل السادس والثلاثين

جرت آية تخرج من الشقة بخفة تطير على السلم متجاوزة شقة أحمد .. وقبل أن تصل للبوابة اكتشفت أنها بالمنامة وعارية الرأس فترددت قليلا ثم طارت صاعدة من جديد .. لتقف متسمرة عند شقة أحمد ببعض التردد ثم طرقت على الباب. .

كان أحمد يتقلب في سريره ككل ليلة يعذبه الاشتياق والفقد وتعاركه الأفكار.. حتى يردوه قتيلا مع نسمات اليوم الجديد..

يواسيه صوت فيروز الذي يملأ فراغ الغرفة :

بشتاقلك لا بقدر شوفك ولا بقدر احكيك
بندهلك خلف الطرقات و خلف الشبابيك
بجرب إني إنسى بتسرق النسيان
و بفتكر لاقيتك رجعلي اللي كان

Des. Maryam Tamim



و تضيع مني كل ما لاقيتك
حبيتك أنا حبيتك

لكنه استطاع أن يميز صوت الطرق على الباب ليتحفز ويقفز بسرعة يطير نحو الباب في لحظة أمل اخترقت اليأس الذي بات يحتل كل كيانه مؤخرا .. لكنه سرعان ما تبخر في لمح البصر كفقاعة صابون حين فتح الباب ليجد أمامه آية .

احتاج لبضع ثوان ليلملم شتات نفسه قبل أن يستوعب ما تقوله آية الممسكة بهاتفها على أذنها " سيد أمام بيتنا وأعتقد أنه مريض.. إنه يجلس في الشارع يا أحمد وغير منتبه لما أقوله "

تحرك أحمد نحو شرفة الصالة ليدخل بعدها مسرعا نحو غرفته يرتدي فانلة على جذعه العاري وهو يسب ويشتم من بين أسنانه فتكلمت آية



بتوسل " بالله عليك يا أحمد ترفق به إنه مريض أرجوك " .
نظر إليها شذرا ثم نزل مسرعا فنزلت خلفه ليشير لها بإصبعه آمرا أن تصعد ثم أغلق البوابة بحزم ..
فتطلعت لسيد عبر قضبان البوابة لتجده مازال جالسا يفترش الأرض .. يستند على الحائط مستمرا في اعترافه لها عبر الهاتف .. فتمنت لو أن تُمنح فرصة واحدة فقط لأن تغمره في حضنها..
تكلم سيد مستمرا في البوح لها عبر الهاتف :

يا آيتي..
أحبّك جداً...
وأعرف أنّي .. تورّطت جداً
وأحرقت خلفي جميع المراكب
وأعرف أنّي .. سأهزم جداً
برغم ألوف النساء ..
ورغم ألوف التّجارب

[3807]



أحبّك جداً
وأعرف أنّي بغابات عينيك
وحدي أحارب
وأنّي .. ككلّ المجانين
حاولت صيد الكواكب
وأبقى أحبّك رغم اقتناعي
بأنّ بقائي إلى الآن حيّاً
أقاوم شفتيك.. إحدى العجائب

برغم الحمى والهذيان استطاع تمييز أحمد وهو آت
نحوه لكنه استمر في البوح لها عبر الهاتف
مستسلما لمصير مجهول ..
أحبّك جداً
وأعرف أنّي أقامر برأسي
وأنّ حصاني خاسر
وأنّ الطّريق لبيت أبيك

[3808]



محاصر بألوف العساكر
وأبقى أحبّك .. رغم يقيني
بأنّ التلفّظ باسمك كفرٌ
وأنّي أحارب.. فوق الدفاتر

حين وصل إليه أحمد وقف أمامه متحصرا آسفا على حال صاحبه يقاوم تلك الشفقة التي تعتصر قلبه وهو يراه على هذه الهيئة ويقاوم في نفس الوقت رغبة ملحة لقطع رأسه.. بينما رفع إليه سيد عيناه الحمراوان لثانية .. بينما أطرق سيد برأسه يهمس لها كاعتراف أخير:

أحبّك جداً
وأعرف أنّ هواك انتحار
وأنّي حين سأكمل دوري
سيرخى عليّ الستار
وألقي برأسي على ساعديك
وأعرف أن لن يجيء النّهار

[3809]

وأقنع نفسي بأنّ سقوطي
قتيلاً على شفتيك انتصار

طالعه أحمد بنظرة خطرة وقال بخشونة "هل انتهيت من هذيانك ؟"..
لكن سيد لم يكن في كامل وعيه بل استمر يهمس لها :.

أحبّك جداً
وأعرف منذ البداية
بأنّي سأفشل ..
وأنّي خلال فصول الرّواية
سأقتل ..
ويحمل رأسي إليك
وأنّي سأبقى ثلاثين يوماً
مسجىً كطفلٍ على ركبتيك
وأفرح جداً .. بروعة تلك النّهاية

Des. Maryam Tamim

سحب أحمد منه الهاتف بخشونة وتكلم متهكماً وهو يسحبه من جذعه بصعوبة ليقف " أبشر! ها أنا ذا جئت إليك لأحقق لك ما تتمناه وأقطع رأسك .. قف معي أولا "

أوقفه بصعوبة وأسند ذراعه على كتفيه متحملا ثقل وزنه .. ثم اتجه نحو المقهى وهو يقول لسيد الذي بدأ يسعل بشدة " وزن ثور وعقل خنفساء "

مر به من أمام بوابة البيت فتشبثت آية بقضبان البوابة بكلتا يديها تقاوم اندفاعها .. بينما يشيعها سيد بنظراته قبل أن يجبره أحمد على الصعود للخن .

في الخن رماه بخشونة على الاريكة فتوجع سيد بينما تجاهل أحمد اتصالات آية المتكررة ليطلب الطبيب .

بعد قليل تكلم سيد يقول " افعلها بلا تردد "

سأله أحمد بقرف " أفعل ماذا؟"

Des. Maryam Tamim

رد سيد بإعياء " اقتلني .. افعلها وخلصني ..(وأمسك بملابسه يقول بلهجة متوسلة أوجعت أحمد) ألست صاحبي .. إن كنت أعز عليك اطلق علي رصاصة الرحمة ...وارحمني فأنا تعبت " أشفق أحمد على حاله لكنه رد بامتعاض وهو يزيح يده بعنف "سأفعلها لا تقلق .. لكني أحب أن تكون بكامل صحتك حتى أتلذذ بقتلك ".

حين حضر الطبيب قال وهو يغلق حقيبته " الحقنة ستساعد على خفض حرارته وعليه أن يستمر على الأدوية التي وصفتها لمدة ثلاثة أيام " قال أحمد وهو يودعه " هل سنحتاج لمراقبة ضغطه "
قال الطبيب " أنا كتبت له أدوية تناسب ضغطه العالي .. لكن لا مانع من مراقبته .. وعمل كمادات باردة حتى تنخفض حرارته ".

Des. Maryam Tamim

بعد قليل كان أحمد يضع إناء الماء البارد على الأرض بعصبية فانسكب بعضا منه ورد بحدة على آية التي تلح على الهاتف " كفي عن الاتصال يا أية ولا تجعليني ألقي به من النافذة .. وإياك والخروج من البوابة .. اصعدي فورا إلى غرفتك ونامي ".
أغلقت الهاتف صاغرة .. وتكورت في جلستها على السلم تحضن ركبتيها ببؤس وتسترجع اعتراف سيد مرارا وتكرارا وهي تبكي بحرقة.

بينما مد سيد يده ليمسك برقبة أحمد الجالس بجواره على الكرسي فيهذي قائلا " لا تعنفها ولا توبخها.. يكفيها ما تعانيه بسببي .."

أزاح أحمد يده بخشونة وكور قطعة القماش المبللة في يده بتحفز وهو يقاوم شبحي الأختين ريا وسكينة اللتان تسيطران على ذهنه قبل أن يفرد

Des. Maryam Tamim

قطعة القماش على كفه وهو يقول " أبشر أيها السيد العاطفي فلم ترى بعد ما سأفعله بك وبها " وألصق قطعة القماش على جبين سيد بعنف ليصرخ الأخير متألما .

***

صباح الجمعة :

تملكته البرودة المؤلمة حين غادرت ماجدة وتركته .. بعد أن قبلت رأسه . .فاستمر يحدق في سقف سجنه لفترة يحاول أن يحلل الأمور .. يطارد الكثير من الأسئلة وعلامات الاستفهام التي تطفو أمامه في فراغ الغرفة .. يركض خلف الإجابات التي ما أن يقترب منها حتى تفر منه من جديد..

تكلمت مريم "لا يعجبني حالك منذ أن أتى ابن عمك ثم ماجدة وأنت شارد ."

وائل : لا يمكن أن أترك ماجدة لهذا القذر سامي الذي ينظر لامرأة متزوجة.

[3814]

مريم : وائل .. اتركها تعيش .. ألم تشفق على حالها وعذابها أمس ؟ .. هذه المرأة عاشت خمسة عشر عاما على الهامش.. من حقها أن تقابل رجلا يشعرها بأنوثتها.. يمنحها قبلة الحياة"

صاح بحنق " هذا الرجل مهووسا وأخشى على ماجدة منه "

مريم : ما المشكلة في أن يحبها بجنون؟!.

رد بغيظ " لقد حاول قتلي"

ردت تقارعه " هذا يدل على كم هو متيما بها إلى حد اليأس .. إلى حد ارتكاب جريمة .. وهي تحتاج بعد تجربتها المريرة معك أن تعوَض بحبيب من هذا النوع .. تحتاج لجرعة مكثفة عاجلة من العشق تغرق صحراء حياتها القاحلة "

أزعجه كلامها .. أزعجه جدا فرد بقلق " لكني أخشى عليها منه .. لست مطمئنا إنه يبدو كمجرم"

Des. Maryam Tamim

ردت بلهجة ذات مغزى " لا تقلق أعتقد أنها تعودت على المجرمين في حياتها".

ازدادت ضربات قلبه واغرورقت عيناه بالدموع يتذكر كلمات ماجدة أمس وشعور بالبرودة المؤلمة يسرى في أوصاله منذ أن تركته وغادرت .. فتمتم بألم " أجل أنا مجرم .. مجرم كبير .. هذا ما اكتشفته أمس .. كنت أتشدق دائما أني مرهف الشعور غير قادر على قتل نملة .. لأكتشف أني كنت أدعسها بقدمي لسنوات طويلة دون أن انتبه .. كيف حدث ذلك ؟.. أنا لا أفهم نفسي !! .. "
صاحت موبخة " لذا أقول ارفع قدمك الثقيلة عن روحها وأتركها تذهب لسامي ".
رد بسرعة " لابد أن أطلب منها أن تسامحني أولا .. فأنا .. (وصمت قليلا يشعر بالارتباك والألم) أنا لم أكن أتخيل .. أقصد .. أنا أريدها أن تعرف أني كنت .. كنت معميا بشعوري المعذب وبحقدي .. عليّ

Des. Maryam Tamim

قبل أن أغادر أن أخبرها أني .. آسف .. وأن أطلب منها أن تسامحني ".

مريم : لا تقلق .. فبهذا الشكل الذي ظهرت عليه أمس لأول مرة ستبقى على حبك حتى وأنت تظلمها .. إن كانت بعد كل هذه السنين من العذاب لم تتوب عن حبك " .

ارتبك من تلك الحقيقة التي جعلته يبكي كثيرا ليلة أمس وهو يسمعها ويشعر بها فقال " لا أدري لم بكيت معها بهذه الحرقة .. هل بكيت ندما على ما فعلته بها .. أم بكيت تعاطفا .. لكني أشعر أن بكائي كان لسبب أكبر من ذلك فأنا مازلت (ووضع يده على صدره) متألما بشدة "

مريم : أو ربما تتألم لأنها تتألم .. أو الإجابة جميع ما سبق ".

حدق في مريم قليلا ثم قال بشرود " يتملكني القلق عليها بشدة ".

عادت مريم تقارعه " لا أجد سببا للقلق فالرجل مهووس بها عشقا ويحلم بأن يمتلكها اليوم قبل غدا "

قال بغضب "ما معنى كلامه أنه سيحصل عليها اليوم .. أنا لم أمت بعد وماجدة ليست خائنة أبدا "

ردت تغيظه " ربما جاءت أمس لتخلص نفسها من مشاعرها المكبوتة تجاهك .. وتبدأ بعدها معه هو .. وصدقا لا ألومها فهي تحملت مالم يتحمله بشر.. من حقها أن تقرر أن تعيش "

قال باستنكار " وهل العشق يعطيها الحق في خيانتي ؟!! أنا مازلت حيا لم أمت ".

ردت " كما أعطاك الحق في خيانتها وهي حية ولم تمت .. ".

رد وقد عاوده الارتباك " أنا كنت أعشقك أنت يا مريم .. "

[3818]

تكتفت تسأله بشك " أأنت متأكد من هذه الحقيقة ؟! فإن كان هذا مبدأك أليس من الأولى خيانتي مع زوجتك وليس مع نساء أخريات .. على الأقل ستكون وقتها مجبرا .. "

حدق فيها معقود اللسان فأكملت " أم إنك كنت تعطيها أسبابا لتحصل على الطلاق منك أسفا على حالها الذي هو في الأصل من صنع يديك ؟"

حاول الغوص في عمق ذاته الضبابية النزعة ليقول بخفوت " ربما ذلك"

فقالت مريم " إذن أنت قمت بخيانتي من أجلها !!.. أي أنها أهم مني ".

رد بسرعة " لا لا .. أنت الأهم عندي .. أنا .. أنا أحبك".

هتفت مريم " لمَ أشعر أنك تتعامل مع الأمر وكأنه تهمة ؟ .. فمن الطبيعي أن تمضي في حياتك بعد موتي .. حتى لو كنت أنا أعظم امرأة في الدنيا "

[3819]

استمر في التحديق فيها ومحاولة استيعاب ما تقول فأكملت مريم "إلا اذا كنت تختبئ وراء مبرر (حبك المتيم بي) حتى لا تواجه حقيقة أخرى"

سألها " أي حقيقة ؟!!"
ردت مريم " أنك مثلا تسببت في موت أبيك وتسببت في انتحاري .. وتسببت فيما طالني من شائعات التي حدثت قبل موتي .. وتابعات ذلك "
قفز يقول بسرعة " لا لا لست أنا السبب .."
ردت بتحفز " أرأيت ! .. أنت لم تدافع عن حقيقة حبك لي .. أنت نفيت عنك التهم في أن تكون السبب فيما حدث .. أرأيت ماذا تبادر لذهنك أولا"

ضغط على رأسه وقد عاودته لسعات النحل من جديد وهو يردد " أنا أحبك و من أجلك تدمرت حياتي "

Des. Maryam Tamim

صرخت فيه فجأة " لا تلصق بي ضعفك واستسلامك وتستخدمني مشجبا لأخطائك ..فأنا أكره ذلك "

سألها باندهاش وهو يمسك رأسه من الألم " ماذا تقصدين ؟ ولم الصراخ ؟ يكفيني آلام رأسي "

ردت موبخة " لأن عليك التخلص من تلك الادعاءات الكاذبة ..أنت صنعت وهما وصدقته أنك مازلت تحبني.. لتحمي نفسك من فكرة أنك آذيت أحدا "

لسعات النحل تشتد فهتف متألما " أنا لم أؤذي أحدا"

ردت بثقة " ربما لم تفعل ذلك في البداية .. لكنك حمّلت نفسك وزر ما حدث لي .. والمواجهة التي حدثت بين العائلتين .. وأنا أرى أنك كنت مشارك بقدر ضئيل في تفاقم الأمر .. لكنك بحسك المرهف حملت نفسك الكثير .. لتنقلب بهذه المبالغة فتتحول لمجرم خسيس اخترت كائنا

[3821]

ضعيفا أنت تعلم جيدا في قرارة نفسك أن ليس لها ذنبا للانتقام من أمها فيها .. "
وضع يديه على رأسه وصرخ " كفى يا مريم ..كفى .. لم بِتِ قاسية بهذا الشكل؟"
ردت ببساطة " أنت من يرغب في إيجاد إجابات لأسئلة تحيرك .. وأنا أساعدك.. أي أنك من تريدني حادة قاسية معك بعد أن اكتشفت أنك عشت عمرا ضائعا ."
قال يقاوم الصداع " أنا تائه .. حيران .. أركض وراء إجابات لأسئلة تأكلني أكلا لا أجد لها إجابات .. لكني حتى الأسئلة أنا غير قادر على إمساكها بيدي ووضعها أمامي لأفندها .."
مريم " أعتقد أن أهم سؤال عليك أن تجد إجابته والذي سيكون المفتاح لجميع الإجابات هو هل مازلت تحبني ؟".

Des. Maryam Tamim

هم أن يجيب فقالت بسرعة " وقبل أن تجيب على هذا السؤال صِفني .. هل تذكر ملامح مريم يا وائل ؟".

رد باندهاش " ما هذا الهراء !! .. أنا أراك الآن " كررت تقول بإلحاح " صفني "

رد بقلق " أنت شقراء بعينين زرقاوين .. شعرك طويل واشقر.. وطولك متوسط "

تطلعت فيه ببرود تقول " ما تصفها ليست مريم الحقيقية "

سألها باندهاش " ماذا تعنين؟!!!"

ردت " مريم الحقيقة بشعر قصير .. كنت دوما تصفها بالفتاة الفرنسية .. وتولهت في حبها إعجابا بسبب شكلها الغريب شعر اشقر قصير وقامة قصيرة ونحيفة.. أي أنها لم تكن متوسطة الطول طويلة الشعر .. فابحث عمن تعرفها في حياتك بشعر طويل ومتوسطة الطول".

Des. Maryam Tamim

ازدادت ضربات قلبه وسألها برعب " إذن من أنت ؟؟.. ولم تتحدثين عن مريم وكأنك شخصا آخر "
قالت ببساطة " لأنني لست مريم الحقيقية يا وائل"

ازدادت لسعات النحل في رأسه وقال متألما وهو يمسك برأسه في رعب " من أنت إذن ؟؟!!"
ردت بتحدي " أنا وهم صنعته أنت بنفسك .. في بداية الأمر كنت الخيال الذي يؤنس وحدتك .. ليتطرف بعدها جنونك وتنفصل بي عن ذاتك .. "
ضيق عينه يمسك برأسه " لم أفهم كيف أنا انفصلت عن ذاتي ..من أنت ؟"
ردت بجدية " هل تذكر حين كنت أبدي إعجابي بعمرو ؟ (صمتت قليلا تتطلع إليه ثم أكملت) بالمناسبة اثبت عندك أنك لم تغار ولو لمرة واحدة حين أخبرتك أني معجبة بعمرو وفي المقابل تضايقت لأن ماجدة تتحدث مع الاطباء " .

[3824]

تسارعت انفاسه المتوترة وقال " ماذا تقصدين؟"
تكلمت بجدية " هذا ما عليك اكتشافه أنا أضع أمامك الحقائق .. المهم حين كنت أبدي إعجابي بعمرو كان ذلك لأنه يشبه وائل القديم .. ذلك الناسك المتأمل في ملكوت الله .. وائل رقيق القلب .. بفطرته التي ترفض الظلم .. وتبتعد عن الرذيلة .. قبل أن ينقلب لمجرم ظالم قاسي يبرر لنفسه الزنا ويرتكبه جبنا وهربا من مواجهة اخطاءه ومواجهة مشاعره .. أنت وسيد كل منكما استغل ظروف حياته مبررا ليقع في خطيئة الزنا .. لذا لم تعد وائل الذي أعرفه .. ولهذا أنا معجبة بعمرو لأنه بنفس السمو الذي كنته أنت يوما يا وائل.. معجبة به لأنه صورة وائل القديمة " .

Des. Maryam Tamim

جلس أرضا يسند رأسه الثقيلة بين يديه تتسارع أنفاسه وقد اقشعر بدنه من تلك الحقيقة التي واجهته بها ..

بعد فترة طويلة من الصمت رفع وجهه إليها يقول بإنهاك ذهني " لم تخبريني من أنت إذن إن لم تكوني مريم ؟!!.. وكيف كنت تعرفين أمورا لا تعرفها مريم أو أمور حدثت بعد موتها ؟.. مثلا علاقتي بماجدة وكيف عاملتها .. كيف عرفتي حين أخبرتك أنه سامي ابن عمي أنه في نفس الوقت يكون ابن خالها .. أنا لم أخبرك بذلك .. وأمور كثيرة مشابهة ؟"

ردت بلامبالاة وهي تحرك كتفيها " لا تنسى أني وهم من صنع خيالك .. ربما أكون الوجه الآخر من وائل .. ربما أنا وائل القديم الذي طمسته بداخلك وأخرسته قسرا .. وربما أكون أنا .. ببساطة .. ضميرك .. (حدق فيها ولسعات النحل تزداد قوة في رأسه يحاول الاستيعاب بينما أكملت هي) لكن

Des. Maryam Tamim

السؤال الأهم ممن أكون هو (من أنت؟) .. من أنت يا وائل ؟.. هذه مهمتك من الآن فصاعدا إن كنت قد حزمت أمرك وقررت أن تخرج من محبسك الاختياري هذا "

استمر في التحديق فيها لبعض الوقت ثم عاد ليسند رأسه التي تؤلمه بين يديه يغمغم " من أنا؟؟
أنا لم أعد وائل..
تحولت لمسخ دون ملامح ..
دون روح ..دون قلب .. دون شجاعة .. دون رجولة .
ودون علاقة قوية مع خالقه .
أنا..
بت رجلا بلا ملامح ..
بلا هوية ..
وبلا جسد .. (ورفع رأسه مفكرا) أو ربما أنا جسد بلا ...

[3827]



وائل ..
بلا وائل موريس ..
***

وقت صلاة الجمعة :

وقفت ماجدة خلف الباب تنتفض في رعب وهي تسمع طرقات سامي الواثقة عليه.. والتي تحولت بعد قليل للعصبية وهو ينادي بهمس " افتحي يا ماجدة لم نتفق على هذا "
سألته تداري ارتعاشها خلف قناع جامد " هل ستمحو صور أنجيل فعلا ؟ "
رد بهمس حار " بالطبع حبيبتي .. أعدك أن أمحو الصور .. افتحي الباب"
سألته بتردد " وإن لم أفتح ؟!"

Des. Maryam Tamim



ضرب على الباب بقوة فانتفضت ليقول سامي "افتحي يا ماجدة ولا تلاعبيني.. فلست أنا من يعامل بهذه الطريقة.. أنت لا تعرفين ماذا يمكن أن أفعل .. يكفي فقط أن أدعي أمام جيرانك أن بيننا علاقة .. يكفي أن أنشر الصور الخاصة بابنتك لتنتشر كالنار في الهشيم على مواقع التواصل الاجتماعي " .

سحبت نفسا عميقا ومدت يدا باردة كالثلج للباب تفتحه ليطل سامي برأسه بابتسامة واسعة .. ثم يزيحها بدفع الباب ليدخل ويغلقه وراءه بهدوء.. وهو يأكلها بعينيه ثم همس بأنفاس حارة بالقرب منها " كنت أعلم أنك ستتعقلين .. وصدقيني يا ماجي لن تندمي .. يكفي أن أشعرك كيف تكونين مع رجل حقيقي ".

ابتعدت للخلف قليلا تقول بجمود " امسح أمامي الصور يا سامي حتى اطمئن إليك".



Des. Maryam Tamim

نظر إليها بعينين متألمتين " ليس بيننا هذا التخوين يا ماجدة سنصبح شخصا واحدا من الآن فصاعدا "

.

قالت بإصرار " أريد أن أثق بك أولا"

هجم فجأة عليها يحيطها بذراعيه وهو يقول بأنفاس ساخنة مغوية " ستثقين بي .. وستدركين كم أنا عاشقاً لك متيما بك يا ابنة عمتي .. "

قاومته بقوة وهي تضع ساعديها على صدره تحاول إبعاده بينما استمر سامي في همسه الحار " أنا وكل ما أملك ملكك يا ماجدة .. أموالي كلها ستكون لك .. كلي لك ".

دفعته بعيدا عنها بقوة وهي تقول بحزم " ابتعد عني وإياك أن تلمسني ".

نظر إليها مصدوما لكن سرعان ما تحولت ملامحه من الصدمة للرعب حين لمح أمامه الخالة أنجيل تخرج من الغرفة من خلف ماجدة تتوكأ على

Des. Maryam Tamim

عصاها بملامح صارمة أرعبته .. فنظر لماجدة يتمتم بتوعد " هكذا إذن .. لقد قررت واخترت .. لا تلومين إلا نفسك بعد ذلك "

اقتربت منه الخالة أنجيل تضرب بعصاها الأرض في حزم وهي تقول " تكلم معي أنا يا ابن رؤوف" تمالك نفسه وسيطر على الرعب الذي يشعر به ليقول بابتسامة متشفية " كم سيسعدني أن أرى وجهيكما وأنا أفضح ابنة عائلة موريس في كل مكان ."

عاجلته الخالة أنجيل بصفعة قوية على وجهه.. فحدق فيها بذهول لتبصق عليه وهي تقول بقرف " نذل .. نجس .. خسيس كأبيك .. أعمامك في الطريق .. كنت أود أن يكونوا في شرف استقبالك .. لكنهم كما تعلم مؤخراتهم ثقيلة .. لذا بعثت من يحثهم على المجيء بشكل أسرع ".

Des. Maryam Tamim

حدق فيها مصدوما ثم صاح "ماذا تعتقدين نفسك أيتها العجوز الخرفة؟ .. هل تتوقعين أني سأخاف؟ إن أعمامي أصبحوا في جيبي وتربطنا مصالح "
ثم نظر لماجدة المنكمشة تحاول تنظيم أنفاسها من التوتر وأطلق ضحكة ساخرة غير مفهومة ..
فصاحت الخالة انجيل بقوة لا تتناسب مع عمرها " ستخاف حين يعلم الجميع ماذا فعلت .. أنا رحمتك من أصدقاء وائل حتى لا تموت بين أيديهم .. وسأترك لاجتماع العائلتين التصرف .."
تصاعد التوتر بداخله .. وازداد خوفه وجنونه ..
فنظر للباب ولم يجد أمامه في تلك اللحظة سوى الإسراع في الهرب .. ليدفع الخالة أنجيل وهو يقول" ابتعدي عني يا امرأة .."

اختل توازن الخالة وكادت أن تقع لولا أن أدركتها ماجدة تسند جسدها الثقيل وهي تصرخ " خالتي"

Des. Maryam Tamim

بينما انطلق سامي يفتح باب الشقة بسرعة .. وهو يتوعدهم " ستندمون .. ستندمون يا آل مجدي .."

ليقابل ميري واقفة متسمرة عند الباب تحدق فيه بذهول .. بعد أن وصلت منذ دقائق وسمعت جانبا من الحديث.. فتجاوزها سامي يدفعها بعصبية ودخل المصعد.. لتستدير ميري بعد أن تخلصت من ذهولها لتجد المصعد قد أُغلقت أبوابه.. فجزت على أسنانها تزمجر بغضب وهي تطير خلفه على سلم المبنى وتغمغم " إذن أنت ذلك القذر"

***

المطارق ..

المطارق تدق برأسه .. وكل عضلة في جسده تئن.. حرك سيد جسده بصعوبة وجلس على الأريكة تتدفق في رأسه مقتطفات من ليلة أمس .. فأخذ يشتم نفسه ويلعنها .. والتقط هاتفه من بين

Des. Maryam Tamim

الأدوية المصفوفة على الأرض وهو يتذكر أن أحمد كان يجبره أمس على بلع الأدوية .. ففتح الهاتف ليتأكد من أنه تكلم مع آية بالفعل.. ووجد اتصالات فائتة من رحمة .. ثم فتح الرسائل ليجد أكتر من رسالة من أخته.. و .. رسالة من آية تتوسله لأن يطمئنها عليه ..

شعر بالحرج من أن يكون بهذا العمر ويظهر أمام آية وأحمد كمراهق صغير .. ولم يعلم بم يرد عليها .. وكيف سيواجهها بعد أن كاد يفضح نفسه ويفضحها في الشارع ..

فرك جبينه لا يعلم أيضا بأي وجه سيواجه أحمد .. يشعر بالخزي الشديد ..

رن هاتفه ليجد رحمة فرد عليها ليأتيه صوتها قلقا تقول " سيد هل أنت بخير أنا في الطريق إليك"

رد بصوت منهك " لمَ خرجتِ وحدك يا رحمة؟ أنا بخير نمت في الخن ليلة أمس "

Des. Maryam Tamim

قالت رحمة " أعلم .. لقد رد علي الباشمهندس أحمد حين ألحيت في الاتصال بك .. وطمأنني ورفض أن آت إليك في جوف الليل "
قال بإعياء " من الأفضل أن تعودي أنا سآتي للبيت بعد قليل ".
ردت بإصرار "أنا خرجت بالفعل من البيت "
صمت سيد باستلام لتقول ببعض التردد " سيد أريد أن أخبرك شئيا لكن عدني ألا تنفعل ".

قال وهو يقاوم الصداع ويرغب في العودة للنوم "قولي"
صمتت قليلا ثم قالت بهدوء " بسمة تركت المنزل".
ضيق عينيه وسألها " ماذا تعني بتركت المنزل؟!"
قالت رحمة " أعني أني استيقظت لأجدها قد أخذت ملابسها وحاجياتها الشخصية ورحلت "

Des. Maryam Tamim

قاوم بقوة ذلك الأمل الذي يريد أن يتسلل إليه وقال" ربما قررت أن تستقر في بيت البلدة كما أخبرتني من قبل .. (وأكمل بلهجة غاضبة) لكن كيف تسافر دون إخباري ..لقد تجاوزت حدودها كثيرا "

سمع صوت صياح رجل في الشارع فاقترب من النافذة ليرى ما جعل عيناه تخرج من محجريها .. كانت ميري تتعارك مع رجل وتوجه له ضربات التايكوندو فقال لرحمة بسرعة وهو يجري " اغلقي الآن يا رحمة"

قبل دقائق :

خرج سامي من البناية يتفتت من الغضب .. ويشعر بالإهانة ..

Des. Maryam Tamim

لقد سخروا منه .. احتقروه .. بعد كل ما وصل إليه .. مازال يُحتقر .. مازال يُنظر له باستصغار .. مازالوا ينظرون إليه بتعال ..

صرخ في الشارع بهستيريا والغضب يفتته لشظايا " لا تمثلين دور الشريفة يا ماجدة .. بعد كل ما فعلته من أجلك .. ستندمين .. ستندمين يا ماجدة .. لن أترك فردا في هذا البلد لا يعرف بعلاقتي بك" .

لم يلحظ سامي ميري التي اندفعت من البناية وضربته في صدره بقدمها فجأة بغل تقول" إياك وسيرة أمي يا حقير ".

آلمته ضربتها وقد ارتد للخلف مجفلا .. بينما وقفت أمامه تطالعه بعينين تقذفان شررا ..

في نفس اللحظة التي كان المصلون قد انتهوا من صلاة الجمعة وأحمد وعمرو يسبقان الحاج سماحة ببعض الخطوات بينما أحمد يقول لعمرو بغضب من بين أسنانه " كان سيفضحنا سيد ..

Des. Maryam Tamim

لقد جُن تماما .. وإني لأحمد الله أن أبي لم يستيقظ ليرى هذه الكارثة وإلا لغضب منه غضبا شديدا"

حوقل عمرو بأسف وهو يمسك بسبحته فأكمل أحمد بغيظ " طببه أنت واهتم به سأتركه لك وإلا سأقتله قبل أن يتعافى ".
قبل أن يرد عليه لفت انتباههما ميري بشعرها الأشقر وهي تدور على عقبيها وتسدد ضربة بقدمها لرجل .. جعلهما يهرولون إليها في جزع..

ارتد سامي للخلف قليلا وقد أمسك بأنفه يتألم ومسح خيط الدماء الذي سال منه ليرد ساخرا " أهلا بالشقراء ابنة وائل .. هل تعتقدين أنك ستتغلبين على رجل كبير .. صحيح ساذجة مثل أختك"

Des. Maryam Tamim

صرخت ميري " أنت حيوان قذر .. وأنا سأريك من هي ميري ابنة وائل حتى لا تتطاول على حرمة البيوت "

وجهت له ضربة أخرى فتفاداها ثم أمسك .. بضفيرتها الشقراء لتصرخ ماجدة وهي تخرج من بوابة المبني وتنقض على سامي بأظافرها في عينيه تقول "أترك ابنتي أيها القذر "

بينما عاجلته ميري بضربة قوية من كوعها في بطنه .. فترك ضفيرتها يتألم..

لكنه لم يستطع أن يرد بسبب تلك المطرقة البشرية التي انفجرت في أنفه بعد أن وجه له سيد صبرة لكمة قبل أن يصل إليهم عمرو يليه أحمد ويتجمع الناس.

رفعه سيد من ملابسه استعدادا للهجوم عليه لكن عمرو أوقفه يقول" دعنا نفهم أولا يا سيد(ثم

Des. Maryam Tamim

توجه لماجدة وميري يقول) ماذا حدث يا ميري ماذا حدث يا أم ميري هل تحرش بها؟"
صمتت ميري ولم تعرف بم تجيب فنظرت لأمها التي تطلعت للمتجمهرين حولهم من أهل الشارع حتى إلهام نزلت من بيتها بعد أن شاهدت ما يحدث صدفة من الشرفة .. فقالت ماجدة " لا شيء لا شيء "..
بينما جاء صوت الخالة أنجيل وهي تنهت من المجهود تتوكأ على عصاها عند بوابة المبنى " أمسكوا هذا الولد ولا أريد أن يلمسه أحد .. حتى يأتي أعمامه ".
اقتربت منها إلهام تسندها وهي تقول " ماذا يحدث يا أم وائل ؟".
انفعل سامي يصيح " لم سيضربونني.. إن كنتِ تريدين أن تداري أفعال زوجة ابنك فأهل الشارع لن يرضوا أبدا حين يعرفون بعلاقتها القذرة بأعز

Des. Maryam Tamim

أصدقاء وائل .. (ونظر لسيد بحقد) هذا الضخم الذي ضربني"

ساد الصمت الذاهل ..فلطمت ماجدة على وجهها ونظرت لسيد الذي وقف متفاجئا يشعر بأنه مازال يعاني من هلوسة الحمى .. قبل أن يعاجل أحمد سامي بلكمة في وجهه تزامنت مع ركلة من عمرو أطاحت بسامي بعيدا ليقع على الأرض.. لتندفع ميري وتسدد له ركله بقدمها في وجه وهي تصيح" يا حقير " .

أبعدها عمرو آمرا " ابتعدي يا ميري حتى لا تصابي بأذى ونحن سنتصرف معه ".

بينما صاح سامي يداري رعبه " أنا عندي الدليل أنها كانت عنده ليلة أمس بالخن".

سرت الهمهمات وعلا الذهول وانعقدت الألسنة ليصيح أحمد " هل تعلم أنك تكتب شهادة وفاتك بهذا الهراء التي تهذيه .. ألست ابن عم وائل الذي قابلته في المستشفى ليلة أمس ؟!"

Des. Maryam Tamim

رد سامي بكبرياء " أجل كنت في زيارة لابن عمي لأطمئن عليه ".

نظر إليه أحمد بشك وقال " لمَ تبرر سبب زيارتك له ؟!!"

زمجر سيد كالثور وقد تخلص من الذهول ليتقدم نحو سامي كدبابة بشرية تريد أن تسحقه فصاح أحدهم " الرجل يقول أن لديه دليل .. دعنا نراه .. إلا إذا كان لديك ما تريد أن تخفيه بإخراسه .."

استدار سيد ناحية الصوت يحدق في الوجوه مذهولا .. بينما أمسك عمرو سامي من ياقته يرفعه عن الأرض وهو يقول بغضب بارد " هل تتعاطى شيء.. أم نطلب لك مستشفى المجاذيب يا هذا !!""

تدخل أحمد يمسكه من ملابسه هو الآخر ويقول " أتركه لي أنا يا عمرو .. وسأشفيه من جنونه "

صاح سامي " هل ستضربونني لتداروا على صاحبكم ؟!!"..

[3842]

لكمه أحمد في وجهه فصاح الحاج سماحة " أتركوه فلم يعد هناك مجالا لإخراسه فليرينا ما لديه من أدلة وإلا لن يخرج من هذا الحي على قدميه ".

احتضنت ميري أمها التي كانت تنتفض لا تفهم شيء .. كانت تخشى أن يتلفظ بشيء عن الصور الخاصة بابنتها أو أن يتحدث عن علاقة بينها وبينه لكن أن يتحدث عن علاقة لها بسيد !! ومعه دليل ..!!

تكلم سامي بعد أن استقام متوجعا " أنا أريد الأمان حتى لا يهجم عليّ أصدقاؤه"

صاح الحاج سماحة" تكلم ولن يتعرض لك أحدا"

اقترب سامي من الحاج يقول" إنها تغافل زوجها وتقابل صديقه في الشقة التي تعلو المقهى".

Des. Maryam Tamim

صاحت الخالة أنجيل التي أحضروا لها كرسيا لتجلس " أنت كاذب .. كاذب .. وخسيس .. وهذا الكلام ستحاسب عليه يا سامي ".
نظر لها سامي بتشفي بينما تكلم الحاج وهو يضيق عينيه " انتظري يا أم وائل لنرى دليله "

نظر سامي لماجدة التي وقفت ذاهلة لا تفهم أي دليل قد يخرجه وأخرج هاتفه من جيبه يقول" أفتحوا (البلوتوث) في هواتفكم واستقبلوا هذا المقطع المصور ".
هدر فيه الحاج يقول بحدة" لمَ أنت مُصِر لافتعال فضيحة .. اريني ما لديك دون أن تنشره على الجميع !! "
لكن سامي ضغط (أرسال) لكل الهواتف التي كانت مفعلة تلك الخاصية ثم تكلم ببرود " آسف يا حاج .. سبق السيف العذل ".

Des. Maryam Tamim

أمسك الحاج سماحة بتلابيبه يحدجه بغضب .. فطوق عمرو رقبة سامي من الخلف يسحبه بعنف وهو يقول " أتركه لي يا عماه فقد صبرنا على هذيانه " .

بينما تدخل أحمد يساعد عمرو بأن قبض على شعر سامي يساعد في جره فصرخ سامي " لقد أعطاني الحاج الأمان".

ليتكلم أحد الحاضرين " لمَ تريد أن ترى الدليل وحدك يا حاج ؟! .. هل تنوي أن تداري عن ربيبك ؟"

نظر إليه الحاج سماحة شذرا ليتدخل أحد أصدقاء الحاج يقول موبخا " اخرس .. الحاج سماحة لا يرضى بالاعوجاج ولو على رقبته "

صاح الحاج في أحمد وعمرو " اتركاه"

فتسمر كلاهما باعتراض صامت ليصيح الحاج آمرا " قلت اتركاه"

فنفذا على مضض صاغران.

[3845]

وقف برقوق يراقب المشهد بفضول مضيقا عينيه ويحاول تحليل ما يحدث وهو يحتضن بين يديه العلبة التي تحتوي على الكعكة ويلتهمها بالملعقة بتلذذ بعد أن تعارك مع طأطأ منذ قليل حين اقتحم المقهى ببرود متجها نحو الثلاجة الكبيرة .. ليخرج الكعكة ويلتهم منها قطعة .. مما أثار غيظ طأطأ يطلب منه أن يخلصه من تلك الكعكة التي يأتي ليتفقدها في اليوم عدت مرات قبل أن تتعالى الأصوات وينتبه الجميع مهرولين لمشاهدة ما يحدث .

فُتحت الهواتف التي استقبلت المقطع المصور الذي أرسله لهم سامي .. وجحظت الأعين وهم يرون ماجدة تخرج من المقهى ليلا ثم تهرول نحو بيتها والشارع خالي من المارة.

لينظر سيد في ذهول ثم يصيح بصوته الجهوري الذي ألقى الرعب في القلوب " هذا كذب.. كذب"

Des. Maryam Tamim

وهم بالهجوم عليه فصاح أحدهم " هل ستضربه لتخرسه يا سيد .. المقطع المصور يوضح أنها تخرج من المقهى في وقت متأخر من الليل ماذا كانت تفعل عندك ؟"

نظر إليه أحمد وعمرو غير مستوعبين ليصيح الأخير بقوة " هذا كذب وافتراء .. وستحاسب عليه يا هذا ".

قبل أن يرد سيد على ما يحتويه المقطع المصور قال سامي " كان ذلك ليلة أمس مستغلة غياب زوجها الراقد في المستشفى ".

نظرت ميري لأمها بينما صرخت ماجدة " أنت حيوان .. قذر قذر ..وهذا لم يحدث ".

قال أحمد بحدة " اصمتي يا ماجدة .. ولا تدافعي عن نفسك .. فأنا من سيتولى الرد عليه".

لكن نفس الشخص الذي اتهم الحاج بالرغبة بإخفاء أخطاء سيد قال " أنا رأيتك يا سيد في

Des. Maryam Tamim

المقهى ليلة أمس دخلت أمامنا .. وحييت الجميع وها انت تخرج إلينا منه الآن ..حتى صلاة الجمعة لم تصلها معنا".

زمجر سيد يندفع نحوه فمنعه عمرو بقوة يقول بهمس مستغلا انشغال معظم الحضور في تبادل مشاهدة المقطع " علينا أن نحجم الفضيحة لا أن نزيد من الشكوك في صدور أهل الحي .. كلما انفعلت كلما ظنوا أنك تحاول أن تخرسه ".

قال أحمد هامسا لسيد بينما برقوق يقف يسترق السمع " ماذا يحدث ؟"

رد عليه سيد " كان ذلك ليلة نقل وائل للمستشفى .. ووائل كان حاضرا .. إنها المرة الوحيدة التي زارتني فيها ".

اقتربت منهم ماجدة تقضم أظافرها وتهمس للشباب الثلاثة بارتباك " أنا كنت عند وائل طوال الليل ونستطيع أن نطلب شهادة أمن المستشفى "

Des. Maryam Tamim

حذرها أحمد " ستبرئين نفسك عن ليلة أمس فقط في هذه الحالة وسيبقى أمر هذا المقطع المصور يثير التساؤلات ووائل ليس معنا يشهد في صالحك بوجوده وقتها .. انتظري ولا تفتحي فمك "
جحظت عيناها تردد في سرها " وائل كان موجودا !".
صاح سامي يقاطع همسهم وقد شعر بالانتصار " وبدلا من أن تشكرني الخالة أنجيل لأني أنبهها بما تفعله زوجة ابنها طردتني "
همت الخالة أنجيل بالرد لكن إلهام سبقتها وصاحت منفعلة" اخرس وإياك أن تتهم إبني أو هذه المرأة الشريفة بهذه القذارة.. أنا أمسك أعصابي ولساني عنك بصعوبة "
حدجها الحاج بنظرة خطرة أن تصمت وتكلم بلهجة ذات مغزى "إهدئي لنفهم ما يحدث يا أم أحمد".

Des. Maryam Tamim

بينما اقتربت آية تحاول أن تستفهم الأمر بعد أن استيقظت للتو ووصلتها بعض العبارات فقالت لأمها منفعلة " يتهمون من يا أمي !!".

تبادل الشباب الثلاثة النظرات في رعب خوفا من أن تفقد آية أعصابها وتتهور .. فتحرك أحمد نحوها ينوي إعادتها للبيت درءا للمزيد من الفضائح .
ليتكلم برقوق فجأة صائحا" شكرا على الكعكة يا جماعة (وغرف منها بالملعقة قطعة كبيرة يقول) لذيذة .. "
انتبه إليه الناس بتركيز ليكمل برقوق " إن شاء الله يستفيق صاحبكم قريبا .. وكل عام وهو بخير .. ولو أني عاتبا عليك يا قريبي أحمد .. كنت أود أن أحضر أنا الآخر احتفالكم بعيد ميلاد صاحبكم في الخن أمس "
سأل أحدهم مستفهما " ماذا تقصد يا عم برقوق أي احتفال؟"

Des. Maryam Tamim

فتح برقوق العلبة الكرتون يريهم الكعكة التي أصبحت نصفها وقال " كانوا بالخن جميعهم ليلة أمس يحتفلون في وقت متأخر بعيد ميلاد صاحبهم الأشقر "

اتسعت عينا أحمد وتبادل النظرات مع صاحبيه باهتمام .. ليكمل برقوق وهو يشير بإصبعه " كلهم كانوا هناك .. هذا الضخم المخيف .. وهذا الشيخ وزوجته على الكرسي .. وهذه المرأة أم التوأمتين .. وقريبي وأخته القصيرة التي تعمل في الإذاعة .. كل الشباب كانوا بالخن ليلة أمس ولم تكن زوجة الأشقر وحدها.. أنا رأيتهم .. (وتصنع البؤس) لكنهم لم يقوموا بدعوتي .. لكن قريبي صالحني بأن ترك لي مع طأطأ ما تبقى من الكعك والحلويات لذا سأسامحه "

تدخل طأطأ يفرد ذراعه على كتفي برقوق وهو يفتعل ضحكة عصبية ويقول " حبيبي يا عم برقوق .. الكثير من الحلويات تنتظرك في ثلاجة

Des. Maryam Tamim

المقهى لقد شدد علي سيد باشا والباشمهندس أن أعطيك كل ما تبقى من حفل أمس بالخن خصيصا من أجلك " .

تكلم أحمد يلتقط طرف الخيط منهم موجها الحديث لسامي " هذا ما كنا نريد أن نقوله من أول حديثك يا هذا .. لكننا أردنا أن نتركك لتورط نفسك في الكذب ما دمت تصر على الافتراء على الأخت ماجدة لنكشف أكاذيبك أمام الجميع كما أصريت على الافتراء عليها أمام الجميع "

تكلم عمرو يقول "وأنا كنت بالخن أمس وانتهينا في ساعة متأخرة لمَ لم تصورني أنا وزوجتي ونحن نغادر الخن ليلا ؟ .. أم أنك تراقب شخصا واحدا فقط ؟!!".

تعرق سامي وابتلع ريقه في اضطراب يلعن نفسه أن حدد ليلة أمس بالذات .. بينما تكلمت إحدى النساء" أنا بالفعل كنت أسمع أحاديث في الشارع

Des. Maryam Tamim

بعد منتصف الليل .. لكني لم أقدر أن أترك السرير لأرى ماذا يحدث "

بلع سيد ريقه وأطرق برأسه في حرج وهو يتذكر ليلة أمس بينما حدجه أحمد بنظرة خاطفة وهو يتحكم في قبضته .. فتكلمت الخالة أنجيل وهي تنهت من التوتر " رد على سؤال عمرو .. ما دمت يا خسيس قد صورت .. لم صورتها وحدها ولم تصور الباقين ؟"

اقترب أحمد من سامي الذي بدى عليه الرعب يضربه على مؤخرة رأسه بوعيد وقال " ولمَ لم تصورني أنا أيضا ؟.. فأنا أقسم على كتاب الله أني بت في الخن مع سيد ليلة أمس ..ولم أغادر إلا في الصباح ".

هدر الحاج يقول " تكلم يا هذا من تكون؟ .. و لم افتعلت كل هذه الفضائح ؟.. ما الذي تريده من أم ميري ؟"

Des. Maryam Tamim

ارتعب سامي وشعر بالخوف الشديد فتدخلت الخالة أنجيل تقول" إنه خسيس .. ويضايق المسكينة زوجة ابني مستغلا حالة زوجها الصحية .. وحين اشتكت لي وبصقت في وجهه خرج إلى الشارع يريد أن يرميها بإشاعات قذرة مثله " .

تكلم سامي وهو يداري رعبه وارتجافه " هذا المقطع ربما .. لم يكن ليلة أمس ربما .. منذ مدة؟"
رد عليه عمرو مستنكرا " واختلط عليك الزمن ما بين الأمس .. ومنذ مدة !! .."
ليقول أحمد " وكنت عند وائل ليلة أمس بالذات في غير مواعيد الزيارة ؟"
صرخت ماجدة في رعب " أكنت عند وائل؟!!.."
تكلم أحد الحضور يقول " إنه يبدو مجنونا .. من الواضح جدا أنه يضمر إليهم الشر " .

Des. Maryam Tamim

اقتلعه سيد من بين أحمد وعمرو يقول " هل انتهيتم من الكلام العاقل معه ؟ .. دعوني أمارس عليه جنوني وأستخلص منه الأجوبة بنفسي .. ليس من أجلي فأنا لا يهمني ما يقول وما لا يقول .. ولكن من أجل هذه المرأة الشريفة التي ألقاها بالباطل أمام أهل الحي "

تعالت الصيحات المشجعة للنيل من سامي فضربه سيد بقبضته لتنفجر الدماء من وجهه

بينما صاحت الخالة أنجيل " لا تضربوه .."

ليتلقاه أحمد يسنده ويديره إليه ويقول " أتركه لي أنا يا سيد سأتكفل به فأنت مريض ".

وضربه بقبضته في وجهه ليرتد للخلف فصاحت أنجيل مجددا "لا تضربوه يا أولاد".

فتلقاه عمرو الذي أداره إليه ينظر إليه شذرا فقال سامي " حتى أنت يا شيخ ؟!!!"

Des. Maryam Tamim

فرد عمرو " العين بالعين والبادي أظلم .. ولست شيخا "
وضربه بركبته بقوة في معدته قبل أن تصرخ الخالة أنجيل فيهم " أتركوه .. لا أريده أن يتهمكم بالطائفية .. أنا أعرف خِسته جيدا.. أعمامه على وشك الوصول وأخوتي وسيتصرفون معه "

هدر الحاج آمراً" كفى واتركوه فوراً"
تركه عمرو فجأة ليسقط سامي على الأرض يتلوى من الألم والدماء تخرج من فمه لكنه استمر في الوعيد والتهديد " ستندمون .. سأقدم بلاغا للشرطة بأنكم تستضعفوني لأني على غير دينكم .. (سعل قليلا ثم صاح بغل) أنتم لا تعلمون يا كلاب من أنا .. ومن أعرف من الشخصيات الهامة سأقلب هذا الحي رأسا على عقب .. أنتم تستضعفوني لأني على غير دينكم".

Des. Maryam Tamim

حوقل عمرو بينما زمجر سيد ليهجم عليه قائلا "
أريني من سيقترب من أهل الحي "
لكن صاحبيه قيداه بقوه .

وقفت سيارات فخمة من بعيد ونزل منها عددا من الرجال والشباب واسرعوا نحو الخالة أنجيل فزعين
فهتفت الخالة " ها قد وصل أخوتي"
ليقول أحدهم " ماذا يحدث بالضبط يا أنجيل وأين أمير ؟".

في نفس الوقت في المستشفى كان أمير غارقا في بعض أوراقه العلمية التي أخذها معه بعد أن استلم مرافقة وائل من ماجدة هذا الصباح لا يعلم أن وائل يجاهد منذ مدة للخروج من غيبوبته .. ليتلقى أمير اتصالا جعله يقفز من مكانه يقول " ماذا تعني .. ما بها ماجدة .. يا رب السماوات !! .. أنا آت حالا " .

Des. Maryam Tamim

وقفز يغادر بسرعة بينما توتر وائل يصرخ دون صوت " ما بها ماجدة ؟.. ما بها ماجدة يا أمير؟ "

حين لم يتلق ردا أخذ يضرب رأسه بجدار محبسه بعنف وهو يردد " ما بها ماجدة .. ما بها ماجدة "

في شارع سماحة اعتدل سامي جالساً يمسح الدماء من فمه ويقول وهو يبتسم ابتسامة حمراء مستفزة وينهت " ستندمين يا ماجدة تعلمين ماذا بإمكاني أن أفعل .. الصور ... " .

زمجر سيد مجددا يحاول التخلص من صاحبيه وهو ينظر شذرا لسامي حتى كادت أن تخرج عيناه من محجريها فبتر سامي عبارته يحدق في سيد وقد عاوده الرعب بينما صاحت إلهام منفعلة غير قادرة على التحمل أكثر من ذلك " ذلك الولد مصرا على قلة الحياء ولم يجد من يربيه .. وإن كنت تخافين

Des. Maryam Tamim

أن تتحول لمشاجرة مسلم ومسيحي يا أم وائل
فدعينا نجعلها نساء ورجال"
ومالت تخلع فردة حذائها واندفعت الى سامى تنهال
عليه ضربا فصاح أحمد مستنكرا " أمي !!"

بينما وائل في غيبوبته قد ازداد صداعه .. وحدة
لسعات النحل في رأسه ..

اندفعت نساء الحيّ يخلعن أحذيتهن وينزلن على
سامي ضربا وانضمت إليهم ميري بغيظ متشفية
تضربه بحذائها .

وأصابع وائل تتحرك ببطء على السرير بينما
لسعات النحل تنهش في رأسه بقوة أكبر .

قالت إلهام لماجدة " هيا أنت صاحبة الحفل ..
ارفعي حذائك على هذا الوقح " .

[3859]

فنظرت ماجدة للخالة أنجيل التي منحتها نظرة مشجعة فخلعت حذائها واقتربت منهن ثم شاركتهن في ضربه بكل المكبوت في صدرها بسببه ..

ضربته ماجدة من أجل ما فعله بابنتها ..

ضربته من أجل تعديه عليها وابتزازها.

ضربته لتجاوزه في حقها لفظا وفعلا.

ضربته من أجل أيام الرعب التي عاشتها بسببه وآخرها الساعات الماضية .

ضربته من أجل سمعتها التي كاد أن يلوثها بكلمة قذره منه ..

ضربته ولم تتمالك أعصابها بعد ذلك .. فسقط عنها قناعها الجليدي لتدفن وجهها في كفيها وتبكي بحرقة فأشفق عليها النسوة كلهن لتأخذها الخالة أنجيل في حضنها مواسية .

Des. Maryam Tamim

أما آية فكانت تصور معركة الأحذية بهاتفها باستمتاع وهي تختلس النظر لسيد من وقت لآخر .. فتدخل أحمد وأصدقاؤه يفرقون النسوة عن سامي الذي أصبح كصرصور مدعوس ملتصق بالأرض ..

أما وائل ..
ففتح عينيه فجأة يحدق في سقف الغرفة في المستشفى .

***

تطلعت من نافذة الحافلة لمدخل بلدتها الصغيرة التي دخلتها للتو .. بعد أن حسمت أمرها بالعودة للأبد ..
ودعت العاصمة بكآبتها رغم بريقها وصخبها .. وقررت العودة لتلك البلدة التي عاشت وتربت فيها ..

Des. Maryam Tamim



عليها أن تعترف بالهزيمة ..
رغم أنها لم تحدد حتى الآن .. هل أبلت بلاء حسنا في المعركة أم جبُنت واستسلمت بعد أول ضربة ..
لم تكن أبدا تهوى المعارك والصراعات
أو ربما لم تكن بحاجة للدخول فيها ..
صحيح لم تستطع حتى الآن أن تحلل أسباب الفشل لكنها لم تكن لتستمر أكثر من ذلك طرفا في قضية خاسرة .
تذكرت حديثها يوم أمس مع رحمة والذي لم تستطع بعده أن تبقى أكثر من ذلك حتى وإن كانت لم ترتب أفكارها بعد .. لكن عليها أن تستسلم ..
رغم أنها تعترف بأنها لم تقاوم بكامل أسلحتها ..
لكنها تعبت .. واكتفت ..



اليوم السابق :

قالت لرحمة " هل أصر على عناده وخرج وهو مريض وبهذه الحالة ؟"
ردت رحمة متألمة " أجل وأخشى أن ترتفع حرارته "
همت بتركها لكنها عادت وسألتها " هل حدث شيئا جديدا ؟ "
تكتفت رحمة وردت ساخرة " وهل المعلومة ستغير من الوضع الحالي أي شيء " .

صاحت بسمة فجأة" لمَ تعامليني بهذا البرود .. ظننت أنك أنثى مثلي وتتعاطفين معي ومع حظي النحس .. وستقدرين أنه ليس لي ذنبا فيما حدث.. وأني أنا الخاسرة الكبرى في هذا الأمر " .

Des. Maryam Tamim

أطرقت رحمة برأسها بحزن ثم قالت بعد فترة من الصمت " أنا أقدر موقفك جيدا يا بسمة .. لكن سامحيني .. انه أخي وسأنحاز له وأتعاطف معه دون إرادة مني .. أنا مقدرة موقفك جيدا لكن .."

قاطعتها بسمة تقول بعصبية " لكن ماذا ؟؟ .. لو كنتِ مكاني ماذا كنت ستفعلين ؟"

ردت رحمة بثقة " كنت سأنفصل بالتأكيد .. خاصة إذا لم يكن بيننا أطفال"

قالت بسمة بحنق " وماذا تعرفين أنت عن هذه الأمور ؟ .. وعن إحساس المرأة بالخيانة .. بالطعن في أنوثتها .. في أن تخرج من تجربة فاقدة لكل شيء "

ردت رحمة " كلها أحاسيس موجعة يا بسمة .. لكنها أقدار علينا أن نرضى بها صاغرين .."

Des. Maryam Tamim

شردت بسمة ترثي حالها فقالت " أنا كنت قبل أن أتزوجه في حال .. وأصبحت بعد أن تزوجته في حال آخر لم أتوقعه.. لم أتوقعه أبدا "

ردت رحمة تقارعها " وأنا كنت قبل وفاة أمي في حال .. وبعد أن ماتت في حال .. وبعد أن مات زوج أمي الذي لم أعرف أبا غيره في حال آخر .. كلها أقدار يا بسمة لا أحد منا يعرف أين سيكون غدا أو العام القادم".

قالت بسمة بإصرار " وما ذنبي أنا أن تزوجت رجلا لم يكن يحدد مشاعره بعد .. ليصدمني بعدها أنه يعشق فتاة أخرى ".

صاحت رحمة متخلية عن هدوءها " ولهذا تعاقبيه!! .. أنه فشل في تحديد مشاعره فتعاقبيه!!.. عموما أنت تعاقبين نفسك معه .. تهدرين عمرك مسجونة في هذا البيت .. لست

Des. Maryam Tamim

قادرة على أن تكوني زوجة أو حتى أم.. يكفي أقراص منع الحمل التي تتناولينها دون علمه "
جحظت عينا بسمة في صدمة فأكملت رحمة بهدوء " أنا أعرف أنك قبل أن تمنعين نفسك عنه مؤخرا كنت تتناولين هذه الأقراص .. منذ أن جئت إلى هنا وأنا أعلم هذه المعلومة .. وحين تحدثت معه مؤخرا أخبرني أنه من ضمن أسباب تمسكه بعدم الانفصال عنك هو شفقته عليك أنك لا تنجبين .. لكني لم استطع إخباره بما تفعلين دون علمه خوفا من أن أكون سببا في مشكلة كبيرة تنتهي بطلاقه لك دون رغبتك فأحمل وزرك فوق ظهري .. لذا آثرت الصمت رغم شفقتي على أخي ".
ردت بسمة بتحدي " نعم كنت أواظب عليها منذ أن شككت في مشاعره نحو فتاة أخرى .. كنت أخشى أن يتركني في النهاية من أجلها وأعود أنا بطفل في يدي ".

Des. Maryam Tamim

قالت رحمة " وها هو لا ينوي تطليقك لكنك تمنعين نفسك عنه.. وترفضين السفر معه".

قالت بسمة باستهجان " وهل أمنحه نفسي وهو يحب امرأة أخرى .. أنت لست متزوجة ولا تعرفين ذلك الشعور المهين "

ردت رحمة بنفاذ صبر " وماذا بعد ؟.. إلى متى ستنتقمين منه ؟.. لا حياة زوجية ولا أولاد ولا مستقبل ولا أي شيء .. أنتِ قررت أن تنتقمي منه بأن تحبسيه معك في زنزانة واحدة .. لكن هذه ليست حياة يا بسمة (وتكلمت بصوت متأثر) كفي عن الانتقام منه وارحميه .. فأنت لو تعرفينه حق المعرفة ستدركين كم هو طيب القلب عاش بائسا طيلة عمره .. لا أنكر أنه قد أخطأ في حقك لكن حين تدركين كيف عاش حياة بائسة ستلتمسين له العذر حتى في قراراته الغير صائبة.."

Des. Maryam Tamim

قالت بسمة بجمود " وما ذنبي أنا فيما حدث لي؟..
ومن سيعيد لي حقي؟ "
ردت رحمة بسرعة " رب العالمين .. سيعوضك
رب العالمين إذا ما احتسبت عنده مصابك ورحمتي
من لم يقصد إيذائك .. سأكررها لك يا بسمة..
كلها أقدار .. وكلٍ له نصيبه .. إذا كنت سائرة في
طريق وألقى شخصا حجرا فأصابك دون أن يقصد
هل ستصرين على معاقبته رغم أنك تأكدت من أنه
لم يقصد إيذائك ؟!.."

حدقت فيها بسمة صامتة فأكملت رحمة " تقولين
ما ذنبي؟.. سأقول لك وهل أي شخصين تربطهما
قصة حب عظيمة واثقان تمام الثقة أنهما
سينجحان بعد الزواج .. ماذا لو واجها عواقب لم
تكن في الحسبان .. أليس هذا وارداً في أي علاقة؟".
استمرت بسمة في صمتها .. تعصف بها الأفكار
كحالها منذ فترة .. تريد أن تستريح .. أن تتوقف

Des. Maryam Tamim

عن التفكير .. بينما أكملت رحمة " في تصوري أن كل فتاة منا تدخل في علاقة حب وزواج لا تعلم ماذا يخبئ لها القدر .."

وقفت بسمة أمامها متكتفة تفكر .. غير راغبة في الاعتراف لها بأنها تجبُن على اتخاذ قرار .. مرتعبة من مصيرها بعد الطلاق .. ولم تستطع البوح لها بأنها كانت تود أن يطلقها هو دون رغبتها حتى تجد الفرصة لأن ترثي لحالها لكنه بالتزامه معها صعّب عليها الأمر .. لا أحد يفهم كم أن موقفها صعب .. صعب جدا .

قالت رحمة بعد فترة أخرى من الصمت لتنهي الحديث " سأخبرك بأمرين وأنهي كلامي بعدها ولن أتحدث في هذا الأمر مجددا أنا فقط اردت أن أخبرك بما يدور في عقلي بمنتهى الأمانة .. الأمر الأول أني حين توفى زوج أمي رحمه الله .. وجدت نفسي فجأة وحيدة لا أخوة ولا أخوال ولا أعمام..

Des. Maryam Tamim

وعلاقتي بأولاد زوج أمي من زواج سابق ليست قوية .. لكني قررت وأنا دون العشرين أن أتقبل قدري وأكمل تعليمي وأن أعمل وأعيش .. لكن أبناءه علموا أنه قد كتب الشقة التي تربيت فيها وعشت فيها مع أمي وزوجها باسمي وكنت تحت وصاية الابن الأكبر حتى أبلغ السن القانونية .. فأصروا على أنها من حقهم وأني ليس من حقي أن أرث منه لأني لست ابنته .. وباءت كل تدخلات أولاد الحلال بأن يتركوا لي الشقة لأنه ليس لي مأوى سواها رغم أن أباهم قد ترك لهم ما شاء الله تركة كبيرة .. فقررت ترك الشقة لهم ورحلت بهدوء .. "

ردت بسمة باستنكار " لكنه حقك .. الرجل كتبها باسمك بإرادته ".

ردت رحمة ببساطة " ربما هي كذلك .. لكنهم كانوا سيستمرون في محاربتي وأنا كنت صغيرة وليس لي أحد فقررت الرضا بنصيبي وحضرت لأبحث عن والدي .. وهناك عشت أياما صعبه في بيت خليل

Des. Maryam Tamim

وزوجته .. ورضيت بنصيبي مجددا .. وتحملت من أجل أن أكمل تعليمي لكنني لم أتحمل فكرة أن يزوجني خليل لرجل في سن جدي فتركت البيت .. ولم أفكر في الضغط على سيد فهو لا يعرفني ولا أعرفه فكل ما كان يربط بيننا وقتها تشابه في اسم الأب في شهادة الميلاد .. وقررت أن أواجه المجهول رغم ما تملكني وقتها من الرعب .. كل هذا ولم أتساءل أبدا (ما ذنبي؟) .. حتى بعث الله لي سيد منقذا .. وأدخل في قلبه الرحمة تجاهي .. ما أقصده يا بسمة أننا علينا أن نواجه أقدارنا بشجاعة .. ونترك الأمر لله سبحانه وتعالى .. (وشردت قليلا ثم أكملت) .. أعتقد أن هذه الأمور التي تقلب حياتنا فجأة هي اختبارات من الله في قوة إيماننا .. في ثقتنا به .. في توكلنا عليه ".

ابتلعت بسمة غصة مسننة في حلقها تفكر في كلامها .. بينما أكملت رحمة " الأمر الثاني أنني بكل صراحة قد عرضت على سيد أن يتزوج آية ويجمع

Des. Maryam Tamim

بين زوجتين كاقتراح يائس لحل الأمر ولإسعاده فأنت تعلمين جيدا كيف هو يعاني .. رغم أني لا أؤيد فكرة تعدد الزوجات .. واقترحت عليه أن يقنع آية بالأمر ويستغل تهورها وجنونها في أن تساعده لأقناع أهلها فأجابني بأنه حتى لو هناك أمل في إقناع آية وأهلها بالفكرة فهو لا يرغب في التسبب في جرحك مرة أخرى .. فهو يتعذب بما فعله بك وبما سببه لك ولن يتحمل ظلمك أكثر ..وأنه سيظل مقيدا بك وملتزما معك مادت مصرة على قرار عدم الانفصال "

ارتجفت بسمة وحدقت فيها في صمت .. لم تكن يوما بهذه القسوة! .. ولا تعلم لمَ تعامله بهذه الطريقة؟ .. إنها ليست قادرة على الابتعاد ولم تعد قادرة على الاقتراب .. بينما أكملت رحمة "

صدقيني يا بسمة أنا لا أقول لك هذا لأضغط عليك .. أنا فقط أردت أن اساعدك في ترتيب أفكارك وأولوياتك .. والخروج من حالة عدم التوازن

Des. Maryam Tamim

والضياع التي تعانين منها منذ فترة .. بل بت أشعر أنك لا تعلمين بالضبط ماذا تريدين "

عادت بسمة لحاضرها حين وقفت الحافلة في المحطة الأخيرة فنزلت تجرجر حقائبها الثقيلة بهمومها وأوجاعها وخيباتها .. نحو مستقبل مجهول .

***

قبل أن ينتهي النهار كان أعمام وائل وإخوة الخالة أنجيل يتجمعون في بيت مجدي موريس ولم يسمح سوى لسيد وأخته التي تفاجأت بالتجمهر في الشارع وعمرو وعائلة سماحة بالحضور .. وتم عرض ما فعله سامي الذي حضر اللقاء مكدوما خاصة بعد أن حضر أمير ولأول مرة يرونه منفعلا عنيفا حين خلع حزام بنطاله وإنهال على سامي قبل أن يتدخلوا لمنعه ... وحاول سامي التهديد والوعيد معظم الوقت حتى قام أخوال وائل بتهديد أعمامه

Des. Maryam Tamim

بضرب مصالحهم في السوق التجاري .. وخاصة بعد أن أخبرتهم الخالة أنجيل بأن شقة وائل قد ثبتت عليها ماجدة مؤخرا كاميرات مراقبة وقد سجلت تهديد سامي لها مرتين المرة الأولى التي هددها بالصور والمرة الثانية حين زارها اليوم واعترف أمام باب شقتها أنه يبتزها في مقابل الصور .. وهددوهم بالتقدم بهذه الأدلة والصور المفبركة للشرطة لكنهم يتركون هذا الأمر كحل أخير إذا ما فشلت كل السبل الأخرى لردعه .. ليس لسبب سوى الابتعاد بقدر الإمكان عن نشر خبر الصور المركبة الخاصة بالفتاة الصغيرة ..ومحاولة تحجيم الأمر ليبقى بين العائلتين حفاظا على نفسيتها وسمعتها .. مما جعل الأعمام مضطرون للضغط على سامي وتهديده هو الآخر بقطع معاملاتهم التجارية معه إن لم يرضخ للتوقيع على تعويض كبير يدفعه سامي للخالة أنجيل .. فكان الأخير من الإنهاك والضغط ما جعله يرضخ في النهاية ليوقع

Des. Maryam Tamim

على دفع التعويض صاغرا راغباً في أن ينتهي هذا اليوم العصيب ..
وبمجرد أن أنصرف الجميع حاملين سامي في حالة سيئة .. جلس الشباب ببيت الخالة أنجيل المكون من طابقين يربطهما سلما داخليا وقد تحفظوا على هاتف سامي وعلى الحاسوب المحمول الخاص بأنجيل الصغيرة .. فحاول عمرو محو الصور من حساب سامي وهاتفه وكل وجود له على شبكة التواصل بعد أن قام سيد بضربه مجددا ليخبرهم ببياناته الشخصية ..

قال أحمد لعمرو وهو يدخن كمحرقة" لا أعتقد أنه سيكون صادقا ويخبرنا بكل شيء من الوارد أن يكون قد خزنها على قرص مدمج أو اي وحدة تخزين خارجية أو حتى حساب آخر له على الانترنت "
رد عمرو وهو منهمك مع الحواسيب التي أمامه "لا تقلق وضعت هذا في الاعتبار وأقوم بالقرصنة حاليا

Des. Maryam Tamim

ومحاولة اختراق حاسوبه الشخصي الذي كان يحدث منه أنجيل .. أما وحدات التخزين الخارجية فتلك المستندات التي نهدده بها أعتقد أنها ستخيفه من أن يستخدمها .. وإذا ما تهور بأي شيء سنقدم بلاغا للشرطة لا مفر "

رد أحمد بإجهاد " هذا الرجل مهووس وعلينا أن نضعه تحت مراقبتنا "

قال عمرو " أتفق معك في هذا .. وهذا الأمر سنتركه لهولاكو "

أما سيد فكان يغوص في المقعد الوثير هادئا وقد عاودته حمى خفيفة فأخذت رحمة تضغط عليه ليأخذ أدويته بإلحاح بينما هو يعاند لتهمس له بغيظ " تناول أدويتك فيكفيني قلقي عليك لن أتحمل عصبيتها وإلحاحها لإجبارك على تناول الأدوية "

Des. Maryam Tamim

رفع إليها عينيه لتشير خلفه فأدار رأسه ليجد آية تقف عند باب المطبخ وقد ظنها رحلت .. فالتقت الأعين .. ولاحت ذكرى اعتراف الأمس في الأذهان لتتخضب آية خجلا وتنظر أرضا بينما شعر سيد للمرة الأولى بالحرج وقد ازدادت ضربات قلبه فأشاح بوجهه وارتفعت حرارة جسده .. ليأخذ الأدوية من رحمة بسرعة .

يتملكه شعور بالرضا بأي شيء .. وبأي مصير بعد أن أخبرها أمس بما كان على استعداد لأن يغامر برأسه ليبوح لها به .. يعترف أنه تهور وأنه أخطأ بهذا البوح الذي لا يحق له ..وأنه يؤذيها لأنه يعلقها به أكثر .. لكنه وصل لمرحلة استسلام غير مسبوقة .. استسلام لقدره مع بسمة وما تفعله به واستسلام لقدره مع آية وما تفعله به ..

تذكر جملته لآية أمس والتي تختصر كل شيء (أنت روحي .. روح سيد العالقة بين الأرض والسماء .. لا

Des. Maryam Tamim

رُدت إليه لتحييه ولا صعدت لتريحه فيستريح من الدنيا) .

وتذكر بسمة التي سافرت اليوم لأهلها دون أن تخبره .. لكنه .. مجهد .. منهك .. مريض يحتاج لبعض الوقت ليشحن طاقته من جديد ليتعامل مع بسمة .

استدار مجددا يتلمس بعضا من الدفء ليجدها قد اختفت ولم يعلم أنها فرت هاربة باكية عائدة لبيتها قبل أن تتهور وتُغضب الجميع منها .. فأرخى رأسه على المقعد يغلق عيناه على مشاعره بينما ربتت أخته علي كتفه مواسية .. لكنه لم يهنأ ببعض الراحة بل اتسعت عيناه فجأة حين سمع ميري تقول بفزع " أنجيل ليست في البيت وهاتفها مغلق .."

***

صاح الحاج سليمان " ماذا تعنين برغبتك في الطلاق ؟؟"

Des. Maryam Tamim

قالت بسمة ببؤس " أنا لست سعيدة معه وحياته لا تناسبني "
رد باستنكار " وهل الزواج لعبة .. إذا ما أحببتها تتوقفين عن اللعب "
قالت باكية " أنا لم أعد أريد الحياة معه يا أبي "
تدخلت والدتها تقول باكية " اهتدي بالله يا ابنتي .. أي حياة زوجية تمر ببعض الأزمات"
تطلعت بسمة لأمها بغيظ وقالت " أتقولين هذا يا أماه بعد كل ما تعرفينه من تفاصيل!!"
سأل الحاج سليمان بجمود " أي تفاصيل؟"
حاولت بسمة اختلاق أسبابا وهمية لتسهيل مهمتها في تمهيد الأمر لوالدها بما قررته .. فهي تعلم جيدا أنه لن يقبل أبدا بفكرة الطلاق فقالت" إن سيد لديه علاقات نسائية كثيرة "
رد أبيها ببرود " أين المشكلة ... كل الرجال لديهم علاقات نسائية "

Des. Maryam Tamim

حدقت فيه ذاهلة من رد فعله ثم نظرت لأمها التي أطرقت برأسها باستسلام ثم ردت باستنكار " من قال أن كل الرجال لديهم علاقات نسائية ؟!!.. ومن وضع هذا المبدأ؟؟ .. ومن سمح به ؟!!"

ضيق عيناه قليلا ثم قال " تغيرت كثيرا يا بسمة منذ أن ذهبت للعاصمة "

ردت بجمود " فعلا لم أعد بسمة المستكينة الهبلاء التي ليس لها فائدة سوى أنها ابنة جميلة الملامح وزوجة لرجل يعلقها في ذراعه كدمية جميلة .. لم أعد بسمة القديمة الوردية التي لا تدري شيئا حولها "

رد بحزم " عموما هذا لن يغير من الأمر شيء فأنا لن أقبل بهذا أبدا .. (وأكمل ساخرا) فاستغلي هذا النضوج الذي تتحدثين عنه بأن تصلحي الأمر بينك وبين زوجك وتتقبلي كونك امرأة ولها حدود وكونه رجل لا يعيبه شيء "

Des. Maryam Tamim

تسمرت ذاهلة ترغب في الصراخ .. في اللطم.. في الإلقاء بنفسها في النهر .. فتدخلت والدتها تقول بدبلوماسية " والدك يقصد أن الرجل يلف ويدور خارج بيته .. لكنه يعود إلى زوجته في النهاية"
ردت ولم تتخلى عن ذهولها بعد " ولمَ اقبل بهذا الوضع ؟"
رد والدها بجمود " لأنك زوجة وعليك احترام الزواج "
صاحت بسمة " ولماذا لا يحترم هو أيضا هذا الزواج .. أنا زوجة لست عبدة يا أبي؟!!"

حدجها بنظرة خطرة يريد إنهاء الأمر قبل أن تستفحل الفكرة بداخلها فقال " هذا الهراء لا أريد أن أسمعه مجددا.. وسأتصل بسيد ليأتيني وسأوبخه ليحافظ على بيته"
ردت باستنكار " هكذا ببساطة !! .. يخونني وأسامحه !!"

[3881]

تدخلت الأم خوفا من تفاقم الأمر بينهما فقالت " أخبرتك من قبل أن على المرأة العاقلة أن تحافظ على بيتها يا حبيبتي"

ردت بسمة بحنق " هناك حدود للصبر يا أمي .. وسقف التضحية الذي تطلبينه مني عال لن اقدر عليه "

هدر الحاج بصوت أرعب المرأتين " لا أريد أن اسمع هذا السخف مجددا .. وغدا سترجعين لبيت زوجك بعد أن أرسل إليه وأوبخه ".

ردت بسرعة " وماذا لو قلت أنه يرغب في الزواج بأخرى "

لاحت المفاجأة على وجه أبيها فصمت قليلا يفكر ثم غمغم بغيظ "كنت أعلم أن احتكاكه بالوسط الفني سيكون له آثاره السلبية .. لكني كنت أراهن على جمالك في أن تجعليه كالخاتم في إصبعك .. لكن من الواضح أنك فشلتِ ".

Des. Maryam Tamim

ردت بسمة باستهجان " أنا لست في معركة يا أبي .. أنا أريد زوج أستكين إليه لا أحارب من أجل أن أحتفظ به"

حدجها بنظرة خطرة ورد بامتعاض " فاشلة .. لمَ أنا يا ربي محاطا بالأغبياء ؟!! "

شعرت بالألم وبالإهانة لكنها ردت بكبرياء" هذا ما حدث "

تكلم بتقريع " ما دمت فاشلة .. إذن تحملي أن يتزوج عليك زوجك .. يكفي أنك فشلت في إنجاب طفل له .. العاملات في الحقول يحملن كل عام وأنا ابنتي .. ابنة سليمان الوديدي عاجزة عن انجاب طفل واحد أباهي به الناس " .

شعرت بالغيظ فقالت " هذا قدري .. كوني لا أنجب هذه إرادة الله أم أنك لك رأي آخر يا أبي .. عموما أنا لن اقبل بهذه الحياة مع سيد ".

Des. Maryam Tamim

صاح باستنكار " وأنا لن أقبل أن تطلق ابنتي وسيرتي في البلدة تلوكها الألسنة .. خاصة وأن الانتخابات على الأبواب ولا أريد أن أخسرها أمام الحاج عبد الغني كالمرة السابقة " .

صاحت بسمة ولم تستطع الاحتمال أكثر من ذلك " هل كل ما يهمك الانتخابات يا أبي لكن سعادتي ليست مهمة عندك؟!!"

هدر فيها يقول " ألم أزوجك الرجل الذي اخترته ولم أفرض عليك من أتوا لطلبك من أثرياء البلدة؟!".
صرخت بهستيريا " أنت وافقت على سيد لأنه من العاصمة .. ولأنه ابن خليل صبرة المليونير الكبير .. قبل أن تصدم بعلاقته بأبيه .. لكنك ظللت متمسكا بصورته كابن المليونير وأنه من العاصمة لتتفاخر بها بين أهل البلدة .. كما كنت تتفاخر

Des. Maryam Tamim

بجمالي طوال الوقت وتتعزز على الخاطبين ..
وحين بدأت شهرة سيد في عالم الفن زادك هذا فخرا .. أي أنك لم تكن لترضى بسيد لو لم تكن مصاهرته ستكسب من ورائها في معاملاتك التجارية وعلاقاتك وانتخابات مجلس الشعب ".
صفعها على وجهها وهو يرد منفعلا " اخرسي ..
وإياك والتطاول بهذا الشكل مرة أخرى"
حوقلت والدتها وحاولت إبعادها عنه وإقناعها بإنهاء الحديث بينما قالت بسمة ببؤس " هل تضربني لأني أقول لك أني تعسة في حياتي وأريد الطلاق من رجل يريد أن يتزوج عليّ .."

رد بجمود " هذا شرع الله .. ولن استطيع أن أمنعه إذا أراد ذلك .. خاصة وأنك فشلت في انجاب طفل له فمن المنطقي أن يفكر في الزواج بعد أربعة سنوات دون إنجاب ".

Des. Maryam Tamim

لم تستطيع استيعاب .. قسوة الواقع .. فتمتمت بصدمة " هكذا .. ببساطة ! ".

رد وهو يهم بالمغادرة " ليس بسيطا.. لكنه أفضل من الطلاق .. الحياة ليست وردية كما تظنين .. وأنا وضعي في البلدة حساس هذه الأيام .. سأتصل به وستعودين معه انتهى الحديث في هذا الأمر"

***

حل الظلام وجلست ميري القرفصاء في الشارع تستند لحائط المبنى تدفن وجهها بين كفيها وتبكي بحرقة بينما الخالة أنجيل تجلس على كرسي في نفس موضع جلستها في الصباح في الشارع تستند على عصاها بوجوم فاقتربت كريستين وسحبت ميري لتستقيم وأخذتها بين ذراعيها مواسية ..فغمغمت ميري وسط بكائها " أنا المقصرة .. أنا التهيت بالانتقام من ذلك الحقير ولم اتفقّدها .. حسبتها نائمة كما كانت تفعل الأيام الماضية تنام

Des. Maryam Tamim

طوال النهار وتبكي في الليل ممتنعة عن الكلام .. تركتها نائمة في الغرفة العلوية في بيت جدتي بل حمدت الله أنها نائمة حتى لا تشعر بما يحدث في الطابق السفلي من اجتماعات بين العائلتين بخصوص موضوعها أردت أن ينتهوا أولا وأطمئن من أن ذلك الحقير قد نال جزاءه لأبشرها ربما تخرج من حالة الصدمة التي كانت فيها .. لأتفاجأ أنها غير موجودة بالغرفة أصلا "

عادت للنحيب فقالت كريستين " من الواضح أنها خرجت وقت المشكلة في الشارع .. لا تقلقي حبيبتي سيجدونها بإذن الله ".

اقتربت إلهام من الخالة انجيل الواجمة وقالت " سيجدونها يا أم وائل بإذن الله .. أين ماجدة؟" ردت الخالة " تجوب شوارع الحي كله كالمجنونة تبحث عن ابنتها ".

[3887]

نظرت إلهام لسيد الواقف من بعيد يتحدث في الهاتف بعصبية ..على ما يبدو أنه يكلف صبيانه بالبحث عن الفتاة فسألت "وأين أمير؟".

ردت كريستين" يجري وراء ماجدة يحاول اقناعها بالبقاء هنا وترك مهمة البحث للرجال "

قالت الهام لكريستين بأسف " قلبي معكما يا ابنتي أن يحدث كل هذا ولم يمضي على زواجكما أيام .. لم يكن عليك الخروج من شقتك يا حبيبتي مازلتِ عروس .. لا حول ولا قوة الا بالله "
ابتسمت لها كريستين ابتسامة حزينة فقالت إلهام مشجعة " سيجدونها بإذن الله .. أحمد وآية ذهبا بالسيارة يجوبان الشوارع خارج الحي وبحثا في النادي .. وعمرو أخذ أرقام هواتف اصدقائها ويتصل بهم ".

Des. Maryam Tamim

بعد قليل ركن أحمد السيارة في شارع سماحة وترجل منها هو وآية واجمان ليذهب أحمد لبرقوق بينما اقتربت آية من سيد تراقب صوته المريض ..فتنحنح في حرج وأنهى المكالمة مع أحد صبيانه .. ليقفا محدقين في بعضهما بارتباك وضربات قلبيهما تلقي بالسلام بأصوات عالية .. وتمنت لو تلمسه للحظة وتمنى لو يلقي برأسه في حضنها للحظة .. بعد صمت مزدحم بالنظرات الناطقة قال بهمس " أنا آسف على ما بدر مني ليلة أمس " ازدادت ضربات قلبها واشتعلت وجنتيها فقالت بهمس " آسف على ما قلت ؟"
رد بخفوت وهو يملأ عيناه بملامحها " لست آسفا على ما قلت لكني آسف على البوح به "
وضعت يدها على ذراعها الآخر وكأنها تمنع نفسها عن مدها للمسه وقالت وهي تشيح بنظراتها بعيدا عن نظراته الحارقة " لا أدري هل عليّ أن أطير من

Des. Maryam Tamim

السعادة أم أموت من الحزن بعد ما قلت لي بالأمس
"
تألم قلبه شفقة عليها ورد " أعلم .. لهذا أنا آسف"

قاطعهم صوت أحمد الذي ينادي على سيد بعصبية فابتعدت آية بخطوات هادئة بينما توجه إليه سيد متحاشيا نظرات أحمد النارية ليقول الأخير بلهجة ذات مغزى " ركز معنا لنجد الفتاة"

قال سيد بهدوء " أنا كلفت كل صبياني ووزعتهم على شوارع الحي ولم يراها أحد".
هرش برقوق ذقنه وقال بثقة "أنا أكيد أنها لم تخرج من الحي .. أحاول أن أتذكر جيدا أحداث اليوم .. والرائح والغادي ..لم أراها تخرج من الحيّ ."

Des. Maryam Tamim

رفع كلا من سيد وأحمد حاجبيهما فقال الأول باندهاش " هل تحفظ في ذاكرتك الرائح والغادي خلال اليوم ؟؟!!" .

ابتسم برقوق ابتسامته السمجة وأشار لرأسه يقول" كله يختزن هنا ".
قال أحمد بلهجة ذات مغزى" كنت أعلم أنك ماكر يا برقوق وتأكدت اليوم من ذلك".
ازدادت ابتسامته السمجة فتحولت لبلهاء وهو يقول "كان عليّ أن انقذ قريبي وأصدقاءه "

مط أحمد شفتيه بامتعاض وقال لسيد " ليس لدينا وقت علينا إيجاد الفتاة "
فتحركا بينما قال برقوق " وأنا سألف في الحي ربما أتذكر شيئا ".

Des. Maryam Tamim

من الناحية المقابلة قال عمرو في الهاتف " كيف ستنزلين يا أروى وماذا ستفعلين نحن نقف في الشارع والأجواء متوترة".
صاحت باستنكار" هل تعني أني لن أفيدكم بشيء أيها السيد المحترم!!"
قال بإجهاد " أروى .. أنا مستنزف ومجهد وقمت بالكثير من الاتصالات اليوم بالإضافة لاتصالات أمي كل ساعة أطمئنها أني بخير فتحمليني ولا تتحركي من مكانك أرجوك "
ردت أروى بحنق " يا عمرو كلكم مجتمعون منذ الصباح للمشاركة والحل والمؤازرة.. وأنا أجلس هنا وحدي أشعر بالعجز .. وأنت ترفض أن آتي بنفسي باستخدام المصعد وترفض أن تأتي لتأخذني أو أحمد يأخذني "
ضغط عمرو بسبابته وإبهامه على زاوية عينيه بإجهاد وقال " أرجوك يا أروى لا تزيدي على صعوبة اليوم بقلقي عليك.."

Des. Maryam Tamim

قالت منفعلة " حسنا يا عمرو .. سلام"

فرك جبينه بإنهاك بعد أن أغلقت ولمح اقتراب أحمد وسيد .. وتلاهما ظهور ماجدة باكية ومعها أمير.. ليقفوا جميعا يحدقون في بعضهم.. وانضم إليهم عددا من الجيران كانوا يشاركون في البحث ..
فقالت ماجدة منتحبة " أين ذهبتِ يا أنجيل أين ذهبتِ يا قلبي "
تكلم الحاج سماحة يقول " أعتقد أنه لا مفر من إبلاغ الشرطة ".
اقترب عمرو من ميري الباكية في حضن كريستين يقول " ميري .. حاولي أن تفكري بتفكيرها .. أنت أكثر شخص يعرف كيف تفكر أنجيل " .
مسحت ميري دموعها وحاولت التركيز فقال أحمد " لوكنتِ أنجيل أين ستكونين في موقف كهذا ؟".

Des. Maryam Tamim

صمتت ميري قليلا ثم قالت " ستكون في مكان يخص أبي .. وأنا بحثت في شقتنا.. وفي غرفة أبي بالذات لم أجدها".

تكلم أحمد يفكر " هل هناك مكانا آخر يخص وائل سوى شقته والخن"

لمعت عينا ميري تقول" المحل!"

ضيق أمير عيناه ورد " لم نفتح المحلات اليوم وصرفت العمال ".

تكلمت ميري بحماس تقول " أنجيل لديها نسخة من مفتاح ورشة أبي المتاخمة للمحلات ..أقصد محل جدي القديم .. فكما تعلم أن للورشة قفلا مختلفا عن المحلات "

قالت ماجدة باندهاش " وماذا ستفعل في ورشة وائل ؟".

تحفز الجميع وبدأوا في التحرك فقالت الخالة أنجيل " يا رب .. يا كريم " .

Des. Maryam Tamim

قابلهم برقوق آتيا من بعيد يقول بصوت عال " ورشة صاحبكم ضوءها مفتوح "..

بعد قليل كان أمير يفتح باب الورشة المتاخمة لمحلات الذهب وهي صالة صغيرة تحتوي على مكتب خشبي قديم يعود للجد موريس وغرفة داخلية أوسع تحتوي على أدوات صياغة الذهب وبعض الأغراض الأخرى المركونة منذ زمن .. حيث كانت هذه الورشة هي المحل الأول التي بدأ فيه الجد موريس قبل أن تتوسع تجارته ويشتري الأرض المجاورة ويقيم عليها محلات الذهب الحالية ..

دخل أمير وهو يرتجف خوفا من أن يجد ما يمزق قلبه على أنجيل.. فتجاوزه سيد يندفع للداخل بعصبية ينادي بصوته الجهوري باحثا في الغرفة الداخلية عن أنجيل دون رد ..

Des. Maryam Tamim

أخذ سيد يبحث وسط الفوضى في الغرفة بيأس حتى صرخت ماجدة فجأة حين وجدتها مختبئة تحت مكتب أبيها القديم .. تنام على جانبها متكومة في وضع الجنين .. منتفخة العينين ومتورمة الوجه من بكاء طويل .. فافترشت ماجدة الأرض تحشر نفسها تحت مكتب وائل .. وأخذتها في حضنها تحضنها بشدة وتمطرها بالقبلات وأنجيل مستسلمة في حالة إعياء .. فسألتها آية "باهتمام هل هي بخير؟؟ .."

ردت ماجدة بإيماء من رأسها .. فزفر الجميع بارتياح بينما قال أحمد " سأذهب لأطمئن الجميع"

ازداد نحيب أنجيل في صدر أمها فأحكمت ماجدة ذراعيها حولها متمتمة بخفوت " أنا آسفة حبيبتي أنا آسفة أن تعرضت لهذه المحنة .. أعلم أننا نعيش أياما صعبة لكن أملي في الله كبير وسنجتاز

Des. Maryam Tamim

ما حدث بإذن الله (وأمسكت وجه ابنتها المتورم من البكاء بين يديها تقول) هل أنت بخير حبيبتي؟"

أومأت أنجيل برأسها فقالت ميري باكية" أرعبتنا يا سخيفة (وتغير صوتها لتقول بحماس) أنت لا تعلمين ماذا حدث مع هذا النذل وكم أكل من الضرب "

بدأت أنجيل في النحيب مجددا فحضنتها ماجدة تقول " انتهى الأمر حبيبتي وانسيه تماما .. امحيه من ذاكرتك يا قلبي " .

استند أمير بإنهاك على الحائط ليأتيه اتصالاً فقال بتوتر " المستشفى تتصل ".

حدق الحاضرين كلهم فيه وتوترت ملامحهم .. يتابعون حديثه على الهاتف قبل أن يصرخ أمير بفرح " يا رب السماوات .. وائل استفاق من غيبوبته !!!! "

***

[3897]

الأصوات عالية ..
والصخب شديد ..
لكنه سعيد برؤيتهم جميعا في الغرفة من حوله ..

حين استفاق ظهر اليوم ظل يحدق في سقف الغرفة كثيرا يحاول أن يستوعب أين هو؟ ولمَ لا يقدر على تحريك أطرافه؟ ..ثم غفى قليلا ليستيقظ مجددا بعد بعض الوقت ويتكرر ذلك عدة مرات .. استفاقة .. ثم غفوة .. حتى حضرت ممرضة تتفقده .. ليفتح لها عينيه ويقابل علامات دهشة ومفاجأة منها .. قبل أن تمتلئ الغرفة بالأطباء يتفحصونه وكأنه حيوان نادر عثر عليه .. وما لم يستوعبه من حديثهم أنه كان في غيبوبة لأكثر من شهرين!!..

في أول الأمر لم يستطع التواصل مع الأطباء فلم يكن قادرا على تحريك لسانه لكنه بعد عدة ساعات

Des. Maryam Tamim

من الاستيقاظ استطاع الهمس بصعوبة .. لكنه غير قادر على تحريك أطرافه رغم أنه يشعر بجسده ..

أن ينام لمدة شهرين أمر غير قادر على استيعابه ولا يذكر شيئا من فترة نومه سوى بعض الوجوه والهلوسات الغير مفهومة .. يشعر أن بعض أجزاء من ذاكرته مفقودا .. لكن الأطباء طمئنوه أن هذه أعراض عادية بعد هذه الفترة الطويلة من الرقاد وأنهم سيتابعون تطور حالته في الأيام المقبلة .

لكن الأغرب من حقيقة غيبوبته التي دامت لشهرين كما يدعون .. أن أول شخص قد حضر لذهنه بعد أن استفاق هو ماجدة !! ..

بل إنه غير قادر على التحكم في نظراته المختلسة إليها في جلستها بأقصى الغرفة وهي غير قادرة عن التوقف عن البكاء الصامت ..خاصة وأن هيئتها

Des. Maryam Tamim

الباكية هذه غريبة عليه وكأنها ماجدة أخرى غير التي يعرفها .
علت الضحكات من حوله وشعر بالسعادة رغم أنه غير قادر سوى على سماعهم وتحريك رأسه والهمس بصعوبة .. يشفق عليهم جميعا أن أرعبهم لشهرين بسبب غيبوبته تلك ..
تطلع لأمه التي تتوسط الغرفة والتي أمطرته بالقبلات حين حضرت .. ولصوت ضحكات ميري وآية الصاخبة وابتسامات عمرو وأورى الهادئة .. ومشاكسة أحمد لأنجيل الكبيرة .. ومجددا يختلس النظر لماجدة دون أن يدري لمَ يطاردها بنظراته؟
..

أما ما يقلقه هو أنجيل الصغيرة التي تلتصق به منذ أن دخلت متورمة الوجه من بكاء على ما يبدو لوقت طويل .. وتساءل هل بكاءها طول الطريق إلى

Des. Maryam Tamim

المستشفى يجعلها بهذه الهيئة التي أوجعت قلبه ؟!!.

تمتم بخفوت فقال أحمد بصوت عال " سكوت لنسمع ماذا يقول السيد الهامس "

اقترب منه أمير ليقول" ما بها أنجيل؟"

توتر وجه أمير ورد" أنجيل متأثرة جدا بأزمتك الصحية "

مالت أنجيل الصغيرة عليه في صمت ودفنت وجهها في ذراع أبيها تبكي .. فقالت جدتها موبخة " كفى يا أنجيل والدك لن يتحمل هذا البكاء "

قال أمير بسعادة " أنا تزوجت كريستين منذ أسبوع تقريبا" .

لاحت الدهشة على وجه وائل فقال أمير بحزن "اضطررنا لإتمامه في موعده لارتباط أخيها بالسفر "

أبتسم وائل وتمتم هامسا بالمباركة وأدار نظره يبحث عنها بين الحاضرين فقال أمير " أمي رفضت

Des. Maryam Tamim

أن تحضر معنا لأنها مازالت عروس .. لكنها ترسل لك تحياتها الحارة " .

دخل سيد صاخبا كعادته بعد أن خرج قبل قليل فعاد يحمل صندوقا من الكرتون فوقه أكوابا من المثلجات وصاح بصوته الجهوري الذي أفزع الطيور الناعسة في حديقة المستشفى "حان وقت الاحتفال".
رفع عمرو حاجبه وتكلم ساخرا " بالمثلجات!"

رد سيد بابتسامة عريضة أضاءت وجهه بعد غياب طويل " بالطبع .. وهل هناك أحلى من الاحتفال بالمثلجات التي يحبها الجميع "
مط أحمد شفتيه بامتعاض وتخضبت آية بالحمرة وهي تتظاهر بالبحث عن لا شيء في أرض الغرفة بينما صاحت أروى بسعادة " هل تعلم أني اشتهي المثلجات منذ ثلاثة أيام ! ".

Des. Maryam Tamim

سألها عمرو بخفوت متفاجئا " لمَ لم تطلبينها مني إذن ؟! "
ردت ببساطة " نسيت .. وتذكرتها الآن حين رأيتها".

فاستقام يمد يده ليأخذ واحدة ليقول له سيد موبخا "انتظر يا جلف لنعطي الصغيرات أولا".

فرد عمرو ببرود" بل أروى أولا "
وسحب واحدة وأعطاها لأروى .

قال سيد لميري في حرج متحاشيا الاقتراب من آية التي يملأ وجودها ناظريه حتى لو كان ممنوعا أن ينظر نحوها " وزعي على الجميع المثلجات يا ميري "
فأخذت الصغيرة توزع بينما غمز سيد للخالة أنجيل يخفي يده وراء ظهره بقطعة شيكولاتة

Des. Maryam Tamim

صغيرة لمعت من أجلها عيناها ولاح على وجهها ملامح طفولية قبل أن يمد يده من وراء ظهره لتأخذها منه وتخبئها بسرعة في كمها ثم تتظاهر بلا شيء .

أما ماجدة فلم تتوقف دموعها رغم أنها لم تكن تنوي البكاء لكن دموعها مصرة على التدفق .. لا تصدق .. لا تصدق حتى الآن أنه مستيقظ .. حين تقارن اليوم بأمس .. وحين تقارن كيف بدأ هذا اليوم وكيف انتهى تشعر بالامتنان لله سبحانه .. غير طامعة في أكثر من وجوده على قيد الحياة .. لكنها مازالت لا تصدق ..وكأنها تحلم .

ولم تكن ماجدة وحدها التي لم ترفع نظراتها عن وائل بل وقف سيد أيضا يتأمل صاحبه المستلقي على ظهره يوزع نظراته بين الجميع في صمت .. فقاوم رغبة ملحة في البكاء ثم اقترب منه يقول

Des. Maryam Tamim

لأنجيل الصغيرة " افسحي قليلا لقد اشتقت لصاحبي"

تحركت أنجيل بإعياء فحثها أمير هامسا أن تتناول المثلجات .. بينما حشر سيد نفسه بجانب وائل على السرير حتى أصدر السرير صوت استغاثة قبل أن يميل على وائل يحاول أن يُقبِّله على خده بقبلة وحشية فأشاح وائل بوجهه بعيدا بقرف وسط ضحكات الجميع .. ليهمس بعدها سيد بشيء في أذن وائل فاتسعت ابتسامة الأخير وانفجر سيد في الضحك عاليا.. يتخلله بعض السعال .

تحكمت آية في ابتسامة ملحة وقد دغدغت ضحكته أعصابها فتمنت أن يضحك بهذا الشكل إلى الأبد .. وألا يحمل هما أبدا .. بينما اقتربت منها أروى تهمس لها " أريدك أن تحضري لي من صيدلية المستشفى اختبارا للحمل"

Des. Maryam Tamim

جحظت عينا آية بمفاجأة .. فأسرعت أروى بتحذيرها ألا تنطق ثم همست " لا أريد أن يعرف أحد "

ابتلعت آية ريقها وهمست" هل تشكين أنك حامل؟؟؟؟"

ردت أروى "لا أعرف"

قالت آية " ولمَ لم تسألين أمي على الأعراض؟ "

ردت أروى "لا أريدها أن تتحمس ثم تُحبط إن كانت النتيجة سلبية ".

سألتها آية " وعمرو ؟"

قالت أروى بإصرار " ولا عمرو.. الأمر كما تعلمين حساسا ".

قالت آية " إذن هل أحضرها من صيدلية المستشفى وأعطيه لك في السر ؟"

اقترب عمرو يقول "هيا يا أروى"

قالت أروى " كنت أريد من آية أن تحضر لي شيئا"

رد باندهاش " ولمَ آية وليس أنا؟"

Des. Maryam Tamim

حكت جبينها وقالت تداري ارتباكها " لا شيء كانت ستشتري لي بعض أدوات الزينة "
قال بإرهاق " ألا يمكن أن يؤجل الأمر فأنا سأموت من الإرهاق"
قالت أروى لآية " اشتريه إذن وسأمر عندكم صباحا عند ذهاب عمرو لعمله ".
ابتسمت آية تقول بارتباك " بالطبع .. بالطبع"
تحركا مغادران بعد أن حيا عمرو الجميع وربت على كتف وائل ممتننا لسلامته بينما أروى تشير لآية بأن تحضر اختبار الحمل وستمر عليها صباحا .
فهمس وائل بصعوبة " أين رامز .. أقصد .. أقصد " فتكلمت ميري تذكره " بانة .."

أطرق أحمد برأسه بحزن فقالت ميري ببراءة "مسافرة عند أهلها".
نظر وائل لأحمد باندهاش.. فقال سيد " استرح الآن .. وسنحكي لك كل ما فاتك لاحقاً "

Des. Maryam Tamim

دخلت الممرضة تقول " يكفي هذا القدر على المريض .. لا نريد أن نرهقه..(ونظرت للجميع بتساؤل) هل سيرافقه أحدا الليلة؟".

تلهفت ماجدة أن تبقى معه لكن وضع أنجيل الصغيرة يقلقها .. فهي لم تنطق منذ ذلك الحادث .. وحتى بعد استيقاظ وائل لم تتحدث فغلبت أمومتها على حبها لوائل لتقول " أنا لن أقدر على أن أبيت معه الليلة .. فهناك أمور بالمنزل عليّ أن أعدها "

شعر وائل بالإحباط لم يدري لمَ شعر بذلك ؟..

بينما تكلمت أنجيل الكبيرة بلهجة ذات مغزى " يكفي عليك يا ابنتي هذا القدر .. أنتِ بتِ معه ليلة أمس وليالي كثيرة سابقة ".

تكلم أمير " أنا سأبيت معه ".

Des. Maryam Tamim

فقال وائل هامسا لتعيد ميري لهما ما يقول" أبي يقول كيف للعريس أن يبيت معه .. وأنه يريد أن يختلي بنفسه .. لأنه يشعر برغبة أخرى في النوم". قال سيد بعد أن خانته عيناه بنظرة أخيرة مختلسة لآية " اذهبوا أنتم .. وأنا سأبقى معه حتى ينام .. ثم أمر لآخذ رحمة من بيت سماحة ".

تحرك الجميع.. فتلكأت ماجدة قليلا عند باب الغرفة ثم استدارت تنظر إليه لتتأكد أنه مستيقظ بالفعل .. لتستقبلها عيناه كنجمتين مضيئتين باللون الأزرق .. فازدادت ضربات قلبها وخرجت مسرعة .. وهي تجهش بالبكاء دون أن يلاحظ وائل بكاءها .. بينما هو يحاول تفسير ذلك الشعور الذي يعتريه بالإحباط لمغادرتها !!

***

الساعات الأولى من ليلة السبت :

[3909]

دخل عمرو على أروى الجالسة على السرير بعد أن صعد ليطمئن على والدته قبل أن ينام حتى لا تغضب .. ووقف يبدل ملابسه بإجهاد واضح فأشفقت عليه من هذا اليوم الطويل المرهق .. فقابلته بابتسامة دافئة وقالت " هل والدتك بخير ؟"

أومأ برأسه إيجابا .. فقالت" تبدو مرهقا جدا " رد عمرو وهو يستلقي على السرير بجانبها " جدا .. فلم أنم جيدا الليلة الماضية كما تعلمين (وأكمل بغيظ) بينما أناس ناموا حتى صلاة العصر"

قهقهت ثم ردت بدلال " لأن أحدهم منعني من النوم حتى الصباح .. فنمت لا أدري بنفسي " ثنى ذراعه خلف رأسه ونظر إليها يقول مشاكسا "الشارع كله كان يتابع الأحداث وأنت نائمة بملء عينيك"

Des. Maryam Tamim

مالت عليه فتساقط شعرها الحريري الأسود حول وجهها تقول بهمس" أنت السبب أجهدتني ليلة أمس "

تأمل ملامحها .. ولاحت ابتسامة عابثة على وجهه المرهق .. متذكرا صخب وجنون وانصهار الليلة السابقة .. ثم رفع غطاء السرير ليغطي به وجهها ويقول " ابتعدي عني يا أروى فأنا لست قادرا على تحريك إصبع "

ردت باستنكار تزيح الغطاء عن وجهها " ماذا فعلت أنا ؟!.. ها أنا ذا (وأشارت لمنامتها) كلي حشمة "

علت ضحكته الصبيانية .. ثم تأملها في تلك المنامة ذات البنطال الطويل الأزرق وبلوزة بنصف كم .. ثم قال " يا أروتي .. أنت تفعلين بي الأفاعيل حتى بملابسك المحتشمة وحجابك.. ألم أقل لك دوما أني أحمد الله أنك حلالي وإلا لهلكت"

Des. Maryam Tamim

اشتعلت وجنتاها ومالت تطبع قبلة على جبينه فقال بصوت مرهق " هل تعلمين أن سيد حول مجموعة الدردشة الخاصة بأربعتنا على الواتساب لمحطة إذاعة كلما أعجبته أغنية يرسلها لنا .. فأرسل أغنية رائعة منذ مدة وكأنها كتبت من أجلنا تقول :

قل للمليحة في الخمار الأسود
ماذا فعلت بناسك متعبد

فأكملت أروى :

قد كان شمر للصلاة ثيابه
لما وقفتِ بباب المسجد

فلمس عمرو أطراف شعرها المشرف عليه من عليّ وأكمل :

ردي عليه صلاته وصيامه
لا تتركيه بحق دين محمد

قبلت جبينه مجددا بتأثر.. ممتنة أنه عاد لينام بجانبها طوال الليل من جديد وهمست " أغنية

Des. Maryam Tamim

رائعة بالفعل .. غدا سأعزفها لك على الكمان.. هيا نم فأنت مرهق"
فقال وهو يعتدل على جانبه ناعسا " اقتربي أكثر لحضني يا أروتي "
غرقت في حضنه باستسلام لدفئه .. قبل أن يرن جرس الباب لتجحظ عيناهما ويتطلعان لبعضهما برعب .. فقال عمرو وهو يترك السرير وقد قرأ أفكارها " لا أتوقع أن تكون أمي نحن الواحدة بعد منتصف الليل .. كما أنها تستطيع الاتصال بي إن أرادت شيء " .
بعد ثوان كان عمرو يقف متسمرا على الباب فاقدا للنطق وهو يطالع أمامه أحمد سماحة يقف ببرود يديه في جيب بنطاله يلقي السلام بعنجهية قبل أن يدخل ..
سأله عمرو وهو ينظر في ساعته " هل حدث شيء ؟!.هل الجميع بخير؟؟"

Des. Maryam Tamim

رد أحمد وهو يتجاوزه ويدخل الشقة " الحمد لله .. جئت لأرى أروى "
رفع عمرو حاجبيه وقال" هل تعلم كم الساعة؟!! كما أننا تركنا بعضنا منذ ساعتين تقريبا !!"
تجاهله أحمد ليتوغل في الشقة ثم توقف قليلا عند بداية الممر المؤدي للغرف ينادي عليها بصوت عال " أروى .. أنا آت ".
ردد عمرو ذاهلا " أروى أنا آت !!"
فردت من الداخل " تعال يا حبيبي "
ردد عمرو مصعوقاً " تعال يا حبيبي !!"

وقبل أن يستفيق من ذهوله كان أحمد قد اخترق الممر الطويل نحو غرفتهما فلحق به عمرو بسرعة ليقف بعدها مذهولا على باب الغرفة يشاهد أحمد وقد مال عليها يقبل رأسها قبلة سريعة .. ثم توجه ناحية خزانة الملابس ووقف حائرا يقول لأروى التي تكتم ضحكها " أين ؟"

Des. Maryam Tamim

فأشارت له فوق الخزانة تغطي فمها من الضحك ونظرت لعمرو المتسمر يحرك نظراته بينهما في محاولة للفهم .

أخرج أحمد مرتبة رفيعة إضافية فردها بجوار السرير .. بينما عينا عمرو تزداد جحوظا وأروى تزداد كتما لضحكها.. ثم سحب وسادة عمرو من فوق السرير ووضعها أرضا ليستلقي بجوار أروى .

أستطاع عمرو أخيرا أن يخرج من صدمته ليقول " ماذا تفعل في غرفة نومي يا هذا؟!!!"

أشار له أحمد بتعال ورد " أششش .. أريد أن أنام (وأشار للسرير) نم في سريرك فأنا سأسمح لك"

اقترب عمرو منه بسرعة يسحبه من ملابسه فقال أحمد بتحفز" هل تريد المصارعة ؟؟ لا بأس معي فأنا عندي رغبة ملحة لضرب أحدهم "

Des. Maryam Tamim

تكلمت أروى " أرجوكما بدون عنف فأنا أعصابي لن تتحمل حتى المزاح الخشن بينكما "

تجمد عمرو .. فدفع أحمد يده عن ملابسه بخشونة ليستلقي ويغطي عيناه بذراعه آمرا " أغلق الضوء "
نظر عمرو لأروى فتكلمت مفسرة في حرج " إن لديه عادة أن ينام بجوار سريري حين ينتابه الأرق "
رد عمرو مستنكرا " نعم !!!!!"

فاستعطفته بصمت أن يرأف بحاله رغم حرجها من مزاح أحمد الثقيل بينما صاح أحمد" اخفض صوتك أريد أن أناااام"
طحن عمرو أسنانه وسحب هاتفه ومصحفه وترك الغرفة .. فتوترت أروى ولم تدري ماذا تفعل ..ليتكلم أحمد وهو مغمض العينين " لا تتدخلي في مزاحنا فأنت لست طرفا فيه".

Des. Maryam Tamim

سألته بحنان "هل أنت بخير؟".
رد بأسى دون أن يفتح عيناه " أنا أموت يا أروى ..
أموت ببطء .. لمَ لا تطمئنني عليها بأي وسيلة ..
حتى لو قررت الانفصال عني .. ".

تكلمت أروى بسرعة "لا أتوقع أنها ستفعلها أنا أعلم جيدا كم هي تحبك ".
رد بصوت معذب " وأنا أعلم كم هي تحبني أكثر مما تعلم هي عن نفسها .. لكني أخشى من حسها العالي بالمسئولية أن تقرر البقاء بجانب والدها والبحث عن أخويها .. مرتعب أن تجد صعوبة في مغادرة وطنها .. فالحب وحده لا يكفي لأن نجتمع سويا ".
أطرقت برأسها في حزن .. فأكمل وهو يداري " ألمه أتصل كثيرا بالعم غنيم حتى مل الرجل مني .. ولم يستطع الحصول على معلومة سوى أن أباها قد أجرى عمليته منذ أكثر من شهر .. هذه هي المعلومة الوحيدة التي استطعنا الحصول عليها ".

Des. Maryam Tamim

زفرت متألمة من أجله.. وتأملته وقد ازداد نحولا وعصبية ووجوما .. ليتقلب على جانبه ويقول "سأنام لبضع ساعات فقط ثم أغادر حتى لا يلوي زوجك فمه كالنساء .. (وأكمل بصوت ناعس) بضع ساعات فقط فلا أذكر متى آخر مرة استطعت النوم فيها "

أغلقت الضوء.. وشردت في عمرو الذي بعثت له رسالة على الواتساب ولم يرد ..

بعد نصف ساعة فتح عمرو الباب ليجدها تشاهد مسلسلا كوريا على حاسوبها فأشارت له ألا يصدر صوتا وهمست " كنت أنتظر أن يغط في النوم لأخرج بحثا عنك " .

تقدم عمرو نحوها في صمت وحملها بين ذراعيه فكتمت ضحكتها وهو يتحرك بها خارجا من الغرفة.

***

[3918]

قبيل الفجر في بلد بانة الخازن:

أحكمت بانة حزام مقعدها في الطائرة حول خصرها .. تتمتم ببعض الآيات القرآنية تتمنى أن تنتهي هذه الرحلة الطويلة المرهقة بسرعة فقد خرجت من بلدتها في سفر لمدة تسع ساعات حتى وصلت للمطار وها هي تنتظر إقلاع الطائرة ..

عادت بذاكرتها لأكثر من شهرين مضيا .. إلى ذلك اليوم الذي يعد من أسوأ الأيام التي مرت عليها في حياتها .. حين عادت للبيت بعد أن تأخرت في بيت أقاربها لقرب الفجر بحجج غريبة شعرتها متعمدة لتأخيرها .. ليقابلها الجميع بوجوم فظنت أن والدها ليس بخير لكنها فوجئت به يخبرها برحيل أحمد تاركا لها هاتفه ورسالة .

ظلت لفترة غير مستوعبة لمعنى رحيله .. للدرجة التي جعلتها تعتقد أنها في كابوس وستستيقظ منه لتجده موجودا.. فخرجت مسرعة تجري نحو منزلها وعمها صقر يلحق بها .. لتكتشف أن خزانة

Des. Maryam Tamim



الملابس خالية من ملابسه فجلست أرضا تحدق في الخزانة لا تدري كم مر عليها الوقت .. تقرأ الرسالة وتستمع للأغنية التي تركها أحمد بصدمة .. وقتها .. لم تستطع حتى البكاء .. هول الألم بداخلها وصدمتها لم تستطع معهم البكاء .. تذكرت جيدا أن عمها صقر قد دخل عليها بعد فترة يقول بهدوء " لمَ أنت جالسة هكذا ؟" فرفعت عينيها إليه تهمس بيُتم " أنتظر أحمد .. من الواضح أنه يحيك لي مقلبا لا أكثر .. أليس كذلك يا عماه ؟!"

افترش الأرض بجانبها وأخذها بين ذراعيه في صمت مواسياً .. فهو يعلم جيدا ذلك الشعور المفجع عن فقد الأحبة .. فتمتمت بذهول " كيف استطاع أن يفعلها يا عماه ؟!.. كيف طاوعته قدماه على الرحيل بدوني ؟!.. كيف وافقه قلبه ؟!"



بعدها رقدت مريضة لثلاث أسابيع غير قادرة لا على البكاء .. ولا الحركة .. ولا حتى الأكل .. حتى حين أجبرت نفسها على الأكل بعد أن هدد والدها بعدم الخضوع للعملية الجراحية كانت تتقيأ دون إرادة منها كل ما يدخل في جوفها .. وظلت لفترة طويلة لا تحتفظ معدتها بأي طعام .

ولم تجبر نفسها على القيام من سرير المرض إلا لتقنع والدها بالخضوع للعملية الجراحية التي من أجلها اضطرت لأن تتماسك .

كانت تتوقع أن يلح عليها أبيها للحاق به لكنه لم يتحدث معها في هذا الأمر مطلقا .. برغم الكلام الكثير الذي يلوح في عينيه.. حتى لجأت إليه ذات يوم ليساعدها في حسم قرارها .

Des. Maryam Tamim

منذ شهر :

سألت بانة والدها ظهر إحدى الأيام وهو مستلقي على سريره في المستشفى بعد نجاح عمليته " لمَ لم تعلق على سفر أحمد ؟".

رد والدها " لأني لا أريد أن أؤثر على قرارك"

فركت رأسها بين كفيها وقالت بعذاب " دبرني يا أبي أنا أموت ببطء.. لم أكن أتوقع أن عودتي للوطن ستجعلني بهذا العذاب والتمزق"

رد أبو فراس بهدوء " القرار قرارك يا ابنتي"
قالت بتوسل " انصحني .. أريد نصيحتك "
قال أبو فراس " نصيحتي هي إن كنتِ تستطيعين الاستغناء عنه وممارسة حياتك بطبيعية فلا تقومي

Des. Maryam Tamim

بتشتيت نفسك بين بلدين بلا داعي .. وإن لم تقدري فمكان الزوجة هو بيت زوجها أينما كان "
ردت بعذاب " وهل ستأتي معي؟"
ابتلع غصة مسننة في حلقه وقال " أنت تعلمين أني لن أقدر على ذلك .. قبل أن أجد أخويك .. أو أعلم مصيرهما ".
فقالت ببؤس " وكيف سأتركك يا أبي؟!"
رد أبو فراس بمكر " هل هذا معناه أنك قد قررت العودة بالفعل؟".
دفنت وجهها في كفيها وتمتمت بصوت مكتوم "الحقيقة أني غير قادرة على المضي في حياتي بدونه .. غير قادرة .. ".
ابتسم أبو فراس بشفقة وراحة ..لترفع وجهها فجأة فأجفل والدها وأرتد برأسه للخلف قليلا حين تغيرت ملامحها للشر تقول بغيظ " رغم أنه فظ .. وقاسي القلب .. و .. و.. "
فقال والدها " تنفسي أولا ..واهدئي "

Des. Maryam Tamim

فأكملت تضرب بقبضتها على السرير بوعيد " ولن أنسى له هذا الموقف .. سيندم أشد الندم أن يهين كرامتي بهذا الشكل " .

تمتم أبو فراس بتهكم " بهذا الشكل أنا مطمئن عليكِ"

تمتمت بغيظ من بين أسنانها " إنه فظ .. غليظ لا يطاق يا أبي .. لا يطاق"

فرد ساخرا " حقا ! ".

تطلعت لأبيها قليلا .. ثم انفجرت فجأة في البكاء .. فأحاطها والدها بذراعيه يقول " أخيرا بكيت يا بانة .. ابك يا ابنتي ابك ولا تكتمين في صدرك .. كدت أموت وأنا أراقبك خلال الأيام الماضية بهذا الصمت وهذا الرقاد الذي انتابك يا ابنة قلبي .. ولولا أني اقتنعت بوجهة نظر زوجك لكنت أرسلت في طلبه فورا .. لكني كنت أريدك أن تقرري مصيرك دون أي تدخل من أحد "

Des. Maryam Tamim



قالت وسط دموعها " لكن الابتعاد عنك صعب يا أبي .. ولا أعرف كيف سأفعلها !! .. أنا ممزقة بينك وبينه .. وأشعر أني بهذا القرار واللحاق بقلبي أني أنانية ".

رد وهو يربت على ظهرها " لستِ أنانية يا ابنة قلبي .. يكفي ما عشتيه وما رأيته في حياتك .. عليك من الآن الاهتمام بزوجك وبيتك واتركي السياسة والنزاعات والحروب وما يحدث هنا جانبا "

سألته السؤال المعضلة " وكيف سأتركك وأترك وطني ؟"

رد أبا فراس بهدوء " وطنك سيظل في قلبك يا بانة .. موشوم بداخلك للأبد .. مهما سافرت وتغربت .. أنت تنتمين لتراب هذا البلد لن تستطيعي .. ولن يستطيع أولئك السفاحين القتلة محو أوطاننا من داخلنا .. لو طردونا.. لو شردونا.. لو سجنونا.. لو قتلونا لن يستطيعوا محو انتمائنا لهذه الأرض ".





علا نشيجها في صدره فسألها " أتذكرين معنى اسمك ؟"

رفعت وجهها المبلل بالدموع إليه وذكرى معينة مع أحمد عن اسمها تلوح في ذهنها فردت بسرعة " بانة مفرد البان .. والبان نوع من الشجر له موائد طبية كثيرة ويتحمل الظروف الصعبة .."

ابتسم أبو فراس وقال " الانسان كالشجرة لها موطنها الأصلي لكنها قد تنقل وتزرع في أرض وطن آخر .. فتكبر في الوطن الجديد وتنمو وتثمر .. لكن سيبقى معلوما عنها موطنها الأصلي ولن تختفي تلك الحقيقة أبدا من تاريخها".

حدقت فيه وقد لمعت عيناها .. فأكمل والدها " أنتما مقدران لبعضكما من قبل أن تولدا يا ابنتي.. لو لم تكن الحرب السبب فسيكون هناك ألف سبب لتلتقيه وتتزوجيه .. ولذا أقول لك كبانة .. اضربي

Des. Maryam Tamim

بجذورك في أرضه بكل شموخ ولا تخشي أبدا أن تفقدي هويتك .. فهويتك ستظل موشومة بداخلك .. اضربي بجذورك وأثمري ثمرا مميزا يحمل من خيرات البلدين".

ارتمت عليه تحضنه وهي تتمتم" أحبك يا أبي ولا أعلم كيف سأقوى على فراقك "
طمئنها يقول " لا تقلقي المسافات الطويلة تهون من أجل من نحبهم .. سأزورك وتزوريني يا ابنة قلبي "
ودمعت عيناه يقاوم تلك الفكرة المفجعة بداخله لفراقها ثم قال " دعينا نبدأ في إجراءات السفر فأنا أعتقد أني سأحتاج لكثير من الأوراق فقد فقدت جواز سفري ".
رفعت إليه وجهها متفاجئة تهتف " هل ستأتي معي يا أبي؟!!"

Des. Maryam Tamim

رد عليها بثقة " بالطبع .. وهل سأرسل ابنتي إليهم وحدها !.. لابد أن أقابل العائلة التي ستعيش فيها ابنتي .. وأتشرط على هذا المتعجرف مثل أي حمو يعتز بابنته .. وبعدها سنتواصل ونتزاور بإذن الله.. وأعدك حين أطمئن على مصير أخويك سنطرح فكرة الاستقرار بجانبك للمناقشة"

صرخت في فرح وهي تطوق رقبته بذراعيها " أحبك يا أبي .. أحبك جدا جدا .. أنت أعظم أب في الوجود ".

احتضنها يتمتم " وأنت أروع ابنة في الوجود "

وداري دمعة فرت من عينيه حزنا على قرب فراقها .

عادت بانة من ذكرياتها على صوت الطيار يعلن في الإذاعة الداخلية عن بداية الرحلة .. فنظرت لوالدها البادي عليه الإرهاق لكنه منحها ابتسامته التي تطيب جروحها فأمسكت بيده وقبلتها بكل الحب والامتنان الذي بداخلها نحوه .

Des. Maryam Tamim



حين أقلعت الطائرة مغادرة أرض الوطن تطلعت من النافذة وتمتمت في سرها " إلى لقاء قريب يا وطني الحبيب فأنا ذاهبة لمن منحني قلبه وطنا"

***

هل سيسافر ؟؟؟!!.

هل استفاقة وائل من غيبوبته تعني أنه سيسافر بالفعل ؟؟!!.

أم سيرأف بحالها ويبقى ؟؟..

كلها أسئلة أرهقت آية ومنعتها عن النوم منذ أن عادت للبيت ..

إلى متى هذا العذاب سيدوم ؟؟.. إلى متى ستظل ممنوعة من الاقتراب وغير قادرة على الابتعاد .

إلى متى ستظل غير قادرة على استيعاب أن طرقهم متوازية ؟..

إلى متى ستظل مسجونة في أحلام المراهقة أنه يوما ما سيكون لها وحدها ؟.



حين أتي عند منتصف الليل لاصطحاب رحمة التي بقيت مع إلهام عندما ذهبوا لرؤية وائل .. تمنت أن يصعد ولو قليلا .. فلم تشبع منه بعد .. رغم أنها رأته اليوم أكثر بكثير من أيام كثيرة قاحلة مضت .. لكنه بقى في الشارع ورفض الصعود.. والهام لم تلح عليه في الصعود ككل مرة .. وأحست أن أمها قد تألمت لأنها لم تستطيع أن تلح عليه كعادتها..

خرجت آية وقتها للشرفة تتأمل وقفته شاردا في الشارع .. وبقايا سعال خفيف مازال ينتابه ..ثم رفع رأسه نحو شرفتها وكأنه قد شعر بوجودها وظل متسمرا يطالعها صامتا متألما .. فودت لو أن تنزل إليه .. وحقدت على رحمة .. حقدت عليها بشدة أن يُسمح لها بالعودة معه .. بالحديث معه بحرية .. بإضحاكه .. بالتعلق برقبته دون لوم ..

من قال أنها نضجت ؟!.

من قال أنها أصبحت أهدأ ؟!.

[3930]



إنها مازالت كما هي ثائرة ..جامحة .. ترفض القيود وترغب في التحليق ..
لكنها مؤخرا تعلمت التكيّف حتى لا تؤذي بجموحها من تحبهم .. استوعبت أن ما تفعله للأسف لا يخصها وحدها ..وانما يؤثر على المحيطين بها .. وسواء اقتنعت أم لا .. قررت ألا تفعل ما يؤذيهم حتى لو كان يسعدها .. ففي أذيتهم وجع لهم ولها .. وفي تكيّفها .. سعادة لهم ووجع لها ..
فقررت إسعادهم .. مادامت موجوعة في الحالتين.
ضوء نهار جديد يستمر فيه عذابها يتسرب ليمحو الظلام .. ومازال النوم يجافيها .. فحمدت الله أن برنامجها الصباحي في عطلة يومي الجمعة والسبت ..
ففتحت تطبيق الساوند كلاود وشغلت إحدى الأغاني بسماعات عالية الصوت في أذنها .. ووقفت في وسط غرفتها تتمايل مع الموسيقى وتتلوى مع



الكلمات .. وتراقص الوجع بداخلها .. في وصلة حزينة من الرقص تعبيري.. والكلمات تتسلل لوجدانها :

أما يا ياما ..
شدي الضفاير ..
شدي رباطها .. عصبيني ..
لو قادرة ياما ..
تقيديها .. قيديها وقيديني ..

شعوري موجة..
عمالة تلعب ..
عمالة ترقص فوق جبيني ..

شعوري شوق ..
وبشوقي حايرة ..
لانا عارفة ماشية..
ولا عارفه طايرة ..

[3932]

وكلام في سرك وبقولها مُرة
عذاب بحس .. عذاب وثورة

أما يا ياما جوايا ليه؟..
أما يا ياما جوايا ايه ؟..
جوايا حيرة...
جوايا ضلمة..

جوايا طير قلقان في عشه ..
لا أنا قادرة أشيله ولا قادرة أهِشه
وكلام في سرك وبقولها مُرة
عذاب بحسه .. عذاب وثورة

في نفس الوقت كان سيد يطير بسيارته خارجا من العاصمة بعد أن وصله مكالمة من الحاج سليمان الوديدي يطلبه فورا .. ومكالمة أخرى من والدتها

Des. Maryam Tamim

تخبره أن الوضع مشتعل بين بسمة ووالدها ..
فاتصل ببسمة لتخبره برغبتها في الطلاق .. ليترك رسالة لرحمة ويذهب في رحلة لا يعرف هل يسمح فيها بالأمل لأن يتسلل إليه أم يترك اليأس يعربد بداخله بأن بسمة قيدا لن يفر منه .

***

في السادسة صباحا استيقظ أحمد متألما من النوم على الأرض .. وتلفت حوله ليتذكر أنه في غرفة أروى .. فمط شفتيه بتسلي وهو يتذكر وجه عمرو أمس .
خمس ساعات من النوم العميق بالنسبة لحاله مؤخرا يعتبر إنجازا كبيرا .. فتطلع للسرير فوقه ليجده خالي تماما فاستقام يلملم حاجياته .. وتحرج من استخدام الحمام الملحق بالغرفة ..

Des. Maryam Tamim

فخرج ليستخدم الحمام الرئيسي في هدوء متوقعا أن أروى وعمرو في إحدى الغرف الصغيرة .

بعد قليل جمع حاجياته وتسلل على أطراف أصابعه مغادرا ليمر على غرفة المعيشة في الصالة الداخلية فيفاجأ بعمرو مستلقيا على الأريكة يحتضن أروى بين ذراعيه بينما هي ترفع ساقها فوق ساقه .. ويغطان في نوم عميق .. فجحظت عيناه ومط شفتيه بامتعاض مغادرا بسرعة يغلق باب الشقة خلفه بهدوء وهو يغمغم كذئب عجوز " يغيظني ابن القاضي .. يحرق دمي ببرود .. وإبراهيم يتهمني بالفسق .. فليربي ابنته أولا .. قمة الوقاحة والقرف !"

***

Des. Maryam Tamim



التاسعة صباحا :

خرجت بانة من باب المطار تنظر حولها بحماس .. طالعت الوجوه .. وتفقدت السماء .. والشمس والهواء وكأنها تطمئن أنهم كما تركتهم .. ثم استدارت لأبيها تسأله " هل من الممكن أن يكون للإنسان وطنان ؟"..

ابتسم أبو فراس وقال " من الممكن أن تنتمي لبلد وترتبطي ببلد آخر (وأكمل بلهجة ذات مغزى) خاصة لو كان أحبابك في البلد الأخرى ".

اتسعت ابتسامتها .. فسعد قلبه لطاقة السعادة التي تملأ قلب ابنته في تلك اللحظة .. فهون ذلك عليه ألم الفراق الآتي بعد أيام .. بينما قالت بانة بحماس " هيا يا أبي فلنذهب للسوق الحرة نشتري بعض الهدايا السريعة وسأعرفك على بعض الأماكن والشوارع في طريقنا للبيت "

Des. Maryam Tamim

تمتم بهدوء " أخبرتك يا بانة أنها ليست أول زيارة لي هنا .. فقد جئت مرارا في مؤتمرات علمية" قالت بتحدي طفولي " سترى أني أعرف أكثر منك هنا .. (وشدته تهرول) هيا يا عبدولتي حتى لا نضيع الوقت ".

***

قبيل الظهيرة :

دخل عمرو لبيت سماحة قلقا بعد أن اتصل به أحمد في مكتبه يطلب منه الحضور فورا في أمر يخص أروى التي تركها في بيتهم قبل ذهابه للعمل صباحا .. وحين حاول الاتصال بأروى لم ترد لكنها أرسلت إليه رسالة بأنها بخير .. لكنه كان قلقا يخشى أن يكون قد اصابها مكروها ولا تريد إخباره . تطلع في وجه الجميع وخاصة أروى التي تجلس على كرسيها هادئة في حالة غريبة لم يفهمها ..

Des. Maryam Tamim

فبادره أحمد يقبض على ياقته ليقول ممتعضا "
كنت أعلم أن آخر طريق الوقاحة أمرا كهذا "

سألهم وهو يركز على ملامح أروى "ماذا حدث ما
بها أروى؟ (وحاول تخليص ملابسه من يد أحمد
وهو يصيح بقلق) اتركني يا بني آدم لأرى ما بها ؟"
تدخلت إلهام بعد أن استغفرت ربنا في عصبية مما
يفعله أحمد " كل خير يا بني لا تقلق .. أحمد يمزح
كالعادة .. ويريد أن يبارك لك ".
صاح أحمد باستنكار " أبارك لوقاحتهما !! "

خلص عمرو ملابسه من يد أحمد بنفاذ صبر وهدر
فيه بجدية " ما هذا السخف يا أحمد .. هل
استدعيتني من عملي بهذا الشكل العاجل ..
لتمزح!! .. ألن تكف على جنونك أبدا .. هل تدرك
كم كنت قلقا على أروى طيلة الطريق خاصة وأنها
لا ترد على هاتفها؟؟!!"

Des. Maryam Tamim

ردت آية مبتسمة " لقد صادر هواتفنا جميعا .. وأرسنا إليك الرسالة لطمأنتك .. خلسة دون أن يدري".

نظر عمرو لأروى يحاول تفسير ملامحها بينما تدخلت إلهام قائلة " كفى سخفا يا أحمد بالله عليك ودعنا نزف إليه البشارة .. "

عقد عمرو حاجبيه .. فتكلمت إلهام متأثرة بعد أن اغرورقت عيناها بالدموع " مبارك لك يا ولدي أروى حامل " .

اتسعت عينا عمرو لثانية ثم اتسعت ابتسامته لتضيء أسنانه البيضاء وجهه .. فتحرك نحو أروى وهو يتمتم " ما شاء الله لا قوة إلا بالله "

ثم مال عليها يأخذ وجهها بين بيديه ويلصق جبينه بجبينها محدقا في عينيها للحظة .. قبل أن يقبِل جبينها وهو يسألها بخفوت " هل هذا الكلام مؤكد؟!"

Des. Maryam Tamim

قوست شفتيها بتأثر وأومأت برأسها .. بينما لحق به أحمد يمسك بذراعه ويقول "تحدث معي أنا " حدجه عمرو بنظرة متعالية .. واعتدل ينزع ذراعه منه ليقول بتعالي " أترك سترتي يا بني .. انها غالية الثمن ".

جز أحمد على أسنانه بغيظ وقال " تتفاخر يا ابن القاضي !! "

اتسعت ابتسامة عمرو ولعب له حاجبيه فزمجر أحمد بغيظ ينقض عليه ..

أطلقت آية ضحكتها وتمتمت "يا الله ! .. إنهما يتمازحان كالصبية الصغار "

تدخلت إلهام في حزم وهي تسحب ابنها من ذراعه " ابتعد يا أحمد ولا تبدآ في مزاح خشن فأعصابي لم تهدأ بعد مما حدث بالأمس في الشارع "

نظر أحمد بتحدي لنظرة عمرو المتسلية بينما قالت إلهام "اذهب لموعدك يا أحمد هيا"

Des. Maryam Tamim

رد باستهجان " تطردين ولدك فلذة كبدك من أجل هذا الوقح " .
ابتسمت إلهام وقالت " اذهب يا حبيبي هداك الله "

فُتح الباب ودخل الحاج يلقي بالسلام .. فهتفت آية بحماس " أروى حامل يا أبي".

ابتسم الحاج وربت على كتف عمرو مباركا بينما رفعت له أروى ذراعيها ليغمرها بحضن دافئ قبل أن تغمغم إلهام " حتى الآن لا أصدق أني لم ألحظ التغيرات عليها .. ما تقوله من تواريخ يعني أنها حملت من قبل المشكلة التي حدثت بينها وبين عمرو .. وانشغلنا بالمشكلة وما تلى ذلك من أحداث محزنة .. واعتقدت أن ما حدث لها من أعراض أثناء وجودها معي أنه مرتبطا بحالتها النفسية وقتها "

Des. Maryam Tamim

تمتم الحاج سماحة " كل شيء بأوان يا إلهام "

ردت وهي مازالت تفكر " ونعم بالله .. لكني أشعر بالحرج أن تكون تلك الهبلاء حاملا على حسب تقديري في أواخر الشهر الثالث أو بداية الرابع ولا أنا ولا هي نلحظ ذلك ".
ابتسم عمرو قائلا وهو يتطلع إلى أروى بعينين لامعتين " له في ذلك حكم يا خالتي .. الحمد لله صاحب الفضل والمنة ".

بعد قليل سألها عمرو بهمس " ألا تتناولين حبوبا لمنع الحمل؟؟ "
حركت مقلتيها يمينا ويسارا بشقاوة وردت ببراءة " أحيانا كنت أفوت بعض الأيام ..وأقول إن حدث خير وإن لم يحدث خير أيضا " .

Des. Maryam Tamim

اتسعت ابتسامته وتمتم" لن تنتهي شقاوتك أبدا يا أم عبد الرحمن ".
تخصرت أروى وقالت" ولمَ لا تكون ميمين أو يوجين أو مين آه " .
ردد عمرو بذهول " آه !!! .. (واتسعت ابتسامته ليقول بثقة) إن شاء الله عبد الرحمن هكذا بشرني أبي "
سألته إلهام وقد سمعتهما " أي بشارة ".

فنظر لأروى ورد مبتسما " قبيل عودة أروى لي جاءني أبي في منامي وقد كنت ليلتها في حالة نفسية سيئة .. وقال لي " الفرج آت فأبشر يا أبا عبد الرحمن ".
اغرورقت عينا أروى بالدموع فتمتم الحاج بالحمد وقال " سأذبح عجلا وافرقه على الفقراء"
صاحت إلهام بسرعة " أياك ونشر الخبر الآن .. فلنتكتم عليه لبعض الوقت .. حتى يستقر حملها"

Des. Maryam Tamim

رد الحاج " أتركيها على الله يا إلهام "
قالت بإصرار " ونعم بالله .. ولكن هذه الأمور
حساسة فأرح قلبي بالله عليك "

بعد قليل خرج أحمد من غرفته وقد بدل ملابسه
يقول بغيظ " أنا راحل .. سأترك لكم صهركم
المفدى لتواصلوا احتفالاتكم به "
وتركهم وهو يبرطم "قرف .. ووقاحة "

فرفعت إلهام وجهها للسماء تقول " اغدق علينا
بالمزيد من كرمك يا الله واجبر بقلب أحمد ولدي يا
كريم يا رب "
***
همس أبو فراس لبانة التي تتأمل حي سماحة بتأثر
منذ أن دخلت سيارة الأجرة للشارع منذ قليل"
ليتك سمعت الكلام .. وبدلنا مزيدا من النقود
بالعملة المحلية في المطار .. ما هذا الموقف

Des. Maryam Tamim

المحرج الذي وضعتينا فيه .. ما نملكه من عملة محلية لن يغطي هذا المبلغ الذي يرصده العداد "

ردت بخفوت وهي تنظر للمبلغ الموضح على شاشة العداد " مكتب الصرافة كان أمامه طابور طويل ولم أتوقع أن نعلق في الزحام في هذا الوقت من النهار ليرصد العداد كل هذا المبلغ .. وأنا أشك أنه يتلاعب بالعداد "

رد أبو فراس محذرا بخفوت" إياك وافتعال المشاكل يا ابنة الخازن .. نحن لسنا في بلدنا "

رت بثقة " أبي .. أنا زوجة مواطن"

تفاجأ أبو فراس بردها وقهقه ضاحكا .. فتخضبت بالحمرة تداري وجهها وتتأمل عبارتها العفوية .. وقارنت شعورها الحالي بذلك الشعور بالغربة الذي كان يعتريها قبل ظهور أحمد في حياتها .. لتردد أسمه في سرها ..

Des. Maryam Tamim



أحمد ..
الكونت سماحة .. الفظ .. الغليظ .. الوقح .. قليل الحياء ..
صاحب الألف وجه والألف لقب .. الذي اشتاقت إليه إلى حد الوجع .. إلى حد الألم ..

لا تعرف كيف سيكون اللقاء .. لكنها متوترة .. متوترة جدا..

قطع والدها شرودها يقول ساخرا " لم تخبريني ماذا سنفعل يا زوجة المواطن في هذا الموقف المحرج الذي نحن فيه؟؟؟ .. ليس معي سوى دولارات ولم ألمح مكتب صرافة في طريقنا ".

Des. Maryam Tamim

قالت مطمئنة " لا تشغل بالك يا أبي أنا سأتصرف من أي أحد.. سيد .. طأطأ .. أمي إلهام ليس هناك مشكلة ".

رفع أبو فراس حاجبه بينما شهقت بانة وتسمرت تحدق فيه عبر نافذة سيارة الأجرة واقفا أمام سيارته تحت بيت سماحة .. فازدادت ضربات قلبها صخبا.. وجنونا .. وقفزا .. ورقصا .. ورعبا .. وفرحا .. كلما اقتربت السيارة منه .

بينما وقف أحمد يشتم من بين أسنانه ويبرطم وهو يرى أن الطيور قد تغوطت على سطح سيارته ..

فزفر في عصبية قائلا " يا إلهي !! ما هذا اليوم المقرف !! "

ثم ركل السيارة بقدمه في غضب .. ليلمح بعدها سيارة أجرة تتوقف على بعد أمتار منه وخرج منها أبو فراس فاتسعت عيناه في غير تصديق .. ثم

Des. Maryam Tamim

خرجت بانة تتحدث مع السائق بلهجتها " هل من الممكن أن تخرج لي الحقائب .. فمن الذوق أن تبادر بذلك دون أن أطلب منك "
تسمر أحمد وقد تجمد العالم من حوله وشُلت أطرافه بينما خرج السائق متأففا ليخرج لهما الحقائب .
أخرجت بانة من جيبها المبلغ الذي كان بحوزتها وعدته ثم أشارت للسائق أن ينتظر قليلا فسألها بشك "أين ستذهبين يا آنسة ؟"..

تحركت بسرعة نحو أحمد دون أن تنظر في وجهه مدعية الانشغال بعدّ المبلغ الذي معها .. فهبت رائحتها تحييه دون أن يستوعب عقله حقيقة وجودها بعد..
اقتربت منه فوقف متخشبا مشلولا يحدق فيها بينما رائحتها تزداد قوة في أنفه .. لتمد يدها تبحث

Des. Maryam Tamim

في جيوب سترته الأنيقة مقاومة رائحة عطره الرجولي التي أشعرتها برغبة في البكاء ..

بعد ثوان أخرجت حافظة نقوده من جيب سترته الداخلي .. وأخذتها لتعود للسائق .. بينما أبو فراس يراقب أحمد المخروس يحدق فيها كتمثال من الشمع ..
أخرجت بانة النقود للسائق فقال بتأفف " هذا المبلغ لا يكفي يا آنسة " .
هتفت باستنكار " هذا هو المبلغ الذي حدده عداد السيارة الذي هو بالمناسبة غير دقيق ".

رد السائق بانفعال " يا آنسة أنا أوصلتك حتى باب البيت وأنا لا أقود في الشوارع الجانبية" .
ردت عليه تقول باستخفاف " تشعرني أني ادخلتك لمجاهل الغابات .. هذا شارع رئيسي أيضا أنظر حولك ".

Des. Maryam Tamim

تنحنح أبو فراس يقول بهدوء " بانة دعينا ننهي هذا الأمر ".
ردت بإصرار " كلا لن أدفع سوى ما أشار له العداد " .
صاح السائق " وهذا غير كاف يا آنسة".

ردت وهي تهم بتركه " هذا ما لدي .. وإن كان لديك اعتراضا من الممكن أن تتحدث مع هذا الشخص الذي كان يعارك ذباب وجهه منذ قليل .. فهو بالمناسبة زوج الآنسة التي تقف أمامك الآن .. وأعتقد أنه سيرحب جدا بالتفاهم معك بطريقته ..(واستدارت نحو والدها تقول في عجلة) عذرا يا أبي لن أتحمل لثانية واحدة .. سأجن لأرى أمي إلهام "

وضعت بانة حافظة نقود أحمد في جيبها ببرود وجرت مسرعة نحو بيت سماحة متجاوزة تمثال الشمع الواقف بجانب سيارته .

Des. Maryam Tamim

فراقبها أحمد وهي تلملم طرف فستانها وتدخل بوابة البيت أمامه مهرولة على السلم كطفلة صغيرة تنادي بشوق " أمي .. لقد عدت يا أمي "

ووقف متخشبا لم يتخطى مرحلة الصدمة بعد.

***

Des. Maryam Tamim

الفصل السابع والثلاثون

لمح أحمد سيارة أجرة تتوقف على بعد أمتار منه وخرج منها أبا فراس فاتسعت عيناه في غير تصديق .. ثم خرجت بانة أمامه تتحدث مع السائق بلهجتها " هل من الممكن أن تخرج لي الحقائب .. فمن الذوق أن تبادر بذلك دون أن أطلب منك " . تسمر أحمد وتجمد العالم من حوله وشُلت أطرافه بينما خرج السائق متأففا ليخرج لهما الحقائب .

أخرجت بانة من جيبها المبلغ الذي كان بحوزتها وعدته ثم أشارت للسائق أن ينتظر قليلا فسألها بشك " إلى أين ستذهبين يا آنسة ؟"..

تحركت بخطوات نحو أحمد دون أن تنظر في وجهه مدعية الانشغال بعدّ المبلغ الذي معها ..تسيطر على مشاعرها وتداري ارتجافها .. فهبت

Des. Maryam Tamim

رائحتها تحييه قبل أن يستوعب عقله لحقيقة وجودها بعد..
اقتربت منه فوقف متخشبا مشلولا يحدق فيها بينما رائحتها تزداد قوة في أنفه .. لتمد يدها تبحث في جيوب سترته الأنيقة مقاومة رائحة عطره الرجولي التي أشعرتها برغبة في البكاء ..

بعد ثوان أخرجت حافظة نقوده من جيب السترة الداخلي .. وأخذتها لتعود للسائق .. بينما أبو فراس يراقب أحمد المخروس يحدق فيها كتمثال من الشمع ..
أعطت بانة النقود للسائق الذي قال بتأفف " هذا المبلغ لا يكفي يا آنسة "
هتفت باستنكار " هذا هو المبلغ الذي حدده عداد السيارة الذي هو بالمناسبة غير دقيق "
رد السائق بانفعال " يا آنسة أنا أوصلتك حتى باب البيت وأنا عادة لا أقود في الشوارع الجانبية" .

Des. Maryam Tamim

قالت باستخفاف " تشعرني أني ادخلتك لمجاهل الغابات .. هذا شارع رئيسي أيضا أنظر حولك "

تنحنح أبو فراس يقول بهدوء " بانة دعينا ننهي هذا الأمر "
ردت بإصرار " كلا لن أدفع سوى ما أشار له العداد ".
صاح السائق " وهذا غير كاف يا آنسة".

قالت وهي تهم بتركه " هذا ما عندي .. وإن كان لديك اعتراضا فمن الممكن أن تتحدث مع هذا الشخص الذي كان يعارك ذباب وجهه منذ قليل .. فهو بالمناسبة زوج الآنسة التي تقف أمامك الآن .. وأعتقد أنه سيرحب جدا بالتفاهم معك بطريقته الخاصة ..(واستدارت نحو والدها تقول في عجلة)

Des. Maryam Tamim

عذرا يا أبي لن أتحمل لثانية واحدة .. سأجن لأرى أمي إلهام ".
وضعت حافظة نقود أحمد في جيبها ببرود وجرت مسرعة نحو بيت سماحة متجاوزة تمثال الشمع الواقف بجانب سيارته .

فراقبها أحمد وهي تلملم طرف فستانها وتدخل بوابة البيت أمامه مهرولة على السلم كطفلة صغيرة تنادي بشوق " أمي .. لقد عدت يا أمي "

بعد ثوان كانت ترن الجرس وتدق الباب في صخب
ففتح عمرو الباب ليهتف مصعوقا " يا الله!"
اتسعت ابتسامتها تقول بسعادة " كيف حالك يا عمرو؟"
قال عمرو بسرعة "أحمد غادر منذ دقائق سأخبره".
بينما صرخت أروى بفرح .. فردت بانة وهي

Des. Maryam Tamim

تجري على أروى لتحتضنها " قابلته بالشارع"

اتسعت عينا عمرو ونظر على السلم ثم تمتم لنفسه وهو يغادر الشقة ليتفقده" هل سقط مغشيا عليه من الصدمة أم ماذا ؟!!"
غرقت بانة في أحضان أروى وقد بللت الدموع العيون والخدود .. بينما خرجت إلهام من المطبخ مسرعة تصرخ بفرح وهي تفتح لها ذراعيها " ابنتي.. ابنتي " .

اندفعت بانة تدفن رأسها في حضن إلهام وبدأتا في وصلة بكاء حار لا يتوقف ..
أما آية فتمتمت ساخرة رغم ضربات قلبها التي تتراقص فرحا " يا روائح الدولة العربية الشقيقة التي هلت علينا !" .

Des. Maryam Tamim

في الشارع اقترب أبو فراس من أحمد الذي ينظر إليه بعدم تصديق بينما الأول يتحكم في ابتسامة متسلية ليخرج عمرو من البوابة ينظر بتساؤل لأحمد ولأبي فراس الذي يقف بجانب الحقائب.
فألقى عمرو السلام ليمد أبا فراس يده يقول " عبد الله الخازن "
شدد عمرو على يده بترحيب حار قبل يلكز أحمد في كوعه ويقول " لمَ أنت متخشب هكذا رحب بحموك (ثم عرف نفسه لأبي فراس) عمرو القاضي"
رد أبو فراس وهو يرحب به بحرارة " زوج أروى " .
اتسعت ابتسامة عمرو يقول " من الواضح أن بانة حكت عنا "
قال أبو فراس " الكثير .. لم تترك شيئا لم تحكيه"

أخيرا تمالك أحمد أعصابه وابتلع ريقه ليمد يده لأبي فراس وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة خمنها

Des. Maryam Tamim

الأخير بأنها ترحيب .. أو اعتذار .. أو كلاهما .. ثم مال عليه أحمد يقبل كتفه .. ويسلم عليه بحرارة مرة أخرى وقد اتسعت ابتسامته بعد إدراك متأخر للمفاجأة.

بعد قليل كان أبا فراس في غرفة الصالون بعد أن رحب به الحاج سماحة ترحيبا حارا ومعه عمرو
بينما أحمد يقف في الصالة ينظر مذهولا لبانة المنهارة كليا في البكاء بشكل هستيري في حضن إلهام ذكره بيوم عقد قرانهما .. فاقترب منها ينطق باسمها بشوق معذب " بانة ألن تسلمي علي!! "
فحركت كتفيها بلا وهي تدفن وجهها في حضن إلهام مستمرة في بكائها .
اقترب أكثر وكرر اسمها بشوق وقال" بانة .. ألن تسلمي على أحمد ؟!"
حركت رأسها المدفون في حضن إلهام بلا مرة أخرى ..

[3958]

رفع حاجبا يقول "هل تخاصمينني؟!!!"
أومأت برأسها بنعم..
فوقف واضعاً يديه في جيب بنطاله ورد باستفزاز "
لمَ عدت إذن ؟!!"
رفعت اليه وجهها المرقط بالأحمر من أثر البكاء
تقول بعند " جئت لأرى أمي" .

ضيق عيناه وتبادلا النظرات لثوان يحدق فيها
باشتياق .. فسرت الكهرباء بينهما لتعود لتدفن
وجهها في حضن إلهام وتتمتم " ولا تتحدث معي
أبدا ".
رفع حاجباه في دهشة .. ثم طحن أسنانه.. لتغمز
له إلهام ليتركها لتهدأ قليلا وهي تشيح له بيدها لأن
يدخل للضيف .
فأطرق برأسه ببؤس لكنه عاد وأخبر نفسه أنه
يكتفي بوجودها .. وتركها ليجلس مع أبا فراس
ووالده اللذان اندمجا في الحديث بسهولة وتلاقت

Des. Maryam Tamim

أرواحهما دون عقبات .. بينما عينا أحمد الجالس بجوار باب غرفة الصالون استمرت لا تفارق بانة التي بدأت تهدأ وتوقفت عن البكاء تتبادل أطراف الحديث مع أمه وأروى .

سأله أبو فراس بقلق "هل ما زالت تبكي ؟"

نظر عبر الباب إليها ثم تمتم بخفوت " توقفت عن البكاء ".

فقال أبا فراس مفسرا " إنها هكذا منذ أن كانت طفلة حين تغلبها المشاعر تصاب بنوبة بكاء هستيرية .. لا تضغط عليها يا أحمد ستهدأ وحدها وتستعيد تماسكها بعد قليل ".

زفر أحمد ونظر إليها مجددا يتأملها من بعيد .. شاعرا أنه في حلم .. حتى تلك اللحظة لا يصدق أن بانة عادت إليه .. اختارته وعادت إليه .. تلك الغبية التي تدعي مخاصمته جاءت إليه بملء إرادتها ..

Des. Maryam Tamim



بعد قليل ترك الصالون ليبحث عنها غير قادر على الصبر أكثر .. فاقتربت منه أروى بكرسيها تقول " لا تبتئس .. من الواضح أنها محرجة وتتجنب الاقتراب منك حتى لا تنفلت أعصابها أمامنا".

أطرق برأسه قليلا ثم سألها "أين هي ؟"

ردت أروى "لا أعلم .. ربما تبدل ملابسها أو في الحمام" .

في الحمام نظرت بانة لوجهها المنتفخ من البكاء في المرآة وقطرات الماء البارد تتساقط منه ..

يغمرها الإحساس بالأمان ..بالدفء في هذا البيت .. حتى أنها اشتاقت لكل ركن فيه ..

هذا بخلاف اشتياقها لأحمد ..

قلبها ووطنها التي لم تقدر على فراقه ولم تقدر على العيش بدونه ..

لا تنكر أنه أغضبها وجرحها بالطريقة التي غادر بها وتركها ..





لكنه يستحق منها أن تتنازل من أجله.. أن تتحمل فراق أهلها ووطنها ..

لكنها مازالت متألمة .. غاضبة منه .. رغم أنها تشتاق إليه إلى حد الوجع .. بل إن شوقها إليه فوق طاقة الاحتمال .. ولهذا بذلت مجهودا مضنيا حتى لا تندفع نحوه تمطره أمام الجميع بالقبلات كمراهقة أو تذوب بين أحضانه كامرأة ناضجة .. وهذا الكبت لمشاعرها أصابها بهيستيريا البكاء .. ولا تعلم كيف ستسيطر على مشاعرها وأعصابها أمام حضوره الطاغي الحارق الجاذب كقوة المغناطيس .

أجفلت حين فُتح باب الحمام فجأة وهي تجفف وجهها بالمنشفة لتجد أحمد يدخل ويغلق الباب خلفه وهو يحدق فيها بأنفاس متسارعة .



لا تعرف كيف تصف الشعور .. وهي تراه أمامها بعد أكثر من شهرين تجرعت كل ثانية فيهم الوجع من افتقاده ..

تتملكها مشاعر متناقضة كالشعور بالانتعاش في قيظ الصيف والشعور بالدفء في برد الشتاء .. فازدادت ضربات قلبها بعنف وهي تحدق في عينيه وألف حديث صامت يدور بينهما .. ولم تدري أنه كان يقف أمامها منفعلا ومرتبكاً كمراهق هو الآخر .. وكأنه يلتقيها لأول مرة .. أو ربما هو انفعال وارتباك السيطرة على مشاعره تجاهها وهو يلجم نفسه بصعوبة حتى لا ينقض عليها يروي شوقا مضنيا يعذبه ..

تكلم بخفوت وهو يرسم ملامحها التي تطارده حتى في نومه كلعنة أبدية " هل تعاقبيني لأنني رفضت أن أضعك في لحظة اختيار ستشطر قلبك إلى

Des. Maryam Tamim

نصفين ؟؟؟ أم تعاقبيني لأنني أناني في حبك ولا أقبل بالحلول الوسط ؟".
للحظة .. نسيت الوجع والغضب وأرادت أن تخبره أن لديه صوتا رجوليا عذبا ذا رخامة تدغدغ الأنثى بداخلها.. لكن الوجع ألح عليها فتكلمت بعتاب مُر " إن قررها عقلك .. كيف طاوعك قلبك أن تفعل بي ما فعلت يا أحمد؟ !!"

اسمه منطوقا من بين شفتيها نزل كالبلسم على شغاف قلبه التي تئن وكأنه لم يسمع اسمه منذ أن افترقا .. فتكلم بخفوت " ذبحته .. ذبحت قلبي بيدي يا بانة وأنا أقرر هذا القرار "
اقتربت منه مدفوعة بمشاعر جامحة مركبة ومركزة .. وأمسكت بقميصه تهزه بقوة وهي تقول بألم " وذبحتني يا أحمد .. ذبحتني بما فعلت .. كدت أن أموت أقسم بالله .. أنا بعد كل ما مررت من فواجع

Des. Maryam Tamim

كاد خروجك من حياتي بهذا الشكل أن يميتني .. لقد .. " .

أطبق على شفتيها بعنف بعد أن أحاط وجهها بكفيه .. ضاربا بعرض الحائط كل وعوده لنفسه بالتمهل والتعقل والصبر قليلا .. لينهل من شهد شفتيها بجوع .. بافتقاد .. بشوق يشتعل كالجمر في صدره .. ثم دار بها ليلصقها بالحائط يحتجزها بجسده بينما بانة تحكم ذراعيها حول جذعه لتتشبث بكتفيه من الخلف بعنفوان كاد أن يفقده صوابه .. وهو يشعر بها تقبله بيأس .. وبألم محموم .

بعد قليل أفلتها طلبا للهواء بشهقة قوية لكنهما لم يستطيعا إبعاد وجهيهما فظلت العيون تقبِّل بعضها.. ويتشاركان الأنفاس الساخنة ..لتداعب رائحتها أنفه المسكين الذي كان يتوسل عطرها في الأركان ..

Des. Maryam Tamim

تحسس ملامح وجهها بيده وهو يهمس فأنفاس متسارعة " فقدت الكثير من الوزن يا بنت الخازن".
تأملته بينما لمساته تخدر أعصابها وهمست " أخبرتك بأني كنت أموت يا أحمد .. ولم يقيمني على قدماي سوى خوفي على أبي وشفقتي عليه من حالتي "
تكلم وهو يغرق ويطفو في عينيها " ومع هذا لم تتصلي بي مرة واحدة تطمئنيني عليك ! .. أهنت عليك يا بانة أن تتركيني كل هذا الوقت دون حتى اتصال واحد؟! .. هان عليك أحمد يا قلب أحمد !"

قالت بغيظ أمام شفتيه " ما دمت تختبر حبي لك فرفعت عني كل الاسباب المنطقية لترى إن كنت سأختارك أم لا .. أنا أيضا أردت أن أختبر إلى أي مدى ستنتظرني ولن تيأس " .
أطبق على شفتيها مجددا وهو يصدر أنينا معذبا بقبلة عنيفة نهمة لم تشبع بعد .. حتى سمعا

Des. Maryam Tamim

صوت والدته تطرق على الباب " بانة .. هل أنت بخير بنيتي؟ "
أفلتها ينظم أنفاسه ويستعيد السيطرة على نفسه بينما ردت هي على حماتها بارتباك وهي تنهت " أجل أنا بخير يا أمي سأخرج حالا "
عدل من هيئته سريعا ثم طبع قبلة على أنفها وهو يهمس " سأتركك تخانقيني وقتا آخر " .

فتح أحمد الباب ليجد والدته أمامه والتي تفاجأت بوجوده فضربت على صدرها شاهقة وقالت بصدمة " ماذا تفعل هنا؟؟؟؟؟"
تنحنح في حرج وتمتم "كنت أساعدها في غلق صنبور المياه"
ضربته على ذراعه بغضب تدفعه بقوة بعيدا عن الحمام وهي تقول موبخة " ستفضحنا .. أقسم بالله ستفضحنا ..اذهب من هنا ولا تترك حموك "

Des. Maryam Tamim

بعد قليل خرجت بانة أكثر سيطرة على أعصابها وأكثر سعادة.. فوجدت آية في المطبخ تحضر بعض أطباق السلطة وهي تبرطم في عصبية " السنيورة تحضر وأنا أقف لأعد المائدة لجلالتها"

شهقت بانة تقول " هل حدثت معجزات في غيابي؟ .. أراك تفعلين شيئا مفيدا في هذا البيت " مطت آية شفتيها بامتعاض تداري شعورا يغيظها بالفرحة لرجوعها وردت تغيظها " اشتقنا لظرافتِك والله .. وقد ظننا أننا قد تخلصنا منك للأبد " قالت بانة وهي تلعب حاجبيها شاعرة هي الأخرى بدفء غريب تجاه هذه المجنونة " وكيف أترك مكانا أحصل فيه على أكل مجاني .. أنت تعرفين اللاجئين ومشاكلهم النفسية عزيزتي ".

Des. Maryam Tamim

تحكمت آية في ابتسامة ملحة بينما سألتها بانة بجدية وهي تمد إصبعا في طبق سلطة الطحينة وتلحسه " هل هناك جديدا؟"
كانت تقصد شيئا معينا وهو نفس الشيء الذي تبادر لذهن آية.. فتغيرت ملامح التسلي من على وجه الأخيرة ليظهر الألم .. لكنها لم تجيب منشغلة في تحضير باقي أطباق السلطة .. فتألم قلب بانة ولم تجد ما تقوله حتى لمواساتها .

تكلمت آية فجأة بإغاظة وقد نفضت عنها الكآبة " أنا أصبحت مذيعة بالراديو"
رفعت بانة حاجبها بشك ثم صفقت تقول " أجل.. فهمتك .. أنت من تأتين بين المحطة والأخرى لتقولي تشششششش"
ضحكت آية ضحكة صفراء متهكمة ثم قالت " ها ها ها .. صدقيني حياتي كانت فارغة بدون ظرافتِك

Des. Maryam Tamim

والله ..(وتخصرت تضيف بخيلاء) بل أعمل في محطة نغم في البرنامج الصباحي مع فادي ورد" عقدت بانة حاجبيها وقالت" فادي ورد المذيع المشهور؟!!"

أومأت آية برأسها للتأكيد فقالت بانة تستفزها " هل تعدين له القهوة والشاي؟ "

ردت آية تداري ابتسامتها " بل مذيعة مع فادي يا ملكة الاستظراف"

لمحت آية لمعان الإعجاب في عيني بانة بينما قالت الأخيرة" خبر رائع .. أنا أيضا أحضرت أوراقي من الكلية وسأستأنف الدراسة هنا بإذن الله"

سألتها آية " دراسة ماذا؟"

ردت بشموخ " دراسة الصيدلة "

ضحكت آية متهكمة وقالت " ها ها ها تظن نفسها صغيرة وستذهب للكلية لتدرس مع أحفادها هناك"

Des. Maryam Tamim

دارت بانة ابتسامتها وردت متخصرة " إن كنت عجوز كما تقولين فعليك إذن بمناداتي بـ (يا ابلة) .. (وتحركت مغادرة وهي تلمح علامات الغيظ على وجه آية فقالت) بالمناسبة سلطة الطحينة بدون ملح"

حدجتها آية بغيظ ثم اسرعت تتذوق سلطة الطحينة بشك.

***

وصل سيد لبيت سليمان الوديدي متحفزا يضم قبضتيه يحاول السيطرة على غضبه.. فرحبت به أم بسمة بترحيب بشوش لم يخلو من نوع من الاسترضاء تقوم به هذه المرأة الطيبة الذي يعلم أنها لا تحب لأبنتها أن تطلق .. بالإضافة لأنها تعلم أن ما حدث هذا الصباح قد أغضبه ..فقد وصل في الصباح الباكر بعد اتصالات من ثلاثتهم .. الحاج سليمان يطلب منه المجيء فورا لأمر عاجل والحاجة تخبره بأن بسمة تقف أمام والدها وتريد

Des. Maryam Tamim

الطلاق وحين اتصل ببسمة لم تقل شيئا سوى أن يرسل إليها ورقة الطلاق وبعدها أغلقت هاتفها تماما .

لكنه حين وصل في الصباح الباكر لم يجد الحاج موجودا وأخبرته الحاجة في حرج أنه خرج لأمر مهم يخص حملته الانتخابية وحين طلب رؤية بسمة رفضت الأخيرة مقابلته وأغلقت عليها غرفتها لا تردد سوى بأنها تريد الطلاق ..

وقتها غضب سيد وقرر السفر عائدا للعاصمة لكن أم بسمة ترجته أن يتحمل بسمة وألا يتركها تواجه أبيها وحدها .. فتحرج من المرأة الطيبة ليخبرها أنه سيذهب لينام قليلا في بيته القريب وسيعود وقت آخر ..وها هو قد عاد بعد أن نال قسطا من النوم المليء بالكوابيس المزعجة .

دخل عليه الحاج سليمان الوديدي يتحدث في الهاتف فجز سيد على أسنانه يقاوم احساسا بأن هذا الرجل يتعمد أن يتجاهله منذ أن حضر اليوم .

Des. Maryam Tamim

بعد بعض الوقت أنهى الحاج سليمان المكالمة ليسلم على سيد ويقول " أهلا يا زوج ابنتي .. أعتذر فأنا مشغول جدا أنت تعرف قرب موعد الانتخابات والحملة الدعائية وتلك الأمور" .

رد عليه سيد يتحكم في غضبه " ما دمت مشغولا يا حاج لمَ أرسلت في طلبي وعطلتني ؟ أنا لدي أمور كثيرة هامة في العاصمة وتركت صديقي الذي استفاق من غيبوبة دامت لشهرين لآتي إليك."
رد الحاج سليمان " طلبتك لتأخذ زوجتك وتغادر"

رفع سيد حاجبا وقال " ابنتك اتصلت بي وطلبت الطلاق "
تكلم الحاج ببرود " وأنا أرسل إليك حتى تأخذها وتعود لبيتكم وتحلا مشاكلكما وحدكما" .

Des. Maryam Tamim

صدم سيد من رد فعل الرجل بينما أكمل الحاج سليمان" اسمع يا سيد.. الرجل الذكي هو من يستطيع أن يحتوي زوجته .. النساء كائنات ضعيفة .. وعاطفيات في قراراتهن وأنا أعلم أنك لست غشيما في التعامل مع النساء كيف تركت الوضع يخرج عن سيطرتك ؟!"

تسمر سيد قليلا ثم قال " وأنا لا أرغب في الحياة مع امرأة لا تريد البقاء معي "

تكلم الحاج وهو يخلع عباءته المعلقة على كتفيه ويشير بالسبحة في يده " إنهن ناقصات عقل ودين فلا تستمع لثرثرتهن .. اسمع أنا أعرف سبب الخلاف بينكما وهو مشكلة الانجاب وأتعاطف معك رغم أن ذلك رزق ونصيب كما تعلم .. لكن أنا متفهم وضعك ورغبتك في إنجاب وريث يرث أموالك بعد عمر طويل التي سترثها من والدك .. لكن دعنا نقوم بمحاولة أخيرة سأعرضها أنا على أكبر الأطباء في العاصمة وليس طبيبا واحدا ولكن

Des. Maryam Tamim

أكثر من طبيب وسأتكفل أنا بكافة المصاريف من علاج وعمليات إن تطلب الأمر ولن نحملك شيء .. وإن لم تستجيب للعلاج بعد فترة لن نلومك إذا ما فكرت أن تتزوج بأخرى " .

تقبض سيد بقوة يحاول تحمل هذا الرجل الذي لا يستسيغه أبدا .. وتمتم بهدوء " سأكرر لك مجددا ما قلته أنا لا أريد امرأة لا تريدني ".

رد عليه الحاج سليمان بدبلوماسية " أنا أثق في قدرتك على احتواء الموقف (ونادى بصوت عال) يا أم وليد أين الغداء ونادي على بسمة لتقابل زوجها "
بعد قليل دخلت أم بسمة في ارتباك تخبرهما أن بسمة لا ترغب في الخروج من غرفتها ولا تتكلم سوى عن رغبتها في الطلاق .. فأنفعل الحاج ليتدخل سيد مكرها ويطلب أن يصعد إلى غرفتها..

Des. Maryam Tamim

عند باب غرفتها وقف سيد وقتا طويلا يناديها لكنها كانت تغلق على نفسها الباب رافضة الكلام رافضة مقابلته .. فانفعل يضرب الباب بقدمه في عصبية ويقول " هيا يا بسمة افتحي الباب ودعينا نتحدث كالعقلاء ونحاول أن نحل الأمر "

حين لم ترد ضرب الباب بقدمه بغيظ وجلس على الأريكة المقابلة للباب يحاول السيطرة على رغبة تلح عليه بتحطيم كل ما حوله .. ثم أخذ يفكر كيف سيتصرف في هذا الأمر المعقد .. يرغب في طلاقها وإنهاء هذا الفصل من حياته وفي الوقت نفسه يشعر بالذنب تجاهها ويخشي عليها من أبيها الذي لا يفكر سوى بمصلحته الشخصية .

في الغرفة وقفت بسمة أمام النافذة في وجوم رغم توترها وهي تسمع طرقه على الباب .. تفضل ألا تواجهه .. تريد أن ينتهي الأمر دون أن تراه .. فليلقي

Des. Maryam Tamim



عليها اليمين ويرحل تاركا لها حياتها تحاول أن تتعامل معها ..
لا تدري من أين أتت بهذا الاصرار وبهذا العند .. ولم تتخيل يوما أنها قد تقف أمام أبيها بهذا الشكل وتخالفه..
حدقت في الفراغ الواسع أمامها من النافذة .. تشعر بالضياع .. وتشعر بأنها تقف على مفترق طرق جميعها مجهولة .. وانها ضعيفة .. مهزومة .. هشة .. وجاهلة .

أجل هي جاهلة عليها أن تعترف بذلك .. جاهلة في أمور كثيرة في هذه الحياة .. أبسطها إن لم يكن أهمها جاهلة ببسمة نفسها ..

لم تفكر في ذلك من قبل .. من هي ؟..





أهي بسمة الفتاة الجميلة الساذجة التي اعتمدت على جمالها كمفتاح ذهبي للحصول على كل شيء فجهلت كل شيء آخر عنها ..عن شخصيتها؟.
أم هي تلك المرأة الجبانة التي تخشى أن توصم بعار الطلاق ؟.
أم تلك المرأة التي فشلت في الاحتفاظ بزوجها؟
أم الفتاة التائهة الضائعة التي لم تعرف لوقت طويل أين السبيل للخروج من المأزق ؟.
أم بسمة التي تعرفت عليها مؤخرا .. العنيدة.. المنتقمة .. التي واتتها الشجاعة أخيرا لأن تقف في وجه والدها ..
لم تعرف من تكون ؟.. لكنها أدركت أن مهمتها التالية بعد أن تحصل على الطلاق هي أن تكتشف نفسها وتتعلم كيف ستمضي وحدها في الطريق القاسي الوعر الذي ينتظرها بعد الطلاق .



مر الوقت وسيد جالس على الأريكة ولم يصل لشيء فتكلم بهدوء آملا أن يكون صوته مسموعا لها " اسمعي يا بسمة .. أنا أعترف أنني أخطأت في حقك .. لكني أقسم لك مجددا أنني حين تزوجتك لم أنوى إلا الاستقرار معك وأني حين اخترتك كنت صادقا في رغبتي في بناء بيت وأسرة .. ولا أعلم كيف تطورت مشاعري في الاتجاه الأخر بهذه القوة .. ومع هذا أقسم لك أني حاولت كثيرا التعامل مع ورطتي ولم أقصد ابدا أن أجرحك .. ولا أتصور نفسي أن أكون ظالما أو معذبا لأحد .. فهذا يؤلمني جدا .. "

صمتت أفكارها لتسمعه في وجوم بينما أكمل سيد " طيلة أربع سنوات حاولت فيها التعامل مع الأمر لكني فشلت .. أنا من فشلت يا بسمة ولست أنت السبب صدقيني .. أقسم بالله أنك ليس بك عيبا واحدا .. لكني أنا السبب أنا المنحوس .."

[3979]

تمتمت لنفسها ساخرة " لا تتحدث عن النحس فأنا وحدي المنحوسة .. فأنت ستطلقني وتتزوج من تحب أما أنا ... " بترت عبارتها وابتلعت غصة مسننة في حلقها .

مر قليلا من الصمت ثم قال سيد " صدقيني لا أعرف كيف أرد إليك اعتبارك كيف أكفر عن خطيئتي في حقك .. أخبريني أنت ماذا يرضيك وسأفعل .. أنا كل ما قدرت عليه أن أخفي عنك سري لكنك اكتشفته دون أن أشعر .. وبعدها تركت الأمر بيدك وحين رغبت في الاستمرار ألتزمت بوعدي لك .. حاولت جاهدا ألا أقصر معك ووضعتك مهمتي الأولى لأعوضك .. وحين رفضتي مشاركتي الفراش لم أعترض ولم أضغط عليك بشيء .."

تأجج الغضب بداخلها لم تعرف منه أم من نفسها بينما أكمل سيد " من أجلك حاولت السفر يا

Des. Maryam Tamim

بسمة من أجل أن أكفر عن خطيئتي أردت أن أعطي لنفسي فرصة للابتعاد ربما نفعت معي هذه الحيلة .. (وارتعش صوته) أنا عرضت عليك السفر تاركا نجاحي المهني والناس الذين لا أعرف غيرهم عائلة ولا أعرف كيف سأفارقهم وقررت العيش في بلد أخرى لا أعرفها كل هذا من أجلك أنت .. "

وأراد أن يخبرها بعذاب آية ومشاعرها التي اكتشفها حديثا ووجعه لعذاب حبيبته .. ومع هذا التزم بكلمته معها .. لكنه خشي أن يزيد من جرحها فقال " وهناك أمور أخرى تزيد من عذابي لكني مع هذا أضعك على قمة أولوياتي ألا يكفر كل ذلك من ذنبي تجاهك "

لم تستطع تحمل المزيد على أعصابها فما يقوله لم يشعرها بالراحة بل أشعرها بالإهانة فاندفعت نحو باب غرفتها .

سمع سيد صوت المفتاح ليفتح الباب فجأة وتخرج إليه بسمة تقول بهستيريا " وأنا لا أريد

Des. Maryam Tamim

شفقتك هل فهمت لا أريد شفقتك .. هل أنا مثيرة للشفقة إلى هذه الدرجة فأتيت لتستعرض حجم التضحيات التي فعلتها من أجلي .. أنا لا أريدك ولا أريد تضحياتك أريد الطلاق أريد أن أبتعد عنك .."

هاله الحالة التي تبدو عليها فلم تكن يوما عصبية بهذا الشكل فتكلم بهدوء "اسمعي يا بسمة أنا مازلت ملتزما معك بكلمتي واذا كان لديك أي طريقة أخرى ستريحك سأفعلها دون تردد لكني.."
هتفت باستنكار تؤلمها كرامتها " لكنك ماذا ستستمر في الشفقة علي أم التضحية من أجلي ؟!.. أنا لن أقبل بهذا الوضع مجددا.. "
ظهر الحاج سليمان فجأة يقول بتهديد " لمَ تصرخين بهذا الشكل هل جننت ؟!!.. اسمعي هذا الدلال المقيت لن أتحمله .. الرجل يسترضيك وأنا اتفقت معه على تحمل تكاليف علاجك وسيعطيك مهلة للإنجاب "

Des. Maryam Tamim

حركت ناظريها بينهما لا تفهم فتكلم سيد يرد عليه باقتضاب " أنا لم أتفق معك على أي شيء يا حاج دعنا من هذا الأمر الآن "

قالت بسمة بغباء "عم تتحدثان؟"

فتدخلت أم بسمة تحاول تهدئة الوضع فقالت " يا بنيتي أباك عرض عليه أن يدفع مصاريف علاجك كلها مقابل أن يصبر هو عليك قليلا وإن شاء الله ربك كريم ويستجيب لدعائي وستحملين عن قريب ."

تطلعت إليهم بسمة في دهشة ولم تدري كيف تطور الأمر وتشكل لأن يتصور الجميع أن لديها مشكلة في الإنجاب .. فسكوتها عما قاله أبيها منذ يومين كان رغبة منها لمعاندته لكن أن يتطور الوضع لأن يكون السبب الرئيسي (أنها معيوبة) أذهلها .. وتملكتها رغبة في الانتقام من الجميع فتركتهم يعتقدون ما يعتقدون وهتفت تقول لوالدها باستنكار " وهل أنا بهيمة تشعر بالحرج

Des. Maryam Tamim

لأنها لم تنجب فقررت أن تتحمل ثمن إصلاحها قبل أن يعيدها أو أن يفكر في شراء غيرها !!!!"

تدخل سيد قائلا " بسمة دعينا من هذا الأمر فأنا لم ولن أقبل بهذا وتعالي نذهب لبيتنا لنتحدث "

نظرت في الوجوه بعدم تصديق ثم قالت بإصرار " لن أذهب إلى أي مكان وبيتك لم يعد بيتي ولم أعد أريدك .. وأريد الطلاق وأصر عليه (ثم صرخت) أتركوني في حالي ".

تقدم منها الحاج ليضربها صائحا " ماذا حدث لك هل جننت؟!! ".

فأسرع سيد يمسك بساعده قائلا بتهديد "إياك أن تفعلها ".

رد عليه الحاج باستنكار "هل ستمنعني من تأديب ابنتي ؟!!".

Des. Maryam Tamim

قال سيد بلهجة خطرة " لن أسمح لك مهما كنت أن تمد يدك عليها ".
حدق فيه مستنكرا ليقول "كيف تحدثني بهذه الطريقة ؟!! ".
رد سيد بملامح مرعبة" سأتحدث بالطريقة التي تعجبني .. إذا آذيتها فلا أضمن لك غضبي .. فأنا تربيت في الشارع ولا أفهم في الأصول مطلقا".

ابتلع الحاج ريقه .. وساد الصمت قليلا .. فدخل وليد أخيها الوحيد آتيا من الخارج يقول بحنق " صوتكم عالي وستفضحوننا في البلد كلها "

تراجع الحاج قليلا عند سماعه كلمة الفضيحة وأمسك بقلبه يقول بإجهاد " ستقضين علي وعلي سمعتي حسبي الله ونعم الوكيل " ..

Des. Maryam Tamim

أسرعت أم بسمة وابنها في إسناد الحاج ليجلس .. بينما اقترب سيد من بسمة يقول هامسا " بسمة أنا لن أستطيع أن أتركك في هذا الوضع هذا الرجل سيحيل حياتك للجحيم .. تعالي نعود للعاصمة .. "

رفعت أنظارها إليه وردت باستنكار" ثم ماذا؟ .. ماذا بعد أن أعود؟ .. وحتى لو فرضنا أن مشاعرك قد تتغير تجاهي يوما ما .. هل تعتقد أني سأتقبلك بعد كل ما حدث ونعود سويا كأن شيئا لم يكن ؟!!.. هل تعتقد أن ذلك ممكنا ؟.. أبدا .. هذا مستحيل .. فلم يعد لي حاجة فيك ولا في قلبك ولا مشاعرك .. أنكسر بداخلي شيء لم يعد قابلا للإصلاح "

حدق فيها متألما بينما تأملت هي والدها الذي هرولت أمها وأحضرت له كوبا من الماء ووليد الذي يناوله دواءه وقالت لسيد بخفوت " طلقني ..

Des. Maryam Tamim

واتركني .. وتخلص من تلك الشفقة التي تتمسك بي بسببها .. عليّ أن أتعامل مع مصيري وحدي"

تدخل صوت والدها يقول بإنهاك " أتمنى أن تكوني قد استحضرتِ عقلك المغيب وقررت العودة مع زوجك "
قالت بإصرار "لن يحدث ولن أعود ولو أجبرتموني سأقتل نفسي ".
صرخ أخيها فجأة يقول " لمَ أنت أنانية بهذا الشكل؟؟ .. ألا يهمك فضيحتنا؟؟ .. ألا يهمك أن خبر طلاقك سيضر بحملة أبيك الانتخابية ؟؟.. ألا يهمك أن أمشي مطأطئ الرأس في البلد لأن أختي مطلقة ؟!".
صعقت بسمة وسيطر عليها الشلل مما تفوه به أخاها الأصغر .. وشعرت بالإهانة أن يقول مثل هذا الحديث صراحة أمام سيد.. بينما تدخل سيد

Des. Maryam Tamim

يقول في غضب " أسكت أنت ولا تتدخل في الأمر ولا تزده سوءا ".
تمتمت بسمة غير مصدقة " مطأطئ الرأس لأن أختك مطلقة !! .. "
صاح وليد يهدد " إذا فعلت ذلك سأترك لكم البيت وسأعيش عند جدي أو عمي أنا أحذركم جميعا "

هتفت بسمة فيه بصدمة غير مصدقة أن أخاها ذا العشرين عاما الذي حملته وهو صغير وهي تكبره بثمانية أعوام كاملة .. يتجرأ عليها بهذا الشكل ..
بينما زمجر سيد يهدر بصوت أرعبهم جميعا " اسمع يا فتى .. أنا أمارس أقصى درجات ضبط النفس فلا تستفزني وأغلق فمك ولا تتدخل في الأمر" .
"كفى .... كفى " صرختها بسمة بهيستريا .. فحاول سيد تهدئتها .. لكنها استمرت في الصراخ "كفى .. كفى ..

[3988]

كفاني إهانة ..
كفاني بيع وشراء ..
كفاني إذلال ..
كفى .. كفى "
لتطلق أمها صرخة حين سقطت بسمة مغشيا عليها .
***
بعد صلاة العصر جلس الجميع في بيت سماحة حول المائدة وقد تم إحضار وليمة أسماك ومأكولات بحرية على شرف أبا فراس من مطعم شهير .
تحدث الحاج سماحة قائلا " لقد شرفنا حضورك يا أبا فراس ونورت البلد .. (ونظر لبانة باعتزاز وأكمل) فخرا لك أن تكون بانة ابنتك وكنتنا "

تخضبت بانة بالحمرة فشبك أحمد أصابع كفها بكفه من تحت المائدة وهو يلصق ساقه بساقها

Des. Maryam Tamim

بينما تكلم أبو فراس بامتنان " أنا فخور بابنتي فخرا لا تكفيه الكلمات .. كما أنني مهما قدمت لكم يا آل سماحة من الشكر والامتنان لن أوفيكم حقكم فيما قدمتموه لابنتي .. وكأن دعواتي المستمرة لربي أن يحفظها قد تجسدت فيكم .. فأسأل رب العرش العظيم أن يجزيكم بما فعلتموه خيرا كثيرا"

شعر الحاج سماحة بالحرج بينما تكلمت إلهام " لا تقل هذا حاشا لله .. إنها ابنتي يعلم الله كم أحبها .. وكم حزنت لفراقها .. وكم هي سعادتي بعودتها "

نظرت بانة لإلهام متأثرة تعلم كم اشتاقت لهذه المرأة وكأنها أمها الحقيقية .. بينما تمتمت آية بصوت خافت بجوار بانة " محظوظة أن عادت في هذا التوقيت بالذات فلو تأخرت لأيام فقط لكان أحمد قد تقدم لخطبة ماهي وسبق السيف العذل"

استدارت إليها بانة بسرعة وسألتها هامسة " ماهي من ؟؟؟؟"

Des. Maryam Tamim

ردت آية بابتسامة باردة "ماهي صديقتي .. كان يبحث عن عروس فرشحت له ماهي وأعجبته جدا والتقيا عدة مرات .. ستحزن ماهي جدا الآن "

جحظت عينا بانة ثم استدارت نحو أحمد المتابع لما يدور على المائدة .. بينما قال أبو فراس يرد على إلهام " بارك الله فيك وفي أولادك يا حاجة وجمعهم دائما حولك بهذا الشكل ."
ردت إلهام دون تفكير" لم تقابل ولدي سيد بعد (ثم أكملت بغصة) كنت أود أن يكون معنا الآن لتكتمل لمة العائلة " .
ساد الوجوم بين آل سماحة .. لكن أبا فراس كان يعلم بكافة التفاصيل من بانة التي لم تترك قصة أو تفصيلة لم تقصها عليه فتمتم بهدوء ليبدد الصمت الواجم " إن شاء الله سأقابله لأحاسبه كيف ينفجر في الضحك كلما رأى ابنتي فأنا وعدتها

Des. Maryam Tamim

أني سأتصرف معه كما يجب ولن يهمني ضخامته "
.
علا الضحك حول المائدة فشعرت بانة بالحرج .. ليقوم الحاج سماحة بدعوتهم جميعا للبدء في تناول الطعام فقامت إلهام كعادتها بفصل الأشواك عن السمك لتقدمها لأروى لكنها توقفت حين وجدت عمرو يقوم بذلك وهو منهمك في الحديث مع أبي فراس.. يستخرج اللحم ويضعه في طبقها بينما هي تلتقط ما يوضع وتأكله دفعة واحدة كالقطة .. وتنتظره حتى يخلص لها قطعة أخرى وهكذا .. فاتسعت ابتسامة إلهام تتمتم بالأدعية ومن شر حاسد إذا حسد.
أما أحمد وبانة فلم يستطيعا التركيز في الطعام فكل منهما مشغول بوجود الآخر .. يختلسون النظر لبعضهما في شوق .. وإن كانت بانة يشغل عقلها ما ألقت به آية في وجهها منذ قليل .. لكنها استبعدت الفكرة ولم تصدقها رغم أن مشاعر الغيرة قد بدأت

Des. Maryam Tamim

تقتات عليها .. وانتبهت ليد أحمد من تحت المائدة التي تمسك بيدها وتحتضن أصابعها فنسيت ما قالته آية مؤقتا .

انتهى عمرو من حديثه مع أبي فراس لينظر لأروى التي تشبك يديها في حجرها تنتظر بأدب باقي لحم السمك .

فتحكم في ابتسامة ملحة ليسألها بخفوت" ألن تأكلي أي شيء آخر سوى السمك ! .. طبق الأرز لم يمس أروى هانم ".

هزت كتفاها برفض طفولي صامت .. فقال " هل ستأكلين السمك فقط ؟"

فأومأت برأسها بصمت .. فتأملها قليلا يتحكم في مشاعر كثيرة بداخله منذ أن سمع بأمر الحمل .. صحيح أن جاءته البشارة منذ فترة .. لكنه لم يكن يتوقع أن الأمر قريب إلى هذا الحد وأن تلك الجنية كانت تعد لهذا بنية مبيتة لمفاجأته بهذا الخبر

Des. Maryam Tamim

السار .. وإن كان يشعر بالأسف على أن علاجها قد يتأخر قليلا .. لكن قدر الله وما شاء فعل ..
نظرت إليه تشير للسمك طالبة المزيد .. فتحكم في رغبة ملحة في تقبيلها منذ أن علم بخبر حملها ثم تنحنح يقول " متى سنزور الطبيبة النسائية ؟"

ابتسمت وقالت " أمي تحاول ترتيب موعد اليوم إن لم تستطع سيكون غدا بإذن الله "
ابتسم في سعادة فسألته " هل أخبرت والدتك ؟"
تلاشت البهجة من على وجهه وقال بدبلوماسية " أخبرتها بالطبع وتبارك لنا " .
لم يخف على أروى تغير ملامحه فصمتت بينما هو يتذكر كيف تلقت أمه الخبر عبر الهاتف بفتور أحبطه وتمتمت بالمباركة وكأنها تسمع خبر عن شخص غريب .
بعد قليل سأل أحمد عمرو " أين هولاكو لا يرد على هاتفه؟ "

Des. Maryam Tamim

رد عليه عمرو " لا يرد عليّ أنا أيضا ربما في اجتماع أو في استوديو الصوت .. سأمر على وائل أنا اليوم وابق أنت مع حموك " .

أما آية فكانت تحاول بلع الطعام بصعوبة بعد أن ذُكر اسم سيد .. فقد اتصلت برحمة لتطمئن على صحته فأخبرتها أنه خارج العاصمة وبالتحديد في بيته الذي يملكه في بلدة زوجته ومتوقع أن يعود آخر اليوم .. لتحرقها الغيرة من جديد وكأن قلبها تبقى به قطعة لم تحترق بعد .

***

حدق وائل في الممرضة التي تتمايل أمامه بدلال.. وشاهدها كيف تفتعل حركات متعمدة بتلك التنورة البيضاء الضيقة جدا التي ترتديها .. ثم راقبها في صمت وهو مستلقي على ظهره وهي تشمر له ذراعه لتثبت الخرطوم الرفيع الذي يوصل الأدوية لجسده ..

Des. Maryam Tamim

ثم لاحظ ماجدة التي تحركت لتترك الغرفة بصمت فشعر بعدم راحة لمغادرتها .. بل خشى أن تكون قد تضايقت لأنه كان يحدق في الممرضة .

لمَ يهتم إن تضايقت؟؟!!

لمَ يشعر بعدم راحة ؟؟!!

لا يفهم ماذا يحدث معه بالضبط ؟؟؟..

هناك مشاعر غريبة تنتابه منذ أن استيقظ وكلها تخص ماجدة ..

فمنذ أن أتت في الصباح الباكر .. صامته باردة كعادتها .. وهو يتتبعها بأنظاره دون أن يدري وكلما حاول تشتيت فكره عن التحديق فيها ومحاولة التركيز مثلا في استعادة الجزء المفقود من ذاكرته .. يقبض على نفسه متلبسا بالتحديق فيها من جديد .. ولا يعرف السبب ..

Des. Maryam Tamim

تمايعت الممرضة قليلا وهي تعيد كُم منامته لمكانه فقال لها بصوته الخافت "أتركيه ونادي على زوجتي ستفعله ".

زوجتي ؟؟!!!.

ما هذا التعبير الذي لم يستخدمه من قبل ؟؟!!

مطت الممرضة شفيتها وتركته لتخرج إلى ماجدة التي وقفت في خارج الغرفة تداري غيظها تحت قناعها الجليدي وهي تمتم في همس " لن يتوب أبدا .. حتى وهو مستلقي على فراشه لا يقوى على رفع إصبع ! (ثم عادت ونهرت نفسها) كفي عن الطمع يا ماجدة .. واحمدي ربك على رجوعه .. كنتِ حتى يومين مضيا تتمنين أن يعود للوعي بأي ثمن " .

خرجت إليها الممرضة تقول ببرود" المريض يناديك "

Des. Maryam Tamim

حدجتها ماجدة بقرف ثم قالت بحزم" أرى أنك بطيئة قليلا في إتمام مهامك وسأقدم شكوى بشأن ذلك "

مطت الممرضة شفتيها باعتراض فدخلت ماجدة وأغلقت الباب وراءها ..

رفع إليها وائل ذراعه بصعوبة لتعدل له الأكمام فاقتربت منه تعدلها برفق وتغلق الأزرار .. فظل يحدق فيها يتأمل تفاصيل لا يذكر متى آخر مرة أدرك وجودها ثم قال بخفوت " أريد أن أعدل الوسادة أيضا من تحت رأسي " .

أخفت ماجدة شعورها بالتوتر وهي تميل عليه لترفع رأسه بذراعها وتعدل من وضع الوسادة تحتها .. وتمنت لو تستطيع أن تحتضن رأسه بين ذراعيها لبعض الوقت .. خاصة بعد تلك النظرات التي يلاحقها بها بشكل مربك .. فتتوهم أحيانا أنه يتأملها لكنها تعود وتذّكر نفسها أنه قد لا يزال يراها مريم ..

[3998]

مع هذا هي ممتنة لعودته إلى حياتهم من جديد .. ولا زالت غير مصدقة أنه بالفعل قد عاد .. حتى أنها استيقظت اليوم تخشى أن يكون خبر استفاقته من الغيبوبة حلما وليس حقيقة .. وظلت تختلس النظرات إليه لتتأكد أنه مستيقظ فتستقبلها زرقة عيناه لتؤكد لها أنها لا تتخيل .

تركته في صمت واتجهت لذلك الكرسي في أقصى الغرفة وأمسكت بهاتفها لفترة جعلته يتساءل إلى من تكتب ومع من تتحدث ؟!.

بعد قليل قال لها بصوت واهن " احكي لي "
رفعت رأسها تقول بعدم فهم " نعم ؟!"
قال بهدوء " الشباب لن يحضروا الآن فقد أخبرني عمرو حين اتصل منذ قليل أنهم مشغولون في أمر ما سيخبرني به حين يزورني في المساء .. وأنا أشعر

Des. Maryam Tamim

بالفراغ والملل فهل حكيت لي بعضا مما حدث أثناء غيبوبتي "

ارتبكت وتوترت ولم تدري بما تخبره .. بالطبع لن تخبره عن الأمور المحزنة أو الموترة .. لكنها لم تدري عن ماذا تخبره فمعظم الأحداث منذ أن دخل في غيبوبته ..كانت محزنة .. وبرغم من بعض السعادة التي تملكتها أن يطلب منها أن تقص عليه ما فاته إلا أنها ردت " لا أعرف عن ماذا أخبرك فبالطبع كان الجميع في حالة سيئة بسبب ما أصابك" .

ظل صامتا لفترة ينظر إليها .. فارتبكت تشيح بوجهها عنه وتعود للنظر في الهاتف وهي تحاول السيطرة على ضربات قلبها المتسارعة وذلك الارتباك الذي يلعب بها .. مذكرة نفسها بحقيقة أنه قد يظنها مريم.. لهذا يحدق فيها ..

Des. Maryam Tamim

قطع شرودها حين ناداها بوهن " ماجدة "
رفعت إليه انظارها وضربات قلبها تعصف في صدرها وهي تسمعه ينطق باسمها..
لا تذكر متى آخر مرة سمعت اسمها يخرج من بين شفتيه .. لكنه بالتأكيد أروع (ماجدة) قد تسمعها في حياتها..
ابتلعت دموعا في حلقها بينما قال وائل " أخبريني مثلا عن تفاصيل زواج أمير .. من حضر وماذا حدث.. كل شيء "
وضعت الهاتف في حجرها وتكلمت بعد بعض التردد .. تقص عليه تفاصيل الحدث .. بدأت حديثها بصوت خافت .. متوتر .. تتأتئ .. وتحاول التذكر بارتباك .. ثم تدريجيا .. بدأ يعلو صوتها .. وتحكمت في ارتباكها .. رغم عدم اختفائه ..
وحركت كرسيها قليلا مع الوقت من مكانه في أقصى الغرفة ليقترب من سريره .. لتسمع أسئلة وائل أو ليسمعها جيدا ..

Des. Maryam Tamim

ثم استقامت واقتربت منه أكثر من مرة لتطلعه على بعض الصور التي قد أرسلها لها بعض الأقارب الذين حضروا مراسيم الزواج وصوروه بهواتفهم ..
تأملها وائل وهي تحكي وقد اندمجت قليلا ...
وبدأت تتخلى عن بعض من ملامح البرود على وجهها .. قصت عليه الحدث بالتفصيل فشعر بأنه يراه أمامه كفيلم ملون بالصوت الصورة ..
صوتها ملأ الفراغ المخيف في رأسه .. وطغى على فوران التساؤلات التي تعصف به منذ أن استيقظ .
. فاستسلم للنوم أخيرا .
أما هي فحدقت فيه طويلا حين أدركت أنه قد نام متسائلة ..
أكان عليها الاختصار؟ .. هل تحدثت كثيرا فأشعرته بالملل لدرجة أن سقط نائما؟!!
***

Des. Maryam Tamim

في المساء :

نظر أحمد في ساعته كما يفعل كل فترة قصيرة يريد لهذا اليوم أن ينتهي لينفرد ببانة .. عيناه تحاصرها أينما ذهبت .. وتمر عليه لحظات يشك في أنها حقيقة أمامه .. ولولا رائحتها التي تملأ المكان والتي يستطيع أن يميزها بسهولة لغلبه شكه بأنها ليست حقيقة ..

وظل سؤال يلح عليه بشدة: أين سيبيت أبا فراس؟؟..

لكنه تحرج أن يسأل هذا السؤال المهين لرجولته.. فمن الأصول أن يبيت في شقته وألا يتنازل هو عن ذلك .. لكن ضغط مشاعره يجعله يفكر كالمراهقين .

قطع شروده اتصال من سيد فرد بسرعة " أين أنت يا فتى .. أنت مختفي طوال اليوم ! "

جاءه صوت سيد مرهقا جدا يقول " أنا خارج العاصمة عند أهل بسمة "

Des. Maryam Tamim

صوته أشعره بالقلق فسأله " هل أنت مريض أم حدث شيء ؟"

تلكم سيد باقتضاب " بسمة طلبت الطلاق "

تسارعت ضربات قلب أحمد في توتر .. وشعر أن للعبارة بقية فأنصت في ترقب بينما أكمل سيد " لكن للأسف أهلها يقفوا أمامها ولا تقنعهم أيا من أسبابها سواء الحقيقية أو التي اختلقتها "

رفع أحمد حاجبا وقال " وما دخلك أنت بكل هذا؟!! .. مادامت قد طلبت الطلاق منك وأخبرتك أنها لا تريدك لمَ لم تنفذ؟ .. هل تنتظر من أهلها الإذن !!"

زفر سيد بمرارة يقول " الأمر ليس كذلك بالطبع بإمكاني أن أنفذ فورا لكن الأمر يتعلق ببسمة .. أشعر بالذنب تجاهها وأشعر بالذنب أكثر إن تركتها مع عائلتها التي لا تتفهم أي من أسبابها .. أباها رجل لا يفكر سوى في مصلحته "

Des. Maryam Tamim

شعر أحمد بالضيق وقال " أنا مقدر ذلك لكن استمرارك معها شفقة أمر غير صحيح ولن يجلب عليكما سوى المزيد من التعاسة .. وأرى أنك مدفوعا بعقدة الذنب في معظم قراراتك معها "

تكلم سيد باكتئاب " أعلم ما تقوله جيدا .. لكني مازلت غير قادر على تركها حتى لا تتضخم عقد الذنب بداخلي .. إنها من الضغط العصبي أصيبت بانهيار عصبي ظهر اليوم وترقد في سريرها وأنا أشعر بالشلل .. حتى قرار العودة للعاصمة وترك الأمور على وضعها غير قادر على تنفيذه بسبب وضعها الحالي .. ولا أعرف إلام سينتهي الأمر "

زفر أحمد وصمت لا يعرف بم ينصحه فتكلم سيد يقول " لا تخبر أحدا سوى الشباب .. المهم أنا أتصل بك لأطلب منك أن تبيت رحمة لديكم حتى أعود "

Des. Maryam Tamim

سأله أحمد متعجبا "أليست معك ؟"
رد سيد " ليست معي.. تركتها في البيت معتقدا أني سأعود في نفس الليلة لكن الأمور تطورت كما ترى ".
نظر أحمد في ساعته وقال " ولمَ لم تخبرنا من أول النهار .. لقد أمسى الليل وهي وحدها .. سأذهب لأحضرها لا تقلق .. أخبرها بأني سأمر عليها بعد قليل .. وأرسل لي رقم هاتفها ".

حين أغلق أحمد الهاتف تساءل .. هل من الممكن أن يطلقها فعلا .. ويتقدم للزواج من آية ؟!! .

صحيح أنه لا يفضل المصاهرة مع أصدقائه لكنه يشعر أنه سيضطر للموافقة رغما عنه إذا ما نجح سيد في الحصول على الطلاق .. حتى تنتهي معاناة ذلك الثنائي المجنون سيد وآية .
***

Des. Maryam Tamim

قال وائل باندهاش " لا أصدق كل هذه الأخبار !! .. أحمد ترك بانة وعاد دون أن يخبرها .. وأنت افترقت عن أروى لمدة شهر وطلبت منك الطلاق .. وبانة عادت اليوم مع والدها فجأة !!"

ضحك عمرو وقال " لقد فاتك منظر صاحبك وهو يقف متسمرا كتمثال من الشمع من الصدمة وسط الشارع .. وحموه يقف بجانبه يحدق فيه باندهاش .. ولولا أني كنت تحت تأثير المفاجأة أنا الآخر لكنت صورته وفضحته ".

قهقه وائل ضاحكا بوهن وقال "أتخيل منظره الآن"

بعد قليل تأمل وائل الباب المفتوح وماجدة التي تتحدث مع أروى منذ أن حضرت مع عمرو ويتملكه فضول قاتل لمعرفة عما تتهامسان .. مندهشا " أن تحكي ماجدة كل هذا الوقت فهي لم تكن تتحدث أمامه سوى بضع كلمات .. ويتملكه الغيظ أيضا .. الغيظ من نفسه.. لمَ هو مهتم بهذا الشكل؟؟!! .. ما الذي يحدث معه بالضبط؟ .

Des. Maryam Tamim

فاستدار لعمرو يسأله " منذ متى وماجدة وأروى تتواصلان ؟"
نظر عمرو نحو الباب ورد " لا أعرف بالضبط لكني أعرف منذ أن تزوجنا أن أروى تتواصل معها على الهاتف .. ومؤخرا أعتقد أنهما أصبحتا متقاربتين جدا "
صمت وائل دون رد فقال عمرو بعد أن تنحنح " هناك خبرا آخر .. نحن ننتظر ولي العهد "
تهلل وجه وائل وقهقه في سعادة قائلا " مبارك يا حبيبي .. أسعدتني بهذا الخبر جدا " .
احمرت أذنا عمرو وتمتم "الحمد لله رب العالمين .. نحن ننتظر دورنا عند الطبيبة النسائية بعد قليل لهذا احضرتها معي ".
قال وائل" أتوقع أن طارت والدتك من الفرحة "

أطرق عمرو برأسه حرجا وقد تبخرت السعادة من ملامحه ليقول بوجوم " حين أخبرتها على الهاتف

Des. Maryam Tamim

تلقت الخبر ببرود .. وذهبت إليها لبعض الوقت بعد الغذاء لأطمئن عليها وجدت نفس البرود "
شعر وائل بالضيق فقال له مواسيا " ستعتاد والدتك الأمر لا تقلق .. المرحلة الصعبة انتهت والباقي سيتكفل به الوقت .. أنا أحييك أن امتلكت من الشجاعة والحزم ما استطعت به أن تقف أمامها بشأن أروى دون أن يرعبك فزاعة أن تموت لا قدر الله غاضبة عليك .. (وأطرق في حزن) ليتني تصرفت مع الأمور مثلك منذ خمسة عشر عاما ولم أهرب من المواجهة " .
تمتم عمرو يواسيه " لقد كنت صغيرا يا وائل .. "
لكن وائل شرد يتأمل تلك الكلمة التي تلفظ بها دون وعي .. (أنه هرب من المواجهة) ..

لم يصارح نفسه بذلك من قبل ..
هل هرب فعلا من المواجهة وقتها ؟..

Des. Maryam Tamim

هل كان عليه عدم الرضوخ لتهديدات والده بمرضه واقتراب أجله؟ ..

قطع عمرو شروده حين قال ضاحكا " ليتك رأيت وجه الكونت حين علم بالخبر .. يا إلهي كاد أن يموت غيظا .. شعرت للحظة أنه سيخرج بندقية ويفرغها في جسدي كي يغسل عاره " .

انفجر وائل ضاحكا وهو يتخيل المشهد .. فغازل صوت ضحكاته أذن ماجدة التي اتهمت نفسها بالحمق بسبب شعورها بالامتنان لأنه يضحك فقالت لأروى " أحيانا أتهم نفسي بالضعف والخنوع ليس لأني أتحمل قدري معه فأنا أعلم أن تحملي هذا لن يقدر عليه سوى من لديه قدرة كبيرة على التحمل .. لكن استمرار مشاعري تجاهه بعد كل هذا الوقت .. أمر يجعلني أتهم نفسي كثيرا بالحمق والضعف .. فلم أعد مراهقة صغيرة "

Des. Maryam Tamim

ردت أروى مشفقة " لا أعلم يا ماجدة لكني أرى أن لكل منا شخصية حين يحب وأعتقد أن أنا وأنت متشابهتان في تفانينا لمن نحب .. نستسلم لهذا الحب بكليتنا فلا نرى سواه ."

أطرقت ماجدة برأسها وقالت بعد فترة من الصمت " لكني ممتنة .. ممتنة جدا أنه حي .. موجود .. يضحك ويتكلم " .

واختلست النظر إليه فوجدته يحدق فيها مجددا فأشاحت بنظراتها بعيدا تقول لأروى هامسة " إنه بات ينظر إلي نظرات غريبة ولا أدري هل يراني مريم أم ماذا ؟".

تألمت أروى من أجلها .. ولم تنسى كيف شعرت حين أخبرتها ماجدة بما حدث منه من قبل .. تألمت من أجلها جدا ..كيف تتحمل امرأة أن يناديها زوجها باسم امرأة أخرى !! .

Des. Maryam Tamim

قالت أروى " أنا أرى أنك لابد أن تتخلي عن هذا الوجه الثلجي يا ماجدة .. أنت لا تعبرين عن مشاعرك وكلما ازداد الضغط عليك كلما ازددت أنت انكماشا وهذا غير سليم .. كيف سيعرف الأخرين بم تشعرين إن لم تعبري عنه ؟.. حاولي التواصل معه بشكل أكثر فاعلية "

قالت ماجدة رافضة "لا يا أروى لن أستطيع .. أنا أشعر أنني أذكره حين أتعامل معه بذكريات سيئة؟"

قالت أروى " آن الأوان أن تتخلصي من هذا الشعور .. عليكما معا أن تتابعا مع مرشد أسري"

تمتمت ماجدة ساخرة " هذا إن كان يرغب هو أيضا يا أروى .. يدا واحدة لن تصفق أبدا "

Des. Maryam Tamim

فتطلعت إليها أروى مشفقة حائرة من علاقتهما الغريبة .

بعد ساعة كانت الطبيبة تمسح بجهاز الموجات الصوتية على بطن أروى وهي وعمرو يحدقان في الشاشة أمامهما بترقب وتوتر يحاولان تفسير ما يظهر على الشاشة .
تكلمت الطبيبة مبتسمة " أنت في أول الشهر الرابع سيدة أروى .. "
نظرت أروى لعمرو المتحفظ رغم تراقص عيناه على شاشة جهاز الفحص فقال عمرو " هل من الممكن أن نعرف نوع الجنين؟ "
ردت الطبيبة وهي تواصل البحث " سنحتاج لثلاث أسابيع قادمة على الأقل .. على أية حال الجنين بصحة جيدة الحمد لله ولا يوجد أي قلق "

Des. Maryam Tamim

ابتسمت أروى بسعادة .. ليعلو فجأة صوت من الجهاز أشبه بركض حصان جامح فقالت الطبيبة "وهذا صوت قلب طفلكما"

حدق عمرو وأروى ببعضهما.. ليضع عمرو يده على قلبه بحركة لا إرادية .. بينما ترقرقت عينا أروى بالدموع وهي تقول بتأثر " اسمع يا عمرو .. اسمع صوت قلبه".

اغلقت الطبيبة الجهاز وتحركت نحو مكتبها بينما أمسك عمرو بيد أروى بقوة يعبر بحركة صامتة عما يشعر به من تأثر .. ثم ساعدها لترتدي ملابسها وتعود لكرسيها .

بعد قليل قالت الطبيبة " سأحتاج لتقرير من طبيب العظام بحالة ظهرك سيدة اروى .. وتقرير آخر من طبيبة العلاج الطبيعي مفصل بالتمارين التي تمارسينها "

سألتها أروى" سنوقف كافة التمارين أليس كذلك؟"

Des. Maryam Tamim

ردت الطبيبة " هذا ما سنقرره بعد الاطلاع على كل التقارير " .
قرصها عمرو في ذراعها .. فتجاهلته ببرود لتسأل الطبيبة " وهل سأحتاج لفيتامينات ؟"

ردت الطبيبة وهي تسجل في الأوراق أمامها " بالطبع سأكتب لك على فيتامينات وسأبدل لك بعض الأدوية التي تتناولينها لظهرك وعليك استشارة طبيبك أيضا "
قرصها عمرو مرة أخرى وهو يتنحنح فلملمت أروى ابتسامتها وسألت الطبيبة " أنا أنام لساعات طويلة هل هذا طبيعي ؟"
ردت الطبيبة " هذا طبيعي جدا .. وسأعطيك نشرة بها كل ما هو عادي ومتوقع في هذه المرحلة من الحمل وما يستدعي القلق ".

Des. Maryam Tamim

طحن عمرو أسنانه وقرصها مجددا فنظرت إليه ببراءة فتوعدها بغيظ لتكتم ضحكتها ثم تسأل الطبيبة بحرج " وهل هناك أي موانع من أي نوع" قالت الطبيبة " طبعا الإجهاد الزائد ممنوع وحمل الأشياء الثقيلة وتناول الأدوية دون علمي والأكل الغير صحي "

كتمت أروى ضحكتها ثم قالت " وبالنسبة للعلاقة الزوجية ؟ "

ردت الطبيبة بشكل آلي " لا توجد موانع صحية لديك سيدة أروى .. لذا فليس هناك ما يمنعها مع الحرص طبعا "

لاحت نجوم راقصة في عيني عمرو رغم تحفظ ملامحه الظاهري .. بينما توردت وجنتي أروى.

في السيارة العائدة للمنزل قالت أروى على الهاتف " لا تقلقي يا أمي الطبيبة طمأنتنا على كل شيء والجنين بصحة جيدة .. أجل تعجبت الطبيبة ألا

Des. Maryam Tamim

نعرف بأمر الحمل كل هذا الوقت .. أجل لا تقلقي يا أمي سنتدبر الأمر مع طبيبة العلاج الطبيعي .. تصبحين على خير .. "

أغلقت الهاتف وقالت " أمي تشعر بالقلق "
سألها عمرو " وأنت كيف تشعرين؟"
ردت بتأثر " لم أشعر بشيء أول الأمر سوى الصدمة لكن بعد أن سمعت ضربات قلبه لا أعرف كيف أصف الشعور" .
نظر إليها ثم عاد يركز على الطريق أمامه وسألها " كيف هو الشعور أخبريني "
ردت " لا أعرف كيف أصف شعور بأن قطعة منك في رحمي " .
لاح التأثر على وجهه وأمسك بيدها يقول بعشق " لساني معقود كالعادة فسامحيني لست قادرا على صياغة مشاعري بالكلمات "

Des. Maryam Tamim

وأحنى رأسه يقبل يدها .. فتسارعت ضربات قلبها بتأثر .. ثم استدرك عمرو ليقول وهو ينظر للطريق " لكني سأخبرك ماذا أردت أن أفعل حين سمعت بالخبر "

صمتت في ترقب فنظر إليها يقول " تملكتني رغبة جامحة لتقبيلك .. (وتنحنح) وأشياء أخرى"

حدقت فيه لثوان ثم انفجرا سويا في الضحك فأخذت تضربه على ذراعه ليقول واضعا يديه على صدره يدعي البؤس " هل تسخرين من مشاعري يا أروى هانم .. صدقيني .. منذ أن علمت بالخبر صباح اليوم وفكرة واحدة تدور في عقلي أين من الممكن أن أقبلك ؟ فلم نكن في شقتنا وكان الجميع حولنا "

ضربته بخفة مجددا على ذراعه فقال " جهزي نفسك للاحتفال بهذا الخبر السعيد بمجرد أن نصل البيت "

Des. Maryam Tamim

فسألته بعينين دامعتين من الضحك " وكيف سنحتفل ؟"

نظر إليها في صمت ثم نظر للطريق يقول " بجلسة تدليك طبعا "

قهقهت ضاحكة ثم قالت " أهذا هو الاحتفال؟"

رد ضاحكا " طبعا وهل هناك احتفالا أجمل من هذا ؟"

لم ترد فتطلع إليها يكرر السؤال بخفوت مغوي " اجيبي هل هناك احتفالا أجمل من هذه الطريقة؟ "

صمتت تحدق فيه فتلاقت الأعين لثوان ثم أشارت برأسها بلا وضحكت فنظر للطريق أمامه يتمتم ضاحكا " وقحة ! "

***

دخلت رحمة بحرج فاستقبلتها إلهام بترحيب ثم سلمت على الجميع لتقول إلهام لآية التي تتأمل الفتاة بقلق " أرشديها لغرفة أروى يا آية (وربتت

Des. Maryam Tamim

على كتف رحمة بحنان) لا تتحرجي بنيتي وتصرفي كأنك في بيتك "

ابتسمت رحمة ثم تلاشت ابتسامتها وتوترت حين شاهدت آية التي تقف في انتظارها متكتفة ترمقها بوجوم .. فاقتربت منها متوجسة وهي تتمتم بصوت مسموع " سلام قولا من رب رحيم!"

تركتها آية لتسبقها للغرفة .. فتحركت رحمة خلفها بارتباك لتفتح لها آية باب غرفة أروى فدخلت رحمة أمامها وهي تشكرها بإيماءة من رأسها في صمت .

سألتها آية بقلق " هل هو بخير؟"

تذكرت رحمة أن سيد طلب منها ألا تخبر أحدا عن سبب غيابه فردت " بخير يبدو أن الأنفلونزا اشتدت عليه مرة أخرى "

لاح الألم على وجه آية .. فأسرعت رحمة للقول " لكنه بخير .. فالأمر ليس خطيرا .. أنا من طلبت ألا

Des. Maryam Tamim

يقود السيارة ليلا وكنت سأبيت وحدي لكنه أصر أن آتي إلى هنا"

اقتربت منها آية تمسك بمرفقها فانكمشت رحمة تبلع ريقها قبل أن تتكلم آية بتوسل فاجأ رحمة "هل أنت متأكدة أنها وعكة صحية بسيطة؟ "

أومأت رحمة برأسها بنعم .

فتركت آية مرفقها وسألتها بصوت متألم لم تستطيع إخفاءه " وهل جميلة الجميلات تعتني به جيدا ؟"

تطلعت إليها رحمة قليلا ببعض الغباء ثم قالت" من تقصدين بسمة ؟ .. أجل بالطبع .. بالطبع "

ابتسمت لها آية ابتسامة مرة ثم قالت وهي تهم بالمغادرة " إذا احتجتِ شيئا لا تترددي غرفتي في آخر الممر "

أغلقت آية الباب خلفها فزفرت رحمة في راحة وتمتمت " اللهم يسر له كل عسير وان كانت

Des. Maryam Tamim

سعادته مع هذه المجنونة فاجمعه بها عاجلا ليس آجلا "

في الصالة أمسك أحمد بيد بانة التي تتهرب طول اليوم من رغبته في الاختلاء بها وقال بخفوت " تهربين مني يا بنت الخازن هذا مؤشر غير جيد وقد يؤدي لارتكاب أحدهم جريمة قتل اليوم "

تحكمت في ابتسامة ملحة وقالت موبخة " الكل أنظاره علينا يا أحمد وأتحرج من الالتصاق بك طول الوقت أو الاختفاء من أمامهم وقتها ماذا سيظنون بنا "

ابتسامة جانبية زينت فمه وهو يقول " سيظنون أننا نفعل ما فعلناه منذ ساعات قليلة في الحمام "

تلون وجهها بحمرة الخجل وهمست "مازلت قليل الحياء كما أنت "

Des. Maryam Tamim

رد بهمس حار يحاول السيطرة على عذابه الشخصي " بل أصبحت منعدم الحياء .. فاحذري من أن أرتكب فضيحة علنية " .

مطت شفتيها تداري مشاعر أنثوية مشتاقة بداخلها وقالت بلهجة غامضة " عموما علينا أن نتحدث قبل أي شيء وعليك أن تقدم لي تقرير مفصلا عن فترة غيابي ومن قابلت ؟"

انفجر ضاحكا تلك الضحكة التي تحطم أسوارها والتي اشتاقت لها جدا .. فتلفتت حولها في حرج ليقترب منها ..فابتعدت قلقة من أي حركة جريئة من ناحيته حتى التصقت بالحائط .. فاسند كفه على حائط بجانبها وقال بهمس مغوي " لا مانع عندي من تقديم تقرير مفصل عن كل شيء.. ما رأيك أن نذهب لغرفتي قليلا لأخبرك بالخطوط العريضة لهذا التقرير " .

اشتعل جسدها وألحت عليها مشاعر قليلة الحياء فأفلتت منه مبتعدة تخشى من جنونه .

Des. Maryam Tamim

فناداها مجددا بإشارة متسلطة من إصبعه لتقترب وهي تقول" أحمد .. إياك وأي تصرف مجنون قد يحرجنا "

صمت قليلا ثم سألها متحرجا " أين سيبيت والدك؟"

كشرت عن أنيابها ووقفت تسند يدا على خصرها لتقول بلهجة متحفزة " ما رأيك أنت ؟".

أطرق برأسه في بؤس كطفل صغير.. لينادي عليه الحاج فجأة من غرفة الصالون " تعال يا أحمد وأسمع حموك الذي يريد أن يبيت عند عمك غنيم "

رقص قلب أحمد طربا لكنه تحكم في ملامحه وهم بالحديث بلباقة لكن بانة اندفعت تقول باعتراض "أبي ! "

فتمتم أحمد في سره " حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا بانة ! "

Des. Maryam Tamim

رد أبو فراس بحرج " عمك غنيم مُصِر أن يحضر ليأخذني لأبيت عنده " .
قوست شفتاها كالأطفال وترقرقت عيناها بالدموع .. فأشفق عليها أحمد وشتم في سره ثم تدخل يقول بصدق " كيف تترك بيت ابنتك يا عماه .. البيت كله ملك لك ".
تكلم الحاج سماحة " البيت كبير كيف تتركنا لتبيت خارجه هذا والله لن نقبله .. أنت تهيننا يا أبا فراس .. سأتكلم أنا مع غنيم بنفسي .. غرفة أحمد جاهزة لاستقبالك .
تمتم أحمد في سره " أطال الله في عمرك يا حاج وجعلك نصيرا للمحرومين ".
فأضافت بانة على كلام الحاج سماحة " وفي شقتي غرفتين شاغرتين يا أبي "
أوشك أحمد على الإصابة بنوبة قلبية وتمتم في سره " الحل هو ذبحها وتقطيعها قطعا صغيرة لأستريح".

Des. Maryam Tamim

تكلم أبو فراس في حرج " لا تؤاخذني يا حاج سماحة لم أقصد الإهانة أنتم بيت الأصول والكرم .. عموما دعوني أتصل بغنيم أعتذر له وأؤجل لقائي به للغد وبعدها (ونظر لأحمد نظرة ماكرة) نرى إن كنت سأنام هنا أم في شقتك يا أحمد "

ابتسم له أحمد مجاملا يقاوم رغبة ملحة لضرب رأسه بالحائط .

***

بعد قليل فتح أحمد باب غرفته القديمة بهدوء يداري حماسه ليسمح لأبي فراس بالدخول أولا بعدما اختار الأخير بعد أن جمد الدم في عروقه أن يبيت في غرفة أحمد القديمة متعللا برغبته في صلاة الفجر في المسجد مع الحاج سماحة .

Des. Maryam Tamim

قال أحمد يحاول إنهاء المهمة بسرعة ليلحق ببانة التي سبقته لأسفل" أرجو أن تكون غرفتي مريحة وإذا احتجت لأي شيء لا تتردد يا عماه "

قال ابو فراس بهدوء " اجلس يا أحمد أريد أن أتحدث معك قليلا ".

طالعه أحمد ببؤس ورد " الآن ! "

تحكم أبو فراس في ابتسامته وقال بلهجة ماكرة " هل عندك مانع ؟"

طحن أحمد أسنانه وتمتم مدعيا الهدوء لا بالطبع (وأشار للمقعد) تفضل يا عماه "

قال أبا فراس بلهجة ماكرة " كنت أرغب في أن أنافسك في لعبة الشطرنج "

طالعة أحمد بصدمة فعاد أبو فراس ليضيف " لكني أشفق عليك من هذا اليوم الطويل وأجلتها لوقت آخر "

Des. Maryam Tamim

تمتم أحمد ممتنا " أعدك يا عماه أني سأنافسك في لعبة الشطرنج (ونظر له بتحدي) فأنا محترف فيها "

تكلم أبو فراس بتحدي مماثل " الثقة بالنفس رائعة لا جدال في ذلك .. سنرى مدى احترافك يا ابن سماحة ".

ساد الصمت في انتظار أبا فراس أن يتكلم فأطرق الأخير برأسه قليلا ليلملم أفكاره المشتتة ثم رفعها يقول لأحمد بهدوء " بانة أسلمها لك أمانة في عنقك يا أحمد (وأكمل بتأثر حرك مشاعر الشفقة في قلب الأخير) اعلم انها قطعة من قلبي وغاليتي وجوهرتي وفخري في هذه الدنيا .. فإن لم تكرمها وتسعدها سأختصمك أمام رب العالمين .. لم أكن لأرضى لها أبدا أن تبقى بعيدا عني في الأيام القليلة المتبقية لي في هذه الحياة " .

قاطعه أحمد بقول بصدق " أطال الله عمرك يا عماه "

Des. Maryam Tamim

قال أبو فراس " اسمعني ولا تقاطعني من فضلك .. لو لم أكن أثق بك .. أو لم أكن متأكدا من أصلك الطيب ورجولتك ومدى حبك لابنتي .. لم أكن لأوافق على سفرها أبدا وأتحمل فراقها .. خاصة بعد أن تأكدت تماما من مدى حبها لك وتعلقها بك .. كل هذا شجعني على أخذ هذا القرار الصعب عليّ .. فكن لها كما أظن فيك ولا تخيب ظني .."

تكلم أحمد بحرج ولم يعرف هل عليه أن يطير من السعادة لما يقوله أبو فراس أم يشعر بالحزن على اضطراره لترك ابنته في بلد غريب " بالنسبة لبانة فلا تقلق عليها أبدا .. وكنت أتمنى لو تستطيع الاستقرار هنا بجوارها لتسعد قلبها أيضا"

أطرق أبا فراس برأسه مهموما ثم قال " لن أستطيع حاليا .. فلازلت لم أطمئن على مصير ولديّ حتى الآن .. ربما لاحقا إن كان في العمر بقية "

Des. Maryam Tamim

تمتم أحمد بتأثر " أطال الله في عمرك واراح قلبك يا عماه .. لا تحمل هم بانة فهي ليست بمفردها هنا لديها الكثير من القلوب من حولها .. وتعلم جيدا ماذا تمثل هي بالنسبة لي .. وإن شاء الله إن كانت الأوضاع السياسية في بلدكم مستقرة سنتبادل الزيارات سنويا بإذن الله تعالى "
رد أبو فراس بهدوء " هذا ما أتعشمه منك يا بني .. هيا اذهب لزوجتك ودعني أستريح ".

استقام أحمد يبلع طعما مرا في حلقه ولم يعرف كيف يواسي الرجل .. فتمتم بتصبح على خير وهم بالمغادرة لكنه توقف عند باب الغرفة وتكلم ممازحا وهو يرفع حاجبا " إياك والعبث في محتويات غرفتي يا عماه .. فهي غرفة الطفولة والشباب وتحتوي على أسرار الكونت سماحة السرية .. وفيها كنت أضرب كفوفي ببعضهما ورأسي

Des. Maryam Tamim

بالحائط وأنا احاول حل لغز ابنتك في ثوب الرجال
"

قهقه أبو فراس بإنهاك فأراح ذلك أحمد فاضاف " تضحك يا عماه بينما كنت أنا وقتها أعض على أناملي وأنا اشك في انحراف ميولي "

قال أبو فراس " لابد ان تحكي لي يوما عن هذه الذكريات من وجهة نظرك " .

ابتسم أحمد وتمتم بتصبح على خير وغادر.. فعاد الهم يحتل وجه أبا فراس وأغمض عيناه بإجهاد يداري أحزانا ثقيلة تعتلج في صدره وهو يتمتم " اللهم أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين " .

بينما أسرع أحمد يغادر الشقة فنادته والدته ليرد عليها حانقا " مات .. أحمد مات يا إلهام .. انسوني تماما وامسحوني من ذاكرتكم في الوقت الحالي "

Des. Maryam Tamim

وأغلق الباب خلفه فابتسمت وتمتمت لنفسها " بعيد الشر عنك يا حبيب أمك ربي يسعد قلبك يا احمد يا ابن إلهام آمين "

***

رد الحاج سماحة على الهاتف " نعم سيد .. أين أنت يا بني ؟"

تكلم سيد مجهدا " عندي بعض الأمور عليّ أن أحلها مع أهل زوجتي "

سأله الحاج بقلق " هل أنت بخير؟ .. صوتك يبدو مهموماً "

رد سيد " أنا بخير يا أبي لا تقلق .. اتصلت لأستشيرك .. إن كنت في صراع بين ضميري .. وقلبي .. فأيهما أختار ؟"

صمت الحاج قليلا مشفقا عليه ثم رد " ضمير المرء سره الذي سيحاسبه عليه الله .. وشرفه بين

Des. Maryam Tamim

الرجال .. أما قلبه مكمن سعادته .. فارضي ضميرك أولا "

صمت سيد قليلا ثم رد " شكرا يا أبي أطال الله في عمرك "

سأله الحاج " هل تحتاج أن آتي إليك ؟"

رد سيد متأثرا " لا حرمني الله منك يا حاج .. لا تقلق أنا بخير "

فأغلق الحاج الخط مودعا وأسند رأسه على الوسادة حزينا على هذا الولد التعس .

***

فتح أحمد باب الغرفة فأجفلت بانة وتلون وجهها بالأحمر .. لتلملم فتحة روب الحمام وتترك مجفف الشعر الذي كانت تنوي تشغيله قبل وصوله وتسارعت ضربات قلبها .. بينما ابتلع أحمد ريقه يهدئ من أعصابه وهو يراها بروب الحمام وشعرها العسلي المبلل .. فتصاعدت الحمم السائلة من شراييه لرأسه تزيده اشتعالا .. خاصة

Des. Maryam Tamim

مع رائحة الصابون التي تختلط برائحة جسدها في امتزاج ينتج عنه عطر فريد من نوعه يسكره ويفقده عقله ..

تأمل ملامحها وساقيها الأبيضين الناعمين من تحت الروب في صمت فقالت بانة بتوتر " هلا أعطيتني بضع دقائق لأجهز نفسي؟ "

تحرك ببطء وثقة نحوها .. ثم سحبها إلى أحضانه الدافئة .. ودفن وجهه في رقبتها وهو يهمس بحرارة " لازلت لا أصدق أنك هنا معي ..وأنك عدت يا حبيبتي" .

أغمضت عيناها تستمتع بدفئه الذي تسلل ببطء ليمحو البرودة القابعة في عظامها ثم قالت " هل كان عندك شك في حبي لك ؟" .

رد بهمس " كنت أخشى أن تكون العوائق أكبر من احتمالك .. فأنا مدرك تماما صعوبة الأمر وحساسية توقيته يا قلب أحمد"

Des. Maryam Tamim

همست" وهذا يثبت لك أني لم أكن لأتحمل الابتعاد عنك بالرغم من كل هذه العقبات يا قلب بانة "

شدد من ذراعيه حولها يتأوه بشوق .. ينطق باسمها بعشق .. لكنها قالت فجأة بلهجة خطرة أجفلته " لكن علينا أن نتحدث أولا؟"

أفلتها من بين ذراعيه يرفع حاجبيه باندهاش ثم قال بلهجة تحذيرية " إياك أن أسمع منك المزيد من الحجج المتفزلكة .. صدقيني أنا لدي ميول خطرة جدا في هذه اللحظة .. وقد تصدر عناوين الجرائد غدا بالمانشيت العريض (قتلها ومثّل بجثتها ثم انتحر)"

لملمت ابتسامتها وتخصرت تقول بلهجة خطرة " ليس الأمر كما تظن لكن لدي سؤالا هاما "

شهق فجأة وجحظت عيناه وهو يرى فتحة الروب التي اتسعت لتكشف عما تخفيه فأسرعت بانة

Des. Maryam Tamim

بإغلاقها ليبعد يدها بحزم ويميل ليطبع قبلاته بعشوائية ..
أبعدته تحاول التحكم في مشاعرها المتجاوبة معه وقالت بحنق وهي تضرب بقدمها الأرض " أنا أتحدث بجدية يا أحمد لدي سؤلا مهما جدا قبل أي شيء "
مرر أصابعه بخفه يتلمس رقبتها وما تكشف عنه فتحة الروب وقال بأنفاس مشتعلة " بشرط أن تجيبي على سؤالي أنا الأخر ".
سألته " هل ستجيب بصدق ؟"
فأومأ برأسه بتأكيد ثم سألها "وأنت ؟"
أومأت برأسها بنعم .

على الرغم من أنها تثق فيه ولم تصدق ما قالته آية لكن الأنثى بداخلها تلح لسؤاله فسألت بتحفز " من ماهي ؟

Des. Maryam Tamim

مال يقبل عنقها متمتما بأنفاس هاربة " من ماهي؟"
ابعدته بغيظ تقول " أنا أسأل يا أحمد" .
رفع حاجبيه اندهاشا ورد بحيرة " لا أعرف من ماهي ؟!!"
فجزت على أسنانها وتكلمت بغيظ " أختك تلعب معي "
فمال يعتصرها بين ذراعيه غير قادر على الاحتمال أكثر من ذلك يطبع قبلات محمومة على رقبتها وكتفها وهو يتمتم " أيهما؟".

أبعدته مجددا تقول بعصبية" ومن تكون سوى تلك المستفزة .. أخبرتني أنك تعرفت على ماهي صديقتها وأنك كنت على وشك خطبتها"

أعاد رأسه للخلف متفاجئا.. ثم انفجر ضاحكا فبددت ضحكته عصبيتها .. وحين هدأت ضحكته

Des. Maryam Tamim

اقترب منها يأكلها بعينين مشتعلتين ثم انقض عليها مجددا يحبسها بين ذراعيه قائلا" دعينا الآن نتحدث عنا نحن وبعدها سيسعدني التعرف عمن تكون ماهي ؟"

ضربته على ذراعه موبخة .. فاقتنص شفتيها بشفتيه في قبلة مشتاقة ملتهبة أذابت أعصابها وباحت لها ببعض مما في صدره من عذاب تعرفه هي جيدا ..

بعد قليل أطلق سراح شفتيها لاهثا ليقبل جفونها ويداه تحاول فك الروب ..فقاومته بدلال وهي تقول بضحكة متوترة "مازلت وقحا "

رفع رأسه عنها ليقول بأنفاس سريعة " أنتِ لم تجربي وقاحتي بعد يا بنت الخازن " .

فقالت قبل أن يميل عليها مجددا " لم تسألني سؤالك "

نظر في عينيها قليلا .. ثم قال " أخبريني عن مشاعر قلة الحياء تجاهي ؟"

[4038]

ضربته على صدره بخفة تقول بدلال " هل هذا سؤالك ؟"

التصق بجسدها يقول بأنفاس محترقة " لا تستهيني بهذا السؤال .. فكما أخبرتك بما يطرب غرورك الأنثوي .. اخبريني بما يطرب غروري الذكوري "

تطلعت في عينيه المشتعلتين بالرغبة وهي تتحسس رقبته فأضاف " لكني لا أريد ردا بالكلمات"

قهقهت ضاحكة في حرج .. فابتسم يقول بشقاوة " أريد أن أعرف عن قدر المشاعر قليلة الحياء تجاهي ؟.. هل هي قليلة (وطبع قبلة خفيفة على شفتيها) أم متوسطة (وطبع قبلة أكثر عمقا) أم كثيرة (قبّلها بشغف محموم)"

أخر حصن في قلعتها سقط مع قبلته الأخيرة وتطلعت إليه بعينين تتراقص فيهما مشاعر امرأة

Des. Maryam Tamim

نضجت أنوثتها على يد حبيبها لكن خجلها جعلها تغطي فمها بقبضتها في تردد .
فأكمل أحمد بتوسل " ألا يستحق الكونت منك أن تغازلي غروره قليلا .. أنا أحتاج لذلك بشدة منك يا بانة"
حدقت فيه مجددا تضم قبضتها أمام فمها فشعر بالإحباط .. لكنه قال حتى يخفف عنها " لا بأس إن كانت قليلة فهي أفضل من لا شيء فأنا ..."

بتر عبارته حين دفعته برفق فجأة فرجع للخلف مجفلا .. ثم دفعته مجددا بهدوء ليجلس على السرير متسع العينان يرفع وجهه إليها باندهاش فقالت بصوت مشحون بالعاطفة " تريد أن تعرف؟ "
رفعت ركبتها تسندها على فخذه واحتضنت وجهه بين كفيها تشرف عليه من عليّ .. ثم مالت عليه تقبله قبلة جامحة محمومة .

Des. Maryam Tamim

لثوان تسمر مأخوذا.. لكنه سرعان ما استجاب لقبلتها تارك ليديه حرية التجول فوق الروب .. بعد قليل تركت شفتيه بينما كفيها مازالا يحتضنان وجهه .

عيناه اللامعة بالتأثر أشعرتها بتقصيرها في حقه من قبل فهمست بارتجاف " أنت تستحق كل ما قيل .. ويقال .. وسيقال في الرجال يا أحمد .. فماذا تريد أن تعرف بعد ؟.. ألا تعلم كم أحبك وكم فرضت أنت نفسك بكل تملّك على كل ذرة من كياني؟! .. أنت ولدي وسيدي وأبا أولادي .. أنت قلبي .. قلب بانة وروحها يا كونت ".

هل هناك أعظم من تلك اللحظة التي يعيشها الآن؟؟

بانة هنا في بلده في بيته بين يديه .. وجهها المشرق بكل ما فيه من تفاصيل تحتاج لقصائد غزل كاملة لوصفها يشرف عليه .. وشعرها الندي يرطب من

Des. Maryam Tamim

حرارة مشاعره الملتهبة .. ورائحة أنوثتها العطرة تثير الرغبة بداخله لمستويات لم يصل إليها من قبل .. وفوق كل هذا يرى حبيبته التي سقاها الغرام بصبر وتؤدة دون ملل تعترف له بمشاعرها أخيرا .. امرأته خرجت من صدفتها أخيرا أنثى ناضجة واثقة تعبر عن نفسها دون حواجز ..
فهل هناك لحظة مرت عليه أعظم من هذه ؟

استغراقه بالتلذذ باللحظة جعله لا يعي أن عيناه ترقرقتا بالدموع مأخوذا بكلامها .. ودموعه تلك أفقدتها أي سيطرة محتملة على مشاعرها..
فأطبقت بانة على شفتيه من جديد .. تبوح له مستخدمه كل مفردات لغة العشق التي تعلمتها منه يوما ..
وما باحت به لم يطربه فقط .. ولم يرضي غروره الذكوري فحسب .. بل حرر كل وحوشه دفعة واحدة .. ففقد السيطرة على كل شيء ..

Des. Maryam Tamim

عقله وأعصابه .. ومشاعره ..
ليحيطها بذراعيه يعتصرها بقوة ويعمق من قبلتها .. وسرعان ما وجدت نفسها مستلقية على ظهرها على السرير وهو يخيم فوقها يكبل ساعديها بجوار رأسها بحزم وهو يهمس بعاطفة ذكورية جامحة متسلطة أشعلتها بداخله " كنت أعلم .. ونظرتي لم تخيب .. أن خلف القلعة الحصينة فارسة جامحة إذا ما داوت جروحها ستخرج إليّ يوما لتبارزني "
اتسعت ابتسامتها بتحدي.. وحاولت تحرير يديها والرغبة في عينيها تحاكي نظيرتها في عينيه اشتعالا.. فثبت يديها بحزم ينظر إليها كنمر شرس وهو يقول باشتعال " تريدين المبارزة ؟ .. أريني مدى قوتك ".
واطبق على شفتيها يروي شوقا مضنيا.. ويرضى غرورا ذكوريا انتظر طويلا لهذه اللحظة .
اللحظة التي تخرج عليه الفارسة من قلعتها الحصينة بعد أن تبرأ من جروحها .. وتبارزه بكامل

Des. Maryam Tamim

أسلحتها وعتادها .. في نزال متكافئ القوى والجموح .. فإما أن يخضعها أو ترديه قتيلا ترتسم على شفتيه السعادة..

وها قد بدأت أولى جولات نزال عشق متأجج بينهما لن ينتهي أبدا .

***

في اليوم التالي :

تحركت بانة تاركة صدره العضلي الذي توسدته طوال الليل منهكة القوى .. وانقلبت على بطنها الناحية الأخرى .. تمد يدها لساعة يده بجوار السرير لتجد أن الساعة أصبحت العاشرة صباحا.

همت بالقيام .. لكنه كان تحرك نحوها يبعد شعرها .. ويطبع قبلات رقيقة على رقبتها البيضاء الناعمة دغدغت أعصابها .. وتجسدت أمامها صورا من أحداث الليلة الماضية .

Des. Maryam Tamim

انقلبت على ظهرها لتواجهه فدفن رأسه في حضنها
دون أن يفتح عيناه ينال المزيد من النوم .
فقالت له بخفوت وهي تمشط شعره بأصابعها "
الساعة أصبحت العاشرة عليّ أن أصعد لأبي
فأخشى أن يكون متحرجا أن يخرج من غرفته "
زمجر باعتراض طفولي .. فضحكت ثم قالت
"أحمد "
أصدر طقطقة رافضة من فمه .. فضحكت وقالت
وهي ترفع رأسه عنها" هيا يا كسول "
رفع رأسه على مضض واعتدل على الوسادة مغمض
العينان فهمست وهي تتلمس ملامح وجهه
بإصبعها " هيا لا يصح أن نترك أبي وحده "
فتمتم بخفوت " حسنا اسبقيني وسألحق بك "
جلست على السرير متدثرة بالملاءة تبحث عن
ملابسها .. ففتح عيناه يتأمل بشرتها البيضاء
الناعمة .. ومد يده يتحسسها وهو يسأل بصوت

Des. Maryam Tamim

متحشرج من أثر النوم " هل والدك يعرف أم أخبره أنا ؟"

أبعدت يده بحزم وسألته " عن ماذا؟ "

صمت قليلا يتطلع إليها بعينين ناعستين ثم قال "عن مدى قلة الحياء التي وصلتي إليها يا زوجة أحمد "

كتمت فمها بكلتا يديها بحرج واشتعل وجهها فهمست موبخة " أحمد اسكت! "

أكمل مشاكسا" عليه أن يعرف إلى أي مدى وصلت ابنته في قلة الحياء ".

امسكت بالوسادة وضربته بغيظ محاولة إخراسه فأخذ يقاومها وهو يقهقه عاليا .. وحين استطاع تخليص الوسادة من يدها أخيرا .. كانت بانة قد استقرت فوقه فقال بلهجة مغوية " يبدو أننا سنتأخر قليلا في الصعود إليهم ".

Des. Maryam Tamim

تطلعت إليه قليلا.. ثم مالت عليه .. فترقب قبلتها بحماس .. لكنها انتفضت فجأة تقفز من على السرير وتلملم الملاءة حولها .. وهي تخرج له لسانها .. فزمجر في غيظ وهم بالقيام للإمساك بها .. فأطلقت صرخة طفولية وجرت نحو الحمام ليسمع بعدها صوت المفتاح من الداخل .. فصاح قائلا " ستندمين يا بنت الخازن .. وعقابك سيكون عسيرا "

ثم ألقى برأسه على الوسادة يحدق في سقف الغرفة .. وذكريات الليلة الماضية ترسم على وجهه ابتسامة نمر كسول بعد وجبة دسمة .

***

ختمت آية البرنامج الصباحي تقول بلهجة مشرقة " ونختم حلقتنا اليوم بأغنية من أغاني فيروز .. كان معكم على مدى ساعتين فادي ورد وآية سماحة .. سعدنا بكم ونرجو أن نكون قد أسعدناكم .. نهاركم سعيد "

Des. Maryam Tamim

دغدغت الأغنية مشاعرها وهي تلملم أوراقها
تستعد للمغادرة وفيروز تغرد :

سلملي عليه
وقلو أني بسلم عليه
بوسلي عنيه
وقله أني ببوس عينيه
أنت يالي بتفهم عليه
سلملي عليه سلم

استقامت تحمل أوراقها بينما فادي مشغول بساعته يتمتم لنفسه بقلق "لمَ تأخرت اليوم؟!" هم بالاتصال بها عندما ظهرت أمامه من خلف زجاج الاستوديو.. فابتسم يقول بمشاكسة وهي تدخل عليهما" كدت أن أموت من الفرحة أن لا تفتيش عسكري عليّ اليوم ".
نظرت له ضحى بعتاب .. بينما ابتسمت لها آية وحيتها بإيماءة من رأسها واعتذرت مغادرة ليتبعها

Des. Maryam Tamim

فادي بنظراته .. فضربته ضحى على صدره فقال بجدية مشفقا " هذه الفتاة تتألم .. واتعجب أن تحمل كل هذا الألم بداخلها في سنها الصغير هذا (ثم استدار إلى زوجته يقول) أين تحبين أن تتناولين إفطارك يا أميرتي؟ "

***

بعد ساعة رن هاتف آية فردت " نعم أحمد "

سألها " كيف حالك .. هل أنت بخير ؟"

زفرت نفسا متألما من صدرها وردت" بخير الحمد لله ".

لم يجد ما يقوله لها لكنه يشعر بالشفقة أكثر عليها بعد رجوع بانة .. فقد كان يتشارك أخته الوجع .. أما الآن ففي كل لحظة تتملكه السعادة الجنونية بعودة بانة يؤلمه حال آية وما تعانيه أكثر من ذي قبل ..

وتسائل هل سيطلق سيد زوجته فعلا ؟ أم سيعود بها وقد غلبته شهامته ؟ .

Des. Maryam Tamim

قال باقتضاب " أنا فقط كنت أطمئن عليك"
سألته ساخرة " هل تتصل بي لهذا السبب فقط؟!"
رد مازحا " دعيني اتقمص دور الاخ الكبير قليلا"
ابتسمت وقالت " حسنا تفضل .. وسأحاول أن أتحملك حتى ترضي ضميرك الأخوي "
رد ممازحا " بارك الله فيك يا أختاه (ونظر في ساعته يقول) أنت على وشك الوصول أليس كذلك ؟"
ردت بهدوء" لا بل السيارة انطلقت بي منذ قليل من مبنى المحطة " .
كشر عن أنيابه ليقول" لمَ تأخرت في المغادرة عزيزتي المجنونة ؟!
صمتت قليلا ثم قالت بتردد" قابلت ريان منذ قليل"
رفع حاجبا ثم سألها بتحفز" هل جاء إليك الإذاعة؟!!"
أجابت بنعم..

[4050]

فرد أحمد بخشونة "ماذا يريد ؟ يبدو أني سأتعامل مع هذا الطبيب بطريقتي " .

قبل قليل :
خرجت آية من مبنى الاستوديو لشارع مدينة الأستوديوهات الهادئ في هذا الوقت من الصباح .. فمعظم الاستوديوهات تعمل بداية من منتصف النهار وطوال الليل سواء للبث الاذاعي أو التليفزيوني أو تصوير المشاهد الدرامية في الأماكن المعدة ديكوريا لهذا الشأن .

كانت تدندن آخر أغنية قدمت في البرنامج " قلّو عيونه مش فجأة بينتسو .. وضحكات عيونه ثابتين ما بينقصو"
لتفاجأ بريان يقف أمامها.. فرفعت حاجبا مندهشا واقتربت لتسلم عليه وهي تقول " ماذا تفعل هنا ؟ .. بالتأكيد ليس صدفة أن تأتي هنا بالذات !"

Des. Maryam Tamim

ابتسم ريان يتأمل عينيها العسليتين وقد ظهرتا أكثر لمعانا في الشمس وليدها الناعمة الصغيرة التي سحبتها بسرعة من يده بعد سلام سريع ثم قال" جئت لأتحدث معك في موضوع هام فهل من الممكن أن نذهب ونجلس في أي مكان عام؟"

ردت بحرج "ريان أنت تعرف أني لا أقبل بهذا وقد أخبرتك ذلك من قبل" .
قال بلهجة جادة لم تعهدها منه " هذه المرة ستكون الأولى والأخيرة أعدك يا آية ".
لهجته أقلقتها فقالت بدبلوماسية " هنا في المدينة العديد من المقاهي تعال لنجلس قليلا لكني لن استطيع المكوث طويلا ".

بعد قليل كانا يستقران في إحدى المقاهي العامة وقد زادت هيئته الجادة من قلقها أكثر.. فصمتت تتأمله كيف بدا مجهدا حتى بدأ ريان بالكلام " آية

Des. Maryam Tamim

أنا في حاجة ماسة لأن أضع النقاط على الحروف بداخلي تجاهك .. أنت تعرفين أني أحاول الاقتراب منك منذ أربع سنوات تقريبا "

شعرت بالحرج والتوتر بينما أكمل ريان " حاولت أكثر من مرة مؤخرا لأن أتحدث معك على الهاتف .. أو أقابلك .. لم توافقي .. حاولت أن أطلب منك موعدا لأن أتقدم لك رسميا لم توافقي .. وفي كل مرة أعد نفسي أنها المرة الأخيرة التي أفرض نفسي فيها عليك لكني أعود وأشتاق إليك وأضعف .. لذا هذه المرة قررت أن أسافر "

سألته بفضول " تسافر لأين ؟"

زفر مهموما ثم قال "أبي يصر على أن أكمل دراستي العليا في انجلترا وكنت أرفض منذ مدة لأسباب تتعلق بي شخصيا وبعلاقتي به لكني قررت أن أقبل بعرضه وأن أسافر لعلي أتوقف عن التفكير بك

Des. Maryam Tamim

والضعف نحوك .. لكن بالرغم من ذلك جئت لأعرض عليك عرضي الأخير الذي لن أكرره " صمت قليلا ينظر إليها .. فشعرت بالتوتر واستشفت بذكائها الانثوي عما سيتحدث ففركت يديها تحت الطاولة بحرج بينما قال ريان " كنت أود أن أقول عرضي هذا في شكل أكثر رومانسية لكن الوضع بيننا لن يسمح بذلك .. لذا سأقوله بلهجة عملية .. (صمت قليلا ليأخذ نفسا عميقا) آية سماحة أنا أحبك .. وأرغب بك زوجة على سنة الله ورسوله .. ولقد قررت السفر فما رأيك بأن توافقي على طلبي وتسافري معي؟ "

تطلعت إليه آية بخجل أنثوي يشعل وجنتيها.. فأكمل ريان " قبل القبول أو الرفض فكري في الأمر يا آية .. فكري بأنها فرصة عظيمة لك لأن تبدئي حياة جديدة بعيدا عن حياة سابقة أنت لست قادرة على الفرار منها .. فكري في ميزة الحياة في بلد

Des. Maryam Tamim

أجنبي .. وسأساعدك لإيجاد فرصة للعمل إن أردت أو لاستكمال الدراسة إذا رغبت في ذلك.. ولن تبتعدي عن أهلك كثيرا فأنا أعدك بزيارات كثيرة للوطن متى شئت .. فكري جيدا يا آية في هذه الفرصة التي أقدمها لك "

ساد الصمت المتوتر قبل أن تتكلم آية بجدية " ريان أنا أريد أن أخبرك بأنك صدقا شاب تتمناه أي فتاة .. سواء أخلاقك أو مركزك العلمي والاجتماعي .. "

قاطعها بقلة صبر " أنا أعلم نفسي جيدا يا آية وأعلم من أنا والحمد لله .. وكل ما ستقولينه من مشاهد مكررة التي تقال في الأفلام في مواقف كهذه .. لا أريده ولا أحتاجه لأن أشعر بالتحسن ولا لأن تشعري بأنك كنت لبقة معي .. أريد رأيك فيما عرضت عليك .. خذي وقتك وفكري جيدا .. أنا

Des. Maryam Tamim

أمامي أسبوعين قبل السفر وإذا قررت إسعادي ووافقت أستطيع أن أؤجل موعد السفر قليلا "

انتهت آية من سرد ما حدث فصمت أحمد على الجانب الآخر قليلا ثم قال " أنا أرى ألا تتسرعي في الرد عليه وخذي وقتك في التفكير ".
وأراد أن يخبرها بأن تنتظر عدة أيام ليري علام سيستقر سيد فإن فشل في إنهاء الأمر فعليها أن تفكر في الابتعاد قليلا .. رغم عدم استساغته لفكرة ابتعادها .. ولكن ربما هو الحل الأمثل لخلاصها من دائرة الوجع المحكمة عليها .. لكنه قال منهيا الحديث "سنتحدث لاحقا حين تصلين سلام" .

***

دخلت بانة شقة سماحة وخلعت اسدالها من فوق ملابسها .. بنطالا من الجينز القصير تحت ركبتيها وبلوزة بأكمام قصيرة .. وضفيرة عسلية ترتخي بكسل على أحد أكتافها .. ووجدت والدها في غرفة

Des. Maryam Tamim

الصالون يجلس بملابس بيتية مريحة يقرأ الجريدة .. فجلست بجواره وأحاطت عنقه بذراعيها تقبل خده وهي تقول بدلال " كيف حالك عبدولتي " .
السعادة التي تغلف ملامحها أراحت قلبه كثيرا وخففت من همومه فرد "بخير يا روح أبيك وأنت؟"
احمرت وجنتيها رغما عنها فردت بلهجة حاولت أن تكون عادية "بخير يا أبي"
ابتسم غير مستوعب بعد أن ابنته الصغيرة التي كانت تتعلم السير منذ وقت يحسب أنه قليل أصبحت امرأة متزوجة .
سألته بقلق " كنت اخشى أن تشعر بالملل أو أن تظل محتجزا في غرفتك متحرجا من الخروج منها ".
رد يطمئنها " أنا بخير لا تقلقي صليت الفجر في المسجد مع الحاج سماحة وتناولت إفطاري وسأخرج معه بعد قليل إلى مقر عمله وبعدها

Des. Maryam Tamim

سيتصل بي غنيم وسنتقابل بإذن الله .. أي أن جدولي مشغول ".
ابتسمت في سعادة وسألت" هل أخذت دواءك كله؟"
رد وقد عاد للجريدة " أجل "
سألت بشك "كم نوع من الدواء؟"
أجاب "اثنان"
هتفت في غيظ " بل أربعة يا أبي أربعة" .
وغادرت تحضر الأدوية لتقابل الحاج سماحة في الصالة فاستقبلها مرحبا قبل أن يدخل أحمد من باب الشقة ليتبادلا النظرات ثم اختفت بالداخل وقد اشتعلت وجنتيها .
قال ابراهيم موبخا في همس " لماذا تأخرت في الصعود هكذا .. لا يصح "
قال أحمد بخفوت " اسمع يا ابراهيم بمجرد أن يسافر أبو فراس سأحصل على إجازة زواج .. لاحظ

Des. Maryam Tamim

أني لم أحصل على إجازة مثل أي عريس حين تزوجت "..

مط أباه شفتيه وتمتم باستنكار "إجازة!!"

رد أحمد حانقا " أجل إجازة .. أليس من حقي أنا وزوجتي إجازة في جزيرة منعزلة لمدة ثلاثة سنوات مثلا" .

تحكم الحاج سماحة في ابتسامة ملحة وقال " سآخذ الضيف وأخرج قبل أن يرتفع ضغطي "

لمح أحمد والدته تمر فقال " صباح الخير يا أم أحمد كيف حالك ؟"

ابتسمت وهي تراقب ملامحه المسترخية يديه في جيب بنطاله وتمتمت " صباح الرضا يا حبيبي بخير الحمد لله "

سألها " أين رحمة ؟"

فردت " نزلت منذ قليل لجامعتها "

فقال أحمد "هكذا دون أن أعرف متى ستعود لأرسل من يقلّها ".

[4059]

ردت وهي تبتعد " لا تقلق سيد يخصص لها سائقا تتحرك معه وأنا أتابعها بالهاتف" .
سأله أبيه قبل أن يتركه" ماذا يحدث مع سيد ؟"
رد أحمد مراوغا وقد تذكر اتصال سيد بالأمس" بخير .. لديه بعض الأمور في بلدة زوجته سيحلها أولا "
تمتم الحاج سماحة "مكالمته لي أمس أشعرتني بالقلق عليه "
سأله أحمد "هل أتصل بك !.. لمَ؟"
رد الحاج " اتصل بي في وقت متأخر ولم يقل شيئا سوى أنه يطمئن عليّ واستشارني في موضوع "
ابتسم أحمد ابتسامة مُرة وقال " لا تقلق يا أبي انه بخير لو كان في الأمر شيء مقلق لم أكن لأتركه"

ربت الحاج على كتف ولده وهو يتمتم" ربي ييسر له كل عسير ويرزقك ويرزقه من وسع .. "

Des. Maryam Tamim

بعد قليل دخلت آية منهكة واجمة وخلعت حذائها بإرهاق لتجد بانة في استقبالها بتحفز ..فبادرتها تقول وقد خمنت الموضوع " ماذا تريدين؟ "

تخصرت بانة وضيقت عيناها تقول بوعيد " ماهي "!!

انفجرت آية ضاحكة وتمتمت " اعترفي انك صدقت وتوترت ".

ردت بانة بكبرياء نافية " لم يحدث أنا أثق في أحمد وفي حبه لي ".

ابتسمت آية باستمتاع بمشاكستها " وإن كنت تثقين به لم سألتيه عن ماهي وكيف علمت أن كلامي ليس صحيحا ؟!"

جزت بانة على أسنانها ..فلعبت لها آية حاجبيها تقول" هذا إن دل فيدل على عدم ثقتك بنفسك"

Des. Maryam Tamim

زمجرت بانة وانقضت تمسك بذراعها تريد أن تعضها.. فصرخت آية وافلتت منها.. لتطاردها الأخرى بإصرار فتعالت صرخات آية الممتزجة بالضحكات .. وانتقلت فوق الأثاث وخلف إلهام ودخلت الصالون على أحمد ووالدها وأبي فراس ثم صعدت فوق الأريكة .

وبخها الحاج سماحة معنفا حتى تنزل من فوق الأريكة بينما.. وبخ أبو فراس ابنته مستنكرا ما تقوم به .. فردت بانة بغيظ " لن أهدأ قبل أن أعضها أو أشد شعرها فلتختار" .

وبخها أبا فراس بحرج " بانة ماذا حدث لك ؟!! "

فصاحت آية تلهث " أرأيت يا عماه كيف ابنتك تتعامل معي ؟(وأكملت تدعي البراءة) رغم أني لا أفعل لها شيء ".

ضحك أبا فراس وقال لآية " هذه لا أصدقها فأنت تبدين كجنية صغيرة "

Des. Maryam Tamim

هدر الحاج سماحة بحزم" كفى يا آية انزلي من فوق الأريكة هذا لا يصح "
صاحت آية باستنكار طفولي "دعها تبتعد إذن يا أبي ."
تدخل أحمد الذي كان يراقب المشهد في صمت سعيدا أن تخرج آية قليلا من جمودها وسعيدا أن بانة تتعامل بكل أريحية متخلية عن شخصية الضيفة لتتصرف كفرد أساسي في البيت .. وفض التشابك بين الفتاتين ثم قال "تعالي يا آية فأنا أريدك" .

في غرفة آية بعد دقائق قال أحمد "لا تتسرعي في القرار وخذي وقتك في التفكير وأطلعيني على قرارك قبل أن تخبريه ".

Des. Maryam Tamim

رفعت حاجبا وقالت "أرى أنه ليس لديك مانعا من سفري .. هل تنوي التخلص مني بعد أن عادت إليك السنيورة ؟" .

ابتسم يقول " بالطبع لن يكون قرار سفرك هينا.. بل إنه (وهرش في رأسه يشعر بالحرج وأكمل) لا يعجبني وأنا أفكر به الآن .. لكن لو كان هذا الثمن الذي علينا أن ندفعه لتستعيدي قلبك وابتسامتك فعلينا التضحية قليلا "

ابتسمت وقد شعرت بدفئه رغم أنه لم يقل الكثير لكن طاقة حنانه باتت تصلها بعد أن هُدمت حواجز كثيرة بينهما .. وبُني جسراً من الثقة والتفهم فقالت " لكني للأسف قد أخبرته بقراري في وقتها " نظر إليها بقلق لا يعرف هل يخشى رفضها أم يخشى موافقتها بينما أكملت آية " بالطبع رفضت يا أحمد "

مجددا شعور مختلط ينتابه لكنه قال " لمَ تسرعت في القرار ؟ كان عليك التفكير أولا ".

Des. Maryam Tamim

قالت بحزم " هذا الأمر ليس فيه فرصة للتفكير يا أحمد .. لا أنكر أن العرض مغري فأنت تعلم أني أحب خوض التجارب الجديدة وأكره الرتابة والملل.. لكن ليس على حساب قلب إنسان آخر .. ألم تنهاني عن ذلك العريس منذ بضع أيام ماذا تغير الآن ؟! .. (واكملت بصوت متألم) أنا لم أتخطى الأمر بعد .. ولا أعلم إن كنت سأتخطاه أم لا .. "

لم يجد ما يرد به فسحبها في صمت متألم إلى حضنه .. فأحاطت ذراعيها بجذعه تسند خدها على صدره في وجوم تحاول ألا تبكي فتمتم بخفوت " أدعو الله أن يدبرها من فوق سبع سموات (واستدرك يقول مدعيا المرح) وماذا عن خطة الهروب الكبير ؟"

ابتعدت عنه تقول ساخرة" أرى أن السنيورة قد عادت ..وبالتالي لم تعد تحتاج لأي خطط حالية للهرب "

Des. Maryam Tamim

رد عليها بهدوء " هذا غير صحيح .. فأنا أنوي أن أهرب .. أنا وأنت والسنيورة خاصتي بعيدا جدا ".
ابتسمت دون مرح فهم بالمغادرة ثم قال" ما رأيك أن أدبر لنا اجازة قصيرة في المنتجع السياحي الذي كنت أصمم ديكورات فنادقه ؟".
ردت بتهكم " شكراً أذهب أنت والسنيورة .. فأنا لا أحب أن أكون عزولا" .
رد عليها بجدية " نستطيع أن نذهب كلنا .. نحن جميعا بحاجة لبعض التجديد ونأخذ معنا أبا فراس ستسعد بانة جدا إذا ما شاركت والدها في بعض الذكريات ..(وتحرك ليغادر الغرفة) أنا سأدبر هذا الموضوع وسأعرضه على أبي وأنت عليك تدبير خطة الهروب الكبير كما اتفقنا "
صمتت دون رد فأضاف وهو يغمز لها " وجهزي نفسك لرحلة مثيرة بالدراجة البخارية يا عزيزتي المجنونة "

Des. Maryam Tamim

خرج يغلق الباب خلفه .. ليجد بانة أمامه تضيق عينيها وهي تقول "عم كنتما تتحدثان ؟"

فقال يشاكسها وهو لا يزال غير مصدق أنها موجودة "كنت أعرف منها تفاصيل ماهي "

رفعت حاجبا بتهديد .. فابتسم وسحبها من يدها نحو غرفته ثم توقف قليلا .. وأكمل نحو غرفة أروى وأدخلها ودخل وراءها يغلق الباب خلفه ويحتجزها بجسده في الحائط .. فاشتعلت وجنتيها تقول بتوبيخ " أحمد ماذا تفعل!"
فقال بهمس حار "انتظرت بمنتهى الأدب ذهاب أبي وعمي لأحصل على قبلتي الصباحية التي حرمت منها صباحا ..أي أنك مدينة لي بثلاث قبلات الآن "
لملمت ابتسامة على شفتيها وسألت بدلال "لمَ ثلاث؟"

Des. Maryam Tamim

رد بثقة" قبلة الصباح (وطبع قبلة رقيقة على شفتيها) وقبلة تعويضا عن شقاوتك حين رفضت أن تمنحيني قبلة الصباح (وطبع قبل أخرى) وقبلة لأني كنت مؤدبا وانتظرت خروج أبي وعمي ولم أطالب بما عليك من ديون في وجودهم .. (وطبع قبة ثالثة) .

دفعته بدلال وقالت " وها أنت قد أخذت الثلاث قبلات .. أتركني"

شدد من احتجازها يقول بنظرة مشتعلة " ليست هذه النوعية من القبلات التي أقصدها .. أريد تلك القبلات الجامحة التي تلت عبارة (أنت ولدي وسيدي وأبا أولادي يا أحمد)"

اشتعلت مشاعرها وحاولت دفعه ضاحكة في حرج وهي تقول" تعقل .. لسنا في شقتنا .. وقد نفقد السيطرة على أنفسنا ".

Des. Maryam Tamim

لكنها كانت كمن تدفع جدار.. لم يتزحزح لكن مال عليها يلتهم شفتيها وهو يشدد من ذراعيه حولها بقوة .

بعد بعض الوقت كان يجلس على أحد المقاعد في غرفة أروى بينما بانة تجلس على حجره وتدفن وجهها في رقبته في صمت دافئ شاعري .. فقطع أحمد الصمت يقول بهدوء " أشعر منذ أن حضرتِ أمس أن هناك أمرا تريدين إخباري به لكنك مترددة ."

رفعت وجهها متفاجئة وسألته "هل حقا شعرت بذلك؟!!"

أغلق أزار بلوزتها وقال " أجل .. كلما نظرت في عينيك شعرت بكلام محبوس فيهما ".

لاح التأثر على وجهها .. ثم أطرقت برأسها تنام على كتفه وهي تتمتم " أؤجله لأني لا أريد أن أكون كئيبة وأفسد سعادتك بعودتي "

Des. Maryam Tamim

تملكه القلق ولم يسعفه ذهنه للتخمين .. فقال يحثها على الحديث " تكلمي يا بانة "
صمتت قليلا تتحكم في عواطفها قابضة على صدر فانلته بقوة وهمست " لقد .. وجدنا رامز "

تفاجأ مصعوقا فأمسكها من كتفيها بخشونة لترفع رأسها وصاح " ماذا قلت ؟؟!!!!"
ترقرقت الدموع في عينيها وقالت بحشرجة" ما سمعته ..لقد وجدنا رامز يا أحمد .. وجدنا أخي رامز
.

منذ شهر :

تسمرت بانة جاحظة العينان بجوار باب غرفة والدها في المستشفى.. بعد أن سمعت بالصدفة ما جعلها غير قادرة على الحركة.. بينما صوت أبا فراس يكمل حديثه في الهاتف بانفعال " افعل أي

Des. Maryam Tamim

شيء يا حسن ..أي شيء ليسمحوا لي بزيارة إبني .. أعلم أننا لم نتأكد بعد لكن الاسم متطابق فلابد أن أزور ذلك الشاب الذي يدعى رامز عبد الله الخازن لأتأكد بنفسي .. وإن شاء الله يكون هو إبني .. (بعد قليل من الصمت) يا حسن افعل أي شيء أستحلفك بالله ..إن كانوا يريدون مالا ليسمحوا لنا بالزيارة سأدفع أيا كان المبلغ مقابل أن أرى ابنا من أبنائي بعيني قبل أن أموت .. أنا أعلم يا حسن أنك لست مقصرا وأنك بذلت مجهودا كبيرا لتصل لهذه المعلومة أعذرني في انفعالي أنت تعلم .. حسنا سأنتظر منك البشارة .. في رعاية الله "

هدأت بانة من ضربات قلبها الصاخبة ودخلت على أبيها ليمسح دموعه بسرعة ويتظاهر باللا شيء .. فقالت بذهول " هل ما سمعته حقيقة؟ (شحب وجه أبا فراس) هل وجدتم رامز !! وجدتم أخي؟ "!!!!

Des. Maryam Tamim

حدق فيها قليلا .. ثم ابتلع غصة مسننة في حلقه وقال " هل سمعت ؟.. لم نتأكد بعد .. فهناك شاب يحمل نفس الاسم في كشوف النزلاء في السجن الحكومي ."

رامز !..

موجود !!..

سجين !!! ..

تسارعت الحقائق تناطح عقلها في أقل من ثانية ولم تحتمل مشاعرها فسقطت مغشيا عليها .

بعد قليل.. كانت مستلقية على السرير بجوار أبيها تبكي بينما الممرضة تعلق كيس المحاليل على الدعامة بجانب السرير الموصلة بخرطوم رفيع لذراع بانة .. وتطمئن أبا فراس أن ضغطها المنخفض سيعتدل بعد قليل .

Des. Maryam Tamim

فسألت بانة أبيها من وسط دموعها "ولمَ لم تخبرني يا أبي؟.. لمَ؟
فرد أبا فِراس متألما" لأني لم أريد أن أغير مخططاتك بالعودة لزوجك "
سألته باكية" بأي تهمة سُجن ؟"
رد بهدوء" يا بنيتي لم نتأكد بعد إن كان هو أم لا .. أما عن تهمة الشاب الذي يحمل هذا الاسم فهي غير معروفة كحال الكثير من شباب البلد في هذه الفترة الصعبة التي نعيشها "
قالت باستجداء من بين دموعها "لابد أن أراه يا أبي .. لن أتحرك خطوة دون أن أراه .. أستحلفك بالله ."
زفر متألما وتمتم "المهم أن نحصل على تصريح بالزيارة أولا ويفعل الله ما يريد"

Des. Maryam Tamim



بعد اسبوعين :

الجو حار خانق ..
والغرفة التي تنتظر فيها بانة ووالدها لا تحتمل هذا العدد الكبير من المنتظرين للزيارة ..

تأملت وجه أبيها الذي ازدادت تجاعيد وجهه منذ أن علم بخبر وجود هذا الشاب الذي يحمل نفس الاسم .. وتحامل على حالته الصحية ليأتي بعد أن حصل على تصريح بالزيارة أخيرا بعد اللجوء للعديد من الوسطاء المهمين في البلد ..

لكن التفتيش الدقيق المخزي الذي تعرضت له هي وتعرض لها والدها أستاذ الجامعة الكبير ذو المكانة العالية في المجتمع آلمها كثيرا كخنجر في ظهرها .. أن يعامل والدها في بلده بهذا الامتهان تحت مبرر (الدواعي الأمنية) ..

واشفقت عليه انتظاره لأكثر من ثلاث ساعات ..
واشفقت عليه احباطه الذي سيشعر به إن لم يكن هذا الشاب هو رامز ..
وتساءلت .. كيف يتحمل والدها ذلك الابتلاء ..
فإن كانت هي متألمة بهذا الشكل المفجع لمصير أخويها فكيف يكون شعور والدها المفجوع في أولاده ..
بعد قليل فُتح الباب ليدخل الناس لساحة واسعة تتوسطها غرفة كبيرة ملحقة بأحد المباني جدرانها من السلك وبدأ تدفق المساجين لتحية ذويهم من وراء الحاجز السلكي .
تحرك والدها بلهفه يهرول بطول الحاجز السلكي يبحث في الوجوه .. وهرولت بانة خلفه في توتر وضربات قلبها تضرب بعنف وهي تهتف " تمهل يا أبي أرجوك " .
فجأة توقف أباها متسمرا متسع العينان أمام شاب يقف أمام الحاجز يبحث بعينيه بين الوجوه

Des. Maryam Tamim

لتستقر عيناه على أبي فراس.. حدقت بانة في الشاب هي الأخرى .. ليتحرك أباها ببطء نحوه في ذهول .. بينما تأملته بانة غير مصدقة ..

إنه هو ..

رامز ..

أخاها رامز أمامها !!!!!!..

لكنه ..

حليق الرأس فقد غالبية وزنه وأكتسب وجهه الأبيض سمرة كالحة و..

لم تستطع التحديق أكثر بل جلست على كعبيها تدفن وجهها بين كفيها .. بينما هتف رامز بصوت هارب منه يغرز أصابعه في فتحات السلك غير عابئ بجرحها لأصابعه " أبي .. أبي .. أبا فراس"

ضرب أبا فراس على السلك الشائك عدة مرات يقاوم تدفق الدموع لعينيه.

Des. Maryam Tamim

فتكلم رامز متوترا وهو ينظر للحراس حوله "اهدأ يا أبي بالله عليك .. إنهم يقبضون بشكل عشوائي على أي شخص.. لا يهمهم امرأة أو رجل أو .. "
بتر رامز عبارته حين اقترب أحد الحراس الذي يلف بحركة رتيبة يراقب الجميع .
فتكلم أبو فراس أخيرا يقول بصوت متأثر " ولدي .. ولدي .. أنت حي أنت حي يا رامز ..أنت حي يا قرة عين أبيك "
قال رامز يحاول حبس الدموع في عينيه بقوة حتى لا ينهار كطفل صغير يريد أن يتشبث بوالده من خلف سور الروضة "لا تقلق يا أبي أنا بخير.. هل تعلم شيء عن بانة؟.. أريد أن أطمئن عليها "

تنبه أبو فراس والتفت حوله يبحث عنها فوجدها مازالت تجلس القرفصاء تغطي وجهها بكفيها وتبكي بحرقة .. فتحرك نحوها يرفعها لتستقيم وهو

Des. Maryam Tamim

يقول " سلمي على أخيك يا بانة الوقت سينتهي سريعا" .
اقتربت ترتعش وهي تراه يحدق فيها بعينين متسعتين من رأسها لأخمص قدميها .. ثم هتف بلهفة "بانة .. هل أنت بخير .. ؟".

اقتربت منه معقودة اللسان تبكي حرقة فأخذ يردد بقلة صبر والجنون يتراقص في عينيه" بانة ردي عليّ هل أنت بخير ؟؟؟ .. هل تعرض لك أحد .. هل أهانك أحد ؟."
تكلم أبو فراس بسرعة يطمئنه " لا تقلق هي بخير ولم تتعرض لأي أذى أو إهانة فاطمئن" .
حدق فيه رامز مرعوبا أن يكون والده لا يقول الصدق حتى يطمئنه .. فأكد له أبيه " أقسم بالله لم تتعرض لأي أذى أو إهانة ".
سقط رامز أمامهم يسجد شكرا لله .. فانفجرت بانة بالبكاء في صدر أبيها الذي تأثر جدا من رد فعل

Des. Maryam Tamim

ابنه .. بينما تحفز أحد الحراس من حركة رامز المفاجئة .. لكنه استرخى حين أدرك أنه يسجد ..

أطال رامز في السجود لبعض الوقت ثم رفع إليهما عينين دامعتين .. فلم يستطع أن يتحكم في دموعه أكثر من ذلك وقال وهو يستقيم ويقترب من السلك مجددا يتأملها " أنا أتعذب على مدى أربع سنوات في كل لحظة وأنا أتسأل أين أنت ؟ وما هو مصيرك ؟ هل أمسكوا بك ؟هل أهانوك ؟.."

اقتربت من السلك تهمس باسمه باكية غير قادرة على النطق .. لا تصدق .. فألصق رامز وجهه بالسلك يتفحصها" .
تأملت وجهه عن قرب وتبينت جرح قطعي مائل بطول خده الأيسر ولاحظت تفاصيل وجهه التي بدت مختلفة .. ولم يكن مظهره فقط هو المختلف بل روحه أيضا .. اختفى رامز القديم

Des. Maryam Tamim

المرح خفيف الظل المشاكس ليتبدل بذلك الشخص البائس المعذب الذي يقف أمامها .

تكلم رامز محدقا فيها " تبدين مختلفة.. لا أدري كيف؟ لكن هناك أمر بك جديدا وغريبا "
لم تفهم بانة لكن أباها أجاب " أختك متزوجة منذ حوالي سنة ".
جحظت عينا رامز ثم اتسعت ابتسامته .. فكانت الشيء الوحيد الباقي يشبه رامز القديم .. وتمتم "يمامتي البيضاء تزوجت من ؟ "

رد أبا فراس " هذه قصة طويلة.. أخبرني هل تعلم ما هي تهمتك؟ وكيف وصلت إلى هنا ؟"

تمتم رامز بمرارة "بالطبع لا أعلم ما هي تهمتي وبالتأكيد هي تهمة سياسية .. أما كيف حضرت إلى هنا فهي قصة طويلة لا أعرف كيف أحكيها".

Des. Maryam Tamim

رن جرس عالي فقال رامز بسرعة " انتهى الوقت .. هل هناك أي أخبار عن فراس؟" .

قال أباه وهو يحدق في الحراس اللذين يسحبون المساجين للداخل .. وصوت همهمات ذويهم في الخارج وصراخ الأطفال وبكاء النساء يتصاعد "كنت آمل أن أجد الاجابة عندك "..

قال رامز وأحد الحراس يسحبه للداخل " لا أعرف أكثر مما تعرفه بانة .." .
قال أبا فراس بسرعة " لا تقلق يا بني سأخرجك من هنا بأي ثمن" .
هتف رامز من بعيد والحارس يسحبه " ما يهمني أن أراك يا أبي .. كلما سمحوا لك بالزيارة.. وأنت يا يمامتي أرسلي تحياتي لذلك الغراب الذي تزوجتيه (وانسابت الدموع من عينيه وصوته الباكي يتلاشى

Des. Maryam Tamim

مبتعدا) لا تقلقوا أنا بخير ما دمت قد تأكدت أنكما بخير ".

انتهت بانة من حكايتها وهي تبكي في صدر أحمد بحرقة وهو يشدد في ضمها بقوة وعيناه تلمعان بالدموع .. فسألها وهو مازال تحت تأثير الصدمة "وهل حدث شيئا بعد ذلك؟"

حركت رأسها المدفون في صدره بلا ..ثم قالت "الحصول على زيارة أمراً صعباً لا ندري لمَ؟ .. وأبي يحاول أن يجد طريقة لإعادة محاكمته إن كان هناك قضية من الأساس .. فكثير من الشباب في السجون دون أسباب واضحة وهناك أمور كثيرة غير مفهومة " ..

بكت قليلا على صدره ثم أكملت " لهذا كنت معذبة ما بين شوقي إليك وبين رغبتي في الاطمئنان على أخي .. أنا حتى لم استطع أن أنطق بكلمة معه .. انعقد لساني ولم أقل له أي شيء ".

[4082]

ازداد نحيبها فضمها بقوة يمسد على شعرها .. وقد آلمه ما سمع منها .. حزن جدا عليها وعلى أبيها وعلى رامز الذي لا يعرفه .. فتمتم يواسيها " لا تقلقي يا بانة من أعثركم فيه قادر على إخراجه من سجنه .. وسنتابع والدك دوما ونعرف منه الأخبار .. وإذا كان الوضع الأمني مستقر في بلدكم سنسافر كثيرا إلى هناك يا قلب أحمد "

رفعت وجهها المتورم من البكاء تقول " صدقا يا أحمد تقول ؟"

احتضن وجهها بكفه وقبل جبينها قائلا " صدقا يا روح أحمد "

ثم خبأها في حضنه من جديد يستعيد ما سمع منها ويحاول استيعابه .

***

Des. Maryam Tamim

بعد ثلاثة أيام :

هل أصبحت عارا على الجميع ؟!!
بعد أن كانت بسمة الوديدي أجمل فتاة في المحافظة .. أصبحت برغبتها في الطلاق فضيحة ستطال العائلة بأكملها ؟!.
لم يؤثر فيها موقف أبيها .. لقد توقعت رد فعله .. وتعرف جيدا أن لديه دوما حسابات أخرى ..
ولم تتفاجأ بموقف أمها فهي تعلم كم هي أم طيبة قليلة الحيلة تحاول إرضاء الجميع ..
لكن ما آلمها جدا ولم تستطيع تصديقه رد فعل أخاها الصغير.
إن علاقتها بوليد كانت مختلفة .. ففارق الثماني سنوات كان يشعرها دوما بأنه طفلها الصغير ..
كانت صديقته وصاحبته .. لم تتخيل يوما أن يقف أمامها يصف رغبتها في الطلاق بأنها ستحرجه ..

Des. Maryam Tamim

بأنها ستلحق به العار .. توقعت أن يساندها لا أن يهدد بترك المنزل إن فعلت ذلك!! .

في الأيام الماضية كانت الأدوية تخدرها فتنام وتهلوس كثيرا .. فرأت نفسها تقف أمام والديها تخيرهما بينها وبين وليد .. فاختاروه هو بدون تردد ..

وتركوها ..
لمَ تركوها ؟؟..
لأنها أرادت التراجع عن قرار !!!..
أهي نهاية العالم .؟؟.
هل عليها أن ترضى بحياة بائسة حتى لا تحمل لقب مطلقة ؟!!.
حين تستحضر كلام رحمة تجد أن كلامها منطقيا ..
هل يضمن أي ثنائي أن زواجهما سيستمر للأبد؟!!
..

[4085]



حتى لو لم يكن سيد يخونها كان من الممكن أن
يحدث أي شيء يضطرهما للطلاق .

تركت سريرها وتحركت شاردة تخرج من غرفتها في
خطوات بطيئة..
ماذا ستفعل الآن ؟..
لم يعد لديها من يقف بجانبها .. فهل عليها
تخليص نفسها بنفسها ؟..
هل سيستمر سيد في البقاء في البلد يرهن نفسه ..
شاعرا بالذنب تجاهها ..
أهي مثيرة للشفقة إلى هذا الحد ؟

قطعت الممر الكبير بين الغرف تحدق أمامها شاردة
كمن يمشي وهو نائم .
سيد لن يطلقها بعد ما حدث ..
سيشفق عليها ..
لأنها مثيرة للشفقة ..



لم يعد لديها خيارا آخر ..
فلن تعود مع سيد بعدما حدث أمامه .. بعد أن رخصها أهلها ..
ولن تسمح لأي أحد أن يمتهن المزيد من كرامتها..
لم يعد لديها من يقف بجوارها ..
حتى وليد ..
ستخلص نفسها بنفسها ..

فتحت باب غرفة والديها .. وتحركت في الظلام إلا من الضوء المتسلل من الممر ..
ليس أمامها سوى ذلك ..
فإما أن ينفذوا ما تريد ..
أو أن تخلصهم من وجودها المعذب للجميع ..
ليس أمامها غير ذلك ..
فتحت باب خزانة الملابس الخاصة بأبيها ..
وانحنت تفتح أحد الأدراج .. وأخرجت ذلك الشيء وحدقت فيه بعينين ذاهلتين .

[4087]

***

أطرق سيد أرضا يسند بكوعيه على فخذيه متجهم الوجه مشلول التفكير ..

لليوم الرابع مازال غير قادر على مغادرة البلدة .. غير قادر على أخذ قرار بشأن بسمة .. يتجدد الأمل ويموت بداخله كل دقيقة ..مكبل بالإحساس بالذنب .. يرغب في تطليقها لكنه يخشى من موقف أهلها منها .. يشعر بالمسئولية أن يتركها تواجه مصيرها بين أهل بهذه السلبية .

رغم أن الحاج سليمان صامت منذ أن سقطت مغشيا عليها وأخبرهم الطبيب أنها منهارة عصبيا وطلب منهم عدم تعريضها للانفعال .. لكن الرجل لم يبادر ولو لمرة واحدة أن يطلب منه أن يتركها مثل أي أب يرغب في تلبية رغبة ابنته .. فخمن

Des. Maryam Tamim

سيد أن الرجل يحسب حساباته ويبحث عن مخرج من هذا المأزق ..
أما هو كسيد فقد مل وأُجهِد ويريد العودة لأعماله ولرحمة .. لكنه ينتظر أن يطمئن على بسمة أولا.
تكلم الحاج سليمان أخيرا بعد فترة طويلة من الصمت "سأعقد معك اتفاقا يرضي جميع الأطراف."
تقبض سيد بقوة يقاوم ذلك الغضب الذي يفتته كلما تكلم هذا الرجل بينما أكمل الحاج " ستذهب أنت لأعمالك .. وتترك بسمة هنا .. ويبقى الوضع على ما هو عليه حتى أنتهي أنا من الانتخابات بإذن الله .. بعدها إن كنتما مصممان على الطلاق فلتتطلق ".

حك سيد جبهته .. بإنهاك ..
المزيد من الوقت ! ..المزيد من التأجيل ! .. المزيد من الإحباط ! .

Des. Maryam Tamim

ورغم ذلك كاد أن يجيبه بالموافقة حتى يعود للعاصمة فورا .. لكن وليد قفز فجأة من مكانه ينظر لهاتفه بعينين جاحظتين .. فطالعه الجميع بترقب ليقول وهو يهرول " بسمة فوق سطح البيت أرسلت لي صورة تجلس على السور "
هرول الجميع في فزع صاعدين نحو السطح .. واسرع الحاج ليشعل الضوء ليتبين بالضبط ماذا تفعل في الظلام .. فوجدها تجلس على السور بهدوء ..تنقل نظراتها بينهم بنظرات متشفية فهمت والدتها بالصراخ لكن الحاج أسرع ليطبق على فمها بقوة ناهرا " اخرسي يا امرأة واهدئي"

بينما اقترب سيد من بسمة يقول بتوتر " بسمة هذا خطر جدا .. سأنفذ لك ما تريدين .. انزلي"
صرخت فيه تقول محذرة " إياك أن تقترب"

Des. Maryam Tamim

وصوبت نحوهم مسدسا .. فشهقت والدتها وافترشت الأرض فساقيها غير قادرة على حملها ... بينما هدر الحاج فيها" ماذا ستفعلين يا مجنونة إن المسدس محشو بالرصاص !!!"
ردت ببرود "أعلم ذلك" .

تكلم سيد يقترب منها يقول بحذر وقد تشنجت عضلاته كلها " بسمة اعطني المسدس أنت سترتكبين جريمة "
فجأة قلبت المسدس نحوها وألصقت فوهته بصدرها تطالع وجوههم بتشفي ثم قالت " إياك والاقتراب مني .. إما أن أرمي نفسي أو أضغط على الزناد لينفجر صدري أو كلاهما" .

استعطفها وليد بانهيار " بسمة أرجوك لا تفعلي هذا "

Des. Maryam Tamim

لمعت عيناها بالجنون وردت " أردت أن أخلصكم مني جميعا وكان من السهل أن أقفز من فوق السطح وأموت لكني (ونظرت لأبيها بشماتة) لا أريد أن يدعي أبي أني سقطت صدفة لهذا قررت أن أقتل نفسي بالمسدس لأسقط من فوق السطح فيشاهدني الجميع .. سيكون مشهدا مؤثرا جدا .. لكن اطمئن يا أبي سأموت وأنا متزوجة وليس مطلقة أي أنني لن أسبب لك العار" .

حاول سيد التفكير كيف يمنعها بينما قال الحاج بتوتر "انزلي يا بسمة واعطني المسدس وسننفذ ما تريدين " .
ردت بهدوء " تعرف ماذا أريد .. أريد الطلاق"
رد سيد بسرعة " أنت طالق .. طالق يا بسمة "

الرصاصة ..
الرصاصة أصابتها في منتصف صدرها بالضبط.

Des. Maryam Tamim

ليست رصاصة من المسدس .. ولكن رصاصة
انطلقت من فم سيد ..
رصاصة الرحمة ..

شعرت بالارتجاف .. فاقترب منها لتصيح فيه "لن أنزل إلا والمأذون أمامي يخبرني أني قد طلقت منك ."
صاح الحاج في وليد " أسرع وأحضر الشيخ عبد البر بسرعة يا بني .. فورا"
أسرع وليد يهرول على السلم بينما أم بسمة تمسك بصدرها وتكتم بكاءها ..
فقال الحاج لاهثا " اهدئي ولا تتحركي يا بسمة سيأتي الشيخ .. حالا سيأتي ".
حدقت بسمة في الأرض بشرود تشعر بالصدمة وبالخوف .. بعد أن سمعت الكلمة من فم سيد..
ثم رفعت إليه ناظريها تقول "مبارك لك لقد تحررت مني ".

[4093]

تألم سيد وشعر بأنه حقير .. ومجرم فتكلم يقول "
أنا أسف يا بسمة .. لكل ما سببته لك .. واقسم لك
أني حين تزوجتك كنت جادا صادقا .. وأقسم لك
أنك من خير النساء طباعا وخلقا .. وأنك تاج فوق
رأس من تتزوجيه .. لكني أنا الملعون .. أنا
المنحوس .. أنا من لا يستحقك أقسم بالله .. أنا
من لا يستحقك .. وسأظل أحمل ذنبك في عنقي
حتى تسامحيني .. وسأظل أدعو لك أن يعوضك
الله خيرا مني .. حينها فقط سأرتاح " .

لم تقل شيء .. لكنها ظلت تصوب المسدس نحو
صدرها تحدق في الأرض حتى ظهر الحاج عبد البر
وراء وليد صاعدا يلهث .. حتى تفاجأ بمنظرها
فبسمل وحوقل .

Des. Maryam Tamim

ليهدر فيه الحاج وقد فقد أعصابه وأوشك على الانهيار كليا "أسرع يا شيخ عبد البر أسرع ونفذ ما تريد .."

بعد قليل راقبت سيد وهو يوقع في الدفتر أمامها فسألت الشيخ "هل أصبح رسميا ؟ "
قال الرجل بتوتر "أصبح رسميا اهتدي بالله وانزلي يا بنيتي" .
اقترب سيد فقالت له محذرة "إياك "
فاقترب وليد منها يقول "أعطني المسدس يا بسمة" ..
حدقت في أخيها الذي يقترب بهدوء وابتلعت ريقها ثم ناولته المسدس بيد ترتجف.. فأمسكه منها وأحاط خصرها بذراعه الأخرى لينزلها من فوق السور ..
وبمجرد أن نزلت تنفس سيد الصعداء ومال يستند بيديه على ركبتيه يحاول التنفس بانتظام .. بينما

Des. Maryam Tamim

علا نشيج أم بسمة التي هرولت لابنتها تحتضنها ليجلسا في الأرض أقدامهم غير قادرة على حملهما ..

حدق فيها سيد يقول " هل ستكونين بخير؟ "

ردت بهدوء "لا تقلق والتفت أنت لحياتك"

سأل" هل ستسامحينني؟"

ردت باكية " لست مثالية إلى هذا الحد لأدعي ذلك .. لكني أعدك إذا حصلت على السعادة يوما ما وقتها سأسامحك " .

صمت قليلا غير مستوعب أنه طلقها بالفعل فقالت " هيا اذهب من هنا لم يعد لك مكانا عندنا " .

استقام ونظر إليها طويلا غير مصدق أنه قد أصبح في حِل منها .. ثم أمسك بميدالية مفاتيحه وأخرج مفتاحا ليقدمه لها .. فرفعت إليه ناظريها تتساءل

Des. Maryam Tamim

فقال "هذا مفتاح البيت الذي اشتريته هنا في البلدة إنه لك من الآن" .
حدقت في المفتاح قليلا ثم قالت "لا أريده"
وضع المفتاح على السور وقال "هذا أقل ما أقدمه لك تكفيرا عما صدر مني في حقك .. وغدا سأقوم بإجراءات نقل الملكية باسمك ".
تكلم وليد بجفاء وقد استعاد أعصابه "هيا تفضل من هنا "
نظر إليه سيد وقال "حافظ على أختك" .

وعاد ينظر لبسمة من جديد ويقول " إذا احتجتِ أي شيء في أي لحظة .. فقط اتصلي بي دون تردد .. وسأدعو لك الله كل يوم أن يعوضك بأفضل مني ".
تحرك متقبضا يغادر أمامها بقامته الضخمة حتى اختفى عن عينيها فانفجرت في البكاء في حضن أمها .

***

Des. Maryam Tamim

بعد قليل أوقف سيد السيارة في الظلام على مدخل البلدة غير قادر على القيادة .. وظل يحدق في المقود أمامه ذاهلا غير مصدق أنه قد طلقها بالفعل ..

حدق في الطريق أمامه ..

طريق العودة ..

العودة لقبل أربع سنوات مضت ..

أهو سعيد ؟؟..

أجل سعيد .. سعيد باستعادة حريته .. سعيد بالأمل الذي تجدد بداخله ..

لكنها للأسف كانت سعادة منقوصة .. وسيظل يشعر تجاه بسمة بذنب حتى يراها سعيدة وقد عوضها الله بأفضل منه..

نظر في الساعة ليجدها قد تجاوزت الثانية عشر بعد منتصف الليل .. ففتح هاتفه وبحث عن رقم آية .. شمسه الصغيرة .. لكنه تراجع ..

هذه المرة لا يريد ارتكاب الأخطاء .. يريد أن يواجه الجميع .. قبل أن يواجهها .. قبل أن يعشمها .. عليه أن يتشجع ويعلن رغبته في الارتباط بها ..

لا يعرف كيف سيكون رد فعلهم على هذا الطلب .. لكنه لا يريد أن يحي الأمل بداخلها ثم يذبحه بعد ذلك إذا ما استمر نحسه ورفض الحاج تزويجه ابنته..

ترى ماذا سيكون رد الحاج على طلبه ؟

هل سيرفضه لفارق العمر الكبير نسبيا؟

أو سيرفض لأنه مطلق ؟.

نظر مجددا للطريق المظلم الهادئ أمامه .. يشعر أنه مجهد بعد سباق طويل لاهث قبل أن يصل لنهايته .. غير قادر على دفع نفسه أكثر من ذلك فأطرق برأسه يسند جبينه على مقود السيارة .

***

بعد بضع ساعات :

[4099]

وقت صلاة الفجر ركن أحمد سيارته في شارع سماحة بينما سيارة سيد تتوقف خلفه يقودها عمرو .. واستدار بإرهاق يحدق في سيد الذي يجلس بجانبه بهدوء .. صامتا طوال طريق العودة للعاصمة .

كان قد تلقى اتصالا منه بعد منتصف الليل لم يقل فيه شيء سوي بضع كلمات " أنا أجلس في سيارتي عند مدخل بلدة (...) ولست قادرا على القيادة " وقتها ارتعب أحمد أن يكون قد فاجأته نوبة ضغط فنزل مهرولا هو وعمرو وقررا الذهاب سويا بسيارة أحمد حتى يعود أحدهما بسيارة سيد .. لكنهما في الطريق علما منه بعد عناء أنه قد طلق بسمة .. ليصلا إليه في الثانية والنصف ويجداه مجهدا مذهولا ..

تكلم سيد وهو يترجل من السيارة يسأله " هل ستقف بجاني ؟".

Des. Maryam Tamim

قال أحمد بإرهاق" أليس من الأفضل أن تنال قسطا
من الراحة أولا بعدها نتحدث ".
كررها سيد بهدوء "هل ستدعمني وتقف بجانبي أم
لا ؟"
وضع أحمد يديه في جيبه ..وأومأ له بالإيجاب
مستسلما .. فسأله سيد " هل تعتقد أنه سيوافق
أم سيطردني من حياتكم للأبد ؟".
حرك أحمد كتفيه وقال بقلق" لا أعرف "
اقترب منهم عمرو يقول "دعونا نلحق بصلاة
الفجر أولا ثم نتحدث .."
دخل سيد المسجد يبحث عنه .. عن ذلك الرجل
الذي رباه .. عن أبيه ..
فاستقبله الحاج بوجه بشوش يقول " أخيرا عدت
يا سيد .. كنت قلقا عليك "
أمسك سيد بيده وقبلها باحترام ممزوج برجاء ولم
يستطع الانتظار أكثر فقال " أبي .. لي طلب هو
حياة أو موت بالنسبة لي فلا ترد رييبك خائبا "

Des. Maryam Tamim

رُفع أذان إقامة الصلاة فقال الحاج وهو يربت على كتفه " فلنصلي أولا".

تساوت صفوف المصلين وأقيمت الصلاة وفي السجود صمت سيد معقود اللسان لبرهة لا يعرف كيف يصيغ ما يريد أن يدعو به فاختصرها بـ " يا رب "

بعد الصلاة .. تفرق المصلون وتنحى أبو فراس جانبا وقد استشعر بأمر ما في الأجواء فجلس يراقب المشهد من قريب .. ليقترب منه عمرو ويجلس بجانبه ..

بينما سيد يجلس أمام الحاج وأحمد على يمين والده يتابع في توتر ..

صمت سيد قليلا بارتباك وتبادل النظرات المتوترة مع أحمد ثم تكلم بصوت هارب منه " أفضالك عليّ كثيرة يا أبي .. وهي من أوصلتني لما أنا عليه الآن .. علمتني الكثير وقومتني وصبرت عليّ .. ولم تيأس مني أبدا .. ولم تكرهني وتطردني يوما من

Des. Maryam Tamim

تحت جناحك رغم اعوجاجي (صمت قليلا يبتلع ريقه ثم أكمل) وما زرعته فيّ .. أستحضره أنا الآن في معاركي مع نفسي لتقويمها .. لكني مازلت طامعا في كرمك يا حاج .. فإن كنت أنت السبب في نجاتي فيما مضى من حياتي فأكمل جميلك عليّ وكن سببا في سعادتي في الآتي منها .. "

سأله الحاج بهدوء " أخبرني أولا .. ماذا اخترت .. ضميرك أم قلبك ؟" .

ابتلع سيد ريقه وتبادل النظرات مع صاحبيه ثم قال " اخترت ضميري يا أبي كما أرشدتني رغم قسوة هذا الاختيار على نفسي " .

عاد الحاج ليسأله " وماذا فعلت مع زوجتك ؟"

اندهش سيد ونظر لأحمد ثم رد " أكنت تعلم بم يحدث معي ؟"

رد الحاج " أتيت لي في طلب ولأقرر بشأن طلبك أسالك عن زوجتك ؟".

Des. Maryam Tamim

نظر سيد لأحمد الذي رفع حاجبا مندهشا ثم قال " هل كنت تعلم بم سأطلب هل أخبرك أحمد؟؟"
ضربه الحاج على مؤخرة رأسه بتوبيخ وقال " أنا لست غبيا يا ولد .. رد على سؤالي ".
رد سيد بهدوء " لم أعد متزوجا .. طلقتها "
سأله الحاج " والسبب ؟".
نظر لصاحبيه المتوترين .. وازداد ارتباكه وقد استشعر من لهجة الحاج أن السؤال يبدو كفخ .. ولم يعرف ما هو الرد المثالي لكنه قال الصدق " لأنها من طلبت ذلك وأصرت عليه حتى كادت أن تؤذي نفسها لأنفذه" .
تمتم الحاج في راحة " كنت أخشى أن أسمع سببا آخر لن يرضيني .. لكنك بالفعل اخترت ضميرك في المعضلة التي كنت تسألني عنها".
صمت سيد في عدم فهمم ثم قال بارتباك " أعلم أني لا أليق بمصاهرتك .. وأن فارق العمر بيني وبين آية قد يكون كبيرا نسبيا.. لكني أعدك ألا أجعلك

Des. Maryam Tamim

تندم أبدا إن وافقت علي طلبي .. (وأمسك بيد الحاج متوسلاً) أستحلفك بالله ألا تردني خائبا وأقسم لك أني لن أخذلك أبدا " .

ربت الحاج على يد سيد بيده الأخرى وقال " ما رأيك يا أحمد ؟"

تنحنح أحمد وقال " لا رأي بعد رأيك يا أبي "

نظر الحاج لسيد وقال " إن وافقت آية فلا مانع عندي " .

صمت سيد محدقا فيه قليلا ثم نظر لصاحبيه يسألهما بخفوت مصدوما " هل وافق ؟؟"

ابتسم له أحمد في شفقة بينما هتف عمرو بتهليل " مبارك يا صهري العزيز .. سنجلط صاحبك بالتأكيد " .

حدق فيه سيد لثوان ثم استقام واقفا يتطلع في الحاج بغير تصديق .. وسأله مجددا" هل أنت موافق يا أبي أن تزوجني آية؟ "

Des. Maryam Tamim

رفع الحاج رأسه إليه مبتسما ورد" قلت موافق إن وافقت آية ".
مسح سيد على وجهه بكفيه يحاول التأكد أنه لا يهلوس ثم سأل الحاج وهو ينهت من الانفعال " هل تسمح لي بأن أسألها بنفسي "
ابتسم الحاج ورد بهدوء "لا مانع اسألها "

ضربات قلبه تدق في صدره بقوة .. فتراجع للخلف قليلا يتأكد من وجوههم أن ما فهمه صحيحا .. ثم سأل بأنفاس متسارعة "هل من الممكن أن أذهب إليها الآن للإذاعة وأسألها ؟"

ابتسم الجميع لحالة الذهول البادية عليه ورد الحاج " اذهب واسألها وأحضرها معك بالمرة.. لكن إياك والتأخير دقيقة واحدة إضافية عن موعد عودتها " .

Des. Maryam Tamim

تطلع سيد لأحمد وقال مذهولا وهو يرجع للخلف
" أحمد .. أبي الحاج سمح لي بأن أعيدها "
ابتسم له أحمد في شفقة بينما استدار سيد يهرول خارجا من المسجد ..

***

اقترب سيد من سيارته تائها لا يدري يمينه من يساره .. ونظر في ساعته فوجدها الخامسة والنصف صباحا .. فأدرك أنها إما قد وصلت المحطة أو على وشك الوصول .. فتحير هل يرسل لها رسالة يخبرها ؟.. أم يتصل بها ؟ .. أم ينتظر حتى يراها وجها لوجه ؟؟..

تحرك بسيارته مع إشراقه صباح جديد وقد طرأت لرأسه فكرة رائعة.. وهي أن يتصل بها على الهواء ليخبرها .. فتراقصت ضربات قلبه حماسة لهذه الفكرة .. وبدأ في ترتيب ما سيقوله لها على الهواء مباشرة .. أمام كل الناس ..

Des. Maryam Tamim

لكنه تراجع فجأة حين تذكر بسمة .. وتذكر أنه لم يعد سيد ابن خليل صبرة القاطن في شارع سماحة وإنما سيد صبرة الملحن والموزع الموسيقى .. وأن تطبيق فكرة كهذا لن تكون من مجرد شاب يطلب مذيعة على الهواء وإنما شخصية مشهورة ستتناقل وسائل الإعلام أخبارها بسرعة .. وخشي أن يصل الأمر لبلدة بسمة ولأهلها فيجرحها ذلك أكثر بأن يفعل ذلك صبيحة طلاقهما .. فنفض الفكرة عن رأسه وقرر أن ينتظر حتى تنتهي من إذاعة الحلقة حتى لا يربكها ويفقدها تركيزها ..

نظر لملابسه ولذقنه في المرآة الأمامية ثم انعطف بالسيارة متجها لبيته ليستعد للحظة فارقة في حياته .

لحظة اللقاء الذي كان يائسا من حدوثه ..

***

عند الساعة العاشرة صباحا وقد قاربت الحلقة على الانتهاء قهقه فادي ورد ضاحكا عبر الأثير بتلك

Des. Maryam Tamim

الضحكة التي تذيب قلوب ملايين المستمعات ثم قال " وما المشكلة يا آنستي أن ينسى الرجل منا التواريخ المهمة في حياته مع زوجته؟ "

ردت آية باستنكار في مجادلة أنثوية ذكورية بينهما على الهواء كموضوع لحلقة اليوم " أتسألني عن المشكلة ؟ .. المشكلة في الاهتمام بالطبع .. الاهتمام بالتفاصيل يا استاذي من أهم ما تطلبه النساء "

رد عليها وهو ينظر لضحى التي تراقبه عبر الزجاج كالعادة " بصراحة أرى أن الأمر فيه بعض المبالغة فإن لم أتذكره اليوم من الممكن أن أتذكره غدا بدون أن أُتهم بأني مقصر " .

ردت عليه باستخفاف " تذكره في موعده له وقع أكثر تأثيرا من تذكره بعدها " .

رد عليها " ولمَ لا تذكرنا النساء ما دمن يحتفظن في رؤوسهن بتلك التفاصيل المزعجة ؟"

Des. Maryam Tamim

هتفت آية في استنكار " مزعجة !!"
رد عليها مؤكدا "بالطبع مزعجة .. أن احتفظ بهذا الكم من التواريخ في رأسي .. عيد أول لقاء .. عيد أول لمسة يد .. عيد أول مكالمة هاتفية بيننا .. عيد أول تصريح بالحب وهكذا وهكذا " .

ضحكت آية .. فتراقص قلب سيد الذي يستمع إليها عبر الراديو وينتظرها في سيارته خارج الاستوديو بأعصاب تحترق فالدقيقة تمر عليه بساعة كاملة .
قالت آية وهي تنظر لفادي بمكر " بمناسبة التواريخ أنا أعلم أنك اليوم تحتفل أنت والمطربة الكبيرة ضحى بعيد زواجكما فمن منكما قد ذكر الآخر به "
رفع حاجبا يتوعدها فنظرت إليه آية بعينين متسليتين من إرباكه ترد بعضا من مقالبه الكثيرة مع كل فريق العمل .. ثم نظر لضحى التي ابتسمت

Des. Maryam Tamim



له عبر الزجاج ورد " بصراحة ضحى من ذكرتني أمس .. أنا لست ماهرا في حفظ التواريـخ .. لكنها لم تلومني أبدا .. تقبلتني على علتي ببساطة وتذكرني بأي مناسبة قبلها بيوم دون توبيخ " .
ابتهجت آية للعلاقة بينهما .. فكلما رأتهما معا تساءلت لو كانت تزوجت من سيد ..كيف ستكون حياتهما ..
نفضت عنها أي تشتت لذهنها على الهواء وقالت " كل عام وأنتما في سعادة لا تنقطع .. كم سنة زواج ؟ "
ضيق فادي عيناه مفكرا ثم نظر لضحى يطلب مساعدتها فأشارت بكفوفها أمامها بابتسامة فرد " خمس عشرة سنة " .
تمتمت آية " ما شاء الله .. وفي هذه المناسبة السعيدة أي أغنية تختار لتهديها لها " .
نظر فادي في قائمة الأغاني المجهزة مسبقا بينما أمسك مهندس الصوت بقلبه وجحظت عينا



المخرج في ترقب .. فرفع فادي رأسه عن القائمة
يقول " أحب أهديها أغنية (الحب بهدلة)
لشكوكو واسماعيل ياسين " .

كتمت آية ضحكتها بصعوبة وهي ترى المخرج
يضرب برأسه في الحائط بينما مهندس الصوت
ومساعديه يبحثون في الحواسيب أمامهم بسرعة
في أرشيف الأغاني الضخم أما ضحى فكانت تضحك
بسعادة .
قالت آية لتطيل مساحة الوقت ليبحثوا عن
الأغنية " الحب بهدلة ..... خلاني أندلة ..... بهدلي
صحتي ولا حولا ولا"
أكمل فادي " الحب شنكلة ....ولا فيهش
جانتلة..... لهلبلي مهجتي خلاني بالبلا"

Des. Maryam Tamim

أشار مهندس الصوت بإبهامه لاهثا فقالت آية عبر الميكروفون " لنستمع معا لأغنية الحب بهدلة غناء شكوكو واسماعيل يس "
وضعت ضحى السماعات لتستمع للأغنية المذاعة معهما وهي تتمايل مع الموسيقى بينما فادي يحرك شفتيه بصمت معها ويعبر عنها بالحركة الصامتة في عناق أعين بينه وبين زوجته التي لم تتوقف عن الضحك وهي تستمع للأغنية .

الحب بهدلة ..
خلاني أندلة ..
بهدلي صحتي ولا حولا ولا
الحب شنكلة ..
ولا فيهش جنتلة..
لهلبلي مُهجتي ..خلاني بالبلا

الحب ليه غدار..

[4113]



لا هي دي مجدعة ..
خلاني ليل ونهار العين مدمعة ..
وتزيد عليَّا النار آكل مسقعة..
وتزدني شعليلة ..
في القلب والكيلة
ده الحب أندلة أندلة .. ده الحب أندلة
اخلصت .. وانزليت ..بالحب والهوا
يا ريتني ما طبيت في غرام مالوش دوا
ده لوحدي شكيت
والناس سوا مهلبية ..
وأنا روزن مُفلفلا

أرتجف قلب آية وبلعت طعما مرا في حلقها ثم قالت للمخرج " هل من الممكن أن أبدل أغنية الختام لأغنية أخرى " .
سألها المخرج عن اسم الأغنية فردت " كنت في بالي "
فأشار لها مهندس الصوت بإبهامه .

[4114]

بعد قليل تكلمت آية عبر الميكروفون " ونأتي للأغنية الأخيرة في حلقة اليوم وهي أحدث أغاني المطرب عمرو دياب (كنت في بالي) "

فتدخل فادي فجأة يقول " والحقيقة أن هذه الأغنية اختارتها آية خصيصا وأصرت على إذاعتها .. ترى لمن تهدين هذه الأغنية يا آية؟؟ "

اكفهر وجه آية في غيظ فنظر لها فادي بتسلي لتقول آية بسرعة " أحب أهديها لكل من افترق عن الشخص الذي يحبه .. وأنا شخصيا من عشاق المطرب عمرو دياب (وأسرعت بإنهاء الحلقة قبل أن يتمادى فادي في مقالبه) نستمع لأغنية (كنت في بالي) كختام لحلقة اليوم كان معكم فادي ورد وآية سماحة من إذاعة نغم سعدنا بكم ونتمنى لكم نهارا سعيدا "

Des. Maryam Tamim

ثم نظرت لفادي تداري غيظها فضحك بتسلي ..
دخل المخرج عليهما الاستوديو يقول "رئيس المحطة يطلبنا للاجتماع "
فهتف فادي باستنكار " متى ؟؟ .. الآن ؟! "
فأومأ المخرج برأسه ليخرج فادي يسترضي ضحى التي تململت فقال لها "انتظريني في مكتبي ولن أتأخر "
وضعت آية سماعة الهاتف في أذنها تستمع للأغنية التي طلبت إذاعتها وهي تتبع باقي فريق العمل إلى مكتب المدير والأغنية تعزف بأوجاعها.

لسة أنت كُنت في بَالى حالاً من مَفيش..
من بعدي عَايش .. ولا مُش عَارف تعيش ؟
دا أنا من كتِير سبتك ..
وحَاسس إنك إنت مَسبتنيش
ميهمنيش ..
مين إلي سَايب فينا مين ..
واحدة النتيجة

[4116]



أنا وإنت طالعين خسرانِين ..
وأنا مُش بخِير ..
زيك .. وبعدك ..
كان هيجي الخِير منِين ..

استمع سيد للأغنية بقلب يتفتت من الألم .. وأسرع يتصل بها لكنها لم تكن قد عطلت خاصية منع المكالمات التي تفعلها حين تكون على الهواء .. فتحرك بجانب سيارته بتوتر ينظر لبوابة المبنى الذي يقع فيه استوديو المحطة متمتما وهو يحاول اجبار نفسه على الصبر حتى لا يتسبب في فضيحة لكليهما " لا فراق بعد اليوم آيتي .. أين أنت .. افتحي هاتفك "

فكرة أنك رُحت منِي ..
مُش قابلها ..
شُوف نهاَية أنا وإنت غِيردى نستاهلهَا..
دا إنتا لو هتقُول نسِيت ..

[4117]

وأسمعها منكْ ..
بردو هعتبرّك كَأنك مُش قايلهَا..
فى نَاس كتِيرة بتتهمنِى فى حُبى ليك ..
قَالو عشت بهمل نفسِى وأنا بهتم بِيك ..
وأنا إللّى تاه بعدك ..
وأنا بردُو إللى بيدور عليك ..

جلست آية في صمت حول الطاولة الكبيرة في غرفة رئيس المحطة في عالمها الخاص تستمع للأغنية منتظرة بدء الاجتماع .

نسيَانى ليك صدقنى مش هقدر عليه ..
وانت مقاسمنى فى كُل حلم حلّمت بِيه..
وأنساك باية ؟..
وانتَا مصَاحبنى فى ١٠٠طريق وأنا مَاشى فِيه ..

فكرّة إنك رُحت منِى مُش قابلهَا ..

[4118]

شُوف نهَاية أنا وإنتَ غِير دي نستَاهلهَا ..
دانت لو هتقُول نسِيت وأسمعها منكْ
بردو هعتبرّك كَأنك مُش قايلهَا .

هتف فادي ورد بتأفف يقول " ما سر هذا الاجتماع المفاجئ في هذا الوقت الباكر يا كمال ولم لم نخطر به من قبل ؟"

أشار له رئيس المحطة بالجلوس يقول " أنا أعتذر عن هذا الاجتماع المفاجئ لكني مضطر له لارتباطي بموعد الطائرة بعد أقل من أربع ساعات .. في رحلة عمل مفاجئة .. سنتكلم في بعض الامور وانقلوها لزملائكم في البرامج الأخرى بما حدث في اجتماع اليوم "

جلس فادي متأففا ينظر في ساعته بينما همست آية في سرها " فلنبلغ السيد الأخ الكبير بالاجتماع حتى لا يجد مبررا ليمارس ذكوريته المتورمة علينا "

أرسلت الرسالة على الواتساب لتجد رسالة من سيد جعلت عيناها تجحظ .

[4119]

سدسد: اشتقت لك

سدسد : أين أنت يا يويا لماذا لم تخرجي حتى الآن ؟؟؟

كتمت نفسها وكتبت بارتباك " أين أنت يا سيد؟؟؟؟"

رد بسرعة "هنا ؟"..

يويا : هنا أين؟؟؟؟

سدسد: في مدينة الاستوديوهات انتظرك على أحر من الجمر .

يويا : هل حدث شيء ؟؟؟؟!!!

سدسد : لدي ما أخبرك به يا آية .. ولا أقوى على الانتظار دقيقة واحدة إضافية أنا أنتظرك منذ ساعتين ونصف تقريبا "

شهقت وهي تقف.. فالتفت إليها الجميع لتقول بارتباك "آسفة جدا .. آسفة جدا جدا .. هناك ظرف عائلي عاجل ولابد أن أغادر فورا "

Des. Maryam Tamim

ولم تنتظر الرد بل خرجت مسرعة وتركتهم ذاهلين ..وفعّلت خاصية المكالمات وهي تنتظر المصعد بعصبية وتتساءل عن سبب وجوده ... هامسة لنفسها بغير تصديق " هل كتب لي اشتقت إليك ؟؟!!!"

فتحت الواتساب لتتأكد من أنها لا تهلوس لكنها فوجئت باتصال منه .. فردت بسرعة وهي تتجه نحو السلم غير قادرة على انتظار المصعد وبادرته تقول بتوبيخ " أخيرا ظهرت يا سيد .. أخيرا ظهرت بعد كل هذه الايام من الاختفاء .. هل تعجبك بلدة جميلة الجميلات إلى هذه الدرجة؟؟"

شعر سيد بالتوتر.. ولم يدري ماذا يقول انعقد لسانه فجأة .. وأصبح ذهنه خاويا من كل ما أعده ليقوله ..فهمس بحشرجة " آية "

أبطأت من هرولتها على السلم وردت بنعم.

Des. Maryam Tamim

فقال بصوت مرتعش " أين أنت أنا أنتظرك بالخارج
حتى تنتهي من الحلقة " .
ازدادت ضربات قلبها اشتياقا لصوته .. فهمست
بدهشة " تنتظرني أنا ؟!"
رد بخفوت " أجل أنتِ.. ومن غيرِك يستحق
الانتظار من أجله؟!!"
توقفت تستند على السلم تحاول السيطرة على
أعصابها أمام هذا المنح المفاجئ من المشاعر
وتساءلت هل هو في حالة ضعف كتلك الليلة ؟
وهل ستقدر على أن تلعب دور القوية هذه المرة ؟
سألته وهي تواصل النزول" لمَ تنتظرني؟"
رد بسرعة " لسببين "
سألت وهي تنهت " الأول ؟"
صمت قليلا ثم قال بهمس" أني اشتقت إليك ..
اشتقت إليك إلى حد الجنون ".

تسارعت ضربات قلبها بعنف وسألته " والثاني؟"

تكلم بصوته الرخيم في أذنها " أني لدي خبرا مهما جدا أريد أن أخبرك به ".

خرجت من المبنى فرأته يقف بعيدا بجوار سيارته أنيقا يرتدي تلك النظارة ذات الإطارات التي تجعله فاتنا وقد وجه نظراته نحوها ..
ساد الصمت قليلا .. إلا من صوت نفسيهما عبر الهاتف وكل منهما يحدق في الآخر من بعيد ..
تكلم سيد بخفوت " لم تسأليني ما هو الخبر الذي أريد أن أخبرك به ".
قالت وهي تنهي المكالمة " لا يهم .. المهم أنك هنا وكفى "
ووضعت هاتفها في حقيبتها وهرولت إليه فوقف متسمرا يتطلع إليها آتية نحوه.. إلى أن أجبرت نفسها على التوقف على بعد مترين .

Des. Maryam Tamim

وقف كل منهما يحدق في الأخر في ذلك الشارع الخالي من المارة في هذا الوقت من الصباح ..فتطلع إليها يملأ ناظريه منها لأول مرة دون أن يشعر بالذنب .. يتفحصها بنظرة ذكورية تفصيلية مدققة ومشتاقة .. كانت ترتدي بنطالا من الجينز وفستانا قصيرا حتى منتصف فخذييها وحجابها الأسود يزيد من اشتعال جرتي العسل في عينيها مع ضوء الشمس .. فتقبض بقوة يمنع نفسه من التهور .. فمارده يعربد من الفرحة بداخله الآن .

وقال بخفوت " انظري في كفيك "

تطلعت إليه باندهاش فكرر بإصرار " انظري في كفيك يويا "

نظرت في كفيها فأكمل " سيد صبرة فيهما "

ارتعشت عضلة في ذقنها وهي تقاوم التأثر وتقاوم تلك الذكرى الموجعة بينهما .. فأضاف" تلك هي الحقيقة المجرد بكل بساطة يويا .. "

Des. Maryam Tamim

طالعته بتأثر بينما أكمل " لكنهما لن يصبحان فارغان بعد الآن مني .. ولم أعد شيكا ممنوعا من الصرف كما وصفتني في المرة السابقة .. (وهرش في مؤخرة رأسه بحرج يغمغم) لكني لا أعلم إن كنت شيكا بمبلغ خرافي فعلا أم لا لكن الشيك أصبح متاحاً للصرف .. ".

تطلعت لكفيها المفتوحين لا تستوعب فأضاف " منذ هذه اللحظة أنت لا تملكين فقط قلب سيد صبرة وكيانه .. أنت تملكيه بكليته خالصا لك ".

حدقت في عينيه مخروسة وصوت ضربات قلبها يشوش على صوته .. ولتجد أن ما تستقبله منه من الكلام يبدو غير منطقي .. ثم سمعته يضيف " أنا أصبحت حرا .. ولم أعد متزوجا يويا " .

Des. Maryam Tamim

رفعت كفيها إلى فمها تشهق مصعوقة فأوضح "أنا وبسمة انفصلنا ليلة أمس "..
اتسعت عيناها .. ليقول بصوت متأثر" وطلبتك للزواج من أبي الحاج ووافق مبدئيا.. هل تصدقي؟!!.. أنا شخصيا لا أصدق "
بدأ جسدها بالارتجاف بينما أكمل سيد بخفوت "فهل تقبلين برجل عجوز مطلق وحيد يحبك بجنون مثلي زوجا لك ؟".

تشوشت الرؤية أمام آية ودارت الأرض من تحت قدميها.. فصرخ سيد باسمها بفزع وقد هرب الدم من عروقه فتحرك نحوها مسرعا لتلتقطها ذراعيه قبل أن تسقط على الأرض مغشيا عليها.

أسندها بذراع حول ظهرها وحاول إفاقتها بيده الأخرى لكنها لم تستجيب .. نظر حوله يبحث عن أحد ليساعده .. ثم انحني يضع ذراعه الحرة تحت

Des. Maryam Tamim



ركبتيها وحملها للسيارة قلقا ..مرتعبا يشتم نفسه أن ألقى في وجهها بكل الأخبار دفعه واحدة ..

حين وضعها برفق في المقعد المجاور للسائق استدار حول السيارة يلتقط حقيبتها من الأرض وهو يفكر في عنوان أقرب مستشفى .. ثم جلس على مقعد القيادة بسرعة لكن قبل أن يشغل السيارة فتح حقيبتها وبحث أن أي زجاجة عطر .. حتى وجد زجاجة صغيرة .. فرش القليل في منديل ورقي وقربه من أنفها يربت على خديها برفق هاتفا باسمها .

تململت قليلا مستجيبة فتنفس الصعداء ثم عاد يحبس أنفاسه وهو يراقب لحظة شروق عينيها أمامه ليكتشف أنه قريب .. قريب جدا من وجهها .. وأنفاسها الحلوة تتسرب إلى رئتيه .. أراد أن يبتعد لكن جهازه الحركي لم يستجيب لإرادته .



تطلعت آية إلى وجهه الذي لا يبعد عن وجهها إلا بعض سنتيمترات قليلة ولولا رائحة عطره القوية التي تحاصرها بقوة وتملأ المكان لاعتقدت أنها تهلوس ..

همس سيد فلفحت أنفاسه وجهها "أنا آسف " سألته بذعر" هل كان مقلبا؟!! .. أكنت تمزح معي؟!!!!"

تكلم بخفوت يمسح بعينيه ملامح وجهها " لا يا آية كنت أقول الصدق .. لكني كنت جِلفا وألقيت بكل الأخبار دفعة واحدة في وجهك سامحيني " .

حركت رأسها لتنظر لأسفل ..فأجبر نفسه على العودة لمقعده ..ليجدها تنظر في كفيها غير مصدقة ..ثم رفعت وجهها تقول بصدمة " هل سيد صبرة هنا (فابتسم وأومأ برأسه) وطلقت زوجتك ؟ (أومأ برأسه) وكلمت أبي بشأننا .. أي أنا وأنت معا ووافق أبي؟؟؟؟؟؟ (أومأ برأسه).

Des. Maryam Tamim

فركت آية كفيها بتوتر وترقرقت الدموع في عينيها تسأله "هل هذا يعني أني سيسمح لي أن أراك؟" ارتعشت عضلة في خده وهو يقاوم طوفان من الرغبات يتفجر بداخله أبسطها رغبة في البكاء ورد "وسنتحدث كثيرا ..كثيرا حتى تملين مني" .

اندفعت فجأة وألقت بنفسها عليه تحيط رقبته بذراعيها فمال مجفلا للخلف يستند على باب السيارة من الداخل .. وتسمر مبهوتا وذراعاه بجانبه مشلولان من الصدمة .. بينما شددت آية من ذراعيها حول عنقه تبكي بحرقة متمتمة "أنت لي .. أنت ملكي .. كنت أعلم أنك ملكي .. الحمد لله .. الحمد لله " .

استشعر قربها بكل حواسه ..

واستشعر طاقة الدفء والنعومة التي أحاطت به فجأة .. فرفع ذراعيه ببطء يلفهما حولها .. متحكما بقوة في مارده الجائع اليتيم حتى لا يسحقها بين

Des. Maryam Tamim

ذراعيه .. وكأنه يخشى أن تنكسر عظامها اللينة من قوة مشاعره ..

تحركت مقلتيه يمينا ويسارا يشهق مشدوها من ذلك الشعور الذي يغمره غير مصدق أنه يعيش لحظة كهذه بالفعل ..

انها آية ..

آية في حضنه ..

في حضنه ..

فأغمض عينيه وأصدر آهه طويلة متمتما بألم

"آآآآآآآه يا آية.. أخيييييرا"

ودفن وجهه في رقبتها يشتم رائحتها مستشعرا نعومة قماش حجابها ..

ولم يُعرَف من منهما كان يرتجف أكثر من الآخر..

لكنه أحكم ذراعيه حولها بينما دفؤها يتسلل إليه يطرد من صدره الوجع المعتق منذ سنوات طويلة بعد أن أشرقت شمسه الصغيرة على مدينته القابعة في الظلام ..

الثامن والثلاثون

بعد شهرين :

فتحت بانة باب شقة عائلة سماحة بالمفتاح ودخلت لتجد أروى تقابلها بابتسامة جالسة في الصالة على الأريكة وبجوارها كرسيها المتحرك .. فألقت عليها تحية الصباح ثم سألتها عن عمرو فردت أروى " ذهب لعمله "

لتخلع بانة اسدالها وتجلس بجوار أروى التي يبدو عليها الوهن وتسألها وهي تمسد على بطنها برفق " كيف حالك ؟"

ابتسمت أروى ورددت بالحمد لله فقالت بانة متعجبة " أين بطنك المنتفخة يا أروى .. أنا لا أشعر بأنك حامل .. ألست في الشهر السادس ؟!"

Des. Maryam Tamim

قوست أروى فمها لأسفل ببؤس وقالت مازحة " لا أعرف .. ولا أشعر بفخر أنثوي لهذا السبب "

اطلقت بانة ضحكتها ثم قالت " وما رأي الطبيبة في هذا الأمر ؟ "

ردت أروى " الطبيبة تطمئننا أن كل شيء بخير ووزن الطفل طبيعي "

خرجت إلهام من الداخل فقالت بانة " صباح الخير يا أمي .. هل حجم بطنها هذا طبيعي أنا لا أشعر أنها حامل .. أشعر أنها أكلت ملعقة إضافية من الأرز مثلا فأحدثت عندها انتفاخا لا أكثر "

ضربتها أروى مازحة بينما ضحكت إلهام وهي تقول " هذا طبيعي حبيبتي في أول طفل تكون عضلات بطن المرأة مشدودة "

Des. Maryam Tamim

ردت أروى بدلال وهي تمسد على بطنها " وعمرو يقول أيضا لأن قوامي فرنسيا نحيفا وبطني مسطحا بسبب التمارين قبل الحمل لهذا لا يظهر عليّ الحمل ".

رفعت بانة حاجبها وكتمت ضحكتها ثم همست لها بلهجة ذات معنى " إذن لا فتوى بعد فتوى الشيخ عمرو "

لكزتها أروى وتبادلتا الضحكات الخافتة المحرجة ..

" أشعر أن هناك حوارا وقحا يدور بينكما "

قالها أحمد وهو يقف أمامهما يضع يديه في جيبه فأجفلت الفتاتان .. لتصيح أروى موبخة " أرعبتنا .. متى دخلت؟.. ولمَ لا تتنحنح قبل أن تقف فوق رؤوسنا "

Des. Maryam Tamim

رد أحمد بامتعاض " دخلت منذ ثوان ولا أعتقد أني أحتاج لأن أنبه قبل دخولي بيت أبي يا أم ابن طائر أبي قردان "

ضحكت أروى بينما ردت بانة في غيظ " لا أعلم كيف يستطيع أن يمشي بخفة كالنمر دون أن تشعري به .. إنه لا يتوقف عن إزعابي .. أحيانا يدخل الشقة متسللا لأتفاجأ به خلفي .. صدقيني أحيانا أشعر أني من الرعب سأسقط مغشيا عليّ "

قهقه أحمد متسليا ثم قال وهو يسحبها من يدها ليجلس مكانها " أريد قهوتي يا بنت الخازن "

وقفت بانة متكتفة تشاهده وهو يخلع سترته ويجلس بجوار أروى فردت باستنكار " لم آتي من بلدي لأصنع لعظمتك القهوة بالمناسبة " .

Des. Maryam Tamim

تجاهلها يمسد على بطن أروى ممتعضا ويقيم حجمها .. ثم استلقى على أريكة واضعا رأسه على فخذ أخته باسترخاء فرفعت بانة حاجبيها وسألته باندهاش " ماذا تفعل ؟ .. ألن تذهب لعملك؟".

رد ببرود " بل سأجلس قليلا مع زوجة أبي قردان وابنها .. أين قهوتي يا بنت الخازن؟ "

ردت بغيظ " ولمَ أيقظتني بإصرار مدعيا تأخرك عن العمل .. وعن الاجتماعات التي تنتظرك والمواعيد وخلافه؟؟ "

تنحنح أحمد ونظر لها نظرة ذات مغزى بعنوان (أنت تعلمين السبب) ثم قال غامزا بعينه " لتعدي لي القهوة يا بونبونتي " .

أحمرت بانة في حرج وادعت الجدية لتتحرك من أمامه بكبرياء وهي تبرطم .. فضحكت أروى ثم سألته بخفوت بعد أن تركتهما بانة " هل مازالت متأثرة بسفر والدها ؟"

Des. Maryam Tamim

رد أحمد مشفقا " هي تدعي أنها بخير وتحاول ألا تكون كئيبة .. لكني أعلم أن سفر والدها يوجعها وأنها متعلقة به .. لكن ليس بيدي شيء .. سننتظر أن تستقر الأوضاع أكثر في بلدها ونقوم بزيارته بإذن الله . "

ردت إلهام بخفوت وهي تجلس بجوار منضدة السفرة وقد سمعت حديثهما " أوجعت قلبي المسكينة يوم أن ودعته كانت تبكي بحرقة.. وأبا فراس أيضا كان حاله مؤثرا جدا وهو يودعها باكيا هو الآخر".

لاح التأثر على وجه أروى بينما داعبت رائحة البن بخلطة بانة أنف أحمد فصاح بصوت عال " سلمت يداك يا دكتور .. لا أعرف كيف أعيش حياتي بدون القهوة من يديك "

Des. Maryam Tamim

ضحكت أروى فأخرج أحمد هاتفه وفتح الكاميرا الخاصة به وهو مستلقي برأسه على فخذها وقال " اقتربي لنأخذ صورة معا ".

مالت أروى برأسها مبتسمة .. فالتقط الصورة على بُعد ذراعه وتأملها يقول "أنظري لبطنك المنتفخة .. مازالت آثار جريمتك مع أبي قردان تعلن عن نفسها أكثر يوما بعد يوم "

ضربته أروى على كتفه بتوبيخ.. بينما انفجر أحمد ضاحكا وهو يتمتم " أرسلتها إلى عمرو .. سيموت من الغيظ الآن " .

ضحكت أروى وقالت " إنه غير قادر على استيعاب فكرة أنك أخي .. يقول لم أجرب أن يكون لي أختا لذا لا أعرف كيف هو الشعور "

ضحك أحمد متسلياً بينما أكملت أروى موجهة الحديث لأمها الجالسة بعيدا عند منضدة السفرة " إنه يشعر بالحنق ويبرطم كالأطفال حين يأتي

Des. Maryam Tamim

أحمد لزيارتي صباحا بعد أن يغادر هو للعمل .. يغيظه هذا الأمر جدا " .

رد أحمد ببرود " وأنا أتعمدها لإغاظته "

ضربته أروى مجددا بينما دخلت بانة بفناجين القهوة توزعها على الجميع فتهللت أسارير أحمد وهو يعتدل ويأخذ منها فنجانه بعد أن داعبت رائحتها الممتزجة برائحة بانة أنفه و يبادلها النظرات المشتعلة بالعاطفة .. ويدعوها لأن تجلس بجانبه .. فجلست بجواره بينما سألت إلهام وهي تشرب قهوتها " هل مازالت عفاف معتكفة في شقتها؟ "

ردت أروى بإيماءة من رأسها ثم قالت " أجل لم أراها منذ تلك الليلة قبل دخولها المستشفى .. حتى أنها اكتفت بإرسال مباركتها لي بالحمل مع عمرو كما يدعي .. ولم نتحدث حتى على الهاتف .. إنها معتكفة في شقتها .. وعمرو يصعد ليجلس معها

Des. Maryam Tamim

قليلا كل يوم .. والاسبوع الماضي أجبرها على الذهاب للطبيب لمتابعة حالتها ثم أخذها بعد ذلك وأجلسها عند النهر قليلا وتسامروا واشترى لها بعض الهدايا التي فرحت بها كطفلة صغيرة "

حوقلت إلهام بأسف ثم قالت " ربي يبارك له عمرو ويرده له أضعافا مضاعفة بإذن الله "

قالت بانة مشفقة " لم لا تحاولين أنت ودها يا أروى ؟!"

ردت أروى " صدقيني أنا أحيانا أشعر بالشفقة تجاهها .. وأردت كثيرا أن أبادر بودها لكني أخشى من رد فعلها .. فأنا أعلم أنها لا تحبني وأخشى أن تعتقد أني أودها لأغيظها أو أشعرها أني منتصرة أو أي تفسير آخر .. وبعد تلك المرة التي سقطت فيها

Des. Maryam Tamim

أمامي بت أخاف أن تتأثر بأي خطوة مني وتفسرها بشكل خاطئ .. وعمرو يشعر بالراحة من عدم احتكاكنا هذا " .

ردت إلهام تقول " لديه كل الحق فالمسكين مرت عليه أوقات صعبة جدا وهذا الوضع أفضل الحلول .. اللهم اهدها عفاف بنت حمدية آمين (ثم سألت أحمد) وسيد يا بني هل هناك جديدا؟ .. أنا مشفقة على حالته .. المسكين شهرين يحبس نفسه في البيت كأنه يعاقبها على فرحته "

رد أحمد " حالته منطقية يا أمي الحدثان في يوم واحد أصاباه بالصدمة أن ينفصل عن زوجته وقد حسب أنه قد عَلِق معها للأبد .. وأن يوافق أبي على طلبه بالزواج من آية أصاباه بالذهول .. كما أنه لا يزال يشعر بالذنب تجاه طليقته .. ويرغب في

Des. Maryam Tamim

الاطمئنان عليها .. لذا أحجم حتى عن رؤية آية مؤقتا " .

تنهدت إلهام تقول " مشفقة على آية هي الأخرى فبعد أن جاءت ذلك اليوم تكاد تطير من على الأرض من الفرح حتى أني خشيت أن يتوقف قلبها من فرط السعادة .. عادت في اليوم التالي محبطة بعد أن طلب منها إمهاله بعض الوقت ليرتب أموره "

قال أحمد " لكنها أظهرت تفهما ناضجاً لحالته فاجأني الحقيقة.. ولم أرى منها أي تذمر طفولي"

تنهدت إلهام وقالت " قلبي مع طليقته أيضا .. أشفق عليها كثيرا هذه الفتاة .. وأدعو الله لها بأن يعوضها بمن يسعدها فالأمر ليس سهلا أبدا "

Des. Maryam Tamim

قالت أروى متعاطفة " ما فعلته أوجع قلبي الحقيقة لكني احترمتها أن واتتها الشجاعة بأن تأخذ هذا القرار رغم البيئة التي تعيش فيها .. ألا نستطيع الاطمئنان عليها بأي طريقة؟ "

رد أحمد " سيد يتتبع أخبارها وكلها مطمئنة أنها بخير .. وقد أنهي كل طلبات والدها بخصوص مؤخر الصداق وخلافه .. حتى حين طالبه بقائمة الأثاث وأخذ كل أثاث الشقة لم يعترض سيد على ذلك "

تمتمت إلهام مندهشة " لا أعرف كيف يعيش في الشقة بدون أثاث هكذا " .

رد أحمد " لن يستمر ذلك كثيرا بإذن الله فلا أعتقد أن أبي سيطيل مدة الخطبة بينه وبين آية .. بالمناسبة لقد بدأنا خطة لتهيئة أهل الحي لخبر ارتباط سيد وآية "

سألته بانة بغباء " أي خطة؟ "

Des. Maryam Tamim

تكلم أحمد موضحا " أبي طلب من سيد مهلة لتمهيد الخبر لأهل الحي .. فالوضع حساس لكون سيد ربيب هذا البيت وعلاقته بآية كانت قوية منذ أن كانت طفلة بالإضافة لفارق العمر ولكون سيد رجل مطلق رغم أن شائعة طلاقه انتشرت منذ مدة طويلة لكنه يبقى في النهاية رجل مطلق .. لذا الوضع حساس جدا وعلينا التعامل مع الأمر بحرص حتى لا نعطي فرصة لأصحاب العقول المريضة لإطلاق ألسنتهم "

قالت إلهام مهمومة " رغم فرحي الشديد بأن يبقى سيد ابنا لهذا البيت وزوجا لابنتي لكني بالفعل أخشى من القيل والقال "

رد أحمد بثقة "لا تقلقي لقد وضعنا خطة محكمة ستنجح بإذن الله .. واستأذنا أبي في البدء في تنفيذها والخبر غالبا انتشر في الحي كله الآن "

سألته إلهام بقلق " ماذا ستفعلون بالضبط ؟"

Des. Maryam Tamim

تعلقت العيون بأحمد الذي ابتسم في ثقة ثم قال موضحا " سيقوم سيد ووائل باللجوء لكبراء العائلات في الحي ليتوسطوا له لدى أبي للموافقة بحجة أنه متحرج من طلبها منه مباشرة نظرا لفارق السن ولأنه مطلق فينشغل الناس بترقب النتيجة وهل سيوافق أبي أم لا مع محاولة التأثير على عواطف الناس حتى يتعاطفوا مع سيد ويتمنوا أن يوافق أبي .. أي سيشغلونهم بالأمر ويطلبون دعمهم ودعواتهم بدلا من أن نلقي الخبر مفاجأة على مسامعهم ونتركهم يصيغون التخيلات"

لمعت عينا إلهام وقالت " ومن الماكر الذي وضع الخطة؟ "

قهقه أحمد ورد " ومن أمكر من وائل ..لقد تحمس جدا منذ أن علم بخبر انفصاله وموافقة أبي وهذا ما ساعده على سرعة شفائه وخروجه من المستشفى

Des. Maryam Tamim

.. فصاغ الخطة.. وجلسنا أربعتنا نضع تفاصيلها ونحدد أهدافنا ..وحان وقت التنفيذ"

تمتمت إلهام " أسعده الله وحفظ له بناته "

رن هاتف إلهام فضحكت وقالت " يبدو أن الأخبار قد انتشرت بالفعل (ثم ردت على الهاتف وهي تغمز لهم) أهلا أم عادل كيف حالك .. أخبار .. أي أخبار ؟ .. سيد وآية ؟ .. ما بهما ؟ .. لا لم يطلب سيد من الحاج شيء .. أنا أسمع منك الخبر لأول مرة .. منتشر بالحي؟ .. لا أعلم .. ما رأيي ؟ .. أنت تعلمين أن سيد ولدي وأنا من ربيته لكني لا أعرف ما هو رأي آية أنت تعرفين فتيات هذه الأيام ربما اعترضت على فارق السن أو لأنه مطلق .. أنا أعرف يا أم عادل فهو ابني ويعز علي أن نرفض له طلبا لكننا لن نستطيع أن نجبر بنتنا إن لم ترضى .. سر أي سر ؟ .. أخبريني بالسر يا أم عادل لا تقلقي في بئر عميق .. (نظرت لأحمد تتحكم في ابتسامتها)

Des. Maryam Tamim

رجال الحي سيجتمعون بالحاج يوم الجمعة بعد الصلاة ؟ .. حسنا ليفعل الله ما يريد .. شكرا يا أم عادل.. السلام عليكم "

انفجر الجميع بالضحك .. ليقول أحمد بعد ذلك وهو يتحرك للمغادرة ليلحق عمله " أتمنى من الله أن يمر الأمر بسلام وأنتهي من هذا الصداع المزمن في رأسي المسمى بسيد وآية "

***

أنهت آية عملها في المحطة الإذاعية مغادرة للمبنى تفتح هاتفها لتتفقد أي اتصالات فائتة منه .. وكاد أن يصيبها الإحباط قبل أن تجد رسالة منه على الواتساب بعبارة " صباح الخير " متبوعة بقلب أحمر .

دبدبت بكعبيها بسعادة وقبّلت الهاتف وحضنته بكفيها متجهة نحو السيارة والسائق المنتظرين بعيدا .. مارة على تلك البقعة من الأرض التي

Des. Maryam Tamim

شهدت منذ شهرين لحظات استثنائية بينهما .. تذكرت سيد وهو يخبرها بخبر انفصاله .. ويخبرها بأنه طلبها للزواج .. تذكرت تلك الدقائق في أحضانه داخل السيارة قبل أن يبعدها عنه بحزم محاولا لملمة أعصابه والتحكم في الموقف .. وكيف كان متفاجئا ومتأثرا جدا بهذا الحضن مثلها .

تحمر وجنتيها ويتملكها الخجل كلما تذكرت أنها التي أرتمت عليه وحضنته دون أن تعي ..

حيت السائق وجلست في المقعد الخلفي .. تسأل نفسها هل تتصل به؟ .. أم ستثقل عليه باتصالاتها المتكررة .. ليعود إليها الشعور بالإحباط الذي يسيطر عليها منذ ذلك اليوم ..

أجل الإحباط ..

فلم تره مجدداً بعد ذلك اللقاء.. الذي أوصلها بعده للبيت ليعود لشقته.. شهران كاملان لم ترى وجه سيد ولم يحضر لحي سماحة .. ملتزما البيت إلا من بعض اللقاءات الضرورية التي تخص العمل .. ويقضي وقته مع ألحانه طالباً منها أن تعطيه الفرصة لأن يرتب أوراقه ويتوازن نفسيا وينتهي من تابعات ما حدث ذلك اليوم .. وبعض الأمور العالقة حتى يكون جاهزا بكليته لتحقيق ذلك الحلم الذي كان يظن أنه مستحيلا .

فأشفقت على حالته وتفهمت موقفه جيدا وكتمت مشاعرها ناهرة نفسها أن تشعر بالضيق بعدما لاح الأمل في الأفق البعيد حتى لو كان أملا مؤجلا .

رن هاتفها ليقطع شرودها فأسرعت للرد بلهفة تقول " كيف حالك يا سيد؟ "

رد بصوت أجش من أثر النوم " بخير يا روح سيد "

اشتعلت وجنتيها وقالت " هل استيقظت للتو ؟"

Des. Maryam Tamim

رد وهو يحدق في السقف مستلقيا على تلك الأريكة في غرفة المعيشة الفارغة " أجل .. وفاتني للأسف برنامجك الصباحي اليوم أنت وذلك البارد "

أطلقت ضحكة دغدغت مشاعره ثم قالت " لا تقل عليه بارد إنه استاذي .. ولم يفعل لك شيئا "

رد ممتعضا بصوته الاجش " يمازحك على الهواء ويراك يوميا .. بينما أنا أتلهف لسماع صوتك عبر الأثير"

قالت بتأثر " أنت من تبعد نفسك يا سيد .. الحواجز رُفعت لكنك مازلت .. "

بترت عبارتها وصمتت نادمة أن تكلمت في الأمر فلم تكن تنوي الضغط عليه أو لومه.. لكنه أكمل كلامها بمرارة " لكني مازلت غير قادر على استيعاب أن الحواجز بيننا قد رُفعت .. أعلم ذلك يا آية

Des. Maryam Tamim

وأعلم أني تسببت في إحباطك بحالتي هذه ..وأنك تتحملين تابعات مشاكلي وعقدي النفسية "

صمتت قليلا موبخة نفسها فأكمل سيد " سامحيني يويا وتحمليني قدرا إضافيا بسيطا حتى أكون لك بكليتي .. سيد جديد "

ترقرقت عيناها بالدموع وأرادت أن تخبره أن هذه المرة الفراق أصعب من أي مرة أخرى فمولد الأمل جعل الانتظار صعبا .. لكنها ردت تداري مشاعرها " خذ الوقت الذي يكفيك يا سيد .. سأنتظرك للأبد "

رد هامسا " قريبا جدا يا آيتي .. قريبا جدا "

صاد الصمت بينهما إلا من صوت نفسيهما ثم قال سيد " هل أنت عائدة في الطريق؟ "

Des. Maryam Tamim

ردت بنعم فتمتم " حسنا طمئنيني حين تصلين للبيت .. وسنتحدث آخر اليوم آيتي "

بعد قليل أغلق سيد معها الهاتف مهموما .. فدخلت عليه رحمة تقول " هل أحضر لك الإفطار؟ "

سألها " لمَ لم تذهبي لجامعتك ؟"

تنهدت متصنعة الهم وقالت" وكيف أترك إبني الصغير مهموما في البيت وأذهب .. كيف أكون أما صالحة إن فضلت طموحي العلمي على إبني الصغير "

عقد حاجبيه قليلا يستوعب .. ثم انفجر ضاحكاً .. فوضعت رحمة يدها على صدرها تتنهد في راحة وتمتمت ناظرة لسقف الغرفة " الحمد لله أن ضحك أخيرا بعد أيام كثيرة من العبوس "

Des. Maryam Tamim

تماسك سيد يقول " لا تقلقي على طفلك الصغير يا أماه والتفتي لدراستك جيدا "

ابتسمت في حنان وقالت " آن الأوان أن تنفض عنك هذا الاكتئاب وتمضي في حياتك لست أول ولا آخر من ينفصل عن زوجته .. ولم تقصر معها بعد الطلاق مستحقاتها المادية التي طلبها أباها ومؤخر الصداق دفعتها لها .. وأثاث البيت أخذه والدها كله وحمدا لله أنه ترك لي غرفة نومي والأريكة التي تنام عليها ".

نظر سيد للغرفة الخالية حوله إلا من الأريكة التي تتوسطها وقال بحزن " هذا حقها فلم أملك الاعتراض حين طلبه والدها .. أعلم أن الشقة أصبحت فارغة وأن الوضع فيها قد يبدو متعبا لك لكننا إن شاء الله سنشتري أثاثا جديدا في شقة جديدة "

Des. Maryam Tamim

سألته "هل تنوي فعلا بيع هذه الشقة والعودة لشارع سماحة ؟"

أومأ برأسه وقال " حين قررت أن أشتري هذه الشقة بعيدا الحي .. قصدت أن أبتعد عن آية وأن أستقل بحياتي بعيدا عن الشارع .. لكني أفتقده جدا .. جزءا مني مفقودا طيلة هذا الوقت بابتعادي عنه"

سألت رحمة بلهجة ماكرة " وهل أخذت رأي العروس في ذلك ؟"

تحكم في ابتسامة ملحة يقول " أسألها عن ماذا؟ "

اتسعت ابتسامتها لتلك السعادة الطفولية التي تتراقص في عينيه والتي يحاول مداراتها بتصنع الجدية وردت " تسأل العروس عما إذا كانت ترغب في السكن في حي سماحة ربما كانت تتمنى شيئا آخر "

Des. Maryam Tamim

رفع حاجبا وسألها بشك" هل تعتقدين ذلك ؟"

رن جرس الباب فتحركت تترك الغرفة وهي تقول "عليك بسؤالها يا عريس"

فتحت رحمة الباب لتجد أمامها وائل يقول مهللا " كيف حال حلوتي؟ "

ردت بابتسامة "بخير يا أبيه "..

تطلع للشقة الفارغة وقال "أين هولاكو ؟"

أشارت لغرفة المعيشة فتقدمها يدخل على سيد ينظر له ممتعضا ويقول " متى سننتهي من هذه الحالة ؟ شهران في هذا الاعتكاف ألم تكتفي ؟ "

رد سيد بجدية "أحاول صدقني يا وائل أحاول "

رد وائل وهو يجلس بجانبه "يا بني حتى وإن كنت تحتاج لفترة للتوازن النفسي ما ذنب الفتاة

Des. Maryam Tamim

المسكينة التي فرحتها ثم تسببت في إحباطها بعدم رؤيتها لك كل هذه الفترة "

أطرق سيد برأسه وقال " لا تصب الزيت على النار يا وائل يقتلني الشوق إليها أكثر من أي مرة .. أنت لا تعلم كم أقاوم نفسي في الذهاب إليها "

قال وائل بغيظ " ما هذا التناقض .. تحجم عن لقاءها وتشتاق إليها ! "

صمت سيد قليلا ثم قال " لأني سعيد .. ولأن رؤيتها تجعل قلبي يتراقص كطفل صغير .. ولأني لا أصدق حتى الآن أن الحاج وافق بالفعل على ارتباطنا .. حتى أني أشك في معنى الكلمة أصلا وحدودها وما تعنيه "

تكلم وائل محذرا " أنا أرى عقدة ذنب تلوح بالأفق .. إياك وعقدة الذنب.. ستهدم لك حياتك كلها "

Des. Maryam Tamim

ألحت كلمة (عقدة الذنب) في رأس وائل وكأنه يريد أن يتذكر شيئا.. بينما أطرق سيد برأسه وقال " هذه هي الحقيقة بالفعل .. أنا شعرت بالذنب حين حلقت طائرا من الفرح عندما وافق الحاج على تحقيق أمنيتي .. وحين رأيت آية أخيرا .. أخيرا دون أن أشعر أني أرتكب جرماً.. فاستنكرت على نفسي هذا الشعور بينما بسمة ..."

تنبه وائل لما قاله سيد فاندفع يقول " اسمع يا سيد حدث الطلاق وانتهى الأمر وأصبح أمرا واقعا .. تختلف الأسباب من قصة لأخرى لكنه في النهاية انفصال .. فلا تعيش حياتك كلها مكبلا بعقدة الذنب "

رنت عبارة (عقدة الذنب) مرة أخرى كأنها تضرب في رأسه فتوقف قليلا عن الحديث يعقد حاجبيه فسأله سيد بقلق" وائل هل أنت بخير ؟"

Des. Maryam Tamim

تنبه وائل ليقول" أجل بخير ماذا كنت أقول ؟..
نعم .. لن تعيش حياتك مكبلا بعقدة الذنب .. ألم
تخبرني أنها بخير "

أومأ سيد برأسه بنعم وقال" هذا ما يصلني من
معارفي هناك

فقال وائل "إذا عليك بالمضي في حياتك .. وندعو
الله لها أن تجد هي أيضا سعادتها .. صدقني أنا
أشفق عليها لكن ليس هناك ما يمكن أن نفعله لها"

تمتم سيد بشرود " بقي أن أسلمها عقد البيت
وأتمنى أن أشعر بالتحسن بعدها "

قال وائل " أنت مصر إذن على موضوع البيت هذا
"

أومأ سيد برأسه يقول " أنا وعدتها وسأشعر ببعض
التحسن إن قَبِلَته مني "

Des. Maryam Tamim

زفر وائل ثم قال " كما تحب .. بالمناسبة أنا وجدت لك شقة رائعة في المبنى الملاصق لغرفة برقوق .. أي بجوار المقهى وفي مواجهة بيت سماحة بالضبط .. المبنى جديد والشقة رائعة وواسعة وستكون مناسبة لك ولآية ورحمة .. غالية الثمن قليلا لكنها تستحق المبلغ .. (وغمز بعينيه يكمل بتسلي) وبدأت بالفعل تنفيذ الخطة التي اتفقنا عليها بخصوص أهل الشارع "

تنهد سيد يقول " أتمنى أن تمضي الأمور بخير فأنا لم أستلم مستحقاتي من أكثر من شركة إنتاج حتى الآن .. وأنت تعرف مصاريف الانفصال والمؤخر وما إلى ذلك تكلفت كثيرا ولا أعتقد أن ثمن هذه الشقة حين أبيعها سيتكفل بثمن شقة جديدة وأثاث ومصاريف زواج وما إلى ذلك "

Des. Maryam Tamim

رد وائل موبخا " لمَ القلق؟ ... الأمور ستمضي بخير بإذن الله .. أترك ثمن بيع هذه الشقة لمصاريف الزواج .. وأنا سأدفع لك مبلغ الشقة الجديدة حتى تتيسر أمورك وإذا احتجت لمصاريف إضافية أنا موجود .. المهم أن تخلصني من حكايتك هذه بالله عليك.. تعبت.. والله تعبت"

ابتسم له سيد بامتنان وربت على فخذه ثم سأله "وأنت كيف أحوالك؟ "

أومأ وائل برأسه وقال " بخير الحمد لله "

قال سيد وهو يتأمله " أشعر أن بك شيء جديد من بعد عودتك من الغيبوبة"

ابتسم وائل ابتسامة واهنة ورد" وأنا أيضا أشعر أن أمورا كثيرة من حولي أراها بشكل مختلف "

قال سيد مهددا " إياك أن تنقطع عن زيارة الطبيب النفسي صدقني سأوذيك .. أنا أتصل به كل فترة

Des. Maryam Tamim

لأتأكد أنك تواظب على الحضور وصاحبيك فوضاني للاطمئنان من الطبيب شخصيا على مواظبتك "

مط وائل شفتيه بامتعاض ثم قال" لا تقلق أنا أذهب بانتظام .. فأنا بالفعل أحتاج لأن يساعدني في اكتشاف أمور كثيرة تحيرني "

صمت قليلا يحدق في الأرض مستغرقا في التفكير ثم قال لسيد فجأة " سيد هل تذكر مريم؟"

رفع سيد حاجبيه باندهاش ورد "بالطبع أذكرها لمَ تسأل هذا السؤال؟"

قال وائل " ذكرني بشكلها "

رفع سيد حاجبا وقال باستنكار" نعم !!"

قال وائل بقلة صبر" أقول صف لي هيئتها أنا لا أملك أي صورة قديمة لها "

سأله سيد بتعجب " هل نسيت شكلها؟!!"

Des. Maryam Tamim

رد وائل بحنق " الامر ليس كذلك لكني أريد أن أعرف "

تنهد سيد وقال " كانت شقراء تشبه الفتيات الغربيات "

سأله وائل بقلة صبر" كيف كان شعرها ؟"

رد سيد " كان أشقرا قصيرا جدا .. وكانت نحيفة.. ولها عينين زرقاوين لم أرى في جمالهما من قبل رحمها الله " .

أطرق وائل برأسه في صمت.. فابتلع سيد ريقه بصعوبة ثم سأله بتوجس" هل عدت ترى أشياء غير حقيقية؟ "

رد وائل بسرعة نافيا " لا لا أنا بخير منذ أن استفقت من الغيبوبة لا أرى شيئا .. إنها أسئلة ابحث لها عن إجابات لأرد على الطبيب النفسي "

Des. Maryam Tamim

سأله سيد " وكيف حال الجميع في البيت؟"

سأله وائل بحدة" عمن تسأل بالضبط؟؟"

ألقى سيد برأسه للخلف في اندهاش ثم قال" يا بني أنا سألت عن الجميع .. ماذا حدث لك يا وائل ؟؟؟ (وحدجه بنظرة خطرة ثم تكلم بحدة) هل تعتقد أني أتطاول على حرمة بيتك ؟؟ .. أو تشعر أني أتجاوز حدودي مع زوجتك ؟؟!! "

رد وائل بلهجة هادئة نادما " لم أقصد ذلك بالطبع لا تؤاخذني "

قال سيد غاضبا" ماذا تقصد إذن؟؟.. كلما سألتك عن الأخبار تنفعل لا أدري لمَاذا؟ .. ليس الآن فقط وإنما من قبل الغيبوبة ؟"

قال وائل بهدوء " لا تغضب .. لم أقصد المعني الذي وصلك ... ولا أشك بك لحظة واحدة الأمر

Des. Maryam Tamim

يخصني أنا .. أنا من أشعر بالضيق حين يسألني أحد عن ماجدة "

رفع سيد حاجبا ثم قال بلهجة متسلية " تشعر بالضيق !! .. من كل الناس أم سؤال الرجال بالذات عنها ؟"

أطرق وائل برأسه قليلا دون رد .. ثم قال بضيق " الرجال بالذات .. يجن جنوني لا أدري لماذا"

حدق فيه سيد قليلا مصدوما ثم رد متهكما " شيء غريب فعلا أن يجن جنونك حين يسأل رجل عن زوجتك "

أطرق وائل برأسه كولد صغير مذنب وقال" الوضع أصبح غريبا بالفعل .. ويتطور بقفزات سريعة في وقت قصير جدا ".

سأله سيد وهو ينظر إليه كمن ينظر لمعتوه" أي وضع ؟"

Des. Maryam Tamim

رد وائل بحرج " مع ماجدة"

قال سيد " لم أفهم؟"

تنحنح وائل ثم قال" أنا منذ أن أفقت من الغيبوبة وأنا .. "

صمت قليلا.. فقال سيد بعدم صبر " أنت ماذا أقلقتني تكلم "

ابتلع وائل ريقه ثم قال " وأنا أنظر لماجدة نظرة غريبة لم تحدث من قبل "

صمت سيد مضيقا عينيه يحاول فهم طلاسم ما يقوله .. فأكمل وائل " أصبحت تلح عليّ مشاعر ذكورية تجاهها .. والأمر يزداد صعوبة وإلحاحا مع الوقت "

حدق فيه سيد قليلا بعينين متسعتين وساد صمت غريب ثم أنفجر فجأة في الضحك .. فنظر إليه

Des. Maryam Tamim

وائل في حنق وقال بغيظ" لمَ تضحك؟؟ .. لمَ تضحك يا ثقيل ؟.. "

استمر سيد في هيستريا ضحك غير قادر على تمالك نفسه بينما احمر وجه وائل ينظر إليه شذرا وقال " أنا المخطئ أني فضفضت معك قليلا " واستقام مغادرا فأمسك سيد بيده مستمرا في الضحك دون توقف حتى دمعت عيناه وتمتم وهو مسح أطراف عينيه " يا الله لم أضحك بهذا الشكل منذ مدة طويلة ".

خلص وائل ذراعه من يد سيد بصعوبة يقول غاضبا " لن أخبرك أمرا يخصني مرة أخرى.. انتهى "

أمسك سيد بملابسه يمنعه من المغادرة ورفع وجهه ينظر إليه بعينين دامعتين من أثر الضحك يقاوم موجه أخرى وهو يقول " لا تقلق سرك في بئر

Des. Maryam Tamim

عميق .. ولن أخبر أحد بهذه البلية التي حلت على رأسك " .

لم يستطيع سيد التحمل أكثر فضحك مجددا ولاحت علامات الضحك على وجه وائل الذي يتصنع الجدية .. ليقوم سيد يستقيم أمامه ثم احتضنه وربت على ظهره يقول مهنئاً " ألف مبروك يا حبيبي .. الآن اطمأن قلبي أن كل الوظائف الحيوية لديك تعمل بكفاءة .. وقد كنت بدأت أشك بك "

دفعه وائل بغلظة وهو يقاوم رغبة ملحة لمجاراته في الضحك .. فقال سيد وهو يمسح طارف عينه " هل أنت مدرك لغرابة ما تقوله يا معتوه "

رد وائل " أعلم ذلك لكن أنت تعلم تفاصيل الموضوع وكيف كان "

Des. Maryam Tamim

رد سيد " كان غريبا .. غير منطقيا .. وعلى خطأ .. وتحدثت معك فيه من قبل .. حتى لو كنت لا تحبها فما تقوله بعدم الشعور بها أمر يدعو للدهشة والتساؤل .. كما أن معاقبتها وهي ليس لها ذنبا .. اسمح لي هي إنسانة و..."

حدجه وائل بنظرة خطرة فبتر سيد عبارته يغلق فمه ضاغطا على شفتيه ورافعا يديه باستسلام ثم قال " حسنا لن أذكر سيرتها التي تجن جنونك "

ومد يده يدغدغه ويقول مازحا " ولن أخبر أحد بسرك الخطير أنك استغفر الله أصبحت شقيا وتشعر بمشاعر غير بريئة تجاه زوجتك "

افلتت ضحكة من وائل رغما عنه فاستمر سيد بملاحقته في الغرفة يريد أن يواصل دغدغته بينما

Des. Maryam Tamim

وائل يقول باستنكار " ماذا تفعل ! .. هل مازلنا صغارا .. سيد ما هذا السخف لم نعد صغارا على ما تفعل "

ثم أطلق قهقهته الشهيرة يشارك صاحبه الضحك

***

في اليوم التالي :

فتح باب الغرفة بهدوء وتأمل محتوياتها .. يشعر أنه لم يدخلها منذ زمن طويل .. وغالبا هذا هو شعوره تجاه أشياء وتفاصيل أخرى في حياته منذ أن خرج من غيبوبته منذ شهرين تقريبا .. بل إنه بات يشعر أنه كان في غيبوبة منذ سنوات طويلة وأنه قد استيقظ للتو ..

الغرفة الواسعة تحتلها ثلاثة أسرة .. سريران للتوأمتين وسرير لماجدة .. فتطلع بابتسامة لميري

Des. Maryam Tamim

النائمة بعرض السرير تدلي رأسها الأشقر منه وترفع ساقيها فوق الوسادة ترتدي منامة من شورت وردي حتى منتصف الفخذ وبلوزة بيضاء مرقطة بالوردي حمالاتها عريضة .. أما سرير أنجيل فكان خاليا فخمن أنها في الحمام ..

بينما ماجدة .. مستغرقة في النوم أمامه.

اقترب وائل من سريرها بهدوء يديه في جيب بنطاله البيتي المريح يتفحصها بتركيز .. متجاهلا ذلك الشعور بالغيظ من نفسه الذي ينتابه مؤخرا كلما دقق في تفاصيلها وكأنه يكتشفها .. فلا يدرك سببا وجيها لأن يستمر في متابعتها والتحديق فيها كالأبله ..

كانت مستلقية على بطنها شعرها البني متوسط الطول منكوشا بشكل كان محببا لناظريه ..تأمل ذراعيها الخمريان بفضول والبلوزة ذات الحمالات

Des. Maryam Tamim

العريضة التي ترتديها.. ورسم ظهرها بنظرة ذكورية .. ثم لاحت إلى ذاكرته فجأة صورة شامة وردية اللون على شكل عنقود عنب .. فقطب جبينه يحاول التركيز والتذكر .. ثم مال بجذعه نحوها يحدق في البقعة الوردية التي تظهر من تحت حمالة البلوزة .. ليتأكد إن كانت بالفعل جزء من الشامة التي رآها منذ قليل في ذاكرته ..

تقلبت ماجدة فجأة على ظهرها لكنه لم يجفل ولم يتحرك من وقفته مائل الجذع محدقا فيها بتمعن.. وفي البلوزة التي ارتخت كثيرا من الأمام لتكشف عما تحتها فاتسعت عيناه قليلا ودبت الحرارة في جسده .. وبدلا من أن يستقيم ويتراجع ظل على نفس وضعه يحدق فيها ويطالعها بنظرة ذكورية تقييمية .. ويزداد اشتعال جسده .

Des. Maryam Tamim

تسللت رائحة عطره لأنف ماجدة فأيقظتها معتقدة أنها تحلم.. لتتمطى بطفولية .. فابتسم وائل.

فتحت عينيها ببطء لتجد كشافين أزرقين يحدقان فيها بابتسامة قريبة جدا من وجهها .. فتأملته لثوان تستوعب الحقيقة من الحلم ثم أجفلت مطلقة صرخة مكتومة لا تدري إن كانت صرخة دهشة أم صرخة مفاجأة أن تستيقظ لتجده بهذا القرب.

صرختها المكتومة وانتفاضتها تلملم أطراف البلوزة وتحكم غطاء السرير الخفيف حولها جعل ابتسامته تتسع وهو يعود ليستقيم واقفا مرة أخرى.

Des. Maryam Tamim

نظرت ماجدة حولها بارتباك وضربات قلبها تدق بعنف وقالت " لمَ .. لمَ تقف هكذا هل تريد شيئا؟"

رد بهدوء" لا أجد قالب الزبدة في الثلاجة وأريده لأعد الإفطار "

تكلمت بارتباك " حسنا سأقوم لأحضرها لك "

رفعت ميري شعرها الأشقر مشعثا تقول "لمَ دخلت غرفتنا؟"

رفع حاجبا ورد ببساطة " وهل سأستأذن قبل دخول غرفة من غرف بيتي!"

قالت وهي تعتدل وتستقيم واقفة" لا أقصد لكنك لم تدخل غرفتنا من سنوات طويلة "

لم يعجبه ما قالته وبرغم من هذا ابتلعه ورد " وها أنا قد دخلت " .

[4172]

نظر لمنامتها وقارنها بلون وتفاصيل بلوزة ماجدة الظاهرة من تحت الغطاء.. وقبل أن يعلق وجد أنجيل تخرج من الحمام الملحق لتفاجأ به فابتسمت له لكنها كسرت نظرتها للأرض لتصيبه بتلك الحيرة التي باتت تسيطر عليه كلما تطلع إليها منذ أن استفاق شاعرا أن هذه الفتاة بها أمرا غريبا وترتبك كلما تطلع إليها .. غير مقتنع بما قالوه بأن ما حدث له أصابها بانهيار عصبي .. شاعرا أن هناك أمر آخر يجهله ..

فتح ذراعيه لها فتقدمت نحوه تلف ذراعيها حول جذعه وهي تغمغم " صباح الخير يا أبي "..

استقبلها بابتسامة وطالع المنامة المشابهة لمنامة ميري وبلوزة ماجدة وقال " صباح النور يا عيون البابا هل ترتدون ثلاثتكم منامات متشابهة ؟ "

Des. Maryam Tamim

ردت ميري بابتسامة عريضة " أجل يا أبتاه كنا نقيم ليلة أمس Girls Night"

رد بغباء " نعم !!"

ضحكت أنجيل وهي ترد " ليلة للبنات فقط يا أبي نجتمع ونفعل أمور تخص الإناث فقط "

رفع حاجبا ونظر لماجدة ثم سأل متسليا " أي نوع من الأمور التي تخص الإناث بالضبط ؟"

ضحكت أنجيل برقة ثم ردت " كطلاء أظافرنا أو أقنعة للبشرة .. ثم نتجمع لنشاهد فيلما أو مسرحية أو نحكي حكايات ونرتدي منامات واحدة"

عاود النظر لماجدة التي مازالت منكمشة في السرير متمسكة بالغطاء بشكل أغاظه متسائلا في سره عما إن كانت ترتدي شورتا مثلهما ؟ .. ثم تمتم "جميل"

Des. Maryam Tamim

دخلت ميري الحمام بينما تسمر وائل ببرود ينتظر ماجدة أن تتحرك من السرير .. لكنها كانت مرتبكة ومحرجة .. فتحرك بعد قليل مغادرا للغرفة على مضض لكنه قبل أن يخرج من الباب استرق النظر بطارف عينه لساقها الخمرية العارية وطرف ذلك الشورت الذي يصل لفخذها حين أنزلتها على الارض قبل أن يغادر شاعرا بالحرارة تشتعل في جسده .. مستنكرا ما يحدث معه .

بعد قليل دخلت ماجدة المطبخ لتجده مستندا على إحدى الخزائن يشرب قهوته شاردا عبر النافذة الجانبية ..فابتلعت دموعا في حلقها شاكرة ممتنة لوجوده في البيت .. معترفة بأنها حمقاء ساذجة هبلاء .. وكل الصفات والشتائم التي قد تصفها به كرامتها المجروحة .. لكنها .. صدقا .. تشكر الله على عودته للبيت مرة أخرى .. بل إنها تشكر الله على كل نفس يدخل ويخرج من صدره يبقيه حيا..

Des. Maryam Tamim

التفت إليها يطالعها من رأسها لأخمص قدميها بعد أن بدلت منامتها القصيرة لملابس بيتية من بنطال وبلوزة.. فارتبكت من نظرته التي باتت تلاحقها أينما تحركت .. وانحنت بعد أن فتحت الثلاجة لتحضر قالب الزبدة .. فهرش في شعره وهو يتأمل حركات جسدها باهتمام ذكوري ومجددا تفحص ظهرها بتركيز لترتسم أمامه صورة لشامة وردية على ظهرها من فوق ملابسها.. شامة كعنقود عنب مقلوب يبدأ من كتفها اليمين حتى ضلعها ..

استقامت ماجدة واغلقت الثلاجة ثم وضعت قالب الزبدة في صمت على المنضدة وخرجت .

بعد قليل كان يجلس على المائدة والفتاتان بملابس المدرسة تستعدان لإفطار سريع .. فوضع وائل الأطباق أمامهما لتصفق ميري بفرح بينما قالت

Des. Maryam Tamim

أنجيل " اشتقت لطبق الأومليت الذي تصنعه يا أبي "..

ابتسم في سعادة ثم سأل عن ماجدة ليتوجه إلى غرفة البنات مرة أخرى .. فتح الباب فوجدها أمام حاسوبها المحمول تلوح ابتسامة على وجهها لكنها اختفت حين دخل وحل محلها الارتباك والتساؤل.

قال بهدوء" الإفطار جاهز .."

فحدقت فيه منتظرة أن يتم جملته بـ (يا مريم) .. لكنه صمت وظل محدقا فيها فقالت بارتباك " سأفطر فيما بعد كُل أنت والبنات "

وعادت تنظر لحاسوبها فقال بحزم " الإفطار جاهز والبنات في انتظارنا أنا وانت "

أغلقت حاسوبها وقالت مستسلمة " حسنا سآتي بعد قليل "

Des. Maryam Tamim

تطلع إليها وللحاسوب لثواني .. ثم خرج وهو يشعر بالضيق متسائلا مع من تتحدث على الحاسوب وتبتسم !

بعد قليل جلست ماجدة على طرف المائدة ونظرت لطبق الأومليت فذكرها بذلك اليوم الذي ناداها فيه بمريم .. فابتلعت قطعة منه مع طعم المر في حقلها بينما قالت ميري" سعيدة أننا مجتمعين على الافطار أتمنى أن نجتمع في كل الوجبات "..

نظر إليها وائل مبتسما وقال" سنجتمع كثيرا يا ميري أعدك "

ثم نظر لأنجيل التي ابتسمت له ثم أشاحت بنظرها عنه مجددا .

سألته ميري بفضول " لمَاذا لم تعد تنادي أمي بمريم؟ "

Des. Maryam Tamim



اتسعت عينا ماجدة بينما شحب وجه وائل واتسعت عيناه وهو يقول بصدمة" متى كنت أناديها بمريم ؟؟؟؟؟!!!"

قالت ماجدة بسرعة تغير الموضوع " هيا ستتأخران على المدرسة أسرعا "

تركت الفتاتان المنضدة فسأل وائل بصوت متحشرج " هل كنت أناديها بمريم؟؟!!"

ردت ميري بشك" أجل قبل أن تدخل الغيبوبة لماذا توقفت عن ذلك ؟.. ألم يكن ذلك اسمها الآخر؟؟"

تسمر وائل محدقا في ماجدة بعينين ذاهلتين بينما قالت ماجدة بارتباك وهي تستقيم لتدفعهما برفق "هيا ستتأخران على المدرسة"

ازدادت ضربات قلبه غير مستوعب شاعرا بالارتباك .. وقد بدأ جسده يتعرق بشدة ..



لم يفهم ..

أكان يناديها بمريم !!

متى ؟! وكيف؟! .. ولمَاذا لم تخبره؟!! ..

اندفع نحوها فجأة ليمسكها من مرفقها فأجفلت واتسعت عيناها في توتر .. ليقول وائل باستنكار" لمَاذا لم تخبريني ؟.. لمَاذا لم توضحي لي وقتها أني أفعل ذلك؟؟؟ "

نظرت ماجدة للفتاتين بقلق لا تريد أن يشاهداه بهذا الشكل .. بينما تدخلت ميري صائحة باستنكار " أبي ... ماذا تفعل؟!!"

تجاهلها وائل وهو لا يزال يحاول استيعاب الأمر وقال لماجدة بلهجة خطرة "أخبريني ماذا يحدث؟؟!"

قالت ماجدة للفتاتين بحزم" اذهبا فحافلة المدرسة على وشك الوصول "

Des. Maryam Tamim

حركت ميري نظراتها بينهما بأنفاس متسارعة بينما أنجيل متسمرة تكتم فمها بكفيها في رعب .. أما ماجدة فحاولت التحكم في أعصابها .. تخشى أن تسوء حالته النفسية من جديد فقالت" اهدأ يا وائل ولا تنفعل وسنتحدث .. لكن ليس أمامهما "

ثم ادارت وجهها للفتاتين تقول موبخة "قلت اذهبا"

ضرب وائل على الحائط بجوارها بعنف متحكما في رغبة ألحت عليه في خنقها وهو يصيح منفعلا " هل تجدينني مجنونا !! "

صرخت أنجيل الصغيرة ونزلت تجلس على كعبيها وتخبئ وجهها في كفيها منفجرة في البكاء .. فأجفل وائل وتبادل النظرات مع ماجدة وميري مندهشا من رد فعلها .. ثم انحنى بسرعة يأخذ ابنته بين

Des. Maryam Tamim

ذراعيه نادما على انفعاله وقال " لم يحدث شيء يا بابا إهدئي "

تمسكت أنجيل بملابسه غير قادرة على التحكم في دموعها.. معتقدة أنها سبب كل المشاكل التي تحدث في هذا البيت .. ومرتعبة أن يعرف والدها بما فعلت فيكرهها .

تكلم وائل نادماً " أنا آسف أني انفعلت أنوش سامحيني "

رددت باكية " ظننتك ستضربها "

صعق وائل وارتبك قليلا يرفع نظره لماجدة ثم أمسك بكتفي انجيل لتواجهه وسأل بقلق " وهل فعلت ذلك من قبل؟!! "

حركت أنجيل رأسها نافية .. فشعر ببعض الراحة وأعادها إلى حضنه يطمئنها .. لكنه مازال مصدوما مما سمعه منذ قليل .

Des. Maryam Tamim

بعد ساعة دخل وائل شقته مرة أخرى بعد أن أوصل الفتاتين للمدرسة بعد أن فاتتهم الحافلة .. وبعد أن أقسم لهما واعداً بأنه لن يكون عصبيا في المناقشة مع والدتهم مرة أخرى ..

تطلعت إليه ماجدة في قلق .. وقد توقعت عودته ليسألها عن الموضوع .. ولم تجد بدا كما قالت لها أروى منذ قليل على الهاتف إلا أن ترد على أسئلته بصراحة .. رغم شعورها بالرعب الشديد أن تسوء حالته النفسية مجددا .

بعد قليل من الصمت المترقب قال بهدوء " احكي لي ما حدث بالضبط "

أخذت نفسا عميقا تداري توترها وسألت " ماذا تريد أن تعرف ؟"

رد بعصبية " كل شيء يا ماجدة متى؟ وماذا قلت؟ وكل شيء "

Des. Maryam Tamim

تماسكت وقالت وهي تتحكم في رغبة ملحة في البكاء " متى ؟ .. قبل الغيبوبة بقليل .. كنت تناديني باسمها .. ماذا حدث ؟ لم يحدث شيء سوى ذلك"

شحب وجهه وتألم .. تألم بشدة أن يقوم بأمر قاسي كهذا وسألها بحرج " هل كنت أقوله على سبيل زلة لسان ؟"

تمنى أن تجيبه بنعم .. صلى أن تقول نعم .. فتمتمت ماجدة وهي تنهي الحديث بأقل خسائر " أعتقد هذا "

وتحركت نحو غرفتها .. لكنه لم يقتنع من إجابتها .. فلحقها بسرعة يمسك بمرفقها ويلصقها بالحائط ليسألها منفعلا " كيف علمت أنها ليست زلة لسان؟؟"

ردت بأنفاس لاهثة ترتجف من قربه " قلت لك أعتقد هذا "

Des. Maryam Tamim

تأمل تفاصيل وجهها لثوان ثم قال بلهجة معذبة " أصدقيني القول يا ماجدة أرجوك .. أنا في مرحلة أحاول فيها اكتشاف الكثير عن نفسي .. اشعر أني كنت في غيبوبة لسنوات ولا أعلم ماذا حدث .. ولمَاذا استيقظت؟ "

أطرقت برأسها تتحاشى النظر في عينيه الزرقاوين اللتان تربكانها .. مكتفية بتحمل أعصابها لدفء جسده القريب وقالت بخفوت مستسلمة " كنت تتخيل أنك .. أقصد أنت وهي (وارتجف صوتها بتأثر) متزوجان ولديكما ميري وأنجيل .. وكنت تعاملني وفقا لهذا التخيل"

ساد صمت ثقيل بينهما .. وبلع ريقه بصعوبة يحاول التذكر مذهولا .. فرفعت إليه وجهها في قلق تراقب رد فعله وتدعو الله أن يتلقى الحقيقة دون انتكاسات .. تعبير الألم المرتسم على وجهه جعلها

Des. Maryam Tamim

تشفق عليه .. لكنها لم تجد ما تقوله لتخفف عنه .. وصوت بداخلها يوبخها لأنها مازالت تهتم لأمره .

شعوره بالألم مما فعل جعله يقبض على ذراعها بعنف ليقول صائحاً " لمَاذا لم تواجهيني وقتها ؟.. لمَ تحملت مني هذا ؟.. لمَاذا لم تصفعيني على وجهي حينها لأستفيق ؟؟!!.. "

صرخت دون تفكير وهي تحدق في عينيه " لأنك كنت سعيدا بوجودها .. لأني كنت أشعر بالرعب أن اواجهك بالحقيقة فتنتكس حالتك .. لأني لن أستطيع تحمل أن أراك مجددا في مصحة نفسية بعد أن استقرت حالتك .. لأن البنات بحاجة إليك في حياتهم "

تركها وتراجع للخلف بأنفاس متسارعة .. وكسى وجهه ملامح غامضة .. ثم استدار هاربا يخرج من البيت .. فتملكها الرعب .. وجرت بسرعة تمسك بذراعه وهي تقول بتوسل " وائل أرجوك .. أرجوك

Des. Maryam Tamim

لا تأخذ كل الأمور على أعصابك .. البنات بحاجة إليك "

أدار وجهه يتأملها قليلا .. ونظرات التوسل والقلق تملأ عيناها .. والآلام المبرحة في صدره تزداد .. فسحب ذراعه من يدها بهدوء وغمغم بصوت مبحوح " لا تقلقي .. لن ألجأ للمهدئات هذه المرة .. وإن كنت أحتاجها الآن .. أحتاجها وبشدة "

ثم خرج وأغلق الباب خلفه .. فاستدارت حولها لا تعرف ماذا تفعل ؟.. فجرت إلى هاتفها تطلب أمير فلم يرد .. حاولت بإلحاح لكنه لم يرد .. فاتصلت كريستين التي أخبرتها أن أمير يلقي محاضرة في الكلية في هذا الوقت لهذا لا يرد على الهاتف .. فأغلقت الخط لتسرع بالبحث عن رقم آخر لتتصل به .. فاختارت أحمد الأقرب في المسافة داعية الله ألا يكون قد ذهب لعمله .

Des. Maryam Tamim

حين رد قالت باكية " أحمد أرجوك .. وائل خرج غاضبا وأنا لا أعرف ماذا أفعل "

***

خرج أحمد مسرعاً للشارع بعد مكالمة ماجدة ونظر في كل الاتجاهات .. ثم أسرع نحو المكان الذي يركن فيه سيارته في الساحة المجاورة للمقهى فوجد السيارة مكانها .. تلفت حوله ثم وجد طأطأ أمام المقهى فسأله بقلق " هل رأيت وائل منذ قليل؟ "

رد طأطأ مشيرا لأعلى " صعد للخن منذ دقائق "

شعر أحمد بالراحة وصعد للخن يتفقده ليجد الباب موصدا من الداخل فعاوده الشعور بالقلق متسائلا عن حالته بالضبط .

Des. Maryam Tamim

طرق الباب يقول بهدوء مصطنع " وائل افتح من فضلك .. وائل هل أنت بخير .. ارجوك افتح وطمئنا "

صرخ وائل غاضبا " أنا بخير لا تقلقوا أتركوني وحدي .. أتركوني ولا تخافوا لن أتناول المهدئات ولن أقطع شراييني ولن أفعل ما يؤلمكم .. أعلم أنكم حملتموني فوق ظهوركم سنينا طويلة .. أعلم ذلك جيدا الآن .. لذا لن أفعلها شفقة بكم أنتم "

ثم أطرق برأسه يدفنها بين يديه يحاول تنظيم نفسه والسيطرة على تلك الآلام المبرحة في صدره .. في انتظار موعد الطبيب النفسي الذي لم يفتح عيادته بعد ويتمنى لو يستطيع أن يخفف ذلك الوجع الذي يشعر به ..

لكنه فوق طاقة الاحتمال .. الأفكار تتسارع في رأسه والمشاهد تتزاحم في مخيلته .. وكلام ماجدة

يطارده " لأنك كنت سعيدا بوجودها .. لأني كنت أشعر بالرعب أن أواجهك بالحقيقة فتنتكس حالتك .. لأني لن أستطيع تحمل أن أراك مجددا في مصحة نفسية بعد أن استقرت حالتك .. لأن البنات بحاجة إليك في حياتهم"

وحديث آخر بنفس المعنى يذكره لكنه لا يذكر التفاصيل .. يذكر أنه كان هنا .. هنا في الخن ..

رفع رأسه يتطلع حوله وتذكر أن ماجدة كانت .. تقف وتتحدث مع سيد هنا في الخن .. تطلب منه أنه يتركه وشأنه مادام سعيداً .. ويذكر الآن صدمته وقتها .. وكم الاستحقار الذي شعر به تجاه نفسه .. فتدفقت كلماتها تضعه أمام نفسه مرة أخرى بعد تلك الليلة التي لم يستطع فيها تحمل الألم والصدمة ومشاعر أخرى بالخزي تجاه نفسه..

Des. Maryam Tamim



تدفقت كلماتها في ذاكرته :

"حين تدرك أنك كنت على وشك فقدان شخص مهما في حياتك .. ويُمنح فرصة ثانية للحياة .. ويخبرك الطبيب أن جسده يستجيب للعلاج .. فسترضى بقدر من الهلاوس لن تضير أحدا وتحمد ربك .. ليس هذا فقط بل إنه سعيد .. وهذا أهم ما في الأمر .. أريت! .. كنا سنفقده فإذا بنا نُمنح فرصة ثانية لوجوده بجانب بناته بل إنه سعيد أيضا.. أتتوقع أني قد افرط فيها وأضع أبا بناتي في مصحة نفسية !! .. كيف سيكون وقع ذلك على البنات وقد كبروا واصبحوا يفهمون كل شيء ؟؟!! .. وكيف سيكون وقع ذلك على والدته وقد تقدم بها العمر وأكلها الحزن على ولدها سنينا طويلة ؟ .. وكيف سيكون وقع ذلك على وائل نفسه ؟ .. إنه لا يحب الطب النفسي ولا المصحات .. ماذا تتوقع منه أن يفعل .. ماذا لو ساءت حالته النفسية فوقع مرة أخرى مريضا للسرطان ؟.. "

[4191]





"أنا أرجوك يا سيد اتركه يشعر ببعض السعادة .. اتركه يعيش العالم الذي سُرق منه يوما.. دعه يعيشه ولو في الخيال"

شعر وائل بالخوف الشديد وهو يستعيد هذه الكلمات على لسانها .. وحقيقة ما كان يفعله بها دون أن يدري ..

شعر بالخوف حين أدرك أنه على حافة الجنون .. إن لم يكن قد أصيب به بالفعل ..

لكن أسوأ ما في الأمر شعور رهيب بالذنب تجاهها يمزقه .. فأخذ يضرب رأسه بيديه يتمتم " ماذا يحدث .. أيهما وهما وأيهما حقيقة .. من هي ماجدة بالضبط؟ .. ومن هي مريم؟ .. ومن أنا؟؟؟

.. هل أنا وائل ؟؟ .. أم شخصاً آخر يشاهد ما يفعله وائل؟؟ ..

من أنا؟؟ "

***

نزل أحمد من الخن ووقف أمام المقهى قلقا من أن يترك وائل في الخن .. بعدما أتصل بسيد وعمرو وأخبرهم .. فلمح الحاج سماحة يقف أمام سيارته تتحرك حبات السبحة في يده بعصبية وهو ينظر بامتعاض لبرقوق الواقف أمامه يحدثه.. فاقترب منهما يحاول أن يفهم ماذا يفعل برقوق بالضبط .

كان برقوق يقول " ولهذا لا أجد سببا لأن ترفض الشاب .. صحيح أنه ضخم ومخيف .. لكني متأكد أنه طيب القلب وسيعاملها برفق .. إنه كما سمعت يعرفها منذ أن كانت طفلة صغيرة .. ولا أجد في

Des. Maryam Tamim

فارق العمر سببا وجيها لأن ترفض طلبه .. الكثير من الزيجات يكون الفارق بين الزوج والزوجة كبيرا .. تحدث كثيرا .. كما أنني أتعجب أن تكون متعلماً ويُشهد لك بالمعرفة والحكمة وترفض الشاب لأنه سبق له الزواج .. أي هراء هذا! .. نحن الآباء يهمنا أن يعيش أولادنا سعداء .. فإن كانت الفتاة ليس لديها مانع أنه مطلق فلمَاذا تضع أنت المانع لا أفهم .. أما عن موضوع والده فصدقني.. يخلق من ظهر العالم فاسد ويخلق من ظهر النتن رجلا .. أليس هذا الولد ربيبك ! "

تبادل أحمد ووالده النظرات وقد شعر أحمد أن والده سيفقد أعصابه .. فتنحنح مناديا برقوق بحزم " برقوق.. تعال أريدك "

Des. Maryam Tamim

تحرك برقوق من وقفته المسترخية أمام الحاج يقول وهو يتحرك نحو أحمد " فكر في كلامي وأعد حساباتك ولن تندم " .

لحق برقوق بأحمد يهديه ابتسامته السمجة بينما قال أحمد بخفوت من بين أسنانه " ماذا تفعل بالضبط ؟!"

رد برقوق يحرك كتفيه ببساطة " أختصر عليكم الطريق بدلا من أن تحركوا أهل الحي لإقناع والدك حاولت أن أقنعه أنا وأوفر عليكم ما تخططون لحدوثه يوم الجمعة "

جز أحمد على أسنانه ورد " من الذي يخطط لا أفهم ؟"

رد برقوق " أنت وأصدقاءك "

حدق فيه أحمد .. فأكمل برقوق وهو يغمز بعينه " أنا لم يدخل رأسي أن ذلك الضخم يفعل أمرا هو

Des. Maryam Tamim

وصديقكم العائد من الغيبوبة دون علمك .. أنا أعلم أنكم حتى في الخصام لا تفترقون .. (وحرك رأسه متباهيا) لهذا فهمتها وحدي "

سأله أحمد مستخفاً " فهمت ماذا ؟"

رد برقوق بابتسامة منتصرة " أنك تعلم بما يدور وتخطط معهم لتقنع والدك الرافض لزواج الفتاة من ذلك الضخم .. لذا قررت أن أساعدكم "

جز أحمد على أسنانه وقال " شكرا يا برقوق على خدماتك .. (ثم أضاف محذرا) لا تتدخل في هذا الأمر .. وأبي لن يقتنع إلا إذا توسط عنده أهل الشارع .. من فضلك لا تحشر أنفك مجددا وعد إلى غرفتك "

طالعه برقوق بامتعاض فأشار له أحمد بسبابة محذرا يحدجه بنظرة خطرة ثم تركه .. بينما مط

Des. Maryam Tamim

برقوق شفتيه قليلا ليحدث نفسه بحيرة " هناك أمر غير منطقي في هذا الموضوع لكني غير قادر على وضع يدي عليه "

بعد قليل كان سيد يخرج من المقهى لصاحبيه أحمد وعمرو الواقفان في الشارع بقلق يقول " لا يريد أن يفتح الباب ويريد أن ينفرد بنفسه .. لكنه هادئ وواعي الحمد لله "

سأل عمرو بوجوم " هل تعتقدا أن حالته قد تسوء؟ .. أنا أراه أفضل بكثير منذ أن خرج من المستشفى والتزم بزيارة طبيبه النفسي "

رد سيد بشرود " أعتقد أن الأمر مجرد صدمة لمعرفته لما كان يفعل دون أن يدري .. لكني متفائل إن شاء الله أنه لن يعود للوراء مجددا "

Des. Maryam Tamim

نظر عمرو في ساعته وقال " تأخرت كثيرا عن العمل "

فقال سيد " اذهبا لعملكما وأنا سأبقى بجواره حتى يحين موعد عيادة طبيبه وسأطمئنكما "

فجأة سمعا صرخة قوية مستغيثة .. فالتفتوا نحو الصوت ليجدوا برقوق يقف بجوار غرفته يلتصق بالحائط ويصرخ برعب بينما عدد من الرجال بحلات رسمية يقفون أمامه .

هرول الثلاثة بسرعة نحوه ووقف أحمد متحفزا أمام برقوق يواجه الرجل الذي كان يتحدث معه .. بينما أمسك سيد رجلين منهم من ياقتيهما ودفع عمرو الشخص الثالث بعيدا عن برقوق .

صاح أحمد بصرامة " ماذا تريدون منه ؟"

Des. Maryam Tamim

بدا الرعب على وجه الأربعة وتكلم الرجل الذي كان يحدث برقوق " نريد أن نتحدث مع السيد نبيل الحسيني " .

صاح برقوق بجنون وهو يخرج من وراء أحمد " ماذا تريدون؟ .. ماذا تريدون مني ؟.. لقد تركت لكم كل شيء " .

ترك سيد ياقتي الرجلين بعد أن شعر أنهما ليسا خطرين بينما تكلم عمرو قائلا " من أنتم ؟ وماذا تريدون بالضبط من عم برقوق ؟" .

صاح برقوق " تركت كل شيء كل شيء "

هدر أحمد فيه بحزم " اصمت لنفهم يا برقوق ولا تخف (ونظر للرجال بنظرة خطرة وقال) لن يستطيع أحد منهم لمسك "

Des. Maryam Tamim

أمسك الرجل بمنديله يجفف عرقه وقال مطمئنا " لم نأتي قاصدين الشر .. نريد أن نتكلم مع السيد نبيل بشأن ولده طارق "

جن جنون برقوق وصاح منفعلا وقد تجمع الناس يشاهدون بفضول ما يحدث " ماذا يريد مني .. أنا تركت له كل شيء .. حتى إسمي تركته .. هل يريد أن يأخذ مكاني هذا أيضا (وضرب على حائط غرفته بعنف) هل أرسلكم ليأخذ مكاني هذا أم يطمع في المزيد من النقود "

وأخرج من جيبه عملات معدنية كثيرة ألقاها أمامهم في الأرض ..

تدخل عمرو يهدئه "اهدأ يا عم برقوق .. اهدأ ولا تخشى شيئا نحن معك "

أضاف أحمد بحزم " اهدأ يا برقوق لنفهم ماذا يريدون "

Des. Maryam Tamim

صاح سيد في الرجال بعدم صبر" تكلموا عن سبب مجيئكم بسرعة فأنا لست صبورا " .

قال الرجل المتحدث بالنيابة عنهم وهو يوزع على ثلاثتهم بطاقة تعريفية " أنا شاكر حسن المحامي .. وجئنا لنبحث عن السيد نبيل الحسيني .. لنبلغه (وصمت قليلا يبتلع ريقه ثم أكمل) .. البقاء لله "

حدق فيه برقوق قليلا .. فتدخل أحمد يقول " من مات ؟"

نظر شاكر لبرقوق وقال " ابنك طارق نبيل الحسيني توفي أمس في حادث .. انقلبت به سيارته هو وزوجته .. وللأسف ماتا .. البقاء لله"

حوقل عمرو وتمتم " إنا لله وإنا إليه راجعون "

Des. Maryam Tamim

بينما نظر أحمد لبرقوق الذي كان يحدق فيهم ذاهلا غير مستوعبا.. فأكمل المحامي بلهجة عملية " السيد طارق ليس لديه أقارب من الدرجة الأولى سوى السيد نبيل لذا سنحتاجه لينهي معنا إجراءات الدفن و .. (نظر لبرقوق وأكمل) واستلام كل أموال وممتلكات وأعمال السيد طارق"

علت الهمهمات من المراقبين من أهل الحي وخرجت عبارات آسفة ومحوقلة ومصدومة مما يقال .. وأنه بالفعل رجلا ثريا كما كان يخبرهم من قبل ..

أما برقوق فجلس القرفصاء يحتضن ركبتيه في صمت يحدق في الأرض بعينين متسعتين وهو يرتجف ..

تبادل الأصدقاء الثلاثة النظرات ثم انحنى أحمد بجذعه يقول " برقوق .. أقصد نبيل .. هل أنت بخير؟ .. هل تستوعب ما قالوه ؟" .

[4202]

ظل برقوق صامتا لعدة دقائق ثم رفع وجهه لأحمد يحدق فيه بنظرات ذاهلة وقال " أنا تركت له كل شيء ليشبع .. فإذا به يغادر الدنيا قبلي "

أشفق أحمد عليه ولم يجد ما يقوله بينما أطرق برقوق برأسه يحدق أمامه.. ثم رفع عينين تترقرق فيهما الدموع لأحمد يسأله " هل يقبل الله من الآباء دعواتهم على أبنائهم !"

***

بعد ساعات كان يجلس وائل أمام الطبيب يسأله " لمَاذا قالت ذلك ؟ .. لمَاذا لم تكرهني ؟!! .. عليها أن تكرهني بعد كل ما فعلته بها "

سأله الطبيب بهدوء " وماذا فعلت بها؟"

Des. Maryam Tamim

صمت وائل قليلا يبتلع ريقه ويحدق في الأرض شاردا ثم قال " ناديتها باسم امرأة أخرى .. (وهمس غير مصدقا) أي سفاح أنا !! .. أي سفاح أنا !! "

أخذ يفرك جيبنه بيد مرتعشة فسأله الطبيب " هل تتألم من أجل هذه الحقيقة ؟ ".

رفع إليه وائل عينين حمراوين معذبتين وقال بخفوت متأثر " جدا .. أتألم جدا "

صمت الطبيب قليلا ثم قال " ألا ترى معي أن هذا يعد تناقضا ؟!"

حدق فيه وائل وسأل متحفزا " أي تناقض ؟"

رد الطبيب " أن تتألم كل هذا الألم لأنك ناديتها باسم امرأة ماتت.. وفي نفس الوقت تتعامل معها كمدبرة منزلك دون أي اعتبارات لإنسانيتها كامرأة متزوجة !"

Des. Maryam Tamim

صمت وائل قليلا يتطلع في الطبيب ثم رد بهدوء " لأنتقم "

سأله " ممن تنتقم بالضبط حدد لي ؟ .. منها ؟ ..أم من والدتها ... (وضغط على الحروف) التي ماتت ؟"

تطلع إليه وائل صامتا يبحث عن إجابه منطقية فسأله الطبيب " أيهما أقسى في رأيك يا وائل .. أن تناديها باسم امرأة أخرى .. أم تحرمها كل هذا العمر من أنوثتها .. وتجعلها تعيش مع شبح امرأة ماتت؟"

لم يرد وائل .. فأكمل الطبيب متنهداً " أنا أرى ما دمت تنتقم منها .. إذن هذا الشعور المتألم من الحقيقة التي اكتشفتها اليوم والتي اكتشفتها ليلة أن تناولت المهدئات ودخلت في الغيبوبة ليس له معنى فأنت تنتقم منها .. لذا لا أرى مبررا لآلامك الآن .. فاستمر في انتقامك " .

ابتلع وائل ريقه بصعوبة وتمتم بنظرة ذاهلة " أنا أنتقم من أمها ومنهم جميعا" .

قال الطبيب يستفزه بهدوء " انتقام قاسي بالفعل !! .. إنهم يتعذبون الآن بانتقامك من ماجدة "

نجح الطبيب في استفزازه ليترك القناع اللامبالي حين رد وائل بارتباك وهو يحك جبينه بيد مرتعشة " أنا لا أعرف شيئا .. أنا (وأكمل صائحا بانفعال) انا جئت إليك أنت لتخبرني .. لتدلني ..لتساعدني حتى أعرف نفسي .. وماذا أريد "

رد الطبيب بهدوء " إذن عليك أن تساعدني بالبحث في ذاتك "

قال وائل بصوت مرتعش " أنا ضائع كما ترى .. هناك أمور لا أفهمها .. وأمور أكتشفها تباعا منذ أن استيقظت من تلك الغيبوبة الغريبة .. وكل ما اكتشفته يدينني .. عشت دهرا أرى نفسي مظلوماً ولازلت... لكني اكتشفت نفسي فجأة ظالما "

Des. Maryam Tamim

سأله الطبيب " ظالما لمن ؟"..

رد وائل بأنفاس متسارعة من التوتر " ظالما لبناتي اللاتي كنت أفكر في تركهن .. ندلا مع أصدقائي اللذين حملوني على أكتافهم خلال مشواري معهم وأنا كسيح .. ناشدتهم كثيرا أن يتركوني ويكملوا لكنهم رفضوا ..(صمت قليلا واختنق صوته بالبكاء وأكمل) حين مرضت بالسرطان كانوا بجانبي .. حين دخلت في الغيبوبة لم يتركوني ثانية .. (نزلت دموع وائل وهو يكمل) وفي المقابل ماذا فعلت أنا سوى الانسحاب المستمر ".

تكلم الطبيب وهو يطرق على الأوراق أمامه برأس القلم " أنت وصلت لنقطة جيدة يا وائل من رؤية الأمور بمنطقية وهذا أمر مبشر جدا .. لكن .. (صمت قليلا يراقب ملامحه المترقبة وأكمل وهو يضغط على الحروف) ألا ترى أنك تتعمد أن تتجاهل شخصا معينا ؟ " .

Des. Maryam Tamim

رفع إليه وائل أنظاره شاردا ولم يجيب ..فقال الطبيب يلملم أوراقه " دعنا نتوقف عند هذا القدر اليوم"

قال وائل بسرعة " لا "

نظرا إليه الطبيب يستوعب .. فأكمل وائل" لم أنتهي من الكلام بعد "

سأله الطبيب " ماذا تريد أن تقول ؟"

حدق وائل في الأرض شاردا وقال " لا أعرف لكني أريد أن أتكلم"

أعاد الطبيب نظارته على عينيه ونظر في الأوراق أمامه التي يدون فيها ملاحظاته وقال " حسنا دعنا نسرد بعض الحقائق التي تقتنع أنت بها .. أولا تعترف بما فعله أصدقائك من أجلك .. تعترف بانك قصرت في حياة بناتك وقتا طويلا ولم تكن لهما أبدا الأب الذي يستحقونه .. تعترف أنك

Des. Maryam Tamim

قصرت في حق والدتك .. واليوم تألمت من أجل ماجدة لما عرفته اليوم وما تذكرته عن ليلة الغيبوبة " ..

صمت قليلا ثم أكمل وهو يبحث في ملاحظاته " ولم تعد ترى مريم منذ أن استيقظت من الغيبوبة (وحدق فيه من فوق نظارته ليتأكد من المعلومة)"

فرد وائل باقتضاب مؤكدا " أجل لم أعد أراها"

فأكمل الطبيب " ومريم التي كنت تراها من قبل ليست مريم الحقيقية .. بل بشكل ذو ملامح مختلفة (ورفع إليه عيناه من فوق النظارة وضغط على الحروف) ملامحها قريبة الشبه من مَن ؟ .. من ماجدة مثلا ؟"

أرتبك وائل ورد باقتضاب " غير متأكد "

Des. Maryam Tamim

فعاد الطبيب للأوراق أمامه وأخذ يخط أشكالا بالقلم ثم قال " ولا ترى مشكلة في أن تمنع نفسك عن زوجتك التي حللها الله لك وألا تشعر بأي مشاعر ذكورية تجاهها لسنوات طويلة (ورفع أنظاره مرة أخرى يتطلع إليه من فوق النظارة) أمازلت لا تشعر بأي مشاعر ذكورية تجاهها؟"

احمر وجه وائل وبدا عليه الحرج وتمتم وهو يحك جبينه " منذ أن استيقظت من الغيبوبة وشعوري بها مختلف "

سأله الطبيب بهدوء" كيف مختلف ؟ هل تشعر بانجذاب جسدي لها مؤخرا ؟"

تنحنح وائل وأومأ برأسه في حرج .. فسأله الطبيب " وكيف هو شعورك تجاه هذا الانجذاب؟"

رد وائل هاربا " لا أعرف "

Des. Maryam Tamim

فسأله الطبيب " كيف لا تعرف ؟"

رد وائل بعصبية " لا أعرف .. لا أعرف أنا مرتبك وعاجز عن تفسير القديم والحديث .. عاجز عن تفسير كل شيء "

كتب الطبيب بعض الكلمات ثم قال متنهدا" أنا أرى أن مفتاح كافة الأمور الغامضة في حياتك يتعلق بشخصية ماجدة نفسها يا وائل .. عليك بالتركيز على شعورك نحو ماجدة .. وتجريد نفسك من كافة الظروف والأشخاص المحيطين بها .."

حدق فيه وائل فأكمل الطبيب " ماجدة وحدها .. خذها في تفكيرك لجزيرة منعزلة وحدد شعورك نحوها ..(وصمت قليلا ينظر في الأوراق ثم رسم دائرة وهو يقول) وأرى أن مثلث برمودا الغامض في حياتك تكمن عقدته في ذلك الأسبوع الذي أقمت فيه معها بعد الزواج..(وصمت قليلا يتأمل

Des. Maryam Tamim

ملامحه ثم قال) أمازلت لا تذكر تفاصيل ليلة زفافك بماجدة ؟" .

رد وائل باستنكار " وهل تعتقد أني إذا تذكرتها سأخبرك بتفاصيل علاقتي الخاصة مع زوجتي!!"

رد الطبيب بهدوء " أنا لم أطلب منك أن تخبرني بتفاصيل خاصة مع (ضغط على الحروف) زوجتك .. أنا أريد أن أعرف كيف سار الأمر؟ .. كيف كان شعورك ؟.. هل كانت هناك أحداثا مهمة حدثت في تلك الفترة ؟"

قطب وائل جبينه متعجباً ألا يملك أي شيء في ذاكرته عن ليلة زفافه .. بينما لملم الطبيب الأوراق لإنهاء الجلسة وهو يقول " هذا هو واجبك المنزلي حاول أن تتذكر تفاصيل تلك الليلة"

Des. Maryam Tamim

رد وائل بانزعاج " وإن فشلت ؟"

قال الطبيب " ابذل مجهودا ودعنا نرى .. وسأعطيك بعض الأمور لتفكر فيها .. أو بعض المفاتيح ربما ساعدتك .. امرأة بشعر طويل .. عقدة ذنب .."

هم وائل بقول " شامة على شكل عنقود عنب " لكنه تراجع وأطبق فمه .. فسأله الطبيب " أردت أن تضيف شيئا ؟"

رد وائل " لا ... أقصد نعم .. لكنه خاص بماجدة لن استطيع الحديث عنه "

تكلم الطبيب وهو ينهي المقابلة " جميل هذه الخصوصية التي تحرص عليها بشأنها .. كنت أعتقد أنك غير مهتم بها ! "

قطب وائل جبينه مفكرا فيما قال ثم سلم عليه مغادرا وقد زاده كلام الطبيب حيرة .

Des. Maryam Tamim

***

في المساء :

خرج وائل من المبنى الذي تقع فيه شقة والدته ليدخل المبني المجاور له والذي تقع فيه شقته ووقف ينتظر المصعد وهو يتحدث مع أحمد على الهاتف قائلا " إذن سافرت وحدك مع برقوق؟ "

رد أحمد " أجل عمرو كان لديه اجتماعا هاما بالشركة لم يستطيع الاعتذار وسيد كان معك .. هل مازال موجوداً معك ؟"

قال وائل " تركني منذ قليل عائدا لشقته فالوقت قد تأخر وأخته في هذه الشقة الفارغة وحدها "

سأله أحمد " وكيف حالك الآن ؟

تنهد ثم قال " أنا بخير لا تقلقوا "

Des. Maryam Tamim

قال أحمد " وائل .. أنت لا تعلم كم هي سعادتنا بعودتك وتعلم أننا على استعداد لتقديم أي شيء لمساعدتك فلا تحمل هما لأي شيء .. صدقني أنا من بعد ما رأيت وسمعت عن قصص خلفتها الحرب في زيارتي لبلد بانة ورأيت كيف أن الناس هناك مصرين على المواصلة .. مصرّين على التمسك بالحياة.. تغير بداخلي الكثير .. شعرت بأن عليّ أن أكون أكثر صلابة لمواجهة الأقدار والإحباطات والابتلاءات .. وأنت أيضا يا صديقي لن أقول لك لا تتوجع لكن أقول أوجد ما يسكن آلامك المزمنة بشكل يدفعك للمواصلة لا التقهقر للخلف "

تنهد وائل وقال " وهذا ما أحاول أن أفعله حاليا بكل جهدي .. أعدكم أن أحاول بجدية هذه المرة "

Des. Maryam Tamim

صمت قليلا ثم سأله يغير الموضوع " متى عدت من تلك المدينة إذن ؟ "

رد أحمد " عدت منذ ساعة تقريبا .. حضرت مراسم الدفن وجانبا من العزاء وتركته وعدت"

سأله وائل " وكيف كان وقع الخبر عليه ؟"

بدا التعاطف في صوت أحمد وقال" الحقيقة كان حاله يرثى له وأتعجب أن يشعر بذلك بعد كل ما فعله ابنه به .. فقلت لنفسي أنا لم أجرب عاطفة الأبوة بعد.. لكن من الواضح أن الأمر مفجع أكثر من أي شيء أن يموت ابنك في حياتك ".

لاحت صورة والدته أنجيل إلى ذهنه وهو يستمع لأحمد فأشفق عليها ثم صورة بناته فارتعش جسده بينما أحمد يقول " الحقيقة كان مفجوعا المسكين "

Des. Maryam Tamim

قال وائل " إذن هو ثري بالفعل "

ضحك أحمد ورد " إنه تاجر كبير في مدينته ويمتلك الكثير بالفعل .. وعاد كل شيء إليه بموت ابنه سبحان الله "

تنهد وائل يشعر بالضيق ثم قال ينهي المكالمة " اذهب الآن يا أحمد واسترح صوتك يبدو مرهقا عظم الله أجرك .. تصبح على خير " .

دخل وائل مرهقا إلى شقته لتستقبله الفتاتان بتوجس تحاولان قراءة ملامحه .. فبادرهما بابتسامة مطمئنة .. وتطلع لماجدة التي كانت كالعادة تحدق في حاسوبها وتركته جانبا لتطالعه بقلق وتسأله " هل تحب أن تأكل شيئا؟"

Des. Maryam Tamim

رد بلا باقتضاب وتحرك في صامت نحو غرفته فابتسمت ماجدة للفتاتين محاولة للتبرير" يبدو أنه مرهقا "

يتملكها شعور بالراحة لعودته .. فقد قضت نهارا قلقا لم تكف عن الاتصال بسيد لتطمئن على وائل .. حتى انتزع وائل منه الهاتف وصاح فيها منفعلا أن تكف عن الاتصال بسيد وحين تريد الاطمئنان عليه تتصل على هاتفه الشخصي ..

ولم تفهم لمَاذا انفعل؟ .. لكنها وبخت نفسها أن اقتربت أكثر وأزعجته .. فقررت أن تعود للانزواء مجددا .

سألتها ميري " هل من الممكن أن يعود السرطان لأبي مرة أخرى؟"

صاحت فيها أنجيل برعب " ما هذه السيرة ؟؟"

Des. Maryam Tamim

ردت ميري " أنا أسأل عن حقيقة الأمر لأني قرأت على الانترنت كلاما كثيرا "

زفرت ماجدة وبلعت غصة مسننة في حلقها وقالت " كل شيء وارد للأسف لكن أملنا في الله كبير أن يحفظه .. سيخضع لفحص دوري ونتمنى من الله السلامة "

أطرقت الفتاتان برأسيهما في حزن .. فقالت ماجدة لتغير الموضوع" هيا فلنذهب لغرفتنا ولنستعد للنوم .."

في غرفته وضع وائل شيئا على السرير ثم بدل ملابسه ليلتقطه مجددا ويفتحه .

كان ألبوما للصور .. فقد مر على والدته وطلب منها .. صورا لليلة زفافه بماجدة ..

Des. Maryam Tamim

تطلع للصور أمامه .. ولاحظ من الوهلة الأولى أن أمه قد قصقصت أجزاء من الصور .. فخمن أنها أزالت ما يخص والدة ماجدة منها فأراحه ذلك كثيرا .

تأمل ماجدة عروسا .. لم تختلف كثيرا عن الآن إلا من تصفيفة الشعر العالية المثبت فيها والذي تفاجأ بعدها أنه شعرها الحقيقي ..

شرد قليلا وتذكر أنها كانت بشعر طويل .. طويل حتى أخر ظهرها .. وكانت قبل ليلة زفافها دائما تجدله لضفائر .. لم يراها أبدا بدونها .. ليتفاجأ بشعرها هذا في ليلة الزفاف. .

حاول تذكر ليلة الزفاف .. لكنه فشل .. فاقتنع بما قاله الطبيب أن الأمر غير منطقيا .. حتى لو كان يكره ماجدة .. كيف ينسى تفاصيل معاشرته لأم بناته !! .

هل يكرهها حقا ؟ ..

هل تكره ماجدة يا وائل ؟ ..

سؤال ألح عليه بإصرار .. لكنه فشل في أن يجد له إجابة واضحة ..

ما هذه الدوامة من الأفكار ؟؟ ولم هو بالذات واقعا فيها ؟ !!

خرج بعد قليل من غرفته شاردا إلى المطبخ ليحضر زجاجة ماء من الثلاجة .. ليتفاجأ بماجدة تقف مبتسمة تتطلع في هاتفها ويبدو أنها تدردش مع أحدهم .

انتبهت لوجوده فأغلقت الهاتف متفاجئة وقالت" هل تريد شيئا ؟ "

ماجدة تتحدث مع شخص ما ..

تتحدث إليه من حاسوبها وهاتفها ..

[4221]

هذا ما ورد لذهنه لحظتها فبدأ الشك يشعل نارا في صدره .

قال باقتضاب" جئت لأشرب .. ماذا تفعلين أنت هنا ؟ "

أشارت له في صمت للكوب في يدها فقال بتلقائية " أمازلت تحبين الشيكولاتة الساخنة ؟"

تطلعت إليه وتمتمت باندهاش " أمازلت تذكر؟"

انتبه لما قال .. وحك جبينه بيده وهو يتمتم " يبدو ذلك (ثم نظر إليها بعينيه الزرقاوين وتمتم) هل تسكبين لي القليل؟ ".

ارتبكت من نظرته .. ومن الطريقة التي طلب بها فاستدارت تبحث عن كوب آخر وفتحت الخزانة العلوية بسرعة لتنخلع إحدى مفصلات الباب ويسقط نحوها ..

اندفع وائل بسرعة يهتف بجزع " احترسي " ليستقر بعد ثوان خلفها تماما ساندا باب الخزانة بيده قبل أن يسقط فوقها .

تسارعت ضربات قلبها بعنف من المفاجأة ومن شعورها بدفء جسده القريب جدا فتسمرت مكانها غير قادرة على الحركة منتظرة أن يبتعد قليلا لتستدير لكنه لم يفعل .. بل ظل واقفا لدقيقة واحساسه بقربها يغزوه ويشعره بدفء غريب رغم أنه لم يلمسها .. ثم قال ساخرا بأنفاس ساخنة" هل تتدربين على ألعاب القوى هذه الأيام ؟ .. لقد خلعت الباب !!"

اشتعلت وجنتاها وردت بتأتأة " مفصلة باب الخزانة كانت مكسورة .. ولم .. ولم يجد أمير وقتا ليمر ويصلحها " .

Des. Maryam Tamim

عبارتها طعنته في كرامته .. أشعرته أنها بلا رجل في حياتها .. لكنه يعلم أنها محقة فيما قالت.. فتكلم بهدوء " سأقوم بتصليحه في الصباح".

وقام بخلع الباب .. لكنه ظل متسمرا يشعر بارتباكها وقد تشبثت بالحوض المعدني أمامها بقوة فقال لها بأنفاس ثقيلة "أين الشيكولاتة الساخنة ؟"

تمتمت بتأتأة دغدغت مشاعره " إببببتعد قليلا حتى أمر .. "

تراجع للخلف مبتسما .. ووضع باب الخزانة أرضا .. فقامت بصب بعضا من الشيكولاتة في الكوب بأيد مرتعشة .. ثم غمغمت وهي تهرب من المطبخ " ها هو كوبك سأذهب إلى غرفتي تصبح على خير "

أسرعت لغرفة البنات وأغلقت الباب خلفها تهدئ من ضربات قلبها وتنظم نفسها .. متسائلة عما

Des. Maryam Tamim

يحدث معه .. ولمَ بات يتعمد الاقتراب منها بهذا الشكل المربك .. هل يعتقدها مريم أم ماذا ؟

طرقة هادئة على باب الغرفة جعلها تقفز من وراء الباب لتقول " من ؟ "

رد باستنكار " من ؟؟!! "

شعرت بحماقتها .. فضربت على جبهتها توبخ نفسها بهمس " ماذا هذا السخف الذي أقوله "

ثم أجلت صوتها وقالت "أقصد.. "

لم تكمل عبارتها بل فتحت الباب لتجده يمد يده لها بكوب الشيكولاتة وهو يقول " نسيت كوبك "

أخذته منه بيد مرتعشة دون كلام ثم أغلقت الباب في وجهه بسرعة .. ووقفت خلفه تضع يدها على قلبها الأحمق الذي يقوم بمظاهرة صاخبة في صدرها .. بينما تحرك وائل نحو غرفته بمشاعر

Des. Maryam Tamim

غريبة واحساس غريب بالحنين .. وقد بدأت تلك المشاعر تحفز الذكريات بداخله .. وهو يستعيد رائحتها والاحساس بدفء جسدها الذي شعر به منذ دقائق .. فأمسك مجدد بألبوم الصور وهو يرتشف الشيكولاتة الساخنة .. التي داعبت رائحتها هي الأخرى الذكريات في رأسه ..فبدأت تتدفق .. رويدا رويدا إلى ذاكرته ..

ولم يدري أن ماجدة في الغرفة الأخرى .. جلست في الشرفة تتذكر هي الأخرى تلك الليلة على رائحة الشيكولاتة الساخنة .

منذ خمسة عشر عاما :

زفر وائل بغيظ وهو يقف بالصالة يفك ربطة العنق بعصبية ويلقيها على إحدى الأرائك يتبعها بسترته

Des. Maryam Tamim

الأنيقة ثم وقف متخصرا .. فسمع طرقا على الباب فاتجه ليفتحه متحفزا..

ابتسمت أم ماجدة في وجهه تقول بحبور " مبارك يا زوج ابنتي .. كنت أود أن أطمئن على العروس واقول لها شيئا .. أنت تعرف الفتيات يكن مرتبكات في ليلة زفافهن " .

أمسك وائل بالباب بقوة وطالعها ببرود ورد " آسف "

اختفت الابتسامة الواسعة من على وجهها ليحل محلها الاستنكار وقالت" ماذا تعني ؟"

رد ببرود " أعني أنها زوجتي الآن .. وأنا صاحب هذا البيت .. ومن يقرر من يدخله ومن لن يدخله ".

ردت بصرامة " أنت لئيم يا ابن أخي "

اطلق ضحكة ساخرة قصيرة ثم قطعها فجأة ليقول بملامح خطرة " كلانا يعرف جيدا من اللئيم .. ومن

Des. Maryam Tamim



استغل مرض الرجل العجوز ليقنعه بضرورة الإسراع بزواجي من ماجدة قبل أن يموت وإلا ستقوم القيامة يا ... عمتي "

تسارعت انفاسها وردت بغضب" بت وقحا أيضا يا وائل "

قال ببرود " أجل لئيم .. ووقح .. وصفات أخرى كثيرة أصبحت عليها لتناسب أطماعكم .. فانسوا تماما وائل القديم المتسامح الودود ..وحضروا أنفسكم لوائل الجديد " .

قبضت أم ماجدة قبضتيها بجانبها في غيظ وقالت " سندخل الطعام على الأقل " .

وأشارت لفتاة ريفية تحمل صينية فوق رأسها لتدخل فرد وائل بعند " لن يدخل طعام من عندك إلى بيتي أبدا .. سأطلب من أمي أن ترسل لنا الطعام .. أو ستطبخ لنا العروس .. ما فائدتها إذن!"

ردت مستنكرة " هل ستترك ابنتي جائعة طوال الليل !!"

قال وهو يهم بغلق الباب" أنا حر في زوجتي .. وإن لم يعجبكما الأمر يمكنك أخذها في يدك والعودة بها لبيتك .. فما هو رأيك يا حماتي "

امتقع وجهها وانخرست فقال بغِل " لا أريد أن أراك في هذا البيت أبدا .. وابنتك ستزورك حين اقرر أنا ذلك .. (هم بغلق الباب لكنه تراجع وقد تذكر شيئا فقال) ويمكنك الشكوى لأبي ووقتها سأرمي لك ابنتك يا .. عمتي "

أغلق الباب .. وكسى الحزن وجهه وهو يتجه نحو الشرفة ويشعل سيجارة .. سحب منها نفسا ثم سعل بشدة .. فقد كان حديث العهد بالتدخين .. بعد أن قرر فجأة أن يطلب من سيد أن يجرب التدخين وأشياء أخرى يشعر أنه بحاجة لأن

Des. Maryam Tamim

يجربها ليصبح وائل آخر .. فوائل الودود المتسامح المستقيم لم يقام له اعتبارا .. أجبر على الزواج من ماجدة تاركا مريم التي يحبها .. عليه أن يتغير ليقف أمامهم جميعا .

بعد قليل اتجه نحو غرفة النوم فلم يجدها فخلع حذائه وتوجه للحمام الملحق بالغرفة ليطرق الباب مناديا عليها بعصبية .. سمع بعدها صوت المفتاح قبل أن يفتح الباب قليلا .. فقال بعصبية وهو يدفع الباب" أين أنت كل هذا الوقت ؟".

اختبأت في الداخل تلصق جبهتها في الحائط وتحدق في الأرض بخجل .. فتسمر قليلا يطالعها بمفاجأة .. كان شعرها بنيا طويلا حتى آخر ظهرها .. لم يتخيله بهذا الطول ولم يتخيلها قد تفك ضفائرها الدائمة أبدا .. سألها بغباء " هل هذا شعرك؟ "

Des. Maryam Tamim

أومأت له بالإيجاب دون أن ترفع وجهها فقال باستنكار" لمَ لا تنظرين إلي؟"

فحركت رأسها رافضة في صمت ..

فرفع حاجبا .. ثم سحبها من مرفقها لتقف أمامه وأجبرها بخشونة أن ترفع وجهها .. فشعرت ماجدة بالرعب وتسارعت ضربات قلبها بينما هتف هو بعصبية " هل كنت تبكين ؟!!

أطرقت برأسها تمسح دموعها متوترة لا تدري هل أخطأت بالموافقة على الزواج منه .. فلم تكن تعرف أن الأمر سيتطور لأن يكون إجبارا له وضغطا عليه بمرض والده .. وتهديدا له بحرمانه من ميراثه وكل تلك التطورات والتهديدات التي حدثت في أيام قليلة ..

شعرت بالندم أن طمعت فيه لنفسها .. ولم تقف في وجههم جميعا وتقول لا .. لم تستطيع أن تقول

Des. Maryam Tamim

لا .. وكيف تقولها وهي منذ أن وعت على الدنيا تنتظر ذلك اليوم الذي ستكون فيه معه ..

أمسك بكتفيها يهزها ويقول بعصبية " أنطقي لمَ كنت تبكين ؟"

تطلعت إلى وسامته وعينيه الزرقاوين الغاضبتين أمامها وردت" لا شيء .. أنا فقط مرتبكة قليلا "

نغزه قلبه وشعر بالشفقة من منظرها وهي تنتفض بين يديه كعصفور مبلل في يوم ماطر .. ولم يعجبه أن يتسلل هذا الشعور بداخله نحوها.. لن يسمح لوائل القديم بفرض سيطرته .. فرد بعصبية وهو يغرز أصابعه في لحم ذراعها " اسمعي .. حيل النساء هذه لن أصدقها .. هل هذا ما لقنته لك أمك

Des. Maryam Tamim

.. هل قالت لك حين تلتقيه تصنعي البكاء أمامه ليرق قلبه فهو طيب القلب أبله "

حدقت فيه ذاهلة .. فأكمل بغل " وائل هذا أنسوه تماما .. الذي أمامك وائل جديد .. وائل يعرف كيف يرد لكم الصاع صاعين .. هيا "

حملها فجأة يلقي بها على كتفه .. فارتعبت لتقول صارخه " وائل ... ماذا تفعل !!"

دخل الغرفة وألقاها على السرير يقول .. وهو يفك أزرار قميصه " أفعل ما ستسألك عليه وما سيسأل عليه الجميع هل أتم الزواج أم لا ".

غطت ساقها بقميص نومها وانعقد لسانها لتطالعه بخوف .. وهو يرمي قميصه على الأرض ويخيم

Des. Maryam Tamim

فوقها ليقول " دعينا ننهي الأمر سريعا فأنا أريد أن أنام "

انقض عليها يقبل رقبتها فحاولت دفعه بحركة عفوية .. لكنه كبلها بخشونة بيده بينما يده الأخرى تتعامل مع الروب بعنف .. تلاه قميص نومها .. فكتمت بكائها .. واستسلمت مغمضة العينان تبكي بصمت ..

أدركت ماجدة حينها .. أنها تتلقى أول عقابها لأنها طمعت فيه ولم ترفض الزواج منه حين علمت أنه يحب أخرى .. فاستسلمت لعقابها صاغرة متألمة خائفة .

مع الوقت هدأت خشونته وأصبح أكثر رقة وهدوء معها .. ليتركها بعد قليل ويعتدل .. ثم يرتدي ملابسه ويتمتم ساخرا بأنفاس لاهثة " مبارك يا عروس.."

Des. Maryam Tamim

لكن قلبه الرقيق لم يحتمل الادعاء أكثر من ذلك .. فنظر إليها نادما وقد تغطت بالملاءة حتى وجهها تبكي بكاء مكتوما ..

تسارعت وتصارعت المشاعر بداخله وهو يتطلع إليها وشعرها الطويل يرسم فوضى فِعلته الهمجية حولها على السرير .. فأختفى شعوره بالغضب لتحل الشفقة بداخله واستاء من نفسه وعنفها أن يقوم بأمر همجي كهذا بها .. ولم يستطع تحمل بشاعة ما فعله .. فاستقام يترك الغرفة .

بعد ساعة عاد للغرفة مجددا بعد أن قضى الوقت بالصالة يدخن وينعت نفسه بالمغتصب القذر .. فوضع كوبا من الشيكولاتة الساخنة بجوار السرير ليقول برقة " ماجدة هل نمت ؟ .. لا تنامي بهذا الشكل .. ماجدة .."

Des. Maryam Tamim

رفع عنها الملاءة قليلا ليجدها قد ارتدت ملابسها فأدارها بحزم لتنظر إليه وتمسح بقايا دموع فأجلسها لتطرق برأسها ..

آلمه قلبه ولم يستطع التحمل أكثر فأخذها بين ذراعيه يضمها بحنان .. ليسري الدفء بين جسديهما .

همس وهو يمسد على شعرها الذي تلمس أطرافه السرير " أنا آسف جدا لما حدث يا جوجو.. أعماني الغضب وتصرفت بمنتهى الهمجية معك سامحيني ."

خبأت وجهها في صدره وهي تتشبث بملابسه غير مصدقه أنه يضمها .. غير مصدقة أنها في حضنه ..

وبكت ..

Des. Maryam Tamim

ضمها وائل أكثر يهمس بجوار أذنها بكل عبارات الأسف .. ولم يدري أنها كانت تبكي لتأثرها بحضنه أكثر من تأثرها بما حدث ..

سألها بعد قليل وهو يرفع وجهها المتورم من البكاء إليه يتأمله بنظرة ذكورية متفحصة لم يستطع التحكم فيها " هل تألمت؟ "

اطرقت برأسها بخجل وحركته بلا .. فقال بإلحاح " أتقولين الصدق؟ "

أومأت بنعم .. فتمتم بالشكر لله .. ثم استدار يحضر الكوب من جانب السرير وهو يقول" أنا أعرف أنك تحبين الشيكولاتة الساخنة ولقد أعددتها لك لتسامحيني" .

Des. Maryam Tamim

أمسكت بالكوب ممتنة .. تدعو أن يظل ملتصقا بها قليلا .. وأخذت ترتشف من الكوب وهي تقبض بيدها الأخرى على الملاءة في حجرها بحرج .. فتأملها بنظرة متفحصة يبتلع طعما حلوا في فمه وهو يستعيد إحساسه بها منذ ساعة متسائلا كيف سيكون طعم شفتيها .. فلم يقبلهما حتى الآن فقال مندفعا " جوجو "

تهللت أساريرها وهي تسمع الاسم الذي يدللها به منذ أن كانوا صغارا من بين شفتيه للمرة الثانية خلال دقائق .. فرفعت إليه عينين مليئتين بالمشاعر .. ليقول ببساطة وكأنه قد طلب منها هذا الطلب مرارا من قبل "هل أستطيع أن أقبلك؟"

Des. Maryam Tamim

اتسعت عيناها ثم اطرقت في خجل وازدادت قبضتها على الملاءة فقال بهدوء " إن لم تريدي فلن أضغط عليك ".

خبأت وجهها في ذراعه بخجل .. فابتهجت مشاعره الرجولية .. واندهش لما يشعره به .. لكنه لم يمهل نفسه وقتا لتحليل تلك المشاعر .. بل رفع وجهها إليه وانحنى يقبلها قبلات رقيقة على شفتيها.. لكنه لم يشعر بالاكتفاء .. فأمسك الكوب من يديها وأطبق على شفتيها يرتشف شهدا أشعل أعصابه .. لتزداد قبلته فضولا وعمقا واشعالا لأعصابه حتى كاد الكوب أن يفلت من يده .. فتركها لاهثا .. يحاول استيعاب ما يفعله بالضبط .. ثم استقام واقفا وهو يقاوم مشاعر ذكورية تهاجمه بقوة وقال بارتباك " أنا جائع هل أنت جائعة؟"

أومأت برأسها بنعم .. فتنبه ليقول " لكننا لا نملك طعاما جاهزا "

Des. Maryam Tamim

رمشت بعينيها تحاول الاستيعاب ثم سألت "أين ذهب الطعام ؟!"

تغيرت ملامحه .. لتتخلي عن لينها وتعود جادة .. غاضبة ورد" لقد رفضت أن آخذه .. ولن يدخل هذا البيت طعام إلا من عند أمي فقط "

أطرقت برأسها في حزن .. معترفة أن أمها قد مارست ضغطا كبيرا ولؤما على خالها مجدي بينما قال وائل "هل نعد طعاما؟" .

قالت وهي تهم بالقيام من السرير بسرعة "هل تريد أن أطبخ بعض الطعام ؟".

تأثر من مبادرتها فقال وهو يغمز لها " ما رأيك أن أعد طبقا من الأومليت الياباني .. أنت تحبينه من يدي"

اتسعت ابتسامتها .. فحبس أنفاسه لثوان وكأنه يراها لأول مرة .. كانت مغرية وشهية وتضج أنوثة

Des. Maryam Tamim

إلى حد يحبس الأنفاس .. فأهداها ابتسامة أضاءت لها ليلة عرسها .. وغادر الغرفة وهو يشعر بأنها كفراشة خرجت للتو من شرنقتها تبهر العيون بجمالها .

على الرغم من صدمة وائل وهو يتذكر تفاصيل تلك الليلة أخيرا.. ومشاعره التي تدفقت في صدره بعد أن أدركها واستحضرها وفسرها شعوره الواعي .. إلا أن الذكريات لم تتوقف عند هذا الحد .. واستمرت ماجدة هي الأخرى في غرفتها تستعيد تفاصيل تلك الأيام في جنته .. جنة وصاله ..

تذكر وائل كيف دخلت عليه بعد قليل المطبخ وهو يعد لها الأومليت .. فطالعها بنظرة جريئة غير قادر على التحكم فيها .. قبل أن يعود للتركيز فيما يفعل على الموقد يتساءل في نفسه عما حدث له بالضبط وكيف انقلب كيانه كله في ساعتين ..

Des. Maryam Tamim

فأصبح غير قادر على ضبط اعصابه .. يدقق فيها بانبهار .. بل ويشتهيها إلى حد خارج عن السيطرة .. وكيف استطاعت أن تبدد بداخله الشعور المقيت الخانق ليلتها ووعيده لأن ينتقم من أمها فيها هي أشد انتقام .. تلك المرأة المقيتة التي بات يكرهها ..

نفض عن رأسه سيرتها سريعا راغبا في التفكير في شيء مبهج .. ودون أن يدري التفت نحوها يطالعها وهي تجلس على الكرسي تبادله النظرات في صمت خجول وتحكم من إغلاق الروب الأبيض الحريري الذي يرتخي وينزلق بإصرار .. فعاد للتركيز فيما يفعل وقال بابتسامة ماكرة " لمَ تحكمين من غلق الروب لقد رأيت كل شيء بالفعل؟ " .

اشتعلت وجنتاها وقفز قلبها في صدرها كالكرة المطاط .. فاقترب يضع الطبق على المنضدة

Des. Maryam Tamim

وجلس أمامها يهمس بشقاوة " لكني لم أتبين بعد على أي شكل هي "

فسألته بغباء "من؟"

رد بخفوت حار " تلك الشامة الوردية الكبيرة على ظهرك "

اشتعل وجهها كله وتعرقت لتسأله بارتباك" أهي سيئة المنظر ؟"

رد بتسلي دعيني أراها مرة أخرى "لأخبرك برأي فيها ."

وأمسك بطرف الروب فأبعدت يديه بحرج تهمس وائل "هيا كُل"

قهقه عاليا ثم قال" حسنا سنؤجلها لما بعد الطعام فأنا جائع جدا "

راقبته وهو يأكل ممتنة لملاطفته لها .. ولتلك النظرة المشتعلة التي يطالعها بها .. وسعيدة أن

Des. Maryam Tamim

تراه يضحك بعد كل الأيام الماضية المرهقة له عصبيا .. تتمنى لو يعلم كم تحبه .. وكم هي على استعداد لأن تقدم روحها قربانا لضحكته هذه ..

قطع تأملاتها حين قال" لم تخبريني على أي شكل هي الشامة ؟"

ردت بحرج" يقولون عنقود عنب"

لمعت عيناه وقال بلهجة ذات مغزى أشعلت الحرارة في جسدها " سأتفحصها وأقرر بنفسي .. إنها كبيرة من أول الكتف حتى آخر ضلعك تقريبا بحجم (وفتح كفه .. ثم نظر لكفها) بحجم كفك .. كأنك رسمت وشماً على ظهرك "

ابتسمت وقالت " يقولون أني حين ولدت كانت تغطي معظم ظهري تقريبا .. لكن مع النمو تقلص حجمها لهذا الحجم "..

Des. Maryam Tamim

قال وهو يحاول التذكر " لم ألاحظها أبدا.. حتى حين كنت تلبسين ثياب البحر في المصيف لم ألاحظها "

ردت بخجل " كنت أتعمد أن أرتدي ما يغطي ظهري .. ومرت علي فترة ما كنت أكرهها وأخجل منها .. شاعرة أنها تشوه منظري"

قهقه عاليا وتمتم " أنت ساذجة جدا"

أحمر وجهها وأطرقت برأسها تلعب بالشوكة في الطبق وقد سرت الكهرباء في أعصابها .. غير مصدقة أنها استطاعت إضحاكه بحكايتها.

سألها بخبث " وهل هي وردية هكذا منذ أن ولدت"

Des. Maryam Tamim

لاح بؤس طفولي على وجهها وردت" الحقيقة إنها معظم أوقات العام تكون بنية اللون .. لكنها تتحول للون الوردي باقتراب الموسم"

رفع حاجباه يسألها باندهاش "أي موسم؟!!"

أطرقت برأسها وتمتمت بحرج " موسم الشتاء موسم الفراولة "

اتسعت عيناه وقال بعدم استيعاب " وحين يأتي الشتاء ماذا يحدث ؟ "

غطت عيناها بكفها في حرج تقول " يتحول لونها للوردي باقتراب الشتاء ثم يصير لونها أحمر مع موسم الفراولة "

صمت قليلا متسع العينان .. ثم انفجر ضاحكا حتى دمعت عيناه .. فحدقت فيه بسعادة وقلبها يقفز من الفرح .. ليقول بعد أن استطاع أن يسيطر على

Des. Maryam Tamim

هيستريا الضحك التي أصابته " هذا الأمر سأحب جدا أن أراقب تغيراته بنفسي يا جوجو "

ثم مال نحوها بجذعه يفرد ذراعه على المقعد خلفها وقال وهو يحدق في عينيها البنيتان المكحلتان بإغواء " متى نضجت وصرت جاهز للأكل يا عنقود العنب أنت ! "

سرت القشعريرة في جسدها وقضمت شفتها السفلى بارتباك فأكمل وهو يتأملها " كنتِ دائما منزوية خجول معقودة الضفائر واللسان "

ردت بهمس " لم أعرف كيف أتحدث معك .. وماذا أقول .. كنت أشعر أني إذا تكلمت سأكون تافهة حمقاء أمامك .. فوجودك يلجمني ويربكني"

Des. Maryam Tamim

تأملها مليا .. بجفنيها الواسعين وحاجبيها المسطران .. وأنفها المستقيم .. وشفتيها الشهيتان شاعرا بالذهول من المشاعر التي سيطرت عليه.

فهمس " هيا أنهي طعامك بسرعة أريد أن أرى عنقود العنب ".

فدفنت وجهها المشتعل في الطبق أمامها بخجل .

بعد قليل كانا يجلسان على السرير وروبها ملقى على الأرض بينما قميصها الأبيض القصير يكشف من تفاصيلها الكثير .. ووائل خلفها يزيح حمالة القميص برقة ليتفحص الشامة بتمعن ويرسمها بأصابعه قبل أن يميل ويطبع قبلات رقيقة عليها صاعدا حتى رقبتها ..

Des. Maryam Tamim

ارتجف جسدها فأدار وجهها إليه ليقول بهمس حار " ما رأيك أن أنسيك فعلتي البشعة معك الليلة"

فسألته ببراءة " كيف؟"

راقبت زرقة عيناه تشتعل بالرغبة وهو يقول بابتسامة ماكرة مغوية " سأمحو من ذاكرتك تفاصيل ما حدث بإحلال تفاصيل جديدة مكانها ستعجبك جدا" .

ومال بها على السرير يقطف شفتيها .

أربعة أيام .. هي عمر علاقتهما القصيرة .. التي لم تحتاج لأي تمهيد مسبق .. ولم تحمل أي تعقيدات .. فقط هو وهي ونسيا كل شيء حولهما .. انفصلا تماما عن الواقع ..

ونسي وائل .. عمته ..

ونسي .. مريم ..

في اليوم الرابع من زفافهما جلس في الصالة يدخن وهو يفكر فيما يمر به معها .. فطيلة اربعة أيام قضوها معا بمفردهما مانعا الزيارات إلا من استقبال الطعام من بيت والده .. لم يشغل تفكيره سوى ماجدة .. التي أعاد اكتشافها بعيون اخرى ..

تحدثا كثيرا .. واستمع إليها أكثر .. على الرغم من هدوئها وخجلها الشديد إلا أنه أكتشف أن بداخلها طفلة جميلة مبهجة شديدة الخجل تظهر إذا ما أمنت المحيط .. كزهرة خجول إذا خافت أو حزنت تنغلق على ذاتها وإذا شعرت بالأمان تتفتح لتظهر جمال روحها وشخصيتها .. لاحظ أنه كلما عاملها برفق ازدادت بريقا ولمعانا وتلقائية ..

أما مريم ؟

فهذا هو السؤال الذي ظل يحيره وقتها .. وأرهقه في التفكير فيه ..

[4250]

سأل نفسه لمَاذا توارت مريم خلف ذاكرته طيلة الأربع أيام الماضية مع ماجدة ؟..

هل نساها ؟

وهل يُنسى الحب بهذه السهولة ؟!! ..

هل أحبها ؟! .. وهل لا يزال يحبها ؟!!

كلها اسئلة دارت في عقله وحيرته وألحت عليه أن يجد لها إجابات سيترتب عليها الآتي من حياته.

اقتربت منه ترتدي شورتا قصيرا وبلوزة وشعرها الطويل الغجري مبللا تقول برقة تذيب أعصابه " هلا ساعدتني في تمشيط شعري؟ ذراعي يؤلمني حين أمشطه .. وعادة ما يساعدني أحد في تمشيطه "

أطفأ سيجارته وأشار لها بالاقتراب فجلست أمامه على المنضدة الصغيرة توليه ظهرها .. ليمسك

Des. Maryam Tamim

بالمشط يبدأ في التمشيط فصرخت تقول " يؤلمني يا وائل "

تمتم هامسا وقد دبت الحرارة في جسده كالعادة " كفى دلعاً "

استدارت إليه بوجهها المشتعل بالحمرة تقول " صدقا يؤلمني يا وائل "

ابتسم وغمغم يقلدها ساخرا " صدقا يؤلمني يا وائل "

وبدأ في تمشيط شعرها برفق .. ثم علمته كيف يضفر الضفيرة وسط أصوات ضحكهما العالي على محاولاته المضحكة لتعلم تجديل شعرها.. حتى رن جرس الباب ليقطع عليهما المشهد .. ويقطع ضحكهما .. يقطعه للأبد.

Des. Maryam Tamim

فتح وائل الباب ليجد والدته وقبل أن تتهلل أساريره ظهرت والدة ماجدة من خلفها تهتف وهي تجري على ابنتها " ماجي ابنتي "

بمجرد ظهورها أمامه انقلب كل شيء بداخله .. وهاجمته كل المشاعر السيئة المقيتة .. فهدر وائل بعنف " ماذا تفعل هذه المرأة هنا ؟؟؟؟؟"

ردت أنجيل بتوبيخ " ماذا تفعل يا وائل .. هذا لا يصح .. والدك مستاء جدا من أسلوبك هذا .. ولولا مرضه لجاءك يوبخك بنفسه .. عموما لقد تركناك مع عروسك أربعة أيام .. لكن من حقها أن تطمئن على ابنتها "

لمح نظرة تحدي في عيني أم ماجدة استفزته قبل أن تقول بهدوء " لن أرد عليك يا ابن أخي حتى نحافظ على العلاقات الأسرية"

Des. Maryam Tamim

هدر وائل بغيظ " العلاقات الأسرية !!"

تجاهلته وسحبت ابنتها التي تطالعهما بتوتر نحو الغرفة بينما أمسكت به أنجيل تقول بتوبيخ " ما هذا يا وائل .. إنها عمتك وأم زوجتك الآن .. ما الذي جرى لك ؟.. لم أراك بهذا الشكل أبدا "

قال لها بتهديد " اسمعي يا أمي هذه المرأة لا أطيقها ولا أتحمل ألاعيبها .. ولن أنسى أبدا تحايلها على أبي وإصرارها على زواجي من ابنتها مستغلة مرضه وحبه لها "

لاح الحزن على وجه أنجيل وتنهدت تقول بهمس " اسمع يا حبيبي .. لا أنكر أنها ضغطت على والدك .. وأعلم أنها إذا ما وضعت أمرا في رأسها لا تهدأ حتى تنفذه .. هكذا كانت طيلة عمرها ولأنها الفتاة الوحيدة فكان جدك وأباك من بعده يضعفان أمامها .. لكن في هذا الموضوع بالذات .. كانت أمنيتنا

Des. Maryam Tamim

جميعا أن تتزوج بماجدة .. إنها أمنية قديمة منذ أن كنتما صغارا .. وأنا كأمك وأعرفك جيدا أقولك لك أنك تحبها .. أما الفتاة الأخرى فأنت مبهور بجمالها لا أكثر واتخذتها مبررا حتى تعاند والدك وتتمرد عليه "

تجاهل وائل ما قالته بشأن مشاعره تجاه ماجدة واعدا نفسه أن يحلل الأمر فيما بعد وقال " أنا أمقت هذه المرأة يا أمي .. إن رؤيتها تستفزني .. ووجودها بجانب ماجدة يجعلني ... يجعلني أكره ماجدة نفسها "

ربتت على كتفه وقالت " حسنا اهدأ يا عريس .. وسأتصرف أنا وأخفف من زيارتها لكما "

قال بإصرار " تقطعها وإلا سأحملكم العواقب "

Des. Maryam Tamim

أشارت له مهدئة وتوجهت ترتب صينية الطعام التي أحضرتها الفتاة الريفية على المنضدة بينما انسحب وائل ليذهب إلى غرفة نومه بهدوء .. وبمجرد أن اقترب سمع أم ماجدة تقول بضحك " أحسنت في إغوائه يا مجرمة ليتمم الزواج"

همست ماجدة محدقة فيها " أمي لم يكن الأمر كذلك "

تجاهلتها أمها لتقول بسرعة ما تريد أن تقوله " مهمتك الآن يا بطلة أن تجعليه كالخاتم في إصبعك حتى لا يذهب للأخرى .. أنا عليّ أخي وأنت عليك بزوجك .. وقتها سيكون كل شيء تحت السيطرة"

اتسعت عينا ماجدة وهمست بضيق " ماذا تقولين يا أمي .. قلت لك توقفي عن هذا الكلام"

Des. Maryam Tamim

ضرب وائل على الباب بعنف فصرخت ماجدة بإجفال بينما صاح وائل " أخرجي من بيتي حالا"

قالت ماجدة بارتباك " وائل .. أمي لم تقصد ما سمعته "

حدق وائل بنظرات غاضبة في عمته وقال بإصرار " قلت خارج بيتي حالا "

تصنعت أم ماجدة المرح تقول " ما بك يا زوج ابنتي .. تعال لأهنئك بالزواج ونفتح صفحة جديدة"

هدر وائل في وجهها بجنون وهو يشعر بنظراتها له أنها تستخف به " قلت خارج بيتي حالا "

دخلت أنجيل تقول " وائل !!"

ربتت أم ماجدة على كتفه باستفزاز وقالت " أتركيه يا أنجيل فهو عريس جديد ومتوتر .. سأتركك لتهدأ يا زوج ابنتي ."

Des. Maryam Tamim

بعد أن غادرتا .. وقف يتفتت من الغضب .. تتملكه رغبة قوية في قتل هذه المرأة .

هل تسخر منه ؟.

هل تتصوره ضعيفا إلى هذا الحد ؟.

هل نظرة عيناها له انتصارا على نجاحها في إرغامه على الزواج من ابنتها .. وهو كطفل صغير استجاب بل وسهل مهمة ابنتها في إغوائه؟
أهو بهذا الضعف في نظرهم .

اقتربت ماجدة تقول بارتباك" أنا أعرف أن أمي تفعل أمورا مستفزة .. لكنها.."

استدار إليها والجنون يشتعل في عينيه ثم تحرك نحوها يغرز أصابعه في لحم ذراعها قائلا " وأنت تلميذتها النجيبة .. أحسنت فعلا في استدراجي

Des. Maryam Tamim

واستدرار عطفي حتى استجيب لإغوائك لتتمين مخططك أنت ووالدتك "

ردت ماجدة متألمة " وائل أرجوك اسمعني .. أنا لست خاضعة لأي مخطط ولا أستمع لكلام أمي صدقني .. ولم يكن هناك مخططا اتفقنا عليه لتنفيذه.. حتى لو كانت قد طلبت مني شيئا لم أكن انوي فعل أي شيء منه أقسم لك "

ترك ذراعها يشهر سبابته في وجهها وقال بوعيد " ستندمين أنت وهي .. سأجعلكما تندمان على الاستخفاف بي "

تحرك يحمل مفاتيحه فجرت خلفه تمسك بذراعه وتقول بتوسل " صدقني يا وائل أنا لم أكن أنوي أي

Des. Maryam Tamim

شيء .. بالعكس أنا توقعت ألا تقربني وهيأت نفسي لذلك .. "

استدار إليها يقول " جعلتني اشعر أن ما فعلته أول مرة كان اغتصابا بينما أنت تخططين لكل شيء مع والدتك .. مادام ذلك ما أردتما أن يحدث لم كنت تبكين ؟!.. هل كان ذلك ضمن المخطط حتى تشعريني أني حيوان مغتصب "

تدفقت الدموع في عينيها وقالت " لا بل كنت أبكي على ما فعلته بنفسي .. وأنا أتلقى أول عقاب يعاقبني به الله بعد أن وافقت على الزواج منك وأنا أعلم أن قلبك ليس معي (وانهمرت دموعها واكملت) أنا أعترف أمامك بجريمتي .. أني ضعفت أمام مشاعري تجاهك ولم أقف أمام أمي ولم أحاول الرفض .. صدقني منذ أن علمت بأمر مريم وأنا مريضة .. طريحة الفراش غير قادرة على رفع رأسي .. لم أتحمل الصدمة فمرضت

Des. Maryam Tamim

(تطلع إليها باهتمام فأكملت) صدمت حين علمت أنك تحب فتاة أخرى .. كنت بسذاجتي أعتقد أننا لبعضنا كما أخبرونا مرارا منذ أن كنا صغارا.. ولم تخبرني أمي أبدا أنك كنت تراوغ في الارتباط بي .. لكن حين حدثت المواجهة وعلم الجميع بأمر مريم .. صدمت وشل عالمي كله .. وحين علمت أنك تركت البيت معترضا مرضت .. رقدت لوقت طويل بالفراش .. حتى جاءت أمي منذ أيام وأخبرتني أنك عدت وتم الاتفاق على موعد الزفاف ..حسبت أنك راجعت نفسك .. بعدها اكتشفت أنك مجبور من والدك على الزواج مني .. لكني كنت يائسة لدرجة أني لم أحاول حتى الرفض .. أعلم أن أمي لم تكن لتسمح برفضي لكني حتى أنا لم أحاول .. أنا أعترف بذلك .. وحين رأيتك في الكنسية .. واطلعت على حجم الألم في عينيك .. شعرت بحقارة ما فعلت .. شعرت بأن حبي لك لعنة أضرت بك .. وانتظرت انتقامك وانتظرت جزائي من الله "

[4261]

قاوم الشعور الذي تسلل إليه بالتأثر بما تقول ليقول حدة " هل هذه خطة أخرى اتفقتما عليها؟؟"

اغمضت عيناها تتحمل الإهانات المتتالية ثم فتحتهما تقول " أنا معترفة بخطئي وسأتحمل عقابك كله .. ربما يوما ما تسامحني أن غلبتني نفسي وطمعت في أن أكون بجوارك "

اعتصر الألم قلبه وتملكته رغبة في ضربها وإخراسها لأنها تقول ما يدمي قلبه ..فأسرع مغادرا وهو يقول "لا تنتظريني الليلة ولا أي ليلة أخرى "

وصفع الباب خلفه ..

أغلق وائل ألبوم الصور ودفن وجهه في كفيه يبكي وباقي الذكريات مازالت تتدفق تباعا بينما حدقت

Des. Maryam Tamim

ماجدة في كوب الشيكولاتة الساخن في يدها وتمتمت " يبدو أن جريمتي كانت أبشع مما تصورت لأعاقب عليها حتى الآن "

وانسابت دموع تنافس في سخونتها كوب الشيكولاتة .

***

في اليوم التالي :

دخل سيد بلدة بسمة قاصدا بيت سليمان الوديدي .. حتى يسلم عقد البيت الذي كتبه باسم بسمة لكنه في الحقيقة كان يتمنى رؤيتها والاطمئنان عليها على الرغم من الأخبار التي كانت تأتيه من بعض معارفه في البلدة تخبره بأنها بخير .

وفي محاولة يائسة اتصل بها لأول مرة منذ شهرين بعد تلك الليلة التي طلقها فيها .. وقد فاجأته حين

Des. Maryam Tamim

ردت على اتصاله فقال بسرعة" كيف حالك يا بسمة ؟"

ردت بلهجة محايدة " أنا بخير الحمد لله لمَ تتصل؟"

رد عليها مترددا " أنا هنا في البلد كنت أريد تسليم عقد البيت لوالدك أو لوليد "

ردت ساخرة " هل أتيت كل هذه المسافة وعطلت نفسك لتعطينا العقد !.. كان من الممكن إرساله مع أي شخص او حتى بالبريد"

زفر سيد وقال" الحقيقة كنت طامعا في أن أراك فلو تمنحيني فرصة لأن أعطيك العقد بنفسي"

ساد الصمت قليلا ثم ردت بلهجة محايدة" لا مانع"

قال متفاجئا" هل أمر على بيتكم؟"

Des. Maryam Tamim

صمتت قليلا ثم قالت "بل في بيت جدي "

قال وهو ينهي المكالمة " حسنا سأقابلك هناك "

اغلق سيد الخط وشغل سيارته مسرعا نحو بيت جدها ..

بعد نصف ساعة كان يدخل ساحة البيت الكبير للحاج صالح جد بسمة الذي استقبله في غرفة الضيوف غاضبا منه.. فحزن سيد أن يغضب ذلك الرجل الطيب الطاعن في السن الذي يحبه فمال يقبل يده فأزاحها الحاج مشيحا بوجه ويده بعيدا وهو يستند على عصاه وقال" ما الذي أتى بك إلى هنا ؟"

رد سيد بحرج" كنت أريد أن أسلم شيئا لبسمة "

رد الرجل العجوز "ومن قال أني سأسمح لك برؤيتها "

Des. Maryam Tamim

صمت سيد قليلا فدخلت بسمة فجأة تقول" أنا وافقت على رؤيته يا جدي من بعد إذنك "

نظر إليه الحاج صالح شذرا بعينيه الواهنتين بينما استدار سيد يتطلع لبسمة التي قابلته بوجه خالي من التعابير وقالت " تفضل "

وهي تشير له ليخرج للساحة مجددا .

اشار لها سيد بحرج لأن تتقدمه فخرجت أمامه ثم وقفت متكتفة تطالعه في صمت .. كانت بحاجة لأن تراه لتختبر احساسها بعد شهرين من تلك الليلة .. وبعد المجهود الذي بذلته مع نفسها حتى لا تكون مثيرة للشفقة .. وما أشعرها بالراحة أنها لم تجد بداخلها أي مساحة للحنين إليه .. بل شعرت بالضيق لرؤيته ربما لأنه يذكرها بتجربتها الفاشلة ..

Des. Maryam Tamim

تكلمت تقول " تفضل لماذا أردت أن تسلمني العقد بنفسك ؟"

قال سيد بهدوء " كنت أريد أن أطمئن عليك "

ردت بكبرياء "أنا بخير أمامك ألا تراني"

قال سيد بأسف " الحقيقة منذ آخر مرة وأنا أشعر بالقلق الشديد عليك".

قاطعته بحزم فلم تريد أن يشعر أحد بمزيد من الشفقة تجاهها فقالت " آخر مرة لم يكن أمامي سوى هذا الحل الدرامي لفك العقدة المعقودة بيننا .. لا أنكر أن كانت حالتي النفسية في أسوأ ما يكون وأن الشيطان قد وسوس لي للحظة بفكرة التخلص من حياتي لكني لو كنت جادة لما كنت انتظرت ان تحضروا لتشاهدوا العرض الدرامي على الهواء مباشرة.. لو كنت جادة في الانتحار لكنت (ووضعت سبابتها تشير إلى رأسها) أنهيت حياتي وقدمت لك ولأبي خدمة مجانية بالتخلص مني

Des. Maryam Tamim

بهدوء .. لكني الحمد لله رب العالمين مازال إيماني بالله قويا والحمد لله ولم أفعلها .. وبالتالي أرسلت صورتي على السور لوليد لتأتوا وتشاهدوني فتتخلى أنت عن شهامتك وتطلقني ويتخلى أبي عن حساباته ومصالحه ويتقبل الأمر صاغرا (وابتسمت بعصبية) غامرت يائسة ولم أعرف إن كنت سأنجح أم لا لكني لم أكن لأتحمل أن أبقى دقيقة واحدة زوجتك" ..

تكلم سيد متألما "بسمة أنا كنت صادقا معك فيما يخص وعدي لك .. وكنت عند كلمتي ولم أكن لأطلقك حتى لا أعرضك لهذا الألم ".

ردت ساخرة " شكرا لشهامتك عموما حياتنا معا كانت قد انتهت من فترة طويلة وبالتحديد بعد شهور من زواجنا .. منذ ان شعرت بأنك بعيد وبأن هناك ما يشغلك عني .. لكني حاولت كثيرا أن

أبحث عن الخلل.. وحاولت التحمل وعدم اللجوء لحل الانفصال حين علمت بأمر الفتاة الأخرى متحلية بنصائح أمي .. لكني فشلت .. "

رد سيد بسرعة " أنت لست فاشلة يا بسمة أقسم لك أنا من هو المخطئ "

ردت دون أي تعاطف " وأنا أيضا فشلت .. فشلت في أن أكون الزوجة التي تنسي زوجها امرأة أخرى ..وفشلت في أن أكون تلك الابنة التي يريدها أبي وتريدها أمي ..حتى وليد الذي ربيته فشلت أن أكون مميزة عنده فينسى مصلحته أمام مصلحتي .. باختصار (صمتت قليلا ثم أجابت بمرارة) .. فشلت أن أكون مميزة عند أحد منكم .. فقررت ألا اضع اعتبارا لكم وأن أنظر لبسمة أولا وأعطيها الأهمية وأنقذها ..وألا أعتمد إلا على نفسي لا زوج ولا أب ولا أخ (صمتت قليلا تبتلع ريقها ثم

Des. Maryam Tamim

أكملت) أتذكُر ذلك اليوم الذي كنت تتشاجر فيه مع ذلك التوأمان الضخمان؟.. أتعرف ماذا شعرت وقتها ؟(سحبت نفسا طويلا وأكملت) وقتها اكتشفت أني كنت ساذجة وأنا أعتقد أنك الضخم الوحيد في هذا العالم وأنك من ستحميني للأبد .. أكتشف أن بسمة التي غادرت البلدة كانت من السذاجة فلم ترى غيرك ولم تعلم أن هناك مثلك الكثيرين .. هناك أمور كثيرة تغيرت بداخلي أثناء رحلتي معك إلى العاصمة " .

تكلم سيد مدافعا عن نقطة معينة في ذهنه " أنا كنت مستعدا للسفر معك يا بسمة .. كنت جادا في ذلك "

انفعلت لأول مرة منذ بداية اللقاء " حتى لو كنت وافقتك على السفر .. هل تعتقد أني كنت سأطير من الفرح حين تأتيني بعد مدة وتخبرني أنك نسيت الأخرى !! .. هذا السؤال سألته لنفسي كثيرا منذ أن

Des. Maryam Tamim



أخبرتني بقرار السفر هذا .. والإجابة بعد دوامة طويلة من التفكير كانت لا .. لا يا سيد .. لقد انكسر بداخلي شيء وقت أن علمت أن زوجي يحب امرأة أخرى .. انكسر ولن يعود كما كان أبدا .. فجاء كلام رحمة بعدها ليساعدني على وضع النقاط على الحروف .. بالمناسبة هناك أمر أردت أن أخبرك به (ونظرت إليه متشفية ثم قالت بعد فترة من الصمت) أنا كنت أتناول حبوب منع الحمل لفترة طويلة منذ آخر مرة أخبرتك فيها أن الطبيبة تريد بعض التحاليل .. بالتحديد منذ أن تصارحنا وعلمت بما في قلبك .. بعدها توقفت عن العلاج بل وأخذت قراري بتأجيل الحمل .. ولم أرضخ لنظرية أمي أن الأطفال ستربطك معي للأبد .. فأنا ببساطة أريد رجلا يرتبط بي من أجلي أنا بسمة وليس لأني أما أولاده "

حدق فيها متفاجئا ثم قال متألما " لن ألومك على هذا .. وأنت بالفعل تستحقين أن تقابلي من يحبك

Des. Maryam Tamim

لشخصك .. وصدقيني هذا الأمر خارجا عن إرادتي .. أنا اخطأت في حقك حين قررت الزواج منك دون أن أتأكد من مشاعري تجاهك .. ومع هذا لو كنت أردت الاستمرار لآخر العمر لكنت التزمت معك .. وكنت صادقا في السفر معك "

ردت بكبرياء " كما قلت لك .. لا أريد شفقة منك ولا من غيرك .. ولن اقتات على فضلات ستتركها امرأة غيري في قلب الرجل الذي أنا زوجته .. ولن أفعل الأفاعيل وأقوم بالوصفات النسائية المجربة لأفوز بقلبك ولا بقلب رجل آخر حتى لو كان آخر رجال الدنيا حتى لو كنت أعشقه .. ببساطة بسمة عندي تستحق أفضل من هذا بكثير .. وإن لم أكن ملكة قلب الرجل الذي سأشاركه حياته فلا حاجة لي بالزواج ولا بالرجال .. بسمة الوديدي لن ترضى بأقل من ذلك"

Des. Maryam Tamim

أطرق سيد برأسه معقود اللسان لا يعرف بما يرد فقالت ساخرة وهي تنظر ليده " لا أرى محابس زواج في يدك .. هل رفضت العروس الزواج منك أم أن أهلها رفضوك ! "

رد بهدوء " أنا لم استطيع المضي في حياتي دون الاطمئنان عليك وإعطائك كافة حقوقك ولم أعارض والدك حين طلب كل مستحقاتك وحين أخذ كل أثاث البيت ".

ردت بابتسامة مرة " لا تقلق علي .. أنا مؤمنة بالله وأعلم أن كل شيء بسبب ولسبب .. ربما لم أكتشف السبب بعد لكني على الأقل لم أعد بسمة القديمة الساذجة .. ولن أكون مثيرة للشفقة ولست بحاجة لأحد بعد الآن هذا ما وعدت به نفسي .. وسأحاول أن المضي في حياتي .. أما عن المستحقات والأثاث فأنا من أصريت أن آخذهم (وتكتفت تقول بكبرياء) هذا حقي .. وسأقبل منك

Des. Maryam Tamim

البيت أيضا رغم أني لا أحتاجه .. حتى لا أشعر أني دون قيمة وأن جرح أنوثتي مر مرور الكرام .. ولأصبّر نفسي بأن وجعي وألمي له حكمة سأعرفها لاحقنا لإيماني بأني لم أخطئ في حق أحد "

مدت يدها بثقة فأخرج عقد البيت من جيب سترته وسلمه لها وهو يعترف في سره أنها تغيرت بالفعل عن بسمة التي أخذها من البلدة منذ أربع سنوات إلى العاصمة .. فتنهدت وقالت " هنا تنتهي علاقتنا .. اذهب لحياتك وسأذهب أنا لحياتي التي هي في طريق مغاير .. "

قال متألماً " هل ستسامحينني يوما ؟"

ردت بهدوء " كما وعدتك إذا وجدت سعادتي يوما أعدك أني سأخبرك بأني سامحتك "

قال بمودة " هل أطلب طلبا أخيرا ؟"

Des. Maryam Tamim

صمتت فأكمل يقول " هل تعدينني إذا ما احتجتِ أي شيء تطلبينه مني دون تردد؟ .. ليس بالضرورة أن تطلبيه مني شخصيا هناك بعض المعارف لي هنا في البلدة أنت تعرفينهم أيضا .. فقط أخبريهم وسيبلغونني .. وسأكون دائما في خدمتك "

صمتت قليلا ثم قالت بجمود " ليفعل الله ما يريد"

واستدارت تتركه دون أي كلمة أخرى .. فراقبها وهي تدخل بيت جدها ولم يعرف أنها مسحت دمعة أخيرة صامتة وهي تهمس لنفسها " أحسنت يا بسمة أنك قابلتيه لتثبتي لنفسك الكثير مما اكتشفته طيلة الشهرين الماضيين ..إنها فقط خطوتك الأولى "

Des. Maryam Tamim

الفصل التاسع والثلاثين

قال الطبيب بعد أن استمع للخطوط العريضة لما أخبره به وائل عن ليلة زفافه " وماذا تذكر بعد ذلك ؟" .

قال وائل " تركت لها البيت أياما أهيم على وجهي مع سيد .. انغمسنا في اللهو والنساء .. وكنا نبيت في الخن .. فقد كان هو الآخر لديه مشاكله الكبيرة مع أبيه وقتها .."

سأله الطبيب "هل تذكر ماذا كان يدور في ذهنك وقتها ؟"

رد وائل " كنت أفكر في ماجدة كثيرا وأحلل كلامها .. وقد ناقشني سيد أيضا في هذا الامر محاولا إقناعي أن ماجدة ليس لها ذنبا سوى أنها ضعفت أمام

Des. Maryam Tamim

حبها لي .. وأنه يرى أني منجذبا لها من قبل حتى أن أعرف مريم " ..

.. صمت قليلا يفرك جبينه بيده في توتر ثم أكمل " أذكر جيدا كيف كانت تلك الفترة مرهقة لي في التفكير .. كنت أحاول أن أفهم مشاعري .. أقارن إحساسي بماجدة وإحساسي بمريم .. "

ساد الصمت قليلا ووائل يحدق في الأرض بشرود فحثه الطبيب على المواصلة فقال " ثم"

رفع وائل رأسه منتبها وأكمل " ثم قررت أن أقابل مريم .. أردت أن أقابلها مرة واحدة أتفقد أحوالها وأودعها للأبد .. "

الطبيب " وقابلتها ؟"

أومأ وائل برأسه .. فسأله الطبيب " وكيف كان اللقاء ؟"

Des. Maryam Tamim

قال وائل متألما " يومها بكت مريم كثيرا ..
ويومها تمنيت بكل صدق أن تقابل شخصا يسعدها .. أخبرتها أني أصبحت متزوجا الآن وعليها هي الأخرى أن تنسى كل شيء وتلتفت لمستقبلها .. يومها نظرت لمريم بنظرة جديدة ومشاعر جديدة وقارنتها بمشاعري تجاه ماجدة .. حتى الانجذاب الجسدي الذي كنت أشعر به تجاه مريم وبعض الشقاوة التي كنا نمارسها كعاشقين قبل ذلك .. قارنت مشاعري كيف كانت معها ومشاعري التي امتلكتني بالرغم مني تجاه ماجدة .. واحساسي بمريم ذلك اليوم .. حتى أني (وصمت قليلا يبتلع ريقه بصعوبة ثم قال) حين جربت معاشرة النساء في الأيام التي تلت زواجي من ماجدة .. كنت مدفوعا من كرامتي أن أثبت لنفسي أنني لم أقع في حب ماجدة وأن ما شعرت به معها كنت سأشعر به مع أي امرأة أخرى .. أو كنت أختبر نفسي لأتأكد من

Des. Maryam Tamim

مشاعري تجاهها لا أعلم .. كانت فترة فقدت فيها كل اتزاني النفسي "

الطبيب " وإلام توصلت في النهاية ؟"

ارتجف وائل وأشاح بوجهه بعيدا يقاوم الدموع التي تدافعت إلى عينيه لكن منها ما انهمر من طارف عينيه فمسحها وهو يتمتم " أني غبي .. غبي .. أحببت ماجدة .. أحببتها من قبل مريم .. أحببتها دون أن أدري .. ربما لأنها فُرضت عليّ أنكرت .. ربما لأعاند أبي لأني لم أخير في هذا الأمر .. وربما لأني كنت أكره أفعال والدتها .. أنكرت ذلك أو لم أدركه "

سأله الطبيب " هل تذكر ماذا حدث بعد ذلك؟.. ماذا قررت بعد أن أدركت مشاعرك الحقيقية؟ "

مسح وائل دموع أخرى تسللت في صمت ورد" قررت أن أعود لماجدة وأخبرها أنه لا داعي لأن تشعر بالذنب فأنا بالفعل أبادلها المشاعر .. وفكرت في أن نسافر بعيدا عن والدتها لتهدأ أعصابي واقرر ماذا سأفعل .. وكيف سأضع الحدود لتلك المرأة المقيتة" .

صمت قليلا ثم تمتم بمرارة " لكن قبل أن أصل لماجدة .. كانت الأمور قد اتخذت منحنى أكثر خطورة ."

لاحظ الطبيب علامات التوتر على وائل .. وقدمه التي بدأ يهزها بعصبية فسأله " هل نكتفي بهذا القدر اليوم ؟"

رد وائل وهو ينازع مع ذكرياته المؤلمة " لا .. أريد الكلام .."

صمت قليلا يمشط شعره بأصابعه يحدق في الأرض .. ثم تكلم متألماً " اكتشفت عمتي قبلها

Des. Maryam Tamim

بأيام أني هجرت ابنتها .. فقررت أن تنتقم فقامت بتسريب إشاعات في الحي بأني قد هجرت ماجدة لارتباطي بعلاقة غير شرعية مع مريم ..وحاكت قصتها بالاستعانة بأشخاص أقنعوا الناس بأنهم شاهدونا معا في أوضاع مخلة .. مروجين لفكرة أن مريم تطاردني في كل مكان وتغويني .. الأمر كان مؤلماً لي جدا أن تلوثت سمعة الفتاة بسبب معرفتها بي .. وفجأة وجدنا الناس كلها تتكلم في هذا الأمر .. فحاولت تبرئة سمعتها وشهد معي سيد أننا كنا سويا ولم نفترق لحظة واحدة ..وأن الفتاة شريفة ولم نرى منها ما يسوئها .. بينما أتباع عمتي قاموا بتضييق الخناق على والدها البسيط الذي كان يملك محلا صغيرا لتصليح الساعات .. حتى انتهى الأمر بإضرام النار في المحل وقيد الحادث ضد مجهول .. وتم محاصرة بيت مريم وعائلتها يطلبون منهم الرحيل .. ومنهم من طالب بقتلها .. ووقفت أنا وسيد في وجوههم .. وأذكر أن الحاج

Des. Maryam Tamim

سماحة أيضا قد تدخل ورجال دين من الكنيسة والشيخ عبد الرحمن القاضي .. بينما كانت حالة والدي تسوء على فراش المرض بسبب ما يحدث في الشارع .. كانت مشكلة كبيرة بالحي ..حتى.."

ازداد اهتزاز قدم وائل وصمت قليلا يقاوم مزيدا من الدموع ثم أكمل "حتى سمعنا بخبر انتحار مريم .. "

تكلم الطبيب يسأله " وكيف شعرت وقتها ؟"

تكلم بخفوت وهو يمسك صدره " إحساس قاسي أن تكون سببا في موت أحدهم "

رد الطبيب " لكنك لست مسئولا عن تلك الشائعات وما تلا ذلك "

صاح وائل فجأة بانفعال" لكني أنا من جررتها وأهلها البسطاء لتواجه أُناس أقوى منهم .. ظلموهم .. واضروا بهم .. كل هذا لأني لم أدرك

Des. Maryam Tamim

مشاعري الحقيقية .. ولأني قررت أن أمارس بعضا من المراهقة .. ولأني أردت معارضة والدي وإثبات رجولتي ..(ضرب بقبضته في المقعد الجلدي الذي يجلس عليه) أنا السبب .. أنا السبب .. أنا الملعون ".

ساد الصمت قليلا ووائل يسند رأسه بكفيه ..فتكلم الطبيب يكمل له قصته بلهجة ذات مغزى

"فعشت تتعذب بشعورك بالذنب تجاه مريم.. وساءت حالتك وبدأت هلاوسك برؤيتها لتخفف عن نفسك ألم الاحساس بالذنب ولتثبت لنفسك أنها مازالت حية لم تمت حتى اضطروا لأن يدخلوك المصحة النفسية ليلزموك بالعلاج النفسي الذي كنت تهرب منه "

رفع وائل رأسه فجأة يسأله " لا أعرف كيف تطور الأمر بداخلي لأن أعيش مع مريم كل هذه السنوات معتقدا أني أعيش على ذكراها؟؟؟"

Des. Maryam Tamim

رد الطبيب " الأمر واضح يا وائل .. أنت كنت تتألم من فكرة أنك السبب فيما حدث لها ولعائلتها فحاولت أن تخفف ذلك الشعور المعذب بداخلك بأن ما حدث كان حبا .. ولم تمت الفتاة بسبب مجرد مغامرة قمت بها .. فألغيت حقيقة أنها كانت نزوة في حياتك من عقلك الواعي "

حدق فيه وائل وبقايا دموع في عينيه فأكمل الطبيب " وأعطيت أوامرك لعقلك أن يلغي شعورك تجاه ماجدة تماما .. حتى تخفف عن نفسك الألم أيضا .. ألمك بسبب انكارك وتجاهلك لها .. وألم شعورك بخيانة مريم إذا ما أثرت عليك ماجدة بسحرها مجددا ..منكرا أي شعور تجاهها حتى الشعور الإنساني الذكوري البحت بها كأنثى .. كنت قاسيا مع نفسك وقاسيا عليها "

Des. Maryam Tamim

صمت الطبيب فأكمل وائل الحديث بعينين حمراوين متسعتين " حتى أخفف من مشاعر الذنب بداخلي ! .. إذن .. هذا أنا ذلك الضعيف الهش ."

قال الطبيب " أعتقد أن ما حدث من تداخل الأمور في عقلك كان مبعثه أن مشاعرك تجاه ماجدة أو إحساسك بالذنب تجاهها هو مَن صنع شخصية مريم الجديدة .."

وطرق الطبيب بقلمه بتوبيخ واكمل " مع تناول المهدئات دون استشارة طبيب وبهذه الكميات التي وجدوها عندك يوم الحادث .. و شعورك بالوحدة كل هذه السنين .. فقام عقلك الغير واعي بحيلة جديدة ليضعك في مواجهة نفسك ..فصنعت وهم مريم من جديد بدليل أنك كنت واعيا في البداية أنها وهما حتى عاد عقلك الذي يطاوعك في التمادي في تصديق وجودها .. هذه المرة صنعتها تشبه

ماجدة باسم مريم .. حيلة من حيل العقل البشري الذي لا يزال يبهرنا بقدرته على تعقيد الأمور .. فإذا بها تتكلم بلسان ضميرك الذي تخدره بشأن ماجدة."

أطلق وائل ضحكة عصبية قصيرة وقال "وهذا أيضا يدل كم أنا رجل ضعيف هش أهرب من مواجهة الأمور القاسية .. حتى تورم ضميري مني وتجسد أمامي ليحدثني (وقطب جبينه يحاول أن يتذكر وأكمل) هناك حديث دار في رأسي بهذا المعنى في الغيبوبة .. كل هذا يدل على أن ما حدث في حياتي وكل الأشخاص الذين آذيتهم كان لأني رجل هش ضعيف ".

تكلم الطبيب موضحا " كوننا عاطفيون أم عقلانيون أمر يخضع لتكوين شخصيتنا التي خلقنا

Des. Maryam Tamim

الله عليها لكن التعامل مع نقاط ضعفنا هو المهم للتعامل مع الحياة .. وهو ما تحاسب عليه في أفعالك فليست المشكلة في أن تكون شخص عاطفي حساس ومسالم ولا تتحمل أذية كائن حي المشكلة في ألا تتحول مسالمتك لضعف وحساسيتك لوسواس "

مر قليلا من الصمت والطبيب يراقب وائل المطرق برأسه يعيد ترتيب ما توصل إليه والذي رفع رأسه بعد قليل يسأله في حيرة السؤال المهم " لكن لمَاذا الآن ؟ .. لماذا بعد كل هذه السنين من الضياع والغيبوبة؟" .

اعتدل الطبيب في مقعده ورد برزانة" أظن الأمر واضح يا وائل .. أنت تريد هذ المرة أن تستفيق .. تريد أن تعرف الإجابات ..(وضغط على الحروف) أنت .. تريد أن تستوضح الحقيقة من الوهم .. أتذكر حين أتيت لي منذ سنوات .. حاولت معك أن

نتحدث عن كل التعقيدات في حياتك .. لكنك كنت ترفض الاستجابة متخذا قصتك مع مريم كمعبد تتعبد فيه رافضا أي مناقشة تخصه .. كان كل همك أن أصرف لك المهدئات لتسكن وجعك الداخلي دون أن تساعدني في أن نفتح الجرح ونخرج ما فيه من تقيحات ونعقمه ونعطيه الفرصة لأن يلتئم حتى لو ترك ندبة لكان ذلك أفضل بكثير من أن يتحول الجرح لورم خبيث .. (صمت قليلا ثم أكمل) الطبيب لن يستطيع فعل أي شيء إن لم يكن لدى المريض رغبة حقيقة في الشفاء وإرادة لتحمل مراحل العلاج .. وشجاعة لمواجهة نفسه وأخطاءه أولا قبل تحديد مسئولية وأخطاء الأخرين .. أما الآن فأنت مستعد بل وقطعت شوطا مدهشا (وقلب في الأوراق التي يحتويها ملفه وما بها من ملاحظات) أؤكد لك أن الحال الذي تصف به حالتك وما سمعته من أصحابك عنها قبل الغيبوبة والآن أرى أنك قفزت قفزة عملاقة بينك

Des. Maryam Tamim

وبين نفسك فقط لأنك قررت أن تستفيق .. أصبح عندك رغبة في مواصلة الحياة .. في تقييمي الشخصي أنت تملك سلاحا مميزا يفتقده الكثيرون لكنك تكاسلت أن تبحث عنه واستسلمت ونسيته .. (صمت قليلا يراقب ملامح وائل المترقبة ثم أكمل) ألا وهي إرادتك .. لديك إرادة قوية لكنك لم تحاول أن تجربها من قبل "

تكلم وائل ساخرا بمرارة " لكن للأسف بعد فوات الأوان وبعد أن فقدت أحلى سنين عمري وبعد أن (وصمت قليلا يستوعب مصدوما اكتشافه لمشاعره تجاه ماجدة ثم تمتم) حتى الآن لا أصدق .. أنا استحق الإعدام "

أغلق الطبيب دفتره وقال " سنتحدث لاحقا فيما يخص ماجدة .. أنا فقط عندي لك وصية ورجاء .. الوصية أن تستمر في محاولة تذكر كل شيء حتى

الأحلام التي رأيتها في الغيبوبة ولا تغفل عن إخباري بكل ما رأيته من قبل أو توهمت برؤيته .. والرجاء ألا تنقطع عن زيارتي حتى لو شعرت أنك بخير .. هذا إذا كنت تريد أن تكون بخير فعلا " .

استقام وائل شاردا وسلم على الطبيب مغادرا لكنه توقف عند الباب واستدار إليه يقول بحيرة " ماذا سأفعل مع ماجدة؟ .. وبأي وجه سأقابلها بعدما علمت جليا أي سفاح أنا " .

رد الطبيب " لا تضغط على نفسك وكن عفويا وسنتحدث في هذا الشأن في المرة القادمة "

***

ردت آية علي الهاتف تقول باقتضاب
نعم سيد "

Des. Maryam Tamim

صمت قليلا ثم قال " هل تخاصمني قطعة السكر؟"

هزت ساقها بعصبية تقاوم مشاعر متناقضة ما بين شوقها القاتل إليه ولصوته الذي لم تسمعه اليوم وغيظها منه ثم قالت بعصبية" أين كنت طوال اليوم وتغلق هاتفك .. واتصلت برحمة حين قلقت طمأنتني أنك بخير لكن تلك اللئيمة لم تخبرني أين أنت "

رد بهدوء مستمتعا بعصبيتها " كان لدي أمر هام علي أن أنتهي منه .. أين أنت ؟"

قالت " في الورشة لدي تصاميم كنت أعدها .. ما هو الموضوع الذي شغلك حتى عن إرسال رسالة واتساب تطمئنني عليك ؟"
تجاهل سؤالها ليقول " حسنا هل انتهيت من عملك؟"

ردت " أجل تقريبا "

[4291]

قال بهدوء " إذن هل ستخرجين إليّ أم أدخل أنا إليك ؟"

سألته بغباء" أخرج أين؟"

رد " إلى خارج مبنى مؤسسة سماحة للموبيليا والديكور "

صرخت بمفاجأة " أنت هنا؟؟؟ .. أنت هنا بالفعل"

ابتسم لصراخها ورد " ها؟ هل انتهيت من عملك أم سأنتظر أكثر ".

ردت بارتباك وهي لا تعلم أين تذهب يمينا أم يسارا " أنا آتية حالا ..حالا ".

وأغلقت الخط.. فنظر لهاتفه واتسعت ابتسامته .. بينما قلبه يقفز بين ضلوعه يعزف مارشات

[4292]

عسكرية استعدادا لاستقبالها .. ثم نظر في مرآة السيارة الأمامية يمشط شعره بأصابعه ويتفحص لحيته الأنيقة متسائلا عما إذا كان عليه أن يحلقها حتى لا تعطيه عمرا أكبر .

في الورشة الصغيرة التابعة لمكتب أحمد وقفت بارتباك تعدل من هيئتها موبخة نفسها أنها لم ترتدي ملابس أفضل حين خرجت في الصباح تتمتم " ما هذا القرف الذي أرتديه.. يا الله ! ..لماذا اليوم من بين كل الأيام.. انتظره لشهرين ليقابلني أخيرا وأنا بهذا المنظر !" ..

نظرت للحذاء الرياضي في قدميها وضربت رأسها تشتم نفسها أنها لم ترتدي حذاء ذا كعب عال ..

عدلت ما استطاعت تعديله وخرجت إليه بعد قليل فوجدته مستندا على سيارته بطوله الفارع

Des. Maryam Tamim

ولحية بنية أنيقة تزين وجهه رأته بها آخر مرة .. واعترفت لنفسها أنها تزيد من وسامته ..

تسارعت دقات قلبها تضرب في صدرها بعنف حين رفع وجهه واعتدل في وقفته لاستقبالها بابتسامة اشتاقت إليها واشتاقت لكل ما يخصه وتمنت لو تلقي بنفسها في حضنه مرة أخرى لتطفئ شوقها إليه.

تطلع سيد لخطواتها المرتبكة متحكما في أعصابه ألا يفقد السيطرة عليها .. وذكريات تلك الدقائق في السيارة وهو غارق في حضنها تأبى أن تتركه منذ ذلك اليوم .. فتقبض حين اقتربت حتى لا يسلم عليها .. بينما المارشات العسكرية الصاخبة في صدره تطن في أذنيه .. لكنه لم يقدر على أن يتحكم في عينيه التي قبّلت تفاصيلها بنظرات جريئة متفحصة لم تعد تشعره بالذنب .

وقفت أمامه رافعة إليه مقلتين عسليتين تهديه ابتسامة تقطر عسلا زادت من عذابه .. ليخفي ارتباك المراهق الصغير بداخله ويقول بخفوت " كيف حالك يويا ؟"

اشتعلت وجنتيها وتمتمت " الآن أصبحت بخير "

فتح لها باب السيارة ... فجلست في صمت تراقبه وهو يستدير ليجلس بجانبها في مقعد السائق ..

وساد الصمت المتوتر بينهما وذكرى ذلك الحضن في نفس المكان تفرض نفسها على الذاكرة .. فتكلمت آية تبدد ذلك الصمت المربك " أين سنذهب ؟"

رد وهو يتأمل تفاصيلها بشوق " سأوصلك للبيت .. أو بمعنى أدق سأوصلك لأقرب نقطة للحي لتركبي

Des. Maryam Tamim

سيارة أجرة للبيت فلا أريد أن نظهر سويا أمام أهل الحي حتى يتم الأمر بالشكل الذي نخطط له "

قالت بإحباط " ستوصلني فقط !!.. بعد هذا كل الوقت دون أن أراك ؟!!"

قال متألما" بقي القليل يويا لا نريد أن نفسد الأمر .. كما أني متعب جدا من القيادة لساعات طويلة .. لكني لم أستطع أن أمنع نفسي عن لقاءك أكثر من ذلك "

ارتفع الأدرنالين في عروقها وسألته بتحفز" أين كنت بالضبط ؟

رد بهدوء " كنت في بلدة طليقتي .. كان عليّ أن أتأكد أنها بخير"

لم تستطع التحكم في مشاعر الغيرة فاندفعت صائحة بعصبية " اسمع يا سيد أنا لا أنكر أني ممتنة لها أن انفصلت عنك .. ولا أنكر أيضا أني

Des. Maryam Tamim

أشفقت عليها بعد ما أخبرتني بما حدث .. وأدعو لها أن تلقى سعادتها بعيدا عنك .. لكني لن أتحمل سيرتها أكثر من ذلك ولن أتحمل أن تظل مهتما بها وبأحوالها ... هذا يحرق قلبي يا سيد .. ألن اتخلص من حرقة القلب أبدا !."

انعصر قلبه وهو يرى العذاب في عينيها وبحة صوتها فقال بهدوء يقاوم فيضان من المشاعر تعربد في صدره " كان عليّ أن أفعل ذلك يويا .. كان علي أن أتأكد بنفسي أنها بخير .. وعلينا أن نعترف أن جزءا مني سيظل يُفسد عليّ سعادتي معك حتى اتأكد أنها وجدت سعادتها وسامحتني .. هذه الحقيقة لن نستطيع أن نفر منها أنا وأنت .. "

إدراكها لتلك الحقيقة أوجعها لكنها دارت وجعها وصرخت بحنق طفولي" وهناك حلا آخر .. أن

Des. Maryam Tamim

يذهب كل منا لطريقه .. حتى تتخلص أنت من إحساسك بالذنب بوجودك معي ."

تكتفت تشيح بوجهها نحو النافذة غاضبة .. فتحكم في ابتسامته وهو يشاهدها تهز ساقها بعصبية في ذلك البنطال الجينز الذي انزاحت البلوزة الطويلة عنه ليساعده البنطال في رسم تفاصيل ساقها بطريقة أطلقت حمما سائلة في أعصابه فتنحنح يعتدل أمام المقود وقال ببرود " حسنا لا بأس ما دمت تصرين على الانفصال فلن أجبرك على الارتباط بي "

توقفت حركة ساقها واتسعت عيناها لكنها ظلت تشيح بوجهها عنه .. فتحكم في ابتسامته مجددا ونظر إليها يقول " لكن عليّ أولا أن أعيد لك هداياك .. (حركت مقلتيها يمينا ويسارا تحاول الاستيعاب بينما أكمل هو) صحيح أنا يتيم وبائس لكني لا أقبل الصدقة أبدا "

Des. Maryam Tamim

استدارت إليه تقطب جبينها وسألته بغباء " أي هدايا تريد إعادتها لي "

تحكم في ابتسامة ماكرة وتصنع الجدية يقول " مثلا ذلك الحضن الذي تشهد عليه هذه السيارة .. منذ شهرين أمام مبنى الاستوديوهات .. (راقب بتسلي وجهها الأبيض وهو يتحول للأحمر تدريجيا فأكمل) وأيضا .. تلك القبلة الرقيقة يوم الوداع .. (وحدث نفسه بصوت مسموع) أممم على أي ناحية كانت يا سيد ؟ اليمين أم اليسار "

اشتعل وجهها واستدارت نحو النافذة تضغط شفتيها بحرج شديد .. فمال عليها فجأة لتتسارع ضربات قلبها بجنون .. وتهب راحة عطره الرجولي القوية بجانب أنفها مباشرة وهي تستشعر اقترابه .. فأغمضت عينيها بقوة تستجديه في سرها لحضن تفقد كيانها كله فيه .. وسمعت صوت أنفاسه قريبا

Des. Maryam Tamim

جدا منها .. شاعرة بذراعه تمتد حولها دون أن تمسها .. لتنتبه فجأة لحزام المقعد يسحب من جانبها بينما رائحته وصوت أنفاسه ينحسرا عنها مجددا ولم يحضنها سوى حزام المقعد الذي طوقها بدلا من ذراعيه .

فتحت عينيها بارتباك تراقب ما يحدث فوجدته يثبت قفل الحزام في المقعد من الناحية الأخرى .. فسألته بغباء "ماذا تفعل؟"

طالعها بنظرة غامضة وقال بهدوء " كما ترين .. أربط لك حزام المقعد حتى نتحرك "

ثم اعتدل أمام المقود وحدجها بنظرة ماكرة بطارف عينيه وهو يسألها " لمَ أغمضت عينيك؟ .. هل كنت تتوقعين شيئا معينا ؟"

Des. Maryam Tamim

جحظت عيناها ودبت الحرارة في كل جسدها ليلتفت إليها ينتظر الرد بمكر .. فحركت رأسها بلا خرساء ..

شغل سيد السيارة .. وأشاح بوجهه نحو النافذة يطلق زفرة حارة صامتة من صدره ويمد يده لمؤخرة رقبته ليمسح حبات العرق.. ثم شغل مكيف الهواء في السيارة في استغاثة عاجلة.

سألها بعد قليل " سأعرض شقتي الحالية للبيع .. وكنت أتمنى أن أعود للحي من جديد .. هناك شقة معروضة للبيع في نفس الشارع .. فهل لديك مانع؟"

حدقت فيه تقول بذهول " أنا !! "

نظر إليها بعينين يموجان بالعاطفة وقال " ومن غيرك يُسأل .. ألست العروس !"

Des. Maryam Tamim

صمتت قليلا تتأمله ثم قالت بصوت يائس " كما تريدون يا سيد .. صدقني أنا لا أشعر أني عروس مثل كل الفتيات .. ولا يشغل عقلي لا بيت ولا أثاث .. لا يشغل عقلي إلا أمرا واحدا .. متى سيسمح لي بأن أنطق اسمك أمام الجميع دون خوف أو لوم .. متى سأمشي معك في الشارع .. متى سأكف عن الاشتياق إليك "

لم يستطع سيد التحمل .. فهدأ من سرعة السيارة ثم أوقفها بجانب الطريق بينما آية تكمل كلامها " أتدري .. لقد اكتشفت أمرا عن نفسي .. "

استدار ينظر إليها بكليته فأكملت " اكتشفت أن غالبية قيودي التي أعاني منها تخصك .. تخص علاقتي بك .. فأنا لم أفكر في رغبتي في كشف شعري إلا لأريه لك .. ولم تعذبني الحدود إلا فيما يخصك أنت .. ولم أرغب في لفت انتباه أحد غيرك

Des. Maryam Tamim

.. لهذا فإن غالبية تمرد آية وجموحها وعذابها من القيود حولها أصله تلك الحواجز التي ظلت تقام بيننا تباعا كلما كبرت .. فظلت تعذبني وظللت أعاني منها .. كنت أصطدم بيقين لا أعلم متى وكيف ترسخ بداخلي .. أننا كيان واحد فلم أفهم كيف يفرقونا ويضعون بيننا الحواجز !! .. هذا وحده كان مؤلما معذبا وغير مفهوم بالنسبة لي .. أنت تقول أني ورطتك .. فماذا تكون أنت لي إلا هوسا ! .. وكم من السنين كنت سأحتاج لأتخلص من ذلك الهوس .. هذا بفرض أني قد أتخلص منه يوما "

تغلب على أعصابه التي تحطمت مما تفوهت به وقاطعها هامسا " اششششش .. كفى يويا .. كفى إحراقا لقلب سيد .. استحلفك بالله "

ومد يديه غير قادر على التحمل أكثر ليسحب يديها بين كفيه وترك أصابعه تتحسسها بشوق وهمس

Des. Maryam Tamim

كاتما أنفاسه " لو أخبرك كم من مرة اشتقت لأن أحضن كفيك فقط بين يدي يويا "

ردت وهي تغرق بكليتها في دفء كفيه "أنت من امتنع حتى عن السلام عليّ باليد منذ سنين "

رد بهمس وهو يضيع في عسل عينيها " لأني استشعرت في نفسي أنه لن يكون سلاما بريئا أبدا من جانبي فلم أرضى لك بأن تدنسك لمستي .."

همست باسمه في غير تصديق .. لما يحدث.. وما تسمعه منه .. وما يفعله.. حين انحنى يطبع قبلة بطيئة في باطن كل كف من كفيها .. ويغرق وجهه فيهما لثوان .. فارتجفت شاعرة بروحها تهرب من جسدها وهي تستشعر شفتيه ولحيته في كفيها .

[4304]

مرت سيارة من جانبهما .. فأجبر سيد نفسه على رفع رأسه واعتدل أمام المقود وهو يهمس بأنفاس ثقيلة " علينا أن نذهب " .

شغل السيارة وحركها بيده بينما يده الأخرى تقبض على كفها غير قادر على تركه ..ليوقفها بعد قليل ويقول " هذه أقرب نقطة أستطيع إيصالك لها "

تطلعت حولها ثم قالت " وصلنا بسرعة"

ابتسم لها بدفء وقال " لم يبقى سوى القليل يويا .. غدا بعد صلاة الجمعة سنطلبك للزواج كما اتفقنا مع أبي الحاج .. وبعدها سنحدد كل شيء وأتمنى ألا يطول الأمر ".

سألته بخفوت " هل تصدق أن يوما كالذي ننتظره سيأتي ؟!"

ابتسم لها ورد " ظننت أني وحدي من لا يصدق!"

Des. Maryam Tamim

تأملها قليلا ثم أنزل نظراته لكفها الغارق في كفه
ليجبر نفسه بصعوبة على أن يطلق سراح يدها
ويفك حزام مقعده بسرعة قبل أن يضعف ..
وترجل من السيارة يبحث لها عن سيارة أجرة ..

بعد دقائق كان يقودها للسيارة الأجرة .. ثم أخرج
من جيبه نقودا ناولها للسائق .. ووقف متخصرا
يراقب السيارة وهي تتحرك بها بعيدا عنه .. بينما
رأسها يلتصق بزجاج النافذة الخلفية غير قادرة على
إشاحة وجهها عنه تراقب هيئته الضخمة تبتعد
شيئا فشيئا مقاومة رغبة ملحة في البكاء كالأطفال .

بعد دقائق جاءتها رسالة على الواتساب لتجده
يرسل لها أغنية ويقول " لنسمعها معا .. واعلمي أن
منير يغني لحبيبته السمراء بينما حبيبتي أنا بيضاء
.. لذا تخيلي عبارة (يا سمرا) في الأغنية أنها (يا آية
) "

Des. Maryam Tamim

كتبت له "سيد "

كتب " روح سيد "

كتبت آية " لا تحلق لحيتك .. أحببتها .. أحببتها جدا ".

اتسعت ابتسامته .. وازدادت ضربات قلبه فألقى الهاتف أمامه يطالع لحيته في مرآة السيارة الأمامية .. ويقول بسعادة طفولية "أحببتها .. أحببت لحيتي (وأخرج رأسه من نافذة السيارة يصيح بصوته الجهوري) أحببتها "

فأفزع الطيور من على أعشاشها ..

أما آية فوضعت سماعة الهاتف في أذنها وبدأت في سماع الأغنية وهي تترجل من السيارة الأجرة أمام بوابة بيت سماحة .



جوايا قلبي شجر مقلوع
بعطش إليكي وأحن وأجوع
ياللي انتى حبك حرية
في العشق آه .. ولا شيء ممنوع
يا سمرا .. يا سمرا

دخلت بوابة البيت ووقفت على السلم تلتقط أنفاسها وهى تستمع للأغنية .. ثم دبدبت بقدميها بفرح تود لو تطير وتحلق فوق البيوت تغني مع الأغنية.

دى شفايفك لمّا بتتنهد .. أنا بستشهد
وبعيش فى النار.. أعيش فى النار
وعيونك لمّا بتتلفت.. أنا بتفتِت
ما الحقش احتار.. ما الحقش احتار
ضميني خديني أنا لاجئ
و لأول مرة بكون صادق
موتني العشق و مش فارق
ليل ولا نهار..

[4308]



يا سمرا .. يا سمرا

فتحت الباب لتدخل على إلهام تتراقص وتدور حول نفسها وهي تستمع للأغنية في أذنها ثم اقتربت من أمها التي ابتهجت لفرحتها لتقبّلها آية وتحضنها في صمت .. بعدها تركتها وهي تتراقص وتدور وتدور حول نفسها كراقصة الباليه .

الجنة قصادك بتفتح
عنيكي بتسكت و تلمح و تقول أسرار

هزيني بسحرك من جوه
دانا قلبي لا حول ولا قوة.. ضد التيار

أنا عارف إني ماليش دية
في عنيكي ديا .. آخر المشوار

بينما سيد يغني بصوت عال مع الأغنية التي تملأ نغماتها سيارته مخرجا ذراعه من النافذة يلمس الريح شاعرا برغبة في الصياح باسمها بأعلى صوت

.

ضميني خديني أنا لاجئ
و لأول مرة بكون صادق
موتني العشق و مش فارق
ليل ولا نهار
يا آية .. يا آية .

***

يوم الجمعة :

قالت أروى على الهاتف " لمَ لا تجيبون على هواتفكم يا أمي "

قالت إلهام بحماس " كلنا مترقبون لما سيحدث .. الرجال في المسجد وسيتوجهون مباشرة للمقهى كما تعرفين حتى يحاولوا إقناع الحاج (وأصدرت ضحكة سعيدة ثم أكملت) وأنا وبانة وآية نجلس

Des. Maryam Tamim

متوترين وكأننا فعلا ننتظر رأي الحاج مثلهم .. نتابع من الشرفة دون أن يشعر بنا أحد .. ألن تأتي ؟"

زفرت أروى وردت " كنت أنوي المجيء لكن عمرو ليس هنا "

سألتها إلهام " ألا يصلي الجمعة معهم ؟"

ردت أروى " لا يا أمي .. أحد زملاؤه بالعمل توفى .. فذهب منذ الصباح ليحضر مراسم الدفن ويصلي صلاة الجنازة هناك وحين يعود سنأتي بإذن الله "

ردت إلهام " عظم الله أجره وحفظه يا بنيتي .. حسنا سننتظرك حين يعود عمرو "

قالت أروى ضاحكة " طمئنوني على الخطة العبقرية حين تتم "

تمتمت إلهام وهي تنهي المكالمة " اللهم تممها على خير واجمع بينهما آية وسيد آمين "

Des. Maryam Tamim

سمعت آية تهلل بجوارها وعلى ما يبدو تمطرها بالقبلات فضحكت أروى وقالت وهي تغلق الخط " سأتركك مع العروس لتمطرك بقبلاتها كما تريد"

أغلقت أروى الخط مبتسمة تمسد على بطنها وتهدئ لاعب الكرة الذي يركل في بطنها بنشاط .

بعد ساعة اتصل عمرو فردت " أين أنت يا أبا عبد الرحمن أريد أن أذهب لبيت أبي "

جاءها صوته مرتعبا يصيح بعصبية " أحمد لا يرد على الهاتف ولا وائل ولا سيد ولا أحد يرد عليّ "

صاحت بجزع وقد تقلص جنينها في بطنها مترقبا بينما ضربات قلبها تدق بعنف " ما بك يا عمرو .. أأنت بخير ؟؟؟"

رد عمرو" أمي يا أروى .. أمي أرسلت لي منذ قليل تنبيها اتفقنا عليه فيما بيننا .. حين تشعر بأنها على

Des. Maryam Tamim

وشك اغماءة سكر .. وحاولت الاتصال بها لا ترد ولا أحد يرد منهم (وعلا صوته وهو يضرب على مقود السيارة) وأنا عالق في الزحام"

قالت أروى مهدئة " اهدأ يا عمرو أرجوك "

استغفر عمرو ربه وقال بلهجة أقل حدة " أنا اتصلت بالطبيب وسيأتي خلال نصف ساعة تقريبا .. أرجوك يا أروى استمري في الاتصال بحارس العقار من الانتركم أنا أحاول الاتصال به لا يرد هو الأخر رغم أن الصلاة قد انتهت منذ مدة "

قالت أروى بسرعة "ماذا تريد منه؟ "

قال عمرو " أطلبي منه أن تصعد زوجته أو أي أحد ليرى أمي ويطمئنني ويفتح الباب للطبيب .. مفتاح الشقة الإضافي ستجدينه في أحد الأدراج بجانب سريري .. أرجوك يا أروى طمئنيني حين ترد عليك

Des. Maryam Tamim

زوجة حارس العقار .. وسأستمر أنا في الاتصال بالشباب "

ردت أروى " بالتأكيد هم مشغولون بموضوع آية والاجتماع مع أبي (ثم أضافت مطمئنة) لا تقلق يا عمرو اهدأ ولا تقلق يا حبيبي "

أغلقت الهاتف ولم تتردد لحظة .. نزلت من على السرير ببطء ووقفت مستقيمة القامة .. ثم تحركت بعرج واضح نحو خزانة الملابس وهي تسند ثقل بطنها بيدها.. وفتحت الخزانة لتحضر ما تخبئه عن عمرو وعن الجميع .. أخرجت عكازا معدنيا وضعته جانبا ثم امسكت باسدالها ترتديه فوق ذلك البنطال الجينز والبلوز قصيرة الأكمام التي كانت تنوي أن تجلس بهم في بيت أبيها حين تزورهم ..

سوت اسدالها وأمسكت بالعكاز تستند عليه بعرج أخف من العرج الذي يظهر حين تتحرك وحدها ..

Des. Maryam Tamim

واتجهت لتحضر المفتاح وهاتفها متجهة بأقصى سرعة تستطيع أن تتحرك بها تسند بطنها بيدها .. شاعرة ببعض الثقل على ظهرها ثم خرجت من الشقة تطلب المصعد قاصدة شقة الدور العلوي ..

بعد دقائق كانت تدخل غرفة عفاف لتجدها مستلقية دون وعي على فراشها وهاتفها بجوارها يرن باسم عمرو من وقت لآخر .. فحاولت إفاقتها فلم تستجيب لتتصل بعمرو تقول" الطبيب تأخر وهي لا تستجيب للإفاقة "

قال عمرو بلهفة " هل أنت معها ؟.. كيف صعدت؟ "

تلجلجت قليلا ثم قالت " استخدمت المصعد.. فالكرسي يدخل المصعد أنسيت .. أخبرني ألا توجد إسعافات لإغماءة السكر "

رد عمرو بأعصاب منهارة" تحتاج لحقنة.. لماذا تأخر الطبيب ؟؟؟ .."

Des. Maryam Tamim

قالت أروى تحاول تهدئته " اهدأ يا عمرو أخبرني هل هذه الحقنة موجودة هنا ؟"

رد بسرعة " أجل يا أروى ستجدينها في خزانة الأدوية ألفها بلاصق أحمر لأميزها عند الطوارئ وهناك إبر أيضا لحقنها .. اتصلي بالصيدلي ليأتي فورا ويحقنها أرجوك يا أروى .. اتصلي بأي أحد يحقنها بالجرعة كلها.. الطريق الدائري مغلق والمرور متوقف وأنا عالق وسط الزحام ولا أعرف من ابن (....) الذي يمر فيغلقون الطريق علينا .."

ردت تنهي المكالمة " لا تقلق ستكون بخير "

تحركت أروى بعرج تتحامل بمعظم وزنها على العكاز المعدني نحو خزانة الأدوية .. وميزت بسرعة الدواء ذا الشريط الأحمر .. وعادت إلى غرفة عفاف من جديد .

Des. Maryam Tamim

بعد ربع ساعة كان الطبيب يتفحص عفاف ويقيس مستوى السكر .. وأروى على الهاتف مع عمرو تطمئنه " لا تقلق يا عمرو الطبيب يفحصها وأخذت الحقنة وكل شيء بخير أن شاء الله "

رد عمرو بقلق " أرجوك يا أروى أريده أن يخبرني حالتها بالضبط "

قالت أروى للطبيب " هلا تحدثت مع عمرو يا دكتور من فضلك " .

أخذ الطبيب الهاتف من ورد " لا تقلق يا باشمهندس الحاجة بخير .. السيدة حرمك قامت بإعطائها الحقنة وها هي تستفيق أمامي الآن .. كانت إغماءة سكر خفيفة والحمد لله تم التعامل معها سريعا .. لا تقلق .. في حفظ الله "

Des. Maryam Tamim

أعطى الهاتف لأروى فقال عمرو "أنت من أعطيتيها الحقنة يا أم عبد الرحمن ؟"

ابتسمت تمسك ببطنها وردت " أجل يا أبا عبد الرحمن .. كنت أحتاج أحيانا لمسكنات قوية لبعض الآلام الشديدة التي كانت تزورني أثناء الليل فتدربت عليها حتى أحقن نفسي .. اذهب الآن ونتحدث لاحقا "

بعد أن أغلقت الهاتف نظرت في ساعتها وتحيرت ماذا تفعل؟ .. فلم تفكر قبل أن تأخذ القرار بالحركة بالعكاز .. ولا تريد أن يعرف عمرو بالأمر .. تريد أن يراها لأول مرة وهي تمشي دون عرج ..

شعرت بالتوتر وشعر جنينها معها بتوترها .. وبدأت بالتفكير بسرعة وهي ترى عفاف تستفيق ..معترفة بأنه لا يصح أن تنسحب لشقتها وتتركها مع الطبيب..

[4318]

إذن لا مفر من أن تراها عفاف وهي تقف على قدميها .. فكيف ستقنعها ألا تخبر عمرو ؟..

شعرت بالضيق .. لم تكن تخطط أن يعرف عمرو الآن..

قال الطبيب لعفاف " كيف حالك يا حاجة الآن ؟"

ردت عفاف بوهن وهي تحرك رأسها " أحمد الله ... أين عمرو ؟" .

رد الطبيب وهو يكتب في دفتره الصغير بعض الأدوية " عمرو لم يحضر بعد .. زوجته موجودة ولولا أنها أسعفتك بالحقنة لم تكن لتنتهي الإغماءة بسلام يا حاجة .. ماذا حدث بالضبط ألا تتناولين أدويتك في أوقاتها " .

نبهتها كلمة زوجته لتستدير عفاف تبحث عنها فابتلعت أروى ريقها وبدأت ضربات قلبها في التزايد.. بينما جنينها يتقلص من جديد مسببا لها بعض المغص .. فأمسكت ببطنها وهي تشتم نفسها أن تسرعت وحضرت بدون الكرسي ..

بينما بحثت عفاف بعينيها لتجد أروى تقف هناك تستند على خزانة الملابس .. وبمجرد أن تلاقت عينيهما ابتسمت لها أروى ابتسامة مرتبكة ورفعت يدها تلوح لها بـ (مرحبا) متصنعة اللا شيء .. فاتسعت عينا عفاف تحدق فيها شاعرة أنها تهلوس فهتفت مصعوقة " أنت تسيرين على قدميك ؟!!!!!!!!!! "

انعقد لسان أروى وتعرقت بينما رفع الطبيب حاجبا يحاول فهم معنى العبارة الغريبة فكررت عفاف مذهولة " هل تسيرين على قدميك ؟!!!!!! "

Des. Maryam Tamim

شعر الطبيب بالقلق فقال " هل أنت بخير يا حاجة .. انظري إلىّ .. أخبريني باسمك واسم ابنك .. يا حاجة هل تسمعيني ؟"

نظرت إليه عفاف جاحظة العينان تقول للطبيب " هل تراها واقفة هناك ؟؟؟؟.. هل رأيتها تمشي على قدميها ؟؟؟؟ "

مال الطبيب يفحصها وهو يقول " بالطبع ستمشي على قدميها يا حاجة ما هذا السؤال ! "

تكلمت أروى مُكرَهة وقد تمنت أن تتركها تظن نفسها تهلوس أو أن يظن الطبيب أنها تخرف "

إنها تسأل سؤالا منطقيا يا دكتور فأنا كنت قعيدة على كرسي متحرك بسبب حادث قديم وهي تراني لأول مرة وأنا أقف على قدماي "

Des. Maryam Tamim

لاحت علامات الفهم على الطبيب وضحك ضحكة عصبية يقول " حمدا لله على سلامتك "

تمتمت أروى بالشكر وهي تتهرب من نظرات عفاف الذاهلة إليها والتي لم ترفعها عنها حتى غادر الطبيب.. بينما أروى تمسك بعكازها تتحرك أمامها بعرج شاعرة بالحرج من عرجها أمام عفاف بالذات .. متحكمة في رغبة ملحة للبكاء ثم قالت متصنعة المرح " ما رأيك في هذه المفاجأة ! "

تكلمت عفاف بوهن " لمَاذا لم يخبرني عمرو ؟ .. هل طلبت منه ألا يخبرني ؟"

قالت أروى بسرعة " قبل أن يقفز عقلك لتفسيرات جامحة .. عمرو لا يعرف .. ولا أحد يعرف حتى أهلي .. كما أني أريد أن أؤكد لك أن عمرو ليس ذلك الرجل الذي قد آمره بألا يقول لك فيقول سمعا

Des. Maryam Tamim

وطاعة مولاتي .. فأرجو أن تستبعدي هذا التصور من ذهنك .. وقتها سترتاحين صدقيني ".

ردت عليها عفاف باستنكار " لا يعرف ! .. هل تستكثرين الفرحة على ولدي فلم تخبريه !! "

أغمضت أروى عينيها وتمتمت بيأس " لابد من اتهامي بأي شيء المهم أن أكون مقصرة"

سحبت أروى نفسا طويلا .. وتحركت تعرج على عكازها لتجلس على المقعد أمامها حتى تريح ظهرها الذي بدأ يؤلمها وأكملت بمرح مصطنع " ها قد اعترفتِ بلسانك يا خالتي "

Des. Maryam Tamim

عقدت عفاف حاجبيها فقالت أروى بانتصار " أن ابنك سيفرح حين سيراني أقف على قدماي .. اعترفتِ بلسانك أنه يحبني وانتهى الأمر "

تحكمت عفاف في ابتسامة ألحت عليها من الطريقة التي تتحدث بها وأشاحت وجهها تمط شفتيها بامتعاض.. لتعود أروى للجدية وتقول موضحة " الأمر يا خالتي أني كنت أنتظر حتى يكتمل شفائي بإذن الله .. لم أرغب في أن يراني أعرج هذا هو الأمر "

عادت عفاف لتحدق فيها بصمت .. فنظرت أروى لساعة الهاتف وقالت بسرعة " هلا طلبت منك طلبا يا خالتي .. أرجوك لا تخبري عمرو بأني صعدت إليك بدون كرسي أرجوك " .

نظرت إليها عفاف وقالت " وماذا ستفعلين الآن حين يحضر ؟"

Des. Maryam Tamim

قالت أروى بسرعة " أنا اتصلت بزوجة حارس العقار وستأتي لتجلس معك حتى يأتي عمرو .. وسأنزل أنا بسرعة لشقتي "

قالت عفاف " وحين تراك زوجة حارس العقار يا ذكية بالطبع ستُدهش وقد تخبره بدون قصد ".

قضمت أروى أظافرها وقالت مفكرة " حين أعلم أنها صاعدة سأنزل قبلها بقليل لا أعرف .. عموما أتوقع أن عمرو لن يحضر قبل نصف ساعة من الآن .. سأرى متى ستصعد هذه المرأة فقد أخبرني زوجها أنها بالسوق .. بمجرد أن يخبرني أنها صاعدة سأنزل أنا قبلها .. هل تعدينني بألا تخبري عمرو ؟"

نظرت إليها عفاف نظرة باردة فكشرت أروى و قالت مازحة كعادتها " اسمعي يا خالتي سأعقد معك اتفاقا .. سأقنع عمرو أن يبيت عندك ثلاثة أيام ما رأيك؟ "

Des. Maryam Tamim

نظرت إليها عفاف بامتعاض فقالت أروى " خمسة أيام ؟ .. ما رأيك في أسبوع كامل ؟.. سأخبره أي حجة واجعله يبيت عندك أسبوعا كاملا .. سيبيت عندك مرمر .. بشرط ألا تخبريه بسري الصغير .. ما رأيك في هذا العرض المغري يا أم مرمر ؟"

اشاحت عفاف بوجهها مبتسمة من طريقتها فصفقت أروى تقول " يا إلهي .. هل أرى شبح ابتسامة على وجه الخالة أم مرمر .. (تطلعت إليها عفاف مجددا لتجدها ترفع يدها للسماء تقول) شكرا على هذا اليوم السعيد يا الله ! "

تحكمت عفاف في ابتسامة أخرى وعادت لمط شفتيها بينما أكملت أروى تحدث بطنها " أرأيت يا عبد الرحمن ضحكت جدتك أخيرا في وجه أمك "

Des. Maryam Tamim

رق قلب عفاف حين ذكرت اسم عبد الرحمن ولقبتها بالجدة فقالت " أريني بطنك "

تحمست أروى ورفعت اسدالها تخلعه ثم اقتربت منها تعرج على العكاز وهي تتمتم في سرها " يا ملين الحديد يا رب ! "

هتفت عفاف باستنكار " ترتدين بنطال من الجينز وأنت حامل !! "

ابتسمت أروى وهي تقترب ورفعت البلوزة لتريها الجزء القماشي الطري في محيط خصر البنطال وقالت " بنطال جينز مخصص للحوامل يا خالتي"

مدت عفاف يدها تتحسس بطنها وقد غلبتها العاطفة تجاه حفيدها فسألت " كيف هو؟ "

ردت أروى مطمئنة " بخير ولا يتوقف عن الركل أشعر أنه يلعب الكرة بالداخل "

Des. Maryam Tamim

ابتسمت عفاف هذه المرة ابتسامة صريحة وهي تنظر لبطنها وقالت " كأبيه .. كان يرفس ويركل بشكل متواصل (ثم كشرت فجأة لتقول) لم أنت نحيفة هكذا ألا تأكلين ؟ .. ما ذنب حفيدي ليولد ضعيفا "

ردت أروى مطمئنة " لا تقلقي على حفيدك وزنه بخير ومعدل نموه طبيعي (ونظرت في ساعتها) أمامنا عشرون دقيقة تقريبا حتى يأتي عمرو سأتصل بالمرأة استعجلها .. وأعد لك كوبا من اللبن قبل أن أذهب" .

تطلعت إليها عفاف غير مصدقة وهي تراها تستند على العكاز وتعرج خارجة من الغرفة وقد انفلت شعرها الناعم من عقدته المرتخية ليستقر على ظهرها .

في المطبخ ركنت أروى عكازها وبدأت تبحث عن أماكن الأشياء لتسمع فجأة باب الشقة يفتح

Des. Maryam Tamim

بالمفتاح وصوت عمرو يتحدث في الهاتف مع أحمد يخبره أن الأمر مر على خير .. فجحظت عيناها متفاجئة ونظرت للساعة لتجده قد وصل أبكر بكثير مما أخبرها ..

تسارعت ضربات قلبها .. وأسرعت تعرج نحو باب المطبخ وأغلقته بسرعة .. ثم وقفت متوترة لا تدري ماذا تفعل ..

أغلق عمرو الهاتف ودخل على والدته يقبل رأسها ويدها ويقول " أرعبتني يا أمي .. ماذا حدث لك .. ألا تلتزمين بدوائك ؟"

ربتت عفاف على يده بحنان وتمتمت" أنا بخير لا تقلق يا حبيبي أنا بخير "

قال عمرو" لولا أن الله وفق أروى في إسعافك (قطع عبارته يبحث حوله وقال) أين أروى هل نزلت وتركتك وحدك ؟!"

Des. Maryam Tamim

حدقت فيه عفاف ولم ترد .. فعقد عمرو حاجبيه ووقف متعجبا يقول " أين أروى يا أمي ؟!!"

قالت عفاف وهي تمط شفتيها " وما أدراني أنا .. أنا راقدة في سريري لم أغادره "

رفع عمرو حاجبه متعجبا يشعر بغرابة الأمر .. فترك الغرفة وذهب للحمام ليجده فارغا فهم بالنزول لشقته متخوفا أن تكونا قد تشاجرتا من جديد .. حين سمع همهمة تأتي من خلف باب المطبخ المغلق علي غير عادة .

كانت أروى تهمس بعصبية في الهاتف لأحمد "هل هذا وقت مناسب لتوبيخك الآن .. اتصل به وأطلب منه النزول بأي حجة أنا عالقة في المطبخ."

Des. Maryam Tamim

فُتِح باب المطبخ ببطء .. فأغلقت الخط بسرعة ورفعت رأسها تنظر لعمرو المتسمر أمامها مصعوقا وهو يراها واقفة أمامه مستقيمة.. فشعرت بهبوط في دورتها الدموية وأمسكت ببطنها تطبق على شفتيها بارتجاف .

ساد صمت طويل .. متوتر من جانبها .. مذهول من جانبه .. يحاول فيه عمرو تحويل المنظر الذي يراه أمامه لتفسير منطقي مفهوم يستطيع عقله استيعابه ..

أروى واقفة أمامه ! ..

تقف .. وحدها !..

باستقامة !..

بدون كرسي !!..

Des. Maryam Tamim

ترتدي بنطالا من الجينز الضيق يحدد انحناءات وحدود قوامها الرشيق .. وبطنها المنتفخة بإغواء أمامها .. وشعرها الأسود ينسدل على كتفيها.

همس بحلق جاف " أروى !"

قالت مفسرة بندم " كنت طامعة لا أكثر .. أردت أن تراني أول مرة وأنا أسير بشكل طبيعي .. لم أقصد إخفاء الأمر عليك يا عمرو صدقني .. طمعت في أن أرى في عينيك إعجابا بي وأنا أمشي مستقيمة دون عرج ".

استمر عمرو في تسمره معقود اللسان يطالعها من رأسها حتى أخمص قدميها فقالت أروى " صدقني يا عمرو لم أقصد سوى ذلك أنا .. (انفجرت في البكاء فجأة وأخذت تتمتم) آسفة .. آسفة جدا لم اقصد

Des. Maryam Tamim

أن أصدمك بهذا الشكل أردت مفاجأتك حين يكتمل شفائي " .

ابتلع ريقه بصعوبة وسألها بصوت هارب منه أول سؤال تبادر لذهنه " منذ متى ؟"

ردت باكية " حين افترقنا عن بعضنا قضيت الوقت كله اكشف التمارين وخطوت أول خطوة .. بعدها بدأت تتحسن حالتي تباعا .. حتى مع الحمل طبيبة العلاج الطبيعي أخبرتني أن الحالة مستقرة مع التمارين البسيطة التي أقوم بها .. لكن العرج سيظل حتى نعود للتمارين المكثفة من جديد بعد الولادة إن شاء الله .. فكنت أنتظر" .

سألها بصوت هارب منه " ومن كان يعرف ؟"

ردت بسرعة " لا أحد (ثم استدركت تقول ببطء) فقط أحمد .. فهو من كان يساعدني في التمارين ومن اشتري لي العكاز " .

نظر عمرو للعكاز بجانبها وتمتم مصدوما "أحمد!"

قالت بسرعة " أنا ترجيته ألا يخبرك .. أردت أن افاجئك .. لكن ضاعت المفاجأة للأسف "

ظل ينظر إليها لبضع دقائق يحاول الاستيعاب .. ثم أجبر نفسه على التماسك ومد يده إليها وقال بخفوت " تعال إلي "

تمتمت أروى بحرج " أنا أعرج يا عمرو ولا أريدك أنت تراني وأنا أعرج " .

ظلت يده ممدودة ينظر في عينيها بإصرار.. فتحركت صاغرة دون العكاز تعرج إليه بخطوات بطيئة متحرجة ..

Des. Maryam Tamim

أشاح عمرو بوجهه بعيدا لثانية يقاوم الدموع التي تدفقت في عينيه .. ثم عاد لينظر إليها من رأسها لأخمص قدميها وهي تتهادى آتية نحوه بعرج .. فضغط على شفتيه مذهولا .. حتى وصلت إليه تضع يدها في يده مطرقة الرأس ..

رفع وجهها إليه يحدق في عينيها وهي واقفة .. ثم عاود النظر لقدميها ليتأكد من أنها واقفة أمامه بالفعل .. بعدها مد يديه على وركيها يتحسسهما صاعدا لأعلى حتى خصرها ..ليتكلم أخيرا بهمس متأثر " أنت تسيرين على قدميك يا أروى ! .. أنت واقفة على قدميك ! "

تمتمت أروى وهي تمد يدها لتمسح دمعات تحررت من جانب عينيه " آسفة يا عمرو لم أقصد .. كنت أريد أن أتخلص من العرج أولا "

Des. Maryam Tamim

رفع يديه يحضن وجهها بين كفيه وأقترب أكثر ليلامس طارف أنفها بأنفه يغرق في نجوم عينيها فهمست أروى " أنت ترتجف بشدة " .

همس أمام شفتيها " صدقاً .. لا أدري ماذا أفعل بك الآن ! .. هل أغضب منك وأخاصمك .. أم أبكي وأرقص من الفرح .. لكن ما أدركه جيدا أن هذا الخبر هو أعظم خبر سمعته وسأسمعه في عمري كله .. يا عمري " .

وطبع قبلة طويلة على جبينها أغمض فيها عيناه لتسيل بعض الدمعات أخرى منها .. ثم تركها فجأة ليخطو خطوات للخلف وينزل ساجدا لله شكرا .

استمرت أروى في بكائها الصامت حتى رفع وجهه إليها واستقام واقفا يحدق فيها بذهول لم يغادره بعد .. ثم اقترب مرة أخرى يأخذها إلى حضنه وهو

Des. Maryam Tamim

يتمتم بجانب أذنها " مازلت لا أصدق .. الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه "

لفت ذراعيها حول جذعه تحضنه لأول مرة وهي واقفة باستقامة .. واستشعرت ارتجاف جسده فقالت بخفوت " هل سامحتني ؟"

أبعد رأسه قليلا ينظر إلى وجهها وقال " لا يا أروى هانم .. لم أسامحك ولن أسامحك إلا بعد أن أعاقبك .. لكني سأوجل التفكير في نوع العقاب حتى أتخلص من صدمتي أولا " .

قوست فمها للأسفل فضيق عيناه يقول " تقوسين فمك .. أو حتى تبكين الدموع بألوان قوس قزح ستعاقبين أروى هانم ".

Des. Maryam Tamim

قوست فمها أكثر بعبوس طفولي فابتعد قليلا يطالع البنطال الجينز تحت بطنها المنتفخة ليقول بعينين مشتعلتين " تخيلت أنك تصلحين فقط لإعلانات الملابس الداخلية .. لكني اكتشفت الآن أن الجينز يصبح عليك ساخنا جدا يا أم عبد الرحمن "

ابتسمت وردت بلهجة حالمة " كنت أحلم أن أفاجئك حين أخبرك بالأمر وأنا أرتدي فستان سهرة أسود قصير .. وحذاء ذات كعب عال .. رغم أني لن أستطيع أبدا ارتداء الكعب العالي لكني دوما كنت أحلم وأتمنى هذا "

تأثر عمرو واحتضن وجهها بكفيه مجددا.. لينقض على شفتيها بقبلة محمومة أخبرتها بطوفان المشاعر الذي يجيش في صدره ..

Des. Maryam Tamim

جاء صوت عفاف من الداخل تقول بوهن " هل مازلت هنا يا عمرو ؟"

أفلت عمرو شفتيها .. وسحب نفسا عميقا وتنحنح يقول " أنا قادم حالا يا أماه " .

تطلع إليها قليلا ثم أفلت وجهها من بين كفيه يرجع للخلف وهو لا يزال يطالعها بعينين مشتعلتين وهي تقف مستقيمة أمامه بوجه متخضب بالحمرة تكتم ضحكتها وتمسد بطنها..

فظل يتراجع للخلف محدقا فيها حتى أرتطم بالحائط بقوة ..فأفلتت منها ضحكة كتمتها بسرعة..

ابتسم عمرو يدلك كتفه ونظر إليها متوعدا وهو يقول " حسابك معي سيكون عسيرا يا أروى هانم (ورسم قدها بعينيه واستطرد) عسيرا جدا"

Des. Maryam Tamim

فارتطم مجددا بباب غرفة والدته .. لتطلق أروى ضحكتها بصوت عال .

***

دخل وائل إلى بيته بعد العصر فتطلعت إليه ماجدة تراقب ملامحه علها تعرف ماذا حدث اليوم في اجتماع كبراء العائلات في الحي مع الحاج سماحة الذي تم على حسب ما سمعت من أروى في مقهى كوكب الشرق .. غير أن أروى لا ترد على الهاتف لتطمئنها .

ألقى وائل التحية متحاشيا النظر نحوها كما يفعل منذ تلك الزيارة عند الطبيب حائرا كيف يتصرف معها ..

أيعترف لها؟ .. أم يبقي الوضع كما كان ..

Des. Maryam Tamim

وكيف يبقيه كما كان .. وهو لم يعد كذلك ..
فبمجرد أن ربط خيوط ذاكرته ببعضها وكأن بركانا
خامدا لسنين قد تفجرت حممه لتكويه بنارها ..
سألها بخفوت " أين البنات ؟"
أجابت " ميري لديها تمرين وأنجيل ذهبت معها "

قال بحيرة " أنجيل لا تعجبني .. أشعر أن بها شيء
مختلف .. وكأنها مكسورة القلب.. لا أعرف"
ارتبكت فحاولت تغيير الموضوع بسرعة فقالت "
طمئني ماذا حدث مع سيد هل تم الأمر بالشكل
المرجو ؟"
طحن ضروسه ورد بحدة " ولمَ أنت مهتمة بهذا
الأمر ؟"
فاجأتها حدته التي لا تفهم ماذا تعني .. فقالت وهي
تهم بالمغادرة " لا بأس .. سأعرف من أروى "
تحركت للداخل فلحق بها يمسك بمرفقها ويقول "
إلى أين أنت ذاهبة ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت تقاوم رغبة في البكاء " أراك انزعجت من سؤالي كما تنزعج من الكثير من أسئلتي كلما خص الأمر أحد من أصدقائك ولا أفهم لمَاذا؟ .. ألم .. ألم تتهمني قديماً بأني أكرههم ..(سحبت نفسها للخلف) عموما لا بأس .. لا تشغل بالك لن أزعجك .. أقصد (ووبخت نفسها على طريقتها الخنوعة معه هو بالذات فتكلمت تتصنع الحزم) لن أسألك مرة أخرى " .

أعادها من مرفقها الذي ما يزال يمسك به ليلصقها بالحائط برفق وتأملها قليلا ثم قال بمرارة " ربما لأني أشعر أني لست رجلا كاملا أمامك .. فستجدي رد فعلي هذا كثيرا من الآن فصاعدا حين تتحدثين عن رجل آخر "
تسمرت ذاهلة ولم تفهم المعنى.. وشكت لوهلة أن دور الأنفلونزا الذي تعاني منه قد أثر على استيعابها بينما سألها وائل " هل أنت مريضة ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت بارتباك " أعراض انفلوانزا بسيطة "
سألها بقلق " وهل أخذت دواء للإنفلوانزا "

أومأت برأسها تدعو أن يتركها لتدخل فاقترابه منها
الذي بات يتكرر مؤخرا يؤذيها .. يعذبها ..

تأمل وائل تفاصيلها ثم قال في هدوء " الأمر جرى
كما خططنا له .. توسط كبراء العائلات عند الحاج
سماحة وأخبرهم هو أن سيد ابنه وليس لديه مانع
لكنه طلب منهم مهلة للمساء حتى يأخذ رأي آية
باعتبار أنه من المفروض أن يبدو أمامهم متفاجئ
بالطلب"
رفعت إليه عينين لم تتوبا عن إدمان النظر إليه ثم
عادت وأنزلتهما لتقول " لا أتوقع أن تطول الخطبة
باعتبار أنهما لا يحتاجان لوقت ليتعارفا .. فكما
فهمت من أروى أنهما مرتبطان بقصة حب قوية ..
أليس كذلك ؟"

Des. Maryam Tamim

حرك إبهامه على مرفقها ورد " أعتقد ذلك فكلاهما غير قادر على الانتظار "
اقشعر جسدها من حركة إصبعه فسحبت مرفقها لأسفل ليستسلم ويتركه حتى لا يثقل عليها ..
فألصقت ظهرها بالحائط تبتعد عنه بارتباك وهي تغمغم " سأرتاح قليلا " .
فقال بسرعة " سأعد لك شيئاً ساخنا .. (ثم سألها) هل الشيكولاتة الساخنة مناسبة مع الانفلونزا ؟"

لاحظ احمرار وجهها ولاحظت حركه تفاحة آدم في رقبته وهو يبتلع ريقه فتمتمت " لا تجهد نفسك سأصنعها لنفسي بعد قليل "
رد وهو يتجه نحو المطبخ " بل سأعدها لك استريحي أنت " .
دخل المطبخ وبدأ في إعداد المشروب حين لمح حاسوبها المحمول على المنضدة .. فاتجه إليه مباشرة وفتحه يحاول أن يتوصل لهوية ذلك

Des. Maryam Tamim

الشخص الذي تقضي الساعات ليلا ونهارا تتحدث معه على الهاتف وعلى الحاسوب .. لكنه فوجئ بأن الحاسوب له كلمة مرور ..

خمن بعض الكلمات لكنها لم تكن صحيحة لتدخل عليه ماجدة فجأة فأغلق الحاسوب بسرعة وقد قفز قلبه بين ضلوعه من المفاجأة ..

فأشارت ماجدة للحاسوب وتمتمت " جئت لأخذ حاسوبي " .

احترقت أعصابه .. لكنه لم يستطع أن يتفوه بشيء ..

وكيف يتكلم وبأي جرأة بعد كل ما فعله بها .. يكفي أنها حافظت على بيته وسمعته حتى الآن .

لكن الغيرة تحرق أعصابه .. تتلفها ..

أيمكن أن تكون ماجدة على علاقة بأحدهم ؟! ..

هو لا يشك في سلوكها أبدا .. ليس بعد كل ما مرت به قد يشك بها لكن ..

Des. Maryam Tamim

لكن .. قد يكون قلبها يحمل مشاعر لأحدهم لكنها تكتمها من أجل بناتها ومن أجل قيدها الأبدي معه ..

تطلعت إليه وهو شارد تحاول قراءة ما يعتريه .. لكنها لاحظت فوران اللبن على النار خلفه قبل أن ينتبه وائل ويمد يده يلتقط الإناء بسرعة غير منتبه لسخونته ..لكنه تركه بسرعة يتوجع بعد أن احترقت أصابعه .

صرخت ماجدة تندفع نحوه تهتف بجزع " وائل .. هل احترقت يدك ؟"

قال لها متألما " لا تقلقي أتركيه ".

لكنها أمسكت بيده في إصرار تتفحص الحرق في إصبعين ثم شدته لتضع يده تحت الصنبور .. فانفعل بشدة لم يدري لماذا ؟

ألأنه يشعر بأنها تعامله كرجل مريض يستحق الشفقة ؟.

Des. Maryam Tamim

أم لإدراكه المتأخر أنه لا يستحق أي اهتمام منها حتى لو مجرد شفقة ؟.
أم لأنه ببساطة لم يعد يثق في كينونته أمامها كرجل ؟.
لم يعرف لماذا ؟.. لماذا انفعل فجأة صائحا في وجهها وهو يمسك بذراعيها " قلت أتركيه واتركيني ألا تسمعين ؟"
أتسعت عيناها قليلا ثم انكمشت وأنزلت القناع الثلجي بسرعة لتتحرك دون كلمة واحدة فأمسك بمرفقها نادما ينادي باسمها .. لتخلص مرفقها من يده بسرعة مندفعة نحو الباب..

لم يتركها بل اندفع وراءها ومد ذراعيه يحضنها من الخلف بقوة .. فشهقت ماجدة بإجفال وهي تستشعر دفء حضنه يسري في أعصابها ويكاد أن يوقف قلبها .. لكن عقلها اندفع يصرخ في وجهها بسرعة أن تستفيق فليست هي المقصودة ..

Des. Maryam Tamim

فحاولت التخلص من ذراعيه بقوة وهي تقول بعذاب " أتركني يا وائل " .
شدد من ذراعيه حولها يقول " علينا أن نتحدث علي أن أخبرك بشيء " .
انفعلت ماجدة وصاحت " أتركني يا وائل أنا لست هي .. قد أتحمل أن تدعوني باسمها لكني (وقاومت البكاء) لن أتحمل أن تلمسني معتقدا أني هي أنا لست مريم يا وائل.. لست مريم "
بهت مما قالت .. ورفع ذراعيه عنها بسرعة مصعوقا .. متألما لدرجة جعلته فاقدا للنطق وهو يشاهدها تنسحب لغرفتها وتغلق الباب على نفسها.

هذه المرة الألم في قلبه فاق طاقة الاحتمال .. أي مجرم سفاح هو ؟! .. إنه أبشع من الطغاة الساديين .. عذبها لخمسة عشرة سنة .. ولا يجد أي طريقة يمكن بها أن يعوضها عما فعل بها .. ولا

Des. Maryam Tamim

يجد أي وسيلة ليخفف من تألمه من أجلها .. ولا من آثار تعذيبه لها نفسيا ..

انسحب لغرفته في توتر .. وقطعها جيئة وذهابا وفكرة واحدة تسيطر عليه .. كيف يخدر ذلك الألم القاتل بداخله ؟ .. كيف يُنسي نفسه أنه سفاح سادي ... وأنه آذاها ويؤذيها وسيؤذيها .. سيؤذي ماجدة ..

بحث في الأدراج وفي خزانة الملابس عله يجد قرص مهدئ واحد .. واحد فقط .. يحتاجه لمرة واحدة ولن يكررها ..

إنه يتألم .. يتألم جدا ..

أخرج كل الملابس في عصبية .. وذهب لحمامه الخاص يبحث بين الأرفف .. لا يوجد ولا قرص قديم .. لقد تخلصت ماجدة من كل المهدئات ..

فرك وجهه بكفيه وتلفت يمينا ويسارا لا يعلم ماذا يفعل بنفسه ..

[4349]

إنه عالق ..
عالق في آثامه وذنوبه الماضية غير قادر حتى على
العيش بسلام في حاضره ..
العيش بسلام ! ..

هذا ما ينشده .. له ولغيره .. لماجدة التي حتى
مجرد لمسه لها أصبح تعذيبا لها.

العيش بسلام ..
العيش بسلام ..
السلام ..

توجه فورا نحو خزانة الملابس مرة أخرى ..
وانحنى نحو خزانة حديدية مثبتة في داخلها ..
وأدخل الأرقام السرية وفتحها .. ليسحب بسرعة
من داخلها مسدس .. وانفصل عن كل شيء من

Des. Maryam Tamim



حوله وهو يحدق فيه .. وضربات قلبه تدق بعنف..
فتح خزانة المسدس وتأكد أنه محشو بالرصاص..
ثبت إصبعه على زناده .. وحدق فيه بأنفاس متسارعة ..
ضربات قلبه تدق بعنف ..
وكل أفعاله السابقة وكل من آلمهم .. تتشخص أمامه .. وكل ما فعله بماجدة يجلده بالسياط ..

ضربات قلبه تدق بعنف ..
وسبابته تلمس الزناد..
تذكر حين وصف نفسه متحسرا " أنا رجل ضعيف هش أهرب من مواجهة الأمور القاسية .. حتى تورم ضميري مني "
لتظهر صورة والدته أمامه وخيل إليه أنه سمعها تنتحب بجواره وتدعو الله أن يحفظه وهي تتساءل أي ذنب فعلت لتبتلى فيه وقد رزقها الله به بعد

سبعة عشر عاما دون إنجاب .. ليرتعش المسدس في يده وهو يحدق فيه ..

ثم سمع صوت أحمد في أذنه وهو يقول " أنا لم أجرب عاطفة الأبوة بعد.. لكن من الواضح أن الأمر مفجع أكثر من أي شيء أن يموت ابنك في حياتك"

تسارعت أنفاسه يحدق في المسدس وضربات قلبه تدق بعنف ..

فتدفقت في رأسه كلمات أصدقائه المحبة له وما فعلوه من أجله طوال السنين الماضية .. وآخرها كلمات أحمد" وائل .. أنت لا تعلم كم هي سعادتنا بعودتك وتعلم أننا على استعداد لتقديم أي شيء لمساعدتك فلا تحمل هما لأي شيء .. صدقني أنا من بعد ما رأيت وسمعت عن قصص خلفتها الحرب في زيارتي لبلد بانة ورأيت كيف أن الناس هناك مصرين على المواصلة .. مصرّين على التمسك بالحياة.. تغير بداخلي الكثير .. شعرت

Des. Maryam Tamim

بأن علي أن أكون أكثر صلابة لمواجهة الأقدار والإحباطات والابتلاءات .. وأنت أيضا يا صديقي لن أقول لك لا تتوجع لكن أقول أوجد ما يسكن آلامك المزمنة بشكل يدفعك للمواصلة لا التقهقر للخلف "

وقف وائل يحدق في المسدس بتردد فضربت كلمات طبيبه في رأسه " كوننا عاطفيون أم عقلانيون أمرا يخضع لتكوين شخصيتنا التي خلقنا الله عليها لكن التعامل مع نقاط ضعفنا هو المهم للتعامل مع الحياة .. وهو ما تحاسب عليه في أفعالك فليست المشكلة في أن تكون شخص عاطفي حساس ومسالم ولا تتحمل أذية كائن حي.. المشكلة في ألا تتحول مسالمتك لضعف وحساسيتك لوسواس "

ابتلع ريقه .. وحدق في المسدس من جديد بيد مرتعشة .. ليسمع صوت بعض الأوراق التي انزلقت

Des. Maryam Tamim

من الخزانة الحديدية لتفترش الأرض .. فحدق فيها ..

إنها صور ..

صور التوأمتين ..

انحنى يلملمها ويتفحصها والمسدس في يده .. كانت صور للفتاتين في أعمارهم المختلفة .. لكن أول ما لفت انتباهه تلك الصورة التي كانت لهن في أول يوم ولدتا فيه .. أحضرتها له والدته حين كان في المصحة النفسية ..

تذكر أن خبر حمل ماجدة كان من الأشياء التي ساعدته على تخطي المحنة .. ورؤيته صورة الفتاتين بعد ولادتهما فجر عاطفة تجاههن في قلبه جعلته يقرر مغادرة المصحة بعد أن كان متشبثا بالبقاء فيها رغم تحسن حالته .. هروبا منه من مواجهة الواقع ..

Des. Maryam Tamim

تذكر أن ميري وأنجيل كانتا سبب تمسكه بالحياة ..
لكنه لم يقدم لهما ما أراد أن يقدمه حين قرر
الخروج من المصحة ..

تدفقت العاطفة لقلبه من جديد وهو يراجع جميع
صورهن التي يحتفظ بها في خزانته وكأنها تماثل في
أهميتها أهم الأوراق والمستندات والقطع الثمينة .

.

ثم أعادها بعد دقائق ..

أعاد الصور لمكانها بالخزانة ..

وأعاد المسدس ..

وأغلق الخزانة مرة أخرى .. متخذا قراره بأنه لن
يهرب .. لن يهرب كعادته من مواجهة ما يؤلمه .

أتخذ قراره بأن يواجه .. ويتحمل ..

أن يعترف .. ويعتذر .. حتى لو لم يُقبل اعتذاره .

اتخذ قراره أنه .. لن يكون أقل صمودا ممن حوله .. فكلهم يحملون في جنباتهم أوجاعا وابتلاءات وفواجع ..

اتخذ قراره بأن يعيش ..

من أجل بناته ..

من أجل أصدقائه ..

ومن أجل ماجدة ..

تحرك بهدوء يخرج من الغرفة .. ووقف عند باباها يلصق جبينه بالباب وقال بتوسل " ماجدة .. هلا أعطيتني فرصة واحدة لأن أتكلم معك ؟.. وأعدك بعدها أني لن أعيدها إن لم ترغبي في ذلك"

رفعت ماجدة رأسها التي تدفنها بين ذراعيها في جلستها على السرير تحضن ركبتيها وأخذت تستمع لكلامه " أنا أعلم أني صرت في نظرك مجنونا .. ولا

Des. Maryam Tamim

ألومك أبدا حين تعتقدين ذلك .. لكني اواظب على المتابعة مع الطبيب وأبذل ما أستطيع لفهم نفسي .. لذا هلا منحتني فرصة لأقول لك شيئا .. (صمت قليلا لا يعرف ماذا يقول أكثر لترضى أن تستمع إليه ثم اضاف) أنا حين غمرتك بذراعي منذ قليل وتشبثت بك .. كنت واعيا أنك ماجدة .. ماجدة ابنة عمتي وزوجتي وأم بناتي .. ماجدة التي كبرت أمام عيني .. ولم (تأثر صوته) لم أراك مريم كما كنت أفعل قبل الغيبوبة .. الحقيقة أني لم أراها منذ أن استيقظت من الغيبوبة ولم أرى سواك .. ماجدة أنا ..."

بتر عبارته حين فتحت الباب ووقفت أمامه عيناها حمراوان من أثر الدموع .. فحضنت نفسها بذراعيها وتصنعت الكبرياء تقول " تفضل قل ما تريد "

ارتبك قليلا ثم قال " هلا جلسنا "

Des. Maryam Tamim

قالت تحاول الإثبات لنفسها أنها لم ترضخ له ولم تضعف لتوسلاته مدعية أنها ترفض له طلبا " لا قل ما تريد هنا ونحن واقفان "

صمت قليلا يتأمل بقايا الدموع في مقلتيها ووقفتها تحضن نفسها وتساءل كم من الليالي بكت وشعرت بالوحدة بسببه .

رجع للخلف خطوة.. ثم فعل ما جعلها ترفع يديها إلى فمها تكتم شهقة مذهولة متفاجئة حين رأته ينزل على ركبتيه أمامها راكعا يرفع إليها وجهه ليقول بلهجة متأثرة " ليس أمامي سوى ذلك .. فأنا على أية حال أعرف أني لا أستحق .. وأن أي اعتذار سأقوله سيكون شيئا مبتذلا وليس له معنى .. وأنك بليت بي .. وأعلم أيضا أني لم أعد أجرؤ أمامك على أن أطلق على نفسي رجلا ..وأن ما فعلته بك لا يغتفر "

Des. Maryam Tamim

همست مصعوقة تحدق فيه بذهول " وائل ماذا تفعل !!"

حرك مقلتيه يرسم ملامح وجهها وتكلم بمشاعر رجل خذل نفسه قبل أن يخذلها " أنا فقط أريد أن افسر لك ما حدث بالضبط .. وأعلم أنه لن يغير من الأمر شيء فما حدث قد حدث .. لكن ربما ما سأقوله قد يفسر ما صدر وما قد يصدر مني من أفعال لا أقصدها من الآن فصاعدا ..(ابتلع ريقه بصعوبة .. لا يعرف من أين يبدأ.. لكنه قرر أن يقول ما يتبادر لذهنه أولا بأول فاكمل) أنت تعرفين أني أتابع مع طبيب نفسي منذ أن أفقت من الغيبوبة .. وأني عدت منها أحاول بجدية هذه المرة لأن أكون بجوار من يحتاجونني .. مررت برحلة طويلة مع نفسي لأفهم أين تكمن مشكلتي فاسمحي لي أن أقص عليك ما حدث قديما ربما أرتاح على الأقل من تبرير أفعالي التي أقل ما يمكن وصفها به أنها مخزية."

[4359]

تغلبت على ذهولها بصعوبة ولم تستطع احتمال رؤيته مذلولا أمامها بهذا الشكل .. ليس هو من يركع ويتوسل .. لن ترضى بذلك مهما فعل بها .. فقالت بصوت هارب منها وهي ترفعه من ذراعيه " وائل .. أرجوك .. قم ولا تفعل ذلك .. قم وسأسمع منك كل ما تريد أرجوك " .

استجاب لها واستقام واقفا .. فتطلعت إليه بذهول غير مصدقة .. فأمسك برسغها يقودها نحو الصالة بهدوء.. وأجلسها على الاريكة .. ليجلس أمامها على كرسي وثير..

صمت قليلا بشرود يحاول ترتيب أفكاره ثم بدأ يقص عليها كل ما حدث من خمس عشرة سنة مضت .. حكى قصته .. وأوجاعه .. ودواخل نفسه التي لم تعرفها .. أخبرها بأخطائه كلها دون حرج .. وعما كان يظنه وما توهمه وما أكتشفه بعد فوات

Des. Maryam Tamim

الأوان .. أخبرها كل شيء .. ولم يخجل أن يبكي أمامها .. وشاركته ماجدة البكاء في صمت.

بعد بعض الوقت قال وهو يتأمل ملامحها الذاهلة " هذا ما حدث بالضبط .. والأسباب التي أخبرني بها الطبيب والتي أدت إلى لجوئي لاختلاق شخصية مريم.. وما فعلته من اقصائك من أمام عيني عمدا "

ساد الصمت قليلا لتنجح ماجدة بعد عناء أن تتحدث فقالت متلعثمة مرتكبة " ما تقوله .. غريبا .. أنا .. مذهولة .. أنا لا أصدق .. أنا أشعر أني محمومة وأهلوس .. أنا .. "

لم تستطع الحديث .. دفنت وجهها في كفيها تبكي بانهيار .. فما يقوله صادم وموجع وغريب ..

Des. Maryam Tamim

ترك مقعده واقترب منها ينزل مجددا يحدثها راكعا أمام الأريكة " أنا لا أقول هذا حتى تسامحيني أنا أعرف أن ما فعلته لا يغتفر وأن الاعتذار لن يمحو سنينا من العذاب .. لكن سأطلب منك أن نجد صيغة للتعايش فيما بيننا "

رفعت وجهها من بين كفيها تنظر إليه من هذا القرب ..بينما أكمل وائل " الصيغة التي تفضلينها أنت .. فأنت من ستضعين شكل علاقتنا من الآن فصاعدا .. لو كان الطلاق مسموحا لما أجبرتك على العيش معي .. وكما أوضحت لك منذ قليل حين كنت أخونك وأتعمد أن أترك ورائي الأدلة كان ذلك لسببين الأول كنت أعلمه حتى تستخدمينها ضدي أمام الكنسية وتطلبي الطلاق والثاني (وأطرق برأسه متأثرا ثم رفعها بعد أن سحب نفسا طويلا وأكمل) والثاني أني أيقنت مؤخرا بعد أن فهمت كل

Des. Maryam Tamim

طلاسم مشاعري .. أني كنت أبحث عنك فيهن دون وعي صدقيني كل مرة كنت أعود محبطا متقززا من نفسي .. "

ردت مندفعة مستنكرة " وهل كنت تتوقع مني أن أفضح أبا بناتي وألصق به جريمة الزنا وأفضح بناتي حتى أتحرر من زواجي بك !!.."

أطرق برأسه في خزي وقال بصوت يخنقه البكاء " أعلم أنه جبن مني وأنك امرأة عظيمة وأنا لا أستحقك .. وكما قلت .. لو كان الطلاق مسموحا لكنت أطلقت سراحك حتى تجدين رجلا أفضل مني .. وأتجرع أنا من الكأس الذي أسقيته لك مرارا .. على أية حال ما دمنا عالقان ببعضنا للأبد .. ما أطلبه منك أن نتعايش سويا من أجل البنات .. بالشكل الذي ستحددينه أنت .. (صمت قليلا

Des. Maryam Tamim

يطبق بقوة على شفتيه لكنه لم يقدر على تلك الدموع التي تدفقت من جانبي عينيه حين فتح فمه ليضيف بهمس) أوامرك كلها مطاعة يا ماجدة "

حركت ماجدة مقلتيها تتأمله مذهولة غير قادرة على الاستيعاب .. وائل أمامها راكعا عيناه حمراوان من البكاء .. يعتذر لها !! .. يبرر لها !! .. يخبرها أنها .. أنه أحبها !!!!!!!..

يحبها .. من يقصد ؟

يقصدها هي .. ماجدة ؟!!!!!!!!

أم أن حالته تطورت حتى بات يخلط بينها وبين مريم كما فعل من قبل وتخيل مريم أما لبناته ؟ .

شعرت أنها تهلوس .

Des. Maryam Tamim

اشتدت عليها الحمى فجأة .. ولم تعلم من قبل أنها محمومة .. لكنها بدأت ترتعش وتنتفض بشدة أمامه .. فهتف وائل بجزع " ما بك يا ماجدة ؟"

تطلعت له وهو يقف أمامها .. ولكفه الذي نزل على جبينها يتحسس حرارته .. فتكهربت أعصابها .. وسمعته وهو يقول " أنت محمومة يا ماجدة .. تعالي لتستريحي "

اقترب يحملها فصرخت " لا تلمسني "

تجمدت ذراعاه في الهواء وتراجع يبتلع ريقه فأكملت بتوسل " أرجوك يا وائل لا تلمسني "

اعتصر الألم قلبه لكنه قال بتفهم " كما تريدين .. قومي معي إلى غرفتك " .

Des. Maryam Tamim

حاولت الوقوف فلم تقدر .. جلست وحضنت نفسها تنتفض والبرودة تنخر في عظامها .. وعيناها تراقبان تحركاته غير قادرة على الإشاحة عنه ..

تركها فجأة ليختفي في الداخل فحضنت نفسها أكثر تحاول أن تخفف من انتفاضة جسدها القوية .. لتراه أمامها من جديد يلفها بأغطية ثقيلة .. ثم مد كفه أمامها يقول " أمسكي بيدي على الأقل "

أنزلت نظراتها لكفه الممدود أمامها .. ثم مدت كفها بتردد فالتقطها على الفور ليساعدها على الوقوف .. وتحركت بمفاصل ترتعش نحو غرفتها تحدق في يده التي تطبق على يدها بحزم ... حتى ساعدها على الاستلقاء في سريرها .. فنظرت ليده المحتفظة بيدها ثم رفعت أنظارها لتتطلع إليه لتأكد لنفسها أنها تهلوس بالفعل .. وجوده .. واعترافه .. واعتذاره.. ودموعه .. وتوسلاته .. ويده

Des. Maryam Tamim

التي تقبض على يدها .. وهو بكليته يطالعها بزرقة عيناه الحمراوان من أثر الدموع .. يمسك الهاتف بيده الأخرى ويتصل بالطبيب ..

كل هذا بالتأكيد محض هلوسة ..

هلوسة مطعمة بملمس يده التي تقبض على يدها .

***

مساء اليوم التالي :

بكت إلهام وهي تحتضن أروى الواقفة بجوار كرسيها المتحرك في بيت سماحة .. فمازالت تستخدم الكرسي في المسافات الطويلة خاصة مع الحمل .. فلا يسمح لها إلا بخطوات بسيطة ليست مجِهدة .. فتمتمت أروى " كفى بكاء يا أمي أنت تبكين منذ أن عرفت ليلة أمس " .

قال إلهام باكية " هنت عليك يا أروى تخفين عني هذا الخبر.. هنّا جميعاً عليك ! "

Des. Maryam Tamim

ردت أروى متحرجة وهي تنظر لعمرو " سامحوني .. لم أقدر على أن أخبركم وأخفي الأمر عن عمرو .. لذا أخفيته عن الجميع .. كنت أريد أن أفاجئكم " .

تطلعت لبانة وآية اللتان تبكيان تأثرا رغم أن عمرو أخبرهم في اليوم السابق وأصروا على زيارتها في وقت متأخر بعد أن انتهوا من مراسم (قراءة الفاتحة) بين سيد والحاج سماحة بحضور أهل الحي في مقهى كوكب الشرق .. ولم يغادروا من عندها إلا بعد صلاة الفجر وهم لا يزالون غير مصدقين .

أحاط عمرو برقبة أحمد فجأة وضغط عليها بقوة فتكلم الأخير متألما " ماذا تفعل يا غبي ؟!"

رد عمرو من بين أسنانه " أعبر لك عن مشاعري العميقة تجاهك "

رد أحمد يغيظه " ما ذنبي أنا أني أهم منك عندها فأخبرتني أولا " .

Des. Maryam Tamim

شدد عمرو من ضغط ذراعه على رقبة أحمد وهو يقول " أنا لست في حاجة للتأكد من مدى حبها لي أيها السيد المهم " .

فتألم أحمد وحاول تخليص نفسه بخشونة لتصيح أروى " عمرو بالله عليك أعصابي لن تتحمل خشونتكم .. أنظر عبد الرحمن يركل غاضبا في بطني " .

ترك عمرو رقبته واتجه إليها ليسندها لتتحرك نحو الأريكة وهو يقول " بالطبع إبني غاضبا مثلي " .

قالت إلهام باكية وهي تشاهدها تسير ببطء " بسم الله ما شاء الله .. والله لا أصدق حتى الآن " .

اقتربت أروى من والدها الذي يداري تأثره خلف قناع الوقار وهو يتأملها ثم رفعت ذراعيها تلفهما حول جذعه تحضنه بتأثر .. فمسد الحاج على

Des. Maryam Tamim

رأسها يتمتم بآيات قرآنية .. لتقول إلهام " الحاج أخرج اليوم النذر الذي كان ينذره إذا وقفت على قدميك .. وأنا سأخرج صدقة لله .. اللهم لك الحمد والشكر "

وقفت آية بجوارها تهتف بحنق " أروى أنت أطول مني .. كلكم أطول مني " .

ضحك عمرو وقال " مبروك يا عروس .. متى سيحضر عريسنا؟ "

احمر وجه آية وردت بابتسامة سعيدة خجلة " على وشك الوصول " .

دخل أحمد المطبخ يبحث عن بانة .. فوجدها مازالت تمسح دموعا تتدفق من عينيها فاقترب يقول " هل مازلت متأثرة بخبر أروى؟ "

التفتت إليه تدلك رقبته وقالت باكية " هل تؤلمك رقبتك ؟"

Des. Maryam Tamim

رفع حاجبا ثم حرك رقبته يمينا ويسارا ورد " قليلا "

ازداد نشيجها وهي تتمتم " لمَاذا المزاح بخشونة؟ لمَاذا ؟ "

أرجع أحمد رأسه للخف متعجباً .. ثم أخرج يديه من جيبه ليحتويها بين ذراعيه ويقول بحنان " أنا بخير بونبونتي .. الأمر بسيط لا يستدعي كل هذا التأثر ".

قالت وهي تحاول السيطرة على دموعها " أعلم ذلك لكني هذه الأيام عاطفية أكثر من اللازم ولا أتحمل رؤيتك تتألم " .

اتسعت ابتسامته بفخر ذكوري وضمها إلى صدره يقول " لا تحزني يا قلب أحمد .. سأنتقم من طائر أبي قردان هذا شر انتقام لأنه أبكى بونبونتي "

Des. Maryam Tamim

دخلت إلهام تقول موبخة " ماذا تفعل هنا؟ "

رد عليها ببرود" أواسي زوجتي التي تبكي من ظلم حماتها التي تحجزها طوال النهار في المطبخ بعيدا عن زوجها .. لتساعدها في إعداد مائدة لخطيب ابنتها المصون.. انظري لمنظرها ".

ردت بانة ذاهلة " أحمد ماذا تقول ! .. لم يحدث ذلك يا أمي "

ضربته إلهام على كتفه تقول " أنا لم أحجز زوجتك في المطبخ بل هي من تطوعت لأن تساعدني هذا أولا .. أما ثانيا (وضربته مرة أخرى) عيب ما تفعله هنا وأخرج من المطبخ "

رد عليها أحمد يستفزها " أواسي زوجتي التي تعاني بشدة من قسوة وتسلط حماتها"

Des. Maryam Tamim

دفعته بجهد كأنها تدفع حائط وهي تقول " أخرج يا أحمد حتى ننتهي مما نفعل " .

تحرك أحمد للخلف ووقف عند الباب ليضرب عليه قائلا باستنكار " تطردين ابنك .. فلذة كبدك يا إلهام من أجل هذا الثور خطيب ابنتك !"

نظرت بانة لإلهام التي تقف أمامه متخصرة تقول بامتعاض " اذهب ولا ترفع لي ضغطي وإياك أن تعذب الشاب كما تفعل مع عمرو " .

رفع حاجبيه ورد بكبرياء " أنت لم تري تعذيبا بعد يا أم أحمد "

ضحكت بانة فنظر إليها واتسعت ابتسامته ثم قال " سأغادر من أجل ضحكة عيون حبيبي "

Des. Maryam Tamim

وغمز لأمه بعينه وتركهم.. فنظرت إلهام لبانة وضحكتا .

بعد قليل فتح أحمد الباب ليجد أمامه سيد الذي دخل يحمل باقة ورد كبيرة وترافقه رحمة تحمل طبقا فضيا كبيرا مغلف بالتُل الأبيض متدلي منه أشرطة من حبات اللؤلؤ .

مط أحمد شفتيه وقال" ما هذا الذي تحمله ؟".. فاتسعت ابتسامة سيد وقال " ناوليه طبق الشيكولاتة يا رحمة "

ناولته رحمة الطبق .. فنظر له أحمد ببرود ثم نظر لسيد الذي قال بلهجة متسلية " هذا أغلى طبق شيكولاتة في البلد كلها "

قال أحمد باستخفاف" وماذا أفعل به أنا ؟! "

Des. Maryam Tamim

رد سيد بابتسامة واسعة " كُلّه كلَه بالهناء والشفاء يا صهري العزيز " .

أومأ أحمد برأسه يقول " أممم .. فهمت .. اتفقت مع صاحبك لحرق دمي أليس كذلك ؟"

رد سيد بابتسامة بريئة " إطلاقا .. هذا تعبير عن اعتزازي بك (وناوله باقة الورد يقول بنفس الابتسامة المتسلية) وهذه الباقة لك تعبير عن مشاعري تجاهك (ومال علي خده يطبع قبلة بصوت عال وأكمل) يا صهري العزيز "

مسح أحمد خده بقرف وعصبية يطالعه بنظرات غاضبة بينما اقترب عمرو يقول مهللا " كيف حالك يا عديلي .. تفضل ..تفضل لا تشعر بالحرج البيت بيتك " .

تقدم سيد مع عمرو بينما حدجهم أحمد بغيظ وتبعهم لغرفة المعيشة بعد أن ألقى بباقة الورد وطبق الشيكولاتة على منضدة السفرة بقرف ..

Des. Maryam Tamim

ليشاهد سيد وهو يسلم على الحاج باحترام ثم جلس على مقعد فقال عمرو بسرعة " لا لا .. تعال هنا يا عديلي على هذا المقعد فهو أكثر راحة"

استجاب سيد لدعوته طائعا ممتنا وجلس على المقعد الذي اشار إليه يقول " صدقت يا عديلي فهذا المقعد أكثر راحة بالفعل " .

رد عمرو بلهجة مشجعة " إذا أردت معرفة أي شيء في هذا البيت اسألني وأنا سأدلك ".

انفجرت أروى ضاحكة وشاركها الحاج سماحة وهو يراقب ثلاثتهم بينما وقف أحمد يتطلع إليهما بغيظ ثم قال " ما شاء الله ! .. بُلينا بلوحين من الثلج .. اسمعا .. أبا قردان هذا يعرف جيدا كيف أستطيع أن أحرق دمه .. (ونظر لسيد ليقول بلهجة ذات مغزى) أما أنت يا سيد هولاكو فروحك في يدي وأنت تعلم ذلك .. قليلا من

Des. Maryam Tamim

الجنون قد أمارسه لأقف في وجه هذه الزيجة .. لينتهي أمرك تجوب الشوارع بعد منتصف الليل تهذي بأبيات الشعر ".

أحمر وجه سيد حرجا وحدجه بنظرة متوعدة بينما دخلت إلهام ترحب بسيد بلهفة .. فاستقام واقفا يقبل يدها ورأسها وقد لاح عليه التأثر بلقائها .. فقالت إلهام " اشتقت إليك يا ولدي .. كل هذا الوقت لا أسمع سوى صوتك في الهاتف ؟!"

رد سيد متأثرا " أعذريني يا أماه كنت كما تعلمين ممنوعا من الاقتراب من البيت قبل تمهيد الأمر لأهل الحي .. وقبلها أنت تعلمين كيف كانت الظروف ".

Des. Maryam Tamim

ربتت على كتفه تقول " الحمد لله أن ردك إلى بيتك سالما .. عسى أن يسعد قلبك ويطعمك من الفرح ما يرضيك " .

أصابه التأثر بالخرس فانحنى يقبل يدها في صمت .

بعد قليل كان الجميع في غرفة المعيشة لأول مرة كأسرة واحدة .. يتبادلون الأحاديث والضحكات بصوت عال بينما سيد يختلس النظرات لآية التي تجلس على كرسي السفرة بعيدة عنهم نسبيا في صمت .. منذ أن دخلت ملقية التحية على الجميع .. تشاركهم الضحك دون مشاركة في الحديث سوى تبادل النظرات المختلسة مع سيد الذي أخرج هاتفه وأرسل لها على الواتساب " لماذا تجلسين بعيدا؟"

كتبت " لا أدري ربما مازلت لا أصدق "

Des. Maryam Tamim

نظر إليها وابتسم ثم كتب " وأنا أيضا صدقيني .. فأنا جلست هذه الجلسة آلاف المرات معكم .. لهذا أخشى أن تكون مرة من تلك المرات لا أكثر "

لم تجد ما تقوله فنظرت إليه من بعيد قليلا ثم كتبت " ربما لأننا تعودنا أن نراقب بعضنا البعض من بعيد ".

كتب لها " على الأقل أنا حر الآن .. واستطيع أن أراقبك طول عمري حتى لو من بعيد " .

فابتسمت له في خجل .

بعد قليل اقترب منها أحمد يمرر نظراته بينها وبينه ثم قال متهكما " ما شاء الله ! .. ما هذا الأدب ! .. ما هذه الأخلاق العالية !.... فاجأتني عزيزتي المجنونة بأدبك وسكونك اليوم .."

Des. Maryam Tamim

ابتسمت له آية ولم ترد فاقترب يقول متهكما " لم تجلسين بعيدا هل أنت مريضة ؟ لذا لم تقومي بأي شيء يرفع من ضغطي " .

ردت بجدية " الحقيقة أخشى من اندفاعي وحماسي أن أخطئ بشيء فأغضبكم وتسحبون موافقتكم ".

تفاجأ أحمد من ردها .. وأشفق عليها فاقترب منها وسحبها ليضمها إلى صدره ثم قال بحنان " لم أخطئ حين وصفتك بالمجنونة .. فأنت مجنونة بالفعل وهذا الجالس هناك يطالعني بغيرة أيضا مجنون مثلك ..(ثم نظر لوجهها يقول) لا تقلقي أبدا ولا تحملي هما .. كل شيء سيتم بإذن الله على خير .. وأعلمي أن أي معارضة في السابق كانت لأسباب منطقية فلا أحد منا يريد شقائك وتعذيبك.. وليس لدينا مصلحة في الوقوف في وجه سعادتك "

Des. Maryam Tamim

أومأت برأسها متفهمة فأكمل أحمد " لا أنكر أني أصبحت أكرهه هو الآخر الآن مثل طائر أبي قردان.. لكني لن اسمح له بالفرار من هذه الزيجة أعدك (ونظر إليه من بعيد وقال مفكرا) لكن ربما سنحتاج لعشرة رجال أشداء ليكبلوه إذا ما غير رأيه "

ضحكت آية وهي تنظر لسيد الجالس يرمقهما من بعيد بغيظ متحرج من القيام من مكانه فأضاف أحمد " أنظري كيف يجلس في مكانه بحرج وكأنه أول مرة يدخل هذا البيت "

ابتسمت آية فأكمل أحمد بعد أن فرقع إصبعيه " عرفت كيف سنسيطر عليه (تطلعت إليه آية باهتمام فقال) نستخدم سهما مخدرا من بعيد .. نلقيه عليه فيرشق في صدره .. فيخر أمامنا نائما .. وحين يستيقظ يجد نفسه قد تزوجك وأبتلي بك ..

Des. Maryam Tamim

بالإكراه .. ونتخلص نحن منك ونعيش في سعادة للأبد "

اطلقت آية ضحكتها العالية دون إرادة منها فدغدغت مشاعر سيد الذي يموت شوقا للاقتراب منهما ليعرف عما يتهامسان.. وما سبب هذه الضحكة التي ردت إليه روحه .. لكنه أرسل لها بعد قليل أغنية ليتشاركا في سماعها سويا.. وهما يتبادلان النظرات المختلسة العاشقة .. وكلاهما مازالا غير مصدقان لما يحدث .

ياللي شمس الدنيا تطلع
لما تطلع ضحكة منك
حسي بالناس الغلابة
اللي زيي بعد اذنك
بطلي تحلوي اكتر
واوعي وشك يوم يكشر
واضحكي دايما يا سكر

[4382]



يالي سابقة بجد سنك
اضحكي خليني اضحك
ضحكتك بترد روحي
ربنا وحده اللي يعلم
بعشقك ازاي يا روحي

***

بعد ساعات كان وائل على الهاتف مع سيد يسأله عن تفاصيل السهرة في بيت آل سماحة ثم قال مذهولا " مازلت حتى الآن غير مصدق خبر أروى ..لا أستطيع أن أصف لك مدى سعادتي .. المهم متى نويتم .. رائع جدا .. مبارك إن شاء الله يا سدسد .. نحمد الله .. ان شاء الله سيمر على خير وكفى تشاؤما .. سأتصل بك صباحا لنتفق على كافة الترتيبات .. تصبح على خير "

Des. Maryam Tamim

تطلعت إليه ماجدة الراقدة في سريرها منذ إصابتها بالحمى ليلة أمس وهو يتحرك في الغرفة أمامها .. فاستدار إليها يقول " هل كنت تعلمين بأمر أروى؟"

ردت بصوت واهن " أخبرتني أن حالتها الصحية تشهد تقدما ملموسا لكن لم تخبرني أنها بالفعل تقف وتسير على قدميها ".

قال وائل " الحمد لله .. أشعر بالسعادة من أجلها .. سيد وآية أتفقا على عقد القرآن بعد اسبوعين من الآن (ثم اتسعت ابتسامته التي أضاءت زرقة عيناه وقال) خبران سعيدان في يوم واحد أروى عادت تسير على قدميها وسيد سيتزوج آية .. الحمد لله "

تطلعت للفرحة في عينيه ممتنة لسعادته .. فاقترب منها لتتمسك بغطاء السرير لترفعه إلى ذقنها مرتبكة من وجوده حولها بالغرفة منذ ليلة أمس ..

Des. Maryam Tamim

جلس وائل على السرير يناولها الأدوية وهو يقول "
حان وقت الدواء يا جوجو "
ابتلعت ريقها وانكمشت أكثر ولقب جوجو يدغدغ مشاعرها .. فاستشعر انكماشها ليستقيم واقفا يبتعد عن السرير وهو يبتلع غصة مسننة في حلقه وقال بهدوء " آسف .. نسيت أنك طلبت ألا أقترب (ومال نحوها يسألها) قلت كم المسافة المحظورة ؟ "
طالعته دون رد .. فمازالت الكلمات تهرب منها بعد ما قاله لها الليلة الماضية فسألها وائل " متر تقريبا؟ "
وأخرج من جيبه شريطا للقياس .. فجحظت عيناها ليقول بابتسامة عذبة فتتت قلبها "
اشتريت شريطا للقياس من أجلك يا جوجو ..
لأحسب المسافة بالضبط "

Des. Maryam Tamim

وبدأ في قياس متر افتراضي بدء من سريرها.. ثم وقف بعد انتهاء المتر يمد ذراعه ويناولها الأدوية قائلا بابتسامة مشرقة " هلا تناولتِ دوائك يا سيدتي "

لاح شبح ابتسامة مرتبكة على وجهها .. واعتدلت في السرير تتناول الأدوية من يده.. بينما سقط قناع المرح من على وجه وائل ليظهر الحزن عليه وهو يتأملها واهنة مصدومة منذ الليلة الماضية .. فتنهد بقلب موجوع لا يعلم ما الذي يفعله لتعويضها عن الماضي الأليم ..

أما ماجدة فأراحت رأسها قلقة من طول مدة تلك الحمى التي مازالت تصيبها بالهلاوس التي تخيل لها أن وائل أحبها ويحبها وركع أمامها لتسامحه .

***

بعد اسبوعين :

تجمع رجال الحي بعد صلاة الظهر في الخن لحضور عقد قرآن سيد وآية فبدا سيد متوترا يتصبب عرقا

Des. Maryam Tamim

وكأنه يتزوج لأول مرة في جلسته أمام مأذون الحي في مواجهة الحاج سماحة .. بينما آية الوحيدة من النساء التي سمح لها بالحضور للتوقيع على العقد فأجلسوها على كرسي في زاوية الغرفة ووقف بجانبها أحمد شاهدا على العقد بينما كان عمرو الشاهد الثاني ..

أما وائل فكان يقف بجوار سيد يتابع مراسم عقد القران في سعادة جمة .
وضع سيد كفه في كف الحاج سماحة ووضع فوقها المنديل الأبيض التقليدي وبدأ المأذون يلقنهما ما سيقولانه .. ونظرات سيد القلقة تتجه كل دقيقة نحو آية التي كانت ترتدي فستانا من الحرير العسلي كعينيها وتجلس بهدوء تقاوم رغبة ملحة جدا في البكاء .. لكنها تلتزم بتعليمات إلهام بألا تبكي حتى لا يلحظ أحد تأثرها وينسج قصصا مغايرة لما قاموا بإخبار الناس به .

Des. Maryam Tamim

قال المأذون أخيرا " مبارك إن شاء الله "
لينقض وائل بسرعة يخطف المنديل بانتصار ..
فصاح أحمد محتجا " أنا أريده إنه منديل عقد قران أختي وأنا من تعبت برسم أسميهما عليه "

لعّب وائل حاجباه في سعادة رافضا وهو يفرده أمامه ليتطلع لأسميهما بالخط العربي ثم طواه بعناية ليضعه في جيب سترته الداخلي .

ابتسم أحمد وقال لآية " هيا لتعودي للبيت أراك على وشك البكاء "
همست له ذاهلة " هل هذا كل شيء؟ "
أومأ برأسه وقال " تعالي أوصلك للبيت قبل أي انفجارات عاطفية غير محسوبة "
وسحبها من يدها مغادرا للخن بينما سيد واقفا يتلقى التهاني بابتسامة سعيدة رغم استمرار ذهوله.

Des. Maryam Tamim

أدخلها أحمد بوابة البيت بينما الزغاريد تنطلق من نسوة الحى سواء في الشرفات أو الموجودين في شقة الحاج سماحة .. فأوقفت آية أحمد تقول " أحمد هذا كل شيء فعلا ؟"

احتضن بكفه جانب وجهها وقال " مبارك عزيزتي المجنونة .. أصبحت زوجة سدسد .. وتخلصنا منك .. وسنعيش من بعدك سعداء للأبد"

رفعت إليه نظرات ذاهلة فسحبها لحضنه يقول متألما من ذهولها " مبارك يا حبيبتي .. لا أريدك مذهولة .. أريدك أن تعذبيه وتمارسي عليه جنونك وتعيشي أنت سعيدة "

تركها بعد قليل تصعد للبيت فدخلت على إلهام بعينين تلمعان بالدموع فحدجتها بنظره محذرة لتتماسك أمام النسوة المهنئات المطلقات للزغاريد .. لتنسحب بعدها إلى غرفتها لتطلق العنان لدموعها .

Des. Maryam Tamim

حين عاد أحمد كان المأذون قد رحل ونزل الرجال بمصاحبة الحاج سماحة ليجلسوا في المقهى بالأسفل توزع عليهم الشربات بينما وائل وعمرو مازالا في الخن مع سيد يتناوبان في تهنئته والمزاح معه بخشونة ..

اقترب سيد من أحمد يقول بتأثر " تمنيت اليوم أكثر من أي يوم مضى أن يكون عندي عائلة كبيرة ومشرفة .. ليس من أجلي فأنتم معي ولا حاجة لي بهم .. ولكن حتى تتفاخرون أمام الناس بأصهاركم " .

ساد صمت مشحون بالعواطف بين أربعتهم فأكمل سيد بصوت متأثر " شكرا يا أحمد .. شكرا لأنك وافقت على زواجي من آية ودعمتني .. لن أنسى لك هذا أبدا " .

لمعت الأعين بالدموع ورد أحمد " أختي أغلى عندي منك ألف مرة .. فإن لم تكن تستحقها فلم أكن لأسمح لك بالنظر إليها حتى بطارف عينك

Des. Maryam Tamim

(وربت على كتفه) تشرفنا بمصاهرتك سيد هولاكو
"
حضنه سيد متأثرا ليبدأ المزاح الخشن بين أربعتهم من جديد ثم ينزلون لينضموا للرجال بالمقهى ..
بعد قليل تسلل سيد للخن واتصل بآية التي ردت بلهفة .. فوقف صامتا يلصق الهاتف على أذنه لا يجد ما يقوله مناسبا وقد غلبته المشاعر .. وظلا صامتان لدقيقة يستمعان لأنفاسهما قبل أن يقطع سيد الصمت ليقول بخفوت " هل تصدقين يويا ؟.. هل تصدقين أنك (وصمت قليلا يبتلع تأثره ثم أكمل) أنك أصبحت .. زوجتي " .
صمتت قليلا ثم ردت بخفوت " هل لو قلت لا أصدق .. ستصدقني ؟"
رد عليها بضحكة عصبية خافتة وقال " سأصدقك لأني مثلك .. "
سألته " ألن تصعد قليلا "

Des. Maryam Tamim

قال بسرعة " لن أستطيع الآن يويا أنا مازلت أرتجف .. وأشعر أني إذا ما رأيتك قد أبكي بتأثر"
ردت بتوسل " دقيقة واحدة "
رد بابتسامة " البيت ممتلئ بالنساء وستضيع هيبتي أمامهم .. أيرضيك أن تضيع هيبة هولاكو أمام نساء الحي " .
صمتت قليلا تهدئ من ضربات قلبها فقال سيد " سألقاك في المساء " .
سألته بفضول " أخبرني أين سنذهب جميعا "
رد سيد " أحمد أعد لنا احتفالا صغيرا يضمنا نحن الأصدقاء فقط وعائلاتهم .. واختار قاعة جميلة وصغيرة مغطاة فوق سطح المركب ستأخذنا في رحلة نهرية ..بعيدا عن عيون الإعلام والصحافة .. كما تعلمين زوجك بات شخصا معروفا " .
ازدادت ضربات قلبها بجنون وهي تسمع كلمة (زوجك) .. وقالت " حسنا سأتحمل حتى المساء"

Des. Maryam Tamim

حين أتى المساء نزلت آية من السيارة أمام النهر بعد أن فتح لها أحمد بابها بحركة مسرحية ..
فأخذت تبحث عن سيد بعد أن فوجئت بأنه لم يأتي لاصطحابها .. بل أخبرها بأنه سينتظرها في القاعة .. ليرتب بعض الأمور التي لم تعرف ما هي بالضبط .. فتوقعت أن يقابلها أمام المرسى .. لكنه لم يكن موجودا أيضا.. نزل أيضا من سيارة أحمد كلا من بانة ورحمة وزهرة ..
بينما ركنت سيارة عمرو خلف أحمد .. مصطحبا أروى وماجدة التي أصر عليها كلا من وائل وأروى الحضور .. بينما رفض كبار السن الحضور تاركين للشباب الفرصة للاحتفال بحرية.
أما وائل والتوأمتين فكانوا مع سيد في القاعة يحضران لاستقبال الجميع ..
وقفت آية حائرة .. تتطلع حولها تبحث عن سيد فطلب أحمد من الجميع أن يسبقوهم إلى الداخل وغمز لبانة التي تركته مبتسمة لتلحق بهم .. بينما

Des. Maryam Tamim

بقي هو مع آية التي قالت" لا أفهم شيئا لمَ سبقونا ونحن نقف هنا وحدنا ؟"..
رد أحمد بغموض " انتظر الإشارة عزيزتي المجنونة يويا ".
تطلعت إليه فتأملها أحمد بإعجاب وقال " من أين جاءتكم فكرة ارتداء قفاطين مغربية ؟"
سألته آية بقلق " أليست جميلة ؟"
قال وهو يتفحصها " بل مبهرة .. صدقا لقد صعقت وأنا أراكم ترتدونها جميعا .. ".

ابتسمت آية في سعادة وردت " لي صديقة مغربية تبيعهم .. وكانت أمنيتي أن أرتدي واحدا .. ولم أجد أفضل من هذه المناسبة .. (ومطت شفتيها المطليتين بالوردي تقول) ثم قلدتني السيدة حرمكم المصون واشترت أكثر من واحد وأخبرت أروى لتشتري هي الأخرى ."

Des. Maryam Tamim

ضحك أحمد على مشاكستها المستمرة مع بانة وغمغم " أعترف أنكن فاتنات اليوم " .

جاءه اتصال .. ليمد ذراعه لها ويقول " هيا بنا" تأبطت آية ذراعه تمسك بطارف القفطان وتخطو بحذر بحذائها ذا الكعب الرفيع حتى دخلت لقاعة صغيرة لم تتبين منها سوى الجدران الزجاجية بعرض القاعة التي تعكس منظر المياه خارجها .. قبل أن تلاحظ أن الجميع في انتظارها في داخل القاعة إلا سيد الذي لم تجده .
بمجرد أن خطت داخل القاعة علا التصفيق والزغاريد المسجلة في السماعات ثم تقدمت التوأمتين تحملان سلة مزينة بالورود فنظرت بداخلها لتجد ظرفا فالتقطته بيدين مرتعشتين بينما عيناها مازالتا تبحثان عنه .

Des. Maryam Tamim

طالعها سيد بأنفاس مبهورة من زاوية باب الحجرة الملحقة بالقاعة .. لم يتخيل أن ترتدي قفطانا مغربياً .. حتى حين فوجئ ببانة وأروى وحتى ماجدة بالقفاطين لم يخمن أن آية هي الأخرى سترتدي واحدا .. واحدا مبهرا من الشيفون الوردي الفاتح جدا المغطى بطبقة رقيقة من قماش الأورجانزا البني الفاتح أيضا .. مشدودا على خصرها ينزل بتطريز طولي بارز باللون الوردي من بداية الرقبة حتى الأرض .. بأكمام ضيقة حتى المرفقين ثم مشقوقة طوليا من المرفق حتى الرسغ تغطي الأورجانزا الشق الطولي فيها بنعومة .. وحجاب من الأورجانزا باللون البني الفاتح .. أما زينة وجهها فكانت شديدة الرقة أظهرت عيناها من هذا البعد كشمسين صغيرتين .. وعكست شخصيتها .. حبس سيد أنفاسه وهو يرى الحذاء المكشوف الذي ترتديه بكعب رفيع عال أضفى عليها أنوثة أفقدت المارد المحبوس في صدره ما بقي له من

Des. Maryam Tamim

عقل وهو يتطلع لأصابع قدميها البيضاء .. فوقف يحاول السيطرة على دقات قلبه ويعطي إشارة لوائل خلف جهاز تقسيم النغمات الضخم الذي احضره لتبدأ الموسيقى بعد قليل ..

فتحت آية الظرف لتجد رسالة مكتوبة فيها "

أحبك ..

أحبك حبا فوق طاقة الاحتمال ..

حبا كافيا وحده لأن ينسيني سنوات طويلة من الحرمان ..

أحبك إلى الأبد ..

يا شمسي الصغيرة..

فهلا أشرقت على حياتي؟..

وأضأت بنورك عصورا سحيقة من الظلام بداخلي

....

سيد "

Des. Maryam Tamim

ارتعشت الورقة في يد آية وترقرقت الدموع في عينيها .. لتسمع صوت سيد يغني بدون موسيقى في سماعات القاعة موال :

لالي

لالي بنورك يا بدر الليالي
أنا رايد تكوني حلالي
وعنيكي سهري وموالي وقمر ترحالي

تلفتت آية حولها لتجده يخرج إليها يرتدي بنطالا وقميصا ورابطة عنق دون سترة ..فبدى أمامها ساحرا شديد الوسامة .. يقترب منها وفي يده ميكروفون يغني لها وقد بدأت موسيقى راقصة في العزف..

لالي

Des. Maryam Tamim

لالي بنورك يا بدر الليالي
أنا رايد تكوني حلالي
وعنيكي سهري وموالي .. وقمر ترحالي

شدت بانة أحمد بعيدا ليقترب منها سيد فأطاعها ممتعضا .. بينما أمسك سيد بيد أية التي بدأت تتمايل وتتراقص بدلال على الموسيقى الراقصة وعيناها تغيمان بالدموع .

غالي..
يا غصن بان في الهوا مايل
وهواك وراني هوايل..
آه يا شعرك ليل وراحل ... ع الخصر الناحل
آهين ولوما، اهين ولولا اللومة
لا لوم علي دولا
دولا اللي دلونا .. ع العشق ولامونا

Des. Maryam Tamim



أخذت دقات قلب آية تتراقص على نغمات الموسيقى لا تصدق هذه اللحظة التي تجمعها به .. يقف أمامها بوسامته عيناه تأكلانها ويغني لها .

حركت كتفيها ودارت حول نفسها وسيد يراقب حركاتها وأدق تفاصيلها بقلب يرتجف بالعاطفة .. يمرر نظراته عليها من رأسها حتى أخمص قدميها وهو يشاركها الحركات الراقصة التي بدت متناغمة وكأنهما متفقان عليها .

لا لا يا صبري محالة
ع الرمل بخط رسالة
وسهام رمشك قتالة،
ولفين رحّالة!
ليلة ليلة،
واسهر ليالي ليلة ليلة
وانا عاشق ومالیش حیلة
انا خدت الصبر وسيلة في هواكي يا آية

[4400]

شاري،
أنا اللي راحة البال كانت رسمالي
كان مال العشق ومالي
من يوم ما ضحكلي غزالي بدللي احوالي
لالي لالي لالي
لفيت بلاد آه وبراري
وانا شاري يا نور مداري
أنا دارك وعنيكي داري
قنديلي وناري

قالت بانة بغيظ " أتركهما .. يا أحمد "
فتطلع إليها من بعيد يتراقصان بخطوات متبادلة
للخلف والامام بينما وضع سيد يده الحرة على
خصرها فأدارت بانة زوجها ليتطلع إليها فقال في
"غيظ بات يستفزني سيد" .

[4401]

ضحكت وقالت " زوجها يا أحمد اقتنع بالفكرة أرجوك " .
ثم أمسكت بربطة عنقه تعدلها وهي تقول" دعني أتأمل وسامتك قليلا "
حدجها بنظرة باردة وقال " باتت ألاعيبك مكشوفة يا بانة وكل ما يهمك أن تمنعينني عن إزعاجهم "

قهقهت واقتربت منه أكثر تداعب ربطة عنقه وقالت "إذن أنت معترف أنك تزعجهم"
قال بغيظ " عليّ أن أراقبهما .. فهي لم تزف إليه بعد ".
ضحكت مجددا ثم قالت " أنا أقول الصدق أنت اليوم شديد الوسامة "
وضع يده خلف ظهرها يأكلها بعينيه بقفطانها العاجي اللون برتوش بسيطة من الاخضر اللامع

Des. Maryam Tamim

وطن قلبي

وهمس بحرارة " أحببت هذا الرداء .. تبدين مذهلة .. ألا يوجد لديك رحمة بهذه الفتاة المجنونة المسكينة في حفلتها لتبدين أحلى امرأة في الحاضرات "

اشتعلت وجنتيها تطالعه بعينين تتلألأ فيهما النجوم وهمست " هل أخبرتك من قبل أني أحبك أيها الأسمر الوسيم ؟"

رفع مقلتيه يفكر ثم عاد ينظر إليها قائلا " تقصدين (أحبك يا ولدي وسيدي وأبا أولادي) ؟ .. لا لم تخبريني من قبل " .

قهقهت بانة وقالت ساخرة " كيف تسمح بذلك يا كونت .. أنت تتساهل معي بهذا الشكل " .

اتسعت ابتسامته ورد " اتساهل معك شفقة بحالك .. فأين كنت ستجدين من يتزوجك وأنت لاجئة وحيدة بلا مأوى بلا حماية .. بكرامة متورمة .. وتفلسف معصِب. .(وهمس) وشديدة الجمال .. مبهرة "

Des. Maryam Tamim

ضحكت بانة وقالت " شكرا لشهامتك (وصمتت قليلا تتأمله ثم قالت بعاطفة قوية وهي تنظر في عينيه) يا ولدي وسيدي وأبا أولادي "
تحركت يده على ظهرها وهمس بإغواء " نحن في خدمتك يا ذات الضفيرة العسلية ".

على الناحية الأخرى من القاعة وقفت ماجدة تتأمل سيد وآية اللذين لم يتوقفا عن الرقص تنتهي الأغنية لتصدح أغنية أخرى .. تحاول الهرب من عيني وائل اللتان تلاحقنها أينما ذهبت خلال الاسبوعين الماضيين .. مسببة لها ارتباكا وحيرة .. ولا تدري ماذا تفعل معه ..
قلبها يتوسلها أن تستجيب لمحاولاته لرأب الصدع الكبير بينهما .. بينما كرامتها تفسد عليها كل اللحظات الحلوة معه .. كل محاولاته للوصول إليها .. كرامتها توبخها وتجلدها حتى إذا ما فرحت في داخلها فرحة مكتومة ..

Des. Maryam Tamim

بحثت عنه في القاعة فقد كان يراقص بناته منذ قليل على أنغام الأغاني .. لتفاجأ به يقف خلفها مباشرة واضعا يديه في جيبي بنطاله فارتبكت واشاحت بوجهها تبحث عن أروى لتلتصق بها كما تفعل من أول الحفل .

طالعها وائل بعينين مشتعلتين في ذلك القفطان المغربي بتدرجات اللون البنفسجي .. مسرورا بأنها قد استجابت لطلبه حين طلب منها ألا تترك شعرها مسدلا فصففته للخلف بتسريحة مرتفعة قليلا ..

اقترب منها يقول "من أين حصلت على هذا القفطان فجأة "

ردت تداري ارتباكها " بانة أعارته لي فهي ابتاعت أكثر من قفطان ".

تأملها قليلا بنظرة مشتعلة ثم قال" وكأنه صمم لك .. يبدو رائعا ومحتشما .. "

Des. Maryam Tamim

ردت ساخرة " حمدا لله أن هناك ملابس لم تعلق عليها .. بت تعلق على ما أرتديه كثيرا هذه الأيام"
لم يرد على جملتها لكنه قال " لمَاذا قصصت شعرك؟ "
تفاجأت بالسؤال .. فتطلعت قليلا لعينيه المعذبتين وردت" لأن تمشيطه كان يؤلم ذراعي ولم أجد من يساعدني فيه فتخلصت منه "
مجددا .. يقترب منها.. فيتألم .. ويكره نفسه.

ابتلع غصة في حلقه وسألها " هل أحضر لك شيئا لتأكليه؟ "
حركت رأسها بلا .. فصمت يتنهد بقوة لا يجد ما يقوله لها .. واعد نفسه أن يتحمل كل ما ستعذبه به مهما كان .

Des. Maryam Tamim

بعد قليل قال أحمد لسيد حين انتهت إحدى الأغاني "هلا لبستم المحابس أرجوكما .. حتى نفتتح مائدة الطعام فأنا جائع"
قرصته بانة فقال بحنق " ماذا ؟! .. أنا جائع .. جائع ".
ابتسم سيد وأخرج من جيب سترته علبة مخملية وعيناه تتطلعان لعينيها غير قادر على إبعادهما عنها وأخرج منها خاتمي خطبة .. ثم نظر لوائل بامتنان .. فابتسم له الاخير .. ليعود لآية قائلا " هذه الخواتم جهزها وائل منذ زواج عمرو وأروى وكتب عليها إسمينا "
تطلعت للخواتم مشدوهة .. فأمسك بيدها يدخل الخاتم ببطء في إصبعها بيد مرتعشة.. ثم ناولها خاتمه الفضي فتطلعت إلى عينيه قليلا .. لتلبسه الخاتم وسط تصفيق الجميع .. فسحب سيد يدها ومال ليطبع على ظاهر يدها قبلة بطيئة مليئة بالعاطفة جعلت عيناها تترقرقان بالدموع ..

Des. Maryam Tamim

واقترب منها يقبل جبينها ثم تطلع لعينيها بعشق غير قادر على البوح به أمام الجميع ..

نظرت آية له وللجميع حولها يهنئونها وانهمرت دموعها أكثر .. فتركت أروى كرسيها المتحرك الذي تستريح عليه من وقت لآخر وساندها عمرو بقفطانها بتدرجات الأزرق حتى وصلت لآية تهدئها وتحضنها ..

بعد قليل فتحت مائدة الطعام وبدأ الحاضرين في الأكل بينما انسحبت آية تعدل من زينة وجهها بعد أن تلطخت من أثر البكاء .
فلكز وائل سيد يغمز له فانتبه لذهابها .. لينظر نحو أحمد الذي يتحدث مع بانة وتنحنح متسللا ليذهب ورائها .. فنزل السلم المؤدي للدور السفلي في المركب ووقف ينتظرها أمام الحمام بتوتر ..

Des. Maryam Tamim

خرجت آية بعد أن عدلت من زينة وجهها لتراه يقف أمامها متخصرا يطالعها بهدوء .. فابتسمت واقتربت منه ترفع إليه عينين تتأملا وسامته .. فتكلم هامسا وهو يرسم تفاصيلها بنظرة عاشقة " مازلت غير قادر على التصديق يويا "

ابتسمت وردت" ولا أنا.. يا سيد .. ولا أنا " قال مبتسما " وأنا أرقص معك شعرت أن أخيك سيشدك من أمامي في أي لحظة ويضربني "..

اقتربت أكثر وقالت وهي تضحك من نفسها" وأنا أشعر أني سأسمع في أي لحظة عبارة (نكتفي بهذا القدر من الحلم .. عليك العودة للواقع فورا)" خطى نحوها يتأملها قليلا ثم قال" أنت الليلة جمالك مبهر يويا؟؟ لم أرى في جمالك في حياتي كلها ".

Des. Maryam Tamim

اشتعلت وجنتيها وتأملت تفاصيله ..وجهه .. لحيته كتفيه العريضين .. وربطة عنقه ... فتملكها شعور غامض لم تعرف وصفه فقالت " سيد .. هل أطلب منك شيئا ؟"
رد بهمس "سيد صبرة في كفيك"

تسارعت أنفاسها وقالت " رغم أني لا أصدق حتى الآن ولا أعلم هل بالفعل سيتركونني أحبك كما أريد أم لا .. (وترقرقت عينيها بالدموع فأكملت) ولا أعرف إن كنت سأستيقظ بعد قليل لأجد نفسي كنت أحلم أم لا .. ولا أعلم هل يصح لي أن أطلب ما سأطلبه الآن .. أم لا؟ ..لكني أتمنى شيئا واحدا قبل أن نستيقظ من هذا الحلم".
تطلع إليها بترقب فهمست " هلا قبلتني يا سيد .. (وارتجف صوتها) قبلة واحدة قبل أن أستيقظ من الحلم" ؟
ارتجف قلبه وهمس " لا أدري من منا من عليه أن

Des. Maryam Tamim

يتوسل الآخر يويا" ..

احتضن وجهها بكفيه ومال على شفتيها يأخذ أنفاسها إلى صدره .. مأخوذا بلون العسل الذي بات يلمع في عينيها..

كان مرتبكا قلبه يقفز في صدره وهو يحدق في تفاصيل وجهها من هذا القرب .. بينما داعبت رائحة عطرها أنفه لتدغدغ رجولته .. فمس شفتيها بشفتيه برقة وهو يرتجف .. ثم اتبعها بقبلة طعمها حلو كحلاوتها .. كطعم سكاكر العيد ..
عاد ينظر لعينيها قليلا وهو يشعر بها ترتجف بين يديه كورقة شجر.. فمال إليها مرة أخرى بقبلة ثالثة أكثر عمقا وسخونة .. بينما جسده يلصقها بالحائط مستشعرا نعومتها وطراوتها ..فأحاطت آية عنقه بذراعيها تتشبث به بيأس وهي تستشعر حركة يديه على ظهرها .. ثم أحكمت ذراعيها حول

Des. Maryam Tamim

رقبته تتعلق به وكأنها تتوسله ألا ينتهي ..
ليفقد سيد إحساسه بكل شيء حوله ..
ماضيه ..
وحاضره..

وينحني ليلف ذراعيه بقوة حول خصرها ويرفعها إليه .. غارقا في عسل شفتيها وكأنه لم يقبل امرأة من قبل .. بينما دمعتان تسيلان من طارف عينيهما. .

Des. Maryam Tamim

الفصل الأربعون

قالت آية " سيد .. هل أطلب منك شيئا ؟"
رد بهمس "سيد صبرة في كفيك"
تسارعت أنفاسها وقالت " رغم أني لا أصدق حتى الآن ولا أعلم هل بالفعل سيتركوني أحبك كما أريد أم لا .. (وترقرقت عينيها بالدموع) ولا أعرف إن كنت سأستيقظ بعد قليل لأجد نفسي كنت أحلم أم لا .. ولا أعلم هل يصح لي أن أطلب ما سأطلبه الآن .. أم لا؟ ..لكني أتمنى شيئا واحدا قبل أن نستيقظ من هذا الحلم".

تطلع إليها بترقب فهمست " هلا قبّلتني يا سيد .. (وارتجف صوتها) قُبلة واحدة قبل أن أستيقظ من هذا الحلم "

Des. Maryam Tamim

ارتجف قلبه وهمس " لا أدري من منا عليه أن يتوسل الآخر يويا" ..

احتضن وجهها بكفيه ومال على شفتيها يأخذ أنفاسها إلى صدره .. مأخوذا بلون العسل الذي بات يلمع في عينيها..

كان مرتبكا قلبه يقفز في صدره وهو يحدق في تفاصيل وجهها من هذا القرب .. بينما داعبت رائحة عطرها أنفه تدغدغ رجولته .. فمس شفتيها بشفتيه برقة وهو يرتجف .. ثم اتبعها بقبلة طعمها حلوا كحلاوتها ..كطعم سكاكر العيد ..

عاد ينظر لعينيها قليلا وهو يشعر بها ترتجف بين يديه كورقة شجر .. فمال إليها مرة أخرى بقبلة ثالثة أكثر عمقا وسخونة .. بينما جسده يلصقها بالحائط مستشعرا نعومتها وطراوتها ..فأحاطت

Des. Maryam Tamim

آية عنقه بذراعيها تتشبث به بيأس وهي تستشعر حركة يديه على ظهرها .. ثم أحكمت ذراعيها حول رقبته تتعلق به وكأنها تتوسله ألا ينتهي ..
ليفقد سيد إحساسه بكل شيء حوله ..
ماضيه ..
وحاضره..
وينحني ليلف ذراعيه بقوة حول خصرها ويرفعها إليه .. غارقا في عسل شفتيها وكأنه لم يقبل امرأة من قبل .. بينما دمعتان تسيلان من طارف عينيهما. .

بعد دقائق حرر شفتيها يحاول السيطرة على أعصابه .. وأعاد رأسه للخلف قليلا يستشف انطباعها وهو يلهث .. لكنها ظلت مغمضة العينين لثوان .. لتشرق عليه بعدها ببطء وتتلاقى العيون ..

لحظتها تسمر سيد مأخوذا بتلك الأحاسيس والمشاعر التي يختبرها لأول مرة .. لم تكن مجرد

Des. Maryam Tamim

مشاعر رجولية حسية فحسب.. بل خلطة من مشاعر صَعُب عليه تصنيفها وهو المشدوه مما يمر به .. فلم يقدر إلا على تشديد ذراعيه حول جسدها البض يدفن وجهه في رقبتها بين طيات حجابها الناعم كنعومتها .. ليغرق في حضنها .. في حضن أنثى تخصه .. امرأة تحبه ويحبها .. وهو الذي لم يشعر بهذا الشعور حتى وهو طفل صغير .. لم يُغمر بهذا الحب الجارف الذي منحته له تلك الصغيرة منذ دقائق .. ولم يعرف ما سرها .. فهمس بشوق معذب " آآآآه يويا .. أنت في حضني .. في حضن سيد "

حركة في الدور العلوي تقترب من السلم جعلته يتخلى مُكرهاً عن ضمها وينزلها للأرض ببطء .. لتقترب الأصوات أكثر فيبتعدان عن بعضهما

Des. Maryam Tamim

بترقب .. حتى أتى صوت أحمد يقول على السلم الذي يصل بين الطابقين " بانة " .

توترت آية فنظر سيد حوله بسرعة .. ليسحبها من يدها نحو الباب الوحيد الموجود على بعد أمتار من الحمام .. فتحه وسحبها إليه.

قبل دقائق :

قال أحمد لبانة " ألن تأكلي ؟!".

نظرت لمائدة الطعام ومطت شفتيها ممتعضة فرد أحمد وهو يقف أمامها ممسكا بطبق " لقد أعددت لك طبقا مما تحبين "

حركت بانة رأسها بلا وقالت " معدتي تؤلمني "

Des. Maryam Tamim

قال بإلحاح" قليلا من الطعام يا بانة أنت لم تأكلي حتى على الغداء ".

لمحت بانة بطارف عينها سيد الذي نزل خلف آية التي توجهت للحمام منذ قليل لتعدل من زينة وجهها .. فتوترت وتحركت نحو أحمد تتأبط ذراعه تسحبه للناحية الأخرى وهي تقول " لا أريد أن آكل أشعر برغبة في التقيؤ "

أندهش أحمد من حالتها فوضع الطبق على منضدة جانبية وقال باعتراض صبياني " إذن لن آكل أنا الآخر "

شعرت بالذنب فقالت بضيق " أحمد لا تتصرف كالأطفال وكُل .. صدقني أنا أقاوم التقيؤ بصعوبة"

قال بتعاطف وقد بدأ يشعر بألم في معدته بالإيحاء " اذهبي للحمام ربما تقيأت وارتاحت معدتك رغم أن معدتك فارغة طوال اليوم " .

Des. Maryam Tamim

تشبثت بذراعه تحافظ على وقفته موليا ظهره للسلم وقالت وهي تقاوم الألم في معدتها" أتعرف ماذا أريد ؟ .. أريد زيتونا ولا أجد على المنضدة أي زيتون "

رفع حاجباه ورد مندهشا " زيتون !! ومن أين نحضر زيتونا الآن .. كلي وسأشتري لك زيتون فيما بعد ".

شددت من احتضان ذراعه وقالت " لا أريد .. ما أريده ألا تبتعد عني " .

حدق فيها يتفحصها وقال " حالتك غريبة يا بانة ما بك ؟" .

قالت بصدق " لا أعرف لكن يتملكني شعور جارف بأن ألتصق بك .. ويعذبني القلق من أن تتركني وترحل " .

Des. Maryam Tamim

اقترب منها شاعرا بالارتباك يحاول تفسير حالتها .. لكن بانة لم تستطع الصمود .. حاولت أن تتحامل لكن معدتها لم تصبر .. فاندفعت رغما عنها نحو السلم تجري إلى الحمام بينما أسرع أحمد ينزل وراءها بجزع منادياً عليها .. صاحت أروى من كرسيها الذي تستريح عليه قليلا " ماذا يحدث يا أحمد ؟!!!"

رد عليها وهو يلحق ببانة " معدتها تؤلمها "

ساد الترقب على الجميع بينما توتر كلا من وائل وعمرو وتبادلوا النظرات .. فتطلعت أروى حولها بتوتر وقالت "أين سيد؟ "

فتنحنح وائل في حرج .. بينما قالت ماجدة بحزم للفتاتين اللتين تتطلعا بفضول لما يحدث " اذهبا واجلسا مع رحمة وزهرة "

بينما تكلمت أروى بتوتر "ما هذا الموقف المحرج ترى ماذا سيحدث ؟"

[4420]

ربت عمرو على كتفها يهدئ انفعالها وتبادل نظرات قلقه مع وائل .

في الطابق السفلي دخلت بانة الحمام وأغلقت عليها الباب وافرغت ما في جوفها .. بينما وقف أحمد خلف الباب المغلق في قلق وذهن مشغول بها ..

أما سيد وآية فكانا محشورين في غرفة صغيرة ضيقة مملوءة حتى آخرها بمعدات كثيرة لم يتبينا في ضوء الغرفة الخافت عن ماهيتها.. ولم يكن لديهم من الرفاهية للتدقيق في شكل المكان الذي يختبئون فيه وهما محشوران في المساحة الصغيرة الباقية من الغرفة والتي لا تتعدى النصف متر ..

فوقف سيد ملتصقا بالحائط بجوار الباب يسنده بذراعه الطويل وكأنه يخشى أن يُفتح بينما ذراعه

Des. Maryam Tamim

الأخر يحيط بخصر آية يضمها إليه وقلبيهما يضربان بعنف ..

حاول سيد استراق السمع ليجد أحمد ينادي على بانة " بانة هل أنت بخير ؟ .. بانة لم لا تردين .. بانة ... لا تقلقيني عليك "

همست آية بتوتر " يبدو أنها مريضة "

أومأ سيد برأسه يوافقها في التخمين .. وعاد يسترق السمع من جديد فهمست آية بتوتر " ماذا لو رآنا؟ "

أنزل نظراته إليها وهي ملتصقة بصدره مقاوما تلك المشاعر التي تعربد بداخله خاصة مع استشعاره لتفاصيل جسدها الملاصق له ورد مبتسما " لا تقلقي .. سيكون موقفا محرجا لكنك في النهاية زوجتي "

Des. Maryam Tamim

تلألأت النجوم في عينيها من وقع الكلمة لكنها قالت " الامر ليس خوفا منه بقدر ما هو خوف من أن يغضب مني .. لا أريد أن أشعره بالضيق أو أخذله لكن رغما عني مشاعري تغلبني "

تأملها بنظرات حنونة ثم همس مداعبا " كبرت الحلوة ونضجت عقلا .. و...أشياء أخرى "

نظراته وكلماته أذابت أعصابها فدفنت رأسها في صدره لتشعر به يطبع قبلة على رأسها ..

ثم رفعت وجهها إليه بعد ثوان تقول " لو كنا بقينا وتظاهرنا باللا شيء أفضل من أن يكتشفنا مختبئين بهذا الشكل "

ضحك بخفوت ورد " صدقت .. لكننا لم نعتاد على الأمر بعد فارتبكنا (ورسم ملامحها الحلوة

Des. Maryam Tamim

بعينيه فاشتعلت أعصابه وهمس بأنفاس ساخنة)
ولأنني كنت ضائعا بين ذراعي جنية صغيرة "

خبأت وجهها في صدره من جديد بينما سمعا
صوت باب الحمام يفتح ..

خرجت بانة بمعدة متقلصة شاعرة بالتوتر أن
أنزلت أحمد إلى هذا المكان وتساءلت في سرها أين
يمكن أن يكون سيد وآية؟ ..هل من الممكن أن
يكونا بإحدى الغرف البعيدة أخر الممر ؟.. فاقترب
منها أحمد يحضن وجهها بكفيه ويقول بحنان "
هل بردت معدتك أم ماذا يا قلب أحمد "

فتمتم سيد من بين أسنانه بخفوت " أسرع يا بني
وإلا ستخرج الأمور عن السيطرة "

Des. Maryam Tamim

تطلعت إليه آية .. فانتبه لما قال لينزل نظراته يحدق في عينيها يتطلع لرد فعلها .. فانفجرت آية في الضحك المكتوم في صدره .. لتتسع ابتسامته السعيدة شاعرا بقلبه يتراقص في صدره ومال عليها يشدد من احتضانه لها وهو يتمتم بجوار أذنها " أنت شقية يا بنت سماحة وستصعبين عليّ الأمور ".

لاحظت بانة الانتباه على ملامح أحمد وقد بدأ يتلفت حوله يقطب جبينه .. فقالت بسرعة بلهجة متألمة " أحمد أرجوك أريد أن أصعد للطابق العلوي أحتاج للتنفس وأشعر بالاختناق "

التهى أحمد في حالتها مرة أخرى وقد أوشك أن يتشمم رائحة ما في الهواء .. فساندها صاعدا على الدرج وهي تحمد الله أن توعكها لم يتسبب في حرج لسيد وآية ..

Des. Maryam Tamim

استقبلهما وائل وعمرو بترقب وحاولا قراءة تعبيرات أحمد لتبين عما إذا قد اكتشف وجودهما لكنهم شعروا أن الأمر مر بسلام فهمس عمرو لوائل " ماذا يحدث ؟.. أين ذهبا ؟ "

ضحك وائل ورد بخفوت متسليا " ربما قفزا في الماء"

قالت أروى بتوتر " أرجوك يا عمرو ساعد في إنهاء هذا الموضوع لقد توترت جدا ولا أريد أن يفسد الاحتفال " .

رد عليها " ماذا سنفعل يا أروى ليس من اللائق أن أنزل وراءهما "

انفجر وائل في ضحكة مكتومة وأدار وجهه بعيدا فدغدغت ضحكته قلب ماجدة المتحير المرتبك مما يفعله بها هذا الأشقر مؤخرا.

Des. Maryam Tamim

في الأسفل خرج سيد وآية من تلك الغرفة الضيقة فتكلم بسرعة " اذهبي أنت وسألحق بك فلا يجب أن يرانا صاعدين سويا"

نظرت آية لقميصه وشهقت فنظر لنفسه ليجده ملطخا بأثار وردية اللون من شفتيها .. انفجرت آية في ضحك مكتوم .. ليتحكم سيد في ابتسامته وأشار لها بإصبعه آمرا أن تصعد فورا ..

رفعت قفطانها تكشف عن ذلك الحذاء الأنثوي المكشوف ذا الكعب العالي تعتلي السلم بسرعة .. فأطلق سيد زفرة حارة قوية من صدره يحاول أن يطفئ أعصابه التي اشعلتها تلك الجنية .

شاهدت أروى آية من بعيد تعتلي السلم فأمسكت بعمرو لتقف وهي تقول " أخشى أن يشاهدها أحمد وهي صاعدة وحدها من هناك "

وهمت بالحركة بصعوبة تمسك بطنها باليد الأخرى فأوقفها عمرو ناهرا " أروى إهدئي ستؤذين ظهرك "

بينما تحركت ماجدة بسرعة تستقبل آية عند آخر درجة وتأبطت ذراعها .. فتفاجأت آية لكنها فهمت الأمر حين لمحت التوتر على الوجوه فأطرقت بحرج وتحركت بعيدا مع ماجدة تقف على الناحية الأخرى من أحمد .. بينما تأمل وائل زوجته مبتسماً والتي لمحته يحدق فيها كالعادة .. فأشاحت بوجهها في ارتباك .

صعد سيد بعد قليل وقميصه عليه بقعة مبللة بعد أن تخلص من اللطخات الوردية.. فكتمت آية ضحكتها .. ليحدجها بنظرة متوعدة وهو يتحكم في

Des. Maryam Tamim

ابتسامته ويرتدي سترته بسرعة يداري البلل .. ثم تقدم نحوها متحاشيا نظرات كلا من وائل وعمرو اللذان يتهامسان متفكهين على منظره .

تطلع سيد للنظرات الشقية التي تطل من عينيها وهمس بقلب يتراقص فرحا وبهجة لم يشعر بها من قبل " ما أجمل هذا الحلم .. ليتني أظل في هذه الهلوسة الرائعة طول العمر "

احمرت وجنتيها في خجل .. فتخصر أمامها مبعدا سترته للخلف وسألها بحرج لم يتخيل أن يشعره يوما ما أمام أنثى " كيف كانت؟ "

تعرق جسدها وضغطت على شفتيها قليلا تلملم أعصابها ثم سألته مراوغة " عم تتحدث ؟"

ضيق عينيه وقال " الأمنية التي تمنيتها وحققتها لك ما رأيك فيها ؟"

Des. Maryam Tamim

ارتبكت واشتعلت وجنتيها أكثر لتقول مراوغة " لا أعرف عما تتحدث .. أمنية وتنفيذ !!.. أنت تهلوس بالفعل "

انفجر ضاحكا بصوت عال يتمتم " جميل .. جميل جدا تعجبني هذه اللعبة (ثم اخفض صوته متوعدا) لكن لا تبكين كالطفلة بعد ذلك "

لطمت آية على وجهها بحرج تنظر حولها للعيون التي تحركت في اتجاههما ولحاجب أحمد المرفوع من بعيد وهو ينظر إليهما لثوان ليستدير نحو بانة مرة أخرى .. فوضعت كفها على فم سيد تقول من بين أسنانها في غيظ " سيد ستفضحنا "

أمسك بكفها يرفعه من على فمه وقال بخفوت متسلي " من يريد أن يلعب معي عليه ألا يكون جبانا "

Des. Maryam Tamim

قالت هامسة " سأخبرك على الهاتف "
قبل باطن كفها وهمس " ستخبريني عن ماذا ؟"
فردت هامسة " عن تلك الأمنية التي تحققت في هذا الحلم الجميل " .

على الناحية الأخرى من القاعة كان أحمد مشغولا بكل تركيزه مع بانة التي ألبسها سترته وجلس على كعبيه أمامها يتطلع فيها قائلا" هل تشعرين بالبرد " .

قالت بانة بإعياء وهي تتطلع لآية وسيد اللذان وقفا يتضاحكان فشعرت بالراحة بعد تلك الدقائق من التوتر" أنا أشعر بالحر ليس البرد لكنك مصر أن تلبسني سترتك .. عموما لا تقلق عليّ أنا أفضل "

Des. Maryam Tamim

استقام يتوجه للشباب ليرى متى سيعود المركب لليابسة وهو يشعر بالقلق على بانة .

اقتربت رحمة من سيد مبتسمة وقالت بمحبة " مبارك يا حبيبي " .

أخذها سيد في حضنه وقال لآية " آية أقدم لك صديقتي الصغيرة .. وأتمنى أن أراكما متفقتان هذا سيفرحني جدا "

دارت آية شعورا بالغيرة يتسلل إليها في خبث وأومأت برأسها بتفهم بينما ردت زهرة بحنق "أراني غير مرئية منذ بداية السهرة! "

انحنى سيد وحملها على ذراعه " وهذه هي زهرتنا ذات اللسان الطويل ".

دفعت زهرة شعرها الطويل للخلف ببعض الزهو وهي تطالع آية من رأسها لأخمص قدميها بامتعاض واضح .

Des. Maryam Tamim

فاستشعرت آية امتعاضها لكنها قالت " أهلا زهرة قابلتها يوم خطبة أروى "

أشاحت زهرة بوجهها في صمت فهزها سيد يقول " ألا توجد عندك كلمة ترحيب بآية " .

أعادت وجهها لتتطلع لآية مرة أخرى ثم أشاحت بوجهها مرة أخرى تتمتم " لا أريد .. لا تعجبني "

رفع سيد حاجباه في اندهاش ورد " لماذا يا زهرة؟"

ردت في حنق" لأنك مشغول بها وتتحدث إليها كثيرا كثيرا على الهاتف .. ورحمة تقول أنها ستنتقل للعيش معك .. ألا يكفيها الهاتف "

قهقه سيد بينما تمتمت آية من بين أسنانها بغيظ " ألن أحصل عليه لي وحدي أبدا !"

بحث وائل عن ماجدة فلم يجدها .. فأخبرته إحدى الفتيات أنها تتحدث في الهاتف في الدور

Des. Maryam Tamim

السفلي .. فتعجب ونزل يبحث عنها .. لكنه حين اقترب سمعها تتحدث منفعلة .. فوقف على السلم يستمع دون أن تراه .

قالت ماجدة بتوتر" أنا قلت أن لدي مناسبة ولا أملك فرصة الدخول على الانترنت الآن (زفرت بعصبية) لا أفضل هذا الحل أبدا .. حسنا .. سأرى إن كنت سأصل للبيت قبل منتصف الليل أم لا .. سأحاول .. سلام "

ازدادت ضربات قلبه متوترا وأنياب الشك تنهش فيه وأخذ يفكر .. " ما معنى كلامها ؟ .. ومع من تتحدث وتعد بأن تدخل على الانترنت قبل منتصف الليل .. ولم هي متوترة ؟ "

تفاجأت ماجدة به على السلم .. واستشعر ارتباكها من رؤيته .. لكنه تحكم في توتره وسأل " هل هناك شيء ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت ماجدة بلا محركة كتفيها ببساطة .. فأومأ برأسه متفهماً لتقول له بتردد " متى ستعود المركب ؟"

سألها " لماذا .. هل مللت من الحفل ؟"

ردت تداري قلقها " لا إطلاقا لكني مجهدة "

تنهد بمرارة ورد " أعتقد أنها في طريقها للعودة بالفعل لأن بانة مريضة وبادر سيد بالعودة مبكرا عما كان ينوي "

لاحت الراحة على وجهها .. فأطرق برأسه لا يعرف كيف يقتل ذلك الشك الذي ينمو بداخله منذ مدة .. وعاد لوساوسه من جديد .. هل ماجدة تتحدث مع شخص ما على الإنترنت ؟ ..

لم هي مرتبكة ؟

ولم مضطرة أن تدخل على الانترنت عند منتصف الليل ؟..

Des. Maryam Tamim

***

بعد ساعة كانت السيارات تتحرك عائدة لحي سماحة .. فتطلع وائل لماجدة يراقبها بجواره في السيارة وهي تنظر في الساعة كل فترة .. فحاول استدراجها للحديث فقال " ما رأيك أن نمر في طريقنا ونشتري المثلجات "

هتفت ميري بفرح من المقعد الخلفي " أجل مثلجات يا أبي "

ردت ماجدة بارتباك " أنا أريد أن أذهب للمنزل .. دعونا نفعلها مرة أخرى .. لدي أمرا مهما لابد أن أقوم به في البيت .. (ونظرت للخلف للفتاتين وقالت) آسفة أعد أن أعوضكما "

سألها وائل " أي أمر ينتظرك في البيت ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت بسرعة " لي صديقة في بلد أخرى تنتظر مني أن أدخل على الانترنت لنتحدث سويا ويبدو أنها في مشكلة وتريد أن تتحدث معي بشكل عاجل "

لم يقتنع .. وطحن أسنانه يتطلع للطريق أمامه بقلب يحترق ..

هل من الممكن أن تكون هذه الصديقة رجل ؟.. رجل يعيش في بلد آخر تتحدث معه !!!!...

ابتلع ريقه الجاف وهو يرتجف .. هل الفراغ العاطفي والكبت الذي عاشته جعلها تبحث عن صداقة مع رجل في دولة أخرى تعوض معه بعضا من إنسانيتها !! .

تسارعت أنفاسه بتوتر .. وشعر بالانقسام .. كرامة الرجل بداخله تزأر .. لكن عقله يخرسه موبخا أن ليس لديه أي حق في أن يفتح فمه أو يعترض .. أما قلبه فينزف بشدة متألماً من هذه الخاطرة المزعجة .. بل القاتلة.

[4437]

أمسك بهاتفه بعصبية واتصل بأمير " هل حماتك بخير ؟ .. هل خرجت من العمليات ؟ .. حمدا لله على سلامتها .. هل ستسهران معها ؟ .. (صمت قليلا ثم قال بتردد) ألا يمكنك أن تمر عليّ بضع دقائق فقط .. أجل الليلة .. أعلم أنك مشغولا مع أهل زوجتك بالمستشفى لكني أحتاجك لبضع دقائق لكن إن لم تستطع فأخبرني وأنا سأتصرف .. حسنا سأنتظرك .. سلام "

سألت انجيل الصغيرة بعد أن أغلق الخط " من بالمستشفى ؟"

ردت ماجدة " والدة الخالة كريستين قامت باستئصال الزائدة الدودية يا أنجيل وكريستين وعمك أمير معها "

قالت ميري " لهذا لم تحضر الحفل؟ "

Des. Maryam Tamim

أومأت ماجدة برأسها .. متسائلة عما يريد وائل من أمير بهذا الشكل العاجل لدرجة أن يطلب منه أن يترك حماته ليأتيه فورا .

***

في السيارة أمسك سيد بيد آية يشبك أصابعه في أصابعها شاكرا لوجود أختيه في المقعد الخلفي وإلا لم يكن ليعرف كيف سيتحكم في أعصابه وهو لا يزال تحت تأثير تلك الدقائق التي جمعته بآية .. وصوتها المتوسل لا يزال يتكرر في رأسه مرارا وتكرارا وهي تطلب منه بيأس أن يقبلها ..

تبادل معها النظرات الصامتة التي تقول الكثير ومد يده ليشغل أغنية بينما نظرت آية لسيارة أحمد خلفهما وهي لا تصدق أنها حين خرجت سحبها سيد ببساطة لتجلس في سيارته في وجود الجميع .. كادت أن تقفز من الفرحة حين لم يعترض أحد ولم تشعر أنها تقوم بفعل غير لائق..

Des. Maryam Tamim

بدأت الأغنية وعاد سيد ليشبك أصابعه بأصابعها ضاغطا عليها بشوق .

بعترف قدام عينيك من النهارده
انا عمري ليك
سيبني احبك يا حبيبي
وانسى روحي بين ايديك
هو ده اللي حلمت بيه
ضحكته نظرة عينيه
يا حبيبي وانت جنبي
تفتكر انا هعمل ايه

فجأة تحركت زهرة من المقعد الخلفي وحشرت نفسها بين مقعديهما .. فأجفل سيد ونظر إليها بينما صاحت رحمة موبخة " ماذا تفعلين يا زهرة عودي مكانك !"

Des. Maryam Tamim

تجاهلتها وأكملت طريقها للأمام فأجبرتهما على فك تشابك الأصابع لتستقر بعدها بينهما تحشر نفسها بجانب آية التي طالعتها باستنكار بينما سألها سيد ببعض التوبيخ " ماذا تفعلين بالضبط يا زهرة ؟"

تكتفت وردت ببرود " أحب الجلوس في المقعد الأمامي "

تبادل سيد النظرات مع آية ..فأضافت زهرة " بالمناسبة .. أنا سأبيت معك الليلة لا أريد أن أعود لخليل اليوم "

نقرت آية على كتفها فنظرت إليها زهرة ببرود لتقول الأولى " أنت تجلسين على قفطاني "

نظرت زهرة لقفطانها الجميل بنظرة حقد ثم ردت برود وهي تعيد شعرها للخلف بكبرياء " إن كنت

Des. Maryam Tamim

تشعرين بالضيق يمكنك الجلوس بالخلف فهو أكثر اتساعا "

نقرت آية على كتفها مرة أخرى فنظرت إليها زهرة مجددا لتقول الأولى" على الأقل لا تلقي بشعرك الذي تختالين به هذا في وجهي (وأضافت تغيظها بطفولية) بالمناسبة أنا شعري أطول من شعرك "

نظرت إليها زهرة بشك فقالت آية تلعب حاجبين جميلين " أنا شعري تعدى منتصف ظهري "

أشاحت زهرة بوجهها بعيدا عنها وتكتفت قائلة لسيد بعد أن زفرت في حنق " قلت لك لا تعجبني يا سيد لا تعجبني "

فأطلق سيد ضحكة متسلية سعيدة ..

سعيدة جدا ..

Des. Maryam Tamim

بعد بعض الوقت .. عند بوابة بيت سماحة سحب أحمد آية من يدها يدخلها بعد أن وقفت أمام سيد وقد تعانقت نظراتهما .. ثم أشاح بيده لسيد يقول " هيا شكر الله سعيكم اذهب لحال سبيلك "

ضحك سيد بسعادة وقال بمشاكسة " لماذا يا أحمد هذه المعاملة أنا حبيبك؟ "

رد أحمد بقرف وهو يدفعه " أصبحت لا أطيقك هيا"

ضحك سيد واستمر في الوقوف أمامه متسليا فقال له أحمد من بين اسنانه بصوت خافت " انشغلت أنا في مرض بانة وتصرفت أنت بحرية "

رد سيد ببراءة " أنا !! "

دفعه أحمد يقول " أنا لست غبيا يا سيد وأنت تعرف ذلك .. اشم رائحة لا تعجبني في الأجواء .. فاذهب من أمامي الآن "

Des. Maryam Tamim

تشمم سيد قميصه ورد بابتسامة متسلية " لقد تحممت اليوم صدقني " .

دفعه أحمد بغيظ ودخل البيت فوقف سيد يتطلع لآية خلفه والتي تقف على السلم تراقبهما بقلق .. وحين هم أحمد بغلق البوابة عاد وفتحها يقول وقد تذكر شيئا " ألم يكن هناك هدية للعروس بالإضافة للمحبسين ؟!!.. أم أنك لم تشتري لأختي هدية من الذهب ؟؟؟؟ "

تفاجأ سيد واتسعت عيناه يقول وهو يبحث في جيوبه " صحيح ذكرتني نسيت أن أقدمها لها "

تكلم أحمد ساخرا " ما شاء الله نسيت أن تقدم لها هديتك !.."

Des. Maryam Tamim

أطلقت آية ضحكتها العالية فتوقف سيد عن البحث في جيوبه يتطلع إليها بابتسامة واسعة ورد "صدقيني نسيت يويا "

صاح أحمد " تحدث معي أنا .. هل توفر في مصاريف الزواج يا سيد ؟!!"

قهقه سيد وقال " أبدا أقسم بالله "

واتجه نحو السيارة يسأل رحمة فصاح أحمد "أعترِف أنك بخيل يا سيد .. ولم تشتري أي شيء يا نذل "

شهقت رحمة وصاحت بجزع " أضعت الخاتم يا سيد ؟!!"

تمتم يقول وهو يبحث في جيوبه من جديد " لا أعرف كان بالسترة ".

Des. Maryam Tamim

فتحت زهرة حقيبتها الصغيرة اللامعة وأخرجت منها علبة مخملية تعطيها له بفم ملوي وهي تقول "أتقصد هذه؟"

حدق سيد فيها بذهول وهو يأخذها منها بينما قالت رحمة مصعوقة "أين وجدتيها؟؟؟"

ردت بامتعاض" في أرضية السيارة "

تمتمت رحمة بالحمد لله بينما تقدم سيد يفتح العلبة ويقول لآية " اعطيني يدك يويا "

هتف أحمد باستنكار "هنا !! على بوابة البيت !! وفي هذه الساعة !!"

رد سيد ببرود " ماذا أفعل إذن .. هيا لنعود للمركب إذا أردت ".

خطف أحمد العلبة منه بخشونة وقال" حسنا .. شكرا.. وصلت هديتك هيا عد إلى بيتك" .

Des. Maryam Tamim

قال سيد معترضا وابتسامة باردة متسلية لا تغادر وجهه" لن أسمح لها بأن تتحرك دون أن تلبسها من فضلك"

رد أحمد بغيظ وهو يفتح العلبة " حسنا سأريحك "

أمسك بالخاتم الموجود بالعلبة وسحب يد آية ليلبسها إياه بنفسه وقال " ها قد لبست الخاتم استرح وعد لبيت"

تطلعت آية للخاتم بذهول وتفجرت القلوب الحمراء من عينيها .. كان مصمما على شكل شمس صغيرة يتوسطها حجر من الألماس شديد اللمعان تحيط به بعض الأحجار الصغيرة الصفراء فرفعت وجهها لسيد بعينين منبهرتين متأثرتين فاتسعت ابتسامته ..

Des. Maryam Tamim

دفعه أحمد .. فألقى سيد إليها قبلة في الهواء ..ليمد أحمد يده وكأنه التقطها قاطعا طريقها إلى آية.. ويلقيها في الأرض يسحقها بقدمه ثم يصفع الباب في وجه سيد بقوة .. واستدار إليها صائحا " لم أنت واقفة .. هيا إلى أعلى فورا .."

بينما صوت ضحكة سيد مجلجلة في الشارع .. ثم قال من خلف البوابة " حبيبي يا كونت أقسم بالله "

وعادت ضحكته تعلو من جديد .. ضحكة يعرف أحمد جيدا أنه لم يسمعها منه بهذه السعادة أبدا من قبل .

فتمتم من بين أسنانه " بدأنا في القرف ! "

***

Des. Maryam Tamim

فتح وائل الباب في الواحدة بعد منتصف الليل لأمير الذي دخل معتذرا يقول " أنا أسف لم أستطع أن أغادرهم بسرعة "

رد وائل يربت على كتفه " بل أنا من يعتذر أن أصريت عليك أن تحضر في هذه الساعة وفي تلك الظروف "

تطلع أمير لوجه أخيه وقد استشعر توتره فقال " ما هو الموضوع العاجل يا وائل طمئني؟ "

قال وائل مشفقا " لا تقلق أنا فقط أحاول جاهدا للسيطرة على نفسي خاصة بعد أن اكتشفت أني كما تعلم محترف في صناعة الوهم واللجوء للحلول السهلة "

تألم أمير وقال " لا أعتقد أن هذا وصف دقيق يا وائل لما حدث .. الأمر كان صعبا ولا أحد منا يدعي أنه قد يتصرف كالأبطال الخارقين في موقف كهذا "

Des. Maryam Tamim

تمتم وائل بمرارة " لكني تهربت من المواجهة حتى مع نفسي (وأضاف ينهي المناقشة التي لا يريد الخوض فيها مجددا) دعني أعطيك ما استدعيتك من أجله "

تركه وائل متجها نحو غرفته ثم عاد بعد قليل يعطيه علبة خشبية ففتحها أمير ولاح الاندهاش على وجهه وقال " أليس هذا مسدسك ؟!"

أومأ وائل بالإيجاب وقال " أجل أريدك أن تحتفظ به "

سأله أمير " لماذا ؟ "

تنهد وائل وقال " الحرص واجب وأنا لم أعد أثق في انفعالاتي "

حدق فيه أمير مرتعبا فأضاف وائل " احتفظ به في شقتك أو عند أمي .. أنا لم أضعه عندها بنفسي لأني لا أريد ان أقلقها .. كما أني لا أريد أن أعرف مكانه "

Des. Maryam Tamim

تطلع إليه أمير بقلق .. فعدل له وائل ياقة قميصه وأغلق له زرا ثم قال بصوت متأثر " أعلم أني قصرت في رعايتي لك أيضا "

رد أمير بصوت يخنقه البكاء " لم يحدث يا وائل لم يحدث .. أنت دوما ترعاني وتدعمني ..ولم ترفض لي طلبا .. أنت من علمني كل شيء .. فأنت أبي الثاني "

قطب وائل جبينه وهتف بخفوت "يخيل لي أني سمعت هذا الكلام منك من قبل "

رد أمير " قلته لك وأنت في الغيبوبة يوم زفافي"

ربت وائل على رقبته وسأله مبتسماً " كيف حال زوجتك وجنينها ؟ "

ابتسم أمير ورد "بخير الحمد لله "

فقال وائل " هيا اذهب واحتفظ بهذا الشيء بعيدا عني .. ثم عد لزوجتك وحماتك ولا تتركهما "

Des. Maryam Tamim

بعد دقائق كان وائل يغلق الباب وراء أمير مودعا .. ليجد ماجدة خلفه تقف متسمرة .. ترتدي منامة قطنية مريحة وتطالعه بقلق فسألها والغيرة تحرق قلبه " هل انتهيت من الحديث مع صديقتك ؟ "

أومأت له في صمت فحرك رأسه متفهما لتسأله " لم أبعدت المسدس ؟"

رد ساخرا " هل بدأت تخافين مني ؟"

ردت بسرعة" لا أقصد.. ولكني أريد أن أفهم السبب "

فضّل ألا يخيفها فأكتفى بالقول " لا يوجد سبب غير أني بت لا أثق في انفعالاتي "

أطرقت برأسها في حزن وصوته البائس يؤلم قلبها فسألها " لم لم تنامي بعد ؟"

ردت بخفوت " اشتقت لكوب من الشيكولاتة "

Des. Maryam Tamim

تسارعت دقات قلبه بطريقة لم يشعر بها من قبل حتى وهو مراهق صغير وتكلم هامسا بلهجة ذات معنى " وأنا أيضا أشتاق جدا للشيكولاتة الساخنة"

حضنت نفسها بخجل وتحركت ناحية المطبخ .. فلحق بها ووقف يتطلع إليها في صمت لبعض الوقت ثم اختفى .. فاعتقدت أنه قد ذهب لينام ولم تعرف .. هل تسكب له كوبا من الشيكولاتة أم أنه كان يقصد شيئا آخر ..

شيئا آخر !! .. (ضربت نفسها على رأسها) ما الذي تفكر به ..!!

تكلم من خلفها " هل تحدثين نفسك؟ "

أطلقت صرخة قصيرة خافتة وهي تستدير لتجده خلفها مباشرة فتطلعت للباب وله وردت" أرعبتني يا وائل "

غمغم يقلد صوتها " أرعبتني يا وائل "

Des. Maryam Tamim

عيناه الزرقاوان اللتان تحدقان فيها بتلك النظرة التي تربكها جعلتها توليه ظهرها لتصب شراب الشيكولاتة الساخنة في الأكواب بارتباك .. رافعة كفها تتحسس مؤخرة رقبتها دون أن تشعر فتأمل رقبتها الخمرية اللامعة .. ومنابت شعرها المرفوع .. وود لو تسمح له بتقبيل رقبتها ..

لكنه تنحنح مبتعدا قليلا يسيطر على أعصابه ثم قال بهدوء " لم تخبريني عن رأيك فيما قلته لك منذ أسبوعين ؟ "

صمتت ولم تعرف بما ترد ؟.. الأمر غريب ومربك.. أحيانا تصدق أنه حقيقي .. وأحيانا أخرى تشعر أنها تخرف .. ألح عليها يناديها "جوجو ! "

استدارت إليه تعطيه مشروبه فتسللت رائحة الشيكولاتة الساخنة لتدغدغ مشاعره مثلها فردت بارتباك " لا أدري ماذا أقول .. وكيف من المفروض أشعر .. الأمر مربك جدا .. أنت تطلب مني أن

Des. Maryam Tamim

أمحو خمسة عشر عاما من مشاعري وآلامي وجراحي في أسبوعين !!"

تكلم وائل بسرعة " هذا هو بيت القصيد .. مشاعرك .. حدثيني عنها "

أطرقت برأسها وازدادت ضربات قلبها بعنف فأكمل وائل باستجداء " هل مازلت تحملين لي أي مشاعر يا ماجدة ؟"

لاحظ نفسه يرتجف فقبض كفيه بجانبه بقوة يترقب إجابتها بينما أخذت كرامتها توبخها (هل أنت مراهقة صغيرة سيمحو كل عذابك في الماضي بكلمة منه !! .. يشير بإصبعه فتركعين!!) ..

تكلمت مراوغة " لا أعرف .. أنا مازلت لا أصدق ما قلته وأشعر بالغرابة .. كما أني .."

Des. Maryam Tamim

صمتت قليلا فقال يحثها على المواصلة " كما أنك ماذا ؟ .. تكلمي يا ماجدة أرجوك .. قولي أي شيء أريد أن أسمعك "

رفعت أنظارها تتطلع إليه ثم أشاحت بها بعيدا تهرب من أسر عيناه وردت بخفوت " أشك في أن المشاعر التي تدعي أنها موجودة بداخلك .. أنها .. حقيقية "

مزق الألم صدره .. فاقترب منها أكثر يسألها "ماذا تقصدين ؟"

ردت تتحاشى النظر إليه " ما دمت قد عشت كل هذه السنين بعقدة الذنب .. فلم لا يكون ما تقوله لي الآن فجأة بعد كل هذه السنوات نابع من عقدة الذنب أيضا بأنك تريد أن تعوضني لا أكثر "

نكس رأسه ينظر في الأرض والألم يعتصر قلبه فغمغم بحزن مزق قلبها " لديك كل الحق فيما

Des. Maryam Tamim

تقولين .. ولا ألومك على ما تظنيه .. عموما أعدك أني لن أتحدث في هذا الأمر مجددا .."

صمت قليلا منكسا رأسه أمامها .. فاختلست النظر إليه تتأمله قليلا ثم أغمضت عيناها بعذاب تقاوم تلك المشاعر الغبية التي تعتريها وتحرضها على القبول بما يقدمه لها حتى لو كان شفقة وعقدة ذنب لا أكثر .. لترحمه من عذاب عقدة الذنب .

تكلم بصوت متألم " إذن كيف تريدين أن تكون علاقتنا ؟ .. بالنسبة للبنات أعدك أني سأحمل عنك الكثير وسأقوم بدوري كأب معهم وأحاول أن أعوضهم على ما قصرت فيه .. (ورفع رأسه ينظر إليها) كيف تريدين أن تكون شكل العلاقة بيننا ؟.. حددي معالمها وأنا سأقبل بما تقولينه "

Des. Maryam Tamim

صمتت قليلا تفكر ثم قالت لترفع عنه عذاب عقدة الذنب " ما رأيك أن نجرب ان نكون أصدقاء .. نحن نحتاج لأن نستعيد الثقة في بعضنا البعض "

تطلع إليها متفاجئا وغمغم " أصدقاء ! "

ساد الصمت قليلا ثم تنهد وأكمل " هل هذا سيريحك ؟"

أومأت برأسها بينما قلبها ينعتها بالكاذبة ..فتنهد وائل ورد " حسنا كما تحبين (وتصنع المرح يقول) إذن هل ستقبل مني صديقتي هدية ؟ "

تمتمت بتلعثم " أي هدية ؟"

أخرج يده من جيبه ومدها أمامه ليتدلى منها سلسالا ذهبيا وقال " هذه هديتي لصديقتي فهل ستقبلها مني ؟"

اشتعلت وجنتيها وغمرتها السعادة رغما عنها غير عابئة بالحماقة التي تصفها بها كرامتها .. فمدت

Des. Maryam Tamim

إليه كفها تحدق في دلاية السلسال بفاه متدلي بشكل يثير الشفقة .. فسألها " هل أعجبك؟"

كانت دلاية السلسال عبارة عن اسم .. اسمها (ماجدة) مرسوما على شكل نصف قلب ..

اقترب منها .. فتحركت للخلف بحركة عفوية ليقول بسرعة مستدركا " آسف نسيت "

وأبتعد قليلا يفتح إحدى الأدراج ..وأخرج بكرة شريط القياس المعدنية وفتحها أمامها فسألت بذهول" كم شريطا للقياس تملك بالضبط ؟؟ "

اتسعت ابتسامته الوسيمة فأذابت أعصابها ورد " أحضرت أربعة ووزعتهم في كل مكان "

دارت ابتسامتها .. ففرد الشريط أمامها ثم سألها "كم المسافة قلنا .. نصف متر ؟ "

Des. Maryam Tamim

رفعت حاجباها .. فحسب المسافة ووقف عند آخرها ثم انحني نحوها يمد ذراعيه ويحيط السلسال برقبتها لتلملم ابتسامتها وتقول بغير تصديق " ماذا تفعل وائل؟؟!! "

تطلع لوجهها من تلك المسافة القريبة متأملا عينيها البنيتين اللتين تضحكان أمامه ثم نزل لشفتيها .. فقالت ماجدة بارتباك وقد بدأت تتعرق " وائل اعتدل ولا تفعل ذلك "

اعتدل وأقترب منها .. فودت لو تخبره أنها ستلبسها بنفسها لكنها استسلمت لدفء جسده القريب منها ولرائحته التي تخدرها وتحثها على الاستسلام .. لتقبض كفيها بجوارها بقوة تتماسك في الوقت الذي كانت أنفاسه الساخنة تلفح أذنها متمنية لو يتجمد الوقت قليلا في هذا الوضع ..

أما وائل فكان يقاوم رغبة شديدة لعناقها .. لكنه أجبر ذراعيه على الانسحاب بعد أن أغلق السلسال

.. متحاشيا أن يلمسها .. وهمس بالقرب منها يقول "هل أعجبك؟ "

ألجمتها المشاعر التي تعصف بها في قربه فأومأت برأسها وهي تحدق في الأرض .. لتبدو أمامه وكأن الزمن عاد للوراء خمسة عشر عاما ليراها ماجدة الخجول الرقيقة في ليلة عرسها .

استجمعت شجاعتها بصعوبة تخشى أن تفقد السيطرة على نفسها فترتمي بين ذراعيه وقالت بصوت هارب منها " وعدتني ألا تقترب مني "

تحرك للخلف قليلا بحرج وهو يتمتم" آسف"

سألته وهي تمسك بالدلاية وتتحاشى النظر إليه " لم إسمي على شكل نصف قلب ؟"

Des. Maryam Tamim

رد عليها بهدوء " النصف الآخر معي .. حين تكونين على استعداد لتركيبه ليصبح قلباً كاملا أطلبيه وسأمنحك إياه .. (تراجع للخلف أكثر) تصبحين على خير يا .. صديقتي العزيزة "

واستدار ينسحب نحو غرفته .. يتملكه الحزن ويجلده الشوق إليها لكنه كان معترفا أنه يستحق أكثر من ذلك ...وعليه أن يتوقع عذابا أكثر من ذلك .. بينما وقفت ماجدة تحضن دلاية السلسال في كفها وتحاول أن تتعامل مع كم التغيرات التي حدثت في حياتها فجأة كطوفان يحرك ماء ظل راكدا لسنوات طويلة

***

الثالثة بعد منتصف الليل :

صعدت بانة إلى شقة عائلة سماحة بخفة وهي أكيدة أنها رأته موجودا في المطبخ منذ أيام .. حاولت الانتظار حتى الصباح لكنها لم تقدر .. تفكر

Des. Maryam Tamim

فيه بشكل يصيبها بالضيق وتريده فورا .. بشكل غريب ..

فتحت الباب بمفتاحها بهدوء وهي تشعر بالحرج أن تدخل في هذا الوقت المتأخر .. وخلعت اسدالها ليظهر تحتها منامتها القطنية المزينة بصور البقرات الصغيرة ..

تسللت للمطبخ حتى لا تحدث جلبة وبحثت في الخزائن وعلى الرفوف حتى وجدته .

امسكت ببرطمان الزيتون بانتصار وفتحت غطاؤه فتسللت إليها رائحة الزيتون لتشعر بسعادة غريبة .. ثم أحضرت طبقا وقامت بإخراج بعض الحبات ونظرت إليهم بعينين تتفجر منهما القلوب الحمراء ..

بدأت في أكل حبات الزيتون بنهم ثم شعرت أن بضع حبات لن يشبعوها فجلست على أرض المطبخ ووضعت أمامها البرطمان والطبق وبدأت

Des. Maryam Tamim

في أكل الزيتون بسعادة .. وهي تتساءل عما يحدث معها ؟ ولما تفعل كل هذه الأفعال الغريبة مؤخرا ؟؟!!.. لقد اصبحت عاطفية .. كثيرة البكاء .. هل هذا بسبب تأخر الظروف الشهرية أم لسبب آخر؟

..

هل من الممكن أن تكون حامل ؟!!.

ازدادت ضربات قلبها لتلك الخاطرة وقررت أن تتأكد من تلك المعلومة أولا قبل أن تخبر بها أحد.

فتح أحمد باب شقة العائلة بهدوء وتعجب أن وجد إسدال بانة ملقى على منضدة السفرة .. فدخل يبحث عنها قلقا منذ أن استيقظ ولم يجدها بجانبه .. فتوجه فورا نحو المطبخ المشعل

Des. Maryam Tamim

الضوء .. لتجحظ عيناه وهو يراها تفترش الأرض وأمامها برطمان الزيتون وطبق صغير مملوءا به .

قال هامسا باندهاش " بانة ! .. ماذا تفعلين ؟!!"

هتفت بتأثر " وجدت الزيتون يا أحمد وجدته "

رد باستخفاف " حقا !! .. لا أصدق نفسي .. حمداً لله ! "

قوست شفتيها لأسفل كالأطفال وقالت ببؤس " أتسخر مني يا أحمد ؟!.. قلت لك أريد زيتونا وأنت لم تهتم "

ضحك وتقدم نحوها ليفترش الأرض بجانبها وهو يقول " يا مختلة أنت طلبتيه من بضع ساعات في الحفل وكانت معدتك ليست على ما يرام وحين وصلنا البيت دخلت لأستحم وحين خرجت

Des. Maryam Tamim

وجدتك أنت وبقراتك مستغرقات في النوم .. متى إذن سأحضر لك الزيتون ؟!! "

نظرت إليه ببؤس فمد يده يبعد شعرها الكستنائي المسدل بحرية على كتفيها خلف أذنها وتمتم بلهجة حانية "ما بك يا قلب أحمد؟ "

ترقرقت الدموع في عينيها وردت " أشعر أني .. أني .. أحبك جدا وأحب الزيتون"

اختفت ابتسامة أحمد لينظر للزيتون قليلا ثم رفع حاجبا يقول باستنكار " أنا والزيتون .. معا !!! "

ردت موضحة وهي تلتهم الزيتون "لا لا بالطبع فأنا أحبك من قبل حبي للزيتون"

وضع يده على قلبه متنهدا في راحة ورد متهكما "حمدا لله .. أوقعت قلبي !"

Des. Maryam Tamim

ضيقت عينيها وقالت غاضبة" أنت تسخر مني مجدداً"

رد بحنق " ماذا تتوقعين مني إذن حين تضعيني أنا والزيتون في جملة واحدة !!"

نظرت إليه ثم ترقرقت المزيد من الدموع في عينيها وقالت بتأثر" بل أنا أحبك جدا جدا جدا"

وانهمرت دموعها فهتف أحمد بجزع " ما بك يا بانة لم البكاء !!"

مالت عليه تحيط عنقه بذراعيها وتضمه بقوة وهي تغمغم " أنا فقط أريدك أن تعلم كم أحبك .. أنا أعشقك بجنون يا قلب بانة .. وأدعو الله دوما أن يحفظك سالما من كل سوء " .

Des. Maryam Tamim

شدد أحمد من احتضانها متأثرا وهمس وهو يمسح على شعرها بيده " أشششش .. لا أعرف ماذا يحدث معك لكن لا تبكي يا قلبي "

هدأت بانة قليلا .. فأرجع أحمد رأسه للخلف لينظر إليها وقال " بونبونتي ليس البكاء هو الطريقة الصحيحة للتعبير عن حبك لي (ومسح دموعها بإبهامه فتطلعت إليه بترقب فأكمل) كلما زاد حبك لي لابد أن تزيد في المقابل مشاعر قلة الحياء تجاهي "

احمر وجهها وضربت في صدره تتحكم في ابتسامتها .. ثم ابتعدت عنه تغمغم في همس "أكثر من ذلك !! "

رد ببراءة " نحن لم نفعل شيئا بعد يا بانة !!"

Des. Maryam Tamim

دارت ابتسامتها وغمغمت بوجه متورد " أنت لا تشبع أبدا "

رد يتأملها " أنت خلقت لأن تُعشقي وألا يُشبع منك يا بانة .. فهل يشبع الرجل من امرأة يعشقها بجنون ! "

تورد وجهها أكثر ومدت يدها تمسك بيده السمراء وقبلتها بعشق ثم مسحت دموعها تقول " ألا تريد أن تأكل زيتون ؟"

نظر للبرطمان وقال " ألا يكفي ما أكلتيه ؟!.. عموما هات بعض الحبات فأشعر أنا أيضا أني أشتاق للزيتون "

ناولته الزيتون وهي تسأله مندهشة " أتشتاق إليه مثلي ؟! "

Des. Maryam Tamim

رد معترفا " أجل حين ذكرتيه اشتقت له .. وحين شعرت بالغثيان شعرت أن معدتي تؤلمني يبدو أنني أتأثر بما تشعرين "

اتسعت ابتسامتها الحلوة أمامها وناولته مزيدا من الزيتون .. ثم انكبت تأكل المزيد منه غير قادرة على التوقف .. وهي تسأل نفسها متى بدأت أن تحب الزيتون أصلا ؟!! .

تأملها أحمد قليلا .. بكل تفاصيلها ثم قال "أتعلمين أنك كبرت "

رفعت إليه عينين مصدومتين وقالت بذعر " هل أصبحت عجوزا ؟"

أسرع في الرد ضاحكا " لا .. لم أقصد هذا المعنى .. قصدت أنك نضجت .. أتذكرك وأنت رامز .. واتذكرك حين أصبحت بانة .. وأتذكرك حين وجدتك عند آل غنيم .. وأتذكرك بثوب الزفاف .. وأراك الآن أمامي بكل تفاصيلك التي حفظتها كاسمي

Des. Maryam Tamim

.. فأراك وقد أصبحت امرأة ناضجة .. لم تعودي الفتاة المتخفية في شكل ذكر ولا بانة الفتاة اللاجئة .. أصبحت امرأة ناضجة .. كل ملامحك .. وتفاصيلك .. منحنياتك أصبحت تضج أنوثة أكثر وأكثر .. "

ارتجف قلبها من كلامه الذي دغدغ أعصابها وانعقد لسانها فأكمل أحمد " هل أخبرك بشيء غريب ؟"

أومأت برأسها موافقة فقال " أشعر منذ أسابيع أن رائحتك مختلفة "

انزعجت بانة وبدأت تتشمم نفسها باستنكار فضحك وقال" لم أقل أن رائحتك سيئة يا غبية (فنظرت إليه بغباء ليكمل) أنا قلت رائحتك مختلفة .. لا أعرف كيف أصفها .. تبدو مركزة أكثر واضحة أكثر لا أعرف .. (وأكمل بلهجة ذات مغزى) المهم أنها تجذبني إليك أكثر.. و تثير جنوني بك أكثر وأكثر "

Des. Maryam Tamim

اشتعلت وجنتاها واشاحت بنظرها بعيدا عن عينيه اللتان بدأتا تنذران بخطر لذيذ قادم .. فمال أحمد نحوها يقول بهمس " ما رأيك أن ننزل إلى شقتنا وتخبريني بالتفصيل كيف تحبيني وتعشقيني بجنون ؟! "

حاولت دفعه من صدره تقول باستنكار "ابتعد يا أحمد رائحتي زيتون "

رد هامسا وهو لا يزال يميل نحوها " قلت لك أصبحت أعشق الزيتون وأشتاق له "

ضحكت وحاولت دفعه برفق ..

" ماذا يحدث هنا !! "

قالها الحاج سماحة وهو يطل عليهما من باب المطبخ يضع يديه في جيب بنطاله وقد بدا شديد الشبه بابنه بنفس الوقفة المستنكرة ونفس العبارة

Des. Maryam Tamim

.. بينما إلهام تقف بجانبه قصيرة القامة نحيفة تغطي فمها بكفها تكتم ضحكها في حرج .

احمر وجه بانة .. بينما اعتدل أحمد يتنحنح وقال " كنا نأكل زيتون "

رد الحاج سماحة باستنكار " نعم !! .. هنا .. في بيتي .. في هذه الساعة !! "

قال أحمد " إياك أن تسيء بي الظن يا إبراهيم .. كنا فقط نتناقش حول مشاعرنا تجاه الزيتون .. ألا ترى لقد أتت بالفعل على نصف البرطمان "

تكلمت بانة بتأثر تربت على كتف أحمد مدافعة " لا توبخه يا أبي أنا السبب .. كنت أشتاق للزيتون فصعدت في هذه الساعة أنا آسفة .. لكن أحمد لم يفعل شيئا "

[4473]

ردد وراءها أحمد " أرأيت لم أفعل شيئا "

نظر الحاج إبراهيم لطبق الزيتون أمامها بعدم فهم فتكلمت بانة " هذا الزيتون رائع يا أمي .. ألا يوجد سوى هذا البرطمان ؟ "

لمعت عينا إلهام وقالت " هل أعجبك الزيتون يا حبيبتي ؟"

ردت بانة بتأثر " جدا جدا يا أمي "

ابتسمت إلهام وردت بفرح " خير بإذن الله .. خير .. الله كريم .. عموما لا تكثري من المالح يا حبيبتي هذا غير صحي" .

أومأت بانة برأسها في طاعة فشدت إلهام الحاج تقول غامزة " هيا يا حاج نتركهما "

رد باستنكار " نتركهما !! ..(واستدار لأحمد) انزل وكُل زيتونك في شقتك "

ضحكت إلهام وقالت " أتركهما وتعال لأفهمك "

Des. Maryam Tamim

وشدته ليتركاهما وسط اعتراض الحاج الذي نظر لأحمد بامتعاض .. فلّعب له أحمد حاجبيه قبل أن تسحبه إلهام ليعودا للغرفة ..

ضحك أحمد متسليا ثم نظر لبانة وقال وهو يسحب البرطمان بحزم " هذا يكفي !"

صاحت باعتراض " الزيتون يا أحمد "

لكنه رفع البرطمان فوق الخزانة فلم تستطع الوصول إليه.. فوقفت أمامه متخصرة تدب بقدمها كالأطفال .. ليقرصها من خديها قائلا بغيظ "ستموتين بجرعة زائدة من الزيتون يا مجنونة .. هيا إلى النوم عندي مواعيد مهمة غدا ..أقصد اليوم (وسحبها من يدها) فلنصلي الفجر سويا وننام .. "

Des. Maryam Tamim

تسمرت معترضة فقال متوعدا " امشي معي وإلا سأحملك فوق كتفي "

ترك يدها فجأة عند باب المطبخ وقال " ثانية واحدة وسأعود "

وتحرك نحو آخر غرفة في الممر ليسترق السمع من خلف الباب .. فأتاه صوت آية تتحدث في الهاتف ليطرق على الباب صائحا بتوبيخ " نامي .. كفى حديثا في الهاتف ونامي .. من الآن فصاعدا مواعيد النوم في هذا البيت من الساعة التاسعة مساء "

خرج إليه الحاج سماحة واقفا على باب غرفته يديه في جيب بنطاله يحدجه شذرا في صمت .. فتنحنح أحمد .. وعاد لبانة يشدها من يدها .. وعيناها متعلقتان ببرطمان الزيتون الشهي جدا الذي منعها أحمد الفظ الغليظ من أن تجهز عليه كله !.

***

Des. Maryam Tamim

في غرفة آية وضعت يدها تهدئ من ضربات قلبها بعد أن أرعبها أحمد بضربه على الباب وصياحه المفاجئ.. بينما صوت ضحكة سيد العالية على الناحية الأخرى من الهاتف .

قالت هامسة " ظننت للحظة أنه سيدخل ليوبخني ويسألني مع من أتكلم ..فأبدو أمامه سيئة السلوك"

هدأت ضحكته وقال بلهجة عاشقة " انتهت تلك الأيام يا روح سيد .. وإن كنت لا أصدق بعد لكني أخبرك بذلك ربما تصدقين أنت "

وعاد ليقهقه بسعادة .. فقالت آية " لم أسمع ضحكتك هذه من قبل "

رد بجدية بعد أن هدأت ضحكته " لأني لم أكن سعيدا بهذا الشكل من قبل "

Des. Maryam Tamim

قالت آية بلهجة عاشقة " أعدك أن أبذل كل جهدي لأن تظل سعيدا دائما "

استلقى سيد على الأريكة التي ينام عليها وحدق في سقف الغرفة المظلمة قائلا " ما دمت ستكونين معي فإنها السعادة بالنسبة لي "

ارتعش قلبها من فرط السعادة وتطلعت للخاتم والمحبس لتتأكد للمرة الألف أنها لا تهلوس وقالت " شكرا على الخاتم أعجبني جدا .. لا أستطيع وصف مدى روعته "

قال سيد هامسا " لا أروع منك يا حياتي "

ارتجفت وهي تشعر أن صوته الرجولي الرخيم يتسلل عبر جزيئاتها ويحتلها احتلالا .. بينما أكمل سيد " أتدرين ؟.. حين دخلتِ القاعة بذلك الرداء المبهر .. والحذاء ذا الكعب الرفيع .. توقفت عن التنفس تقريبا .. كنت مبهرة يويا "

Des. Maryam Tamim

حدقت في خاتمها معقودة اللسان فأكمل " وحين بدأت تتمايلين أمامي وترقصين وتتناغم حركاتنا وكأننا نتخاطر كاد قلبي أن يتوقف .. أحيانا كنت أنفصل عما حولي لدقائق لا أفعل سوى متابعة تفاصيلك كلها من رأسك حتى أخمص قدميك وأنا غير مصدق أن أصبح مسموحا لعيناي أن تدقق وتقبّل تفاصيلك كلها يويا .. (وازدادت لهجته حرارة أذابت أعصابها) صدقيني هذا وحده أمر شديد الروعة كنت يائساً من أن يأتي يوماً تكونين فيه ملكي أنا .. حلالي .. حلالي يويا .. وأن يكون لعيناي حقا في أن تلامسك وتقبّل تفاصيلك "

همست آية " وأنت أيضا .. كانت وسامتك تحبس الأنفاس .. قامتك وكتفيك العريضين وذلك القميص وربطة العنق يا إلهي لا أدري كيف أصف مشاعري وقتها .. والأغنية الأولى كانت رائعة ..

Des. Maryam Tamim

شعرت أني أطير في الهواء .. أحلق وأنت معي ولسنا نرقص أمام بعضنا "

قال سيد بلهجة عابثة " أردت أن أغني لك أغنية تتناسب مع شعوري وأنت ترقصين وتتدللين أمامي بابتساماتك وعينيك المغويتين .. لكني تحرجت أن أفعلها أمام الجميع .. وخشيت أن تفلت أعصابي وأفتعل فضيحة "

ضحكت بدلال وسألته " أي أغنية ؟"

قال مغازلا " كنت أود أن أغني أغنية حكيم (إية الي بيحصل دة) وتخيلتك ترقصين عليها .. حينها كنت سأفقد عقلي وأعصابي وكل شيء "

أطلقت آية ضحكة مائعة تحكمت في خفوتها بينما غني سيد لها عبر الهاتف بأعصاب ازدادت اشتعالات مقطعا من الأغنية "



يا عيني لما يميل برقة ويتدلع ..

النار في قلبي تفضل تشعلل وتولع ..

دنا بعت دة .. وخاصمت دة

عشان عيونو الحلو دة ..

إيه الحلاوة دي .. إيه الطعامة دي "

اعتدلت آية على السرير فجأة وكأنها تذكرت شيئا وقالت " سيد "

رد " عيون سيد وروح سيد "

قالت آية بسرعة " لدي أمنية أخرى أريد أن أحققها "

قال بلهجة ماكرة " لن أحقق أمنيات أخرى إلا إذا علمت أولا كيف كان انطباعك عن تنفيذ الأمنية الأولى "

[4481]

عضت على شفتها السفلى ولم تجد ما تعبر به عما شعرت .. ماذا تخبره ؟ .. وكيف ؟ بما شعرت به .. لم تجد كلمات مناسبة .. فانفجرت فجأة في الضحك ..

قال سيد مستنكرا " لم أفهم .. هل هذا انطباعك؟!!"

حاولت التماسك .. واستحضرت مشاعرها وطعم القبلة الذي مازال عالقا بفمها .. فانفجرت مجددا في مزيد من الضحك وسقطت تتلوى على السرير بينما شعرها يتناثر حولها ..

اتسعت ابتسامته وهو يسمع ضحكها الذي يدغدغ أعصابه لكنه تصنع الجدية يقول " يا بنت .. أسألك كيف وجدت قبلة هولاكو .. كيف كانت ؟"

حاولت آية التماسك وإيجاد تعبير مناسب ثم تمتمت " عيب "

Des. Maryam Tamim

ساد الصمت لثوان ثم انفجر كلاهما في الضحك ..
ثم قال سيد من بين ضحكاته " تصفين سؤالي بالعيب .. وكيف كان طلبك إذن (وقلد صوتها) قبلني يا سيد "

تشاركا في الضحك لبضع دقائق .. ثم هدأ رويدا رويدا حتى ساد الصمت فقالت آية هامسة " لا أعرف كيف تعبر أنثى حين يقبلها سيد الرجال .. (صمتت قليلا وجاءها صوت أنفاسه العالية عبر الهاتف فقالت) خاصة حين تشعر هذه الأنثى أنها لا تليق بأن تملأ عينه "

رد بلهجة معذبة " يا بنت .. اخرسي .. ما دمت لا تعرفين شيئا فاخرسي .. يوما ما إذا ما استمر هذا الحلم وضمنا بيتا واحدا ستعلمين كل شيء .. وستعلمين بالضبط ماذا فعلتِ وتفعلين بسيد "

Des. Maryam Tamim

ساد صمت مشحون بالعواطف بينهما فقطعه سيد يقول " إذن ما هي الأمنية التالية لزوجتي؟ "

تراقصت ضربات قلبها لكلمة زوجتي وترددت قليلا ثم أجابت " غيرت رأيي "

سألها باندهاش " لمَاذا؟ .. (وأكمل بلهجة شقية) أهي عيب ؟.. لا بأس أتيني بالعيب فأنا أعشقه "

وقهقه متسليا فقالت " لا أعلم فلنؤجلها "

حين فرغ من الضحك همس بحرارة " يويا .. إذن هلا حققت لي أنا الآخر أمنية ؟"

ردت بلهفة " بالطبع .. أشر بإصبعك ولك ما تريد"

قال " لا أستطيع الانتظار للصباح لأزورك وأراك دون حجابا .. فهلا أرسلت لي صورتك ؟"

Des. Maryam Tamim

صمتت آية قليلا ثم قالت " هذه كانت أمنيتي التي أجلتها "

سألها متفاجئاً " صدقاً ؟"

قالت " أجل "

فابتسم وقال " إذن هي أمنية مشتركة لكن لمَاذا أجلتها؟! "

ابتعلت ريقها وقالت " كنت أتمنى طيلة عمري أن أرسل لك صوري كلما أتصور صورة .. لكني الآن لست متأكدة أن كنت سأعجبك أم لا ؟"

تفاجأ مما قالت وقال " آية .. لمَاذا هذا الشعور ؟!!"

تكلمت بلهجة متأثرة " أمامك أنت فقط يا سيد أفقد كل ثقتي بنفسي وكل غروري واشعر أنك عظيما وأني لا أليق بك .. فأنت سيد الرجال .. وفي

Des. Maryam Tamim

الوقت نفسه تحرق الغيرة قلبي .. تمزقني إربا إذا ما تخيلت أنك مع امرأة أخرى "

قال سيد بلهجة معذبة " يا بنت .. والله أنت لا تعلمين من لا يليق بمن .. لا تعلمين من لا يليق بمن يا آية.. ومن كانت لمن أمنية بعيدة جدا .. محرما حتى النظر إليها .. ومن كنتُ ألملم صوتها ورائحتها في المكان وأنا غير قادر على أن أملأ عيني بالتطلع فيها كما أحب .. ومن تسيطر على تفكيري .. أأخبرك سراً لا يعلمه سوى أنا وطليقتي .. أتدرين كيف عرفت هي بما في قلبي تجاهك ؟ .. كنت أهذي باسمك وأنا نائم يا آية .. أترين كم أنا تعذبت بك و عذبتها معي"

سرت القشعريرة في جسدها وغمغمت " لكني أخشى ألا أرضيك في هذا الجانب"

Des. Maryam Tamim

ابتسم لسذاجتها ورد " حين يحب الرجل .. لا يقيم أنثاه بالمعايير الذكورية العادية وإنما تتدخل مشاعره تجاهها لتجعله يراها أجمل نساء الأرض رغم أن عقله يدرك أن هناك من هن أجمل منها بكثير لكنه يراها بمعايير يختصها بها وحدها دون باقي نساء .. (وتغيرت لهجته ليقول مازحا) أريني صورة الآن يويا حتى تقل صدمتي قبل أن أراك في الحقيقة .. فأطلعيني على الصدمة بجرعات مخففة "

قهقهت وقالت "حسنا أنت من يتحمل المسئولية .. تذكر أني قلت لك نؤجلها .. انتظر ثوان "

برغم المزاح إلا أنها كانت مضطربة .. إنها تلك المشاعر والأحاسيس الأولى للأنثى المحجبة حين يراها زوجها لأول مرة .. شعور بالحماسة ممزوجا بالقلق والشك .. حتى وإن أخبرها الجميع أنها جميلة سيظل رأي زوجها هو الرأي الأول والأخير ..

Des. Maryam Tamim

وهو الغاية المنشودة التي تقف عندها كل الآراء الأخرى .

فتحت ضوء الغرفة ومشطت شعرها بأصابعها وصورت نفسها في وضع لم يخلو من الدلال كعادتها.. وأرسلتها على الواتساب بأيد مرتجفة .. وانتظرت رد فعله في ترقب .

فتح سيد الصورة بملامح متسلية لتتحول بعد ثوان للدهشة .. ثم أعتدل جالسا يحدق فيها متسمرا لثوان أخرى .. قبل أن يرفع رأسه يبحث حوله ليجد نظارته الطبية ملقاة بجانب حاجياته على الأرض .. فلبسها وتطلع أكثر للصورة يكبرها ويصغرها بأصابعه .. ثم بلع ريقه .

جاءه صوتها قلقا عبر سماعة الهاتف الملحقة تقول ساخرة " من الواضح أن الصدمة كانت أكبر مما توقعت "

[4488]

سألها بصوت مبحوح وهو مازال يحدق في الصورة "أين الشعر الأسود ذو اللفائف ؟"

مطت شفتيها وردت " أصبحت أصبغه منذ مدة .. أحببت هذا اللون أكثر .. لكن لو لم يكن يعجبك "

قاطعها سيد يقول بأنفاس متسارعة " يا وليك يا سيد .. يا ويلك يا هولاكو .. لقد ضعت .. ضعت وانتهى أمرك .. (حدق في صورتها مجددا ثم قال) هل هذه صورتك حقا يويا أم لعبت في الصورة بتلك التطبيقات التي تعدل في الصور "

توقفت أنفاسها وقالت " هل أعتبر هذا مدحا ؟"

حدق في الصورة مجدداً ثم قال " أجيبي يا بنت هل لعبت في الصورة ؟".

Des. Maryam Tamim

أغلقت الخط فجأة .. فنظر للهاتف بغباء وهم بالاتصال بها لكنها أتصلت مجددا ولكن اتصالا مرئيا .. فرفع حاجباً وقام بفتح ضوء الغرفة وفتح الخط يطالعها أمامه بعينين متسعتين وهي تقول بلهجة مائعة تلعب حاجباها " وهذا أيضا تطبيق يغير في الصورة أيضا ما رأيك فيه؟ "

حدق فيها .. شعرها البني المفرود وعيناها العسليتان .. وشفتاها الشهيتان اللتان مازال طعمهما في فمه حتى الآن .. كانت تمد ذراعها بالهاتف وتفاصيل جذعها أمامه واضحة ناضجة شهية .. فتسارعت أنفاسه وفقد النطق .. ليغلق الخط بسرعة .

نظرت آية للهاتف وصدمت .. وحركت مقلتيها يمينا ويسارا تحاول الفهم لتجده يتصل بها مجددا

Des. Maryam Tamim

لكن اتصالا صوتيا فردت تقول " هل كنت سيئة إلى هذا الحد ؟"

جاءها صوته متأثرا " بل أنت أحلى من أحلى صورة تخيلتك فيها .. متى صرت بهذا الجمال!!.. وكيف حرمت منه عيني كل هذه السنوات ! "

اتسعت ابتسامتها وقلبها يتراقص بفرح فأكمل " يا وليك يا سيد .. ستضيع هيبتك أمام بنت سماحة .. (وتغيرت لهجته محذرة) اسمعي يا بنت .. من الآن حتى يوم الزفاف لا توجد أمنيات ستتحقق .. يوجد انضباط .. يوجد استقامة "

سألته آية بغباء " لماذا ؟"

هتف باستنكار وقد فقد أعصابه تماما وهو يستعيد صورتها " ألا تعلمين لمَاذا؟؟ .. حتى لا أتسبب بفضيحة يا آية .. فبعد ما رأيته منذ قليل .. لا

Des. Maryam Tamim

أعرف كيف سأتحكم بأعصابي بعد الآن .. فأنت ... أنت ... "

صمت لا يعرف وهو يضرب على جبينه ليستفيق فسألته بتوسل " أنا ماذا يا سيد ؟"

رد بأنفاس لاهثة " أنت .. ستعرفين ما أنت حين تكونين في بيتي .. أعدك أن أطلعك على الصورة كاملة "

ودت لو تصرخ من السعادة فقالت " صدقا يا سيد؟ .. أتقول الصدق .. هل أعجبتك فعلا ؟"

قال هامسا " اخرسي يا آية ولا تصبين الزيت على النار بأسئلتك هذه .. أعتقد أني أهلوس بالفعل .. كل هذه الأحداث في يوم واحدا أمر لا يصدق .. لا يصدق "

Des. Maryam Tamim

قالت آية " صدقت .. إنها هلوسة حلوة .. رائعة .. مذهلة .. قبلتني .. وحضنتني .. ورأيت صورتي دون حجاب .. وأعجبتك "

قال سيد متأثرا يحاول استيعاب كل ما حدث " يويا .. أتدرين ؟ .. أخشى أن أنام حتى لا أستيقظ وأجد نفسي كنت أحلم .. ألا تعرفين وسيلة تمنعنا من ألا ننام أبد ؟! "

***

في الصباح :

وقفت كلا من ميري وأنجيل تحدقان فيما يفعل أبيهما وتكتمان الضحكات .. بينما وائل يرسم على طبق الأومليت الذي طبخه على شكل قلب .. يرسم بالكاتشب قلبا أحمر على الطبق .. واسم

(Gogo) .. ثم وضع وردة بجانب الطبق
...فكتمت ميري ضحكتها فأشار بسبابته أمام
وجهه بحزم " أشششش !"

قالت أنجيل هامسة " أمي آتية "

أسرع وائل ليقف بجانب النافذة يده في جيب
بنطاله يحتسي قهوته متصنعا اللامبالاة ويتطلع
للنافذة .. بينما وقفت الفتاتان في ترقب.. لتدخل
ماجدة تقول " صباح الخير .. تأخرت في الاستيقاظ
اليوم .. هل فطرتما ؟"..

ردت ميري" أجل أبي أعد لنا الإفطار "

تطلعت لوائل ثم أنزلت نظراتها لتقول " هيا
استعدا للنزول لحافلة المدرسة "

ردت أنجيل " سيتصل السائق بأبي حين يصل "

Des. Maryam Tamim

لمحت ميري السلسال الذهبي في رقبة والدتها فاقتربت تقول " واااو أنظري يا أنجيل "

اقتربت أنجيل هي الأخرى تحدق فيه بإعجاب بينما نظرت ماجدة لوائل وتلاقت عينيهما لثوان فأومأ وائل لها برأسه كتحية بينما هتفت أنجيل تقول بإعجاب" جميلة يا أمي .. إن ذوق أبي رائع (واستدارت تسأل والدها) لماذا جعلت اسمها كنصف قلب ؟"

نظر لماجدة التي تحرجت ورد " لأن النصف الأخر معي بالطبع "

توردت أنجيل بينما هتفت ميري " واااو أرى عشقا يلوح في الأفق .. هل قررتما أن تحبا بعضكما أخيرا "

هتفت ماجدة موبخة " بنت ! "

رد وائل بهدوء يداري شعوره بالضيق " العشق قديم يا ميري .. لكن والدك ظل يعاني لفترة طويلة

Des. Maryam Tamim

من تأثير بعض الأحداث القديمة المؤلمة عليه .. إلى أن من عليّ الله بالشفاء .. وأنا حاليا أحاول أن استعيد بعض الأمور التي فقدتها .. فهل تعتقدين أني سأنجح؟"

ردت ميري بسرعة " بالطبع وخصوصا مع الورد والأومليت "

وغطت فمها بيدها تكتم ضحكة متهكمة ..

فحدجها وائل بنظرة متوعدة يتحكم في ابتسامته بينما تحركت ماجدة تنظر للطبق على المنضدة والوردة في بلاهة .. ثم تطلعت فيهم تحاول الاستيعاب .. في الوقت الذي رن هاتف وائل معلنا وصول الحافلة ..

كتمت الفتاتان ضحكاتهما .. ووائل يقول" أسرعا هيا سأوصلكما للحافلة وأذهب لعملي" .

Des. Maryam Tamim

تلكأ وائل قليلا حتى غادرت الفتاتين المطبخ يحضران حقائبهما .. فهمست ماجدة بقلب يقفز في صدرها كالكرة المطاط " ما هذا؟"

رد ببراءة " أعددت الفطور لصديقتي .. (وغمز بعينه) بالهناء الشفاء "

قالها وغادر المطبخ .. لتقف ماجدة تحدق قليلا في القلب الأحمر وقطعة الأومليت على شكل قلب.

بغد قليل جاءها تنبيه على الواتساب ففتحته لتجد وائل كتب لها " في كل يوم قادم من عمري سأرسل لك كل يوم تحية صباح .. واعتذار .. ووردة .. "

ورسالة أخرى "صباحك يشع بالأمل يا صديقتي الحلوة .."

ورسالة ثالثة " وائل آسف "

لم تعرف بما تجيبه وماذا تفعل .. إنها مرتبكة .. مذهولة .. تشعر بحماقتها .. وبجنون ما يحدث .

Des. Maryam Tamim

لم ترد لكنها أمسكت بالوردة تشمها .. ثم قبلتها .

***

عند الظهيرة ترجلت بانة من السيارة الأجرة تتأمل تلك البوابة العملاقة أمامها اللامعة تحت أشعة الشمس .. ومن بعيد يافطة ضخمة مكتوبا عليها (مؤسسة سماحة للموبيليا وأعمال الديكور)..

وقفت قليلا تستعيد لحظات من سنين مضت .. أول يوم دخلت فيه إلى هذه البوابة .. تبحث عن عمل .. كم كانت ضائعة منهكة يائسة .. حرارة الشمس تلفح بشرتها .. مستعدة لأن تعمل أي عمل شريف لا ينتهك كرامتها ..

لم تعلم وقتها أنها على موعد مع قدرها .. مع فارسها وحبيبها .. مع استجابة لدعوات أبيها

Des. Maryam Tamim



المستمرة أن يحفظها الله ويسخر لها قلوبا تحنو عليها ..

عبرت البوابة وتتابعت ذكرياتها في هذا المكان .. لم تستطيع الانتظار حتى يعود أحمد للبيت لتخبره .. ولم تقدر على الانتظار أن تتأكد مما خمنته ليلة أمس ومن رد فعل حماتها .. فذهبت في الصباح لإجراء اختبار للحمل .. وانتظرت في ترقب .. لتستلم النتيجة التي تؤكد لها ما شكت فيه .. فلم تعي لنفسها إلا وهي تستقل سيارة أجرة لتذهب إليه .. بمشاعر كالطوفان بداخلها .. سعادة .. وارتباك .. وحزن .. وحب .. وتأثر .. وذهول .. ورعب .. وقلق .. حماسة .. خلطة مشاعر تحملها في صدرها ..

إنها حامل ..

حامل بطفل أحمد في رحمها ..



حين اقتربت من مكتبه لم تستطع الدخول فورا .. بل تراجعت لتتبع ذكرياتها في المكان .. فلفت حول مبنى الورشة وذهبت لذلك المكان .. الهادئ .. عند جذع شجرة قديم مقطوع .. المكان الذي كان استراحتها من العمل الشاق .. وفيه راقبت أحمد سماحة الذي كان يلجأ لنفس المكان .. يتطلع في الفضاء أمامه في حزن وشرود ..

تذكرت الأيام التي نامت فيها هنا .. ونظرت لكومة الكراكيب والأخشاب التي اختبأت تحتها حين وجدها أحمد ..

كل الذكريات تدفقت في رأسها .. بكل أحاسيسها القديمة عادت من جديد ..

فتحت هاتفها واتصلت به .. فأتاها صوته الرجولي الرخيم الذي تحبه فبادرته بالقول " هل تذكر يوم

Des. Maryam Tamim

أن سألتك عن دراستك وقلت لي درست في وكالة ناسا الفضائية ؟ "

ضحك أحمد ورد " ما الذي ذكرك بهذا الأمر .. وقتها لم أصدق أنك صيدلانية .. كما أنك كنت تستفزينني كلما رأيتك .. ناعمة أكثر مما ينبغي .. عيناك كانتا تستفزاني لأغرق فيهما وأنا أقاوم مستنكرا ما يحدث معي فكنت أشعر برغبة ملحة في ضربك "

ابتسمت بانة وقالت " وأنا رغم فظاظتك وغلظتك مع من حولك كنت أشعر بالألفة والدفء والأمان بالقرب منك .. "

رد أحمد متأثرا بالذكريات " حين اكتشفت أمرك أو بمعنى أدق تأكدت من شكوكي .. تملكني شعور مؤلم جدا .. تمزق قلبي ألف قطعة وأنا أتخيل كم عانيت "

Des. Maryam Tamim

قالت بصوت مبحوح " أتذكر يوم أن وجدتني مختبئة تحت الكراكيب ؟"

رد أحمد متألماً " لا أحب أن أذكر هذه الحادثة .. أتألم جداً كلما أذكرها .. بل إن الكوابيس تزورني من وقت لآخر لأري في نومي نفس المشهد يعاد من جديد .. لكن هذه المرة وأنا أعرف أنك بانة فأشعر أني أموت من الألم في صدري .. وحين استيقظ أشكر الله ألف مرة أنه مجرد حلم وأنك بجانبي وفي حضني "

قالت وهي تنظر حولها " لكن المكان لم يتغير .. نفس الكراكيب كما هي .. نحن من تغيرنا .. والزمن تغير .. وأمور كثيرة حدثت في حياتنا وبيننا منذ هذا الحادث .. أخذتني إلى بيتك .. وأحببتني وأحببتك .. وحميتني .. وأعدتني لبلدي .. وملكتني أسيرة في قلبك للأبد "

سألها " أين أنت بالضبط ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت" في نفس المكان الذي كنا نتقابل فيه دون موعد أو قصد "

وقف أحمد مندهشا تاركا مكتبه بسرعة وهو يقول " هنا في الورشة ؟!!"

ردت بانة بهدوء" أجل "

أغلق الهاتف وخرج يبحث عنها متعجبا من حضورها ومن عدم دخولها إليه مباشرة ..فاستدار خلف المبنى ليجدها جالسة على جذع الشجرة في نفس المكان الذي كانت تستريح فيه حين يتملكها التعب من حمل الأخشاب ..

تقدم نحوها فرفعت وجهها إليه بابتسامة حلوة ليقترب منها بهدوء ويجلس على عقبيه أمامها يقول " لمَاذا لم تدخلي إلى مكتبي .. وما الذي يجلسك في هذا المكان ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت بصوت عاطفي " لا أعرف شعرت بالحنين إليه "

حضن وجهها بين كفيه وقال " أتشتاقين لوالدك؟.. هل هذا سبب ما يعتريك هذه الأيام .. ألا يمكن أن تصبري حتى تتزوج آية ؟ .. بضعة شهور أخرى فقط يا قلب أحمد وبعدها سنسافر لوالدك وربما ذهبنا بعدها إلى أي مكان فقط أنا وأنت ما رأيك؟"

أمسكت بتلابيبه تحدق في عينيه وتقول " أحمد سماحة .. جئت اليوم لأخبرك أني أحبك أحبك أحبك "

نظر ليديها التي تمسك بتلابيبه وقال بابتسامة واسعة " إذن أنا الرجل الأكثر حظا على وجه الأرض .. أن تحبني بنت الخازن "

Des. Maryam Tamim

ترقرقت الدموع في عينيها وبدا عليها التأثر فهتف أحمد " لم البكاء الآن.. أهذه أول مرة أخبرك فيها بذلك ؟"

ردت بانة بصوت باك " أنا أبكي لان لدي مشكلة عويصة "

تشنجت عضلاته وقال بقلق " أي مشكلة يا بانة أخبريني ؟"

ردت ببؤس " أخشى أن يخلق بغرة طويلة تقع على جبينه .. وأن يصارع ذباب وجهه مثل والده"

سألها بغباء " من ؟"

حدقت في عينيه لثوان ثم سحبت يده تضعها على بطنها .. فنظر ليده على بطنها وابتلع ريقه .. ليعود يحدق في عينيها باستفهام ليتأكد مما خطر في ذهنه .. ثم سحب يده بهدوء واستقام يقف أمامها .. ورجع للخلف خطوتين يحدق فيها بعينين

Des. Maryam Tamim

متسعتين .. ليقول بهدوء " أنت .. حامل يا بانة؟؟؟ "

أومأت برأسها .. فتسارعت ضربات قلبه وتطلع إلى بطنها يستوعب الفكرة .. بعد ثوان قليلة كانت ابتسامته التي تعشقها تفرض نفسها على ملامحه .. ليتقدم نحوها من جديد ويسحبها من يدها لتقف أمامه ..

تطلع أحمد في عينيها قليلا .. ثم نظر لبطنها مجددا يتحسسها بيده وقال " هنا ابن سماحة صغير .. كونت أو كونتيسة .. جزء مني ومنك يا بانة .. مواطنا يحمل الجنسيتين هنا في رحمك يحمل جينات سماحة والخازن .. "

أومأت برأسها ومشاعر الفرح تطغى على باقي المشاعر الأخرى بداخلها .. فانحني يحملها من خصرها بين ذراعيه مقهقها ويلف حول نفسه

Des. Maryam Tamim

فصرخت بانة بتوبيخ " ركبتك يا أحمد .. والعمال .. سيرانا العمال "

أنزلها ثم سحبها من يدها قائلا بحماس " تعالي نخبر أبي " .

بعد دقائق دخل أحمد على أبيه في مكتبه والذي رفع إليه أنظاره تاركا الأوراق .. ليقف أحمد أمامه يديه في جيب بنطاله وقال بفخر ذكوري منتشي " حضر نفسك لتصبح جَدا يا إبراهيم .. فهناك سماحة صغير قادما في الطريق"

اتسعت ابتسامة الحاج وقال " إذن توقعتها إلهام مبكرا هذه المرة وأصلحت خطأها الجسيم مع أروى .. (ونظر لبانة يشير لها لتقترب ثم قبل جبينها يقول) مبارك يا بنيتي أدعو أن يكون ذرية صالحة "

Des. Maryam Tamim

لثمت بانة يده باحترام وغمغمت في خجل "أطال الله في عمرك يا أبي "

سألها " هل أخبرت والدك ؟"

ردت " سنتصل به أنا وأحمد بعد قليل "

أبعدها أحمد عن أبيه بتملك وقال " من بعد إذنك يا حاج سنذهب لنخبر الجميع "

وشدها من يدها مره أخرى .. لكنه أسرع بها إلى مكتبه فقالت باندهاش " ألم تقل أننا سنذهب لنخبر الجميع ؟؟؟ "

لم يرد ولكنه دخل ورشته الصغيرة الملحقة بمكتبه وأغلق الباب يقول بهمس " سنؤجل الإعلان عن قدوم الكونت سماحة الصغير لبضع دقائق "

Des. Maryam Tamim

وأطبق على شفتيها يبوح لها بما يعتريه من مشاعر تجاه هذا الخبر السعيد .

***

طرق سيد على الباب بترقب .. لم ينم لحظة واحدة .. لا يدري إن كان بسبب صورة تلك الجنية التي أفقدته أعصابه بعد أن فاقت كل توقعاته بجمالها دون حجاب .. أم لأنه يخشى أن ينام فينتهي الحلم ..

استقبلته إلهام بابتسامة سعيدة فقال " كيف حالك يا أمي ."

ردت إلهام وهي تسمح له بالدخول " بخير يا حبيبي "

تنحنح قليلا عند الباب فقالت "أدخل يا بني لا يوجد أحد غيري أنا وآية ..الباقون على وشك الوصول .. أين رحمة ؟"

Des. Maryam Tamim

رد سيد وعيناه تبحثان عن آية " في الجامعة أخبرتها أن تأتي إلى هنا وأنك تضايفينا على الغداء "

ربتت على صدره تقول "ربي يعلم معزتك في قلبي يا سيد .. عسى الله أن يسعدك ويريح قلبك ويعوضك على كل ما مضى يا بني "

أمسك سيد بيدها فلثمها وقال " أنت تعلمين يا أماه من تكوني بالنسبة لي .. وماذا يمثلون آل سماحة لسيد .. فما بالك أن أناسبكم وتمنحوني مالكة قلبي لتكون زوجتي "

ضحكت وقالت " مازلت لا أصدق أن تلك الجنية ملكت قلبك يا سيد .. لازلت أذكر وأنت تحملها على كتفيك .. كيف استطاعت تلك المحتالة أن توقعك في شباكها "

تصنع سيد البؤس وقال " أقدار يا أمي اقدار "

Des. Maryam Tamim

ضحكت إلهام وربتت على صدره قائلة " أسعدك الله يا بني "

تركته تنادي على آية التي ظهرت آتية من بعيد .. ثم توقفت عند أول الممر .. ومن الجيد أنها فعلت ذلك .. لتعطيه الفرصة لتنظيم أنفاسه .. كانت ترتدي بنطالا من الجينز الأزرق وبلوزة قصيرة تحدد جذعها وتنحت تفاصيله بدقه بأكمام قصيرة .. بينما شعرها ينسدل على كتف واحد مربوطا بشريط من المنتصف .

قبض كفيه بجانبه بقوة يرسم تفاصيلها بعينيه معترفا لنفسه أنها أروع مما كان يتخيل ومما شاهد في الهاتف أمس .. وأنه لأول مرة يشعر بأنه غير قادر على ضبط أعصابه ..

أشار لها بيده في صمت أن تقترب .. فاقتربت نحوه بدلال .. جعله يدرك أن مهمته ستكون صعبة .. وأن عليه أن يسرع في إقامة حفل الزفاف ..

Des. Maryam Tamim

وقفت آية أمامه تداري ارتجافها تحت قناع من الشقاوة تراقب عينيه وهي تأكلانها .. فقال سيد " ماذا قلنا ليلة أمس؟ "

حركت مقلتيها يمينا ويسارا ثم قالت " تحدثنا في أمور كثيرة "

ضيق عينيه وقال " عن شعار المرحلة القادمة حتى ليلة الزفاف "

ردت ببساطة " الاستقامة والانضباط "

قال سيد بغيظ " أنا لا أرى أي استقامة أو انضباط"

صاحت باستنكار " ماذا فعلت أنا ؟!!"

أشار لما ترتديه وقال " أنظري ماذا ترتدين .. هل هذا ما اتفقنا عليه ؟"

ردت ببراءة " سيد .. هذه ملابسي الطبيعية في البيت .. أما في غرفتي فالأمر يختلف "

[4512]

أنقض عليها يمسك بمرفقها ويميل ليقرب وجهه من وجهها فأجفلت واحمرت خجلا شاعرة بالرهبة من اقترابه .. فقال لها هامسا وهو غارق في عسل عينيها "ما دمت جبانة لمَ ادعاء الشجاعة؟"

رمشت بعينيها تدعي البراءة.. فأكمل" هل تحبين أن أتسبب في فضيحة ؟ .. أنا شخصيا ليس عندي أي مانع .. "

قالت بهمس " ماذا تقصد؟ "

قال بتسلي وهو يراقب ارتباكها " أقصد أن لكل فعل رد فعل .. فلا تظنين أنك هنا تحتمين في بيت أبيك وأنك بعيدة عن يدي سيد "

ازدادت حمرة وجهها وهمست " ربما أردت أن أتأكد من أنني أوثر فيك "

Des. Maryam Tamim

أخذ أنفاسها إلى صدره ورد هامسا " تأكدي أني في جحيم منذ ليلة أمس أنا لم أنم لحظة واحدة حتى الآن وصورتك لا تفارق مخيلتي .. أهذا كافياً "

اتسعت ابتسامتها فطبع قبلة سريعة على أنفها وقال بأنفاس هادرة " سلم لي هذا الوجه ليشرق على روحي للأبد "

تركها ببطء .. وأشار لها قائلا " ارتدي شيئا مناسبا فعمرو في طريقه إلى هنا "

فأومأت برأسها وأسرعت إلى الداخل تحاول السيطرة على ضربات قلبها المتراقصة .. بينما عيناه لا تكفان عن ملاحقتها بشوق حتى اختفت من أمامه .

بعد قليل فتح أحمد الباب يدخل مع بانة ووراءهم عمرو يحمل أروى فاستقام سيد يستقبل أحمد بابتسامة مستفزة واقترب منه يسلم عليه قائلا "

Des. Maryam Tamim

صهري العزيز .. اشتقت إليك والله (وعلا صوته) أحمد ومعه عمرو حضرا يا آية "

سأله أحمد " ماذا تفعل هنا ؟"

اتسعت ابتسامته ورد " جئت لأتناول الغداء معك يا صديقي "

دخلت بانة مسرعة لإلهام في المطبخ لتزف لها البشارة بينما وضع عمرو أروى على الأريكة ثم ذهب لسيد يسلم عليه بحرارة وكأنه لم يراه منذ مدة أمام أحمد الذي ضرب كفيه ببعضهما بغيظ قائلا " ابتلينا بإثنين أبرد من بعضهما"..

رن جرس الباب ودخل وائل يلقي السلام فبادره أحمد يقول " حمدا لله أني ليس لدي أختا ثالثة وإلا لتزوجتها أنت أيضا "

Des. Maryam Tamim

شد وائل ماجدة المترددة في الدخول عند باب الشقة ورد " وماذا أفعل بهذه ؟ .. يا بني نحن مكتوبان لبعضنا من قبل أن نولد "

دخلت ماجدة في حرج فتفاجأ الجميع بحضورها بينما رد سيد " اوووووه ما هذه الرومانسية يا اكسلانس "

حدجه وائل شذرا ألا يطيل في المزاح .. فكتم سيد ضحكته المتهكمة ورحب الجميع بماجدة ..

حين أكتمل الحضور هتف أحمد بخيلاء" نريد أن نعلن خبرا هاما "..

فتقدمت آية لتجلس بجوار سيد الذي شعر بالسعادة وانزاح لها قليلا لتجلس بجواره يتبادلان الضحكات الخفية أنهما يجلسان متلاصقين ..

Des. Maryam Tamim

اقترب أحمد من بانة التي كانت تساعد إلهام في تحضير المائدة مع ماجدة وأحاط بخصرها قائلا " نعلن عن قرب وصول فرد جديد لآل سماحة .. الكونت ابن سماحة الصغير "

علا التهليل والمباركات فقال عمرو لأروى التي تبدو منهكة " لم تتفاجئي بالخبر هل كنت تعرفين؟"

ابتسمت وردت " أخبرني على الهاتف منذ قليل "

سألها " أتريدين أن تستلقي قليلا بغرفتك "

ردت تحرك رأسها بلا وقالت" ربما بعد الغداء "

فأمسك بيدها ضاغطا فأهدته ابتسامتها المليحة ..

علقت آية " أمم جميل .."

فقاطعتها بانة بسرعة " انتظري .. لا تتعبي نفسك بالقول سأقولها بالنيابة عنك "

Des. Maryam Tamim

وقفت متخصرة ورفعت حاجبا وهي تقلد صوتها بطريقة مضحكة " أممم .. جميل أن يكون لدينا قريبا من الدولة العربية الشقيقة "

ضحك الجميع بينما أنفجر سيد ضاحكا بصوت عال .. فشعرت آية بالغيظ وضربته صائحة بحنق " سيد هل تضحك معهم !! "

رد وهو غير قادر على التوقف " تقلدك بالضبط يويا "

ضربته في ذراعه بغيظ فلجم كفيها بين كفيه بقوة .. ليتحرك أحمد ويفك اشتباك أيديهما ثم سحب أية إلى جواره وقال بغيظ " قلت لي متى ستغادرنا ؟"

رد سيد بابتسامة باردة متسلية " بعد أن تطعمونا"

Des. Maryam Tamim

لمح أحمد عمرو يتطلع مع أروى في الهاتف .. يلف ذراعه حول خصرها ويتبدلان الضحكات فصاح فيهما " وأنتما هل أتيتما للجلوس معنا أم لتبادل الأحاديث السرية ؟"

ردت أروى مبتسمة " كنا نراجع صور حاجيات عبد الرحمن التي اشتريناها .. إنها شديدة الصغر و رائعة يا أحمد "

بينما صاح فيه عمرو غائظا " أتحدث مع زوجتي يا بني أدم ما دخلك أنت !! "

تدخلت إلهام وهي تضع اللمسات الأخيرة على المائدة "كفى صياحا يا أحمد وارحمني وأرحم الجميع "

فاستدار أحمد لبانة يقول " اسمعي يا بنت الخازن .. لا أريد إناثا .. لا تنجبي سوى ذكور .. هل سمعت؟ .. ذكووووور .. يكفيني من القرف والبرود والسماجة في حياتي "

[4519]

على الناحية الأخرى اقترب وائل من ماجدة وقال " لمَ أنت صامتة ألم تحبي هذا التجمع ؟ "

ردت مدافعة " إطلاقا أنا مستمتعة .. ربما لم أعتاد على وجودي بينهم بعد "

قال يذكرها " كنت دائما ترفضين تواجدي معهم "

ردت تتأمل ملامحه " اكتشفت مؤخرا أني كنت أغار منهم لأنهم نجحوا فيما أنا فشلت فيه وهو تمسكك بالحياة من أجلهم .. لكن في الحقيقة .. أنا ممتنة لهم أن أبقوك على قيد الحياة (شعرت أنها تهورت بالاعتراف فأضافت باستدراك) ممتنة من أجل البنات "

أطرق برأسه قليلا ثم رفعها يقول " والآن أنا متمسك بالحياة من أجلك أنت أيضا يا جوجو (تطلعت إليه بشك فتنحنح يقول) أتدرين ذلك اليوم الذي اعترفت لك فيه وطلبت منك الصفح

Des. Maryam Tamim

والغفران .. لقد أوشكت على أطلاق الرصاص على نفسي "

كتمت ماجدة صرخة بيدها وحمدت ربها أن أحدا لم يلاحظها ثم حدقت فيه برعب .. فقال هامسا " لم أرغب في إرعابك لهذا لم أخبرك لكني مضطرا الآن لأثبت لك أنك سببا من أسباب سيطرتي على انهياري وقتها .. رغم أني أعلم أن مسامحتك لي ربما تكون ضربا من الخيال وأني قد أكون استفقت من غيبوبتي بعد فوات الوقت "

ردت ماجدة بسرعة " إن كان عليّ السماح والغفران .. فاعلم جيدا أني سامحتك بمجرد أن طلبت مني السماح .. أما عن استئناف حياتنا سويا فأنا ... أنا .. "

لم تدري بماذا تخبره .. كيف تصف له مشاعرها والتناقضات بداخلها .. وكيف تخبره أنها خائفة

Des. Maryam Tamim

..وغير مصدقة .. ومشتاقة .. وممتنة .. وغير واثقة .

لكن وائل سألها بسرعة " صدقا يا ماجدة سامحتني .. من قلبك هذا الكلام ؟!"

أرادت أن تخبره أنها حمقاء .. لا تملك من أمرها شيء .. فهو صاحب الأمر في كل ما يخصها .. لكنها تجملت لتقول " ما دمت قد اعتذرت .. وأنك لم تكن واعيا لم حدث في الماضي فلا أملك سوى مسامحتك .. أما عن مسألة المشاعر .. "

قاطعها يقول " لن أضغط عليك .. ولن أطالبك بما لا تقدري عليه .. فأنا المخطئ وأنا الملام .. وسأظل ممتنا لوجودك في حياتي حتى لو لم أستطع استعادة قلبك "

Des. Maryam Tamim

أطرقت ماجدة برأسها تهمس في سرها " وكيف تستعيده وهو لم يغادر سجنك أبدا يا وائلي وموئلي وسجاني "

***

بعد عدة أسابيع :

قابل أحمد آية على سلم البيت عائدة من الإذاعة بينما هو مغادرا لعمله.. فنظر في ساعته ليتأكد من أنها لم تتأخر .. لتبادره قائلة بدلال " هل تعلم أن يوم ميلاد سيد اليوم ؟ "

رد متهكما " ألف مبروك "

وهم بالنزول .. فأمسكت بذراعه تمنعه من النزول وقالت " كنت أفكر في أن نتجمع ونقوم بعمل احتفال مفاجئ له .. ما رأيك؟"

رد مستنكرا " احتفال !"

[4523]

فقالت آية بحماس " بالطبع .. إنه صديق عمرك لابد أن تحتفل بعيد ميلاده "

قال أحمد باستخفاف " نحن لا نقوم بمثل هذه الأشياء فيما بيننا .. فاحتفلي به أنت "

تخصرت وقالت" وماذا تفعلون في عيد ميلاد أحدكم ؟"

رد ببساطة " نهديه لكمة في وجهه على سبيل المحبة .. كالتالي سأشوه بها وجهك الآن قبل ثلاث أسابيع من زفافك إن لم تتركيني ألحق بعملي "

تركها يعدل في سترته بخيلاء يغمغم بسخرية" حفل عيد ميلاد !! .. بقي أن تقترح أن نحضر له ورودا حمراء .. قرف ! "

بينما آية مطت شفتيها بامتعاض تصعد السلم وهي تضرب بقدمها وتبرطم " أنتم لا تعرفون شيئا عن الرومانسية ابدا !"

Des. Maryam Tamim

حين وصلت للبيت وجدت بانة التي بدأت بطنها في الظهور على استحياء تجلس في الصالة تدرس..
فمسدت على بطنها فسألتها بانة " هل اخترت هديتك لسيد؟ "

ردت آية " اشتريت له ساعة يد ثمينة .. وأعددت له هدية أخرى "

رفعت بانة حاجبها وقالت " أي هدية؟ "

راوغت آية وردت بسرعة " لا تشغلي بالك (واكملت متهكمة) أكملي مذاكرتك يا تلميذة .. أين أمي؟"

ردت بانة " تزور أروى زيارة سريعة .. لن تتأخر "

قالت آية وهي متجهة نحو غرفتها " سأنام قليلا لأني سأسهر الليلة "

سألتها بانة بفضول " أين ومع من؟"

Des. Maryam Tamim

تخصرت آية مختالة وقالت بلهجة مغيظة " سيد دعاني لحضور حفل لعمرو دياب "

استدارت نحو غرفتها بينما قالت بانة متهكمة " يالرومانسية ! .. المهم ألا يقرر أحمد أن يأتي معكما "

***

دخل وائل على والدته يقبل رأسها قائلا " كيف حالك يا أنجيل "

ابتسمت لرؤيته وردت " بخير ما دمت بخير يا عيون أنجيل "

سألها " أين ماجدة ؟"

أشارت للمطبخ وقالت " أصرت على أن تعد طبقا من (المِسَقعة) رغم أن الطعام كثير والله "

تنحنح يهرش بمؤخرة رقبته وقال " حقا ؟"

Des. Maryam Tamim

أومأت برأسها فلملم ابتسامة سعيدة .. لتتفحصه أنجيل من فوق نظارتها ثم قالت " هل طلبت منها إعداده ؟"

قال مدعيا البراءة " أنا فقط لمحت أمامها أني أشتهيه "

ضحكت أنجيل ثم سألته ساخرة " وما أخبار الورد والشيكولاتة .. والقلوب المرسومة على الأطباق "

لمعت عيناه وتنحنح في حرج ثم سألها " هل أخبرتك ؟"

ردت بابتسامة ساخرة " كلا .. بل الفتيات "

عبس وجهه في إحباط .. فقالت بلهجة جادة " أعرف يا بني أنك تحاول استرضاءها .. لكن اصبر عليها أكثر .. إن مداواة كسر القلوب ليس بالأمر الهين "

Des. Maryam Tamim

رد وائل بحزن " أنا مستعد لأن أصبر حتى آخر العمر .. ليس لأنها صبرت عليّ .. ولكن لأنها تستحق هذا الصبر .. "

قالت أنجيل " أعتقد أنها لن تطيل .. فأنا أعلم كم هي تعشقك .."

لاحت ابتسامة مُرة على وجهه ورد " كانت يا أنجيل .. كانت "

قالت أنجيل بهدوء " أنا نظرتي لا تخيب .. وأقول لك أنها مازالت تحبك "

اعتصر الألم قلبه.. بينما نار الغيرة في صدره لا تخبو أبدا .. كيف يخبرها أن بها شيئا غامضا .. أن لديها سر تخفيه .. وأنها مازالت تدردش مع أحدهم عبر الهاتف ..

كيف يخبرها أنها تغلق على نفسها باب الغرفة أوقاتا كثيرة تحدق في حاسوبها .. وأن منتصف ليل

Des. Maryam Tamim

الجمعة أصبح موعدا ثابتا مع تلك الصديقة المجهولة القاطنة في بلد آخر كما تدعي .. تغلق على نفسها وتغيب لساعة أو أكثر .. تخرج بعدها مبتسمة سعيدة على وجهها علامات الراحة .. وأنه .. غير قادر على مواجهتها .. يجبن على فعل ذلك .. مرعوبا أن ينتهي كل شيء بينهما في لحظة ..

أحيانا .. يوصي نفسه بالصبر .. فحتى لو كانت تصادق رجلا آخر .. عليه أن يبذل مجهودا لاستعادتها ..يذكر نفسه بأنه يشرب من نفس الكأس الذي أسقاه لها في الماضي .

وأحيانا .. تثور عليه كرامته وكبرياءه ويرغب في تحطيم حاسوبها وهاتفها .. بل وضربها والثأر لرجولته المهانة .. لكنه يعود ليذكر نفسه بأنه الجاني الوحيد ...

وأحيانا أخرى .. يخبر نفسه أنه ربما يكون مخطئا .. لكنه لا يجد تفسيرا لما تقوم به .. فيعود من

Des. Maryam Tamim

جديد يوصي نفسه بالصبر .. مبررا أن علاقتهما لم تتوطد بعد .. وأنه لن يغامر بمواجهتها بأمر كهذا الآن إلا إذا كان لديه دليل .. فالأمر حساس جدا .. لذا ليس هناك خيارا آخر أمامه سوى أن يؤجل المواجهة بقدر استطاعته .

قطعت أنجيل أفكاره تسأله" هل سيحضر حليم المحامي اليوم؟"

أومأ وائل برأسه .. فقالت " إذا أنت جاد فيما أخبرتنا به "

رد بهدوء " أجل وقد تم كل شيء تقريبا وسيسلمني المحامي الأوراق اليوم"

سألته " هل أخبرتها ؟"

رد " لا .. لم أخبرها بعد .. لا أريدها أن تعترض .. عليّ أن أضعها أمام الامر الواقع ".

Des. Maryam Tamim

نفض عن نفسه الكآبة واستقام من مجلسه وتحرك غامزا لأمه .. ليتوجه نحو المطبخ يخفف وقع خطواته .. ثم بدأ في التسلل شيئا فشيئا حتى أصبح وراءها .. ولم ينسى أن يرسم قدها المغري بنظرات متفحصة مشتاقة .. قبل أن يقف خلفها يهمس بفحيح مرعب " جوجو "

انتفضت ماجدة صارخة في رعب تضع يدها على صدرها .. فقهقه وائل بتسلي .. صرخت ماجدة فيه "أرعبتني يا وائل"

ردد يقلدها متهكما "أرعبتني يا وائل "

لملمت ابتسامة ملحة ..وأشاحت بوجهها تكمل ما كانت تقوم به فقال لها بلهجة متسلية " أتعدين (مسقعة) ؟ .. كنت أشتهيها أتعلمين ذلك ؟"

ردت مراوغة " حقا ؟ .. صدفة غريبة ! "

Des. Maryam Tamim

فقال بلهجة ماكرة " ليت كل الأمنيات التي أتمناها تتحقق .. صدفة كما حدث مع مسقعتي"

انتابها الفضول لتعرف ما الذي يتمناه فقالت مدعية اللامبالاة " وماذا تتمنى ؟"

سألها بخبث " هل ستحققين لي أمنياتي ؟"

تنحنحت وقالت مراوغة " إن كان في استطاعتي لن أتأخر "

أطرق برأسه ببؤس ورد بصوت حزين " لكن ما أريده صعبا .."

تأملته بطارف عينها وهو مطرق الرأس .. فأشفق عليه قلبها كالعادة فسألته " لماذا صعب ؟"

استمر في التحدث بلهجة حزينة بائسة " ليس كل ما يتمناه المرء يدركه يا جوجو .. أنا مثلا تلح علي كثيرا رغبة قوية في أن أنجب المزيد من الأولاد ..

Des. Maryam Tamim

لكنني كما تعلمين لن أستطيع الزواج بأخرى .. (وتنهد ببؤس) وأنت لن توافقي على إنجاب المزيد من الأولاد من رجل مثلي "

تفحصها بنظرة ماكره ليجدها وقد تسمرت ذاهلة لبعض الوقت ثم سقطت الملعقة من يدها والتفتت إليه تسأله بصدمة " ماذا قلت ؟؟؟!!!"

كرر كلامه ببؤس " قلت أريد أن أنجب المزيد من الأولاد .. بالتحديد أريد أن أنجب ذكرا .. وأسميه ماجد .. ليحمل اسم العائلة"

سألته بغباء " تنجب كيف ؟!! "

رد غامزا بعينه " ألا تعلمين كيف يأتي الأطفال يا جوجو ؟"

ابتعلت ريقها .. وأولته ظهرها مرتبكة .. ثم استدارت إليه مجددا تقول في تلعثم " أنت .. أنت

Des. Maryam Tamim

وعدتني أنك لن تضغط عليّ في أي شيء وها أنت تبتزني عاطفيا باحتياجك لذكر يحمل اسم العائلة "

رد ببراءة " أنا ؟؟!!! .. أنا لا أضغط عليك جوجو .. ولم أقصد أبدا أن ننجب بالطريقة التي جاءت إلى مخيلتك "

سألته بعدم استيعاب " كيف إذن تريد أن تنجب ؟"

رد بابتسامة عريضة متسلية " بالتلقيح الصناعي جوجو "

رددت بصدمة " بماذا !!!!!"

***

اتصلت آية بسيد فبادرها بالقول " كنتِ رائعة اليوم في البرنامج الإذاعي .. وأصبح لك شعبية لا بأس بها يا روح سيد "

[4534]

ردت بحنق " لولا أن اليوم عيد ميلادك لكنت خاصمتك .. لذا سأبدأ الخصام غداً .. وحتى يوم الزفاف "

رد باهتمام وهو يركز في الطريق أمامه " لماذا يويا ؟!!.. لمَ قطعة السكر غاضبة مني؟ "

ردت ببؤس " لأنك مشغول مشغول مشغول"

ضحك ورد مغنياً "

أنا مشغول عنك بيكى

و ما ليش إلا انت و سيرتك ..

قلبى يكلمنى عليكى ..
وانا أكلم عنك صورتك
و خيالك دايما
فى خيالى يا غرامى ..
و يا حبى الغالى "

[4535]

قالت بحنق " أنا لا أمزح يا سيد .. لم أرك منذ ثلاثة أيام .. رغم أنك تأتي للحيّ يومياً "

رد عليها موضحا " حبيبة سيد.. بقي على الزفاف اسبوعين .. والشقة الجديدة مازالت تحتاج لبعض التعديلات .. وأنا أصارع الوقت لأنهي كل العمل المعلق عندي قبل أن أسافر معك بعد الزفاف .. عليّ أن أنتهي من التزاماتي كلها يويا .. وها أنا سأقابلك مساء اليوم لنذهب لحفل عمرو دياب ونحتفل بعيد ميلادي سويا "

قالت بهمس بائس " اشتقت إليك يا سيد .. متى يأتي المساء ؟ "

رد بهمس حار وقد ارتعش قلبه " وأنا اشتقت إليك يويا .. أنا أعد الأيام والساعات .. متى سأخطفك ونطير بعيدا عن العيون "

صمتت قليلا ثم قالت " أين أنت ؟"

Des. Maryam Tamim

رد عليها " أنا أقود السيارة في طريقي للإستوديو لدي عمل لابد أن أنهيه .. ثم سأعود للبيت لأبدل ملابسي وأمر عليك في المساء بإذن الله "

ترددت قليلا ثم قالت " أعددت لك هدية لعيد ميلادك .. في الواقع أنا اشتريت لك الهدية لكن هذه هدية إضافية .. سأتحرج أن أرسلها لك وأنا معك .. ولا أطيق الانتظار أصلا .. لهذا سأرسلها الآن وشاهدها وحدك حين تصل للإستوديو "

لمعت عيناه وسأل بلهجة متسلية " أهي عيب ؟"

ردت بدلال هامسة " لا أعرف "

قال سيد " يكفي ما تفعلينه بي وأنا نائم "

أطلقت ضحكة خافتة مائعة أشعلت أعصابه

وسألت هامسة " ماذا أفعل بالضبط ؟"

أجاب مبتسما " كل العيب يا بنت سماحة .. ما تعرفينه ومالا تعرفينه بعد "

Des. Maryam Tamim

قهقهت بتسلي ..فقال سيد " أتضحكين ! .. اسمعي .. حين نرى بعضنا اليوم لا تنسي شعار المرحلة بالله عليك "

ردت ضاحكة " الانضباط .. والاستقامة .. تمام يا أفندم "

تمتم من بين أسنانه " أنا غير مطمئن "

انفجرت آية في الضحك .. فقال مغازلا " يا منجي من المهالك يا رب "

قالت آية " سأرسل لك ما أخبرتك عنه الآن .. سلام"

أغلقت الهاتف وبحثت فيه عن ذلك المقطع المصور الذي أعدته له .. ثم أرسلته إليه .. ونامت بعرض السرير تدلي برأسها منه وشعرها يلامس الأرض .. وقد أحمر وجهها وهي تتخيله وهو يشاهد المقطع المصور .

استقبل سيد المقطع المصور .. ولم يستطع الانتظار ففتحه يتطلع فيه وهو يقود السيارة ..

Des. Maryam Tamim

لكنه بعد ثوان كان يبحث بسرعة على مسار لركن السيارة على جانب الطريق .. حتى أوقفها تماما وأطفأ المحرك يحدق في الهاتف بعينين متسعتين ..بينما صدحت أغنية شعبية منه ويرى آية في غرفتها ترتدي بنطال قطني أسود حتى ركبتيها كالذي يستخدم في الصالات الرياضية .. كان ضيقا ينحت تفاصيلها بدقة .. وبلوزة سوداء من نفس النوع بفتحة صدر واسعة من الأمام والخلف تحدد أيضا تفاصيل جذعها وتبرزها .. وعلى وركيها تربط منديلا باللون الفوشيا تتدلى منه دلايات معدنية لامعة ..

وكانت حافية القدمين ترتدي جوربا باللون الفوشيا مفتوحا من الأمام لا يغطي سوى كعبيها وجزء بسيط من ساقيها تاركا أصابع قدميها مكشوفة بإغراء .. أما شعرها فكان مسدلا طويلا على ظهرها .

Des. Maryam Tamim

وصوت المطربة الشعبية فاطمة سرحان يجلجل في نغمات راقصة ..

تحت الشباك ولمحتك يا جدع

بعدها وياك ما تقولي يا جدع

إذا عديت... قصاد البيت ..
أبوس رجليك ..
لتبص لفوق .. وتطفى الشوق

أمانه عليك ..
بص وإتكلم ..

على عيني يا جدع

اه يا سلام سلم ..
على عيني يا جدع

[4540]

كانت آية ترقص بدلال ورقة على نغمات الأغنية وتتمايل وتدور لتحني ظهرها فينسدل شعرها كله للخلف تهز كتفيها بدلال ..

خدك تفاح .. دوقني يا جدع
رمشك دباح .. حوش عني يا جدع

إذا عديت.. قصاد البيت ...
أبوس رجليك..
لتبص لفوق .. وتطفى الشوق ..

أمانه عليك ..
بص وإتكلم ..
على عيني يا جدع
آه يا سلام سلم ..
على عيني يا جدع

[4541]

شاهدت آية المقطع على سريرها وهي في نفس الوضع تدلي برأسها من السرير ترفع الهاتف أمامها فوجدت سيد يتصل بها .. فاعتدلت بسرعة وردت

" هل شاهدته قبل أن تصل للإستوديو؟"

قال آمرا " انزلي "

سألته مندهشة " أنزل أين؟؟"

رد بلهجة جادة " أنا تحت البيت .. أنزلي "

قالت " الآن ؟؟؟!! ألم يكن عندك"

هدر بحزم " قلت انزلي يا آية ... فورا"

أغلقت الهاتف مرتبكة وأسرعت ترتدي ملابسها بتعجل وتغطي شعرها .. تتساءل عن سبب غضبه ..

قابلتها بانة في الصالة تسألها لأين فغمغمت مسرعة بقلق " سيد يريدني"

وخرجت لا تدري أنها مازالت ترتدي شبشب البيت .

[4542]

حين خرجت من البوابة وجدت سيارته بالقرب منها .. فاقتربت بقلق تنظر من النافذة فمال يفتح لها الباب يقول بحزم " اركبي"
أطاعته وركبت تراقب ملامحه الغامضة فشغل السيارة.. وضغط على البنزين بخشونة لتنطلق بهما بسرعة .
سألته بوجل " إلى أين سنذهب ؟ "
لم ينظر نحوها .. ولكن أشار بسبابته أمام وجهه أن تصمت وأخذ يركز على الطريق أمامه .

ساد الصمت قليلا وازدادت ضربات قلبها تحاول أن تفهم فيما أخطأت .. وعادت تلح عليها العقدة القديمة .. حين تتجاوز معه في الحدود فيوبخها .. فقالت مدافعة بعدم فهم " ألست .. ألست زوجي!!"

Des. Maryam Tamim

لم ينظر نحوها .. وإنما أشار بسبابته أمام وجهه يقول " أششششششش " .
ودعس على البنزين أكثر .. فصمتت متوترة تحفر بظفرها في باطن كفها .. حتى دخلت السيارة أرض فضاء تبعد عن الحي قليلا .. وأوقف السيارة .. فراقبته وهو يفتح حزام المقعد بعدم صبر .. ثم هجم عليها يحتضن وجهها بين كفيه وانقض على شفتيها بقبلة عنيفة فاجأتها واربكتها لثوان .. لكنها سرعان ما استرخت ولفت ذراعيها حول جذعه تلتصق به أكثر ..فعمق من قبلته بجوع .
كان فاقدا للإحساس بأي شيء حوله .. إلا الاحساس بأنوثتها المهلكة .. ورجولته المشتاقة إلى حد الحرمان وكأنه لم يقرب امرأة في حياته .

بعد دقائق أطلق سراح شفتيها لتشهق تطلب الهواء .. لكنه لم يبتعد عنها بل ظل يحدق في عينيها العسليتين وهمس بأنفاس لاهثة وهو يرى

Des. Maryam Tamim

آثار عنف قبلته على شفتيها " يا آية .. أنا أحاول أن أسيطر على طوفان مشاعري تجاهك حتى لا تؤذيك .. وأنت مصرة على إطلاق سراح المارد من سجنه "

قالت وهي تتأمل ملامحه الخشنة " أي مارد ؟"

مرر إبهامه على شفتيها وقال وهو ينهت " المارد الذي أسجنه بداخلي "

ابتسمت تتمنى ألا يبتعد وسألته " ولمَ تسجنه؟ "

رد هامسا " لأنه يعشقك يويا .. مجنون بك .. مجنون "

أنقض على شفتيها مرة أخرى في قبلة أقل عنفا وأكثر عمقا وسخونة .. وسمح ليديه أن تستكشف تفاصيلها التي تشكلت أمام عينه على مدى عمرها معه .. ومع هذا اكتشف مؤخرا لم يكن يدرك كيف أضحت ناضجة شهية إلى حد سيفقده عقله قبل أن يتذوقها .

Des. Maryam Tamim

حين ترك شفتيها همست بعشق وهي ترتجف
"اشتقت إليك يا سيد"
تعاملت أصابعه مع أزرار بلوزتها بقلة صبر .. ثم مال يرفع حجابها .. ويطبع قبلات عشوائية حارقة مشتاقة.. متجاهلا جرس الهاتف الذي يلح منذ فترة .. بينما أكملت آية وهي تتشبث به أكثر " ولا أتخيل أن هذا اليوم الذي سأكون فيه معك قد يأتي .. أشعر أني سأموت قبلها "
رفع رأسه إليها يقبل شفتيها مرة أخرى بغير ارتواء ويحيطها بذراعيه .. ثم ترك شفتيها ليسحقها بين ذراعيه يدفن رأسه في عنقها وهو يهمس " بل أنا من سيموت إن لم تتوقفي عن تعذيبي يا بنت سماحة .. انظري ماذا فعلت بي شقاوتك .. انظري أين نحن وماذا نفعل .. أنت مصرة على إحداث فضيحة .. مصرة أنت على أن تفقديني عقلي "

Des. Maryam Tamim

ظل الهاتف يلح بإصرار بينما همست آية وهي تذوب بين ذرعيه " آسفة .. سامحني لم أكن أعرف أني أعذبك هكذا "

ابعدها قليلا وتطلع إليها يدخل الشعيرات التي فرت من حجابها فقالت " هاتفك يلح بإصرار "

استمر يتأملها قليلا يحاول تنظيم أنفاسه ولملمة ما انفرط من أعصابه.. ثم ابتعد عائدا لمقعده ..

ليمسك بالهاتف ويجد أسم أمير.. فأجلى صوته ثم رد " نعم أمير "

جاءه صوت أمير مرتبكا يصيح " تعال يا سيد ..

وائل علم بموضوع سامي وحالته سيئة جدا "

***

قبل ساعة :

انتهى الغداء وماجدة تحاول الفرار من مشاكسات وائل خاصة بعد الطلب الغريب الذي طلبه منذ قليل والذي بدا أنه فيه يتحدث بجدية ..

وفكرت بأن تتصل بأروى بعد الغداء تتحدث معها قليلا ربما استطاعت أن ترتب أفكارها ..

إنه يتعمد إرباكها .. يخطو نحوها خطوات واسعة هي غير قادرة على التعامل معها ..
لا يفهم أن خمسة عشر عاما لن تمحى من ذهنها بهذه السهولة .. صحيح سامحته .. وهي مدركة أنها لا تملك إلا مسامحته .. فقلبها لن يتحمل أبدا تذلله لها .. لكنها لن تقبل بأن تكون مثيرة للشفقة للحد الذي تقبل بما يعرضه عليها ليتخلص من عقدة الذنب .. أو ربما هي متمسكة بتلك القشرة الرقيقة الباقية لتستر بها نفسها عنه .. عن مشاعرها .. تخشى من أن تقترب أكثر فتنفلت زمام الأمور من يديها ويكتشف كل شيء .

دخل عليها وائل يقول بلهجة جادة " حليم المحامي وصل وعليك حضور اللقاء "

Des. Maryam Tamim

سألت مندهشة " لماذا ؟"
أطرق برأسه قليلا ثم قال " لقد كتبت إحدى المحلات باسمك جوجو .. ملكا لك "
اتسعت عيناها وقالت متفاجئة " ماذا ؟؟ ...لماذا ؟ .. ما الداعي ؟"
رد ببساطة " لا يوجد سبب سوى أني أردت أن أهديك شيئاً قيماً "
شعرت بعدم الراحة فقالت " لكني لا أريد .. ولم أطلب .. ولا أعرف كيف أتصرف في هذه الأمور ولا أريد أن أشغل نفسي بها " .

قال مطمئناً " الأمر بسيط جوجو .. محل من محلات الذهب سيكون ملكك .. وأمور الإدارة ستكون لي كما أدير باقي أملاك أمي وأمير .. ومن بعدي ستكون الإدارة لأمير ..

Des. Maryam Tamim

صاحت بتوتر " هل هذه طريقة لتعويضي مثلا عمل بدر منك .. هل أنا في نظرك مادية إلى هذا الحد أم أنك تعتقد أن جراحي من الممكن مداواتها بمبلغ من المال أم ماذا.. لا أفهم هذه الخطوة "

اقترب منها يمسك بكتفيها وقال بهدوء " جوجو أنا لا أحاول أن أفعل شيئا مما تقولين .. أنا فقط أردت إهدائك شيئا ثمينا .. فكرت في سيارة فوجدتها ليست ذا قيمة كما أني لا أحب أن تقودي وحدك سيارة .. فكرت في قطعة أرض لكني أحببت أن يكون لديك ما يدر عليك مبلغا من المال سنويا .. "
ظلت تحدق فيه تحاول فهم سبب هذا القرار فأكمل وائل " أنا لا أنظر له على إنه تعويضا لكن لو قبلتيه سأشعر بالراحة .. سأشعر بأنك بالفعل سامحتني لكنه لن يكون أبدا رشوة مني لك لكي تقبلي بي .. كما قلت لك أنا سأظل أقدم اعتذاري لك عما بدر مني حتى آخر يوم في عمري ..

Des. Maryam Tamim

وسأنتظر اليوم الذي ستقبلين فيه العودة لي ..
وأؤكد لك أني مهما منحتك لن أكفر عما فعلته معك لكن إذا قبلت .. ربما هذا أشعرك أن ما سأقوم به بعد ذلك لن يكون بدافع عقدة الذنب .. كما تعتقدين .. وربما صدقت أن مشاعري حقيقية "

تلجمت أمام سحر عينيه و دفء كفيه على ذراعيها بينما أضاف وائل بهدوء " اقبليه من أجلي يا جوجو"
ترك كتفيها .. وأشار لها لأن تتقدم أمامه فتحركت تخرج من الغرفة ليقابلهما أمير قائلا " هيا أسرعا فحليم المحامي يتململ كما تعرف ويريد أن ينهي باقي الأوراق بسرعة (ثم نظر لماجدة يقول متهكما وهو يشير بيده بتبجيل لتسير أمامه أولا) تفضلي عزيزتي سيدة الأعمال "

Des. Maryam Tamim

نظرت إليه ماجدة بعينين ذاهلتين.. فاقترب منها يتأبط ذراعها ضاحكا كولد صغير .. فتحرك وائل يفصل بينهما قائلا بغيظ " لا تمزح معها بيدك "

وقف أمير متفاجئا .. ثم أسرع يلحق بهما واضعا ذراعه على كتفيها يقول بمرح " هذه جوجو يا وائل .. جوجو التي كانت تحملني وأنا صغير .. فارق العمر عشر سنوات كاملة " .

نزع وائل ذراعه عنها بخشونة وقال " وها قد أصبحت بغلا فاحترم نفسك أيها المعيد الجامعي المحترم "

كانت ماجدة شاردة ولم تعي ما قاله وائل بينما قهقه أمير في عدم تصديق .

بعد قليل كانت ماجدة توقع على أوراق كثيرة أمام المحامي بينما أمير يقول لوالدته وكريستين والبنتين متفكهاً " وأصبح يغار مني .. مني أنا!! .. يبدو أنهم قد أجروا له زراعة للمخ أثناء الغيبوبة "

Des. Maryam Tamim

حدجه وائل بنظرة خطرة يشير له على المحامي ويطلب منه أن يخرس .. فكتم أمير ضحكاته .

قال المحامي العجوز وهو يقدم باقي الأوراق لماجدة " الحقيقة أن السيدة ماجدة ونعم النساء يا وائل بك .. أنا شخصيا لم أصدق كلمة واحدة مما سمعته تلك الليلة في الحي .. "
جف حلق ماجدة وجحظت عيناها تنظر للمحامي الذي اكمل يقول " مَن من الممكن أن يشك في سلوك السيدة ماجدة .. فالكل يشهد لها بالاستقامة .. حتى أنها نادرا ما تغادر البيت .. وبصراحة أهل الشارع كلهم أدبوه وأعطوه درسا لن ينساه "

فجأة كانت تلابيب المحامي في يد وائل الذي انقض عليه يرفعه قائلا بلهجة خطرة " عم تتحدث؟ .. ولم تتكلم على زوجتي؟ "

Des. Maryam Tamim

تكهربت الأجواء .. وتقدم أمير يحاول لملمة الموقف .. بينما تلعثم المحامي وارتبك يحاول أن يفهم وقال " لم أقصد شيئا يا وائل بك قصدت أن أمدح أخلاق السيدة حرمك " .

صاح وائل في وجهه " مادامت السيدة حرمي فلم تتحدث في سيرتها ؟؟.. أنت محام فقط ولم أطلب منك رأيك فيها ".

تدخل أمير يبعد وائل عنه الرجل قائلا " ماذا تفعل يا وائل إنه محامي العائلة ".

بينما قال المحامي " أنا لم أتحدث عن زوجتك أقسم بالله بل هو سامي موريس " .

هدر وائل بقوة " من ؟!!"

نفض أمير يد وائل بقوة عن المحامي " وقال من فضلك يا وائل لا داعي للانفعال (وحدجه بنظرة ذات معنى ليصمت وأكمل) نعلم أنك لا تحب أن يتحدث أحد في هذا الموضوع مجددا يا وائل لذا

Des. Maryam Tamim

فالعم حليم لا يقصد شيئا (وتوجه لمحامي يقول)
هل انتهيت من كل الإجراءات ؟"
قال حليم وهو يلملم أوراقه بسرعة مرتبكا " أجل
أجل .. وسأقوم بباقي الإجراءات في المكتب "

نظر وائل إليهم متسمرا .. ما فهمه من كلام أمير أن
هناك أمرا لا يريد أن يعرف المحامي أن وائل لا
يعرف عنه شيئا .. فصمت يحاول تحليل الأمر وهو
يشاهد المحامي يحشر الأوراق بارتباك في حقيبته
ويغادر مع أمير .

فنظر لماجدة التي شحب وجهها تحدق فيه باتساع
عينيها تغطي فمها بيدها .. وللفتاتين اللتين انكمشتا
وانجيل الصغيرة تطالعه بوجه أصفر .. وأمه تضع
يدها فوق رأسها كمن حلت عليها مصيبة ..

Des. Maryam Tamim

وراجع العبارات في رأسه (ماجدة .. سُمعتها .. لم يصدق المحامي الكلام عنها .. سامي موريس .. أهل الشارع) ..
ماذا يخبئون عنه بالضبط ؟؟؟..

انقض على ماجدة يمسك بمرفقها ويقول "عم يتكلم هذا الرجل أريد أن أفهم كل شيء "

اندفعت أنجيل الصغيرة نحوه قائلا بلهجة باكية "أمي ليس لها ذنبا .. أنا السبب فيما حدث .. لكني أقسم لك يا أبي لم أفعل سوى أن تكلمت معه على الانترنت ".
ترك ذراع ماجدة .. ونظر لأنجيل الصغيرة بذهول يحاول الفهم .. فانهارت تقول بتوسل "سامحني يا أبي أنا لست سيئة"

Des. Maryam Tamim

تسارعت أنفاسه يحدق في الجميع بعدم استيعاب ثم قال بخفوت وقد شعر أن القادم سيقصم ظهره "ماذا تخبئون عني بالضبط ؟؟؟"

تكلمت أمه مراوغة " لم يحدث شيئا يا وائل الأمر بسيط "

قاطعها هادرا بقوة وقد انتفخت عروق رقبته "أريد أن أعرف كل شيء بالتفصيل يا أمي وإلا سأنزل أسأل أهل الشارع الذين يعرفون مالا أعرفه .. وستصير فضيحة "

دفنت ماجدة وجهها في كفيها وجلست تبكي .. بينما ميري وكريستين تحاولان تهدئة أنجيل الصغيرة التي انفجرت هي الأخرى في البكاء .. فهدر بقوة وهو يمسك بمزهرية خزفية يلقي بها في الحائط " لا أريد أن أسمع بكاء .. أريد أن أفهم تفاصيل المصيبة التي حدثت وتخبئونها عني"

اقترب أمير يقول مهدئا " اجلس وسأخبرك بكل شيء "

Des. Maryam Tamim

بعد قليل كان وائل يجلس على الأريكة مذهولا يحدق في الأرض ويهز قدمه بحركة عصبية بعد أن سمع كل شيء ..

سمع ..

ووعى ..

وأدرك ..

أنه لا يستحق أن يعيش لحظة واحدة ..

قالت أمه تحاول تخفيف الأمر " انتهى الأمر يا وائل وتصرفنا كلنا كما يجب .. ماجدة أخبرتني وانا استدعيت العائلتين .. لكن هذا الناقص نزل للشارع يحاول فضحها منتقماً .. وتصدت له ميري ثم تصدى له أصحابك وأوسعوه ضربا حتى منعتهم أنا .. لتنزل عليه نساء الحي بالأحذية .. أي أنه نال جزاؤه .. ولقد جعلتهم يلزموه بدفع مبلغ كبير كتعويض وأشهدت عليه العائلتين ".

سأل بخفوت مرعب " أين تلك الصور؟؟؟"

Des. Maryam Tamim

رد أمير "تم مسحها كلها وعمرو تأكد من أنه ليس لها أي نسخ أخرى على الانترنت .. بل أنه دخل على بيناته الشخصية كلها على الانترنت ودمرها تماما ودمر كل البيانات التي يحتويها حاسوبه الشخصي .. قضى على كل ما يخصه في العالم الافتراضي " .

تطلع لماجدة المطرقة أرضا تخبئ وجهها بيدها بينما أنجيل تنظر له بوجه باك مترقب .. ثم انتفض واقفا يقطع المسافة بينه وبين أنجيل الصغيرة بسرعة ويمسكها من مرفقها قائلا " لم يكن بينك وبين مايكل هذا سوى الدردشة فعلا يا أنجيل ؟ "

قالت بسرعة بلهجة مرتعبة " اقسم لك يا أبي هذا ما حدث .. وأرسلت له ثلاث صور هي صور عادية لي كنت في النادي والتمرين ولم أراه على الحقيقة أبدا .. ولم أذهب إلى أي مكان وحدي واسأل ميري ."

Des. Maryam Tamim

حدق فيها قليلا يتأكد من صدقها ثم تركها .. ونظر حوله يحاول التحكم في رغبة ملحة لإطلاق الرصاص على نفسه .. ثم اندفع تاركا المكان .. ليجد أن الباب موصدا بالمفتاح فبحث عن مفاتيحه فلم يجدها ..

لحق به أمير يقول مهدئا " إلى أين ستذهب يا وائل الأمر انتهى "

هدر فيه صارخاً " انتهى .. هل تعتقد أنه انتهى ؟؟ .. (أشار بسبابته متوعدا وهو يلهث من فرط الانفعال) لن ينتهي إلا حين أقتله هكذا يكون انتهاء الأمر ... هذا الحقير.. الوقح .. النجس ابن (....) (...) "

تحركت ماجدة تأمر الفتاتين أن تصعدا للطابق العلوي.. وطلبت من كريستين التي أمسكت ببطنها في توتر أن ترافقهما .. بينما وقفت تراقب المشهد وهي ترتجف لا تعلم إلام سينتهي الأمر .. وتدعو الله أن يتم احتواء الموقف.

[4560]

صرخت أمه متوسلة أن يهدأ فهدر وائل فيهم " لمَ لم تخبروني بهذا الأمر؟؟؟ .. أخشيتم من رد فعل رَجلكم المجنون ؟؟؟"

اندفعت ماجدة نحوه تتشبث بملابسه قائله بتوسل " لا تذهب يا وائل أرجوك ..انتهى الأمر .. أرجوك ..اهدأ ولا تنفعل .. أتوسل إليك لا تنفعل "

أمسك بذراعها وشدها بقوة آلمتها متجها إلى إحدى الغرف .. فصرخت أمه " اذهب وراءه يا أمير لا تتركها معه "

استدار إليه وائل محذرا بلهجه خطرة " إذا أردت أن يمر الأمر دون خسائر فلا تتدخل "

ثم سحبها واندفع إلى الغرفة فكاد أن يخلع ذراعها .. ليندفع وراءه أمير لكن وائل أغلق باب الغرفة من الداخل.. فحاول أمير أن يتسمع أي صوت بقلق ..بينما ألصقها وائل بالحائط يغرز أصابعه في لحم ذراعيها محدقا فيها .. فبدت زرقة عينيه مخيفة

Des. Maryam Tamim

وسألها بفحيح مرعب " هل عاود الاتصال بك بعدها ؟.. تكلمي بصراحة ؟ "
حركت رأسها بلا تقول" لا لم يحدث "
أعاد سؤالها بإصرار " هل يبتزك بأي شيء .. فتتحدثين معه على الانترنت أو على الواتساب ؟..(وصرخ بتوسل) قولي الصدق يا ماجدة أرجوك "
ردت بصوت مبحوح" لم يحدث .. صدقني يا وائل لم يحدث .. لم يتواصل معي منذ ذلك اليوم الذي ضُرب فيه في الشارع ".
تطلع في عينيها وسألها " إذن حديثك على الحاسوب وعلى الواتساب.. وتلك الصديقة التي تحرصين على موعدها منتصف ليل الجمعة ليست سامي يا ماجدة صدقا ؟؟ "
حدقت فيه متفاجئة ثم قالت بنفي قاطع " أبدا يا وائل أقسم لك "

Des. Maryam Tamim

تركها بسرعة .. وفتح الباب ليجد أمير واقفاً بوجه قلق .. فتجاوزه وتحرك يخرج إلى الصالة ليتفاجأ بسيد وأحمد أمامه ..فنظر لأمه ولأمير .. وعاد ينظر إلى صاحبيه وابتسم قائلاً بسخرية " أهلا .. أهلا بالأصدقاء .. أين عمرو ؟ (ثم استدار لأمير يقول) لمَ لم تستدعي عمرو فاثنان قد لا يسيطران على مجنون مختل مثلي "

تقدم سيد منه يقول بهدوء " عمرو قادم كان في مكتبه وهو في الطريق الآن" .
رد عليه وائل ساخرا " أخبره أن يسرع فصاحبكم المجنون قد يفتعل أمراً مجنوناً مثله .. ربما يحرق البيت (وهدر بقوة صارخا بينما الدموع تتدفق من عينيه فجأة) أو يشعل النار في نفسه "
اقترب سيد أكثر يقول" اهدأ يا وائل "
فصرخ فيهم وبعض الدموع تتدفق من عينيه " لمَ لم تخبروني ؟؟؟؟ .. ألستم أصدقائي !! .. أم

Des. Maryam Tamim

خشيتم أن أسيئ التصرف !!! .. هل ظننتم أني لست كفء لأحمي عائلتي وشرفي ؟!!"
تكلم أحمد " اهدأ يا وائل .. نحن لم نرغب في أن نزعجك .."

قهقه وائل فجأة بضحكة جوفاء مُرة وقال " تزعجوني ! .. بالطبع خشيتم أن تزعجوني فأنا ذلك الهش .. شديد الحساسية ..فخشيتم أن أبكي وألطم كالنساء"

تكلم سيد مستنكراً" مَن الذي سيلطم كالنساء يا وائل ؟!.. ما هذا الكلام العجيب ؟!!".

مسح وائل دموعه وتحرك فجأة نحو الباب عازما على المغادرة .. فمنعه سيد.. ليصرخ فيه وائل " أتركني .. أريد أن أخرج ".

Des. Maryam Tamim

قال أحمد بحزم " لن نتركك إلا إذا هدأت وتحدثنا وأخبرتنا علام تنوي .. أرجوك يا وائل اهدأ "

تطلع في وجوههم قليلا .. حتى وصل لسيد الذي وقف وراء الباب يسده بجسده .. فقال منسحباً للداخل " وأنا لا أريد أن أتحدث مع أحد" .

توجه إلى غرفته فذهب وراؤه الجميع ليهدر فيهم صارخا من خلف الباب "أتركوني وحدي ... أتركوني ولا تخشوا شيئا .. لن أقطع شراييني ولا توجد أدوية بالغرفة لأتناولها .. فأتركوني لأهدأ قليلا"

سأل أحمد الخالة أنجيل " هل في الغرفة أي شيء يمكن أن يؤذي به نفسه "

نظرت لماجدة تحاول التذكر وقالت" لا أعتقد .. يا رب سلم .. يا رب سلم "

فسأل أمير بتوتر "هل أتصل بطبيبه أم ننتظر قليلا ؟"

Des. Maryam Tamim

قال سيد " دعنا ننتظر لبعض الوقت "

بعد نصف ساعة طرق أمير على باب غرفته بعد أن شعر بسكون تحركاته فيها .. فلم يتلق ردا .. ألح في الطرق .. ولم يجد شيء ..

فجرت ماجدة نحو الباب وأخذت تطرق بهستيريا تصرخ في رعب "واااااائل "

ليندفع كلا من أحمد وسيد .. وقام الأخير بدفع الباب بكتفه حتى كسره .. ليدخلوا الغرفة فيجدوها خاوية ..توجهوا للحمام الملحق بالغرفة بسرعة فوجدوا نافذة الحمام مفتوحة .. فضرب سيد على جبهته وقال من بين أسنانه "نسيت أمر نافذة حمام غرفته القديمة "

وأسرع الشباب الثلاثة نحو باب الشقة يحاولون اللحاق به .

Des. Maryam Tamim

***

استمر البحث عن وائل خلال الساعات التالية .. وبدأوا بالخن.. مروراً بكل الأماكن المتوقعة أن يذهب إليها آخرها عيادة طبيبه الخاص الذي أكد أنه لا يعرف عنه أي شيء .. فوزعوا أنفسهم بين عدة أماكن متوقعة من بينها شقة سامي الذي ذهب إليها أحمد فلم يجد أحد فيها .. فقرر الانتظار أسفل البناية في سيارته لربما ظهر وائل أو سامي.

عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .. خرج سامي من أحد الفنادق الكبيرة يصطحب إحدى فتيات الليل .. منهياً سهرته .. باديا عليه الانتشاء .. فقابله أحد حراسه الشخصيين يقول " انتهيت من السهرة مبكرا الليلة يا سامي بك.. دقيقة سنحضر لك السيارة "

فأشار له سامي بلا وقال وهو ينظر للمرأة " بل سأحضرها أنا والحلوة من المرآب المظلم المخيف

Des. Maryam Tamim

(وداعب ذقنها قائلا بلهجة ذات مغزى) هل تخافين الظلام ؟"

أطلقت المرأة ضحكة رقيعة .. فغمز سامي لحارسه يقول" انتظرا هنا وسنحضر السيارة بنفسي ثم رافقونا بسياراتكم حتى باب البيت ثم .. (وأصدر صوت طقطقة بفمه وأكمل) اذهبا واتركاني مع الحلوة "

اتسعت ابتسامة حارسه .. فتوجه سامي يلف ذراعه حول المرأة نحو المرآب .

بعد دقائق كان سامي في سيارته في مراب الفندق الواسع المظلم نسبيا يقبّل المرأة .. فراقبهما سيد من سيارته التي تركن بعيدا وتمتم " بملل أسرع يا بني لا وقت لوقاحتك "

Des. Maryam Tamim

من خلف أحد الأعمدة الخرسانية القريبة من سيارة سامي .. خرج وائل يرمي بسيجارته أرضا ويسحقها بقدمه.. ثم توجه نحو سيارة سامي بهدوء وطرق على نافذة السيارة .. فأجفل سامي مبتعدا عن المرأة .. وحاول أن يتبين هويته في الظلام لكن وائل طرق مرة أخرى بنفس الهدوء على النافذة .. ففتح سامي الزجاج مستفهما ليعاجله وائل بمنديل على أنفه يحتوي على مخدر .. وفي خلال ثوان .. سقط سامي مخدرا في مقعده.. بينما صرخت المرأة مرتعبة .. فالتف وائل حول السيارة يفتح الباب ويحذرها أن ترفع صوتها .. ومد يده يقبض عليها من ملابسها ويلقيها خارج السيارة .. فتمتم سيد لنفسه بصوت خافت وهو يلتقط هاتفه " أحفظك كخطوط يدي يا اكسلانس "

وتحدث في الهاتف يقول " وجدته سأرسل لكما العنوان .. لا لا .. سأتركه لأرى ماذا سيفعل.. وسأتدخل عند اللزوم .. علينا أن ندعه يأخذ بثأره

وإلا لن يرتاح أبدا.. حسنا سأخبركم بتطورات الوضع.. سلام "

بمجرد أن أغلق الخط .. كان وائل قد أزاح سامي للمقعد الآخر .. وجلس هو أمام المقود يشغل السيارة خارجا من المرآب .. وانطلق سيد خلفه .. وقد لاحظ اكتشاف حارسي سامي الشخصيين لاختطاف سامي.. فانطلق سيد وراءهما بالسيارة يحاول تعطيلهما ..

على احد الطرق السريعة كان وائل ينطلق بهدوء وجمود .. بينما سيد يقوم بمناوشات بسيارته مع الحارسين لتعطيلهما عن اللحاق بسيارة سامي التي يقودها وائل .. ممتنا أنهام ليسا مسلحين .. حتى وصل دعم أصدقائه بعد قليل .. فقام الثلاثة بالضغط على السيارة وحصارها .. حتى اضطروهما للتوقف و الخروج إليهم .. ليتم الاشتباك بالأيدي

Des. Maryam Tamim

بينهما .. انتهى بفرار الحارسان هاربان .. ليتحرك الأصدقاء للحاق بوائل الذي لم يكن قد ابتعد كثيرا.

في أرض فضاء واسعة على إحدى الطرق السريعة .. انعطف وائل تاركاً الأسفلت .. ليدخل في الطريق الصحراوي حتى تعمق فيه ..

بعد قليل ركن الشباب الثلاثة سياراتهم بعيداً وترجلوا .. فطلب منهم سيد أن يراقبوه من بعيد ويتركوه يتصرف دون تدخل منهم ..

ومن بعيد .. وعلى ضوء كشاف السيارة وقف وائل ينظر بوجه متخشب خالي من التعبير .. لسامي الملقى على الأرض .. مقيدا بالحبال التي أحضرها مسبقا .. فبمجرد أن ترك المنزل أسرع بعمل اتصالاته الواسعة .. واستخدم علاقاته حتى استطاع تحديد مكان سامي بالضبط .. بعد أن ذهب لشقته فلم يجده .. فعلم أنه يتردد على

Des. Maryam Tamim

ملهى ليلي تابع لإحدى الفنادق الشهيرة .. فانتظره بصبر في المرآب بالقرب من سيارته حتى ظهر.

بعد قليل .. بدأ سامي يستفيق.. ليكتشف أنه مستلقي على الأرض وعلى ضوء السيارة القوي تعرف على وائل .. فصرخ بهلع كمن شاهد عفريتا .. ليدرك بعدها أنه ليس مقيدا فقط من يديه وقدميه .. بل عاري أيضا .. عاري تماما كما ولدته أمه..

صرخ سامي مرعوبا يزحف في الأرض يحاول الابتعاد عن وائل شاعرا بالحصى من تحته يقطع في جلده ..

لم يتحرك وائل .. بل ظل جامداً يحدق فيه بصمت .. ولأول مرة يشعر باللذة من تعذيب كائن حي .. فتقدم نحوه ببطء وانعكاس الضوء في زرقة عينيه أرعب سامي في الظلام فصرخ " ماذا تنوي يا وائل .. اسمع .. أنا دفعت تعويضا كبيراً .. ولايزال

Des. Maryam Tamim

هناك شيكات لديكم لم أدفعها بعد .. وأنا ملتزم بالدفع في أوقاتها .. وماجدة .. آآآآآآآآي "

ركله وائل بقوة فقال سامي " أنا فعلت ذلك لأسترد ماجدة آآآآآي "

مال عليه وائل وقد لاح الغضب على وجهه يمسك من شعره .. ولكمه بغل وهو ويقول بفحيح مرعب " أنطق اسمها مجددا بلسانك .. وسترى ماذا سيحدث لك "

استقام يفتح هاتفه وهو ينهت منفعلا.. وصوره فصاح سامي بجزع " ماذا تفعل يا مجنون ؟؟؟"

رد وائل بغل وهو مازال من بين لهاثه" أصورك عارياً كما زيفت صوراً عارية لابنتي"

صرخ سامي يقول " أنت قلتها .. ركبت صور .. أنا لم أمس ابنتك"

[4573]

هدر وائل فجأة وهو يركله بعنف " لم تمس ابنتي يا قذر .. يا حيوان .. يا (.....) (.....)"

استمر وائل في ركله بهستيريا بينما سامي يصرخ من الألم .. ثم مال عليه يمسك بشعره من جديد .. مقربا هاتفه وقال وهو يلهث " هيا أنا أسجل لك .. أعتذر لابنتي .. اعتذر لأنجيل"

حدق فيه سامي.. فضرب رأسه بالأرض بعنف .. فتكلم سامي بسرعة " آسف .. آسف يا أنجيل .. آسف .. آسف "

وضع وائل الهاتف على مقدمة السيارة بينما أصدقاءه يراقبون بقلق وسيد يمنعهم من التدخل .. ففك وائل حزام بنطاله وقال له وصدره يعلو ويهبط من الانفعال " الآن .. أعد لي مجددا ما قلته لي عن ماجدة وأنا في الغيبوبة.. (وهدر فيه بصوت مخيف) أنطق ماذا قلت عن ماجدة ؟؟؟"

Des. Maryam Tamim

حدق فيه سامي برعب والدماء تتدفق من أنفه وفمه .. فرفع وائل الحزام ونزل به على جسده العاري يقول " من حظك العاثر أني تذكرت .. "

صرخ سامي بعذاب فأكمل وائل بضربة أخرى من الحزام " في البداية .. حين أخبروني بما فعلت بدأ بعضا مما أخبرتني به وأنا في تلك الغيبوبة يتدفق إلى ذهني وكأنه كابوس فتذكرت بعض العبارات التي قلتها لي .. و لا أعرف إن كان هذا كل ما قلته أم لا .."

صرخ سامي .. فهدر وائل بصوت مخيف بعد ضربة أخرى بالحزام " وما تذكرته كفيلا بأن أقطعك وأنت حي قطعا صغيرة "

ثم أنهال عليه وائل بجلدات متتالية بالحزام .. مرات و مرات ..

وسامي يصرخ ويستغيث ..

Des. Maryam Tamim

بينما أصحاب وائل متوترون .. لكنهم كانوا يريدونه أن يثأر لنفسه ولعائلته ..

صرخ وائل وهو مستمر في جلده " هذا من أجل ماجدة "

هذا من أجل ماجدة ..

هذا من أجل ماجدة ..

حضنه سيد فجأة من الخلف يمنعه عن المزيد .. فلم يجفل وائل ولم يتفاجأ بوجوده .. وكأنه كان يعلم بذلك طوال الوقت ...

توقف وائل يلهث بقوة .. فقال سيد بهدوء " كفى .. لم يبقى مكانا في جسده لم يُجلد "

استسلم وائل لسيد الذي سحبه بعيدا .. ثم تبادل النظرات مع سامي الذي يتألم بتوسل .. فحدجه

Des. Maryam Tamim

سيد بنظرة غاضبة أرعبته .. ثم فك وثاق يديه وقدميه .. لكنه ربط جزعه بالحبل و ربطه بالسيارة .. ملقيا إليه ملابسه يقول " استر نفسك "

تحرك سامي بصعوبة .. فنظر إليه وائل يرتجف أن كان سببا فيما أحل به .. واستدار حول السيارة ويجلس على كعبيه يلف ذراعيه حول نفسه وهو يرتجف بشدة ..

فأشار سيد لأحمد وعمرو أن يذهبا ويتركاه معه .. مطمئنا إياهم أنه بخير .. فترددا قليلا ثم تحركا عائدان إلى سياراتهم .. ليقف سيد صامتا يتأمل وائل الذي يرتجف أمامه ..

بعد قليل تكلم وائل دون أن ينظر نحوه بصوت مبحوح من أثر الصراخ " هل تعاركتم مع الحارسين وأذيتم أحدا منهما؟ "

Des. Maryam Tamim

ابتسم سيد حين أدرك أن وائل كان يعلم بأنهم خلفه ويتعاملون مع حرس سامي الشخصي فأجاب " لا تقلق اشتبكنا بالأيدي لكن لا إصابات جدية وهربا بعدها .."

أومأ وائل برأسه متفهما دون أن ينظر إليه ثم بحث في جيوبه وأخرج سيجارة وضعها في فمه باضطراب .. وأمسك بالولاعة بيد مرتعشة وحاول إشعالها أكثر من مرة دون أن ينجح .. فاقترب سيد وأمسك بالولاعة وأشعلها له .. ثم جلس بجانبه ..

تمتم وائل بصوته الخافت ساخرا " هل سيهابني الجميع الآن بعد أن عذبته ؟! .. وسيخافون بعد ذلك من الاقتراب من أهل بيتي لأني أصبحت همجياً ؟ .. (وضحك ساخراً) إذا كنت غير قادر على تحمل ذنوبي في حق نفسي وفي حق أقرب الناس لي .. الآن علي تحمل ذنوبي في حق الأخرين أيضا !! "

Des. Maryam Tamim

ربت سيد على كتفه وقال " انتهى الأمر .. ثأرت لنفسك رغم أننا لم نقصر .. لكني تركتك تفعل ذلك حتى ترتاح "

أومأ وائل برأسه متفهما .. ثم قال بعد قليل بشرود " يبدو أن قدري أن أكون بعيدا عن ماجدة طول العمر .. سواء كنت واعيا أو غير واع .. كلما اقتربت منها أكتشف أن المسافات بيننا بعيدة جدا"

استدار إليه سيد يقول " لا أفهم .. ما دخل ما فعل سامي بعلاقتك مع ماجدة ؟ "

تمتم وائل " ربما أحاول التقرب إليها بعد فوات الوقت .. وهناك من استطاع أن يميل قلبها ويخطفه من يدي .. لو حدث ذلك بالفعل ماذا سأفعل ؟ .. وبأي وجه سأعترض وأنا ارتكبت أقسى من ذلك معها "

Des. Maryam Tamim

قال سيد بعدم فهم " نعم ؟!! .. لم أفهم "

نظر إليه وائل يبستم بمرارة قائلا " لا تشغل بالك .. كما تعلم أنا محترف في صناعة الوهم "

ساد الصمت لبعض الوقت .. فأخرج وائل من جيبه ورقه صغيرة وفتحها يتأملها قليلا ثم قال لسيد " هذا خطاب تركته لي أنجيل وأنا في الغيبوبة .. قبل أن يحدث ما حدث من هذا الكلب .. كتبت لي .. (وصمت قليلا ترتعش الورقة في يده وتترقرق الدموع في عينيه ثم تكلم يقاوم البكاء) كتبت لي .. أنا أحبك يا أبي .. ولا أعرف كيف سأواجه الحياة بدونك .. فأنت فارسي الذي أختبئ في درعه .. فلا تتركنا أرجوك" .

Des. Maryam Tamim

مسح وائل دموعه وأكمل " هذا الخطاب هو من أعطاني القوة منذ أن استفقت من الغيبوبة حتى أواجه ولا أنسحب تاركا كل شيء .. فهل تعتقد أني بعد ما حدث مازلت فارسها أم أني خذلتها "

قال سيد متأثرا " لا تقل هذا الكلام يا وائل .. ما حدث معك كان من الممكن أن يحدث مع أي منا .. كثير من الفتيات يتعرضن لذلك على الانترنت .. ومن الممكن تكون أي امرأة في مكان ماجدة .. ومعظم النساء يتجنبن في هذه الحالة إخبار أزواجهم أو اخوانهم حتى لا يتطور الأمر لجريمة .. ويبحثن عن حلول أخرى إلى أن تتعقد الأمور"

أومأ وائل برأسه متفهما يسحب الدخان من سيجارته ويمسح دموعه فربت سيد على كتفه مشجعا وقال " سأطمئن على الرجل لأتأكد أنه لم

Des. Maryam Tamim

يمت بعد أن نهشته كالوحش يا اكسلانس .. قم معي أولا "

وقف سيد وسحبه من ذراعه ليستقيم .. ثم أسرع يقرب منه سيارته فركبها وائل بهدوء .. بينما توجه سيد لسامي الذي أرتدى بنطاله مستلقيا على الأرض غير قادر على الحركة فمال عليه يقول بتهديد " اسمع .. أنا أقنعته بصعوبة ألا يقتلك وقد كان ينوي على ذلك .. وأقنعته أنك لن تقترب منه أو من أي ممن يخصوه .. وتعلم جيدا أننا نستطيع أن نقتلك هنا في هذا الخلاء وندفنك دون أن يشعر بك أحد .. لكني سأتركك .. سيارتك وهاتفك عندك.. تستطيع أن تطلب من يساعدك .. لكن حذاري أن تنطق باسم وائل أو اسم أحد منا .. ولو فكرت في الانتقام سنقدم المستندات التي لدينا والتي تعرفها جيدا للشرطة وقتها ستستضيفك الدولة عندها في السجن لبضع سنوات .. هل سمعت ؟"

[4582]

حين لم يرد هدر سيد بصوت مخيف " هل سمعت؟؟؟"

أومأ سامي برأسه بصعوبة وهو ملقى على الأرض مغمض العينين تغطي الدماء وجهه وجذعه العاري .. فتركه سيد بعد ان فك الحبال عنه وتحرك نحو سيارته وانطلق بها ..

في الطريق سرح وائل في ماجدة .. وكأنه يبحث عن شيء يخفف من حدة مشاعره .. ثم تمتم لنفسه هامساً " يبدو أنا المسافات لن تقرب بيننا أبدا يا عنقود العنب "

لاحت أغنية يعرفها بنفس الاسم إلى ذهنه .. فحدق في دخان سيجارته الثانية وهو يفكر في أن ماجدة ستنزعج حين تعلم أنه دخن سيجارتين متتاليتين .. فابتسم ابتسامة مُرة وبدأ يدندن..

Des. Maryam Tamim

دالليّ انكتب مفروض..

يا عنقود العنب

واللي انقري غنيوة ..

بس قصيّرة

نظر إليه سيد يستمع لصوته المبحوح وهو يدندن وسط سكون الليل وظلامه حولهما .. فشاركه الغناء بصوت خافت .. ليغنيا معا ..

دالليّ انكتب مفروض.. يا عنقود العنب

واللي انقري غنيوة .. بس قصيّرة

مشروخ يا ناي... ماتغنيليش

زعقك وجعني آآاه .. ولا كفانيش

دي عينيكي دول مرايات .. مرسوم أنا فيهم

يا ضيعة الحكايات .. عاللي انكتب فيهم

Des. Maryam Tamim

مشروخ يا ناي متغنيش
زعقك وجعني آه ولا كفانيش

***

عند اقتراب الفجر دخل سيد لبوابة بيت سماحة بعد أن أوصل وائل وأطمئن عليه ليجد أن آية قد أرسلت له مكالمات ورسائل كثيرة تطمئن عليه حتى تلقى منها اتصالا تعلمه بأنها تنتظره على سلم البيت رافضة الصعود دون أن تراه .. وأن أحمد تركها دون اعتراض حين استشعر قلقها ..

استقامت آية من جلستها على السلم فتملكته الشفقة من جلستها بهذا الشكل .. ليقترب منها يقول بإرهاق وخفوت يخشى أن يخدش سكون الليل " ألم أطمئنك أنني بخير وأني عائد مع وائل ؟"

Des. Maryam Tamim

أرتمت عليه فاستقبلها بين أحضانه الواسعة يتمتم بلهجة حنونة " أنا بخير يا حبيبتي .. أنا بخير "

فهدر أحمد فجأة وهو يضرب على سور السلم " قال لك بخير "

ابتعدت أيه بهدوء عن سيد تمسح دموعها بينما جز سيد على أسنانه رافعا أنظاره لأحمد يقول " أنا لست في مزاج جيد ولا أضمن ردود أفعالي "

رد أحمد من فوق " جميل .. اذهب إذن من هنا وأصلح مزاجك بعيدا عنا .. وأنتِ هيا إلى النوم "

أومأ لها سيد بأن تصعد ... فتحركت بسرعة تمر من جانب أحمد بينما طالعه سيد بنظرة عاصفة فقال أحمد " اسحب الباب وراءك يا صهري العزيز "

***

[4586]

في شقة وائل كانت ماجدة تتحدث في الهاتف مع أروى فقالت بخفوت " حمدا لله .. حمدا لله يا أروى كدت أن أموت وعقلي يعصف بالأفكار "

جاءها صوت أروى يتمتم بالحمد وقالت " ألم يحضر بعد من عند والدته ؟"

ردت ماجدة وهي تمسح دموعها " خالتي أنجيل أخبرتني أنه نزل من عندها .. أعتقد أنه على وشك الوصول "

قالت أروى منهية الحديث " حسنا سأتركك لتستقبليه وسنتحدث في الصباح إن شاء الله "

فقالت ماجدة بارتباك " لكني لا أعرف كيف سأتعامل معه ؟"

Des. Maryam Tamim

سألتها أروى" أتعتقدين أنه قد يسبب لك أي ضرر .. سيد أخبر عمرو أنه بخير وهادئ بعد أن ضرب المدعو سامي "

قالت ماجدة بصوت متأثر " أنا لست خائفة لكني غير قادرة على التعامل معه .. مرتبكة لا أعرف كيف أعامله .. "

قالت أروى "ألم تسامحيه ؟"

ردت ماجدة " أجل سامحته لكني .. غير قادرة على الاقتراب منه ..مازالت هناك حواجز نفسية تفصلني عنه .. الحب وحده لا يكفي للتغلب على العوائق يا أروى .. فقد تحبين إنسانا إلى حد الجنون لكن الحواجز النفسية بينكما تعذبك .. تزهق روحك في كل مرة تقتربين منه .. وقد تتلقي الحب من شخص آخر يحبك ويفهمك ويشعرك بالسعادة رغم أنك قد لا تحبينه ولو قدر بسيطا من حبك للشخص الآخر .. (صمتت قليلا ثم

Des. Maryam Tamim

قالت) المهم أن وائل اليوم حين أثير موضوع سامي شعرت أنه يشك في أني أعرف شخصا ما عبر الانترنت " ..

سألتها أروى باندهاش "ولم فكر بهذا الشكل ؟"

أجابتها ماجدة بارتباك " لأن .. لأن هناك أمراً .. (صمتت قليلا تفرك في جبينها ثم قالت بتردد) أروى أنا لدي سر أريد أن أخبرك به "

رددت أروى باندهاش " سر !!"

فتح وائل باب الشقة مجهدا.. مرهقا .. منهك القوى .. فتحركت ميري لاستقباله بينما انكمشت أنجيل على الأريكة تحضن ركبتيها وتنظر إليه بترقب .. أما ماجدة فلمحته من بعيد بينما أروى تصرخ في الهاتف بذهول " ماذا قلت ؟؟؟ .... ماذا قلت يا ماجدة ؟؟!!!!!!.. أعيدي ما قلتيه !!"

Des. Maryam Tamim

فغطت ماجدة عينيها بكفها بحرج ثم قالت " نتحدث لاحقا يا أروى .. لتنصحيني ماذا أفعل .. فوائل وصل .. سلام "

سألت ميري والدها " هل أنت بخير يا أبي"

ابتسم لها مطمئنا .. ثم توجه نجو أنجيل التي أنزلت ركبتيها ووقفت تنظر إليه بترقب .. فابتسم وائل يفتح لها ذراعيه ..

قوست أنجيل فمها للأسفل وجرت نحوه .. فأخذها وائل في حضنه يمسد على شعرها ثم أمسك برأسها يتطلع في وجهها قائلا " لم تفعلي شيئا خاطئا يا أنجيل .. صحيح أن مصادقة الشباب مرفوضة لكن لم يكن لك ذنبا فيما حدث الذنب كله ذنب بابا الذي لم يراقبك جيدا .. عموما والدك

Des. Maryam Tamim

انتقم لك منه شر انتقام .. انتظري جعلته يتأسف لك أيضا"

وأخرج هاتفه من جيبه وشغل صوت سامي المتوسل .. فغطت أنجيل أذنيها تقول متألمة من صراخه " كفي يا أبي .. لا أريد أن أسمعه يتألم حتى ولو أخطأ في حقي ".

ابتسم وائل وقال وهو يربت عليها " من شابه أباه فما ظلم (وتطلع إليها يقول) إنسي يا بابا الأمر كله .. سيحتل ذاكرتك لفترة ثم يتوارى .. وسنناقش أنا وأمك إن كنت تحتاجين لحضور جلسات مع مرشد نفسي أم لا " .

ردت بخفوت " أنا أذهب بالفعل وأمي تساعدني "

Des. Maryam Tamim

تطلع لماجدة التي تقف بعيد ممتنة لعودته سالما
ثم استدار نحو ميري يفتح لها ذراعه الأخرى
فاندفعت نحوه ليقول بإعجاب " وهذا الوحش
الذي أتركه في البيت في غيابي "

ابتسمت ميري فضمها وائل ثم نظر إليها قائلا
بمشاكسة " لكن كيف يكون الوحش أشقر اللون
وحلوا كقرطاس العسل !"

اتسعت ابتسامة ميري فضم ابنتيه قليلا.. ثم
تركهما يقول "اذهبا للنوم .. وأنا أيضا سأذهب ..
احتاج للراحة بشدة .."

وتحرك يمر بجوار ماجدة دون أن يتوقف
..وتجاوزها في صمت متجها نحو غرفته ..

Des. Maryam Tamim

بعد قليل وقفت ماجدة مترددة قليلا أمام باب غرفته .. لا تعرف ماذا تفعل .. ثم استجمعت شجاعتها ودخلت إليه ..

لتجده خارجا من الحمام بجذع عارٍ يرتدي بنطالا رياضيا مريحا .. ويجفف شعره .. فنظر إليها ولم يتكلم فبادرته بالقول " هل أنت بخير ؟"

فأومأ برأسه في هدوء .. فقالت " لقد علمت كيف تصرفت معه "

رفع إليها عينين غاضبتين يقول " هل اتصلت بسيد؟"

قالت بسرعة" لا لا بل أمير أخبرني بما سمعه من الشباب"

Des. Maryam Tamim

صمت قليلا ثم توجه إليها يمسك بمرفقها هادرا بعينين تموجان بالغضب " أصدقيني القول .. هل لمسك هذا الكلب ؟"

ردت بسرعة " أبدا أقسم بالله ؟"

تطلع إليها قليلا لم يعرف ماذا يقول لها .. فتركها وذهب يجلس على السرير يتمتم بسخرية مرة " يبدو أنني سأظل دائما شبح رجل أمامك .. غير قادر أن أنظر في عينيك .. عموما حتى كلمات الاعتذار لم يعد لها معنى بعد أن كبرت أخطائي في حقك "

ردت بلوعة " لا تقل هذا يا وائل .. لو لم تكن رجلا كاملا في عيني لما تمسكت بك كل هذه السنين .. عموما لننسى الأمر فقد تم الانتقام منه مرتين حتى الان .. مرة من أهل الشارع .. ومرة منك .. فعلينا إذن أن ننسى الأمر"

سألها" وهل ستنسين أنت أيضا يا ماجدة؟"

Des. Maryam Tamim

ردت " أحاول صدقني أحاول وأبذل كل جهدي "

تأملها قليلا ثم قال بخفوت مجهد " هل أستطيع أن أطلب طلبا ولك أن تقبلي أو ترفضي ؟"

قالت بسرعة " بالتأكيد "

تكلم بخفوت " هلا حضنتني لدقيقة "

اتسعت عيناها فأضاف باستجداء " أحتاج لذلك بشدة يا جوجو " .

تسارعت دقات قلبها في صدرها بعنف .. وتسللت نظراته المتوسلة إلى شغاف قلبها ... فاقتربت منه ببطء وتردد ..ليفتح ذراعيه لها .. فاقتربت أكثر وأكثر .. حتى توقفت أمامه .. ليرفع وجهه إليها يتأملها قليلا بنظرات متألمة .. ثم لف ذراعيه حول خصرها يدفن وجهه في جذعها .. لتحضن رأسه بقوة وكأنها تريد أن تخبئه بداخلها ..

Des. Maryam Tamim

تمتم وائل متأوها بوجع سنوات طويلة تائها في متاهة لا نهائية .. ليرسو أخيرا على ميناء قلبها الذي غادره من خمسة عشر عاما رافضاً أن تكون مرساه .

أحكم ذراعيه حول خصرها أكثر .. فسقطت دموعها وهي تستشعر لمساته لها بينما وائل يئن متألما وهو يدفن وجهه فيها " مممممممم"

بعد دقائق رفع لها عينين حمراوين من أثر البكاء .. ثم أستلقى على السرير يسحبها إليه برفق .. لتطيعه كالمخدرة .. فاستلقى على جنبه .. لتجد ماجدة نفسها مستلقية بجواره ..

Des. Maryam Tamim

قربها إليه يخبئها في حضنه مشددا ذراعيه حولها .. فتسلل الدفء بينهما دفئا كان مفقودا وقتا طويلا..

واستسلم كلاهما للنوم خلال وقت قصر .

Des. Maryam Tamim



الفصل الحادي والاربعون

تحركت ماجدة تئن في نومتها متوسدة ذراعه.. ثم أولته ظهرها .. فانزعج وائل لأنها أدارت وجهها عنه وهو الذي ظل يحدق فيه منذ أن استيقظ .. لكن طرف عنقود العنب لاح أمامه من طرف فتحة عنق بلوزتها فاشتعلت أعصابه التي يحاول أن يسيطر عليها منذ أن وعى بأنها تنام بين أحضانه .. واقترب أكثر يتحسس طرف الشامة بأصابعه بخفة متحاشيا ألا يوقظها .. لكنه لم يستطيع المقاومة لأكثر من دقيقة ليميل ويطبع قبلة رقيقة على شامتها ..

تململت ماجدة في نومها واستدارت مرة أخرى نحوه تدفن جبينها في صدره لكنها سرعان ما بدأت تستفيق وتعي وتحاول تفسير أين هي ..



للحظة لم تستوعب.. فحركت وجهها لأعلى لتقابلها عيناه الزرقاوان تحدقان فيها في صمت .. ثم همس بصوت مجهد " صباح الخير يا صديقتي العزيزة "

انتفضت جالسة برعب تعدل من ملابسها وتقول "كم الساعة ؟"

رد بهدوء " حوالي التاسعة "

انتفضت من السرير واقفة تقول بتلعثم " أنجيل وميري .. والمدرسة "

قال وائل " ذهبتا للمدرسة في موعدهما لا تقلقي"

ردت وهي تنظر حولها بارتباك وتمسد على ذراعها " ألم .. ألم يسألا عني ؟ قد يصيبهما القلق من عدم وجودي بغرفتهما "

Des. Maryam Tamim

رد عليها بخفوت وهو يتأملها من موضعه " بل علمتا بأنك في غرفتي "

اتسعت عيناها تسأله " بم أخبرتهما ؟"

قال منزعجا من ابتعادها عن حضنه " كيف سأخبرهما وأنا نائم بجانبك لم أتحرك .. خاصة وأنت مستحوذة على ذراعي طوال الليل ؟"

مسحت بكفها على مؤخرة رقبتها التي تعرقت وردت " إذن .."

قاطعها قائلا " شعرت بإحداهما تفتح الباب علينا بهدوء .. ثم وقفتا تتهامسان وتكتمان الضحكات .. بعدها سمعت ببعض الجلبة في المطبخ ثم باب الشقة يغلق "

تحركت للخلف بحرج تمتم "يا إلهي .. ما هذا الحرج "

Des. Maryam Tamim

رد وائل باستنكار " حرج !!.. لماذا تشعريني انك كنت تبيتين في حضن رجل غريب "

توترت أكثر ورغبت في الفرار فاستدارت ليرتطم قدمها بقدم السرير وتصرخ فانتفض وائل نحوها يقول موبخا " انتبهي يا مجنونة ولا داعي للارتباك "

لكنها استكملت سيرها تخرج من الغرفة بسرعة وهي تعرج .

جلس وائل على السرير بإنهاك .. غير قادر على الحركة .. فالكابوس الذي عاشه أمس كان من أصعب الأيام التي مرت عليه .. وبالرغم من ذلك لم يشفي غليله بعد .. فهمس في سره " لم ينتهي الأمر بعد يا سامي الكلب "

Des. Maryam Tamim

بعد قليل أجبر نفسه على النهوض لإعداد الفطور رغم رغبته في الاستلقاء في السرير .. لتدخل ماجدة المطبخ وتفاجأ به يجلس على المائدة يشرب قهوته باديا على ملامحه الإجهاد فقالت " لماذا قمت من سريرك تبدو منهكا ؟"

طالعها بنظرة رسمت تفاصيلها ثم رد "أنا بالفعل متعب جدا .. لكني أردت أن أعد لك الفطور .. اجلسي "

تخضبت وجنتيها وأعادت خصلة من شعرها إلى خلف أذنها ثم جلست ترفع الغطاء على الطبق المسطح .. لتجد أنه قد أعد لها فطورا سريعا من الأجبان .. ولم ينسى الوردة بجانب الطبق والتي كانت هذه المرة صفراء اللون .. بينما قال وائل " لم أستطع صنع الأومليت اليوم فأنا مرهق .. كما أني لا أريدك أن تمِلّيه .. ففضلت أن أعد لك فطورا مختلفا اليوم "

Des. Maryam Tamim

تمتمت بارتباك وهي تدفن وجهها في الطبق " ليس هناك داعي لأن تعد الفطور كل يوم .. "

رد بهدوء " قلت لك سأعد لك الفطور يوميا .. وأرسل لك وردة يوميا.. وأقدم اعتذاري يوميا "

حركت الطبق لتجد تحته ورقة مطوية فتحتها لتجد كلمة (آسف جوجو) بداخل قلب مرسوم .. فطوتها مجددا وتركتها بجانب الوردة وبدأت في الأكل وهي تتأمل ملامحه الشاردة المهمومة بقلق ثم قالت بشفقة " لم لا ترتاح في السرير "

رد عليها" سأرتاح قليلا .. لكن علينا أن نذهب سويا لمكان ما هذا المساء"

قالت باندهاش" إلى أين ؟"

Des. Maryam Tamim

رد شاردا " زيارة ثقيلة لكن لابد منها .. أريدك شديدة الأناقة اليوم سنحضر حفلا "

سألت مندهشة " أي حفل "

قال وائل " ستعرفين كل شيء في حينه "

***

بعد الظهر اتصلت ماجدة بأروى التي بادرتها بالقول مازحة " لك كل الحق أن تتدللي ولا تردين على اتصالي .. بعد القنبلة التي ألقيت بها في وجهي فجرا .. وتركتني مصدومة لم أنم طوال الليل وأنا أفكر فيما قلتيه وكأني أهذي "

تكلمت ماجدة معتذرة " آسفة أروى .. وائل موجود وانتظرت أن يدخل غرفته لأتحدث معك "

قالت أروى " أنا ما يهمني هو ما قلتيه .. تكلمي .. هل ما قلتيه صحيحاً "

Des. Maryam Tamim

فركت ماجدة جبينها بيدها بإجهاد وردت " أجل صحيحا "

صاحت أروى " يا الله !.. يا الله! .. أنا لا أصدق حتى الآن !!"

سألتها ماجدة " لم الغرابة ؟"

صاحت أروى " الغرابة ؟!! .. قولي الخبر العجيب .. الصدفة العجيبة .. فأنا من أشد معجبيك "

قالت ماجدة متفاجئة " صدقاً؟! "

أجابت أروى " أجل .. وتناقشنا أكثر من مرة في بعض التفاصيل "

قالت ماجدة بغباء " لم ألحظ اسمك من قبل "

ضحكت أروى وقالت " لأني أكلمك من حساب باسم Mi min على الفيسبوك "

ردت ماجدة " آسفة لا أذكر الاسم "

Des. Maryam Tamim

قهقهت أروى تقول " بالطبع لا تذكرين .. وكيف ستتذكرينني وسط آلاف المعجبات "

ابتسمت ماجدة في حرج تتمتم " لا تبالغي "

قالت أروى مازحة " أووه الكاتبة الكبيرة شخصية متواضعة جدا "

تمتمت ماجدة " لا أعتبر نفسي كاتبة أنا مجرد هاوية تحاول إمتاع الأخرين ببعض من الخيال "

سألتها أروى بحماس " هل سأحصل على توقيعك حين أراك ؟! "

ضحكت ماجدة وقالت " أروى كفى مزاحا أنا بالفعل في ورطة كبيرة "

تكلمت أروى مصححة " أنا لا أمزح أنا من اشد معجبيك يا فتاة وقرأت التسع روايات المكتملة التي كتبتيها وأتابع الرواية الحالية كل أسبوع "

Des. Maryam Tamim

ردت ماجدة مصححة " عشر روايات كاملة وواحدة قيد التنزيل"

صاحت أروى بمفاجأة " ما هذا هل فلتت مني رواية لك .. دعينا نراجع رواياتك سويا لأرى أي منهم سقطت مني "

قالت ماجدة بنفاذ صبر " يا بنت ارحميني وكفي عن المزاح ماذا سأفعل مع وائل ؟"

سألتها أروى " ماذا ستفعلين في ماذا؟ أنا لا أعرف أين المشكلة أصلا في أنك تكتبين روايات رومانسية على الإنترنت (وعادت للهجة المازحة من جديد) يا الله لا أصدق حتى الآن أن إحدى كاتباتي المفضلات هي صديقة عزيزة "

تكلمت ماجدة متأثرة بوصفها بالصديقة العزيزة " لم أقصد أن أخفي الأمر عنك يا أروى لكن كما

Des. Maryam Tamim

تعلمين عمر صداقتنا قصير وتوطد في فترة صعبة من حياتي وهي فترة غيبوبة وائل فلم تكن هناك فرصة للحديث عن أي تفاصيل أخرى "

ردت أروى بجدية " أنا متفهمة طبعا .. المهم أخبريني لم تشعرين بصعوبة إخباره بم تفعلين على الإنترنت ؟"

قالت ماجدة بحنق" أنا لا أريد أن يعرف أحد بشخصيتي الحقيقية .. أحب أن أفصل حياتي الخاصة عن حياتي ككاتبة .. ولهذا اخترت الكتابة على الانترنت تحت اسم مستعار أفضل من النشر الورقي .. أما بخصوص وائل .. فأنا .. أنا لست مستعده لإخباره بعد بهذا الأمر ..مازالت الحواجز بيننا كثيرة .. وهذا الأمر خاص جدا بالنسبة لي .. يظهر ما في مخيلتي وأعماقي "

Des. Maryam Tamim

قالت أروى متحيرة " لكنك قلت أن استخدامك للحاسوب كثيرا مع اختفائك وقت رفع الفصل على الإنترنت يثير بداخله شكوكا نحوك "

تحرك وائل يقترب من غرفتها ويرفع يده ليطرق الباب لكنها تحجرت حين سمع ماجدة تتكلم في الهاتف .

قالت ماجدة " إنه يرصد تحركاتي اكثر من ذي قبل ومتواجد في البيت بكثرة هذه الأيام فلاحظ ذلك .. ولا أعرف هل ما وصلني من شكه في أمري صحيحا أم اني أتخيل .. وأشعر أن كذبة صديقتي التي أحدثها مساء كل جمعة لن تكون مقنعة له بعد الآن .. ولا أعرف ماذا أفعل "

Des. Maryam Tamim

قالت أروى متهكمة " ابحثي عن مبرر آخر .. ألست كاتبة من العيار الثقيل ؟"

تمتمت ماجدة بتوتر " لا أعرف ماذا أفعل؟ "

قالت أروى بجدية " إليك .. سأوضح لك الحالتين .. إذا أخبرتيه سترفعين عن كاهلك ذلك التوتر التي أنت فيه .. وإذا لم تخبريه سيزيد شكه فيك .. (أخذت نفسا عميقا ثم أكملت وهي تنهت من إرهاق الحمل) وعلى اعتبار أنك خمنت ما يفكر فيه بشكل صحيح .. فأخشى من رد فعله .. فهو كأي رجل شرقي لن يتهاون في مسائل الشرف والعرض . . وإن كان جانبا مني يتمنى أن يكون تفكيرك صحيحا ليتذوق وائل ولو قدرا بسيطا مما شعرت به أياما كثيرة من قبل "

ردت ماجدة متأثرة " أعلم ذلك .. لكني لن أتحمل رؤيته يتجرع من كأس الخيانة إنه مُر كالعلقم ولن أتحمل أن يتذوقه حتى لو كان واهماً "

Des. Maryam Tamim

ارتبك وائل خلف باب الغرفة .. ولم يستطيع سماع المزيد.. فعاد إلى غرفته بسرعة يستعيد كلماتها في ذهنه مصعوقا "

"يرصد تحركاتي! .."

" كذبة صديقتي على الإنترنت! .. "

"الخيانة !.. "

"لا أعرف ماذا أفعل !"

أما أروى فصمتت ولم تجد ما ترد به .. فقالت ماجدة " قوليها ولا تتحرجي .. قولي بأني حمقاء .. فأنا أعلم ذلك وأعترف به .."

ردت أروى مشفقة " وأنا لا أقل عنك حماقة وصدقيني لو تعرضت لا قدر الله لمواقف مماثلة مع عمرو لكنت نافستك في الحماقة .. فأنا أحبه إلى هذا الحد من الجنون والحمق مثلك "

Des. Maryam Tamim

زفرت ماجدة بحيرة وغمغمت " سأرى ماذا يمكنني أن أفعل يا أروى "

صاحت أروى بسرعة " انتظري لا تغلقي قبل أن تخبريني من الذي يرسل الخطابات للبطلة ؟.. سأموت من الفضول .. ألست صديقتك؟! "

ضحكت ماجدة وقالت بإرهاق " ليس الآن.. سأخبرك فيما بعد.. فلست في مزاج يسمح بالحديث عن الرواية ..ووائل يريدني مستعدة للذهاب لحفل ..أعدك بأن أخبرك لاحقا "

سألتها أروى باندهاش " أي حفل "

ردت ماجدة " لا أعلم حتى الآن .. سأذهب سلام"

قالت أروى مودعة " حسنا يا كاتبتنا الكبيرة .. اذهبي في رعاية الله .. ولا تخشِ على سرك إنه في بئر عميق يا (سيدة الظل جوجو) "

Des. Maryam Tamim

***

أغلقت أروى الهاتف وقالت تضرب كفا بكف محدثة نفسها " يا الله !.. ما هذه الصدفة العجيبة ..أتعرف على شخصية سيدة الظل جوجو الحقيقية وأكتشف أنها صديقتي !! هذا لا يحدث إلا في الروايات التي تؤلفها سيدة الظل جوجو نفسها..

بعد دقائق كانت أروى قد وضعت عليها اسدالها وتقف ممسكة بباب حماتها لتضغط على الجرس ثم تعود مرة أخرى لكرسيها المتحرك مدعمة بطنها الثقيلة بيدها ..

عليها القيام بهذه الخطوة .. فقد زارت حماتها بعد ذلك اليوم الذي مرضت فيه بضع مرات أخرى لكنها كانت بصحبة عمرو وكانت زيارات سريعة .. وانتظرت أن تدعوها المرأة يوما من نفسها .. أو

Des. Maryam Tamim

تتصل بها أو أي خطوة من جانبها لمحاولة توطيد العلاقة بينهما لكن لم يحدث شيء .. فقررت أن تبادر هي بزيارتها بدون عمرو علها تستطيع إحداث تطور أكبر في علاقتهما من أجل عمرو .. لأنها تريد إسعاده فهي تعرف كم يتوق لأن يرى أمه وزوجته على علاقة جيدة .

فتحت صابرين لها الباب مرحبة فدخلت بكرسيها لتجد حماتها تطالعها بدهشة من الزيارة المفاجئة وبدون عمرو فقالت أروى بمرح " كيف حالك يا خالتي ؟"

ردت عفاف بهدوء " بخير الحمد لله وأنت كيف حال الحمل "

قالت أروى " بخير .. يركل ويركل طوال الوقت لكنه اليوم لم يركل أو يتحرك منذ الصباح لا أدرى لماذا؟"

Des. Maryam Tamim

تكلمت عفاف تنظر لبطنها المنتفخة وردت " ربما لأنه كبر ما شاء الله فقلت المساحة حوله .. كلي شيئا حلوا سيتحرك " .

لم ترغب أروى في إخبارها بأن أمها أخبرتها بنفس الشيء على الهاتف منذ قليل لتعطي لعفاف الفرصة لأن تشعر بأنها صاحبة الاقتراح المفيد فقالت " سأجرب .. هل لديك شيئا حلوا .. مثلا مربى البرتقال التي تصنعيها إنها رائعة "

لاحت ملامح الزهو على عفاف وقالت لصابرين " هات بعضا من مربى البرتقال يا صابرين وأعدي لي قهوة "

قالت أروى وهي تستقيم لترفع اسدالها عنها وتلقي به ثم تعود لكرسيها المتحرك مرة أخرى" ما رأيك أن أعد لك أنا القهوة ؟"

أشارت لها عفاف برأسها موافقة رغم عدم تغير ملامح وجهها الجاد .. فتحركت أروى نحو المطبخ

Des. Maryam Tamim

وراء صابرين .. بينما عفاف تتأمل بنطالها الوردي القطني الذي يصل حتى ركبتيها وذلك الفستان القطني القصير جدا وكأنه بلوزة بدون أكمام وتمتمت في سرها " مادامت ستلبس له كل يوم بهذه الطريقة لابد أن يجن عقله بالتأكيد"

بعد قليل عادت أروى وخلفها صابرين تحمل صينية القهوة وكوبا من العصير لأروى.. فجلست الأخيرة بجوار حماتها لتجدها تتابع مسلسلا تركيا .. فاستغلت الفرصة لإيجاد حديثا مشتركا بينهما وبدأت بالاستفسار عن قصة المسلسل وسؤالها عن بعض التفاصيل فيه مبدية اهتمامها على الرغم من أنها لا تهتم بقصة المسلسل الذي يبدو لها عاديا بالنسبة لمسلسلات أخرى شاهدتها وأغلبها كورية ..

حين شجعتها أروى على الحديث عن أحداث المسلسل انطلقت عفاف للاسترسال في التفاصيل

Des. Maryam Tamim

التي بدت أروى مهتمة بها ومتعاطفة معها مثلها تماما .. وبدأت تسمع منها عن قصص أخرى حكت عنها زوجة ابنها في مسلسلات كورية فتحمست عفاف رغم التحفظ البادي على وجهها .

أخيرا قالت أروى " سأحضر لك الحلقات على حاسوبي في أي وقت تريدين البدء في المتابعة ونشاهده سويا "

ردت عفاف تحاول أن تخفي اهتمامها " من الممكن بعد الغداء.. لا بأس معي "

فرحت أروى لتلك اللهفة منها بينما فتح عمرو الباب يلقي السلام بعد أن أخبرته في رسالة واتساب أنها عند والدته حتى لا يعود ولا يجدها في الشقة فيقلق .

قبّل عمرو رأس والدته ثم سأل أروى " هل تحرك ؟"

أشارت أروى برأسها بلا فقال " دعيني أجرب طريقتي ستفلح "

ومال برأسه عليها فدفعته في صدره بعيدا وهي تحدجه بنظرة توبيخ لتذكره بما اتفقا عليه من عدم القيام بأي أفعال قد تثير غيرة والدته.. فتكلم عمرو ببراءة وهو يجلس بجانبها " ماذا فعلت أنا؟؟!!.. ألا تريدين أن تطمئني على حركة عبد الرحمن "

وبخته أروى مرة أخرى بينما نظرت إليه عفاف بفضول فقال مفسرا " صدقيني يا أمي كلما اقتربت منها أو قبّلتها يركل معترضا .. هذا الولد سيتعبني "

ابتسمت عفاف بينما قالت أروى تكتم ضحكتها بيدها " أخشى أن يكون مثل المثل القائل (الولد مثل خاله) "

[4618]

صاح عمرو بغيظ " لا لا .. لن أتحمل ابن سماحة آخر في حياتي .. وقتها سأعطيه له ليربيه ثم أخطفك أنا وأختفي ولا يعرف أحد بمكاننا "

قهقهت أروى وشاركتهما عفاف الضحك .. فصاحت أروى فجأة تمسك بطنها " تحرك .. تحرك يا عمرو .. يبدو أن ما قلته لم يعجبه "

فأسرع عمرو بوضع يده يتحسس بطنها المنتفخة ليشعر به يتحرك ثم قال لعفاف " صدقيني يا أمي أنا لا أعجب هذا الولد .. سأريك "؟

حرك عمرو يده الناحية الأخرى من بطنها يتحسسها مداعبا .. لتنتقل الحركة للجهة التي يداعبها عمرو .. فأطرق برأسه وتمتم ببؤس " لماذا ِيا بني تعاملني بهذا الشكل ؟.. أنا والدك صدقني " .

Des. Maryam Tamim

قهقهت أروى وهي تربت على كتف عمرو مواسية .. لكنهما كانا سعيدان جدا من نجاحهما في إضحاك عفاف .

حين قامت والدته وذهبت للداخل لبعض الوقت مال عمرو على أروى مجددا .. فهمست تبعده " ماذا تفعل يا مجنون ؟؟"

رد بحنق هامس " لم آخذ قبلة عودتي من العمل"

أبعدته موبخة " عمرو قلنا لن نثير غيرتها بقدر المستطاع ولا تجلس ملتصقا بهذا الشكل اجلس بعيدا "

زم شفتيه واستقام واقفا يقول " سأنزل لأبدل ملابسي وسأتركك لضميرك ليعذبك بعدم إعطائي قبلتي "

Des. Maryam Tamim

قالت وهو يفتح باب الشقة " أحضر لي حاسوبي معك من فضلك فهناك مسلسل أريد أن أريه لخالتي "

اتسعت عيناه وهتف باستنكار " هل ستجعلين أمي تشاهد مسلسلات كورية هي الأخرى !!! "

ارتسمت ابتسامة مغيظة على فمها وقال " تناقشنا في المسلسلات وأخبرتها بقصة مسلسل فأبدت رغبة في التجربة ومشاهدته "

قال بغيظ " ووكي ؟!! "

قهقهت ثم ردت " لا .. هذه المرة جان هيوك "

ردد مستنكرا " هيوك !! "

قالت أروى بسرعة " إنه رجل وقور محترم وليس مثل هذا المدلل وكي الذي لم أعد أشاهده "

عقد حاجبيه يطالعها بشك .. فرفرفت برموشها ببراءة .. ليجز على أسنانه ويخرج ممتعضا صافعا

Des. Maryam Tamim

الباب خلفه بعنف .. فوضعت يدها على فمها تكتم ضحكتها .

***

في المساء :

نظرت ماجدة لفيلا أحد أخوالها متوترة بينما ركن وائل السيارة .. لقد تفاجأت حين أخبرها أنه عازم على حضور حفل يقيمه أحد أعمامه .. ومن وقت إبلاغها وهي متوترة لإصراره على اصطحابها معه ..

ترجل من السيارة ودار حولها ليسير بجوارها شاعرا بتوترها .. ثم سمح لها أن تدخل من باب الفيلا أولا معجبا بحلتها الأنثوية البنية وكعبها العال .. وشعرها المصفف بعناية ..

استدارت إليه تقول بتوتر " مازلت لا أرى سببا لمجيئي اليوم معك "

Des. Maryam Tamim

وضع يده على ظهرها وقال " علينا أن نظهر معا أمامهم .. وعليّ أن أثبت للجميع أني موجود في حياتكم حتى لا يتجرأ أحد منهم على التطاول عليكم مرة أخرى "

قالت بتوتر " وماذا لو جاءت سيرة سامي .. أو علم أحد منهم بما فعلت به أمس "

رد وائل مطمئنا " سأكون في غاية السعادة إذا تطرقوا إلى هذا الأمر"

توترت أكثر من اللهجة الغريبة التي يتحدث بها وائل بينما صاح وائل بفرح زائف وهو يدخل على العائلة " اشتقت إليكم "

سلم وائل على أعمامه وأسرهم المتفاجئين بحضوره ومعه زوجته .. ثم أجلس ماجدة وجلس بجوارها فقال وصفي أكبر أعمامه " حمدا لله على

Des. Maryam Tamim

سلامتك يا أبا ميري كنا نرسل لك تمنياتنا بالشفاء العاجل "

رد وائل بنبرة لا تخلو من السخرية " أَخبروني .. شكرا على باقات الورود التي ملأت رواق المستشفى من عائلتي الكريمة "

تكلم أحد أعمامه يقول " ما هذه المفاجأة لم نكن نعلم أنك ستحضر تجمع العائلة اليوم "

ابتسم له وائل ورد " أنا عائد من الغيبوبة نادما على أشياء كثيرة من ضمنها عدم التواصل مع عائلتي لهذا أصريت أنا وجوجو على الحضور "

تطلع الجميع لماجدة التي دارت ارتباكها خلف القناع الجليدي لتتفاجأ بيد وائل تمسك بيدها .. بينما دخلت سوزان ابنة وصفي الشابة واقتربت من وائل مهللة مرحبة فانتبه لها ووقف بلباقة يسلم

Des. Maryam Tamim

عليها لكنها اقتربت وقبلت وجنتيه تقول ببعض الميوعة " الحمد لله على سلامتك يا ابن عمي .. آسفة لم استطع زيارتك تعلم كنت في فترة حداد "

رد وائل بدبلوماسية " أهلا سوزي .. البقاء لله علمت بوفاة زوجك بعد أن استفقت من الغيبوبة ".

تطلعت سوزي لماجدة وقالت متصنعة المفاجأة " آسفة ماجي لم ألحظ وجودك "

واقتربت منها تقبِّل وجنتيها بفتور بينما ماجدة تقبض قبضتيها بجانبها بقوة تقاوم رغبة ملحة لسكب كأس العصير فوق رأسها الأحمر ..

هتفت سوزي " هل فعلا ما سمعناه أن وائل قد كتب أحد محال الذهب باسمك؟"

Des. Maryam Tamim

قال وائل متصنعا الدهشة " هل وصلكم الخبر بهذه السرعة !! "

فضحكت قائلة " لا شيء يختبئ يا عزيزي "

رد وائل " هذا حقيقي لقد أهديتها أحد المحلات فرفيقة عمرى تستحق أكثر من ذلك " ورفع يد ماجدة إلى فمه يقبلها وسط دهشة الحضور ..

قال وصفي " وما أخر أخبار الأعمال .. هل استطاع أمير تصريف الأمور أثناء غيابك ؟"

قال وائل " الحمد لله .. الحقيقة أنه أبلى بلاء حسنا في إدارة الأعمال في غيابي فاجأني أنا شخصيا .. وأثبت لي أنه تاجر ابن تاجر حتى ولو قرر أن يتبع طريق التدريس بالجامعة .. المهم ما أخبار

Des. Maryam Tamim

مشاريعك يا عماه أريد أن أشاركك في أحد مشروعاتك ؟"

تهلل وجه وصفي ونظر لإخوته ثم قال " وكأنك أتيت في الوقت المناسب نحن نحتاج لشريك إضافي في مشروع ضخم ننوي البدء فيه "

أبدى وائل اهتماما رغم علمه مسبقا بتفاصيل المشروع المقدمين عليه فأكمل وصفي بحماس "سننشئ قرية سياحية على طراز عالمي ولدينا مساهمين ومستثمرين عرب وأجانب ونحتاج لشريك إضافي معنا لحاجتنا للسيولة من أجل المشروع "

رد وائل متحمسا " وأنا موافق مبدئيا .. أخبرني ببعض التفاصيل "

Des. Maryam Tamim

قال عمه وصفي " لم تكن مهتما بالاستثمار من قبل وكنت مكتفيا بالأملاك وبالحياة الهادئة " .

رد وائل بهدوء " ومازلت كذلك .. هذا المشروع ستشارككم فيه جوجو وأنا من أباشر كل ما يخص حصتها فيه "

حدق الجميع في ماجدة التي ابتعلت ريقها وحاولت عدم إظهار أنها متفاجئة .. بينما ضحك وصفي بعصبية وقال " ومن أين ستأتي ماجدة بالسيولة ؟"

قال وائل بهدوء " أنا سأمولكم يا عماه بما تريدون لكن شريكم الرسمي هي ماجدة " .

تكلم وصفي متفهما " لا بأس .. دعني أطلعك على تفاصيل المشروع "

Des. Maryam Tamim



تدخلت إحدى النساء تقول بترحيب " تعالي يا ماجدة معظم النسوة يجلسن في الغرفة الأخرى ودعي الرجال يتحدثون عن العمل"

تحركت ماجدة لتتنفس قليلا بعيدا عن مفاجآت وائل التي ستصيبها بأزمة قلبية .. لا تدري علام ينوي ويخطط بالضبط .. وجلست في الغرفة الداخلية تشاهد عبر الباب وائل المستغرق في الحديث مع خالها وصفي بينما تلك الحمراء سوزي قد جلست مكانها ملتصقة به بذلك الشورت الفاضح التي ترتديه دون حياء .. وتعجبت من لهجة النسوة اللاتي بدأن يرحبن بها بحرارة بعد أن كانت مجرد لا شيء عندهم لسنوات طويلة .. متسائلة أهذا التغير بسبب المال؟ أم بسبب حضور وائل معها وذلك الاستعراض الذي استعرضه أمامهم؟ .



تسرب إلى مسامعها همسات نسائية جانبية كعادتهن وهذه المرة كانت عن تلك الحمراء سوزي الشابة التي تزوجت رجلا عجوزا ومات منذ فترة قصيرة لترث منه الكثير .. فتطلعت مجددا لسوزي التي ازدادت التصاقا بوائل مدعية اهتمامها بمشاركتهم الحديث .. وبالرغم من اندهاشها من تحفظ وائل البادي عليه نحو سوزي .. فهو لم يكن يترك أنثى من قبل دون مغازلة ولو حتى على سبيل التسلي ..

لم تستطع ماجدة التحمل أكثر فاستقامت تاركة الجلسة النسائية المملة عائدة إلى حيث يجلس وائل .. ووقفت تنظر لسوزي بنظرة مخيفة من خلف القناع الثلجي الصامت وقد تجاهلتها الأخيرة مدعية انشغالها بالحديث ..

Des. Maryam Tamim

فقطع وائل كلامه لينظر لماجدة مندهشا وقال " جوجو لم تقفين ؟ .. تعال بجانبي (ثم نظر لسوزي يقول) هلا افسحت لزوجتي قليلا لتجلس بجانبي "

تلعثمت سوزي وابتعدت بحرج فشد وائل يد ماجدة لتجلس بجانبه ثم لف ذراعه حول خصرها وعاد للحديث مع عمه .. فلم تدري ماذا تفعل؟ .. هل تتحمل نار الغيرة وتبتعد؟ .. أم تتحمل نار لمساته لها وذلك الاهتمام الذي يربكها منه .. فهو لا يعطيها فرصة لتحلل الأمور وتستوعب ما يحدث..

التوتر جعلها تشعر بتقلصات في معدتها حتى أنها جلست على العشاء غير قادرة على الأكل .. فشعرت بيد وائل على ظهرها قبل أن يميل عليها هامسا" لم لا تأكلين ؟"

Des. Maryam Tamim

ابتلعت ريقها ورائحة عطره تحتل حواسها وأجابت "معدتي متقلصة ولا أرغب في الأكل "

فسأل أحد الأعمام " لم لا تأكل ماجدة ؟"

رد وائل بابتسامة " الحقيقة معدتها متعبة وأتمنى أن تكون شكوكنا صحيحة "

نظر إليه الجميع بتساؤل فاتسعت ابتسامته وأكمل " نشك في أنها حامل .. كثفوا الدعاء ليكون ما نشك به صحيحا فنحن نشتاق لطفل ثالث ..ماجد .. ماجد وائل مجدي موريس "

***

بعد ساعات كانت ماجدة تفتح باب الشقة بعصبية ملقية التحية على الفتاتين اللتان تشاهدان التلفاز واتجهت نحو غرفتها مباشرة بينما دخل وراءها

Des. Maryam Tamim

وائل ملقيا التحية أيضا على الفتاتين وأسرع وراءها فاتسعت عينا الفتاتين باندهاش .

دخل وائل غرفة البنات فوجدها قد خلعت سترة الحلة ليظهر تحتها بلوزة حريرية قصيرة بدون أكمام فوق بنطال الحلة الذي يحدد تفاصيلها بإغواء .

قال بهدوء " أنا لا أفهم سبب عصبيتك الآن ؟"

هتفت باستنكار " لا تفهم أنك صنعت مني دمية من أول ما أخبرتني في آخر لحظة إلى أين نحن متجهان ثم ذلك الاستعراض أمامهم وتصنع الحب والغرام وإدخالي في مشاريع لا أفهم فيها شيء ثم تلك الكذبة التي ألقيتها في وجه الجميع أننا ننتظر طفلا ! "

Des. Maryam Tamim

رد بهدوء واضعا يديه في جيب بنطاله " أنا لم أقصد أي استعراض جوجو .. لم أخبرك إلى أين نحن متوجهان لأني خشيت من توترك قبلها لوقت طويل.. أرأيت معدتك متقلصة لمجرد مكوثك لبضع ساعات معهم .. ثانيا كل ما أوليته لك من اهتمام كان صادقا لم أكن أدعيه فأنت تستحقين أكثر من ذلك "

صاحت بانفعال" أنا لا أريد أن أستحق يا وائل .. كما أن تلك الأموال التي تغدقها عليّ ليست هي الحل وليست ما ستنسيني الماضي .. أنا لا أريد ما أستحقه .. أريد ما يُفعل دون سبب وجيه "

اقترب منها بهدوء فخانتها شجاعتها أمامه كالعادة فتراجعت قليلا للخلف لتجد خزانة الملابس خلفها..

Des. Maryam Tamim

أسند وائل بيده على الخزانة بجانب رأسها وقال " أخبريني كيف أثبت لك أني مهتما بك بالفعل؟.. وأني لا أفعل ما أفعل لتعويضك فقط عما صدر مني ولكن بدافع الحب أيضا ؟ "

أطرقت برأسها دون رد .. فحفر بأظافره في خشب الخزانة يكبت ما يشعر به من غليان منذ أن سمع بجزء من مكالمتها على الهاتف اليوم .. ذلك الجزء المبتور الذي حمل كلمات لو صدقها لاستحق أن يقتل نفسه إن لم يقدر على قتلها اعترافا منه بأنه يتجرع من نفس الكأس الذي أسقاها منه يوما .. نادما على انسحابه بسرعة أثناء المكالمة .. كان عليه أن يسمعها كاملة .

رفعت ماجدة وجهها إليه تقول بعذاب " أنا أشعر بالارتباك يا وائل .. وأشعر أنك تضغط عليّ .. أنا

Des. Maryam Tamim

غير قادرة على ترتيب أوراقي أو تحليل ما يصدر منك تحليلا منطقيا كي أصدقه .. من الصعب أن أعيش سجينة بعذاب حبك لامرأة أخرى خمسة عشر سنة .. لتفاجئني بأنك كنت تحبني أنا في الأصل .. كيف أتقبل مشاعرك فجأة بعد خمسة عشرة سنة ؟.. أريد فرصة للاستيعاب يا وائل .. ولتصديق أنك لا تتعامل معي بدافع الإحساس بالذنب "

قبض يده بجانبها بقوة وسألها " هل هذا هو السبب فقط ؟.. أنك مرتبكة وغير مستوعبة .. أم أن هناك أسبابا أخرى تمنعك من التجاوب معي .. (لمس ذراعها يقول بلهجة خافتة متوسلة) .. امنحيني فرصة لأثبت لك أني قادر على احتوائك وفهمك يا جوجو .. امنحيني فرصة واحدة أرجوك "

رن هاتفه فنظر في الاسم ليتحرك مغادرا وهو يقول " هذا طبيبي عليّ أن أرد عليه لأني تحدثت إليه في

Des. Maryam Tamim

الصباح فلم يرد .. إنه في مؤتمر خارج البلاد .. لا تذهبي إلى أي مكان لم نكمل حديثنا بعد .. أريد التحدث معك ".

بمجرد أن غادر الغرفة تنفست الصعداء تحاول ترتيب أفكارها .. كل ما فيها يرغب في الاستسلام له .. بأي ثمن .. حتى لو كان الأمر مجرد نزوة عابرة لديه أو مدفوعا بالإحساس بالذنب فقط لا غير .. أو شفقة بها أو أي مسمى آخر لا يهم ..

ما يهم .. هو الاستسلام له وتنفيذ كل ما يرضيه .. حتى ولو اقتصر الأمر على النوم في أحضانه فقط آخر الليل ..

لكن ..

كيف تُخرِس صخب الأفكار في عقلها ؟؟ .. وكيف تقتل كرامتها المجروحة .. تغتالها اغتيالا حتى لا يبقى ما يقف حائلا بينها وبينه .

Des. Maryam Tamim

في غرفته قال الطبيب لوائل " دعنا من أمر سامي الآن وما فعلته به سنتحدث فيه عند عودتي .. هل أنت متأكد مما تقوله بشأن زوجتك ؟"

صاح وائل بحنق " أنا لا أتوهم هذه المرة يا دكتور وإن كنت أتمنى ذلك ..لكن هناك شيئا مريبا يحدث .. هناك أمرا تخفيه عني يخصها .. وكلامها اليوم في الهاتف يؤكد لي أن هناك أمرا لا تريد إخباري به "

صمت الطبيب قليلا ثم قال " ولم لا تواجهها .. لم لا تسألها مباشرة لتقطع الشك باليقين "

لم يرد وائل .. فسأله الطبيب " هل أنت خائف من إجابتها ؟"

تكلم وائل بخفوت " بل أنا مرتعب .. ولا أعلم كيف سيكون رد فعلي .. صدقني أنا أخشى عليها مني ..

Des. Maryam Tamim

فلو هذا حقيقي سيكون بسببي أنا وليس بسببها ..
أنا من جعلتها تلجأ لأمر كهذا بسبب إهمالي لها "

سأله الطبيب " حدثني كيف تتصور الأمر .. أقصد هل تعتقد أنها تقابله مثلا ؟".

انفعل وائل قائلا" ماجدة لن تفعل أمرا كهذا أبدا حتى لو كانت ارتبطت بشخص آخر عاطفيا فلا أصدق أبدا أن تقابله أو تفعل أمرا مشينا ".

سأله الطبيب مجددا " كيف تتوقع الأمر إذن؟ اخبرني عن تصورك له ؟"

سحب وائل نفسا عميقا ثم قال " توقعي إما أنه يعيش في بلد آخر أو أنها ترفض مقابلته مكتفية بمحادثات على الأنترنت .. وأن الأمر بينهما لا يخرج عن مجرد دردشة (وارتعش صوته يحاول

Des. Maryam Tamim

التحكم في أعصابه) وربما بعض الاهتمام من الطرف الأخر والدعم النفسي (وحك جبينه بارتعاش يتحكم في أعصابه أكثر وقال بخفوت) يا إلهي أنا أتحدث عن زوجتي التي أشك في أنها تحدث رجلا آخر .. والمفروض أن اتحدث بمنتهى التحضر والهدوء .. أي عذاب هذا!! .. أي انتقام هذا يا الله ! "

قال الطبيب " لمَ لم تضع احتمال أن تكون صديقتها كما أخبرتك "

رد وائل منفعلا مجددا " الأمر فيه نوع من الشغف والالتزام بموعد محدد.. كما أنها اليوم أكددت بلسانها على الهاتف أن موضوع صديقتها كذبة "

قال الطبيب منهيا الحديث " عموما أنا أرى أن عليك مواجهتها وتحدي خوفك من الإجابة .. أنت متفهم جدا لحالتها وواعي بالأسباب .. وحَسِن الظن بها وبسلوكها .. ولديك يقين أنها لن تقع في

Des. Maryam Tamim

الخطأ تحت وطأة مشاعرها أو احتياجها العاطفي ..
كما أني أرى شيئا إيجابيا في هذا الموقف وهو اختبار درجة تحكمك في نفسك وفي أعصابك رغم صعوبة الموقف .. عموما لا تتعجل الأمور ولا تقفز للاستنتاجات فما أخبرتني به من الممكن أن يفسر بأكثر من تفسير .. من الممكن أن تكون صاحبة مدونة .. أو تكتب أشعارا أو مشتركة في مجموعة نسائية على الفيسبوك تحل مشاكل العضوات .. أو مجموعة أدبية تناقش الروايات .. هناك أكثر من تفسير فتروى قليلا .. ولا تحمل أعصابك فوق طاقتها "

بعد قليل كانت ماجدة بالمطبخ وقد فتحت مجموعتها على الفيسبوك (المجموعة الرسمية للكاتبة سيدة الظل جوجو) تقرأ تعليق طريف

Des. Maryam Tamim

لإحدى القارئات عن فصل الأسبوع الماضي
فأضحكها التعليق وبدد من توترها ..

إن احتكاكها بالقارئات باختلاف أنماطهن
الشخصية وتلقي ردود أفعالهن عما تكتب يبدد
توترها ويبهجها .

حين دخل وائل عليها وهي تبتسم للهاتف لم
يستطيع التحمل فقال منفعلا " علام تضحكين؟؟
"

تفاجأت بوجوده وأغلقت الهاتف تتمتم " إحدى
صديقاتي أرسلت لي نكتة "

اقترب منها يقول " أريني إياها "

شعرت بالتوتر فقالت مراوغة " لماذا ؟"

Des. Maryam Tamim

لاح الخطر على وجهه واقترب أكثر صائحا في وجهها بانفعال " أريد أن أرى الهاتف يا ماجدة "

تغلبت على ارتباكها تقول " بأي حق؟ "

صرخ منفعلا يضرب على خزانة بجانبه" بأي حق !! .. بأي حق !! .. هل تعايريني يا ماجدة !!"

قالت بسرعة" لا أقصد يا وائل .. اسمعني"

خطف الهاتف من يدها هادرا بقوة " حسنا مادام ليس لي الحق لأني زوج مهمل ومذنب في حقك فدعيني ألتزم بهذا الدور فلم يعد هناك أمل في إصلاحي "

وألقى بالهاتف بعنف ليرتطم بالحائط ويسقط مهشما على الأرض صائحا " فلنستكمل دور الزوج المذنب في حقك "

[4643]

ثم سحق الهاتف بقدمه يقول بانفعال " أرأيت كيف أحترم خصوصيتك يا ماجدة !!"

تجمد وجهها تمنع نفسها من البكاء أمامه .. فلا تريد أن تريه ضعفها .. فتجاوزته هاربة إلى غرفتها بسرعة تغلق عليها بابها .. بينما وقفت الفتاتان على باب المطبخ تراقبان الموقف بتوتر .. فغطى وائل وجهه بكفيه ناظرا لأعلى يحاول التحكم في غضبه .. لتدخل ميري تلملم الهاتف المهشم من الأرض بينما وقفت أنجيل تمسد على ظهره بحنان .. فلم يستطع التحمل وترك المطبخ والشقة كلها مغادرا ..

بعد منتصف الليل بقليل كانت ماجدة في سريرها تكتب ..

Des. Maryam Tamim

هاربة من مشاعرها وأحاسيسها المؤلمة ..

تتخيل عوالم أخرى أفضل وعلاقات أخرى أكثر سهولة وشاعرية ..

تحاول تخفيف واقعة تهشيم هاتفها على نفسها وهي التي تعتمد عليه في الكثير من الأمور ..

جلست تكتب بإحباط بعد أن اتصلت بأمير من هاتف ميري لتطمئن أن وائل بخير .. ليخبرها بأنه اتصل به وأنه بخير يجلس مع أصدقائه في الخن .. فطلبت من أمير أن يساعدها في إصلاح الهاتف أو اصطحابها إلى أحد المحال لشراء هاتف جديد .. فوعدها بتنفيذ ذلك في مساء اليوم التالي ..

تسربت إلى وجدانها ألحان أغنية من الأغاني التي تسمعها أنجيل بينما صاحت ميري " أخرسي هذه الأغاني أريد أن أنام .. وأمي تريد التركيز "

قالت أنجيل متنهدة بلهجة حالمة " إنها أصالة وصوتها الرائع كيف أخرسه يا غبية "

ردت ميري بغيظ " ما ذنبي أنا وذنب أمي ضعي السماعات في أذنيك"

قالت أنجيل " اصبري حتى تنتهي الأغنية إن أمي تحبها جدا .. أليس كذلك يا أمي ؟"

ردت ماجدة " أجل أحبها .. لكن اسمعي بسماعة الهاتف بعد أن تنتهي هذه الأغنية .. فأنا أريد بعضا من الهدوء اتفقنا "

أومأت أنجيل برأسها فزفرت ميري بغيظ ووضعت الوسادة فوق رأسها تسد أذنيها ..

شردت ماجدة في كلمات الأغنية ولم تدري أن وائل قد وصل إلى البيت واقترب من غرفة البنات لكنه

Des. Maryam Tamim

وقف متسمرا عند الباب يستمع للأغنية معتقدا أن ماجدة تسمعها عمدا أو ربما تريد أن ترسل له رسالة غير مباشرة ..

عايز الحق .. أيوه القلب فى حبك دق
أيوه حلمت إن إنت تكون لى .. وإنى أكون لك

وفات الوقت ..

وجيت دلوقت ..

وأنا مضطره اقولك .. لأ.. لأ.. لأ

إستنيتك عمر بحاله وإنت بعيد..
كان من حقى .. إنى أقابل حد جديد ..
يعنى إنتهت كل الحكاية ..

[4647]

وماعدش فاضل غير سكوت ..

وفات الوقت ..

وجيت دلوقت .. وأنا مضطرة أقولك لأ .. لأ .. لأ

تلفت وائل لا يعرف أين يذهب ..

هل يعود للشارع؟..

أم يدخل ليعطيها ما أحضره ؟؟

لكنه تحرك نحو غرفته شاعرا برغبة في قتل نفسه .. فرمى ما أحضره لها وجلس مطرقا .. ولم يدر أن بضع دمعات قد فرت من جانب عينيه بينما كلمات الأغنية لا تزال تطارده حتى داخل حدود غرفته .

جيت متأخر والايام مابتستناش

جاى تقولها .. لأ من فضلك متقولهاش

[4648]



مين يبتدى بعد النهاية ؟

مين بعد ما الأيام تفوت ؟
ما فات الوقت ...

وجيت دلوقت..
وانا مضطرة أقولك .. لأ .. لأ .. لأ

في صباح اليوم التالي التزمت ماجدة غرفتها ولم تخرج وهي تسمعه يحضر الفطور للبنات .. فلم تكن راغبة في الاحتكاك به حتى تعطي لنفسها فرصة لترتيب أوراقها ..

بعد مغادرة البنات .. لم تسمع أي صوت بالخارج لفترة طويلة فخرجت من محبسها الاختياري لتتأكد من أنها وحدها في الشقة وأنه غادر مع بناته .. فتنفست الصعداء ودخلت للمطبخ تعد لنفسها شيئا تأكله .. لكنها اندهشت حين وجدته قد أعد

لها الإفطار ككل يوم .. ووردة حمراء بجوار الطبق المغطى .. وعلبة أخرى كبيرة ملفوفة بورق الهدايا اللامع .

ازدادت ضربات قلبها بترقب وهي تمسك بدلاية سلسالها وتقترب من المنضدة .. ثم فتحت العلبة لتجد هاتفا جديدا .. ورسالة .. فتأملت خطه الأنيق وقرأتها "

جوجو .. أنا آسف مرتين .. مرة بحكم العادة .. ومرة من أجل انفلات أعصابي أمس .. أنا أثق بك يا جوجو وأتمنى أن تثقي بي أنت أيضا .. وأعدك أني سأتفهم أي شيء قد تخبريني به .. عموما سأتركك دون أن أضغط عليك لترتبي أفكارك .. وتأكدي من أن مشاعري تجاهك حقيقية فلو كان الأمر نابع من عقدة الذنب لاكتفيت بالتعويض المادي والتزمت بعدم رغبتك في تقربنا .. لكني رغم جرح كرامتي غير

Des. Maryam Tamim



قادر على الاستسلام لاحتياجي الشديد إليك .. أحبك ..يا صديقتي العزيزة "

اشتعلت وجنتيها ودق قلبها بعنف فمدت يدها للوردة الحمراء تحدثها بغيظ " أنتِ حمقاء يا جوجو .. قوليها أيتها الوردة ولا تتحرجي .. فأنا بالفعل حمقاء وأحبه مهما فعل "

ورفعت الوردة إلى شفتيها تمنحها قبلة حائرة .

***

قبل اسبوع من زفاف سيد وآية :

رد سيد على الهاتف يقول " يا أهلا بسكاكر أعيادي "

ضحكت آية بدلال وقالت " هل أنت في الشقة؟ "

رد مغازلا " أجل في شقتنا يا روح الفؤاد بقي أمورا بسيطة وسينتهون منها اليوم وننقل الأثاث بعدها فورا "

قالت آية بجدية " سيد أنت تجهد نفسك كثيرا رحمة أخبرتني أنك لم تنم تقريبا الأيام الماضية وتضغط على نفسك لجني المزيد من المال لدفع التزاماتك .. أرجوك يا سيد ترفق بنفسك .. يكفي ما اشتريناه بالفعل من أثاث .. وأخبرتك من قبل أنه لا داعي لإقامة حفل زفاف من الممكن أن نحتفل في الشارع هنا ببعض الموسيقى والـ dj وكفى .. وانس أمر السفر بعد الزفاف لشهر عسل من الممكن تأجيله لأي وقت قادم .. يا سيد صدقني أنت وكفى بالنسبة لي "

رد سيد بحنق طفولي " لكني أريد أن أقيم حفل زفاف أغني فيه وأرقص أنا وأنت حتى تتكسر عظامنا

Des. Maryam Tamim

.. أريد أن أقيم لك حفلا لا ينسى تحكيه لأولادنا وأولاد أولادنا "

تكلمت بخفوت " يكفي أن أحكي لهم كيف تحققت أمنيتي بالزواج من سيد الرجال .. وكيف أحبني من بين بنات حواء كلهن .. يكفي أن أخبرهم كم أعشقه لدرجة أنني على استعداد للتنازل عن أي شيء ..كالأثاث وحفل الزفاف وكل شيء في مقابل أن يكتمل الحلم وألا نفترق للأبد "

صمت قليلا ثم قال على إيقاع نبضات قلبه الراقصة " كل هذا الكلام لي أنا يويا ؟"

ردت بصوت متأثر بالعاطفة " ليتني أعرف كيف أغني كنت غنيت لك كل أغاني العاشقين أو كيف أكتب الشعر .. فلن يكفيني أن أكتب فيك آلاف القصائد .. لكني لا أعرف سوى الرسم فقط "

Des. Maryam Tamim

ابتسم يتذكر تلك اللوحة التي أهدتها له .. رسمت وجهه ضاحك السن والعينان وكتبت تحتها بالخط العربي عبارة " وإني أحبك " .. وتذكر كيف تأثر جدا بهذه الهدية .. فقطع شروده أحد العمال يريد أن يأخذ رأيه في شيء فأخبره أنه سيلحق به بعد قليل وقال لآية " سأتصل بك فيما بعد "

فصاحت " انتظر نسيت أن أخبرك بسبب اتصالي"

صمت سيد مترقبا فقالت" ما دمت في الشقة تعال إلى الشرفة "

خرج سيد لشرفة شقته المواجهة لبيت سماحة والتي تواجه بالتحديد غرفتها .. فأطلت إليه من على باب الشرفة ليجدها ترتدي شورتا من الجينز فوق الركبة بقليل وبلوزة فضفاضة قصيرة تسقط عن أحد كتفيها .. بينما شعرها ملموما كضفيرة طويلة .. أشار لها بسرعة أن تبتعد عن الشرفة إلى الداخل رغم أنها لم تتعدى باب الشرفة ثم صاح

Des. Maryam Tamim

باستنكار " هل تفتحين باب شرفتك وأنت بهذه الملابس .. ماذا لو كان هناك من يتلصص من نافذته "

ردت عليه مدافعة " أنا فتحت الباب الآن أمامك ولم أخرج للشرفة وكل الأدوار التي أمامي من المبنى لم تسكن بعد "

رد بحزم " الحرص واجب يا آية "

رفعت يديها بجانب رأسها تلقي عليه تحية عسكرية قائلة " تمام يا أفندم "

ابتسم لشقاوتها فقالت وكأنها تذكرت شيئا " بالمناسبة فادي اعتذر عن حضور حفل الزفاف "

كشر يقول مدعيا عدم الفهم " فادي من ؟"

Des. Maryam Tamim

ردت باستنكار " فادي ورد يا سيد .. اعتذر لي عن الحضور لسفره خارج البلاد ليلتها ليحضر حفل مع ضحى ستتسلم فيه جائزة عالمية "

رد بهدوء " أعلم أنها مرشحة لجائزة عالمية .. (وأكمل بامتعاض) عموما من الجيد أنه لن يحضر فسماجته لا تعجبني "

اطلقت آية ضحكتها فرفع حاجبا يقول " هل هذا ما أردت أن تخبريني به على وجه السرعة "

ردت آية بسرعة " كلا أريد أن آخذ رأيك (وتحركت تحضر من على السرير شيئين صغيرين من القماش الأبيض وفردتهما أمامه الواحد تلو الآخر وقالت) أيهما تفضل ؟"

Des. Maryam Tamim

أخرج سيد نظراته ووضعها على عينيه وقال " أنا لا أرى سوى الشورت الجينز وما يحتويه من جمال وحلاوة "

ضحكت وقالت " أتكلم بجدية يا سيد أيهما تختار؟"

سألها باستنكار " ما هذا؟ أنا لا أرى سوى قطع من القماش "

ضحكت آية وردت بدلال "هذان قميصان للعرائس لكني لا أعرف أختار أيهما لليلة الزفاف"

تطلع سيد للقطع الصغيرة في يديها وفرك جبينه وقال وهو يتحكم في ابتسامته " لكني لن استطيع أن أقرر يويا إلا إذا رأيتهم عليك "

ضحكت بحرج وقالت " بعيدا عن أني لم أجد الشجاعة بعد لارتدائهم .. لكن كيف ستراهم وقد وبختني بما فيه الكفاية على المقطع المصور الذي

Des. Maryam Tamim

أرسلته لك وتأكدت من أني حذفته من هاتفي وحذفته أنت بكل قسوة من هاتفك "

قال محذرا " إياك وتصوير نفسك مرة أخرى بالهاتف فقد يضيع أو يُسرق يا آية ولا أريد الحديث عن وسائل الحماية الحديثة للهواتف وتلك الأمور التي لا أفهمها "

زفرت آية وقالت بامتعاض " سمعا وطاعة يا أفندم لن أكررها .. أيهما أخترت القصير أم الأقصر منه "

قهقه سيد ضاحكاً وقال بلهجة مغازلة " سنؤجل القرار لليلة الزفاف .. لكن السؤال المهم هل ستملكين الشجاعة وقتها لارتدائهم "

ردت بثقة "بالطبع وقتها سيتغير كل شيء "

فردد بهمس يشدد على الحرف " أجل كل شيء "

Des. Maryam Tamim

أجفلها طرقات عالية على باب غرفتها فارتبكت آية تقول " أحمد "

وكورت القميصين ووضعتهما تحت وسادتها بسرعة .. ليدخل أحمد مقتحما الغرفة ويشاهد الشرفة المفتوحة وسيد الذي يقف في الشرفة المقابلة فقال بغيظ " ما هذه الفوضى .. (وأخذ الهاتف منها وتوجه لسيد يقول ما هذا يا حضرة المحترم ألا تستحي على دمك ؟"

منحه سيد ابتسامة متسلية فأغلق الهاتف في وجهه ثم أغلق باب الشرفة بعنف .. فشتم سيد بغيظ .. بينما توجه أحمد لآية يقول " هذا ما نأخذه من البنات .. أين التصاميم التي طلبتها منك يا ست أخيها .. ألا يكفي أنك ستعطلين العمل بذهابك في رحلة شهل عسل وكأن لا أحد غيركما تزوج"

Des. Maryam Tamim

ردت بسرعة " جاهزة.. التصاميم جاهزة "

صاح آمرا " أريدها حالا "

وترك الغرفة يبرطم في عصبية لتلملم تصاميمها وتخرج خلفه .. فأخذها منها يطالعها بعين فاحصة بينما اقتربت هي من بانة وأروى وأمها في غرفة المعيشة تسألهم بخفوت" من أخرج الوحوش من مخبأها ؟؟!"

ردت أمها ضاحكة "الطبيبة النسائية "

نظرت آية لبانة باستفهام فتكلمت أروى ضاحكة " الطبيبة أخبرته بأن بانة حامل بأنثى "

شهقت آية تقول" يا إلهي ! ليس هناك كونت قادما.. بل كونتيسة !! "

Des. Maryam Tamim

ردت بانة تزم شفتيها " أحرجني أمام الطبيبة وهو يلح عليها بعصبية أن تعيد الفحص وأنها قد تكون مخطئة لكنها أصرت على أنها أنثى "

قهقهت أروى بينما ربتت إلهام على ظهر بانة تقول " لا تحزني إنه يمزح صدقيني أحمد لا يفكر بطريقة رجعية أبدا "

أومأت بانة برأسها وتطلعت لأحمد الذي دخل عليهم متخصرا مغتاظا يقول "عم تتهامسن .. عن ذلك الابتلاء "

صاحت أروى فيه موبخة " أي ابتلاء هذا وهل البنات ابتلاء ؟"

أطرق أحمد برأسه يقول ببؤس طفولي " سيقيم أبا قردان على شرفي حفلا من ألف ليلة وليلة "

Des. Maryam Tamim

انفجرت أروى في الضحك حتى تألم بطنها المنتفخ أمامها فقال لها بنبرة خطرة مهددا" إياك أن تخبريه "

ردت بعينين دامعتين من الضحك " وهل هذا أمر يمكن إخفاؤه للأبد .. عموما سبق السيف العذل لقد أرسلت له الخبر على الواتساب بالفعل "

جز أحمد على أسنانه يصيح " حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا أم طائر أبا قردان الصغير "

فتح الحاج سماحة الباب ملقيا السلام يقول" لم صوتك عال بهذا الشكل؟"

قالت آية " بانة حامل بأنثى يا أبي "

رد الحاج " أخبرني أحمد (وأشار لبانة لتقترب ثم قال وهو يربت على ظهرها) مبارك يا ابنتي البنات رزقهم واسع " .

Des. Maryam Tamim

هتف أحمد بحنق مشيرا بسبابته لبانة " اسمعي يا بنت الخازن لا أريدها حلوة مثلك .. إياك ".

تدخلت أروى قائلة " بل ستشبهني أنا إن شاء الله"

قال أحمد محذرا بانة بإصرار " أكرر إياك أن تكون حلوة مثلك أو مثل أروى أو مثل آية .. أريدها أن تشبهني أنا حتى لا يتزوجها أحد "

جحظت عينا بانة مصعوقة .. بينما صاحت إلهام في وجهه " أعوذ بالله ما الذي تقوله !! "

فقهقه الحاج .. ليهتف أحمد مستنكرا " تضحك يا إبراهيم !! .. ألا يكفيني ما سيقيمه أبا قردان من احتفالات على شرفي "

همس له الحاج متهكماً " استمر يا بني ولا تيأس فقد تستطيع أن تفعلها المرة القادمة "

Des. Maryam Tamim

صاح أحمد باستنكار " حتى أنت يا أبي!! .. أتشمت في ولدك .. فلذة كبدك يا إبراهيم !!

***

ليلة زفاف سيد وآية :

في إحدى الفيلات في منطقة نائية خارج العاصمة والتي تم تأجيرها لإقامة حفل الزفاف.. وقف الشباب الأربعة وخامسهم أمير متأنقين في حُلات رسمية أظهرت وسامتهم .. وقد بدا على سيد التوتر الشديد يتطلع في الساعة كل دقيقة .. فاقترب منه وائل يعدل له من رابطة عنقه وسترته قائلا بسخرية لا تخلو من الإعجاب " ماذا هذه الوسامة يا بني .. هلا قرأت عليه المعوذتين يا شيخ

Des. Maryam Tamim

عمرو؟ .. ما بك يا سدسد هل هذه أول مرة تتزوج يا رجل "

ابتسم له سيد ابتسامة صفراء مستخفة .. فتأبط وائل ذراعه هامساً حتى لا يسمع أحمد .. ليحشر عمرو رأسه بينهما يستمع لما يهمس به وائل " لا تقلق يا حبيبي سترفع رأسنا إن شاء الله .. هل تحب أن أعطيك بعض النصائح والتوجيهات "

قهقه عمرو بينما ابتسم سيد لكنه لم يستطع السيطرة على توتره ..

فرغم إشرافه على تفاصيل الحفل بنفسه لكنه يريده أن ينتهي بسرعة ليتحقق حلمه أخيرا ..

تمتم بقلق " أشعر أني قد أموت قبل أن ينتهي هذا الحفل "

Des. Maryam Tamim

حوقل عمرو وقال " تفاءل يا سدسد ربك كريم في عطاءه (وربت على كتفه) سيمر أجمل مما كنت تظن إن شاء الله "

ثم غمزه يشير على أحمد الذي يقف يديه في جيب بنطاله يتأمل القاعة بشرود .. فاقترب منه سيد وأحاط ذراعه برقبته قائلا بابتسامة سعيدة "تعرف أني أحبك يا كونت أليس كذلك ؟"

مط أحمد شفتيه ورد ببرود " جميل "

قهقه سيد وهزه يقول " هل تذكر حين كنت متعلقا بك ونحن صغار .. وسعدت جدا أني برسوبي مرتين أصبحت معك بنفس الصف ؟"

داعبت الذكريات مشاعر أحمد .. لكنه حافظ على ملامحه الجادة .. فهزه سيد مرة أخرى يقول " لا

Des. Maryam Tamim

تقلق عليها أبدا .. فأنا لن آخذها بعيد عنك .. بل أنا من سأقترب منكم أكثر وأكثر .. "

استمر أحمد على جموده الزائف .. فأكمل سيد بلهجة متأثرة " أنا لا أعرف كيف أصف لك مشاعري.. فالأمر لا يقف عند ارتباطي بحب عمري .. الأمر يا أحمد يتعدى ذلك بكثير .. يقربني من البيت الذي تربيت فيه .. ويقربني من أبي وأمي اللذان لم أعرف غيرهما .. وأيضا يربطني بالكونت للأبد .. يا بني أنا أحبك وأنت تعرف ذلك "

مط أحمد شفتيه بامتعاض وتمتم " أصبحت عاطفيا لزجا كصاحبك الآخر "

قهقه سيد ثم قال " لا تقلق عليها سأدللها "

استدار إليه أحمد يحدجه بنظرة مغتاظة فأنفجر سيد في الضحك ..

Des. Maryam Tamim

ليبعد أحمد ذراعيه عنه قائلا " سأقول لك ما قلته لعمرو من قبل .. أنس صداقتنا وأنس أنك كنت تعرفني إذا ما أحزنتها يوما .. والله لن يكفيني تمزيقك لأشلاء وإطعامك للكلاب ".

قال سيد بعد أن هدأ ضحكه فاردا ذراعه على كتفي أحمد " هذا كلام أحمد صهري وأخو زوجتي .. أين مباركة صديقي الكونت لي في يوم زفافي ؟ "

أبعد أحمد ذراع سيد عنه يتحرك مبتعدا وهو يقول بامتعاض " ألم أقل لك أصبحت لزجاً ".

ابتعد أحمد وهو يسمع ضحكاته العالية والتي يعلم تماما أنها مشبعة بالسعادة رغم القلق البادي عليه .. ليقطع بهو الفيلا الكبيرة الذي أمتلأ بالحضور على الرغم من أن الحفل كان يضم المقربين فقط من كل جانب وتم التعتيم بشأنه في وسائل الإعلام طلبا لبعض الخصوصية .. وصعد السلم الطويل في

Des. Maryam Tamim

آخر البهو والمزين بالورد والبالونات والذي من المفترض أن تنزل منه آية بعد قليل تتأبط ذراع الحاج سماحة كما كانت تتمنى دوما ليوم زفافها وهو ما نفذه لها سيد ..

في البهو الكبير لمح وائل أسرته تدخل الفيلا وقد سبقهم منذ الصباح الباكر ليباشر مع الشباب التحضيرات والديكورات .. ليجد الإناث كن يلبسن اللون الموحد الذي اختارته آية للمقربات من العروس وهو اللون الأرجواني .. فتأمل ماجدة وهو يقطع المسافة للوصول إليها .. ترتدي فستانا بسيط التصميم يعكس شخصيتها الخجول المتحفظة .. طويل بأكمام حتى المرفقين تصفف شعرها معقودا للخلف بعقدة منتفخة أسفل رأسها مزينة بوردات فضية .. كانت أنيقة وراقية وخاطفة لأنفاسه وكذلك كريستين التي اختارت موديل

Des. Maryam Tamim

بنفس اللون يناسب بطنها المنتفخ بينما الفتاتان ارتديتا فستانين متشابهين بتنورة من التل الأرجواني تنتهي بعد الركبة بقليل وأكمام قصيرة .. وحذاء ذا عكب عال .. مما أثار دهشته فسأل ميري " ألم تعترضي على الموديل التي اختارته أنجيل بدعوى أنه يجعلك كالدمية "

تكلمت ميري بغيظ " رضخت لإلحاح ابنتك المدللة التي كادت أن تُزهق روحي بنحبيها المستمر بجوار رأسي حتى نلبس نفس الموديل .. ونبدو أمام الجميع كعرائس ماريونت بلهاء "

قهقه وائل بينما قال أمير مغيظا " فعلا يا ميري تبدين كالباربي شقراء بفستان حالم ياللفظاعة ! "

بينما تعلقت أنجيل بذراع أختها تهديها ابتسامة سعيدة ممتنة فزفرت ميري بعصبية قائلا " أوف أوف !!"

Des. Maryam Tamim

شاكس وائل والدته التي ارتدت رداء أسود وغطت كتفيها بوشاح أرجواني فقال " ما هذا يا أمي .. هل ترتدين اللون الأرجواني الموحد أنت أيضا !!"

ردت أمه بكبرياء " ألست واحدة من النساء المقربات للعروس ؟"

قهقه وائل وقال " بهذا الحجم أنت قبيلة من النساء دفعة واحدة يا أمي "

حركت حاجباها ترد بكبرياء " حتى أملا العين الفارغة يا عيون أمك " .

قهقه مجددا وهو يقبل رأسها ويساندها لتصل لإحدى الطاولات متمتما من بين ضحكاته "أحببت نظريتك جدا يا أم وائل "

أجلسها على إحدى الطاولات ثم تأمل فستان ماجدة ولمعت عيناه وهو يرى سلسله يزين رقبتها

Des. Maryam Tamim

.. ثم حرك عيناه على قدها يرسمه بنظرات معجبة وأعصاب توشك على الانفجار وقال " أليس ضيقا قليلا هذا الفستان؟ "

تطلعت إليه بدهشة وهي تداري تأثير إطلالته الوسيمة الشقراء عليها منذ أن دخلت الفيلا وقالت " كيف ضيق ؟ (ونظرت لحماتها بشك) أهو ضيق يا خالتي ؟"

ردت أنجيل تقول " الفستان عادي ولكنه هو من ستنفجر أعصابه "

شهقت ماجدة بحرج من تعليقها ودارت كريستين ابتسامتها بينما هتف أمير بوجه محتقن " أمي !!"

عدلت أنجيل من وضع نظارتها على أنفها ثم وضعت كفيها فوق بعضهما على بطنها العالي

Des. Maryam Tamim

أمامها وردت ببراءة " ستنفجر من الغيرة عليها ماذا قلت أنا !!"

أشاحت ماجدة بوجهها فقال وائل بصوت خافت "هذا جزاءك لأنك استشهدت بأمي "

سحب لها الكرسي لتجلس فتعرقت وجلست بارتباك .. ليقف مستندا بيده على ظهر مقعدها متلكأ في الابتعاد يتأمل القاعة الكبيرة أمامه ثم مال عليها يهمس لها " ما رأيك لو نقيم لنا عرسا وأتزوجك من جديد؟"

رفعت وجهها إليه بعينين متسعتين .. فأهداها ابتسامة عريضة بينما السعادة تشع من زرقة عينيه .. لتعود وتتأمل الحضور هاربة من حصاره الذي عاد مجددا منذ ليلة أمس بعد أن التزم بعد تلك الرسالة التي تركها لها مع الهاتف في ذلك اليوم بألا يضغط عليها فكان يحرص على إعداد الفطور لها يوميا مع الوردة وكلمة آسفة ليخرج ولا يأتي إلا في

Des. Maryam Tamim

ساعة متأخرة منشغلا في المشروع الذي يشارك فيه أعمامه وفي إدارة المحلات ومع سيد في ترتيبات الزواج .. ليتجدد حصاره من جديد بعد عودتهما من حفل ليلة الحنة التي اقامتها آية في بيت سماحة للنساء وأقامها سيد في الشارع للرجال .. فيحاول مغازلتها من جديد متحدثا في أمر ذلك التلقيح الصناعي الذي يهذي به .. وبعد بعض المشاكسات منه تركها تهرب إلى غرفتها بعد أن دغدغ أعصابها بشقاوته .

في الدور العلوي من الفيلا وبالتحديد في الممر الطويل مؤدي للغرف العديدة مر أحمد على الغرفة التي يستعد فيها الحاج سماحة .. فطرق الباب ودخل ليجده مرتديا حلة رسمية والذي بمجرد أن علم بوجوده أشار له بربطة العنق يقول " ساعدني في ربط هذه أم أذهب لأروى لتربطها لي ؟"

Des. Maryam Tamim

تقدم منه أحمد وبدأ في ربطها وهو يتمتم " ما هذه الوجاهة يا إبراهيم ! .. هل تنوي الزواج على أمي على أساس أنك زوجت كل أولادك وارتحت الآن ؟"

ضحك الحاج ورد " وهل ستسمح إلهام بذلك .. ستقطعني حيا .. "

ضحك أحمد ثم قال بقلق " هل تعتقد أننا اتخذنا القرار السليم بتزويجهما .. أقصد .. لا أعرف أنا فقط قلق "

رد الحاج يربت على كتفه "أنت قلق لأنك تحبهما وبالتالي تخشى أن توضع في المنتصف بينهما .. وأنا أعلم أنك لن ترضى على إحدى أخواتك بما يزعجها .. اطمئن إن فضل الله علينا كبيرا وناسبنا رَجلين من خير الرجال "

Des. Maryam Tamim

انتهى أحمد من ربطها وقال " سأذهب لأرى لماذا تأخرت العروس المجنونة .. هل أنت جاهز لاصطحابها يا حاج ؟"

أومأ الحاج برأسه فتركه أحمد ليتوجه لغرفة أخرى تتجمع بها النساء حول آية التي يوضع لها اللمسات الأخيرة ..

طرق أحمد الغرفة وتنحنح للدخول ..

كانت الغرفة تحوي على أختيه وزوجته وأمه وأختي سيد.. والمرأة التي تهتم بزينة العروس .

لمح أحمد آية بفستانها فتمتم وهو يتوجه نحو بانة دون أن يدقق النظر فيها " أسرعي يا آية الجميع في الانتظار "

قالت بتوتر " حالا سأنتهي حالا "

Des. Maryam Tamim

توجه نحو بانة التي كانت في عينيه تخطف الأنفاس فابتسم لها ابتسامة باهته ومسح على بطنها الصغيرة التي تظهر بالكاد فالتصقت به تمسد على صدره شاعرة بمشاعره التي ينكرها .. بينما لكزت أروى آية تشير لها على أحمد .. فرفعت آية أطراف فستانها وتقدمت نحوه فازداد وجومه وإشاحته عنها رغم أنه كان واضحا لهم أنه يتعمد التجاهل ..

اقتربت آية وحضنت ذراعه ترفع وجهها إليه .. فطالعها بطارف عينه وقال بهدوء " ما هذا؟ .. كيف استطالت قامتك هل تقفين فوق أعمدة إنارة!"

تدخلت إلهام تقول بلهجة باكية " قلت لها سيؤلمك ظهرك وقد تقعين لكنها لا تسمع الكلام "

ردت آية بابتسامة عريضة" لا تقلقوا الامر كله تحت السيطرة "

فسأل أحمد والدته "لماذا تبكين يا أماه ؟!"

Des. Maryam Tamim

لم ترد الهام بل ازداد نشيجها متأثرة ولاح التأثر على البقية .. فتدخلت زهرة مندفعة تقول لآية "أرأيتِ .. والدتك تبكي لأنك ستتركينها وتعيشي في بيت سيد .. لا تجعليها تبكي وابق معها "

جحظت عينا آية بينما تحرجت رحمة وقالت بتوبيخ " زهرة ماذا تقولين !!"

ردت زهرة بحنق " ماذا فعلت أنا .. كنت أنصحها ألا تجعل أمها حزينة "

دفعتها رحمة برفق تنظر للجميع بحرج وتتمتم باعتذارات ثم قالت "سنسبقكم إلى أسفل"

ابتسمت أروى بينما قال أحمد" لأمه لا تبكي يا أمي إنها متلهفة جدا لتركنا"

التفت إليه آية تقول" ما هذا الكلام يا أحمد !"

Des. Maryam Tamim

رد عابسا كالأطفال" هذا هو الواقع انظري لنفسك"

تعلقت بذراعه تمنحه ابتسامة حلوة وتقول " ومن الذي سيستفز شياطينك يا كونت لتخرج من مخبأها .. بالطبع لن اذهب لأي مكان "

قرصت الدموع عينيه فتنحنح ليتماسك ورد "سنرى"

شعرت آية بتأثره وتطلعت إليه مصعوقة .. فلم تتخيل أن يكون متأثرا من أجلها إلى هذا الحد .. فاندفعت تقول" سامحني يا أحمد .. أنا أعلم أني ضايقتك كثيرا .. لكن صدقني لم أكن أحب ذلك.. ربما كنت أفعل ذلك حتى ألفت انتباهك لي .. لكني الآن أعتذر لك عما بدر مني .. فهناك أمور تكشفت لي مؤخرا .. أني كنت متهورة .. ومخطئة .. بينما أمور أخرى لا أعرف حتى الأن لما كنت تعترض عليها .. لكني بت متأكدة أنك تهتم لأمري بالفعل ..

Des. Maryam Tamim

وأنه رغم اختلاف نظرتنا كنت خائفا عليّ .. وأنا صدقني معظم تمردي كان يخص سيد وحده"

تكلم أحمد يحرك نظراته هنا وهناك حتى لا يظهر تأثره " وأنا أيضا قصرت في حقك .. ولم أرعاك كما يجب .. وتحججت بجنونك حتى أداري تقصيري .. أنا أيضا كنت مخطئا"

لفت آية ذراعيها حول عنقه تحضنه وبدأت في البكاء تتمتم" كلا يا أحمد لا تقل هذا .. أنا كنت فقط أحتاج لأن أشعر بأني مهمة عندك وأن عدم وجودي لن يكون سهلا عليك .. هذا يكفيني لم أكن أطمع في أكثر من ذلك "

حضنها وقال هامسا بتأثر " كنت أتمنى أن تطول المدة التي سأعوضك بها عن انشغالي عنك لكنك ملهوفة لتركنا "

شددت من ذراعيها حول رقبته .. فربت على ظهرها لتقول باكية" ومن قال أني سأتركك تنعم

Des. Maryam Tamim

بالحياة بدوني وتعيش حياة سعيدة للأبد مع سنيورتك .. أنا لن أسمح بذلك أبدا لا تنسى أني في المبنى المقابل " .

رد أحمد متهكما " ياللأسف ! .. ظننت أنني سأنعم بالسعادة الأبدية من الآن فصاعداَ"

تدخلت أروى تقول " كفاكما ما تفعلانه لقد تأخرنا على الضيوف وعمرو يتصل بي يستعجلنا "

أبعدها أحمد بحزم يتنحنح فسألته آية " ما رأيك في فستاني ؟"..

رد يتأملها " مبهر يويا ..مبهر"

سألته بقلق "هل تعتقد أنه سيعجب سيد .. فأنت بالتأكيد تعرف ذوقه "

رد ساخرا " لن يجد الفرصة لتأمل تفاصيله لأنه قد يغشى عليه بمجرد أن تطلي عليه.. لذا نحن جهزنا

استعداداتنا وجلبنا سيارة إسعاف تركن خارج الفيلا لأي طارئ "

ابتسمت في سعادة بينما دخل الحاج سماحة يقول بعصبية "ما كل هذا التأخير لا أفهم "

فلمحت عيناه آية بفستان العرس ليبتسم بحنان فاقتربت منه آية ترفع فستانها وسألته" ما رأيك يا حجوج "

قبلها على جبينها وغمغم" كنتِ منذ أيام تخطين خطواتك الأولى .. متى كبرت لتلبسي فستان الزفاف "!

اتسعت ابتسامتها تعدل له من ياقة قميصه قائلة بتأثر " أنت شديد الوسامة يا حجوجتي اليوم"

قبل جبينها مرة أخرى وقال بهدوء " اتق الله في زوجك وفي بيتك وكوني له السكن والراحة ولا

Des. Maryam Tamim

تعتمدي على حبك له أو حبه لك فقط .. هناك أمور كثيرة تحتاجون أن تكون حاضرة بينكما كي يثمر هذا الحب عن حياة هادئة "

أومأت برأسها بطاعة فقال الحاج " هيا أسبقونا وسنلحق بكم أنا ومدللة أبيها"

تحرك الجميع إلى الخارج ليجدوا عمرو ينتظر أروى التي تتحرك بالكرسي معظم الوقت لعدم إجهاد ظهرها خاصة وهي في المحطة الأخيرة من الحمل ..

بعد قليل ..

وفي بهو الفيلا الكبير والذي تحول لقاعة عرس .. كانت الموائد مصفوفة والمفارش البيضاء مزينة الأطراف بالدانتيل مفروشة على الموائد الدائرية والمقاعد التي ربطت ظهروها بفيونكات باللون

Des. Maryam Tamim

الأصفر الكناري متناغمة مع المزهريات الصغيرة التي تزين كل مائدة بوردات من نفس اللون أضفت بعض الدفء على المكان .. وهي نفس الوردات الصفراء التي تزين سور السلم الحديدي في أخر البهو والتي ستنزل منه آية ..

اقتربت رحمة من سيد تتأمل أناقته فاستقبلها بابتسامة هادئة .. لتتمتم بتأثر "يكفيني أنك سعيد .. فمنذ أن قابلتك لأول مرة لاحظت ذلك الحزن الأبدي الساكن في عينيك .. لهذا أنا في غاية السعادة أني رأيت تلك الفرحة التي تتراقص في عينيك أخيرا "

ابتسم لها بحنان وفتح ذراعيه يضمها وهو يقول " العقبى لك حبيبتي .. يومها سأقيم لك ليلة من ألف ليلة .. وأحسد هذا المحظوظ الذي سيتزوجك منذ الآن "

Des. Maryam Tamim

ثم أبعدها يعيد النظر في فستانها الأرجواني الهادئ الرقيق وتمتم " ما هذه الأناقة يا بنت .. أنا سأكون مشغولا اليوم عنك .. كيف سأفقأ عين من سينظر إليك عليّ أن أكلف أحد الحراس بحراستك طوال الحفل "

ضحكت بهدوء ثم أشارت بحركة من عينيها على زهرة الواقفة خلفهما توليهم ظهرها متكتفة في عبوس وهمست تخبره بما قالته منذ قليل لآية .. فانفجر ضاحكا ثم اقترب من زهرة يجلس أمامها على كعبيه قائلا " تبدين مذهلة في فستان العروس هذا يا زهرتي "

تأملت فستانها الأبيض من التل المنفوش القصير حتى ركبتيها بحمالات رفيعة وشريطا ورديا لامعا يحيط بخصرها ينتهي بفيونكة وقد فردت شعرها ترفع جانبيه بدبوسين ورديين ووقفت بخيلاء ..

Des. Maryam Tamim

فقال لها باستنكار " هل تضعين أحمر شفاه يا زهرة !! "

مطت شفتيها وتوردت تداري ابتسامة .. فضرب كفيه ببعضهما يحوقل ثم أشارا للحقيبة الوردية الصغيرة اللامعة وقال " كم حقيبة لديك يا بنت شربات .. هذه حقيبة جديدة أليس كذلك ؟"

ردت بزهو "عندي العديد من الحقائب "

تمتم قائلا " أنت تحبين الحقائب إذن"

أومأت برأسها فقال " ما رأيك أن أحضر لك المزيد من الحقائب من سفرتي أنا وآية"

علا الانزعاج على وجهها وقالت ببؤس "لم لا تأخذني معك وأختار الحقائب بنفسي"

تنحنح بحرج ونظر لرحمة ثم قال " هذه المرة سأذهب بمفردي مع آية وأعدك حين أعود أني سأذهب أنا وأنت وآية ورحمة في رحلة .. وأما

Des. Maryam Tamim

بالنسبة للحقائب.. سأرسل لك صورها وتخبريني أي منها تعجبك.. اتفقنا"

تقوس فمها لأسفل فاحتضنها متأثرا .. ثم قال لرحمة " سأجلسكما على طاولة الحاج والحاجة لأكون مطمئناً "

فربتت رحمة على كتفه تقول " لا تشغل بالك بنا .. سنلتزم بوجودنا مع الحاج والحاجة .. اذهب لاستقبال عروسك " .

على الطاولة المجاورة كان عمرو يُجلس أروى بجانب والدته التي حضرت بعد إلحاح للحفل .. قائلا في عبوس" كان من المفروض أن أحضر لك وشاحا إضافيا فهذا الثوب يظهر بطنك "

ردت أروى متهكمة "لأني حامل أتصدق ذلك! "

Des. Maryam Tamim

قال بغيظ "وكيف سأتحمل نظرات الجميع وهم يحدقون في بطنك "

ردت متهكمة " حين ينظرون إليها سيشفقون عليّ لا تقلق "

مط شفتيه واقفا أمامها عاقدا حاجبيه في عبوس فأشارت إليه بيدها ليقترب .. فمال بجذعه نحوها لتهمس في أذنه " هل تعتقد أن هذا وقتا مناسبا لما تفعل .. أنظر أين نحن وماذا نفعل وأنظر ماذا تفعل أنت "

فهمس باستنكار محدقا في عينيها عن قرب " وكيف أدرب نفسي على أن أغار عليك في الأوقات المناسبة أروى هانم !!"

قالت أروى هامسة بغيظ " ليس هذا ما أقصده يا عمرو "

تطلع إليها مندهشا ثم قال " علام تتحدثين إذن؟ "

Des. Maryam Tamim

فأشارت له ليقرب أذنه مرة أخرى ثم همست " هل هذا وقت مناسب لتزداد وسامة يا عمرو القاضي ؟ .. كيف سأغازلك الآن أمام الناس ! "

رفع حاجباه مندهشا يتطلع إليها لثوان ثم قهقه ضاحكا .. ليميل بعد ذلك يهمس في أذنها .. فاحمرت وجنتيها .. ليقول وهو يستقيم واقفا مرة أخرى " كل منا يعبر عن مشاعره بطريقته يا أم عبد الرحمن "

قالت له مصححة تداري اشتعال وجنتيها " بيدو "

فسأل بغباء " من ؟!"

فردت بهدوء" قررنا أنا وخالتي أن ندلل عبد الرحمن باسم بيدو "

فنظر عمرو لوالدته التي كانت منشغلة بمراقبة الحضور " بيدو يا أمي !!.. عبد الرحمن أصبح بيدو "!!

Des. Maryam Tamim

فابتسمت عفاف تقول " أحببت الاسم "

ضرب عمرو كفا بكف وقال " أنا ذاهب لأتفقد العريس يا أم بيدو "

وقف سيد بتوتر أسفل السلم الذي تنوي آية أن تنزل إليه منه مع الحاج سماحة .. واقتربت بانة من أحمد تتأبط ذراعه ليضع يده علي يديها بينما وقف وائل بالقرب من سيد يتأمل انفعالاته .. ويعطي إشارة لشاب الـ DJ ليبدأ ..

ظهرت العروس تتأبط ذراع والدها .. وبدأ صوت سيد بالقاعة مسجلا يلقي جزءً من تلك القصيدة الشهيرة التي كانت اعترافه لها بالحب يوم ..

يا آيتي ..

Des. Maryam Tamim



أحبك جداً ..
وجداً ..

وجداً ..
وأرفض من نار حبك أن استقيلا ..
وهل يستطيع المتيم بالعشق أن يستيقلا !
وما همني ..
إن خرجت من الحب حيا ..
وما همني ..
إن خرجت قتيلا..

ثم أذيعت أغنية اسماء الله الحسنى لهشام عباس ..ليتأملها سيد تنزل درجات السلم ببطء .. كشمس صغيرة تشرق بنورها على عينيه ..

فستانها الذي يلتف حول جذعها برقة من القماش الأبيض المشغول برسوم مفرغة وفتحة رقبة على شكل رقم سبعة كبيرة تبدأ من منتصف جذعها وتضيق طرفيها كلما صعدت إلى الكتف لتنتهي

Des. Maryam Tamim

بحمالات رفيعة .. ترتدي تحته طبقة أخرى من قماش أنعم غير منقوش يغطي فتحة الصدر والأكمام .. أما تنورة الفستان فكانت منفوشة من طبقات متموجة من التل الأبيض متدرجة أفقية ومتموجة رأسيا فوق بعضها وكأنها شلالات أو وريقات وردة بيضاء من التل .. ويربط الخصر شريطا فضيا لامعا ورفيعا وحجاب أبيض من التل مطعما برتوش رقيها فضية من نفس درجة شريط الخصر .. وفي قدمها حذاء أبيض لامع عالي الكعب ..

وضع سيد قبضته على فمه يقاوم رغبة شديدة في البكاء ..بينما شريط حياته يجرى سريعا أمامه وهو يتطلع إليها من أسفل السلم تتهادي ببطء متأبطة ذراع الحاج سماحة ..

Des. Maryam Tamim

المنظر ..

والشعور ..

كانا لا يصدقان أبدا ..

فذلك الرجل الذي صنع منه رجلا .. وجعله ذا قيمة وسط الناس .. علمه وقومه ولم يلقي به في الشارع حين اعوج مساره قليلا ولم ينفضه عنه وعن عائلته ..

الرجل الذي لولاه لشب جاهلا يأكل من قبضة يده .. والذي ظل يدفعه دفعا لأن يكمل تعليمه وهو الذي لم يكن مهتما بالأمر .. ومن قطع عليه طريقه للإدمان يوما بصفعة على وجهه مازال يذكر وقعها عليه ..

Des. Maryam Tamim

الرجل الذي يثبت لكل أب أن الأبوة ليست
بالتناسل ولكن بمن ربى وعلم وقوّم وصبر
واحتسب عند الله ولم ينتظر أجرا ولا مفاخرة ..

وحب عمره ..

الطفلة العصبية التي تعلق بها منذ أن رآها أول مرة
بحجم كف اليد غارقة في طبقات القماش .. ..
تحمل عينين عسليتين تحدقان فيه بتركيز ..

الشابة التي بمجرد أن نضجت قلبت كيانه كله وقد
حسب نفسه يوما إمبراطورا في عالم النساء ..
فجاءت بكل بساطة وأنزلته من فوق عرشه بإشارة
من إصبعها .. والتي استبد به اليأس والحرمان
باستحالة أن يملأ حتى عينيه منها .. باستحالة أن
يتطلع فيها كما يشتهي ..

[4694]

الطفلة التي رباها ..

والشابة التي ذاب عشقا فيها ..

يراها الآن في ثوب الزفاف كأجمل عروس رآها في حياته ..

الأثنان معا .. آتيان إليه ..

يقتربان ..

ويقتربان ..

أهو المقصود بالفعل؟؟؟!!!..

تطلع حوله وكأنه يبحث عن شخص آخر غيره يقف قريبا منه ربما كان هو المقصود .. مرجحاً أنه يعيش إحدى كوابيسه المتكررة .. بأنها تزف لشاب يصغره بالكثير ويفوقه بالكثير والكثير ..

Des. Maryam Tamim

عاد يتطلع إليهما من جديد وقد اقتربا .. والدموع تترقرق في عينيه ..

أهو المقصود حقاً !!..

أهو ذلك العريس .. لتلك .. الجنية الفاتنة .. حب عمره !! ..

شمسه الصغيرة..

صاحبة الضحكة التي تقطر عسلاً ..

إنه في ذلك الكابوس بالتأكيد .. وسيقطع المشهد الآن ذلك الشاب الذي سيخطفها ويحرق قلبه .

وصل الحاج سماحة والعروس لآخر السلم .. لكن سيد ظل متسمرا لثواني ضاغطا على شفتيه .. ثم اشاح بوجهه يمسح دمعة فرت من طرف عينه ..

واستدار ليجد من يقطع المشهد بالفعل كما رأه مرارا وتكرارا من قبل ..

إنه أحمد سماحة الذي خفف عليه من هول الموقف واندفع يسلم على والده بكل حرارة ويقبل وجنتيه وسط ضحكات الحضور ثم تطلع لآية التي لم تكن بأحسن حال من سيد .. فسحبت عينيها المسلطتين على سيد لتنظر لأحمد بعينين دامعتين فأقترب منها يقبل جبينها ..

بينما تحرك وائل يدفع سيد قائلا "تحرك يا بني آدم !.. اذهب لاستقبال عروسك "

Des. Maryam Tamim

تحركت قدماه نحوهم .. ليسلم على الحاج سماحة وينحني يقبل يده .. فأخذه الحاج بين ذراعيه .. ليقبل سيد كتفه وقد فرت بعض الدمعات من عينيه بالفعل وتمتم بلهجة متأثرة " لا أعرف يا أبي صدقا ما الذي فعلته خيرا في حياتي حتى أستحق من الله أن أُهدى بكم .. لكني سأظل شاكرا ممتنا لله سبحانه وتعالى طول العمر وأعدك أني لن أخون ثقتك هذه أبدا "

أبعده الحاج يتطلع فيه وقال " أنا الآن اطمأننت على أولادي أن كلهم في أيد أمينة .. بارك الله لكما وعليكما وجمع بينكما في خير "

تمتم أحمد يقول مشيرا على آية " هل آخذها وأذهب أم ماذا (ونظر لأية التي ترتجف بجانبه وقال) أريتِ لقد عدّل عن رغبته".

[4698]

تطلعت آية لسيد الذي كان في عينيها وسيما ورجوليا إلى حد يقطع الأنفاس .. والذي تقدم نحوها بخطوات بطيئة متعثرة يتأملها من رأسها حتى أخمص قدميها ثم أمسك برأسها يطبع قبلة بطيئة مرتعشة على جبينها ..فعلت الزغاريد وبدأت الزفة والفرقة الراقصة تزفهما .. لكنهما كانا يتطلعان ببعضهما معظم الوقت بعيون دامعة تقول (هل تصدق ما يحدث !) .

شبك سيد أصابعه في أصابعها فسألته " ما رأيك في فستاني"

قال يتطلع في عينيها العسليتين المكحلتين كعيون المها " رأيي أن توقعي كان صحيحاً "

سألته " أي توقع ؟"

فرد هامسا " أني سأموت الليلة من الفرح " .

Des. Maryam Tamim

قالت بتأثر وهي تمسح بعض الدمعات التي فرت من زاوية عينيه من جديد " بعيد الشر عنك يا حبيب روحي ".

مال يقبل يديها ثم قال " رأيي ستسمعينه في أول أغنية سأغنيها ".

بعد قليل وقف سيد في وسط القاعة يتكلم في الميكروفون قائلا " أنا سعيد بوجود الجميع الليلة ومشاركتهم لي في أهم وأسعد لحظة في حياتي .. ولقد أعددت بعض الأغاني التي سأغني جزءً منها بمصاحبة موسيقاها الأصلية وسأترك الجزء الآخر يذاع بصوت مغنيها الأصلي وبعض منها قد تكون من ألحاني .. وبالتأكيد كل الأغاني الليلة مهداه (ونظر لآية يقول بلهجة مرتجفة) لزوجتي آية سماحة "

Des. Maryam Tamim

علا التصفيق لتتغير إضاءة القاعة لأضواء خافتة رومانسية ويشير سيد لمهندس الـ DJ .. ويبدأ بعد قليل في الغناء لآية التي تعيش تلك اللحظات الاستثنائية بانبهار ..

أدي الي ف بالي بالملي..

قمر وم السما نزلي
دي بسم الله ما شاء الله..

تشوفها تسمي وتصلي

عشان أوصفها مالهاش حل ..
كلام أغانيا كله أقل
دي خير ف حياتي جاني وهل ..
ومن حظي إنه متشالي..

أمسك بيدها فتمايلت أمامه بدلال على ألحان الأغنية الهادئة ..

[4701]



بنسبه مية ف المية..
حاجات اتغيرت فيا
دي حلم بعيد .. يا ناس دي اكيد ..
هدية ربنا ليا
عشان أوصفها مالهاش حل ..
كلام اغانيا كله اقلل
دي خير ف حياتي جاني وهل ..
وم حظي انه متشالي

في واحدة لما تقابلها..
تسيب الدنيا وتجيلها
بغني سنين لكل الناس ..
وم الليلة هاغنيلها
عشان أوصفها مالهاش حل ..
كلام أغانيا كله أقل
دي خير ف حياتي جاني وهل ..
ومن حظي إنه متشالي..

[4702]



قبّل سيد يديها ودعا المتزوجين والعشاق لمشاركتهم في رقصة العروسين .. فامتلأت القاعة كل زوجين متعانقين .. فسحب أحمد يد بانة التي كتمت ضحكتها نحو ساحة الرقص ذات الضوء الخافت وأنوار صغيرة متحركة .. ووقفا تتعانق عينيهما وتتشابك أيديهما وقلبيهما .

بينما تطلع عمرو لأروى التي كانت واقفة بجوار كرسيها تشاهد الراقصين فقال لها "أتريدين الرقص ؟"

تطلعت إليه متفاجئة ثم قالت" إن ساعدتني قدماي كيف سأراقصك بهذا البطن المتنفخ"

Des. Maryam Tamim

ابتسم ولف ذراعه حول خصرها يدعم ظهرها وهو يقول " نحن نلبي أمنيات أم عبد الرحمن .. الشهير ببيدو .. عليها فقط أن تشير بأصبعها "

تطلعت إليه بعينين عاشقتين وهمست" وهل تعرف كيف ترقص يا أبا عبد الرحمن الشهير ببيدو ؟ "

شبك أصابع يده الأخرى بأصابعها وهمس في أذنها" لا أعرف للأسف لكني مستعد لأن أتعلم من أجل عيون أروتي أم بيدو "

اتسعت ابتسامتها فسألها " ألا يكفيك وقوفا وتجلسين على كرسيك قليلا ؟"

ردت وهي تتأمل الراقصين .. وتراقب وائل الذي اقترب من ماجدة " سأجلس بعد قليل تعبت من الجلوس "

Des. Maryam Tamim

تقدم وائل نحو ماجدة التي تسدل على وجهها القناع الثلجي وإن كان أقل جمودا ما اعتادت عليه ومد يده يقول " هل تسمحي لي بهذه الرقصة جوجو ؟"

ابتعلت ريقها تتطلع إليه بينما هتفت أنجيل الصغيرة بحماس "اقبلي يا أمي اقبلي"

وابتسامة ميري متسعة تراقبهما بتسلي فقالت أنجيل الكبيرة تشجعها " قومي أرقصي مع زوجك يا بنيتي .. كلهم في ساحة الرقص حتى كريستين تراقص أمير ببطنها المنتفخة "

نظرت ليده الممدودة أمامها بإصرار ووضعت فيها يدها المثلجة .. فسحبها برفق نحو ساحة الرقص واضعا يديه على خصرها يقربها منه فقالت بخجل " وائل !! .. ابتعد قليلا "

فقال بسرعة " آسف نسيت "

Des. Maryam Tamim

وفتش في جيوبه ليخرج أمام عينيها الذاهلتين شريط القياس يفرده أمامها قائلا " كم كانت المسافة؟"

شهقت تعيد إدخال الشريط في البكرة بسرعة وهي تتطلع حولها قائلة" وائل كفى مزاحا الناس حولنا يحدقون فينا ما الذي تفعله!! "

فرد ببساطة " أنفذ رغبات صديقتي الحبيبة "

تطلعت نحوه بغيظ فلف ذراعه حول خصرها يشدها نحوه بحزم ليلصق جسدها بجسده حتى اضطرت لوضع يديها الاثنين عل كتفيه وأشاحت بنظراتها بعيدا عن عينيه اللتان تسبران أغوارها وتربكانها .

تسربت موسيقى الأغنية بنعومة فأضفت الشاعرية على الأجواء .. وسرت الرجفة في الأجساد حتى خلجات القلوب .

Des. Maryam Tamim



أنا ... أنا كلى ملكك

أنا كل حاجة حبيبي فيا بتناديك
أنا .. أنا مش بحبك
الحب كلمة قليلة.. بالنسبة ليك
أنا .. أنا كلى ملكك
أنا كل حاجة حبيبي فيا بتناديك
أنا .. أنا مش بحبك
الحب كلمة قليلة بالنسبة ليك

ابتسمت آية تتطلع إليه وقالت " أحب هذه الأغنية جداااا"
فرد عليها هامسا " أعرف لهذا أخترتها لنرقص عليها سوياً "
إزداد تعلقها برقبته وهمست " سيد أنت اليوم وسيم إلى درجة قلبي غير قادر على تحملها .. "

ابتسم ومال يشدد من ذراعيه حول خصرها ويدفن وجهه بين كتفها ورقبتها غارقا في حضنها ..
فشددت من احتضانه أكثر تتطلع لأعلى وتراقب تلك الأضواء التي تتراقص على الحائط .. غير عابئة بتلك الدمعة التي تسيل من طارف عينها وهي تستشعر دفئه ورائحته التي تغزوها وتحتلها احتلالا .

إنت فرحة جت لعندى
بعد عمر من التعب
في السعادة اللي بعيشها
يا حبيبي انت السبب
ضحكتك عقلك جنونك
والحنان اللي في عيونك
اوصف ايه واحكيلك ايه

[4708]

شعر أحمد ببطنها الممتلئة قليلا بينهما فتمتم هامسا "هل تذكرين رقصتنا الأولى "

فأومأت برأسها مبتسمة وقالت " حين كنت تختبرني في التاريـخ ؟"

رفع حاجبا يقول " بالطبع لابد أن أختبرك هل أي فتاة عادية تتزوج من الكونت "

قهقهت وقالت مؤيدة " بالطبع لا "

ثم دندنت مع الأغنية بصوتها وهي تقبل عينيه بعينيها .. فاتسعت ابتسامته وأشاح بوجهه لثوان يتمتم بصوت مسموع " مستمرة بنت الخازن في مخططها لإغوائي وكأن هذا القدر من العشق لها لا يكفيها"

ثم عاد يتطلع إليها وهي تداعب أذنه بصوتها الجميل .

أنا ... أنا كلى ملكك

[4709]



أنا كل حاجة حبيبي فيا بتناديك
أنا .. أنا مش بحبك
الحب كلمة قليلة.. بالنسبة ليك

معاك بضحك وبفرح
مابقتش خايفة إزاى هخاف
وأنا بين ايديك
ساعات بخيالي باسرح
قبل ما بحلم كل حاجة بلاقيها فيك

نظرت ماجدة نحو طاولة عائلتها فسألها وائل
"فيمن تتطلعين باهتمام ؟"
فردت دون وعي " في أنجيل الصغيرة (ثم استدارت
لتنظر إليه وقالت باستدراك) أقصد لا شيء "
قال وائل بهدوء " أعتقد أن نظراتها لأبن سماحة
اختلفت وأصبح شخصا عزيزا لا أكثر "

Des. Maryam Tamim

حدقت فيه متفاجئة وقالت بخفوت " كنت تعرف؟!!"

رد عليها باستنكار " بالطبع كنت أعرف .. أنا لم أكن مغيبا إلى هذه الدرجة يا ماجدة وحتى لو كنت أتجاهلك وأنت عرفتي السبب .. كنت أهتم ببناتي .. انسيت أنهن من خرجت بسببهن من المستشفى حين علمت أنهن أتوا للحياة "

تكلمت ماجدة وقد توترت لغضبه " لم أقصد ذلك بالعكس أنت كنت تهتم بهما كثيرا في الفترة الأولى من حياتهما .. السنوات الأخيرة فقط (وصمتت قليلا تتطلع للانزعاج البادي على ملامحه وقالت) تقوقعت على نفسك أكثر وكنت تتمنى الانسحاب من حياتهما "

أطرق برأسه فندمت بقلبها الأحمق أن تفوهت بما قالت ليرفع رأسه لها معترفا " لا أنكر ذلك.. أنا نادم على ذلك صدقيني .. كنت في الفترة الأخيرة قد

Des. Maryam Tamim



استبدت بي الوحدة ولم أعد اطيق الادعاء وكأن قلبي قد أثقله الكذب .. وكما أخبرتك اخترعت شخصية مريم لتضعني أمام نفسي وتجعلني استفيق .. أنا كنت أرغب في الفرار ولاوعيي يرغب في إفاقتي من غيبوبة طويلة دامت لسنوات .. رأفة بحالي وحال قلبي .. ورأفة بكِ يا عمري الضائع "

كانت ضربات قلبها أعلى من الموسيقى خاصة حين قرب خده من خدها مقصرا المسافة بينهما رغم أنها لم تكن موجودة أصلا .. فأغمضت عينيها تستريح قليلا من كل شيء ..
من التفكير ..
ومن كرامتها التي توبخها ..
ومن مقاومة حضوره المعذب ..
ومن أنوثتها المحرومة الجائعة إليه وحده من دون كل الرجال ..

Des. Maryam Tamim

أغمضت عينيها ولم تعد تعي أي شيء سوى أنفاسه الساخنة على رقبتها ويديه التي تعزف اللحن على ظهرها برقة شديدة .. أما وائل فلم يستطع المقاومة فمال يطبع قبلة على رقبتها .. أصابتها بالرعشة فهمست باعتراض " وائل ماذا تفعل ؟؟ ..نحن أمام الناس!! "

فلم يجيب.. ولكن شدد من ذراعيه بتملك حول خصرها المنحوت بطريقة أزادت من عذابه .

والسنين هتفوت وتمشي
منك أنت أنا مش همل
بوعدك يا حبيبي عمرى
شوقي ليك ما في يوم يقل
هبقى فرحك وقت حزن
في التعب تلاقيني حضنك
كل يوم من عمرى ليك

Des. Maryam Tamim



أنا كل حاجة حبيبي فيا بتناديك
أنا .. أنا مش بحبك
الحب كلمة قليلة.. بالنسبة ليك

تطلع سيد لآية لثوان بعد انتهاء الموسيقى ومسح الدموع الهاربة من عينيها .. ليميل إليها يحضنها ويرفعها إليه ويلف بها مرتين وسط تصفيق الحضور ثم أنزلها ببطء.. فمط أحمد شفتيه بامتعاض لتتأبط بانة ذراعه وتعود معه للموائد فيقفا بجانب عمرو وأروى .
بينما سحب وائل يد ماجدة بعيدا عن الموائد وعن القاعة وعن البهو كله .. ليخرجا للشرفة العريضة التي تشغل جانبا كبيرا من طول الفيلا .. فيستمر في السير يسارا وسط اعتراضات ماجدة وتساؤلاتها وصوت كعبها العالي الذي ينقر في قلبه فيعذبه حتى صاحت " سأنكفئ على وجهي يا وائل "

Des. Maryam Tamim

لصقها في الحائط يتطلع إليها بنظرات متألمة وأنفاس متسارعة قائلا باستجداء " أعلم أني لا أستحق.. لكن ألا يمكن أن أقبّلك .."

أطرقت برأسها فرفع ذقنها يلفح وجهها بأنفاسه الساخنة قائلا " أتذكرين قبلتي يا ماجدة .. أتذكريني؟ "

نظرت لزرقة عينيه المغوية وخارت قواها أمامه .. تعلم جيدا أنها حمقاء .. لكنه – وائل - لا يقاوم فلو قاومته أعصابها .. فكيف سيقاوم قلبها ذلك الألم في عينيه .. فدفنت وجهها في كفيها بخجل وارتباك .. فقال وهو يبعد يديها عن وجهها " إن لم تريدي فلن أضغط عليك .. رغم أني أكاد أجن يا ماجدة أقسم بالله "

Des. Maryam Tamim

حين لم تعترض صراحة لم يستطع الصمود أكثر
فالتصق بها يميل برأسه إليها مطبقا على شفتيها
بقوة ..
وبيأس ..
وباشتياق كان يوما غافلا عنه حتى أمرضه .

إنه لأمر يدعو للدهشة ..
أن تكون النعم أمام عينيك وملك يمينك وتتلفت
تبحث عنها حولك ! ..

بعد قليل كان يحدق في عينيها من قرب وشفتيه
مازالتا تطبعان قُبل هامسة على شفتيها .. مشددا
من ذراعيه حولها وهو يستشعر ذوبانها التام بينما
ماجدة تحاول استعادة ثباتها وجمودها الذي
فرضته على نفسها .. وتحاول السيطرة على فوضى
المشاعر التي أثارها بداخلها .. لكن دون جدوى ..
فهمس بجوار أذنها " أتعتقدين أيضا أن ذلك

Des. Maryam Tamim

التجمر الذي أنا عليه الآن سببه عقدة الذنب؟..
ألم تخبرك قبلتي بما أنا فيه؟ .. ألم تطلعك ولو على قدر بسيط مما أعانيه ؟.. وبما تقتصه لك الأقدار مني ؟"

هل كانت تتمنى المزيد ..
هل أوشكت على توسل المزيد ؟ .. منه ؟!..
لملمت ماجدة حماقتها وقالت بصوت خافت في محاولة للهرب من نفسها قبل أي شيء " علينا أن نعود .. فاختفائنا سيبدو غريبا أمام البنات "

نكس رأسه في إحباط ثم تحرك يمنحها ذراعه في استسلام .. فتأبطته بوجنتين متوردتين ليقول " انتظري أحمر شفتيك قد تلطخ"
أخرج منديله وبدأ في مسح فمها فحاولت أن تأخذ منه المنديل لتفعل ذلك بنفسها لكنه أعترض قائلا

Des. Maryam Tamim

وهو يمسح حول فمها بالمنديل " كيف ستفعلينها هل لديك مرآة "

تكلمت بصوت هاربا منها فلم تستعيد السيطرة على ارتجافها بعد " سأمسحه كله "

نظر إليها بعينين تغرق في بحرهما وهمس " إذن أنت تنوين إعلام الجميع بالأمر "

عقدت حاجبيها وقالت أي أمر؟ "

فهمس أمام شفتيها يقاوم انفلات وشيك لأعصابه " أني كنت أقبلك في الشرفة فانمسح أحمر شفاهك؟"

أطرقت برأسها تلعن حماقتها التي لا تظهر إلا أمامه فرفع ذقنها يكمل مهمته التي يتلكأ فيها ..

Des. Maryam Tamim

حين تركها أخيرا أطلقت سراح أنفاس حبستها في صدرها .. وأشارت له بارتباك على شفتيه هامسة وهي تشيح بوجهها " أنت أيضا "

رد مدعيا الغباء " أنا أيضا ماذا؟ "

نظرت إليه ثم أشاحت بوجهها مجددا " امسح شفتيك "

مد يده بالمنديل إليها يقول بصبيانية " ساعديني جوجو من فضلك "

تحركت تجبر قدميها على الابتعاد دون أي كلمة أخرى .. فمسح فمه بالمنديل وهو يتحرك مسرعا وراءها يصيح " جوجو انتظري " مطلقا ضحكة سعيدة .

حين عادا للقاعة وهو يقبض على كفها ويقودها للمنضدة حاول الكبار عدم إحراجهما بالتحديق فيهما بينما ظلت الفتاتان تتفحصا وجهيهما في محاولة للتفسير ..متسائلين هل تشاجرا؟ .. أم أن

Des. Maryam Tamim

هناك سببا آخر لتلك الحالة التي بدت عليها والدتهما من الخرس والتورد وتلك الابتسامة التي ترتسم على شفتي أبيهما وهو يتخذ مقعدا مجاورا لها ويفرد ذراعه على ظهر مقعدها .

أما العروسان فكان سيد قد انتهى من غناء أغنية أخرى ناعمة لعروسه .. فشدها من يدها نحو مقعد العريس والعروس المزين على إحدى الجوانب .

فقال عمرو لأحمد الواقف بجواره " لا أصدق .. هل سيتعقلان ويجلسان مكانهما أخيرا !!"

مط أحمد شفتيه بعبوس ثم هتف فجأة باستنكار
" ماذا يفعل هذا المختل !! "
كان سيد يركع على ركبة أمامها يرفع فستانها بحرص حتى لا يكشف عن قدميها وخلع حذائها ذا

Des. Maryam Tamim

الكعب العالي .. ثم أعطته رحمة علبة أخرج منها حذاءً رياضيا أبيض بفصوص لامعة وحليات من الدانتيل واللؤلؤ .. فشهقت آية لجمال الحذاء ليبتسم لها سيد وهو يربط جيدا رابط الحذاء ويمد يده لتستقيم أمامه واقفة فشدها .. ليمسك بالمكروفون مجددا ويقول بحماس " هيا حان وقت الرقص .. شاركونا "

تحرك بعض الشباب لساحة الرقص وبدأت موسيقى صاخبة لينقلب الحفل لأجواء أكثر بهجة وجنونا..

وبدأ سيد وآية في الرقص أمام بعضهما كرقص السامبا بينما الشباب يرقصون على الجانبين .. فتمتم عمرو يقول " ها قد سمح للمدعوين بالمشاركة في فقرات الحفل أخيرا بعد أن كانا يستحوذان عليها منذ بدايتها " .

Des. Maryam Tamim

زفر أحمد بغيظ فصاحت أروى بتوبيخ " مالكما تقفان كعجائز الأفراح .. أتركاهما يفعلان ما يرغبان في حفلهما "

تحرك أحمد فنظرت بانة لأروى باندهاش ولحقت به.. بينما العروسان لا يدريان بما يحدث في أي مكان آخر سوى نغمات الأغنية الصاخبة الراقصة .. فوقفت آية تتراقص أمامه رافعة فستانها عن الأرض قليلا .. تحرك كتفيها بدلال وانطلاق بالحذاء الرياضي .. لا ترى سوى عينا سيد اللتان تأكلانها وتلك السعادة التي تحلي قسمات وجهه .. فتلف آية حول نفسها لتنفتح طبقات التل في فستانها وتعود لنفس النقطة من جديد .. تعود لعيناه .

عارفة أحلى حاجة فيكي إيه؟
بتحلي أي شيء عينيكي تيجي فيه
قمر ده إيه اللي تتساوي بيه

[4722]

تعالي أقولك أحلى فيكي إيه
ولا إنتي فاهمة قصدي .. واللي بالي فيه
فيكي اللي ياما حلمت بيه ..
يلا ...
إن شالله أموت في هواكي ..إن شالله
ده كتير عليا الحب ده والله ..
هتمنى أكتر من كده ايه
يلا ..
إن شالله أموت في هواكي إن شالله
ده كتير عليا الحب ده والله
هتمنى اكتر من كده ايه

لاحظ وائل أن أنجيل الصغيرة تحرك ذراعيها مع الموسيقى فقام وسحبها لتقف وحاول مع ميري لكنها رفضت برعب .. فسحب أنجيل أمام منضدة العائلة وقف أمامها يراقصها كالسامبا ويمسك

Des. Maryam Tamim

بيدها لتلف حول نفسها فيتأملها والبهجة تغزو قلبه فتؤلمه ..

بفستانها الارجواني القصير من التل المنفوش وكعبها الرفيع الأنثوي وهي تتمايل أمامه بخفة وبحركات رشيقة .. ممتنا أنها عادت لطبيعتها وتخطت تلك الحادثة البشعة ..

نظر إلى ميري التي تصفق بسعادة من مقعدها تشجع توأمتها .. نادما على كل يوم مر عليه فكر في أن يغادر هذه الحياة تاركا زهرات قلبه دون أب ..

بينما الخالة أنجيل تمسح دموعها الصامتة وهي ترى ابنها أخيرا يتخلص من تلك اللعنة التي أصابته لخمسة عشرة سنة ويتوازن نفسيا محاولا تصحيح ما أعوج في حياته .. تأملته وهو يرقص أمام ابنته كشاب مراهق شقي من نفس عمرها ..

أما ماجدة فلم يعد في إمكانها المقاومة أكثر .. مهما حاولت فإن هذا الرجل سحره يتسرب إلى مسامها

Des. Maryam Tamim

..يتغلغل فيها محتلا كيانها كله .. مهما حاولت الفكاك لا تستطيع .. وكأنها خلقت له فقط.

حد بالبراءة دي مفيش
ولا في الغلاوة دي أنا معنديش
قلبي اللي ليكي ما تكدبيش
عنيكي.. قلبي .. عقلي روحي عمري
دول ليكي مش حردهملي
ولحد آخر يوم في عمري

استدار وائل ووقف أمام ماجدة يتراقص بكتفيه فنظرت حولها بحرج وقد لفت رقصه مع ابنته انتباه بعض الحضور فحدجته بنظر موبخة ليلعِّب لها حاجبيه .

شاريكي يلا
ان شاء الله أموت في هواكي ان شاء الله
ده كتير عليا الحب ده والله
هتمنى اكتر من كده ايه

[4725]

استدار وائل مشفقا عليها من الحرج وقد أحمر وجهها وكاد أن يغشى عليها ليراقص أنجيل الصغيرة من الجديد .

يلا

ان شاء الله اموت في هواكي ان شاء الله

ده كتير عليا الحب ده والله هتمنى اكتر من كده ايه

بمجرد أن انتهت الأغنية الراقصة قّبل يد ابنته يعيدها إلى مقعدها ويميل على رأس ميري يقبلها بحنان .

في الجانب الآخر قال أحمد لوالدته التي تؤطر الابتسامة شفتيها منذ بداية الحفل " سعيدة أنت يا إلهام بهذه الميوعة والأحضان والقرف أمام الناس ها ؟"

قهقهت وقالت " لن تتغير أبدا يا حبيب أمك .. أنا مشفقة على ابنتك قبل أن تحضر إلى هذه الدنيا"

Des. Maryam Tamim

رد بغيظ " لن أسمح لأي ذكر بالاقتراب من ابنتي أبدا "
ضحك والده ورد " ستضطر صاغرا أن تزوجها لمن تريده رغم عن أنفك لأنك تحبها وتريد سعادتها "
تمتم أحمد بزهو طفولي " أبدا .. أبدا يا إبراهيم هذا لن يحدث أبدا .. إن كنت أنت استسلمت أمامهما أنا لن أستسلم مطلقا "

كتمت بانة ضحكتها خلفه فاستدار إليها يحدجها بغيظ .. ثم زفر وتركهم فلحقت به تقول " أنت يا كونت أنا أجري وراءك طوال الحفل " .
وقف يولي ظهره للحفل يتطلع من النافذة فاقتربت منه تقول موبخة " أنا جريت وراءك كثيرا اليوم يا أحمد ظهري يؤلمني وبطني أيضا "

نظر إليها ثم تطلع لبطنها ومد يده يمسد عليها مشفقا .. فقالت له متخصرة " أنا تركتك تستوعب

Des. Maryam Tamim

الصدمة لكن هذا الأمر لا يعجبني يا باشمهندس أحمد .. ما بهم الفتيات لا أفهم ؟!!.. نحن بمائة رجل بالمناسبة .. وأمها خير مثال أمامك .. هل أنت نادم على إنجاب فتاة ؟.. "

تأملها أحمد من رأسها حتى أخمص قدميها .. عيناها الجميلتان غاضبتان .. وملامحها التي تشع نضارة وحلاوة بفعل هرمونات الحمل .. وذلك الفستان الأرجواني الأنيق وبطنها المنتفخة قليلا .. بينما أكملت بانة بحنق " لم لا ترد؟ .. ماذا ينقصنا ها؟ .. نعمل مثلكم .. وهناك نساء تعيلن عائلة كاملة .. النساء اليوم تعمل خارج البيت وداخل البيت وتنجبن وتربين الأبناء .. إن لم تعجبك الفتاة أستطيع أن أعود لبلدي بابنتي "

رفع حاجبا ورد من بين أسنانه " كنتم مع بانة بنت الخازن في فقرة .. "

فقاطعته بانة تقول " فقرة ابن سماحة الغليظ "

Des. Maryam Tamim

ضيق عينيه وأقترب أكثر يقول محدقا في عينيها عن قرب " يا غبية !.. إنها ابنتي كيف سأندم على إنجابها "

قوست فمها لأسفل بتأثر فأكمل" أنا مغتاظ لأن مخططك قد نجح "

سألت بغباء "أي مخطط ؟!"

رد بغيظ " المخطط الدولي للسيطرة على ابن سماحة .. انظري ماذا فعلت بي من أول ظهورك في حياتي حتى الآن .. أصبحت تملكينني .. تسيطرين على كل كياني .. ولم يكفيك هذا بل ستنجبين لي فتاة .. بانة أخرى صغيرة .. "

اشرقت ابتسامتها .. فأكمل بخفوت وهو يقاوم تأثير ابتسامتها عليه " هذا ليس عدلا أبدا .. "

بدأت أغنية راقصة أخرى في سماعات القاعة فتحركت عينا أحمد نحو ساحة الرقص لتعيد بانة وجهه إليها تقول وهي تتأبط ذراعه بدلال حرره

Des. Maryam Tamim

حبيبها من محبسه يوما "استمرارا للسيطرة عليك نريد أن نعلمك بأمر هام .. أني وجدت قميصاً من قمصان الخالة سوسو لم ألبسه بعد "
لاح الاهتمام على وجهه وقال بشك" كاذبة .. أنا جربت كل القمصان عليك لم أترك واحدا "

تحول وجهها لحبة طماطم وردت قبل أن تعض على شفتها " صدقني وجدت واحدا جديدا .. هل أصفه لك "
قال بسرعة " كلا .. لا تحرقين المفاجأة .. أريد أن أتفاجأ به بنفسي ".
ضحكت .. فقربها منه يحيط ذراعه بظهرها .. فمالت برأسها تستريح على كتفه يشاهدان العروسين من أخر القاعة وهما يرقصان على أغنية أخرى راقصة وحولهما بعض شباب الحفل يرقصون على الجانبين لكن سيد وآية كان في عالم آخر ..

[4730]

تأمل سيد قدها القصير المهلك وهي تتمايل وتتراقص بشقاوة وسعادة أمامه على نغمات الموسيقى .. تحرك خصرها تارة وذراعيها تارة أخرى وتستدير لتميل عليه بكتفيها ورأسها بدلال .. لتعود مجددا ترقص أمامه وهي تمسك بطرفي سترته محدقة في عينيه .. فيرقص أمامها مسافرا إلى ذلك العالم الذي تأخذه إليه ابتسامتها التي تقطر عسلا .

يتعلموا يتعلموا .. من الرقة دي يتعلموا
شوف هما فين .. وحبيبي فين..
مشافوش كده ولا يحلموا
اللي عنده ضحكة زي دية
واللي لون عيونه مش عادية
يجي هنا جنبي يجي ليا
احكيله اللي شفته أنا بعنيا

[4731]

أموت أموت في الضحكة دي
أموت أموت في النظرة دي
الله الله الله عينيه عليه

يتعلموا ويقلدوا .. دة مش بعيد يتعقدوا
جماله بيزيد كل يوم ..
عن حضني عمري ما هبعده
واللي عدى عدى عدى عدى
الجمال دة شفته مرة واحدة..
عيني عيني عيني عيني باردة..
عاللي خلي قلبي ناره تهدي..
أموت أموت في الضحكة دي
أموت أموت في النظرة دي
الله الله الله عينيه عليه

جاءت الكعكة الكبيرة ذات الطبقات .. فوقف سيد وآية يقطعانها ويلتقطان الصور .. ثم لصقت كفيها

[4732]

أمامه وشاهدته مقطوعة الانفاس وهو يحرك محبسها من اليد اليمنى لليد اليسرى ببطء .. ولم يكن يهمها الخاتم بل النظر إليه هو ما يشغلها من أول الحفل ..

أي حلم جميل هذا !!..

وأي هلوسة رائعة تلك !! .

تركها تنقل محبسه من يده اليمنى ليده اليسرى ثم أمسك بوجهها يقبل جبينها بقبلة طويلة ..

بعدها فتحت موائد الطعام للحضور .. لكن أحمد ظل واقفا في منتصف القاعة يغمز لعمرو الذي طمأنه بإبهامه أن كل شيء على ما يرام فنظرت بانة

Des. Maryam Tamim

لأروى مستفهمة فحركت كتفيها بأنها لا تفهم ثم سألت " ألن نأكل؟ "

رد أحمد بهدوء " أنا لست جائعاً "

فقال عمرو " أنا أيضاً "

قالت بانة ببؤس خافت" لكني جائعة "

انتبه أحمد وقال بسرعة " حالا نحضر طعاما لبونبونتي وزيتونتها الصغيرة وأرورا وقردها الصغير وتحرك نحو المائدة . "

ضيقت أروى عينيها وقالت لعمرو " هناك شيء تدبرونه .. فأنت وهو لم تأكلا طوال اليوم "

حرك عمرو كتفيه وتصنع البراءة يقول" أبدا إطلاقا .. ليس لدينا شهية للأكل "

ثم لمح وائل الذي يميل على والدته يتحدث إليها وقد خلت منضدتهم إلا منه هو وهي فذهب الباقين لمائدة الطعام .. فنادي عليه عمرو لينظر

Des. Maryam Tamim

له وائل مستفهما فيغمز الأول بعينه ليرفع له وائل إبهامه بأن كل شيء تمام .. ثم استدار يكمل كلامه مع والدته بهمس " أريدك أن تقنعي الفتاتين بالمبيت معك اليوم يا أمي "

حدجته بنظره ماكرة وقالت " لماذا ؟"

جز على أسنانه ورد بغيظ " تعرفين يا أمي فكفى مكرا "

قهقهت أنجيل فترجرجت بطنها أمامها ثم ردت تتصنع البراءة " وكيف سأقنعهما "

هتف وائل بغيظ " أمي !"

قهقهت أنجيل مجددا بينما حضر أمير وكريستين والفتاتين يحملون الأطباق ليجلسوا في أماكنهم فسأل وائل " أين ماجدة ؟"

رد أمير "تعد طبقا لأمي "

Des. Maryam Tamim

استقام وائل واقفا يبحث عنها .. فوجدها تقف منتظرة عند المائدة الطويلة أمام أحد الصحون العملاقة حتى ينتهي أحد الشباب من الغرف في صحنه .. ثم استدار الشاب يغرف في طبقها .. فطالعته ماجدة بوجهها الثلجي وأومأت برأسها على سبيل الشكر وتحركت مبتعدة فاندفع نحوها وهو يرى نفس الشاب يقترب منها مجددا .. لينحشر وائل بينهما يحدج الشاب بنظرة خطرة فاستدار الأخير لصحن عملاق آخر يغرف منه ثم تحرك مبتعدا .

التفت وائل لماجدة يقول " هل انتهيت ؟"

أومأت برأسها فعاد بها لطاولة العائلة .

بعد الطعام كانت ساحة الرقص فارغة والجميع على طاولاتهم فلم تبدأ الموسيقى بعد ولا يعرفون ماذا يخبئ لهما العروسان ..

[4736]

فجلس سيد خلف البيانو الكبير ووقفت بجانبه آية ليتحرك وائل فجأة يتوسط الساحة حاملاً الميكروفون في يده .. فتطلع إليه الجميع بترقب بينما قالت ميري " هل سيغني أبي أم ماذا ؟"

شعر وائل بالحرج لكنه أراد ذلك بشدة .. فأمسك بالميكروفون يقول " مساء الخير .. اليوم عيد زواجي .. وبمناسبة هذا الحفل الجميل واحتفال صديقي بزواجه .. وجدتها فرصة جميلة لأهدي زوجتي (وأشار بيده نحو طاولة أسرته) أغنية أغنيها لها بنفسي بصوتي المتواضع.. وأهديها للعروسين أيضا ولكل عاشقين .. وسيصاحبني بالعزف على البيانو عريسنا بنفسه مشكورا .

Des. Maryam Tamim

اتسعت عينا ميري متفاجئة ثم تطلعت بفضول لأمها بينما تحمست أنجيل الصغيرة وتوردت وهي تكتم ضحكتها ..

أما ماجدة فسقط قلبها بين قدميها حرجا خاصة حين وجدت جميع من في القاعة يحدقون فيها بفضول وتصفيق ..

نظر وائل إليها .. ثم تكلم أولا دون موسيقى ..

لا تهتمي في إيقاع الوقت وأسماء السنوات..
أنت امرأة تبقى امرأة في كل الأوقات..

بدأ عزف سيد على البيانو في الخلفية وهو يتطلع في وجه آية .. فغنى وائل الأغنية بإيقاع هادئ ورقيق

Des. Maryam Tamim

.. على عزف البيانو ليضفي جوا شاعريا على الأجواء.

أنت امرأة ...
لا أحسبها بالساعات وبالأيام
انت امرأة ..
تسكن جسدي قبل ملايين الأعوام
أنت امرأة..
صُنعت من فاكهة الحب ...
ومن ذهب الأحلام ..

تأملته ماجدة بحُلته الأنيقة وهو يقترب منها ببطء ورفعها من مرفقها لتقف أمامه لكنها لم تقدر على التحمل ..
لا تحمل مشاعرها .. ولا وقوفه أمامها .. ولا الحرج الذي تشعر به والكل يتطلع إليها .. ولا كلمات تلك

[4739]

الأغنية التي تعشقها ولم تحلم يوما بأنه يتذكرها
حتى وهو يسمعها فما بال يقف أمامها ويغنيها ..
لم تقدر ماجدة على التحمل فأطرقت برأسها تدفن
وجهها المشتعل في كفيها بحرج .. وأنجيل الصغيرة
وعدد من الحضور يصورون الحدث بهواتفهم .

أنت امرأة ...
لا أحسبها بالساعات وبالأيام
انت امرأة ..
تسكن جسدي قبل ملايين الأعوام
أنت امرأة ..
صُنعت من فاكهة الحب ...
ومن ذهب الأحلام

يا سيدتي ليس هنالك شيء .. يملأ عيني..
لا الأضواء..
ولا الزينات..

[4740]



ولا أجراس العيد..
ولا شجر الميلاد..

لا أتذَكّر إلا وجهك أنتِ..
لا أتذَكّر إلا صوتك أنتِ ..

مد يده يبعد يديها عن وجهها فنظرت إليه بعينين دامعتين متخلية عن قناعها الجليدي .. الذي أنصهر من حرارة مشاعرها .

تعالي تعالي تعالي
هاتي يدكي اليمنى كي أتخبّأ فيها ..

أجبرها على فتح كفها الأيمن ثم أسقط فيه من يده قرطاً عبارة عن لؤلؤة على قمتها ماسة صغيرة ..





تعالي تعالي تعالي
هاتى يدكي اليسرى كي أستوطن فيها..
أسقط في يدها اليسرى القرط الآخر وعاد الغناء مرة أخرى .
تعالي تعالي تعالي
هاتي يدكي اليمنى كي أتخبّأ فيها..
تعالي تعالي تعالي
هاتى يدكي اليسرى كي أستوطن فيها..

قولي أي عبارة حب .. حتى تبتدئ الأعياد..
أنت امرأة ...
لا أحسبها بالساعات وبالأيام ..
انت امرأة ..
تسكن جسدي قبل ملايين الأعوام..
أنت امرأة ..
صُنعت من فاكهة الحب ...

[4742]



ومن ذهب الأحلام ..

توقف صوت البيانو فتكلم بدون غناء يقول :

سوف يظل حنيني أقوى مما كان..
وأعنف مما كان..
فأنت امرأة لا تتكرر في تاريخ الشعر..
وفي ذاكرة الزنبق والريحان ..

أشفق من ارتعاش كفيها المفرودة أمامه فأمسك بهما وأقترب يقبل جبينها .. وقد علا التصفيق الحار ..

فنظر أحمد لبانة الجالسة بجانبه ورفع يدها إلى فمه يقبلها.. بينما أنزل عمرو يده يمسك بكف أروى من تحت المنضدة بعيدا عن عين أمه .. فنظرت إليه أروى متسائلة ليرسم بإصبعه في كفها

Des. Maryam Tamim

قلبا .. فاتسعت ابتسامتها.. وشبكت أصابعها في أصابعه .

جلس وائل بجوار ماجدة التي تحاول السيطرة على دموعها فهي تكره أن تظهر مشاعرها أمام الآخرين .. تكره ذلك بشدة .. بينما سألت أنجيل الصغيرة بحماس " لم اخترت اللؤلؤ بالذات يا أبي"
نظر لماجدة ثم أجاب ابنته " اللؤلؤ يعبر عن الدموع .. فإن كنت قد أبكيتها يوما سأهديها لؤلؤة في كل مناسبة قادمة لأخبرها أن دموعها لم تكن بلا فائدة أبدا بل تحولت للآلي غالية الثمن .. "

فصاحت الفتاتين بإعجاب بينما تكلم أمير ساخرا " يالرومانسية ! .. أنت بهذا الشكل تضعني في موقف حرج "
زمت كريستين شفتيها تضرب ذراعه بغيظ وتقول " أرأيت الرومانسية .. تعلم من أخيك " .

Des. Maryam Tamim

قهقه وائل ولعب لهما حاجبيه بينما تكلمت أنجيل الكبيرة بإعياء وهي تضع يديها على صدرها " أشعر أني ستزورني أزمة التنفس الليلة .. وأخشى أن تأتيني ليلا وأنا وحدي بالشقة "

مسحت ماجدة دموعها وقالت " هل تودين أن نبيت معك يا خالتي ؟"

ردت حماتها " لا يا ابنتي ليس هناك داع لكن لو تبيت معي الفتاتان الليلة سأكون مطمئنة أن معي أحد "

قال أمير" سنبيت كلنا يا أمي معك لا تقلقي "

فحدجه وائل بغيظ ثم قال " الفتاتان تكفيان معك يا أمي .. وإذا احتجت شيئا.. واحدة من التوأمتين ستتصل بي .. أنا مضطر أن أبيت في غرفتي الليلة لأني عندي بعض الأوراق المهمة عليّ أن أسهر عليها .. "

Des. Maryam Tamim

فقالت ماجدة " سأبيت معها إذا احتاجت شيء "
فقالت أنجيل الكبيرة " لا لا .. يكفي الفتاتين ..
حبيباتي ستنامان معي اليوم أليس كذلك "

قالت أنجيل مطمئنة" لا تقلقي يا جدتي ألف لا
بأس عليك "
بينما تأملت ميري أبيها وأمها بنظرة مرتابة .

في الميكروفون تكلمت آية تقول " يبدو أنها
ستكون فقرة الإهداءات فبعد أن أهدى أبيه تلك
الأغنية الرائعة لزوجته .. سأهدي أنا الأخرى
قصيدة لسيد بما أني لا أستطيع الغناء (وتطلعت
لعينيه وأكملت) وسيهديني هو الآخر أغنية أتشوق
لأعرف ما هي .. وبذلك سنختم حفل زفافنا "
تمتم أحمد من مكانه " إهداء !! .. وما الذي كان
قبل ذلك من صداع إذن !! .. "

Des. Maryam Tamim

رد عليه عمرو" قل حمدا لله أننا سنذهب لبيوتنا أخيرا "

وقفت آية أمام سيد تلقي القصيدة :

لو تطلب البحر في عينيك أسكبه

أو تطلب الشمس في كفيك أرميها

أنا أحبك فوق الغيم أسكبها

وللعصافير والأشجار أحكيها

أنا أحبك فوق الماء انقشها

وللعناقيد والاقداح اسقيها

أنا أحبك يا سيفا أسال دمي

يا قصة لا أدري ما أسميها

Des. Maryam Tamim

أشار سيد لل DJ بقلب مرتجف لتبدأ الموسيقى فاقترب منها يمسك بيدها يغني بنغمات هادئة ناعمة :

بتحلوي ..

وطول الوقت بتزيدي جمال وهدوء ..

كأنك شيء نزل من فوق ..

كأنك جاية م الجنة

وإن الجنة هي انتي ..

في حضنك ببقى أنا إبنك ..

في حضني تقلبي بنتي .

ترقرقت الدموع في عينيها فاقترب يحيط خصرها بذراعه يلتصق بها وباليد الأخرى يمسك

[4748]

الميكروفون مائلا عليها يغني متأملا جرتي العسل في عينيها .

كأنك بيت ..

كأنك حتة م السكر ..ودابت فيا .. فاحلويت .

في عز الضيقة بتساعي ..

في عز الضعف بتقوي ..

بدون أسباب بتحلوي .

بتحلوي .

أطلق سراح خصرها ليمسك بيدها ويجعلها تلف حول نفسها فتنتفش طبقات التل حولها فبدت كالأميرة ..

وطول الوقت تتشافي ..

بكل براءة الأطفال ..

وكل بساطة الفساتين ..

[4749]



يا أول طفلة في الدنيا بتكسر حاجز العشرين ..

وتفضل وردة طول الوقت ..

لا بتكبر ولا بتصغر.

هتتغري وإيه يعني..

من حق الجميل.. يتغر ..

يا أول بنت في الدنيا ..

توصل مركبي للبر ..

سحبها يلف ذراعه حول خصرها مرة أخرى يقربها منه ..

[4750]

وتاخد إيدي وتعدي ..

يا أول حضن في الدنيا بحس بإنه على قدي ..

ومتفصلي بالميللي ..

غريب حبك ..

غريبة انتي ..

بتحلوي وبتحلي .

سكتت الموسيقى .. وهدأ الرقص لكن القلوب لم تصمت عن الصخب ولم تهدأ عن الرقص .. فتأملها سيد وهو يشدد من احتضانه لها وسط صفير المعجبين والمهللين ..

وقف أحمد وخلع سترته يقول لبانة المتسائلة وهو يعطيها السترة " وجها آخر من ابن سماحة

[4751]

ستشاهدينه الآن يا بنت الخازن فاستعدي لهذه اللحظة التاريخية " .

اتسعت عيناها ونظرت لأروى بتوتر والتي بدورها سألت عمرو بجانبها " ماذا سيفعل بالضبط ؟"

ابتسم عمرو رد " كل خير إن شاء الله "

قال سيد في الميكروفون " نشكر كل من حضر الليلة للاحتفال معنا فأخذت آية منه الميكروفون لتقول بلهجة إذاعية أصبحت تميزها " شكرا أن كنتم جزءا من أهم حدث في عمرنا "

ظهر أحمد فجأة بجانب آية وسيد اللذان تفاجآ بوجوده في ساحة الرقص وسحب الميكروفون من يدها وسط ذهولهما فتمتمت إلهام من مقعدها

Des. Maryam Tamim

تسأل الحاج بتوتر " أستر يا رب ماذا سيفعل المجنون ؟!!"

وقف أحمد بخيلاء يخاطب الجميع في الميكروفون واضعا يده الأخرى في جيب بنطاله يقول لوائل الجالس في أول طاولة أمامه " إنها فقرة الإهداءات يا اكسلانس فماذا نحن فاعلين "

قهقه وائل ورد " فيم تفكر يا كونت ؟"

قال أحمد " نريد أن نهديه أغنية .. أنت أهديت زوجتك أغنية وهما أهديا بعضهما أغان وأشعار .. علينا أن نهديهم أغنية نحن أيضا .. ما رأيك يا عمرو؟ "

رد عمرو يرفع صوته " أغنية (الغراب جوزوه أحلى يمامة) يا كونت "

Des. Maryam Tamim

رد عليه أحمد " يا بني ما ذنب الغراب أن نشبهه بسيد ألا يوجد في قلبك رحمة بالطيور ! "

علا الضحك فقالت إلهام بتوتر " أشر له يا حاج ليتركهما .. أخشى أن يثقل في مزاحه أمام الناس .. والله ستكون فضيحة"

رد الحاج مبتسما وهو يتابع الحوار في ساحة الرقص " اتركيهم يا إلهام فهم يعرفون خصال بعضهم .. وابنك ليس غبيا ويعلم ماذا يقول ومتى فلا تقلقي "

تمتمت بتوتر " أستر يا رب من مزاح أحمد "

أشار سيد لآية لتستريح على أريكة العروسين وذهب إليه يقول " إذن أنت تريد أن تنهي الحفل بالاستظراف والسخرية "

Des. Maryam Tamim

رد أحمد ببرود " بالطبع .. لأخفف من جرعة الرومانسية التي أثقلت بها قلبي يا رجل "

وضع سيد يديه في جيب بنطاله يطالعه ببرود فقال أحمد للحضور " الحقيقة أردت أنا الآخر أن أهديه أغنية .. وكنت أريد كما فعل وائل أن أغنيها له بصوتي .. لكن زوجتي رفضت بشدة لا أدري لماذا؟"

ضحك الحضور فتابع أحمد " فأنا فهمت فورا أنها تغار عليّ من المعجبات اللاتي سيعجبن بصوتي"

علا الضحك من جديد فقال سيد " أو ربما لأن صوتك نشاز لا يطاق "

التفت إليه أحمد يسأله ببرود " سأغنيها لك إن أردت "

Des. Maryam Tamim

ابتسم له سيد ابتسامة صفراء مستخفة وقال بقلة صبر " خلصنا هات ما عندك "

فاستدار أحمد يحدث الحضور مرة أخرى "فقررت أن أتفق مع هذا الشاب الموهوب (واشار للشاب الواقف على الـ dj صديق سيد) أن يشغل لنا الأغنية التي أريد أن أهديها لسيد أنا وأصدقائي "

نظر سيد مندهشا للشاب وقال " تتفق معهم من ورائي يا معتز!! "

فضحك معتز بينما قال له أحمد بثقة " لست وحدك من يضع خططا سرية لحفلات زفاف الأخرين يا سدسد أم نسيت ما فعلته في حفل زفافي ؟!"

Des. Maryam Tamim

أشار أحمد لمعتز ليبدأ ثم أشار لأصحابه فقام وائل يخلع سترته وينتظر عمرو المتحرج للاقتراب من ساحة الرقص فذهب إليه وائل يشده ليتوجها نحو الساحة يقفون حول سيد الذي قال بغيظ " متفقون عليّ.. جميل .. جميل جدا !! "

بدأت الموسيقى وسيد يحاول تخمين أي أغنية ساخرة سيشغلها هؤلاء الأوغاد .. ووجد آية تتابعهم بقلق فغمز لها بعينه أن تطمئن .. ثم انتبه لموسيقى الأغنية التي تعرف عليها بسهولة ليعلو على وجهه الاندهاش.. ثم يبدأ الموال الافتتاحي للأغنية ليفقد سيد النطق بعدها محدقا في أحمد بذهول مع صوت الموال:

لو جبنا سيرة الجدعنة ..
إسمك لازم يتقال
صاحبي إللي بيه بفتخر..
من يوم ما كُنا عيال

[4757]

مهما الأيام تتعِبُه .. عمره ما بص شمال
في الشدة راجل جدع .. واقف كما الأبطال

والدنيا مهما إديته .. مايغيروش المال
لا عمره مني أشتكى ..
ولا عمر قلبه ما شال ..

تدفقت الدموع بغزارة لعيني سيد وهو يتطلع في وجه أحمد وصاحبيه المبتسمين أمامه بمحبة .. وبذل مجهودا كبيرا ليتماسك ويداري تأثره .. فأشاح بوجهه قليلا يحاول أن يكبح جماح تلك الدمعات التي تصر أن تفر .. بينما بدأت الموسيقى الشعبية الراقصة فيستدير مصعوقا ليجد أحمد فاتحا ذراعيه بمستوى كتفيه .. ويبدأ في الرقص أمامه يحرك ذراعيه وقدميه بخطوات ذات

Des. Maryam Tamim

خطوات معروفة في رقصة المطاوي في الحارة الشعبية ..

لم تكن فقط الأغنية مؤثرة ولا تلك العاطفة التي تشع من وجوه أصحابه .. لكن أن يتنازل أحمد عن كبريائه ويرقص أمامه وهو لم يفعلها في أي مناسبة تخص أي أحد من قبل فهو أمر لا يصدق ..
هتفت بانة تقول لأروى مصعوقة هي الأخرى " يا إلهي زوجي يرقص .. يرقص .. الكونت تنازل ويرقص !!"

تِشرّف أي حد.. عشان راجل بِجد
لو وسط النار تِسد.. عمرك ما تجيب ورا
تكَبّر باللي منك .. جدع من صُغر سِنك
ما أقدرش أستغنى عنك..
حبيبي وربنا

[4759]

بحبك يا صاحبي .. من وأنا لسة بحبي
أنا مسنود عليك ..
ده أخويا وحبيبي
في الأوجاع طبيبي..
حلوة حياتي بيك .

بدأ وائل ينافس أحمد في الرقص ويرقص أمامه بينما تقدم منه عمرو يحضنه ويتمتم " مبارك يا سدسد "
أما سيد فتحولت عيناه للون الأحمر يمسح الدمعات المصرة على الانفلات ..

توب الرجولة معمول عموله على قد جسمك
لو غبت حتى في أي حتة كفاية اسمك
بحبك يا صاحبي .. من وأنا لسة بحبي
أنا مسنود عليك ..
ده أخويا وحبيبي

[4760]



في الأوجاع طبيبي.. حلوة حياتي بيك .

تقدم منه أحمد يحضنه فربت سيد بتأثر على ظهره وهو يسمع أحمد يقول بجوار أذنه " مبارك يا صاحبي".

بينما وائل يشد عمرو الواقف يصفق ليرقص أمامه فتبعه عمرو ببعض الحركات بالقدمين لدقيقتين ثم تراجع بأذنين حمراوين ليعود واقفا بجوار سيد .. فلمح أروى من بعيد تصفر وتهلل بتشجيع وترسل له قبلات في الهواء ثم تشبك سبابتيها وإبهاميها لتشكل له قلبا .. فحدجها بنظرة موبخة أن تتعقل .. لكنها استمرت بمغازلته بصمت وإمطاره بالقبل من بعيد فأشاح بوجهه عنها متوعدا بينما ضحكت عفاف على جنونها ...

Des. Maryam Tamim

يميل عليا الزمن.. بإيديك بترفعني
بتحب من غير تمن .. عمرك ما بتبيعني
بتحس بيا ..
من غير ما أقول ولا حرف
ديماً في ظهري ..
في كل لحظة ضعف
بتخاف عليا ..
ديماً معايا كتف في كتف

وقف وائل أمام سيد يرقص فحاول سيد الاستجابة والرقص أمامه .

توب الرُّجُولَةَ مَعْمُولَ عموله .. عَلَى قَدْ جَسَّمَكَ
لَوْ غِبْتُ حَتَّى فِي أَيُّ حتة.. كفَايَّةٍ اسمك
لَوْ غِبْتُ حَتَّى فِي أَيُّ حتة .. كفَايَّةٍ اسمك

Des. Maryam Tamim

انتهت الأغنية فمسح سيد دموعه يحضن أصحابه وأختص أحمد بحضن طويل مؤثر وتمتمت "شكرا يا أحمد .. شكرا جدا "

فرد أحمد بصوت متأثر بالمشاعر " كنت وستظل أخي الكبير .. (وابتعد عنه يقول بكبرياء) لكن هذا لا يعني أني لن أكرهك وأعذبك .. هذه نقرة وهذه نقرة أخرى "

كان التأثر واضحا على الحاضرين ومنهم من دمعت عيناه بالفعل فقال سيد لأصحابه " إلى أين أنتم ذاهبون أنتم غنيتموها لي لكني لم أغنيها لكم (وكلم شاب dj) شغلها موسيقى فقط يا معتز "

بدأ سيد بالموال مجددا مشيرا على أصحابه ويخص أحمد بالكثير منها :

لو جبنا سيرة الجدعنة .. إسمك لازم يتقال

Des. Maryam Tamim

صاحبي إللي بيه بفتخر.. من يوم ما كُنا عيال

مهما الأيام تتعبه .. عمره ما بص شمال
في الشدة راجل جدع .. واقف كما الأبطال

والدنيا مهما إديته .. ميغيروش المال
لا عمره مني أشتكى .. ولا عمر قلبه ما شال

بدأ الشباب الأربعة بالرقص مصطفين بصف واحد تارة وأمام بعضهم البعض تارة أخرى .. مشجعين عمرو على المشاركة .. وسيد يغني لأصحابه والدمعات مصرة على التدفق من عينيه كلما نظر لأحمد أو رقص أمامه ..

تشرف أي حد.. عشان راجل بجد
لو وسط النار تسد.. عمرك ما تجيب ورا

[4764]



تِكبر باللي منك .. جدع من صغر سنك
ما أقدرش أستغنى عنك.. حبيبي وربنا

بحبك يا صاحبي .. من وأنا لسه بحبي
أنا مسنود عليك ..
ده أخويا وحبيبي
في الأوجاع طبيبي.. حلوة حياتي بيك .

توب الرجولة معمول عموله على قد جسمك
لو غبت حتى في أي كفاية اسمك

بحبك يا صاحبي .. من وأنا لسه بحبي
أنا مسنود عليك ..
ده أخويا وحبيبي
في الأوجاع طبيبي.. حلوة حياتي بيك .

Des. Maryam Tamim

أمسك وائل الميكروفون وبدأ بالغناء هو الأخر على نغمات الموسيقى وبدموع منهمرة يستعيد كل ما فعله من أجله أصدقائه ..

يميل عليا الزمن.. بإيديك ترفعني
بتحب من غير تمن .. عمرك ما بتبيعني
بتحس بيا .. من غير ما أقول ولا حرف
ديماً في ظهري .. في كل لحظة ضعف
بتخاف عليا .. ديماً معايا كتف في كتف

توب الرُّجُولَةَ مَعْمُولَ عموله .. عَلَى قَدْ جَسَّمَكَ
لَوْ غِبْتُ حَتَّى فِي أَيُّ حتة.. كفَايَّةٍ اسمك
لَوْ غِبْتُ حَتَّى فِي أَيُّ حتة .. كفَايَّةٍ اسمك

بحضن جماعي مؤثر أنهى الأصدقاء أغنيتهم المؤثرة ولملموا عواطفهم التي أغرقت الليلة منذ

[4766]

بدايتها .. على الرغم من محاولة كل طرف إخفائها عن الطرف الآخر ..

لكنهم .. ببساطة لم يكونوا في حاجة لإعلان أي شيء .. فما بينهما أقدم وأكبر وأعمق من أي كلام يمكن أن يقال وأي أغنية يمكن أن تغنى .

***

في ساعة متأخرة من الليل وبالقرب من الحي كانت سيارة وائل وماجدة تقترب بينما ركبت الفتاتان مع جدتهما وسبقوهما للبيت ..

حاولت ماجدة التركيز في جملة مفيدة بعد طوفان المشاعر الذي أصابها به وائل خلال الساعات الماضية ..

Des. Maryam Tamim

تحاول التعقل ..

تحاول التريث ..

تحاول إعطاء الكلمة العليا لكرامتها ..

فبادرت بالقول " أنت مَن طلب من خالتي أن تأخذ البنات الليلة أليس كذلك ؟"

رد ببراءة " أنا !!"

قالت بغيظ " وائل.. لا تتلاءم أنا أحفظك كخطوط يدي ؟"

رد بجدية " ما دمتِ تحفظيني كخطوط يديك لمَ لا تخففين قليلا من عقابي ؟.. لمَ لا تشفقين على حالتي .. لو كنت تعرفيني حق المعرفة يا جوجو لعلمتِ أي عذاب أنا أعيشه .. وأي جمر أنكوي به"

ردت تحاول تذكير نفسها بحقيقة الأمر لا تذكيره هو .. لتقاوم ذلك الخدر الذي يسري في أعصابها وعقلها قبل قلبها " وائل أنا أخبرتك أني سامحتك ..

Des. Maryam Tamim

وقبلت ما قدمته لي من هدايا مادية رغم عدم اهتمامي بها.. لأشعرك بالتحسن ولأخلصك من عقدة الذنب .. فلمَ لا نرضى بهذا التقدم في علاقتنا وننتبه لتربية البنتين ؟ "

زفر بضيق وأشاح بوجهه لينظر من النافذة بجواره وغمغم "كما تريدين "

شعرت بالندم لإزعاجه .. بينما مد وائل يده بعصبية ليشغل الأغاني ليداري شعوره بالضيق وينفض ذلك الإلحاح في عقله والذي يؤكد له أنها ارتبطت عاطفيا برجل آخر .. ليصدح في السيارة تلك الأغنية التي بات يسمعها مرارا وتكرارا حتى تعذبه وتجلده بسياط الندم ..

مين يبتدى بعد النهاية ؟
مين بعد ما الأيام تفوت ؟

[4769]

ما فات الوقت ...

وجيت دلوقت..
وانا مضطرة أقولك .. لأ .. لأ .. لأ

اتسعت عينا وائل حين أدرك الأغنية .. ثم مد يده يغلقها بعصبية فقالت ماجدة "أتركها أنا أحبها "..

ليرد بغيظ "وأنا لا أحبها "

فأشاحت بوجهها تنظر من النافذة تلعن حماقتها التي تلح عليها بالاستسلام .

حين وصلت السيارة للبناية التي تقع فيها شقتهما قال بوجوم " انزلي وأنا سأركن السيارة وألحق بالشباب .. وإذا أردتِ اللحاق بالبنات عند أمي اذهبي "

Des. Maryam Tamim

سألته " ماذا ستفعل مع الشباب في هذا الوقت المتأخر؟ "

رد عليها بيأس " اعتدت السهر في كل مناسبة تخص أحد منهم .. على ما يبدو تلح عليّ الوحدة وقتها أكثر من أي وقت آخر فأتحاشى أن أكون وحدي "

أطرقت برأسها .. فنظر إليها قليلا ثم مال نحوها يطبع قبلة على خدها ثم يعتدل في مقعده قائلا دون أن ينظر إليها "تصبحين على خير جوجو" .

خنقها البكاء.. فترجلت من السيارة وراقبها وهي تدخل المبنى الذي تقع فيه شقته .. فحرك السيارة ليركنها .

اصطفت السيارات في شارع سماحة لإيصال العروسين إلى بيتهما .. بينما سبقهم عمرو يوصل

Des. Maryam Tamim

والدته قائلا على بوابة المبنى وهو ينظر لسيارة العروسين التي وصلت أمام بيت سماحة
"سأوصلكما ثم أنزل بسرعة "

طالعته والدته بدهشة بينما قالت أروى" ماذا تخططون بالضبط ؟ أنا اشم رائحة شقاوة "

قال عمرو بنظرة ماكرة "لا شيء سوى أننا سنسلم على العروسين هيا لأوصلكما إلى فوق "

أمسكت أروى بذراعه تقول بمرح طفولي" وأنا أريد أن أسلم معكم على العروسين "

تكلمت عفاف " اذهبا ولا داع لمرافقتي سأصعد وحدي "

بعد دقيقة أمام بيت سماحة وقف سيد يحمل زهرة التي تتعلق برقبته راغبة في الصعود معه ..

[4772]

بينما إلهام تبكي وهي تحتضن آية بجوار السيارة ثم تترك الفرصة للحاج ليبارك لابنته هو الآخر ..

أخذ سيد يقبل زهرة ويتمتم " ورحمة .. هل ستتركين رحمة تنام وحدها عند الخالة إلهام ؟"

ردت زهرة وهي تنظر لآية " نأخذ رحمة معنا أيضا "

ضحك سيد وقال " ألم أعدك أني حين أعود من سفري سنذهب سويا في رحلة طويلة أربعتنا معا"

رفعت رأسها من على كتفه لتواجهه قائلة " بل ثلاثتنا أنا وأنت ورحمة.. لمَ هي تذهب مرتين ونحن نذهب معك مرة واحدة ؟"

Des. Maryam Tamim

اتسعت ضحكته السعيدة ورد " سنناقش هذا الأمر في حينها "

تدخلت إلهام تقول " هيا يا زهرة لتنامي لقد قضيت معظم الحفل نائمة ".

أخذتها رحمة تحملها فقالت إلهام" انزليها يا بنتي ليست صغيرة كيف ستصعدين بها السلم "

اطاعت رحمة فقبل سيد رأس أختيه وسلم بتأثر على الحاج والحاجة .. لتقول الهام فجأة وهي تنظر خلفه " ماذا يحدث بالضبط ؟؟!!"

استدار سيد ليجد آية تتأبط ذراع أحمد الذي يرافقها إلى داخل البناية التي تقع فيها شقة العروسين .. ودخل خلفهم عمرو وأروى التي تكتم

Des. Maryam Tamim

ضحكها .. بينما بانة تلحق بهم بعدم استيعاب لما يحدث .. ليقول له وائل بابتسامة متسلية " ألن تأتي يا عريسنا ؟"

اقترب منهم سيد يقول" ماذا تفعلون ؟"

رد أحمد ببساطة " لقد أقسمت أنا والشباب أن نرافقك حتى شقتك "

زم سيد شفتيه بينما نظرت إليه آية تضحك فنادى أحمد قائلا " ألن تصعد معنا يا حاج لتبارك للعروسين "

ضحكت رحمة وانسحبت تصعد لبيت سماحة مع أختها التي أصرت على عدم العودة لبيت خليل في نفس الليلة .. بينما قالت إلهام لزوجها بتوتر "أيعجبك ما يفعله ابنك يا إبراهيم ؟؟.. ماذا سيقول علينا الناس حين يرونهم يصعدون معهم في ليلة عرسهم الشقة"

Des. Maryam Tamim

رد الحاج مبتسما" اتركي الشباب يتمازحون يا إلهام .. لقد اشتقنا لمزاحهم من كثرة الهموم التي حلت علينا .. لا تقلقي وتعالي نصعد إلى بيتنا فأنا متعب ومرهق جدا "..

تململت قليلا قلقة .. فشدها الحاج سماحة .. بينما دخل سيد وراء الشباب .

عند مصعد البناية دخل أحمد مع آية المصعد ثم سحب بانة لتدخل وقال لعمرو" دع أم عبد الرحمن تصعد معي أولا فلن يكفينا المصعد كلنا واصعد أنت ووائل العريس بعدنا.."

دخلت أروى بكرسيها وانغلق المصعد في وجه سيد الذي كان يحدق فيهم صامتا .. يديه في جيبيه بينما هتفت أروى "إلامَ تخططون يا مجانين؟"

Des. Maryam Tamim

ضربت بانة كفا بكف تقول" أنا لا أفهم صدقا ماذا تفعلون ؟"

تجاهلها أحمد ينظر لآية قائلا " تريدين طردنا أليس كذلك؟"

ابتسمت بتأثر وحركت برأسها بلا فقال" لمَاذا إذن هذه الحالة من الخرس ؟؟ "

رفعت إليه وجهها وردت بصوت هارب منها "لأني لم أتخيل يوما أن أرى تلك الغيرة عليّ في عينيك وتصرفاتك .. كما كنت تفعل مع أروى "

صمت يداري تأثره وفرد ذراعه حول كتفيها يضمها إلى صدره مقبلا رأسها فمسحت آية دمعة فرت من عينها ..

Des. Maryam Tamim

في الشقة بعد دقائق وقف سيد صامتا بجوار آية يشاهد الشباب يجلسون أمامهما على الأريكة بينما أحمد يضيفهم بتوزيع الشيكولاتة عليهم من طبق الشيكولاتة الكريستالي على المنضدة الصغيرة أما بانة فكانت تجز على أسنانها وتشد أحمد في حرج " هيا يا أحمد كفى مزاحاً "

رد أحمد ببرود " لم نقدم لهم التهاني بعد (ثم أمسك بطنه يقول) أنا جائع "

قالت بسرعة " هيا سأعد لك أحلى طعام في بيتنا"

ليرد عليها بساطة "ولم الكلفة ؟..الطعام موجود"

توجه أحمد وسط دهشة بانة نحو منضدة السفرة يبعد سيد ببرود ثم سحب الصينية الضخمة المغطاة فوق المنضدة يحملها بين يديه ويتوجه

Des. Maryam Tamim

بها للشباب واضعا إياها أمامهم على الطاولة الصغيرة .

فتمتم وائل وهو يشمر أكمام قميصه " كنت جائع والله "

قال عمرو وهو يرفع الغطاء القماشي عن الصينية " وأنا أيضا (ثم هتف بانبهار) بسم الله ما شاء الله ..ما كل هذا الطعام!! .. يبدو أن الخالة إلهام كان قلبها يشعر بأن الطعام سيكون من نصيب أكثر من شخصين " .

كتمت أروى ضحكتها تراقب تعبيرات سيد وآية الهادئة والشباب الذين بدأوا في الأكل بالفعل ثم قالت " أشعر بالجوع أنا أيضا "

رد عمرو بسرعة " أنا أجهز لك يا أم بيدو .. أعلم الجزء الذي تحبينه بالذات من ذكر البط "

Des. Maryam Tamim

فأشار أحمد لبانة" ألن تأكلي يا أم زيتونة "

فتحكمت بانة في ابتسامها على منظرهم وهم يمزقون ذكر البط بين أيديهم وردت بلا .. فعاد أحمد ينكب على الطعام مع صديقيه .. بينما جلست بانة قليلا بعد أن أرهقها الوقوف تنتظر انتهاءهم .

نظرت آية لسيد تحاول تخمين ما يدور في عقله وتحديد أسباب ذلك الهدوء الذي يتملكه منذ تلك المفاجأة التي فاجأه بها أحمد في الحفل بالرقص أمامه على تلك الأغنية المؤثرة ..

فلمست ذراعه تقول بهمس " لا أتوقع أنك غاضبا منهم "

فابتسم وهمس "بالطبع لا"

Des. Maryam Tamim

فسألته هامسة " لم هذا الصمت إذن .. ألا زلت متأثر بتلك الأغنية ؟"

ابتسم مجددا ورد "أجل .. أنا أشكر الله أن منحت نعمة مصاحبتهم.. وأن زرع في قلوبهم محبتي .. حتى ما يفعلونه الآن يؤثر بي .. فما أجمل أن يملك المرء رفقاء يدخلون اللحظات السعيدة على حياته ليجعلوها أكثر تميزا بأفعال قد تبدو في ظاهرها للإغاظة لكنها تحمل خلفها الكثير من الدفء والمحبة .. (تأملهم مجددا ثم قال) يصنعون ذكريات تُحكى فيما بعد بابتسامة ودمعة متأثرة" ..

تطلعت إليه مندهشة من هذا التفاهم بينه وبينهم دون أي مجهود .. كل منهم يتقبل الآخر بشكله وبشخصيته بعيوبه ومميزاته دون أن يحاول أن يغيره لما يراه الأفضل من وجهة نظره ..

يصنعون نقاط التقاء كثيرة يزرعونها في أرض مشتركة .. يسقونها بالثقة .. ويقطفون منها المحبة الخالصة .

قال أحمد بعد قليل " أشعر بالامتلاء"

صاح عمرو " والحمام يا كونت لم تأكل سوى واحدة"

رد وائل " هات يا بني واحدة أخرى "

تمتم أحمد " ذكر البط كان رائعا سلمت يدها أمي (واستدار لسيد يقول) تركت لك رقبة ذكر البط فأنت تحبها "

تحكم سيد في ابتسامته دون رد بينما انفجر الباقين في الضحك ..

قال عمرو بفم ممتلئ " أتعرفون ما الذي ينقص هذه الوليمة ؟"

[4782]

فرد وائل وهو يمصمص عظام البطة " صحن ملوخية "

أيده عمرو مهللا" بالضبط يا اكسلانس نسيت خالتي الملوخية للأسف لكن لا بأس بهذا الطعام"

بعد قليل خرج الشباب من الحمام الصغير الذي يقع بمدخل الشقة يجففون ايديهم بينما نظرت بانة للصينية التي تحولت لفوضى .. وتم القضاء على كل ما فيها فتمتمت " ستصاب أمي بنوبة قلبية إذا علمت بما فعلوا (ثم نظرت لآية تقول) سأجهز لكما طعاما بديلا وأرسله "

تكلم سيد بهدوء " لا تشغلي بالك بنا يا بانة سنتصرف ".

فغمغمت بانة تبارك لهما بحرج ثم اقتربت من آية تقول "مبارك يا غليظة"

Des. Maryam Tamim

وقبلت وجنتيها فحضنتها آية ضاحكة ..

قال الشباب مغادرين " دائما عامر يا عريسنا "

فرد سيد بهدوء " سأرسل لكم فاتورة الحساب بما أكلتموه في بيتي اليوم مضافا إليه رسوم تعويض عن تحمل غلاظتكم في يوم زفافي " .

قهقه الشباب يغيظونه وخرجوا فكان أحمد آخرهم والذي نظر إليهما ثم أشار بسبابته لسيد بتهديد "حافظ عليها "

وخرج بتثاقل فقالت آية لسيد "انتظر قليلا "

ثم جرت خلف أخيها قبل أن يدخل المصعد تنادي عليه .. وحين التفت .. وجدها ترتمي عليه تحضنه وهي تغمغم بتأثر " أنا أحبك يا أحمد الله لا يحرمني منك أبدا "

[4784]

حضنها أحمد ورد " ولا حرمني منك يا حبيبتي "

تقدم سيد يسحبها من أحضان أحمد قائلا بإغاظة " هذه المرة أنا من سيطلب منك المغادرة ويغلق باب الشقة في وجهك يا كونت "

***

بعد قليل وقفت آية تنظر بتوتر لسيد بعد أن أغلق باب الشقة .. فاستدار إليها مبتسما ثم تركها وتحرك ينظر متلصصا من فتحة النافذة الصغيرة التي فتحها .

عقدت آية حاجبيها باستغراب وسألته "ماذا تفعل؟!!"

فأشار لها بسبابته أن تلتزم الصمت ..فسكتت بترقب تحاول فهم على من يتلصص في الشارع الهادئ .

Des. Maryam Tamim

بعد دقائق قال لها بهدوء "غيري فستانك وحضري نفسك للذهاب ".

اتسعت عيناها تسأله بصدمة "الذهاب إلى أين؟!!"

قال " نفذي أولا ليس لدينا وقت .. بالمناسبة أنا أخذت الحقيبة الكبيرة التي أعددتها لشهر العسل فلا تفزعي حين لا تجدينها في الغرفة المهم غيري فستانك هذا لرداء أكثر راحة ثم هيا"

قالت معترضة "لن أغير فستاني الآن"

سألها بدهشة" لماذا ؟؟!!"

ثم اقترب منها ينظر إليها بنظرة ذات مغزى قائلا " للأسف لن استطيع مساعدتك في خلع الفستان هنا .. لأنني لأن أقدر بعدها المغادرة أبدا .. فبدلي فستانك وحدك "

Des. Maryam Tamim

ضربت بقدمها على الأرض تقول بإصرار" لا .. سأخرج بالفستان "

ضيق عينيه وقال" حسنا ما دمت مصرة رغم أنه سيعطلنا"

فسالته بدهشة" يعطلنا عن ماذا؟"

اتسعت ابتسامته قائلا " عن الهروب .. سنهرب يويا حالا ولن ننتظر يومين لتبدأ رحلة شهر عسلنا .. (ومال يحدق في عينيها قليلا ثم قال) سأخطفك حالا وبسرعة قبل أن يتنبه أحد" .

شدها ليغادرا فاتسعت ابتسامتها في حماس ثم قالت بسرعة " انتظر ثوان سأحضر بعض الأشياء المهمة "

Des. Maryam Tamim

رفعت فستانها عن الأرض واسرعت مهرولة للغرفة .. فتأملها ..ببريقها ولمعان فستانها .. واطلالتها .. يحدث نفسه" أصبر قليلا يا سدسد قليلا"

بعد قليل كان سيد يطل برأسه من بوابة البناية ليتأكد من أن الشارع خالي تماما من المارة ..ونظر نحو بيت سماحة ليتأكد أن أحمد ليس بالشرفة ثم أشار لآية لتخرج .. ليتسللا من البوابة ثم يهرولان وهو يساعدها في لملمة فستانها الذي يحف بالأرض .. لينعطفا عند أول شارع جانبي .. ويجدا سيارة سيد التي كانت تنتظرهم في الشارع"

أجلسها سيد في السيارة يحشر فستانها ثم وضع الحقيبة الصغيرة التي أحضرتها في الكرسي الخلفي ليستدير ويجلس في مقعد السيارة منطلقا بسرعة وصمت لا يقطعه سوى أنفاسهما المتوترة .. وبمجرد أن غادرا حي سماحة نظرا لبعضهما

Des. Maryam Tamim

بانتصار ثم انفجرا في الضحك مبددين سكون الليل حولهما ..

***

وقف أحمد يراقب بانة التي تغسل الأكواب بعناية ثم وضعت فيهم بعض الماء الساخن .. فشعر بنفس الخوف عليها كالمرة السابقة .. أن يحرق الماء الساخن يدها .. ليعود ويطمئن من سيطرتها على الوضع .. فمد الرجل العجوز يده لها بليمونة يقول بامتعاض وهو يختلس النظر لأحمد " لا تنس الليمون يطرد الوسواس الخناس "

رفع أحمد حاجبه ينظر للرجل بينما كتمت بانة ضحكتها وأعطت الرجل الكوبين النظيفين ليصب لهما من الحمص الساخن ..

Des. Maryam Tamim

حمل أحمد بعدها الكوبين وجلسا في نفس البقعة التي جمعتهما يوما قبل أن تطلعه بانة على رفضها للزواج منه .

نظرت بانة حولها وقالت بحنين " حين جئت إلى هنا المرة الماضية كنت أعاني بشدة .. ممزقة بين مشاعري تجاهك ومستقبلي الغامض ".

تكلم أحمد بهدوء " وقتها تألمت بشدة من رفضك الزواج مني .. شعرت بأنك حكمت عليّ بالإعدام"

صمتت بانة تتأمل ملامحه الشاردة .. لقد أصرت عليه أن يأخذها للتنزه بالسيارة بعدما وجدته متأثرا جدا بعد مغادرته لسيد وآية .. فأرادت إبعاده عن الحي كله ..

سألها" لم أردت العودة إلى هذا المكان مجددا "

Des. Maryam Tamim

ردت ببساطة " لأني لم أتذوق الحمص ليلتها .. كما أن زيتونة أرادت بشدة أن تتذوق الحمص"

تأملها قائلا " أنت وزينوتك المدللة !.. ألم تنتهي فترة الوحام والاشتهاء؟ "..

حركت كتفيها بدلال وردت" ما ذنبي أنا ابنتك التي تطلب" .

قال مازحا " أخبريها أن أباها شديد لن يدللها أبدا"

أمسكت بيده بحنان وردت " بل سأخبرها ألا تخاف من عصبية أبيها أبدا فخلف تلك القشرة الصلبة التي يحيط نفسه بها حتى لا تظهر انفعالاته يوجد إنسان دافئ حنون يحب بعمق وتطرف ".

Des. Maryam Tamim

ابتسم ثم وقف يخلع سترته ويلبسها لها.. وأحاط ذراعه بكتفيها فقالت " كيف علمت أني أشعر بالبرد؟ "

رد عليها وهو يتأمل عينيها الجميلتين" زيتونتك أخبرتني .. "

همست بعشق "أحبك "

شدد من ذراعه حول كتفيها ..فمالت برأسها على صدره لتقول بعد قليل " هل تعتقد أن جلوسنا هنا بهذا الشكل ليس به مشكلة" .

رد عليها بهدوء " لن يحدث شيء سوى أننا معرضون لأن تقبض علينا شرطة الآداب ".

***

في مصعد أحد الفنادق الشهيرة قالت آية بحماس وهي تمسك بالبطاقة الالكترونية الخاصة بالجناح الذي حجزه سيد مسبقا " حين قلت لرجل

Des. Maryam Tamim

الاستقبال " غرفة باسم سيد صبرة وحرمه .. تسمرت قليلا غير مستوعبة "

لف ذراعه حول خصرها يقربها منه قائلا "هل صدقت أننا هربنا بالفعل؟" .

لم ترد بل غلبت مشاعرها ذلك الحماس الذي دب فيها من تلك المغامرة الصغيرة.. وغلبت أيضا ذلك التوتر الطبيعي لأي فتاة لم يسبق لها الزواج حتى لو كانت مثلها لا يوجد ما يقف حاجزا بينها وبين أستاذها وصديقها ومرشدها .. فتأملته بتأثر ليميل سيد نحوها ببطء وكاد أن يصل لشفتيها لكن باب المصعد انفتح فجأة أمام الطابق المطلوب فحملها سيد.. فأطلقت ضحكة متفاجئة وهي تلف ذراعيها حول عنقه .

تأملها قليلا بأنفاس متسارعة ثم قال " تمنيت كثيرا أن أحملك هكذا "

Des. Maryam Tamim

مسدت على لحيته الخفيفة الأنيقة وقالت " وأنا اكتفيت بتخيلها كل ليلة دون أن أجرؤ على تمنيها"

غامت عيناه بالتأثر وقال " ما أجملها هلوسة !"

عند باب الغرفة مال بها لتمرر بطاقة الغرفة فانفتحت .. ليدخل ويركل الباب بقدمه ثم قال هامسا "افتحي الضوء"

طقطقت بلسانها رافضة بشقاوة ليقول " مرري البطاقة وافتحي ضوء الغرفة يا آية لا أرى أمامي لأتحرك "

اطلقت ضحكتها ومدت ذراعها تفتح الضوء فتأمل وجهها قائلا " ها قد اشرقت الشمس "

أحمر وجهها ونظرت حولها للجناح ثم قالت "أنزلني .. أريد أن أفعل شيئا مهما"

Des. Maryam Tamim

تعجب وأنزلها لتقف أمامه ثم قالت " أنتظر هنا ولا تتحرك"

تسمر مكانه مندهشا ليراها تدخل الحمام ويسمع صوت المفتاح من الداخل .. فابتسم متحمسا يحاول أن يخبر نفسه مرارا وتكرارا بالتعقل والصبر مذكرا نفسه أنها قد لا تتحمل ضغط مشاعره وعنفوانها .

في الحمام بدأت آية بفك طرحتها وحجابها بسرعة وحماس .. ثم حاولت بصعوبة وبعد عدة محاولات فتح سحاب الفستان الجانبي لتسقط الفستان عنها قليلا .. ثم خلعت البلوزة البيضاء ذات الأكمام التي كانت تغطي ذراعيها وفتحة صدر الفستان .. أعادت ارتداء الفستان من جديد وأغلقت السحاب تتأمل نفسها في مرآة الحمام الكبيرة عارية الذراعين والرقبة وجزء من فتحة

Des. Maryam Tamim

العنق .. ففكت عقدة شعرها لتعيد ترتيبه بعقدة مرتفعة قليلا أنزلت منها بعض الخصل على جانبي وجهها .. ووقفت خلف الباب تلتقط انفاسها وتهدئ ضربات قلبها التي تقصف بقوة في صدرها .. واستجمعت شجاعتها وخرجت إليه .

استدار إليها سيد بمجرد أن سمع صوت باب الحمام .. لتتسع عيناه وتتكور شفتاه علامة عن الإعجاب الشديد .. فتمتمت آية وهي ترتجف من الخجل لم تحسب حسابه " أردت أن أريك الفستان دون حجاب "

تقدم نحوها يبتلع ريقه بصعوبة متأملا جمال ذراعيها ورقبتها .. وروعة الفستان على قدها الذي كان دوما يذيب أعصابه وهو مغطى بالكامل ..متسائلا عم سيفعل به حين يُسمح له بلمسه ورؤيته وتذوقه.

Des. Maryam Tamim

مرر يديه ببطء على ذراعيها نزولا .. ثم أحاط وجهها المشرق بكفيه يحدق في عينيها هامسا بعشق " يويا "

ومال عليها ينهل من شهد شفتيها بقبلات متقطعة وهو لا يزال محدقا في عينيها غير راغب في إشاحة النظر عنهما .. فتمسكت به آية متشبثة بقميصه .. تسيطر على الخدر الذي يسري في أعصابها .

سمعا طرقات على باب الغرفة فتركها بصعوبة وتوجه ليفتح الباب.. فتحركت آية تجري نحو الحمام مرة أخرى بعد أن أخرجت من الحقيبة الصغيرة التي أعدتها منذ قليل القميصين القصيرين.

أدخل سيد عربة الأكل ثم بحث عنها متعجبا واتجه لباب الحمام يقول "أين ذهبت يويا؟؟!!" ..

Des. Maryam Tamim

جاءه صوتها من الداخل تقول " سأرتدي أحد القمصان لتراه"

رفع حاجباه .. ثم تحرك مبتعدا يحدث نفسه وهو يفك أزرار قميصه " أنا ميت الليلة لا محالة فكل هذا لن تتحمله أعصابي أبدا " .

حين غابت في الحمام قال بقلق " يويا هل أنت بخير ؟ هل تحتاجين لمساعدة؟ "

انفتح باب الحمام فتطلع إليها بترقب ليجدها لا تزال بفستان الزفاف تطرق برأسها فانسدل شعرها يغطي ملامحها .

فرفع حاجباه وسألها مندهشا " أين القصير والأقصر منه ؟"

رفعت إليه وجها أحمر وقالت بصوت مبحوح " سيد ألا يمكن أن نؤجل أمر القميصين قليلا ؟"

Des. Maryam Tamim

سألها بفضول هامس " لماذا يويا ؟؟!!"

نظرت إليه تقضم أظافرها الطويلة الملونة.. فابتلع ريقه بصعوبة وقال بخفوت " لا تقولي أن لديك ما يمنع "

حدقت فيه بغباء تسأله " ماذا تقصد؟ "

رد مفسرا " ما يمنع يويا.. ما يمنع ألا تفهمين .. الظروف الشهرية " .

غطت بحرج فمها مصدومة ثم حركت رأسها وسبابتها أمامه نافية.. فتنفس الصعداء وقال بقلق "ماذا حدث إذن ؟".

حدقت فيه قليلا بصمت وعادت لقضم أظافرها ثم قالت بخفوت " قصيران .. جدا جدا جدا يا سيد "

Des. Maryam Tamim

صمت قليلا يستوعب ثم انفجر ضاحكا يضرب كفا بكف وقال من بين ضحكاته " أين ذهب الحماس.. والشجاعة ؟.. من كل قمصان العرائس اخترت القصير والأقصر منه .. وقلت بثقة اختر يا سيد .. وفي النهاية .. قصيران جدا يا سيد !!!! "

مطت شفتيها بعبوس طفولي ثم قالت" أعدك أن أتعود بسرعة وألبسهما لك قريبا ".

اقترب منها وسحبها بين ذراعيه قائلا " دوما تتحدثين قبل أن تفكرين .. تتحركين قبل أن تفكرين "

تطلعت في عينيه فأكمل بجدية " اسمعي يويا .. لا تشغلي بالك بأن تكوني مغرية .. كوني كما انت ولا تحاولي القفز على سنوات عمرك ولا مستوى خبرتك " .

Des. Maryam Tamim

قالت موضحة " أريدك أن تصل لأقصى درجات السعادة .. أن تشعر بالاكتفاء.. لكني لا أعرف كثيرا في هذه الأمور فلو علمتني أعدك أن .."

مال عليها بشفتيه يخرسها بقبلة ترجمت عنف المشاعر التي أثارتها بداخله بما تفوهت به .. فأغمضت آية عينيها تتعلق برقبته تختبر لأول مرة مشاعر أنثوية تزداد ثورة وجموحا بداخلها .

ثم أطلق سراح شفتيها يتطلع إليها بعينين تموجان برغبة مشتعلة.. لم يعد قادرا على كبح جماحها بعد الآن .. ومال يطبع قبلات محمومة على رقبتها وكتفها مزيحا حمالات الفستان بسهولة ..

Des. Maryam Tamim

لقد أشعلت هذه الجنية الفتيل .. ووقفت بين ذراعيه ترتجف وهي تتلقى منه أول دروسها في العشق ..

حين تكلم كان صوته أجشا وأنفاسه تعلن عن الجمر المشتعل في صدره .. فلفحتها أنفاسه وهو يقول " يا بنت.. قلت لك لستِ في منافسة مع أحد .. وجودك وحده يكفني .. يا آيتي .. أنا حرّمت على نفسي السلام عليك باليد حين استشعرت جنون مشاعري تجاهك وما تفعلينه بي بنظرة عين .. هل تستوعبين المعنى ! .. إن كان لمس يديك يستفز رجولتي .. فماذا سيحدث لي حين أشتم شعرك أو ألمس خصرك .. أو أمنح الفرصة لملء عيني برؤية تفاصيلك "..

استطالت على أطراف أصابعها تطبق على شفتيه فلف ذراعيه حول خصرها ورفعها إليه دون أن يفلت شفتيها .. لتجد نفسها بعد قليل مستلقية

Des. Maryam Tamim

على السرير غير عابئة بالفستان الذي تُرك ملقى على الأرض بإهمال .. لا تدرك سوى أن سيد يخيم فوقها يحررها من كل القيود والأصفاد التي دُقت في جسدها وروحها يوما حتى تبعدها عنه ..

لم تدرى سوى أنه يسقيها من كأس الغرام رشفة رشفة بتمهل مرتعبا من أن يؤذيها بطوفان مشاعره العاصف ..

حرر شفتيها يغرق أصابعه في شعرها ويقبل أطرافه .. وهمس مقربا وجهه من وجهها " أتعلمين بما أشعر في هذه اللحظة يويا ؟

أشعر بشعور طفل يتيم مُنح قطعة سكاكر عملاقة .. فأنا لا أدري صدقا أي خير فعلته في حياتي ليسمحوا لي بالاقتراب منك .. بالتطلع فيك .. بلمسك .. بفك ضفائرك .. باستنشاق عطرك .. بالغرق في حضنك .. لا أدري ما هذا العمل العظيم

[4803]

الذي قمت به ليكتبك الله لي زوجة .. (وازداد صوته تأثرا بعاطفة معذبة) أتصدقين ذلك!! .. أتدركين أين أنت الآن؟؟ .. في حضني .. أنت في حضني يويا.. وأنا .. أنا .."

أرتعش صوته بتأثر .. وتبخرت العبارات من رأسه .. فرفعت آية رأسها تطبع قبلات على صدره العريض ورقبته ثم همست أمام شفتيه " أنت حبيبي واستاذي وبوصلتي ..فمن تكون آية بدون سيد .. أنت المارد .. المارد الذي يحب السكاكر "

ابتسم وقال " بمناسبة المارد الذي يحب السكاكر .. وبما أنك أكبر قطعة سكاكر قد أراها في حياتي أريد أن أخبرك شيئا هاما " .

تطلعت في عينيه اللتان تشتعلان بالرغبة فقال " إذا مت يا آية .. إذ لم يتحمل قلبي تلك السعادة ومت .. فأعلمي أني مت سعيدا راضيا أن كانت أخر لحظات حياتي بين ذراعيك "

Des. Maryam Tamim

ومال يغرق في حضنها بحرمان ويُتم تأصلا في كينونته منذ أن وعى على دنياه .

***

بعد السير بسيارته في الشوارع الساكنة قليلا عاد وائل إلى شقته يائسا وحيدا .. لكنه شعر ببعض الارتياح حين وجد ضوء غرفتها مضاء .. فقد توقع أنها قد تذهب وراء البنات هاربة منه.

تحرك نحو غرفته متلكأ قليلا عند باب غرفتها مترددا في طرق الباب .. وملجما شعورا ذكوريا همجيا ذا كرامة مجروحة يرغب في اقتحام الغرفة وتلقينها درسا يرضي غروره الذكوري ..

لكن قلبه يمنعه ..

قلبه وحده من يمنعه فلا شيء آخر قادر على تلجيمه سواه ..

Des. Maryam Tamim



أين كان ذلك العشق مخبأ ..

أين كان ذلك العشق حين كانت تجاوره في نفس البيت لسنوات طويلة ..

أين كان ذلك العشق حين أهملها حتى توقفت عن حبه ..

وأين كان هو ..

سؤال سيظل يسأله لنفسه حتى يموت ..

وقفت ماجدة خلف الباب تشعر به واقفا عند غرفتها .. ففركت كفيها بارتباك وحيرة ..

ماذا تفعل؟ ..

تستسلم؟ .. أو لا تستسلم؟..

قلبها؟ أم كرامتها؟ ..



"جوجو "

قالها وائل بإنهاك من خلف الباب فانتفضت مرتبكة لكنها كتمت أنفاسها بكفيها .

تكلم وائل "هل أنت مستيقظة ؟ .. أنا فقط أردت أن أقول.. أن كل ما قلته اليوم لك في الحفل كان من أعمق أعماقي .. فأنا لم أحب ولن أحب امرأة غيرك .. قلت تريدين حبا دون سبب وجيه .. وأنا أقول أني أتحمل نظرتك لي بأني لست رجلا في نظرك .. أعلم أن الادوار تبدلت الآن وأن الأقدار تسقيني من نفس الكأس لكن يا جوجو كما تعلمين أن هناك أمور محفورة في كرامة أي رجل شرقي لا يمكن قبولها .. ومع هذا أنا أتحمل ظنوني التي تقتلني .. محملا نفسي الذنب لا أنت .. باذلا كل ما استطيع لاستعادتك.. وكل ما أملكه من قوة

Des. Maryam Tamim

للتحكم في نفسي حتى لا أفعل ما أندم عليه .. أليس هذا سبب غير منطقي يثبت لك حبي؟!!"..

حين لم ترد أطرق برأسه وتمتم" حسنا تصبحين على خير "

اعتصر الألم على قلبها .. ففتحت الباب بسرعة تقول بغضب من نفسها في الأساس "ماذا تريد يا وائل؟.. وما هذا الكلام الذي قلته منذ قليل عن انتقاص رجولتك وما الى ذلك؟!! .. وهل ستحتاج مني أنا لتأكيد ذكوريتك ! .. ومن أنا ليكون لي هذا الشرف الرفيع !!.. أنا مجرد حمقاء تلف وتدور في فلكك.. مهما فعلت بها تعود لتجدها في نفس موضعها الذي تركتها فيه .. من أنا سوى شخص على الهامش .. مفعول به لا فاعل .. حين كنت صغيرة علموني أن أحبك .. أفهموني اني لم أخلق إلا لك .. فظللت أتجرع كؤوس العذاب في حبك

Des. Maryam Tamim

الكأس تلو الأخر وعشت عمرا وأنا زوجة مع وقف التنفيذ وكأني قضيت ليلة مع رجل حملت فيها طفلتيه .. .. من أنا ؟؟؟؟"

قال وائل بسرعة " أنت حبيبتي ذات الحظ العاثر الذي كتب عليها أن تحب رجل مثلي .. أنت عمري الضائع و حاضري الذي اشتاق لأن أعيشه ومستقبلي الذي يئست من الوصول اليه .. إن كنتِ مفعولا به كما تقولين .. فأنت الآن الفاعل .. أنت من بيدك أمري .. ومن بيدك اسعادي واتعاسي .. انقلبت الادوار واصبح كل

شيء بيدك الآن "..

اقترب منها يتأمل وجهها.. فارتبك كيانها كله.. كالعادة .. كلما اقترب .. تنسى كل شيء إلا وجوده ..

ظالما .. قاسيا .. شاعرا بالذنب .. أو صادقاً ..

Des. Maryam Tamim

كلها أمور تُنسى .. تتبخر في الهواء عند اقترابه خاصة مع تلك النظرة المتألمة التي يطل بها عليها

..

هربت من عينيه لتطرق برأسها قليلا ثم رفعتها لتسأله بطريقة ذكرته بماجدة الفتاة الخجول ذات التاسعة عشرة في ليلة زفافها حين قالت " هل تحبني حقا أم تستغل حماقتي "

كيف تمكن الأمل أن يصرع اليأس بداخله في أقل من ثانية ؟؟!!

كيف بسؤالها المتلعثم هذا تكتب شهادة نجاته في أقل من ثانية ؟؟!!.

شقت الابتسامة طريقها إلى وجهه.. وازدادت زرقة عينيه.. ليميل عليها هامسا بجوار رأسها بمشاكسة " بالطبع أستغل حماقتك جوجو فمن ستسامحني بعد كل ما فعلت إلا امرأة حمقاء مثلك".

أبعد رأسه لينظر في وجهها فوجدها متسعة العينان تحاول استيعاب ما يقول .. فحضن خديها بكفيه قائلا بهمس أمام شفتيها " ومع هذا أحبك وأحب حماقتك .. وهذا أيضا سبب غير منطقي آخر أحبك بسببه جوجو" .

رمشت بعينيها .. فضحك مستدركا " بالطبع أحبك يا جوجو .. أحبك .. أحبك .. كم مرة تريدين أن أقولها لتصدقي ؟.. تعالي "

Des. Maryam Tamim

سحبها نحو الشرفة وسط ذهولها تحاول استيعاب ماذا سيفعل .. ففتح باب الشرفة وملأ صدره بالهواء ثم صاح بقوة "أحبك يا جووووجووووو! "

لطمت ماجدة على وجهها وسحبته للداخل بسرعة تغلق باب الشرفة وهي تصيح مصعوقة " ماذا فعلت يا مجنون !! .. انفضحنا وسط الجيران "

قال بسرعة متجها نحو باب الشقة" سأنزل لأقولها في وسط الشارع ليستيقظ كل الناس لتصدقي أني أحبك "

شهقت وجرت خلفه حتى لحقت به عند باب الشقة .. فأمسكت به تقول بتوسل " كفى جنونا يا وائل أرجوك ستفضحنا ".

Des. Maryam Tamim

قال بابتسامة "لابد أن أثبت لك أني أحبك فأنت لا تصدقيني "

قالت بسرعة "صدقتك .. صدقتك .. هيا اغلق الباب أرجوك " .

اتسعت ابتسامته وأغلق الباب ثم سحبها إليه يقول "إذن علينا أن نوثق هذا الحب فورا قبل أن يهدأ"

سألته بغباء "كيف؟"

فهمس أمام شفتيها " دعيني أشرح لك هذا الأمر بالضبط يا صديقتي العزيزة ".

قبّلها ..

قبّلها بقوة عشق قديم يصارع للتحرر منذ سنوات .. قبلة قلبت كيانها .. وأفقدتها ما تبقى لديها من المقاومة .. هذا إن وجدت ..

[4813]

تركت ماجدة شفتيه تشهق وهي تنظر إليه وكأنها تستعيد الحياة مرة أخرى.. فقبّلها مرة أخرى .. وأخرى .. وأخرى .. لتلف ذراعيها حول عنقه بقوة .. وكأنها تريد أن تفتته ليتسرب إلى داخل جزيئاتها .. تستشعر جسده وتمرر يدها المرتعشة عليه .. وتتحسس ظهره باشتياق .. باستجداء للوصال .. بترجي صامت .. أوجعه .. طعنه في صميم رجولته ..

فلف ذراعيه حولها بقوة يعتصرها ويطبع قبلات محمومة على عنقها ..

سألته وهي تذوب بين ذراعيه " ما اسمي يا وائل؟ .. انطق اسمي .. أريد أن أسمعه من بين شفتيك لأتأكد أنها أنا "

رفع وجهه عنها متألما.. ثم طبع قبلة على شفتيها يقول بصوت باك "جوجو"

وقبلة أخرى متبوعة بجوجو .

[4814]

وأخرى متبوعة بجوجو .

ثم مال على شفتيها المشتاقة يطبق عليها قبلة طويلة محمومة .. يسقيها من الغرام ما حرمها منه سنينا طويلة .. تاركا الحرية ليده لأن تمهد له امتلاكها من جديد ..

قبلته .. حضنه .. أنفاسه الساخنة .. وكل ما يخصه أذابوها حتى استسلمت ..

استسلمت له دون أن تفكر في أي شيء آخر.. سواه ..

سوى وائل ..

حبيبها وموئلها .. الموشوم في قلبها للأبد .

***

Des. Maryam Tamim

دفن سيد وجهه في شعرها قليلا .. ثم طبع قبلات رقيقة فوق جفنيها المغلقين .. ليتحرك عنها مستلقيا على ظهره بجانبها ينظر إليها محاولا تنظيم أنفاسه .. وراقب شروق عيناها وتلك الابتسامة الثملة التي تعتلي وجهها ..

وتطلع لشعرها المنثور حولها ولكتفها الأبيض الناعم غير قادر على قول أي شيء ..

متخما بالمشاعر ..

شاعرا بالامتلاء ..

لأول مرة يشعر بهذا الشعور .. الامتلاء ..

وتساءل عن سر تلك الجنية التي سلمها كل ما يملكه واستسلم لها ..

ما سرها حتى تشعره وكأن لم يعاشر امرأة من قبل؟!!

[4816]



ما سرها حتى يشعر لأول مرة في حياته بذلك الدفء الذي سرى في كل خلية من جسده ..

نظرت إليه آية ثم سحبت الملاءة عليها حتى فمها وكتمت ضحكات محرجة ..

فابتسم ينظر إليها مشدوها بكل ما مر به معها من مشاعر فاقت كل تخيلاته وتوقعاته .. غير قادر حتى على الحديث .. وغير قادر على مسح تلك الدمعة التي تسربت من طارف عينه أمامها رغم أنه لم يكن يبكي .. فرفعت آية رأسها واقتربت تشرف عليه من عليّ وسألته وهي تمد يدها لتمسح دمعته بإصبعها " لماذا ؟"

أجبر نفسه على الحديث فقال بخفوت" لا أعرف ربما لأنك حلوة لدرجة كادت أن تصيبني بنوبة قلبية " .

Des. Maryam Tamim

عضت على شفتها سعيدة وقالت " سيد "

رد بخفوت لاهثا "روح سيد التي ردت إليه "

تحرجت قليلا ثم سألته " هل أصبحت امرأة متزوجة الآن ؟؟.. أقصد .. أقصد .. أنت تفهم ؟"

ابتسم ثم أومأ برأسه بنعم صامتة مصاحبة لدمعة أخرى سالت من طارف عينه ..فغطت آية فمها مجددا بالملاءة تكتم ضحكتها لتقول بعدها بلهجة شقية" أحببت الزواج منك جدا "

وكتمت ضحكة أخرى متحرجة .. فلم يقدر على مقاومة حلاوتها فمد ذراعه تحتها يسحبها إليه لتتمدد فوقه.. وغطاها بالملاءة يمسد على شعرها الذي يفترش صدره .. ناظرا لسقف الغرفة يتمتم في سره " الحمد لك والشكر لك يا الله "

Des. Maryam Tamim

الفصل الثاني والأربعون والأخير

صوت فتح باب الشقة أيقظ وائل من نومه المليء بالأحلام المختلطة ما بين السعادة ومشاعر الذنب والخوف من القادم ..

لكن ما تذكره من تلك الاحلام أنه كان يبحث عن ماجدة .. وظل يبحث عنها وقتا طويلا في دروب قاحلة ومتاهات معقدة .. حتى وجدها لكنها كانت مقيدة بجدار قديم مكبلة بأصفاد حديدية من يديها وقدميها .. فجرى نحوها يحاول فك قيدها وهو يصرخ طالبا المساعدة .. وفي النهاية قرر هدم الجدار حتى يحرر أصفادها أولا .. ثم حرر يديها من الأصفاد .. لكنه أكتشف أن جسدها كله كان مغطى بالإبر المغروزة في جسدها .. منظر تلك الابر الرفيعة الكثيرة أوجعه جدا .. فظل ينزعها من

Des. Maryam Tamim

جسدها إبرة إبرة .. كل هذا وماجدة صامتة ..
تتطلع إليه دامعة العينان..

لكنه فوجئ بها تستجمع قواها فجأة وتستقيم تاركة إياه جالسا في الأرض غير قادر على الحركة فاقدا للنطق .. تمتمت باعتذارات ثم تركته.. ورحلت .. فحاول أن ينادي عليها.. أن يصرخ.. لكن صوته كان محبوسا .. ليرى بعدها ظِل ماجدة أمامه على الأرض وظِل رجل آخر قابلها وسحبها من يدها فذهبت معه واختفت هي وظلها من أمامه..

هذا الحلم أو الكابوس .. أيقظه من النوم مفزوعا عند الفجر ليتنفس الصعداء بعدها حين وجدها بين ذراعيه منكمشة في صدره كعصفور بردان في يوم ماطر ... فشدد ذراعيه حولها وأكمل نومه .. لكنه استيقظ الآن وقد خيل إليه أنه سمع باب الشقة يُفتح .. فمد يده يلتقط الساعة من جانب

Des. Maryam Tamim

السرير ليجدها الثامنة صباحاً ثم سمع صوت ابنتيه بالخارج ..

تفاجأ بعودتهما في هذا الوقت المبكر من صباح الجمعة .. فنظر لماجدة المستغرقة في النوم وسحب ذراعه بخفة ليتحرك مغادرا السرير دون أن يوقظها يجري إلى باب غرفته يغلقه بالقفل الداخلي متنفسا الصعداء .. ثم توجه لحمامه الخاص يدعو الله ألا تطرق إحداهما على باب الغرفة فتستيقظ ماجدة ..

بعد قليل كان يخرج من غرفته مرتديا بنطالا قطنيا مريحا .. رمادي اللون وفانلة ذات حمالات ليجد الفتاتين أمامه مباشرة فأغلق باب الغرفة بالمفتاح في حركة لم تغفل عنها الفتاتين مداريا شعوره بالحرج خلف ضحكته التي غلفت تحية الصباح ..

بادرت ميري بالقول بعينين تدققان في والدها " أين أمي؟ .. ليست في سريرها "

Des. Maryam Tamim

تنحنح وائل ورد بلهجة حاول أن تكون عادية بإجابة ربما تحرجها فلا تسأل المزيد من الأسئلة " في غرفتي " .

ضيقت عينيها وسألته " لماذا ؟"

تفاجأ بإصرارها فرد " لأنها .. لأنها مرضت ليلة أمس .. حرارتها ارتفعت فاضطررت لأخذها بجانبي في السرير حتى أتابع حالتها"

وأسرع بسؤالها ليقطع عليها الفرصة للمزيد من الأسئلة "لماذا أتيتما في هذا الصباح الباكر .. اليوم عطلة من المدرسة "

ردت أنجيل " استيقظنا مبكرا ووجدنا الجدة أنجيل نائمة وحالتها جيدة فأتينا لحاجتنا لبعض الاغراض الشخصية .. "

تكلم وهو يتجه نحو المطبخ " سأعد الإفطار "

Des. Maryam Tamim

سمع ضحكات مكتومة خلف ظهره فابتسم يشتم من بين أسنانه في همس ..ثم قالت أنجيل تلحقه بصوتها " أبي أنت ترتدي الفانلة مقلوبة "

تطلع لجوانب الفانلة واتسعت ابتسامته فرد عليها من المطبخ " نعم .. فعلا سأعدلها يا بابا"

بعد قليل كان يجلس بجوارها على السرير يتأملها وهي مرتدية فانلته الداخلية من الليلة السابقة .. والتي تتدلى إحدى حمالاتها عن كتفها لتتكشف أمامه معظم أجزاء عنقود العنب .. فابتسم ومال يطبع قبلات على شامتها ورقبتها بينما يديه تدلل تفاصيلها ..يناديها هامسا باسمها..

تلملمت ماجدة واعتدلت منزعجة من إيقاظها من الحلم الجميل الذي بدأ بعبارة (أحبك يا جوجو) عالية في الشرفة بعد منتصف الليل .. وما تلا ذلك

Des. Maryam Tamim

من قلوب حمراء تفجرت في السماء .. وهمسات دغدغت الآذان والقلوب ..

ودفء سرى في الأوصال والنفوس ..

ومن حكايا هامسة واعترافات مبللة بالدموع ... ومنح وإغداق ..

وأخذ بل وطلب المزيد دون خجل ..

تأملها وائل وقفز لذهنه كل صور ومشاعر وأحاسيس الليلة السابقة التي اعادته لخمسة عشر عاما للوراء .. مستعيدا مشاعره الأولى معها كاملة مضافا إليها حبا جديدا ظل ينمو في اللاوعي دون إدراك .. ونادما على خطايا الماضي .. ومكتشفا .. اشتياقا لها.. جعله يبحث عنها في كل امرأة التقاها .. وجلدا للذات .. ونعتا لنفسه بالغباء ولعنها ألف

Des. Maryam Tamim

مرة .. ومشاعر كثيرة معقدة .. مشاعر رجل مهزوم يحاول أن يستعيد ذاته وحياته وحبيبته .

فتحت ماجدة عينيها ببطء تستوعب.. لتستقبلها شقرته وزرقة عيناه مزدانة بحلاوة ابتسامته .. وقبل أن تتبين الوهم من الحقيقة .. الحلم من الواقع .. رأته يميل عليها ليطبع قبلة دافئة على رقبتها .. هامسا "صباح الخير يا صديقتي العزيزة .."

نظرت حولها لتتأكد أنه لم يكن حلما .. أن ما حدث ليلة أمس لم يكن حلما.. وأنها في سريره وفي غرفته ..

فارتبكت مشاعرها وتصارعت .. لتنكمش بسرعة وتدفن رأسها تحت الوسادة .. خجلا .. وحرجا .. وارتباكا .. فسمعته يقهقه .

Des. Maryam Tamim

قال وائل بلهجة حانية " كنت أخطط لإيقاظك بطريقة مختلفة تماما .. لكنني مضطرا أن أوقظك الآن لأني غير قادر على الرد على تساؤلات البنات "

أخرجت رأسها من تحت الوسادة متسعة العينان قائلة " أين هما؟"

رد بهدوء " في الخارج.. حضرتا منذ قليل"

انتفضت جالسة .. فارتد للخلف في جلسته بجانبها لتقول بارتباك وهي تدفعه " قم يا وائل دعني أتحرك"

استقام ينظر إليها بدهشة وهي تبحث يمينا ويسارا وتلطم على وجهها مرددة بخفوت " يا فضيحتي .. يا فضيحتي!"

رفع حاجبيه صائحا باستنكار" فضيحتك !! هل وجدت نفسك نائمة في غرفة مؤجرة في فندق مع رجل غريب !! "

Des. Maryam Tamim

ردت وهي مستمرة في البحث " كيف سأفسر لهما الوضع .. أين ملابسي؟"

رد مستمرا في لهجته المستنكرة " كيف ستفسرينه!.. بالتأكيد لديهما فكرة عن تلك الأمور"

قالت بتوتر " بناتك مراهقات ولا يجب أن تكون الأمور واضحة أمامهما بهذا الشكل .. أجل لديهما فكرة علمية .. لكن نحن لسنا زوجان عاديان تجمعنا غرفة واحدة في الأساس.. أين ملابسي؟"

رد بلهجة متسلية" لا اعرف أين ملابسك ..(وتأملها في فانلته الداخلية ليكمل بلهجة شقية) أخرجي اليهم بهذا الشكل المحطم للأعصاب "..

هتفت ماجدة بهلع "هل تركناها في الصالة؟!!"

Des. Maryam Tamim

لاحت ابتسامة عابثة على وجهه ورد مستمرا في لهجته المتسلية " لا أذكر .. ذكريني هل بدأنا في التخلص من ملابسنا من الصالة ؟!"

احمر وجهها لكن لم يكن لديها وقت للخجل فقالت بغيظ مكبوت " وائل!!.. لا تفعل ما تفعله .. وساعدني أرجوك" .

أشفق على حالتها فتحرك من وقفته المسترخية ليمد يده تحت طرف الملاءة ويخرج منها منامتها.. فخطفتها بسرعة ترتديها .. فظل يتأملها كيف تبدلت من جوجو الخجول المراهقة التي كانت ترتجف بين ذراعيه منذ ساعات قليلة إلى ماجدة الأم الحازمة .

قالت وهي تعدل ملابسها بعصبية لتكتشف أنها عدلتها على الوجه الخاطئ فتعيد تعديلها مرة أخرى " ماذا أخبرتهم بالضبط ؟"

[4828]

رد عليها بهدوء " إهدئي جوجو الأمر بسيط .. أخبرتهم أنك كنت مريضة وأني كنت أتابع مرضك طوال الليل ..(وأكمل بابتسامة سعيدة خطفت أنفاسها) ولعلمك أشك أن بناتك تفهما كل شيء فلا أوليهم ظهري إلا وأسمع ضحكات مكتومة .. الوقحتان شقيتان كأبيهما تماما"

تحكمت في ابتسامة ملحة وقالت بلهجة أقل عصبية " أخرج إليهما يا وائل وأنا آتية خلفك (وكررت بتوسل) أرجوك أخرج إليهما "

اشفق على حالة الارتباك التي تلوح على ملامحها فأومأ برأسه وتركها .

بعد قليل دخلت ماجدة المطبخ لتجد الفتاتين على منضدة الطعام تتطلعان في هواتفهما وتأكلان

Des. Maryam Tamim

فتجاهلت تلك النظرات المتسلية التي وجهت لها وهما تردان عليها تحية الصباح .. وتجاهلت أيضا وائل الواقف بجوار النافذة في وقفة مسترخية مستندا على الخزائن الجانبية يحتسي قهوته .. والذي استقبلها بابتسامة متسلية .. وجلست ترفع الغطاء على فطورها المعد بعناية أكثر من أي وقت مضى .. من البيض والمربى والقشطة وصحن من الفراولة والكيوي مقطعان ومرتبان بشكل أنيق .. وزهرتي قرنفل واحدة بيضاء والأخرى حمراء.. تحتهما ورقة مطوية أكبر حجما من الورقات التي تركها لها منذ أن قرر أن يترك لها اعتذارا أو كلمة حب صباح كل يوم ..

ففضلت ألا تفتحها أمام الفتاتين متوقعة أنه سيكتب ما سيذيب أعصابها .. يكفي ما قاله وفعله وأفهمه لها بين ذراعيه ليلة أمس ..

Des. Maryam Tamim

الليلة التي لا تصدق أنها عاشتها من الأساس ..
وستحتاج لوقت طويل للاستيعاب والتصديق .

تكلمت ميري متهكمة " يبدو أن أبي أصبح زبونا مستديما عند بائع الورد الذي يحتل محله مدخل الحي .. فيرسل صبيه صباح كل يوم بباقة ورود"

مررت أنجيل نظراتها بين أبيها وأمها وكتمت ضحكتها .. فرفع وائل حاجبا مغتاظا لهما لتدفن ماجدة وجهها في صحنها بحرج .

بعد الإفطار قالت أنجيل " لدي اقتراح .. ميري لديها تدريب في النادي اليوم بعد العصر .. فما رأيكم أن نذهب أربعتنا للنادي ونقضي اليوم كله هناك"

Des. Maryam Tamim

تذكرت ماجدة أنها كانت تنوي السهر ليلة أمس لاستكمال الفصل الذي مقررا نشره اليوم في المنتدى الذي نشر عليه رواياتها .. لكنها لم تنجز أي شيء حتى الآن .. وتحب الالتزام بمواعيد الفصول مع القارئات خاصة أن نهاية الفصل الماضي كانت مثيرة للجدل جعلهن متلهفات لمعرفة ماذا سيحدث في فصل الليلة .. ولا تريد احباطهن فأسرعت بالقول " اليوم لن استطيع الخروج من البيت لدي أمور مهمة أود إنجازها اليوم بالذات .. من الممكن أن نؤجلها للغد أو اذهبوا ثلاثتكم ونعوضها غدا بإذن الله "

تشنج وائل حين تذكر أن اليوم هو الجمعة .. بينما ردت أنجيل بتفهم " لا بأس يا أمي خذي وقتك .. هل ستذهب معنا يا أبي ؟"

Des. Maryam Tamim

كان وائل يتطلع في ماجدة وارتباكها .. وهو يضغط على قبضتيه بجانبه بقوة .. يوصي نفسه بالهدوء .. متسائلا ما الذي تريد أن تنجزه اليوم؟!! .. فموعد خلوتها أمام حاسوبها يبدأ عادة في المساء ولا تنتهي إلا في الساعات الأولى من اليوم التالي .. الأمر غير مفهوم ويثير جنونه وغضبه .

حين لم يرد قالت ميري مستفهمة "أبي ! "

انتبهت ماجدة الشاردة في صحنها ورفعت وجهها لوائل الذي كان يحدق فيها بنظرات غريبة .. وما كانت تمر به في تلك اللحظة من تناقضات أبعد عن ذهنها تماما فكرة أنه يشك فيها أو ربما اعتقدت أن بعد ما حدث بينهما ليلة أمس لم يعد هناك مجالا للمزيد من الشك في أنها لا زالت رغم كل شيء تحبه.. بعدما انهارت كالحمقاء بين ذراعيه كما وصفت نفسها ..

Des. Maryam Tamim

تكلم وائل بصوت متحشرج وهو يلجم نفسه حتى لا يقلب المنضدة أمامهم بعصبية " أجل يا بابا سنذهب اليوم ثلاثتنا ونترك والدتكم (وشدد على الحروف) تنجز أعمالها اليوم "

ثم تحرك خارجا من المطبخ مكفهر الوجه .. بشكل أدهش ماجدة خاصة بعد أن غادر الشقة بعد فترة قصيرة .. ليتصل بعد العصر بميري يخبرها بأنه أسفل البناية ينتظرهما ..

أما ماجدة فقضيت اليوم كله في حالة عجيبة ما بين صراع مع الوقت لإنجاز المطلوب منها وحالة من الطفو فوق السحاب لما حدث الليلة السابقة .. بالإضافة لتلك الكلمات التي أجلت قراءتها حتى غادرت الفتاتين البيت .. فأخرجت الورقة من جيبها بلهفة لتقرأ كلماته لها :

Des. Maryam Tamim

جوجو ..

تحيرت أي نوع من الزهور أهديك اليوم فلكل منها معنى قصدته .. لكن بعد تفكير طلبت زهرة القرنفل .. لأنها تحاكي العشق والوله بحبيب مميز ليس له مثال بين البشر فالقرنفل الأحمر يرمز إلى الحب العميق .. بينما القرنفل الأبيض يرمز إلى البراءة والطهارة والنقاء والإخلاص في العلاقة ..

وهكذا أنت في نظري مهما صدر منك يا جوجو ستظلين زهرة قرنفل .. أما هديتك لي فقد منحتني إياها منذ ساعات قليلة .. وأطمع في أن تغدقي عليّ بالمزيد والمزيد منها .. وأطمع أيضا .. في أن تمنحيني ثقتك وأن ننسى كل ما مضى ونبدأ بصفحة بيضاء ..

***

[4835]

رفعت رأسها تتأمل ملامحه المستغرقة في النوم وكتمت ضحكة محرجة غير مصدقة حتى الآن أنها نامت في سريره وبين ذراعيه .. تأملت قسمات وجهه الرجولية جدا في نظرها .. حاجباه العريضان وأنفه المستقيم ..

لمست لحيته الخشنة وتحسست رقبته وصدره العضلي العاري .. ثم مالت على شفتيه تقبله بقبلات صغيرة متتابعة .. فحرك مقلتيه تحت جفنيه المغلقين.. وتنبهت لوجودها كل حواسه فوارب عيناه قليلا .. لتشرق عليه ملامحها تتطلع فيه من قرب ..بعد أن تسربت إلى رئتيه رائحتها .. لتميل آية مرة أخرى تهديه بقبلة أخرى تجاوب معها لتصبح طويلة وعميقة ومد نحوها يدا متسللة من تحت الملاءة ..

حين تركت شفتيه فرفع رأسه مطالبا بالمزيد لكنها أبعدت رأسها أكثر لتغيظه وهي تضحك ضحكة

Des. Maryam Tamim

شقية .. فأعاد رأسه للوسادة وتكلم بصوت أجش لم يتخلص من أثر النوم بعد " أصبحت شقية من أول يوم يا سكاكري .. لكن هذا أراحني كثيرا "

سألته وهي تتأمل ملامحه "كيف أراحك؟"

رد وهو يبعد شعرها إلى خلف كتفها يتأمل بلوزتها الحريرية التي تكشف الكثير مما لن تتحمله أعصابه " خشيت أن يتسبب فارق العمر بيننا بعضا من العقبات حتى نصل للحظة متجانسة مرضية "

حين ضيقت عينيها العسليتين أوضح لها" أنا في ذروة التطلب الذكوري وأنت حسب عمرك في بداية الاحتياج الأنثوي .. بالإضافة لمشاعري نحوك وخلفيتي النفسية كل هذا كان يقلقني من أن أكون مندفعا نحوك بقوة .. وأفشل في التحكم في

Des. Maryam Tamim

اندفاعي هذا فأسقيك من كأس العشق جرعة أكبر
ممن قد تتحملينه كبداية .. لكن أراك تتخطين
المراحل بقفزات عالية كعادتك في التعلم دوما "

كتمت بيدها ضحكة محرجة دغدغت أعصابه
وقالت بابتسامة حلوة مصاحبة لنظرة شقية " أنا
فعلا أتعلم بسرعة .. وأصبحت أعرف كيف أقبّلك
قبلة كالتي تقبلني بها "

تحكم في ابتسامة ملحة وقال وهو يشدها إليه "
كيف أقبلك؟.. أريني "

ابتعدت للخلف تقول بنفس الضحكة المحرجة
"أنت تعرف "

ازدادت ابتسامته اتساعا ورد وهو يمد يده للامساك
بها" لا لست أعرف .. أريني كيف أفعلها "

قالت ضاحكة" أنت تعرف "

Des. Maryam Tamim

رد بإصرار وهو يحاول إمساكها قبل أن تفلت" لا أعرف "

فقفزت من السرير قائلة بشقاوة " قبلتك بها منذ دقيقة "

رد عليها بمكر " لا أذكر كنت نائماً تعال أريني يويا "

طقطقت بلسانها وهي تحرك سبابتها أمامه رافضة فتأمل منامتها الحريرية ذات اللون الوردي الباهت وقال بقلق " لم تنامي منذ ليلة أمس أليس كذلك ؟"

ردت " لم استطع النوم كانت أعصابي متحمسة وظللت أراقبك طوال الليل وطوال النهار لكن قرصني الجوع وقد أصبحنا بعد العصر "

فرك جبهته وقال وهو مستلقي على الوسائد " يا الله نمت كثيرا "

Des. Maryam Tamim

قالت وهي تجلس على حافة السرير بجانب الهاتف " سأتصل لأعرف إن كان المطعم مازال مفتوحا أم انتهى موعد الغداء ونطلب بالغرفة"

فقال سيد معترضا " كلا أطلبيه هنا لست راغبا في مغادرة الغرفة اليوم "

كتمت ضحكتها وطلبت الغداء .. لتفاجأ بذراعه وقد التف حول خصرها فجأة بمجرد أن وضعت سماعة الهاتف ليسحبها إليه بسرعة ويعتدل على السرير ويجلسها على حجره فأطلقت صرخة ضاحكة ..

همس بأنفاس لفحت بشرتها" أريني كيف هي الطريقة التي أقبلك بها ".

لملمت ضحكتها وتطلعت لعينيه ثم اقتربت من شفتيه ببطء أحرق أعصابه لتقبله باشتياق ومشاعر أنثوية نضجت بين أحضانه.. فاعتصرها سيد بين ذراعيه يغرق فيها كالمحروم .

[4840]

بعد دقائق كان يمشط شعرها بأصابعه وهي تحيط عنقه بذراعيها جالسة على حجره ..فهمس بأنفاس متسارعة " حلاوتك وشقاوتك ستوقف قلبي يويا .. وأنا أبذل مجهودا لتهذيب ذلك المحروم الهمجي بداخلي حتى لا أؤذيك فتمهلي وترفقي بزوجك اليتيم المتيم "

شددت من ذراعيها حوله بأمومة لم تكن تتخيل أن تتفجر بداخلها وهمست " لست يتيما أبدا لديك أب وأم وأخوة وأصدقاء ولديك أنا .. قد أكون لست ناضجة كما تقولون لكن بداخلي طاقة حب ومشاعر تخصك تفوق الوصف أو التخيل ستعوضك عن كل ما افتقدته يوما أنا أكيدة من ذلك "

شدد من ذراعيه يدفن وجهه في عنقها لبعض الوقت .. ثم بدأ بدغدغتها بقبلاته النهمة فهمست وهي تستشعر جمر شفتيه " أنا أخذت منك الكثير

Des. Maryam Tamim

وأخيرا مُنِحت الفرصة لأن أمنحك الكثير وأعوضك عن الكثير بإذن الله "

رفع وجهه يتطلع في عينيها متأثرا ثم دفن أصابعه في شعرها يقرب وجهها أكثر ويهمس أمام شفتيها " أحبك .. يامن قلبك هو وطني وبيتي وعائلتي "

ثم مال بها على السرير يطبع قبلات على عنقها وكتفها البض فهمست آية ضاحكة " سيد الغداء قادم "

رد بأنفاس لاهثة وهو يحررها من ملابسها " علينا أن نفطر أولا قبل أن نتغدى يا روح سيد التي ردت إليه "

***

بذهن مشغول وأعصاب تحترق جلس وائل في النادي يتابع تمارين ميري بينما أنجيل تتجول هنا وهناك مع صديقاتها ..

[4842]

أمسك بالهاتف أكثر من مرة يحاول التفكير فيما سيفعل مع ماجدة .. هل يواجهها أم ينتظر قليلا ربما جاءته معترفة .. أم يفاجئها ويفرض نفسه عليها أثناء حديثها مع هذه الصديقة الوهمية ..

يشعر أن هناك أمر ما غير منطقي فيما يحدث ..

التزامها مع صديقة في نفس الموعد كل اسبوع أمر غريب وغير منطقي.. متحيرا ماذا تفعل إذن بقية الاسبوع على الحاسوب ؟.. ولماذا تكون مشغولة الذهن أحيانا..

أهناك من يبتزها مثلا ؟.. لكنه تراجع عن التخمين حين استشعره عدم منطقيته ..

هل هي عضوة في جروب اجتماعي لحل المشكلات ؟ .. أو حتى صاحبة جروب أو نشاط نسائي على الإنترنت ؟..

Des. Maryam Tamim

هذا وارد وقابل للتصديق .. لولا التزامها بموعد يوم الجمعة عند منتصف الليل الغامض .

كان الصداع شديدا .. ودخان سجائره كاد أن يخنقه .. فكما بدلت ماجدة حالته أمس بكلمة واحدة منها من اليأس للأمل .. بدلت يومه من قمة السعادة .. لقمة الحزن .. لكنه مازال غير قادر على لومها .. واثقا في حدودها وأخلاقها حتى لو تحدثت مع رجل أخر كما يخيل إليه ..

وبالرغم من هذا .. غير قادر على تحمل فكرة أنها تتحدث مع رجل...

مع رجل !!! ..

إن قلبه يحترق .. وأعصابه تحترق .. وكيانه كله يحترق ..

[4844]



ورغبة في التحطيم .. في الضرب .. في القتل يحاول عقله السيطرة عليها ..

عليه الليلة ألا يبيت في البيت ..

لن يتحمل .. يخشى أن يؤذيها ..

"أبي ماذا بك هل أنت مريض ؟؟"

رفع وجهه المحتقن لميري يطمئنها بابتسامة أنه بخير فقالت" أنا جائعة يا أبي "

فقال وائل ينفض عنه أفكاره المعذبة " بدلي ملابسك وابحثي عن أنجيل وهيا لنأكل "..

بعد قليل كان يركن سيارته أمام احد محلات البيتزا .. والذي اختارته البنات ويتوجه بوجه واجم إلى داخل المحل ليتخذوا طاولة بجوار الواجهة

Des. Maryam Tamim

الزجاجية التي تطل على الشارع الكبير في وسط العاصمة ...

ظل شاردا رغم وعده لنفسه بأن يقضي وقتا طيبا مع بناته .. بينما غمزت أنجيل لميري واستغلت شروده لسحب علبة السجائر من أمامه .. لكنه رآها فأسرعت أنجيل بالقول " أبي أنت تدخن كالمدخنة اليوم .. وهذا غير صحي خاصة مع تاريخك المرضي "

قال وائل بحزم " أعيدي إليّ العلبة "

ردت ميري " لن تأخذها يا أبي .. وإذا أخذتها سنخاصمك .. اتفقنا على سيجارة واحدة كخطوة مبدئية للإقلاع نهائيا عن التدخين .. لكنك اليوم كنت كالمحرقة .. وسنخبر أمي لأنها أوصتنا بمراقبتك في موضوع التدخين"

Des. Maryam Tamim

صمت قليلا ثم ابتسم يقول " كيف سأغلب ثلاث جميلات في حياتي .. حسنا سأحاول ضبط نفسي والتقليل من التدخين "

قالت ميري بحزم " الاقلاع يا أبي وليس التقليل"

فتكلمت أنجيل بتوسل وهي تربت على كتفه " من أجلنا يا أبي أرجوك "

استسلم وائل لهما رغم احتياجه الشديد للتدخين .. فأومأ برأسه وهو يقلب في الهاتف أمامه متمنيا لو استطاع أن يتصل بسيد فهو الذي يخفف عنه في لحظات الضيق .. الذي يطمئنه بأنه موجود وسيمنعه في حالة أن جُن أو أصابه التهور قبل أن يرتكب أي حماقة قد يندم عليها فيما بعد.

حضر الطعام وتأمل ابنتيه وهما تتضاحكان بفم ممتلئ ..

Des. Maryam Tamim

فهتفت أنجيل " كنت أود لو تأتي أمي معنا اليوم .. أشعر بالسعادة حين نجتمع أربعتنا "

ابتسم وقال وهو يهز ساقه بتوتر من تحت المنضدة ينظر لساعة يده " إن شاء الله سنجتمع دوما ولن نفترق أبدا .."

قالت ميري " بالطبع لن تستطيع الخروج اليوم .. لكنها وعدتنا أن تعوضنا غدا بنزهة خارج البيت فكري معي يا أنجيل أين من الممكن أن نذهب؟ "

لاحت فجأة فكرة كانت غائبة عن ذهن وائل .. ماذا يعرف البنات عن الأمر؟ ..

إنها تتشارك معهما نفس الغرفة .. وتقضي أوقاتا كثيرة معهما وهي تستخدم الحاسوب .. لن تجرؤ ماجدة أن تتحدث مع رجل أمام الفتيات .. أبدا ..

Des. Maryam Tamim

سأل ميري بلهجة حاول أن تكون عادية " لماذا تجزمين أنها لم تكن لتستطيع الخروج معنا اليوم؟"

ردت ميري "لأن اليوم هو الجمعة "

ازداد توتره وازدادت حركة ساقه العصبية تحت الطاولة وهو يقول " والمعنى ؟"

نظرت ميري لأنجيل بنظرة حائرة فسألهم وائل "هل هناك ما لا أعرفه؟! "

توقفت عن الأكل فجأة .. فشعر أنهما بالفعل تعرفان شيئا .. لتتكلم أنجيل " لا نعرف بالضبط إن كنت تعرف مثلنا أم لا فقد أخبرتنا أنها تحب أن تحتفظ بخصوصية الأمر .. فهذا يشعرها بالراحة أكثر لكن (وترددت قليلا ثم نطقت ببطء) لا أعرف أنت في أي جانب بالضبط "

Des. Maryam Tamim

حدجتها ميري بنظرة متوعدة وردت متهكمة "ردك جميل جدا .. معناه هناك ما نعرفه ولا نعرف أن كنت تعرفه أم لا !! "

هتفت أنجيل تدافع عن نفسها بوجه أحمر من الحرج " بم كنت سأرد إذن أنا لا أحب أن أكذب على أبي "

تدخل وائل يقول بفم جاف " كفى .. بالتأكيد أنا من الجانب الذي يعرف ما تعرفانه يا أنجيل فماجدة لا تخفي عني شيئا مهما لكني لا أعرف أي أمر تقصدينه بالضبط "

تكلمت ميري بعفوية " إذن أنت تعرف أن أمي كاتبة للروايات الرومانسية على الإنترنت "

Des. Maryam Tamim

توقف قلب وائل للحظة ليستوعب.. قبل أن يستعيد دقاته مرة أخرى .. ويقبض كفيه بقوة يحاول السيطرة على ملامحه ويرد بصوت متحشرج " كانت أعطتني فكرة قبل أن أدخل الغيبوبة ولم نتحدث عن ذلك بعدها (وحاول إخراج الكذبة بشكل أكثر منطقية فقال وهو يحك جبينه ليسيطر على ما يحدث معه في تلك اللحظة) أو ربما نسيت أنا التفاصيل حين استفقت من الغيبوبة وتحرجت من سؤالها حتى لا أحزنها أني نسيت أمرا يخصها (ورفع وجهه للفتيات يقول باستعطاف) هلا ذكرتموني ببعض التفاصيل "

قالت أنجيل بسرعة " لا يا أبي أمي لن تحزن فهي تعلم جيدا أن هناك أمور قد نسيتها دون أن تدري .. عموما نحن أيضا لم نكن نعرف إلا منذ فترة بسيطة .. هي أخبرتني وسمحت لي بقراءة بعض من رواياتها.. وقالت أن البعض الآخر ستسمح لي بقراءته حين يكون سني مناسبا لأنها تتناول

Des. Maryam Tamim

موضوعات لا تتناسب مع سني حاليا .. لكن ميري لم ترغب في القراءة.. (وتنهدت) إن أمي تكتب روايات رومانسية رائعة يا أبي "

مسح بكفه جبينه المتعرق وأومأ برأسه متفهما فتدخلت ميري موضحة "وهي حاليا تكتب وتنشر رواية جديدة .. وأنا لم أقل أني لا أرغب في القراءة أنا فقط مشغولة الذهن حاليا وأؤجل الأمر قليلا "

فسألها وائل بصوت هارب منه " وكيف تعرضها على الانترنت .. ذكريني لأني لا أتذكر "

ردت ميري " تعرضها كفصول اسبوعية في أحد منتديات الروايات .. فصل جديد منتصف ليل الجمعة "

Des. Maryam Tamim

بدأ وقع المفاجأة يثقل أنفاسه لكنه بذل مجهودا كبيرا لأن يبدو طبيعيا فقال " لهذا قصدتِ أن اليوم لن تستطيع الخروج معنا .. فهمت ما تقصدين الآن "

ردت أنجيل " أنا فعلا نسيت أن اليوم هو الجمعة حين اقترحت أن نخرج سويا "

لم يستطع التحمل أكتر فاستقام بصعوبة يداري ارتجافه قائلا" أكملا طعامكما.. سأذهب للحمام (هم بالتحرك لكنه استدار يسأل) ذكروني باسمها على الانترنت فأنا أحاول تذكره منذ مدة دون جدوى (وتصنع أمامهم محاولة التذكر وقال) ماجدة ؟ .. جوجو؟.. ماجي؟ "

فهتفت ميري " بل سيدة الظل جوجو يا أبي "

Des. Maryam Tamim

أومأ برأسه لهما بحركة متفهمة متكررة عصبية وتمتم بصوت مبحوح وهو يهم بالمغادرة " سيدة الظل جوجو .. تذكرت الآن "

وصل للحمام بصعوبة وأغلق على نفسه ممسكا هاتفه بيد مرتعشة يكتب على الإنترنت (روايات سيدة الظل جوجو) ليظهر أمامه في صفحات البحث الكثير من مواقع نشر لروايات الكاتبة... وحين دخل على إحداهما قرأ (تجميع لكتابات الكاتبة المبدعة سيدة الظل جوجو) ..

سقطت أول دمعة من عينه.. وهو يقرأ نبذة عن الكاتبة .. (سيدة الظل جوجو كاتبة للروايات العاطفية الاجتماعية .. لديها عشر روايات كاملة ورواية لم تكتمل (قيد التنزيل).

Des. Maryam Tamim

دمعة أخرى سقطت .. حين عرف بأنها تكتب منذ أكثر من خمس سنوات ..

ودمعة أخرى وهو يجد روابط لتجمعات على الفيسبوك من محبي رواياتها .. منها مجموعة رسمية للكاتبة سيدة الظل جوجو لكنها مجموعة مغلقة عضواتها من النساء فقط..

دمعة رابعة .. حين وجد أن عدد العضوات في هذا الجروب الذي هو غير قادر على دخوله بالآلاف..

ودمعة خامسة .. حين توصل للمنتدى الذي تنشر فيه روايتها الحالية .. وتابع تعليقات العضوات بالانتظار للفصل الجديد بحماس .. وتسجيل للحضور قبل موعد التنزيل بساعات .. وعبارات مديح ومناقشات وتحيات وعالم كامل تعيشه ماجدة .. تعيشه وحدها .. بعيدا عنه .

Des. Maryam Tamim

ليستسلم بعدها لحالة من البكاء كطفل صغير وهو يقرأ جزء من آخر فصل نشرته ..

بكى وهو يرى كلماتها .. وعباراتها ..

بكى وهو يتذكرها صبية يعلمها ركوب الدراجة .. ومراهقة بضفائر طويلة معقدة ترتدي مريلة المدرسة .. وعروسا في ليلة زفافها ..

وتذكرها ..

وهي تتحرك في بيته بصمت ووجوم معتقدا بغبائه أنها جامدة باردة لا تشعر ..

وتذكرها أمس وهي تنام كالطفلة بين أحضانه ..

انهمرت دموع وائل دون توقف في حمام مطعم البيتزا .. لا يعرف إن كانت دموع فرح أنها لا تقوم بما يسئ إليها كزوجة وأم ؟..

[4856]

أم لأنه سيتخلص أخيرا من عذاب الشك وحرقة الأعصاب ؟..

أم لأنها رغم كل شيء ورغم ما فعله معها كانت كريمة معه ولم تهين كرامته ؟..

أم لأنها امرأة ذات كبرياء لم تزل قدمها تحت ضغط الاحتياج العاطفي فترتبط بعلاقة وهمية على الانترنت ؟..

طرقات على باب الحمام ليسمع بعدها النادل يقول " استاذ وائل هل أنت بخير ؟؟؟"

استفاق من حالة الانهيار وتنحنح يقول " نعم أنا بخير "

قال النادل " الآنستان بالخارج قلقتان عليك سأذهب لأطمئنهما "

تمتم وائل وهو يمسح دموعه " أنا آت حالا "

[4857]

بعد مغادرة النادل خرج ليقف أمام الحوض ويغرق وجهه بالماء ليخفف من احمراره بعد نوبة الانهيار التي أصابته.. وانتظر قليلا لتهدأ ملامحه وقف خلالها يقوم بتحميل بعض من الروايات السابقة لسيدة الظل جوجو ..

حين خرج أخيرا للفتاتين استقبلاه بملامح قلقة فتمتم " أنا بخير .. شعرت ببعض الدوار وجلست قليلا حتى شعرت بالتحسن "

قالت ميري بوجه أصفر " هل نتصل بعمي أمير؟"

رد وائل مطمئنا " لا لا قلت أني أشعر بالتحسن .. هيا أكملا طعامكما .. وأنا أيضا سآكل رغم أني أخبرتكما أني ليس لدي شهية لكني الآن أشعر بالجوع.. الجوع الشديد .."

Des. Maryam Tamim

وأمسك بقطعة كبيرة من البيتزا يدخلها في فمه سعيدا .. يقاوم رغبة أخرى في البكاء ..

إنه ذلك الشعور بالراحة الذي يأتيك بعد الكرب .. بعد لحظات رعب تعيشها مستضيفاً كوابيسك ومخاوفك في وضح النهار.. فيلطف الله بك ويمنحك ما يريح قلبك لتتنفس الصعداء براحة لا يعرفها من لم يجرب شعورك يوما.

في السيارة بعد مدة قالت أنجيل وهي تلعب في مشغل الموسيقى تجلس بجانبه بينما ميري تجلس في المقعد الخلفي " ليس لديك أي أغان حديثة يا أبي "

رد وائل وهو مازال منشغل البال مصدوما رغم تحسن مزاجه عن ساعات مضت " عندي طبعا ..

Des. Maryam Tamim

ستجدين أغان لمنير وعمرو دياب وأنغام ومدحت صالح وغيرهم "

رفعت أنجيل حاجبيها وردت " هؤلاء ليسوا مغنيين جدد يا أبي .. أنا أتحدث عن حماقي .. رامي صبري.. أحمد جمال "

مط وائل شفتيه ورد بطفوليه يدفع يدها " هذه سياراتي وهذه قائمة الأغاني التي أحبها "

مطت أنجيل شفتيها فلعّب لها وائل حاجبيه لتنفجر ميري في الضحك .. فحدجتها أنجيل تخرج لها لسانها بغيظ .. ثم قالت لأبيها بحنق طفولي "حسنا شغل لنا أي أغنية يا أبي "

مدة يده يبحث عن أغنية في الشاشة الصغيرة أمامه وقال " أنا بالفعل عندي أغنية أريد أن أسمعها الآن "

Des. Maryam Tamim

شغل الأغنية فرفرفت أنجيل برموشها تقول بغباء "من هذا ؟؟؟"

رد ببرود يغيظها " أحمد عدوية "

ردت " أسمه محمد عدوية وهذا ليس صوته ولم أسمعه يغني هذه الأغنية .. (واكملت مستنكرة) إنها شعبية "

رد عليها بكبرياء طفولي " هذا عدوية الأب وليس الابن .. وما بها الأغاني الشعبية يا بنت وائل !"

حركت مقلتيها يمينا ويسارا وقالت منبهرة من الاستكشاف " لم أكن أعلم أن هناك أب وأبن ! "

ضرب وائل على المقود أمامه بانتظام مع الإيقاع الراقص للأغنية وهو يغني سعيدا .. كلما تذكر أين كان منذ ساعات وأين أصبح في هذه اللحظة يتنفس الصعداء .

[4861]

يا بنت السلطان حني على الغلبان
الميه في ايديكي ووائل عطشان

صفقت أنجيل بيديها وقالت لميري "أحببت الأغنية ظريفة جدا"

وبدأت في التصفيق والرقص وشاركتها ميري ..
فنظر إليهما وائل يغني بسعادة .

على كوبري عباس ماشية وماشية الناس
ماشية تبص عليكي يا فروته باناناس

اديني اديني اكتر
دي الميه في ايدك سكر
سعيده يا حلوه سعيده
ومواصلاتك بعيده
أأمري وانا اجيلك ماشي لما لمصر الجديدة

[4862]

في الواحدة بعد منتصف الليل كان وائل يجلس بغرفة المعيشة ينتظرها حتى تخرج .. كان قد وصل من ساعات وقضى الوقت في قراءة إحدى رواياتها القصيرة .. احتاج معها الكثير من ضبط النفس حتى لا يصاب بنوبة بكاء أخرى ..

قراءة روايتها ..والتي أعجبته كثيرا ولمست مشاعره المرهفة التي يحاول أن يخفيها دوما .. وراقب نشرها للفصل الجديد بتلك العضوية التي قام بتسجيلها قبل ساعات ..

دخلت ماجدة المطبخ تحرك رقبتها يمينا ويسارا وتحاول فك اشتباك عضلات ظهرها لتفاجأ بكوب يظهر في وجهها.. فانتفضت للخلف قليلا .. وهي تستوعب وقوف وائل بجوار باب المطبخ يمد يده بكوب من الشيكولاتة الساخنة كانت رائحتها في استقبالها .

[4863]

وضعت يدها على قلبها تقول " أرعبتني يا وائل "

ردد يقلدها يداري سعادته " أرعبتني يا وائل ! "

تصنعت الجدية لتأخذ الكوب وقالت " لمَ أنت مستيقظ حتى الآن؟ وكيف عرفت أني سأحتاج كوبا من الشيكولاتة ؟"

تحكم في رغبة ملحة لضمها ورد " إجابة السؤال الأول .. أنا مستيقظ لأنني أشتاق لصديقتي العزيزة التي تركز مع حاسوبها وتتركني وحيدا خاصة بعد أن نامتا الفتاتان .. وإجابة السؤال الثاني (ووضع يده علي قلبه وقال بلهجة مغازلة) حدثني قلبي أنك ستخرجين الآن وترغبين في كوب من الشيكولاتة" .

أطرقت برأسها قليلا ثم رفعت وجهها إليه قائلة" أنا أحتاج لخصوصيتي أحيانا .. فلم أعتاد بعد على وضعنا الجديد".

Des. Maryam Tamim

أومأ برأسه متفهما دون اعتراض .. لكنها شعرت بعدم الراحة فأضافت " أنا أحيانا اقوم بالتطوع لترجمة بعض النصوص من الفرنسية للعربية لبعض طلبة الجامعة في مجموعة على الفيسبوك"

رفع حاجبيه يتصنع الدهشة فأكملت ماجدة " وأيضا مشتركة في بعض المجموعات النسائية على الفيسبوك ومثل تلك الأمور "

فأكمل لها الصورة " هذا بالإضافة إلى صديقتك تلك التي تحدثينها عند منتصف ليل الجمعة تدردشين معها "

أومأت برأسها وقالت " هذا ما يمكن أن أخبرك به حاليا.. كما .. كما (بدأت ترتبك وهي ترى اقترابه منها بخطى بطيئة) أخبرتك أني لم أتعود بعد على ..."

Des. Maryam Tamim

قاطعها فجأة يقول" هل من الممكن ان أحضنك ؟"

رفعت له وجهها بهمهمة متفاجئة " ها ؟!! "

لم يجيبها ولكن شدها الي حضنه ..يحضنها بقوة .. متنفساً الصعداء .. يشكر الله كثيرا أن تخلص من ذلك الكابوس ..

ظلت محتفظة قليلا بذراعيها واحدا يحمل كوب الشيكولاتة والآخر بجانبها .. تستشعر ذلك الدفء الذي يتسلل إليها ببطء حتى عظامها .. وتختبر ذلك الشعور الذي لطالما كان مبهما بالنسبة لها لسنوات .. وتجيب على التساؤل الذي يخصه ألا وهو كيف هو الشعور في حضنه ؟... ثم

Des. Maryam Tamim

رفعت ذراعها ببطء تلفه حول جذعه تتلمس عضلات ظهره .

بعد دقيقة أبعدته في حزم تتمتم" هناك موضوع لابد أن نتحدث فيه "

رد عليها " وأنا أيضا لدي موضوع لابد أن أتحدث فيه معك "

قالت له تدعي الجدية " تفضل إبدا بموضوعك "

رد بابتسامة حلوة تمقتها بسبب ما تفعله بها " beautiful ladies first "

لملمت ابتسامتها محتفظة بجديتها وقالت وهي تمسح على عنقها بخجل تتهم نفسها بالحمق لما تفعله بها كلماته " أريدك أن تراعي أن لدينا فتاتان في سن المراهقة .. وبالتالي عليك أن تكون منضبطا في علاقتك معي أمامهم "

Des. Maryam Tamim

سألها " ماذا تقصدين بـ (منضبط) .. ألا يجب أن يروننا في علاقة جيدة .. بالتأكيد علاقتنا الماضية قد تؤثر على نظرتهم للعلاقة الزوجية "

ردت مفسرة " أنا لا أقصد ألا نظهر أمامهم بشكل طبيعي .. أنا أقصد ما تفعله الآن .. ليس من اللائق أن تستيقظ إحداهما الأن وتراك .. تراك ملتصقا بي بهذا الشكل ".

مد وائل يده يغلق باب المطبخ ثم وقف أمامها يسند بمرفقه على الحائط خلفها وسألها " هل هذا جيد؟"

ردت تنفض ذلك الخدر في أعصابها " أنا أقصد عموما .. لا باب مطبخ مغلق .. ولا أي سلوك غير لائق أمام البنات"

قال وهو يتأملها" بشرط ... أن تنتقلي لغرفتي "

Des. Maryam Tamim

تنحنحت وردت" وإن لم أقبل؟ .. هل ستجبرني على ذلك ؟!! "

رد وهو يبعد كوعه عن الحائط ويستقيم في وقفته ثم أخذ الكوب من يدها ليضعه على المنضدة "

إذن تحملي أنت وقتها مسئولية ما سيحدث من فضائح أمام البنات .. كأن تجديني أحملك ليلا من غرفة البنات لغرفتي .. (وضع يده على خصرها) أنا لن أتحمل بعد الآن البعد عنك يوما واحدا جوجو (تحركت يده الى ظهرها متسللة بمكر وهو يستشعر ارتباكها وأكمل بلهجة مغوية) ليلة أمس .. ليلة أمس كانت شيئا خياليا "

تماسكت وأبعدت يده التي بدأت في التسلل تحت المنامة وقالت مدعية التمنع " ومن قال أني .. أن هذه الأمور ستتكرر بيننا .. ليس لأنني ضعفت ليلة

Des. Maryam Tamim

أمس أن الامور بيننا قد عادت طبيعية أو أني سأوافق بتكرارها "

رد ببؤس " هذا هو الموضوع الذي أردت أن أتحدث معك فيه "

صمت قليلا يراقب ذلك الترقب في مقلتيها السوداوين ثم أكمل "علينا أن نسرع في الحصول على ماجد .. فقد أخبرنا أعمامي بقرب قدومه "

ردت بسرعة" أنت قلت نشك .. من الممكن أن نخبرهم أن شكنا لم يكن صحيحا"

قال بترجي " ولكني أريد طفلا آخر يا ماجدة .. أريد أن أعيش معك ما أضعته من قبل .. كما أنني أتمنى أن أرزق بمولود ذكر يخلد إسمي من بعدي ..وإن كنت لا أعرف إن كانت جلسات الكيماوي ستمنعني من الانجاب لفترة أم لا علينا سؤال طبيب عن ذلك .. لكني بالفعل أرغب في هذا الطفل بشدة "

[4870]

ثم تحولت لهجته للحزن ليكمل" إلا اذا كنت لا تريدين الإنجاب لأني قد يعود لي المرض الخبيث في أي وقت وأموت "

وضعت يدها على فمه بسرعة تقول" لا تتحدث في هذا الأمر أرجوك "

فأمسك بيدها من على فمه وقبلها هامساً" علينا أن نتعايش مع هذه الحقيقة للأسف .. على أية حال لو جاء هذا الولد سأؤمن له حياته جيدا وأثق فيك تماما في تربيته من بعدي "

أمسكت بتلابيبه تهتف بلوعة " وائل ! "

احاط يديه حول خصرها يرد" نعم يا عمر وائل الضائع "

تكلمت بصوت مبحوح " أسكت "

Des. Maryam Tamim

قرب وجهه من وجهها " أمرك سأصمت وسأفعل كل ما تريدين.. لكن امنحيني هذا الطفل إن كنتُ بالفعل لازلت قادرا على الانجاب "

قالت مراوغة وهي تشيح بوجهها " وماذا عن التلقيح الصناعي .. كانت فكرته مناسبة"

تحكم في ابتسامة متسلية وهو يراقب توردها ورد " لكني أريده أن يأتي بالطريقة الطبيعية .. كما أني أريد هذا الشيء بشدة جوجو (وتسللت يده الماكرة مجددا وهو يضيف) بشدة جوجو .. وأنت أيضا تريدين هذا الشيء لا تنكري ذلك "

انكرت بارتباك وهي تتعذب بلمساته " ليس صحيحاً "

Des. Maryam Tamim

لفحتها أنفاسه وهو يهمس " أنسيت ؟ (وقلد صوتها) قل إسمي يا وائل.. (مال على شفتيها يطبع قبلة خاطفة مع كل لفظة باسمها) جوجو.. جوجو .. جوجو . أحلى النساء جوجو "

أطرقت برأسها وهي تدرك أنها على وشك الاستسلام مجددا وقالت " أشفقت عليك لا أكثر"

كان يدرك ما تعانيه .. وأدهشه أنه لأول مرة يفهمها.. فقال بتوسل يعترف بإنها تستحق أكثر من مجرد توسل " إذا استمري في الشفقة عليّ .. ولا تعذبيني بامتناعك عني . . أعرف أني أستحق منك ذلك لكن كوني كريمة معي جوجو "

رفعت وجهها تبحث عن الصدق في موج عينيه الازرق .. وقلبها المريض بالعشق المتيم به لا يزال

مذهولا بكل ما يحدث .. ليميل وائل ويطبع قبلات عاشقة في تجويف رقبتها .. فابتلعت ريقها وتكلمت بتهديد تحفظ به ماء وجهها " اذا وافقت هناك نقطتين لابد من أن أوضحهما .. الأولى أن هذا الامر إذا عاد لطبيعته بيننا لا يعني أني نسيت ما حدث في الماضي .. قد أكون سامحتك لكني لم أنسى بعد .. فخمسة عشر سنة ليست بالقليلة .."

أومأ برأسه موافقا وهو لا يزال يتسلل إلى تفاصيلها بشفتيه ويديه لفرض السيطرة على كيانها كله .. فأكملت بأنفاس لاهثة " واعلم أني لن أسامح في أي خطأ قادم .. فإن كنت قد تحملت في الماضي فكان ذلك لأنك لم تعدني بشيء وقتها لكن الآن أنت تعدني بالكثير .. وبالتالي أي خيانة أو خداع هذه المرة ستكون النهاية بيننا .. للأبد "

Des. Maryam Tamim

رفع رأسه مبتسما بسعادة وقال "ما عليك إلا أن تأمري جوجو "

والتصق بها يطبق على شفتيها وقد طال صبره فانهارت قواها تماما .. لتستسلم له .. ذلك الاستسلام اللذيذ الذي أحبت الغرق والطفو فيه ليلة أمس ..

بعد دقائق ترك وائل شفتيها ليمطرها بوابل من القبلات المشتاقة السعيدة .. السعيدة جدا .. ثم همس مغازلا وهو يفك أزرار منامته " ليلتنا عنب.. يا عنقود العنب "

همست موبخة تدفعه بعيدا " وائل ماذا تفعل نحن في المطبخ !! (ثم ضيقت عينيها وتخصرت تقول) ماذا تقصد بالعنب .. هل تسخر مني ! "

Des. Maryam Tamim

رد متهكماً " ألا تعلمين ما هو العنب!!.. حسنا دعيني أخبرك القصة (وابتعد خطوتين مرققا صوته يقلدها) إنه بني اللون معظم أيام السنة لكنه مع اقتراب الموسم يتحول للون الوردي .. (وغطي عينيه بكفه يمثل الحرج) فإذا حضر موسم الفراولة صار لونه أحمر "

كان منظره مضحكا وهو يقلدها.. وخفيف الظل كعادته .. فاتسعت ابتسامتها .. حتى رأى أسنانها الجميلة بوضوح .. فصاح مصعوقا يشير نحوها بسبابته " هل ابتسمت الأن !! "

شعرت بالحرج فغطت فمها بكفها .. لكنه اقترب يقول بسعادة " ابتسمت يا جوجو !! .. أخيرا.. أخيرا استطعت اضحاكك .. أخيرا جوجو"

حملها فجأة وألقى بها على كتفه وهو يقول" ليلتنا كلها عنب "

[4876]

صاحت ماجدة معترضة تضربه على ظهره" وائل !!
.. ماذا تفعل ؟؟!! أنزلني"

رد هامسا وهو يقطع الممر بسرعة ناحية غرفته "
أششش .. أخفضي صوتك يا عنقود العنب .. لدينا
فتاتين مراهقتين ولا يصح أن يعلموا بتفاصيل
محاولاتنا لإنجاب ماجد الصغير "

قبيل الفجر :

قبّل وائل جبينها ..وجانب من وجهها المبلل
بالدموع وعاد لشفتيها مجددا .. ثم أمسك بيدها
يقبلها .. فرفعت كفوفها تمسح الدموع من عينيه
هامسة " كفى يا وائل لم هذه الدموع ؟!! "

Des. Maryam Tamim

رد بصوت يخنقه البكاء " توقفي أنت أولا عن البكاء "

مسحت دموعها فأكمل وائل بخفوت" غريب هو الإنسان .. وغبي في أحيان كثيرة .. كنتِ أمامي وكنتُ مُغيبا أبحث عنك بين النساء .. وأنكرتك بداخلي وأنا أصنع منك وهما أعيش به .. تمنيت الموت طيلة خمسة عشرة عاما .. فاذا بالله يعاقبني بمرض مميت ثم ينعم علي الشفاء ليجعلني أشعر جيدا بحجم النعم التي كنت لا أضع لها أهمية .. وحين اكتشفت فجأة أني أرغب في الاستمرار على قيد الحياة .. أعيش برعب أن يعاودني المرض من جديد .. لكني أعدك .. أعدك أن أحبك آلاف المرات في العمر المتبقي لي وحتى آخر نفس في صدري .. وإن كنت لا أعلم هل أؤذيك أكثر بهذه الطريقة أم لا .. فكنت أفضل أن أرحل وأنت يائسة من إصلاحي على أن تتذوقي قربي ثم أختفي من حياتك للأبد "

[4878]

عانقته بقوة وهي تهمس بعذاب " أسكت يا وائل أرجوك لا تتكلم في هذا الأمر مجددا "

قال وهو يتحسس ظهرها العاري" هذا أمر علينا أن نتوقعه في أي وقت للأسف "

ردت وهي تتحسس عضلات عنقه" لن يحدث بإذن الله.. وستعيش حتى ترى أحفادك "

ابتعد عنها يستلقي على ظهره ثم سحبها لتنام على صدره يقول وهو يمشط شعرها بأصابعه " أسف جوجو أنك تحملت وستتحملين ما اقترفت من أخطاء في حياتي .. أتمنى من الله كما شفاني من المرض وأعادني من الغيبوبة وجمع بين قلبينا من جديد أن يمد في عمري حتى أعوضك وأجعلك أسعد امرأة في العالم "

Des. Maryam Tamim

دفنت ماجدة وجهها في صدره تتحسسه بحرمان لم ينتهي بعد .. لتستسلم بسرعة للأحلام السعيدة وهي ثملة ..

ثملة به ومنه ..

من وائل زوجها وحبيبها ..

العائد للحياة بقلب فاق من غيبوبة طويلة ..

***

بعد أيام :

أنتهى عمرو من تدليك قدميها المتورمتين وهي مستلقية بإنهاك في غرفة أحمد القديمة في بيت والدها .. يعتصر الألم قلبه وهو يراها مجهدة بهذا الشكل .. ثم جلس بجانبها على السرير يقول بخفوت " اليوم حين نذهب للطبيبة لابد أن تحدد

Des. Maryam Tamim



لك موعدا للولادة .. أنا غير قادر على تحمل
معاناتك هذه يا أروى .. هذا صعب " .

ابتسمت بوهن وحاولت المزاح كعادتها رغم رغبتها
الملحة للبكاء .. فلم تعد تشعر بالراحة لا مستلقية
ولا جالسة ولا نائمة .. تدعو الله أن يرحمها ..
خاصة مع أوجاع ظهرها الشديدة والتي تتجنب
بقدر المستطاع الإكثار من المسكنات القوية
لتسكينها حتى لا يضر بالجنين .

قوست شفتيها للأسفل وقالت ببؤس طفولي " قل
الصدق أني أصبحت بالفعل أشبه سمكة الينفوخ ..
وأنك لم تعد تطيقني "

أبعد شعرها الجميل من على جبهتها وقال متألما "
أنا لا أمزح يا أروى ..أنا اتألم بشدة مثلك "

Des. Maryam Tamim

قالت بلهجة مسرحية بائسة " أتركني عند أهلي يا ابن الناس سيراعونني حتى تأتي موعد ولادتي .. واذهب أنت لتراعي والدتك "

رد حانقا بقلة صبر " أروى ارحميني من مزاحك أعلم أنك تعانين "

ردت وهي تغلق عيناها" إذن دعني استرح قليلا"..

ع

دل لها من وضع الوسائد خلف ظهرها لتنام جالسة على السرير .. فتأمل نومتها في هذا الوضع المثير للشفقة .. فلم تعد قادرة على النوم إلا في وضع الجلوس منذ فترة .. تحركت على جانبها قليلا تواجهه .. فمسد على شعرها بحنان حتى استغرقت في النوم .. لتدخل إلهام حاملة كوبا من اللبن الساخن فأشار لها عمرو أنها نامت .. لينسحبا من الغرفة بهدوء.

Des. Maryam Tamim

في الصالة وقف أحمد يسأله بقلق " كيف حالها؟ "
رد بإجهاد " متعبة جدا .. لم تنم طوال الليل
وطلبت مني أن أحضرها إلى هنا (وأضاف بتوتر) ما
دامت ستلد قيصريا لم الانتظار؟؟ .. لم الطبيبة
تزيد من عذابها ؟؟.. أفكر في تغيير هذه الطبيبة "

تدخلت إلهام تقول " يا بني الطبيبة هي من تقرر
الطفل جاهز للخروج أم لا .. عموما أنا ذاهبة
معكما اليوم إن شاء الله لأفهم الوضع " .

لاحظ أحمد بانة المنكمشة تمسك ببطنها فقال
ليبعدها عن هذه الحديث " هلا صنعت لنا قهوة يا
بانة من فضلك "

أومأت برأسها مبتعدة في توتر فزفر أحمد متألما
على أخته وقال " المهم أنها نامت.. ربما حين
تأخذ كفايتها من النوم تستيقظ بحال أفضل "

Des. Maryam Tamim

رد عمرو بخفوت " أدعو الله لها أن تستريح من هذا العذاب بسرعة "

تمتمت إلهام وهي تتركهم " كل النساء تكون أيام الحمل الأخيرة من أصعب الأيام التي تمر عليها .. أدعو الله أن يهون عليها أروى بنت إلهام آمين"

خرجت رحمة بحرج من غرفة أروى التي تبيت فيها لحين عودة سيد وآية.. وقالت لإلهام وهي تمسك بحقيبتها " أنا عندي محاضرة مسائية اليوم يا خالتي "

فردت إلهام " حسنا يا حبيبتي لا تتأخري "

تدخل أحمد يقول " متى تنتهي المحاضرة بالضبط؟"

ردت رحمة " في الثامنة "

Des. Maryam Tamim

فقال " هل سينتظرك ذلك السائق الذي عينه لك سيد لتوصيلك ؟"

فأومأت برأسها بالإيجاب ليقول أحمد " إذا حدث أي شيء ولم يأتي الرجل في موعده اتصلي بي وإن لم أرد اتصلى بأحد من الشباب " .

أومأت برأسها بابتسامة حلوة تميزها واستدارت تتصل بالسائق تسأله أين يكون .. بينما مال عمرو على أحمد يقول " ألم تعرف بمكان العروسين حتى الآن "

رد أحمد ممتعضا " لا للأسف .. ولا يعجبني هذا لا يعجبني أبدا "

قهقه عمرو ثم سأل رحمة " ألم يتصل بك سيد يا رحمة"

Des. Maryam Tamim

ردت بسرعة " لم أتحدث معه منذ ليلة زفافه اقسم بالله "

فعقب أحمد " لكنك كنت على علم مسبق بأنه لن يبيت في شقته ليلة زفافه أليس كذلك ؟! "

أومأت برأسها بالإيجاب ثم قالت " لكنه لم يخبرني إلى أين هو ذاهب أقسم بالله "

زفر أحمد بغيظ ثم وقف يديه في جيبي بنطاله وتكلم بخفوت مفكرا " هل هرب معها ثم لم يستطع قلبه تحمل السعادة فمات بأزمة قلبية ؟! "

فوقف عمرو بجانبه بنفس وقفته يديه في جيبي بنطاله مفكرا هو الآخر وقال " أو آية جن جنونها من فرط السعادة فقتلته " .

Des. Maryam Tamim

أضاف أحمد مستغرقا في التفكير " أو كلاهما قتلا بعضهما من قوة الحب "

فوافقه عمرو مستمرا في التفكير " هذا غير منطقي .. لكن المنطقي أن حدث لهما هبوطا حادا من كثرة العشق الملتهب ففاضت روحيهما " .

وقفت بانة تمسك بصينية القهوة تحدق فيما يفعلانه بينما كتمت رحمة ضحكتها .. لينتبه أحمد لرائحة البن ويتقدم منها متجاهلا حالة التعجب التي ترتسم على ملامحها .. فناول عمرو الواقف بجانبه فنجانه .. ثم أخذ الفنجان الأخر وقال قبل أن يرشف رشفة من قهوته "أين تتوقع أن يكونا الآن ؟ يا أبا بيدو .. إن هذا الماكر لم يخبرنا حتى إلى أين سيسافران "

Des. Maryam Tamim

رد عمرو بعد رشفة وتركيز في الفراغ أمامه" أتوقع إحدى شواطئ جزيرة هاواي حيث السحر والخيال "

رشف أحمد رشفة وأكمل له وهو يركز في نفس الفراغ مع صديقه " أتوقع أن آية ترتدي لبس الهونولولو ولكن باحتشام وحجاب " .

فقاطعه عمرو ينظر إليه مستفهماً وقال " كيف هونولولو وباحتشام ؟!!!!!"

رد أحمد ببساطة " لا تقلق النساء يتحايلن على هذا الأمر ويسمونه (تقفيل محجبات للملابس) أما سيد .. "

فأكمل له عمرو" يرتدي شورتا مرقط بقلوب حمراء كبيرة .. عاري الصدر .. يتدلى من عنقه عقد من الزهور .. وفوق رأسه تاجا آخر من الزهور "

Des. Maryam Tamim

رشف أحمد رشفة وأكمل " وتجري آية على الشاطئ تقهقه في سعادة كالبلهاء .. وسيد يجري وراءها يطاردها كخرتيت ضخم يطارد سنجابا .. فيفر المصطافون يمينا ويسار .. ومنهم من يلقي بنفسه في الماء رعبا ".

أطلقت بانة ضحكتها وشاركها رحمة وإلهام التي خرجت تشاهد المشهد العجيب .. فابتسم أحمد لبانة وغمز لها ثم قال " أتضحكون ! .. أعصابكم في ثلاجة وأنا قلق على أختي .. قطعة من قلبي "

ضحكت إلهام مجددا .. فضيق أحمد عيناه ثم اقترب منها ويديه في جيبه ليميل بجذعه عليها ويحدق في عينيها بشك قائلا " الغريب في الأمر يا أبا بيدو أن أمي لم تعد يومها طعاما لصباحية العروس .. ولم تفكر في زيارتهما في اليوم الثاني

Des. Maryam Tamim

مدعية أنها ستتركهما ليطلبا الطعام حين يريدان .. ومنذ أن اكتشفت أنا بنفسي اختفاء هذان المذنبان لم أجدها قلقة أبدا .. كل ما تقوله اتركوهما ينعمان ببعض الخصوصية .. اعترفي يا إلهام هل أنت متورطة في هذا الأمر ؟"

أشاحت إلهام بيدها واستدارت لتتركهم .. فحضنها من الخلف يقول " لن تفلتي من يدي يا إلهام.. أنا أشك بك لكني سكت لأراقب تصرفاتك .. اعترفي .. هل يتصلان بك من وراءنا "

حاولت التخلص من ذراعيه تقول موبخة" أتركني يا أحمد لدي ما أريد أن أفعله قبل أن أخرج مع أروى وعمرو "

شدد أحمد من ذراعيه حول أكتافها وقال " بل سأخطفك في شقتي رهينة .. إما تعترفين أو يأتي إبراهيم لتخليصك مني " .

[4890]

ضحك الجميع وهي تحاول تخليص نفسها من ذراعيه .. تضربه تارة وتعضه تارة بعصبية لكنه لم يفلتها مقهقها .. حتى تجمد المشهد فجأة حين جاءت صرخة أروى من الداخل " أمييييي .. أمييي .. عمرررررو ".

أقتحم الجميع الغرفة بجزع لتقول أروى برعب "أنفجر ماء الجنين يا أمييييي "

وقف أحمد جامدا لا يفهم بينما صرخ عمرو " ليس من المفروض أن تتعرض للطلق .. لن يتحمل ظهرها هذا الألم " .

صاحت إلهام بحزم " جهز السيارة يا أحمد فورا وأنت يا عمرو اتصل بطبيبتها وأخبرها لتلحق بنا في المستشفى " .

Des. Maryam Tamim

وتوجهت لأروى تقول رغم توترها " إهدئي يا حبيبتي ليس هناك مشكلة " .

بدأت بانة في الإمساك ببطنها شاعرة بتقلصات شديدة.. فصاحت إلهام بحزم " ماذا تفعلين هنا انزلي الي شقتك هيا "

قالت بانة باكية "سأساعدكم"

هتفت إلهام بتوتر " خذها في يدك يا أحمد وأسرع بتجهيز السيارة " .

سحبها أحمد من يدها .. بينما وقف عمرو في توتر ينتظر أن ترد الطبيبة على هاتفها وهو يتمتم بكل الأدعية التي يحفظها .

بعد ساعتين كان أحمد يقف في ممر المستشفى مع أمه وأبيه يقول لبانة في الهاتف " لا تقلقي يا بانة .. تم تجهيزها للولادة القيصرية وستدخل بعد قليل

Des. Maryam Tamim

.. خير إن شاء الله .. هل رحمة معك؟ .. جميل .. سأتصل بك سلام " .

بعد أن أغلق الهاتف تطلع لوالديه الواجمين ثم نظر في الغرفة ليجد عمرو يجلس بجانب أروى التي ترتدي ملابس غرفة العمليات .

قال عمرو لأروى" لا تقلقي يا أروتي الطبيبة طمأنتنا ".

ومال ليقبل يدها .. فقالت " أنا فقط لا أحب غرف العمليات .. بت أشعر بالرعب من دخولها رغم أني دخلتها كثيرا لكني كنت كل مرة أرتعب أكثر من التي قبلها وأشعر أنها المرة الأخيرة التي سأرى فيها من أحبهم "

Des. Maryam Tamim

قبل عمرو رأسها وقال بهمس " لا تتكلمي بهذا الشكل يا أروى بالله عليك فليحفظك الله لي ولولدك إن شاء الله "

قالت بوهن ..وهي تمسح على ذراعه " أنا فقط أريد أن أقول لك أني أحبك .. وأن كل يوم يمر علي وأنا في بيتك أحبك أكثر وأكثر .. وإذا مت .. تزوج وانجب الكثير من الاطفال يا عمري "

أحاط رأسها بذراعه يدفنها في صدره وقد احمرت عيناه من الدموع فقال يشاكسها حتى يبدد اللحظات الصعبة " أششششش .. بالطبع سأتزوج هل تتوقعي أن أبقى بدون زواج " .

بعد دقائق أبعد ذراعه يتطلع فيها ويدخل خصلات شعرها الفارّة من غطاء الرأس الخاص بغرفة

Des. Maryam Tamim

العمليات فشبكت أصابعها في أصابعه ثم رفعتها إليها لتقبل يده فأحنى رأسه ويدها معقود اللسان .

دخلت الممرضة تقول " هيا بنا سيدة أروى "

حملها عمرو ووضعها على الكرسي المتحرك الخاص بالعمليات لتدفعها الممرضة وتخرج من الغرفة .

ابتسمت أروى للجميع ملوحة فتقدم أحمد يقبل رأسها لتربت على يده وتمنحه نظرة أوجعت قلبه وذكرته بالمرات العديدة التي دخلت فيها غرفة العمليات بهذه النظرة .. لتدفعها الممرضة فتمر من جانب عمرو الواقف يقبض كفيه بجانبه تتطلع فيه حتى تجاوزته مبتعدة فاستدارت إليه ترسم

Des. Maryam Tamim

بسبابتيها وإبهاميها قلبا وقالت أحبك بالكورية "سارنجيه "

فردد بخفوت وراءها دون أن يدري والدموع تتدفق إلى عينيه " سارنجيه يا حبيبة عمرو "

ثم مسح عيناه وجلس يقرأ في مصحفه بقلب مقبوض من الرعب ..

ظهرت عفاف فجأة من آخر الممر فنبهه أحمد ليستقبلها متفاجئاً " لم خرجت يا أماه ؟؟؟ وكيف أتيت ؟؟ لم أريد أن أشق عليك " .

تكلمت لاهثة " لم استطيع الانتظار في البيت فاتصلت بوائل فأوصلني للمستشفى وذهب قائلا أنه يتواصل معكم على الهاتف "

Des. Maryam Tamim

أجلسها عمرو ولاحظت عينيه المتأثرتين فربتت على كتفه وقالت مشفقة " لا تقلق يا حبيبي ربك كريم بعباده "

فتمتم عمرو بخفوت " ونعم بالله "

بعد قليل اقتربت الممرضة تقول " حمدا لله على سلامتها الأم والطفل بخير وسنحضرها للغرفة حين تستكمل إفاقتها بإذن الله .. "

***

في مسبح خاص بأحد الشاليهات في منتجع سياحي وقفت آية في وسط المياه ترتدي ملابس البحر .. لترتفع فجأة في الهواء حين يدخل سيد من تحت الماء بين ساقيها يحملها على كتفيه فتشبثت برأسه مطلقة ضحكة عالية .. ليتكلم ضاحكا "هذه آخر مرة وكفى .. فأنا أخشى أن تتأذين "

Des. Maryam Tamim

صاحت معترضة " سأتأذى من ماذا .. أنا أقفز في الماء "

أطلق زمجرة يقول " آية "

فقالت بسرعة " حسنا .. آخر مرة .. سأعد .. واحد .. اثنان .. ثلاثة "

رجعت بظهرها للخلف تمسك بأنفها ..وتنقلب في الماء صارخة بحماس .. فتغيب تحت الماء لثوان ثم تصعد برأسها تشهق بقوة .. ضحك سيد عاليا ثم اقترب يمسح عن عينيها ووجهها الماء بكفه ويقول " يكفي هذا "

تحرك نحو حافة المسبح فجرت بسرعة تتمسك برقبته من الخلف وتقفز فوق ظهره وهو يسبح ..

حتى وصل للحافة فقال " ألن تنزلي ؟"

Des. Maryam Tamim

طقطقت بلسانها معلنة رفضها .. فأمسك بكوب العصير يرتشف منه فتمتمت آية وهي تسند برأسها على كتفه باسترخاء " أحببت هذا المكان"

رد سيد " الحقيقة أنه كان اقتراحا موفقا منك أن نستأجر مكانا خاصا كهذا في منتجع سياحي .. وإن كنت لازلت متمسكا بحلمي أن آخذك يوما ما خارج البلاد في رحلة استجمام كنت أنوي ذلك بعد زواجنا مباشرة لولا ضغط تكاليف الزواج "

همست آية " إن شاء الله سنفعلها يوما .. لا تشغل بالك المهم أننا معا "

تمتم " أجل المهم أننا معا.. في أي مكان تحت أي سقف "

قالت " علينا أن نتصل بأمي لنطمئنها علينا كما نفعل كل يوم "

Des. Maryam Tamim

أومأ سيد برأسه موافقا ..

نزلت من على ظهره .. فرفعها لتجلس على حافة المسبح ووقف يتطلع إليها قليلا بلباس البحر الساخن الذي ترتديه .. فمالت تقرب وجهها من وجهه وهمست" أحبك .. أحبك يا سدسد .. ولا أتخيل أني قد أمر بتلك التفاصيل الخاصة بالزواج مع رجل آخر غيرك .. أنت فقط .. أنت وحدك .. آية خلقت لك وحدك " .

مالت لتحضنه فلف ذراعيه حول خصرها يخبئ وجهه في حضنها لبعض الوقت .. ثم رفع لها عينين غائمتين بالعاطفة متمتما " لا أفهم كيف بحضنك هذا تسريين الدفء إليّ فيحارب الصقيع القابع بداخلي .. (صمت قليلا يتأملها ثم أكمل) هل تصدقيني إذا قلت أنني عشت طيلة عمري بثقب فارغ هائل الحجم بقلبي .. لم ينفع معه أية محاولة

Des. Maryam Tamim

من قبل لملئه .. وأنك منذ أن أصبحت زوجتي وأنا أشعر بأن هذا الفراغ يتقلص ويضيق .. ويضيق ..

هل أبالغ إذا قلت أنني لأول مرة يضمني حضن امرأة بهذا الشكل وبهذه الطريقة التي تشعريني بها؟ .. وأني أشعر أنك جزء مني يا آية وكأني كنت أعيش مبتور الأطراف أو فاقدا لجزء مني ولم أدرك ذلك إلا عندما أخذتك بين ذراعاي .. فاستعدته .. واستعدتك .. هل أبالغ إذا قلت أني أشعر أنك أمي .. وابنتي .. وحبيبتي قبل أن تكوني زوجتي ؟.. أنا لا أعرف كيف ومتى حدث هذا وتغلغلت إلى هذا الحد بداخلي .. وكيف تحولتِ من طفلة لشابة ثم امرأة أصبحت كل أملي"

مالت على شفتيه ترد على ما تفوه به فقرب رأسها إليه وقبلها قبلة طويلة سرقت أنفاسها ..

Des. Maryam Tamim

ثم أفلتها بعد قليل يقول بأنفاس لاهثة " هل حكيت لك من قبل حكاية المارد الذي يحب السكاكر "

أطلقت ضحكة محرجة وحركت رأسها بلا فقال "تعالي لأحكيها لك في الغرفة "

ضحكت بصوت أعلى وهي تراه يستند بيديه على حافة المسبح ويصعد بجانبها .. ثم استقام واقفا يسحب يدها لتقف وهو يقول بابتسامة باتت تفهم معناها " صدقا لم أحكي لك هذه الحكاية من قبل؟"

غطت فمها بيدها ضاحكة وقد بدأت تشعر بدغدغة في أعصابها من النظرة المتأججة التي تحتل عينيه قبل حتى أن يقترب منها .. وحركت رأسها بلا مرة أخرى .. فحملها فجأة بين ذراعيه يتأمل وجهها وشعرها المبللان وجرتي العسل اللتان تتطلعان إليه وقال وهو يستدير نحو الغرفة " كان

Des. Maryam Tamim

يا مكان ..كان هناك مارد يتيم .. مسكين .. يحب السكاكر بجنون .. حتى أهدى إليه في يوم من الايام قطعة سكاكر عملاقة لا تنتهي أبدا مهما أكل منها لا تنتهي "

***

قال أحمد مستنكرا كيف ستزغردين يا أماه بالمستشفى !! هناك مرضى لا يريدون الإزعاج"

ردت إلهام ببساطة " هذا قسم الولادة ومن الطبيعي أن يزغرد الناس فيه ".

مط شفتيه ممتعضا وقال " مادام أبي قد حضر فأنا ذاهب فلا أتحمل رؤيتها بهذا الشكل ".

مطت إلهام شفتيها فتمتم متحاشيا النظر نحو أروى الواهنة في السرير " مبارك يا أم عبد الرحمن مبارك يا أبا عبد الرحمن "

Des. Maryam Tamim

وانسحب من الغرفة بسرعة غير قادر على تحمل تألمها بعد خروجها من العمليات بسبب بعض الأوجاع في ظهرها .. شاعرا بالرعب كلما أقترب موعد ولادة بانة .. ولا يعلم كيف سيتحمل هذا الأمر هو الآخر ..

في الغرفة لم يكن عمرو بحال أفضل منه يمسك بيد أروى يدلكها وهي تقبض على يده من وقت لآخر تطمئنه .. والحاج والحاجة قلقان على أبنتهما بينما عفاف تحمل الوليد الصغير تحدق فيه بعينين دامعتين .. قائلة لعمرو " أنت لم تحمل ابنك بعد يا ولدي "

انتبه عمرو لأنه لم يرى حتى وجه ابنه فقد انشغل بأروى .. فاستقامت عفاف تقول متأثرة" يشبهك إلى حد لا يصدق .. يا الهي ! كأن الزمن عاد بي للخلف خمسة وثلاثين عاما "

Des. Maryam Tamim

تكلم الحاج سماحة " مبارك ما رزقكما به الله ..
أدعو الله أن يكون لكما ذرية صالحة "

وضعت عفاف عبد الرحمن في حجر عمرو
فازدادت ضربات قلبه وحدق فيه قليلا شاعرا
بمشاعر غريبة وجديدة تغزو قلبه ببطء .. وهو
يرى ذلك الكائن الصغير الحانق أمامه .. فهتفت
أروى بوهن "هل حقا يشبهك يا عمرو؟ أريد أن أراه
"

اقترب منها وهو يحمله مرتعبا وجلس جوارها
يتطلعان سويا فيه .. في ثمرة حبهما وارتباطهما ..
فأمسكت أروى يده الصغيرة بتأثر ومالت تقبل
جبينه الأملس وهي تهمس باكية " ولدنا عبد
الرحمن يا عمرو ! "

Des. Maryam Tamim

تطلع في عينيها وقال " اللهم لك الحمد والشكر أن رزقتنا بعبد الرحمن عمرو عبد الرحمن القاضي (واتسعت ابتسامته وأكمل) الشهير ببيدو "

ثم مال عليه يكبّر في أذنه .. لتطلق إلهام زغرودة عالية سمعها أحمد وهو في مصعد المستشفى فضرب على جبينه يقول " فعلتها أمي !! "

***

بعد بضعة أشهر :

دخل وائل لبيت عائلته ليجد الجميع في انتظاره بقلق .. الكل مجتمع .. والدته وأخيه وزوجته ووليدهما وماجدة والتوأم .

طالع الجميع بصمت يراقب الوجوم والترقب البادیان على ملامحهم .. نادما للمرة المليون على

Des. Maryam Tamim

كل لحظة فكر فيها في مغادرة هذه الحياة تاركا وراءه هذه القلوب الدافئة التي مازالت متمسكة به رغم غيابه المجازي في حياتهم .

اقتربت أنجيل الصغيرة منه ببطء تقول "طمئننا يا أبي ما هي نتائج الفحص ؟"

توترت القلوب في اصعب ثواني تمر عليهم حتى فتح وائل فمه يقول بصعوبة " الحمد لله خالي من المرض"

زفرات الارتياح تصاعدت .. والدموع انهمرت فأحاطت ابنتيه بجذعه يغمرانه بالأحضان .. فأخذهم بين ذراعيه وهو يستشعر ارتجافهما .. يتطلع لوالدته التي غطت عينيها بيدها تبكي بينما تقدم منه أمير متأثرا .. أما ماجدة فشاهدها وهي تجري إلى المطبخ باكية .

Des. Maryam Tamim

قال أمير "الحمد لله أنك بخير .. كنت أتمنى أن تتركني لآتي معك وأنت تستلم نتيجة الفحص الدوري "

تكلم وائل وهو يتجه نحو أمه بعد أن ربت على كتفه " لا أحب أن يأتي أحد معي وأنا أتسلم نتيجة الفحص حتى الشباب رفضت أن يأتي أحد منهم معي .. هذا الأمر سأخوضه وحدي أولا وإن كان مقدرا لي أن أبتلى به مرة أخرى فأحب أن أتلقى الأمر وحدي أولا "

ثم أخذ رأس أمه الباكية إلى صدره وقال " كفى بكاء يا أمي .. أنت كنت صامدة أمام محنتي الطويلة وتبكين الآن حين أرزق ببعض الوقت خاليا من المرض "

تمتمت أنجيل وهي تمسح دموعها " الحمد لله أن شفاك يا ولدي .. نطلب من الله لا يعيدها "

Des. Maryam Tamim

قبل رأس أمه وابتسم لكريستين التي تحمل رضيعها حديث الولادة ليلحق بماجدة في المطبخ.

ووقف على باب المطبخ يتأملها تقف أمام الموقد بعينين متورمتين من البكاء .. إن علاقتهما في حالة من التأجج العاطفي المتواصل وكأنهما يعوضان ما فاتهما من قبل .. لكنها مازالت تخفي عنه سر سيدة الظل جوجو .. وهو لا يزال يتابعها في صمت وقد انتهي من قراءة جميع ما نشرته على الإنترنت .. وأعجب به كثيرا.. ليس فقط لأنه يفخر بها ولكن لأنه أصبح من محبي قلمها .. وأصبحت هي من الأقلام المفضلة لديه .. يحب حكاياتها الرومانسية .. يحب العالم الذي تدخل فيه قرائها .. عالم حالم ومسالم ..

لقد اكتشفها كماجدة أكثر حين قرأ لها .. واكتشف أنها لا تقل عنه رومانسية وشاعرية ومثالية .. لكنها أكثر منه تقبلا للواقع وارتكانا للمنطق .. والأهم أنها

أقوى منه نفسيا .. فما مرت به هي الأخرى لم يكن هينا ومع هذا لم تسمح لنفسها بالانزلاق نحو الأخطاء كما فعل هو .. ولم تأخذ ما ألم بها من صعاب مبررا لأن ترتكب الحماقات مثله .. واحترم فيها أن بحثت عما يشغلها ويشعرها بوجودها الإنساني خارج إطار التصنيف الشائع للنساء الخاص بمهمتها الأعظم وهي الأمومة ..

منتظرا بشوق ولهفة تلك اللحظة التي ستقرر فيها أن تخبره بما تخفيه عنه .. وبالرغم من ذلك تحدث مع صديق له صاحب دور نشر شهيرة للتواصل معها كسيدة الظل جوجو ليعرض عليها رغبة دار النشر في نشر إحدى رواياتها .. وقد وعدته ماجدة بالتفكير في الأمر .

اقترب في صمت وأحاطها بذراعيه من الخلف يغمرها بحضن دافئ ويلتصق بها كطفل يتشبث

Des. Maryam Tamim

بأمه .. يحتمي خلف كرامته الذكورية التي تحطمت أكثر من مرة أمامها .. يحتمي بها حتى لا يعترف أمامها أنه كان مرتعبا وهو يتسلم نتيجة الفحص .. وبعد أن عاش عمرا يرغب في إنهاء حياته شعر لأول مرة بالرعب من الموت .. بالغصة من احتمالية مفارقة الأحباء ..

أي جنون هذا ؟؟.. وأي عبث سارت عليه حياته؟؟ ..

شعر بنشيجها الصامت فمال يطبع قبلة دافئة طويلة على عنقها.. ثم همس معتذرا للمرة التي بات من الصعب عدها " آسف جوجو .. آسف أنك مضطرة لأن تعيشي معي تلك اللحظات المرعبة من آن لآخر .. تمنيت لو أحمل أوزاري وحدي وأن أتلقى عقابي وحدي بأني لم أرضى

Des. Maryam Tamim

بالابتلاء ولا بالقدر وتمنيت الموت كثيرا حتى أعطاني إياه الله ما دمت أريده إلى هذا الحد .. "

دلكت ذراعه الملتفة حولها غير قادرة على قول أي شيء .. يكفيها ذلك الوجع الذي فاق كل الأوجاع .. وجع الرعب من رحيله عن الدنيا .. فالأمر بات أصعب من ذي قبل بعد أن استعادت وجوده في حياتها .. فلم يعد ذلك الشبح الذي تعشقه وتتفقد أثره هنا وهناك .. بل أضحى حبيبا وأبا وأخا وصديقا وابنا .. أضحى سندا وظهرا حقيقيا وليس صوريا ككثير من علاقات الزواج التي ترصدها في الواقع وتكتب عنها في رواياتها ..

وهذا أخطر ما في الأمر .. ذلك الدور الذي اتخذه لنفسه في حياتها بعد أن احتلها احتلالا فلم تعد قادرة على الفكاك منه .. أصبح معه مجرد الفراق كخاطرة أمرا شديد الصعوبة وشديد الوجع .

Des. Maryam Tamim

لم تقدر على المقاومة فاستدارت تحضنه بقوة فأغرقها فيه لبعض الوقت في صمت أبلغ من الكلام.. بعد أن بات الكلام فاقدا للمعنى .

قال وائل بعد دقائق " سألت الطبيب على مسألة الإنجاب فأخبرني أن الأمل ليس معدوما ربما مع الوقت يتحسن الوضع "

رفعت إليه ماجدة وجهها المبلل بالدموع وقالت " أمازلت مصرا على هذا الأمر ؟.. أنا لا أتخيل أن أعيش تجربة الإنجاب مرة أخرى كما أن فارق خمسة عشرة سنة بينه وبين أختيه كبيرا جدا.. ولا أريدك أن تفكر في هذا الأمر كثيرا أو تحزن بسببه "

تكلم وهو يمسح دموعها " إنها أمنية لا أكثر لكن صدقيني أنا مدرك أن ما حصلت عليه بعد استفاقتي المتأخرة أكثر بكثير مما أستحق .. يكفيني

Des. Maryam Tamim

عائلتي وأصدقائي .. وأنت جوجو .. أنت بالذات هدية لا أستحقها "

قالت برجاء " إذن دع هذا الامر أرجوك ... ولا تفكر فيه مجددا وسنترك الأمور على حالها .. وكل شيء له مقدر "

قبل جبينها وقال " أوافق .. وأنت أيضا عليك الموافقة "

سألته باستفهام " أوافق على ماذا ؟"

قال بنظرة شقية لم تعد تفارق عينيه كلما تحدث معها " أن نسافر أنا وأنت في رحلة استجمام "

سألته متفاجئة " استجمام ! .. أين ومتى؟؟ "

رد بابتسامة عابثة " سنذهب لجزر المالديف رحلة لعاشقين (وأمسكها من خصرها) أنا وعنقود العنب فقط .. آخر الشهر ما رأيك؟"

Des. Maryam Tamim

رمشت بعينيها متفاجئة وقالت " ولكن البنات والدراسة و ... "

رد عليها ممتعضا " البنات لسن صغارا وسنتركهما في عهدة أمي وأمير .. ويستطعن مباشرة دروسهن بدونك بضع أيام "

طالعته بنظرات مترددة فقال " دعيني آخذك لرحلة لن تنسيها أبدا .. وأعوضك عن شهر العسل الذي لم نقم به يوما .. (ومال يهمس بجوار إذنها باغواء) .. أتطلع لأن أراك بلبس البحر الساخن .. أريد أن أشتري لك منه الكثير .. سيكون على قوامك معذب ومهلك للأعصاب "

حاولت التخلص منه وهي تقول ضاحكة " وائل لسنا في بيتنا "

ترك ليديه حرية التجول على تفاصيلها وهو يهمس بحرارة " ما ذنبي إن كنت مريضا وأنت دوائي .. "

Des. Maryam Tamim

لملمت ابتسامة مرتبكة ومالت بجذعها للخلف تحاول الفكاك من جنونه المغوي تقول على أنغام نبضات قلبها الراقصة " أنا دواءك ؟"

رد وهو يميل نحوها أكثر فتزداد ميلا بجذعها للخلف أكثر" ألم تدركي بعد أنك علاجي يا عنقود العنب ؟.. تطردين الأمراض من جسدي ونفسي وروحي .. لابد أن يعلم الجميع أن علاجي في يديك .. ولهذا أنا أحتاج لجرعة مكثفة من العلاج بك .. وهذا ما سنفعله في جزر المالديف .. رحلة إنسانية لإنقاذ مريض يتوجع .. الطبيب أخبرني بذلك"

سألته ضاحكة " أخبرك بماذا ؟"

رد مبتسما بتسلي " أنني إذا أردت ألا يعاودني المرض الخبيث عليّ التواصل مع الحبيب هذا هو علاجي "

توردت وقالت بخجل " وعلاجك بملابس البحر الساخنة ! "

[4916]

اتسعت ابتسامة شقية على شفتيه ورد غامزا " ذا القطعتين بالذات .. إنه علاجا فعالا لمن هم في مثل حالتي "

مال نحوها أكثر فتحررت من ذراعيه بسرعة تجري نحو باب المطبخ ضاحكة .. فحدجها بنظرة متوعدة قائلا " جوجو تعالي هنا نتفاهم قليلا قبل أن تخرجي إليهم .. جوجو أريد الدواء ما هذا الإهمال ! "

تأملته ممتنة أن منحتها السماء وقتا إضافيا مع هذا الوسيم الأشقر الماكر.. ثم حركت كتفيها رافضة بإغاظة وطارت من أمامه ..

طارت بجناحين من سعادة يئست أن تحصل عليها يوما ..

فأهديت إليها في آخر الأمر ..

***

Des. Maryam Tamim

تحرك أحمد مبتعدا عن سيارته صافعا بابها خلفه بعصبية وتوجه نحو بانة الواقفة أمام بوابة كليتها تتحدث مع شاب .. فاقترب منها حتى بات بجانبها وقال بصرامة "هل انتهيت ؟"

تفاجأت بوجوده وتحرجت من طريقته الفظة وهو يحدج الشاب الواقف أمامها بنظرة محتقرة ثم تجاهله دون حتى سلام وأمسك بيدها ليتحركا نحو السيارة فقالت بسرعة للشاب " شكرا زياد شكرا جزيلا "

فتح لها باب السيارة ودفعها بداخلها برفق واضعا كفه فوق رأسها حتى لا ترتطم بسقف السيارة .. فدخلت تمسك ببطنها المنتفخة وقد استشعرت مزاجه السيئ .. لكن هذا لم يمنعها أن تشعر بالغيظ منه ومن فظاظته .. فبادرته بالقول بمجرد أن جلس في مقعد السيارة وحركها مبتعدا عن

Des. Maryam Tamim

محيط الجامعة " أحمد ما هذه الطريقة التي سحبتني بها أمام زميلي ؟"

رد باستنكار " زميلك !!.. وماذا يفعل هذا الزميل معك أمام باب الكلية ولم تتحدثين معه أصلا؟؟ "

ردت بعصبية " ما المشكلة يا أحمد كان يعطيني نسخة من محاضرة لم أحضرها أمس وسمعني أطلبها من البنات فوعدوني بنسخ نسخة لي .. ليتطوع هو بإعطائي نسخة كانت لديه بالصدفة "

رد متهكما " نسخة كانت لديه بالصدفة !! .. يا ما شاء الله .. زوجتي ذات البطن المنتفخ ينسخ لها المحاضرات بالصدفة !!"

لم تفهم .. فنظرت لبطنها العالية عاقدة الحاجبين ثم قالت " لم أفهم ماذا تقصد ؟"

Des. Maryam Tamim

نظر إليها قائلا بعصبية وهو يضرب على المقود " أقصد أنني لم أكن أعلم أن هذه الطرق القديمة مازالت تستخدم في الكليات .. ظننت أن هؤلاء الأغبياء قد اخترعوا وسائل أكثر تطورا لمصاحبة الفتيات "

رددت باستنكار " مصاحبة !! ..(ونظرت لبطنها وأكملت استنكارها) فتيات !!"

هتف أحمد بعصبية " بالطبع يرغب في مصاحبتك .. ما الذي سيجعله يبادر باللحاق بك ليعرض خدماته التي لم تطلبيها منه أصلا سوى ذلك "

انفعلت قائلة " أحمد أنا لا أسمح لك .. أنت تعرف اخلاقي جيدا كيف تقول ذلك!! "

رد مستهجنا " وهل تحدثت عن أخلاقك الآن يا بنت الناس !! .. وهل تعتقدين أني قد أشك للحظة واحدة فيك؟!!.. أنا أتكلم على أخلاق الأخرين .. وهذه الطرق القديمة البلهاء للتعرف على الفتيات"

Des. Maryam Tamim

رددت بعصبية " أين الفتيات يا أحمد !! أين الفتيات .. أنظر لبطني "

ضرب على المقود قائلا بغضب " لا تجادلي يا بانة .. أنا وافقت على استكمالك لدراستك لأني استشعرت أهميتها بالنسبة لك .. وتحملت قلقي عليك وعلى جنينك من الخروج للكلية ومن الدراسة التي تجهدك ولكني لن أتحمل غيرتي عليك هذا الأمر يفقدني أعصابي .. "

قالت بغضب " سمحت لك !! .. سمحت لك !! .. وهل أنا جارية عندك تتفضل عليّ بالسماح لتحقيق ما أريده لنفسي !! .. "

أومأ برأسه يوافقها باستفزاز وعيناه التي يحركها بينها وبين الطريق تغيمان بالجنون فقال " أجل .. أجل بانة الخازن .. أنا هو ذلك الرجل الهمجي المتحجر من ساكني الكهوف الذي يتحكم في كل ما يخص زوجته "

Des. Maryam Tamim

أمسكت ببطنها المتقلصة وقالت بغيظ " وهذا لا يعجبني يا باشمهندس أحمد "

أشاح بوجهه ناحية النافذة وتمتم باستفزاز "فلتشربي من البحر إذا "

استشاطت غضبا وجزت على اسنانها تقول " ماذا قلت !! .. أنت .. أنت "

رن هاتفها ففتحت بسرعة حين قرأت هوية المتصل وتصيح " أبي .. هذا الإنسان فظ وغليظ ومتعجرف ولا يطاق "

عقد أحمد حاجبيه يتساءل " أيهما ؟.. سماحة أم الخازن؟ "

تفاجأ أبا فراس فأبعد الهاتف عن أذنه ينظر إليه ثم أعاده يقول " لماذا العصبية يا بانة؟ "

ردت تقول " لا يطاق يا أبي صدقني لا يطاق "

صاح أحمد مستنكرا " لا أطاق لأني أغار عليك؟؟ "

Des. Maryam Tamim

صرخت بانة في أحمد " ممن تغار أخبرني ؟.. ممن ؟ .. أنا أكبر منهم بستة سنوات تقريبا "

سحب نظراته من الطريق أمامه وتطلع إليها يرد بعصبية " أكبر.. أصغر لا يهم .. في النهاية هم ذكور .. ذكور وأنا لا أطيق ذلك .. لا أطيقه .. "

قال أبا فراس " فتحي مكبر الصوت يا بانة لماذا يصيح هذا الولد "

فتحت بانة مكبر الصوت تنظر لأحمد بإغاظة .. فحدجها بنظرة متوعدة قبل أن يأتي صوت أبا فراس عبر الهاتف " ما الذي يحدث يا أحمد لماذا تصيح في وجه ابنتي بهذا الشكل ؟!!"

Des. Maryam Tamim

تكلم أحمد بحدة " ابنتك يا عماه مصرة على حرق دمي .. يكفي أني أكثر من مرة منعتها أن تتحدث مع الأغراب بلهجتها ولا تلتزم بذلك "

قالت بانة باستنكار "ماذا بها لهجتي؟!!"

وتكلم أبا فراس يسأل " ما بها لهجتها؟!!"

كظم أحمد غيظه وتحرج أن يقول أمام والدها أنها تتحدث بطريقة تزيدها جاذبية .. فأشاح بوجهه يستغفر بصوت عال .. بينما وقف أبا فراس يحك جبينه بيده يحاول استيعاب هذا الثنائي المجنون .. فجاءه صوت بانة تقول " يا أبي بطني أمامي كبطيخة ومع هذا يغار !! "

صاح أحمد بعصبية " وماذا تعرفين أنت عن شكلك بتلك البطيخة.. وعن مشاعر الرجال وكيف

Des. Maryam Tamim

يفكرون ؟؟!!!.. هل لأنك مثلت دور الذكر قليلا أصبحت تفهمين في تلك الأمور!! "

احمر وجهها وحدجته بنظرة موبخة لما يقوله أمام أبيها.. فشعر بالحرج لكنه نظر إليها نظرة غيظ تقول (أنت السبب) واشاح بوجهه نحو النافذة .

ساد الصمت قليلا بينما ابتسم أبا فراس لكنه قال بصرامة" هل انتهيتما من الشجار والصياح في حضوري ؟ "

أجلى أحمد صوته وقال بهدوء " لا تؤاخذني يا عماه فابنتك متحجرة الرأس .. ليتك تقنعها بالتزام البيت "

قالت بانة مستنكرة "هل تريد أن تحبسني في البيت يا أحمد؟!!!"

Des. Maryam Tamim

رد أحمد باستفزاز " ياريت .. سيكون ذلك حلا رائعا "

"كفى"

قالها أبا فراس بحزم وأكمل " كفاكما شجارا وصياحا .. أنا اتصلت لأعلمكما أني قادما إلى البلد الأسبوع القادم ".

اتسعت عينا بانة ونظرت لأحمد ثم صفقت بيدها فرحة .. بينما تكلم أحمد يقول " ستنير البلد كلها بقدومك يا عماه "

رد أبا فراس " هذا نوركم يا بني .. (وتصنع الحزم وأكمل) لا تزعج ابنتي مدللة أبيها أنا أحذرك "

تمتم أحمد وهو ينظر لبانة متوعدا " أمرك "

فقال أبا فراس " وأنت يا مدللة أبيك .. اسمعي كلام زوجك ولا تتفلسفين كثيرا يا بنت عبد الله "

Des. Maryam Tamim

هتفت بانة بوجه أحمر من الحرج " أبي !!"

تمتم أبا فراس وهو ينهي المكالمة " حين آتي سنتكلم .. استودعكما الله .. سلام ".

بمجرد أن أغلقت الخط انفجر أحمد ضاحكا في هستيريا .. بتلك الضحكة التي تحطم أسوارها دائما وأبدا .. هذا بفرض أن بقي شيئا يخصها لم يخترقه ويسيطر عليه ابن سماحة ..

حدجته بامتعاض فقال من بين ضحكاته " وشهد شاهد من أهلها .. قال متفلسفة .. هذا يدل على أني لم أفتري عليك أبدا" .

تطلعت فيه بابتسامة مستخفة .. فقال متوعدا بعد أن هدأت ضحكاته " افعليها مجددا وسترين ماذا سأفعل بمن تتحدثين معه .. فإن كنت ترغبين

Des. Maryam Tamim

أن تريني والأصفاد في يدي أزج في السجن أمامك
دعي رجلا يسألك كم الساعة في الشارع "

ضربت كفا بكف وأشاحت بوجهها تتطلع من
النافذة .. لتسمعه بعد قليلا يحاول مشاكستها ..
لكنها لم تستجيب بدأ يغني بصوته النشاز "

جاري يا حمودة .. حمووودة ..

يا جاري .. جبار عليا يامّة
الناس ارقودة ارقودة

وانا نومي حرام عليا يامّة

تحكمت بانة في ابتسامة ملحة وقالت وهي تمسد
على بطنها " ما ذنب ابنتك المسكينة أن تسمع هذا
النشاز "

Des. Maryam Tamim

ابتسم ورد بكبرياء " أبدا .. زيتونة ابنتي تعشق صوت والدها .. (ونظر إليها يقول بلهجة عابثة) مثل أمها تماما "

تطلعت إليه تزم شفتيها حتى لا تضحك فأكمل أحمد وهو ينظر للطريق أمامه محاولا تذكر كلمات الأغنية بصعوبة .

حمودة يا جاري.. يا جاااري

(وغمز لها)

انت الي مشعلي ناري ياما

تمنيتك بداري .. بداري

مثل الشمعة ضوي عليا ياما

مثل الشمعة ضوي عليا ياما

[4929]

توقف قليلا يحرك مقلتيه ويهرش في رأسه .. ثم يضيق عينيها محاولا للتذكر .. فضحكت وأكملت له تغني ..

أول مرة رأيته .. رأيته ..

بداخل قلبي حطيته يامّة

داخل قلبي خبيته يامّة

هناني وهنيته هنيته ..

سميته العزيز ع قلبي يامّة

سميته العزيز ع قلبي يامة

جاري يا جاري يا حمودة

قهقه أحمد ضاحكا وقال " كان معكم الكونت حمودة وزوجته المتفلسفة بطلة المؤامرة الدولية

Des. Maryam Tamim

للسيطرة على ابن سماحة .. بمصاحبة زيتونتهم الصغيرة "

***

كان سيد مستلقيا على الأريكة في غرفة نومه يمسك بمتحكم الألعاب الإلكتروني يلعب لعبة إلكترونية على الشاشة أمامه .. بينما آية مستلقية على صدره في غفوة بعد أن عادت من برنامجها الإذاعي الصباحي..

بعد قليل حركت رأسها تحاول القيام فقال "معترضا إلى أين ؟؟"

ردت وهي تتحرك من فوقه " علي أن أجهز الغداء"

قال وهو يركز في اللعبة "نستطيع أن نطلب طعاما جاهزا "

تمطت وهي تستقيم وقالت "لا سأعد طبقا سريعا"

Des. Maryam Tamim

مسح بعينه على تفاصيلها في الشورت القصير الذي ترتديه ثم سألها " متى ستأتي رحمة من الجامعة؟"

ردت " آخر محاضرة الساعة الخامسة على ما اذكر "

تكلم سيد بسعادة " أعجبني تقربكما الفترة الماضية .. كنت أتمنى ذلك بشدة "

أهدته ابتسامة تقطر عسلا ثم سألته بلهجة حازمة " هل أخذت دواءك؟ "

ضيق عينيه يتذكر وهو يركز في الشاشة أمامه ثم قال "لا أذكر.. على ما أعتقد لا"

هتفت باستنكار" سيد ! "

قال يتحاشى انفعالها " حسنا سأفعل بعد هذه اللعبة"

تحركت نحوه بغيظ والتقطت نظارته الطبية الملقاة بإهمال بجوار الأريكة في الأرض وقامت

Des. Maryam Tamim

بتنظيف عدساتها ثم وقفت أمامه تضعها على وجهه .. فبدا الاندهاش علي ملامحه وتكلم ساخرا " هناك فارقا في الرؤية بالفعل هل تصدقين ذلك ! "

تكتفت أمامه وقالت بامتعاض " ترتديها في الشارع فتجذب إليك الفتيات أما لغرضها الحقيقي لا تفعل وترهق عينيك بالتحديق في الشاشة بدونها"

تأمل تفاصيلها وقال وهو يسحبها لتقف أمامه "لديك كل الحق .. لابد أن أستخدمها في غرضها الأساسي وهو الرؤية الواضحة لتفاصيلك ومنحنياتك سكورة "

توردت وردت بابتسامة " هل هذا لقب جديد؟"

رفع وجهه نحوها ورد بعينين غائمتين بعشق لها يتضاعف كل يوم " ومن غيرك يستحق أن يدلل كل يوم بلقب جديد يا روحي "

Des. Maryam Tamim

تحسست قسمات وجهه بحنان فقبل باطن كفها ثم قال بشقاوة " قلت متى ستعود رحمة ؟"

تمنعت بدلال تتمتم " أتركني لأعد الغداء "

رد عليها بلهجة مغوية " سأطلب لنا طعاماً جاهزا"

قالت آية بسرعة " لا لا أمي توبخني كلما علمت أننا طلبنا طعاما من الخارج .. حتى الأيام التي تستيقظ أنت وتوقظ أختك لتجلسا تتسامرا وتطلبا طعاما من الخارج أوبخ أنا على ذلك وتتهمني بالتقصير .. ولا تقتنع أن الطعام في الثلاجة لكنك قررت أن تتسامر أنت وأختك وتريدان طعاما جاهزا .. أحيانا أشعر أن إلهام أمك أنت وأنا زوجة ابنها .. صدقني "

انفجر سيد في الضحك فقالت بغيظ وهي " تحاول خنقه " تضحك يا سيد صبرة "

Des. Maryam Tamim

رن جرس الباب فضيق عينيه وقال" من سيأتينا الآن "

حركت كتفيها بلا أعرف .. فخرج من غرفته قاطعا الشقة بسرعة لإلحاح القادم برن الجرس بشكل متواصل مما جعله يفتح الباب منفعلا ليجد زهرة أمامه .. والتي دخلت في صمت تجر كيسا بلاستيكيا كبيرا خلفها .

فهتف بمفاجأة " زهرة ! "

رفع حاجباه في تعجب ثم قال بعد أن أغلق الباب "كيف أتيت يا زهرة؟"

ردت ببساطة" أتيت وحدي بالتوكتوك ودفع ذلك الأبيه صاحبك النقود للسائق لأنه لم يصدق أني أخت سيد صبرة .. ينتظرك بالمناسبة في الشارع"

سألها بعدم استيعاب " السائق؟ "

رد بعصبية " بل أبيه "

Des. Maryam Tamim

سألها يتحكم في غيظه " أي أبيه منهم يا زهرة؟!"

فردت "ذلك الأشقر"

عاد ليسألها وهو يتطلع للكيس البلاستيكي المنتفخ .. بينما خرجت آية من الغرفة حين علمت أن الضيف هو زهرة " كيف خرجت وحدك يا زهرة ألم أحذرك من هذا الأمر؟"

ردت وهي تعدل ملابسها " جئت وحدي لأنني لم أعد أتحمل أن أعيش في بيت خليل لدقيقة واحدة أخرى "

نظر لآية بتعجب ثم عاد يتطلع لزهرة قائلا" ماذا تقصدين وما هذا الكيس الذي تجرينه؟ "

ردت زهرة ببساطة " هذه بعض من أغراضي المهمة .. والبقية سأحضرها في وقت آخر .. (صمتت قليلا ثم أكملت بلهجة حازمة) وجئت لأعيش معك للأبد مثل رحمة .. أين غرفتي ؟ "

Des. Maryam Tamim

نظر لآية مندهشا .. ليرن هاتفه فرد عليه قائلا "سأنزل إليكم يا وائل حالا ".

ثم نظر لآية قائلا وهو يهم بالمغادرة " عليّ أن أنزل قليلا مع الشباب .. احتوي الموقف بالله عليك وسأفهم ماذا يحدث حين أعود ".

سألته" هل أخذت دواءك ؟"

هرش في رأسه .. فتحركت بسرعة الى الداخل ثم عادت بالدواء وكوبا من الماء .. فأخذه على عجل وقرص خدها وهو يهم بالمغادرة فسألته " سأعد الغداء هل ستتأخر؟"

رد بسرعة " لن أتأخر نحن فقط نريد أن نجتمع في الخن قليلا نحتفل أنا والشباب بنتيجة فحص وائل الخالية من المرض "

ثم خطف نظرة سريعة على زهرة المتكتفة تطالعهم ببرود وقال لها آمرا " لن أتأخر .. اذهبي

Des. Maryam Tamim

لغرفة رحمة .. وحين أعود سنتحدث في هذا الشأن
"

ثم أمسك بقبلة من فمه ووضعها على شفتي آية ولوح مودعا ..

بعد أن غادر استدارت آية تطالع زهرة وابتسمت لها ابتسامة صفراء قائلة" أهلا بضرتي"

***

في أسفل البناية ركن أحمد سيارته ليجد الشباب يقفون أمام المقهى فأشار لبانة بأن تصعد وسيلحق بها بعد قليل .. واقترب منهم يربت على ذراع وائل قائلا " الحمد لله على سلامتك ... أدام الله عليك الصحة والعافية يا اكسلانس"

ابتسم له وائل متأثرا فشاكسه سيد قائلا " أنظروا إليه .. إنه منذ أن قرر أن ينجب ماجد .. وسافر في

Des. Maryam Tamim

شهر عسل خارج البلاد وصحته ما شاء الله وازداد وسامة وشبابا "

مط وائل شفتيه وقال " اقرأ في وجهه المعوذتين يا شيخ عمرو"

ابتسم عمرو فسأله سيد " كيف حال عبد الرحمن الصغير ؟ .. يا الله هذا الولد حين أراه قلبي يرفرف من السعادة ما شاء الله "

ابتسم عمرو وقال" بخير الحمد لله .. صحيح لا يعطي لنا الفرصة لننام كباقي البشر لكن له ضحكة ساحرة تنسيك الدنيا ".

مط أحمد شفتيه وقال بقرف " إنه يشبهك بشكل مخيف لا ينقصه سوى اللحية " .

ضحك أربعتهم قبل أن ينتبهوا لدخول سيارة غريبة الشارع وتوقفت تحت المبنى القاطن فيه

Des. Maryam Tamim

سيد.. فتملكهم الفضول ليقول وائل" هل سكن شخصا جديدا في البناية؟"

حرك سيد كتفيه بلا أعرف وهو يتطلع لذلك الشخص الذي يترجل من السيارة .. بينما اتسعت عينا أحمد وكادت أن تخرج من محجريها.. فشعر عمرو بالقلق من ملامح أحمد وسأله " من هذا يا أحمد هل تعرفه ؟"

حرك وائل وسيد نظراتهما بين أحمد والرجل وقبل أن يتيقنوا من هويته صاح الرجل بتهليل "ما هذا النور .. ما هذا النور .. لولا أني جئت دون أن أخبر أحد لقلت أنكم في شرف استقبالي "

شهق وائل وقال " برقوق ؟؟؟!!"

Des. Maryam Tamim

نظر برقوق لأحمد وصاح مهللا وهو يقترب "قريبي .. كيف حالك؟ (ثم توقف فجأة وعاد لسيارته بسرعة يقول) هديتك أحملها بجانبي في السيارة"

أخرج برقوق علبة من الكرتون وهرول ناحيتهم ..

كان يرتدي ملابس لا بأس بها وقد أصبح مهندم الشكل أكثر من ذي قبل .. أما السيارة التي يقودها فكانت من فئة السيارات الغالية.. فوقف مبتسما وهو يراهم يتطلعون إليه بمفاجأة وقال "ما بكم ؟ لم تتوقعوا أني سأعود؟ (وابتسم ابتسامة متسلية وأكمل) لا .. لا لست أنا من ينسى أصدقائه أبدا"

مد يده لأحمد بالعلبة فلم يخرج أحمد يديه من جيبه بل قال "ما هذا؟"

قال برقوق " هذه هدية مني لك" .

حين لم يمد أحمد يده .. فتح برقوق العلبة أمامه والتي احتوت على حذاء رياضي وقال " هذا حذاء

Des. Maryam Tamim

لأشكرك على الحذاء الذي اشتريته لي يوما.. اقبله أرجوك إنه غالي الثمن.. من ماركة عالمية "

سحب أحمد يده من جيبه أخيرا وأمسك بالعلبة وهو يتمتم" أعرف أنه من ماركة عالمية .. عموما أشكرك "

نظر برقوق للشباب وقال بمرح " أما باقي الشاب فهداياهم في الحقائب سأعطيها لهم فيما بعد"

تكلم سيد قائلا " كيف حالك يا برقوق ؟"

اتسعت ابتسامة برقوق ورد" بخير الحمد لله ..أيها السيد المخيف (وأضاف بلهجة متسلية) أم أقول يا جاري العزيز؟؟"

ضيق وائل عينيه وقال " جاره!!.. لا أفهم .. ماذا تقصد وما الذي أتى بك اليوم"

رد برقوق بابتسامة سمجة " جئت لأني اشتقت لأهل الحي ولكم .. ولم أعد أطيق مدينتي ولم أطيق

Des. Maryam Tamim

الوحدة .. لذا قررت العودة إلى الحي وسأحول بعض من تجارتي إلى العاصمة .. ما رأيكم في هذه المفاجأة ؟"

سأله أحمد ساخرا " وهل ستعيش في الغرفة القديمة (وتطلع إليه من رأسه حتى أخمص قدميه وخاصة ذلك الحذاء الثمين الذي يرتديه في قدميه وأكمل) أعتقد أنها لم تعد مناسبة "

وقف برقوق بوقفة مسترخية كعادته ورد بابتسامة عريضة " لا لن أعود لغرفتي القديمة (وتطلع في أربعتهم بتسلي وأكمل وهو ينظر لسيد) أنا سأعيش في الشقة المجاورة للسيد المخيف "

سأله عمرو رافعا حاجبيه" هل اشتريت شقة بجوار شقة سيد يا عم برقوق ؟؟!!"

أومأ برقوق رأسه ورد بابتسامة " أجل اشتريتها واشتريت المبنى كله "

Des. Maryam Tamim

اتسعت عينا سيد بينما قال وائل يكتم ضحكته "هل أصبحت صاحب المبنى الذي يقطن فيه سيد!!!!"

أومأ برقوق برأسه بابتسامة سمجة سعيدة .. فتبادل أحمد وسيد النظرات المتفاجئة ليطحن الأخير ضروسه في غيظ بينما كتم كلا من وائل وعمرو ضحكاتهم وهما يتهامسان بتهكم على سيد " صحيح هو يملك شقته وليس مستأجرا لكن تخيل أن يصبح برقوق مالكا لباقي المبنى بكل شققه الأخرى .. أنظر لوجه سيد سينجلط "

وضع سيد يده على كتف أحمد بخشونة كاتما غيظه وقال من بين اسنانه " الحل كان في قتل ابن سماحة والتخلص منه منذ البداية ".

فانفجر الثلاثة عمرو ووائل وأحمد في هستيريا من ضحك

[4944]

***

بعد أيام :

ركن أحمد سيارته بعصبية في أحد الشوارع الرئيسية القريبة من الحي وخرج وهو يشتم ويسب.. ليستدير حول السيارة وينظر للإطار الذي تمزق .. حاول الاتصال بالميكانيكي عدة مرات لكنه لم يرد .. فجز على أسنانه ونظر في ساعته ثم تمتم " عمرو بالتأكيد في مكتبه الآن"

اتصل بسيد الذي أخبره أنه كان يعيد آية من الإذاعة وأنهما قادمان في الطريق وطلب منه أن يترك السيارة وسيرسل لها ميكانيكا لتغيير الإطار .. لكن أحمد رفض بشدة أن يترك سيارته في الشارع الرئيسي خوفا عليها ..

Des. Maryam Tamim

أغلق الهاتف ثم زفر في غيظ ليخلع سترته ويطبقها بعناية ويضعها في داخل السيارة .. ثم شمر ساعديه يحضر الإطار الإضافي من حقيبة السيارة لكنه اصطدم بما كان يخشاه .. وهو ثني ركبته بشكل طبيعي لوضع رافعة الإطار .. فحاول تغيير زاوية ساقيه تارة والتبديل بين الساقين تارة أخرى فلم يقدر .. فضرب على مقدمة السيارة بغيظ وحاول مرة أخرى .

تحرك شاب كان يقف مستندا على حائط قريب يدخن سيجارته واقترب من أحمد الذي يعيد المحاولة قائلا " هل تحتاج المساعدة يا أخي ؟"

جز أحمد على أسنانه وقال دون أن يرفع رأسه لمحدثه " ابتعد .. دعني وشأني وابتعد بالله عليك"

Des. Maryam Tamim

مط الشاب شفتيه بامتعاض وتمتم " كنت أعرض عليك المساعدة لا أكثر "

وانسحب وهو يقول لنفسه " من هذا المتعجرف!"

برطم أحمد بغيظ لكنه استدار ينظر للشاب بفضول بعد أن أدرك أن الشاب تحدث إليه بلهجة بلد بانة .. ليجد أمامه شابا يقف بجوار صيدلية يثني ركبته ويثبت قدمه للخلف على الحائط ..

استقام أحمد باندهاش واقترب قليلا يحدق في الشاب الذي يتأمل الناس والمارة بشرود .. فضيق أحمد عينيه قليلا يحاول استيعاب ما يراه متيقنا بأنه بالتأكيد يهلوس ..

Des. Maryam Tamim

استدار حوله ينظر للمارة ثم عاد لينظر للشاب الوسيم أمامه بشعر أسود قصير وناعم ولحيه خفيفة ..متسائلا .. هل من الممكن أن يكون ما يراه صحيحاً؟؟ .. فبالتأكيد لم يراه من قبل في الواقع لكن .. لكنه رأى صورته وحفظ ملامحه عن ظهر قلب .. وهو الذي ظل يقارن بين ملامحه وملامح أخرى وقتا طويلا فيما مضى .. تلك الجبهة وذلك الأنف الذكوري الذي يختلف بكليته عن أنفها .. صحيح أن الفارق الزمني للصورة التي يحفظها في مخيلته والشاب الواقف أمامه يبدو كبيرا فالصورة كانت لشاب في أوائل العشرينات من عمره حين التقطت والتي ساعدت بانة على التخفي لقدم عمر الصورة الموجودة في جواز السفر ..

يا إلهي هل ما يفكر فيه صحيحا ؟؟!!..

كيف؟ ومتى؟ ولماذا؟ ..

[4948]

من الجائز أن يكون شخصا يشبه .. خاصة مع هذا التغير في العمر والهيئة الذي يختلف بين الصورة والشخص الماثل أمامه ..

تردد قليلا يحاول الابتعاد .. ينفض عنه جنونه .. لكنه لم يستطع .. قد يكون الشكل الحالي مختلف عن الصورة بالفعل .. أكبر وأنضج وأكثر ذكورة ..

لكنه الشعور .. أجل الشعور بأنه يشبهها .. نفس الروح .. نفس الدماء ..

ليس جديدا أن ترى شخصا وأخته أو أخيه والمختلف عنه كليا لكنك تشعر بتشابه خفي يخبرك بأنهما من نفس العائلة ويحملان نفس الدماء..

Des. Maryam Tamim

هل الشكل صدفة ؟ .. واللهجة صدفة أيضا ؟!! ..

لم يدري أحمد أنه أقترب منه .. اقترب كثيرا يحدق فيه بذهول .. فنظر إليه الشاب وتحدث ساخرا " هل قررت أن تتواضع وتطلب المساعدة .. عموما أنسى الأمر .. أنا أعرض خدماتي لمرة واحدة "

جحظت عينا أحمد وازدادت ضربات قلبه حين تحدث الشاب إليه وجها لوجه بتلك اللهجة .. ولاحظ الجرح القطعي في خده الأيسر بطول الخد.. فهجم عليه بانفعال مفاجئ قائلا " من أنت؟ .. ما أسمك ؟؟ أنطق ".

انتفض الشاب مرتعبا .. وعاجل أحمد بقبضة في وجهه لم يكن يتوقعها فارتد للخلف متفاجئا ليجد الشاب قد وقف وقفة استعداد للقتال وقد تحولت

ملامحه الوسيمة لنظرات شرسة نارية مليئة بالغضب .

حاول أحمد استدراك الموقف وهو يدلك موضع قبضة الشاب على وجهه وقال رافعا يديه أمامه ليطمئنه "اهدأ .. أنا لا أهاجمك أنا فقط أريد أن أعرف اسمك "

نظر إليه الشاب بشراسة وتكلم بلهجته" هذا ليس من شأنك .. من أنت لتسألني من أنا "

فجأة تدخل جسد ضخم يقطع المشهد وهو يصيح بصوت جهوري" ماذا فعل لك؟ .. أتركه لي"

تحفز الشاب للقتال ورد على سيد بشراسة " أهلا بك فلتنضم إليه "

زمجر سيد يهم بالانقضاض عليه.. فأسرع أحمد يقف بينهما قائلا " انتظر يا سيد نحن لسنا في

Des. Maryam Tamim

شجار.. أنا فقط أريد أن أعرف اسمه وأرى هويته "

قال له سيد بخفوت" لماذا"

قال أحمد " أنظر لوجهه جيدا ألا يذكرك بأحد؟ "

نظر سيد قليلا للشاب الذي مازال متحفزا ثم قال وقد لاحت عليه علامات الغباء "لا أعرف ..من هذا؟"

استدار أحمد يقول للشاب بهدوء" أرجوك أخبرني باسمك"

صاح الشاب بغضب" قلت هذا ليس من شأنك؟

سأله أحمد "هل اسمك رامز الخازن "

اتسعت عينا الشاب فأضاف أحمد " رامز عبد الله الخازن "

Des. Maryam Tamim

حدق فيهم الشاب بعينين جاحظتين بينما هتف سيد باستنكار " من تقول ؟؟؟ كيف ومتى ؟؟؟"

صوت آتى من الخلف يقول بمفاجأة " أحمد !!"

استدار أحمد بملامح لازالت مصعوقة ليجد أمامه أبا فراس فصاح بدهشة " عماه ! أليس من المفترض أن تصل بعد غد ؟!!"

تكلم أبو فراس بابتسامة وهو يسلم عليه بينما أحمد مازال مذهولا من المفاجأة " الحقيقة أننا قدمنا موعد السفر لعدم تأكدنا من استطاعة رامز دخول البلد .. وفضلنا أن نحضر مفاجأة لبانة الحقيقة رامز هو صاحب اقتراح المفاجأة "

Des. Maryam Tamim

استدار أحمد إلى رامز وقد تأكد أن شكه كان صحيحا بينما كانت ملامح رامز قد هدأت وهو يتطلع متفاجئا مما حدث .

استدرك أبو فراس يقول لأحمد " هذا ولدي رامز .. وهذا يا رامز أحمد سماحة زوج بانة"

تقدم أحمد منه يمد يده بالسلام وهو يتأمله ولم يتحرر من الذهول بعد.. فسلم عليه رامز وغمغم وهو يشير لوجه أحمد" أنا أسف .. أنا لم أقصد ظننتك تهاجمني "

تكلم أبو فراس وهو يسلم على سيد بحرارة " وهذا سيد صبرة زوج أخت أحمد "

استدار إليه رامز مرحبا فمد له سيد يده بالسلام ثم انفجر ضاحكا غير قادر على الصمود أكثر من ذلك .. فرفع رامز حاجبا متعجبا ليقول سيد من بين

Des. Maryam Tamim

ضحكاته معتذرا " أنا آسف .. آسف جدا .. لكني تذكرت أول مرة أختك قابلتنا أنا وأحمد .. وتخيلت .. "

وانفجر في موجة ضحك أخرى فضربه أحمد في كتفه بغيظ وقد قرأ أفكاره بينما ابتسم أبو فراس وسأل " ماذا تخيلت يا سيد؟"

دمعت عينا سيد من الضحك فرفع النظارة يمسحها ثم رد " تذكرت بانة وهي بهيئة الذكر والمفروض أنها رامز .. فمثلا فارق الطول والملامح مضحكان .. كما تخيلت أحمد وهو يكن مشاعر لرامز ابنك الذي يقف أمامي الآن بلحية سوداء "

قهقه أبو فراس وابتسم رامز بينما لف أحمد ذراعه حول عنق سيد بقوة يحاول خنقه بغيظ وهو يتمتم" ما هذا الظرف يا فتى .. تزداد ظرفا مع الأيام "

Des. Maryam Tamim

صوت بوق سيارة سيد خلفهم نبه سيد فقال وهو يحاول الفكاك من ذراع أحمد " أختك .. أختك محبوسة في السيارة سأفتح لها قبل أن تكسر زجاج النافذة وتخرج منه "

تركه أحمد ينظر في سيارة سيد وقال مستنكرا "هل تحبس أختي في السيارة !!"

رد سيد وهو يبتعد ويضغط على المفتاح الاتوماتكي للسيارة " حبستها حين علمت أن هناك مشكلة أو عراكا وشيكا خوفا من جنونها بأن تتدخل "

التفت أحمد ينظر لأبي فراس ورامز يحاول الاستيعاب وسأل " ماذا كنتما تفعلان هنا؟ "

رد أبو فراس" كنت أشتري بعض الأدوية من الصيدلية فقد فقدت حقيبة أدويتي في مكان ما لا أذكره .."

تطلع حولهما وسأل "أين حقائبكم إذن ؟"

Des. Maryam Tamim

أشار أبو فراس لسيارة تقف بعيدا سائقها نائما على كرسيه وقال " غنيم أرسل لنا السائق "

فتكلم أحمد بلهجة عاتبة" ولم لم تخبرنا يا عماه "

رد أبو فراس " رامز أراد مفاجأتها كما قلت حتى أنه رفض أن نخبرها أنه خرج من السجن حتى لا تتوتر انتظارا لرؤيته .. خاصة أننا لم نكن أكيدون من استطاعتنا إدخاله بلدكم .. فقد رفضت أوراقه أكثر من مرة حتى استطاع غنيم الحصول على مساعدة من شخصية هامة هنا وفي بلدنا للسماح له بالدخول .. وصدقني حتى باب إدارة الجوازات كنا نشك في إعادته "

تطلع أحمد في رامز الصامت بشكل غريب وقال وهو يرفع الهاتف على أذنه "ومع هذا لابد أن نمهد الأمر لبانة لأنني أخشى عليها من وقع المفاجأة "

وتطلع لرامز مجددا وتمتم لنفسه " مازلت لا أصدق " .

[4957]

بعد قليل كان أحمد يدخل بوابة البيت أولا ليلحق ببانة التي تجلس على درجات السلم داخل البوابة تنتظر أبيها في حالة بكاء .. وإلهام تجلس بجوارها بينما آية التي وصلت قبل دقائق تقف بجانبها تمنعها من الخروج للشارع ممسكة بيدها في شفقة ورافضة الرد على تساؤل بانة المتوسل لها : هل الشخص الذي أخبرها أحمد على الهاتف حين فاجأها بوصول والدها وقال أن معه ضيفا هو أحد أخويها ؟

طالعها بقلب مرتعب من حالتها المنهارة ودعا الله أن يكون وقع المفاجأة عليها خفيفا ..فاستقبلته بانة تقول وهي تمسك بطنها وتسرع إليه قائلة " أحمد أرجوك أخبرني يا أحمد ".

دخل أبو فراس وراء أحمد .. فألقت بانة نفسها بين ذراعيه ثم رفعت إليه وجهها تقول أخبرني يا أبي بالله عليك .. كلكم ترفضون إخباري" .

Des. Maryam Tamim

رد والدها بتأثر" إهدئي يا بانة وسنخبرك .. الأمر أننا نريدك أن تهدئي أولا "

مسحت دموعها تقول" أنا هادئة أخبرني من أتى معك ؟"

لاح من البوابة وجهه مائلا يقول بابتسامة واسعة مليحة أظهرت وسامته وأدهشت أحمد .. فقد غيرت تلك الابتسامة ملامحه الواجمة الحزينة تماما لشخص أصغر سنا وأكثر مرحا " يمامتي البيضاء التي طارت من بلدنا لبلد آخر (ونظر لبطنها ثم قال مازحا) وتحولت ليمامة منتفخة "

صوته .. ووجهه .. وابتسامته الحنون ..

لم تصدق ..

لم تصدق بانة .. أي حلم جميل هذا الذي تعيشه .. فغطت وجهها بكفيها لتهدئ من وقع المفاجأة

Des. Maryam Tamim

شاعرة بتقلصات طفلتها في بطنها وبالهبوط الحاد في دورتها الدموية .. دعمها والدها وهي تقف بينما اقترب منها رامز يحاول إبعاد كفيها عن وجهها قائلا بمشاكسة " ماذا؟.. هل الجرح في وجهي مخيفا لهذه الدرجة "

أنزلت يديها تتطلع في وجهه بعينين متسعتين ثم مدت يدها تتحسس ملامحه لتتأكد من وجوده ومررت يدها على آثر ذلك الجرح الذي يشوه وسامته وتمتمت بخفوت " رامز .. أخي رامز .. هل أنت هنا بالفعل ؟"

ألقت بنفسها في أحضانه فأحاطها بذراعيه يضمها مقاوما رغبة قوية في البكاء .. ثم شدد ذراعيه حولها وقد دمعت عيناه .. يتمتم بخفوت " بوني "

شعر أحمد بالغيرة الشديدة وتمتم في سره بامتعاض " بوني .. ما هذا الاسم السخيف !!"

Des. Maryam Tamim

لم يستطع التحمل وتقدم منهما يفرق بينهما قائلا " هل سنقضي بقية اليوم في الشارع .. تفضل يا عماه "

تطلعت بانة في أخيها دامعة العينان ومصدومة بينما سبقتهم إلهام صاعدة لتستقبل الضيوف ..متمتمة بعبارات الترحيب ..

أما آية فتركتهم وخرجت من البوابة لسيد الذي رافقها متجهان لشقتهما .

قال أحمد لرامز وهو يسحبها نحوه "تفضل أمامنا"

نظر إليه رامز بتحدي وإلى يده التي تقبض على رسغ أخته بتملك واستشعر غيرته التي سبق وأن حدثه عنها أبيه .. ففرد ذراعه على كتف أخته يغيظه وقال" تفضل أنت أولا يا .. صهري لتفسح لنا الطريق.."

Des. Maryam Tamim

عض أحمد على نواجذه ثم قال وهو يبعد ذراع رامز عن كتفي زوجته بهدوء ظاهري " الطريق لا يحتاج لدليل يا ..صهري فتفضل أمامنا لا يصح فأنت الضيف ".

تدخل أبو فراس يخترقهما ويحيط ذراعه بخصر ابنته التي تتطلع بذهول لما يدور بين زوجها وأخيها.. وسار معها نحو السلم يصعدان وهو يتمتم " تعالي يا حبة قلب أبيك واتركيهما يتعاركان كالديوك في حوش البيت "

صعدت بانة مع أبيها وهي تنظر للخلف محدقة في أحمد ورامز اللذان وقفا في مواجهة بعضهما يقبضان قبضتيهما بجانبيهما .. يبدوان في نفس الطول تقريبا .

تكلم أحمد بتحدي بارد يقول " تشرفنا يا صهري"

رد رامز ببرود متلذذا بتلك الغيرة التي تموج في عينيه" الشرف كله لنا يا صهري العزيز "

Des. Maryam Tamim

***

بعد أسابيع :

جلست بانة في شقة الدور الأول في بيت سماحة التي تم إعدادها لاستضافة أبا فراس منذ مدة .. وقد اتخذها أبا فراس وولده مقرا لهما في الفترة التي سيقضونها في البلاد ..

فقالت بانة لرامز الجالس بجانبها على الأريكة مطأطئ الرأس في شرود " عليك أن تتغلب على تلك الأزمة سريعا يا رامز وتعود لرامز الحقيقي المرح الضاحك المشاكس "

حين لم يرد أكملت متعاطفة " أنا أعلم أنك عانيت .. وأنك رأيت أسوأ مما تبوح به .. وأنك لا تريد أن تعذبنا أنا أو أبي بما رأيت أو سمعت أو شاهدت .. وأتألم من أجلك أشد الألم "

Des. Maryam Tamim

رفع رامز وجهه إليها وأبتسم ابتسامة مرة قائلا وهو يسحب يدها إليه " دعي الوقت يطبب الجروح يا بوني (وقبّل يدها وأكمل) أنا أراك سعيدة مع هذا الغراب الذي تزوجتيه .. وهذا وحده كفيل بإسعادي "

تكلمت بانة بحنق طفولي " لا تلقب الكونت بغراب"

أطلق ضحكة متسلية لم تسمعها منه منذ أن وصل ورد متهكماً " هاهاها كونت ! "

سألته بانة" ألم تحبه .. ألا تستسيغ أحمد؟ "

رد بهدوء " أنا أثق في حكم أبي على الناس وهو يحبه ويثق به ولولا ذلك لما وافق أن تفارقيه أبدا"

سألته بإصرار "وأنت ؟"

رد بنفس الهدوء " أنا حاليا في فترة عدم توازن وغير قادر على تكوين رأي في أي موضوع .. كل ما

Des. Maryam Tamim

أستشعره أنه وعائلته محترمون .. وأنني استمتع جدا بإثارة غيرته .. ماذا فعلتِ بالرجل يا بنت الخازن إنه متيما بك "

احمر وجهها وردت بخفوت " بل هو من فعل بي"

صفق رامز مستمتعا وقال " يا الله ! بانة التي تشدقت من قبل أنها لن تتزوج أبدا تقول هذا الكلام !! "

تمتمت بانة بحزن " وعودا كثيرة أجبرتنا الحرب على إخلافها "

ضربته العبارة في مقتل .. وهو أكثر من يعلم ماذا تعنيه لكنه آثر تبديد الأجواء الحزينة فقال بمكر " هل هذا يعني أنه لو لم تقم الحرب لما اضطررت للزواج من هذا الكونت .. أي أنك مجبرة عليه "

ردت بانة بجزع " لا لم أقصد ذلك أبدا(ثم توردت وأكملت) نحن مقدران لبعضنا حتى لو لم تقم

Des. Maryam Tamim

الحرب كنت سأقابله وسأحبه وسأتزوجه وسأنجب أولاده "

قهقه رامز ضاحكا وقال " أصبحت تكتبين شعرا في هذا الغراب الذي يغار عليك مني "

ضيقت بانة عيناها وقالت " أنت تتعمد إثارة غيرته إذن !"

رد رامز يغمز بعينه " طبعا .. (وأخذ يقلد صوته) بانة .."

"بانة " قالها أحمد الذي دخل من باب الشقة المفتوح وقد لفت انتباهه صوتها فدخل ينادي عليها ..

قهقه رامز قائلا " ها قد آتى عند ذكر اسمه "

ألقى أحمد السلام ثم قال " هل كنتما تتحدثان عني؟"

Des. Maryam Tamim

قالت بانة بسرعة " لا شيء .. لماذا عدت مبكرا اليوم ؟"

رفع حاجبا ورد " هل كنت تفضلين ألا أعود الآن؟!!"

قالت ضاحكة " لا لم أقصد .. قصدت هل أنت بخير؟"

مط شفتيه ثم قال بسرعة " ركبتي تؤلمني (واستدار يعرج بقوة وأكمل) سأذهب لأستريح "

رفع رامز حاجبه بينما هبت بانة إليه تقول بقلق "ماذا حدث لركبتك؟"

قال متألما" لا أعرف يا بانة لا أعرف "

أمسكت بانة بذراعه تسنده وهو يعرج وقالت بسرعة لرامز " سأناديك حين أعد الغداء يا أخي"

Des. Maryam Tamim

استند أحمد عليها بينما أغلقت بانة الباب خلفها ليضحك رامز متمتما بخفوت " الحب أذهب عقل أختي وقد صدقته البلهاء "

واستلقى على الأريكة يدخن سيجارة وينفث الدخان أمامه غارقا في أفكاره .

في شقة أحمد في الدور الثالث .. ساعدته بانة ليجلس على الأريكة قائلة" سأحضر لك المرهم وأدلكها لك وسأ .."

قاطعها أحمد حين استقام يطبق على شفتيها بقبلة فاجأتها لكنها سرعان ما استجابت لها فلفت ذراعيها حول جذعه ..

بعد قليل أطلق سراح شفتيها فقالت بأنفاس لاهثة "ماذا تفعل ؟"

[4968]

رد وهو يجلس على الأريكة ويشدها لتجلس على حجره " أقول لزوجتي أني أحبها "

ضيقت عينيها وقالت " كنت تدعي المرض !!"

قهقه وقال " كانت تؤلمني بالفعل لكن ليس بصورة كبيرة "

تكلمت بغير تصديق " صدقا .. لا أصدق ما تفعل يا أحمد .. أنت تتصرف كولد صغير !! "

أطرق رأسه قليلا ببؤس .. ثم رفعها يقول" أعرف أني أبالغ في بعض تصرفاتي .. لكني أغار عليك بشدة يا بانة .. ولست قادرا على التحكم في هذا الأمر "

قالت وهي تحيط وجهه بيديها تتطلع في عينيه "أنا لدي رامز.. مثل أروى لديها أحمد"

رد ببؤس " أعرف .. كل هذا أعرفه لكني غير قادر على التحكم في الأمر صدقيني ... وبالرغم من ذلك

Des. Maryam Tamim

أنا لا أقصد .. أن أقول لك هذا لأبعدك عن أخيك .. لكني فقط أوضح لك بعض من أفعالي المزعجة"

ضحكت وقالت أمام وجهه " إذن تعترف أنك شخصا مزعجا بالفعل "

أومأ برأسه بتعبير طفولي كالصبي الصغير..
فضحكت من جديد وهي تأخذ رأسه في حضنها قائلة " ترى ماذا ستفعل بابنتي المسكينة؟!!"

رفع رأسه يقول بحدة " ابنتي .. حبيبتي .. فلذة كبد أبيها لن ... "

أطبقت على شفتيه بسرعة قبل أن يكمل تهديده ووعيده .. فأمسك بمؤخرة رقبتها يثبت رأسها لا يترك لها مجالا للتراجع .. يبوح لها بالكثير والكثير مما تعلمه ولن تمل أبدا منه حتى لو تكرر ملايين المرات .

Des. Maryam Tamim

***

بعد شهر :

" احماااااااااااااااااااااااااااااد .. إفعل شيئا أنا غير قادرة على التحمل سأمووووت ".

قالتها بانة وهي تطلق صراخها في غرفتها بالمستشفى .. فهدر أحمد بقوة في الممرضة الخمسينية التي تتحرك ببطء وبرود في الغرفة تعد بعض الأمور " أين ذهبت الطبيبة .. فحصتها واختفت؟ "

ردت الممرضة ببرود " ستأتي لتفقدها بعد قليل "

هتف أحمد باستنكار "تتفقدها !! ألا ترين أن زوجتي تلد "

مطت الممرضة شفتيها مرة أخرى .. ثم سحبت نفسا عميقا توصي نفسها بالصبر فهذان الزوجان

Des. Maryam Tamim

اللذان سيفقآن مرارتها منذ أن حضورهما .. هو مستعد أن يقتل الطبيبة لأن زوجته تتألم .. وهي تنازع في الوجع وكأن لا أحد غيرها قد ولد ولادة طبيعية من قبل .. ردت بدبلوماسية " يا أستاذ هي في مرحلة المخاض لكن لم تحن ولادتها بعد .. حين تحين اللحظة ستلد لا تقلق"

تحرك أحمد نحوها ومال يصرخ في وجه المرأة بجنون " إذن لا تتركوها هكذا إنها تتألم امنحوها أي مخدر حتى يحين موعد الولادة الذي تتكلمون عنه "

ردت الممرضة باستنكار " بالطبع تتألم مثلها مثل كل النساء اللاتي يلدن يا استاذ !!"

فرك أحمد شعره بقوة .. واستدار لبانة التي تمسك في الملاءة والتي صرخت مجددا .. فصرخ أحمد بدوره في الممرضة التي تجاهلته وذهبت لتتفقد بانة من جديد ..

[4972]

بعد قليل ضغطت الممرضة على زر استدعاء الطبيبة بينما دخلت إلهام تقول لأحمد بتوبيخ "أخرج يا أحمد من هنا أخرج وانتظر مع الجميع في الخارج أنا سأكون بجانبها فأنت توترها أكثر"

ردت الممرضة " ويوترني أنا أيضا أقسم بالله "

قال أحمد بإصرار " لن أتركها "

صرخت بانة برعب " لا تتركني يا أحمد أنا أمووووت .. أقسم بالله أمووت "

مصمصت الممرضة شفتيها بينما قالت إلهام مشفقة " هانت يا بانة هانت يا حبيبتي"

حضرت الطبيبة وقالت" انتظرونا بالخارج من فضلكم "

تحركت إلهام بينما صرخت بانة " لا يا أحمد لا لا تتركني "

Des. Maryam Tamim

فقالت الممرضة " أخرج يا أستاذ نحن لسنا في فيلم أجنبي هنا "

بدأت بانة في البكاء.. وهتفت وهي تتوجع " لا تتركني يا أحمد أرجوك "

اندفع نحوها قائلا " بالطبع لن أتحرك من هنا ولن أتركك يا بانة لا تخافي "

همت الممرضة بالاعتراض فأشارت لها الطبيبة أن تتركه ..

مطت الممرضة شفتيها بامتعاض وتمتمت "ولدت ست مرات من قبل لم أسمع عبارة واحدة تطيب خاطري والله .. وليس مرافقتي أثناء الولادة ! "

تكلمت الطبيبة بصرامة " توقفي عن البرطمة يا أم صبري وتعالي (ثم تحدثت إلى بانة ترشدها) هيا يا بانة هيا ادفعي بقوة "

Des. Maryam Tamim

كانت بانة تشعر بأن كل جزء في كيانها تتفجر فيه القنابل الحارقة ..

الوجع لا يطاق .. لا يطاق لدرجة أن البكاء يعدو رفاهية في تلك اللحظات ..

هل هناك ألما أصعب من هذا؟؟ ..

وهل بعد ذلك الألم ألما آخر يشبهه؟؟ ..

لحظة فارقة في حياة معظم الإناث تعيشها الآن وكأن روحها تنتزع منها .. وحين يمتزج الخوف بالألم .. فالعذاب يكون مضاعفا ..

صرخت بانة وهي تمسك في أحمد الجالس بجوارها والعرق يتصبب منها " يااااارب ... يااااارب ألطف بي يارب ".

Des. Maryam Tamim



شعر أحمد بالعذاب .. بألم يستشري في كل جسده .. وضربات قلبه السريعة التي تغسله بالعرق .

قال مشجعا وهو يمسك يدها بقوة" هيا يا بانة ادفعي أكثر "

حاولت بانة الدفع فقالت الطبيبة " ادفعي أكثر يا بانة .. دفعة واحدة قوية .. ابنتك اقترب وصولها "حاولت الدفع لأسفل مرة أخرى .. فلم تقدر فصاح أحمد بعصبية " ادفعي أكثر يا بانة .. مرة واحدة أخرى وننتهي من هذا العذاب "

أمسكت بانة فجأة بملابسه تصيح بعصبية "لا تصرخ في وجهي !!!!!!"

صاح أحمد باستنكار " وهل صرخت في وجهك؟؟؟؟؟"

Des. Maryam Tamim

شدته من قميصه تصرخ " أنت السبب يا ابن سماحة فيما أنا فيه الآن فلا تصرخ في وجهي .. لولا قلة ..."

انخرست حين وضع أحمد يده على فمها يخرسها مصعوقا ثم قال من بين أسنانه بخفوت " ماذا ستقولين يا مجنونة ؟؟؟"

نظر أحمد الى الممرضة والطبيبة ليتأكد أنهما لم يفهما ما كانت ستقوله .. فقالت الطبيبة بنفاذ صبر "ادفعي يا بانة بسرعة "

صرخ أحمد بعنف حين عضت بانة يده التي يغلق بها فمها .. وهي تدفع دفعة أخيرة قوية وتصرخ صرخة مكتومة ..

Des. Maryam Tamim

تلا صرختهما ..

صرخة صغيرة رفيعة ورقيقة كلحن موسيقي ..
تصرخ بحرقة معلنة للعالم عن قدومها ..

جحظت عيناهما وتصببا بالمزيد من العرق وهما يحدقان في كتلة اللحم التي تعدلها الطبيبة لتضعها في قطعة قماش بيضاء على يدي الممرضة تلفها .. وتحركت نحوهما تمشي ببطء .. فراقباها تقترب وهما ينهتان كأنهما كانا يلدان معا .. حتى وصلت إلى أحمد ووضعت الطفلة المغطاة بالدماء على قطعة القماش بين يديه.. فتلقاها بحركة لا إرادية وظل منكمشا للخلف في رعب يتطلع فيها وقد توقف قلبه .. وتوقف الزمن .. وتوقف العالم من حوله .. وهو يحدق في هذه القطعة من اللحم الأحمر تحرك يديها وقدميها مغمضة العينين .. فنظرت بانة للصغيرة بين يدي أحمد والذهول المرتسم

Des. Maryam Tamim

على وجهه وهتفت وهي تنظم انفاسها وتلعق شفتيها" ابنتنا يا أحمد"

رفع أحمد المنكمش وجهه لبانة فاغر الفاه "فهمست مرة أخرى ابنتنا يا أحمد "

فأومأ برأسه موافقا بذهول وقد دمعت عيناه .. ليعود ليتطلع إلى طفلته مجددا .. فاقتربت الممرضة مرة أخرى تقول بامتعاض " انتهى زمن المشاهدة "

وسحبت الصغيرة من يد أحمد الذي أبدى همهمة اعتراض فقالت " سنحممها ونلبسها ملابسها ونحضرها لكما لتكملا المشهد" .

أخذتها وابتعدت بينما جز أحمد على أسنانه يرغب في ضرب تلك الممرضة السمجة فهمست بانة بإعياء " أتركها إنها امرأة مشاكسة لا أكثر"

Des. Maryam Tamim

قالت الطبيبة وهي تنتهي من بانة التي استرخت تمسك بذراع أحمد " مبارك لكما ابنتكما جميلة ما شاء الله "

تطلع أحمد في بانة التي تنظر إليه بإعياء تام وأخذ يجفف عرقها قائلا بهمس خرج من حلقه الجاف بصعوبة " أنتهى الأمر يا قلب أحمد .. استريحي الآن .. أنا فخور بك يا حبيبتي .. فخور بك يا بانة "

همهمت بانة " لا تتركهم يأخذون ابنتنا يا أحمد"

سألته الطبيبة " ماذا ستسميان ابنتكما ؟"

تطلعا لبعضهما وابتسما للاسم الذي اتفقا عليه مسبقا ونطقا معا " شمس "

تمتمت الطبيبة مغادرة " مبارك عليكما شمسكما "

Des. Maryam Tamim

لينظر أحمد لبانة قائلا وهو يربت على خدها " شمس أحمد سماحة .. التي أشرقت على حياته حين جاءت أمها إلى بلده "

تمتمت بانة وقد بدأ النوم يغلبها " أخرج إليهم لتبشرهم بقدوم شمسنا بنت سماحة .. الحمد لله والشكر لله "

ردد وراءها بعينين دامعتين " الحمد لله والشكر لله"

***

أدخلها مغمضة العينان إلى شقة والدته ... فازدادت ضربات قلبها في ترقب متسائلة هل يقيم لها الفتيات حفلا لعيد ميلادها؟.. فتحركاتهما الغربية اليوم تخبرها أنهما تدبران شيئا مع أبيهما .. خاصة مع الهمسات والوشوشات والضحكات

Des. Maryam Tamim

المكتومة التي استشعرتها من خلف ظهرها اليوم .. كما أن ابنتيها لم ينسيا من قبل عيد ميلادها .. فتعودت أن تستيقظ يوم ميلادها لتجد هدايا جميلة بجوار الوسادة ورسائل حب وقلوبا ملونة وكلمات مؤثرة تحتفظ حتى الآن بكل قصاصة منها.. فكانتا تقيمان لها حفلا بسيطا مميزا بمشاعرهما .. ليكتمل اليوم بمعايدات كثيرة من معجبي قلمها الذين يغمرونها بكل مشاعر الود والمحبة ..

اليوم صديقاتها في العالم الافتراضي ومتابعيها احتفلن بها بمعايدات مؤثرة مليئة بالمحبة لكن ابنتيها تصنعتا التجاهل .. فتوقعت أنهما تدبران مع وائل أمراً لكن لم تتوقع أن يكون في بيت أمه..

طلب منها أن تفتح عينيها ففرقعت أصوات الاحتفالات أمامها .. لتجد أنجيل الصغيرة تحمل كعكة مزينة بالشموع المضيئة والصواريخ

Des. Maryam Tamim

المتفجرة بالألوان .. وأفراد الأسرة مجتمعون .. أنجيل الكبيرة الجالسة هناك على الأريكة تتوكأ على عكازها ضاحكة سعيدة .. وأمير وكريستين وطفلهما الصغير .. وميري وأنجيل ..

وأغاني الاحتفالات وأعياد الميلاد .. وبالونات وزينة.

وأمنيات حلوة..

وهو ..

حبيبها ..

الموشوم على قلبها للأبد يتطلع فيها بسعادة ..

بقلب بات يتقن الرقص بكل أنواعه ..

نفخت تطفئ الشموع فوق الكعكة .. لكن شمعة قلبها ستبقى مضاءة للأبد بذلك الحب الذي بات وائل يغدقه عليها ..

Des. Maryam Tamim

وكأن القدر ادخر لها الحب والسعادة ليمنحهما لها أخيرا بإغداق .. بعدما مرت باختبار كبير .. عظيم .. صعب .. ومعقد ..

اتسعت ابتسامتها التي باتت لا تفارق شفتيها مؤخرا وهي تقسم الكعكة.. بينما وائل يتعارك مع ابنتيه وقد أنضم إليهما أمير للحصول على أكبر عدد من كرات الشيكولاتة التي كانت تزين سطح الكعكة فأخذوا يتعاركون مع وائل الذي جمعهم في يديه بصبيانية .. وفر منهم فظلوا يطاردونه حتى وقف فوق الأريكة يلعّب لهم حاجبيه وهو يضم كفيه على كرات الشيكولاتة الصغيرة . . لتصيح فيه أمه أن ينزل من فوق الأريكة منهية المشهد الطفولي المبهج الذي اشتاق له هذا البيت ..

Des. Maryam Tamim

بعد قليل سألت ميري بمكر " لم نرى هديتك بعد يا أبي "

نظر لماجدة التي منحته ابتسامة حلوة ثم قال يغيظ ابنته " وما شأنك أنت بهديتي لها !"

تكلمت أنجيل الصغيرة بحنق طفولي" أخبرنا يا أبي ما هي أرجوك نريد أن نعرف .. أهي لؤلؤة أخرى؟ .. أم سفرة لجزيرة في وسط المحيط "

تنهد وائل ووقف بزهو يدب يده في جيبه فتعلقت عيون الفتاتين بها.. بينما صاح أمير " انتظر "

نظر إليه وائل بدهشة .. فقام أمير بحمل أبنه من على حجر زوجته وناوله لأمه .. ثم وضع يديه على عيني كريستين قائلا " لا تنظري إليهما .. إنهما ليس

Des. Maryam Tamim

لديهما رسالة ماجستير يعدونها ولا غارقون في الدراسة والتدريس والمراجع ولا شيء .. فتعالي معي نبتعد عن هذه الأجواء الرومانسية المستفزة "

أبعدت يده عن عينيها وقالت ممتعضة " أريد أن أشاهد "

رد عليها حانقا " ألم أهديك في عيد ميلادك هدية ثمينة ؟ "

ردت عليه بغيظ " الأمر ليس بقيمة الهدية بل بالأجواء الرومانسية .. أسكت يا أمير ولا تفسد عليهما اللحظة .. أو اذهب ابحث عن مرجع علمي لم تعثر عليه بعد " .

قهقه وائل ونظر لأخيه وهو يخرج من جيبه علبة مخملية صغيرة وقال له يغيظه " تعلم يا بني .. تعلم .. قالت لك الأمر ليس بقيمة الهدية ولكن بطريقة التقديم "

Des. Maryam Tamim

فتح وائل العلبة لتنحشر رأسي الفتاتين أمامها تتطلعان في الخاتم الماسي الصغير .. فاتسعت عينيهما بانبهار .. بينما أمسك وائل بالخاتم وهو ينظر في عين ماجدة التي مازالت تتوتر حتى الآن في حضوره لكنه ذلك التوتر اللذيذ المدغدغ.

وعلى صوت ضحكات الفتاتين المكتومة والوشوشات .. أمسك بيدها وألبسها الخاتم .. فلمعت عيناها بإعجاب وهي تتأمله .. ليرفع يدها إلى فمه وهو لايزال ينظر في عينيها .. ويقبل يدها متمتما " كل عام وأنت طيبة يا صديقتي وحبيبتي وأم بناتي" .

غمرتها المشاعر الحلوة .. واستمر قلبها في الرقص دون تعب .. فأحاطت ذراعيها حول عنقه تحضنه وسط صفير أمير وتصفيق التوأمتين وكريستين .. وابتسامة حمد وشكر على وجه أنجيل الكبيرة .

[4987]

تدخل أمير مشاكسا بعدما غمز لأمه فاقترب وقال "
أنا لم أهنيها بعد بعيد ميلادها" ..

ومال قاصدا أن يطبع قبلة على خد ماجدة ..
فدفعه وائل بغيظ قائلا بصرامة " توقف عن
السخافة صدقني سأوذيك " .

قهقه أمير وقال " مازلتَ لم تستوعب بعد أنها
كانت تحملني وأنا طفل صغير.. أنا أملك صورة
قديمة كنت فيها في سن عامين تقريبا وكانت ماجدة
في الثانية عشر أو الثالثة عشرة تحملني على ذراعها
"

قال وائل بصرامة " أنا أحذرك يا أمير "

فعاد أمير يقهقه هو وأمه ..

بعد قليل سحبته ماجدة من يده ليدخلا إلى غرفته
القديمة في شقة عائلته .. وأغلقت الباب .. فقال

Des. Maryam Tamim

بعينين لامعتين " فيم تفكرين بالضبط ؟.. ألا تستطيعين الصبر حتى نعود لبيتنا (ثم أخفض صوته يقول بلهجة شقية) أفكر في أن أطلب من أمي إقناع الفتاتين بالمبيت معها الليلة .. ونقضي ليلة جامحة يا عنقود العنب " .

تكلمت بجدية فأثارت فضوله " وائل أنا عندي اعتراف .. ولدي طلب "

بسرعة خمن ماهية الاعتراف .. فقد مرت عدة شهور منذ أن علم بأمر سيدة الظل جوجو .. لكنه أبدا لم يخبرها أنه يعلم .. ظل يتابعها في صمت .. قرأ كل رواياتها وأعاد قراءتها أكثر من مرة بعد أن أصبح من أكثر معجبيها .. وتابع الرواية التي كانت تنشرها فصولا حتى انتهت قبل أن يسافر معها في تلك الرحلة الساحرة للمالديف في شهر عسل لعروسين تأجل زفافهما الفعلي لخمسة عشرة سنة ..

Des. Maryam Tamim

لم يخبرها حتى الآن أنه يعلم شيئا عن سرها ..

لكنه لم يعرف ما هو ذلك الطلب الذي تريد أن تطلبه منه ..

تكلمت ماجدة وهي تفرك كفيها أمامه " هناك أمر أحب أن أخبرك به .. الحقيقة أني أفضل الاحتفاظ بخصوصيتي في عدم إخبار من حولي ممن أعرفهم بهذا الأمر .. لكني استثني المقربين جدا مني من هذا التفضيل .. ولأنك أهم شخص عندي .. عليّ أن أخبرك به ليس لأني مجبرة لفعل ذلك ولكن لأني أحب أن تشاركني هذا الأمر الخاص جدا بي .. والذي يعني لي الكثير "

نظرت إلى هدوءه الظاهري أمامها وأكملت " هل تذكر محاولاتي وأنا صغيرة للكتابة ؟.. هل تذكر تلك القصة التي كتبتها يوما وعرضتها عليك فظللت تضحك ربما من سذاجتها؟ . لكني بالرغم

Des. Maryam Tamim

من ذلك كنت فرحة سعيدة أني استطعت إضحاكك .. شعرت أني فعلت وقتها عملا عظيما "

أومأ وائل برأسه ورد بخفوت " أجل أذكر ذلك وأذكر تفاصيل القصة .. قصة الأمير والأميرة أليس كذلك ؟"

اتسعت ابتسامتها فجأة وقالت " تذكر اسمها !! "

قال ببساطة" تذكرته الآن حين تكلمت "

أكملت ماجدة حديثها " شغفي بالكتابة لم يهدأ .. فبدأت منذ سنوات قليلة خطوة مهمة جدا بالنسبة لي .. لماجدة .. وبدأت في نشر رواية كنت كتبتها وألقيتها في الأدراج لمدة طويلة حتى قررت فجأة أن أنشرها والحمد لله تلقيت قبولا طيبا من القراء واستمريت حتى الآن .. والحمد لله أصبح لي اسما معروفا في عالم الكتابة الإلكتروني (صمتت

Des. Maryam Tamim

قليلا تبتلع ريقها ثم أكملت) أنا أكتب روايات على الانترنت تحت اسم مستعار"

" سيدة الظل جوجو " قالها وائل بهدوء..

تسمرت تتطلع فيه ليكمل بنفس الهدوء " علمت بالصدفة منذ عدة شهور .. وكانت هذه المعلومة هي بمثابة صك العفو عني من عقوبة الإعدام .."

همست مصعوقة " وائل !!"

ابتسم لها وقال " شكرا جوجو .. شكرا جزيلا بحجم الأرض والسماء "

سألته بعدم استيعاب " علام تشكرني ؟!! "

قال بابتسامة مرتعشة وعينين غائمتين بالمشاعر " شكرا على كل شيء فعلتيه من أجلي .. وشكرا على أنك اكرمتني وحافظت على اسمي برغم ما فعلت ..

[4992]

وشكرا لأنك لم يأخذك الانتقام مني لأن تهيني نفسك .. شكرا لأنك اخبرتني بهذا الأمر الذي يخصك .. ربما كنت أعرف لكن هذا الاعتراف الآن كنت أنتظره منك بشدة .. باستماتة رجل يرغب في الوصول لأعلى درجات الثقة مع حبيبته .. هذا الاعتراف الآن يا ماجدة سأضعه وساما على صدري لأنك وثقت بي .. فمهما بلغت درجة حبك لي ... لم تكوني لتخبريني بما تحتفظين به لنفسك .. إلا إذا كنت عندك موضع ثقة .. ثقة في تفهمي .. وثقة في أني أستحق لأن أعرف .. وثقة في حبي وإخلاصي لك .. شكرا جوجو علي ثقتك بي أخيرا "

كان صوته متأثرا .. وبرغم صدمتها اقتربت منه بعينين دامعتين لتتشبث بملابسه .. تستطيل على أطراف اصابعها وتقبل شفتيه.. ليحيطها بذراعيه يستقبل قبلتها ..

Des. Maryam Tamim

بعد قليل ابعدت شفتيها وظلت تتطلع لعينيه غارقة في موجهما الأزرق .. فسألها " وما هو الطلب؟"

لاحت ابتسامة على وجهها وقضمت شفتها بخجل ثم قالت " أريد النصف الثاني من القلب "

شعرت بارتجافه .. ولم يتكلم .. لكنه تطلع إليها بتأثر .. ثم دفن وجهه في تجويف عنقها يلف ذراعيه حولها بقوة لبضع ثوان وكأنه يقاوم مشاعره المتأثرة .. ثم رفع وجهه أخيرا ليمد يده ويخرج من جيبه حافظة نقوده .. ويخرج من احد جيوبها نصف القلب الذهبي الصغير .. فسألته " هل كنت تحتفظ به معك طوال الوقت؟ "

أومأ برأسه بنعم.. ثم أمسك بدلاية سلسالها يضم النصفين لبعضهما بمشبكين وقفل صغير من الخلف .. وبمجرد أن انتهى طبع قبلة على جبينها

Des. Maryam Tamim

فأنزلت أنظارها تمسك بالدلاية .. على شكل قلب مكتمل أخيرا .. يحمل نصفه اليمين اسم (ماجدة) ونصفه اليسار اسمه ..

(وائل)

***

ركن أحمد السيارة بالقرب من بيت سماحة وهو يرى رامز الذي يقف في الشارع تحت البيت يستند على الحائط خلفه بقدمه ويدخن سيجارته بشرود ..

إنه أصبح منظرا معتادا لهذا الشاب ..

هذا الشرود .. وهذا القلب المثقل بالهموم والذكريات المؤلمة .. وتلك المحرقة من السجائر التي تذكره بنفسه في مرحلة ما من حياته ..

Des. Maryam Tamim

إنه منغلق .. ومنعزل .. قليل الكلام .. لا يبدي اهتماما سوى لبانة وصغيرتها .. أما باقي الوقت فهو في ملكوت آخر ..

لقد حاول خلال الشهرين الماضيين أن يصاحبه أو يضمه لشلة الخن .. وقد بذل عمرو أيضا معه مجهودا يحاول أن يخترق هذا الهدوء وتلك اللا مبالاة التي يظهر بها .. لكن جهودهما لم تؤتي بثمارها حتى الآن ..

في نفس اللحظة كان سيد يغني بخفوت في الهاتف وهو يخرج من البناية التي يقطن فيها ..

إضحكي خليني أضحك

ضحكتك بترد روحي

ربنا وحده الي يعلم

بعشقك إزاي يا روحي

[4996]

ضحكت آية ضحكة عالية .. فقال موبخا بصرامة "آية أخفضي ضحكتك هذه أمام السائق "

ردت بدلال " ألم تطلب مني أن أضحك !! "

فزمجر " آية ! "

فقالت بخفوت " هذا الرجل العجوز لا يسمع أصلا "

قال بسرعة " هل اقتربت من الوصول ؟"

ردت " أجل .. وأنت متى ينتهي اجتماعك ؟"

قال وهو يرى أحمد يخرج من سيارته " أنا ذاهب الآن ولن أتأخر يا حياتي .. ولا تنسي حفل منير الذي سنحضره الليلة "

تمتمت بسرعة " بالطبع لن أنسى .. المهم ألا تتمسك بك زهرة كما تفعل كلما قررنا الخروج من البيت وحدنا " .

Des. Maryam Tamim

قال وهو يراقب خروج عمرو من بيت سماحة والتقاؤه بأحمد " لا تقلقي اتفقت مع رحمة أن تأخذها قبل خروجنا بقليل إلى بيت سماحة لتجلس مع أمي قليلا فقد وعدتها بصنع بعض الكعك لها (ثم قال وهو يغلق بسرعة) سأذهب الآن سلام "

عند بيت سماحة سأل أحمد عمرو الخارج من بوابة بيتهم " ماذا كنت تفعل عندنا؟ "

رد عمرو " كنت أحضر شيئا لأروى يخص عبد الرحمن فهي عندكم".

فتمتم أحمد يستفزه " جميل .. اشتقت لأختي التي لم أراها منذ ليلة أمس " .

نظر عمرو لكيس حفاضات الأطفال الكبير الذي يحمله أحمد مع بعض الأغراض الأخرى فانفجر

Des. Maryam Tamim

ضاحكا يضرب كفا بكف وقال متهكما " يا الله ! .. انظر يا أخي كيف تتبدل حياة المرء في يوم وليلة فيصل به الوضع لأن يشتري حفاضات أطفال .. حفاضات أطفال يا كونت !! "

مط أحمد شفتيه ورد بكبرياء " كل شيء يهون من أجل شمس أبيها "

قهقه عمرو ثم قال وهو يفرد ذراعه على كتفي صاحبه " أنظر يا بني سأعطيك من خبرتي بشأن حفاضات الأطفال بما أني أبا يفوقك خبرة ببضعة شهور"

حدق فيه أحمد مستنكرا فتجاهله عمرو ليكمل متفكها " هذا النوع من حفاضات الأطفال ليس جيدا .. به عيب كبير وهو التسريب "

رفع أحمد حاجبيه يردد باستنكار " تسريب !! "

اقترب سيد يقول " عما تتحدثان ؟ "

Des. Maryam Tamim

قال عمرو ساخرا " تعال لترى الكونت وهو يشتري حفاضات الأطفال بنفسه " .

تطلع سيد لأحمد المتخشب يطالعهما بامتعاض فقال عمرو متسليا " بالله عليك يا سيد صورني مع الكونت وهو يحمل حفاضات الاطفال صورة للذكرى الخالدة " .

فتح سيد كاميرا هاتفه مستجيبا يضحك بتسلي وحاول تصويرهما .. فألقى أحمد ما يحمل بيده في داخل السيارة مرة أخرى عبر النافذة .. ووقف أمامهما متخصرا ومتحفزا وهو يراهما يتشاركان في هيستيريا من الضحك بينما أقترب وائل الذي سمع ضحكهما من محله القريب فقال متسائلا "علام تضحكان ؟"

رد سيد " فاتك استعراض الكونت وحفاضات الأطفال "

Des. Maryam Tamim

تمتم أحمد بغيظ " أنا أرى أن يذهب كل مستظرف منكم إلى حال سبيله حتى لا أطلق عليكم شياطيني "

بعد أن هدأ الضحك سأل عمرو " هل سنجتمع الليلة في الخن ؟"

رد سيد " أنا لن أقدر الليلة .. فأنا وآية لدينا حفل سنحضره"

قال عمرو " ما شاء الله .. (ثم استدار يحدث أحمد) أنظر إليه نحن أصبحنا عالقان في تدبير حفاضات الأطفال وهو منطلق مع مجنونته والثاني عائد هو وزوجته من جزر المالديف "

خمّس كلا من سيد ووائل في وجهيهما وتشارك أربعتهم الضحك ..

Des. Maryam Tamim

بعد قليل قال وائل بشفقة وهو يتطلع لرامز الواقف بعيدا مستندا على الحائط يدخن في صمت " هذا الشاب تؤلمني وقفته هذه لكني حاولت أكثر من مرة أن يشاركنا أي شيء لكنه لا يبدي أي اهتمام "

تكلم أحمد " وأنا أيضا حاولت معه وعمرو وسيد .. كل منا بطريقته "

رد وائل متنهدا " أتمنى أن يتغلب على حالته هذه في أسرع وقت .. (ثم سأل أحمد) هل قرر البقاء أو العمل أو أي شيء ؟"

قال أحمد بهدوء " ما فهمته من أبي فراس أنه لا يريد العودة لبلده لفترة .. خاصة بعد أن خرج منها بصعوبة .. لكنه لم يحدد بعد وجهته .. سمعت أنه كان يفكر في السفر لأروبا لكنه لم يقرر بعد خاصة مع معارضة بانة ووالده "

Des. Maryam Tamim

أطلق وائل فجأة صفير إعجاب فاستدار الجميع إلى حيث ينظر وشهق سيد شهقة قوية هاتفا " ما هذا بحق السماء !! "

على أول الشارع ظهرت أمامهم فتاة في هيئة غريبة وملفتة جدا .. بدت في العشرينات من العمر بجسد أنثوي مغري .. ترتدي بلوزة قطنية تنحت جسدها بحمالات رفيعة تكشف أكثر مما تخفي .. على بنطال من الجينز الممزق بفتحات مربعة تنتشر على طول الساقين وتكشف عن بشرتها البيضاء .. أما شعرها فكان بنيا فاتحا يحمل بعض الخصلات الزرقاء بطول يلامس كتفيها .. وحين اقتربت أكثر تبين أنها ترتدي عددا من الأقراط في أذنيها و أساور بلاستيكية ملونة في رسغيها "

Des. Maryam Tamim

كانت الفتاة حائرة وتلهث وكأنها تهرب من شيء .. تتطلع في المباني مدققة وكأنها تبحث عن شيء محدد.

بمجرد أن ظهرت تفاصيلها أستدار عمرو يغض بصره مستغفرا .. ليلاحظ أن الشباب الثلاثة يحدقون فيها فصاح موبخا " فيم تتطلعون!!" وقرص أحمد يقول" أين الالتزام يا كونت !! "

انتبه أحمد وتنحنح في حرج يشيح بوجهه .. بينما قال عمرو محذرا للباقي " سأخبر آية وأم ميري .. أنتما تعلمان ببرودي .. وأنني سأفعلها "

تنحنح وائل يقول مبررا " أنا فقط عندي فضول لأعرف من هذه ؟ وماذا تريد ؟"

نظر سيد للفتاة وقال باستهجان" كيف تسير في الشارع بهذا الشكل ؟!"

Des. Maryam Tamim

اقتربت الشابة من طأطأ الذي فغر فاهه وهو يحدق فيها بينما الشباب يراقبون الأمر عن قرب .. فقالت الفتاة شيئا لطأطأ بالإنجليزية .. فأشار لها بسبابته مرتبكا .. يحاول إفهامها أنه لا يتحدث الإنجليزية فقالت " كالللليل سابرا "

فغر طأطأ فاهه مجددا لا يفهم .. فأخرجت الفتاة ورقة من جيبها وقالت " كالللليل سبارا .. سيد سبارا "

قال وائل مندهشا وهو ينظر لسيد " هل قالت سيد صبرا ؟؟ "

مط سيد شفتيه محركا كتفيه بلا أعرف وهو يقترب ببطء منها مع أحمد ووائل بينما ظل عمرو واقفا على بعد خطوات .. فقالت الفتاة الشابة تحاول تذكر بعض الكلمات " أوريدو .. سيد سابورا "

Des. Maryam Tamim

هرش طأطأ في رأسه والتفت لسيد الذي وقف يراقبها بفضول وقال " هل قالت سيد صبرة أم ماذا أنا لا أفهم يا عم سيد .. تصرف أنت "

أشار له سيد ليتركهم ويذهب لعمله بينما تكلم أحمد بالإنجليزية " هل نساعدك في شيء يا آنسة"

قالت الفتاة تتطلع في ثلاثتهم " سيد سابورا ؟"

فقال أحمد بالإنجليزية مستفهما " هل تبحثين عن سيد صبرة؟"

صفقت بيديها بابتسامة مليحة .. فالتفت الثلاثة لسيد يتفحصونه من رأسه حتى أخمص قدميه وصاح وائل " خائن ! .. ألم نتفق على الاستقامة منذ أكثر من أربع سنوات .. تخونني الآن وتلعب وحدك !"

Des. Maryam Tamim

أمسك أحمد بملابس سيد يشده إليه قائلا " هل تخون أختي يا كلب؟! " .

أما الفتاة فأخذت تمرر نظراتها بعدم فهم بينهم تحاول استيعاب ما يحدث أو تخمين هل منهم من يدعى سيد صبرة أم لا .. فنفض سيد عنه المفاجأة مع نفضه ليد أحمد عن ملابسه صائحا " لا أعرفها أقسم بالله !"

اقترب من الفتاة وماله بجذعه للأمام يحدق في وجهها بتمعن فابتعدت الفتاة بجذعها بتوتر للخلف .. ليهرش في مؤخرة رأسه .. فقال عمرو الذي يشيح بنظراته عنها " يا بني خلصنا واسألها ماذا تريد منك .. المارة يحدقون فيها وفينا وفي فعلتك السوداء "

Des. Maryam Tamim

نظر وائل للفتاة وعلق " إنها ليست سوداء وإنما بيضاء.. بيضاء "

لكزه عمرو بكوعه فتألم ومط شفتيه بينما تكلم سيد بإنجليزية ركيكة " I'm Sayed Sabra "

ولم يستطيع قول (من أنت ؟) بالإنجليزية فأشار لها بيده يسألها .

شهقت الفتاة بانبهار وطالعت طوله وعرضه وعضلاته وضخامته وقالت بالإنجليزية " هل أنت سيد كاليل صبرة ؟؟"

فردد الشباب الأربعة في صوت واحد وقد أدركوا ما كانت تتفوه به من قبل " كالييييييل !!"

قال سيد بالعربية " أجل أنا كاالييل .. أقصد سيد كيف أساعدك "

[5008]

أرتمت عليه تهلل في سعادة.. وتحيط عنقه بذراعيها فارتد سيد بجذعه للخلف مصعوقا بينما هتف وائل متسليا " الأمر يتطور بشكل سريع جدا في وضح النهار يا شباب "

أنزل سيد ذراعيها يقول بحدة بالعربية " ابعدي يديك عني وتكلمي من أنت ؟"

تمتم وائل بخفوت مسموع " يمثل علينا الشرف والنزاهة ابن صبرة وهو غارق في الوحل حتى أذنيه .. والفتاة جاءت تبحث عنه شخصيا "

بدأت أعصاب سيد تتوتر .. وفاجأه هذا الشعور .. بعد أن كان يتفاخر بعلاقاته النسائية أصبح يتوتر من مجرد إلحاق اسمه بها .. فقد أصبح الآن لديه ما لا يريد أن يفقده فهدر في وائل " اخرس يا وائل وكف عن المزاح (والتفت للفتاة التي مازالت تطالعه بانبهار وصاح في وجهها بالعربية) إما أن

Des. Maryam Tamim

تقولي من أنت.. ولمَ تسألين عني؟.. أو تذهبي من هنا بتلك الهيئة التي تثير الشبهات بين أهل الحي "

.

نظر وائل حوله للمارة الذين بدأوا في التجمع ومتابعة تلك الفتاة الغربية التي تكشف من جسدها أكثر مما تستره وتمتم ساخرا " التعبير الأدق ليس (تثير الشبهات) بل أثارت وانتهى الأمر وفضحت يا ابن صبرة "

زمجر سيد قليلا بينما قالت الفتاة بحماس وهي تمد إليه يدها بالسلام "

"I'm Liza ... Liza Khalil Sabra

شهق الشباب .. بينما استنكر سيد ما فهمه من كلامها وقال بعدم استيعاب " لم أفهم !! "

سحبت ليزا يدها الممدودة وأدخلتها في حقيبتها القماشية وهي تبتسم ثم قالت بالإنجليزية بعد أن أخرجت بعض الأوراق " أنا أختك .. على ما يبدو "

شهق الشباب مجددا فالتفت سيد لهم يقول بعصبية " كفوا عن الشهيق وأخبروني ماذا قالت ؟"

رد أحمد مصعوقا وهو يتطلع فيها " قالت ما فهمته يا سيد .. تقول إنها أختك .. بنت خليل صبرة "

عاد سيد ينظر إليها بعينين جاحظتين وقد أصابه العته .. ثم خطف من يدها الورقة التي كانت بالإنجليزية يقلبها ويعدلها ولم يفهم منها شيء فأعطاها لأحمد الذي التفت كل الرؤوس حوله يشهقون مجددا .. فصاح فيهم بصيحة أعلى جعلت الفتاة تقفز من مكانها برعب " أنتم تصرون

Des. Maryam Tamim

على أن أستخرج لسان المزمار من حلوقكم بنفسي.. أنطقوا "

ابتلع أحمد ريقه وقال " خليل صبرة كان متزوج من أمها من خمس وعشرون عاما وهذه شهادة ميلاد صدرت من هنا تثبت (وتطلع في وجه سيد الذي بدا شاحبا وأكمل ببطء) أن ليزا خليل صبرة أختك "

وضع سيد يديه على رأسه ونظر للسماء بيأس .. وبشكوى صامتة إلى الله .. بينما عاد كلا من أحمد ووائل للتطلع في الفتاة .. ولكن بنظرة أخرى مختلفة عما سبق .. أما عمرو ففرك جبينه من وقع المفاجأة وهو يتابع ملامح سيد بشفقة .. كل هذا وليزا تحرك نظراتها بينهم بفضول تحاول التقاط بعض العبارات من اللغة العربية التي تتقن القليل منها ثم قالت بعربية ركيكة " أنا أوكتك سايييد "

سأل عمرو" ماذا قالت ؟"

Des. Maryam Tamim

تكلم وائل الذي يطالع الفتاة بتسلي " تقول أنها أخته .. لكن المسكينة حرف الخاء لديها مشلول "

استدار سيد عائدا إلى ليزا التي اتسعت ابتسامتها وقالت بالعربية بصعوبة " أنا .. سئيد أن أقابلك سايد .. أنا .. ابحث .. عن كالليييل وعن أنت كثيرا "

ضيق سيد عينيه يطالعها مجددا يحاول الاستيعاب .. وانتبه بنظرة مختلفة لملابسها الفاضحة العارية التي لا تتناسب مع المجتمع الشرقي..

هذه أخته !!

في كل مرة يحدث هذا المشهد .. يتحكم بأعصابه حتى لا يقتل خليل .. لكنه هذا الرجل لابد أن يموت أبشع موتة ..

Des. Maryam Tamim

استدار لأحمد ووائل اللذان مازالا يحدقان فيها بفضول هذه المرة وليس بنظرة ذكورية لكنه صاح فيهم بغيظ " إلام تنظرون يا أوباش !.. اخفضوا أنظاركم "

أشاحا بأنظارهما للناحية الأخرى يكتمون الضحك .. حتى عمرو كان يكتم الضحك معهم ..فجحظت عيناه يكبت غيظه ثم عاد ينظر لليزا التي بدأت في التكلم بالإنجليزية.. وببعض الكلمات العربية الركيكة .. شارحة له أمرا لم يفهم منه كلمة واحدة وهي تريه بعض الاوراق في يديها ..

تطلع لملابسها بشلل تام .. ليتحرك عمرو في نفس اللحظة يخلع سترته ويعطيها له .. فأخذها ممتنا .. وفوجئت ليزا التي تشرح على ما يبدو له أمرا شديد التعقيد مازال لا يفهم منه.. فوجئت به يلبسها

Des. Maryam Tamim

السترة ببعض الخشونة .. فحاولت الرفض قائلة بعربية ركيكة " شكرا لا أشعر بالبرد "

فقال بصرامة " ارتدي واستري نفسك "

لتعلوا بجوار أذنه ضحكات الشباب المكتومة .. غير قادرين على التحكم فيها أكثر من ذلك .. والتي أججت غضبه أكثر.. بينما نطقت ليزا بالعربية بصعوبة " لماذا يضحكون ؟"

فرد عليها وهو يغلق سحاب السترة " يضحكون على بختي المائل .. على حظي الأسود العاثر "

لم تفهم ما قاله .. فمررت نظراتها بينهم وهم يشيحون بأنظارهم عنها لسبب لا تعرفه وفي الوقت ذاته غارقون في ضحك مكتوم ... بينما نظر سيد للبنطال الممزق من كل جانب وللحمها العاري

Des. Maryam Tamim

من تحته وعاد لينظر إليهم .. ليجد أن أحمد يرتدي سترة هو الآخر وقد فهم من نظرته ما يريد فخلعها له على مضض يقول " إنها غالية الثمن فحافظ عليها ..يا أخو البنات " .

أخذها سيد الذي بدأ يتصبب عرقا من المفاجأة التي لم يستوعبها حتى الآن .. وانحنى بجذعه أمامها يلف ذراعي السترة حول خصر أخته المزعومة .. التي تنظر له بتعجب بينما صاح أحمد وهو يراه يعقد ذراعي السترة حول خصرها " سترتي .. ستدفع ثمنها أضعاف يا كلب"

قال سيد بمزاج ملبد بالغيوم " اخرس يا أحمد ! "

قالت ليزا بارتباك " أنا .. لا.. أفهم "

Des. Maryam Tamim

فتمتم سيد من بين أسنانه بغيظ " اخرسي الآن ودعينا نسترك قبل أن نفهم ما تتفوهين به من طلاسم "

ربط السترة حول خصرها ليكتشف أنها دارت البنطال من الخلف بينما من الأمام مازال لحمها مكشوفا فنظر لأصحابه فتكلم وائل مدافعا " أنا لا أرتدي سترة يا بني.. لكن إذا أردت القميص "

وبدأ في فك أزرار قميصه .. فأشار له سيد بالتوقف وبدأ بفك أزرار قميصه هو .. ليتفاجأ بسترة تأتيه من الناحية الأخرى .. وتعلق أمام ناظريه بيد يمدها إليه رامز الذي خلع سترته هو الآخر بعد أن كان مراقبا للمشهد منذ بدايته .

أخذ سيد منه السترة ممتنا .. وانحنى يلفها حول خصر ليزا المشدوهة بما يحدث .. بينما تقترب منهم السيارة التي تقل آية سماحة الجاحظة

Des. Maryam Tamim

العينان تطالع الشباب الخمسة يقفون مع شابة بشعر ملون بالأزرق .. لكن ما أفجعها .. وأثار جنونها .. أن تجد سيد ينحني أمام الشابة .. يحيط ذراعيه بخصرها .. فصرخت في السائق العجوز الذي يقود ببطء كعادته لأن يتوقف وترجلت من السيارة مسرعة ..

في نفس الوقت صاحت رحمة مصعوقة والتي أحضرت زهرة من المدرسة للتو " سيد !!" .

أما زهرة الصغيرة فألقت بحقيبة المدرسة في الأرض واقتربت منهم وقالت متخصرة بلهجة خطرة" ماذا يحدث بالضبط؟؟ .. هل ستتزوج مرة أخرى كخليل؟؟!! "

Des. Maryam Tamim

رد عليها سيد بصوت مخنوق " لعن الله خليل دنيا وآخرة "

فجأة انتُزعت ليزا من أمامه صارخة بمجرد أن أكمل مهمته في ربط سترة رامز على خصرها .. انتُزعت بقوة الجذب .. حين جذبتها آية من شعرها ووقفت تنظر إلى سيد بغل صارخة "ألن تعرفني على الأخت الزرقاء ؟!!"

هب الشباب جزعين ينهون آية عما تفعل لكنها طالعتهم بوجه مكفهر من الغضب وصرخت " انطق يا سيد وإلا ستحدث فضحية "

حاولت ليزا الدفاع عن نفسها فأمسكت بحجاب آية تشدها منه حتى تطلق سراح شعرها .. فصرخت آية فيها " دورك سيأتي يا حلوة بعد أن أعرف ماذا كان يفعل منحنيا أمامك " .

Des. Maryam Tamim

علا صوت كلا من أحمد وسيد لإثناء آية عما تفعل وترك شعر الفتاة حتى يتم شرح الأمر لها .. وتوجه كل منهما إلى أخته يسحبها بقوة لفض الاشتباك .. فطوقها أحمد من الخلف يشل حركتها هادرا أن تكف عن الفضائح .. بينما تركيز آية كله كان منصبا على سيد الذي أمسك بكتفي الفتاة الأخرى يبعدها بحرص .. فحاولت آية ضرب الفتاة مستخدمة قدمها لتصرخ ليزا حين ركلتها آية في ساقها بقوة ... ليصيح سيد بصوت جهوري أرعب الجميع " توقفي يا آية.. فورا".

تجمد المشهد فحدقت فيه آية تلهث بقوة وقد شلت أطرافها بأمر منه .. فترقرقت الدموع في عينيها تنظر له مكفهرة الوجه .. فوقف يحدق فيها بغضب .. قبل أن يشفق عليها أحمد الذي مازال

Des. Maryam Tamim

يلجم حركتها وتدخل قائلا " إنها أخته يا أية هذه أخته من خليل " .

جحظت عيناها من المفاجأة .. وحركت نظراتها بين سيد وليزا التي ترفع ساقها تدلكها بألم .. بينما شهقت رحمة التي كانت تبعد زهرة عن موقع المعركة وصاحت " أخته!! .. أخته !!.. ابنة خليل!!! "

نظر سيد لرحمة وقد لانت ملامحه.. ثم عاد لآية التي تملكتها مشاعر الشفقة عليه .. فوقفت معقودة اللسان.. وأطرق بعدها برأسه في صمت .

تكلمت ليزا متوجعة من ساقها " أنا .. ليزا .. كاالليل .. سابرا "

قال وائل" كفانا فضائح .. علينا الجلوس والتحدث لنفهم تفاصيل الموضوع "

Des. Maryam Tamim

فجأة دخلت إلى الشارع سيارة سوداء وترجل منها عددا من الرجال الضخام يرتدون ملابس سوداء .. فانكمشت رحمة تتمسك بزهرة بينما لاح الخطر والتحفز على وجه الشباب .. أما ليزا فأطلقت صرخة قبل أن تهتف بالإنجليزية وهي تتخفى وراء سيد " كيف علموا بمكاني؟؟!!!! "

لم يفهم سيد الذي كان يقيم الوضع .. والعدد.. ودرجة الخطورة .. متجاهلا تماما أي اسئلة منطقية قد تلوح للذهن في تلك اللحظة .. أبسطها .. سبب وجود رجال بهذه الهيئة في حي شعبي كحي سماحة .. فحياة الشارع وقوانينه القاسية علمته أن يتصرف أولا قبل أن يحلل .. لكن حين صرخت ليزا واختبأت خلفه ترتعش كان لابد أن يستدير إليها متسائلا عما قالت بالإنجليزية فقال للشباب وهو يتطلع في وجهها المرتعب" ماذا قالت؟"

تكلم أحمد بقلق " يبدوا أنهم يلاحقونها"

Des. Maryam Tamim

جحظت عيناه فأمسكت ليزا يده برعب تغمغم بالإنجليزية " أرجوك أرجوك أرجوك ساعدني "

طلب أحمد من آية أن تأخذ رحمة وزهرة فورا للبيت وحين تململت بقلق وهي تحاول فهم ما يحدث دفعها أمامه برفق وأشار لرحمة بإشارة صارمة من يده لتتحرك مع زهرة وآية نحو بوابة بيت سماحة ..

أما سيد فأمسك ذراعي ليزا يهزها بخشونة قائلا " من هؤلاء تكلمي .."

تكلمت ليزا برعب وارتجاف.. ليصرخ سيد "شخصا ما يترجم بحق السماء !!!! "

فقال وائل بتوتر " تقول أنها تعاقدت مع شخص ما في بلدها على أن تحضر إلى هنا كمدربة باليه لمركز

Des. Maryam Tamim

عالمي لتدريب الرقص .. فوجدتها فرصة جيدة حتى تحضر إلى البلد .. وتبحث عن والدها .. لكنها حين وصلت منذ أيام اكتشفت أن العقد الموجود معها مختلفا تماما عن نسخة العقد التي في أيديهم .. وأنهم وسطاء يجلبون الفتيات من الخارج .. يتبعون لملهى ليلي .. وقد طلب منها الرقص في الملهى وأمورا إباحية أخرى فرفضت وتمكنت من الهرب .. وجاءت تبحث عن العنوان الذي كتبته والدتها في مذكراتها .. ولم تعرف أنهم سيقتفون أثرها "

سُمع صوت أحمد الذي وقف أمام الرجال هو وعمرو يهدر في زعيمهم " تحدث معي أنا .. ماذا تريدون منها؟ "

Des. Maryam Tamim

التفت سيد ليجد رجلا ضخما أصلع الرأس يبدو كزعيمهم يقول" نريد الفتاة فقط .. ولن نؤذي أحد بعدها .. هذه عهدة لدينا وعلينا أن نعيدها "

قبض سيد على ذراعها بقوة وسحبها بخشونة فظنت ليزا لوهله أنه سيسلمها لهم اتقاء لشرهم.. فسقط قلبها بين قدميها شاعرة بالرعب لكن لدهشتها سحبها للناحية المقابلة نحو بيت عال مكون من طوابق .. تقف على بوابته بقلق تلك النارية التي أمسكت بشعرها منذ قليل والتي خمنت أنها حبيبته .. فساقها بخطوات أوجعت ذلك الكسر في الحوض إثر حادث قديم قضى على كل طموحاتها بأن تكون راقصة بالية مشهورة .. لتجد نفسها تُلقى داخل ذلك البيت لتستقبلها الفتاة الأخرى التي ترافقها فتاة صغيرة تنظران إليها بصدمة .. بينما دفع سيد حبيبته النارية أيضا إلى

Des. Maryam Tamim

داخل البوابة رغم اعتراضها وزمجرتها لكنه بدا مرعب الملامح عكر المزاج وأغلق البوابة الحديدية بعنف أرتج له جوانب قلبها.. ليتبعها بلف سلسلة حديدية ضخمة تربط بين بابي البوابة وتغلقها بقفل كبير..

نظر سيد لآية نظرة خطرة محذرة وقال " حتى لو وجدتني جثة هامدة على الأرض لا تفتحي هذا الباب .. فوالله يا آية إن فعلت لرحلتُ من هذه الدنيا وأنا غاضبا منك " .

انسحب سيد مسرعا لساحة المعركة فوقفت ليزا تشاهد ما يحدث بزاوية جانبية عبر البوبة بعد أن انتهت المجنونة النارية من الضرب والركل بقدميها ويديها في البوابة المسكينة .. ثم انهارت في البكاء تدفن وجهها بين يديها .. فتقدمت الفتاتين اللتان لا

Des. Maryam Tamim

تعرف بعد صلتهما بها وظلتا تربتان على ظهر آية وتشاركانها في النحيب .

أما سيد فقد أسرع نحو الرجال الذين وقفوا مصطفين لينضم لأصدقائه الثلاثة .. أحمد المتحفز وقد لاحت الشراسة في عينيه .. ووائل الذي يعلو وجهه الصرامة .. وعمرو الذي حاول التفاهم مع الرجال يثنيهم ويقنعهم أن يعودوا من حيث أتوا .. يخبرهم بأن هذه الفتاة أخت صديقهم .. لكن حين استمروا في إصرارهم على أخذ الفتاة عنوة انقلبت ملامحه ولاح على وجهه الغضب .

صاح زعيمهم بصوت جهوري " اسمع نحن نريد الفتاة سلمونا الفتاة وسنرحل "

رد عليه سيد وهو يقترب" أنتم فعلا سترحلون .. الآن وفورا .. وإلا ستغادرون الحي محشورين في هذه السيارة التي جئتم بها "

Des. Maryam Tamim

قال الرجل بتهديد " أنا لا أصدق كذبة أن الفتاة أختك فإما تعيشون دور الشهامة أو تحتفظون بها لأنفسكم "

صرخ وائل فيه بحدة " اخرس والتزم حدودك "

بينما قال عمرو يكتم غيظه " اسمعني نستطيع أن نثبت لك أنها أخته .. وحتى لو لم تكن .. مادامت لا تريد الذهاب معكم فلن نتركها " .

صاح الرجل بقوة مقاطعا" نريد الفتاة فورا وإلا الأرواح التي ستموت اليوم من هذا الحي ستتعلق برقابكم " .

طقطق سيد رقبته يمينا ويسارا وصاح بصوت جهوري في بعض الأهالي الواقفين من بعيد يراقبون ما يحدث بتوتر " الجميع يلتزم بيته فلا أريد أن يتعرض أحد للأذى .. طأطأ اغلق المقهى على الزبائن " .

Des. Maryam Tamim

خلا الشارع من المارة بسرعة.. وأغلق طأطأ المقهى على الزبائن الذين فضلوا البقاء بالداخل .. بينما اعتلى البعض أسطح المنازل وخرجوا للشرفات لمشاهدة المعركة الوشيكة ..

أما برقوق الذي نزل من شقته متأخرا .. فتح بوابة البناية التي يملكها لتدخل بعض النسوة اللاتي كن يمرون بالصدفة من الشارع قبل أن تتكهرب الأجواء حين وجدهن منكمشات يحاولن التراجع للشارع الخلفي .. لكنه فتح لهن بوابة البناية ليشير لهم بالدخول بسرعة والاحتماء بها .. ثم أغلق البوابة عليهن.. ووقف مستندا عليها باسترخاء يقول بابتسامته السمجة " أحب هؤلاء الشباب "

أمام الرجال الضخام وقف سيد في المنتصف على يساره عمرو .. يليه وائل وعلى يمينه وقف أحمد

Des. Maryam Tamim

ينظر لهم بشراسة .. وقف الأربعة في وضع الاستعداد وكأنهم ذاهبون لرحلة ترفيهية ..

وقفوا أربعة ..

لكنهم فوجئوا بخامس ينضم إليهم.. ترك الحائط القريب الذي كان مستندا عليه يراقب الوضع بلامبالاة .. ترك الحائط .. ونفض عنه لا مبالاته التي يتخفى ورائها .. وتحرك نحوهم بثقة ملقيا بسيجارته يسحقها تحت قدمه ثم اصطف بجانب صهره ابن سماحة ينظر للرجال الضخام بنفس النظرة الشرسة التي تلوح في عيون الأصدقاء الأربعة ..

تفاجأ به أحمد فرفع حاجبيه مندهشا لكن صوت سيد الجهوري الذي بدا مخيفا قطع دهشته وهو

Des. Maryam Tamim

يقول " شباب لدينا زائرين في حي سماحة وعلينا استقبالهم أفضل استقبال .. أريد استقبالا يحفر في ذاكرتهم للأبد .. فلا ينسون يوما أنهم مروا بحي سماحة " .

تحفز الخمسة وبدأوا في الاشتباك فقال أحمد لرامز وهو يغرز قبضته في معدة أحدهم " مرحبا بك في بلدك الثاني وفي حيّنا المتواضع .. يا صهري العزيز " .

رد عليه رامز بعد أن أستدار على عقبيه موجها ركله قوية لخصمه " إنه لشرف عظيم أن أكون معكم يا صهري العزيز "

Des. Maryam Tamim

الخاتمة

بعد شهرين :

تطلعت آية إلى سيد الذي يقود السيارة في حالة من الخرس منذ أن خرجا من عند الطبيبة النسائية .. في أول زيارة لها بعد أن علما أن آية حامل ..

لقد عدلت آية عن رغبتها الذي كانت تود مناقشة سيد فيها أن يؤجلا الانجاب لفترة .. فالأمر رغم انبهارها به.. أن تحمل بطفل سيد في رحمها وتصبح أما لأولاده تمنت أن تؤجله لفترة .. فمن ناحية .. طموحها الشخصي بأن تثبت قدميها كمذيعة .. ومن ناحية أخرى .. تود أن تتفرغ بكليتها لسيد تدلله وتغدق عليه من حبها ورعايتها ..

Des. Maryam Tamim

لكن هذه الرغبة دُفنت حين لمّحت لها أمها بأن سيد يكبر بالعمر .. وأنه كان يواجه مشكلة في الانجاب مع زوجته الأولى ومن الأفضل أن يربي أولاده وهو بصحته.. ويفرح بهم يكبرون أمام عينيه .. ومع هذا وكعادتها إلهام .. لا تتدخل أبدا في الامور المصيرية بشأن أولادها وحياتهم الشخصية .. فتكتفي بالنصيحة فقط ..

لكن ملامح سيد حين رأى شمس ابنة أحمد لأول مرة .. وذلك الفرح والتهليل الطفولي الذي افتعله عند رؤيتها رغم أنه رفض تماما حملها مرتعبا أن يؤذيها .. وذلك الترقب الذي يظهره حين يعرف أن عمرو سيحضر عبد الرحمن ..

كل هذا اطاح بتلك الرغبة لديها .. رغم أن سيد لم يتحدث معها أبدا في هذا الأمر .. بل إنها على يقين أن مشاعره الخاصة برغبته في أن يكون أبا لا يعرف

Des. Maryam Tamim

معناها بداخله .. أكيدة أن تلك الحياة التي عاشها وتلك الطفولة الي عانى فيها لابد ولها تأثير على فهمه لتلك المشاعر الغريزية في أن يصبح أبا ..

تذكرت آية مشاعرها المختلطة المعقدة حين علمت بحملها.. وبالرعب الممزوج بالرهبة والسعادة .. أن تحمل طفل منه في رحمها .. قطعة من سيد .. منحها إياها .. يعيش بداخلها.. كان أمر غاية في الروعة جعلها تبكي كثيرا قبل أن تخبره ..

ابتسمت وهي تتذكر كيف أخبرته بخبر حملها .. وكيف كادت والدتها أن تصاب بنوبة قلبية حين أخبرتها فيما بعد كيف زفت إليه خبر حملها ..

Des. Maryam Tamim

قبل اسبوع :

أغلق سيد الهاتف بعد أن اعتذر عن موعد صباحي.. وتحرك يبحث عن تلك الجنية التي أصرت أن يؤجل خروجه من البيت اليوم لأنها ستقيم احتفالا لم يعرف بعد سببه .. مستغلة عطلتها اليوم من الإذاعة ووجود زهرة بالمدرسة ورحمة بالجامعة .. فأدرك أن الاحتفال سيكون احتفالا ساخنا ..

دخل يبحث عنها متسائلا إن كانت سترتدي اليوم القميص القصير أم الاقصر منه .. لتتسع عيناه بانبهار بمجرد أن فتح باب الغرفة..

كانت تقف في أخر الغرفة مولية ظهرها للباب ترتدي بدلة رقص شرقي خضراء بدلايات كثيرة لامعة تحيط بخصرها .. شغلت الموسيقى بالريموت ثم رفعت ذراعيها تضمهما لأعلى رأسها

Des. Maryam Tamim

في وضع الاستعداد لتنساب موسيقى هادئة أولا
فحركت عليها خصرها ببطء ودلال وتمايلت
فنفخت في الجمر الذي يجري في دمائه والذي بات
لا ينطفئ أبدا منذ أن أصبحت حلاله ..

وقف يشاهدها منصهرا .. وقد استدارت مع بدء
الموسيقى الراقصة لتلك الاغنية الشعبية الشهيرة
ترقص وتتلوي بدلال وغنج حطما أعصابه .. تأمل
ملامحها الحلوة وشقاوتها وسخونة حركاتها ..
متعجبا كالعادة مما تفعله به تلك الجنية ..

اقتربت آية منه .. مستمرة في الرقص وفي تحريك
شعرها يمنا ويسارا ليكتشف ذلك الخلخال الذي
ترتديه في قدمها .. فمال يرقص أمامها ملتصقا بها
يمسك بوركيها .. لكنه لم يستطع انتظار الاغنية أن
تنتهي .. وأحاطها بذراعيه يقبّل شفتيها بشوق
يتجدد كل ساعة وينكر ما قبله .

Des. Maryam Tamim

حين أطلق سراح شفتيها انحنى يقبل رقبتها وكتفها العاري .. فرفعت يديها تتحسس ظهره وغلبتها المشاعر.. فترقرقت عيناها بالدموع وقالت هامسة " لم تسألني أي مناسبة أردت أن نحتفل بها اليوم"

رفع رأسه وحضن وجهها بكفيه يهم بتقبيلها مجددا لكنه تجمد حين وجد عيناها دامعتان فسألها بقلق" ماذا حدث ؟ لمَ تبكين حبيبتي؟"

لم تتوقع أن تكون متأثرة إلى هذا الحد لكنها كانت ترتجف حين نطقت" لن تصدق ما حدث أبدا.. فمهما وصلت بنا الهلوسة لم نكن نفكر بهذا ربما لأننا لم نستفيق بعد من صدمة وجودنا معا " .

بلع ريقه وسألها بترقب وقد استشعر جديتها وتأثرها للدرجة التي سرعت من ضربات قلبه " تكلمي بسرعة يا آية فأنا لست صبورا"

قالت بصوت مبحوح " أنا حامل "

صمت قليلا يحدق في عينيها ثم سألها " ماذا قلت ؟؟؟"

ردت ببطء وهي تراقب ملامحه " أنا ..حامل.. يا سيد "

صمت مجددا ينظر لبطنها العارية وقال "كيف ؟؟؟؟؟"

اتسعت عيناها قليلا .. فاستدرك بسرعة يحك جبينه بارتباك قائلا " أقصد .. أقصد ".

قاطعته تقول بابتسامة حلوة " أنا أحمل قطعة منك في بطني يا حبيب آية .. ابنك ينمو في بطني أنا ".

صمت مجددا .. وتطلع يمينا ويسارا يهرب من طوفان المشاعر التي أحاطت به .. ثم حك جبينه

Des. Maryam Tamim



مرة أخرى بيد مرتعشة ينظر لبطنها في صمت ..فراقبت ملامحه .. وراقبت عينيه اللتان بدأتا في الاحمرار .. لينزل على ركبتيه أمامها يتحسس بطنها برفق .. ثم رفع وجهه إليها قائلا بحشرجة "إبني أنا .. هنا .. بداخلك يويا "

مشطت شعره بأصابعها مبتسمة فقبل بطنها بقبلة طويلة .. ثم استقام يقبل يديها وسألها "كيف تشعرين ؟"

حركت مقلتيها وقالت " بالرعب "

اتسعت ابتسامته ورد عليها وهو يسحبها لصدره " وأنا أيضا "

أسندت رأسها على صدره ثم قالت " أنت ترتجف بشدة وقلبك يصرخ " .

أومأ برأسه ورد " قلبي سيعفى من الخدمة قريبا .. فكل هذه السعادة والنعم لن يتحملها "





ربتت على صدره تقول " بعيد الشر عنك وعن قلبك "

فسألها فجأة " هل سيضر الرقص بالجنين؟ "
اتسعت ابتسامتها وردت " لا أعتقد أنه سيتأثر في هذا العمر .. أنا فقط شعرت أني أريد أن أفعلها قبل أن يتضخم جسدي وأصبح كالكرة"

شدد من ذراعيه حولها وقال " تصبحين كالكرة .. كالفيل .. سأظل أحبك "

غرقت في حضنه فسأل بعد فترة من الصمت كان يستوعب فيها الخبر " هل تعتقدين أن الحمل حدث يوم كنت ترتدين ذلك القميص القصير أم الأخر الأقصر منه؟ "

وضعت يدها على فمها تضحك بحرج .. وتمتمت وهي تشدد من ذراعيها حوله " أتمنى أن أرزق بمارد صغير "



ليرد عليها " بل أريد جنية صغيرة بعينين عسليتين كأمها " .

ثم انتفض فجأة يقول بحماس "عليّ أزف الخبر لأبي سماحة ".

عادت آية بذاكرتها لسيد الذي مازال شاردا بعد زيارتهما الأولى للطبيبة .. وأمسكت بيده فنظر إليها رافعا يدها إلى فمه يقبلها .. فسألته " مفاجأة أليس كذلك ؟"

أومأ برأسه معقود اللسان واضعا يدها على صدره وهو يركز في الطريق ..

رن هاتفها .. فأفلتت يدها منه وردت " نعم زهرة "

قالت زهرة بحنق " تأخرتما كثيرا وسيد لا يرد على هاتفه "

قالت آية بهدوء " لقد اقتربنا هل أنتم عند أمي؟"

Des. Maryam Tamim

ردت " أجل .. وتلك الزرقاء أصرت على أن تشكل الكعك معي " .

ابتسمت آية وقالت " لا بأس ربما لم تشكل كعكا من قبل وهي صغيرة "

هتفت زهرة بحنق " ما ذنبي أنا .. أن تأتي من بلدها لتشاركني في تشكيل الكعك الذي حضرته الخالة إلهام حتى تسويه لي !!".

سألتها آية " هل كتبت واجبات المدرسة قبل هذا الكعك ؟"

صرخت زهرة فيها " أنت من ناحية ورحمة من ناحية .. أووووف تعبت والله تعبت "

واغلقت الخط .. فجحظت عينا آية ونظرت للهاتف مستنكرة ..

Des. Maryam Tamim

ليبتسم سيد .. فقالت " ضرتي تعاملني أسوأ معاملة يا سيد "

قهقه دون أن يعلق فتأكدت أن ذهنه مشغولا .

بعد قليل تطلعت إليه وهو يركن السيارة بجانب المقهى ليترجل منها مسرعا حتى وصل إليها قبل أن تضع ساقها على الأرض .. ومد يده ليساعدها فترجلت من السيارة مندهشة ودخلا سويا إلى بوابة بيت سماحة ليلحقوا بالجميع .. فمن المفترض أن يحتفل الليلة أحمد وبانة بعيد زواجهما الثاني .. وقررا أن يكون الاحتفال بحضور الأصدقاء.. في جلسة عائلية دافئة وعشاء بسيط لا أكثر .. فكان هذا هو الاحتفال الذي يتمنونه ..

على السلم استدارت آية إليه فجأة تسأل" هل هذه المفاجأة سعيدة أم .. "

Des. Maryam Tamim

قاطعها حين رفع يديه يحضن وجهها وقال " يا سكورة .. كيف لا أكون سعيدا وحبيبتي وروحي تحمل أولادي .. الذين لم أكن أعلم أني أشتاق إليهم إلا حين علمت بأنها حامل .. كيف لا أكون سعيدا والله يُغدق عليّ بالنعم حتى بت أخجل من أيام سابقة كنت فيها حانقا على قدري .. ناقما على حياتي .. فإذا برب العالمين برغم كل هذا يعاملني بكرمه ويمنحني حبيبة روحي ويجعلني صهرا للبيت الذي تربيت فيه .. ويرزقني بالأولاد .. ليس ولدا واحدا وإنما توأمين .. أنا معقود اللسان لا أعرف كيف أعبر عن سعادتي .. كما أني أشعر بالرعب .. كيف سأتعامل معهما ؟ كيف سأربيهما ؟ .. هل سأكون أبا صالحا؟ .. هل علاقتي بخليل الماضية ستؤثر على علاقتي بهم.. كل هذه المخاوف يويا بداخلي ... بالإضافة لشفقتي عليك أن يكونا ثقيلان عليك في حملهما "

Des. Maryam Tamim

ابتسمت وقالت " لا أنكر أني أشعر بالخوف لكني سأتشجع بك "

قبل جبينها قائلا " وأنا لن أخذلك أبدا .. يا روحي التي ردت إليّ .. والتي منحني الله في رحمها أرواحا من صلبي " .

تأبطت ذراعه يصعدان السلم فقالت آية " شعرت بالتحسن الآن ما دمت وعدتني ستوفي بوعدك أنا أثق بك " .

ابتسم ثم قال " علمت الآن لما كتب علي أن أعيش وسط قبيلة من النساء في شقة واحدة؟"

تطلعت إليه بتساؤل فاتسعت ابتسامته يقول " ليساعدوك بالطبع يا حبيبتي .. فأنت ستنجبين توأمين .. عليهم أن يعملوا مقابل لقمة عيشهم .. سنترك لهم التوأمين وننطلق أنا وأنت "

Des. Maryam Tamim

ضحكت ضحكتها العالية أمام باب الشقة ففتح أحمد الباب فجأة يقول " وصلت أختي المجنونة زوجة هولاكو "

في الداخل كان البيت مملوءا بالقلوب المحبة الطيبة .. غرفة الصالون ضمت كبار السن الحاج سماحة وأبا فراس والخالة أنجيل وعفاف والدة عمرو ..

والصالة احتلها الشباب .. وائل وزوجته وابنتيه .. أمير وكريستين وطفلهما .. رامز الذي يتحدث باهتمام مع ميري وأنجيل الصغيرة .. أحمد وبانة .. وعمرو وأروى ..

وفي المطبخ إلهام التي تساعد زهرة في تشكيل الكعك لتسويته في الفرن.. وتشاركهما ليزا التي

Des. Maryam Tamim

بمجرد أن علمت بوصول سيد خرجت تستقبله وتتأبط ذراعه فتطلع لملابسها لتقول بصعوبة وابتسامة حلوة "ملابس ليزا لسيت عارية "

فمط شفتيه ممتعضا .. بينما نظرت آية نحو الثلاث فتيات اللاتي تحلقن حول أخيهن وتنهدت .. فاقتربت منها أروى التي تمشي على قدميها بعرج بسيط وسألتها " هل هذه الفتاة الزرقاء كما تصفها زهرة ستظل هنا للأبد؟ "

نظرت آية إلى ليزا التي تحاول شرح شيء ما لسيد الذي يعقد جبينه محاولا للفهم وردت " القصة باختصار أنها اكتشفت بعد وفاة والدتها في مذكراتها تفاصيل عن زواجها وانجابها في بلد غريب وحين علمت أن والدها ثريا قررت أن تحضر للبحث عنه مستغلة تلك الفرصة للعمل التي جاءت بشأنها وبعد ما حدث .. أوصلها سيد لخليل الذي بالرغم اعتلال صحته .. وهو لا يفارق سريره إلا أنه على ما

Des. Maryam Tamim

يبدو كان يدبر لها زواجا من ثري عربي .. وتكررت قصة رحمة لكن هذه المرة كانت ليزا تعرف بمكان سيد فلجأت إليه مرة أخرى فارة من خليل .. ومنذ ذلك الحين وأنا شقتي تعج بالنساء .. نساء في حياة سيد .. أما بخصوص إذا ما كانت قد قررت البقاء أو المغادرة فذلك لم تحدده بعد "

اطلقت أروى ضحكتها وربتت على كتفها مواسية .. فقالت آية بغيظ " تضحكين يا أروى .. أنا لا أكرههم لكني أحبه لدرجة أني أريده لي وحدي ".

تمتمت أروى " هكذا هي الحياة .. ومن أجله ستضطرين للتكيف في مقابل البقاء مع من تحبين ".

علا صوت وائل يقول " لدي إعلان هام .. "

Des. Maryam Tamim

فتنبه له الجميع لينظر لماجدة التي تحرجت واطرقت برأسها فقال وائل " ماجدة سينشر لها قريبا رواية في الأسواق .. فقد قررت دار نشر كبيرة طبع روايتها .. "

علت التهاني والمباركات والتعليقات المازحة من الشباب .. بينما توردت ماجدة بحرج متأبطة ذراع وائل وهي تجلس بجواره على الأريكة .. فوقف سيد أمامهما ونظر لأية يغمز بعينه ثم قال " وأنا أيضا لدي إعلان هام .. (سكت الجميع مترقبون فأكمل) ذهبنا للطبيبة النسائية اليوم "

فقاطعه أحمد مستخفا " مقلب سخيف فبالتأكيد لم تتبينوا إن كان ذكرا أم أنثى فهي مازالت في الشهور الأولى .. فلا تقول ستنجب ذكرا"

Des. Maryam Tamim

رفع سيد حاجبه وقال " اخرس واسمع .. الأمر تعدى ذلك يا بني .. أنسيت من أنا ؟.. أنا هولاكو .. يا إخواني باركو لنا .. زوجتي حامل بتوأمين "

علا الصياح والشهقات والتصفيق .. وتلقت آية المباركة من أبيها بينما بكت إلهام متأثرة.

فقال وائل لسيد يغمز له " العظماء فقط من ينجبون التوائم .. "

علت ضحكة سيد بينما نظر أحمد إليهما بامتعاض ثم نظر لبانة التي جحظت عيناها وقالت مستنكرة " لماذا تنظر لي ؟؟ هل أنا المسئولة ؟؟!! "

صوت صراخ ناعم خرج من الجهاز الموجود بجانب بانة جعل أحمد ينتفض من مجلسه يسبقها إلى غرفته القديمة .. فاستقامت بانة تضحك في يأس لرامز الذي كان يتابع المشهد من بعيد فبادلها الابتسام وهو يتابع ذلك المجنون المتعلق بابنته ..

[5050]

على الأريكة لاعب عمرو عبد الرحمن الصغير الذي كان منزعجا من الأصوات الكثيرة حوله فقالت أروى " أعطيه لجدته عفاف بالداخل حتى يبتعد عن الأصوات العالية ويصمت ".

فهمس لها عمرو قائلا " ما رأيك أن نترك بيدو قليلا عند أمي اليوم ونقوم بجلسة تدليك على مستوى عالمي؟ "

كتمت ضحكتها وقالت " هل وصلت للعالمية في التدليك ؟ يا باشمهندس عمرو !! "

رد عليها بثقة " طبعا الموهوب في أي تخصص يطور نفسه دائما" .

كتمت ضحكتها بصعوبة حتى لا تنفجر في الضحك أمام الجميع فخبأت وجهها في ذراعه لبعض الوقت.. ثم رفعته تطالع ابتسامته التي تضيئها أسنانه .. لتحتضن ذراعه فتأملها عمرو بنظرات

Des. Maryam Tamim

عاشقة بينما عبد الرحمن يدس أصابعه الصغيرة في لحيته.

خرج أحمد يحمل شمس بزهو والتي بلغت من العمر شهرين .. فهلل الجميع خاصة سيد الذي وقف أمامها يداعبها دون أن يملك الجرأة حتى الأن لحملها وقال بسعادة "تشبهك يا آية جدا سبحان الله أليس كذلك يا أمي "

ردت إلهام الجالسة على كرسي السفرة توجه المرأة التي تساعدها في شئون البيت وهي تحضر مائدة الطعام " هذا حقيقي .. منذ أن ولدت ونحن نرى شمس كثيرة الشبه بآية "

رد أحمد بكبرياء " لكن ابنتي أحلى من ابنتك يا إلهام لا تحاولي ليّ ذراع الحقيقة .."

Des. Maryam Tamim

تطلعت إلهام بسعادة لشمس بفستانها الأصفر المستلقية على ذراع والدها وتمتمت " وهل يوجد أعز من الولد إلا الحفيد يا بني .. عبد الرحمن وشمس هما نور عيني أنا والحاج .. والعقبى لآية بإذن الله "

استمر سيد في ملاحقة أحمد لملاعبة شمس فأبعده قائلا " ستفزعها .. ادخر مداعباتك لزوجي الثيران اللذان تحملهما أختي المسكينة"

قهقه سيد وقال وهو يغيظه " وما أدراك أنهما ذكران ربما ذكرا وأنثى فأنا احب التنوع "

تركه أحمد وابتعد يقبل شمس التي ترتدي فوق رأسها طوقا من القماش باللون الأصفر .. مشبوكا في قمته وردة من نفس اللون ..

Des. Maryam Tamim

بحث رامز عن بانة فلم يجدها أمامه فوقف بالقرب من الممر يقول لزهرة بحرج " ألا يمكن أن تحضري لي كوبا من الماء فأنا أشعر العطش ؟"

سمعته رحمة من داخل المطبخ فأسرعت تصب له كوبا وخرجت لتناوله إياه لتفاجأ بليزا التي أعطت رامز زجاجة وقالت بالإنجليزية بابتسامة حلوة " أنا أشتري الماء فلم أعتاد على طعم الماء هنا بعد يمكنك استخدام زجاجتي ".

ابتسم رامز وشكرها ثم لمح رحمة التي تحرجت وهمت بالاستدارة فمد يده لها يتمتم بالشكر ووقف يمسك بكلتا يديه زجاجة وكوب .. مليئان بالماء ..

بعد الغداء قال وائل لسيد" ألن تغني لنا يا بني؟ .. لم نأتي إلا لنسمع الغناء "

Des. Maryam Tamim

تدخلت ليزا تقول بالعربية بمرح " أنا .. أهب .. سيد .. يغني "

ابتسم سيد لليزا وقال " سأغني وأطربكم حتى الصباح (ونظرة لآية وأكمل) فأنا سعيد بفضل الله وكرمه " .

اقترب عمرو حاملا عبد الرحمن يقف أمام أحمد الذي يحمل شمس وقال " اسمع يا كونت .. سأختصر الأمر السجاد والنجف وجميع الاجهزة الكهربائية .. باختصار كل الأثاث سيتكفل بها بيت القاضي .. فنحن نريد عروستنا فقط بحقيبة ملابسها فماذا قلت ؟"

رد عليه أحمد ببرود " أنت تحلم .. هذا لن يحدث أبدا .. وابنتي لن يقترب منها أي ذكر .. وهذا الولد الذي يشبهك (وأشار على عبد الرحمن) بمجرد

Des. Maryam Tamim

أن يشب سأمنعه من دخول هذا البيت حتى لا يلقي بشباكه على ابنتي المسكينة ".

فجأة مال عبد الرحمن من على ذراع أبيه وأمسك بالوردة الصفراء التي تزين رأس شمس .. فحاول عمرو فك أصابعه فلم يقدر .. ليستنجد بأروى التي وقفت هي وبانة تفكان أصابع عبد الرحمن الذي يطبقها بقوة على وردة شمس الصفراء .. وحين أجبرته أروى برفق أن يفك أصابعه .. انفجر باكيا فانفجرت شمس باكية هي الأخرى ..

بعد أن فض الاشتباك هتف عمرو بسعادة " الأمر خرج من يدي يا كونت وولدنا تطاول على ابنتكم .. وشرفكم اصبح في التراب .. لكننا مستعدون لإصلاح ما بدر من ابننا .. لذا ألف مبروك عليك مصاهرتنا "

صاح أحمد فيه " إخرااااااااس "

Des. Maryam Tamim

وتحرك يجلس على ذراع الكرسي الذي تجلس عليه بانة يقبل رأس ابنته برقة فرفعت بانة أنظارها نحوه تطالعه بعشق وتتأمل شمس التي استكانت مرة أخرى على ذراعه ليفرد الكونت ذراعه الأخر على كتفي بنت الخازن بطلة المؤامرة الدولية للسيطرة عليه ومال يطبع قبلة عاشقة على رأسها ..

واحتضنت ماجدة ذراع الاكسلانس الذي لم يعد قادرا على الابتعاد عن دفئها لحظة واحدة مطالبا بالمزيد والمزيد من جوجو .. بينما جلس عمرو الشهير بعم أمين الآلي بجوار أروته جنته على الأرض يتأملان ضحكة عبد الرحمن بسعادة ..

أما هولاكو فأشار لشمسه الصغيرة الهادئة التي تراقبه مع أخواته اللاتي يملأن الأريكة بجانبه .. واستقام يجلسها مكانه وسطهم ليجلس هو أرضا أمامها مسندا ظهره على الاريكة لتسند آية يديها

Des. Maryam Tamim



على كتفي ماردها الذي ظل يستدير رافعا وجهه
إليها من حين لآخر مبتسما برضا وهو يغني ..

ياللى بتسأل عن الحياة
خدها كده زى ما هيا
فيها ابتسامة وفيها آه
فيها قسيّة وحنيّة

ياما الحياه فيها،
اللى بيشكيها
واللى بيرضيها،
واللى يقاسيها

الدنيا ريشه فى هوا طايرة بغير جناحين
احنا النهاردة سوا وبكرة هنكون فين
في الدنيا .. في الدنيا

دنيا تدور . . مهما تدور

[5058]



ما هي بتدور سواقينا
في عطشنا ..في ألمنا
مابتنساش تداوينا

لينا الحب لينا..
قبل الجراح ما تدق بابنا
جينا ومادين ايدينا
اللى يصيبنا أهو من نصيبنا
دنيا بتلعب بينا ليه؟
ايه راح ناخد من دا ايه؟

تمت بحمد الله وتوفيقه
بداية الكتابة ١ فبراير ٢٠١٨
نهاية الكتابة ١١ نوفمبر ٢٠١٨

[5059]